جامع البيان
في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي

المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي

المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الأول

المحتوى:

من أول سورة الفاتحة - الى آخر سورة الأعراف

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3976-2

9782745139764 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لفضيلة الدكتور/ عبدالحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب والفرقان، وأصلى وأسلم على حامل لواء الفصاحة والبيان، محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان.

وبعد، فهذا كتاب فى التفسير قلّ أن تجد مثله، فهو قصد ووسط بين المختصرات والمطولات، يوضح العبارة بأيسر إشارة، ويجمع الكثير من المعانى بقليل من الألفاظ الدوانى، ويلخص الأقوال، ويرجح المقال على المقال، ويشير إلى أسرار الإعجاز بشيء من الإيجاز، ويرد الأقوال الممتحلة من الفلاسفة والمعتزلة، وينافح عن كلام رب العالمين برد كلام المبطلين والغالين.

وقد كتبه مصنفه بعد تردد وتأخر، لكنه عزمَ عليه كما يقول لما لم يجد "فى التفسير مختصرًا يغنى، وكتابًا يقرب ويدنى".

وبالحق كان كتابه سدًّا لهذه الثغرة، فكان مختصرًا يغنى، وكتابًا يقرب ويدنى؛ فهو على اختصاره يغنى عما سواه من المطوّلات، وعلى وجازة إشارته يقرب المعنى البعيد ويدنيه، وكان من خير ما قدر لهذا الكتاب أنه حاز الفضل من جهتين:

من جهة مصنفه (الإيجى) -رحمه الله- فى حسن تصنيفه والعناية بتأليفه، وتحرير مسائله العقدية واللغوية والبلاغية.

ثم من جهة محشّيه (الغزنوى) -رحمه الله- الذى خدم هذا الكتاب خدمة جليلة لا تقل عن خدمة مصنفه الأصلى بل تزيد، حيث إنه قد انبرى لما فات المصنف أن ينبه عليه مما يخالف عقيدة السلف أو ما وقع فيه المصنف نفسه من باب الخطأ والزلل فى مخالفة عقيدة السلف الصالح (رضوان الله عليهم جميعًا) فانبرى لذلك الشيخ الغزنوى -رحمه الله- وقد كان سنيًّا سلفيًّا واضح المذهب مقتديا بالإمامين ابن تيمية وابن القيم -رحمهم الله تعالى جميعًا- ويكثر النقل عنهما؛ فخلّص الكتاب مما قد يشوبه أو يشينه من

المخالفات فأصبح بحمد الله تعالى بارئًا، وصفاه من الكدر فصار بمنة الله تعالى عسلا مصفى ولبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وهذا من فضل الله ورحمته للعالمين.

هذا، وقد عهدت إلى دار الكتب العلمية بتحقيق هذا السفر العظيم، غير أني قد انتابتنى الشواغل والموانع دون إتمامه فقام على إتمام تخريجه وتصحيحه ومراجعته جماعة من الأفاضل، واقتصر دورى فيه على النظر فيه ومراجعته والتعليق على بعض مواضعه والتقديم له، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجزل المثوبة لكل من ساعد فيه أو قدم فيه جهدًا مشكورًا، وأسأله سبحانه أن يجزل لنا المثوبة عليه في الدنيا والآخرة، إنه مولى ذلك والقادر عليه.

وكتب

راجي عفو ربه الغفور

عبدالحميد بن أحمد بن يوسف هنداوى

المدرس بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو محمد بن صفى الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالسلام وقيل: عبدالله، معين الدين الحسينى الصفوى الإيجى الشيرازى الشافعى.

وذكر نفسه هو فى مقدمة كتابه فقال: "وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه (معين بن صفى) أدركهما الله بلطفه الجليّ والخفيّ".

مولده:

ولد الإيجى سنة ٨٣٢هـ الموافق ١٤٢٩م تقريبًا.

موطنه:

نشأ الإيجى فى بلدة "إيج" بنواحى شيراز، وإليهما ينسب.

وإيج "بالجيم": بلدة كثيرة البساتين والخيرات أقصى بلاد فارس، وأهل فارس يسمونها إيك. ويبدو أنها بلدة يعنى أهلها بالعلم والعلماء، فقد نسب إليها عدة من المؤلفين والعلماء، منهم عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجى، بل نسب إليها كبار المحدثين، وينسب إليها أبو محمد عبدالله بن محمد الإيجى النحوى؛ روى عن ابن دريد فأكثر.

وشيراز: بالكسر وآخره زاى: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهى قصبة بلاد فارس، وهى مما استجد عمارتها واختطاطها فى الإسلام، وبها جماعة من التابعين مدفونون، وهى فى وسط بلاد فارس، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء فى كل فن.

أبـوه:

هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الإيجى صفى الدين أبو الفضل الحسينى العجمى الصوفى الشافعى المتوفى بمكة سنة ٨٦٤هـ، له حاشية على شرح التبادكانى لمنازل السائرين، ولقد بدأ الأب فى كتابة تفسير سورة الأنعام، فكتب نبذًا ثم ترك، وقال لابنه: أنت مأمور بذلك.

ولما كان الأب له مشاركة فى العلوم الشرعية كان لذلك تأثير على الابن، بل كان الأب سببًا لإكمال الابن كتاب التفسير كما سبق.

اجتهاده العلمى:

لقد انشغل الإيجى بجوانب متعددة من الفروع العلمية، وبرع فى بعضها ومما يدل على ذلك الأوصاف التى وصف بها فى ترجمته فقد وصف بأنه مفسر ومحدث ونسب إلى مذهب الشافعى.

١-التفسير:

لقد انشغل الإيجى بعلم التفسير، ووقف على كتب عدة فى جمعه لمادة تفسيره، وله كتبٌ فى التفسير منها: تفسير سورة الفاتحة، جامع البيان فى تفسير القرآن وهو الذى نقدم له.

ومما يدل على براعته فى التفسير أنه يجمع فى تفسير الآية أقوالا كثيرة بأوجز عبارة وألطف إشارة، وهذا لا يستطيعه إلا من كان بالتفسير خبيرًا وبطرق المفسرين وعباراتهم بصيرًا، حتى قال عن نفسه كما فى مقدمة تفسيره: "ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى فى هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد فى كثير منها".

٢-الحديث:

كان الإيجى معظمًا للحديث النبوى غير معرض عنه، وله مشاركة بالتأليف فى علم الحديث إذ له شرح الأربعين النووية.

وتجده يعيب على من لا يقدم الأخبار النبوية؛ فيقول فى مقدمة التفسير "وكثيرا تجد الزمخشرى ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية، وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض، لكن المسلك فى تفسيرنا هذا الاعتماد على المعانى الثابتة عمن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم".

٣-اعتقاده:

لقد حمل الإيجى حملة شديدة على الفلسفة والفلاسفة؛ إذ كان مبغضًا لها ومحذرًا منها معظمًا للنصوص الشرعية، بل ألف كتابا سماه: "تهافت الفلاسفة".

ويقول فى تفسير سورة البقرة آية ٧٤ فى حديثه عن بعض الأمور المردودة: "نعم لمن

يتبع الفلسفة أن يتمحل التَّمَحُّلَ[1] في أمثال ذلك والله تعالى بمحض فضله قد عصمنا منه".

وكان له موقف من الاعتزال عمومًا ومن الزمخشري خصوصًا، فيقول في مقدمة التفسير: "كتاب موفَّى فيه الحكمة والمعرفة، مصفًّى عن الاعتزال والفلسفة".

ويقول: "فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا تعجل إلى الرد إنكارًا، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم نارًا".

ومع تعظيمه للنصوص الشرعية وموقفه من الاعتزال والفلسفة ونقله الكثير عن السلف إلا أننا نجد عنده آثارًا صوفية ربما كان سببها كون أبيه صوفيًّا، ومن أمثال ذلك ما تجده في كلامه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في مقدمة التفسير، ولقد أجاد الغزنوي صاحب الحاشية في بيان خطأ ما صنع، والتحذير مما فيه وقع، وأحيانًا يمشي في تفسير آيات أسماء الله وصفاته على طريقة الأشاعرة، وربما ينقل في تفسيرها قول السلف مُتْبعًا إياه بكلام الأشاعرة، فتراه في تفسير قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** من سورة البقرة يقول: "لا يرضيه" جاريا مجرى الأشاعرة في تأويل الصفات إلى السبعة التي يثبتونها، فيقولون معنى الحب: الرضا مخالفين بذلك طريقة السلف، ومثال جمعه بين طريقة السلف وطريقة الأشاعرة قوله في تفسير قوله تعالى: **﴿أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾** من سورة البقرة: "مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكول علمه إلى الله تعالى أو تقديره: يأتيهم بأسه".

وجدير بالذكر أن الغزنوي صاحب الحاشية أشار في مواضع كثيرة إلى طريقة السلف في فهم آيات أسماء الله وصفاته وأن هذه الطريقة هي التي يجب اتباعها إلا أنه لم يتتبع كل موضع يحتاج إلى هذا التنبيه.

مذهبه:

وصفه من ترجموا له بأنه كان شافعيًّا ونقل هو عن مذهب الشافعي في تفسيره.

لغته:

مع كونه نشأ ببلاد فارس إلا أنه عني بعلوم العربية واجتهد في إتقانها، فضمن

---

(١) التمحل: المعاداة.

تفسيره كلامًا عن الإعراب وتوجيهات نحوية مما يدل على أن له فى علوم العربية باعًا، ولكن ليس كل ما تبغيه تجده فقد ظهر فى عباراته جانب من الضعف اللغوى والركاكة فى الأسلوب وعذره فى ذلك أنه ليس من العرب الأصلاء وإنما هو أعجمى، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه.

وفاته:

توفى الإيجى فى ٩٠٦هـ وقيل: ٩٠٥هـ الموافق تقريبًا ١٥٠٠م. ووقع على غلاف طبعة باكستان لكتاب التفسير (٨٣٢هـ-٨٩٤هـ) وعلى طبعة الشيخين شاكر والفقى (٨٣٢هـ-٩٠٥هـ).

كتبه:

لقد أشرنا إلى بعضها آنفًا فى طيات حديثنا ولكن ها نحن نذكر ما وقفنا على نسبتها له:

١-تفسير سورة الفاتحة.

٢-جامع البيان فى تفسير القرآن، وبعضهم يسمّيه: جوامع التبيان فى تفسير القرآن (وهو ما نقدم له بهذه المقدمة).

٣-تهافت الفلاسفة.

٤-شرح الأربعين النووية.

٥-شعب الإيمان.

٦-حاشية على التلويح للتفتازانى.

٧-بيان المعاد الجسمانى والروح.

جامع البيان

اسمه وتوثيق نسبته للمؤلف:

ذكر المترجمون للإيجى أن له كتابا فى التفسير لكنهم اختلفوا فى تسمية الكتاب، فسماه فى الأعلام: جامع البيان فى تفسير القرآن، وكذا قال هو فى مقدمة التفسير كما فى الأصل الذى رجعنا إليه، بينما سماه فى الضوء اللامع جوامع التبيان فى تفسير القرآن وكذا قال فى كشف الظنون وفى هداية العارفين.

مصادره فى التفسير:

أشار المؤلف فى مقدمة تفسيره أنه رجع فى التفسير إلى الكتب الآتية:

* تفسير عماد الدين بن كثير.
* معالم التنزيل لمحيى السنة البغوى.
* الكشاف للزمخشرى.
* شروح الكشاف:
  - شرح الطيبى (وهو المسمى فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب).
  - الكشف (ولعله لعمر بن عبدالرحمن الفارسى القزوينى ٧٤٥هـ).
  - شرح المحقق التفتازانى (سعد الدين مسعود بن عمر).
* الوسيط للواحدى.
* مدارك التنزيل للنسفى.
* أنوار التنزيل للبيضاوى.

وأشار فى بعض المواطن إلى نقله عن كتب أخرى كما ترى فى نقله عن ابن جرير فى تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

والأحاديث المذكورة فمعظمها من الصحاح الستة.

بعض الرموز فى التفسير:

استخدم المؤلف بعض الرموز فى تفسيره بغية الاختصار فقال فى المقدمة: "وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة "أو" فما هو إلا للسلف، وما ذكرنا بقيل فأكثره من مخترعات المتأخرين، ما ظفرنا فيه بنقل".

كما أنه استعمل الرمز "تع" إشارة إلى كلمة "تعالى" التى يثنى بها على الله سبحانه وتعالى، وقد قمنا بكتابتها "تعالى" دون رمز لعدم اللبس على القارئ.

(رح) يقصد بها رحمه الله.

ومن الرموز المتكررة فى التفسير حرف العين النسخ "ع" وكان يضعها على هامش الأصل ويشير بها إلى نهاية الركوع، ووقع هذا تبعًا للتقسيم على الركوعات، وهو تقسيم يقوم على اعتبار المعنى، وكل عدد من الآيات يسمى ركوعًا، ثم تكون السورة عشرين أو أربعين أو ثمانين ركوعًا، وكتب مع العين عدة أرقام أغلب الظن أنه يقصد بها الآتى:

١-رقم يكتب أعلى العين يعنى به ترتيب الركوع داخل السورة.

٢-رقم يكتب داخل العين وهو عدد آيات ذلك الركوع.

٣-رقم يكتب أسفل الركوع يعنى به ترتيب الركوع داخل الجزء.

حاشية التفسير:

صاحب الحاشية:

هو محمد بن عبدالله الغزنوى توفى عام ١٢٩٦هـ هكذا وجدنا ذكره على غلاف الأصل الذى رجعنا إليه، ولم نقف له على ترجمة، لكن من خلال حاشيته ندرك جانبًا هامًا من حياته العلمية وهو سعة اطلاعه كما هو واضح من كثرة المصادر التى اعتمد عليها فى الحاشية كما يتجلى لنا منهجه فى الاعتقاد حيث نبه كثيرًا على عقيدة السلف وأكثر النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن تلميذه ابن القيم.

بعض موارده فى الحاشية:

أكثر الغزنوى فى حاشيته من النقل عن مصادر كثيرة مستعملا فى الإشارة إليها رموزًا واختصارات فمنها:

* **كبير**: يقصد به مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، وكان يقول أحيانًا: قال الرازى، ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "كبير" بما فى مفاتيح الغيب للرازى فوجدناها هى هى.

* **فتح**: يقصد به فتح القدير للشوكانى، وهناك نص فى كلامه فى تفسير سورة المائدة على أنه فتح القدير للشوكانى.

ولقد قارنا بعض المواضع التى كتب خلفها "فتح" بما فى فتح القدير فوجدناها واحدة.

* **معالم**: يقصد به معالم التنزيل للبغوى.

* **وجيز**: لم نقف على كتاب فى التفسير بهذا الاسم إلا الوجيز فى التفسير لعلى بن أحمد بن محمد بن على الإمام أبى الحسن الواحدى.

إلا أنه وقع فى التفسير الذى تقدم له فى سورة التوبة آية ٦٠ فى الحاشية: "لكن قال المصنف فى الوجيز".

* **در منثور**: وهو الدر المنثور للسيوطى.

* **صراح**: لم نقف إلا على صراح اللغة لأبى الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشى المشتهر بجمالى، وهو ترجمة الصحاح بالفارسية، فرغ منها سنة ٦٨١هـ.

* **تبصير الرحمن**: لعله تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن فى التفسير للشيخ زين الدين على بن أحمد بن على بن أحمد الأموى الحنبلى توفى سنة ٧١٠هـ.

* **كمالين**: لعله يقصد الكمالين على الجمالين فى التفسير حاشية لعمر بن عبدالجليل البغدادى الحنفى المتوفى سنة ١١٩٤هـ.

* **فتح البيان**: لم نهتد إلى كتاب يحمل هذا العنوان.

* **البحر**: هو البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى.

* **لباب التأويل، الخازن**: ، **لباب**: عدة رموز يقصد بها تفسير الخازن الموسم بلباب التأويل فى معانى التنزيل.

* **شيخ الإسلام ابن تيمية**: يقصد بذلك كتبه.

* **منه/ ١٢منه**: وهذه إشارة من الغزنوى صاحب الحاشية إلى أن هذا من حاشية المصنف.

ومما يدل على ذلك قول الشيخين أحمد شاكر وحامد الفقى على غلاف طبعتهما إن ما كتب بجواره (منه) فهو من كلام المؤلف.

ويؤكده قول المؤلف فى مقدمة التفسير: "وأما الأحاديث المذكورة فى تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة، وتجد تخريجها مسطوراً فى الحاشية عليها"، وقوله: "وقد رمزت فى تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة أو أومأت إليه بإشارة لطيفة دقيقة وفى كثير من المواضع أوضحته فى الحاشية".

وقد نبه صاحب الحاشية على ذلك بقوله فى تفسير سورة البقرة آية ٢٥٣ فى الحاشية:

"وقد ذكر المصنف فى الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة".

ووقع فى الحاشية فى تفسير الآية ٢٥٨ من سورة البقرة: "اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما فى أكثر التفاسير" مما يدل على أن من الحواشى ما هو من قلم المصنف.

* **١٢**: وقع فى نهاية كثير من الحواشى هذا الرقم منفردًا أو مضافًا إليه رمز أحد الكتب أو مضافًا إليه كلمة (منه) و لم نقف على ما نستطيع به الجزم بمعنى هذا الرقم.

* **ج**: لم نهتد إلى معنى هذا الرمز.

* رض: يعنى رضى الله عنه.

* **رح**: أحيانًا يقصد بها -رحمه الله- وفى بعض المواضع لم نهتد لمعناها.

* **م**: وقع هذا الرمز فى آخر بعض الحواشى فقد يكون اختصارًا لـ"محمد الغزنوى" أو لـ"منه".

* **قاضى**: هو القاضى البيضاوى صاحب أنوار التنزيل.

الأصل الذى اعتمدنا عليه:

اعتمدنا على الطبعة التى أصدرتها دار نشر الكتب الإسلامية بلاهور- باكستان وكتب على غلافها:

"جامع البيان فى تفسير القرآن للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسنى الحسينى الإيجى الشافعى رحمه الله (٨٣٢هـ-٨٩٤هـ) علق عليه محمد بن عبدالله الغزنوى المتوفى (١٢٩٦هـ)، حققه وصححه منير أحمد" الطبعة الثالثة الصفر المظفر ١٤٠٦هـ، نوفمبر ١٩٨٥م. وجاء فى خاتمة الطبع اسم لعله اسم الكاتب وهو "عبدالرءوف ثاقب خوشنويس".

مصادر الترجمة:

الضوء اللامع للسخاوى (٣٧/٨).

معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٥٣/١٠).

الأعلام للزركلى (٢٩٥/٣)، (١٩٥/٦).

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين بذيل كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادى (٢٢٣/٦)، (٥٣٢/٥).

كشف الظنون لحاجى خليفة (٦١٠/١)، (١٠٧٧/٢)، (٣٣٩/١)، (٢٠٠٢/٢).
معجم البلدان لياقوت الحموى "إيج" (٣٤٢/١)، "شيراز" (٤٣١/٣-٤٣٢).
تاج العروسى للزبيدى "أيج" (٥/٢).
مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده) (٥٨/٢-٨٦).
إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادى (٣٨٢/٤).
اللباب فى تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجزرى (٩٦/١-٩٧).

منهج التحقيق:

١-قمنا بتقسيم الآيات حسب الركوعات التي كتبت بهامش التفسير، بحيث نورد مجموعة من الآيات هى الركوع الذى قسم بهامش التفسير ثم نورد تفسيرها.

٢-ما كان من تخريج للحديث وقد خرج فى الحاشية أتبعنا بعده كلامنا بذكر تعقيب أو حكم على الصحة أو تخريج بين [ ].

٣-أبقينا على لغة المؤلف حتى لو كانت ركيكة أحيانًا أو ضعيفة وكذلك فى كلام المعلق.

٤-أبقينا على رموز المعلق وما عرفناه منها ذكرناه سابقًا وما لم نعرفه فعسى أن يهتدى له أحد بعدنا.

٥-ما رمز أمامه بـ(*) فهو من تعليقاتنا.

٦-ما كتبناه تعليقًا على الحواشى وضعناها فى موضعه بين معكوفتين[ ].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة للمفسر رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأظهره على الدين كله فالحقّ أحقّ، والباطل أزهقَ[1] ؛ أنزل معه كتابًا قطع أعناق[2] العتاق السَّبَق ، وأبكم به البلغاء من العرب العرباء[3] طبقًا[4] بعد طبق، شهد محكم آياته القديمة بأن المُنَزَّلَ حق غير مختلق، ودل مضمون سوره العظيمة على أن رسوله صادق مصدق ، فصلِّ يا رب وسلم على سيدي سرى ليلاً إلى السبع[5] الطباق فخرق ؛ وبلغت بلاغة كتابه نحوًا لا يسبق ؛ بل شأوًا[6] لا يلحق ؛ ثم على آله مظاهر ألطاف الله وأفضاله الذين كل منهم في سماء الشرف قمر إذا اتسق[7].

أما بعد؛ فلما أن رأيت همم أبناء العصر قاصرة ، ومساعيهم وإن جدوا في الطلب فاترة، قنعوا عن الحقيقة بالمجاز،ومالوا عن التطويل إلى الإيجاز، ولعمري يكاد أن يعد ذلك من علو همتهم،وقوة نهمتهم[8] ؛ لأنهم أرادوا حوز[9] العلوم بأسرها، وقصدوا

---

(١) أحقَّ : أثبت. أزهق : محا .[استعمل أزهق بمعنى زهق، من تناوب فعل وأفعل]

(٢) أعناق : جمع عنق وهو ظاهر ؛ أو من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً فسيحاً ، والعَنَقُ —بفتح العين والنون— هو السير السريع. العتاق : جمع العتيق أي : الكريم والخيار من كل شيء ، يقال : فرس عتيق السبق ما يتراهن عليه المتسابقون .

(٣) أي : العرب الخالص ، والتركيب من قبيل " ليل أليل " .

(٤) الطبق : الحال ، أي : حالاً بعد حال .

(٥) السموات طباق ؛ لأن بعضها فوق بعض . صراح

(٦) الشأو : الأمر الغاية ؛ يقال : فلان بعيد الشأو أي : عالي الهمة .

(٧) اتسق : اجتمع وامتلأ .

(٨) النهمة : الحاجة ، بلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

(٩) الحوز أي : الجمع .

جمع الفنون حبرها وسبرها[1]، وقد علموا بالتجارب أن الخطب خطير ، والعمر قصير، والعوائق[2] متلاطمة الأمواج، والبوائق متراكمة الأفواج ، فلو استطلعوا على طلل المطولات لوقعوا في فتات الشتات ، ويعرض الكل في معرض الفوات ، وما رأيت في التفسير مختصرا يغني وكتابا يقرب ويدني ـــ أردت[*] أن أتعرض لهذا مع قلة البضاعة وقصور الباع خصوصا في تلك الصناعة ؛ حين كان القلب مشغوفا بكشف وجوه غمار[3] أسرار نكات الكشاف[•]؛ والفؤاد مشعوفا[4] باستخراج فرائد الفوائد عن زخار بحار كلام الأعالي والأشراف ، وقد كان الزمان يرافق بالموافقة ، والإخوان في ميدان الفضل على المسابقة ،وكانت مرآة الذهن مصفاة عن صداء الفتور، ومرقاة الفضل مبرأة عن طراء الكسور ؛ تجول خيول الفهم من غير غائلة[5] الوهم في معتركهم، وتخول[6] على درك الطرائد في مدركهم ومتركهم؛ لكن قد استنصت[7] وعادت عواد عن الإقدام على هذا المرام مدة مديدة من الأيام؛ مع أنه قد صدرت

---

(١) يقال: فلان حسن الحبر والسبر أي : جميل حسن الهيئة،وفي الحديث :" يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره " قال الفراء : أي لونه وهيأته [الحديث في النهاية لابن الأثير (٢/٣٣٣)]. وقال الأصمعي : أي الجمال والبهاء . صراح

(٢) العوائق : الموانع، البوائق : الشرور والدواهي .

(*) جواب "لما" في قوله: فلما أن رأيت همم أبناء العصر قاصرة....

(٣) جمع غامر أي : الأرض الخراب ، قيل له ذلك لأن الماء قد غمره فلا تمكن زراعته ، وهو فاعل بمعنى مفعول ؛ كما يقال : " سر كاتم وماء دافق " .

يقصد كشاف الزمخشري وهو تفسير الموسوم بـ(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وهو على أجل كتب التفسير عناية ببلاغة القرآن وأسراره.

(٤) يقال : شعف بفلان أي : شغف به/١٢.

(٥) غائلة : الداهية ، الشر : الفساد/١٢.

(٦) يقال : خال فلان على أهله ، إذا دبر أمورهم وكفاهم .

(٧) قد استنصت أي : وقفت منصتا .

إشارة قدسية تتضمن الالتزام؛ فكم من مرة عزمت وأبت المقادير ، ونويت وعرضت المعاذير حتى لازمني رفيق التوفيق ، وجاورني فناء بيت الله العتيق ، وكحل عيني برؤية أهل الله ، ونلت زوارف الفيض من بذل الله ؛ أنار في أعشاب كبدي تلك الخامدة ، وأدار في دار خلدي تلك الجامدة فاستخرت الله تعالى في الملتزم والمستجار حتى أُلقي في روعي أن لا ضرر ولا ضرار في ذاك الاتجار، ثم صرفت الهمة والعزيمة ، وأحكمت النية والصريمة ، ونهضت الجناح ، وأجبت "حيَّ على الفلاح" ، ورفضت غوائل الشواغل، ونفضت دوح الأوائل ، فجنيت ثمرة طيبة الطعم والريح ، وأحظيت-بحمد الله-بالقدح لا بالسفيح(١) ؛ فها قد تم تفسير لاح النور من خلاله ، وفاح المسك من أذياله، قد حل عقد المغلقات بما قيد ، وبيض وجه المشكلات بما سود ، يموج رونق التحقيق في حواشيها ، ويقول المتأمل اللبيب: لله دَرُّ واشيها ، من مطالعه شمس أنوار التبيان قد طلعت، وايم الله إنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، كتاب موفًّى فيه الحكمة والمعرفة ، مصَفًّى عن الاعتزال والفلسفة ، في كل سطر حقائق استلفت أكثرها-بوجه حسن- عن السلف ، ودقائق أبحتها من غير بخل على الخلف، تعرضت فيه لكلام السلف بوجه يعلم منه كيفية مطابقته مع الآية ، وأعرضت عن محتملات لا تجانسه دراية ، ولا تؤانسه رواية، لا تستصغر قدر نجمه(٢) لصغر حجمه ؛ فإنك تراه من بعيد ؛ وإنما هو بين الوشوح(٣) وحيد ؛ وما ذلك كله إلا لأني وسمته(*) لمن صناديد الخافقين عبيده إن قبل ؛ بل أملاك الأفلاك جنوده لو سأل ، الذي خلق الخلق له(•)،

---

(١) السفيح : قدح من قداح الميسر لا نصيب له .

(٢) النجم هنا بمعنى الأصل ، يقال : ليس لهذا الحديث نجم أي : أصل .

(٣) جمع : وشاح ؛ شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر .

(*) ما كان ينبغي له أن يتجه هذه الوجهة إذ الأعمال الصالحات إنما يتوجه بها إلى رب البريات، فما باله يسمه متوجها به وجه النبي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه؟!!

لعله يشير إلى خبر "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو خبر باطل، والله تعالى يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦). [كشف الخفاء للعجلوني (٢١٢٣) ط. المكتبة العصرية بتحقيقنا].

ولولاه لكان آدم بعد في وَلَه، الهاشمي المستل من سلالة عدنان ، الأبطحي المنـــزل عليه القرآن، الناسخ للأديان،صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه يا ربي المعبود، وأنـــزله المقام المحمود الموعود، فيا شفيع[1] العصاة توسل الخلق بمثل هذا إلى ذي سلطان لمال أو جاه؛

---

(١) هذا الذي قاله المصنف رحمه الله ودعا به خلاف ما شرعه الله لعباده ، ومخالف لما جاء به الأدلة ، ومستلزم لدخول من عمل به في باب من أبواب الشرك ، ونوع من أنواع الكفر ؛ لأن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد المختصة بالله تعالى ، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيدًا للمطلوب ؛ قال الله تعالى :﴿ ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ ﴿وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (الأعراف:٥٦)، وقال سبحانه : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (الإسراء:١١٠)؛ فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب الله ﷻ من عباده ؛ وهذا القدر يكفي في إثبات كونه عبادة ؛ فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غير الله تعالى ؟! قال سبحانه : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ (الجن:١٨)، وقال تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ (الرعد:١٤)، وقال سبحانه ناعيًا على من يدعو غيره ضاربًا له الأمثال : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ (الأعراف:١٩٤)، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ (سبأ:٢٢)؛ فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحًا لا يبقى عنده ريب لمرتاب ؛ قال الله سبحانه: ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (غافر:٦٠)؛ ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة ؛ أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والحاكم مرفوعا : " الدعاء هو العبادة "(صحيح، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفي روايـــة : " مخ العبادة " ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة (ضعيف، وانظر ضعيف الجامـــع (٣٠٠٣). فأقل مفاد الحديث أن الدعاء عبادة كاملة مؤكدة ، فمن دعا غير الله ﷻ =

وإليك -رسول الله- هذا وسيلتي ، ومالي سؤل سوى القبول والقرب من الله؛ فخذ بيدي؛ إني هائم في مهالك البعاد ، ولا تنهر سائلك فإنك أنت الرسول الجواد

يــا مـــن ألـــوذ بـــه فـــيما أُؤَملـــه ومـــن أعـــوذ بـــه فـــيما أحـــاذره

أنت ملاذي بك ألوذ وأنت عياذي بك أعوذ، أعوذ من خزيك وكشف سترك ومن نسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

ثم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى في هذا التفسير مع معانٍ صحيحة نفيسة لم تجد في كثير منها ؛ نعم قد ترى فيها أحياناً معاني لم تلق فيه ؛ وما ذلك إلا لأن مطابقتها

= طالباً منه أمرا من أمور التي لا يقدر عليه إلا الله فقد عبد غير الله تعالى ؛ ولم يبعث الله رسله ولا أنـــزل كتبه إلا لإخلاص توحيده وإفراده تعالى بالعبادة ، وكذلك الاستعاذة لا يجوز إلا به تعالى؛لأن المستعاذ به هو الله وحده ، رب الفلق رب الناس الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به؛ ولا يستعاذ بأحد من خلقه . وقد أمر تعالى في كتابه : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ (الفلق:١) و:﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ (الناس:١)؛ وأخبر أن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا، وهو الطغيان . واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلام الله غير مخلوق بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله ﴿قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و " أعوذ بكلمات الله التامات " [أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٧١)]؛ وهو لا يستعيذ بمخلوق أبداً ؛ فاللهم إني أبرأ إليك من صنيع المصنف ؛ كيف نفى بل ولاذ ما عدا عبد الله ورسوله ﷺ ؟ وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله ﷺ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون . وما أريد بهذا البيان إلا تحذير الأحياء وتنبيههم ألا يغتروا بأمثال هذه الكلمات التي صدرت ممن ليسوا بمعصومين وظن الغالب أنها غفلة منهم وعدم تيقظ وزلة ؛ لا مقصد لهم إلا تعظيم جانب النبوة ؛ ولو نبهوا لتنبهوا ورجعوا وأقروا بالخطأ ، وليس مرادي إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وما علينا إلا البلاغ المبين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

مع ظاهر الآية لا تخلو عن شبهة، على أنها غير منقولة عن السلف وقليلاً ترى بعض المعاني المنقول[*] قد ترك فيه لما أن تطبيقه مع الآية متعسر أو متعذر ؛ وكثيرا تجد الزمخشري ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول ﷺ في الكتب الصحاح لأجل عدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوه ما ذكروه إلا آخر الأمر بصيغة التمريض ؛ لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عمن أنزل عليه الكتاب المتكلم بفصل الخطاب صلى الله عليه وبارك وسلم ، وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتتبع تامٍ ؛ فأعتمد على نقل الشيخ الناقد في علم الرواية "عماد الدين بن كثير" ؛فإنه في تفسيره قد تفحص عن تصحيح الرواية؛ وتجسس عن عجرها[1] وبجرها؛ ولو وجدت مخالفة بين تفسيره وتفسير "محيي السنة الإمام البغوي" الذي هو من سراة المحدثين ومهرة المحققين – تتبعت كتب القوم الذين لهم يد في التصحيح ثم بعد الاطلاع كتبت ما رجحوا، لكن أعتمد قليلاً على كلام "ابن كثير" ؛ فإنه متأخر معتن في شأن التصحيح، و"محيي السنة" في تفسيره ما تعرض لهذا ؛ بل قد يذكر فيه من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه ؛ بل على وضعه.

وأما الأحاديث المذكورة في تفسيرنا فمعظمها من الصحاح الستة ، وتجد تخريجها مسطوراً في الحاشية عليها.

وكل معنى ذكرنا فيه بصيغة " أو " فما هو إلا للسلف،وما ذكرنا بقيل فأكثره من مخترعات المتأخرين؛ ما ظفرنا فيه بنقل.

وأما وجه الإعراب فما اخترت إلا الأظهر ، والذي ذكرت فيه وجهين أو وجوهاً فلنكتة لا تخفى على المتأدب ، فإن قرع سمعك شيء يخالف الكشاف ومن تبعه فلا

---

[*] قدم (المنقول) وهو نائب فاعل (ترك).

(١) عجرها وبجرها ، أي : عيوبها وأحزانها .

تعجل إلى الرد إنكارًا، وارجع بصر البصيرة لعلك تجد من جانب طور العلم ناراً، مع أني لا أدعي عدم الخطإ والخطل(١) والسهو والزلل، نعم ، اجتهدت غاية الاجتهاد في تنقيح الكلام، وللمجتهد أجرٌ وإن حرم إصابة المرام، ثم إن مأخذ كتابي هذا : "المعالم"، و"الوسيط"، و"تفسير ابن كثير"، و"النسفي" ، و" الكشاف"مع شروحه : " الطيبي"، و " الكشف " و " شرح المحقق التفتازاني "- و" تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي" .

وأدرجت فيه ما سمح به الخاطر الفاتر أو سنح للنظر القاصر ، وقلما تجد آية إلا وقد رمزت في تفسيرها إلى دفع إشكال أو إلى تحقيق مقال بعبارة وجيزة ، أو أَوْمَأْتُ إليه بإشارة لطيفة دقيقة، وفي كثير من المواضع أوضحته في الحاشية، وقد تعرضت فيها لوجوه أُخر من المعاني والإعراب، فللمبتدئ حظ كثير من هذا التفسير وللعالم حظوظ.

وسميته : " جامع البيان في تفسير القرآن "، وأنا أحوج الخلق إلى رحمة ربه : "معين بن صفي" أدركهما الله بلطفه الجلي والخفي، وكان بين ابتدائه وانتهائه(*) سنتان وثلاثة أشهر حين بلغ سني أربعين.

والله أسأل أن يجعل ما تعبت فيه سبباً ينجيني ، وذخيرة تسرني لا تشجيني ، وهو حسب من توكل عليه ، ومعين من فوض الأمر إليه ، إنه هو العطوف الرحيم، الرءوف الكريم .

---

(١) الخطل : الخطأ ، الكلام الكثير الفاسد .

(*) في الأصل (ن): إتمامه.

سورة الفاتحة

مكية وهي سبع آيات

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ﴾ ، أي : متبركًا باسم مسمى لهذا اللفظ الجامع لجميع صفات الكمال أقرأ أو مستعينًا به كما في: كتبت بالقلم ، ﴿الرَّحْمَنِ[1] ﴾: الموصوف بصفة إرادة

---

(١) اعلم أن الرحمة صفة من صفات الله أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وأما قول القائل: الرحمة ضعف وخور في الطبيعة وتألم على المرحوم. فهذا باطل أما أولاً فلأن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة وقد قال تعالى : " وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة "(البلد:١٧)، وقد نهى الله عباده عن الوهن والحزن فقال تعالى : " وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "(آل عمران:١٣٩)، وندبهم إلى الرحمة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح : "لا تنزع الرحمة إلا من شقي"[حديث حسن، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (٧٤٦٧)] وقال: "من لا يَرْحم لا يُرْحم" [أخرجه البخاري في "الأدب" (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٨)]، وقال الراحمون: "يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" [أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٣٥٢٢)]، ومحال أن يقول لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي ولكن لما كانت تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة النساء ونحو ذلك =

الخير لجميع الخلائق ولا يطلق إلا على الله تعالى ، ﴿الرَّحِيمِ﴾: بالمؤمنين ويطلق على غيره ، ﴿الْحَمْدُ﴾ ، ثناء على مستحسن اختياري نفسه أو أثره تعظيمًا لمن قام به ، ﴿لِلَّهِ﴾ ، أي : حقيقته مختصة به ، ﴿رَبِّ﴾: مالك ، ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ، المخلوقات بأسرها أو الجن والإنس أو هما والملك ، ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ، كرر تعليلاً بأنه الحقيق بالحمد ، ﴿مَالِكِ﴾ ، بالألف ودونه من الملك والمُلك ، ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء متفرد بالحكم ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، نخصك بأقصى غاية التذلل وطلب المعونة لما أثنى عليه كأنه حضر بين يديه فخاطبه(*) وهو إخبار من جميع العباد الذين هو فرد منهم أدرج عبادته في عبادتهم لعلها تقبل ببركتها أو المراد الحاضرون لاسيما إن كان في جماعة وقيل: النون للتعظيم فإنه إذا كان في العبادة

= ظن الغالط أنها كذلك مطلقًا. وأيضًا فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك لم يجب أن تكون في حق الله مستلزمة لذلك كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه وكذلك الوجود والقيام بالنفس فينا يستلزم احتياجه إلى خالق يجعلنا موجودين والله منزه في وجوده مما يحتاج إليه وجودنا فنحن وصفاتنا وأفعالنا مقرونون بالحاجة إلى الغير والحاجة لنا أمر ذاتي لا يمكن أن نخلو عنه وهو سبحانه الغنى له أمر ذاتي لا يمكن أن يخلو عنه فهو بنفسه حي قيوم واجب الوجود ونحن بأنفسنا محتاجون فقراء فإذا كانت ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وما اتصفنا به من الكمال من العلم والقدرة وغير ذلك هو مقرون بالحاجة والحدوث والإمكان لم يجب أن لا يكون لله ذات ولا صفات ولا أفعال ولا يقدر ولا يعلم لكون ذلك ملازمًا للحاجة فينا فكذلك الرحمة وغيرها إذا قدر أنه في حقنا ملازم لحاجة وضعف لم يجب أن يكون في حق الله تعالى ملازماً لذلك رسالة شيخ الإسلام أبي العباس رحمة الله عليه .

(*) يشير إلى نكتة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في (إياك نعبد).

فجاهه عريض ، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: ثبتنا على الطريق الحق وهو دين الله أو الإسلام ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين أو قوم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل تغيير دينهم أو آل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهوبدل الكل ، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ، صراط غير الذين أردت العقوبة عليهم أو المراد منهم اليهود ، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: الذين عدلوا عن الطريق والمراد منهم النصارى وقيل المراد من الأول الفساق ومن الثاني الكفار. يستحب لمن قرأها أن يقول بعدها بسكتة " آمين " أي : استجب .

سورة البقرة مدنية

وهي مائتان وست وثمانون آية وأربعون ركوعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ
وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

﴿**الم**﴾: أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء الأربعة وغيرهم أو أسماء السور أو أقسام أقسم بها لشرفها لأنها مباني كتبه المنزلة أو أنا الله أعلم ، ﴿**ذَلِكَ الكِتَابُ**﴾: أي : هذا القرآن مصدر بمعنى المفعول ﴿**لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾: لا شك أنه من عند الله لو تأمل عاقل فيه لا يشك وقيل بمعنى النهي أى: لا ترتابوا ، ﴿**هُدًى**﴾: بيان ونور ﴿**لِّلْمُتَّقِينَ**﴾: الصائرين إلى الإيمان وترك الشرك أو مزيد هداية لهم ، ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ**﴾: يصدقون ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾: أى ما هو غائب كأمور الآخرة والقدر أو محمد عليه الصلاة والسلام من غير رؤيته ، ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ**﴾ ، يعدلون أركان الصلوات الخمس أو يواظبون عليها ، ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾: أعطيناهم يصرفون في الخير أو المراد الزكاة ، ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾: هذا في مؤمنى أهل الكتاب أو عام كالأول ، ﴿**وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾ سائر الكتب ، ﴿**وَبِالآخِرَةِ**﴾ الدار الآخرة ﴿**هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ لا يشكون أصلاً ، ﴿**أُولَئِكَ**﴾ من هذه

صفته ، ﴿عَلَى هُدًى﴾: أي: مستقر ومستعل على بيان ونور ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بمطالبهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ[1] كَفَرُوا﴾: ستروا الحق وهجروا التوحيد ﴿سَوَاءٌ﴾: مصدر وصف به ﴿عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: تخويفك وعدمه فهو مبتدأ وسواء خبره والهمزة وأم مجردتان[2] لمعنى الاستواء فى علم المستفهم كأنه[3] قيل في جواب أأنذرهُم أم لا المستويان في علمك مستويان في عدم النفع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، جملة مفسرة ومؤكدة[4] ، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي : طبع واستوثق بضرب الخاتم على قلوبهم ، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ ، أي : مواضعه[5] أو أطلق مجازاً على العضو وكذا البصر ووحد السمع لأنه مصدر والمسموع ليس إلا الصوت

---

(١) الكفر على أربعة أنحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر به ، وكفر الجحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود قال الله تعالى : " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " (البقرة:٨٩)،وكفر العناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة وحذار حسبة[*] ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

[*] كذا في الأصل، وقد ذكره القرطبي في التفسير (٣١٦/٦) ط. دار الفكر، بلفظ: "أو حذار مسبة".

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الأنواع سواء في أنه من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له / ١٢ معالم .

(٢) عن معني الطلب/ ١٢.

(٣) كأنه سأل ربه أأنذرهم أم لا فأجابه/ ١٢.

(٤) مؤكدة لجملة قبلها وهي قوله "سواء عليهم" إلخ / ١٢ منه.

(٥) يعني بحذف المضاف/ ١٢

بخلاف المعقولات والمبصرات فإنها أنواع من الجواهر والأعراض ، ﴿**وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ**﴾: غطاء والحاصل أنه أحدث فيهم شيئًا يمرنهم على حب الكفر لا يفقهون الحق ولا يسمعون ولا يبصرون ، ﴿**وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ**﴾: في الآخرة .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ
قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾
وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ
إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ
مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ
لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ
أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾
يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: حقيقة لأن قلوبهم لا تطابق لساهم نزلت في المنافقين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ويعتقدون أنه ينفعهم[1] عند الله كنفعهم عند بعض المؤمنين كما قال تبارك وتعالى : " يوم يبعثهم الله جميعًا " الآية (المتحنة:١٨)،أو يعملون عمل المخادع أو المراد من مخادعة الله مخادعة رسوله ، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: دائرة الخداع راجعة إليهم في الدنيا أيضًا مفتضحون ولا يحسون لغفلتهم ، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق ، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: كلما كفروا بآية ازدادوا مرضًا ونفاقًا ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم ومن قرأ "يكذبون" بالتشديد فمعناه بتكذيبهم آيات الله ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: للمنافقين ﴿لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾: بالكفر والمعصية وإظهار أسرار المؤمنين مع الكفار ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾: أى : على الهدى نداري الفريقين المؤمنين والكافرين ونصطلح معهم ونريد الإصلاح بينهم وبين أهل الكتاب ، ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾: ردهم أبلغ رد لتعريضهم على المؤمنين في قولهم إنما نحن مصلحون ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾: المهاجرون والأنصار أو مؤمنو أهل الكتاب ، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: الهمزة للإنكار واللام[2] للناس والسفه خفة رأى وهذا قول سرهم فيما بينهم فأفضحهم الله ، ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا[3]﴾: صادفوا ﴿الَّذِينَ

---

(١) أي : الخداع / ١٢ منه .

(٢) أي : لام السفهاء لام عهد ، أي : الناس .

(٣) حديث لقي ابن أبي وأصحابه أبا بكر وعمر وعليًا -رضي الله عنهم- وقال لأصحابه "انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ؟! فأخذ بيد أبي بكر وقال: مرحبًا بالصديق سيد بنى تميم وشيخ الإسلام ، ثم أخذ بيد عمر وقال: مرحبًا بسيد بنى عدى الفاروق

آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾: خلوت بفلان وإلى فلان إذا انفردت معه وشياطينهم سادتهم أو أصحابهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدين ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: نلعب بالمؤمنين ، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم جزاء استهزائهم أو يرجع وباله إليهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يُفْتَحُ لهم بابٌ في الجنة فإذا انتهوا إليه سُدّ عنهم ورُدُّوا إلى النار ، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يملي لهم ويمهلهم فحذف اللام أو يزيدهم ويقويهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: تجاوزهم عن الحد ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون والعمه في البصيرة والعمى في البصر ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ، أسند إليها وهو لأربابها لمشابهة التجارة الفاعل من حيث إنها سبب الربح والخسران ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: لطرق التجارة ﴿مَثَلُهُمْ[(١)] كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾:

= القوى في دينه ، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أصحابه فرحًا مستهزئًا فترل " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون " ذكره غير واحد من المفسرين ورواه الشعبي والواحدى عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الشيخ بن حجر العسقلاني هو سلسلة الكذب والكلبي متهم بالكذب والسدي الصغير كذاب وأبو صالح ضعيف وآثار الوضع ظاهرة عليه إذ سورة البقرة نزلت أوائل الهجرة وتزوج [إشارة إلى استبعاد قوله:"وختنه".] فاطمة في السنة الثانية من الهجرة / ١٢.

(١) ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء ولأن المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنًا عظيمًا في إبراز خفية المعاني ورفع أستار محجبات الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه،=

أى : حالهم كحال الذين أوقدوا ، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾: النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ ، وأمنوا ما يخافون ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ، المراد من إيقادها فبقوا في ظلمة وخوف، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾: جمع الظلمة لكثرتها، ثم إن المنافقين بإظهار الإيمان أمنوا في الدنيا وإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف ، أو المراد إيمانهم أولاً ثم كفرهم ثانيًا، فيكون إذهاب النور في الدنيا كما قال تعالى : " ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا " الآية (المنافقون:٣)، وهذا منقول عن كثير من السلف ، ﴿صُمٌّ﴾: أى : هم عن قبول الحق صم ، ﴿بُكْمٌ﴾: عن قول الحق ، ﴿عُمْيٌ﴾: لا يبصرونه ، فهذا فذلكة[١] التمثيل فالضمير للمنافقين أو للمستوقدين والمعنى لما أذهب نورهم أدهشتهم الظلمة بحيث اختلت حواسهم ، ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾: إلى الهدى الذي باعوه ، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾: كأصحاب مطر أو سحاب وهو مثل آخر وأو للتساوي كجالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : أنت مخير في التمثيل بأيهما شئت، وقال بعض المفسرين: إن هذين مثلان لقومين أي : مثل بعضهم هذا ومثل بعضهم هذا فإنهم لا يخلون عن أحد هذين المثلين ، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: من جميع جوانب السماء لا من أفق دون أفق وفهم هذا من السماء المعرف أو من السحاب﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾: في المطر أو السحاب ظلمة تكاثف المطر والغمامة والليل وهي فاعل الظرف ، ﴿وَرَعْدٌ﴾: ملك موكل بالسحاب فيطلق على صوته أو صوت يسمع من السحاب﴿وَبَرْقٌ﴾: نار تخرج من السحاب أو لمعان صوت الملك أو نار طارت من فيه إذا اشتد غضبه﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾: أناملهم ﴿فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾: شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: مخافة الهلاك ،

= قال ابن جرير: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال تعالى : " رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت " (الأحزاب:١٩)، وقال تعالى: " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا " (الجمعة:٥).

(١) أي : خلاصة التمثيل / ١٢ .

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به لا ينجيهم الخداع ، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾: يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾: أضاء لازم أو متعد ، أي : أضاء لهم ممشى ﴿مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ وكذلك أظلم لازم أو متعد ، ﴿قَامُوا﴾: وقفوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فليحذروا شبّه(١) القرآن والإيمان بالصيب وما فيه من شبه المبطلين واعتراضاتهم بالظلمات وما فيه من الوعيد والأهوال وذكر النار والحساب بالرعد وما فيه من الوعد والآيات الباهرة بالبرق وتصامّهم عن الوعيد بحال من يهوله الرعد فيسد أذنه مع أنه لا خلاص عنها ويدل عليه قوله تعالى : " والله محيط بالكافرين " واهتزازهم لما ظهر لهم من غنمية وراحة يطمح عليه أبصارهم بمشيهم في ضوء البرق وتحيرهم في الأمر وتوقفهم حين عروض شبهة أو بلاء ومحنة بتوقفهم إذا أظلم ثم نبه بقوله: "ولو شاء الله لذهب" إلخ على أن السمع والبصر والتوسل إلى الفلاح وهم صرفوهما إلى الحظوظ العاجلة

---

(١) شبه القرآن إلخ الأولى والأمثل أن يجعل التمثيلين من المركبة دون المفرقة فلا يتكلف لكل واحد شيء يقدر شبهه به فنقول في الأول حيرة المنافقين وشدة الأمر عليهم بما يكابده من إطفاء ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل الأليل، وفي الثاني شبه حالهم بحال من أخذته السماء بانتساج المطر الهالك مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب الأسود وتواتر الرعد القاصف والبرق الخاطف ووهم الصواعق الخارقة المحرقة في أثناء ذلك قلق واضطراب من خوف الهلاك متشبثين بما لا يدفع عنهم الموت كالغريق ولو قلت لا يطمئن قلبي إلا بأن يتكلف ويتكفل لكل واحد شيئًا يقدر شبهه به فاستمع يمكن شبّه القرآن ودين الإسلام بالصيب فإنه يحيى القلوب كالمطر يحيى الأرض بعد موتها إلى آخر ما في التفسير / ١٢ وجيز .

وسدوهما عن الفوائد الحقيقية ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فإنه قادر
مطلق .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
(٢٢) وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ
شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ
فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ
كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ
مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ (٢٦)
ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٢٧) كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ
وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢٨) هُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ
سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٢٩) ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام للمؤمن والكافر والمنافق ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: وحدوه ، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: اخترعكم من غير سبق مثال ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾، عطف على مفعول خلق ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١)﴾ ، أي : اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين، أو خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى أو خلقكم لكي تتقوا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾: بساطًا غير حزنة غليظة ، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: قبة مضروبة عليكم ، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان تقدم ﴿رِزْقًا﴾: مرزوقًا أو من للتبعيض ورزقًا مفعول له ﴿لَّكُمْ﴾: صفة رزقًا على الأول ومفعول المصدر على الثاني ، ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا(٢)﴾: أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ والحال أنكم من أهل العلم، أو تعلمون أن

---

(١) وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك ؟ قال بلى قال فما عملت قال شمرت واجتهدت قال فذلك التقوى / ١٢ تفسير ابن كثير .

(٢) قوله أندادًا و الند المثل المنادد وناددت الرجل أي: خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات والصفات كما خص المساوي للمماثل في القدر وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله أندادًا وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولأنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا لله أندادًا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل :

أربًّا واحدًا أم ألف رب ... أدين إذ تقسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعًا ... كذلك يفعل الرجل البصير

١٢ بيضاوي .

أن الأنداد لا تماثله بوجه ، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾: أي: القرآن ، ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾: طائفة من القرآن معبر عنها بسورة كذا ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾: مثل القرآن في البلاغة والإخبار عن الغيب ، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾: واستعينوا بأعوانكم أو آلهتكم ، ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي :ادعوا من شئتم غير الله ، وقيل : ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه علامة العجز ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنه من كلام البشر ، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: فيما مضى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾: بعده أبدًا وهذه معجزة أخرى ﴿فَاتَّقُوا﴾: احذروا واتقوا بالإيمان ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾: ما يوقد به النار ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: حجارة الكبريت فتكون أشد[1] وأنتن وأظلم وهو قول كثير[2] من السلف وقيل حجارة الأصنام ،﴿أُعِدَّتْ﴾: النار والحجارة ﴿لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ﴾: البشارة خبر سار يظهر أثر السرور في البشرة[3] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: عملاً بلا رياء، أو كل ما حسنه الشرع ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: بأن لهم ﴿جَنَّاتٍ﴾: دار الثواب وهي سبعة[4] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾: تحت أشجارها وغرفها ﴿الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ مبتدأ من الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾: بيان تقدم كرأيت منك أسدًا[5] ﴿رِّزْقًا﴾: مرزوقًا ﴿قَالُوا هَذَا﴾: مثل ﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: في

(١) فيه رد على القاضي حيث قال إنه إبطال المقصود إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وإن ضعفت/١٢ .

(٢) كابن عباس وابن مسعود وعلي بن الحسين وجعفر وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) قيل الصحيح أن كل خبر يغير البشرة من خير أو شر بشارة لكن أكثر استعماله في الخير وقد صرح بذلك سيبويه هذا في المنهية ورجح صاحب الوجيز هذا القول/١٢ .

(٤) جنة الفردوس وعدن ونعيم ودار الخلد ودار السلام وجنة المأوى وعليون / ١٢ منه .

(٥) كأنه انتزع منه الأسد لكماله في الشجاعة / ١٢ [ويسمى فى البلاغة بالتجريد] .

الدنيا أو في الجنة ، ﴿**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**﴾: في الهيئة واللون دون المقدار والطعم فأين طعم فواكه الجنة من الدنيا؟! أو يشبه بعضها بعضًا من جميع الوجوه إذ طعم فواكه الجنة متقاربة عطف على قالوا مقررة للجملة ، ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾: نساء وجوار مطهرة مما يستقذر ويذم منهن كالحيض ودنس الطبع ، ﴿**وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[1] ﴾: ليس لهم خوف فوات نعمة.

ولما قالت الجهلة: الله أجل من أن يضرب الأمثال بالصيب والمستوقد وبيت العنكبوت والذباب فنزلت[2] ، ﴿**إِنَّ**[3] **اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي**﴾: لا يستنكف[4] من ﴿**أَن يَضْرِبَ مَثَلًا**﴾: أن يبين شبهًا ﴿**مَّا**﴾ أي : أيَّ مثل ﴿**بَعُوضَةً**﴾: صغار البق عطف بيان لمثلاً ﴿**فَمَا فَوْقَهَا**﴾ في الصغر والحقارة كجناحها[5] أو في الكبر كالذباب ،

---

(١) الخلود المكث الطويل المتناهي أو غير المتناهي وإطلاقه على المتناهي بطريق الحقيقة أو المجاز قولان / ١٢ منه .

(٢) وبين أن لا دخل لحقارة المثل في الممثل وذلك من ديدن الأدباء من العرب العرباء/١٢ وجيز .

(٣) ثم إنه تعالى لما دفع عنهم بالدليل ريبهم المبهم في القرآن وأردف كما هو عادة كلام الله حال المتقين بحال الشاك أخذ يفحمهم بأن لا مطعن في لبعض [كذا بالأصل] آياته الذي هو الأمثال هو ريبهم لمعين فقال : " إن الله لا يستحيي " الآية /١٢ م.

(٤) لا يترك المثل ترك من لا يستحي [كذا بالأصل.] أن يمثل بأمثال البعوضة لحقارتها فإن الحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وفي الحديث (إن الله حيي كريم) الحديث/ ١٢ منه . [صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، وانظر صحيح الجامع (١٧٥٧)].

(٥) كما تقول: فلان شحيح جاهل فيقول السامع: نعم وفوق ذلك قال الإمام الرازي: هو قول أكثر المحققين/ ١٢ منه .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثل **﴿الْحَقُّ﴾**: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره **﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾**: أي شيء **﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾**: نصب على التمييز أو الحال ، **﴿يُضِلُّ بِهِ﴾**: بالمثل **﴿كَثِيرًا﴾**: من الكفار ، أي : إضلال كثير وضع الفعل موضع المصدر جواب[1] ماذا ، **﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾**: من المؤمنين ، **﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾**: الخارجين عن حد الإيمان ، **﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾**: يفسدون ويتركون **﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾**: هو قوله: "ألست بربكم" (الأعراف:١٧٢)، أو عدم كتمان شيء نزل من عند الله في الكتب **﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾**: توكيد العهد من الآيات في الكتب **﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾**: أى: كقطع الأرحام والقرابات أو أعم كالإعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الآيات في التصديق وهو بدل من ضمير به ، **﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾**: بأنواع المعاصى ، **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**: باشتراء الفساد والعقاب بالصلاح والثواب ، **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾**: معناه التعجب أي : أخبروني على أي حال تكفرون ، **﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾**: ترابًا أونطفًا في أصلاب الآباء ، **﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾**: بخلق الحياة فيكم أو في الأرحام، ومعنى الفاء في الثاني أظهر ، **﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾**: في الدنيا ، **﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾**: عند نفخ الصور ، **﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**: بعد الحشر لجزاء العمل.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾: لاجل انتفاعكم **﴿مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾** لكى تنتفعوا به وتعتبروا، جميعًا حال من ما ، **﴿ثُمَّ اسْتَوَى[2] إِلَى السَّمَاءِ﴾** ، قصد وارتفع إليه

---

(١) أي أراد الله بهذا إضلال كثير وهداية كثير / ١٢ منه .

(٢) قال أبو العالية الرياحي: استوى إلى السماء أي : ارتفع، نقله البخاري عنه في صحيحه ورواه محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن ربيع بن أنس، وقال البغوي: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن : ارتفع إلى السمـــاء وقال الخليل بن أحمد في ثم استـــوى إلى =

فخلق السماء بعد خلق الأرض لكن دحوها متأخر هكذا ذكره ابن عباس وفيه إشكال سنذكره في سورة (والنازعات) والأولى أن ثم للتراخي الرتبي لا الزماني على أن فيه أيضًا ما ستقف عليه ، ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: الضمير للسماء لأنه في معنى الجمع عدلهن مصونة عن العوج والفتور ، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ[1]﴾: بدل أو تفسير ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن بالعلم يصح الخلق ويحكم الفعل.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ

= السماء: ارتفع رواه أبو عمر ابن عبد البر في شرح الموطإ له كل هذا نقله الذهبي في كتاب العلو له / ١٢.

(١) قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن ما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وأنها سبع سموات وأن الأرض سبع أرضين و لم يأت في التتريل ولا في السنة المطهرة تصريح بأن فيهن من يعقل من العوالم والأوادم وأنبيائهم والآثار عن الصحابة ومن بعدهم إن جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بما لم يصح سنده أو صح ولكن لم يتابع عليه أو تُوبع ولكن لم يساعده نص من الله ورسوله / ١٢ فتح .

ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا
كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ
حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾
قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾: أي : واذكر إذ ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: مطلق الملائكة أو ملائكة[1] الأرضين وهو تعداد نعمة ثالثة عامة[2] ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: يعني آدم هو خليفة الله في أرضه ينفذ قضاء الله وأحكامه أو المراد من الخليفة البدل ، أي : من الجن والملائكة فإنهما كانا سكان الأرض حينئذ أو المراد قوم يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن كقوله تعالى: "وهو الذى جعلكم خلائف الأرض" (الأنعام:١٦٥)، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما فعله[3] الجن قبلهم وهو تعجب واستكشاف[4] عما خفي عليهم من الحكمة ، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾: نبعدك[1] عن

---

(١) هذا مذهب ابن عباس وبعض آخر / ١٢ منه .

(٢) فإن الأولى بينت بقوله : " كنتم أمواتًا " ، والثانية بقوله : " خلق لكم ما في الأرض جميعًا "/١٢ منه .

(٣) قاسوا حال الإنس على حال الجن، وعن كثير من السلف أنه تعالى قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة له ذرية يفسدون ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً/١٢ وجيز .

(٤) لا اعتراض على الله / ١٢ .

السوء ، ﴿بِحَمْدِكَ﴾: متلبسين به ، ﴿وَنُقَدِّسُ﴾: نطهر نفوسنا عن المعاصي ، ﴿لَكَ﴾: لأجلك أو نقدسك عما أضاف إليك الكفرة فاللام زائدة ، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة أو بأن أجعل فيهم الأنبياء والصديقين والشهداء أو أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس ، ﴿وَعَلَّمَ[٢] آدمَ الأَسْمَاءَ﴾: خلق في قلبه علمًا ﴿كُلَّهَا[٣]﴾: اسم كل شيء حتى القصعة[٤] والقصيعة[٥] ، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: الضمير للمسميات إذ التقدير أسماء المسميات والتذكير لتغليب العقلاء ﴿عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي﴾: أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ تبكيت وتنبيه لهم على قصورهم ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[٦]﴾ أنكم أحقاء بالخلافة أو لن يخلق الله تعالى خلقًا أعلم منكم فإن الملائكة قالوا ذلك بينهم ، ﴿قَالُوا﴾ إقرارًا بالعجز ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ، صدروا الكلام به استعذاراً عن الجرأة في الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ، ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ﴾: الذي لا يخفي عليه خافية ﴿الحَكِيمُ[٧]﴾:

---

(١) قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين وعليها يرزقون / ١٢ معالم .

(٢) قال في الكشاف: وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل واشتقاقه من الأدمة وغيرها تعسف / ١٢ فتح .

(٣) قال في المظهري: وعندي أن الله علم آدم الأسماء الإلهية كلها، ثم رجح هذا بكلام طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف ولم يقل به أحد من المفسرين ويأباه ظاهر النظم وسياقه / ١٢ فتح .

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة / ١٢ معالم .

(٥) حتى مصغر الأشياء / ١٢ منه .

(٦) فإنكم إذا كنتم لا تعلمون أسماء ما عرضت عليكم وأنتم تشاهدونه فمن أين لكم علم بأنكم أحقاء بخلافتي؟ كذا قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .

(٧) وفي الآية من الدلالة على شرف العلم وجلالة محله وإفاقته على سائر الكمالات وإن لم يكن علمًا متعلقًا بذات الله وصفاته كما لا يخفى / ١٢ وجيز .

القاضي العدل، أو المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة ، ﴿قَالَ﴾: لما ظهر عجزهم ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم﴾: أعلمهم ، ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، قال: أنت جبريل، أنت ميكائيل حتى وصل الغراب ، ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وظهر فضل آدم عليه السلام عليهم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾: استفهام توبيخ فإن الأدب التوقف لأن يبين ، ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[1]﴾: ما غاب فيهما عن الخلق ، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أي: أعلم ما تظهرونه بألسنتكم وما تخفونه في أنفسكم، فلا يخفى عليَّ شيء من قولكم علانية أتجعل فيها من يفسد فيها وسرًا لن يخلق الله خلقًا أكرم[2] عليه منا وما أسر إبليس من الكبر في نفسه ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ عطف على "وإذ قال" ﴿لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: السجود حقيقي طاعة لله وتعظيمًا لآدم وهو مشروع قبل انحناء[3] لا وضع جبهة أو السجود لله وآدم قبلة وقد ضعفهما[4] بعض العلماء ، ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه من نوع من الملائكة المسمين بالجن وصح عن الحسن رضي الله عنه أنه ليس[5] منهم ، ﴿أَبَى﴾: امتنع ، ﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ ، في سابق علم الله أو صار[6] ، ﴿مِنَ

---

(١) وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والأرض رد لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان وأهل الرمل والسحر والشعوذة/١٢ .

(٢) كذا فسره السلف / ١٢ وجيز .

(٣) ويرده قوله تعالى : " فقعوا له ساجدين " / ١٢ منه .

(٤) الإمام الرازي وأطال في تزييفهما / ١٢ منه .

(٥) وما في سورة الكهف من قوله تعالى : " كان من الجن ففسق عن أمر ربه " يؤيد ذلك/١٢ وجيز .

(٦) صار كافرًا لأنه استكبر واعترض على الله وأيضًا أمره الله بالسجود لا في ضمن العموم فامتنع وأبي وذلك كفر / ١٢ منه .

الكَافِرِينَ ﴾ ، أو كان كافرًا من الجن فأسلم وعمل عمل الملك ثم كفر ، ﴿**وَقُلْنَا**﴾ ، بعد سجود الملائكة ، ﴿**يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ**﴾ ، دار الخلد وقيل بستانًا في الأرض ، ﴿**وَكُلاَ مِنْهَا**﴾ ، أكلا ، ﴿**رَغَدًا**﴾ ، واسعًا ، ﴿**حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ ، أي : مكان من الجنة ، ﴿**وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**﴾ ، بالأكل والأصح أنها شجرة معينة لا تتعين(١) عندنا ، ﴿**فَتَكُونَا**﴾ ، عطف على "تقربا" أو جواب النهي ﴿**مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾: الذين وضعوا أمر الله تعالى غير موضعه ، ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**﴾: الضمير للشجرة ، أي : حملهما على الزلة بسببها أو للجنة أي فبعدهما عن الجنة ، ﴿**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾: من النعيم والكرامة ، ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**﴾: انزلوا على الأرض جمع الضمير لأنهما أصلا الإنس فكأنهما الجنس أو المراد هما والشيطان ﴿**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾: أى: متعادين والعداوة بين ذريتهما لقوله تعالى : " قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو " (طه:١٢٣)، أو بين المؤمنين والشيطان ، ﴿**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**﴾: موضع قرار ، ﴿**وَمَتَاعٌ**﴾: تمتع ﴿**إِلَى حِينٍ** ﴾: الموت وقيل القيامة ، ﴿**فَتَلَقَّى**﴾: تلقن ﴿**آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾: ومن قرأ برفع كلمات ونصب آدم فمعناه بلغته وهي : " ربنا ظلمنا أنفسنا " الآية (الأعراف:٢٣)، أو غيرها ﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾: رجع عليه بالرحمة ، ﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ**﴾: يقبل التوبة ويكثر إعانتهم عليها ﴿**الرَّحِيمُ** ﴾: المبالغ في الرحمة ، ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا**﴾ كرر للتأكيد وليترتب عليه قوله ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم**﴾: يا بني آدم ، ﴿**مِّنِّي هُدًى**﴾: أنبياء والبيان ، ﴿**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ**﴾: أقبل على الهدى وقبل ﴿**فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ حين يشتد الأمر على العصاة ، ﴿**وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا، والشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول ، ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**﴾ قسيم لمن تبع ، أي:

---

(١) وليس في السنة الصحيحة ما دل على تعيينها وعند كثير من السلف إنها الكرم وعند اليهود إنها الحنطة / ١٢ .

كفروا بالآيات المترلة جنانًا وكذبوا لسانًا، أو كفروا بالله وكذبوا بالآيات ﴿**أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[1]﴾.

﴿ يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّـٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**[2]﴾ أي : أولاد يعقوب هيجهم بذكر أبيهم ، أي : يا بني العبد المطيع لله ﴿**اذْكُرُوا**﴾: احفظوا ولا تنسوا، أواشكروا ، ﴿**نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ**

---

(١) قوله تعالى : " خالدون " ولما بين أن لا خوف ولا حزن على تابع الهدى وغضب الله دائم على الكافر المكذب نادى أهل الكتاب الباقين المعاندين وعد عليهم نعمه ووعدهم بالإيفاء وأوعدهم بالمخالفة وهم أولى الخلق باتباع الهدى / ١٢ وجيز .

(٢) واعلم أن كثيرًا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتتره عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب =

....

= سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تأخره وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن مازال يترل مفرقًا على حسب الحوادث المقتضية لتروله منذ نزل الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أن قبضه الله عز وجل إليه وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لترول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالاً وتحليل أمر كان حرامًا وإثبات أمر لشخص أو أشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحينًا في عبادة وحينًا في معاملة ووقتاً في ترغيب ووقتًا في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطورًا في أمر دنيا وتارة في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية وإذا كانت أسباب الترول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها باعتبار نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا الأمر لابد منه وأنه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفًا محضًا وتعسفًا بينًا انقدح في قلبه ما كان عليه في عافية وسلامة هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبًا على هذا الترتيب الكائن في المصحف فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنه لم يكن كذلك ومن شك في هذا -وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم- رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب الترول المطلعين على حوادث النبوة فإنه ينثلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلاً =

= عن المطولة فإنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق:١)، وبعده " يأيها المدثـــر " (المدثر:١)، " يأيها المزمل " (المزمل:١)، وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف وإذا كان الأمر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعًا أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزل الله متأخرًا وتأخر ما أنزل الله متقدمًا فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة وما أقل نفع مثل هذا و أنزر ثمرته وأحقر فائدته بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاداته وإلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحًا وأخرى هجاءً وحينًا تشبيهًا وحينًا رثاءً وغير ذلك من الأنواع المتخالفة فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلف تكلفًا آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزى والإنشاء الكائن في إلهنا وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصابًا في عقله متلاعبًا بأوقاته عابثًا بعمره الذي هو رأس ماله وإذا كان مثل هذا بهذه المترلة وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي فأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد يأتي بفنون مختلفة وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقامات فضلاً عن جميع ما قاله مادام حيًا وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعثر في ساحاتها =

﴿عَلَيْكُمْ﴾: فلق البحر وجعل الأنبياء فيهم وإنجاءهم من فرعون وغيرها ولا شك أن نعمة الآباء نعمة الأبناء ، **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾** في محمد عليه الصلاة والسلام أو في امتثل أمري، **﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾**: ارضى عنكم وأدخلكم الجنة، أو بالقبول والثواب ، **﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾** خصوصًا في نقض العهد ، **﴿وَءامِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾** ، أى: القرآن **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾** فإنكم تجدون محمدًا مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل ، **﴿وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾**: أول فوج يكفر بما أَنزَلْتُ من أهل الكتاب ، **﴿وَلاَ تَشْتَرُوا﴾**: لا تستبدلوا ، **﴿بِآيَاتِي﴾**: بالإيمان بها **﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾**: الدنيا بحذافيرها، أو ما يصيب العلماء من السفلة فإنهم عينوا كل سنة للعلماء شيئًا فخافوا إن أسلموا يفوت ذلك عنهم وتفوت الرياسة[1] أيضًا، فكتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، **﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾**: أي : فاخشون لا فوات الرياسة ، **﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾** ، أي : لا تخلطوه، فإن علماء اليهود يزيدون في آيات الله ما يشتهون ، **﴿وَتَكْتُمُوا الحَقَّ﴾** ، عطف على المنهي ، أو وأن تكتموا الحق فالواو للجمع، أي : لا تجمعوا[2] بينهما ، **﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** بأنكم تكتمون[3] وتلبسون ، **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾** أي: صلاة المسلمين ، **﴿وَءاتُوا الزَّكَاةَ﴾** ، أي : زكواتهم والمراد طاعة الله تعالى والإخلاص ، **﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾** أي : كونوا مع المؤمنين في أحسن

= كثير من المحققين وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف ناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف:

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ... وهات حديثًا ما حديث الرواحل

(١) كذا فسر به الحسن البصري وسعيد بن جبير / ١٢ منه .

(٢) أي : بين تلك الخصلتين القبيحتين / ١٢ .

(٣) والكتمان والإلباس في حال العلم بهما أقبح / ١٢ منه .

أعمالهم وهو الصلاة ، عبر عن الصلاة بالركوع لأن صلاة اليهود ليس فيها ركوع ، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾: بالإيمان ، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تتركوها من البر كالمنسيات، نزلت في أحبار اليهود ينصحون سرًا باتباع محمد عليه الصلاة والسلام ولا يتبعونه[1]، ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ﴾: تقرءون ، ﴿الكِتَابَ﴾: التوراة التي فيها الوعيد على العناد ومخالفة القول العمل ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾: قبح صنيعكم ، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾: لما أمروا بما هو شاق عليهم وهو ترك المال والرياسة عولجوا بالاستعانة على طلب الآخرة بحبس النفس عن المعاصي أو الصيام لما فيه من كسر الشهوات أو الصبر على أداء الفرائض والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي : الصلاة فإن الصبر داخل فيها ، قيل : تقديره إنه لكبير وإنها لكبيرة فحذف اختصارًا و لم يقل وإنهما إشارة إلى أن كلاً منهما لكبير ، أوالضمير للاستعانة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾: المؤمنين حقًّا الساكنين إلى الطاعة ، قال ابن جرير : الآية عامة لبني إسرائيل وغيرهم ، ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يتيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾: محشورون إليه ، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾: أمورهم راجعة إليه فيحكم بالعدل.

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ

---

(١) هذا قول ابن عباس وقال غيره: معناه أتأمرون الناس بقبول أحكام التوراة وتنسون أنفسكم فتتركون ما فيها من الإيمان بمحمد عليه السلام / ١٢ منه.

وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ
ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ
بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ
لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم
مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ ﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وهو كما مر جعل الأنبياء فيهم وخلاصهم من البلاء كرره تأكيدًا، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾: بما أعطيتم من الملك والكتب والرسل ﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾: عالمي زمانكم وتفضيل الآباء شرف الأبناء، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾: احذروا ما فيه من العقاب ﴿لاَّ تَجْزِي﴾: لا تقضي فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾: من الحقوق أو من الجزاء فنصبه على المصدر حينئذ والجملة صفة يومًا، ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾: في شأن الكفار رد عليهم حيث قالوا: آباؤنا الأنبياء

شفعاء لنا ، ﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ[١]﴾: فداء وقيل بدل، ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾: ولا لهم ناصر يمنعهم من العذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾: عطف على نعمتي وتفصيل لها ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، أتباعه ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يبغونكم، والجملة حال ، ﴿سُوءَ العَذَابِ﴾: أفظعه وأشده نصب على مفعول يسومونكم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: يقتلون بيان ليسومونكم[٢] ﴿أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياء للخدمة ﴿نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم﴾: صنيعهم ، ﴿بَلاءٌ﴾: محنة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾: أو[٣] الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى النعمة وهو قول كثير من السلف[٤].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾: فصلنا بين بعضه وبعض ﴿بِكُمُ البَحْرَ﴾: كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما أو بسببكم أوملتبسًا بكم ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ اقتصر على ذكر الآل للعلم بأن فرعون أولى بالغرق ، ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾: غرقهم. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾: واعدنا بمعنى وعدنا ، أو الله وعد الوحي وموسى المجيء إلى الطور ﴿مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ، يعني انظر إلى نعمتي عليهم ثم إلى كفرانهم ثم إلى عفوي عنهم ، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ﴾ ، إلهًا ، ﴿مِن بَعْدِهِ﴾: بعد مضي موسى ، ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، بشرككم ، ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾: محونا ذنوبكم ، ﴿عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، أي : الاتخاذ ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: لكي تشكروا عفوي ، ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ ، أي : الجامع بين كونه كتابًا وفرقانًا بين الحق والباطل وقيل الفرقان

---

(١) أصل العدل التسوية سمي به الفدية لأنها سويت بالمفدى / ١٢ منه .

(٢) أي: الجملة بيان للجملة، ولذلك ترك العاطف / ١٢ منه .

(٣) عطف على قوله صنيعهم بحسب المعنى / ١٢ منه .

(٤) كابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم / ١٢ منه .

انفراق البحر ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا بالكتاب ، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: العابدين للعجل ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ﴾: معبودًا ، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾: خالقكم ، قالوا كيف نتوب ؟ قال : ﴿فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: كل منكم من لقي فأصابتهم سحابة سوداء لا ينظر بعضهم بعضًا ففعلوا فغفر الله للقاتل والمقتول والقتلى سبعون ألفًا أو ليقتل البريء المجرم ، ﴿ذَلِكُمْ﴾ ، أي : القتل ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ ، من حيث إنه وصلة إلى الحياة الأبدية ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : ففعلتم فتاب عليكم ، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: الذي يكثر قبول التوبة ، ﴿الرَّحِيمُ﴾: المبالغ في الرحمة ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ﴾: لن نقر ، ﴿لَكَ﴾ ، أي : اذكروا نعمتي بعد الصعق ، إذ سألتم ما لا يستطاع لكم ، فإن موسى اختار سبعين رجلاً ليعتذورا إلى الله من الشرك ، فلما سمعوا كلام الله قالوا ذلك ، ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عيانًا ونصبه على المصدر أو الحال ، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: صيحة من السماء أو نار ، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: ما أصابكم فلما هلكوا بكى وتضرع موسى قائلاً: ماذا أقول لبني إسرائيل إذ أهلكت خيارهم؟ فتضرع وتناشد حتى أحياهم الله تعالى وهذا قوله ، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم﴾: أحييناكم ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: بسبب الصاعقة ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمة البعث وكلام بعض السلف أن طلب الرؤية حين خرجوا لأجل التوبة من عبادة العجل، وكان قبل الأمر بالقتل وكلام بعض أخران هذا بعد القتل والله أعلم ، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ[1]﴾: السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه ، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ﴾: الترنجبين أو عسلاً ألذ من عسلنا أو خبز الرقاق ،

---

(١) صرح كثير من السلف أنه ليس من جنس غمامنا، بل نوع آخر ألطف وأبرد وأنور/١٢ منه .

﴿وَالسَّلْوَى﴾: طير هو السماني أو يشبه السماني ، ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ ، أي: قلنا لهم كلوا من حلالات ، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ، يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فحذف اختصارًا ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالكفران ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ أمروا به بعد التيه ، ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ ، بيت المقدس أو أريحا ، قيل هم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى ، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعًا منصوب على المصدر ، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: القرية ، ﴿سُجَّدًا﴾: منحنين كالركع تواضعًا أو ساجدين لله شكرًا ، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ، أي: مسألتنا حطة ، أي: حط عنا خطايانا ، أُمروا بالاستغفار كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أي: مغفرة استغفروا ، وقيل أقروا بالذنب ، قال عكرمة: قولوا لا إله إلا الله ، ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾: بسجودكم ودعائكم وهو جواب الأمر ، ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثوابًا وإحسانًا ، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا حبة في شعرة ، أو حنطة ، وحاصله أنهم أمروا أن يدخلوا سجدًا فدخلوا يزحفون على أستاههم رافعي رءوسهم ، وأمروا أن يستغفروا فاستهزءوا وهذا غاية العناد والمخالفة، ولهذا قال الله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: عذابًا[1] أو طاعونًا أو بردًا ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى .

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ

---

(١) فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفًا / ١٢ معالم .

وَٰحِدٍ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ ، أي : اذكروا[١] نعمتي في إجابتي دعاء نبيكم في شأنكم لما عطشتم في التيه ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾: حجر خفيف مربع[٢] قيل إذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء ، وعند بعض أنه لم يكن حجرًا معينًا ، بل يضرب أي حجر كان فينشق ، ﴿فَانفَجَرَتْ﴾، تقديره فضرب فانشقت ، ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كل سبط ، ﴿مَّشْرَبَهُمْ[٣]﴾: عينهم التي يشربون منها خاصة بهم ، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ، أي : قلنا لهم ذلك ، ﴿مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ ، أي: ما رزقكم الله من المن والسلوى وماء العين ، ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾: لا تعتدوا ، ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: حال إفسادكم[٤] ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ﴾ ، أي : اذكروا نعمتي في إنزال المن والسلوى طعامًا طيبًا نافعًا ثم اذكروا سؤالكم استبدال الأطعمة الدنية بذلك ، ﴿عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ ، كانوا يأكلون المن بالسلوى

---

(١) ذكرهم نعمة إجابة دعوة نبيهم في شأنهم حين عطشوا في التيه مع أنهم مذنبون والسقي والتظليل في التيه ودخول القرية بعده و لم يراع الترتيب في ذكرها قصدًا إلى بيان تكثير النعم / ١٢ وجيز .

(٢) نقله البغوي عن ابن عباس / ١٢ .

(٣) وضمير الجمع لمعنى كل أناس / ١٢ وجيز .

(٤) أي : أنتم مفسدون لكن لا تزيدوا فيه /١٢ وجيز .

فيكون واحدًا أو أرادوا بالوحدة أنها لا تتبدل كما يقال طعام فلان واحد ، أي لا يتغير ألوانه ، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: سله بدعائك لنا إياه ، ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾: يظهر لنا مجزوم بجواب فادع ، ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾: من الخضروات ما لا ساق لها تفسير لما تنبت وقع موقع الحال ، ﴿وَقِثَّائِهَا﴾ ، هو معروف ، ﴿وَفُومِهَا﴾ ، هو الحنطة أو الثوم والعرب[1] تقلب الفاء ثاء والثاء فاء، أو الخبز أو اسم لكل حب يؤكل، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾: موسى ، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾: أخس، ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: المن والسلوى لنفعهما أو طعمهما وعدم الحاجة إلى السعي ، ﴿اهْبِطُوا[2] مِصْرًا﴾: مصرًا من الأمصار ، أي : هذه الأشياء كثيرة في الأمصار لا حاجة إلى الدعاء أو مصر فرعون وجاز صرفه لسكون وسطه ، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾: فيها ، ﴿مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ[3]﴾: كضرب القبة ، ﴿الذِّلَّةُ﴾: الجزية فيكون المراد يهود وقعوا في عصر نبينا عليه الصلاة والسلام أو الهوان ، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفاقة أو فقر القلب و لم يزل عليهم أثر البؤس وإن كانوا ذوى مال ، ﴿وَبَاءُوا﴾ ، أي: صاروا

---

(١) نحو مغاثر ومغافر وأثاثي وأثافي وعاثور وعافور والتفسير الأول لابن عباس وأبي مالك والحسن وغيرهم، والثاني لمجاهد وسعيد بن جبير وفي قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء والثالث لعطاء وسفيان الثوري، والرابع في البخاري قال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم / ١٢ منه .

(٢) قوله "اهبطوا مصرًا" ، إن كان الآمر موسى فكان رخصة من الله لهم في نزولهم إلى البلدة وخلاصهم من التيه وإن كان الآمر هو الله تعالى فتقديره قلنا اهبطوا جملة مستأنفة يعني دعا موسى فأجبناه / ١٢ وجيز .

(٣) وعند ابن عباس وكثير من السلف أن ضمير عليهم في "ضربت عليهم الذلة" لمطلق اليهود ولذلك فسروا الذلة بضرب الجزية، وفسروا آيات الله بإنكار الإنجيل والقرآن والآية التي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز .

أحقاء، ﴿بِغَضَبٍ[1] مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾، أي: ما سبق من ضرب الذلة والبوء بالغضب، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الكتب المنزلة كالإنجيل والقرآن

---

(١) قوله "بغضب" الغضب صفة الله تعالى بلا كيف، وأما قول النافين لصفاته: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فليس بصحيح في حقنا بل الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك انتقام أصلاً وأيضًا فغليان دم القلب يقارنه الغضب ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارن حمرة الوجه والوجل يقارن صفرة الوجه لا أنه هو هذا؛ لأن النفس إذا قام بها دفع المؤذى فإن استشعرت القدرة فاض الدم إلى خارج فكان منه الغضب وإن استشعرت العجز غار الدم إلى داخل فاصفر الوجه كما يصيب الحزين وأيضًا فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا لم يلزم أن يكون غضب الله مثل غضبنا كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لا لأبداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته ونحن نعلم بالاضطرار أنا إذا قدرنا موجودين أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد والآخر لا فرق عنده بين الصلاح والفساد كان الذي عنده تلك القوة أكمل ولهذا يذم من لا غيرة له على الفواحش كالديوث ويذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين ويمدح الذي له غيرة يدفع بها الفواحش وحمية يدفع بها الظلم ويعلم أن هذا أكمل من ذلك ولهذا وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الرب بالأكملية في ذلك فقال في الحديث الصحيح : (لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [أخرجه البخاري في "النكاح"، (٥٢٢٠)، وفي غير موضع من صحيحه] ،وقال : (تعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني) [أخرجه البخاري في "التوحيد"، (٧٤١٦)، وفي موضع آخر، ومسلم في "اللعان"، (٣/٧٢٤)، ط الشعب]، وقول القائل : إن هذه انفعالات نفسانية فيقال : كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلة، فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزًا عن دفعها فإن كل ما يجرى في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون له الملك وله الحمد انتهى ما قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني/١٢ .

وآية الرجم والتي فيها نعت محمد -صلى الله عليه وسلم- في التوراة ، ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ**﴾: شعيبًا وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ، ﴿**بِغَيْرِ الحَقِّ**﴾ ، عندهم فإنهم غير معتقدين جواز قتلهم ، ﴿**ذَلِكَ**﴾: الكفر والقتل ، ﴿**بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ ، أي : جرهم العصيان والتمادي في تجاوز أمر الله تعالى إلى ذلك فإن صغار الذنوب تؤدى إلى الكبار، وقيل تكرير للفظ "ذلك" الأول إشارة إلى أن الهوان والمسكنة كما أن سببهما الكفر والقتل سببهما المعاصى واعتداء حدود الله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
٦٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٤ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ
فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٦٦ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا
وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ

وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿إِنَّ[1] الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، أي: قبل البعث مثل "حبيب النجار" و"بحيرا الراهب" وغيرهما أو المؤمنين من الأمم الماضية أو المؤمنين من هذه الأمة أو المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: دخلوا في دين اليهودية ، ﴿وَالنَّصَارَى﴾: أهل دين عيسى ، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: الخارجين من دين إلى دين قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، أو فرقة من أهل الكتاب أو عباد الملائكة أو قوم يوحدون الله ولا يتبعون نبيًّا ، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ، أي: من آمن إيمانًا معتدًّا به فدخل فيه من استقر على دينه قبل النسخ كاليهود قبل بعثة عيسى والنصارى قبل بعثة نبينا عليهما الصلاة والسلام، أو معناه المنافقون واليهود والنصارى والصابئون من آمن بدين محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: بوعده ، ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة حين الفزع الأكبر ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على تفويت الثواب، ومن مبتدأ و"فلهم أجرهم" خبره والجملة خبر إن ، أو بدل بعض من اسم إن وخبرها ، فلهم أجرهم ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: باتباع أحكام التوراة ذكرهم ما أخذ عليهم من العهود ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ ، لما نزل التوراة أبوا قبولها لما فيها من التكاليف فأمر جبريل بقلع جبل الطور فظلله فوقهم حتى[2] قبلوا ،

---

(١) وذكر هذه الآية بعد ذكر الذلة والبوء عليهم لبيان امتنان النعمة عليهم فإنها في أثناء تعديد النعم كأنه قال انظروا إلى ما ارتكبوا من كبائر الذنوب التي استوجبت عليهم العقوبات المؤبدات ومع هذا إن آمنوا وندموا ورجعوا وتابوا فلهم في الدنيا والآخرة ما للمؤمنين الذين لم يعملوا سوءًا قط وما ذلك إلا على العنايات / ١٢ .

(٢) قبول اختيار غير إكراه أو كان يكفي في دينهم مثل هذا الإيمان هذا ما في الوجيز، وفي الفتح: كل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه فنحن =

﴿خُذُوا﴾ أي : قلنا لهم خذوا ، ﴿مَا آتَيْنَاكُم﴾: من الكتاب واعملوا به ، ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد وطاعة ، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيه﴾: اقرءوا ولا تنسوه ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: لكي تتقوا عن المعاصي ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أعرضتم عن الوفاء بعد أخذ الميثاق ، ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوبته عليكم أو بتأخير العذاب ، ﴿لَكُنتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ ﴾: المغبونين الهالكين ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ ، حال ، ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾: جاوزوا عن الحد ، ﴿مِنكُمْ فِي السَّبْتِ[١]﴾ ، أمرناهم بالعبادة وترك صيد البحر فيه فخالفوا ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ، أي : نودوا يأهل القرية كونوا قردة أو معناه بتكويننا إياهم، وليس ثم قول والمسخ صورى ومعنوى والخسء الصغار والطرد ، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: المسخة أو القردة أو القرية ، ﴿نَكَالاً﴾: عبرة ، ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لمعاصريهم أو لما بحضرها من القرى أو لأهل[٢] تلك القرية أو لأجل ما تقدم

= نقول أكرههم الله على الإيمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه قال القفال: إنه ليس إجبارًا على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراهًا وهو جائز وأما قوله تعالى: "لا إكراه" (البقرة:٢٥٦) كان قبل الأمر بالقتال/١٢ .

(١) ذكر أن الله أمر موسى بصوم الجمعة كما أمر سائر الأنبياء به فذكر ذلك لقومه وأمرهم بالتشرع به فتعدوا إلى يوم السبت فأوحى إليه أن دعهم وما اختاروا فأمرهم بترك العمل للعبادة فيه وحرم عليهم صيد البحر فكانت تأتى الحيتان يوم السبت لا غير وتخرج خراطيمها من الماء فائتمروا بأمر الله زمانًا ثم احتال أحد منهم بحيلة تبقي الحيتان في سيف البحر يوم السبت ويأتي يوم الأحد ويأخذها فتعلم القوم منه فهذا اعتداؤهم / ١٢ وجيز .

(٢) فإن بعضهم لم يمسخوا وبقوا على الإنسانية كما سيجيء في الأعراف / ١٢ منه .

من ذنوبهم وهو قول كثير من السلف ، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ، من بعدهم أو ما تباعد عنها أو ما حواليها أو لما تأخر من الذنوب[١] ، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: وزجرًا ، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ[٢]﴾: الذين من بعدهم إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ ، أي : اذكروا نعمتي في خرق العادة لكم ، ﴿لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً[٣]﴾ ، وذلك أنه وجد قتيل فيهم وكانوا يطالبون بدمه فأمرهم الله بذبح بقرة وأن يضربوه ببعضها ليحيى ويخبر بقاتله ، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ ، أي : مهزوءًا بنا أونفس الهزؤ للمبالغة ، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، فإن الهزؤ في مثل ذلك جهل ، بل يوهم أن يكون كفرًا لأنه أخبر من الله ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: ما صفتها شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ﴾: لا هرمة كبيرة ، ﴿وَلاَ بِكْرٌ﴾ ، لا صغيرة لم يلحقها الفحل ، ﴿عَوَانٌ﴾: وسط ، ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: المذكور من الفلوض والبكر ، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ ، أي : تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ ، الفقوع خالص الصفرة وأشد ما يكون منها أو صافية اللون تكاد تبيض وفي إسناده إلى اللون وهو صفة صفراء فضل تأكيد كأنه قال صفراء شديد الصفرة صفرتها ، ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾: تعجبهم ، ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: أسائمة أم عاملة ،

---

(١) كل من هذه الأوجه مقابل لكل من الوجوه المذكورة في قوله "لما بين يديها" على الترتيب فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من عذاب الله وانتقامه وقوله "ولقد علمتم الذين اعتدوا" إلخ مذكر لهم حال جمع مذنبين غضب الله عليهم ليتحقق لهم الإنعام والعناية لأنهم استحقوا أيضًا / ١٢ .

(٣) البقرة الأنثى وقد تقع على الذكر / ١٢ منه .

﴿إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾: لكثرة البقر الموصوف بالوصف المذكور ، ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾: إلى وصفها أو إليها إذا بينتها لنا ، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ﴾: غير مذللة للعمل صفة بقرة ، ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة صفة ذلول ، ﴿وَلاَ تَسْقِي الحَرْثَ﴾ ، لا مزيدة[1] للتأكيد ، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ ، عن العيب أو أخلص لونها قيل سلمها أهلها من العمل ،﴿لاَّ شِيَةَ فِيهَا﴾ ، لونها واحد لا سواد فيها ولا بياض ، ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ، بحقيقة وصف البقرة لنا ، ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ، أي : حصلوها فذبحوها ، ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، لتطويلهم وكثرة مراجعتهم كذا حاصل كلام ابن عباس رضي الله عنهما أو لغلائها فإنهما اشتروها بثمن كثير وصح عن عكرمة: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

---

(١) قال أبو حيان : إذا كان الوصف منفياً بـ"لا" لزم تكرار "لا" نحو "لا بارد و لا كريم" (الواقعة: ٤٤)، ولا يجوز بغير تكرار إلا في ضرورة الشعر فما قيل إن لا مزيدة للتأكيد ليس بشيء/١٢ منه .

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ[1] نَفْسًا﴾ ، هذا أول القصة وإنما قدم البعض لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك مسارعة الامتثال ، ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾: اختلفتم واختصمتم ، ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾: مظهر لا محالة أمر القاتل ، وإعمال مخرج لأنه حكاية مستقبل ، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ ، أي : القتيل عطف على فادارأتم ، ﴿بِبَعْضِهَا﴾ ، أي البقرة[2] وفيه خلاف أنه كان

---

(١) قال أبو حيان صاحب البحر: الظاهر أن ترتيب وجودهما ونزولهما على حسب تلاوتهما فالله أمرهم أولا بذبح البقرة وهم لا يعلمون سره، ثم وقع القتيل بعده فأظهر لهم ما كان أخفاه عنهم من الحكمة بقوله: "فاضربوه ببعضها" ولا شيء يضطرنا إلى اعتقاد تقدم وتأخر والقصص المذكورة في بعض التواريخ لا اعتداد بها / ١٢ منه وجيز .

(٢) عن الحسن وفي رواية عن ابن عباس أيضًا أنهم طلبوا البقرة أربعين سنة فوجدوها عند رجل وجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملأ مسكها دنانير فذبحوها وضربوه ببعض منها فقام وقال قتلني فلان فمات بلا مهلة /١٢ منه .

بعضًا معينًا أو لا وإن كان معينًا فأي عضو منها ، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ ، يدل على محذوف هو فضربوه فحيى ، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: دلائل كمال قدرته ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: لكي تعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس ، ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: غلظت حتى لم تعتبر بالآيات ، ﴿قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: جميع الآيات التي تقدم ذكرها أو إحياء القتيل وثم للاستبعاد ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾: في صلابتها ، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: منها كالحديد وأو للتخيير أي : من عرف حالها صدر عنه التشبيه بالحجارة ، أو القول بأنها أشد أو شبهها بهذا أو ذاك أو بمعنى بل أو قلب بعضهم كالحجارة وبعضهم أشد يعني قلوبهم لا تخرج من أحد المثلين عطف على كالحجارة من غير حذف أي : قلوبهم أشد قسوة من الحجارة أو على حذف مضاف هومثل أى مثل شيء أشد ، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾ ، تعليل للأشدية ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ ، أي: ولم يكن جاريًا ، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: من رأس الجبل ، ﴿مِنْ خَشْيَةِ[1] اللَّهِ[*]﴾، وهل لمسلم أن ينكر

---

(١) فإن قيل : الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ قيل : الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى علمًا في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله فلها صلاة وتسبيح وخشية، قال جل ذكره : " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " (الإسراء:٤٤)، وقال : " والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه " (النور:٤١)، وقال : " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر" الآية (الحج:١٨)، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، روى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك، فقال له جبل حراء إلي يا رسول الله، وحديث (إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث) [أخرجه مسلم في "الفضائل"، (٥/١٣٤)، ط الشعب]، وحديث طلع له أحد فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه" [أخرجه البخاري في "المغازي"، (٤٠٨٣)، وفي مواضع=

قدرة الله تعالى في خلق الخشية والتسبيح في الجمادات؟ نعم لمن يتبع الفلسفة أن يتحمل التمحل في أمثال ذلك والله تعالي بمحض فضله قد عصمنا منه ، قال بعض السلف الأول(*) كثرة البكاء والثاني(**) قلته والثالث بكاء القلب من غير دمع ، ﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ ، وعيد على ذلك ، ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ**﴾ ، أيها المؤمنون ،

= أخر من صحيحه]، وقصة تكلم البقرة [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة" (٣٦٦٣)، وفي غير موضع من صحيحه]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمة، وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم للصخرة حين تحركت اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد [أخرجه البخاري في "فضائل الصحابة"، (٣٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه]، وحديث لم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله [أخرجه الترمذي (٣٦٣٠)، وسنده ضعيف مجهول]، وحنين جزع النخلة كحنين الناقة [أخرجه البخاري في "المناقب" (٣٥٨٥)]، شواهد على ذلك ويشهد لما قلنا قوله تعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " (الحشر:٢١)، قال مجاهد: لا تنزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله / ١٢ معالم ملخصًا .

وليس من شأن المؤمن أن ينكر قدرة الله في خلق مثل هذه الخشية والتسبيح في الجمادات فلا يحتاج إلى تأويل وعدول عن الظاهر، قال بعض السلف الأول كثرة البكاء، والثاني قلته والثالث بكاء القلب وانزعاج البدن /١٢ وجيز .

الظاهر من كلام المفسرين وبه صرح بعض السلف أن تعلق من خشية الله بالأفعال السابق لا بالهبوط وحده / ١٢

[ثبت في أحد روايات الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى الغار وهي عند الطبراني بسند حسن كما في الفتح (٥٨٥/٦)].

(*) أي: التفجر.

(**) أي: الانشقاق.

﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ[1]﴾ ، تحدث اليهود الإيمان لأجل دعوتكم ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم ، ﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ﴾ ، هم السبعون[2] الذين اختارهم موسى عليه السلام وبعد ما رجعوا حرفوا كلام الله تعالى، أو المراد علماؤهم يحرفون التوراة ، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: يغيرونه ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ[3]﴾ أنهم مفترون وإذا كان هذا حال علمائهم فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم ، ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ ، أي[4] : منافقو اليهود ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: بأنكم على الحق ورسولكم مبشر في التوراة ، ﴿وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ ، عاتب من لم ينافق على من نافق بقوله ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: في التوراة من صفة النبي عليه الصلاة والسلام ، ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ[5] عِندَ رَبِّكُمْ﴾: لتكون الحجة للمؤمنين عليكم في الدنيا والآخرة فيقولوا: كفرتم بما علمتم صدقه ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ، أي : أليس لكم عقل وهو من كلام رؤسائهم أو كلام الله تعالى ، أي : لا تعقلون حالهم وأن لا مطمع في إيمانهم ، قال مجاهد: قال النبي عليه السلام ليهود قريظة : يا إخوان القردة والخنازير ، فقالوا من أخبر بهذا محمدًا ما خرج

---

(١) قال القفال: يحتمل أن يكون المعنى كيف يؤمن هؤلاء وهم إنما يأخذون دينهم ويتعلمون من قوم يحرفون عنادًا ويعلمونهم ما حرفوه وغيروه عن وجهه والمقلدون يقبلون ذلك منهم فلا يلتفتون إلى الحق / ١٢ منه .

(٢) هذا قول ابن عباس وابن إسحاق / ١٢ منه .

(٣) أي : يعلمون ما في التحريف من العقاب / ١٢ منه .

(٤) قيل جاز أن يكون وإذا لقوا جملة حالية معطوفة على "وقد كان فريق منهم" ، أي : كيف تطمعون في إيمانهم وقد وقع من أسلافهم كيت وكيت وهم في أنفسهم منافقون/١٢ منه .

(٥) قيل معناه ليحتجوا عليكم بما أنزل الله في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله محاجة عنده ، كما يقال عند الله كذا ويراد أنه في كتابه وأمره / ١٢ منه .

هذا إلا منا أفتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله[*] والأول قول أكثر السلف[1] ويمكن أن يكون هذا القول تخويف رؤسائهم جهلتهم ليردعوا عن إظهار ما في التوراة مع المؤمنين لا أنه من صميم القلب أو اعتقادهم أنهم مؤاخذون بما تكلموا به لا بما اعتقدوا وأسروا في أنفسهم ولهذا قال الله تعالى ، ﴿**أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ**﴾ ، من نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿**وَمَا يُعْلِنُونَ** ﴾ ، منه فالحجة عليهم ثابتة حدثوا به أو ما حدثوا وما يسرون من الكفر وما يظهرون من الإيمان ، ﴿**وَمِنْهُمْ**﴾: من اليهود ، ﴿**أُمِّيُّونَ**﴾ ، من لا يكتب ولا يقرأ ، ﴿**لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ**﴾ ، أي : لكن يعلمون الأكاذيب التي سمعوا من كبرائهم أو غير عارفين بالكتاب إلا أنهم يقرءون قراءة عارية عن معرفة المعنى وعلى هذا الاستثناء متصل وهذا[2] لا ينافي كونهم أميين فإنهم مع كونهم لا يمكن لهم أن يقرءوا من الكتاب شيئًا يحفظون الكتاب أو يتمنون على الله تعالى كقولهم "لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات" (آل عمران:٢٤)، و"لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا" الآية (البقرة:١١١)، ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** ﴾ ، قوم ليس لهم إلا[3] ظن لا علم لهم أو يكذبون ، ﴿**فَوَيْلٌ**﴾: هلاك أو واد في جهنم[4] ، ﴿**لِّلَّذِينَ**

(*) أخرجه عبد به حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلا، كما في الدر المنثور للسيوطي (١/١٥٧).

(١) خلائق لا يحصى كابن عباس وربيع بن أنس وقتادة وأبي العالية وغيره / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى رد ما قال القاضي من أن هذا لا يناسب وصفهم بأنهم أميون/١٢ منه .

(٣) وعلى هذا الاستثناء كالأول منقطع / ١٢ منه .

(٤) روى الترمذي عن النبي -عليه السلام- أنه واد في جهنم وعلى ذلك كثير من السلف/١٢ منه.[أخرج أحمد (٣/٧٥)، والترمذي (٣١٦٤)، والحاكم (٤/٥٩٦) وغيرهم بسند ضعيف عن أبي سعيد مرفوعا: "ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره". وانظر الجامع (٦١٦١).

﴿يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ، هم أحبارهم حرفوا كتاب الله زادوا فيه ونقصوا ، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، ليستبدلوا به رئاستهم وما يصل إليهم من سفلتهم ، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكذب ، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من السفلة أو مما يكسبون من المعاصي والأولى أن يكون ما مصدرية[١] في مما كتبت ومما يكسبون ، ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي : اليهود ، ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قليلة سبعة أيام بكل ألف سنة من الدنيا يومًا أو أربعين يومًا لأن عبادة العجل كانت أربعين يومًا ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ ، همزة الاستفهام دخلت على ألف الوصل ، ﴿عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ، ميثاقًا بذلك ، ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ ، أي : إن اتخذتم عهدًا فهو لا يخلف الميثاق ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ، أم معادلة للاستفهام ، أي : أي الأمرين كائن أو منقطعة بمعنى بل ، ﴿بَلَى﴾ ، إثبات لما نفوه من خلود النار ، ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً[٢]﴾ ، أي: شركًا أو كبيرة ، ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ[٣]﴾ ، أى : صار كالشيء

---

(١) لأن يكون الويل والهلاك لهم من أفعالهم التي باشروها ولو جعلناها موصولة لكان الويل لهم من غير أفعالهم فتأمل / ١٢ منه .

(٢) فسر ابن عباس وأبو وائل وأبو العالية وأبو هريرة ومجاهد وعكرمة وقتادة والحسن والربيع بن أنس السيئة بالشرك والسدي والأعمش والربيع بن خيثم بالكبيرة/١٢ منه .

(٣) قال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبًا ارتفعت حتى يغشى القلب وهي الرين ، قال الكلبي أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى : " إلا أن يحاط بكم " (يوسف:٦٦)، أي تهلكوا/١٢ معالم ، وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبًا و لم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع

كالشيء المحاط لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا شأن الكافر ، ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، ذكرهم بما أمرهم في التوراة ، ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ ،

= قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسنًا إياها معتقدًا ألا لذة سواها مبغضًا لمن يمنعه منها مكذبًا لمن ينصحه كما قال الله تعالى : " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله " (الروم:١٠) / ١٢ بيضاوي .

وهو[1] نفي بمعنى النهي مقدر بالقول أو تقديره أن لا تعبدوا ، فلما حذف "أن" صار الفعل مرفوعًا فيكون[2] بدلاً من الميثاق أو معمولاً له بحذف الجار[3] ، ﴿إلاَّ[4] اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ، تقديره تحسنون أو وأحسنوا بهما إحساناً ، ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾: القرابة ، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾: من لا يجد ما ينفق على نفسه وأهله ، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: قولاً[5] حسنًا وسماه حسنًا للمبالغة دخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: بطريق فرض عليكم في ملتكم ،﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الميثاق وهو التفات[6] سواء كان خطابًا مع الموجودين ومن قبلهم بالتغليب أو لا ، ﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾: من ثبت على اليهودية قبل نسخها أو من أسلم ، ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾: قوم عادتكم الإعراض ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: في التوراة ، ﴿لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: بأن لا يقتل بعضكم بعضًا ، ﴿وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾: ولا يخرجه من مترله ، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ[7]﴾ ، اعترفتم بلزوم الميثاق ، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾: على أنفسكم بذلك أو أنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم ، ﴿ثُمَّ﴾ ، للاستبعاد ، ﴿أَنْتُمْ[8] هَؤُلاءِ﴾ ، أي : أنتم بعد ذلك

---

(١) خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن المنهي عنه وتأكد طلب امتثاله حتى كأنه امتثل وأخبر عنه وعبادة الله إثبات توحيده وتصديق رسله والعمل بما أنزل الله في كتبه / ١٢ فتح .

(٢) أي: أن لا تعبدوا/ ٢١ منه.

(٣) أي: بأن لا / ١٢ منه.

(٤) فيه التفات ، إذ الظاهر إلا إيانا / ١٢ منه.

(٥) والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعًا كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر / ١٢ فتح .

(٦)•لقوله ميثاق بني إسرائيل / ١٢ .

(٧) هذا كما تقول: فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها / ١٢ منه .

(٨) قيل هؤلاء بمعنى الذين والجملة بعده صلته والموصول مع صلته خبر أنتم / ١٢ منه .

هؤلاء الناقضون فهو مبتدأ وخبر قيل أنتم يا هؤلاء ، ﴿تَقْتُلُونَ[1] أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ ، الجملة حال والعامل معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة ، ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ ، تتعاونون والجملة حال ، ﴿بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بالمعصية والظلم ، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾: يطلبون الفداء ، ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ ، فديتموهم ، كانت قريظة حلفاء الأوس[2] والنضير حلفاء الخزرج[3] فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا[4] له حتى يفدوه فنزلت ، ﴿وَهُوَ[5]﴾ ، أي: الشأن ، ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ ، فاتصل بقوله وتخرجون فريقًا[6] وما بينهما اعتراض أو هو مبهم وإخراجهم تفسيره ، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ ، أي الفداء ، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ، أي: القتل والمظاهرة والإخراج[7] ، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ﴾: عذاب وهوان ، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: خزي قريظة كان القتل والسبي ولبني

---

(١) قيل معناه لا تقتلوا أنفسكم لشدة تصيبكم بسكين أو خنق أو بارتكاب ما يوجب ذلك كالارتداد والزنا بعد الإحصان وقتل النفس بغير حق ونحو ذلك ولا تسيئوا جوار من جاوركم فيضطروا إلى الخروج من دياركم أو لا تفسدوا فتكونوا سببًا لإخراجكم أنفسكم / ١٢ منه .

(٢) من المشركين / ١٢ منه.

(٣) من المشركين / ١٢.

(٤) أي مجموع الفريقين / ١٢ منه .

(٥) أي : لفظ هو إما ضمير الشأن أو مبهم مفسر بلفظ إخراجهم وقيل ضمير يرجع إلى مصدر يخرجون ولفظ إخراجهم بيان / ١٢ منه .

(٦) من اليهود / ١٢ منه.

(٧) عن السدي : أخذ الله عليهم أربعة عهود: ترك القتال والإخراج والمظاهرة وفداء أسرائهم فأعرضوا إلا عن الفداء / ١٢ منه .

نضير الجلاء وضرب الجزية على غيرهم ، ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ﴾ ، أي : أشد أنواعه ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، تأكيد للوعيد ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾: آثروها على الآخرة ، ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ﴾ ، لا يهون ولا ينقص ، ﴿عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾: يمنعون من عذاب الله .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ
مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ
أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ
عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا
ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا
وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ
بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ
ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾: التوراة ، ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ[1] بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أرسلنا على أثره الرسل ، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ﴾ ، ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى وبعض أحكامه مخالف للتوراة والبينات إحياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير وإبراء الأسقام وإخباره بالغيب ، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ ، أي: جبريل فإنه كان قرينه يسير معه حيث سار ، أو الاسم الذي به يحيي الموتى ، أو الإنجيل أو الروح الذي نفخ فيه ، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به "وهو ولقد آتينا" توبيخًا لهم على تعقيبهم ذاك بها. ، ﴿رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى﴾: ما لا تحب ، ﴿أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن اتباعه ، ﴿فَفَرِيقًا[2] كَذَّبْتُمْ﴾: كعيسى ومحمد عليهما

---

(١) من التقفية وهو الإتباع والإرداف مأخوذ من القفا وكان الرسل من بعد موسى إلى زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في أثر بعض والشريعة واحدة وهم أنبياء بني إسرائيل المبعوثون من بعدهم كالشموئيل بن بابل وإلياس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا ويحيى وشعياء وحزقيل وداود وسليمان وأرمياه وهو الخضر وعيسى ابن مريم وكلهم يحكمون بشريعة موسى إلا عيسى فإنه جاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة/١٢ فتح.

(٢) الفاء للسببية أو للتفصيل / ١٢ منه .

السلام ، ﴿وَفَرِيقًا[1] تَقْتُلُونَ﴾ ، كزكريا ويحيى جاء بلفظ المضارع لحكاية الحال الماضية ولمراعاة الفواصل ، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعية للعلم لا يحتاج إلى علم آخر ، أو عليها غشاوة ، أو لا نفقه ما تقول كما في قوله تعالى : " وقالوا قلوبنا في أكنة " (فصلت:٥)، ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا أن قلوبهم أوعية للعلم بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها بكفرهم أو قلوبهم لم تأب قبول الحق لخلل فيها بل لأن الله طبع عليها بالكفر ، ﴿فَقَلِيلًا[2] مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ، أي : يؤمن منهم القليل فقليلاً حال ، أو إيمانًا قليلاً وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، أو لا يؤمنون أصلاً لا كثيراً ولا قليلاً ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ، أي : القرآن ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: التوراة وجوابه محذوف دل عليه جواب لما الثانية ، أو لما[3] الثانية تكرار للأول فإن ما عرفوا والكتاب واحد والفاء للإشعار بأن مجيئه كان عقيب استفتاحهم به ، ﴿وَكَانُوا﴾: اليهود والواو للحال ، ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل نزوله، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يستنصرون على المشركين يقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾: من الحق ، ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾: بغيًا وحسدًا ، ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ ، ما نكرة مميزة لفاعل بئس المستتر فيه والفعل صفته ، أي : بئس ما باعوا فإنهم باعوا ثوابها بالكفر ، ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ ، هو المخصوص بالذم ، ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ ، أي : أن

---

(١) جاء بلفظ المضارع لحكاية صنيعتهم الماضية واستحضارها لأنهم أرادوا قتل محمد –صلى الله عليه وسلم– لكن عصمه الله فإنهم سحروه وسموه بالشاة ، فقال صلى الله عليه وسلم عند موته: "لا زالت أكلة خيبر تعاربي فهذا أوان قطعت أبهري" / ١٢ وجيز .

(٢) قال الواقدي: معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، قال الكسائي: يقول العرب دورنا بأرض قل ما تنبت الكراث والبصل ، أي : لا تنبت شيئًا / ١٢ فتح .

(٣) أي : قوله فلما جاءهم ما عرفوا / ١٢ منه .

يكفروا حسدًا ، ﴿أَن﴾ ، أي : لأن ، ﴿يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: النبوة والكتاب ، ﴿عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ، فإن كفرهم للحسد على أن النبوة في غيرهم ، ﴿فَبَاءُوا﴾: رجعوا[1] ، ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ[2]﴾ ، لكفرهم بمحمد -عليه الصلاة

---

(١) وصاروا أحقاء / ١٢ منه .

(٢) وقد قدمنا بيان الغضب في صفحة سابقة أنه صفة وصف الله تعالى نفسه بها وليس غضبه كغضبنا كما أن ذاته ليست مثل ذواتنا فليس هو مماثلاً لأبداننا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته وما قيل إن الغضب من الانفعالات النفسانية فيقال: نحن وذواتنا منفعلة فكونها انفعالات فينا لا يجب أن يكون الله منفعلاً بها كما أن نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذلك ليست كصفات المخلوقين ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه وليس المنسوب كالمنسوب والمنسوب إليه كالمنسوب إليه كما قال صلى الله عليه وسلم : "ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي وهذا يتبين بقاعدة وهي أن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات وكثير منها كلها أو أكثرها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد نفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير أحدها كونه مثل ما فهمه من النصوص لصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل الثاني أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله فبقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جناية على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث خالف الذي يفهم من كلامهما من إثبات صفات الله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى ، الثالث أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير دليل فيكون معطلاً عما يستحقه الرب تبارك وتعالى ، الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات وصفات المعدومات فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب، ومثل بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام في القاعدة التدمرية/١٢ .

والسلام-، أو القرآن بعد كفرهم بعيسى وتضييعهم التوراة والإنجيل ، أو عبادهم العجل وقوله بغضب ظرف لغو وعلى غضب صفة له ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ، فإن عذابهم للإهانة وعذاب العاصي للتطهير ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لليهود ، ﴿آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: القرآن ، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: التوراة ، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: بما سواه أو بما بعده ، ﴿وَهُوَ﴾ ، أي : ما وراءه ، ﴿الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ، فإن القرآن مصدق للتوراة ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بالتوراة ، ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ، وفعل آبائهم فعلهم مع أنهم رضوا به ثم يعد عليهم قبائحهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: اليد والعصا وغيرهما ، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ ، إلهًا ، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد مجيئه رسولاً أو ذهابه إلى الطور ،﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾: قوم عادتكم الظلم ، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: قلنا لكم ، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾: ما أمرتم به في التوراة ، ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد ، ﴿وَاسْمَعُوا﴾: أطيعوا ، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك أو بالآذن ، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك[1] أو بالقلوب وليس هذا بألسنتهم لكن لما سمعوا وتلقوه بالمعصية نسب إلى القول اتساعًا ، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ ، أي : أشربوا في قلوبهم حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم وفي كلام السلف : لما أحرق العجل برد بالمبرد ثم نسف في الماء فمن شرب وفي قلبه حب العجل اصفر لونه ، ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ ، فإنهم مجسمة فأُعْجبوا العجل ، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[2]﴾: بالتوراة كما زعمتم فبئس ما أمركم به إيمانكم بها

---

(١) بمعنى اعترفوا بقبوله لكن لم يفعلوا / ١٢ وجيز .

(٢) كما زعمتم بالتوراة وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان إليهم وقوله: "إن كنتم مؤمنين" قدح في صحة دعواهم فإن الإيمان إنما يأمر بعبادة الله وحده لا بشركة=

والمخصوص بالذم محذوف أي :هذا الأمر وحاصله لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل يعني آباءهم ، وأنتم لو كنتم مؤمنين ماكذبتم محمدًا عليه الصلاة والسلام ، ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ﴾ ، أي: في علم الله وحكمه ، ﴿خَالِصَةً﴾ ، أي : خاصة بكم كما تقولون : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا " الآية (البقرة:١١١)، منصوب على الحال ، ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ ، أي : الباقين ، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، أي : ادعوا بالموت على الكاذب من الفريقين، والمراد منه المباهلة كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف أو معناه فسلوا الموت لأن من أيقن أن مأواه الجنة حن إليها سيما إذا علم أنها لا يشاركه[1] فيها غيره ، ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾: للعلم بكذبهم ، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: كتحريف التوراة وإضافته إلى اليد؛ لأن أكثر الجنايات باليد فأضيف إليها الأعمال وإن لم يكن لليد فيها مدخل ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾: تهديد ، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ، أي : على نوع من الحياة وهو طول العمر لعلمهم بسوء عاقبتهم ، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ، عطف في المعني على الناس ، أي أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ، أو عطف على أحرص بتقدير وأحرص من الذين وهو عطف الخاص على العام أو اليهود أحرص منهم مع أن المشركين لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم إليها شديد ، وزيادة حرص اليهود لعلمهم بأنهم صائرون إلى النار بخلاف المشركين ، قيل:

= العباد لما هو في غاية البلادة فهو غاية الاستهزاء وأما إضافة الإيمان فدلت على أن مثل هذا لا يليق أن يسمى إيمانًا إلا بالإضافة إليكم وحاصل الكلام إن كنتم أنتم وآباؤكم الأقدمون مؤمنين لما عبدتم العجل وكذبتم القرآن / ١٢ وجيز .

(١) وأما المؤمنون فلا يدعون أنهم أحباء الله وأنهم من الفائزين يقينًا، بل يرجون من فضل الله وكذا العشرة المبشرة فحال خوفهم يحال بينهم وبين البشارة لاحتمال أن البشارة مقيدة بقيد ويخافون من سوء العاقبة كما يدل على ذلك تتبع أحوالهم/ ١٢ وجيز .

تقديره: ومن الذين أشركوا ناس يود أحدهم فمن الذين أشركوا خبر مبتدأ محذوف صفته "يود أحدهم" ، فإن من اليهود من قال: عزير ابن الله فيكون مشركًا ، ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**﴾ ، أي : اليهود جملة مستأنفة ، ﴿**لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**[1]﴾ ، لو للتمني ، ﴿**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ**﴾: بمبعده ، ﴿**مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ**﴾ ، وضمير هو لمصدر يعمر ، و أن يعمر بدله ، أو لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه ، ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

---

(١) وإنما خص الألف بالذكر لأن العرب تذكر ذلك عند إرادة المبالغة ولأنها نهاية العقود ولأنها تحية المجوس فيما بينهم يقولون : (زى هز إرسال) أي: عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم وهذا كناية عن الكثرة / ١٢ فتح .

وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ[1] **فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾** ، أي : القرآن ، **﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**: بأمره وجواب الشرط محذوف ، أي : من كان عدوه فلا إنصاف له ، فإنه نزله أوتقديره فهو عدو لي ، فليعلم أنه نزله ، أو فليمت غيظًا ، **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾**: لما قبله من الكتب نزلت جوابًا لليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ولولا أنه ولي محمد عليه الصلاة والسلام لآمنوا ، **﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**[2] **﴾** ، رد عليهم حيث قالوا : إن جبريل ينزل بالحرب والشدة ، فقال الله : إنه ينزل بهما على الكافرين وهدى وبشرى للمؤمنين ، **﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾** ، فيه تنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء فمن عادى أحدهم فقد عادى الجميع ووضع الظاهر أي: للكافرين موضع المضمر للدلالة على أن عداوة الله لهم لكفرهم وعداوتهم كفر وقيل الواو هاهنا بمعنى أو ، **﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا**[3] **إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾** ، نزلت في ابن صوريا حين قال : يا

---

(١) لما قيل اليهود آمنوا بما أنزل الله اعتذروا بوجوه: أحدها: أنا آمنا بكتابنا وكفينا ، والثاني: أن جبريل ولي لمحمد وهو الذي يترل عليه وهو عدو لهم ولولا ذلك لآمنوا أجاب عن الأول بما مر وهذا جواب عن الوجه الثاني / ١٢ وجيز .

(٢) فإذا آمنتم كان هو صديقًا لكم / ١٢ وجيز .

(٣) هذا جواب للثالث من أعذارهم من الإيمان فإنهم قالوا ما أنزل إليك يا محمد من آية بينة فنتبعك! / ١٢ وجيز .

محمد ما أنزل إليك آية بينة فنتبعك(*)، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾ ، المتجاوزون عن الحد ، ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ ، عطف على محذوف والهمزة للإنكار ، أي : أكفروا بالآيات ، وكلما عاهدوا نزلت حين ذكرهم نبينا عليه الصلاة والسلام ما أخذ عليهم من الميثاق في شأنه قالوا: والله ما عهد إلينا ولا أخذ ميثاق في شأنك ، ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: نقضه وطرحه ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ ، رد لما يتوهم أن الفريق هم الأقلون ، فإنهم بين ناقض عهد أو جاحد معاند ، والمؤمنون أقلون ، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ، كعيسى ومحمد عليهما السلام ، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ، أي : التوراة ، فإنهم جحدوا ما فيها من صفة محمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ، كشيء يرمى وراء الظهر غير ملتفت إليه ، ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: ما فيها مع أنهم عالمون ، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ، عطف على نبذ ، أي : تركوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأها الشياطين وتحدثها ، ﴿عَلَى﴾: عهد ، ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ، أي : في زمانه وتعديته بعلى لتضمين الكذب فإن الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان أو نزع منه ملكه استخرجوه ، وقالوا: تسلطه في الأرض لهذا السحر ، فتعلموه ، وبعضهم نفوا نبوته وقالوا: ما هو إلا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال:﴿وَمَا كَفَرَ﴾: عبر عن السحر بالكفر لتغليظه ، ﴿سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ، إشارة إلى ما كتبوا من السحر ، ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ، عطف على السحر أو على ما تتلوا ، أي : يعلمونهم ما ألهما ، ﴿بِبَابِلَ[1]﴾ ،

(*) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، كما في الدر المنثور للسيوطي (١/١٨١).

(١) البابل اسم موضع من الكوفة سميت بذلك لتبلبل ألسنة الخلائق بها / ١٢ وجيز وفتح.

ظرف أو حال ، وهو اسم موضع من الكوفة ، ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ، عطف بيان للملكين وعند بعض من السلف أن ما نافية ، فيكون عطفًا على ما كفر ، أي: ما كفر سليمان ولا أنزل على الملكين ، أي جبريل وميكائيل ، فإن سحرة اليهود زعموا أن السحر أنزل على لسانهما[1] إلى سليمان فردهم الله وعلى هذا ، فقوله: "ببابل" متعلق بيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين ابتلاهما الله تعالى بالسحر[*] وقعا بدل بعض[2] من الشياطين ، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ ، أي: الملكان ، أو الرجلان ،

---

(١) أي: على لسان جبريل وميكائيل / ١٢ منه.

(*) روي في هاروت وماروت قصص عجيبة وأخبار غريبة لا خطم لها ولا أزمة جمعها كلها العلامة محمد بن أبو شهبة في كتابه الماتع "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير"، (ص١٥٩-١٦٦) مبينا زيفها، حتى نقل عن ابن الجوزي والعراقي وعياض وابن كثير وغيرهم أنهم قالوا بوضعها.

(٢) في قوله "ولكن الشياطين" كفروا ذكر هذا بن جرير أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن الذي يعلموهم ذلك رجلان أحدهما هاروت والآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردًا عليهم انتهى. وقال القرطبي : وهذا أولى ما حملت الآية وأصح ما قيل فيها ثم قال: إن قيل كيف يكون اثنان بدلاً من جمع والبدل إنما يكون على حد المبدل؟ ثم أجاب بأن الاثنين قد يطلق عليهم الجمع وإنما خصا بالذكر دون غيرهما لتمردهما ويؤيد هذا أنه قرأ ابن عباس والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام ، قال ابن جرير -رضي الله تعالى عنه- : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما نزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقال ابن كثير في تفسيره: وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق=

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ، أي: أحدًا ، ﴿حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ابتلاء واختبار ، ﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾: بتعلمه[1] وذلك لأن تعلمه للعمل[2] كفر أو تعلم هذا النوع كفر لما فيه من الكفر فهذه نصحية منهما له ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ، ضمير الجمع لما دل عليه من

= المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصتين من غير بسط ولا إطناب فيهما فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالي والله أعلم انتهى.

وأطال في رد هذه القصة صاحب الخازن وصاحب المظهري وأبو السعود القاضي والرازي والسعد والتفتازاني وغيرهم واستبعدوها ، لكن قال الشيخ الزكريا الأنصاري: الحق ما أفاده شيخنا حافظ الشهاب بن حجر أن لها طرقًا تفيد العلم بصحتها ، فقد رواها مرفوعة الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم موقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم [في الأصل: وغيرهما] بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما استبعد هذا المنقول ولم يطلع عليه قال: إنه محكي عن اليهود ولعله من رموز الأولين ذكره الخطيب، وقد أطنب الشيخ ابن حجر المكي في جواب الرازي واستبعاده لهذه القصة في كتاب الزواجر بما لا مزيد عليه هذا خلاصة ما في الفتح/١٢ .

(١) فيه أن تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه وبه قال أحمد، أخرج البزار بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود: "من أتى ساحرًا أو كاهنًا وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" وأخرج البزار عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تطير أو تطير له أو سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له ومن عقد عقدة ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد/١٢ .

(٢) عند أبي حنيفة ومالك وأحمد استعمال السحر كفر فقالا أي : مالك وأحمد يقتل بمجرد الاستعمال وعند الشافعي استعماله من الكبائر إذا لم يعتقد جوازه أو لم يكن في سحره ما يوجب الكفر / ١٢ منه .

أحد ، ﴿مَا يُفَرِّقُونَ﴾: من السحر ، ﴿بِهِ﴾: بسببه ، ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم﴾ ، أي : السحرة ، ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾: بالسحر ، ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: أحدًا ، ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إرادته ، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ ، أي : نفعًا يوازي ضره ، ومحمل قصتهما أن الملائكة طعنوا أهل الأرض فسادهم ، فقال الله تعالى لهم : لو كنتم على طبعهم لكنتم مثلهم ، فقالوا: نحن لا نعصي إلهنا ، فاختار الله تعالى من بينهم ملكين من أعبدهم وركب فيهما الشهوة وأرسلهما إلى الأرض فعصيا فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فالآن هما معذبان إلى يوم القيامة(*) والله يمتحن[١] عباده بهما ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: اليهود ، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: استبدل السحر بكتاب الله تعالى واللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ، ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾: من نصيب ، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ﴾ ، أي: باعوا ، ﴿أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة[٢] ما فعلوا ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ، نبذ كتاب الله تعالى واتباع كتب الشياطين ، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ ، أي: لشيء[٣] من الثواب خير لهم ، أو جواب لو محذوف وهو

(*) أشرنا قريبا إلى بطلان كل ما ورد في هذا الروايات، وانظر الضعيفة للشيخ الألباني .

(١) في مسند الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث طويل حاصله ما ذكرناه ، وأيضًا في صحيح ابن حبان فقيل: رجاله ثقات، وقد ثبت أيضًا عن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة والتابعين / ١٢ منه .

(٢) وعلى ما فسرنا لا منافاة بين قوله: "ولقد علموا" حيث أثبت لهم العلم وبين قوله: "لو كانوا يعلمون" حيث لزم نفي العلم عنهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٣) هذا يعلم من تنوين مثوبة / ١٢ منه .

لأثيبوا[1] ولمثوبة إلخ.. استئناف واختيار الجملة الاسمية في جواب لو للدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها ، كما في سلام[2] عليك وأصله لأثيبوا مثوبة خيرًا مما شروا به أنفسهم ، ﴿**لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ ، أي : من أهل العلم أو يعلمون أن الثواب خير .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا

---

(١) قال صاحب البحر: المختار أن يكون جواب لو محذوفًا كما قال الأخفش ومختار الزمخشري غير مختار لأنه لم يعهد في لسان العرب وقوع الجملة الاسمية جوابًا لِلَوْ، ولا يثبت القواعد الكلية بالمحتمل فتفطن /١٢ منه .

(٢) فحذف الفعل وجعل الباقي جملة اسمية للدلالة على ثبوت المثوبة وحذف المفضل عليه/١٢ منه .

تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ، نهى الله تعالى المؤمنين عن أن يقولوا لنبيه -صلى الله عليه وسلم- راعنا ، أي: أرعنا سمعك ، أي: اسمع منا وفي لمية المنع خلاف والمشهور أن لهذا اللفظ معنى قبيحًا بلغة اليهود وهم لما سمعوا هذا اللفظ من المسلمين يأتونه ويقولون راعنا ويضحكون سرًا ، ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ ، أي : إلينا ، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ، ترك هذه اللفظة[1] سماع قبول لا كاليهود قيل: إنه عليه السلام إذا تكلم معهم قالوا: راعنا ، أي: راقبنا[2] وتأن بنا حتى نفهم ، فمنعوا من تلك الكلمة وأمروا بانظرنا أي : انتظرنا ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الذين سبوا وتهاونوا رسلنا ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ ، هو مفعول يود ، ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ ، من للاستغراق ، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، من للابتداء والخير هاهنا الوحي أو أعم بين تعالى شدة عداوتهم حسدًا للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ[3] بِرَحْمَتِهِ﴾: بنبوته أو أعم ، ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ

(١) كلام السلف كعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ما قلناه أولاً وهو صريح في أن هذه اللفظة إذا خاطب المسلمون نبي الله -عليه الصلاة والسلام- قالوها بدل اسمع منا، وقالوا معناه راعنا سمعك والذي ذكرناه بقيل ذكره الزمخشري وهو غير ما ذكره السلف بأجمعهم فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) من نظره إذا أنظره وإذا كان هذا معناه جاز أن يكون معنى واسمعوا: أحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة/١٢ منه .

(٣) يقال: اختص زيد بكذا واختصصته به والظاهر أنه هاهنا متعد قيل: جاز أن يكون لازمًا ومن يشاء فاعله / ١٢ منه .

﴿الْعَظِيمِ﴾ ، فحرمان البعض ليس لضيق في الفضل، بل لحكم ومصالح ، ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: نبطل[1] حكمها أو النسخ رفعها[2] من القرآن ، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نمحها عن القلوب[3] ومن قرأ ننسأها أي : نؤخرها ، أي : في اللوح المحفوظ أو نثبت قراءتها ونبدل حكمها[*] فعلى هذا النسخ عكسه[4]، ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾: أنفع للعباد في الدارين ، ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾: في المنفعة نزلت حين قالوا: إن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- يأمر بشيء ثم يأمر بخلافه فما هذا إلا كلامه ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من النسخ والتبديل ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمته بدليل "وما لكم" ، ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: يفعل ما يشاء فيهما من نسخ وتغيير، والآية وإن كانت خطابًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على وجه الخبر عن عظمته ، لكن في الحقيقة رد وتكذيب لليهود لإنكارهم نسخ التوراة ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: وال يلي أمركم ، ﴿وَلاَ نَصِيرٍ﴾: ينصركم قيل الفرق بينهما أن الوالي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا ، ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ ، أي: ألم تعلموا أنه يأمر وينهى كما شاء أم تعلمون

---

(١) كتبديل حكم من حلٍ إلى حرمةٍ أو من حرمة إلى حل ويكون اللفظ من القرآن/١٢ منه .

(٢) أعم من أن يبطل حكمه أو لا الثاني نحو "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى بهما ثالثًا"/١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس : كان الوحي يترل عليه بالليل وينساه بالنهار فلذا أنزل أو ننسها/١٢ منه .

(*) وفي حاشية النسخة: الأول: قول عمر وابن عباس، والثاني: قول ابن مسعود/ ١٢.

(٤) أي : نثبت حكمها ونبدل قراءتها نحو: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما" /١٢ منه .

وتقترحون في السؤال[1] فأم معادلة للهمزة أو منقطعة[2] ، ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: محمدًا عليه الصلاة والسلام فإنه رسول الله إلى الناس أجمعين ، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾: أهل الكتاب قالوا ائتنا بكتاب نقرأه وفجر لنا أنهارًا نصدقك فأنزل الله تعالى ، أو قريش[3] سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا[4] ورجعوا[*] ، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾ ، أي : يشتري الكفر به ، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾: وسطه ، أي : خرج عن الطريق المستقيم ، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، كان من أحبارهم رجال جاهدوا في رد الناس عن الإسلام فأنزل الله تعالى ، ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم[5]﴾ ، لو

---

(١) يعني أم إما متصلة معادلة لقوله "ألم تعلم" ، وإما منقطعة أي : ألم تعلموا أن له القدرة الشاملة والتصرف كيف أراد ثم قال بل لكم علم لكن تقترحون في السؤال كما اقترحت أسلافكم على موسى عليه السلام / ١٢ منه .

(٢) معناه بل والهمزة للمبالغة في النهي حتى كأنهم كانوا بصدد الإرادة فنهوا عنها فضلاً عن السؤال يعني من شأن العاقل أن لا يتصدى لإرادة ذلك / ١٢ منه . والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه لأن معنى المنقطعة بل والهمزة للإنكار/١٢ منه.

(٣) على الوجه الأول: المخاطبون هم اليهود وهو قول ابن عباس وغيره وعلى الثاني: المخاطبون قريش وهو قول مجاهد والسدي وقتادة / ١٢ منه .

(٤) يعني إذا ظهرت تلك الآية فمن يكفر منكم فإن الله لا يمهله ويعذبه فلذلك أبوا عن الإيمان ورجعوا عن مقترحهم محبة للكفر كما قال تعالى لهم : " فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين " (المائدة:١١٥)/١٢ منه .

(*) أخرجه بنحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور للسيوطي (٢٠١/١).

(٥) ذهب بعض النحاة إلى أنها مصدرية ، إلا أنها لا تنصبه كما فصلناه في قوله: "يود أحدهم لو يعمر ألف سنة" (البقرة:٩٦)/ ١٢ منه .

بمعنى أن ، ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ ، حال من كم ، أو مفعول ثان ليردون لتضمين معنى التصيير ، ﴿حَسَدًا﴾ علة ود ، ﴿مِّنْ عِندِ[1] أَنفُسِهِم﴾ ، أي : تمنوا من عند أنفسهم لا من قبل التدين أو معناه حسدًا مبالغًا منبعثًا من أصل نفوسهم ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾: في التوراة ، ﴿فَاعْفُوا﴾: عن مجازاتهم ، ﴿وَاصْفَحُوا﴾ ، وأعرضوا عنهم ، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: بالقتال أو القتال والسبي والجلاء، أو إسلام بعض والباقي لبعض ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، أي : اصبروا على المخالفة والجئوا إلى الله تعالى بالبر ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ ، أي : ثوابه ، ﴿عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا يضيع عمل عامل ، ﴿وَقَالُوا﴾ ، أي : أهل الكتاب ، ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ، وهذا لف بين قولي اليهود والنصارى ثقة بفهم السامع ، ﴿تِلْكَ﴾ ، إشارة[2] إلى ألاَّ يترل على المؤمنين خير أو أن يردوهم كفارًا وألاَّ يدخل الجنة غيرهم ، أو إشارة[3] إلى الأخير بحذف المضاف أي[4] أمثالها ، ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: التي تمنوها على الله تعالي باطلاً ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على

---

(١) على التفسير الأول: من عند ظرف لَغْوٌ بِوَدَّ ، وعلى الثاني: ظرف مستقر صفة لحسد أو قيد مبالغًا ليكون مقيدًا وإلا فالحسد لا يكون إلا من الأنفس / ١٢ منه .

(٢) يعني أمانيهم بصيغة الجمع يأبى أن يكون تلك إشارة إلى شيء واحد فلابد من تأويل إما بأن يقول إشارة إلى متعدد أو إلى واحد بحذف المضاف أي: أمثال تلك/١٢ منه.

(٣) قيل: أفرد المبتدأ لفظًا، لأنه كناية عن المقالة ، وهي مصدر يصلح للقليل والكثير وأريد بها الكثير باعتبار القائلين ولذلك جمع الخبر فطابق من حيث المعنى / ١٢ منه .

(٤) قيل هذان الوجهان خلاف الظاهر ، أما الأول: فلأن كل جملة ذكر فيها ودهم قد انقضت وكملت واستقلت في الترول فيبعد أن يشار إليها ، وأما الثاني: فللحذف ، ولأن هذا المعنى يناسب إذا كان أمانيهم مبتدأ وتلك خبر / ١٢ منه .

اختصاصكم بالجنة ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَى﴾: إثبات لما نفوا من دخول غيرهم الجنة ، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أخلص له نفسه ، أو دينه أو عمله ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: متبع نبي[1] الله عليه الصلاة والسلام، قيل: مؤمن ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: ثابت لا ينقص ، ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة عند الفزع الأكبر ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما مضى .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ
ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ
لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا
ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ
عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ

---

(١) يعني للعمل المتقبل شرطان أحدهما: أن يكون خالصًا لوجه الله لا فيه رياء ، والثاني: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة / ١٢ منه .

مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾: أمر يعتد به[1] أي: دينهم باطل من أصله نزلت حين قدم وفد نجران فتنازعوا مع اليهود ، ﴿وَقَالَت النَّصَارَى لَيْسَت اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ﴾: مطلقًا دائمًا ، ﴿وَهُمْ﴾ ، أي: الفريقان ، ﴿يَتْلُونَ الكِتَابَ﴾ ، وفي كتاب كل منهما تصديق من كفروا به ، ﴿كَذَلِكَ[2]﴾: مثل ذلك الذي سمعت ، ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: آباؤهم الذين مضوا أو عوام النصارى أو مشركوا العرب قالوا في نبيهم أو أمم قبلهما ، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ، وبَّخهم الله على التشبه بالجهال وهو مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به وقيل كذلك مبتدأ ومثل قولهم مصدر أو مفعول لا يعلمون ، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾: بما استحقوا عن الحسن هو تكذيبهم وإدخالهم النار ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ[3] مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن[4] يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ ، عام لكل

---

(١) لو لم يفسر على هذا الوجه يكون كلام كل منهم صدقًا فلا يكون قوله "وهم يتلون الكتاب" ردًا عليهم ، ولا يكون لواو الحال موقع حسن / ١٢ منه .

(٢) يمكن أن يكون تقديره الأمر كذلك ثم ابتدأ وقال : " وقال الذين لا يعلمون " إلخ.../ ١٢ منه .

(٣) هذا كما تقول لمن آذى صالحًا واحدًا : من أظلم ممن آذى الصالحين / ١٢ .

(٤) قوله : " أن يذكر " ، أي : من أن يذكر بحذف من وقيل بدل اشتمال من مساجد الله ولا تناقض بين قوله هذا وبين قوله : " فمن أظلم ممن افترى على الله" (الأنعام:١٤٤،=

من خرب مسجدًا ، وإن كان سبب نزوله منع المشركين رسول الله _ صلى الله عليه وسلم - أن يدخل مكة ويحج عام الحديبية ، وأي خراب أعظم مما فعلوا من إخراج المسلمين واستحواذهم بالأصنام ، أو نزلت[1] في الروم خربوا بيت المقدس ، **﴿أُوْلَئِكَ﴾**: المانعون ، **﴿مَا كَانَ لَهُمْ[2] أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾** ، خبر معناه الطلب لا تمكنوهم[3] من دخولها إلا تحت هدنة أو جزية ، أو بشارة للمسلمين أنه سيكون كذلك ، أو ما كان ينبغي أن يدخلوها إلا خاشعين فضلاً أن يخربوا ، أو ليس الحق أن يدخلوا إلا خائفين عن المسلمين فضلاً من أن يمنعوهم منها ، **﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾**: قتل وسبي أو جزية ، **﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾**: له الأرض كلها إن منعتم الصلاة في أحد المساجد ، **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾** ، أيَّ : في أي مكان توليتم القبلة ، **﴿فَثَمَّ وَجْهُ[4] اللّهِ﴾** ، أي : جهته التي أمر بها لا يختص بمسجد ومكان ، أو معناه بأي جهة وجهتم إليها وجهكم فثم قبلة الله

= الأعراف:٣٧، يونس:١٧)، وقوله : " ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها" (السجدة:٢٢)، لأن معناه هؤلاء أظلم ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر، بل كلهم مساو في الأظلمية / ١٢ منه .

(١) ولهذا نادى منادي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد الفتح ألا لا يحج بعد العام مشرك ومن كان له أجل فأجله إلى مدته / ١٢ منه .

(٢) ما كان لهم في علم الله وقضائه أن يدخلوها إلا خائفين وقد أنجز وعده / ١٢ منه

(٣) الأول قول سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأنه أرجح، لأن القول الثاني وهو قول العوفي عن ابن عباس وقول عكرمة ومجاهد والسدي أن النصارى أخرجوا اليهود ومنعوهم عن الصلاة في بيت المقدس، اليهود إذ ذاك غير مقبولة لأنهم لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون / ١٢ منه .

(٤) قيل الوجه الجاه كما يقال فلان وجه القوم ، أي موضع شرفهم ، معناه فثم جلال الله وشرفه وعظمته / ١٢ منه .

المشرق والمغرب ، أو ذاته مطلع بكم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: محيط بالأشياء رحمة لا يضيق على عباده ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالأعمال في الأماكن أو نزلت[١] في صحابة عميت عليهم القبلة فتحروا القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة ثم تبين خطأهم[*] ، أو نزلت[٢] في صلاة التطوع حين السير أو في تحويل القبلة لما عيرت اليهود بأن ليس لهم قبلة معلومة ، أو لما نزلت " ادعوني أستجب لكم" (غافر: ٦٠)، قالوا أين ندعوه فنزلت ، أو لمامات النجاشي قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: صلوا عليه، قالوا إنه كان لا يصلي إلى القبلة كيف نصلي عليه ؟ فنزلت، نقله ابن جرير رضي الله عنه[*]، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عزير والنصارى في المسيح والمشركون في الملائكة ، ﴿اتَّخَذَ[٣]

---

(١) روى الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم أنها في شأن من عميت عليه القبلة قال الترمذي: حديث حسن ليس إسناده بذلك وروى الدار قطني أيضًا برواية أخرى وضعفها ، والثاني وهو الذي أنها في التطوع في حديث رواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم ، والثالث قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم ، والرابع قول ابن جرير ، والخامس نقله ابن جرير وقال : قال آخرون كذا هذا الوجه لا يخلو عن إشكال فتأمل ، والأولى أن يحكم بعدم صحة الرواية والله أعلم / ١٢ منه.

(*) أخرجه الترمذي (٣١٣٣-أحوذي) وضعفه وأبو داود الطيالسي عبد بن حميد وابن ماجه وابن جرير والدارقطني وغيرهم عن عامر بن ربيعة. وضعفه أيضا العقيلي كما في الدر المنثور للسيوطي (١/٢٠٥).

(٢) قوله أو نزلت إشارة إلى أنه قد علم من التفسير الذى ذكرنا وجه آخر بسبب النزول ، فإنه إذا كان سبب النزول الوجوه الخمسة التي سنذكرها فيكون معنى " فأينما تولوا فثم وجه الله " لا يصدق إلا على المعنى الثاني في بعض ، والثالث في بعض فتأمل / ١٢ منه.

(*) أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة مرسلا كما في الدر المنثور (١/٢٠٦).

(٣) اتخذ هاهنا بمعنى عمل وصنع فهو متعد إلى مفعول واحد / ١٢ منه .

اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ: نزه نفسه عن ذلك ، **﴿بَل لَّهُ مَا[1] فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: أي : مخلوق وملك فلا مناسبة لشيء مع الله فلا ولد ، **﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾**: منقادون لا يمكن لهم الامتناع عن مشيئته ، **﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: مبدعهما وخالقهما بلا سبق شيء ، أو بديع سماواته وأرضه ، **﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾**: قدر وأراد ، **﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**، من كان التامة ، أي: يكونه فيكون ولا واجب أن هناك حقيقة قول كما ابتدأ المسيح بأمر كن من غير والد والملائكة كذلك ومن قرأ فيكون بالنصب فهو جواب الأمر، **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**: مشركوا العرب أو بعض اليهود والنصارى ، **﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾** ، أي : هلا يكلمنا عيانًا ، **﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾** ، كما قال تعالى: " لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض " الآية (الإسراء: ٩٠)، **﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾**: من كفار الأمم الماضية ، **﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**: في العناد ، **﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**: أيقنوا وطلبوا الحق لا من عاند واستكبر ، **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾**: متلبسًا ، **﴿بِالْحَقِّ﴾**: بالصدق ، **﴿بَشِيرًا﴾**: بالجنة ، **﴿وَنَذِيرًا﴾**: من النار ، **﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾** ، أي : لست بمسئول عنهم لِمَ لَمْ يؤمنوا ، ومن قرأ بصيغة النهى فذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال ذات يوم : ليت شعرى ما فعل أبواى ، فنزلت[2] وقيل

---

(١) غلب غير أولي العلم أولاً فقال ما في السماوات لأن ما يستعمل في الإبهام في مقام الوصف وكما يدل على التعظيم في بعض المواضع يدل على التحقير في بعض ، فهنا اتباع أولى العلم غيرهم تحقير لشأنهم ، والمقام يقتضيه ، وأما قانتون فعلى تغليب أولى العقل ، وهو الأصل أو نقول إن ما عام فلا تغليب والتغليب في قانتون على الأصل / ١٢ منه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه من طريق ابن جرير عن داود بن أبي

معناه لا تسئل عن حالهم فإنك لا تقدر أن تخبر عنها لفظاعتها ، ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾ ، كانوا يرجون أن يرجع محمد عليه الصلاة والسلام إلى دينهم حين كان يصلي إلى قبلتهم ، فلما صرفت القبلة أيسوا منه فأنزل الله ، ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم وقبلتهم ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ، ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾: الذي بعثني به ، ﴿هُوَ الْهُدَى﴾: طريق الحق ، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾: آراءهم الباطلة ، ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: القرآن والسنة ، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ[1] ﴾: يدفع عنك العقاب وهو تهديد شديد للأمة ، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ ، أي : جنس الكتاب من الكتب المتقدمة ، ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ ، حال

= عاصم مرفوعًا وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة هذا ما في الفتح وفي الوجيز وهذا القول بعيد جدًا فإنه متوسط بين فضائح أهل الكتاب والمشركين/ ١٢ .[كلام السيوطي على الطريق وتضعيفه لهما تراه في الدر المنثور (١/ ٢٠٩)، وقال في الحاوي (٢/٣٨٩): "لم يخرج -أي هذا الحديث- في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به، ولا يعول عليه"].

(١) وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهما فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولاً وأبان من أخلاقه لينًا لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حبائله فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأى منهار وتقليد على شفا جرف هار فهو ذلك ماله من الله من ولي ولا نصير ومن كان كذلك فهو لا محالة مخذول وهالك بلا شك وشبهة / ١٢ فتح .

كونهم لا يحرفونه ولا يكتمون ما فيه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ﴿**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ ، أي : بكتابهم دون من يحرفه ويكتمه ولا يحل ولا يحرم حلاله وحرامه أو أولئك يؤمنون بالقرآن لا من يحرف كتابه ، أو معناه الذين آتيناهم القرآن حال كونهم يتبعونه حق اتباعه هم المؤمنون بالقرآن لا غيرهم ، ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾، حيث اشتروا الكفر بالإيمان .

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ**﴾: عالمي زمانكم ، ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ**

يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ[1] ﴾ ، كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وكأنه الفذلكة والمقصود بالذات ، ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى**﴾: اختبر أي: عامل معاملة المختبر ، ﴿**إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**﴾: رَبُّ إبراهيم ، ﴿**بِكَلِمَاتٍ**﴾ ، في الكلمات[2] اختلاف كثير ، أي : شرائع وأوامر ونواهي أو ثلاثين خصلة عشر في البراءة ، "التائبون العابدون" (التوبة:١١٢) إلخ.. وعشر في أول سورة "قد أفلح المؤمنون" (المؤنون:١-٩)، و"سأل سائل" (المعارج:٢٢-٣٤)، وعشر في الأحزاب ، "إن المسلمين والمسلمات" (الأحزاب:٣٥) إلخ.. ، أو عشر خصال خمس في الرأس: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء[*] ، أو مناسك الحج ، أو أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: "فسبحان الله حين تمسون" (الروم:١٧) إلخ الآية أو الآيات التي بعدها " إني جاعلك للناس إماماً " وغيرها ، ﴿**فَأَتَمَّهُنَّ**﴾: أداهن تامات وقام بهن حق القيام ، ﴿**قَالَ**﴾ ، استئناف كأنه جواب لمن قال ماذا قال له ربه حين أتمهن ؟ ، أو بيان لقوله ابتلي ، عند من يقول هي الكلمات ، ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ**

---

(١) لما بين حكاية آدم وهو أب الجميع وفصل حكاية مخالفات بعض أولاده وعدولهم عن الاستقامة أخذ يبين حكاية أب العرب إبراهيم الذي وفى تحريضًا على متابعته وتحذيرًا عن أن يكونوا مثل بعض أولاده فقال : " وإذ ابتلى إبراهيم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قال ابن جرير: ما حاصله أنه لا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب يعني إن الكلمات هو قوله : " إني جاعلك للناس إمامًا " وقوله : " وعهدنا إلى إبراهيم " وما بعده / ١٢ فتح .

(*) أخرج هذا التفسير الحاكم في "المستدرك"، (٢/٢٦٦) عن ابن عباس من قوله، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبي.

﴿إِمَامًا﴾: يقتدى بك وإمامته مؤبدة إلى الساعة ، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ، عطف على الكاف ، أي : اجعل من أولادي أئمة ، ﴿قَالَ﴾: الله ، ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، في تفسيره أيضًا كثير خلاف الأرجح أنه إجابة لملتمسه وإشارة إلى أن في ذريته من لا يصلح للإمامة والنبوة ، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾: الكعبة ، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مرجعًا يأتون ثم يرجعون ثم يأتون أو موضع ثواب ، ﴿وَأَمْنًا﴾: من المشركين أبدًا فإنهم لا يتعرضون لأهل مكة ويتعرضون لمن حولها ، أو لا يؤاخذ الجاني الملتجئ إليها كما هو مذهب أبي حنيفة وقيل يأمن الحاج من عذاب الآخرة ، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، مقام إبراهيم الحجر المعروف ، أو مسجد الحرام أو الحرم أو مشاعر[1] الحج وقد صح(*) أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله هذا مقام أبينا إبراهيم ؟ قال: نعم ، قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله : " واتخذوا "(**) الخ وهو عطف على عامل إذ أعني اذكر ، أو مقدر بقلنا[2] ، ﴿مُصَلًّى﴾ ، يسن الصلاة خلفها أو مُدَّعىً ، ﴿وَعَهِدْنَا﴾: أمرنا ولأنه بمعنى الوحي عدى بإلى ، ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ ، أي : بأن طهراه من الأصنام[3] وما لا يليق[4] به أو ابنياه على التوحيد على اسمه وحده ، ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

---

(١) كعرفة ومزدلفة ومنى ومن فسر كلمات بمشاعر الحج فسر مصلى بمدعى فإن إبراهيم قام في هذه المواضع ودعا فيه / ١٢ منه .

(*) في حاشية النسخة: في البخاري وغيره/ ١٢منه.

(**) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: قوله ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾، (٤٤٨٣)، وفي غير موضع من صحيحه.

(٢) فيكون عطف على جعلنا البيت / ١٢ منه .

(٣) هذا قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء / ١٢ منه .

(٤) قال ابن جرير وغيره أنه كان يعبد عند البيت في زمن نوح الأوثان / ١٢ وجيز ومنه.

﴿السُّجُودِ﴾: لمن يطوف ولمن يجلس في المسجد ولمن يصلى ، أو المراد من الطائفين الغرباء ومن العاكفين المقيمين والركع السجود جمع راكع وساجد ، **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾**: المكان ، **﴿بَلَدًا آمِنًا[1]﴾**: ذا أمن ، أو آمنا من فيه ، **﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** ، من آمن بدل البعض أهله ، **﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾** ، عطف[2] على من آمن وهو من كلام الله ، نبه الله تعالى أن الرزق عام دنيوى لا كالإمامة ، أو مبتدأ تضمن معنى الشرط ، **﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾** ، خبره وقليلاً نصبه بالمصدر ، **﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾** ، أي : ألجئه إليها ، **﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (*)﴾** ، أي : العذاب[3] ، **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾**: الأساس ، **﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾**: ورفعها البناء عليها ، **﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾** ، كان يناوله الحجارة يقولان: **﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾** ، بنائنا البيت(**) ، **﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾**: لدعائنا ، **﴿الْعَلِيمُ ﴾**: بنياتنا ، **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾**: مخلصين منقادين ، **﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾** ، أي: اجعل بعض أولادنا ، **﴿أُمَّةً﴾**: جماعة ، **﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾**: خاضعة مخلصة والأصح أنها تعم[4] العرب وغيرهم ، **﴿وَأَرِنَا﴾**: أبصرنا ، **﴿مَنَاسِكَنَا﴾**: معالم

---

(١) نحو ليل نائم / ١٢ منه .

(٢) هذا العطف عطف تلقين كأنه قال : قل وارزق من كفر أيضًا فإنه مجاب/١٢ منه.

(*) في الأصل وما قبلها وما بعدها .

(٣) يعني : أن المخصوص بالذم محذوف / ١٢ .

(**) في حاشية النسخة: بالإثابة /١٢ منه.

(٤) قال السدي : يعنيان العرب قال ابن جرير الصواب أنه أعم لأن من ذريته بنى إسرائيل قال: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف:١٥٩)/ ١٢ منه .

حجنا أو مذابحنا ، ﴿وتُبْ عَلَيْنا﴾: مما فرط عنا ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[1]﴾: للتائب ، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمة المسلمة ، ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ[2]﴾ ، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿يَتْلُو﴾: يقرأ ، ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ﴾: القرآن ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة أو الفهم في الدين أو العلم والعمل به[3]، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: عن الشرك ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ﴾: الغالب ، ﴿الحَكِيمُ﴾: واضع الأشياء في محالها .

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ

---

(١) رحمته وإن اشتملت التائب وغيره لكن الرحيم هو المبالغ في الرحمة ولذلك خصها السلف بالتائب / ١٢ منه .

(٢) وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم : أنا دعوة أبي إبراهيم / ١٢ وجيز ومنه .[وهو حديث صحيح أخرجه أحمد (٥/٢٦٢) من حديث أبي أمامة مرفوعا، وانظر الصحيحة (١٥٤٦)، وصحيح الجامع (١٤٦٣)].

(٣) الأول قول الحسن وقتادة ومقاتل وأبي مالك وغيرهم والثاني قول عطاء والثالث قول محمد بن اسحاق / ١٢ منه .

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ
ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟
بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ
لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ
وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ
أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ ﴾

﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: استبعاد عن ذلك أي لا يرغب أحد ، ﴿**إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾: خسرها أو جهل[١] نفسه أو ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره والمستثنى بدل من ضمير يرغب لأنه في معنى النفي ، ﴿**وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا**﴾: اخترناه للرسالة ، ﴿**وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾: وهذه[٢] حجة وبيان لقوله "ومن يرغب" ، ﴿**إِذْ قَالَ**﴾ ، ظرف لاصطفينا أو بأضمار اذكر كأنه قال : اذكر ذلك

---

(١) فلم يعلم أنها مخلوقة لله ويجب عليها عبادة خالقها، وعن المبرد سفه بكسر الفاء متعد وفي الحديث الكبرأن تسفه الحق وتغمض الناس / ١٢ منه .

(٢) أي مجموع قوله ولقد اصطفيناه إلخ .

الوقت لتعلم أنه المصطفى ، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ[1]﴾: استقم على الإسلام أو أخلص العمل لله أو أسلم نفسك إلى الله وفوض أمرك إليه ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: حقق ذلك حيث لم يستعن بغير الله حين ألقي[2] في النار ، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا﴾: بالملة أو كلمة الإخلاص ، ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ ، أي وصى هو أيضاً بنيه ، ﴿يَا بَنِيَّ﴾ ، على إضمار القول أو متعلق بوصى لأنه نوع من القول ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾: دين الإسلام ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، أي : داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا عليه ، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ، منقطعة[3] والهمزة للإنكار أي : ما كنتم حاضرين، وهذا رد على اليهود حيث قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ ، تم الكلام ثم ابتدأ بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ ، كأنه قال : اذكر ذلك الوقت حتى لا تدعى إليه اليهودية أو متعلق بقالوا نعبد ، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ، نصبه على البدل من إله آبائك وإسماعيل عمه فهو من التغليب ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ، حال من معمول نعبد ، ﴿تِلْكَ﴾ ، أي: إبراهيم

(١) إن كان الأمر قبل النبوة عند استدلاله بالكواكب فأسلم على ظاهره و إلا فالمراد منه الثبات أو غير ذلك / ١٢ منه .

(٢) وذلك حين قال جبريل عليه السلام "ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا". / ١٢ منه .

(٣) قيل أم متصلة أى : تدعون على أنبياء اليهودية بلا سند أم كنتم حاضرين وفي البحر لا نعلم أحدًا أجاز حذف هذه الجملة ولا نحفظ ذلك في شعر ولا غيره وقيل منقطعة بمعنى بل للإضراب عن الكلام الأول لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه بل بمعنى الأخذ فيما هو أهم وقيل قد يجيء المنقطعة بمعنى الهمزة وحدها ويكون لمجرد الإنكار وهاهنا كذلك / ١٢ منه .

ويعقوب وبنوهما ، ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ، ﴿لَهَا لها ما كسبت﴾: من العمل ، ﴿ولَكُم﴾: يا معشر اليهود ، ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾ ، أي : انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم ، ﴿ولاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: لا تؤاخذون بسيئاتهم ، كما لا تثابون بحسناتهم ، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ ، قالت اليهود للمؤمنين : كونوا على ديننا فهو الحق ، وقالت النصارى مثله ، ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، أي : نكون أهل ملته ، أو نتبع ملته ، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الباطل إلى الحق حال عن إبراهيم ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وهذا تعريض للمخلطين ، ﴿قُولُوا﴾: أيها المؤمنون ، ﴿آمَنَّا باللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: القرآن ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء ، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى و عِيسَى﴾ ، أفردهما بحكم(١) أبلغ لأن التراع فيهما ، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾: المذكورون وغيرهم ، ﴿مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: كاليهود يكفر ببعض ويؤمن ببعض واحد بحسب(٢) الوضع يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله ، ﴿مُسْلِمُونَ ﴾: مخلصون منقادون ، ﴿فَإِنْ(٣) آمَنُوا﴾ ، أي : أهل الكتاب ، ﴿بِمِثْلِ مَا(٤) آمَنتُم بِهِ﴾ ، المثل صلة والباء زائدة أي : مثل إيمانكم بالمذكور ، أو هو من باب التعجيز إذ لا مثل لدين الإسلام نحو قوله تعالي : "فأتوا بسورة من مثله" (البقرة:٢٣)، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا

---

(١) وهو الإيتاء فإنه أبلغ من الإنزال / ١٢ منه .

(٢) فهو اسم لمن يصح أن يخاطب ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير موجب، نص على ذلك أبو علي وغيره من أئمة العربية / ١٢ منه .

(٣) جاء بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير / ١٢ منه .

(٤) أي : حصلوا دينًا آخر مثل دينكم مساويًا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا/١٢ منه.

عن الإيمان ، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف ونزاع ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ ، تسكين للمؤمنين ووعد بالحفظ والنصرة ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، من تمام الوعد والوعيد لا في طلب حق، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ، من تتمة المقول أي: قولوا التزمنا(١) دين الله ، أو صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغ حلية المصبوغ ، نقل أن النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر ويقولون : هو تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم فيكون للمشاكلة ، ونقل أن بني إسرائيل قالوا لموسى : هل يصبغ ربك ؟ فناداه(٢) ربه أن قل نعم أنا أصبغ الألوان وأنزل الله على نبيه : " صبغة الله " ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾(*): لا صبغة أحسن من صبغته ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾: مطيعون لا نشرك به كشرككم عطف على آمنا ، ﴿قُلْ﴾: يا محمد لأهل الكتاب ، ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾: أتجادلوننا(٣) ، ﴿فِي اللَّهِ﴾ ، في دين الله وأمره حيث قالوا

---

(١) قدرنا التزمنا ليكون داخلاً في مقول قولوا آمنا لأنه لو قدرنا الزموا كما قدره كثير من المفسرين يلزم فك النظم لأن قوله: "ونحن له عابدون" عطف على "آمنا" ، فيلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي وهو قوله: "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" فإنه ليس من مقول قولوا حينئذ وقيل: نقدر الزموا ، وقوله: "ونحن له عابدون" مقدر بالقول ، أي : وقولوا : نحن له عابدون فلا يلزم فك النظم وأنت تعلم أن ما ذكرناه أقل حذفًا وأمتن فتدبر / ١٢ منه .

(٢) عن سيبويه أن صبغة الله مصدر مؤكد لقوله : " آمنا بالله " فإن الإيمان يطهر النفوس كأنه قال : طهرنا الله تطهيره / ١٢ .

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (١/٨٩) وعزاه إلى ابن مردويه ابن أبي حاتم من طريق أشعب بن إسحاق عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعا. وقال: "كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعا، وفي رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده".

(٣) أتجادلوننا في شأن الله واصطفاءه النبي من العرب دونكم؟! / ١٢ منه .

الأنبياء منا فنحن أولى بالله منكم ، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: لا اختصاص له بقوم دون قوم ، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: لكلٍّ جزاء عمله فليس ببعيد أن يكرمنا الله تعالى ، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: موحدون ، أي : لنا هذا المزيد دونكم ، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ ، أم منقطعة والهمزة للإنكار ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ، "ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا" (آل عمران:٦٧)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ[1] مِنَ اللَّهِ﴾ ، يقرأون في التوراة أن الدين الإسلام وأن هؤلاء الأنبياء برآء من اليهودية والنصرانية ، فشهد الله بذلك فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، وعيد لهم ، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، كرر مبالغة في الزجر عما في الطباع من الاتكال بالأشراف من الآباء ، قيل: الخطاب فيما سبق لأهل الكتاب وفي الآية لنا ، وقيل : المراد بالأمة في الأول: الأنبياء وفي الثاني: أسلاف أهل الكتاب.

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ

---

(١) الظرفان كلاهما صفة شهادة / ١٢ منه .

وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

﴿**سَيَقُولُ**[١] **السُّفَهَاءُ**[٢] **مِنَ النَّاسِ**﴾: اليهود ومشركو مكة، ﴿**مَا وَلاَّهُمْ**﴾: ما صرفهم، ﴿**عَن قِبْلَتِهِمُ الَتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾، وهى الصخرة، ﴿**قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ**

---

(١) ظاهر فى الاستقبال وهو خبر من الله قبل استقبالهم الكعبة، فهو من المعجزات، وذهب قوم إلى أنه نزل أولا " قد نرى تقلب وجهك فى السماء "، ثم نزل سيقول السفهاء نص على ذلك ابن عباس وغيره وحديث البخارى، وهو أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهرًا وكان يجب التوجه نحو الكعبة، فنزل " قد نرى تقلب وجهك فى السماء " الآية، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: " ما ولاهم عن قبلتهم " الآية فقال الله تعالى: " قل لله المشرق والمغرب " فعلى هذا السين دل على أنهم كما صدر عنهم فى الماضى يصدر عنهم فى الآتى، فهم فى ضلالتهم فى الأول والثانى / ١٢ وجيز [أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم..." (٤٤٨٦)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "المساجد ومواضع الصلاة" (٢/١٦٠)].

(٢) الذين خف أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر / ١٢ بيضاوى .

وَالْمَغْرِبُ﴾: ملكًا لا يختص به مكان دون مكان، ﴿يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: تقتضيه الحكمة فتارة إلى الصخرة ثم إلى الكعبة، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما هديناكم صراطًا مستقيمًا، وقيل إشارة إلى ولقد اصطفيناه فى الدنيا، أي: كما اخترنا إبراهيم عليه السلام، ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا(١)﴾: عدولا خيارًا، ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾: على صدقكم، ﴿شَهِيدًا﴾، وذلك لأن الأمم يجحدون يوم القيامة تبليغ الأنبياء، فالأنبياء يأتون بأمة محمد -عليه الصلاة والسلام- فيشهدون بالتبليغ، فتقول الأمم: من أين عرفتم ؟، فيقولون: أخبرنا نبينا فى كتابه(*)، ثم يزكيهم محمد عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَمَا(٢) جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ(١) الَّتِى كُنتَ

---

(١) وقد ثبت عن النبى -صلى الله عليه وسلم- تفسير الوسط هاهنا بالعدل رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم مرفوعًا فوجب الرجوع إلى ذلك/١٢ فتح [بل ثبت هذا التفسير فى البخارى مرفوعًا (ح٤٤٨٧)].

(*) أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا...**". (٤٤٨٧)، وفى غير موضع من صحيحه.

(٢) قيل: التصير الانتقال، فالمتلبس بالحالة الأولى هو المفعول الأول، وبالحالة الثانية هو الثانى، نحو: جعلت الطين، خزفًا والجاهل عالمًا، فعلى هذا، التى كنت عليها هو المفعول الأول، لا كما قاله الزمخشرى: ما صيرنا قبلتك الآن الجهة التى كنت عليها أولا، ثم قال: كان -صلى الله عليه وسلم- يصلى إلى الكعبة ثم صلى إلى بيت المقدس، ثم أمر أن يصلى إلى الكعبة، وكل واحد من الكعبة، وبيت المقدس صالح لأن يوصف بقوله التى كنت عليها لأنه قد كان عليه السلام متوجهًا إليهما فى وقتين فافهم / ١٢ منه.

ومفعوله الثانى، إلا لنعلم كما تقول: ضرب زيد للتأديب، أى: كائن له وعلى هذا يحتمل أن يراد بالقبلة الكعبة، ويحتمل أن يراد بيت المقدس إذ كل منهما متصف بأنه كان عليه م ١٢ منه .

﴿عَلَيْهَا﴾، أى: أصل أمرك استقبال الكعبة، فإنها قبلة إبراهيم، لكن جعلنا قبلتك بيت المقدس، وقوله: " التى كنت عليها " أحد مفعولى جعل، أى: الجهة التى كنت عليها(٢)، وقيل: تقديره وما جعلنا تحويل القبلة التى كنت عليها، وعلى هذا التى صفة القبلة أقول والله أعلم بمراده: يحتمل أن يراد من التى كنت عليها الكعبة، أى: خاطرك مائل إليها، فإن الأصح أن القبلة قبل الهجرة الصخرة لكن خاطره الأشرف مائل إلى أن تكون الكعبة قبلة، ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ(٣)﴾: علمًا حاليًا يتعلق به الجزاء، ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾: عند نسخ القبلة، ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾: يرتد، والظاهر أن تقديره متميزًا، ممن ينقلب حال من فاعل يتبع، أو ثانى مفعولى نعلم، وقد نقل أن كثيرًا من المسلمين ارتدوا عند تحويل القبلة، ظنًا منهم أن هذا حيرة منه عليه الصلاة والسلام، ﴿وَإِن كَانَتْ﴾، أى التولية(*)، وإن مخففة، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: ثقيلة، ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أى: هداهم الله، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: بالقبلة الأولى، وتصديقكم واتباعكم نبيكم فى القبلة الثانية، أو صلاتكم إلى الصخرة، ففى

---

(١) (حديث) صلى النبى -صلى الله عليه وسلم- فى مسجد بنى سلمة ركعتين فتحول إلى الكعبة فى الصلاة، وتبادل الرجال والنساء الصفوف، فسمى المسجد ذا القبلتين، كذا ذكره البيضاوى، وقال السيوطى: هذا تحريف للحديث، فإن قصة بنى سلمة لم يكن فيها النبى -صلى الله عليه وسلم- إماما، ولا هو الذى تحول فى الصلاة/١٢.

(٢) قبل هذا الوقت وهى بيت المقدس / ١٢ منه .

(٣) العلم هاهنا بمعنى الإدراك فلا يطلب إلا مفعولاً واحدًا وثانى مفعوليه ممن ينقلب، وقيل: من استفهامية مبتدأ، ويتبع خبره فيكون العلم من المتعدى إلى مفعولين معلقًا بالاستفهام عن العمل / ١٢ منه .

وقيل: معناه فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم / ١٢ منه .

(*) فى حاشية النسخة: إلى الكعبة/١٢منه.

الصحيح(*) أن الصحابة سألوا كيف حال إخواننا الذين ماتوا على القبلة الأولى ؟ فنزلت، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ(١)﴾، فلا يضيع أجورهم والرءوف أبلغ من الرحيم، ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾، أى: تردد وجهك فى جهة السماء انتظارًا لجبريل والوحى بتغيير القبلة، فإنه يحب أن تكون "قبلةً" قبلة أبيه إبراهيم، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾، نمكننك استقبال قبلة من وليته كذا، أى صيرته واليًا له، ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، تحبها، ﴿فَوَلِّ﴾: اصرف، ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أى: نحوه، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾، من بر وبحر، وهو بمعنى الشرط، أى: أينما كنتم(٢) فالفاء، ﴿فَوَلُّوا﴾، للجزاء، ﴿وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، حين الصلاة، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: اليهود، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أمر الكعبة، ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، ليقينهم بحقية محمد عليه الصلاة والسلام، وبأن الكعبة قبلة إبراهيم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من العلم وكتمانه، ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: دالة على أن الكعبة قبلة، ﴿مَّا(٣) تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، لأنهم حساد جاحدون، ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾، قطع لأطماع اليهود الرجوع إلى الصخرة ثانيًا، ﴿وَمَا بَعْضُهُم(٤) بِتَابِعٍ

(*) أخرجه البخارى فى "التفسير"، باب: "سيقول السفهاء من الناس..." (٤٤٨٦).

(١) قيل: معناه لرءوف بالمؤمنين فى الدارين رحيم على الفاسقين، وقيل: قدم الرءوف محافظة على الفواصل / ١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون حيث ما كنتم ظرفًا لقوله فول لأنه يلزم اجتماع حرفى العطف/١٢ منه .

(٣) قوله: " ما تبعوا " جواب قسم محذوف، دل عليه اللام الموطئة فى " ولئن أتيت " سد مسد جواب الشرط / ١٢ منه .

(٤) قال الحافظ ابن القيم فى بدائع الفوائد: قبلة أهل الكتاب ليست بوحى وتوقيف من الله؛ بل بمشورة واجتهاد منهم، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم فى الإنجيل ولا فى =

قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى مطلع الشمس، فمحال أن تراعى خاطرهم، إن أردت مثلا لاختلافهم، **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾**، مثلاً، **﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلْمِ﴾**، بأن لك الحق بالوحى، **﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾**، مثلهم وبالحقيقة هذا تهديد لأمته، **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾**: علماءهم، **﴿يَعْرِفُونَهُ﴾**: محمدًا بنعته وصفته، **﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾**: كمعرفتهم أبناءهم بلا التباس، **﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾**، أي: نعته وصفته، أما العوام فلا يعرفون شيئًا، وأما المؤمنون منهم فلا يكتمون، **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾**، فإنهم يقرؤن فى كتابهم، **﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾**، مبتدأ أو خبر واللام للإشارة إلى الحق الذى يكتمونه، أو إلى ما عليه محمد عليه الصلاة والسلام، أو تقديره هو الحق(١) حال كونه من ربك، **﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾**: الشاكين فيما أخبرتك، وهذا مبالغة فى تحقيق الأمر، أو أمر للأمة .

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ

= غيره باستقبال المشرق وهم يقرون بأن قبلة المسيح قبلة بنى إسرائيل، وهى الصخرة وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر، وأما اليهود فليس فى التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا إليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة / ١٢ فتح .

(١) حال مؤكدة وجاز أن يكون خبرًا بعد خبر / ١٢ منه .

حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ
أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾: من أهل الأديان، ﴿وِجْهَةٌ﴾: قبلة، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: وجهه، ووجهة الله حيث توجه المؤمنون، أو الله مولى الأمم إلى قبلتهم، ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: بادروا، ﴿الخَيْرَاتِ﴾: قبول أمر القبلة وغيره، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾، أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يحشركم إليه ويجازيكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الإماتة والإحياء والجمع، ﴿قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: من أى مكان خرجت، افعل ما أمرت به، فالفاء فى، ﴿فَوَلِّ﴾، للعطف[1] على مقدر، ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، إذا صليت، ﴿وَإِنَّهُ﴾: المأمور به، ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ

(١) لا مساغ فى عمل " فول " فى " ومن حيث خرجت " لاجتماع حرفى العطف، وإن جوزنا إعمال ما بعد الفاء فيما قبله، فالوجه أنه متعلق بمحذوف كما قدرنا، وجاز أن تجعل " ومن حيث خرجت " فى معنى الشرط، أى: أينما كنت وتوجهت، فالفاء للجزاء، صرح بذلك العلامة التفتازانى واخترناه فى " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم " / ١٢ منه .

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، لما كان النسخ من مظان الفتن والشبه، أكد وكرر وبالغ مرارًا، ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾، أحد من الآحاد، ﴿عَلَيْكُمْ[1] حُجَّةٌ[2]﴾، فإن اليهود قالت: مادرى[3] محمد أين قبلته حتى هديناه، فلما صرفت القبلة بطلت صورة حجتهم، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: من الناس، كمشركى مكة، فإنهم قالوا: محمد قد تحير فى دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، والاستثناء متصل، قيل: معناه لئلا يكون لأحد من اليهود حجة، إلا للمعاندين منهم، فحجة المنصفين أن يقال لم لا يحول إلى قبلة إبراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة؟ وحجة المعاندين، أنه ما ترك قبلة الأنبياء إلا ميلاً إلى دين قومه، والمراد من الحجة ما يساق سياقها، ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾، المشركين، فمطاعنهم لا تضركم، ﴿وَاخْشَوْنِي﴾: فلا تخالفوا أمرى، ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾، بتكميل الشريعة، وهو عطف على قوله لئلا يكون، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكى تهتدوا أنتم خصوصًا إلى قبلة إبراهيم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، متصل بما بعده، أى: كما ذكرتكم بالإرسال، فاذكرونى، أو بما قبله، ومعناه: ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة كما أتممتها فى الدنيا بإرسال رسول منكم، ﴿رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملكم ما تصيرون به أزكياء من رذائل الأخلاق، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: بالفكر من الأحكام

---

(١) الظاهر أن عليكم حال من حجة، والناس خبر يكون ١٢ منه .

(٢) قيل: حجة الظالمين هى أنه يزعم أن دينه دين إبراهيم، فإن كان بيت المقدس قبلة إبراهيم فلم تحول عنه / ١٢ منه .

(٣) هكذا فسره أبو العالية ومجاهد وعطاء والضحاك وربيع بن أنس وقتادة والسدى/١٢ منه.

والشرائع، ﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بالطاعة أو فى الرخاء، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالمغفرة أو فى الشدة، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: نعمى، ﴿وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾، بجحد نعمى، ومن أطاع الله فقد شكر ومن عصاه فقد كفر .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ﴾: عن المعاصى، ﴿وَالصَّلاةِ﴾، التى هى أم العبادات[1]، ﴿إِنَّ[2] اللَّهَ مَعَ[3] الصَّابِرِينَ﴾: بالعون

---

(١) الفارق بين الكفر والإيمان والصبر أمر قلبى، والصلاة ثمرته، وهى من أشق التكاليف لتكررها فى كل يوم وليلة / ١٢ وجيز .

(٢) قال شيخ الإسلام فى شرح حديث الترول: ولفظ المعية فى كتاب الله جاء عامًا، كما فى قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم" [الحديد:٤] وفى قوله:" ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" إلى قوله "هو معهم أينما كانوا" [المجادلة:٧] وجاء خاصًا كما فى قوله: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" [النحل:١٢٨]، وقوله: "إنى معكما أسمع وأرى" [طه:٤٦]، وقوله: "لا تحزن إن الله معنا" [التوبة:٤٠] ولو كان المراد أن الله بذاته مع كل شيء، لكان التعميم يناقض التخصيص فإنه قد علم أن قوله: " لا تحزن إن الله معنا " أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " خصهم بذلك دون الظالمين والفجار، وأيضاً فلفظ المعية ليست فى لغة العرب ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما فى قوله: "محمد رسول الله والذين معه" [الفتح:٢٩]، قوله: "فأولئك مع المؤمنين" [النساء:١٤٦]، وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة:١١٩]، وقوله: "وجاهدوا معكم" [الأنفال:٧٥]، ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله: "وهو معكم" [الحديد:٤] يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر، وبين أن لفظ المعية فى اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد، ولم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . انتهى مختصرًا / ١٢ .

(٣) ولما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر، قال: "إن الله مع الصابرين" اندرج المصلون تحت الصابرين، اندراج الفرع تحت الأصل / ١٢ منه .

والنصرة، ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هم، ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾، هم، ﴿أَحْيَاءٌ﴾، نزلت فى قتلى[1] بدر من المسلمين وأرواح[2] الشهداء فى أجواف طير خضر تسرح فى الجنة، ﴿وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾: ما حالهم، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: ولنصيبنكم إصابة من يختبركم، ﴿بِشَيْءٍ﴾، أى: قليل، ﴿مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، أى: القحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ﴾: خسران الأموال، ﴿وَالأَنفُسِ﴾: الموت أو هو المرض والشيب، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: الحوائج، وحكى عن الشافعى رضى الله عنه: الخوف، خوف الله والجوع رمضان، ونقص الأموال الزكوات والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا محمد، ﴿الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: مما ذكر، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيد أو ملكًا، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾: فى الآخرة فلا يضيع عمل عامل، ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مغفرة[3]، أو ثناء من الله وأمنة من العذاب، ولكثرتها وتنوعها جمعها، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ[4]﴾، لطف وإحسان، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الصواب أو إلى الجنة، ﴿إِنَّ الصَّفَا

---

(١) هم أربعة عشر / ١٢ منه .

(٢) هذا الحديث مذكور فى صحيح مسلم وتتمته (تسرح فى الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش) / ١٢ منه[أخرجه فى الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة (٤/٥٥٠)] .

(٣) فى مسند الإمام أحمد، وسنن ابن ماجة (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها، فيسترجع، إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه/١٢ منه[وهو حديث ضعيف، انظر تعليق الشيخ الألبانى على المشكاة (١٧٥٩)].

(٤) قال الزمخشرى: عطف الرحمة على الصلوات بمنزلة أن يقال: عليهم رأفة ورحمة بعد رحمة / ١٢ منه .

﴿وَالْمَرْوَةَ[1]﴾: جبلان بمكة، ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام مناسكه، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾، الحج والعمرة عبادتان معينتان فى الفقه، ﴿فَلاَ جُنَاحَ﴾: إثم، ﴿عَلَيْهِ﴾، فى، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: بالجبلين، كان فيهما صنمان معروفان، وأهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الحق وزهق الباطل، كره المسلمون الطواف بينهما فأنزل الله، وعند الشافعى: هو ركن الحج بدليل الأحاديث والآية لا[2] تنافيه، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، من صلاة وزكاة وطواف وغيرها، أو تطوع بالسعى عند من يرى أنه سنة[3] ونصب خيرًا على المفعول المطلق، أو تطوع بمعنى: فعل وأتى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مجازيه بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾، لا يخفى عليه خافية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا﴾، علماء اليهود، ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾، صفة محمد، وآية الرجم، وغيرهما، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾: جميع الخلق سوى الجن والإنس أو الملائكة والجن والإنس المؤمنون، يعنى: يقولون اللهم العنعم قد نقل[4] أن البهائم والطيور إذا اشتدت السنة تلعن عصاة بنى

---

(١) ولما كان الحج أخا الجهاد، وسماه النبى -صلى الله عليه وسلم- أحد الجهادين، وفيه نقص الأموال، والصبر على هجران الأصحاب، وترك الوطن، وفيه مشاهدة القبلة، وهى متمنى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال: " إن الصفا والمروة من شعائر الله " / ١٢ وجيز.

(٢) إذا عرفت مورده كما ذكرناه، بل قوله: " من شعائر الله " أى: ما شرع الله تعالى فى مناسك الحج يؤيده / ١٢ منه .

(٣) وهو مذهب ابن عباس وأنس والزهرى / ١٢ منه .

(٤) فى الحديث: إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه، تسمعها كل دابة غير الثقلين، فتلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قوله تعالى: " أولئك يلعنهم الله " إلخ.. رواه ابن أبى حاتم / ١٢ منه .

آدم(*)، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾: رجعوا عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، ما أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُوا﴾: للناس ما كانوا كتموه، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: بالقبول والمغفرة، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: المبالغ فى قبول التوبة، ﴿الرَّحِيمُ﴾: كثير الرحمة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتوا على الكفر، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، المراد من الناس المؤمنون، أو هذا فى الآخرة يوقف الكافر فيلعنه جميع الناس، حتى إنه يلعن نفسه، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: فى اللعنة، ﴿لاَ يُخَفَّفُ[1] عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أى: لا يمهلون، أو لا ينتظرون ليعتذروا، وقيل: لا ينظر إليهم نظر رحمة، ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، كفار قريش قالوا: يا محمد! صف لنا ربك فأنزل الله، ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: ليس فى الوجود إله غيره، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، هما كالحجة لوحدانيته، فإنه مولى النعم وحده، فغيره لا يستحق العبودية، ولما سمعه المشركون، قالوا: إن كنت صادقًا فى أن لا إله إلا الله فأتنا بآية، فأنزل الله .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

(*) أخرج ذلك سعيد بن منصور فى سننه وابن جرير على مجاهد من قوله.

(١) هذه الآية مكذبة لمن يدعى أن الكفار بعد مدة فى النار لا يجدون ألم الحرقة أو هم غير معذبين/١٢ وجيز .

ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ[1] السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: تعاقبهما، ﴿وَالْفُلْكِ الَتِى تَجْرِى فِى البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: بنفعهم أو بالذى ينفعهم من الركوب والحمل، ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾، السماء السحاب، أو الفلك، أو جانب العلو، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: جدوبتها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، فرق فى الأرض، عطف على أحيا، والمجموع صلة، أو على ما أنزل بتقدير الموصول، أى: وما بثه، ﴿مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾، فى مهابها وأحوالها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، أى: المذلل لأمر الله، بينهما لا ينزل ولا ينقشع، ﴿لآيَاتٍ﴾: دلالات على وحدته، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتفكرون فيها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾: أصنامًا جعلوا له أمثالاً يعبدونهم، ﴿يُحِبُّونَهُمْ[2] كَحُبِّ اللَّهِ﴾: يعظمونهم كتعظيمه، أى: يسوون بينه

---

(١) أى إيجادهما أو خلقهما وشكلهما كما يقال: خلق فلان أحسن أى شكله/ ١٢ منه .

(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة: أما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة وهو أن يتخذ من دون الله تعالى ندًا يحبه كما يحب الله تعالى، وهو الشرك الذى تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولذا قالوا لآلهتهم فى النار: "تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين"[الشعراء: ٩٧،٩٨] مع إقرارهم بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء ومليكه وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تميت ولا تحيى وإنما كانت هذه التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حـــال أكثر =

وبينهم فى الطاعة، أو يحبونهم كحب المؤمنين الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾،

= مشركى العالم بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله تعالى؛ وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله تعالى ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله تعالى، ويغضبون بتنقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم ما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتقصت حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث أو الكلب، وإذا انتهكت حرمات الله تعالى لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئًا رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم قد شاهدنا نحن وغيرنا هذا منهم جهرة انتهى . وقال الإمام تقى الدين أحمد بن على المقريزى رحمه الله: ومن أجل الشرك وأصله الشرك فى محبة الله قال تعالى: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله " فأخبر سبحانه أنه من أحب مع الله شيئًا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندًا من دونه، وهذا على أصح القولين فى الآية، أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور فى قوله تعالى: "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون"[الأنعام: ١] والمعنى: على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره فى العبادة فيسوون بينه وبين غيره فى الحب والعبادة وكذلك قول المشركين فيا لنار لأصنامهم "تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين"[الشعراء: ٩٧،٩٨] ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله فى كونه ربهم وخالقهم فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله تعالى وحده، وأنه رب السماوات ورب العرش العظيم، وأنه هو الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى فى المحبة، والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله تعالى، فكيف بمن كان غير الله تعالى أتم عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو فى مرضاته أشد سعيًا منه فى مرضات الله ؟، فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره فى ذلك مشركًا فما الظن بهذا ؟ فعياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد – انتهى.

لأنه لا تنقطع محبتهم عن الله عز وجل بحال، أما المشركون إذ اتخذوا صنمًا ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول، وأيضًا يعرضون عن معبودهم[1] حال البلاء، قال تعالى: " فإذا ركبوا فى الفلك " [العنكبوت:٦٥]، ﴿وَلَوْ يَرَى﴾: لو يعلم، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، باتخاذ الأنداد، ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾: عاينوه يوم القيامة، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾، ساد مسد مفعولى يرى، وجواب لو محذوف، أي[2]: لو يعلمون أن القدرة لله جميعًا لا قدرة لأندادهم، إذ يرون العذاب، أى: يوم القيامة، لندموا أشد الندامة، ومن قرأ ولو ترى بالتاء، فالذين ظلموا مفعوله من رؤية البصر، وإذ يرون العذاب بدل من الذين، وأن القوة بدل اشتمال من العذاب، وجواب لو محذوف أيضًا أى لرأيت أمرًا فظيعًا، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾: القادة من الملك وغيره، وهو بدل من إذ يرون، فيكون ظرفًا لقوله أن القوة، ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الأتباع، يقول الملائكة: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون"[القصص:٦٣]، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾، الواو للحال، وقد مضمرة، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾، أى: بسبب كفرهم، أومتلبسًا ومتصلاً بهم، ﴿الأَسْبَابُ﴾، أى: المودة، أو كل وصلة بينهم فى الدنيا، أو الأعمال التى يعملوها فى الدنيا، أو الحيل وأسباب الخلاص، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الأتباع، ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، أى: ليت لنا رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإراء الفظيع، ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: سيئاتهم، أو حسناتهم التى ضيعوها، ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: ندامات وهو ثالث مفاعيل يريهم، أو حال على أنه من رؤية البصر، ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، أصلاً .

---

(١) نقله محى السنة عن قتادة / ١٢

(٢) فى أيام حياتهم / ١٢ منه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ
إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ
أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ
(١٧٠) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ
بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (١٧١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ
بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٧٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٌ (١٧٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ
أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ (١٧٦) ﴾

﴿يا أَيُّها(١) النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾، نزلت فى قوم حرموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر، وحلالاً مفعول كلوا، أو حال من ما فى

(١) ولما بين من اتبع غير الأنبياء وهددهم بأن غيرهم فى مآلهم وبال عليهم والتابع متبرئ عن المتبوع تلطف بالنداء للكل فقال: "يا أيها الناس " الآية / ١٢ منه .

الأرض، والطيب ما يستطاب فى نفسه، غير ضار للأبدان والعقول[1] أو المستلذ، ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أى: سبله وطرقه، يعنى لا تقتدوا به، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، عند ذوى البصيرة، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾: المعاصى كلها أو معصية لا حد فيها، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: معصية فيها حد أو البخل، ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾: كاتخاذ الأنداد، وتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: لهؤلاء المشركين، أو طائفة من اليهود[2]، ﴿اتَّبِعُوا[3] مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا، ﴿عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾، الواو للعطف أو الحال والهمزة للتوبيخ والتعجيب، وجواب لو محذوف، أى: لو كان آبائهم جهلاء لاتبعوهم، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فيما هم فيه من الجهل والضلال، ﴿كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾، أى: كمثل الدواب السارحة التى لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أى: دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، هكذا نقل فى تفسيرها عن السلف، وحاصله أنهم فى انهماكهم فى تقليد الجهل كالبهائم التى ينعق راعيها بها

---

(١) فسره بذلك أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) الأول: قول بعض السلف والثاني: قول ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) وإنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيهًا على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال وترك التأويل على ما يقع فى الخاطر أو على ما يقوله الغير من غير دليل كذا فى الكبير وكم من آية بينة وأثر جلى تدل على ذم التقليد والمقلدين وألف الحافظ الواحد المتكلم ابن القيم فى ذلك كتابًا ضخيمًا سماه "إعلام الموقعين عن رب العالمين"/١٢.

فتسمع الصوت ولا تفهم معناه، وقيل: تقديره مثل داعى الذين كفروا معهم "كمثل الذى" الآية وهو الأظهر، **﴿صُمٌّ﴾**: عن سماع الحق، **﴿بُكْمٌ﴾**: لا يتفوهون به، **﴿عُمْيٌ﴾**: من رؤية مسلكه، **﴿فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾**: ولا يفهمونه، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾**: حلالات، **﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**، لما أباح الله للناس ما فى الأرض سوى ما حرم، أمر المؤمنين أن يتحروا حلالاته ويقوموا بحقوقها فقال: **﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾**: على ما أحل لكم، **﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾**: إن صح أنكم تختصونه بالعبادة فإن عبادتكم لا يتم إلا بالشكر، **﴿إِنَّمَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾**: التى ماتت من غير ذكاة، **﴿وَالدَّمَ﴾**، أى: دمًا[1] مسفوحًا والسمك والجراد والكبد والطحال مستثنى بالحديث[*]، **﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾**: وتخصيص[2] اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل، **﴿وَمَا أُهِلَّ[3] بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾**: ما ذكر اسم غير الله عند ذبحه، وهذه

---

(١) يعنى كل من الكبد والطحال يصدق عليه أنه دم مسفوح كالخمر المتجمد فإنه نجس لأنه مسكر مائع فإنه كان كذلك / ١٢ منه .

(*) يعنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "أحل لنا ميتتان ودمان، الحوت والجراد، والكبد والطحال" أخرجه أحمد (٢/٩٧)، وابن ماجه (٣٣١٤) وغيرهما، وانظر الصحيحة (١١١٨)، وصحيح الجامع .

(٢) مع أن جميع أجزائه حرام نجس كشحمه / ١٢ منه .

(٣) قوله وما أهل، أصل الإهلال رفع الصوت، أى: ما ذبح للأصنام والطواغيت وصيح فى ذبحه بغير الله، ولا خلاف فى تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن، قال مجاهد: يعنى ما ذبح لغير الله . أخرجه ابن أبى حاتم وفى تفسير النيسابورى للنظام قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى / ١٢ فتح، وقال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية فى كتابه الـــصراط =

الآية رد على من حرموا على أنفسهم أشياء من عند أنفسهم، فالمراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقًا فلا يرد أن المحرمات غيرها كثيرات، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: أحوج ولجئ إليه، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خارج على السلطان[١] أو مستحله أو آكله من غير[٢] اضطرار أو متجاوز القدر الذى أحل له وقيل باغ بالاستئثار على مضطر آخر، ﴿وَلاَ عَادٍ﴾، متعد عاص بسفره أو غيره متعد ما حد له، فيأكل أكثر مما يمسك رمقه[٣]، أو يتعدى حلالا وهو يجد عن الحرام[٤] مندوحة، ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فى تناوله، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، حيث رخص بالأشياء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾،

= المستقيم فى الكلام على هذه الآية: الظاهر أنه ما ذبح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه يحرم، وإن قال فيه: باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن تجتمع فى الذبيحة مانعان . انتهى.

أقول أراد بذلك أن النحر عبادة مختصة بالله تعالى، كالصلاة فالنحر للأموات عبادة لهم، قال تعالى: " فصل لربك وانحر "[الكوثر:٢] والنحر من النسك، "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين"[الأنعام:١٦٢] / ١٢ .

(١) الأول قول سعيد بن جبير ومجاهد، والثانى لمقاتل بن حيان، والثالث للسدى، والرابع لابن عباس وعثمان بن عطاء الخراساني/١٢ منه .

(٢) كأنه قال اضطرارًا واقعيًا / ١٢ منه .

(٣) هذا قول قتادة / ١٢ .

(٤) أى: سعة يعنى يجد شيئًا يسد رمقه من الحلال / ١٢ منه .

رؤساء اليهود، ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ﴾: من نعت محمد -صلى الله عليه وسلم- وغيره، ﴿وَيَشْتَرُونَ[1] بِهِ﴾: بما أنزل الله، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، من مال يأخذونه من سفلتهم كما مر، ﴿أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، أى: لا يأكلون يوم القيامة ملأ بطونهم[2] إلا النار، ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾، كناية عن الغضب، أو لا يكلمهم بما يسرهم، ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يمدحهم ولا يثنى عليهم أو لا يطهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾: فى الدنيا، ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ[3]﴾: فى الآخرة، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، تعجب من حالهم، وما تامة مبتدأ، أو استفهامية توبيخية، ما بعدها الخبر، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: ذلك العذاب، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الكِتَابَ﴾، أى: جنس الكتاب أو القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾، وهم أخذوه هزوًا، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ﴾، أى: فى جنس الكتاب، والاختلاف الإيمان ببعض دون بعض، أو فى التوراة، والاختلاف التحريف أو فى القرآن واختلافهم تكذيبه بأنه سحر وشعر، ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: لفى خلاف بعيد عن الحق .

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

---

(١) يستبدلون بأن يأخذوا ثمنًا قليلًا ويكتمون ما أنزل الله / ١٢ منه .

(٢) قيل إن الرشاء التى يأكلونها تصير فى أجوافهم نارًا لكن لا يحسون بها إلا بعد الموت/١٢ منه .

(٣) جاز أن يكون المراد اعتاضوا عن المغفرة، أى: أسبابها بأسباب العذاب فيكون هو أيضًا فى الدنيا/ ١٢ منه .

ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى
ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ
بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا
ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ
مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ
مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾

﴿**لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾، أى: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا بعد ذلك شيئًا، كما هو فى أول الإسلام، فهذا حين نزول الفرائض، أو قبلة[1] اليهود المغرب وقبلة النصارى المشرق، فأنزل الله أو لما[2] تحولت القبلة شق ذلك على أهل الكتاب وبعض المؤمنين، فهذه الآية بيان حكمته، وهو أن المراد امتثال أوامر الله، وهو البر وليس فى لزوم التوجه قبل مشرق أو مغرب بر إن لم يكن عن أمر الله، ﴿**وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾ أى: بَرَّ من آمن، أو ذا البر من آمن بالله، ﴿**وَالْيَوْمِ**

---

(١) هذا قول أبى العالية والحسن والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد والسدى / ١٢ منه .

الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾، أى: جنسه، أو القرآن، ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ[1]﴾: حب المال، أى: أخرجه وهو محب له، وقيل: على حب الله، ﴿ذَوِي[2] الْقُرْبَى﴾: قرابات الرجل، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾، من لا يجد ما يكفيه، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر الذى انقطع عنه ما يكفيه فى سفره والضعيف صرح به السلف، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: من ألجأته الحاجة إلى السؤال، ﴿وَفِي الرِّقَابِ[3]﴾، أى: فى تخليصها بمعاونة المكاتبين، وقيل فى فك الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ﴾: المفروضة، ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: المفروضة ويكون قوله: " وآتى المال" بيان المصارف، أو صدقات السنة، ﴿وَالْمُوفُونَ[4] بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: الله والناس، عطف على من آمن، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾: حال الفقر ونصبه على المدح[5] لفضل الصبر، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: القتال لله، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، فى إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: "وآتى المال على حبه" أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه / ١٢ منه [انظر المستدرك (٢/٢٧٢)، وأقره الذهبى، لكن أخرجه موقوفًا على ابن مسعود وليس مرفوعًا كما ذكر].

(٢) المفعول الأول والمال مفعوله الثانى، وقدم لأن المقصود الأعظم هو إيتاء المال على حبه، هذا مذهب الجمهور / ١٢ منه .

(٣) قيل عبيد يشرون ويعتقون / ١٢ منه .

(٤) روى ابن أبى حاتم أنه قال عليه الصلاة والسلام (فى المال حق سوى الزكاة، ثم قرأ " ليس البر " إلى قوله تعالى: " وفى الرقاب ") / ١٢ .

(٥) كأنه قال وأخص الصابرين من بينهم / ١٢ منه .

آمَنُوا كُتِبَ﴾، أى: فرض، ﴿عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِى القَتْلَى﴾، كان بين حيين قتل ودماء، وكان لأحد الحيين فضل على الآخر، فحلفوا أن يقتلوا بالعبد منهم الحر، وبالمرأة الرجل، وبالواحد الاثنين فنزلت: ﴿الحُرُّ[١] بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾، أى: ليتساووا وليتماثلوا فى القصاص فلا يدل على ألا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى كما لا يدل على عكسه، ومن قال بعدم قتل الحر بالعبد فدليله الحديث، وروى عن بعض[٢] السلف أنها منسوخة بقوله تعالى: " النفس بالنفس " فالقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى، ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، تقديره فمن عفى له عن جنايته من جهة أخيه، أى: ولى الدم شيء من العفو، فإن[٣] عفا لازم، يعنى: أخذ الدية بعد استحقاق الدم، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أى: فعلى[٤] العافى أن يطالب الدية بالمعروف ولا يعنف، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾، أى: وعلى المعفو عنه أن يؤديها بإحسان لا يمطل ولا يبخس، ﴿ذَلِكَ﴾، الحكم الذى هو أخذ الدية، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾: مما كان محتومًا على الأمم قبلكم، من القتل فى اليهود، والعفو فى النصارى، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾: بالقتل، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد العفو، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: فى الآخرة، أو فى الدنيا بأن يقتل ولا يأخذ[٥] منه الدية،

---

(١) أى الحر مقتول بالحر، أى: بقتله الحر، أى يقتص الحر بالحر/١٢ منه .

(٢) كابن عباس وأبى مالك وسعيد بن جبير / ١٢ منه

(٣) يعنى فسرنا بشيء من العفو وهو يدل على أنه مفعول مطلق أقيم مقام الفاعل، لأن عفا لازم يقال: عفوت لفلان عما جنى / ١٢ منه، قيل عفى بمعنى: محا، وإذا كان كذلك فشيء مفعول به أقيم مقام الفاعل / ١٢ منه .

(٤) يعنى فاتباع مبتدأ، خبره محذوف، وقيل: تقديره الأمر اتباع / ١٢ منه .

(٥) هذا مذهب بعض السلف يعنى من قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فعذابه القتل وقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله / ١٢ منه .

﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، أى: لكم فى حكم القصاص نوع حياة عظيمة، لأن العلم به يردع عن القتل مخافة القصاص ويدفع الفتنة المنجرة إلى القتال العظيم، ﴿يَا أُولِى الأَلْبَابِ﴾، دوى العقول، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[(١)]﴾: عن القتل أو لكى تنزجروا فتتركوا محارم الله، ﴿كُتِبَ﴾: فرض، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ[(٢)] أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أى: أسبابه، ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، أى: مالاً أىَّ مال، أو مالاً كثيرًا، واختلف فى الكثرة، فعن على رضى الله عنه: لابد أن يزيد على أربعمائة دينار، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾، وكان وجوبه فى بدء الإسلام فنسخ[(٣)]، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل فلا يتجاوز الثلث، ﴿حَقًّا﴾، أى: حق ذلك حقًا[(٤)]، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: عن الشرك، ﴿فَمَن[(٥)] بَدَّلَهُ﴾: غيره من الأوصياء والشهود، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾، أى: التبديل، ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، قد وقع أجر الميت على الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) فإن التقوى اسم جامع لتلك الطاعات وترك المنكرات / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن إذا ظرف لكتب بمعنى: أن توجه الإيجاب حين حضور أسباب الموت وجزاء أن ترك محذوف يدل عليه الكلام ولا يجوز أن يكون العامل فى إذا الوصية لأنه لا يتقدم معمول المصدر المعرف باللام عليه /١٢ [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٧٢٠)، والإرواء (١٤٠١)].

(٣) صرح بذلك جماعة لا يحصى من السلف وفى السنن وغيرها كان عليه الصلاة والسلام يخطب وهو يقول: إن الله تعالى أعطى كل ذى حق حقه، فلا وصية لوارث/١٢ منه .

(٤) قيل حقًا لا يجوز أن يكون مصدراً مؤكدًا لأن على المتقين متعلق به أو صفة له وعلى كلا الوجهين يخرجه عن التأكيد، أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل على ما تقرر فى النحو، وأما الثانى فلأنه حينئذ مخصص بالصفة ويخرجه عن التأكيد، فالأولى أنه مفعول مطلق لكتب لأنه بمعنى وجب وحق فهو كقعدت جلوسًا/١٢بحر/ ١٢ منه .

(٥) تذكير ضمير بدله وسمعه مع أنه للوصية لأنه بمعنى الإيصاء أو بمعنى أن يوصي/١٢ منه .

﴿سَمِيعٌ﴾: يسمع كلام الميت، ﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم تبديل المبدل، ﴿فَمَنْ خَافَ[1]﴾، أى: علم، ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾، خطأ فى الوصية مثل أن يوصى بأكثر من ثلث، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: عمدًا، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى لهم، ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فى التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ذكر الغفران لمطابقة ذكر الاثم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن
تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ
وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى
وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ
نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ

---

(١) استعمال الخوف بمعنى العلم والظن الغالب شائع فى كلامهم/١٢ منه .

لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، صيام رمضان، أو ثلاثة أيام من كل شهر وعاشور إثم نسخ، **﴿كَمَا كُتِبَ**[1] **عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾**، من لدن[2] نوح أو أهل الكتاب، **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**، المعاصى فإن الصوم تضييق لمسالك الشيطان، **﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾**، تقديره[3] صوموا أيامًا، **﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**[4] **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾**، أى: فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر، إن أفطر بحذف الشرط، والمضاف والمضاف إليه للقرينة، **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾**،

---

(١) روى ابن أبى حاتم حديثًا فيه: أن صيام رمضان كتبه الله تعالى على الأمم قبلكم، وأما القول الثانى فقد ذكر الإمام أحمد حديثًا صرح فيه وهو قول أكثر السلف/١٢ منه .

(٢) الظاهر أن ما مصدرية، أى: كتب كتابة مثل كتابته على من قبلكم / ١٢ منه .

(٣) لا يجوز أن يكون ظرفًا للصيام لعدم جواز الفصل بينه وبين معموله وأما كونه معمولاً لكما كتب فغير ظاهر معناه بل فاسد / ١٢ منه .

(٤) واختلف أهل العلم فى السفر المبيح للإفطار فقيل مسافة قصر الصلاة والخلاف فى قدرها معروف وبه قال الجمهور، وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها والحق أن ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذى يباح عنده الفطر / ١٢ فتح وفى البخارى فى كتاب التفسير وقال عطاء يفطر من المرض كله [البخارى (٢٨/٨-فتح)].

أى: الصحيح المقيم، ﴿فِدْيَةٌ﴾، إن أفطروا، ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، كان فى بدء الإسلام[1] الخيار بين الصوم والإطعام عن كل يوم مسكينًا فنسخ، أو الآية غير منسوخة، والمراد الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا تستطيعان الصوم، وعلى هذا معنى الذين يطيقونه يصومون طاقتهم وجهدهم ويؤيده بعض القراءة وهو "يُطَوَّقُونَهُ" أى: يكلفونه، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا[2]﴾، بأن أطعم أكثر من مسكين كل[3] يوم، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا﴾، أى: الصوم، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، أيها المطيقون أو المطوقون من الإفطار والفدية، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضائل الصوم، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، مبتدأ خبره ما بعده أو ذلكم[4] شهر رمضان، ﴿الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، جملته ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم نزل منجمًا إلى الأرض، وهو خبر شهر رمضان أو صفته والخبر فمن شهد، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، أى: هاديًا بإعجازه، ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾، آيات واضحات، ﴿مِّنَ الْهُدَى﴾: مما يهدى إلى الحق، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: يفرق بين الحق والباطل، ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حضر و لم يكن مسافرًا، ﴿مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾، أى: فيه، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، أى: فيه، ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾: مرضًا يشق، أو يضر عليه الصيام، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، الآية الأولى تخيير للمريض والمسافر والمقيم، وهذه لهما دون المقيم، فلا تكرار،

---

(١) الأول روى البخارى عن سلمة بن الأكوع وعن ابن عمر أيضًا، والثانى روى البخارى عن ابن عباس بروايات متعددة، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عطاء/ ١٢ منه [رواية سلمة وابن عمر فى صحيح البخارى (٤٥٠٦،٤٥٠٧)، وكذا رواية ابن عباس (٤٥٠٥)].

(٢) نصب خير بنزع الخافض، أى: بخير وقيل تقديره تطوعًا خيراً / ١٢ منه .

(٣) أو بالجمع بين الصوم والفدية / ١٢ منه .

(٤) أى: على تقدير أن يكون شهر رمضان خبر مبتدأ مقدر / ١٢ منه .

بل علم من هذه نسخ[1] الأولى، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، فلذلك أباح الفطر للسفر والمرض، ﴿وَلِتُكْمِلُوا[2] الْعِدَّةَ﴾، عطف على اليسر مثل "يريدون ليطفئوا"[الصف:٨] أو تقديره وشرع لكم ذلك، أى: جملة أحكام الصوم لتكملوا، أى: لتكملوا عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم فى المرض والسفر، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: لتعظموه، ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: أرشدكم إليه من وجوب الصوم ورخصة الفطر بالعذر، أو المراد تكبيرات ليلة الفطر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله فى نعمه، أو رخصة الفطر، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، أى: فقل أنى قريب أطلع على جميع أحوالهم[3]، قال أعرابى يا رسول الله: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه فترلت[*]، وروي[4] أن بعض الصحابة قالوا: أين ربنا، فترلت، وروى لما نزلت " ادعونى أستجب لكم"[غافر:٦٠] قال الناس: لو نعلم أى ساعة ندعو ؟ فترلت، وروى أن اليهود قالوا: كيف يسمع الله الدعاء وأنت تزعم أن بيننا وبين

---

(١) لأن قوله تعالى: " فمن شهد " عام خص عنه المريض والمسافر فعلم أن الصحيح لا يجوز له الإفطار بحال، وهو خلاف الأول على الوجه الأول، وأما ذكر المريض والمسافر ليعلم أن النسخ لم يطرأ عليهما / ١٢ .

(٢) قوله لتكملوا علة الأمر لمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وأشار إلى ذلك الشارح وهو نوع لطيف المسلك من اللف / ١٢ منه .

(٣) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وابن مردويه / ١٢ .

(*) أخرجه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده. كما فى الدر المنثور (٣٥٢/١).

(٤) رواه ابن عبدالرزاق / ١٢ منه [أى: عن الحسن مرسلا].

السماء كذا وكذا سنة ؟ فنزلت، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أى: فليجيبوا لى إذا دعوتهم للطاعة كما أجيبهم إذا دعونى إلى مهامهم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: أمر بالثبات والدوام، ﴿لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾، راجين إصابة الرشد، وهذه الآية المتخللة بين أحكام الصوم إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء فى الصوم والفطر وروى: " ثلاثة لا ترد دعوتهم[1]، الإمام العادل والصائم حتى أو حين- يفطر، ودعوة المظلوم "، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: ليلة الصيام التى تصبح منها صائمًا والرفث عبارة عن الجماع وعدى بإلى لتضمنه معنى الإفضاء، كان فى بدء الإسلام غير جائز، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾، أى: سكن أو شبه باللباس لاشتمال كل على صاحبه، اشتمال اللباس على اللابس، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، سكن أى: لما كان بينكم غاية الخلطة رخصنا لكم لئلا يشق[2] عليكم، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تظلموها بما هو حرام عليكم ووقع ذلك[3] على عمر -رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك الذى صنعت فنزلت، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: لما تبتم، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾، محا عنكم أثره، ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾، والمباشرة

---

(١) فى مسند الإمام أحمد وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجة / ١٢ منه [وهو ضعيف كما فى ضعيف ابن ماجه].

(٢) والله لا يريد بكم العسر عن ابن عباس هن فراش وأنتم لحاف / ١٢ منه .

(٣) روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم أن الآية فى عمر بن الخطاب كما نقلناه / ١٢ منه، زاد فى الوجيز ثم قام رجل بعد اعترافه واعترفوا فأنزل الله فحسن موقع "أنكم كنتم تختانون" / ١٢ منه [حسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (٣٥٧/١) وعزاه إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن كعب بن مالك].

كناية عن الجماع، ﴿وَابْتَغُوا[1]﴾: اطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما أثبته فى اللوح المحفوظ من الولد أو ليلة[2] القدر أو الرخصة التى كتب الله لكم وما أحل الله لكم، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، جميع الليل، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾، بياض الصبح، ﴿مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾: من سواد الليل، ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾، بيان للخيط الأبيض، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، فإنه آخر وقته، كان الأكل والشرب بعد العشاء، أو النوم حرامًا فبعض الصحابة نام عن فطره فلما انتصف النهار غشى عليه فنزلت، ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى المَسَاجِدِ﴾، كان إذا اعتكف الرجل فخرج من المسجد جامع إن شاء ورجع، فأنزل الله تعالى النهى عن المباشرة ما داموا عاكفين فيها، ﴿تِلْكَ﴾، أى: الأحكام المذكورات[3]، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾، أى: ذوات حدود الله، ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا[4]﴾، نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل، لئلا تدانى الباطل فضلاً أن يتخطى، أو المراد من الحدود المحارم، وتكون تلك إشارة إلى لا تباشروهن، أى هذا وأمثاله محارم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مخالفة الأمر، ﴿وَلاَ

---

(١) وفيه إشارة إلى أن المقصود الأصلى من المباشرة تحصيل الولد / ١٢ وجيز .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس، وقال الزمخشرى هو قريب من بدع التفاسير / ١٢ منه .

(٣) من باشروا وابتغوا، أو كلوا واشربوا كلها للإباحة وأتموا للإيجاب ولا تباشروا للتحريم / ١٢ وجيز .

(٤) وأما الاستدلال بالآية فى جواز النية فى صوم رمضان بعد ظهور الصبح فليس ببعيد مع مجال البحث لكنه خلاف الإجماع عملاً بالسنة / ١٢ وجيز .

﴿تَأْكُلُوا[1] أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه لم يبحه الله، ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام، عطف على المنهى، أو نصب بتقدير أن، ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾: طائفة، ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾: بما يوجب الإثم كاليمين الكاذبة، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم مبطلون .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

---

(١) ولما أمر بالصوم وهو الإمساك عن المفطرات فى أكثر أوقات شهر الصوم، ثم أحل لهم فى بعض أوقاته الأكل والشرب، أمرهم بوجوب حلية المأكل سيما فى هذا الشهر المعظم وخص بالمنع هذا القسم من الحرام الذى فيه شبهة الحلية عند بعض كحكم حاكم بها ليدل على منح الباقى بطريق الأولى فقال: " ولا تأكلوا أموالكم " الآية / ١٢ وجيز .

وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡىِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡىِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿**يَسْأَلُونَكَ**[١] **عَنِ الأَهِلَّةِ**﴾، سأل بعض الصحابة ما بال الهلال يبدو دقيقًا ثم يزيد ثم ينقص ؟ فترلت[*]، ﴿**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾، سألوا عن حكمة اختلاف حال القمر فأجاب بأن الحكمة الظاهرة أنه معالم[٢] للناس يوقتون بها أمورهم سيما الحج، ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا**﴾، كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره، أو الأنصار[٣] إذا قدموا من سفر لم يدخلوا من قبل باهم فترلت، ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ**﴾: بر، ﴿**مَنِ اتَّقَى**﴾: المحارم، ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾: واتركوا

---

(١) ولما بين أحكام شهر رمضان ولا يعلم الشهور إلا بالهلال والشمس والقمر آيتان من آيات الله، والله يبين آياته للناس تحركت العزم بالسؤال عن هذه الآية ما بين قوله: " يسألونك عن الأهلة " الآية / ١٢ .

(*) خرجه ابن عساكر عن ابن عباس بسند ضعيف، كما فى الدر المنثور للسيوطى (٣٦٧/١).

(٢) مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم / ١٢ منه .

(٣) الأول رواية البخارى عن البراء والثانى رواية أبى داود عنه /١٢ منه .

سنة الجاهلية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فى تغيير أحكامه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكى تظفروا بالفلاح والهدى، ووجه اتصال هذه الآية بما قبله أنه لما ذكر الحج ذكر أيضًا شيئا من أفعالهم فى الحج استطرادًا، وفيه تنبيه على أنهم يخترعون أشياء لا حكمة فيها، ولا يسألون ولا يتفكرون فيها ويسألون عن شيء حكمته ظاهرة، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، إعلاء لكلمته، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، كما أن همتهم قتالكم فلتكن همتكم كذلك، ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾: لا تظلموا فى القتال، بأن تقتلوا النساء والشيوخ والصبيان وأنهم ليسوا من الذين يقاتلونكم[1]، وبأن تفعلوا المثلة والغلول، وروى أنها أول آية نزلت فى القتال بالمدينة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: لا يريد بهم الخير، وعن بعض السلف أن قريشًا صدوا المسلمين عن الحج وصالحوهم على رجوعهم من قابل، فخاف المسلمون عن عدم وفاءهم وقتالهم فى الحرم شهر الحرام وكره المسلمون ذلك، فنزلت، ومعناه: قاتل من قاتلك ولا تظلم بابتداء القتال، فالآية منسوخة، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم فى حل أو حرم، ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾، أى: مكة فإن قريشًا أخرجوا المسلمين منها، والمسلمون أخرجوا المشركين يوم الفتح، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أى: شركهم فى الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فى الحرم وجزاء سيئة سيئة مثلها، ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، حرمة له، ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ[2] فِيهِ فَإِن

---

(١) عن أبى العالية: لما نزلت هذه الآية كان صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن من كف حتى نزلت سورة براءة وفيما ذكر إشكال فتأمل / ١٢ منه .

(٢) ولهذا أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد يوم الفتح بأن لا يقاتل إلا مع من يقاتله /١٢ وجيز .

قَاتَلُوكُمْ﴾، وابتدأو بالقتال عنده، **﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾**: مكافأة، **﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**: يفعل بهم ما فعلوا، قال بعضهم: آية " واقتلوهم حيث ثقفتموهم " منسوخة بهذه الآية، وهذه منسوخة بآية السيف فى براءة، فهى ناسخة منسوخة والأكثر على أنها محكمة لا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم[1]، **﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾**: عن القتال والكفر، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾**، يغفر لهم ما قد سلف، **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾**: شرك[2]، **﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾**، خالصًا فلا يعبد شيء غيره، **﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾**: عن الكفر، **﴿فَلاَ عُدْوَانَ﴾**: لا قتل ولا نهب، **﴿إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**، لا عليهم، فإنهم قد ارتدعوا عن الظلم، **﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾**، صدهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة عن العمرة، وخرج المسلمون لعمرة القضاء فيه سنة أخرى، وكرهوا القتال لحرمته، فنزلت، أى: هذا بذاك وهتكة بهتكة فلا تبالوا، **﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾**، أى: كل حرمة وهو ما يجب المحافظة عليه يجرى فيه القصاص، وهم هتكوا حرمة شهركم بصدكم فافعلوا به مثله[3]، **﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾**، أى: ادخلوا مكة عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**، فيما لم يرخص لكم، **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**، فيحرسهم ويعلى كلمتهم، **﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: فى جهات الخير،

---

(١) فى الصحيحين قال -صلى الله عليه وسلم- يوم فتح مكة: هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم" / ١٢ منه .

(٢) فسر الفتنة بالشرك عامة السلف من الصحابة والتابعين / ١٢ منه .

(٣) إن وقع قتال / ١٢ .

﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، بعدم[1] الإنفاق فيها، وصح عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا: الآية فى النفقة لا فى القتال[2]، أو تقديره لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بالإسراف، بحيث لا يبقى لكم شيء أصلاً، أو معناه: أنفقوا فى الجهاد[3] ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة بترك القتال والإمساك عن الإنفاق فى الجهاد، والباء زائدة، والمراد من الأيدى الأنفس، أو تقديره ولا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها، وعدى بالى لتضمن معنى الإنتهاء، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾: أعمالكم، أو الظن بالله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: بمناسكهما وحدودهما وسنتهما، أو بأن تحرم من دويرة أهلك، أو بأن تخرج لهما لا لغرض[4] آخر من تجارة وغيرها، أو بأن تكون النفقة حلالاً، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: منعتم والمراد حصر العدو، أو أعم كالمرض فيه خلاف، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، أى: فعليكم ما تيسر، ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾، يعنى من أحصر وأراد التحلل تحلل بذبح هدى من بدنة أو بقرة أو شاة، ﴿وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ

---

(١) ودخل فيه عدم الإنفاق فى الجهاد بطريق الأولى، فإنه رأس كل خير وذروة سنامه /١٢ منه .

(٢) يعنى ليس معناه لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأن تواجهوا أو تحاربوا جمعًا تظنون فيهم أنهم الأغلبون روى الحاكم وصححه أنه قال رجل لبراء بن عازب: إن حملت على العدو وحدى فقتلونى أكنت ألقيت نفسى إلى التهلكة ؟ قال: لا، إنما هو فى ترك الجهاد، وكذا قال أبو أيوب وغيره / ١٢ منه .

(٣) الفرق بين المعنى الأول والثالث، أن سبيل الله عام فى جميع جهات الخير، فى الأول وخاص بالجهاد فى الثالث، والحديث الذى رواه الترمذى والنسائى وصححه الحاكم عن أبى أيوب صريح فى هذا المعنى / ١٢ منه .

(٤) هذا قول سفيان الثورى / ١٢ منه .

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْى مَحِلَّهُ﴾، أى: أنتم محرمون حتى يصل هديكم محلاً يحل ذبحه فيه وهو مكان الحبس[1] وعليه الشافعى، أو حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ الحرم وذبح وعليه الحنفى، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضًا يحتاج إلى الحلق، ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾، كجراحة وقمل، ﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعليه فدية إن حلق، ﴿مِّن صِيَامٍ﴾: ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾، ثلاثة آصاع على ستة مساكين، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾، ذبح شاة، وهو مخير فى الثلاثة، ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾، العدو، أو كنتم فى حال أمن، أى: إذا تمكنتم من أداء المناسك، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ﴾، أى: استمتع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة فى أشهر الحج إلى أن وصل الحج فحج، أى: من اعتمر أشهر الحج وأحل ثم حج فى تلك السنة، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، أى: فعليه ما استيسر، ﴿مِنَ الهَدْى فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾، أى: الهدى، ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِى الحَجِّ﴾: فى أيام الاشتغال به، أى: بعد الإحرام وقبل التحلل، أو فى أشهر بين الإحرامين، ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ[2]﴾: إلى أهليكم، لا قبل الوصول، أو المراد من الرجوع الفراغ من الحج، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، فائدتها العلم بأن الواو لا بمعنى أو، والمراد العدد المعين لا الكثرة، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: هذا الحكم، ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، هم أهل الحرم، أو أهل مكة، أو من كان وطنه من مكة دون مسافة القصر

---

(١) ولا شك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ذبحوا هديهم فى الحديبية وحلقوا رءوسهم، والحديبية خارجة من الحرم كما صرح به البخارى، ولا يلتفت إلى قول غير ثابت عن بعض من السلف، كيف وقد صرح عن جماهير من السلف أنها ليست من الحرم ؟ / ١٢ منه .

(٢) حكى أبو جعفر بن جرير على أن المراد من الرجوع، الرجوع إلى وطنه / منه .

أو من دون الميقات، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي: مخالفته، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾: لمن لم يتقه .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ
ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟
فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟
مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا
قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ
فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ
إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ
فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ
ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ**﴾، أى: وقته، ﴿**مَّعْلُومَاتٌ**﴾: معروفات، شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة، أو تمامه وفائدته[1] كراهة العمرة فى بعضه، أو فى تمامه والأكثرون[2] على عدم جواز الإحرام بالحج فى غيرها، ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ**﴾: أوجب على نفسه بالإحرام، ﴿**فَلاَ رَفَثَ**﴾: لا جماع[3] ومقدماته من التقبيل والتكلم به فى حضورهن فى حكمه، ﴿**وَلاَ فُسُوقَ**﴾: هى المعاصى، فإنها فى الإحرام أقبح، أو خاص[4] بمحظورات الإحرام فقط، ﴿**وَلاَ جِدَالَ**﴾: لا مخاصمة، أو لا مراء، وروى أن المشركين يقفون فى

---

(١) فإن العمرة فى أشهر الحج مكروه /١٢ منه .

(٢) يعنى من السلف كابن عباس وجابر وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن جريج وروى ابن مردويه عن النبى -صلى الله عليه وسلم-، "لا ينبغى لأحد أن يحرم بالحج إلا فى أشهره"، وعند أبى حنيفة ومالك وأحمد جاز الإحرام بالحج في غير أشهره لكن خلاف الأولى/ ١٢ منه [وقوله: "لا ينبغى..." أخرجه أيضًا الشافعى فى الأم وابن أبى شيبة والبيهقى فى الكبرى عن جابر موقوفًا مثله، وهو أشبه].

(٣) قيل: لا رفث، ليس نفيًا لوجوده، بل نفيًا لمشروعيته، فيرجع النفى إلى وجوده مشروعًا لا محسوسًا، كقوله: " لا يمسه إلا المطهرون "[الواقعة:٧٩] وقوله: "المطلقات يتربصن" [البقرة:٢٢٨] وهذه الدقيقة فاتت العلماء، فقالوا إن الخبر يكون بمعنى النهى / ١٢ منه .

(٤) كقتل الصيد وحلق الشعر ونحو ذلك / ١٢ منه .

الحج ويجادلون، فبعضهم يقول نحن أصوب وبعضهم يقـــول نحـــن أو لا جـــدال فى مناسكه، فإنه قد بين الله تعالى أشهره ومواقفه، ﴿فِى الحَجِّ﴾: فى أيامـــه وفى شـــأنه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾: فلا يضيع، حث على الخير بعد النهى عن الشر، ﴿وَتَزَوَّدُوا[١]﴾، كان أهل اليمن يحجون[٢] بلا زاد مظهرين التوكل، ثم يسألون الناس فنزلت، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، ومن التقوى الكف عـــن الســـؤال والإبـــرام، ﴿وَاتَّقُونِ يَأُولِى الأَلْبَابِ﴾، أى: واتقوا عقابى وغضبى يا ذوى العقـــول، ﴿لَيْـــسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾، أى: فى أن تبتغوا، ﴿فَضْلا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: عطـــاء ورزقاً منه بالتجارة حين الإحرام، كان المسلمون كرهوا التجارة فى الحج، فـــنزلت، وأيضًا روى أنه سئل هل للجالبين حج ؟ فنزلت، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّـــنْ عَرَفَـــاتٍ﴾: انصرفتم عنها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنـــدَ الْمَشْـــعَرِ الْحَـــرَامِ﴾، بالدعـــاء والتلبيـــة، ﴿وَاذْكُرُوهُ﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿كَمَا هَدَاكُمْ[٣]﴾: كما ذكركم بالهداية فهداكم أو كما علمكم، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن[٤] قَبْلِهِ﴾، أى: الهدى، ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: الجاهلين بالطاعة، وإن: هى المخففة، واللام: هى الفارقة، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْـــثُ أَفَـــاضَ النَّاسُ﴾، أى: من عرفة، كان القريش لا يخرجون من الحرم يقفون عند أدنى الحـــل قائلين: نحن أهل الله، فلا نخرج من الحرم بخلاف الناس، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفـــة

---

(١) قيل سياق الكلام دال على أن المراد التزود وتحصيل الأعمال الصالحة التى هى كـــالزاد إلى سفر الآخرة، فمفعول تزودوا محذوف هو التقوى، ولما حذف مفعوله أتى بخـــبر إن ظاهراً ليدل على المحذوف، ولولا الحذف لأتى مضمرًا/ ١٢ منه.

(٢) هكذا قال ابن عباس وأناس من الصحابة لا تحصى / ١٢ منه .

(٣) ما إما مصدرية أو كافة كفت الكاف عن العمل، ولهذا دخلت على الفعل/١٢منه .

(٤) من جوز تقديم المجرور على العامل الواقع صلة فالعامل فى "من قبله لمن الضالين"، ومـــن لم يجوز فيقول: هو من طريق شريطة التفسير /١٢ منه .

ويخرجوا من الحرم كسائر الناس، وحينئذ ثم: للتراخى فى الإخبار، أو من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إليها، وحينئذ المراد بالناس: إبراهيم عليه السلام، أو جميع الناس، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾، من جاهليتكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يغفر الذنب وينعم، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾: فرغتم من العبادات الحجية، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، أهل الجاهلية يقفون ويذكرون مفاخر آبائهم، فأمرهم الله بذكره كذكرهم مفاخر آبائهم، أو كقول الصبى: أبه أمه، كما يلهج الصبى بذكر أبيه وأمه فالهجو أنتم بذكر الله بعد النسك، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، عطف على كذكركم، أو على ذكركم، والمعنى: ذكرًا أشد ذكرًا على الإسناد المجازى، وصفًا للشيء بوصف صاحبه كشديد الصفرة صفرته، أو عطف على آبائكم، أى: كذكركم قومًا أشد مذكور به من آبائكم وأما عطفه[1] على الضمير المضاف إليه لكذكركم فضعيف، قيل: أو بمعنى بل، ﴿فَمِنَ[2] النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، أى: اجعل إعطاءنا فى الدنيا خاصة[3]، ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾، نصيب أو من طلب

---

(١) للعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، والزمخشرى قد منعه فى قوله تعالى: " تساءلون به والأرحام "[النساء:١]، وأما الأجوبة بأن المنع إذا كان الجار حرفًا، أو بأن المجرور هاهنا فى حكم المنفصل لأنه فاعل المصدر، أو بأن المراد العطف من حيث المعنى فضعيف كلها / ١٢ منه، أما بحسب اللفظ فهو على حذف مضاف معطوف على الذكر، أى: وذكر قوم أشد ذكرًا فهو أيضًا ضعيف كما لا يخفى ١٢/منه .

(٢) هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك وفيه التفات لأن الظاهر أن يقول فمنكم ومنكم / ١٢ منه .

(٣) عن ابن عباس، كان قوم من الأعراب يأتون الموقف فيقولون: اللهم اجعله لنا عام غيث وعام خصب وعام أولاد، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا فذمهم الله سبحانه تنفيرًا عن التشبه بهم / ١٢ منه .

خلاق، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا[1] آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يدخل فيها كل خير فى الدنيا وصرف كل شر، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، مثلها يدخل فيها الخير كله، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، تخصيص بعد التعميم؛ لأنه هو الفوز، وبعض السلف خصص الحسنة فى الموضعين بشيء خاص، والتعميم أولى، ﴿أُوْلَئِكَ﴾، أى: الفريق الثانى، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، أى: مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه، والدعاء كسب، لأنه عمل، أو من أجل[2] ما عملوا، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، يحاسبهم مع كثرتهم وكثرة أعمالهم فى لمحة، وقيل: سريع الحساب مع الفريق الثانى لأن يتخلصوا من هوله، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ[3] مَّعْدُودَاتٍ﴾: أيام التشريق، والمراد: التكبير بعد الصلوات وعلى الأضاحى وعند الجمرات، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾: عجل فى النفر، ﴿فِي يَوْمَيْنِ[4]﴾، ونفر بعد رمى اليوم الثانى ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾: فى النفر إلى اليـــوم الثالـــث، ﴿فَلاَ إِثْمَ[5]

---

(١) فى مسند الإمام أحمد "كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"/١٢ منه [بل أخرجه البخارى فى "الدعوات" (٦٣٨٩)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "الذكر والدعاء" (٥/٥٤٦) فالعزو إليهما أفضل].

(٢) أو من أجزاء ما عملوا / ١٢ منه .

(٣) وهى أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام بعده وصرح بذلك جماهير السلف/١٢ منه .

(٤) الظرف المثنى إذا عمل فيه الفعل فلابد من وقوعه فى كل من اليومين، وهاهنا لا يمكن فلا بد من توجيه إما بأن يجعل وقوعه فى أحدهما كأنه وقع فيهما كقوله تعالى:" يخرج منهما اللؤلؤ "[الرحمن:٢٢]، و " نسيا حوتهما "[الكهف:٦١]، وإما بحذف مضاف، أى: فى ثانى يومين / ١٢ منه .

(٥) قيل كثير من السلف كعلى وابن عباس وابن مسعود: أن معنى لا إثم عليه- مغفور، يعنى: ما بقى له إثم، وقال مجاهد: لا إثم عليه إلى العام القابل/ ١٢ منه .

عَلَيْهِ﴾، فى تأخره، لا كما قال بعض من أهل الجاهلية، فإن منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر، **﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾**، أى: التخيير، أو الأحكام المذكورة ؛ لأنه الحاج حقيقة، أوعدم الإثم لمن اتقى فى حجه، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**، للجزاء، **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾**: يروقك ويعظم فى نفسك قوله، **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**، أى: قوله فى أمور الدنيا، أو يعجبك فيها لا فى الآخرة، **﴿وَيُشْهِدُ**[(١)] **اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾**: يحلف[(٢)] على أن ما فى قلبه موافق للسانه، أو يبارز الله بما فى قلبه من الكفر، كما قال تعالى: " يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله "[النساء:١٠٨]، **﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**[(٣)]**﴾**: أشد الخصومة والجدال، نزلت[(٤)] فى أخنس بن شريك، فإنه حلو الكلام سيئ السريرة منافق، أو عام فى المنافقين، **﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾**: انصرف عنك، أو صار واليًا، **﴿سَعَى**[(٥)]**﴾**، أى: قصد، **﴿فِي الأَرْضِ**[(٦)] **لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾**، كما فعله الأخنس حين رجع إلى مكة أحرق زرع المسلمين وعقر الحمر، أو إذا تولى سعى[(٧)] فى الأرض فسادًا -منع الله

---

(١) يقول: الله شاهد على ما فى قلبى / ١٢ منه .

(٢) هذا قول مجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعزاه ابن جرير إلى ابن عباس/١٢ منه.

(٣) كلام الشارح مشعر بأن الخصام مصدر كما قاله الخليل، والحمل للمبالغة كزيد ضرب، وعند الزجاج أن الخصام جمع خصم، أى: أشد المخاصمين فلا مجاز حينئذ/١٢ منه .

(٤) قاله السدى / ١٢ منه [أخرجه عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور (٤٢٣/١)].

(٥) قيل: معناه سعى بقدميه بسرعة ليقطع الطريق / ١٢ منه .

(٦) قوله: فى الأرض لإفادة العموم / ١٢ .

(٧) هذا الوجه الثانى قول مجاهد / ١٢ منه .

القطر فهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾: لا يرتضيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ[١] العِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾، حملته الأنفة(*)، وحمية الجاهلية على الإثم المأمور بتركه لجاجًا -الخصومة- يقال: أخذته بكذا، إذا حملته عليه، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: كفته جزاء، ﴿وَلَبِئْسَ المِهَادُ ﴾، أى: والله لبئس المقر جهنم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي(**)﴾: يبيع، ﴿نَفْسَهُ﴾، بالبذل فى الجهاد، أو فى جميع الأوامر، ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، نزلت فى صهيب بن سنان الرومى، عذبه المشركون ليرتد فأعطى جميع أمواله وخلص دينه وأتى المدينة(***)، وأكثر السلف على أنه عام فى كل مجاهد فى سبيل الله، ﴿وَاللَّهُ رَءوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، لإرشادهم إلى الهدى، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً[٢]﴾: فى الإسلام، أو فى الطاعة، وكافة: حال من السلم، أى: خذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه[٣]

---

(١) قيل: معناه أخذته الحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام / ١٢ منه، قيل: لعمر اتق الله فوضع خده فى الأرض تواضعًا، وقال: هذا مقدرتى، ووقف يهودى بين يدى هارون وهو راكب فقال: يا أمير المؤمنين[لعل فى الكلام سقطًا: "اتق الله"]، فنزل عن دابته وخر ساجدًا وقضى حاجته، فقيل له فى ذلك: فقال: ذكرت قول الله: " وإذا قيل له اتق الله " إلخ / ١٢ منه .

(*) الاستنكاف.

(**) خطأ فى الأصل: يشترى.

(***) انظر الدر المنثور للسيوطى (١/٤٣٠،٤٣١).

(٢) قال: فى المغنى قول الزمخشرى: حال من السلم وهم، لأن كافة مختص بمن يعقل وهم فى قول الله تعالى: " وما أرسلناك إلا كافة"[سبأ:٢٨][فى الأصل: "فى قول الله تعالى: "ثم أشير فوقها: "فى قول الله"]، أى: رسالة كافة وأيضًا وهم فى خطبة المفصل إذ قال: محيط بكافة الأبواب / ١٢ منه .

(٣) ولا تخلوا بشىء منها /١٢ منه .

أو حال من الفاعل، أى: ادخلوا[1] فيه بكليتكم لا تخلطوا به غيره وهو خطاب للمسلمين وعن[2] بعضهم أنها نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب، فإنهم مع أن أسلموا عظموا السبت وحرموا الإبل وأحبوا قراءة التوراة، فأمروا بتركها، **﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾**: آثاره التى زين لكم، **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**: ظاهر العداوة، **﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾**: عدلتم عن الحق، **﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾**، على أن الإسلام هو الحق، **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾**: لا يعجزه الانتقام، **﴿حَكِيمٌ﴾**: لا ينتقم بظلم، **﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾**، استفهام بمعنى النفى، **﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ[3] اللَّهُ﴾**، مذهب السلف الإيمان بمثل ذلك ووكول علمه إلى الله تعالى، أو تقديره: يأتيهم بأسه، **﴿فِى ظُلَلٍ﴾**، جمع ظلة، **﴿مِّنَ الْغَمَامِ[4]﴾**،

---

(١) الظاهر أنه إذا كان حالاً من الفاعل أن يكون معناه ادخلوا جميعًا فى الإسلام لا يشرد بعضكم عنه، والشارح عدل عن الظاهر فى تفسيره بقوله: أى ادخلوا فيه إلخ لتمام الموافقة بسبب النزول، ولأن الخطاب مع المسلمين عند الشارح فلا وجه لأمر الجميع بالدخول فى الإسلام إلا بهذا المعنى فتأمل / ١٢منه .

(٢) قول عكرمة ونسب أيضًا إلى ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) لفصل القضاء / ١٢ وجيز .

(٤) السحاب الأبيض "كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قالوا: أين كان ربنا قبل خلق العرش ؟ قال: كان فى عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء"[حديث ضعيف أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه، وانظر ضعيف ابن ماجه]، ومذهب السلف الصالح الإيمان بمثل ذلك ووكل العلم إلى الله سبحانه /١٢ وجيز.

وفى الفتح أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبى -صلى الله عليه وسلم- "قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء وينزل الله فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى"[ذكره ابن كثير فى التفسير =

السحاب الأبيض، والعذاب إذا جاء من مكان يجيء الخير منـــه يكـــون أصعب،

= (٢٤٩/١) واستغربه]، وعن ابن عمر قال: يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء فى تلك الظلمة صوتًا ينخلع له القلوب، وعن ابن عباس: يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من السحاب، قد قطعت طاقات.

وفى الخازن روى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى –صلى الله عليه وسلم– "قال: ظلل من الغمام طاقات يأتى الله عز وجل فيها محفوفًا" وذلك قوله: " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر " انتهى.[أخرجه ابن جرير والديلمى بسند ضعيف، وانظر الدر المنثور للسيوطى(٤٣٣/١)].

واعلم أن إتيانه تعالى ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ثابت بهذه الآية وآية " هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك "[الأنعام:١٥٨]، "وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا"[الفجر:٢٢] وغيرها من الأحاديث والآثار فذهب أهل التحقيق إلى الإيمان بظواهر هذه الآيات وسائر آيات الصفات وأحاديثها، ووجوب الاعتقاد بظواهرها، والإيمان بها كما جاءت، ووكول العلم إلى الله سبحانه مع تنزيه سبحانه عن التشبيه والتمثيل والتحريف والتبديل والتعطيل، وهو قول سلف هذه الأمة وأئمتها، وكان ابن عيينة والزهرى والأوزاعى ومالك وابن المبارك والثورى والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وأمثالها: اقرءوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، وأما تأويل إتيان الله تعالى ومجيئه بإتيان عذابه – فخلاف ما عليه السلف، وتحريف لكتاب الله وزيادة فيه، فالقول الثانى قول مردود؛ لأنه يئول إلى نفى صفة ثابتة بكتاب الله وكتاب رسوله –صلى الله عليه وسلم– وهو قول أهل الإلحاد فى صفاته ولله در من أنشد فى هذا المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها وإجرائها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفنًا فإنها لتسليم دين المرء خير المراكب

﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾، هو على الحقيقة، ﴿وَقُضِى الأَمْرُ﴾: تم أمر هلاكهم، أو فرغ من حسابهم فأوقعوا من عقابهم وذلك يوم القيامة، ﴿وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾، فيجازيهم .

﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾

﴿سَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾، وهو سؤال تقريع، ﴿كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بيِّنَةٍ﴾، معجزة ظاهرة على نبوة موسى، أو آية فى الكتاب على نبوة محمد عليهما السلام، وكم:

مفعول[١] ثان[٢]، أو مبتدأ[٣] والعائد محذوف، وآية: مميزة، ومن: للفصل، والجملة إما مفعول[٤] ثان لسل وتقديره: سلهم قائلاً كم آتياناهم ؟ أو فى موقـــع المصـــدر، أى: سلهم هذا السؤال، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، أى: آياته، فإنها أجل نعمة لأنها ســبب الهداية فجعلوها سبب الضلالة، أو حرفوها، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾، وعرفوها، ﴿فَــإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾: يعاقبه أشد[٥] عقاب، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَــا﴾، حسنت فى أعينهم حتى أعرضوا عن غيرها، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: فقــراء

---

(١) أى: لآتيناهم / ١٢ منه .

(٢) مفعول ثان، أى: فى موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاســتفهامية، فهى عاملة فى المعنى غير عاملة فى اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجــار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب مجرى المسبب فى ذلك / ١٢ منه .

(٣) قال فى البحر: هذا لا يجوز عند البصريين إلا فى الشعر و قال ابن مالك: لو كان المبتدأ غير كل والضمير مفعول به لم يجز عند الكوفيين حذفه مع بقاء الرفع إلا فى الاضطرار، والبصريون يجيزون[فى الأصل المطبوع: يخيرون وما أثبت من البحر المحيط لأبى حيــان (١٣٥/٢) ط دار الكتب العلمية] ذلك فى الاختيار ويرونه ضعيفًا، فعلى هــذا فــأى داعية إلى جواز ذلك فى القرآن مع إمكان حمله على غير ذلك / ١٢ منه .

(٤) مفعول ثان، أى: فى موضع مفعول ثان، فإن سل هنا متعلقة عن الجملة الاســتفهامية، فهى عاملة فى المعنى غير عاملة فى اللفظ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا الجــار، قالوا: وإنما علقت سل وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لأن السؤال سبب العلم فأجرى السبب مجرى المسبب فى ذلك / ١٢ منه .

(٥) وهذا تهديد شديد للكافرين بمحمد عليه السلام وأشرف الصلاة وأكمل التســليمات/ ١٢ منه .

المؤمنين كبلال وعمار، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، الشرك، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لتقواهم لأنهم فى الجنة وهم فى النار، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فى الدارين، فلربما يعطى الفقراء فى الدنيا، أو فى الآخرة، أو فيهما، أو إشارة إلى أن كثرة الرزق لا يدل على الكرامة، بل ربما تكون استدراجًا، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً[1]﴾، بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على الحق[2]، أو متفقين على الجهل على عهد إبراهيم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾، أى: اختلفوا فبعث على الوجه الأول، وحذف لدلالة قوله "فيما اختلفوا" عليه، ﴿النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، مع الأنبياء، لا مع كل واحد، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبسًا به، ﴿لِيَحْكُمَ﴾، أى: الكتاب، مجازًا، أو الله، ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: فى شيء التبس عليهم، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: فى الكتاب الذى أنزل لدفع الاختلاف، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أى: الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، الحجج الظاهرات الواضحات، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ[3]﴾، أى: اختلفوا حسدًا وظلمًا، واختلافهم: كفر بعضهم بكتاب بعض وتحريفهم كتاب الله، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أى: لمعرفته، ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾، بيان لما، ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته، كاختلافهم فى القبلة وفى إبراهيم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، لا من جمع له أسباب الهداية، ﴿أَمْ[4] حَسِبْتُمْ أَن

---

(١) قال الله تعالى فى سورة يونس: " وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا "[يونس:١٩]/١٢ منه.

(٢) قاله ابن عباس وغيره / ١٢ .

(٣) يعنى: أنزلنا الكتاب ليتفقوا كما كانوا فازدادوا فى الاختلاف وعكس الأمر/١٢ وجيز .

(٤) ولما كانت حكاية الاتفاق ومزيد الاختلاف بعد بعث النبيين وإنزال الكتاب لتشجيع المؤمنين وتثبيتهم على الدين خاطبهم بقوله: " أم حسبتم " الآية / ١٢ وجيز .

﴿تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، أم منقطعة، ومعنى الهمزة الإنكار، لما هاجر المسلمون وتركوا الديار والأموال فأصابهم ما أصابهم من الجهد وضيق العيش نزلت تشجيعًا لهم وتطييبًا لقلوبهم، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾، أى: لم يأتكم وزيدت عليه[1] ما، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِن قَبْلِكُم﴾: حالهم التى هى مثل فى الشدة أو سنتهم ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾، الفقر والأسقام والمصائب والنوائب، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾، بأنواع البلايا وخوف العدو، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، أى: إلى الغاية التى يقول الرسول ومن معه فيها، ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾، أى: بلغ بهم الضجر و لم يبق لهم صبر حتى استبطئوا النصر، ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، أى: قيل لهم ذلك إجابة لطِلْبتهم، يعنى لابد لكم أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتصبروا كما صبروا، ﴿يَسْأَلُونَكَ[2] مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، نزلت فى شيخ كبير كثير المال، قال يا رسول الله: بما نتصدق وعلى من ننفق؟، ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، حاصله أن المنفق هو كل[3] خير والاهتمام فى شأن المصرف؛ لأن الخير لا يعتد به إلا بعد وقوعه موقعه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، فيجازيكم بقدره، والآية فى نفقة التطوع، وعن بعضهم هى منسوخة بفرض الزكاة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، شاق مكروه طبعًا عليكم، ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا

---

(١) وفيها معنى التوقع، يعنى الفعل الذى هو الإتيان منتظر / ١٢ منه .

(٢) وعلم من أول السورة إلى هذا الموضع فضل الإنفاق، ناسب السؤال من الإنفاق فقال: " يسألونك ماذا ينفقون " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) فالجواب مطابق للسؤال، ولما كان أفضل الإنفاق ما هو فى سبيل الله وأفضل السبيل الجهاد – أخذ يبين حال الجهاد ومكانه فقال: " كتب عليكم القتال " / الآية/١٢وجيز .

﴿شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، وهذا عام فى الأمور كلها، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما هو خير لكم، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، واعلم أن الجهاد فرض كفاية .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ
أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ
فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا
يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ
فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن
مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ[١]﴾، نزلت فى سرية قاتلوا المشركين أول رجب وهم يظنون أنه من الجمادى فعيرهم المشركون وقالوا: إن محمدًا استحل الشهر الحرام[*]، ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾، بدل اشتمال، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، أى: ذنب كبير، واختلف فى أنه منسوخ[٢] أو لا، ﴿وَصَدٌّ﴾: منع، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كمنعهم المسلمين عن العمرة، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: بالله، ﴿وَالْمَسْجِدِ[٣] الحَرَامِ﴾، أى: صد عنه، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾: أهل المسجد، وهم المؤمنون، ﴿مِنْهُ﴾: من المسجد، ﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾، وزرًا مما فعلته السرية خطأ، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾، أى: الشرك، أو ما يرتكبونه من الإخراج والكفر، ﴿أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ﴾: أفظع مما ارتكبوه، ﴿وَلاَ يَزَالُونَ﴾، أى: المشركون، ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾، أى: ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين،

---

(١) والسائل من المؤمنين كباقى الأسولة[سلْت أسال سُوالا: لغة فى سألت، حكاها سيبويه، وحكى ابن جنى سوال وأسْوِلة. لسان العرب (سول)] الخمسة، أو من المشركين لقوله: " ولا يزالون يقاتلونكم " وعلى هذا لم يعطف على الأول ولم يعطف الثالث عليه لاختلاف السائل/١٢ وجيز .

(*) صحح سنده السيوطى فى "الدر المنثور"، (٤٤٨/١) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى.

(٢) والأصح أنها غير منسوخ، والاستدلال بعموم بعض الآيات فى جواز القتال غير تام؛ فإن العام لا يكون ناسخًا للخاص / ١٢ وجيز .

(٣) عطف على سبيل الله والفاصلة بين المصدر وهو "صد" وصلته وهو "المسجد" جائز لما بين الصد عن سبيل الله وكفر به اتحاد معنوى كأنه لا فاصلة وأما عطف المسجد على الضمير وإن جوزه المحققون بلا إعادة الجار نحو " تساءلون به والأرحام "[النساء:١] فليس للكفر بالمسجد الحرام معنى إلا بتكلف / ١٢ وجيز .

وحتى معناه التعليل، أى: يقاتلونكم كى يردوكم، ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، هــو اســتبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بنفسه: إن استطعت فاضربنى، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَــن دِينِهِ﴾: من يرجع عن دينه إلى دينهم، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، أى: يرجع ثم يموت علــى الكفر، ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: النافعة وبطلت، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، لما يفوتهم بــالردة ما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الإسلام، ﴿وَالآخِرَةِ﴾، بسقوط الثــواب، ﴿وَأُولَئِــكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قيد الردة بالموت عليها فى إحباط الأعمــال وهــو مذهب الشافعى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، نزلـت فى تلك السرية لما ظن بهم أنهم لو سلموا من الإثم ليس لهم أجر، ﴿أُولَئِــكَ يَرْجُــونَ[1] رَحْمَةَ اللَّهِ﴾: ثوابه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، لما فعلوا من قلة الاحتياط، ﴿رَّحِيــمٌ﴾: بــإجزال الأجر، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ[2] وَالْمَيْسِرِ[3]﴾، أى: عن تعاطيهما، قال عمر ومعــاذ

---

(١) ما أراد به تخصيص وجود الرجاء، فإن غيرهم قد يرجون، لكن خصص بهم استحقاق الرجاء يعنى: أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان الخمر مذهبًا للعقل، لكن تعاطيه مفرج للكروب المجتمعة فى القلــوب مــن مصائب الدنيا ومزيح للبخل ومشجع، سألوا عن تعاطيه فقال: "يسألونك عن الخمــر والميسر" الآية /١٢ وجيز .

(٣) قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: كل شيء فيه قمار من نــرد أو شطرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب إلا ما أبيح مــن الرهان فى الخيل والقرعة فى إضرار الحقوق، وقال مالك: الميسر ميسران، ميسر اللــهو وميسر القمار، فمن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهى كلها، وميسر القمار: مــا يتخاطر الناس عليه / ١٢ فتح .

وسعد: يا رسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ فـــنزلت(*)، والميسر: القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾، أى: فى تعاطيهما، ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، حيث يـــؤدى إلى مخاصمة وفحش وزور وهذا لا يدل صريحًا على حرمتهما لأنه مـــؤدى إلى الإثم لا أن الإثم يحصل منه، والمحرِّمة ما فى المائدة، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: من كسب المال والطـــرب وغيرهما، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، فإن مفاسدهما التى تنشأ منهما أعظم مـــن المنافع المتوقعة منهما، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا(۱) يُنفِقُونَ﴾، لما نزل قولـــه: " فللوالديـــن والأقربين " سأل عمرو بن الجموح عن مقدار ما ينفق فنزل، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، أى: مـــا فضل من المال عن العيال، أو أفضل مالك وأطيبه، قيل: إنها منسوخة بآيـــة الزكـــاة، وقيل: مبينة بها قاله مجاهد وغيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أى: مثل ما فصل وبين لكـــم هـــذه الأحكام، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾، أى: سائر الآيات فى أحكامه ووعده ووعيده، أى يبين تبييناً مثل لهذا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾، أمر، ﴿الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾، لتعلموا زوالها وفناءها وإقبال الآخرة وبقاءها، وقيل: متعلق بيبين أى: يبين لكم الآيات فى أمر الدارين لعلكم تتفكرون، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾، لما نزل(۲) " إن الذين يـأكلون أموال اليتامى ظلمًا "[النساء: ۱۰] إلخ، اعتزلوا مخالطة اليتامى ولا يأكل أحد معـــهم، فشق ذلك عليهم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم، فنزلت، ﴿قُلْ إِصْلاحٌ لَّـــهُمْ

(*) صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم، وانظر صحيـــح ســـنن الترمذى (۲٤٤۲).

(۱) الأولى أن يكون ماذا كلها استفهامية فى موضع نصب ينفقون، وحينئذ الجواب بقوله: "العفو" بالنصب مناسب للسؤال / ۱۲ منه .

(۲) هكذا روى أبو داود والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه / ۱۲منه [وهـــو حديـــث حسن، انظر صحيح أبى داود (۲٤۹٥)].

خَيْرٌ﴾، أى: على حدة، أو مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم، قيل: أو إصلاح أموالهم من غير أجرة خير، **﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾**، أى: إن خلطتم طعامكم وشرابكم بطعامهم وشرابهم، وقيل: إن تصيبوا من أموالهم أجرة من قيامكم بأمورهم، **﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾**، أى: فهم إخوانكم، ولا بأس من الخلطة أو من إصابة بعضكم من مال بعض، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾**، أى: يعلم من قصده الإفساد أو الإصلاح فيجازيه، **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾**، العنت: المشقة، أى: لو شاء الله إعناتكم لأعنتكم: كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة مطلقًا دون المخالطة، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾**: غالب يقدر على الإعنات، **﴿حَكِيمٌ﴾**: يحكم بحكمته فيتسع لكم، **﴿وَلاَ تَنكِحُوا**[1] **الْمُشْرِكَاتِ**[2] **حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾**، كانت لأبى مرثد الغنوى خليلة مشركة فبعدما أسلم أراد أن يتزوج بها، فنزلت[*] " والمشركات " هاهنا عامة فى كل من كفرت بالنبى عليه الصلاة والسلام لكن خصت[3] منها حرائر الكتابيات بقوله: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب"[المائدة:٥]، وقيل: المراد بها عبدة الأوثان؛ فلا يدخل فيها أهل الكتاب، **﴿وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾**، أى: من حرة مشركة كانت لعبد الله

---

(١) ولما رخص فى مخالفة اليتامى لإصلاحهم نهى عن نوع مخالطة المشركات فقال: " ولا تنكحوا المشركات " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أى: عابدات الأوثان / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه ابن أبى حاتم وابن المنذر عن مقاتل بن حيان كما فى الدر المنثور (٤٥٨/١).

(٣) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم: استثنى الله تعالى من ذلك نساء أهل الكتاب/١٢ منه .

بن رواحة[1] فأعتقها كفارة أن لطمها وتزوجها فطعنوا فيه وعرضوا عليه نسيبة مشركة، فنزلت، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، الواو للحال، وبمعنى أن، أى: وإن أعجبتكم بمالها وجمالها، ﴿وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾، أى: لا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ[2] وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، أى: رجل مؤمن وإن كان عبدًا خير من مشرك وإن كان سريًا، ﴿أُولَئِكَ﴾، أى: المشركون والمشركات، ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، أى: الأعمال الموجبة لها، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾، أى: العمل الموجب لهما، قيل: تقديره وأولياء الله يدعون، بإقامة المضاف إليه مقام المضاف تعظيمًا لهم، ﴿بِإِذْنِهِ﴾، أى: بأمره وشرعه أو بتوفيقه أو بقضائه، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكى يتذكروا، أو ليكونوا بحيث يرجى عنهم التذكر .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟

(١) هكذا ذكر السدى رضى الله عنه / ١٢ منه [انظر تفسير ابن كثير (١/٢٥٩)، والدر المنثور للسيوطى (١/٤٥٩) وسنده معضل.

(٢) الحر المشرك فإن الشرك ذم يزيل جميع مدحه، قيل: فيه دليل لمن يعتبر الولى فى نكاحها/١٢ .

وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ
أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ
يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ
عَزَمُواْ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ
قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

﴿**وَيَسْأَلُونَكَ**[1] **عَنِ الْمَحِيضِ**﴾، إذا حاضت نساء اليهود لا يؤاكلوهن ولا يخالطوهن فسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، فنزلت(*)، والمحيض مصدر، ﴿**قُلْ هُوَ أَذًى**﴾، أى: الحيض مستقذر، ﴿**فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ**﴾، اجتنبوا مجامعتهن[2] إذا حضن، ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ**﴾، بالجماع، ﴿**حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾: من الدم، أو يغتسلن وقراءة حمزة والكسائى وهو " يطهّرن " دالة عليه سيما مع قوله، ﴿**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ**﴾، أى: بالماء، ﴿**فَأْتُوهُنَّ**﴾: بالوقاع، ﴿**مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**﴾، أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، أو من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾: من

---

(١) ولما بين أحكام النكاح بين المسلمين والمشركين وفى النكاح شائبة للوقاع ناسب سؤال زمان الغشيان ومكانه فقال: " ويسألونك عن المحيض " الآية / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه مسلم فى "الحيض" .

(٢) أكثر السلف على أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج، ويدل على ذلك الأحاديث الصحيحة عن عائشة رضى الله عنها/١٢ .

الذنوب، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: المتزهين عن الأقذار، كإتيان الحائض وفى الدبر[1]، ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، أى: مزرع للولد، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾: مزرع الولد لا غير، ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾، من أى جهة شئتم مقبلة أو مدبرة لا كما قالت[2] اليهود: إن مجامعة المرأة من دبرها فى قبلها يجعل الولد أحول ودنس عند الله، ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾: ما يدخر لكم الثواب، وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسمية عند الجماع، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فى معاصيه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ﴾، فاحذروا عن الفضيحة، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾: الكاملين فى الإيمان الذين اجتنبوا المعاصى، ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾، اسم لما يعرض[3] دون الشيء، ﴿لأَيْمَانِكُمْ﴾: أراد منها الأمور المحلوف عليها من البر

(١) لا خلاف لأحد من السلف أن غشيان المرأة والجارية فى دبرها حرام ملعون صاحبه، روى الدارمى فى مسنده عن ابن عمر أنه قيل له: ما تقول فى الجوارى أيمحض بهن قال وما التمحيض؟[الذى فى سنن الدارمى (١/٢٧٧) ط الريان: ما تقول فى الجوارى حين أحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟]، فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ وهذا إسناد صحيح البتة، وأيضًا نص مالك -رضى الله عنه- على حرمته وثبت عنه، فما نقل عنه افتراء من الرواة / ١٢ منه أقول: وقد اختلف النقل فيه عن ابن عمر روى البخارى فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر " فأتوا حرثكم أنى شئتم " قال يأتيها فى[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٧)]، قال الشارح: أى: فى الدبر كما وقع التصريح به، قال المظهرى: إن الصحيح أن الوهم إنما هو من ابن عمر وقد حكم بكونه وهما من ابن عمر رأس المفسرين ابن عباس انتهي/١٢ [كما فى صحيح أبى داود (١٨٩٦)].

(٢) روى البخارى ومسلم وغيرهما أن قوله تعالى "نساءكم حرث لكم" إلخ نزلت ردًا لليهود وهم رووا عن جابر وسفيان الثورى / ١٢ [صحيح البخارى (٤٥٢٨)، وصحيح مسلم (١٤٣٥)].

(٣) أى يجعل قدامه بحيث يصير حاجزًا ومانعًا عنه /١٢ .

والتقوى، وهى صلة عرضة أو الفعل، **﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾**، عطف بيان للإيمان، أى: لا تجعلوا الله مانعًا لما حلفتم عليه من الخير، بل افعلوا الخير ودعوا اليمين كما قال السلف[1] فى معنى الآية: لا تجعلن الله عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير لكن كفر عن يمينك واصنع[2] الخير ويجوز أن يكون اللام للتعليل، أى: لا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به مانعًا لأن تبروا، وقيل: والعرضة بمعنى المعرض للأمور وأن تبروا علة النهى، أى: لا تجعلوه معرضًا للإيمان فتبتذلوه بكثرة الحلف به أرادة بركم فإن الحلاف[3] مجترئ على الله وهوغير متق، **﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾**: لأيمانكم، **﴿عَلِيمٌ﴾**: بمقاصدكم، **﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾**، هو[4] ما يجرى على اللسان عادة كـ:لا والله وبلى والله، أو

---

(١) كابن عباس وابن عمر وجماعة لا تحصى، وفى الصحيحين وغيرهما "عنه عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير"/١٢ منه [أخرجه البخارى فى "الأيمان" (٦٧١٨)، وفى مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا مسلم فى "الأيمان" (١٦٤٩)].

(٢) حاصله لا تتركوا البر معللين بالحلف / ١٢ .

(٣) حاصله لا تكثروا الحلف بالله كى تكونوا بارين فعلى هذا اليمين على الحقيقة، واللام المقدر فى أن تبروا للتعليل، نحو: لا تكثر الكلام لتكون حكيمًا/ ١٢ .

(٤) التفسير الأول روى أبو داود عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عمر وابن عباس وعكرمة ومجاهد، والثانى لأبى هريرة ومكحول وطاوس وغيرهم وهذا القول أيضًا ثبت عن عائشة، والثالث لابن عباس أيضًا وروى أبو داود فى ذلك أثرًا، والرابع لسعيد بن جبير وهو أيضًا لابن عباس، والخامس لمغيرة وإبراهيم/١٢ .

هو حلف يرى أنه صادق ولا يكون كذلك، أو أنت تحلف وأنت غضبان، أو أن تحرم ما أحل الله لك، أو أن تحلف عن الشيء ثم تنساه، ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: وهو أن يحلف ويعلم أنه كاذب، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لم يؤاخذ باللغو، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة وإن حلف كاذبًا، ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾، أى: يحلفون على أن لا يجامعوهن، وعدى بمن لمعنى البعد، وهو خبر لقوله، ﴿تَرَبُّصُ﴾، أى: توقف، ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، أى: للحالف حق التلبث فى تلك المدة لا يطالب فيها بوطء ولا طلاق، ﴿فَإِن[1] فَاءُوا﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، للمولى إثم الحنث وإضرار المرأة، والأصح[2] أنه يجب عليه الكفارة، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بما يقولونه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلونه، وعند كثير من السلف:[3] أنه تقع تطليقة بمجرد مضى أربعة أشهر، إما بائنة أو رجعية، وفى الآية دلالة على أنه يوقف، فيطالب إما بهذا أو بهذا، وعليه كثير من السلف[4] أيضًا، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: المدخول بهن من ذوات الأقراء، ﴿يَتَرَبَّصْنَ

---

(١) وجامعها، فسره بذلك السلف / ١٢ .

(٢) الذى عليه جمهور العلماء، وهو الجديد من مذهب الشافعي/١٢ .

(٣) كعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر، وقد صح وثبت عنهم وعن جماعة أخرى من السلف أنها تصير مطلقة بائنة/١٢ .

(٤) روى البخارى عن ابن عمر وروى الشافعى عن سليمان بن يسار قال: أدركت بضعة عشر من الصحابة كلهم يوقف المولى، وروى الشافعى عن على أنه وقف المولى، وقال الشافعى: هكذا نقول، وهو موافق لما رويناه عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب مالك أيضًا/١٢ .

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾، يحملنها[1] على الانتظار، خبر معناه الأمر للتأكيد، ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾، أى: أطهار أو حيض، ثم يجوز لهن أن يتزوجن، ونصبه على الظرفية، أى: مدتها، أو المفعولية أى: مضيها، وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت، فإنها تعتد بقرأين، ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾، من حبل[2] أو حيض[3]، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، هذا تغليظ وتأكيد لا تقييد، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهن جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكاح والرجعة، ﴿فِي ذَلِكَ﴾: فى زمان التربص وهو العدة، وكان الرجل يرجع إلى امرأته وإن طلقها مائة إلى أن نزلت "الطلاق مرتان"[البقرة:٢٢٩] فصار قسمين بائنة ورجعية، فليس الضمير أخص من المرجوع[4] إليه، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾: بالرجعة لا إضرارًا وهو تقييد للأحقية[5]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾، أى: لهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب فى الحسنة لا فى جنس الفعل، ﴿وَلِلرِّجَالِ

---

(١) يعنى فى ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص، فإن أنفسهن طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يجبرنها على التربص/١٢ .

(٢) إذا أرادت فراق زوجها فكتمت لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع، وربما لا يطلقها إذا علم حبلها، أو كتمت حيضها وقالت حين الحيض: قد طهرت، استعجالاً للطلاق/١٢.

(٣) هكذا فسر ابن عباس وابن عمر وغيرهما / ١٢ .

(٤) كما قال بعض الأصوليين: لأن البعل كان أحق بردها من غيره وإن طلقها ألف طلقة حتى نسخ فافهم، كما ذكره السدى ومجاهد وابن جرير وغيرهم /١٢ .

(٥) لا كما قال القاضى: وهو أنه ليس المراد منه شريطة قصد الإصلاح للرجعة، بل التحريض عليه/١٢ .

﴿عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة[1] فى الحق وفضل فيه، أو شرف وفضل فى الدنيا والآخرة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، يأمر كما أراد بمقتضى حكمته.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾﴾

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾، كان[2] الطلاق غير محصور فى الجاهلية فى عدد، ثم إن رجلاً من الأنصار غضب على امرأته فقال: لا أطلقك ولا أؤويك أبدًا، أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك وهكذا، فشكت ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام، فنزلت، وحاصله أن الطلاق الرجعى مرتان، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ أى: إذا طلقتها واحدة أو اثنتين فلك

---

(١) لأن حقوقهم فى أنفسهن، وحقوقهن المهر، وتركه الضرار ونحوهما/١٢ .

(٢) رواه الترمذى وابن أبى حاتم وابن جرير والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢ [وتعقبه الذهبى كما فى التلخيص (٢/٢٨٠) بقوله: فى حميد بن كاسب: "ضعفه غير واحد".

الخيار فى المراجعة وحسن المعاشرة[١]، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾: بالطلقة الثالثة[٢]، أو بألا تراجعها ضراراً، ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الولاة ﴿أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ[٣]﴾: من الصداق، ﴿شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا﴾ أى: الزوجان، ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ من مواجب الزوجية، ولما كان الولاة يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع كأهم الآخذون والمؤتون[*]، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها[٤] الحكام فى المزاوجة، ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أى: لا جناح على المرأة فيما أعطت ولا على الرجل فيما أخذ، وحاصله أنه لا يجوز أن تضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الصداق، نعم إذا تراضيا وطبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا، ولهذا كثير من السلف والخلف على أن الخلع حرام إلا أن يكون الشقاق من المرأة، لكن ذهب الشافعى إلى أنه إذا جاز فى حال شقاقها[٥] فبطريق الأولى عند الاتفاق، لكن فى غير هاتين الصورتين فحرام، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ بالمخالفة، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ

---

(١) فإمساك مبتدأ حذف خبره، أى فلك إمساك / ١٢ .

(٢) نقل أبو داود عن ابن عباس والنسائى عن على بن الحسين، أن قوله: "الطلاق مرتان" ناسخ لقوله: "وبعولتهن أحق بردهن" من أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثًا فهو كان أحق برجعتها/١٢ .

(٣) "شيئًا" إما مفعول به و"مما" حال مقدم أو بيان، وإما مفعول مطلق أى: شيئًا من الأخذ، و"مما" مفعول به /١٢ .

(*) كذا فى الأصل، وكأنه أراد أن يقول: ولما كان الولاة... قال، فسقطت قال من آخر الكلام.

(٤) الأولى أن يكون الخطاب للولاة والحكام، ولا يجوز أن يكون الخطاب فى قوله: " وإن خفتم " للأزواج بقرينة "ألا يقيما"، وقيل: الخطاب لمجموع المؤمنين / ١٢ .

(٥) فيجوز حينئذ للرجل قبول الفدية /١٢ .

﴿حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: عقب النهى بالوعيد مبالغة فى التهديد، **﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾**، أى: بعد اثنتين، فهو مرتبط بقوله: " الطلاق مرتان "، نوع تفسير لقوله: " أو تسريح بإحسان "، وذكر بينهما الخلع دلالة على أن الطلاق يكون مجانًا تارة وبعوض أخرى، **﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ﴾** أى: بعد ذلك الطلاق **﴿حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾** أى: حتى يطأها زوج آخر، يعنى فى نكاح صحيح، أو المراد من النكاح: العقد، والإصابة قد علم من الأحاديث الصحاح، **﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾**: الزوج الثانى **﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾**، بنكاح جديد **﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**: من حقوق الزوجية، **﴿وَتِلْكَ﴾** أى: الأحكام المذكورة **﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**: يفهمون، ثم اعلم أن شرط التحليل فى النكاح فاسد إلا عند أبى حنيفة، وقد صح "لعن الله المحلل والمحلل له"، والخلاف فى أن الناكح بنية التحليل هو المحلل أم لا، وكلام السلف(١) يدل على أنه المحلل الملعون.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

---

(١) روى الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد، أن رجلاً جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له عن غير مؤامرة منه ليحللها لأخيه، هل تحل للأول ؟ فقال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحًا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم[المستدرك (١٩٩/٢) وأقره الذهبي]، وفى الحديث: "لا إلا نكاح رغبة لا دلسة" (الدلسة التحليل) ولا استهزاء بكتاب الله، ومثّله صلى الله عليه وسلم بالتيس المستعار/١٢[كما أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم (١٩٨/٢) وغيرهما بسند حسن، انظر الإرواء (٣٠٩/٦، ٣١٠)].

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)﴾

﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾، الأجل يطلق للمدة ولمنتهاها والبلوغ: الوصول، وقد يقال للدنو على الاتساع، وهو المراد هاهنا[١]، ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾: راجعوهن من غير ضرار، ﴿**أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾: أو خلوهن لتنقضي عدتهن من غير تطويل، وهذا إعادة لبعض ما سبق للاهتمام به، ﴿**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا**﴾: لا تراجعوهن إرادة[٢] إضرارهن كما سبق ﴿**لِّتَعْتَدُوا**﴾

---

(١) فيصح قوله: "فامسكوهن"، إذ لا إمساك بعد انقضاء العدة/١٢ .

(٢) فعلى ما فسرنا ضراراً مفعول له وقيل: حال بمعنى مضارين /١٢ .

لتظلموهن بالتطويل والإلجاء إلى الافتداء وهو عين الضرر[1]، ﴿وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها للعقاب، ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ كان الرجل يطلق أو يعتق أو ينكح فيقول: كنت[2] لاعبًا فنزلت، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[3]: التي منها الهداية، ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتَابِ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنة، وقيل: مواعظ القرآن، أفردهما بالذكر لشرفهما ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾: بما أنزل، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تأكيد وتهديد.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ[4]﴾:

---

(١) إذ المراد تقييده / ١٢ .

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصرى وابن جرير أيضًا عنه، وعن عبادة بن الصامت، وابن مردويه عن ابن عباس وفى الترمذى وأبى داود وابن ماجه قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، الطلاق والنكاح والعتاق"/١٢ [وهو حديث حسن، وانظر سحيح الجامع (٣٠٢٧)، وراجع الإرواء (١٨٢٦و٢٠٦١)].

(٣) بأن تشكروها.

(٤) العضل: الحبس والتضييق / ١٢، وفى الفتح " فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ": الخطاب فى هذه الآية إما أن يكون للأزواج، ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن من الأزواج، بعد انقضاء عدتهن لحمية الجاهلية، كما يقع لكثير من الخلفاء والسلاطين غيرة على من كن تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم، لأنهم لما نالوه من رياسة الدنيا، وما صاروا إليه من النخوة والكبرياء، يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بنى آدم، إلا من عصمه الله منهم بالورع والتواضع، وإما أن يكون الخطاب للأولياء، ويكون معنى إسناد الطلاق أنهم سبب له، بكونهم المزوجين للنساء المطلقات/١٢ .

لا تمنعوهن[١] أيها الأولياء، وقيل: الضمير[٢] للناس كلهم، أى: لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر، ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أى: الذين كانوا أزواجًا لهن، نزلت فى أخت[٣] معقل بن يسار، طلقها زوجها، فلما انقضت عدتها جاء يخطبها، ومعقل منع أن يتزوجها، ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم﴾ أى: الخطاب والنساء، وهو ظرف لا تعضلوهن أو لأن ينكحن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه الشرع، وهو حال[٤] عن الفاعل، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: النهى والخطاب لكل أحد[٥]، أو الكاف لمجرد الخطاب دون تعيين المخاطب، أو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم، يعنى: ما أنزل إليك وقلنا لك ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ[٦] بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ﴾ أى: ترك العضل، ﴿أَزْكَى﴾: أنفع ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: من دنس الإثم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، النافع[٧] الصالح، ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾: لقصور علمكم.

---

(١) قيل: يدل هذا على أن ليس لهن اختيار فى تزويج أنفسهن، بل الاختيار للأولياء وفيه بحث، لأنه يمكن أن الله تعالى منع هذا الظلم والتسلط الذى هو غير الحق/١٢ .

(٢) وعلى هذا لا يكون فى الكلام انتشار الضمائر، فإن خطاب "وإذا طلقتم النساء" لا يصلح للأولياء قطعًا، ويصلح أن يكون للناس، ولهذا قيل: الوجه أن يكون الضمير للناس/١٢ .

(٣) هكذا رواه البخارى والترمذى وابن ماجه وغيرهم / ١٢ [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٢٩)، وفى مواضع أخر من صحيحه].

(٤) قيل: تقديره تراضيًا كائنًا بالمعروف /١٢ .

(٥) نحو ذلك: "خير لكم وأطهر"[المجادلة:١٢] .

(٦) والمعنى: أن المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره / ١٢ فتح .

(٧) أو معناه: الله يعلم ما فى ذلك من الزكاة والطهر وأنتم لا تعلمونه / ١٢ .

﴿وَالْوَالِدَاتُ[١] يُرْضِعْنَ﴾، لفظه خبر ومعناه أمـــر، علـــى ســـبيل الاستحســـان، ﴿أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: سنتين، ﴿كَامِلَيْنِ[٢]﴾: تحديدًا لا تقريبًا ﴿لِمَـــنْ أَرَادَ﴾، أى: ذلك لمن أراد ﴿أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ فعلم أن أقصى مدهّا سنتان، ولا اعتبار بالرضاعـــة بعدهما وعليه[٣] السلف وأنه يجوز أن ينقص عنهما، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أى: الأب، وعبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْـوَتُهُنَّ﴾، أى: على والد الطفل نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ حسبما يراه الحـــاكم وهو يقدر، ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ تعليل للتقييد بالمعروف ولإيجاب المـــؤن، ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا[٤]﴾ بأن تدفعه عن نفسها لمضرة أبيه بتربيته، بـــل عليـــها إرضاعه، ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ﴾، أى: الأب ﴿بِوَلَدِهِ﴾ بأن يترع عنها إضـــراراً لهـــا، ولا

---

(١) ولما كان النكاح قد يكون سبب ولادة، فيكون عنها رضاع، وقد تكون المرضعة زوجة وقد تكون أجنبية، والزوجة متصلة أو منفصلة، والفراق بالطلاق أكثر منـــه بـــالموت وسطه بين عدتى الطلاق والوفاة اهتمامًا بشأن الولد، فقال: " والوالـــدات يرضعـــن" الآية/١٢ وجيز .

(٢) تأكيد للدلالة على أن هذا التقدير تحقيقى لا تقريبى، وفيـــه رد علـــى أبى حنيفـــة فى قوله: أن مدة الرضاعة ثلاثون شهر، وعلى زفر فى قولـــه: أنهـــا ثـــلاث ســـنين/١٢ فتح .

(٣) وفى الدارقطنى "قال عليه الصلاة والسلام: لا يحـــرم من الرضـــاع إلا مـــا كـــان فى حولين"/١٢ وجيز [وكذا أخرجه البيهقى فى سننه (٧/٤٦٢) وهو صحيح]، وشـــذت عائشة -رضى الله عنها- من بينهم أن رضاع الكبير يؤثر فى التحريم/١٢ منه [كمـــا فى صحيح مسلم (٣/٦٣٥) ط الشعب].

(٤) أضاف الولد إلى الأم أولاً، ثم إلى الأب ثانيًا، استعطافًا لهما عليه وتنبيهًا على أنه حقيق بأن يتفقا على الإشفاق عليه / وجيز .

"تضار" إلخ تفصيل لما قبله، أى: لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد، ﴿وَعَلَى الوَارِثِ﴾ عطف على " وعلى المولود له "، وما بينهما تعليل معترض، أى: وعلى وارث الأب وهو الصبى نفسه، فإنه إذا مات أبوه فمؤن مرضعته من ماله إن كان له مال وإلا تجبر الأم، أو المراد وارث الطفل، يعنى إن مات الأب يجبر جميع ورثة الطفل على فرض موته -عصبة كانوا أو غيرهم- على نفقة مرضعته، أو يجبر وارث الطفل المحرم منه بحيث لا يجوز النكاح بينهما على تقدير أن يكون أحدهما ذكرًا والآخر أنثى لا الجميع، أو عصبات الطفل فقط ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: مثل ما على والده من الإنفاق وعدم الإضرار أو المراد[1] عدم الإضرار فقط لا الإنفاق، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أى: الأبوان ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا صادرًا ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما قبل الحولين ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فى ذلك ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد فى الفطام ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا﴾: المراضع ﴿أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾: إلى المراضع، ﴿مَّا آتَيْتُم﴾، أى: أردتم إيتاءه، يعنى: أجرها، أو إلى الأمهات أجرهن بقدر ما أرضعن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المتعارف شرعًا ومروءة، ونفى الجناح مقيد بالتسليم لا لأنه شرط جواز الاسترضاع، بل إرشاد إلى أن الأكثر ثوابًا أن يكون الاسترضاع مقرونًا بتسليم ما يعطى المرضع، فشبه ما هو من شرائط الأولوية بما هو من شرائط الصحة، فاستعيرت[2] له العبارة مبالغة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى محافظة حدوده، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، حث

---

(١) الأول قول الجمهور، والثانى قول مجاهد والشعبى والضحاك / ١٢ منه .

(٢) أى: استعير له العبارة الموضوعة لإفائدة التعليق بوصف الصحة اهتمامًا بشأن ذلك الأمر فافهم / ١٢ منه .

وتهديد، ﴿وَالَّذِينَ[1] يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: ويتركون، ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: يحملنها على التوقف، خبر فى معنى الأمر، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا[2]﴾، أى: عشر ليال، وتقديره وأزواج الذين، أو تقديره يتربصن بعدهم، لأنه لابد من الضمير فى الخبر إذا كان جملة، وخص عنه الحامل لقوله: " وأولات الأحمال أجلهن"[الطلاق:٤] إلخ والجمهور على أن عدة الأمة نصفها، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن، ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء أو المسلمون، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾: من التعرض للخطاب والتزين، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بوجه لا ينكره الشرع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فيجازيكم عليه، ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾، التعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازًا، كقول المحتاج: جئتك لأسلم عليك، ﴿مِنْ خِطْبَةِ﴾، الخطبة بالكسر: طلب المرأة، ﴿النِّسَاءِ﴾: المعتدات للوفاة، كقولك: إنك جميلة وإن النساء من حاجتى ونحوه، وحرم التصريح بخطبتهن، وأما الرجعية فحرام على غير زوجها التصريح والتعريض، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾: أضمرتم فيه من غير تصريح ولا تعريض، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾، أى: فى أنفسكم فرفع عنكم الحرج فى ذلك، ﴿وَلَكِن﴾، أى:

---

(١) لما ذكر سبحانه عدة الطلاق، واتصل بذكرها ذكر الإرضاع، عقب ذلك بذكر عدة الوفاة؛ لأن لا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق، فقال: " والذين يتوفون " الآية / ١٢ فتح .

(٢) قال صاحب البحر: إذا كان المعدود مذكرًا، وحذف فالأصل أن يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود، فيقول: صمت خمسة، أى: خمسة أيام، وهو الفصيح، ويجوز أن يحذف منه التاء، وتقول: خمسًا، ومنه ما فى الحديث (ثم أتبعه ستًا من شوال)[وهو فى صحيح مسلم فى كتاب الصيام (١١٦٤)]، والتذكير هو الجائز، فجاء عشرًا على أحد الجائزين، وحسنه هنا أنه مقطع الكلام، فهو شبيه بالفواصل نحو " إن لبثتم إلا عشرا "[طه:١٠٣] وعلى ما قال فلا حاجة إلى تقدير عشر ليال/١٢ وجيز .

فاذكروهن ولكن، ﴿لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: بأن[1] تأخذوا الميثاق عنهن فى عدم تزوج غيره، وقال كثير من[2] السلف يعني[3]: الزنا، وقيل[4]: أن يتزوجها فى العدة سرًّا، ﴿إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾، أى: لا تواعدوهن بشيء إلا بأن تقولوا، أى: بالتعريض، أو لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة وهى التعريض، ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا[5] عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾، أى: لا تعزموا عقد عقدة النكاح، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: حتى ينتهى ما كتب من العدة، والإجماع على أنه لا يصح العقد فى العدة، وعند مالك أن من تزوج امرأة فى عدة ودخل بها، حرام عليه تلك المرأة بالتأبيد، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾: من عزم ما لا يجوز، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾: فخافوا الله ولا تعزموا، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وبخهم أولاً ثم لم يؤيسهم من رحمته .

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

---

(١) هذا قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ .

(٢) كالحسن البصرى والنخعى وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم / ١٢ منه .

(٣) أى: المراد من السر الزنا / ١٢ .

(٤) قاله ابن زيد / ١٢ منه .

(٥) أى: لا تقصدوا قصدًا جازمًا نهى عن العزم ليكون النهى فى الفعل أبلغ، وقدر المضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل لا على نفس العقدة /١٢ .

حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ
فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَـٰعًا
إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ
أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا
عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾

﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أى: لا تبعة من مهر، أو لا وزر لأنه ليس ببدعى، ﴿إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، تجامعوهن، ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: توجبوا لهن صداقًا، ونصب فريضة بمعنى مفروضة على المفعول به، وأو بمعنى إلا أن، أو بمعنى إلى أن، أو بمعنى الواو، يعنى: لا تبعة من مطالبة مهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة، و لم يُسَمَّ لها مهرٌ، فإذا كانت ممسوسة فعليه مهر المثل، وإذا كانت غير ممسوسة وسمى لها مهرًا فلها نصف المسمى، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ[1]﴾، تقديره: فطلقوهن ومتعوهن من مالكم وهى قبل المسيس وتسمية المهر تستحق المتعة فقط إجماعًا، ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾: الغنى، ﴿قَدَرُهُ﴾: ما يقدره ويليق به، ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾: الفقير، ﴿قَدَرُهُ﴾: كذلك، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعًا، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه المستحسن شرعًا ومروءة، ﴿حَقًّا﴾، واجبًا صفة متاعًا أو مصدر، ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، على من أحسن إلى نفسه أو إلى المطلقات فسماهم بالمحسنين ترغيبًا، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، أى: فلهن أو الواجب لهن، ومنه يؤخذ أنه

---

(١) ظاهر الأمر للوجوب وضمير هن راجع إلى المطلقات قبل المسيس من غير فرض صداق /١٢ منه .

لا متعة[1] حينئذ وأن الجناح المنفى هو تبعة المهر، ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾، على وزن يفعلن، أى: يتركن حقهن، ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ[2]﴾، المراد الزوج بأن يسوق إليها المهر كلا[*] فقيل: تسميتها عفوًا على المشاكلة، أو لأن المقرر عند العرب سوق المهر إليها حين الزواج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف، فإن لم يسترد فقد عفا عنه، أو المراد الولى، يعنى: إذا كانت بكرًا، وإليه ذهب مالك، وقيل: وإن كانت كبيرة، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، خطاب للرجال والنساء، ﴿وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أى: لا تنسوا أيها الرجال والنساء أن يتفضل بعضكم على بعض، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا يضيع تفضلكم وإحسانكم، ﴿حَافِظُوا[3]﴾: داوموا، ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، ذكرها بين الآيات إشعارًا بألا تلهيكم الأزواج والأولاد عن ذكر الله، ﴿وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى﴾، صلاة

(١) وما عليه الأكثرون أن المتعة عام لكل مطلقة / ١٢ منه .

(٢) روى ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن جرير، أنه قال -عليه الصلاة والسلام-:" ولى عقدة النكاح الزوج"[وحسن سنده السيوطى فى الدر المنثور (١/٥٢١) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى فى الأوسط والبيهقى] وهو تفسير على وابن عباس فى إحدى الروايات وأكثر السلف/١٢ منه .

(*) فى هامش الأصل: (ن) كملا.

(٣) ولما ذكر وفصل وبين أمر الطلاق والرضاع والصداق والنفقة والإنفاق والتربص والتخلص والخمر والزمر، ثم رجع بعده إلى شيء من أحوال الزوج والزوجات وسط بينهما وصية حفظ الصلاة إشارة إلى ما قال: " لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله "[المنافقون:٩] فعلى أى حال وشغل شغلكم لا تتركوا الصلاة فقال: حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى الآية / ١٢ وجيز .

العصر[1] وعليه الأكثرون، وأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل أو الصبح لأنها مثل العصر، أو الظهر لأنها فى وسط النهار، أو واحدة من الخمسة لا بعينها كليلة القدر، وقيل: المغرب لأنها الوسطى فى العدد بين الرباعية والثنائية، وقيل: العشاء لأنها بين جهريتين وقيل: صلاة الجماعة، وقيل: الجمعة، وقيل: العيد، وقيل: الضحى، وقيل: الوتر، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ[2]﴾، أى: خاشعين ذليلين بين يديه والمراد القنوت فى الصبح، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، من عدو أو غيره، ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلوا راجلين وراكبين مستقبلى القبلة وغيرها وعند أكثر السلف يومىء برأسه حيث كان وجهه،

---

(١) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر" رواه مسلم وغيره بروايات متعددة / ١٢ منه[انظر صحيح مسلم (٢/٢٧٣) ط الشعب]، وذكر فى الفتح بعد تصحيح هذا القول، وأما حجج بقية الأقوال فليس فيها شيء مما ينبغى الاشتغال به؛ لأنه لم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيء، وبعض القائلين عول على أمر لا يعول عليه، فقال: إنها صلاة كذا لأنها وسطى بالنسبة إلى أن ما قبلها كذا من الصلوات وبعدها كذا من الصلوات، وهذا الرأى المحض والتخمين البحت لا ينبغى أن تستند إليه الأحكام الشرعية، على فرض عدم وجود ما يعارضه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكيف مع وجود ما هو فى أعلى درجات الصحة والقوة والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيالله العجب من قوم لم يكتفوا بتقصيرهم فى علم السنة؛ وإعراضهم

(٢) وقيل: معناه ساكتين قاله السدى ويدل عليه حديث زيد بن أرقم فى الصحيحين وغيرهما، قال: كان الرجل يكلم صاحبه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاجة فى الصلاة حتى نزلت هذه الآية " وقوموا لله قانتين " فأمرنا بالسكوت[أخرجه البخارى فى التفسير (٤٥٣٤)] فالمتغير هاهنا حمل القنوت على السكوت للحديث المذكور / ١٢ فتح

وفيه[1] دلالة على جواز الصلاة حال المشى والمضاربة وإن لم يكن الوقوف، ﴿**فَإِذَا أَمِنتُمْ**﴾: زال خوفكم، ﴿**فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾، أى: فصلوا كما علمكم الله بلسان نبيه ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الأمن وقيل: إذا أمنتم فاشكروا الله واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع، ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً**﴾، بالنصب أى: يوصون وصية، أو كتب الله عليهم وصية، وبالرفع أى: عليهم وصية، أو كتب عليهم وصية، أو حكم الذين يتوفون وصية، ﴿**لِأَزْوَاجِهِم**﴾: لنسائهم، ﴿**مَّتَاعًا**﴾، ناصبه يوصون، أو وصية فى قراءة الرفع على حذف الجار أي: بتمتيع، ﴿**إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**[2]﴾، مصدر مؤكد لأنه دل يوصون لأزواجهم ما يمتع به سنة على أنهن لا يخرجن فأكد، أو حال من الأزواج[3] يعنى وحق المتوفي[4] أن يوصوا قبل أن يحتضروا، بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً وينفق عليهن من تركته غير مخرجات من مساكنهن[5]، وهذا فى ابتداء الإسلام ثم نسخت المدة بقوله: أربعة أشهر وعشرًا والنفقة بالإرث، هذا ما عليه

---

(١) عند أبى حنيفة يصلون فى حال المشى والمسابقة ما لم يمكن الوقوف / ١٢ منه .

(٢) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالا: الآية غير منسوخة، ومعناها: أن للزوجات السكنى سنة كاملة فى بيت أزواجهن، لا يمنعن من ذلك وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل، واخترن الخروج والانتقال من ذلك المترل فلهن الاختيار، وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمة الله عليه / ١٢ منه .

(٣) أى: غير مخرجات / ١٢ .

(٤) المراد من المتوفى الجنس، فيرجع ضمير الجمع إليه / ١٢ .

(٥) أى: المساكن التى كن فيها حين حياة أزواجهن / ١٢ .

أكثر السلف[1] فكانت الآية متأخرة فى التلاوة متقدمة فى النزول، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: عن منزل الأزواج، ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يا أولياء الميت، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾: من التطيب وترك الحداد، ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: مما لم ينكره الشرع، وهذا يدل على أنها كانت مخيرة بين الملازمة فأخذ النفقة وبين الخروج وتركها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: لا يدفعه أحد عن الانتقام، ﴿حَكِيمٌ﴾: يرعى المصالح، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتقون الشرك، لما نزل فى المتعة: "حقًا على المحسنين"، قال رجل: إن شئت أحسنت وإن شئت لم أفعل، فنزلت، وكثير من العلماء استدلوا بهذه الآية على أن المتعة لكل مطلقة[2]، ﴿كَذَلِكَ﴾، مثل أحكام الطلاق والعدة، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: فى إحلاله وتحريمه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون وتدبرون .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) روى عن مجاهد وعطاء أنهما قالا الآية غير منسوخة ومعناها أن للزوجات السكنى سنة كاملة فى بيت أزواجهن ولا يمنعن من ذلك، وإذا انقضت عدتهن بمضى أربعة أشهر وعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فلهن الاختيار وهذا مذهب جماعة واختاره ابن تيمية رحمة الله عليه / ١٢ .

(٢) وهو أحد قولى الشافعى، وقال بعضهم: هو الجديد الصحيح، وأجابوا بأن الآية المتقدمة بعض أفراد العموم فلا تخصيص / ١٢ .

مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ(١) **إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا**(٢) **مِن دِيَارِهِمْ﴾**: فرارًا من الطاعون، **﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾**: أربعة آلاف، أو ثمانية وأربعون ألفًا والاختلاف كثير، **﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾**،

---

(١) خطاب عام لكل أحد وإن لم ير و لم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل فى معنى التعجب، دلالة على شيوع القصة وشهرتها، بحيث ينبغى لكل أحد أن يتعجب منها وصلة الرؤية بإلى إن كانت بمعنى الإبصار، فلاعتبار معنى النظر، وإن كانت إدراكًا بالقلب، فللتضمين على معنى: ألم ينته علمك إليهم / ١٢ .

(٢) ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء كانوا أهل بلدة فى زمن بنى إسرائيل، وعن ابن عباس أن اسم البلدة داوردان من قبل واسط، فلما ماتوا حين فروا من الطاعون مر بهم نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له: حزقيل فدعا الله بإحيائهم فأحياهم/١٢ منه.

مفعول له، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾: فى أثناء طريقهم، ﴿مُوتُوا﴾، أي[1]: حكم عليهم بالموت، فماتوا ليعلموا أن لا فرار من قدر الله، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، بمعجزة نبى، ثم دعا ربه بعد مدة طويلة أن يحييهم[2] وهم قائلون: سبحانك لا إله إلا أنت، وكان فيها عبرة ودليل قاطع على المعاد الجسمانى، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: حيث أحياهم ليعتبروا ويصدقوا رسله، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾، حيث لم يعتبروا، وكان سوق هذه القضية بعث على الجهاد فلذلك قال ﴿وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لما علمتم أنه لا ينفع الفرار من الموت، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله المتخلف، ﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضره، ﴿مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ﴾، مبتدأ وذا خبره والذى صفة ذا وإقراض الله مثل[3] لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه، ﴿قَرْضًا حَسَنًا[4]﴾، وهو الإنفاق فى سبيله، ﴿فَيُضَاعِفَهُ[5] لَهُ أَضْعَافًا﴾، نصب على[6] الحال من الضمير المنصوب، أو على المصدر على أن الضعف اسم المصدر، وجمعه للتنويع، ﴿كَثِيرَةً﴾،

---

(١) وعبر بإماتتهم الله بهذه العبارة دلالة على أن موتهم كان شيئًا بامتثال أمر واحد من آمر مطاع، لا يتوقف فى امتثاله، فيكون دفعة خارجًا عن العادة فى موت الجماعات/١٢.

(٢) أى: فأحياهم وهم قائلون / ١٢ .

(٣) كما مثل بذل المال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء / ١٢ وجيز .

(٤) "قرضًا" إما مفعول به، لأنه ما يعطى من المال وكلام الزمخشرى يشعر بهذا، وإما مفعول مطلق، أى: إقراضًا حسنًا من طيب نفس وقيل: حال من ثانى مفعولى "يقرض الله" المحذوف، أى: يقرض شيئًا حال كون الشيء مقرضًا حسنًا حلالاً/١٢

(٥) من قرأ "يضاعفه" بفتح الفاء فعلى جواب الاستفهام حملاً على المعنى: فإن " من ذا الذى يقرض الله " فى معنى أيقرض الله أحدًا/١٢ .

(٦) قيل مفعول ثان ليضاعف بتضمين معنى النصير / ١٢ .

عن[1] ابن عمر لما نزلت " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة "[البقرة:٢٦١] الآية، قال عليه السلام: رب زد أمتى، فنزلت " من ذا الذى يقرض الله"[البقرة:٢٦١] إلخ، قال رب زد أمتى فنزلت " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"[الزمر:١٠]، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يمسك الرزق، ﴿وَيَبْسُطُ﴾: يوسع على ما أراد فلا تبخلوا، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم على ما قدمتم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ﴾، أى: الجماعة، ﴿مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾: وفاة، ﴿مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِى لَّهُمُ﴾، أشمويل، أو شمعون أو يوشع، ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾: أنهض أميرًا لنا للقتال ننتهى إلى أمره، ﴿نُّقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جزمه على الجواب، ﴿قَالَ﴾: لهم نبيهم، ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾، هو خبر عسيتم، والشرط فاصل بينهما، يعنى: أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب[2] عليكم، وأدخل هل مستفهمًا عما هو المتوقع عنده تقريرًا وتثبيتًا، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا﴾، أى: داع لنا، ﴿أَلاَّ نُقَاتِلَ﴾، أى: إلى أن نترك القتال، ﴿فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾، أى: أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: عن الحرب، ﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، قيل: ثلاثمائة وثلاثة عشر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: فيجازيهم على ظلمهم فى ترك الجهاد، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾:

---

(١) رواه ابن أبى حاتم / ١٢ [وذكره الهيثمى فى "المجمع" (١١٢/٣) وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط وقال: "فيه عيسى بن المسيب"].

(٢) يعنى: لما كان المقصود مضمون الخبر، يعنى: أن لا تقاتلوا خبر عسيتم كانت القيود من الاستفهامية والتوقع، ونحو ذلك عائدة إليه، حتى كأنه حاول إثبات تركهم المقاتلة، فقيده بأنه على سبيل التوقع دون الجزم، ثم بكونه مستفهمًا عنه للتقرير، بل التحقيق أن الشرط أيضًا قيد فيه لا فى التوقع/١٢ .

أميرًا سألتموه للقتال، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: من أين يستأهل الإمارة؟ ﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ[(١)] أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾، لأنه لم يكن من سبط يهوذا[(*)]، والملك كان فى سبطه، قيل: إنه سقاء، وقيل: دباغ، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾، أى: وهو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك، ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، أجاب عن اعتراضهم أولاً بأنه لست أنا الذى عينته، بل الله أمرنى به، وهو أعلم منكم، وثانياً بقوله، ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: ووفور العلم وقوة البدن عماد الملك لأنه أعرف بطرق السياسة ولأنه أقوى على مقاومة العدو، وثالثاً بقوله، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾، أى: هو مالك الملك، فله أن يؤتيه من يشاء من غير اعتراض عليه، ورابعًا: بقوله، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: يوسع على الفقير فيغنيه، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يليق بالملك نسيبًا أوغيره، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾، لما طلبوا دليلاً على أن الله اصطفى طالوت، ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: صندوق أخذ العمالقة منهم، ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: وقار[(٢)] ورحمة، من ذهب الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء، فوضع موسى فيه الألواح[(٣)]، وروح من الله إذا اختلفوا فى شيء يخبرهم ببيان ما يريدون، وفيه أقوال[(٤)]

---

(١) الواو فى "ونحن" حال من ضمير له، والواو فى " ولم يؤت " عطف على الجملة الحالية، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير "علينا" لأن و"لم يؤت" لا يصلح أن يكون حالاً منه والحال ضمير له لا غير لأن و"لم يؤت" حال منه البتة / ١٢ .

(*) فى الأصل: يهودا، بالدال.

(٢) هذا قول ابن عباس وقتادة، وقيل فى الصندوق: توراته/١٢ .

(٣) رواه عبد الرزاق عن وهب بن منبه / ١٢ .

(٤) فعن على: كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح حفافة، أى: مصوتة أو شيء يشبه الهرة، وكانوا إذا سمعوا تيقنوا بالنصر/١٢ منه، أقول هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمعهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب =

أخر ، وفى الجملة فى أى مكان كان فيه تطمئن القلوب، ﴿وَبَقِيَّةٌ[1] مِّمَّا تَرَكَ[2] آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ عصاه[3] ورضاض الألواح والتوراة، وقيل: ثياب هارون وقفيز من المن،﴿تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض، حتى وضعته بين يدى طالوت، والناس ينظرون، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، أى: رجوع التابوت،

= بالمسلمين والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانًا، وتارة جمادًا، وتارة شيئًا لا يعقل، وهكذا كل منقول عن بنى إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل فى الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويًّا عن النبى صلى الله عليه وسلم، ولا رأيًا رآه قائله فهم أجل قدراً عن التفسير بالرأى، وبما لا مجال للاجتهاد فيه، إذا تقرر ذلك، عرفت أن الواجب الرجوع فى مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة، ولو ثبت لنا فى السكينة تفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم، لوجب علينا المصير إليه، والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح، بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن، كما فى صحيح مسلم عن البراء بن عازب، قال: "كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل الفرس ينفر منها، فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة نزلت للقرآن"[ظاهر هذا العزو يشعر بأن مسلمًا أخرجه دون البخارى، وهذا غير صحيح، فقد أخرجه البخارى فى "فضائل القرآن" (٥٠١١)، ومسلم فى صلاة المسافرين] وليس فى هذا إلا أن هذه التى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ، فالله أعلم، فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة/م.

(١) لم يعين الله البقية والاختلاف كثير / ١٢ وجيز .

(٢) أراد من آلهما الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما، أو الآل مقحم زيد لتفخيم شأنهما/١٢ .

(٣) الأول لابن عباس، والثانى لقتادة وعكرمة والسدي/١٢ .

﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾: علامة لصدقى فى اصطفائه، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدقين، وهذا من تتمة كلام ذلك النبى عليه السلام، وجاز أن يكون ابتداء خطاب من الله .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾، انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة، وكانوا ثمانين ألفًا، ﴿قَالَ﴾، لهم طالوت، ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: يعاملكم معاملة المختبر، ﴿بِنَهَرٍ﴾: هو بين الأردن وفلسطين، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾، أى: شرب بفمه من النهر، ﴿فَلَيْسَ

﴿مِنِّي﴾: ليس من أشياعى فلا يصحبنى، **﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**، من طعم الشيء، إذا ذاقه مأكولاً أو مشروبًا، **﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾**، استثناء منقطع[1] من قوله فمن شرب، **﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾**، أى: وقع أكثرهم فى النهر وكرعوا إلا قليلاً، أو أفرطوا إلا قليلاً، فإنه أيام الحر فكان من اغترف روى، ومن شرب منه لم يرو، والقليل ثلاث مائة وبضعة عشر، أو أربعة آلاف من ثمانين ألفًا، **﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾**، أى:النهر، **﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾**، أى: القليل الذى لم يخالفوه، **﴿قَالُوا﴾**: بعضهم لبعض، أو ضمير قالوا للذين خالفوا وشربوا، **﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾**: لكثرتهم وقلتنا، **﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾**: يعلمون، **﴿أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ﴾**: تيقنوا لقاءه وثوابه، وهم العلماء من القليل، ومن قال ضمير قالوا للذين خالفوا، يقول: المراد من الذين يظنون، هم القليل بجملتهم، فهم والكثيرون تقاولوا بذلك والنهر بينهما، **﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾**: فرقة، وكم خبرية، أو استفهامية، ومن زائدة أو مبينة، **﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**: بحكمه وأمره، **﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**: بالنصر والإثابة، **﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾**: ظهروا ودنوا، **﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾**: أصبب وأنزل، **﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾**: بتقوية قلوبنا، **﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُم﴾**: كسروهم، **﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**: بقضائه ونصره، **﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾**، كان فى عسكر طالوت، وقد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشركه فى أمره ونعمته، فوفى بوعده، ثم آل الأمر إلى داود، **﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾**: ملك بنى إسرائيل، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: النبوة، **﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾**، من صنعة الدروع ومنطق الطير، **﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾**،

---

(١) لأن من اغترف ليس ممن شرب بمعنى كرع ولا ممن أفرط /١٢ .

كما دفع العمالقة بجنود طالوت، ﴿لَفَسَدَتِ[1] الأَرْضُ﴾: بغلبة الكفار، أو بشؤمهم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾: فيدفع عنهم ببعضهم بعضًا، ﴿تِلْكَ﴾، إشارة إلى حديث الألوف، والتابوت، وطالوت وجالوت، ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: ومنها يعلم رسالتك، حيث تخبر بها عن تلك المغيبات من غير أن تقرأ وتسمع، أو إنك منهم، فلابد أن تصبر كما صبروا، ﴿تِلْكَ[2] الرُّسُلُ﴾: المذكورة قصصهم، أو اللام للاستغراق، ﴿فَضَّلْنَا[3] بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، بأن خصصناه بمنقبة، وإن استووا في

---

(١) يعني بفساد الأرض، إما فساد الكفار وقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضى إلى خرابها، وإما إهلاك أهلها بالكلية لشؤم عموم الكفر وظهوره / ١٢ .

(٢) أي : تلك الرسل التي ثبت علمهم عندك / ١٢ .

(٣) اعلم أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين حديث الصحيحين، عن أبي هريرة مرفوعًا "لا تفضلوني على الأنبياء" ، وفي لفظ: "لا تخيروا بين الأنبياء" فإن القرآن دل على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض ، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض ، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله تعالى ، وليست معلومة عندنا، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً وهذا مفضولاً قبل العلم ببعضها أو بأكثرها أو بأقلها فإن ذلك تفضيل بالجهل وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له ، وهو ممنوع منه ، فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن بالإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض ، لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء ، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك ؟ وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه ، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض ، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه ، فمن تعرض للجمع بينهما زاعمًا أنهما متعارضان فقد غلط غلطًا بينًا / ١٢ فتح .

القيام بالرسالة ، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾: هو موسى كلمه في الطور ، قيل : هو محمد عليهما الصلاة والسلام كلمه ليلة المعراج ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ، أي: محمدًا عليه الصلاة والسلام ، فخواصه أكثر، وأبهمه[1] لأنه متعين الرجحان ، وقيل: إبراهيم ، وقيل: إدريس ، وقيل أولو العزم ، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الحجج القواطع ، خصه بالذكر لإفراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه ، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ[2] الْقُدُسِ﴾: بجبريل عليه السلام ، كان يسير معه حيث سار ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ، هداية الناس واتفاقهم ، ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم﴾: من بعد

---

(١) ولا يخفاك أن الله سبحانه أبهم هذا البعض المرفوع ، فلا يجوز لنا التعرض للبيان له إلا ببرهان من الله سبحانه أو من نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو ما يرشد إلى ذلك ، فالتعرض لبيانه هو من تفسير القرآن الكريم بمحض الرأي ، وقد عرفت ما فيه من الوعيد الشديد ، مع كون ذلك ذريعة إلى التفضيل بين الأنبياء ، وقد نهينا عنه ، وقد جزم كثير من أئمة التفسير أنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأطالوا في ذلك واستدلوا بما خصه الله به من المعجزات ومزايا الكمال وخصال الفضل ، وهم بهذا الجزم بدليل لا يدل على المطلوب ، وقد وقعوا في خطرين وارتكبوا نهيين ، وهما تفسير القرآن بالرأي، والدخول في ذرائع التفضيل بين الأنبياء ، إن لم يكن ذلك تفضيلاً صريحًا فهو ذريعة إليه بلا شك وشبهة لأن من جزم بأن هذا البعض المرفوع درجات هو النبي الفلاني انتقل من ذلك إلى التفضيل المنهي عنه ، وقد أغنى الله نبينا المصطفي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بما لا يحتاج معه إلى غيره من الفضائل والفواضل ، فإياك أن تتقرب إليه صلى الله عليه وسلم بالدخول في أبواب نهاك عن دخولها ، فتعصيه وتسيء وأنت تظن أنك مطيع محسن / ١٢ فتح .

(٢) قد فسرنا من قبل روح القدس بمعان مختلفة ، فما أعدنا إلا الأصح / ١٢ منه ، وقد ذكر المصنف في الحاشية من قبل أن هذا قول أكثر الصحابة، وورد في ذلك أحاديث صحاح/١٢ .

الرسل ، فلا يختلفون في الدين، ولا يكفر بعضهم بعضًا ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الواضحات ، ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾: ثبت على الإيمان بتوفيقه ، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: كالنصارى ، صاروا فرقًا وتحاربوا ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ ، كرره تأكيدًا ليعلم كل أحد أنه من عند الله لا من عند أنفسهم ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق بعضهم فضلاً، ويخذل بعضهم عدلاً .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

﴿يَاأَيُّهَا[1] الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ، أراد الزكاة المفروضة ، أو الإنفاق في سبيل الخير مطلقًا ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾ ، فتحصلون ما تنفقونه ،

---

(١) ولما ذكر دفع الله الناس بعضهم ببعض ، والدفع لا بد له من إنفاق فحرض المؤمنين عليه ، فقال : " يأيها الذين آمنوا أنفقوا " الآية / ١٢ وجيز .

أو تفتدون به من العذاب ، ﴿وَلاَ خُلَّةٌ﴾ ، حتى يعينكم،"الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" (الزخرف:٦٧)، ﴿وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ ، حتى تتكلوا على شفعاء ، إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولاً ، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، قيل: وضع الكافرون موضع التاركون للزكاة تغليظًا ، ويمكن أن يكون المراد منه : والكافرون هم الذين يضعون الأشياء غير موضعها ، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثلهم ، في ألاَّ تنفقوا ، فتضعوا أموالكم غير موضعها ، ﴿اللَّهُ[1] لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: هو المتفرد بالألوهية للكائنات ، ﴿الْحَيُّ﴾: في نفسه لا يموت أبدًا ، ﴿الْقَيُّومُ﴾: دائم القيام بتدبير الخلق ، ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾: فتور يتقدم النوم ، أي : لا تأخذه سنة بلا نوم ، ﴿وَلاَ نَوْمٌ﴾: فلا يستغني ذكر أحدهما عن الآخر ، وفي تقديم السِّنة مراعاة ترتيب الوجود ، وهو كالمبين[2] للحي القيوم[3] ، ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: ملكًا وخلقًا، تقرير لقيوميته ، وتفرده بالألوهية ، ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ[4]﴾ ، بيان

(١) ولما ذكر اختلاف العباد في الانقياد والعناد، واعتماد بعضهم على شفاعة الآباء ، بين لهم أنه متفرد بالألوهية ، وهو المدبر القائم على كل شيء ، لا حراك لأحد إلا بإرادته، وهو العالم بذرات العالم من الجواهر والأعراض والمقاصد والأغراض فقال : " الله لا إله إلا هو " / ١٢ وجيز .

(٢) لأن من جاز عليه النوم ، جاز عليه الموت ، فلا يكون حيًا ولا يكون قيومًا/١٢ منه .

(٣) فلهذا لم يأت بينهما بالعاطف / ١٢ .

(٤) وفيه من الدفع في صدور عبّاد القبور ، والصك في وجوههم، والفت في أعضادهم ما لا يقادر قدره ، ولا يبلغ مداه ، والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالي : " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " (الأنبياء:٢٨)، وقوله تعالى : " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى " (النجم:٢٦)، وقوله تعالي : " لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن " (النبأ:٣٨)بدرجات كثيرة / ١٢ .

لعظمته وجلاله ، ونفي لزعم الكفار أن الأصنام شفعاء ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما قبلهم ، أو أمور الدنيا ، أو ما يعلمون ، أو ما حضر عندهم، والضمير لما في السموات وما في الأرض ، فإن فيهم العقلاء ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ، ما بعدهم ، أو أمور الآخرة ، أو ما لا يعلمون ، أو ما غاب عنهم ، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: من معلوماته ، ﴿إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾: أن يعلموا ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ، الكرسي: العلم[1]، أو الكرسي المشهور[2] وهو يدل على عظمته ، وقيل: هو الملك

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وروى عن سعيد بن جبير مثله/١٢ .

(٢) قوله: أو الكرسى المشهور ، أي : الذي هو تحت العرش ، روى الحاكم وصححه، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي، أنه عليه الصلاة والسلام "قال : والذي نفسي بيده ما السماوات السبع عند الكرسي إلا حلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة" / ١٢ منه ، وفي الفتح ، والظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته ، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطئوا في ذلك خطأً بينًا وغلطوا غلطًا فاحشًا ، وما قال التفتازاني والبيضاوي: إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق ولا كرسي في الحقيقة، ولا قاعد وهو تمثيل مجرد -فقول باطل ، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تتسبب عن جهالات وضلالات عن الفلاسفة أقمأهم الله تعالي . انتهى. وفي الدر المنثور للشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله (١/٥٨٠). أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في الصفات، والطبراني وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي، والخطيب عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، وأخرج ابن جرير وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي موسى الأشعري قال : الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل ، وأخرج عبد بن حميد وابن أبي عاصم، في السنة والبزار وأبو يعلي وابن جرير، وأبو الشيخ في العظمة، والطبراني وابن مردويه عن عمر قال: "أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد إذا

....

= ركب من ثقله ، ما يفضل منه أربع أصابع" انتهى/١٢ [حديث عمر هذا قال عنه الشيخ الألباني: منكر، راجع كلامه في الضعيفة]، (وعلمه التأويل وفقهه في الدين آمين) [وقعت هذه العبارة هكذا في الأصل]، وفي كتاب العرش للحافظ الذهبي بعد نقله حديث عمر هذا ، هذا حديث محفوظ عن أبي إسحاق السبيعي إمام الكوفيين في وقته ، سمع من غير واحد من الصحابة وأخرجا حديثه في الصحيحين ، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة، تفرد بهذا الحديث عن عبد الله بن خليفة من قدماء التابعين ، لا نعلم حاله بجرح ولا تعديل ، لكن هذا الحديث حدث به أبو إسحاق السبيعي مقرًّا له كغيره من أحاديث الصفات ، وحدث به كذلك سفيان الثوري ، وحدث به أبو أحمد الزبيري ، ويحيى بن أبي بكر ووكيع عن إسرائيل ، وأخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة والرد على الجهمية له عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه ، ولفظه : إذا جلس الرب على الكرسي سمع له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد ، ورواه أيضًا عن أبيه، حدثنا وكيع بحديث إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة، عن عمر رضي الله عنه : إذا جلس الرب على الكرسي ، فاقشعر رجل، سماه أبي، عند وكيع فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونها ، قلت : وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين ، أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في صحيحه ، وهو من شرط ابن حبان ، فلا أدري أخرجه أم لا فإن عنده أن العدل الحافظ إذا حدث عن رجل لم يعرف بجرح فإن ذلك إسناد صحيح ، فإذا كان هؤلاء الأئمة أبو إسحاق السبيعي والثوري والأعمش وإسرائيل وعبد الرحمن بن مهدي وأبو أحمد الزبيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم، ممن يطول ذكرهم وعددهم، الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى -قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به ، ولم ينكروه ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم ، بل نؤمن به ونكل علمه إلى الله عز وجل ، قال الإمام أحمد: لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنعت وإن نبت عنه الأسماع ، فانظر إلى وكيع بن الجراح=

والسلطنة ، ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ ، لا يثقلها(*)، ﴿حِفْظُهُمَا﴾: السموات والأرض ، والإضافة إلى المفعول ، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ(١)﴾: ذاتًا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأنداد ،

= الذي خلف سفيان الثوري في علمه وفضله ، وكان يشبه به في سمته وهديه ، كيف أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وتذكر ما حفظ عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم بأن الله في السماء على العرش ، وذلك في حكم الأحاديث المرفوعة، لأنهم رضي الله عنهم لم يقولوا شيئًا من ذلك، وقد أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لا مساغ لهم في الاجتهاد في ذلك ، ولا أن يقولوه بآرائهم ، وإنما تلقوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم: من كان يعبد محمدًا فإنه قد مات ، ومن كان يعبد الله الذي في السماء فإنه حي لا يموت ، أخرجه هكذا الدارمي بإسناد صحيح والبخاري في تاريخه من حديث نافع وأطال بذكر أقواله الخلفاء الأربعة خصوصًا وسائر الصحابة عمومًا/١٢ .

(*) كذا في الأصل وعليه فالضمير يعود على العظمة، وهذا غير صحيح إذ الضمير في "ولا يؤده" المقصود به الله تعالى.

(١) الرفيع فوق خلقه ، المتعالي عن الأنداد والأشباه ، قاله البغوي ، قال العلامة بن القيم في كتابه زاد المعاد : من ظن أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبته إلى أسفل السافلين فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن بأنه أسفل كما هو أعلى ، ومن قال: سبحان ربي الأسفل كما قال: سبحان ربي الأعلى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه ، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ، أو وصف به رسوله [وقع في هامش الأصل هاهنا: أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله] فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن به أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه ، وأن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه ، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجاتهم إليه سبحانه وتعالى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه / ١٢ .

﴿العَظِيمُ[1] ﴾: كل شيء دونه حقير ، ﴿لاَ إِكْرَاهَ[2] فِي الدِّينِ﴾ ، نزلت في رجل مسلم له ابنان نصرانيان أراد إكراههما لدخولهما في الإسلام ، فالحكم خاص بأهل الكتاب ، أو منسوخ بآية القتال ، وهو خبر بمعنى الأمر ، وقيل : خبر حقيقة ، إذ الإكراه إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيرًا ، لكن قد تميز الإيمان من الكفر بالحجج والآيات ، فلا يحتاج إلى الإكراه ، ولهذا قال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: بالشيطان ، ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾: طلب الإمساك من نفسه أو تمسك ، ﴿بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾: من الحبل الوثيق المحكم ، ﴿لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾: المأمون من الإنقطاع ، وهو الإيمان ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: بالأقوال ، ﴿عَلِيمٌ ﴾: بالنيات ، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ناصرهم ، ومتولى أمورهم ، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الجهل ، وهو أجناس كثيرة ، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الهدى والعلم ، وهو واحد، والجملة خبر بعد خبر أو حال ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾: الشياطين يتولون أمورهم ويزينون الجهل لهم ، ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾: الفطرى ، أو لما كان سببًا لعدم إيمانهم كأنه أخرجهم ، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، وعيد وتحذير .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ

---

(١) الكبير الذي لا شيء أعظم منه / ١٢ معالم .

(٢) ولما أوضح الدلائل للعالم وللجاهل صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف إلى إكراه فيه ، فقال: "لا إكراه في الدين" جملة خبرية صورة ومعنى يدل عليه قوله : " قد تبين الرشد من الغي " الآية / ١٢ وجيز .

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ[1] **إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾**: جادل، تعجيب من حماقة نمرود ، **﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾** ، أي : لأن آتاه ، يعني : بطر الملك حمله على ذلك ، **﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾**، ظرف لحاج ، **﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** ، أي : الدليل على وجوده حدوث الأشياء بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، فإنه يدل على وجود فاعل مختار ، **﴿قَالَ﴾**: الذي حاج ، **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾**: بالعفو عن القتل والقتل[*] ، أو

---

(١) ولما بين أن الدين واضح بحيث لا احتياج فيه إلى إكراه ، وأن متولي أمور المؤمنين هو الله ، ومتولي أمور الكافرين الطاغوت -عقبه بالحكايتين والآيتين للتعجب عن حماقة نمرود الذي تولاه الطاغوت ، وإبراهيم الذي ربه رب السموات والأرض، ولتوضيح البعث والنشور ، فقال : " ألم تر إلى الذي حاج " الآية /١٢ وجيز .

(*) يعني بأنا أحيي: العفو عن القتل، وأميت: والقتل.

قاله عنادًا ومكابرة ، وأوهم أنه الفاعل لذلك ، وهذا القول أظهر ، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ[1] فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، أي : إذا كنت كما ادعيت[2] من الإماتة والإحياء فمن هذا صفته هو المتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير الكواكب وحركاتها ، وهذه الكواكب تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلاهًا تحيى وتميت فأت بها من المغرب! ، ﴿فَبُهِتَ[3] الَّذِي كَفَرَ﴾: أخرس في هذا المقام ، وصار مبهوتًا مغلوبًا ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالاتباع عن الحق ، قيل : لا يهديهم محجة الاحتجاج ، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ، الأول في قوة قوله: أرأيت مثل الذى حاج ، فعطف عليه بقوله : " أو كالذي " ، وقيل : الكاف مزيدة والمار عزير، أو الخضر[4]، أما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس، حين خربه بختنصر ، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: ساقطة على سقوفها، أي: خرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، أو من خوى إذا خلا، أي : خالية مع سلامة عروشها، ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: استبعادًا لتعميرها بعد شدة خرابها ، والظاهر أن المراد به أهل القرية ، فيكون استعظامًا لإحيائها ، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ ، أي : فألبثه ميتًا مائة عام ، أراه آية في نفسه ، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: بالإحياء ، ﴿قَالَ﴾: الله له بواسطة ملك ، أو بلا واسطة ، ﴿كَمْ لَبِثْتَ

---

(١) ذكر السدي، أن هذه المناظرة كانت بينهما بعد أن خرج إبراهيم من النار ، ولم يكن اجتمع به إلا في ذلك اليوم / ١٢ منه .

(٢) اعلم أن التفسير على ما قررنا أحسن مما في أكثر التفاسير، إنه انتقال من دليل إلى أوضح منه ، بل من الثاني على ما قررنا يعلم بطلان الأول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) وقال: إن هذا إنسان مجنون فأخرجوه ، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها ، وأن النار لم تأكله ، وخشي أن يفتضح في قومه / ١٢ در منثور .

(٤) منقول عن وهب بن منبه / ١٢ منه .

قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، كقول الظان ، ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ ، ذكر أن معه عنبًا وتينًا وعصيرًا ، فالطعام الأولان، والشراب الأخير ، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير لا العنب والتين تعفنا ، ولا العصير استحال، أفرد الضمير ، لأنهما كجنس واحد ، ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ ، كيف تفتت عظامه ، حتى تعلم مكثك مائة سنة ، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ ، أي : وفعلنا ذلك لنجعلك ، وقيل عطف على مقدر ، أي : فعلنا ذلك ليزداد بصيرتك ولنجعلك ، قيل : كان هو أسود الشعر وبنو بنيه شيب ، ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ﴾: عظام الحمار ، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: نحييها ، أو نرفعها ، فنركب بعضها على بعض ، والجملة حال من العظام، وكيف منصوب بننشزها ، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ما أشكل عليه ، قيل : تقديره لما تبين له أن الله على كل شيء قدير ، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، ففاعل تبين مضمر يفسره ما بعده ، أي: صار العلم عينيًّا بعدما كان غيبيًّا ، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ، ذكروا لسؤاله أسبابًا منها ، أنه لما قال لنمورد : ربي الذي يحيي ويميت ، أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، ومنها أنه رأى جيفة أكلتها السباع والطيور فسأل ، ﴿قَالَ﴾: الله ، ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾: بأني قادر على الإحياء ، قال له ذلك ليجيب بما أجاب ، فيعلم الناس غرضه ، أي : أتنكر و لم تؤمن؟ ، ﴿قَالَ بَلَى﴾ ، آمنت ، ﴿وَلَكِن﴾ ، سألت ، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ، بالمعاينة ، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ ، اختلفوا في أنها ما هي ، قيل : غرنوق وطاوس وديك وحمامة ، ﴿فَصُرْهُنَّ[1] إِلَيْكَ﴾ ، أي : قطعهن منضمات إليك ، أو اضممهن إليك لتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء ، ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾: من الجبال التي بحضرتك ، وكانت أربعة أو سبعة ، ﴿مِّنْهُنَّ

---

(١) صرت الشيء: قطعته وفصلته / ١٢ منه .

جُزْءًا﴾ ، تقديره على المعنى الثاني: فصرهن وجزّئهن، ثم اجعل إلخ ، **﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾**: قل تعالين ، **﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾**: ساعيات مسرعات ، أمر بخلط ريشها ولحومها ففعل ، وأمسك رؤوسها ثم دعاهن فجعلت أجزاءهن يطير بعضها ببعض، حتى اتصلت ثم أسرعن إلى رءوسهن ، **﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾**: لا يعجزه شيء ، **﴿حَكِيمٌ﴾**: في تدبيره .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى
كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ
خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ
لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾
وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا
وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن
نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ
ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾

﴿مَثَلُ[1] الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعته أو الجهاد أو هو والحج ، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ حث على الخير بعد أدلة التوحيد ، وتقديره: مثل نفقتهم كمثل ، أو مثلهم كمثل باذر حبة ، ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ[2]﴾ أي : يخرج منها ساق له سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة ، وهذا تمثيل لا يجب وجوده ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾: تلك المضاعفة ، أو على تلك المضاعفة ويزيد عليها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ ، بحسب الإخلاص ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: لا يضيق عليه الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾: بقدر الإنفاق ونياهم ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ[3] أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا﴾: لا بقول ولا بفعل على من أعطوه ﴿وَلاَ أَذًى[4]﴾: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا ، ثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ﴿لَّهُمْ[5] أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: بلا منة أحد ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من أهوال القيامة ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، على ما فات منهم ، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كلام

---

(١) ولما ذكر قصتين هما أدل دليل على البعث، أخذ يبين ما ينتفع به يوم البعث ، وفيه أيضًا ما يدل على البعث ، فقال : " مثل الذين ينفقون " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) وهذا العدد يوجد في الذرة / ١٢ وجيز .

(٣) ولما بين مضاعفة الإنفاق لمن يشاء وأبهمه، بين نوع تبيين لمن يشاء فقال : " الذين ينفقون أموالهم " / ١٢ .

(٤) والأذى شامل لـ"المن" خصصه أولاً ، لأنه كثير الوقوع ، والمن من الكبائر ، ففي مسلم : "أن المان أحد من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم" [أخرجه مسلم في "الإيمان"، (١/٣٠٤)]، ومن الأذى أن تقول : ما أشد إلحاحك، وخلصنا الله منك / ١٢ وجيز .

(٥) قيل : ترك الفاء في الخبر مع أن المبتدأ متضمن لمعنى الشرط ، لإيهام أنهم أهل لذلك ، وإن لم يفعلوا ، فكيف بهم إذا فعلوا ؟ /١٢ .

حسن ورد جميل ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: عفو عن ظلم ، أو تجاوز عن استطالة السائل ، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن إنفاق كل منفق ، ﴿حَلِيمٌ﴾: لايعجل في العقوبة ، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُبْطِلُوا﴾ ، ثواب ﴿صَدَقَاتِكُم[١] بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ﴾ ، أي : كإبطال[٢] المنافق الذي ينفق ، ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ ، نصب على المفعول له[٣] أي : كمن يتصدق لأجل مدحة الناس وشهرته بالصفات الجميلة ، مظهرًا أنه يريد وجه الله ، ﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾ أي : مثل المرائي ، أو مثل من أتبع إنفاقه منًّا أو أذى ، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ، ﴿عَلَيْـــهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مطر كبير القطر ، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أملس نقيًّا من التراب ، كذلك أعمال المرائين تضمحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال مما يرى الناس كالتراب ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ﴾ ، الضمير للذي ينفق ، باعتبار المعنى فإنهم كثيرون ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ، لا ينتفعون بما فعلوا ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ، الخير وفيه إيماء إلى أن الرياء من صفة الكفار ، فعلى المؤمن أن يحذر عنها ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: تصديقًا وتيقنًا من أصل أنفسهم أن الله سيجزيهم على ذلك ، أو يثبتون أين يضعون صدقاتهم ﴿كَمَثَلِ[٤] جَنَّةٍ﴾ ، أي : مثلهم في الزكاء كمثل بستان ، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بموضع مرتفع ،

---

(١) نصح المؤمنين عناية وإحسانًا بأنواع من العبارات الرادعة من تلك الخصلة الرديئة والفعلة القبيحة / ١٢ وجيز .

(٢) على هذا التفسير : الكاف في موضع المفعول المطلق على حذف المضاف ، وقيل : جاز أن يكون حالاً من فاعل " لا تبطلوا " بلا حذف / ١٢ منه .

(٣) وقيل : على الحال ، أي : مرائيًا / ١٢ منه

(٤) مثل حالهم بحال الجنة ، في أن نفقتهم كثرت أو قلّت زاكية ، كما أن الجنة يضعف ثمرها قوى المطر أو ضعف ، فلوحظ الشبه فيما بين المفردات ، فلا يلزمنا حذف في =

زاد ابن عباس والضحاك: فيها الأنهار ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد ﴿فَئَاتَتْ﴾: أعطت ، ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ، بالنسبة إلى غيرها من البساتين ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي : فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر ، يعني : نفقاتهم زاكية عند الله ، وإن كانت تتفاوت بسبب أحوالهم ، كما أن الجنة تثمر قَلَّ المطر أو كَثُرَ ، أو يضعف ثواب صدقاتهم قلّت النفقة أو كثرت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص ﴿أَيَوَدُّ﴾ ، الهمزة للإنكار ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ[1] تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، هما لما كان أشرف وأنفع الأشجار جعل الجنة منهما تغليبًا لهما ، ثم ذكر سائر الأشجار ليدل على التغليب﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: كبر السن ، فإن الفقر فيه أصعب ، والواو للحال[2] بتقدير: قد ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: صغار ونسوان ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ، فصار أحوج ما كان إليها عند الشيخوخة وكثرة ضعاف الأولاد ، والمثل لرجل[3] غني يعمل بطاعة الله ، ثم نكص على عقبيه فعمل آخر عمره بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله ، أو للمنافق[4] والمرائي

= الكلام أو تشبيه لحال النفقة حال الجنة ، في كونها زاكية ، كيف ما كانت الحال ، فاحتاج حينئذ إلى تقدير المضاف ، أي : مثل نفقة هؤلاء كمثل جنة/١٢ منه .

(١) كأنه ليس في البستان إلا هذان النوعان من الأشجار ، وهما الأصل والباقي كالفرع فافهم/١٢ منه .

(٢) لا يجوز أن يكون عطفًا على "تكون له جنة" ، لأن أن المصدرية دخلت عليه ، فصارت للاستقبال ، فلا يجوز عطف الماضي عليه ، فلهذا قلنا: الواو للحال/١٢ منه .

(٣) هكذا رواه البخاري عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم / ١٢.[صحيح البخاري كتاب التفسير (٤٥٣٨)]

(٤) وهذا منقول عن الحسن ، ومروى عن ابن عباس أيضًا / ١٢ منه .

فإنهم إذا ماتوا واحتاجوا غاية الاحتياج إلى أعمالهم، فقدوها بمرة ، ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ ، لكي تتفكروا فتعتبروا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم
مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ
فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم
بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ يُؤۡتِي
ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن
تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾
لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي
ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ
لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ
عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا﴾: تصدقوا ، ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ[1]﴾: حلاله وخياره ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ ، أي : من طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن ، ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾: لا تقصدوا الردي‌ء[2] ، ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ[3]﴾ ، حال من الفاعل ، أو من المفعول ، ومنه متعلق به ، والضمير للخبيث ، أي تخصونه بالإنفاق ، أو منه حال من الخبيث ، والضمير للمال ، كانت[4] الأنصار يعلقون أقناء البسر على حبل في مسجد المدينة للفقراء ، فتعمد الرجل منهم إلى الحشف ، فأدخله مع أقناء البسر ، فأنزل الله فيمن فعله "ولا تيمموا" إلخ ، ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ ، أي : والحال أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ، إلا[5]

(١) قيل: فيه دليل على إباحة الكسب ، وفي الحديث عن المقدام "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أكل أحد طعامًا، خيرًا من أن يأكل من عمل يده"، أخرجه البخاري/١٢ فتح . [في "البيوع"، باب: كسب الرجل وعمله بيده، (٢٠٧٢)]

(٢) روى الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : "لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيتقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث" / ١٢ منه.[أخرجه أحمد (١/٣٨٧) وضعف سنده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٦٧٢)، وكذا الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع (١٦٢٥).

(٣) أي : لا تقصدوا المال الردي‌ء ، و في الآية الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث ، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الآية في الصدقة المفروضة ، وذهب آخرون إلى أنها تعم الفرض والتطوع ، وهو الظاهر / ١٢ فتح .

(٤) رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والترمذي والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم / ١٢. [وهو كما قال، وانظر صحيح سنن الترمذي (٢٣٨٩)]

(٥) إشارة إلى أنه حذف الجار ، وهو متعلق بآخذيه ، على معنى : لا تأخذونه بوجه من الوجوه إلا بالإغماض والتسامح / ١٢ منه .

بإغماض بصر ومساهلة ، فلا تجوزوا في حق الله ما لا تجوزون في حقوقكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] معناه : لو كان لكم على أحد حق ، فجاء بحق دون حقكم ، لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ**﴾ ، عن إنفاقكم ﴿**حَمِيدٌ**﴾ ، بقبوله وإثابته ، ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**﴾: يخوفكم الفقر لتبخلوا ولا تنفقوا في مرضات الله ، ﴿**وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾: بالبخل ، أو المعاصي مطلقًا ، ﴿**وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ**﴾ ، الوعد للخير والشر ، أي: يعدكم[2] جزاء إنفاقكم مغفرة ذنوبكم ، ﴿**وَفَضْلًا**﴾ ، خلفًا[3] أفضل مما أنفقتم ﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ**﴾: واسع الفضل ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بالإنفاق ، ﴿**يُؤْتِي الحِكْمَةَ**[4]﴾: تفسير القرآن ، أو الإصابة في القول ، أو خشية الله ، أو الفهم ، أو السنة ، أو الفقه في الدين ، أو العقل ، أو النبوة[5] ، ﴿**مَن يَشَاءُ**﴾ ، مفعول أول ، ﴿**وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ ، في الحديث[6] "لا حسد إلا في

---

(١) فعلى هذا معناه : إلا أن تغوروا فيه وتفتشوا عن حاله ، يقال : مسألة غامضة ، أي : غير واضحة المعنى تطب الغور والتأمل/ ١٢ منه .

(٢) قال الفراء : وعدته خيرًا وشرًا ، فإذا أسقطوا الخير والشر ، قالوا : في الخير الوعد والعدة ، وفي الشر الإيعاد والوعيد / ١٢ .

(٣) في الآخرة ، أو في الدنيا ، والخلف: العوض / ١٢ .

(٤) ولما حث على الإنفاق عن الطيب والاجتناب عن الخبيث، وعدم الخشية عن الفقر والرجاء بالمغفرة والفضل وعدم اتباع المن والأذى ، حرض عبيده على قبول ما حث عليه بمدح العلم والعمل ، فقال : " يؤتي الحكمة " الآية / ١٢ .

(٥) الأول : لابن عباس ، والثاني : لمجاهد ، والثالث : لابن مسعود وأبي العالية ، والرابع : للنخعي ، والخامس : لابن مالك ، والسادس : لمالك ، والسابع : لزيد بن أسلم ، والثامن : للسدي / ١٢ منه .

(٦) رواه البخاري ومسلم وغيرهما / ١٢. [أخرجه البخاري في "العلم" ، ومسلم في "صلاة المسافرين"]

اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها" ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: ما يتعظ بالآيات ، ﴿إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَاب ﴾: ذوو العقول ، ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ ، قليلة أو كثيرة ، حق أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ ، في طاعة ، أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ، فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الذين يضعون المال في غير موضعه ، ﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴾: ينصروهم ويمنعوهم من العقوبة ، ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا[١] هِيَ﴾: إن أظهرتموها فنعم شيئًا إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ﴾ ، تعطوها مع إخفائها ، ﴿فَهُوَ﴾ ، أي : إخفاؤها ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، والآية عامة في كل صدقة ، لكن عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن السر في التطوع أفضل من العلانية بسبعين ضعفًا ، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل بخمسة وعشرين ضعفًا ، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ أي : الله ، أو الإخفاء ، ومن قرأ مجزومًا فهو عطف على محل جواب الشرط ﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ،"من" للتبعيض[٢] ، أو لتبيين الجنس ، أي يكفر شيئًا ، هو السيئات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ، ترغيب في الإخفاء ﴿لَيْسَ[٣] عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أي لا يجب عليك جعل الناس مهديين ، فإنه ليس في يدك وقدرتك ، ولكن الهداية من الله ، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ﴾ أي : ثوابه ، فلا تمنوا على أحد ، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ، الواو حال ، أو عطف ، يعني : المؤمن لا ينفق إلا لمرضات الله ،

---

(١) فضمير هي هو المخصوص بالمدح، لكن على حذف المضاف ليحسن ارتباط الجزاء بالشرط ، ويدل عليه تذكير الضمير في " فهو خير لكم " فإنه يرجع إلى الإخفاء/١٢ .

(٢) فيكون من السيئات ما تكفرها الصدقة ومنها ما لا تكفرها .

(٣) ولما رغب في لزوم الهدى ووجوه الخير ، وأكثرهم معرضون ، لأن ما دعا إليه هادم لما جبلوا عليه من حب المال ، صار صلى الله عليه وسلم شديد الوجد دائم الحزن ، شفقة عليهم ، فخفف عليه الوجد ، فقال : " ليس عليك هداهم " الآية / ١٢ وجيز .

وقيل : نفي في معنى النهي ، قال عطاء الخراساني : معناه : إذا أعطيت لوجه الله ، فلا عليك ما كان عمله ، فإنك مثاب لنيتك ، سواء كان السائل مستحقًا أو غيره ، برًا أو فاجرًا[1] ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه ، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ ، فلا ينقص ثواب صدقاتكم ، "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بأن لا يتصدق إلا على المسلمين ، حتى نزلت ليس عليك هداهم ، فأمر بالصدقة بعدها على كل سائل من كل دين[2]" ، وهذا في التطوع ، أما الواجب[3] ، فلا يجوز صرفه إلى الكافر ﴿لِلْفُقَرَاءِ[4]﴾ أي : الصدقات لهم ، وهم الأولى والأحق ، وإن جاز صرفها إلى غيرهم كما علم من الآية الأولى ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، حبسوا أنفسهم في الجهاد ، أو أصحاب الصفة ، الذين انقطعوا بكليتهم إلى الله ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾: ذهابًا فيها للتجارة لاشتغالهم بالجهاد ، أو بالله ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ﴾ بحالهم ، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من أجل

---

(١) أجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين ، وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة ، وخالفه سائر العلماء في ذلك /١٢ فتح .

(٢) يدل على هذا التفسير ما ثبت أن أسماء بنت أبي بكر حجت فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها، فنزلت / ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "الأدب"، (٥٩٧٩)، ومسلم في "الزكاة"، (١٠٠٣)]

(٣) رواه ابن أبي حاتم والنسائي عن ابن عباس / ١٢ منه . [أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء عن ابن عباس مرفوعا، كما في الدر المنثور (٦٣١/١)]

(٤) قال ابن عباس: هم أصحاب الصفة ، يعني :فقراء المهاجرين ، كانوا نحو أربع مائة رجل، لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر ، وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ، وهم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد خاصة ، أو طاعة الله عامة/١٢ فتح .

تعففهم عن السؤال ، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من التخشع وأثر الجهد والصفـــاء ، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي : إن سألوا عن ضرورة لم يلحوا في الســـؤال ، ﴿وَمَـــا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ، ترغيب في الإنفاق سيما على مـــــن تعرفـــه بسيماه .

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ
ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ
مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ
وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن
كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ أي: يَعُمُّون الأحوال بالخير ، نزلت[1] في ربط الخيل يعلفونها دائماً في سبيل الله ، أو في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان له أربعة دراهم فتصدق درهمًا ليلاً ، ودرهمًا نهارا ، ودرهما سرًا ، ودرهمًا علانية[*]، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم ، قال تعالى : " لا يحزنهم الفزع الأكبر " (الأنبياء:١٠٣)، ﴿الَّذِينَ[2] يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ لما ذكر الأبرار المخرجين للصدقات ، شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالظلم ، وعبر عن الأخذ بالأكل ، لأن الأكل أعظم المنافع ، والربا شائع في المطعومات ، ﴿لاَ يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ، ﴿إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي : إلا قيامًا كقيام المصروع ، ﴿مِنَ الْمَسِّ[3]﴾ ، أي : الجنون ، وهو متعلق بلا يقومون ، أو بيقوم ، وفي الحديث "مر عليه

---

(١) الأول: رواه ابن أبي حاتم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يزيد بن عبد الله وأبوه لا يعرفان، كذا قال الهيثمي في "المجمع" (٦/٣٢٤)]، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبير عن أبيه ، وكذا رواه ابن جرير، ورواه ابن مردويه عن ابن عباس / ١٢ منه .

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (١/٣٢٧) وضعفه.

(٢) ولما ذكر الأبرار النافعين المنفقين، أتبعهم حال الأشرار الآكلين أموال الناس بالظلم فقال: "الذين يأكلون الربا" / ١٢ .

(٣) وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن الصرع لا يكون من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع ، وقال: إن الآية خارجة على ما كانت العرب تزعمه من أن الشيطان يصرع الإنسان ، وليس بصحيح وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من أن يتخطبه الشيطان ، كما أخرجه النسائي وغيره/١٢ .

السلام ليلة الإسراء على قوم بطونهم[1] كالبيوت[2] ، و أخبر أنهم أكلة الربا" ، ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي : العقاب ، ﴿**بِأَنَّهُمْ**﴾: بسبب أنهم ، ﴿**قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**﴾: اعترضوا[3] على أحكام الله ، وقالوا : البيع مثل الربا ، وإذا كان الربا حرامًا فلا بد أن يكون البيع كذلك ، ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ يحتمل[4] أن يكون تتمة كلام المعترض المشرك ، ويحتمل أن يكون من كلام الله ردًّا عليهم ، أي : اعترضوا ، والحال أن الله فرق بين هذا وهذا ، وهو الحكيم العليم ، ﴿**فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ**﴾: بلغه وعظ من الله ، ﴿**فَانتَهَى**﴾: فاتعظ وتبع النهي حال وصول الشرع إليه ، ﴿**فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾ من المعاملة ، أي : له ما كان أكل من الربا زمن الجاهلية ، ﴿**وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾: يـــحكم يوم القيامة بينهم ، وليس من أمره إليكم شيء ، ﴿**وَمَنْ عَادَ**[5]﴾ إلى

---

(١) رواه البيهقي وابن ماجة والإمام أحمد / ١٢. [وهو ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجه (٤٩٦)، وضعيف الجامع (١١٣)].

(٢) قيل : يقومون من قبورهم ، فيسقطون كالمصروع لا يستطيع المشي والقيام من كبر بطونهم وثقلهم / ١٢ منه .

(٣) الظاهر أن مرادهم أن المحلَّلَ والمحرم أمرُكَ وشهوتُكَ ، لا حُكْمَ الله سبحانه ، فإنه لو كان حكم الله لكان الربا حلالاً مثل البيع ، والبيع حرامًا مثل الربا ، فتأمل / ١٢ منه .

(٤) ولا شك مَنْ أحدٍ أن البيع حلال، فكذا الربا [حرام] / ١٢ . (ما بين المعقوفتين [ ] زيادة من عندنا ليست في الأصل أضفناها ليستقيم السياق)

(٥) إلى الاعتراض " فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " لأنهم كفروا، كما اعترض إبليس وكفر ، هكذا فسره المفسرون من أهل السنة ، والأصوب أن الأصوب تفسير الزمخشري ، عفا الله عنه ، وحاصله ومن عاد إلى الأكل والارتكاب ، فإن الجزاء مرتب على مطلق المرتَكِبِ ، لا على الكافر المرتَكِبِ ، لأن كون الانتهاء في قوله : " فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى " عبارة عن الانتهاء عن الفعل ، يأبى أن يكون العود في قوله : " ومن عاد " عودًا إلى الاعتقاد والاستحلال، وأيضًا إذا كان خلود الـــنار=

تحليله وأكله ، ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لكفرهم ، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يذهب بركته ، فلا ينتفع في الدنيا والآخرة به ، قد ورد: "ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة(*)"، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾: يكثرها وينميها ، وقد[1] ورد "إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى يكون مثل أحد[2]" ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ﴾: لا يرتضي ، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصر على تحليل الحرام ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجر بارتكابه ، ﴿إِنَّ[3] الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بما جاء من الله ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ عطفهما على الأعم لشرفهما[4] ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آت ، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فائت ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن

= للاستحلال .. إلخ ، فجزاء مرتكب الفعل غير مذكور في الكلام ، مع أنه المقصود الأتم الأهم ، وإذا جعلنا الخلود جزاء الفعل ، علم أن جزاء الاعتقاد الذي هو كفر فوقه بخلاف العكس ، فالأولى أن نجعل هذه الآية طباق آية " ومن قتل مؤمنًا متعمدًا " (النساء:٩٣) إلى آخره ، ولابد لنا من تأويلها ، ومن أحسن التأويلات: أن ارتكاب بعض الكبائر من غير توبة ينجر إلى سوء العاقبة من القتل وأكل الربا / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما، وانظر صحيح الجامع (٣٥٤٢).

(١) رواه ابن ماجة والإمام أحمد / ١٢ وجيز . [وهو حديث صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٨١٥)]

(٢) يعني الداعي إلى الربا تحصيل المزيد، والصارف عن الصدقة الاحتراز عن النقصان ، فبين أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة والمآل ، والصدقة وإن كانت نقصانًا في الصورة إلا أنها زيادة في الحقيقة / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر حال آكل الربا ، وصفه بأنه كفار أثيم ، ذكر ضده من المطيعين الممتثلين شرائع الإسلام ، فقال : " إن الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) وللحث على إيتاء الزكاة في مقابلة الربا / ١٢ وجيز .

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رأس المال بعد الإنذار ، إن كنتم مؤمنين بشرع الله ، كان بين ثقيف وبني مخزوم ربا في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ، طلبت ثقيف فتشاجروا فترلت ، **﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾** و لم تذروا ما بقي من الربا ، **﴿فَأْذَنُوا﴾**: فاعلموا ، **﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** ، يقال[1] يوم القيامة لآكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، أو لابد للإمام أن يستتيبهم ، فإن تابوا وإلا وضع فيهم الحرب والسلاح ، **﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ﴾** بأخذ الزيادة ، **﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾** بوضع رءوس الأموال ، وقيل فهم منه أن المصر ، أي : على التحليل ليس له رأس ماله ، لأنه مرتد وماله فيء ، **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾**: وقع غريم ذو عسرة ، **﴿فَنَظِرَةٌ﴾** أي : فعليكم تأخير ، **﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾**: يسار ، لا كفعل الجاهلية إذا حل الدين ، يطالب إما بالقضاء وإما بالربا ، **﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾** بإبراء رأس المال ، **﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**: أكثر ثوابًا ، وقيل: خير مما تأخذونه ، **﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** ما فيه من الأجر ، **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾**: يوم القيامة ، أو يوم الموت ، **﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾** أي : جزاء ما عملت ، **﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾** بنقص ثواب وهذه[2] آخر آية نزلت من القرآن ، عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها تسع ليال ، أو واحد وثلاثين[3] يومًا .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ

---

(١) كذا قاله ابن عباس وغيره / ١٢ وجيز .

(٢) فقال صلى الله عليه وسلم : "اجعلوها بين آية الربا وآية الدين" / ١٢ وجيز.

(٣) ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الاثنين سنة إحدى عشرة من الهجرة / ١٢ فتح .

فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن
كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ
بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا
ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ
إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ
فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن
كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا
فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن
يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ(١) **آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾** ، أي : تعاملتم بمعاملات مؤجلة فاكتبوها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنزلت في السلف ، حرم الله الربا وأباح السلف ، وهذا أمر إرشاد لا أمر إيجاب ، وعن كثير من السلف : أن الأمر للوجوب ، ولكن نسخ بقوله : " فإن أمن بعضكم بعضًا" (البقرة:٢٨٣)، **﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾**: بالسوية ، لا يزيد ولا ينقص ،

---

(١) ولما أُمِروا بالصدقة وبترك الربا ، ويحصل منها تنقيص المال ، نبه على طريق حلال فيه تنمية المال ، وأكد في كيفية حفظه ، وأمر فيه بعدة أوامر ، فقال : " يأيها الذين آمنوا " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي : لا يأب أن ينفع الناس بكتابته ، كما نفعه الله بتعليمها ، أومثل ما علمه من كتابة الوثائق ، قال عطاء ومجاهد : واجب على الكاتب أن يكتب ، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أمر بها بعد النهي عن الإباء تأكيدًا ، قيل : جاز أن يتعلق كما علمه الله به ، فالنهي مطلق والأمر مقيد ، ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ﴾: الإملال والإملاء واحد ، أي : وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أمر بأن يقر بمبلغ المال من غير نقصان ، ﴿فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهًا﴾: محجوراً عليه بتبذير ونحوه ، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: صبيًا ، أو مجنونًا ، ﴿أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ بخرس ، أو جهل باللغة ، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾: الذي يلي أمره ، من وكيل ، أو قسيم ، أو مترجم ، ﴿بِالْعَدْلِ﴾: بالصدق ، ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ ، اطلبوا شاهدين ، أن يشهدوا على الدين ، ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾: رجال المسلمين ، ﴿فَإن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أي : إن لم يكن الشهيدان رجلين ، ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي : فالمستشهد رجل وامرأتان ، وهذا مخصوص بالأموال عند الشافعي ، وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة ، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لعلمكم بعدالتهم ، ﴿أَن تَضِلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ أي : إن نسيت إحدى المرأتين الشهادة ، ذكرتها الأخرى ، فهو علة اعتبار العدد ، والعلة في الحقيقة التذكير ، ولما كان الضلال سببًا له نزل منزلته ، ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذَا مَا دُعُوا﴾ لأداء الشهادة ، وعند بعض[١] معناه : إذا دعوا للتحمل[٢] ، وحينئذ تسميتهم شهداء باعتبار المشارفة ، وما زائدة ومنه علم أن تحمل

---

(١) كقتادة والربيع بن أنس / ١٢ منه .

(٢) روى عن ابن عباس والحسن البصرى أنها عامٌّ في الأداء والتحمل قيل: في الأداء واجب، وفي التحمل ندب / ١٢

الشهادة فرض كفاية ، ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي : لا تملوا ، ولا تمنعكم الملالة أن تكتبوا الحق ، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلاً كان الحق أو كثيرًا ، ﴿إِلَى أَجَلِهِ[1]﴾: إلى وقت حلوله ، ﴿ذَلِكُمْ[2]﴾ إشارة إلى أن تكتبوه ، ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾: أعدل ، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أثبت لها، وهما مبنيان من أقسط[3] وأقام على مذهب سيبويه ، ﴿وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾ أي : أقرب في ألا تشكوا ، لأن ترجعوا بعد الشك في كتابتكم ، ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ﴾ التجارة ، ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا﴾ استثناء من الأمر بالكتابة ، وإدارتها بينهم: تعاطيهم إياها ، يداً بيد ، ومن قرأ : "تجارة" بالرفع فعنده كان تامة ، أوتديرونها خبر كان ، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ مطلقًا مؤجلاً ، أو معجلاً ، وهذا الأمر محمول[4] على الندب ، وعند الشعبي والحسن للوجوب لكن نسخ ، ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نهي عن الضرار بهما ، مثل أن يكلفا ترك حاجاتهم[5] ومهامهم ولا يعطى جعل

---

(١) أي : أن تكتبوا الصغير والكبير منضمًا منتهيًا إلى وقت حلوله ، يعني : كما يكتب أصل الدين يكتب الأجل أيضًا / ١٢ وجيز .

(٢) كل ذلك ضبط لأموال الناس، وتحريض على ألاّ يقع بينهم نزاع / ١٢ وجيز .

(٣) يعني : "أقسط" من المزيد لقصد الزيادة في العدل ، "إن الله يحب المقسطين" لا من المجرد لأن معناه الزيادة في القاسط وهو الجائر ، " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا " ، وكذا أقوم أشد إقامة لا قيامًا ، هذا ما قال المصنف في الحاشية.
وفي الوجيز قال صاحب البحر: قسط من الأضداد وفي الصحاح القسط: -بفتح القاف- الجود -وبكسرها-: العدل، فعلى هذا بناء أفعل من الثلاثي ، الذي هو القسط فلا يكون شاذًا ، وكذا أقوم من قام بمعنى: اعتدل/١٢ .

(٤) *عند الجمهور والأحاديث يؤيده / ١٢ منه .

(٥) الأول: لابن عباس وعكرمة ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير والضحاك وعطية والسدي ومقاتل بن حبان والربيع بن أنس، والثاني*: للحسن وقتادة وغيرهما/١٢ منه .

الكاتب ، وعلى هذا يضار مبني للمفعول ، أو معناه نهيهما عن الضرار بزيادة ونقصان ، وتحريف وتغيير ، فعلى هذا يكون مبنيًا للفاعل ، ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتم عنه ، ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ أي : لاحق لازم بكم ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أحكامه وشرائعه ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تكرار لفظ الله في الجمل الثلاث لاستقلال كل منها ، ولأنه أدخل في التعظيم ، ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي : مسافرين ، ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يكتب لكم ، ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ أي: فليؤخذ بدل الكتابة ، رهان مقبوضة في يد صاحب الحق ، وعند بعض السلف أن الرهن لا يجوز إلا في السفر(١) ، والحديث يرده ، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: بعض الدائنين بعض المديونين ، ﴿فَلْيُؤَدِّ(٢) الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ سمى الدَّين أمانة لائتمانه عليه بترك الإرتهان منه ، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانة ، ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ قلبه فاعل آثم ، أو مبتدأ ، وآثم خبره ، والجملة خبر إن ، وإسناده إليه للمبالغة ، كقوله: هذا مما عرفه قلبي ، ولئلا يظن أنه من آثام اللسان(٣) ، بل من آثام القلب ، الذي هو أشرف الأعضاء ، قال ابن عباس

---

(١) فقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم، رهن درعه في المدينة من يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير / ١٢ منه. [أخرجه البخاري في "الجهاد"، (٢٩١٦)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "المساقاة"، (١٢٣/٤) ط الشعب]

(٢) قال الشعبي: إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا ولا تشهدوا ، قال أبو سعيد الخدرى: هذه نسخت ما قبله / ١٢ منه. وفي الفتح، بعد نقل قول أبي سعيد، وأقول : رضي الله عن هذا الصحابي الجليل ليس هذا من باب النسخ فهذا مقيد بالائتمان وما قبله ثابت محكم لم ينسخ وهو مع عدم الائتمان/ ١٢ .

(٣) أخرج ابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن المسيب، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين ، وأخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدًا بالعرش، آية الربا وآية الدين / ١٢ وجيز .

رضي الله عنهما : كتمانها من أكبر الكبائر ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُـــونَ عَلِيـــمٌ﴾ تهديـــد ووعيد .

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

﴿لِلَّهِ مَا فِي[1] السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ، ﴿وَإِن تُبْدُوا مَـــا فِـــي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: ما خطر[2] ببالكم من السوء ، ﴿يُحَاسِبْكُم بِـــهِ اللَّـــهُ﴾ في

(١) ولما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة سرية وجهريـــة بدنيـــة وقلبيـــة واعتقادية وعملية ناسب ختمها بهذه، فقال: "لله ما في الســـماوات ومـــا في الأرض" الآية/١٢ وجيز .

(٢) قال بعض المفسرين: المراد ما عزم عليه لا ما خطر بباله، فإنه لا يؤاخذ به لأنه ليس في وسعه، وفي تفسيرهم بذلك مخالفة للجماهير من السلف وللأحاديث الصحـــاح/١٢ منه .

الآخرة ، لما نزلت[١] غمت الصحابة "فقالوا هلكنا ، فقلوبنا ليست بأيدينا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها" فنزلت "آمن الرسول" إلى "عليها ما اكتسبت" فنسختها، وتجاوز لهم عن حديث النفس وصرح بنسخها أكثر السلف[٢]، وبعضهم صرحوا بعدم نسخها ، وقالوا: يخبرهم الله يوم القيامة بما أخفوا في أنفسهم، فيغفر للمؤمنين، ويؤاخذ أهل الشك والنفاق ، فمعنى المحاسبة: الإخبار ، وعن عائشة[٣] رضي الله عنها "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سألت عن الآية : هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه الله من الحمى والنكبة ، حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها ، فيفزع لها ، حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير" ، فعلى هذا المحاسبة المؤاخذة، لكن المحاسبة إما في الدنيا ، وإما في الآخرة ، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ مغفرته ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المحاسبة وغيرها ، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وجه نزول الآية قد ذكرناه وهو أنهم قالوا : "سمعنا وأطعنا" لا كما قال أهل الكتاب: "سمعنا وعصينا" (البقرة:٩٣) قوله: "والمؤمنون" عطف على الرسول ، ﴿كُلٌّ﴾: من الرسول والمؤمنين ، ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ في الإيمان بهم ، ولا نقول: "نؤمن ببعض ونكفر ببعض" (النساء:١٥٠)، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ ، قول الله ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمره، نسأل ، أو اغفر ،

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة وروى الإمام أحمد عن ابن عباس وابن جرير عنه أيضًا / ١٢ منه. [أخرجه مسلم في الإيمان]

(٢) وصح الرواية بنسخها عن علي وابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم/١٢ منه .

(٣) رواه الترمذي وبن جرير وابن أبي حاتم /١٢ منه. [أخرجه الترمذي (٣١٧٦-أحوذي) بسند ضعيف]

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت ، ﴿لاَ يُكَلِّفُ[1] اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ ما يسعه قدرتها ويتسع فيه طوقها ، لا ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شر، ولما كان الشر مما تشتهيه النفس ، وهي أَجَدُّ وأَعْمَلُ فيه ، جعلت لذلك مكتسبة فيه بخلاف الخير ، فإنها لما لم تكن فيه كذلك وصفت بما ليس فيه الاعتمال ، فقال: كسبت ، ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا[2] أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ سألوا[3] الله التجاوز عنهما فأجاب ، ففي[4] الحديث "وضع عن أمتي الخطأ والنسيان" ، وأما دعاؤنا حينئذ بهما ، فيمكن أن يكون لإدامة الوعد ، وأن يجعلنا ممن وعد له التجاوز عنهما ، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: تكاليف شاقة ، تأصر صاحبه: تحبسه في مكانه، وإن أطقناها ، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ، مثل الذي حَمَّلْتَهُ إياهم فيكون صفة إصرا وهو التكاليف الشاقة وما أصابهم من المحن ، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾:

---

(١) ولما أخبر سبحانه عن عقائدهم وتضرعهم في المسألة بحيث يبان منه رضاؤه ، استأنف بخبر معه ، أنه سبحانه لا يكلف عباده من أفعال القلوب وأفعال الجوارح إلا بما هو وسع المكلف، " لا يكلف " الآية / ١٢ .

(٢) قيل الخطأ: والنسيان قلما يتفقان ، إلا عن تقصير سابق ، فالمراد من الدعاء عدم المؤاخذة به / ١٢ منه .

(٣) ودعاؤنا بعد وضع الخطأ والنسيان عنا، كالدعاء بألاّ تؤاخذنا بتفريط، أو أفعال تفضي إلى خطأ أو نسيان، أو الغرض من الدعاء تذكر الفضل بالعفو عنهما والتذلل بين يديه / ١٢ وجيز .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه، [وكذا البيهقي بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧١١٠)، وراجع الإرواء (ح٨٢)] وفي مسلم عن أبي هريرة وابن عباس "قال الله: قد فعلت" / ١٢ منه .

من المصائب، والتشديد هاهنا لتعديته إلى مفعول ثان ، ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: امــح عنــا ذنوبنا ، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: واستر لنا عيوبنا ، ﴿وَارْحَمْنَا﴾ في الدنيا ، فــلا توقعنــا في ذنب[١] آخر ، ﴿أَنْتَ مَوْلانَا﴾: ولينا وناصرنا ، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ ، وفي الحديث: "في آخر كل دعوة[٢] من هذه الدعوات ، قال الله تعالى: فعلت ونعم" ، وفي الحديث ، "فضلنا على الناس بثلاث: أوتيت هؤلاء الآيات مــن آخــر ســورة البقرة[٣] من بيت[٤] تحت العرش، لم يعطها أحد قبلي و لم يعطها أحد بعدى[*].

والحمد لله حق[٥] حمده .

---

(١) عن بعض السلف، المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه، وأن يستره عــن عباده فلا يفضحه ، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره / ١٢ منه .

(٢) الظاهر أن دعاءه عليه السلام بهذه الدعوات قراءته بهذه الآية ، ويحتمل أن يكون قــد دعا بها، فترلت الآية حكاية / ١٢ منه .

(٣) وفي مسلم أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا / ١٢ منه .

(٤) كناية وتمثيل لما فيه من كثرة الخير والبركة والثواب / ١٢ منه .

(*) أخرجه بنحوه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة مرفوعا بلفظ: "أعطيت هذا الآيات من آخر سورة البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي" وانظــر صحيــح الجــامع (١٠٦٠).

(٥) روى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال : لا أدرى أن أحدًا يعقل لغة الإســلام ينام، حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنها من كتر تحت العرش/١٢ .

سورة آل عمران

وآياتها مائتان وركوعاتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ
مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ
ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي
ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ
تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن
لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿الـم﴾ قد مر تفسيرها[1]، فلا نعيده ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ المتفرد بالألوهية

---

(١) قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، وكان بعضهم يجعلها أقسامًا، وكان بعضهم يجعلها حروفًا مأخوذة من صفات الله تعالى يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن =

﴿الحَيُّ﴾ الذي يصح أن يعلم أو يقدر ﴿القَيُّومُ﴾ دائم الحفظ للكائنات ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ

= عباس في "كهيعص": إن الكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقال الكلبي: هو كتاب كاف هاد حكيم عالم صادق، ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ونرجو ألا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها إن شاء الله.

فإن كانت أسماء للسور فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء، وتفرق بينها فإذا قال القائل: قرأت "المص" أو قرأت "ص"، أو "ن" دل بذلك على ما قرأ كما تقول: لقيت محمدًا، وكلمت عبد الله فهي تدل بالاسمين على العينين، وإن كان قد يقع بعضها مثل "حم"، و"الم" لعدة سور -فإن الفصل قد يقع بأن تقول "حم السجدة" و"الم البقرة" كما يقع الوفاق في الأسماء فتدل بالإضافات وأسماء الأباء والكنى.

وإن كانت أقسامًا فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها، فقال: "الم" وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل: تعلمت "أ ب ت ث" وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اجتزأ بذكر بعضها، ولو قال: تعلمت "حاء طاء صاد" لدل أيضًا على حروف المعجم كما دل بالقول الأول، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون: قرأت "الحمد لله"، يريدون فاتحة الكتاب فيسموها بأول حرف منها هذا الأكثر وربما دلوا بغير الأول أيضًا، أنشد الفراء:

لما رأيت أمرها في حطى	أخذت منها بقرون شمط

يريد في "أبي جاد"، فدل بحطى كما دل غيره بأبي جاد.

وإنما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها، وفضلها، ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأصول كلام الأمم بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدون.

وقد أقسم الله في كتابه بالفجر، والطور، وبالعصر، وبالتين والزيتون وهما جبلان ينبتان التين والزيتون - يقال لأحدهما: طور زيتا، وللآخر: طور تينا بالسريانية - من الأرض المقدسة، فسماهما بما ينبتان.

﴿الكِتَابَ﴾ : القرآن. ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق، أو بالعدل؛ وهو حال ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب أنه من عند الله ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ على موسى ﴿وَالإِنجِيلَ﴾ على عيسى ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ في زمانهما ﴿وَأَنزَلَ الفُرْقَانَ﴾ الفارق بين الحق والباطل، وهو جنس[1] الكتب الإلهية عم بعد ما خص ذكر الثلاثة، أو القرآن[2] كرر ذكره بوصفه تعظيمًا له ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يوم القيامة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يغلب ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة على من خالف الرسل ﴿إِنَّ[3] اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ[4] وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ قيده

= وأقسم بالقلم إعظامًا لما يسطرون، ووقع القسم بها في أكثر السور على القرآن فقال "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة:٢،١)، كأنه قال وحروف المعجم لهو الكتاب لا ريب فيه. و"الم الله لا إله إلا هو" أي: وحروف المعجم لهو الله لا إله إلا هو. و"المص كتاب أنزل إليك" (الأعراف:٢،١)، أي: وحروف المعجم لهو كتاب أنزل إليك و"يس والقرآن الحكيم" (يس:٢،١) [وفي الأصل: ياسين]، و"ص والقرآن ذى الذكر" (ص:١)، و"ق والقرآن المجيد" (ق: ١)، كله أقسام/ مـــ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

(١) فإن الكتب السماوية كلها فارقة بين الحق والباطل، قيل: فيه إشارة إلى أن للقرآن تنزيلاً وإنزالا بخلاف الكتابين فهما إنما نزلا جملة واحدة لا منجما أي: المراد من الفرقان القرآن، وفائدة التكرير وصف القرآن بالإنزال والتنزيل، فإنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم منه نزل منجمًا إلى الأرض بخلاف سائر الكتب فإنه أنزلها جملة على الرسل لا منجما/١٢.

(٢) وهو قول قتادة /١٢.

(٣) وصف ذاته الأقدس بالحياة، والقيومية، وإنزال الكتب، وإعداد العذاب للكافر، والعزة والانتقام المتفرع على الألوهية من غير شركة ووصفه أيضًا بالعلم فقال: "إن الله لا يخفى"/ ١٢.

(٤) يعنى عبر عن العالم بالسماء، والأرض لما أنهما العالم كله في النظر الظاهر١٢/.

بهما، إذ الحس لا يتجاوز عنهما ﴿هُوَ[1] الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من الصـــور المتنوعـــة ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ[2]﴾ الغالب في الأمور ﴿الحَكِيمُ﴾ في الأفعال ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾[3]

---

(١) ولما قدم صفة العلم أتبعه صفة القدرة، والتدبير فقال: "هو الذي" إلخ/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر من الصفات الحسنى ما دل على أنه هو المتفرد بالإلهية، وهو الغالب الحاكم ذكر نتيجته فقال: "لا إله إلا هو العزيز الحكيم".

(٣) قال صاحب الفتح: "والأولى أن يقال: إن المحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه أو لا يظهر دلالته لا باعتبار نفسه، ولا باعتبار غيره وإذا عرفت هذا عرفت أن الاختلاف الذي قدمناه ليس كما ينبغي، وذلك لأن أهل كل قول عرفوا المحكم ببعض صفاته وعرفوا المتشابه بما يقابلها ثم نقل تحت قوله تعالى: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به" أقوال العلماء في أن الراسخين في العلم هل يعلمون معنى المتشابهات أم لا؟ إلى أن قال: وأقول هذا الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم أعظم أسبابه اختلاف أقوالهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه، وقد قدمنا ما هو الصواب في تحقيقهما ونزيدك هاهنا إيضاحًا وبيانًا، فنقول: إن جملة ما يصدق عليه تفسير المتشابه الذي قدمناه – فواتح السور فإنها غير متضحة المعنى، ولا ظاهرة الدلالة لا بالنسبة إلى أنفسها لأنه لا يدرى من يعلم بلغة العرب ويعرف عرف الشرع ما معنى الم، المر، حم، طس، طسم ونحوها، لأنه لا يجد بيانها في شيء من كلام العرب، ولا من كلام الشرع فهي غير متضحة المعنى لا باعتبارها نفسها ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها ومثل ذلك الألفاظ المنقولة عن لغة العجم، والألفاظ العربية التي لا يوجد في لغة العرب ولا في عرف الشرع – ما يوضحها، وهكذا ما استأثر الله به كالروح، وما في قوله: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام" إلى آخر الآية (لقمان:٣٤)، ونحو ذلك وهكذا ما كانت دلالته غير ظاهرة لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره كورود الشيء محتملا لأمرين احتمالا لا =

واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ[1]﴾ أصله يرد إليها[2] غيرها، وهن ناسخ القرآن، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه"[3] وما يؤمن به، ويعمل به أو قوله: "قل تعالوا" (آل عمران:٦١)، والآيتان بعدها، وقوله: "وقضى ربك" (الإسراء:٢٣)، إلى ثلاث آيات بعدها، والآيات كلها في تكاملها كآية[4] واحدة، أو كل واحدة منهن أم الكتاب.

= يترجح أحدهما على الآخر باعتبار ذلك الشيء في نفسه، وذلك كالألفاظ المشتركة مع عدم ورود ما يبين المراد من معنى ذلك المشترك من الأمور الخارجة وكذلك ورود دليلين متعارضين تعارضًا كليًا بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه، ولا باعتبار أمر آخر يرجحه، وأما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بأن يكون معروفا في لغة العرب أو في عرف الشرع أو باعتبار غيره، وذلك كالأمور المجملة التي ورد بيانها في موضع آخر في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة والأمور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما يبين راجحها من مرجوحها في موضع آخر من الكتاب والسنة أو سائر المرجحات المعروفة عند أهل الأصول المقبولة عند أهل الإنصاف، فلا شك ولا ريب أن هذه من المحكم لا من المتشابه، ومن زعم أنها من المتشابه فقد اشتبه عليه الصواب فاشدد يديك على هذا فإنك تنجو به من مضائق ومزالق وقعت للناس في هذا المقام حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل لما تذهب إليه محكمًا وما دل على ما يذهب إليه من يخالفها متشابها سيما أهل علم الكلام، ومن أنكر هذا فعليه بمؤلفاتهم/١٢.

(١) عن سعيد بن جبير: إنما سماهن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب/١٢.

(٢) أي: يرجع إليها غيرُها فإن لم يكن مخالفا لها تقبل، وإلا فيحكم ببطلان ما فهمنا منه/ ١٢منه.

(٣) الأول: قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة والضحاك، والسدي وغيرهم، والثاني: رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبير/١٢.

(٤) يعني القياس أن يقال هن أمهات الكتاب فأفرد على أن الكل بمنزلة آية واحدة أو على تأويل كل واحدة/١٢منه.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فيها اشتباه في الدلالة لكثير من الناس إلا للمهرة من العلماء، وبهذا يظهر فضلهم، وهن المنسوخة، والمقدم والمؤخر منه، والأمثال والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به، أو الحروف التي في أوائل السور[1] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ عدول عن الحق، كاليهود، وقالت: الحروف المقطعة بيان مدة أجل هذه الأمة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتعلقون به ليترلوه على مقاصدهم الفاسدة، وأما المحكم فتركوه لأنه لا نصيب لهم فيه. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: الإضلال. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على ما يشتهونه أو بطلب[2] حقيقته وما يئول أمره إليه. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ[3]﴾ أي ما هو

---

(١) روى عن ابن عباس ومقاتل بن حيان/١٢منه.

(٢) هذا قول مقاتل والسدي/١٢منه.

(٣) ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ولم يترل الله شيئًا من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراده. فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعلة.

وهل يجوز لأحد أن يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف المتشابه، وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" ــ جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علم عليًّا التفسير، ودعا لابن عباس فقال: "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين"[أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٣/٥٣٦)، وهذا لفظه، وهو في الصحيحين بلفظ: "اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب"]، وما روى عبد الرزاق عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: "كل القرآن أعلم إلا أربعًا [في الأصل: ربعاً] غسلين وحنانًا والأواه والرقيم" ــ كان هذا من قول ابن عباس في وقت ثم علم ذلك بعد/مـــ تأويل مشكل القرآن بتصرف.

الحق، أو حقيقته. ﴿إِلاَّ اللَّهُ[1] وَالرَّاسِخُونَ[2] فِي العِلْمِ﴾ اختلفوا في الوقف على "الله" عند أكثر السلف أن تأويل بعض الآيات لا يعلمه أحد إلا الله، ومن القراء من يقف على قوله: "والراسخون في العلم"، وهو قول مجاهد وربيع بن أنس، وروى عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ خبر الراسخون إن جعلته مبتدأ، وإلا فهو استئناف أو حال. ﴿كُلٌّ﴾ : من المتشابه، والمحكم. ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ وما يتعظ بالقرآن ولا يفهمه إلا ذوو العقول السليمة، وفى الحديث(*) حين سئل عن الراسخين: "من برت يمينه وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم".

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: من مقال الراسخين أي: لا تملها عن الحق إلى اتباع لمتشابه بتأويل غير مراد الله. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: إلى الإيمان بالمحكم، والمتشابه. ﴿وَهَبْ لَنَا

---

(١) وبعض الأحاديث يؤيدهم، وفى قراءة ابن مسعود إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون، وكذا في قراءة أبي بن كعب/ ١٢منه، وهو المتبادر إلى الفهم من سوق كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٢) قال بعض العلماء: التأويل يطلق على المعنيين.

أحدهما: حقيقة الشيء وما يئول إليه أمره كقول الله حكاية عن يوسف: "هذا تأويل رؤياى من قبل" (يوسف:١٠٠)، وقوله: "يوم يأتى تأويله" (الأعراف: ٥٣).

والثانى: التفسير والبيان فإن أريد به الأول فالوقف على الله، وإن أريد به الثانى فالوقف على قوله: "والراسخون في العلم" /١٢ منه.

(*) ذكره الهيثمي في "المجمع" (٦/٣٢٤) وقال: "رواه الطبراني وعبدالله بن يزيد ضعيف".

من لدنك رحمة﴾ تثبت بها قلوبنا **﴿إنك أنت الوهاب[1]﴾** : لكل سؤل. **﴿ربنا إنك جامع الناس[2] ليوم﴾**: لجزاء يوم أو في يوم. **﴿لا ريب فيه﴾**: في وقوعه. **﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾**.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ

---

(١) أخرج الهروى في ذم الكلام عن الإمام الشافعى قال: حكمى في أهل الكلام حكم عمر في ضبيع[كذا في الأصل، والذي في تفسير القرطبي والقاموس (صبغ) صبيغ] أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: "إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخنسوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله، وأخرج نصر المقدسى في الحجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القرآن هذا يترع بآية، وهذا يترع بآية فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: "أهذا خلقتم أم بهذا أمرتم؟ ، أن تضربوا كتاب الله بعضا ببعض! انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا". وأخرج ابن الضريس ونصر المقدسى في الحجة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر ما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"/١٢ در منثور[ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣٤٨/١) من طريق أبي يعلى الموصلي وقال: "إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة".

(٢) إضافة الجامع إلى الناس إضافة إلى المفعول وليوم متعلق به على حذف المضاف لأن الجمع ليس لليوم نفسه أو للام بمعنى في، والأول أظهر فلا حاجة إلى تقدير/١٢منه.

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ
الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ
وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ
لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ
فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ
وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا
وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿**إِنَّ**(١) **الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أو المراد يهود قريظة والنضير.

---

(١) ولما استعاذوا من الزيغ لخوف الجزاء في القيامة بين تعالى حال بعض الزائغين ومـــآلهم فقال: ﴿إن الذين﴾ الآية/١٢.

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا يدفع عنهم شيئًا[1] من عذاب الله أو ما أجزأ عنهم وما كفاهم من رحمة الله شيئًا من الإجزاء على أن يكون شيئًا مصدرًا . **﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾**: حطبها.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بلن تغنى أي: لن تغنى عنهم كشأن آل فرعون يعنى: مثل ما لم تغن عنهم، أو استئناف أي: صنيعهم[2] وسنتهم كصنيع آل فرعون. **﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾** عطف على آل فرعون. **﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾**: حال بإضمار قد أو استئناف، وقيل: الذين من قبلهم مبتدأ وكذبوا خبره**﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾** تهويل وتشديد للمؤاخذة.

﴿قُل﴾: يا محمد. **﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾** : في الدنيا. **﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ ﴾** جهنم وهو استئناف أو تمام ما يقال لهم لما رجع[3] (رسول الله صلى الله عليه وسلم) من بدر حذر اليهود أن يترل عليهم ما نزل على قريش، فقالوا: لا يغرنك أن قتلت أغمارًا لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت الناس فترلت إلى قوله: "لعبرة لأولى الأبصار"(*)، وقيل: الخطاب لقريش.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها اليهود وقيل: أيها المشركون والمؤمنون. **﴿آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتَا﴾** : يوم بدر. **﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ**

---

(١) ويصح أن يكون مفعولا به؛ لأن معنى أغنى عنه كفاه، فشيئًا ثانى مفعوليه كقوله تعالى "وكفى الله المؤمنين القتال" (الأحزاب:٢٥)، /١٢.

(٢) يعنى صنيع هؤلاء الكفرة الذين لا يؤمنون بك/١٢.

(٣) رواه محمد بن إسحاق عن ابن عباس وعن عاصم بن عمر بن قتادة رضى الله عنهم/ ١٢منه.

(*) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه عنعنه ابن إسحاق وهو مدلس. وانظر الدر المنثور (١٦/٢).

يَرَوْنَهُم[1] **مِّثْلَيْهِمْ﴾** الجملة[2] حال، وتقاتل خبر لفئة أو صفة لها، والجملة خبرها أي: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلى عدد المسلمين أو المشركين، ليحصل لهم الرعب، والمسلمون كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر، وهم ما بين تسع مائة إلى ألف، وهذا في أول الأمر وأما في حال القتال فكل من المسلمين والكافرين قللوا الآخر كما قال تعالى: "وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم" (الأنفال: ٤٣)، إلخ. لتقدموا[3] عليهم، ويقضى الله أمرًا كان مفعولا أو يرى المسلمون الكافرين مثلى عدد المسلمين مع أنهم أكثر ليقوى قلوبهم بوعد الله، وهو قوله: "وإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين" (الأنفال:٦٦). أو مثلى عدد المشركين ليتوكلوا أو يطلبوا الإعانة من الله، وحين القتال قللهم الله في أعينهم حتى سأل[4] بعض المسلمين بعضهم: هل تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. **﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾** : رؤية ظاهرة معاينة. **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾** : نصره **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾** : أي: التقليل والتكثير وغلبة القليل عليهم. **﴿لَعِبْرَةً﴾** : عظة. **﴿لِأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾** : لذوى البصائر.

---

(١) وقراءة نافع في قوله: "تروهم" بالتاء محمول على الالتفات على ما قدرنا إلا على قول من قال الخطاب في "قد كان لكم" إما للمشركين أو للمؤمنين، فإنه لا يكون من باب الالتفات/١٢منه [والالتفات هو تحول الكلام من صيغة إلى أخرى كما في قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله: الحمد لله رب العالمين...إلخ، فقد تحول الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب لغرض بلاغي هو استحضار مقام العبودية، وتجلي الذات الإلهية] د/هنداوي مراجعه.

(٢) أي جملة يروهم/١٢منه.

(٣) أي ليقدموا كل منهما على الآخر/١٢.

(٤) السائل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه/١٢.

﴿زُيِّنَ[1] لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: المشتهيات سماها شهوات مبالغة. ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ القناطر[2] المال الكثير. ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾ ذكرت للتأكيد كبدرة مبدرة أو القنطار ألفا أوقية أو ألف دينار أو ألف ومائتا دينار، وقيل غيرها. ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾: عطف على النساء. ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾: الراعية[3]، والمطهمة[4] الحسان أو الغرة والتحجيل وقيل غيرهما. ﴿وَالأَنْعَامِ﴾ الإبل، والبقر، والغنم. ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ[5]﴾ : إشارة إلى ما ذكر. ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : وهي فانية. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ أي: المرجع والثواب وفيه تزهيد من الدنيا.

﴿قُلْ﴾: يا محمد. ﴿أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ﴾ أأخبر بخير مما زين للناس؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ[6] تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾: من تحت أشجارها. ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض وسائر الدنس. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ

---

(١) لما ذكر أنه لا يغني أولادهم ولا أموالهم من الله شيئًا فصل الأموال والأولاد وغيرهما مما هو شاغل عن ذكر الله فقال: "زين للناس"/١٢.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه[المستدرك (١٧٨/٢) وأقره الذهبي] والثاني قول أنس وابن عباس والحسن البصرى وغيرهم والثالث قول الضحاكُ من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار وعن أبي سعيد الخدرى ملء مسك الثور ذهبا/١٢منه.

(٣) كذا فسره ابن عباس وأكثر السلف، والثانى قول مكحول/١٢منه.

(٤) أي: تام الخلق سمينة/١٢.

(٥) فإفراده وتذكيره مع أنه للإشارة إلى جميع ما ذكر نظرًا إلى المذكور، وقد جوزوا في الضمير الإفراد، والتذكير، والتأنيث بالنظر إلى الخبر/١٢منه.

(٦) الظاهر أن "جنات" مبتدأ، و"للذين اتقوا" خبره وقيل: جاز أن يكون للذين متعلقا بخير، وجنات خبر مبتدأ محذوف أي: هو جنات/١٢منه.

اللَّهِ﴾: فلا يسخط عليهم أبدًا. **﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** بأعمالهم وأحوالهم، فيعطيهم ما يستحقونه.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: مرفوع أو منصوب[1] بالمدح. **﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾**: بإيماننا لك. **﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**. **﴿الصَّابِرِينَ﴾**: على الشرع. **﴿وَالصَّادِقِينَ﴾**: في اللسان. **﴿وَالْقَانِتِينَ﴾**: المطيعين الخاضعين. **﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾**: من أموالهم في جهات الخير. **﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ[2] بِالأَسْحَارِ﴾** فإنها وقت الإجابة، أو المصلين، قيل: هو الذي يصلى الصبح بالجماعة **﴿شَهِدَ[3]**

---

(١) قيل: جاز أن يكون مجرورًا صفة للذين اتقوا وهذا بعيد جدًّا، وأما جعله صفة للعباد فالبعد من جهة المعنى، حيث خص كونه بصيرًا بالعباد المخصوصين/١٢منه.

(٢) عن ابن عباس قال:"أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين مرة"، وعن سعيد الجريرى قال: "بلغنا أن داود عليه السلام سأل جبريل أي الليل أفضل؟ قال: يا داود ما أدرى إلا أن العرش يهتز في السحر وقد ثبت في الصحيحين، وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له"[أخرجه البخاري في "التهجد" (١١٤٥)، وفي مواضع أخر من صحيحه، ومسلم في "صلاة المسافرين"] وفى الباب أحاديث، وفيه وفى أمثاله مذهب السلف الإيمان به وإجراؤه على ظاهره، ونفى الكيفية عنه وهو الحق/١٢فتح.

(٣) ولما بين أن المتقين هم القائلون بوحدانية ربهم أتبعهم ما يدل على صدق مقالهم، وأنهم مندرجون في زمرة الشهداء الذين هم الملائكة، والأنبياء، والأولياء فقال: "شهد الله" الآية/١٢وجيز.

اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾:[1] بأن نصب أدلة التوحيد أو بين الله أو حكم الله **﴿وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ[2]﴾** بالإقرار، وهذه مرتبة جليلة للعلماء. **﴿قَائِماً[3] بِالْقِسْطِ﴾**: بالعدل في أحكامه، وهو حال من الله. **﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾**: كرره تأكيدًا، وليبنى عليه قوله **﴿العَزِيزُ﴾**فلا يرام جنابه عظمةً. **﴿الحَكِيمُ[4]﴾** فلا يصدر عنه شيء إلا على وفق الاستقامة. **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ[5]﴾** جملة مؤكدة للأولى أي: لا دين مقبول عنده سوى الإسلام، وهو اتباع سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. **﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾** مطلقًا

---

(١) أخرج ابن عدى والطبرانى في الأوسط، والبيهقى في شعب الإيمان وضعفه والخطيب في تاريخه وابن النجار عن غالب القطان قال: "أتيت الكوفة فترلت قريبا من الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر، فقام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية" شهد الله أنه لا إله إلا هو" إلى قوله: "إن الدين عند الله الإسلام" فقال: "وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهى لى وديعة عند الله" قالها مرارًا، نقل هذه القصة السيوطى في الدر المنثور[٢/٢١] قال "المحشى محمد بن عبد الله الغزنوى: وأنا أشهد مرارًا وأنادى بهذه الشهادة على رءوس الأشهاد جهارًا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى وديعة عند الله أشهد أن لا إله إلا هو قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ثم أشهد ، ثم أشهد إلى يوم أموت ويوم أبعث حيا/١٢.

(٢) من الأنبياء والأتقياء بأن أقروا واعترفوا وبينوا أدلة التوحيد وكفى للعالمين هذه المرتبة الجليلة/١٢وجيز.

(٣) نصب قائمًا على أنه حال من فاعل شهد وجاز لأنه لا لبس نحو رأيت السلطان وعبيده راكبًا/١٢وجيز.

(٤) قال المحرر: وأنا على ذلك من الشاهدين/١٢.

(٥) قال بعض المحققين: الإسلام انقياد الرسل وأتباعهم في كل حين حتى ختم بسيد الرسل الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته/١٢.

أو اليهود في دين الإسلام بأنه حق أو باطل ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العِلْمُ[١]﴾: بحقية الإسلام. ﴿بَغْيًا﴾: حسدًا. ﴿بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بما أنزلِه في كتابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ المجازاة.

﴿فَإنْ حَاجُّوكَ﴾: جادلوك في الدين، والتوحيد. ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ[٢]﴾: أخلصت نفسي وعبادتي له. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ[٣]﴾: عطف على الضمير المتصل[٤] يعني: ديني دين التوحيد الذي ثبت عندكم أيضًا وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ﴾: الذين لا كتاب لهم من العرب ﴿ءأَسْلَمْتُمْ﴾ لما وضحت الحجة لكم أم أنتم بعد على الكفر؟ وفى هذا النوع من السؤال تعيير[٥] لهم،

---

(١) فإنهم علموا من كتبهم حقية الإسلام وقرءوا فيها نعته صلى الله عليه وسلم فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم/١٢منه.

(٢) أي: انقدت لله بلسانى، وعقدى والوجه زيادة كما قال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص:٨٨)، يريد إلا هو، وقوله تعالى: "إنما نطعمكم لوجه الله" (الإنسان:٩)، أي: لله، قال زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية:

أسلمت وجهى لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

(٣) ولا يبعد أن يكون المراد كفانى إسلام أصحابى، فإن أسلمتم فلكم، وإن كفرتم فعليكم، وما عليَّ إلا البلاغ، ولهذا قال: "وقل للذين أوتوا الكتاب" الآية/١٢ وجيز.

(٤) وجاز للفصل/١٢.

(٥) بمعاندتهم وعدم إنصافهم كما إذا أوضحت مسألة على أحد، ثم تقول له: هل فهمت؟! توبيخًا له على البلادة/١٢.

وقيل: استفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾: وقد بلغت وليس عليك هداهم. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: وعد ووعيد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا
ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ
إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ
مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ
مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا
يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى
ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا
فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ
أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كأهل الكتاب كفروا بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم. ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾: كبني إسرائيل قتلوا أربعين نبيًّا في ساعة من أول النهار وفعل آباؤهم فعلهم، وذلك لأن الأنبياء على طريقتهم راضون عن فعلهم[1]. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي: عندهم أيضًا وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى. ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: قام[2] مائة وسبعون رجلا من بني إسرائيل أمروا على من قتل الأنبياء بالمعروف فقتلوا في آخر النهار. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ اعلم أن من لم يجوز[3] الفاء في خبر إن قال: خبره "أولئك الذين" نحو قولك زيد فافهم رجل صالح.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت. ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لأنها لم تحقن دماءهم وأموالهم ﴿وَالآخِرَةِ﴾: ما استحقوا ثوابًا ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ : ليدفعوا عنهم العذاب.

---

(١) الدائرون حول قتل سيد الأنبياء، فكأن الأسباط هم الأسلاف فالبشارة بالعذاب للأسباط؛ ولهذا أورد قبائح أجدادهم بصيغة المضارع لأنها بمترلة فعل أسباطهم وليتذكروها كأن أفعالهم شاهدة/١٢وجيز.

(٢) هكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢منه[ذكره ابن كثير في "التفسير" (٣٥٦/١) من طريق ابن أبي حاتم، وفي سنده ضعف].

(٣) والصحيح جواز دخول الفاء في خبر إن إذا كان اسمها متضمنا معنى الشرط نحو: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم" الآية (الأحقاف:١٣)، "إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات" الآية (البروج:١٠)، "إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله" الآية (محمد :٣٤)، /١٢وجيز.

﴿أَلَمْ تَرَ[1] إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الكِتَابِ﴾: كاليهود ومن للتبعيض. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: التوراة أو القرآن. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: نزلت في الرجم سألوا محمدًا عليه الصلاة والسلام حد المحصن فحكم بالرجم فما صدقوه فطلب التوراة، فلما أتوا بها ستروا آية الرجم بأكفهم، وابن السلام[*] رفع كفهم عنها وقرأها على اليهود فغضبوا وانصرفوا، أو نزلت لما قالوا: كان إبراهيم يهوديا. فلما قيل لهم هلموا التوراة فأبوا، وعن ابن عباس وقتادة إنهم دعوا إلى القرآن فأعرضوا عنه. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾، ثم لاستبعاد توليهم مع العلم. ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ قوم عادتهم الإعراض أو معرضون عن كتابهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإعراض. ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل، أربعين يومًا بعدد أيام عبادة العجل أو سبعة أيام بإزاء كل ألف سنة يوم أي: الإعراض بسبب تسهيلهم عذاب الله ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ كقولهم: "لن تمسنا النار" وأن الله وعد يعقوب أن لا يعذب ذريته. ﴿فَكَيْفَ﴾: يكون حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾: لجزاء يوم. ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾: لاشك في وقوعه مع أنهم كذبوا رسلهم، وقتلوهم، وافتروا. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاءه. ﴿وَهُمْ﴾ أي: كل نفس لأنه في معنى كل إنسان. ﴿لاَ يُظْلَمُونَ﴾ بنقصان الحسنات وتضعيف السيئات. ﴿قُلِ[2] اللَّهُمَّ﴾: يا الله. ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾: لك الملك كله وهو نداء ثانٍ عند من يجعل الميم مانعًا من الوصفية. ﴿تُؤْتِي

(١) ألم تخبر وكذلك أكثر ما في القرآن/١٢.

(*) المشهور أنه: ابن سلام.

(٢) ولما بين ضلال أهل الكتاب، وحال مآلهم بعد الموت أشار إلى مآلهم في الدنيا بأن لهم الذل وانتزاع ديارهم وملكهم منهم، وعز المسلمين وانتقال ملك أهل الضلال إليهم فقال: "قل اللهم مالك الملك" الآية/١٢وجيز.

المُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: كمحمد وأصحابه أو الملك بمعنى النبوة. **﴿وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾**: أن تنزع منه كاليهود، وصناديد القريش. **﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾**: إذلاله كاليهود والمشركين. **﴿بِيَدِكَ الخَيْرُ﴾** اكتفى بالخير، لأنه المرغب فيه أو لأن الكلام في الملك والنبوة وهما خير، أو لأن الخير مقضى بالذات إذ ما من شر إلا وفيه أنواع الخير أو لمراعاة الأدب في الخطاب وتقديم الخبر للحصر. **﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾**: من الخير والشر. **﴿قَدِيرٌ﴾** ، وهذه الآية إرشاد إلى شكر نعمه، من تحويل الملك والنبوة والعز للمسلمين، والذل لليهود، وقيل: نزلت لما فتح مكة ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح ملك فارس والروم وقالت اليهود والمنافقون: هيهات.

﴿تُولِجُ[1]﴾ تدخل أي: بالتعقيب أو بالزيادة والنقص. **﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾**: كالحيوان من النطف والنطف منه، والبيض من الطير وعكسه أو كالمؤمن من الكافر وعكسه. **﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** : فمن قدر على مثل ذلك قدر على كل شيء.

﴿لاَ يَتَّخِذِ[2] المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: نهوا عن موالاتهم بصداقة، أو قرابة أو غيرهما **﴿مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾** إشارة إلى أنهم الحقيق(*) بالمحبة. **﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾**: اتخاذهم أولياء بأن يظهر عليهم أسرار المسلمين. **﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾**: من دين الله

---

(١) ولما ذكر أنه على كل شيء قدير بين ذلك بقوله "تولج" إلخ/١٢.

(٢) ولما بين أن الخير كله بيده، وهو القادر على كل شيء وهو الرزاق فعلى عبيده أن يتوكلوا في جميع أمورهم على ربهم ولا يتجاوزوا بوجه من الوجوه وحال من الأحوال عن طاعة مولاهم ولا يركنوا إلى أعداء الله – حذر من الركون إليهم فقال: "لا يتخذ المؤمنون" الآية/١٢وجيز.

(*) في النسخة (ن): الأحقاء.

وولايته. ﴿فِي شَيْءٍ﴾: فإن محبتي متعاديين لا تجتمعان. ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا[1] مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب أن يتقى فيكون تقاة مفعولاً به وجاز أن تضمن تتقوا معنى تحذروا فيكون معدى بمن، وتقاة مصدر نهوا عن الموالاة في جميع الأوقات إلا وقت المخافة فإنه جازت المداراة حينئذ باللسان. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني عن عقاب يصدر عن نفسه، وهذا غاية التحذير كما يقال: احذر غضب السلطان نفسه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاحذروا كل الحذر.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من ولايتهم وغيرها، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ قيل: إن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تظهروه بحربه، ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ : يحفظه الله حتى يجازيكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: فكيف لا يعلم سركم وجهركم؟! ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبة متخذى الولاية لهم كأنه قال: "يحذركم نفسه" فإنه متصف بعلم ذاتى محيط(*) بجميع الكون وقدرة ذاتية تعم المقدورات. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بعيدًا﴾ أي: جزاء ما عملت أو صحائفه. وعامل يوم "تود" أي: تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم أمدًا يوم تجد الخير والشر حاضرين عنده، ولو للتمنى وجملة "لو أن بينها" كالبيان للتمنى أو تقديره: اذكر يوم تجد، وتود حال من فاعل عملت أو ما عملت مبتدأ لا عطف على ما عملت

---

(١) وتتقوا من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهذا الالتفات في غاية الحسن؛ لأنه حين نهاهم عما لا يجوز جعلهم غائبين، ولما حصل الإذن في بعض ذلك واجههم إيذانًا بلطف الله، وتشريفًا بخطابه إياهم/١٢وجيز.

(*) وفي نسخة (ن): يحيط.

وتود خبره، وحينئذ ضمير "بينه" لما عملت. ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كـــرره تـــأكيدًا
ليكون على بال منه. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ : ومن رأفته بهم حذرهم بنفسه.

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ
عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِى بَطۡنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلۡ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّى وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ
وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّى سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ
يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ
حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ
إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ
ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدۡ بَلَغَنِىَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِى عَاقِرٌۖ
قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّىٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِىِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾: نزلت[1] حين سجدوا للأصنام(*) زعما منهم أن الباعث لعبادتهم حب الله، وقيل: نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا نعبد المسيح حبًّا لله. ﴿يُحْبِبْكُمُ[2] اللَّهُ﴾ أي: يرض

---

(١) منقول عن ابن عباس ذكره البغوى والواحدى وغيرهما/١٢منه.

(*) في الأصل: الأصنام.

(٢) قوله تعالى: " إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله" فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه جزم قوله "يحببكم الله" فجزمه جوابًا للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعونى يحببكم الله ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول، والمنازعون منهم من يقول: ما ثم محبة ، بل المراد ثوابًا مخلوقًا، ومنهم من يقول: بل ثم محبة قديمة أزلية إما الإرادة وإما غيرها والقرآن يدل على قول السلف، وأئمة السنة المخالف للقولين وكذلك قوله: "ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه" (محمد:٤٧)، فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته فهى سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها وكذلك قوله: "فلما آسفونا انتقمنا منهم" (الزخرف:٥٥)، وكذلك قوله: "إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم" (الزمر:٧)، علق الرضى بشكرهم وجعله مجزومًا جزاءً له وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده، وكذلك قوله: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة:٢٢٢)، ويحب المتقين، ويحب المقسطين، و"يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا" (الصف:٤)، ونحو ذلك فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال، وهى جزاء لهذه الأعمال، والمسبب والجزاء إنما يكون بعد العمل والسبب (.....) [ما بين القوسين رموز غير مفهومة لعلها تشير إلى أنه من كلام شيخ الإسلام كما أوضح فى الموضع الذى أشار فيه بعد] شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى قدس الله روحه وسيأتى بعض ما يتعلق بالمحبة في تفسير قوله تعالى ﴿وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ (آل عمران:١٤٦)، إن شاء الله تعالى.

عنكم ويثبكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: والجزم لجواب الأمر يعنى يحصل لكم فوق ما طلبتم[1] كما قيل: "ليس الشأن أن تحِب إنما الشأن أن تحَب" ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ : باتباعكم للرسول.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الطاعة. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ[2]﴾ : لا يرضى عنهم أتى بالظاهر بدل المضمر[*] دلالة على أن التولى كفر. ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى[3]﴾: بالرسالة ﴿آدَمَ وَنُوحًا﴾ ونوح أول رسول بعثه لما عبد الناس الأوثان. ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ منهم سيد البشر عليه الصلاة والسلام ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾: هو والد[4] مريم أو والد موسى وهارون. ﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾ : ومن العالمين الملائكة.

---

(١) فإنهم طلبوا مرتبة المحبية فيحصل لهم مرتبة المحبوبية، ومن أين إلى أين /١٢.

(٢) فيه دلالة على أن التولي كفر، وعلى أن مرتكب السيئات يحوم حول وادي الكفر، ولما أوجب طاعة الرسل وبين أنها الجالب لمحبة الله عقبه ببيان مناقبهم تحريضًا على طاعتهم، فقال: "إن الله اصطفى آدم" الآية/١٢.

(*) وذلك لأن أصل السياق أن يقول "فإن تولوا فإن الله لا يحبهم" فلما قال "إن الله لا يحب الكافرين" بإيقاع الاسم الظاهر "الكافرين" مكان الضمير "هم" علم أن الله تعالى قد سمى المتولى أى المعرض عن طاعة الله ورسوله كافرا. د/هنداوي.

(٣) عام يراد به خاص و لم يصطفهم على محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا أممهم على أمته ألا تراه يقول: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (آل عمران: ١١٠)، وإنما أراد عالمى أزمنتهم هذا كقوله سبحانه: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا " (الحجرات: ١٤)، وإنما قاله فريق من الأعراب، وقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون" (الشعراء: ٢٢٤)، لم يرد كل الشعراء/١٢.

(٤) هذا قول محمد بن إسحاق، والثانى قول قتادة/١٢منه.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ حال أو بدل من نوح والآلين أي: إنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوال الناس، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفى مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ مفعول لاذكر، قيل: ظرف لسميع وعليم أي: سميع عليم بقول امرأة عمران وبنتها إذ قالت ﴿امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾: هى أم مريم. ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ أوجبت على نفسى أن يكون ما في بطنى لك لا أستخدمه، ﴿مُحَرَّرًا﴾ حال أي: معتقًا مخلصًا للعبادة قيل: كانت لا تحمل فرأت طائرًا يُطعم فرخه؛ فاشتهت الولد؛ فدعت؛ فاستجيب دعاؤها، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: بقولى، ﴿الْعَلِيمُ﴾ : بنيتى.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ تأنيث الضمير لأن ما في البطن كان أنثى. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ قالته تحسرًا وعذرًا مما نذرت فإنها ترجو ذكرًا، ولذلك حررته، وأنثى حال عن مفعول وضعت. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: هو قول الله تعظيما لموضوع كان آية للعالمين، وقرئ: "وَضَعْتُ" فيكون من كلامها تسلية لنفسها لعل لله فيها سرًّا، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ فيما نذرت لما فيها من الحيض والنفاس وعدم القوة، وقيل: هو قول الله أيضًا أي: ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا[1] مَرْيَمَ﴾: عطف على إنى وضعتها أنثى قيل: معنى المريم في لغتهم العابدة. ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾: أجيرها بحمايتك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[2]﴾: المطرود، في الحديث: "ما من مولود يولد؛ إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه،

---

(١) أشار بقولها إنى سميتها مريم إلى أن تفاءلت باسمها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها/١٢منه.

(٢) وذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبًا لأن يصحبها[تصحفت فى الأصل إلى (يصبحها)] حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها/١٢.

إلا مريم وابنها"(*) ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: رضى بها مكان الذكر. ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: بوجه[1] حسن يقبل به النذائر، ﴿وَأَنْبَتَهَا﴾: رباها، ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ بشكل مليح، ومعرفة وطاعة بالله وكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾؛ لتقتبس منه علمًا وعملاً، وكان[2] زوج خالتها أو زوج[3] أختها وقرئ بتشديد الفاء ونصب زكريا على أن يكون مفعولاً ثانيًا والفاعل هو الله. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ[4]﴾ أي الغرفة التي بنى لها في المسجد، ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس، أو

(*) أخرجه البخاري في "الأنبياء" (٣٤٣١)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" (٢٣٦٦)

(١) الظاهر أن يقال فتقبلها قبولاً لأنه مصدر فاحتجنا لتصحيح معنى الباء إلى حمل القبول على الاختصاص المذكور الذي هو ما يقبل به الشيء بجعله بمعنى المفعول بالواسطة أعني ما يقبل به وهو قريب من الآلة/١٢.

(٢) كما ذكره ابن اسحق، وابن جرير، وغيرهما/١٢.

(٣) كما ورد في الصحيح [يعني في حديث المعراج، وقوله فيه: "فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة"].

(٤) أخرج ابن المنذر عن السدى: المحراب: المصلى، وأخرج الطبرانى والبيهقى في سننه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا هذه المذابح" يعنى: المحاريب[أخرجه البيهقى فى "الكبرى" (٤٩/٢)، وقال الهيثمى في "المجمع" (٦٠/٨): "رواه الطبرانى وفيه عبدالله بن مغراء وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن المدينى فى روايته عن الأعمش وليس هذا منها"]، وأخرج ابن أبى شيبه في المصنف عن موسى الجهنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال أمتى بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذبح كمذابح النصارى"/١٢ در منثور[الدر المنثور (٣٧/٢)]، وفى الفتح: قد رويت في كراهية ذلك آثار كثيرة من الصحابة/١٢.

صحفا[1] فيها علم والأول أصح، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾: من أين لك في غير أوانه والأبواب مغلقة؟! ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فلا يستبعد قيل: هي كعيسى تكلمت صغيرة، وقيل: لم ترضع ثديًا ويأتي رزقها من الجنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ؛ لكثرته وسعة جوده، وهو يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلامها.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان أو الوقت الذي رأى الأشياء في غير أوانها، وعلم مترلتها، وكرامتها على الله، ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: طمع في الولد من العاقر، ورغب في أن يكون له ولد. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: من غير أسباب ظاهرة[2] ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لأم مريم العجوز العاقر ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ مجيبه.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي : جنس الملائكة فإن المنادى جبريل وحده، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾: في الصلاة،[3] ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ[4]﴾ أي: بأن الله، ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ أي: بولد من صلبك اسمه يحيى سمى به لأنه أحياه الله بالإيمان، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى سمى بالكلمة لأنه أوجده بخطاب كن دون أب، وهو أول من صدق عيسى، كانا ابنى خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم إنى أجد ما في بطنى يسجد لما في بطنك، وقيل بكلمة من الله أي: بكتاب الله، ﴿وَسَيِّدًا﴾: حليمًا يفوق في الخلق والكرم والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتى النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا يترل الماء وقيل

---

(١) الأول لمجاهد وعكرمة وقتادة وجم غفير من السلف وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أنه صحفا من علم/١٢.

(٢) فإن زوجته أيشاع كانت عاقرًا عجوزا، وكانت أختها حنة أم مريم كذلك ١٢/.

(٣) خبر بعد خبر، أو صفة لقائم، أو حال/١٢منه.

(٤) ومن قرأ "إن" بكسر الهمزة فعلى إرادة القول أي: فنادته الملائكة وقالت: "إن الله" أو لأن النداء نوع من القول/١٢منه.

والدين، ﴿وَحَصُورًا﴾: لا يأتي النساء أو الذي لا يولد له أو الذي لا ينزل الماء وقيل حصورًا في حبس النفس عن الشهوات(*)، وفى الحديث(١): "كل ابن آدم يلقى الله بذنب إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيدًا وحصورًا" ثم أهوى النبى صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها فقال: "كان ذكره مثل هذه القذاة"(**). ﴿وَنَبِيًّا﴾: ناشئا، ﴿مِّنَ(٢) الصَّالِحِينَ(٣)﴾ أو كائنا ممن لم يأت ذنبًا. ﴿قَالَ رَبِّ(٤) أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ استبعاد من حيث العادة واستعظام أو استفهام عن كيفية حدوثه، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ

(*) هذا هو الأرجح لأن الفضيلة لا تتم إلا بحبس النفس عن المعصية مع توفر داوعيها.د/هنداوي

(١) رواه ابن أبي حاتم بروايات متنوعة، وابن المنذر في تفسيره وقد صح عن كثير من الصحابة أنه لم يأت النساء إما لحبس نفسه عن الشهوات أو لأنه عنين، وقد منعه قاضى عياض في الشفاء بأن العنة عيب ونقيصة لا يليق بالأنبياء وقال: "بل معناه أنه معصوم عن الفواحش"، وقال ابن كثير في الحديث المرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام: في هذا المعنى نظر، والموقوف إلى الصحابة أقوى إسنادًا من المرفوع/١٢منه.

(**) ذكره الحافظ ابن كثير فى "التفسير" (٣٦٢/١) من طريق ابن أبى حاتم واستغربه، وهو كذلك إذ إن العنة -وهى عدم الميل إلى النساء- صفة نقص وذم منافية لصفات الكمال التى جبل الأنبياء عليها، فضلا عن أنها قادحة فى رجولتهم وفحولتهم، وقد ثبت أن سليمان -عليه السلام- طاف على سبعين امرأة وفى رواية: مائة امرأة فى ليلة واحدة، وكذا نبيا -صلى الله عليه وسلم- طاف على نسائه التسع فى ليلة واحدة.

(٢) فمن للابتداء فإنه كان من أصلاب الأنبياء/١٢.

(٣) قال الزجاج: الصالح الذي يؤدى لله ما افترض عليه وللناس حقوقهم/١٢فتح .

(٤) قيل لما وعده الله تعالى جاءه الشيطان وقال: "إن الصوت الذي سمعت ليس من الله بل من الشيطان" فقال: "رب أنى يكون لى غلام" دفعًا للوسوسة فلذلك طلب الآية/١٢منه.

﴿وامْرَأَتِي[1] عَاقِرٌ﴾: لا تلد. ﴿قَالَ﴾: أي الملك، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يفعل ما يشاء من العجائب مثل[2] ذلك الفعل، فكذلك متعلق يفعل وقيل: "كذلك الله[3]" مبتدأ وخبر و"يفعل ما يشاء" بيان أو تقديره: الأمر كذلك، و"الله يفعل" بيان. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ علامة أستدل على وجود الولد، فأزيد في العبادة شكرًا لك، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: لا تقدر عليه مع أنك سوى صحيح تقدر الحمد والتسبيح، ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا[4]﴾: إشارة بنحو يد ورأس وحاجب، والاستثناء متصل جعله من جنس الكلام؛ لأنه فهم من الرمز ما يفهم من الكلام أو منقطع[5] ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾: في أيام الحبسة، ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ[6]﴾: آخر النهار. ﴿وَالإِبْكَارِ﴾ : أول النهار.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ

(١) أيكون من هذه المرأة أم من امرأة أخرى أو صيرت صغيرًا ولودًا وهذا قول الحسن رحمه الله لكن قوله: "قال كذلك الله يفعل ما يشاء" مشعر بالوجه الأول كما لا يخفى/١٢منه.

(٢) وهو إيجاد الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر/١٢منه.

(٣) أي على نحو هذه الصفة الله/١٢منه.

(٤) الرمز تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين، ولا يكون كتابًا/١٢م.

(٥) كذا ذكره ابن جريج، والسدي عن ابن عباس، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم/١٢منه.

(٦) أي ما بين زوال الشمس إلى غروبها، فصلاة الظهر والعصر صلاة العشى/١٢منه.

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ
يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ
كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ
فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ
أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ
أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ
وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أي: جبريل وهو من جنس الملك، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك أولا لشرفك[1]، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: من الأكدار والوساوس، وقيل من الحيض أو من تهمة اليهود ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ[2]﴾ : مطلقًا أو على عالمي زمانها، ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي[3] لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمرت بالخشوع والطاعة وغاية الخضوع والصلاة مع الجماعة، وجماعة الرجال أفضل أو كوني[4] معهم، قيل ركدت[5] في محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر في قدميها، ﴿ذَلِكَ﴾: القصص، ﴿مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: من الغيوب التي لا تعرفها إلا بالوحي، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلامَهُمْ﴾: ليعلموا، ﴿أَيُّهُمْ[6] يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها وذلك أن أمها يوم ولدتها أتت به سدنة بيت المقدس وقالت: "دونكم هذه النذيرة فإني حررتها فتنافس الأحبار

---

(١) حين تقبلك من أمك وأبيك/١٢منه.

(٢) روى الترمذي وصححه قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله اصطفى من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله، وآسية امرأة فرعون"، ورواه ابن مردويه أيضًا/١٢منه[وهو صحيح، انظر صحيح الترمذي (٣٠٥٣) ولفظه: "حسبك من نساء العالمين...].

(٣) عن مجاهد قال: "لما قيل لها اقنتي لربك" قامت حتى ورمت قدماها/١٢در منثور.

(٤) في عدادهم لا في عداد غيرهم /١٢.

(٥) قاله الأوزاعي/١٢.

(٦) لا يمكن تعلق "أيهم يكفل مريم" بيلقون؛ لأنه ليس من الأفعال التي تعلق بالاستفهام، فلابد من تقديره ليكون الاستفهام في موقع مفعوله وهو ليعلموا فإنه لابد أن يكون من أفعال القلوب، ويدل عليه يلقون أقلامهم/١٢منه.

فيها لأنها ابنة إمامهم فأقرعوا بالأقلام التي يكتبون بها التوراة عليها؛ فخرجت القرعة لزكريا فكفلها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أي: جبريل بدل من إذ يختصمون على أن الاختصام[١]، والبشارة في زمان متسع أو من إذ قالت، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ[٢]﴾: من الله أي: عيسى، ﴿اسْمُهُ[٣]﴾ ذكر ضمير الكلمة؛ لأن المسمى مذكر، ﴿الْمَسِيحُ[٤]﴾ معرَّب مسيحا بالعبرية أي: المبارك قال بعض السلف لكثرة سياحته سمي به، أو لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبه إلى أمه حيث لا أب له، ﴿وَجِيهاً﴾: له وجاهة ومكانة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ نصب وجيهًا ومن المقربين على الحال من كلمة؛ لأنها نكرة موصوفة، ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، عطف

---

(١) فإن وقت الاختصام ظاهر أنه قبل البشارة بمدة فاحتيج في جواز الإبدال إلى أن يعتبر زمان ممتد يقع الاختصام في بعض أجزائه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك الزمان أنهما في زمان واحد كما يقال: وقع القتال والصلح في سنة واحدة/١٢منه.

(٢) وفى تفسير أبي السعود في سورة النساء يحكى أن طبيبًا حاذقًا نصرانيا جاء الرشيد فناظر على بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له:" إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله"، وتلا هذه الآية أي قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فقرأ له الواقدي: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه﴾ وقال: "إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزء منه سبحانه؛ فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحًا شديدًا وأعطى الواقدي صلة فاخرة/١٢فتح.

(٣) الاسم أحد الثلاثة، وهو عيسى، والمسيح لقبه، وابن مريم صفته والمراد من الاسم هذه العلامة التي بها الامتياز، وهى مجموع الثلاثة لا واحد أو كل واحد علامة مميزة، وليس المراد بالاسم هو العلم المقابل للقب، والكنية فافهم/١٢.

(٤) أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله لا على طريق الأبناء الآخر من مادة، وأب، ومدة/١٢.

على وجيها، ﴿فِي الْمَهْدِ[1]﴾: طفلاً وهو آية ﴿وَكَهْلاً﴾ بالمرة، وقيل إنه رفع شابًّا فامراد(*) كهلاً بعد نزوله فهو آية أخرى قيل: في ذكر "وكهلاً" بشارة لمريم ببقائه أو إشارة إلى أنه لا يصل إلى سن الشيخوخة أو إلى أن كلامه في الحالتين من جنس واحد، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في قوله وعمله عطف على وجيهًا أو على في المهد.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ استبعاد عادى؛ لأنها كانت محررة لله والمحررة لا تتزوج أبدًا. ﴿قَالَ﴾: جبريل، ﴿كَذَلِكِ[2] اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي يخلق مثل ذلك الأمر، ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: احدث فيحدث، كان تامة، والمراد تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف أو القول حقيقي، ﴿وَيُعَلِّمُهُ[3]

---

(١) الظاهر أن في المهد ظرف لغو ليكلم لا حال، لكن عطف كهلاً عليه يدل على أنه حال/١٢.

(*) كذا في الأصل.

(٢) جاز في إعرابه الأوجه الثلاثة التي مرت في "كذلك الله يفعل ما يشاء" وأختار نصبه بأنه صفة لمفعول مطلق؛ لأنه يتبادر إلى الذهن/١٢منه.

(٣) أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما ترعرع عيسى جاءت به أمه إلى الكتاب فدفعته إليه فقال: "قل" بسم، فقال: بسم الله، قال المعلم قل: الرحمن، قال عيسى: الرحيم، فقال المعلم قل أبوجاد، فقال: هو في كتاب الله، فقال عيسى أتدرى ما ألف؟ قال: لا قال: آلاء الله، أتدرى ما باء قال لا، قال بهاء الله أتدرى ما جيم؟ قال، لا قال جلال الله أتدرى ما اللام قال لا قال: لا إله إلا الله، فجعل يقرأ على هذا النحو فقال المعلم كيف أعلم من هو أعلم مني؟! قالت: فدعه يقعد مع الصبيان فكان يخبر الصبيان بما تدخر لهم أمهاتهم في بيوتهم هكذا نقل السيوطي في الدر المنثور وصححه[٢/٤٦] لكن لا أثق بتصحيحه فالعهدة عليه والله أعلم/١٢[الخبر ليس بصحيح لانقطاعه].

﴿الكِتَابَ﴾ أي: الكتابة أو جنس الكتب المنزلة وهو عطف على يبشرك أو وجيها[1] أو كلام مبتدأ من تمام بشارة مريم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفهم أو معانى كلام الله وقد مر، ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ نزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى، وكان يحفظهما. ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تقديره ويجعله[2] رسولاً مخبرًا بأنى قد جئتكم أو عطف على وجيهًا أو كهلاً[3] وطفلاً مضمنا معنى النطق كأنه قال: وناطقا بأنى، وتخصيص بنى إسرائيل بتخصيص بعثته بهم أو للرد على من قال: إنه ليس مبعوثًا إليهم، ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾ أقدر وأصور ﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾:مثل صورته بدل من "أنى قد جئتكم" أو من آية أو تقديره: هى أنى أخلق ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في المثل، فالضمير له كاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: حيًّا طيارًا بإذن الله، ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾: من[4] ولد أعمى، وقيل من يبصر نهارًا لا ليلاً، وقيل بالعكس، ﴿وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ تكرار "بإذن الله" لدفع وهم الألوهية فإن الإحياء ليس من فعل البشر، ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: الآن، ﴿وَمَا

---

(١) التوجيه الآخر في العطف هو الأولى؛ لأن قراءة من قرأ و"نعلمه" بالنون يرد الباقي إلا أن يقدر إن الله يبشرك بعيسى، ويقول نعلمه الكتاب وأما حديث الالتفات فما لا يلتفت إليه فتأمل/١٢منه.

(٢) قيل: تقديره وأرسلت رسولا بأني على تقدير القول أي: ويقول أرسلت ليكون عطفا على يعلمه/١٢منه.

(٣) لا يجوز أن يكون معطوفًا على المعطوفات المتقدمة؛ لأنها في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لتعلق قوله: إنى قد جئتكم فلم يصح بعث الله عيسى مصدقًا أنا، ولكن مصدقًا هو فلذلك وجه بوجهين/١٢منه.

(٤) الوجهان الأخيران هما قولان لبعض السلف فأوردناهما/١٢.

﴿تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: للغد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدقين للحق.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ منصوب بفعل[1] مقدر أي: وجئتكم مصدقًا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: لكتاب أنزل من قبلي، ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم﴾ تقديره: وقد جئتكم لأحل، قيل عطف على معنى مصدقًا نحو: جئتك معتذرًا ولأطيب قلبك[2]، ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، في شرع موسى كالشحوم، ولحوم الإبل، وغيرهما، وفيه دلالة على أن شرعه نسخ بعض شرع موسى، وهو الصحيح من القولين، ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حجة على صدقي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ : فيما أقول.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: لما أظهر المعجزة شرع في الدعوة، وقيل الآية قوله: "إن الله ربي وربكم" فإنه المجمع عليه بين الأنبياء والفارق بين النبي والساحر، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق مشهود له بالا ستقامة، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾: تحقق عنده تحقق المحسوسات، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من يتبعني إلى الله أو إلى بمعنى[3] مع وقيل بمعنى في أو اللام أو تقديره: من أنصارى ذاهبًا إلى الله أو في الدعوة إلى الله، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ من الحور، وهو البياض الخالص، وحوارى الرجل خالصته، وقيل: كانوا قصارين سموا بذلك لبياض أثوابهم، وقيل: ملوكًا لا يلبسون إلا البيض، ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه، ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا

---

(١) لا أنه معطوف على رسولا والأحوال قبله لأنه وجب أن يقول لما بين يديه فافهم.

(٢) يمكن عطفه على محذوف أي: جئتكم مصدقًا لأهديكم ولأحل لكم/١٢منه.

(٣) أي: مع الله، والعرب تقول: "الذود إلى الذود إبل" أي: مع الذود أ والذود قطيع من الإبل الثلاث إلى التسع/١٢م.

﴿مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة[1] محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: مع الأنبياء فإنهم شهداء لأتباعهم، وقيل: مع الشاهدين بوحدانيتك، ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الذين أحس منهم الكفر في قتل عيسى، ﴿وَمَكَرَ[2] اللَّهُ﴾: جازاهم[3] على مكرهم حين رفع عيسى، وألقى شبهه على أحد، فأخذوه، وقتلوه، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أقواهم وأقدرهم.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ

---

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وصححه، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس/١٢منه.

(٢) المكر في العبد حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة، ولا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة ووصف تعالى نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بهما لكن ليس المكر كالمكر والكيد كالكيد، ولله المثل الأعلى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١) /١٢.

(٣) هذا من باب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه، والمعنيان مختلفان نحو قول الله تعالى: "إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم" (البقرة:١٤، ١٥)ـ أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء وكذلك "سخر الله منهم" (التوبة:٧٩)، "ومكروا ومكر الله" ، "وجزاء سيئة سيئة مثلها" (الشورى:٤٠)، هي من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز جزاء وقوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (البقرة:١٩٤)، فالعدوان الأول ظلم والثاني: جزاء والجزاء لا يكون ظلمًا وإن كان لفظه كلفظ الأول، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "اللهم إن فلانا هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر اللهم العنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني"[لا يصح، انظر العلل لابن أبي حاتم (٢٢٨٣)]، أي: جازه جزاء الهجاء، وكذلك قوله تعالى "نسوا الله فنسيهم" (التوبة:٦٧)/١٢م.

مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ
وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾
فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لمكر الله، **﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾** المراد من الوفاة ها هنا النوم[1]، وعليه الأكثرون أو في الآية تقديم وتأخير تقديره إني رافعك إلى ومتوفيك يعني بعده أو توفاه الله ثلاث ساعات حين رفعه إليه أو سبع[2] ساعات ثم أحياه أو متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت أي: قابضك من الأرض وافيًا لم ينالوا منك شيئًا من توفيت مالى، **﴿وَرَافِعُكَ[3] إِلَيَّ[4]﴾** إلى محل كرامتى، **﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ**

---

(١) صرح بذلك الحسن، وغيره نقله ابن أبي حاتم/١٢.

(٢) قال ابن إسحاق: النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه/١٢منه والإجماع على أنه حي في السماء يترل، ويقتل الدجال، ويؤيد الدين/١٢وجيز.

(٣) الرفع النقل من أسفل إلى علو/١٢وجيز.

(٤) قوله: "ورافعك إلى" هذه الآية الشريفة دلت بظاهرها على أن الله تعالى فوق سماواته، =

....

= وكذلك قوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ (النساء:١٥٨)، وقوله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم) (النحل:٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ (السجدة:٥)، وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (الملك:١٦)، وقوله تعالى: ﴿ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (المعارج:٤)، وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبًا﴾ (غافر:٣٧،٣٦)، يعنى: أظن موسى كاذبا في أن إلهه في السماء ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى إله في السماء لما قال هذا إذ لو كان قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هـــذا القـــول من فرعـــون عبثا، وكان بناؤه القصر جنونًا.

وقال الحافظ شمس الدين بن القيم في إغاثة اللهفان: والأساطين قبله -يعنى أساطين الفلاسفة قبل أرسطو- كانوا يقولون بحدوثه يعنى: بحدوث العالم، وإثبات الصانع ومباينته للعالم وأنه فوق العالم، وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم، فقال: فيه القول في الجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالى ومن اقتدى بقوله إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحى إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال: فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأن إبطاله إبطال الشرائع، ولم تزل أساطينهم معظمين للرسل والشرائع معترفين بأن ما جاءوا به طورًا آخر وراء طور العقل، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون باب الكلام =

كَفَرُوا﴾ : من سوء جوارهم، **﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾**: هم المسلمون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه من النصارى. أو الحواريون، **﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى**

= إلى الرسل، ويقولون علومنا إنما هى الرياضيات، والطبيعيات، وتوابعها إلى آخر ما ذكر.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسي: وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتاب شعار الإيمان: إن إنكار الفوقية شئ سرقه المتأخرون من الفلاسفة، وفى ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله انتهى.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك: "لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض هاهنا بل على العرش استوى، وقيل له كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه انتهى ذكره شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني/١٢.

وقال الإمام أبو عبدالرحمن بن حنبل رحمه الله: ما فطر العباد إلا على أن ربهم في السماء/١٢ وقال شاه ولى الله رحمه الله في رسالته الذب عن تقي الدين بن تيمية: والحق في هذا المقام أن الله أثبت لنفسه جهة الفوق وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، وقد نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه انتهى/١٢.

قال شيخ الإسلام بن تيمية في الأجوبة المصرية ولهذا تنوع أهل السنة في اسم الجهة فمنهم من يقول: هو في جهة، ومنهم من يقول: لا أطلق لفظ الجهة وربما قال بعضهم: ليس بجهة، وذلك لأن هذا اللفظ بعينه ليس بمنصوص عن الشارع [تحرفت في الأصل إلى: الشارح (بالحاء)] حتى يتفقوا ومعناه محتمل فمن أثبته أراد به أنه فوق العرش ومن نفاه أراد به أنه ليس في نفس الخلق فلفظ الجهة فيه اشتراك وإجمال انتهى/١٢. وسيأتى إيضاح ذلك في سورة يونس تحت قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ (يونس:٣)، إن شاء الله تعالى.

يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: بالغلبة والعزة وإلى الآن لم تسمع غلبة[1] اليهود، **﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾**:أيها التابعون والكافرون، **﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[2]﴾** من أمر عيسى ودينه.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالسبى والقتل والجلاء وهو بيان حال الفريقين لا تفصيل الحكم الأخروى؛ لأنه ينافيه قوله: في الدنيا، **﴿وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾** لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: بلا نقص، **﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**: لا يرحمهم فهو سبحانه لا يظلم.

﴿ذَلِكَ﴾: ما سبق من القصص، **﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ﴾**: حال من مفعول نتلو، أو خبر ذلك ونتلوه حال والعامل معنى الإشارة أو خبر بعد خبر، **﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾** أي من القرآن المحكم الممنوع عن الباطل أو من اللوح المحفوظ، أو من الذكر المشتمل على الحكم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: شأنه الغريب كشأنه، **﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾** أي: خلق قالبه من تراب، والجملة مفسرة للتمثيل، **﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾**: بشرا، **﴿فَيَكُونُ﴾** حكاية حال ماضية شبه الغريب وهو ما لا أب له بالأغرب وهو ما لا أمَّ ولا أبَ له ليكون أحسم لمادة شبهة الخصم. **﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾** أي: هو الحق أو الحق المذكور من الله، **﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد ثباته ونهى غيره عن الشك.

---

(١) وشردهم الله تعالى أى تشريد ليس لهم مدينة يختصمون بها وهم مفرقون في أقطار تحت قهر اليهود والنصارى/١٢وجيز.

(٢) ثم فصل المحكوم بينهم إلى مؤمن وكافر وذكر جزاء كل منهما فقال: ﴿فأما الذين كفروا﴾ الآية/١٢وجيز.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾، بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلموا، ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا و أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ، أنفسنا: رسول الله، وعلى بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام[*]، والعرب تسمى ابن عم الرجل نفسه، وأبناءنا: الحسن، والحسين، ونساءنا: فاطمة رضى الله عنهم هكذا[1] ذكره السلف، وقيل: معناه يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، وقدم الأبناء والنساء على النفس؛ لأن الرجل يقدمهم على نفسه ويفدى بنفسه لهم، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء أو نتلاعن من الابتهال الالتعان ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ الفاء على المعنى الأول ألصق، وسبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة في وفد[2] نجران النصارى يحاجون في عيسى يزعم بعضهم أنه وهو الله، وبعضهم أنه ولد الله وبعضهم أنه ثالث ثلاثة، فأنزل الله فيهم صدر هذه السورة إلى بضع وثمانين آية، فخرج[3] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى ودعاهم إلى المباهلة فقالوا: دعنا

(*) كذا قال، والأولى أن يقال: على بن أبي طالب -رضي الله عنه- كسائر أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن اختصاصه دونهم بالصلاة والسلام عليه، قد يوهم ما عليه من يعتقد نبوته من الشيعة. د/هنداوي.

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن بعض الصحابة وقال: صحيح على شرط مسلم وهو المروى عن ابن عباس والبراء وغيرهم من أكثر السلف/١٢منه.

(٢) وفد نجران وهم ستون راكبا وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وعلمائهم/١٢.

(٣) رواه ابن مردويه، والبيهقى، والنسائى كل منهم من[كذا بالأصل، و"مِن" تأتى بمعنى "عن" انظر همع الهوامع للسيوطى بتحقيق د/عبدالحميد هنداوي] أحد من الصحابة وروى البخارى، ومسلم[أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٣٨٠)، ومسلم فى "الفضائل" (٢٤٢٠)]، والترمذى بعض هذا الذي نقلناه وذكره ابن إسحاق في سيرته بتفصيل، وتطويل/١٢منه.

ننظر، فاستشاروا فقال كبيرهم: ما لاعن قوم نبيًا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنى أراهم وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزال، فأتوا وقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألاَّ نلاعنك، ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ونبذل لك الخراج.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أى: قصص عيسى ومريم، ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: دون ما ذكروه، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ: رداً على النصارى فى تثليثهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فلا أحد يساويه فى القدرة، والحكمة، فلا إله غيره، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عما أوحيت إليك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ[1]﴾ ، وضع المظهر موضع المضمر، دلالة على أن الإعراض من(*) التوحيد والحجج إفساد للدين .

(١) فيه دلالة على أن الإعراض عن التوحيد والحجج إفساد الدين، ولما أتم الحجة أمر بندائهم إلى إذعان النتيجة، فقال: ﴿قل يأهل الكتاب تعالوا﴾ الآية/١٢وجيز.

(*) كذا فى الأصل، وسبق التنبيه عليه آنفا.

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ
وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ
إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾
هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ
عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾
وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا
يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ
تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ
ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿قُلْ يأَهْلَ الكِتَابِ﴾: اليهود، والنصارى، ومن جرى مجراهم، **﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾**: مستوية، **﴿بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ﴾**: لا يختلف فيها رسول، ولا كتاب، والكلمة تطلق على الجملة وتفسيرها قوله: **﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ﴾**: نوحده بالعبادة، **﴿وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾**: فى استحقاق العبادة، **﴿وَّلاَ يَتَّخِذَ[1] بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾**:

---

(١) اختلفوا فى معنى اتخاذهم إياهم أربابا بعد الاتفاق على أنه ليس المراد أنه جعلوهم آلهة فقال أكثر المفسرين المراد أنهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم ثم نقل حديث عدى بن حاتم الذى رواه الترمذى أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿اتخذوا
=

لا[1] يطيع بعضنا بعضًا فى معصية الله، أو لا نسجد لأحد، قيل: كما اتخذت النصارى عيسى واليهود عزيزًا، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن إجابة التوحيد، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا[2] بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مقرون بالتوحيد دونكم.

﴿يأَهْلَ الكِتَابِ لِمَ[3] تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تنازعت نصارى نجران، وأحبار اليهود فى أن كلاًّ منهما ادعوا أن إبراهيم منهم، ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ﴾، الجملة حالية أى: اليهودية والنصرانية حدثتا بترولهما على موسى وعيسى،

= أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ قال: "إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه"[وهو حديث حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١)] نقله بلفظ آخر وذكرت هنا لفظ الترمذى، ثم ذكر قول الربيع أنه قال: قلت لأبي العالية كيف كانت الربوبية فى بنى إسرائيل؟ فقال: إنهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف قول الأحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم، وما كانوا يقبلون حكم الله تعالى قال العلماء: إنما يلزم له تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج؛ لأن الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان إلا أنه يلعنه، ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين قال الإمام فخر الدين الرازي: قد شاهدت من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها، وكانوا ينظرون إليّ كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريًا فى عروق الأكثرين انتهى ما فى التفسير النيسابورى.

(١) كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله﴾ (التوبة: ٣١) /١٢منه.

(٢) يعنى لزمتكم الحجة فوجب عليكم الاعتراف بإسلامنا وهذا كما يقول الغالب للمغلوب اعترف بأني أنا الغالب/١٢وجيز.

(٣) و"لم" أصله "لما" حذفت الألف وما استفهامية/١٢.

وإبراهيم قبلهما بدهر طويل، فكيف يكون عليهما؟!! ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون المحال.

﴿هَأَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: ها: حرف تنبيه، وقيل: أصله أأنتم على الاستفهام التعجبى، فقلبت هاء وأنتم مبتدأ خبره هؤلاء، والجملة التى بعده مبينة للأولى، وقيل: هؤلاء بمعنى الذين، وحاججتم صلته، وقيل: هؤلاء نداء أى: أنتم يا هؤلاء الحمقى جادلتم عنادًا فيما وجدتموه فى كتابكم، ولكم به علم، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: ولم يذكر فى كتابكم من دين إبراهيم، فإنه ربما يجادل الرجل فيما يعلم عنادًا لكن فيما لا يعلم لا يبحث عنه إلا فهمًا وطلب علم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: شأنه، ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا﴾، صرح بما دلت عليه الحجة، ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل إلى الحق، ﴿مُّسْلِمًا﴾: منقادًا لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض لهم لإشراكهم به عزيرًا والمسيح ورد على مشركى قريش فى زعمهم أنهم على دين إبراهيم، ﴿إِنَّ أَوْلَى[1] النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾، أقربهم وأحقهم به، ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: على دينه، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: من المهاجرين والأنصار، ومن بعدهم فى[2] الحديث: "إن لكل نبى ولاة من النبيين وإن وليى منهم أبى وخليل ربى" ثم قرأ[3] الآية، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ينصرهم لإيمانهم برسله.

---

(١) مشتق من الولى وهو القرب/١٢منه.

(٢) رواه الترمذى والبزار وغيرهم/١٢منه [وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٢١٥٨)].

(٣) قال الرازى: الأصول واحد فى الجميع وأما الفروع فالمخالفة فيها بين دين محمد ودين إبراهيم عليهما السلام قليلة جدًا/١٢وجيز.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أى: اليهود حين دعوا بعض الصحابة إلى اليهودية ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ لو بمعنى أن، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾، فإن المؤمنين لا يقبلون قولهم، ويحصل لهم إثم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ اختصاص ضرره بهم.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: من التوراة والإنجيل أو القرآن، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: صدقها.

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: تخلطونه بما تخترعونه حتى لا يميز بينهما، أو لم تجعلونه ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبون فى خلاله أو تخلطون الإيمان بعيسى بالكفر بمحمد، ﴿وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾: نعت محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: عالمون بحقية ما تكتمون.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ
ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ
قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ
رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن
تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ
عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ
لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ

مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾، أوله سمى وجهًا لأنه أول ما يواجهه الناظر، **﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾** أى: المؤمنين **﴿يَرْجِعُونَ﴾**: عن الإسلام، أطلع الله نبيه على مكيدة اليهود، فإنهم اشتوروا أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا؛ ليقول المسلمون: ما رجعهم إلى دينهم إلا اطلاع نقيصة فى ديننا ولعلهم يرجعون عن الإسلام.

﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: لا تعترفوا، ولا تظهروا التصديق إلا لأشياعكم، **﴿قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾**: يهدى من يشاء، **﴿أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ[١] عِندَ رَبِّكُمْ﴾**، متعلق بلا تؤمنوا أى: لا تعترفوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم، والمعجزات، ولا بأن يغالبوكم بالحجة يوم القيامة إلا لأشياعكم[٢]،

---

(١) قال الواحدي: وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيرًا وإعرابًا ولقد تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولا يطرد فى الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم/١٢فتح.

(٢) قال بعض المفسرين: معناه لا تظهروا ما بأيديكم من العلم إلا لأتباعكم لا إلى المسلمين ليساووكم فيه ويحاجوكم به عند الله وعلى هذا "أن يوتى" علة للنهى كأنه قيل: لا =

ولا تفشوه لا إلى المسلمين ولا إلى المشركين يعنى: إن علمكم بذلك حاصل، لكن لا تظهروه وأوثر فى العطف كلمة "أو" ليفيد العموم مثل: "ولا تطع منهم آثما أو كفورًا" (الإنسان:٢٤)، وقوله: "إن الهدى هدى الله"جملة معترضة دالة على أن كيدهم لا طائل تحته، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: "إلا لمن تبع دينكم"، والمعنى على الوجهين الأولين الآتيين ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر، وهو إيمانكم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم قبل ذلك ثم أسلم لعلهم(١) يرجعون، فإن رجوعهم أرجى عندكم، وأشجى لحلوق المسلمين حينئذ، ففى موقع "أنْ" يؤتى ثلاثة أوجه:

الأول: أن يتعلق بفعل مضمر على حذف اللام أى وقل فعلتم ما فعلتم من الكيد لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يترتب من غلبتهم بالحجة يوم القيامة، أى: لم يكن لكم داع إلى هذا الكيد سوى الحسد، ووجه العدول عن الواو إلى حينئذ الإشارة إلى أن كلا من الأمرين مستقل بكونه سببًا للحسد.

الثانى: أن يكون الخبر إن الهدى وهدى الله بدل من الهدى وحين أو بمعنى إلى أن يعنى حتى يحاجوكم فيدحضوا حجتكم.

الثالث: أن ينتصب بفعل مضمر تقديره(٢) قل إن الهدى هدى الله ولا تنكروا أن يؤتى أحد أو يكون لأحد وسيلة غلبة عليكم عند الله، ويدل على هذا المضمر لا تؤمنوا إلا

= تظهروا سركم وما عندكم؛ لأن يكون لكم المزية والغلبة فى الدنيا والآخرة وقوله: "قل إن الهدى هدى الله" معترضة دالة على أن من يعلمه ويفضله فهو الهادي وهو الذى هدى المسلمين وفضلهم/١٢.

(١) وحقيقة المعنى أنه لم يكن لكم باعث على هذا الكيد سوى علمكم بأن الإيتاء والمحاجة المذكورين كائنان ألبتة/١٢.

(٢) هو من جملة مقول الطائفة، وحاصله أظهروا الإيمان بدين المسلمين لكن كونوا على دينكم واستمروا عليه ولا تبدلوا دينكم فقيل: "قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى".

لمن تبع دينكم؛ لأن معناه حينئذ لا تقروا بحقية دين لأحد إلا لمن هو على دينكم فإنه لا دين سواه يماثله، وهذا إنكار لأن يؤتى أحد مثل دينهم، وقد بسطت الكلام هنالك فاستفده، ﴿قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَّشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكل شيء.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَّشَاءُ﴾: لحكمته، ﴿وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ هذا كله رد وإبطال لزعمهم الفاسد.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية من ذهب، فأداه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، كفنحاص بن عازوراء أودع دينارًا فجحده، ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: إلا مدة دوامك قائمًا على رأسه مبالغًا بالتقاضى أو الترافع، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أى: ترك الأداء بسبب أنهم قالوا: ليس علينا فى شأن العرب ذم وعتاب، وأحل الله أموالهم لنا ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾: اخترعوا، واختلقوا، وليس فى التوراة شيء مما قالوا، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: إنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ أى: بلى عليهم فيهم سبيل، وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَى﴾ إلى آخره استئناف، ﴿بِعَهْدِهِ﴾ أى بعهد الله الذى عهد[1] إليه فى التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وأداء الأمانة أو بعهد[2] نفسه، ﴿وَاتَّقَى﴾ أى: الكفر والخيانة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ أى: يحبه فإنه متق، وقيل: بلى بمعنى لكن.

---

(١) أى: بعهد عهد أى: عهد كان فعلى هذا ضمير بعهده راجع إلى من ١٢/.

(٢) وفى بعهده فالله يحبه فإن من عهده مع الله أن لا يشرك به شيئًا.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ**[1] **بِعَهْدِ اللَّهِ**﴾: يستبدلون بما عاهدوا من الإيمان برسله، ﴿**وَأَيْمَانِهِمْ**﴾، وبما حلفوا من قولهم: والله لنؤمنن به، ولننصرنه، ﴿**ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾: من الدنيا رشوة فى تحريف التوراة، وتبديلُ نعتِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ﴿**أُوْلَئِكَ لاَ خَلاقَ**﴾: لا نصيب، ﴿**لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ**﴾: بما يسرهم، ﴿**وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ**﴾: نظر رحمة ﴿**يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ**﴾: ولا يثنى عليهم أو لا يطهرُهم من الذنوب، ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ فعلىهذا الآية فى اليهود أو نزلت[2] فى ترافع بين صحابى ويهودى فى أرض فتوجه الحلف على اليهودي، أو فى رجل أقام سلعة فى سوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها أحدًا من المسلمين[*].

﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ**﴾: من اليهود، والنصارى، ﴿**لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم**[3] **بِالْكِتَابِ**﴾ يميلونها عن المترل إلى المحرف ويفتلونها عنه، فالباء للاستعانة أو الظرفية، والمضاف محذوف أى:

---

(١) واعلم أن هذه الآية دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد؛ وذلك لأن الطاعات محصورة فى أمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا؛ لأن ذلك سبب لمنفعة الخلق فهو شفقة على خلق الله، ولما أمر الله به كان الوفاء به تعظيمًا لأمر الله؛ فثبت أن هذه العبارة مشتملة على جميع أنواع الطاعات، والوفاء بالعهد كما يمكن فى حق الغير يمكن أيضًا فى حق النفس، لأن الوافى بعهد النفس هو الآتى بالطاعة والتارك للمحرمات؛ لأن عند ذلك تفوز النفس بالثواب وتبعد عن العقاب/١٢ كبير.

(٢) رواه البخارى عن العوام وابن أبى حاتم عن عبد الله بن أبى أوفى/١٢ [أخرجه البخاري فى "الأيمان والنذور" (٦٦٧٦)، وفي مواضع كثيرة من صحيحه، وكذا أخرجه مسلم فى "الأيمان" عن ابن مسعود] وليس عن أبى أوفى.

(*) أخرجه البخارى فى "الشهادات" (٢٦٧٥)، وفي غير موضع من صحيحه عن ابن أبى أوفى.

(٣) قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: كيف يمكن إدخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس؟ والجواب لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون
=

بقراءة الكتاب ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾، أيها المؤمنون، وضمير المفعول لما حصل باللى وهو المحرف، ﴿مِنَ الكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِند اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِند اللَّهِ﴾: تأكيد لقوله وما هو من الكتاب، وتشنيع عليهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: ما ينبغى له، وما يتأتى منه، ﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾: الحكمة أو إمضاء الحكم من الله، ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾، رد على اليهود حين قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك بعثنى؛ فنزلت[*]، أورد على النصارى حيث قالوا: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا فنزلت، ﴿وَلَكِن[1]﴾: يقول[2]، ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾:[3] حكماء،

= هذا التحريف ممكنا والأصوب عندى فى تفسير الآية وجه آخر، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر، وتأمل القلب، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين، واليهود كانوا يقولون: مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم، فكان هذا هو المراد بالتحريف، وبلىّ الألسنة وهذا مثل ما أن المحق فى زماننا إذا استدل بآية من كتاب الله تعالى فالمبطل يورد عليه الأسئلة والشبهات، ويقول: ليس مراد الله ما ذكرت فكذا فى هذه الصورة، انتهى بلفظه/١٢.

(*) أخرجه البيهقى فى "دلائل النبوة" (٥/٣٨٤)، وفي سنده محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع.

(١) والمعنى: ما استقام لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يترتب عليه أن يقول للناس كونوا عبادًا لى، ولا أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا فالخطاب فى" ولا يأمركم" التفات/١٢.

(٢) لما كان يقول تذكيرًا وإعادة ليقول المذكور ينبغى أن يكون بالنصب/١٢.

(٣) دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه، وخاب عمله، وكان مثله مثل من غرس =

وحلماء وعلماء، أو فقهاء، أو من يرب[1] علمه بعمله أو منسوب[2] إلى الرب بزيادة الألف والنون ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ[3]﴾: أى: بسبب كونكم معلمين الكتاب[4] ودارسين له.

= شجرة حسناء مونقة بمنظرها، ولا منفعة بثمرها، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع) /١٢تفسير كبير[أخرجه مسلم فى "الذكر والدعاء" (٥/٥٦٩) ط الشعب].

(١) وقيل: الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره/١٢.

(٢) وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته؛ لأن الشيء إنما ينسب إلى من اشتهر أو ما اشتهر به سيما وزيادة الألف والنون تؤذن بمبالغة زائدة هذا قول طاوس[فى الأصل: طاؤس] والحسن البصرى وقتادة/١٢منه.

(٣) وفى هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل وأن من أعظم العمل بالعلم تعليمه، والإخلاص لله سبحانه، والدراسة مذاكرة العلم والفقه فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع عمله وخاب سعيه، وحاصل الكلام أن العلم والتعليم والدراسة توجب على صاحبها كونه ربانيًا، والسبب لا محالة مغاير[فى الأصل: مغائر] للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانيًا أمرا مغايرًا لكونه عالمًا ومعلمًا ومواظبا على الدراسة وما ذاك إلا أن يكون بحيث يكون تعلمه لله، وتعليمه ودراسته لله، وبالجملة أن يكون الداعى له إلى جميع الأفعال طلب مرضات الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله، وإذا ثبت أن الرسول يأمر جميع الخلق بهذا المعنى ثبت أنه يمتنع منه أن يأمر[كذا العبارة فى الأصل] الخلق بعبادته وحاصل الحرف شيء واحد وهو أن الرسول هو الذى يكون منتهى جهده وجده صرف الأرواح والقلوب عن الخلق إلى الحق فمثل هذا الإنسان كيف يمكن أن يصرف عقول الخلق عن طاعة الحق إلى طاعة نفسه وعند هذا يظهر أنه يمتنع فى أحد من الأنبياء صلوات الله عليهم أن يأمر غيره بعبادته/١٢ تفسير كبير.

(٤) أى حافظين قارئين له، وجاز أن يكون معناه يدرسون على الناس والأول أولى فافهم/١٢.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾: بقراءة النصب عطف على "ثم يقول"، ولا لتأكيد معنى النفي، وبالرفع استئناف، وقيل حال، ﴿أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾: كما فعلت النصارى، ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾، استفهام تعجب،والضمير للبشر، ﴿بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: منقادون لله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ
رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ
ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨١) فَمَن
تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ
أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ
وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦)
أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ
ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: كل[1] نبي بعثه من لدن آدم، ﴿لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أى رسول كان واللام لتوطئة القسم، وما شرطية، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾، جواب القسم والشرط أو موصولة[2] أى: للذى آتيتكموه، وقرئ بكسر اللام وحينئذ ما مصدرية أى: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب، ثم مجيء مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به أو المراد من النبيين أنبياء بنى إسرائيل، والمراد من رسول مصدق محمد عليه الصلاة والسلام، أو النبيين عام كما تقدم، لكن المراد من رسول محمد عليه الصلاة والسلام كما صح[3] عن على، وابن عباس رضى الله عنهم ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾: بالإيمان والنصر، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدى، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ﴾: الله، ﴿فَاشْهَدُوا﴾: ليشهد بعضكم على بعض بالإقرار أو قال الله تعالى للملائكة: "اشهدوا" ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على إقراركم وتشاهدكم.

---

(١) وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى وقيل: إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل أى أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أممهم وقيل: المراد ما يعمهم والأمم لكن استغنى بذكرهم عن ذكر الأمم/١٢منه.

(٢) الموصولة مبتدأ ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم وخبر المبتدإ، وقدرنا الضمير فى آتيتكم لامتناع خلو الصلة عن العائد، وأما على تقدير الشرط فهى مفعوله/ ١٢ منه.

(٣) رواه عبد الرزاق عن ابن طاوس[فى الأصل: ابن طاؤس] عن أبيه مثل قول على، وابن عباس/١٢منه.

﴿فَمَن تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، عطف جملة على جملة، والهمزة توسطت للإنكار، وقدم المفعول؛ لأنه المقصود بالإنكار قيل: نزلت فى أهل الكتاب حين اختصموا فزعم كل فريق أنه على دين إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ "كل منكم برئ من دينه" فقالوا: لا نرضى بقضائك ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد، ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾: الملائكة والمسلمون، ﴿وَكَرْهًا﴾: الكفرة حين البأس[1] أو لأنهم مسخرون تحت حكمه وسلطانه أو خوف السيف والسبى أو المراد[2] منه الأسير يجاء به فى السلاسل[3] قيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم: "ألست بربكم" (الأعراف:١٧٢)، فقال بعضهم: "بلى" (الأعراف:١٧٢) كرهًا، ونصبهما على الحال أى: طائعين، ومكرهين، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ[4]﴾ وعيد لهم أى: أيبغون غير دين الله مع أن المرجع إليه.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: من الصحف والوحي، ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾: هم بطون بنى إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾: أمر للرسول أن يخبر

---

(١) قال تعالى: "فلم يك ينفعهم إيمانهم" (غافر:٨٥) /١٢.

(٢) وعلى هذا المعنى الرابع نقل الطبرانى حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[انظر تخريجه فى الهامش الذى بعده] ثم اعلم أن المراد بمن فى السماوات والأرض عموم الخلائق، وعلى التفسيرين المتوسطين لا يبقى عمومه فافهم/١٢منه.

(٣) يقادون به إلى الجنة وهم كارهون هكذا ورد فى الحديث/١٢منه[ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٦/٣٢٦) وقال: "رواه الطبرانى وفيه محمد بن محصن العكاشى وهو متروك"].

(٤) من قرأ بالياء المنقوطة من تحت فظاهر، ومن قرأ بالتاء فلأن الباغين هم المتولون والراجعين جميع الناس فناسب الخطاب/١٢منه.

عن نفسه ومتابعيه أو أن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك تعظيمًا له، ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله، ﴿مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ﴾: غير الانقياد، والتوحيد، ﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ بإبطال فطرته السليمة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾، استفهام إنكار ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ عطف[1] على ما فى إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ﴾ البراهين على صدق ما جاء به الرسول ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان.

﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ[2] أَجْمَعِينَ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: فى اللعنة، ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر نظر رحمة إليهم. ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الارتداد، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: ما أفسدوا أو دخلوا فى الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لذنبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: فيقبل توبتهم، الآية فى رجل من الأنصار[3]

---

(١) وقيل: حال بتقدير قد من فاعل كفروا، وليس عطفًا على كفروا؛ لأن الظاهر تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه، وشهادتهم هذه لم يكن بعد إيمانهم بل معه أو قبله/١٢.

(٢) قيل: المراد بالناس المؤمنون، أو العموم فإن الكافر يلعن كل كافر حتى نفسه يوم القيامة كما ورد فى الحديث، وقيل: الكافر فى الدنيا يلعن منكر الحق فهو يلعن نفسه لكن لا يعرف/ ١٢.

(٣) كما رواه النسائى، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد/١٢وجيز[أخرجه النسائى فى "السنن" (٤٠٦٨)، وفى "التفسير" ، وابن حبان (١٨٢٨)، والحاكم (١٤٢/٢) وصححه وأقره الذهبى، وغيرهما، وانظر صحيح النسائى (٣٧٩٢)].

آمن ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا هل لى من توبة؟ فنزلت فرجع وأسلم، وقيل: فى اليهود آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام قبلِ مبعثه ثم كفروا لما بعث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؛ لأن توبتهم حين إشرافهم على الموت، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ نزلت فى اليهود كفروا بعيسى عليه السلام بعد ما آمنوا بموسى، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد عليه الصلاة والسلام،أو فى اليهود والنصارى، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: نصب على التمييز، ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ أى: لا يقبل منهم ذلك بوجه من الوجوه من التصدق وغيره ولو كان بوجه الافتداء(1)، وقيل: الواو مقحمة، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ فى رفع العذاب، وفى الحديث (يقال للرجل يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ يقول: نعم، فيقال له: قد أردت منك شيئًا أهون من ذلك وأقل فأبيت، فيرد إلى النار)(*).

---

(1) الذى ليس فيه منة نحو: "أعطوا السائل ولو جاء على فرس" و"ردوا السائل ولو بظلف محرق"[الحديث الأول ضعيف، كما في ضعيف الجامع (١٠٤٣)،والضعيفة (١٣٧٨)، والثانى صحيح، كما فى صحيح الجامع (٣٥٠٢)] كأن هذه الأشياء مما كان لا ينبغى أن يؤتى به، لأن السائل إذا كان على فرس مشعر غناه فلا يناسب أن يعطى فقوله: "لو" على سبيل الفرض لأنه لا يمكنه أن يأتى بملء الأرض ذهبًا وهذا أحسن التوجيهات، بل هو المتحتم/١٢وجيز.

(*) أخرجه البخارى فى "الأنبياء" (٣٣٣٤)، وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "صفة القيامة والجنة والنار" (٥/٦٧١) ط الشعب.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ
عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ
نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى
ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ
تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ
وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿لَن[1] **تَنَالُوا البِرَّ﴾**: الجنة، أو التقوى، أو كمال الخير، **﴿حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** أى: بعضه، والمراد منه أداء الزكاة أو صدقة السنة، ويدل على الثانى أن كثيرًا من الصحابة تصدقوا بأراضيهم، وأعتقوا جواريهم حين نزلت، أو المعنى: لن تنالوا البر حتى

(١) ولما أخبر أنه لا يقبل ممن مات على الكفر ملء الأرض ذهبًا على سبيل الفرض حض المؤمنين على الصدقة النافعة فقال: ﴿لن تنالوا البر﴾/١٢وجيز.

تنفقوا وأنتم أصحاء أشحاء، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازى بحسبه.

﴿كُلُّ[1] الطَّعَامِ[2]﴾ أى: المطعومات، ﴿كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى: حلالا لهم، ﴿إِلاَّ مَا حَرَّمَ﴾، وهو لحمان الإبل، وألبانها، أو العروق ﴿إِسْرَائِيلُ﴾: وهو يعقوب، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لنذر: نذر فى مرض لئن عافاه الله لا يأكل أحب الطعام والشراب ولحم[3] الإبل ولبنه أحب إليه، أو نذر لا يأكل العروق لأن وجعه عرق النسإ[*]، أو العروق تضره فاتبعه بنوه فى إخراج العروق من اللحوم ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ جاز أن يتعلق بحرم أو بحلا[4] نزلت ردًّا على اليهود حين طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان حراما عليه أشياء من لحم، ولبن الإبل أو العروق وأنت تحلله فنزلت إن كل المطعومات حلال على الخلائق قبل نزول التوراة، وبشؤم ذنوبهم حرم فى التوراة ما حرم ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن لحم ولبن الإبل أو العروق حرام على الأنبياء كلهم فلما قال لهم بهتوا.

---

(١) ولما بين أن نيل البر بإنفاق المحبوب من المال ذكر أن إسرائيل حرم على نفسه للتقرب إلى الله أحب الطعام إليه فقال: (كل الطعام) الآية/١٢وجيز.

(٢) أى الذى كان مباحًا لإبراهيم عليه السلام فإن الميتة والخنزير ما كانا مباحين لأحد كما قاله القفال/١٢وجيز.

(٣) على ذلك حديث رواه الإمام أحمد والترمذى، وقال حديث حسن/١٢وجيز[بل هو صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٩٢)، والصحيحة (١٨٧٢)].

(*) كذا في الأصل مهموزاً، والذي نص عليه في مختار الصحاح مادة (نسا) أنه مقصور.

(٤) أما تعلقه بحرم فهو خلاف الأولى فإن بين بنى إسرائيل ونزول التوراة مدة مديدة فيكون من توضيح الواضحات/١٢وجيز.

﴿فَمَنِ افْتَرَى﴾: ابتدع، ﴿عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ بأن الله حرم لحم ولبن الإبل عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ما علم أن التحريم إنما كان من جهة يعقوب ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أو الآية رد على اليهود حيث زعموا أن كل ما هو حرام عليهم كان حراما على الخلائق قبلهم لا أن الله حرم عليهم بشؤم ظلمهم، ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: فى جميع ما أخبر، وكذبتم أنتم، ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل، وهى ملة الإسلام التى فى الأصل ملته أو مثل ملته، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض على اليهود.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ[1] وُضِعَ﴾ أى: أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض قبل خلق الأرض بألفي عام، أو بيت بناه ملائكة هم سكان الأرض قبل آدم عليه السلام أو بناه آدم أو أول بيت وضع لعبادة الله، وكانت البيوت قبله، وهو قول[2] على رضى الله عنه، قيل سبب نزوله أن اليهود قالوا: قبلتنا أفضل وأقدم فأنزل الله، ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ أى: للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة أو مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، أو هى البيت والمسجد، وما وراءه مكة أو موضع البيت، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير حال من ضمير الظرف، ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإنه قبلتهم ومتعبدهم، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كلُّ جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل قهره، ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى من جملتها أو بدل من الآيات بدل البعض وأثر قدميه فى المقام آية بينة، ﴿وَمَن دَخَلَهُ﴾ أى: مكة، ﴿كَانَ آمِنًا﴾: من القتل، والغارة ما دام فيه لكن لا يطعم ولا يسقى حتى يخرج فيؤخذ بذنبه، أو من دخله

---

(١) ولما أمر باتباع ملة إبراهيم ومن ملته حج بيت الله تعالى أخذ فى ابتداء أمره إلى منتهاه

• فقال: ﴿إن أول بيت﴾ الآية/١٢وجيز.

(٢) رواه ابن أبي حاتم، وصح الرواية عنه/١٢.

معظمًا[1] له أمن يوم القيامة من العذاب قيل: جملة شرطية عطف على مقام من حيث المعنى أى أمْنُ من دخله من جملتها.

﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ أى: قصده على وجه مخصوص، ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ كل مأتى إلى الشيء فهو سبيله، وهو بدل من الناس مخصص له والاستطاعة ألا يكون عاجزًا بنفسه يقدر على الركوب بلا مشقة شديدة وله راحلة وزاد رواح ورجوع فاضل عن نفقة من يلزم عليه نفقته وكسوته، ثم إن[2] اليهود حين أمروا بالحج قالوا: ما وجب علينا فترل قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أى: جحد فرضّيته، ﴿فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أى: من وجد ما يحج به، ولم يحج حتى مات فهو كفر[3] به وقيل: وضع كفر موضع لم يحج تغليظا، ﴿قُلْ[4] يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾: النقلية، والعقلية الدالة على صدق القرآن، ومن أنزل عليه، ﴿وَاللّهُ﴾، الواو للحال، ﴿شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ ، فلا ينفعكم التحريف، والكتمان.

---

(١) هو قول بعض من الصحابة روى البيهقى قال عليه الصلاة والسلام "من دخل البيت دخل فى حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفوراً له" فعلى هذا ضمير من دخله للبيت/١٢منه[الحديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٥٨٤) والضعيفة (١٩١٧)].

(٢) كذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد من السلف/١٢منه.

(٣) هكذا نقله أبو بكر بن مردويه عن على، وروى الترمذى عن غيره من الصحابة، وروى أبو بكر الإسماعيلى الحافظ عن عمر بن الخطاب مثل هذا المعنى/١٢منه[ولفظ كلام عمر: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا" وصحح سنده ابن كثير فى التفسير (١/٣٨٧)].

(٤) ولما فرغ من بيان البيت، والحج وأهل الكتاب لا يحجون - أعرض عن خطابهم إيذانا بشدة الغضب عليهم، فقال مخاطبًا لرسوله: ﴿قل يـأهل الكتـاب﴾ الآيـة/١٢ وجيز.

﴿قُلْ يأَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه، وكانوا يحتالون لصدهم عن الإسلام، ﴿مَنْ آمَنَ﴾، مفعول تصدون، ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾: حال من فاعل تصدون أى: طالبين لسبيل الله اعوجاجًا بتلبيسكم على الناس وتغييركم صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحريشكم بين المؤمنين، وهو متعد إلى مفعوليه بلا واسطة، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أن الصد عن الإسلام ضلال، وكتمان أمر محمد غواية، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ولما كان إنكارهم للقرآن مجاهرة منهم قال: (والله شهيد)، ولكن الصد عن الإسلام والتحريف من أسرارهم قال: (وما الله بغافل).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾: ثانى مفعولى يرد فإنه بمعنى التصيير، نزلت إلى قوله (لعلكم تهتدون) فى الأوس والخزرج حين ذكرهم اليهود الحروب وعداوات الجاهلية؛ ليفتتنوا ويعودوا[2] لمثل ما فيهم من الجاهلية ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾: القرآن، وغيره، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ[3]﴾: الزاهر الباهر السراج الظاهر عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَن يَّعْتَصِم بِاللَّهِ﴾: يلتجئ إليه ويتمسك بدينه، ويؤمن به، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق واضح لا اعوجاج له .

---

(١) ناداهم بوصف الإيمان تنبيها على تباين ما بينهم/١٢.

(٢) هكذا نقله محمد بن إسحاق، وغيره من الثقات/١٢.

(٣) وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال يومًا لأصحابه (أى المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا قالوا: الملائكة قال: (وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم) قالوا: فالأنبياء قال: فكيف لا يؤمنون والوحى يترل عليهم؟ قالوا فنحن قال وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا فمن؟ قال: (قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها) /١٢وجيز ومنه[صحيح، وله شواهد].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ
أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ
وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ﴾(١) آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، أصله وقاة فقلبت الواو تاء كتؤدة وتخمة، وهو أن يطاع ولا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر(٢) فلا ينسى، وكثير من

(١) ولما حذرهم من إضلال أعدائهم أمرهم بجامع الطاعات التى بالحقيقة هى الترهيب إذ التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله ثم أردف الرهبة بالرغبة وهى قوله (واذكروا نعمة الله) وأعقب الأمر بالتقوى بنهى هو من تمام الاعتصام فقال (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) الآية/١٢وجيز.

(٢) هكذا رواه الحاكم، وابن أبى حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢وجيز[أخرجه الحاكم (٢/٢٩٤) مرفوعًا، وموقوفًا عن ابن مسعود، والموقوف أصح، كما قال ابن كثير فى "التفسير" (١/٣٨٩)].

السلف قالوا: هذه الآية نسوخة بقوله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم" (التغابن:١٦)، وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إنها لم تنسخ لكن حق تقاته أن يجاهد فى سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم، وأبنائهم، ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أى لا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدرككم الموت فهو فى الحقيقة أمر بدوام الإسلام، ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: واستمسكوا، ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ أى: بدين الله أو بالجماعة أو بعهد الله أو بالقرآن، ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم أن يكونوا على الحق مجتمعين ثم نهاهم عن التفرقة كما افترق أهل الكتاب، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: التى من جملتها الإسلام والتألف، ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾: أيها الأوس والخزرج ﴿أَعْدَاءً﴾: وقع بينكم القتال والخوف، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: متحابين، ﴿وَكُنتُمْ﴾: فى الجاهلية ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: مشفين[1] على الوقوع فى جهنم لكفركم[2] وشفا بمعنى الطرف، ﴿فَأَنقَذَكُم﴾: أنجاكم ﴿مِّنْهَا﴾: بالإسلام، والضمير للشفا، أو للحفرة أو للنار، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادة ثباتكم على الهدى.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾، من للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف من فروض الكفايات وللمتصدى له شروط قال الضحاك: هم الصحابة، والمجاهدون، والعلماء، والخطاب للجميع؛ لأنه لو تركوه أثموا جميعا أو للتبيين كما ورد (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (*)﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿يَدْعُونَ﴾: الناس، ﴿إِلَى

---

(١) أى مشرفين/١٢.

(٢) لو أدرككم الموت فى تلك الحالة لوقعتم فيها/١٢.

(*) أخرجه مسلم فى "الإيمان" .

﴿الخَيْرِ﴾: اتباع[1] القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ﴿وَيَـأْمُرُونَ[2] بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ﴾، عطف الخاص على العام لشرفه[3]؛ لأن الخير أعم، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح، ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ[4]

---

(١) الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي، فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيذان بشرفه كقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (البقرة:٢٣٨)، والأمر بالمعروف من فروض الكفايات فالخطاب عام، والمطلوب التصدى من بعض من له قابلية فلو ترك الكل أثموا وقيل من للتبعيض، وفي صحيح مسلم (من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[سبق تخريجه في الصفحة السابقة] ، وعدم الاستطاعة لتقصيره في حق التقوى فصدق أنه أضعف الإيمان/١٢وجيز.

(٢) وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها/١٢فتح.

(٣) فإن الدعاء إلى الخير عام فيما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف عليه للإيذان بشرفه كقوله: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" (البقرة:٢٣٨)/١٢.

(٤) منهم اليهود والنصارى فقد تفرق كل منهما فرقا، واختلف كل منهما باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات النافعة وتحريفها لما أخلدوا إليه من حطام الدنيا قيل: النهى عن التفرق مختص بالمسائل الأصولية، وأما المسائل الفروعية الاجتهادية فالاختلاف فيها جائز، وما زال الصحابة فمن بعدهم مختلفين، وفيه نظر فإنه مازال في تلك العصور المنكر للاختلاف موجودا وتخصيص بعض المسائل بجواز الاختلاف فيها دون البعض الآخر ليس بصواب، فالمسائل الشرعية متساوية الأقدام في انتسابها إلى الشرع، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفي الأمر بالكون في الجماعة، والنهي عن الفرقة/١٢.

تَفَرَّقُوا[1] **وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾: الحجج المبينة للحق كالأمم السابقة، ﴿**وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: وعيد لهم وتهديد للتشبه بهم، ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ**﴾: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود[2] وجوه أهل البدعة أو المؤمنين والكافرين أو المخلصين والمنافقين، قيل: البياض والسواد كنايتان عن بهجة السرور وكآبة الحزن، والأصح أنهما علامتان حقيقيتان، والظرف لمتعلق لهم أو نصب بإضمار اذكر ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ**﴾ فيقال لهم: ﴿**أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ يوم الميثاق أو هم المرتدون أو هم المنافقون تكلموا بالإيمان أو هم أهل الكتاب، والهمزة للتوبيخ، ﴿**فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾: بسبب كفركم.

﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾: جنته عبر عنها بالرحمة إشارة إلى أنه لا ينالها من ينالها إلا برحمته، ﴿**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ أخر ذكرهم ليكون أول الكلام وآخره صفة المؤمنين.

---

(١) بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من تلك النصوص، ثم اختلفوا بأن حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه، وتفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأحبار رئيسًا فى بلد، ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل وأقول: إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله الرحمة والعفو/١٢كبير.

(٢) من فسر سواد الوجوه بسواد وجوه أهل البدعة، فالمراد الخوارج المرتدون كما نقل الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد فى مسنده أن أبا أمامة رأى رءوسًا من الخوارج منصوبة على درج دمشق فقال: (هذا كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه) ثم قرأ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية، ثم قال: (لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا حتى عد سبعا ما حدثتكموه/١٢منه[وهو حديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٣٩٨)، وصحيح سنن ابن ماجه].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: حججه، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبسة به لا شبهة فيها، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ(١)﴾ ؛ لأنه حكم عدل لا يجرى فى ملكه إلا ما يشاء فلا يحتاج إلى ظلم لأحد فلهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ(٢) مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فيجازى بما وعد وأوعد وأما بحث إنه على الظلم قادر لكن لا يظلم كما دل عليه القرآن والأحاديث أو ليس بقادر؛ لأنه محال فى حقه — فقد أفردناه فى رسالة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

---

(١) أى: لا يريد شيئًا من الظلم على أحد من العالمين فإن التنكير للتقليل بقرينة المقام والجمع المعرف فى سياق النفى لعموم النفى لا لنفى العموم بقرينة المقام أيضًا/١٢منه.

(٢) ملكا وخلقًا وعبيدًا حتى يسألوه، ويعبدوه ولا يعبدوا غيره/١٢فتح.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أى: فيما مضى بين الأمم أو فى اللوح المحفوظ أو فى علم الله تعالى، **﴿أُخْرِجَتْ﴾**: أظهرت **﴿لِلنَّاسِ﴾**: يعنى هم خير الناس للناس وأنفع الناس للناس، والأصح أنه عام وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) خير الأمم كلهم، **﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾** استئناف بين به خيريتهم، **﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** أخر الإيمان إشعارا بأن أمرهم ونهيهم للإيمان بالله وإظهار دينه، **﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾**: بمحمد، **﴿لَكَانَ﴾**: الإيمان، **﴿خَيْرًا[1] لَّهُم مِّنْهُمُ[2] الْمُؤْمِنُونَ﴾**: كعبد الله بن سلام،

(١) لأنهم لو آمنوا لكان لهم مع الرياسة وحظوظ الدنيا التى آثروها، النجاة من العذاب المقيم والفوز بالنعيم المؤبد/١٢. ولا يضرب عليهم الذلة/١٢.

(٢) هذه الجملة والتى بعدها أعنى (لن يضروكم) واقع على سبيل الاستطراد/١٢منه.

﴿وأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾: المتمردون. روى أن اليهود قالت -مع عصابة من الصحابة- نحن أفضل، وديننا خير، فنزلت (كنتم خير أمة) إلخ، **﴿لَن يَّضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾**: ضرراً يسيرا قيل: قصدت اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه فنزلت: **﴿وَإِن يُّقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ﴾**: ينهزموا، ولا يضروكم بالقتل، **﴿ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾**: ثم لا يكون لهم النصر أبدًا، **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾** ألزمهم الله المذلة والصغار، **﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾**: أينما وجدوا وكانوا، **﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ[1] مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾** أى: ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا معتصمين بذمة الله، وعهده، وأمان المسلمين وعهدهم، وهو عقد الذمة، وضرب الجزية والمعاهدة والمهادنة أى: لا عز لهم[2] قط إلا هذه الحالة الواحدة[3] **﴿وَبَاءوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾**: رجعوا به مستوجبين، **﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةُ﴾**: الجزية أو الفقر والتذلل كضرب القبة، **﴿ذَلِكَ﴾** أى: ضرب المسكنة، والذلة، والبوء بالغضب، **﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾**: بسبب كفرهم بآية الرجم، وأمثالها، وقتل الأنبياء بسبب الحسد وهم يعلمو أنه غير حق، **﴿ذَلِكَ﴾** أى: الكفر، والقتل، وقيل: هذا أيضًا إشارة إلى المشار إليه بذلك الأول أى: الصغار والهوان له سببان **﴿بِمَا[4] عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**: بسبب

---

(١) قوله: "بحبل من الله" فى محل النصب على الحال/١٢.

(٢) لما كان استقامة معنى المفرغ عند التحقيق راجعة إلى تقدير النفى أشرنا إليه بقولنا: لا عز لهم إلخ/١٢منه.

(٣) هكذا قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، والسدى، وغيرهم فيكون الحبلان واحدا من باب "الله ورسوله أحق أن يرضوه" (التوبة:٦٢)/١٢.

(٤) جعل علة الكفر وقتل الأنبياء هى المعصية، وذلك لأنهم لما توغلوا فى المعاصى والذنوب فكانت ظلمات المعاصى تتزايد حالا فحالا ونور الإيمان يضعف حالا فحالا، ولم يزل كذلك إلى أن بطل نور الإيمان، وفضلت ظلمة الكفر، وإليه الإشارة بقوله: "كلا بل =

عصيانهم واعتدائهم فى[1] حدود الله فإن الإصرار[2] والمداومة على الذنوب يفضى إلى الكفر ومقت الله تعالى.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: نزلت فى اليهود حين قالت: ما آمن بمحمد إلا شرارنا،وأرادوا به عبد الله بن سلام وأصحابه[*] أى: ليس أهل الكتاب على حد مستو. ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ﴾، استئناف بيَّن نفى الاستواء، ﴿قَائِمَةٌ﴾: على الحق مستقيمة، وقيل: قائمة فى الصلاة ﴿يَتْلُونَ[3] آيَاتِ اللَّهِ﴾: يقرءون القرآن، أو يتبعونها ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعاته، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون التهجد أو العشاء[4] فإن أهل الكتب لا يصلونها، ﴿يُؤْمِنُونَ[5] بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

= ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" (الطففين:١٤)، فقوله: "ذلك بما عصوا" إشارة إلى علة العلة ولهذا المعنى قال أرباب المعانى: من ابتلى بترك الآداب وقع فى ترك السنن، ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفريضة، ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة، ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر/١٢كبير.

(١) ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفى عن ابن إسحاق/١٢.

(٢) قوله: فإن الإصرار والمداومة مرتب على كلا التفسيرين فافهم/١٢.

(*) ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٦/٣٢٧)، وقال: "رواه الطبرانى ورجاله ثقات".

(٣) عبر بقوله: "يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون" عن التهجد والعشاء/١٢.

(٤) فى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام أخر صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، ثم قرأ (ليسوا سواء من أهل الكتاب)/١٢[أخرجه أحمد والنسائى والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى بسند حسن عن ابن مسعود مرفوعًا كما فى الدر المنثور للسيوطى (٢/١١٦)].

(٥) قوله: يتلون ويؤمنون صفتان لأمة/١٢.

﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، وصفهم بما ليس فى اليهود إلا نقيضه كإلحاد فى صفاته ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته، وهم مداهنون فى الحق متباطئون عن الخير، ﴿وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ممن صلحت أحوالهم عند الله، فاستحقوا رضاه ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: لا يضيع عند الله، ولا ينقص ثوابه، ولتضمنه معنى الحرمان عدى إلى مفعولين، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ لم يقل عليهم بهم إشعارًا بأنهم موصوفون بالتقوى أيضًا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾: لن تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: ملازموها، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾: مثل ما ينفق الكفار، وقيل: نفقة اليهود على علمائهم، ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ[1]﴾: برد شديد، أو سموم[2] حارة ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زرع، ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعاصى، ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: فلم ينتفعوا بحرثهم لدى احتياجهم إليه، فكذا أعمال الكفار، وتقديره: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ليطابق المثلان، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، بأن فعل بهم ما ليسوا أهلاً له، ﴿وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ[3] يَظْلِمُونَ﴾ لأنهم ارتكبوا ما استحقوا العقوبة.

---

(١) قال الزمخشرى: الصر: الريح الباردة ففيه إشكال لأنه يلزم أن يقال ريح فيها ريح باردة وتوجيهه أنه نعت وصف به البرد للمبالغة كبرد بارد أو هو مصدر فى الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله أو من باب التجريد انتزع من الريح الباردة ريحًا مبالغة فى بردها/١٢منه.

(٢) هذا قول ابن عباس، ومجاهد، قيل: هذا يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد فيها نارية تحرق الثمار والزروع/١٢.

(٣) تقديم المفعول لرعاية الفاصلة لا للاختصاص أى: ما ظلمناهم، ولكن ظلموا أنفسهم/١٢منه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ بطانة الرجل خاصة أهله الذى يطلعه على أسراره، **﴿مِّن دُونِكُمْ﴾**: من دون المسلمين، متعلق بلا تتخذوا أو صفة بطانة أى لا تتخذوا أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، **﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ[١] خَبَالاً﴾**: لا يقصرون فى الفساد، وخبالا مفعول ثان لتضمين معنى المنع، والجملة مستأنفة أو صفة بطانة، وكذا[٢] الجملتان بعده، **﴿وَدُّوا[٣] مَا عَنِتُّمْ﴾**: تمنوا شدة ضرركم، **﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾**: ظهرت علامة العداوة، **﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾**: فلتات[٤] كلامهم، **﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾**: من البغضاء **﴿أَكْبَرُ﴾** أكثر مما بدا، **﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾**: الدالة على صلاح أحوالكم، **﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**: ما بيّن لكم، نزلت فى مواصلة اليهود لما بينهم من القرابة[٥] أو فى مصافاة المنافقين، **﴿هَأَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ﴾** أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاتهم، والجملة بعده بيان خطئِهم أو أولاء نداء أو بمعنى الذين كما مر، **﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾** أى: بجنس الكتاب حال[٦] من مفعول لا يحبون

---

(١) ألا فى الأمر قصر ثم لتضمين معنى المنع عدى إلى مفعولين كما يقال لا آلوك نصحا، والخبال الفساد/١٢منه.

(٢) أعنى ودوا، وقد بدت تحتمل كل منهما أن تكون صفة، ومستأنفة للتعليل عن نهى اتخاذهم بطانة/١٢منه.

(٣) ما مصدرية أى ودوا عنتكم، والعنت شدة الضرر/١٢.

(٤) يقال: كان الأمر فلتة بلا تدبر وتفكر/١٢صراح.

(٥) يعنى الآية نزلت فى منع مواصلة المؤمنين اليهود مطلقًا بلقائهم المنافقين من اليهود/١٢منه.

(٦) وجاز العطف على تحبونهم، ففيه التنبيه على موقع الخطإ أيضًا على معنى هأنتم هؤلاء تؤمنون بالكتاب كله، وهم لا يؤمنون بشيء من الكتاب لأن إيمانهم، كلا إيمان فأين جامع المحبة/١٢منه.

أى: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضًا، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: نفاقا، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: خلا بعضهم مع بعض، ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾: أى: من أجله تأسفا حيث لم يجدوا سبيلا إلى الغلبة عليكم، وهذا يدل على أن الآية للمنافقين، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بدوام غيظهم وزيادته بتضاعف[1] أهل الإسلام حتى يموتوا به، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ[2] الصُّدُورِ﴾: بما فيها من خير وشر، فيجازيكم، وهو يحتمل أن يكون من المقول.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾: خير ومنفعة، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزنهم، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضر وشدة، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾، فهم فى نهاية العداوة معكم، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم أو ما حرم الله، ﴿لاَ يَضُرُّكُمْ[3] كَيْدُهُمْ شَيْئًا[4]﴾: كنتم

---

(١) وقوتهم وعزهم، وذل اليهود وخزيهم/١٢.

(٢) ذات هاهنا تأنيث بمعنى صاحبة الصدور/١٢فتح.

(٣) يعنى لا يضركم فعل مضارع وقع جزاء، وجزاء الشرط فى غير المضاعف مجزوم وفى مشدد المضاعف مفتوح، فلا بد أن يقال ضمة الراء لاتباع الضاد كضمة مد /١٢منه.

(٤) معنى الآية أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى، وألقى كل ما نهى الله عنه كان فى حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين وتحقيق الكلام فى ذلك هو أنه سبحانه إنما خلق الخلق للعبودية، كما قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(الذاريات:٥٦) فمن وفى بعهد العبودية فى ذلك فالله سبحانه أكرم من أن لا يفى بعهد الربوبية فى حفظه عن الآفات والمخافات وإليه الإشارة بقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢،٣) إشارة إلى أنه يوصل إليه كل ما يسره، وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فاجتهد فى اكتساب الفضائل/١٢.

فى كنف الله؛ فلا يضركم كيدهم، وضمة الراء فى لا يضر كضمة مد للاتباع؛ لأنه جزاء شرط مضارع مضاعف، فجاز فيه أربعة أوجه، وقرئ لا يضركم بكسر الضاد من ضاره بمعنى ضره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازيهم بما هم أهله .

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ
هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ
إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ أى: واذكر إذ غدوت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: منزل عائشة رضى الله عنها ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تسوى وتهيئ لهم، ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواقف وأماكن له، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائركم وأحوالكم، هذه وقعة أحد، وقيل[1] يوم

---

(١) رواه ابن جرير عن الحسن البصرى، وهو غريب فإن ما بعده إلى قريب من آخر السورة فى وقعة أحد فلا يعول على هذا القول/١٢.

الأحزاب، ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾، بدل من إذ غدوت أو متعلق بسميع عليم، وهما بنو حارثة، وبنو سلمة، ﴿أَن تَفْشَلا﴾: تجبنا وتضعفا، فإنهم هموا بالانصراف عن الحرب، لكن عصمهم الله، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما فعصمهم عن اتباع الخطرة أو قبالهما[*] تفشلان، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لا على العَدَد والعُدَد.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير بقصة إفادتهم التوكل، وهو موضع بين المكة[**]، والمدينة، ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: بقلة العدد والسلاح، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الثبات، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ عاقبته بمزيد الإنعام، و قيل معناه اتقونى فإنه شكر نعمتى، ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لنصركم، وهو فى بدر، أو بدل ثان من إذ غدوت، وهو فى أحد، وقالوا: لم يحصل الإمداد يوم أحد لا بخمسة آلاف ولا بثلاثة؛ لأن المسلمين لم يصبروا بل فروا، ﴿أَلَن يَّكْفِيَكُمْ أَن يُّمِدَّكُمْ﴾، هو فاعل يكفيكم،﴿رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: للنصر، ﴿بَلَى﴾: إيجاب لما بعد لن، أى: بلى يكفيكم، ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى فقال: ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾: على العدو، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: مخالفتى، ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا﴾: من غضبهم فإنهم رجعوا لحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، أو من ساعتهم، والمعنى إن يأتوكم فى الحال،﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ﴾ فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم،﴿مُسَوِّمِينَ[١]﴾: معلمين بسيما الصوف الأبيض أو بالعهن الأحمر فى نواصي خيولهم أو بالعمائم البيض، أو السود أو الصفر[٢] أو بسيما القتال

(*) كذا بالأصل وفي الكشاف (٢١٥/١) "فما لهما".

(**) كذا فى الأصل.

(١) مسومين من السومة، وهى العلامة وفى تعيينها خلاف والله أعلم بالصحيح من ذلك/١٢وجيز.

(٢) الأول قول على بن أبى طالب رواه بن أبى حاتم، الثانى لأبى هريرة، الثالث لابن عباس، والرابع رواه ابن مردويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[ذكره الهيثمى في "المجمع" =

أنزل الله الملائكة يوم بدر ألفا كما قال: (فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف) (الأنفال:٩)، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم[١] خمسة آلاف، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أى: الإمداد، ﴿إِلاَّ بُشْرَى﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ﴾: بالنصر، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: ولتسكن، ﴿قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: لا من عدة وعدد، ﴿الْعَزِيزِ﴾: الذى لا يغالب فى قضائه ﴿الْحَكِيمِ﴾: فى أفعاله، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أى: لقد نصركم الله ببدر ليهلك طائفة، أو يهدم ركنا من أركان الشرك، أو متعلق بقوله (وما النصر إلا من عند الله) ﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ[٢]﴾: يخزيهم[٣] وأو للتنويع، ﴿فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: منقطعى الآمال، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر كله إلى الله، نزلت حين[٤] قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعن فيه على قوم قتلوا سبعين رجلا من قراء

= (٣٢٧/٦) وقال: "رواه الطبرانى وفيه عبدالقدوس بن حبيب وهو متروك"]، والخامس رواه ابن مردويه عن الزبير[أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن عباد بن عبدالله بن الزبير بلاغا كما فى الدر المنثور (١٢٥/٢)]، السادس لعكرمة وقتادة/ ١٢منه.

(١) فلا منافاة كما صرح بذلك قتادة وغيره، وقوله هاهنا مردفين مشعر بذلك إذ معناه يردفهم غيرهم، ويتبعهم آخرين/١٢.

(٢) وأصل الكبت فى اللغة صرع الشيء على وجهه، والمراد منه القتل، والهزيمة، والإهلاك، واللعن، والخزي/١٢فتح.

(٣) يعنى نصرتكم فى بدر لأنواع من الفوائد: إهلاك بعض، وإذلال بعض بالهزيمة، وتوبة بعض بالإيمان، وتعذيب بعض بالأسر فيمكن أن يقال ليس لك من الأمر شيء نزل لأحد هذا الوجهين المذكورين، ويكون اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم ذكر بقية الأقسام، لكن فيه تكلف/١٢منه.

(٤) رواه البخارى، والنسائى بروايات متعددة/١٢منه[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٠)، وفى مواضع أخر من صحيحه، ومسلم فى "المساجد"].

الصحابة بعثوا ليعلموا الناس، أو نزلت(١) يوم أحد حين شج فى رأسه الأشرف، ويقول (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيّهم؟!) ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، عطف على الأمر بإضمار أن أى: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو تعذيبهم أو على شيء أى ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة أو تعذيبهم أو بمعنى إلا أن أى: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم أو يعذهم فتتشفى منهم، أو عطف على أو يكبتهم، (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض وقع فى البين، وأنت تعلم أن هذا توجيه لو يلائمه. سبب النزول يلائم اللفظ والمعنى، ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: استحقوا التعذيب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: خلقا وملكا فالأمر له لا لغيره، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: غفرانه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذيبه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تبادر إلى اللعن، والدعاء عليهم .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ
عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ

---

(١) رواه البخارى، وأحمد عن أنس/١٢وجيز[هذا يوهم أن الحديث أخرجه البخارى، وليس كذلك وإنما ذكره معلقًا فى المغازى (٧/٤٢٢-فتح)، ووصله مسلم فى "الجهاد"(١٧٩١)].

لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ**[1] **آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً**[1]﴾، أى: لا تزيدوا زيادات مكررة فإنهم إذا بلغ الدين محله زادوا فى الأجل؛ فاستغرقوا بالشيء الحقير مال المديون، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: راجين الفلاح، ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ**

---

(١) ولما نهى عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، واستطرد لما بينا ذكر بعض المحاربات، والمؤمنون فى أول الإسلام ذوو إعسار والكفار من اليهود وغيره ذوو أيسار، وأكثر مخالطتهم للمديون ومعاملتهم بالربا نهى عن التقدم للمخالطة، والمساهلة للمعاملة، وبين أن ما فى السموات والأرض ملك له لا يجوز التصرف فى شيء من ذلك إلا بالإذن وأكل الربا تصرف فى ماله بغير إذنه نهى عنه، فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾/١٢وجيز.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: بالتحرز عن متابعتهم، وفيه تنبيه على أن النار بالذات للكافر وبالعرض للعاصى، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا﴾: بادروا، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أعمال توجب المغفرة، كالإسلام، والتوبة، وأداء الفرائض، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أى: عرضها[2] كعرضهما قيل فيه تنبيه على اتساع طولها كما قال تعالى: (بطائنها من إستبرق)(الرحمن:٥٤) أى: فما ظنك بالظهائر؟! وقيل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش، ﴿أُعِدَّتْ﴾: هيّئت، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالجنة بالذات للمتقين، وبالعرض لفساق المؤمنين[3]، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾، صفة مادحة لهم، ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: فى اليسر والعسر أو المراد جميع الأحوال؛ لأنه لا يخلو الإنسان منهما، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: الكافين عن إمضائه مع القدرة

---

(١) لزيادة التوبيخ والتنبيه على أنهم على هذه الطريقة الرديئة التى يستقبحها من له أدنى مروءة، وليس لتقييد[فى الأصل: للتقييد، بلامين] النهى وقوله: "أضعافا" حال، ومضاعفة صفة لها/١٢وجيز.

(٢) كما فى سورة الحديد ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾(الحديد:٢١) قال الزجاج: لا يراد عرض ولا طول يقول العرب: بلاد عريضة أى: واسعة أو فيه إشارة إلى أن طولها كعرضها لأن الكرة كذلك، وقيل هو من عرضة المتاع للبيع نحو، ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾(الكهف:١٠٠) كما عرضت الدنيا بسمواتها وأرضها على أهل الدنيا، وكل هذه التمحلات لما أشكل عليهم أن جنة عرضها السموات والأرض كيف تسعها السماء! ولا إشكال، فإن الجنة فى الكرسى، والسموات فى جنبه كحلقة فى فلاة/١٢وجيز.

(٣) كما يقال القصر معد للسلطان وفيه غير السلطان بالتبع، وبهذا يندفع كلام الزمخشرى أن فى هذه الآيات بيانا قاطعًا أن المؤمنين على ثلاث طبقات: متقين، وتائبين، ومصرين وأن الجنة للأولين دون الأخير ومن خالف فى ذلك فقد كابر عقله ، وعاند ربه/١٢منه.

عليه، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: التاركين عقوبة من استحقها، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: إشارة إلى أن هؤلاء فى مقام الإحسان، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: قبيحة بالغة فى القبح، نزلت[1] حين قال المؤمنون: (كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا؛ لأنهم إذا أذنبوا ذنبًا أصبحت كفارة ذنوبهم مكتوبة على عتبة أبوابهم، أو نزلت لرجل قبل امرأة وعانقها ثم ندم، وقيل الفاحشة الزنا والكبائر، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالصغائر وما دون الزنا، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: أى: وعيده، أو ذكروه باللسان: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾، استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوف والمعطوف عليه دال على سعة رحمته، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾: لم يقيموا على ذنوبهم، بل أقروا واستغفروا وفى الحديث[2] (ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة) ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنها معصية أو أن الإصرار ضار أو أن الله يملك مغفرة الذنوب، أو أنهم إن استغفروا غفر لهم ﴿أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾، أى: من تحت غرفها وأشجارها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، خبر للذين إذا فعلوا إن جعلته مبتدأ، وإلا فجملة مستأنفة مبينة لما قبلها، ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ أى: ذلك، يعنى المغفرة والجنات، وكم فرق بين القبيلتين فصل آيتهم بالمحبة والإحسان، وفصل آية هؤلاء بالعمل والأجر، ﴿قَدْ خَلَتْ[3] مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أى: وقائع سنها الله فى الأمم الماضية، وقيل معنى السنن

(١) نقلهما محيى السنة، ووافقه الواحدى فى الثانى/١٢منه.

(٢) الذى رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما/١٢[وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٠٠٦)، وضعيف أبى داود].

(٣) قد استطرد لما بينا آية الربا الذى هو حرب مع الله كما قال تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ فى سورة البقرة، ثم رجع إلى حكاية الحروب فقال: ﴿قد خلت﴾/١٢وجيز.

الأمم، ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: فتعتبروا ولا تحزنوا على ما وقع عليكم يوم أحد فإنى آخذهم أشد الأخذ عاقبة الأمر لما فرغ عن حديث الربا الذى هو حرب مع الله كما قال الله —استأنف حديث الجهاد الأكبر الذى كان الكلام فيه، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أى: القرآن، وقيل إشارة إلى مفهوم قد خلت، أو فانظروا أى: القرآن بيان الأمور للناس عامة، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى زيادة بصيرة، وزاجر لهم خاصة، ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾: لا تضعفوا عن الحرب بسبب غلبة الكفار يوم أحد، ولا تحزنوا على ما وقع عليكم، ﴿وَأَنتُمُ[1] الأَعْلَوْنَ﴾، والحال إنكم الأعلى والغالب فى الدنيا والآخرة، والعاقبة لكم، والخسار لهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلق بلا تهنوا أى: لا تهنوا إن صح إيمانكم؛ فإن الإيمان يورث قوة القلب، ويمكن أن يتعلق بأنتم الأعلون أي: غلبتكم، ونصرتكم متحققة إن كنتم

(١) فانظر إلى خطاب هذه الأمة خوطبوا كما خاطب موسى عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (طه: ٦٨) بل فى هذا مزيد اعتناء قال: ﴿ولا تحزنوا﴾ أخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريج قال: انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب يوم أحد فسألوا ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم وما فعل فلان؟ فنعى بعضهم لبعض وتحدثوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا فى هم وحزن، فبينما هم كذلك علا خالد بن الوليد بخيل المشركين فوقهم على الجبل، وكانوا على إحدى جنبتى المشركين، وهم أسفل من الشعب فلما رأو النبى صلى الله عليه وسلم فرحوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذا البلد غير هؤلاء فلا تهلكهم"، فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾/١٢فتح[أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن جريج معضلا، كما فى الدر المنثور للسيوطى(٢/١٤٠)].

مؤمنين أى: إن كان إيمانكم متحققًا فالنصرة متحققة، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: جراح وكسر يوم أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: المشركين، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: يوم بدر، ولم يجبنوا فأنتم أحق ألا تهنوا، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ﴾ أى: أيام الدنيا أو أيام الغلبة، ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة، وتارة لهؤلاء، وهو خبر لتلك، والأيام صفتها، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: علم رؤية ومشاهدة أى: ليتميزوا عن المنافقين، وهو عطف على علة محذوفة أى: نداولها ليكون كذا، وكذا ، أو ليعلم الله إشارة إلى تعدد العلة أو تقديره: وليعلم الله الذين آمنوا فعلنا ذلك، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾، وليكرم قومًا بالشهادة فى سبيله، ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: يعنى: غلبتهم لا لمحبتهم بل لما ذكرنا، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: ليطهرهم من الذنوب بما يقع عليهم من قتل وجرح، وجملة "والله لا يحب الظالمين" معترضة، ﴿وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾: يهلكهم فإنهم إذا ظفروا بغوا فهو سبب هلاكهم أو مغلوبية المؤمنين لتطهيرهم، ومغلوبية الكفار لإهلاكهم فى الدارين، والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: بل أحسبتم ﴿أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ[1] اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ أى: لا تحصل الجنة لكم حتى يرى الله منكم المجاهدين، ويبتليكم بالشدائد أو معناه لا تحصل لكم والحال أنكم لما تجاهدوا كما يقال: ما علم الله فى فلان خيرا، أى: ما فيه خير، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: ويرى الصابرين على القتال، أو نصبه بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ﴾ أى: الشهادة أو الحرب فإنها من أسباب الموت، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾: تشاهدوا وتعرفوا شدته، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ

---

(١) لما كان علم الله بالشيء من لوازم تحققه جعل عدم العلم كناية عن عدم ذلك الشيء فصار معنى لم يعلم الله الجهاد لم يجاهد فلما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل/١٢منه.

﴿وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾: رأيتموه معاينين له حين قتل من قتل من إخوانكم فأنتم تمنيتم غلبة الكفار لأنكم تمنيتم الشهادة أو إذا طلبتم لقاء العدو فاصبروا[1] .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: بالموت، أو القتل، فيخلو محمد صلى الله عليه وسلم أيضًا **﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾**: عن الدين، ورجعتم إلى دينكم الأول وذلك لما شاع يوم أحد أن رسول الله صلى الله

---

(١) وذلك أن طائفة منهم لم يحضروا غزوة بدر، وفاز فى بدر من فى الحرب بما فاز به من كرامة الدنيا والآخرة، فتمنوا لقاء العدو، وليكون لهم يوم كيوم بدر وهم الذين حرضوا على الخروج لأحد، فلما كان حرب أحد وشاع أن محمدا قد قتل انقلبوا فارين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عباد الله فرجعوا، واستعذروا بأن جاءنا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت الآية تلومهم على ما صدر عنهم مع ما قرروا فى أنفسهم من تمنى الموت (وما محمد إلا رسول) الآية/١٢وجيز.

عليه وسلم قد قتل قال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول فنزلت[1] ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: بل يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى: محال أن يموت أحد إلا بقدر الله، ﴿كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾ أى كتب الموت كتابا مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فالتأخير عن القتال والإقدام عليه لا يزيد ولا ينقص فى العمر، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أى: من عمله، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ إن أردنا، قيل هذا تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد، وتركوا المركز الذى وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾: كمن ثبت حتى قتل، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أى: من ثوابها، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ[2]﴾: الذين لم تشغلهم زينة الدنيا، ﴿وَكَأَيِّن﴾ أصله أىّ دخلت الكاف عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون فى الخط، وهى تنوين،

---

(١) رواه البيهقى/١٢.

(٢) أخبر الله تعالى فى هذه الآية أن من طلب الدنيا لابد أن يصل إلى بعض مقصوده ومن طلب الآخرة فكذلك، وتقريره قوله عليه السلام ﴿إنما الأعمال بالنيات﴾ إلى آخر الحديث[أخرجه البخارى فى "بدء الوحى" (ح١)، وفى مواضع أخر من صحيحه، واللفظ له، ومسلم فى "الإمارة" (٥٧١/٤) ط الشعب] واعلم أن هذه الآية وإن وردت فى الجهاد خاصة لكنها عامة فى جميع الأعمال، وذلك لأن المؤثر فى جلب الثواب المقصود والدواعى لا ظواهر الأعمال، فإن من وضع الجبهة على الأرض فى صلاة الظهر والشمس قدامه فإن قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الإسلام، وإن قصد به عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر، وروى أبو هريرة عنه عليه السلام (أن الله تعالى يقول يوم القيامة لمقاتل فى سبيل الله في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان محارب وقد قيل ذلك ثم إن الله تعالى يأمر به إلى النار"/١٢ كبير للرازي[والحديث أخرجه مسلم فى "الإمارة" (٥٦٨/٥) ط الشعب].

عليها، وصارت بمعنى كم، وأثبتت النون فى الخط، وهى تنوين، ومعناه كم، **﴿مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾** أى: جموع[1] كثيرة منسوب إلى الربة وهى الجماعة أو علماء كثير، وفاعل قاتل ربيون[2] أو ضمير للنبى ومعه ربيون حال عنه، **﴿فَمَا وَهَنُوا﴾**: ما فتروا **﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: من قتل بعضهم أو من قتل نبيهم[3]، **﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾**: عن العدو، **﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾**[4]: ما تخشعوا وما ذلوا لعدوهم **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ[5] الصَّابِرِينَ﴾** : فينصرهم فى الدين، **﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾**، مع أنهم ثابتون

---

(١) فسر بذلك ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن وقتادة، والسدى، وجماعة أخرى/١٢.

(٢) من ربانيون، والكسر والحذف من تغييرات النسب/١٢.

(٣) قال قتادة والربيع ومحمد بن إسحاق والسدى: ما أصابهم من قتل نبيهم/١٢.

(٤) أصل استكن من السكون؛ لأن الخاضع يكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والألف من إشباع الفتحة، ومن استكون من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن يخضع له/١٢.

(٥) والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد فى طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلع - فإن الله يحبه ، ومحبة الله للعبد ثابتة بالكتاب والسنة وكرر فى مواضع من كتابه أثبتها له رسوله وشهد به سلف أمته، فليس لمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينكر أو يستبعد ذلك، نعم لمن يتبع الفلسفة أن يفسر ذلك برأيه ثم يحتمل التمحل فى ذلك، أو فينفيه برأسه كقولهم: المحبة مناسبة بين المحب والمحبوب، ومناسبة الرب للخلق نقص، فيقال المناسبة لفظ مجمل فإن أراد بها التوالد والقرابة فيقال هذا نسب فلان ويناسبه إذا كان بينهما قرابة مستندة إلى الولادة، والله سبحانه متره عن ذلك أو يراد بها المماثلة فيقال: هذا يناسب هذا أى يماثله، والله سبحانه أحد صمد لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد أو يراد بها موافقة فى معنى من المعانى وضدها المخالفة والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله يوافقونه فيما يأمر فيفعلونه، وفيما يحبه فيحبونه، وفيما نهى =

ربانيون مصابون ﴿إِلاَّ أَن قَالُوا﴾ اسم كان ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

= عنه فيتركونه، وفيما يبغضه فيبغضونه، والله وتر يحب الوتر[صح ذلك عنه مرفوعًا—صلى الله عليه وسلم- انظر صحيح الجامع (١٨٢٩)] جميل يحب الجمال[صح ذلك عنه مرفوعًا —صلى الله عليه وسلم- أخرجه مسلم فى "الإيمان"] عليم يحب العلم نظيف يحب النظافة[ورد ذلك فى حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٥٩٦)] محسن يحب المحسنين مقسط يحب المقسطين إلى غير ذلك من المعانى، بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحلته عليها طعامه، وشرابه فى الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته كما ثبت ذلك فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم[أخرجه البخارى فى "الدعوات" (٦٣٠٨)، ومسلم فى "التوبة" (٢٧٤٤)] فإذا أريد بالمناسبة هذا وأمثاله فهذه المناسبة حق، وهى من صفات الكمال كما تقدم الإشارة إليه فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان ونحو ذلك والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يحب هذا، ولا يبغض هذا كان الذى يحب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال والموجود إما ألا يكون له علم كالجماد فالذى يعلم أكمل منه والعالم إما أن يحب المحمود ويبغض المذموم، وإما ألا يحبهما، وإما أن يحبهما ومعلوم أن الذى يحب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما أو يبغضهما وأصل هذه المسألة هى الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا فرق بينهما فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجمعون على أنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى بعض رسائله/١٢.

﴿أَمْرِنَا﴾: صغائرنا، وكبائرنا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بحولك وقوتك، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: النصر، والعافية، والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ
فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ (١٤٩) بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ (١٥٠) سَنُلۡقِي فِي
قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ
وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥١) وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ
تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ
أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ
صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
(١٥٢) ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ
أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ
أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا
يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ
فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا
هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ

ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:[1] اليهود، والمنافقين حين قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: يرجعوكم إلى الشرك، ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: مغبونين فى الدارين، ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: فلا تستنصروهم، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ لما ارتحل المشركون عن أحد عزموا فى أثناء الطريق الرجوع لاستئصال المسلمين، فألقى الله الرعب فى قلوبهم فلم يقدروا على الرجوع﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾: بسبب إشراكهم، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾ أى: أشركوا شيئًا لم يترل الله بإشراكه حجة ودليلاً ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أى: النار، وضع الظاهر موضع المضمر تغليظًا وتعليلاً، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بالنصر والظفر بشرط الصبر والتقوى ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلون المشركين أول الأمر يوم أحد[2] ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بقضاء الله، ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أراد اختلاف الرملة حين انهزام المشركين قال بعضهم ندع مكاننا للغنيمة، وقال بعضهم: نترك الغنيمة، ولا نخالف نبى الله ﴿وَعَصَيْتُم﴾: الرسول بترك المركز، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم﴾: الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾: من الغنيمة، وجواب إذا محذوف وهو امتحنكم أو منعكم نصره، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: وهم من ترك المركز للغنيمة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾: وهم

---

(١) وذلك حين حسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل/١٢.

(٢) قد يستدل بهذه الآية على أن قوله: (إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم)(آل عمران: ١٢٤) الآية كان يوم أحد، وهو الوعد بالنصر، لكن بشرط الصبر والثبات والطاعة/١٢.

الثابتون عند المركز، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفكم عنهم، وردكم بالهزيمة ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: يمتحن ثباتكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: مخالفة الرسول لندمكم، أو عفا عنكم فلم يستأصلكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تبعدون فى الهزيمة متعلق بعفا عنكم، أو بصرفكم، أو ليبتليكم، ﴿وَلاَ تَلْوُونَ﴾: لا تقفون، ولا تقيمون، ﴿عَلَى أحَدٍ﴾: ولا يلتفت بعض إلى بعض، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ أى: فى جماعتكم الأخرى أى المتأخرة[1] يقول: (إليَّ عباد الله فأنا رسول الله من يكر فله الجنة)[*] ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾: جازاكم عن فشلكم غما متصلاً بغم غم الذنب وظن قتل نبيكم والخوف وظفر المشركين[2] وقيل غمًّا بسبب غم أذقتموه رسول الله بمخالفته، ﴿لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: من الغنيمة[3]، والظفر بعدوكم، ﴿وَلاَ﴾: على، ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾: من القتل والجراح وقيل معناه لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد؛ فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق، وقيل لا فى لكيلا زائدة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: عالم بأعمالكم وقصدكم، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾: أمنة[4] مفعول، ونعاسًا[5] بدل منه، وهذا كما قال الزبير: لقد

---

(١) الأول منقول عن كثير من السلف رواه ابن مردويه عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن أبى حاتم عن قتادة/١٢.

(*) سبق تخريجه والتنبيه على ضعفه.

(٢) على الوجه الأول الظرف أعنى بغم مستقر وعلى الثانى متعلق بأثابكم/١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس، وعبد الرحمن بن عوف، والحسن، وقتادة، والسدى /١٢.

(٤) على أن النعاس الأمنة أو نعاسا مفعول، وأمنة حال مقدم/١٢.

(٥) الحديث الذى ذكرنا فى شرح الآية يدل على أن النعاس بعد الهزيمة حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أنه لم يُصب والكفار على الرجوع/١٢.

رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل[1] الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، والله لا أسمع قول معتب بن قشير إلا كالحلم لو كان لنا من الأمر شيء[2] ما قتلنا ها هنا، وعن[3] ابن مسعود: النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان، ﴿يَّغْشَى﴾: النعاس ﴿طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾، وهم المؤمنون حقا، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ما بهم إلا هَمُّ أنفسهم وطلب خلاصها، وهم المنافقون، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾: نصب غير الحق بالمصدر[4] أي يظنون غير الظن الحق، وظن الجاهلية بدله أو هو مفعول مطلق، وغير الحق مصدر لمضمون الجملة أي يظنون ظن الجاهلية يقولون قولاً غير الحق، وهو أنهم يظنون أنه ما بقي من أمر محمد صلى الله عليه وسلم شئ، ﴿يَقُولُونَ[5] هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: هل لنا من النصر والغلبة شيء، ونصيب قط؟ وهذا إنكار منهم، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: النصر والظفر والقضاء والقدر، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم﴾: من النفاق استئناف، أو حال من فاعل يقولون، ﴿مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ[6]﴾، بدل[7] من يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك أو استئناف أي إذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون،: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: لو كنا على الحق،

---

(١) رواه ابن إسحاق بن يسار، وابن أبي حاتم/١٢.

(٢) رواه الطبراني/١٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم/١٢.

(٤) على طريق النوعية دون التأكيد/١٢.

(٥) استفهام إنكاري/١٢.

(٦) في أنفسهم ما لا يبدون لك/١٢.

(٧) إذ لو قالوا ذلك مع المؤمنين مجاهرة لما كانوا منافقين، ولا يمكن أن يكون بدلا من يخفون إلخ/١٢.

﴿مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾: لما قتل منا فى هذه المعركة، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أى: لخرج الذين قدر القتل عليهم إلى مصارعهم فلم يستطيعوا الإقامة فى المدينة ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، ليمتحن، ويظهر سرائركم من الإخلاص وعدمه، وهو عطف على محذوف أى برز لنفاذ القضاء وليبتلى، أو علة فعل محذوف أى: فعلنا ذلك، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يكشفه، ويميزه أو يطهره، ويخلصه من الوساوس ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بضمائرها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿يَوْمَ التَقَى الْجَمْعَانِ[1]﴾: فى أحد، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ[2] الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أى: انهزم من انهزم لأجل استزلال الشيطان إياهم ببعض الذنوب، وإيقاعهم فيه يعنى اقترفوا ذنوبا لم يستحقوا معها التأييد الإلهي، وتقوية القلب فلذا فروا أو لأجل أنه حملهم على الذلة التى هى الفرار بسبب ذنب هو بمخالفة الرسول أعنى ترك المركز أو بشؤم ذنوب تقدمت لهم فإن المعاصى يجر بعضها بعضًا كالطاعة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ تلك الخطيئة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذنوب، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبة العصاة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ

---

(١) المسلمون، والكافرون/١٢.

(٢) استزلهم: طلب منهم الزلل، وإذا قلت استزله بكذا جاز أن يكون الزلل المحرض عليه هو ما دخل عليه الباء وجاز أن يكون غيره، والمعنيان اللذان فى الشرح بناء على ذلك/١٢منه.

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن
مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ
فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن
يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا
غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ
ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ
دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ
بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم
مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ
ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ
أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ

بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى: المنافقين، ﴿وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾: لأجل أصحاهم وفيهم، ﴿إِذَا ضَرَبُوا[1]﴾: سافروا أى قالوا لأجل الأحوال العارضة للإخوان إذا ضربوا بمعنى حين كانوا يضربون، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: للتجارة وغيرها فماتوا فى تلك السفر: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾، فقتلوا جمع غاز ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، مقول قالوا، ﴿لِيَجْعَلَ[2] اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى: لا تكونوا مثلهم فى ذلك الاعتقاد ليجعل ذلك الاعتقاد حسرة فى قلوهم خاصة دون قلوبكم أو معناه قالوا ذلك واعتقدوا ليجعل، وحينئذ اللام لام العاقبة كقولهم: (لدوا للموت وابنوا للخراب) ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أى: المؤثر فيهما هو الله لا الإقامة والسفر، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فلا تكونوا أيها المؤمنون كالكفار، ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ أى: فى سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، جواب القسم[3] ساد مسد الجزاء أى لو وقع القتل أو الموت فما تنالون من المغفرة بالموت خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ

---

(١) حاصل ما قررنا أن إذا ضربوا ظرف لما يحصل للإخوان أى: الأحوال العارضة لهم فى زمان مفرهم لا ظرف قالوا حتى يلزم أن قالوا ماض وإذا ضربوا مستقبل فلا يصح، وكان ما ذكره الشارح أولى مما ذكره الزمخشرى فانظر فتأمل/١٢.

(٢) فاللام متعلق بلا تكونوا أو بقالوا وعلى الأول ذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد/١٢.

(٣) إشارة إلى أن اللام فى (ولئن قتلتم) هى الموطئة للقسم، وكذا اللام فى (ولئن متم)/١٢ منه.

﴿لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لا إلى غيره، فلا رجاء ولا خوف إلا منه، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، ما مزيدة للتأكيد أى: برحمة وإحسان منه سهلت أخلاقك يا محمد لهم، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيئ الخلق، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسيه، ﴿لَانفَضُّوا﴾: تفرقوا، ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾: فيما تصح المشاورة فيه تطييبًا لقلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: وجزمت على أمر بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى[1] اللَّهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصرهم، ويهديهم، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: بغلبة العدو ﴿فَمَن[2] ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد الخذلان، أو من[3] بعد الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فليخصوه بالتوكل[4] عليه لما علموا ألا ناصر سواه، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾:[5] ما ينبغى لنبى أن يخون فى الغنيمة، نزلت فيما قال

---

(١) وفيه إشارة إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل مراعاة الأسباب الظاهرة مع تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه بالقلب/١٢فتح.

(٢) ومن علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له ومن خذله لا ناصر له فوض أمره إليه، وتوكل عليه و لم يشتغل بغيره/١٢.

(٣) رواه العوفى عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٤) وقد وردت فى صفة التوكل أحاديث كثيرة صحيحة، وقد عد النبى المتوكل من سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، كما فى مسلم/١٢فتح[وهو أيضًا فى البخارى أخرجه فى "الطب" (٥٧٠٥)، ومسلم فى "الإيمان"].

(٥) ولما أمر نبيه بالعفو فى سوء أدبهم، والاستغفار فى ذنوبهم بين فى إفراد إساءة الأدب والذنب "وما كان لنبى أن يغل" الآية/١٢وجيز.

المنافقون[1] يوم بدر حين فقد قطيفة حمراء لعل رسول الله أخذها، أو فى ظن الرماة[2] يوم أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعطيهم الغنيمة، ولهذا اشتغلوا بالغنيمة، وتركوا المركز أو معناه ما كان لنبي أن يكتم شيئًا من الوحى[3] وقرئ على البناء للمفعول أى ينسب إلى الخيانة، أو يخونه أمته فقيل نزلت[4] يوم بدر، وقد غل بعض أصحابه ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: حاملا[5] له على عنقه، وقد[6] ورد أن الحجر ليرمى به فى جهنم فيهوى سبعين خريفًا ما يبلغ قعرها[*]، ويؤتى بالغلول فيقذف معه، ثم يقال لمن غل ائت به فذلك قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاؤه وإذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال لعظم ذنبه بذلك أولى، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: بنقص الثواب، وازدياد العقاب، ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بطاعته، ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رجع، ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: بمخالفة شرعه، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾: أى أهل الخير وأهل[7] الشر

---

(١) نقله الترمذى وأبو داود عن عبد الواحد بن زياد، وابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبى حاتم وابن جرير عنه أيضًا/١٢وجيز[وهو حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٤٠٧)، والصحيحة (٢٧٨٨)].

(٢) رواه العوفى عن ابن عباس، وكذا قال الضحاك/١٢.

(٣) هذا قول محمد بن إسحاق١٢/منه.

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة والربيع/١٢منه.

(٥) والأحاديث التى تدل على هذا توجد فى الكتب الستة، وغيرها/١٢منه.

(٦) رواه ابن مردويه/١٢منه.

(*) أخرجه مسلم فى "الزهد".

(٧) وفى الوجيز: هذا بعيد جدًّا أى إرجاع الضمير لأهل الخير والشر جميعًا إذ لا يقال أن للكافر درجة عند الله تعالى فإن الدرجة ما يتوسل به إلى مكان علو وما سمعناه يستعمل =

درجات أى كدرجات[1] فى التفاوت أو ذو درجات، **﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**، فيجازيهم على حسب الأعمال، **﴿لَقَدْ مَنَّ[2] اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾**: من جنسهم لا من ملك وغيره ليفهموا كلامه، ويتمكنوا من مجالسته والانتفاع به، **﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾** أى: القرآن، **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾**: من دنس الشرك والجهل، **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾**: القرآن، **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**: السنة، **﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾**، إن هى المخففة أى: إن الشأن كانوا قبل بعثته، **﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**: ظاهر، **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ[3]﴾** يوم أحد من قتل سبعين منكم، **﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾**: يوم بدر من قتل سبعين، وأسر سبعين، **﴿قُلْتُمْ[4] أَنَّى هَذَا﴾**: القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، والهمزة متخللة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهو ما سبق من[5] قصة أحد

= إلا فيمن له شرف ومكان عال حسن، بل الضمير لمن اتبع فإنه هو المحدث عنه أى هم ذوو درجات، وفى تلك العبارة مبالغة لا تخفى/١٢.

(١) فيكون التشبيه بحذف الأداة/١٢منه.

(٢) ولما بين فضل المؤمنين، وأنهم هم الواصلون إلى رضوانه تعالى، ولهم الدرجات العلى من فضل الله تعالى، وَمِنْه مَنُّهُ عليهم ببعث أشرف خلق الله تعالى منهم فيهم، فقال: (لقد منّ الله) الآية/١٢وجيز.

(٣) ولما من على المؤمنين ببعثة رسول عالم مظهر صلى الله عليه وسلم فربما يذهب وهم واهم إلى أن خذلان المؤمنين فى بعض الأحيان لماذا؟ فقال: (أو لما أصابتكم) الآية/١٢.

(٤) أى كيف أصابنا هذا الكسر، والقتل، ونحن نقاتل أعداء الله تعالى؟ فأنى سؤال عن الحال على سبيل التعجب، ولا يناسب أن يكون أنى بمعنى أين ومتى لأن الاستفهام لم يقع هنا من المكان، والزمان/١٢وجيز.

(٥) من قوله (لقد صدقكم الله وعده) إلى قوله (لفى ضلال مبين) لأن الكل يتعلق بقصة أحد من غير تخلل أجنبى/١٢منه.

للتقرير والتقريع[1] وقلتم جواب لما فإنه ظرف بمعنى حين يستعمل استعمال الشرط مضاف إلى الجملة بعده، وناصبه ما وقع موقع الجزاء، وأنى خبر هذا وقع مقول القول، وقد أصبتم صفة لمصيبة، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾: من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك المركز أو فيما صنعتم من أخذكم[2] الفداء يوم بدر، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من النصر، ومنعه ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: جمع المسلمين، والمشركين يوم أحد، ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: فهو بقضائه، وقدره، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾، عطف على بإذن الله، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أى: ليتميز المؤمنون من المنافقين ويظهر إيمان هؤلاء، وكفر هؤلاء، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أى: لعبدالله بن أبىّ وأصحابه لما انصرفوا فى أثناء الطريق، عطف على نافقوا أو كلام مبتدأ، ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾: عنّا القوم بتكثيركم سوادنا، وقيل تخيير بين المقاتلة للآخرة أو للدفع عن الأنفس والأموال، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾، لكن لا يكون اليوم قتال، ونافقوا فى هذا أيضًا، لأنهم ظنوا القتال ورجعوا وقيل معناه لو نعلم أن ما ترتكبونه قتال لاتبعناكم، لكن هو إلقاء الأنفس إلى التهلكة، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾، لانخزالهم وكلامهم، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من كلمة الإيمان، وقولهم لو نعلم قتالا على التوجيه الأول، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: من النفاق، ﴿الَّذِينَ﴾، بدل من فاعل يكتمون أو نصب أو رفع على الذم، ﴿قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾ أى: لأجل أقاربهم المقتولين يوم أحد أو قالوا لإخوانهم من

(١) أى الحمل على الإقرار والتقريع على مضمون المعطوف/١٢منه.

(٢) فإن المسلمين اجتمع رأيهم على أخذ الفداء فأخذوا الفداء قبل أن يأذن الله لهم كما سيجيء، رواه ابن أبى حاتم عن عمر بن الخطاب، وابن جرير عن على بن أبى طالب، والترمذى، والنسائى عن محمد بن سيرين١٢/منه.

المنافقين، ﴿وَقَعَدُوا﴾ أى: والحال أنهم قد قعدوا عن الحرب، ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أى: شهداء أحد فى الانصراف، ﴿مَا قُتِلُوا﴾: كما لم نقتل، ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾: ادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾، نزل[1] فى شهداء أحد أو فى شهداء بدر أو فى سبعين من الصحابة قتلوا فى بئر معونة حين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد، ﴿بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: فى دار كرامته، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: من الجنة حيث شاءا، فإن أرواحهم فى أجواف طيور خضر[2]، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: لوقوع محذور، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ[3]﴾: لفوات محبوب وألا خوف بدل اشتمال من

---

(١) الأول روى الحاكم فى مستدركه، وأبو داود عن ابن عباس[وكذا أحمد بسند صحيح، انظر صحيح الجامع (٥٢٠٥)]، وكذا قال قتادة والربيع والضحاك، والثانى قول مقاتل، ومجاهد،، والثالث روى ابن جرير عن أنس بن مالك/١٢منه.

(٢) ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش/١٢منه.

(٣) أخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن نعيم بن حماد أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الشهداء أفضل؟ قال (الذين إن يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك ينطلقون فى الغرف العالية من الجنة، ويضحك إليهم ربهم وإذا ضحك ربك إلى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه/١٢در منثور[أخرجه أحمد (٢٨٧/٥) بسند رجاله ثقات خلا إسماعيل بن عياش وهو صدوق فى روايته عن أهل بلده، وهذا منها].

قوله صلى الله عليه وسلم (ويضحك إليهم ربهم)..إلخ ضحك الرب عز وجل من صفاته، وقد جاء ذكر الضحك في الأحاديث الصحيحة الثابتة يجب الإيمان به قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية قدس الله سره في بعض فتاواه:

=

الذين أي يستبشرون بعدم الخوف والحزن على الذين خلفهم من المؤمنين بشرهم الله

= وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح، وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل خفة الروح أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني، ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب" فقال له أبو رزين العقيلي، يا رسول الله أو يضحك الرب قال: "نعم"، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابي العقل بصحة فطرته ضحكه دليل على إحسانه وإنعامه فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك وقد قيل في اليوم الشديد العذاب "يوما عبوسا قمطريرا" (الإنسان: ١٠)، وقد روي أن الملائكة قالت لآدم حياك الله وبياك أي: أضحكك والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينا مستلزمًا لشيء من النقص، فالله تعالى متره عن ذلك، وذلك النقص مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقا مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم ألا يكون الرب موجودا وألا يكون له ذات ومن هنا ضلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله، فأرادو أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفي وإثبات، فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود، ولا موصوف ولا لا موصوف لما في ذلك على زعمهم من التشبيه وهذا يستلزم أن يكون ممتنعا، وهو مقتض للتشبيه بالممتنع، والتشبيه الممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات في شيء من خصائصها أو أن يكون مماثلا لها في شيء من صفاته كالحياة والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل في صفة الخالق صفة المخلوق كالحدث والموت والفناء والإمكان انتهى.

بذلك أو يسرون[1] بلحوق من لحقهم عن إخوانهم على ما مضوا عليه من جـــهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من الكرامة قال السدى: يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليـك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا، فيسر بذلك كما تسرون بقدوم الغائب، وقال: بعضهم لما قتلوا ورأوا الكرامة قالوا: يا ليت إخواننا[2] يعلمون ما عرفناه، فباشـــروا القتـال بالرغبة، فأخبر الله نبيه بأمرهم، ثم الله أخبرهم بأنى قد أخـــبرت بـأمركم نبيكـم، فاستبشروا بذلك فذلــك قولــه: (ويستبشـــرون بـالذين لم يلحقــوا) إلى آخــره ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، كرره تأكيدًا، وليتعلق به قوله: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، ثوابا لأعمــالهم، ﴿وَفَضْلٍ﴾: زيادة عليها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، عطف على نعمة أى: استبشروا لما عاينوا من وفاء الموعود .

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ

---

(١) هو قول محمد ابن إسحاق، وهذا الذى نقلنا عن السدى يوافقه/١٢.

(٢) فى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن قرأناه زمانا حـــتى رفع أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنّا وأرضانا[أخرجه البخارى فى "المغــازى" (٤٠٩٠،٤٠٩١)، وفي غير موضع من صحيحه، وحده دون مسلم] وفيما نقله محمـــد بن جرير أنه لنسخت، ورفعت وأنزل الله ﴿ولا تحسبن الذيـــن قتلـــوا فى ســـبيل الله﴾ الآية/١٢منه.

شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن
رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ
لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: الجرح، وهو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح، **﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾**: بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن للتبيين، وهو أى للذين خبر قدم على مبتدئه، والجملة استئنافية أو الذين استجابوا مبتدأ وجملة للذين أحسنوا إلخ خبره، **﴿وَاتَّقَوْا﴾**: مخالفته، **﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ﴾**، بدل من الذين، **﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾**: رسول المشركين، **﴿إِنَّ النَّاسَ﴾**، أى: المشركين، **﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾**، ذلك القول، **﴿إِيمَانًا﴾** يقينًا وتصديقًا، **﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾**: محسبنا وكافينا، **﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**: الموكول إليه هو، **﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾**، سلامة بدن، **﴿وَفَضْلٍ﴾**: ربح مال، **﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾**: قتل وجرح، **﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾**: فى طاعة رسوله، **﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾**، أنعم عليهم بإنعامات جمة دينية ودنيوية نزلت آية (الذين استجابوا) إلخ فيمن بقى من غزوة أحد فإنهم أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جراحاتهم فى الخروج عقب المشركين فإنهم إذا رجعوا من أحد ندموا فى أثناء الطريق، وقالوا:

نرجع ونستأصلهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع[1] من كان معه فى أحـد فلما سمع المشركون بخروجهم ألقى الله الرعب فيهم فأرسلوا أحدا يخـوف المسـلمين منهم، والمسلمون يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا فرجع المسلمون بعافيـة وربح وهو أن[2] عيرًا مرّت فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وربح فيها مـالاً وقسم بين أصحابه[3] أو نزلت فيمن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل من غزوة أحد حين خرج المشركون من مكة وألقى الله الرعب فيهم فى أثنـاء الطريق، وندموا من الخروج وأرسلوا أحدا يخوف المسلمين فى المدينة، وهم متـأهبون للقتال قائلون حسبنا الله ونعم الوكيل، ورجعوا من الطريق فرجع المسلمون بسـلامة وربح فى تجارة من سوق[4] بدر ورضًا من الله، **﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾** أى: قـائل إن الناس قد جمعوا لكم شيطان يصدكم عن سبيل الله، مبتدأ، وخبر، **﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءه﴾**:

---

(١) ولم يأذن فى الخروج معه أحدا غيرهم حتى بلغ حمراء الأسد أو بنى أبى عتبـة، شـك سفيان/١٢.

(٢) بمر الظهران/١٢.

(٣) رضى الله عنهم هذا هو المنقول الثابت الذى صححه ابن كثير فى تفسـيره والبغـوى أيضًا، وهو قول جميع قدماء المفسرين والمؤرخين فالآية جميعها فى غزوة حمراء الأسـد المتصلة بغزوة أحد، لا أن بعض الآية، وهو ﴿الذين استجابوا﴾ إلى قوله ﴿أجر عظيـم﴾ فى تلك الغزوة وباقيتها وهو الذين (قال لهم الناس) إلى آخر الآية فى غزوة بدر الصغرى التى نذكرها كما قال الرازى وغيره من المتأخرين، فلا تعتمد على الرازى والزمخشـرى وغيرهما/١٢منه وجيز.

(٤) وهو المسمى بغزوة بدر الصغرى، فإن المسلمين انتظروا المشركين فى البدر فلم يـأتوا فرجع المسلمون من بدر بتجارة وربح ورضًا من الله قال الشيخ المحدث الناقد أبو الفداء عماد الدين بن كثير: الصحيـح أن الآيـة فى غـزوة حمـراء الأسـد لا فى بـدر الصغرى/١٢منه.

يخوفكم أولياءه بإيهامكم أنهم ذوو قوة وبأس، ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدقين موقنين، ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أى: لا تهتم، ولا تبال بمن يبادر إلى العناد وكسر[1] الإسلام، وهم كفار قريش أو المنافقون أو هم واليهود، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى: دين الله، وشيئًا مصدر أو مفعول، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ﴾: نصيبًا من الثواب فيها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، مع حرمان الثواب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ﴾: استبدلوا هذا بهذا ﴿لَن[2] يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، ولكن يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ﴾، ما مصدرية، وإن مع ما فى حيزه مفعول، وفى قراءة: "ولا تحسبن" بالتاء تقديره لا تحسبن يا محمد حال الذين كفروا أن الإملاء أى: الإمهال خير بحذف مضاف أو إنما نملى بدل من المفعول، واستغنى به عن المفعول الثانى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾، استئناف بما هو علة الحكم قبلها، وما كافة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت فى مشركى مكة، أو فى قريظة والنضير، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: يا معشر المسلمين من التباسكم بالمنافقين أو يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس والاختلاط ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾؛ المنافق من المخلص بالوحى أو بتكاليف لا تذعن لها إلا الخلص كما ميز يوم أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، فتعرفوا قلوب المخلصين والمنافقين، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن[3] رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾، فيخبره ببعض المغيبات

(١) بهذا التقرير دفع ما يقال من شأن الرسول أن يحزن بكسر الإسلام فكيف يؤمر بعدم الحزن/١٢منه.

(٢) ومن هذا علم أن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لله تعالى/١٢وجيز.

(٣) من بيانية، أو تبعيضية/١٢منه.

نزلت حيث قال المشركون: إن كان محمد صادقًا فليخبرنا بمن يؤمن به، ومن يكفر أو لما قال عليه الصلاة والسلام: (عرضت على أمتى وأعلمت من يؤمن لى ومن يكفر بى) قال المنافقون: إنه يزعم عرفان المؤمن من الكافر، ونحن معه ولا يعرفنا، **﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾**: بصفة الإخلاص، **﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾**: حق الإيمان، **﴿وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم﴾**، بقراءة التاء تقديره ولا تحسبن بخل الذين بحذف مضاف، وكذا بقراءة الياء إن كان الفاعل ضمير الرسول وأما إذا كان الذين يبخلون فاعله فتقديره ولا يحسبن البخلاء بخلهم[(١)] هو خيرا لهم نزلت فى مانعى الزكاة[(٢)] وقيل فى أهل الكتاب[(٣)] بخلوا بما فى أيديهم من الكتب المنزلة، **﴿بَلْ هُوَ﴾** أى: البخل، **﴿شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾** يجعل ماله الذى لم يؤد زكاته حية يطوق فى عنقه تنهشه من فرقه إلى قدمه، أو يجعل طوقًا من نار، **﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: يفنى الملاك، وتبقى الأملاك بلا مالك إلا الله، فلا تبخلوا، **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**: من المنع، والإعطاء[(٤)]، **﴿خَبِيرٌ﴾**، فيجازيكم .

---

(١) عند الزمخشرى جاز حذف أحد مفعولى باب علمت عند ظهور القرينة وهاهنا كذلك على أن الفاعل لما اشتمل على ذكر البخل صار هذا فى حكم إيجاد الفاعل، والمفعولين/١٢منه.

(٢) ففى البخارى ومسلم أنه عليه السلام قرأ بعد أن أوعدهم/١٢[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٥)، وفى غير موضع من صحيحه دون مسلم].

(٣) رواه ابن جرير عن ابن عباس، والأول أصح/١٢منه.

(٤) قال الرازى فى التفسير الكبير: إن الإنفاق الواجب أقسام كثيرة منها إنفاقه على نفسه وعلى أقاربه الذين يلزمه مؤنتهم، ومنها ما يتصل بأبواب الزكاة ومنها ما إذا احتاجه المسلمون إلى دفع عدو يقصد قتلهم وماهم فهاهنا يجب عليهم إنفاق الأموال على من =

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ
وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ
أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا
نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن
قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن
كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ
﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞
لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن
قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ
عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا
تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ
﴿١٨٧﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا
تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

= يدفعه عنهم؛ لأن ذلك يجرى مجرى دفع الضرر عن النفس، ومنها إذا صار أحد من المسلمين مضطرا فإنه يجب عليه أن يدفع إليه مقدار ما يستبقى به رمقه فكل هذه الإنفاقات من الواجبات، وتركه يكون من باب البخل، والله أعلم/١٢.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ[1] قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قالت اليهود لما نزلت: (من ذا الذى يقرض الله قرضًا حسنا)(البقرة:٢٤٥، الحديد:١١) أو لما دعاهم أبو بكر إلى الإسلام قالوا: إن الله إلينا لفقير ونحن عنه أغنياء، ولولا ذلك ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: فى صحيفة أعمالهم أو سنحفظه ولا نهمله، ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقّ﴾: بحسد وعناد قرنه به لأنهما كجنس[2] واحد فى العظم، ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المحرق أى: ننتقم منهم بأن نقول لهم ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ أى: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: بسبب ذنوب صدرت من أنفسكم، وهو من جملة المقول معهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ[3]﴾، عطف على ما قدمت أى: عدلنا يقتضى تعذيبكم، وصيغة المبالغة لكثرة العبيد فإنها جمع محلى باللام، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ أى: حتى يأتى بتلك المعجزة الخاصة، وهى أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه تنزل نار من السماء تأكلها كما كانت لأنبياء بنى إسرائيل ﴿قُلْ﴾: يا محمد تكذيبًا لهم، وإلزاما؛ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾:

---

(١) لا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد، أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة/١٢منه.

(٢) وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظام، بل هم أصلاء فى الكفر، والكفر منهم ميراث، ورثوه من أجدادهم/١٢.

(٣) وفيه إشارة ظاهرة بأنه لو عفى عن تلك الجرائم العظام التى هى الكفر وأشد الظلم على أفضل الخلائق لكان الله تعالى كثير الظلم، والعجب كل العجب أن فى الآيات القرآنية أكثر من عشرة وعشرين أن تنقيص الحسنات وتضعيف السيئات وتعذيب المحسن والإحسان مع المسيء فى القيامة ظلم من الله تعالى، وهو تعالى بفضله وإحسانه لا يظلم مثقال ذرة وحرم على نفسه الظلم، وصرح بذلك علماء الخلف وعظماء السلف، وليس فى كتب اللغة التى عندنا تفسير الظلم إلا بوضع الشيء فى غير موضعه اللائق ومع هذا كله فضلاؤنا المتأخرون فسروا الظلم بالتصرف فى ملك الغير بغير إذنه قالوا: الظلم على الله محال، وما فطنوا بالفسادات الواردة على ذلك، وقد بينا ذلك فى رسالة مفردة/١٢وجيز للمصنف.

تلك المعجزة الخاصة التى تطلبون منى، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم تتبعون من جاء بتلك المعجزة، ثم قال مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فليس ببدع منهم، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: الكتب المقصورة على الحكم وعلى المواعظ، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح المعنى المتضمن للشرائع والأحكام، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: وعد للمصدق، ووعيد للمكذب، ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: تعطون تاما جزاء أعمالكم، ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾: جنب، وبعد: ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالبغية، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أى: زخارفها، ﴿إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: كمتاع يدلس به على المستام[1] فيغر ويشتريه فمن اغتر بها وآثرها فهو مغرور، ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أى: والله لتختبرن، ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾: بإهلاكه، والأمر بالإنفاق، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: بالجهاد والقتل، والأمراض، والحقوق كالصلاة، والحج، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى[2] كَثِيرًا﴾، من هجاء الرسول، والطعن، وتشبيب النساء أمرهم بالصبر قبل الوقوع ليوطنوا أنفسهم عليه، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على الأذى، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾: أى الصبر، والتقوى، ﴿مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾: معزوماتها[3] أى: التى يجب العزم عليها أو مما عزم الله وأمر وبالغ فيه قال عطاء: من حقيقة الإيمان، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أى: اذكره، ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾:[4] بلسان أنبيائهم، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ

---

(١) المشترى/١٢.

(٢) من الطعن وتشبيب النساء، والتشبيب هو ذكر أوصاف الجمال، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف بنساء المؤمنين/١٢فتح.

(٣) يعنى أن العزم مصدر بمعنى المفعول أى المعزوم عليه، والفاعل هو العبد أى: يجب عليه أن يعزم على ذلك، والله تعالى أراد وقطع وفرض أن يكون ذلك ويحصل قال الإمام المرزوقى: حقيقة العزم توطين النفس، وعقد التغلب ولذلك لم يجز على الله/١٢.

(٤) والظاهر أن المراد بأهل الكتاب كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب أىّ كتاب كان كما يفيده التعريف الجنسى فى الكتاب قال الحسن وقتادة: إن الآية عامة لكل عالم وكذا =

﴿للنَّاس﴾: حكاية لمخاطبتهم أى: والله لتبينن الكتاب بجملته لهم، **﴿وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ﴾** أى: الميثاق، **﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾**: هو مثل[١] فى ترك الاعتداد والاعتبار[٢]، **﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾** أخذوا بدله قليلاً من حطام الدنيـــا، **﴿فَبِئْـــسَ مَا يَشْـــتَرُونَ[٣]﴾**: يختارون، **﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ[٤] تَحْسَبَنَّهُمْ﴾**: تأكيد للأول، **﴿بِمَفَازَةٍ[٥]﴾**: منجاة، **﴿مِّنَ الْعَذَابِ﴾** أى: فائزين بالنجاة منه، ومن قرأ بالياء ففاعله الذين، ومفعوله الأول متصل بالتأكيد[٦] ولا

= قال محمد بن كعب، ويدل على ذلك قول أبى هريرة: لولا ما أخذه الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢فتح.

(١) ونقيضه: جعله نصب عينيه، وألقاه بين عينيه/١٢منه.

(٢) اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مختصا باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضًا دخول المسلمين فيه لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب/١٢كبير. قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئًا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية/١٢ معالم، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سُئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار) أخرجه الترمذى/١٢فتح[صحيح، أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وانظر صحيح الجامع (٦٢٨٤)].

(٣) معناه أنهم أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا، فكل من لم يبين الحق للناس وكتم شيئا منه لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لقلوبهم أو لجر منفعة أو لتقية وخوف، أو لبخل بالعلم دخل تحت هذا الوعيد/١٢تفسير كبير.

(٤) والفاء للإشعار بأن أفعالهم المذكورة علة لمنع الحسبان والنهى عنه قال الزجاج: العرب تعيد إذا طالت القصة فى حسبت وما أشبهها إعلاما بأن الذى جرى متصل بالأول وتوكيد تقول لا تظنن زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا أو كذا فلا تظنه صادقًا/١٢منه.

(٥) بمعنى فائزين ثانى مفعولى تحسبن/١٢.

(٦) يعنى: جعل التأكيد وهو لا تحسبن هو الفعل والفاعل إذ ليس المذكور سابقًا إلا الفعل والفاعل، فالضمير المنصوب المتصل بالتأكيد هو المفعول الأول، ولا حذف وهو أولى مما قاله الزمخشرى/١٢.

حذف، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرهم، وكتمانهم آيات الكتاب، وقد صح[1] أن مروان أرسل أحدًا إلى ابن عباس رضى الله عنهما وقال: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: مالكم وهذه إنما نزلت فى أهل الكتاب، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وأخبروه بغير الواقع، فظنوا أن قد استحمدوا[2] إليه بما أخبروه، وفرحوا بكتمانهم أو نزلت[3] فى قوم تخلفوا عن الغزو، ثم اعتذروا وحلفوا واستحمدوا وقيل فى المنافقين يفرحون بنفاقهم، ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فلا يعجز عن الانتقام .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ

(١) روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف/١٢منه[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٨)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٥/٦٤٨)].

(٢) أى: طلبوا الحمد متوسلين إليه بذلك/١٢، أى: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى/١٢[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٥٦٣)، ومسلم فى "صفات المنافقين" (٥/٦٤٨) ط الشعب].

بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى
وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، هذه فى ارتفاعها واتساعها مع ما فيها من الكواكب المختلفة، وهذه فى انخفاضها، وكثافتها، وما فيها من البحار، والجبال، والأشجار، والأنهار، والزروع، والثمار. **﴿وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾** تعاقبهما، وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا أو يقصر ذلك، ثم يعتدلان، ثم يطول الذى كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، **﴿لآيَات لأُولِي الأَلْبَاب﴾**: دلالات على الوجود، والوحدة والعلم، والقدرة لذوى العقول الخالصة، وقد ورد: "ويل لمن قرأها[١] و لم يتفكر فيها"، **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾**، وصف لأولى الألباب، **﴿قِيَاماً وَقُعُودًا[٢] وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾**: يصلون قائمين فإن لم يستطيعوا فقعودًا، فإن لم يستطيعوا فعلى جنب، أو المراد مداومة الذكر لأن الإنسان قلما يخلو عن إحدى هذه

---

(١) رواه ابن مردويه وابن حبان فى صحيحه/١٢.

(٢) قوله قيامًا مصدر بمعنى الفاعل، وقعودًا يحتمل أن يكون جمع قاعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطف على ما قبله/١٢ أى على قيامًا وقعودًا/١٢.

الحالات ﴿وَيَتفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وما أبدع فيهما استدلالا قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ[1] هَذَا﴾ أي: الخلق، ﴿بَاطِلاً﴾ أي: خلقًا عبثا بل خلقته لحكم عظيمة، ﴿سُبْحَانَكَ﴾: أنزه تنزيها لك من خلق العبث، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: علمنا أنك منزه عن خلق العبث، بل ليجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فقنا عذاب النار بحولك، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾ للخلود فيها فإنه الخزى كما قال تعالى (يوم لا يخزى الله النبى)(التحريم:٨) [2] إلخ، ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ[3]﴾، أهنته غاية الإهانة، وفيه إشعار بأن العذاب الروحانى أفظع، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ[4]﴾: ينصرونهم فى الخروج من النار، وضع الظاهر موضع المضمر ليعلم أن سبب الخلود ظلمهم، وهذا دليل على أن المراد بالدخول هاهنا الخلود لأن للداخلين من المؤمنين أنصارا، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ أى: محمدا عليه الصلاة والسلام أو القرآن، ﴿يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾، والنداء يعدى[5] بإلى، واللام لتضمنه معنى الانتهاء والاختصاص ﴿أَنْ آمِنُوا[6] بِرَبِّكُمْ﴾ أى: بأن آمنوا، ﴿فَآمَنَّا رَبَّنَا

---

(١) هذا إشارة إلى الخلق فى خلق السماوات على أن المراد به المخلوق أو إشارة إلى السماوات والأرض لأنهما فى معنى المخلوق، وباطلا صفة مصدر محذوف كما أشرنا إليه وقيل حال من هذا/١٢منه.

(٢) يعنى هذه الآية تدل على أن الإخزاء لا يكون للمؤمنين، ولا شك أن بعض المؤمنين بشؤم ذنوبهم يدخلون النار مدة أرادها الله فعلم أن المراد من الدخول هنا الخلود كما قال أنس وقتادة وسعيد بن المسيب/١٢منه.

(٣) العار والتخزية يبلغ من ابن آدم فى القيامة بين يدى الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار، روى الحافظ أبو يعلى الموصلى أنه قال عليه السلام/١٢منه.

(٤) قيل: النصرة هى الدفع بطريق الغلبة والشفاعة بطريق المسألة فنفى الناصر لا يدل على نفى الشفيع قال تعالى: (لا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) (البقرة:١٢٣)/١٢ قلت: وإن سلم فالمتبادر من نفى الناصر فى مثل هذا الموقع عدم الخلاص لهم بوجه من الوجوه، تأمل منصفًا/١٢.

(٥) يعنى أن فى الدعاء إلى الشيء والنداء له والهداية إليه اختصاصًا للفعل به وانتهاء إليه فسواء عبرت باللام التى للاختصاص أو بإلى التى لانتهاء الغاية حصل المقصود/١٢.

(٦) فإن مصدرية، وجاز أن يكون مفسرة بمعنى أي/١٢.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صغائرنا بقبول الطاعات ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾: معدودين فى زمرة الصالحين، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ أى: على ألسنتهم أو على تصديق رسلك من الثواب فعلى الحقيقة استعاذة من سوء العاقبة مخافة ألايكونوا من الموعودين، ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾: لا تفضحنا على رءوس الأشهاد، ﴿إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ[(١)] المِيعَادَ﴾ البعث بعد الموت، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: يعدى بنفسه وباللام ﴿أَنِّي﴾ أى: بأنى، ﴿لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾: بيان[(٢)] عامل، ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾: فى الدين أو كلكم من آدم أو لأن الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر قالت[(٣)] أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى (فاستجاب لهم) إلخ. ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: تفصيل للأعمال، ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا﴾: الكفار، ﴿وَقُتِلُوا﴾: فى الجهاد، ﴿لأُكَفِّرَنَّ﴾: لأمحون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾: تحت أشجارها، ﴿ثَوَاباً[(٤)] مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أى: لأثيبنهم ثوابًا من عند الله العظيم، ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: على الطاعات.

﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ﴾: من السعة والتبسط فى المكاسب والمزارع والمتاجر قال بعض المؤمنين: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن فى الجهد نزلت فالخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أى: ذلك التقلب متاع قليل لقلة مدته وفى جنب ما أعد الله للمؤمنين، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ﴾: ما مهدوا

---

(١) قد صح عن ابن عباس أن الميعاد البعث بعد الموت وعدم خلف الميعاد بإثابة المطيع، وعقاب العاصى/١٢.

(٢) يعنى أنَّ مِنْ بيانية فالمراد بالعامل الشخص العامل ليعم الذكر والأنثى/١٢.

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه، وقال: صحيح على شرط البخارى، ولم يخرجه/١٢منه[وهو كما قال وأخرجه أيضًا الترمذى والطبرانى وغيرهما، وانظر صحيح سنن الترمذى(٢٤٢٠)].

(٤) يعنى أن ثوابا مصدر مؤكد فإن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنكم لا أن تقدر عامله كما يظهر من كلامنا بادى الرأى/١٢.

لأنفسهم، أو الفراش جهنم، ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: هو ما يعد للنازل، ونصبه على الحال من جنات، والعامل الظرف، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار فى الدنيا، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، دخلت اللام على اسم إن للفصل بالظرف نزلت[1] لما توفى النجاشى، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى كما يصلى على الجنائز فقال المنافقون: تصلى على علج[2] مات بأرض الحبشة أو فى ابن سلام وأصحابه، أو فى جمع من الحبشة والروم أسلموا أو فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من كتبهم، ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾، حال من فاعل يؤمن، ﴿لاَ يَشْتَرُونَ﴾، حال آخر، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: لا يأخذونه بدلها كما يفعله المحرفون ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾، فالأجل الموعود سريع الوصول إليهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: على دينكم وعلى أمر الله أو على البلاء، ﴿وَصَابِرُوا﴾: على عدوكم، ﴿وَرَابِطُوا﴾ أنفسكم فى مكان العبادة أى داوموا أو أبدانكم[3] وخيولكم فى الثغور أو المراد انتظار الصلاة بعد[4] الصلاة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى جميع الأمور وفيما بينه وبينكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكى تفلحوا فى الدنيا، والآخرة.

والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه.

---

(١) رواه ابن مردويه وابن جرير عن قتادة وروى ابن أبى حاتم عن أنس بن مالك/١٢منه[حسن، أخرجه النسائى فى "التفسير"].

(٢) العلج الكافر الضخم/١٢.

(٣) هذا قول مقاتل والسدى وغيرهما/١٢منه.

(٤) هكذا قال ابن عباس وسهل بن حبيب ومحمد بن كعب وغيرهم، وفى مسلم والنسائى (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)/١٢وجيز[أخرجه مسلم فى "الطهارة].

سورة النساء

وهى مائة وست وسبعون آية وأربعة وعشرون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا
وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ
وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا
تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ
خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾
وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا
مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ
فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ
ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا
وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾
لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ
ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ
أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا

مَّعْـرُوفًـا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّـةً ضِعَٰفًـا خَافُواْ
عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ
ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾: (١) هي آدم. ﴿وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء من ضلع من أضلاعها. ﴿وَبَثَّ﴾:نشر. ﴿مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَّنِسَاءً﴾ أي: كثيرًا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ﴾ أي: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم به، كما تقولون: أسألك بالله، أدغمت التاء الثانية فى السين، وقرئ بطرحها ﴿وَالأَرْحَامَ(٢)﴾ أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً(٤)﴾ حافظا مطلعًا فاتقوه.

﴿وَءاتُوا الْيَتَامَى(٥) أَمْوَالَهُمْ﴾ نزلت فى رجل معه مال لابن أخ يتيم له فطلبه بعد البلوغ ومنعه ﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا حرام أموالهم بحلال

---

(١) فلا فخر لأحد على أحد، والقادر على خلق أشخاص مختلفين من شخص واحد قادر على إحيائهم بعد الموت /١٢ وجيز.

(٢) وفيه عظيم مبالغة فى اجتناب قطع الرحم/١٢.

(٣) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وجمع لا يحصى من السلف، وقيل: عطف على محل به فإن العرب كثيرًا مايقولون: أسألك بالله وبالرحم، وقراءة من قرءوا الأرحام بالجر مشعر بذلك/ ١٢ منه، وفى الوجيز لكن الوجه الأول أولى؛ لأنه ليس فى السؤال بالأرحام ترغيب فى تقوى الله، ولا فائدة فى ذكر الأرحام أكثر من الإخبار بأن الأرحام يتساءل بها/ ١٢.

(٤) لما أمرهم بالتقوى عن مخالفة أمر الله تعالى الذي هو رقيب على جميع أحوالهم نبأهم عن أقبح شيء منهم فقال: (وآتوا اليتامى) الآية/ ١٢ وجيز.

(٥) أي: آتوا اليتامى إذا بلغوا، وفيه إشارة وحث على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يعلم الإزالة اسم اليتيم عنهم/ ١٢ وجيز.

أموالكم، نقل أنهم كانوا يأخذون الجيد من مال اليتامى ويجعلون مكانه الردى فنزلت، وعلى هذا أيضًا الجيد هو الخبيث باعتبار حرمته فلا يرد عليه شيء ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾: منضمة. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي[1] : لا تنفقوهما معًا ﴿إِنَّهُ﴾: الضمير للأكل. ﴿كَانَ حُوباً﴾: إثما ﴿كَبِيراً ﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا﴾: تعدلوا. ﴿فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أى: إن خفتم يا أولياء اليتامى ألاّ تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من[2] الغرائب، وإن خفتم ألاّ تعدلوا فى اليتامى فخافوا أيضًا من عدم العدل بين النساء فانكحوا مقدارًا يمكنكم الوفاء بحقوقه أي: كما تخافون هذا فخافوا ذاك أيضًا، أو كما خفتم من ولاية اليتامى فخافوا من الزنا فانكحوا ما طاب لكم ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ[3] ﴾ أى: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة حال مما طاب ﴿فَإِنْ

---

(١) قوله: "إلى أموالكم" الأولى ألاّ يكون قيدا احترازيا بل جيء لتقبيح فعلهم نهيا عما صدر عنهم كما في: "أضعافًا مضاعفة".

(٢) المعنى الأول هو الثابت في صحيح البخاري عن عائشة -رضى الله عنها- في سبب نزولها وهو الأوفق بوجوه، والوجه الثانى منقول عن ابن عباس، والثالث عن مجاهد وغيره/ ١٢.[حديث عائشة: أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ (٤٥٧٤)]

(٣) وضع البخاري بابًا فى صحيحه فقال: "باب لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: "مثنى وثلاث ورباع" . وقال على بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع، قال ابن حجر فى شرحه فتح الباري: وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم، وأيضًا قال قبل ذلك بعدة أبواب فى شرح حديث "كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة" حديث قد اتفق العلماء على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن. انتهى، وعن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة أسلم وله عشر نسوة =

﴿خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾: بين هذه الأعداد أيضًا. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أى: فاختاروها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين واحدة والسراري من غير تعيين عدد فإنه لاقسم بينهن[1] وعبر عن النساء بما فى الموضعين لنقصان عقلهن أو ذهابًا إلى الصّفة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التقليل، أو اختيار الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾: أقرب ألاّ تميلوا ولا تجوروا.

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾: الخطاب للأزواج أو الأولياء؛ لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياهم ﴿نِحْلَةً﴾ أي : فريضة أو عطية وهبة عن طيب نفس، مصدر أي: إيتاء نحلة ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ الضمير للصداق أو للإيتاء، ونفسًا تمييز، وعدى الطيب بعن لتضمين معنى التجافي أي: إن وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ هَنَأَ الطعام ومَرَأَ إذا ساغ من غير غص، صفتان أقيمتا مقام المصدر أو صفة مصدر أو حال.

﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ هم النساء والصبيان كما قال[2] ابن عباس: لا تعمد إلى ما جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو أولادك ثم تنظر إلى مافى أيديهم لكن أمسكه وأصلحه وكن أنت منفقا عليهم[3] ، أو اليتامى فيكون منعا للأولياء من إعطاء

= فأسلمن معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخير منهن أربعًا. رواه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم وأعله البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم، وذكر هذا الحديث ابن حجر فى بلوغ المرام مع هذا البيان، وقال محي السنة الإمام البغوي في معالم التنزيل: وهذا إجماع أن أحدا من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة. انتهى.

(١) وترك القسم من الكبائر فقد ورد فى الحديث اللعن على تاركه/١٢ وجيز.

(٢) وكثير من السلف/ ١٢ وجيز.

(٣) وعلى هذا السفهاء باعتبار بعض منهم وهو النساء والصغار وغير الراشدين من الأولاد/ ١٢ وجيز.

الذين لا رشد لهم أموالهم، وإضافة المال إلى الأولياء لأنه في تصرفهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: تقومون وتنتعشون بها، فعلى الثاني تأويله التي من جنس ما جعله الله لكم قيامًا، وسمى ما به القيام قيامًا مبالغة ﴿وَّارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ اجعلوا لهم فيها رزقا وكسوة بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ قولا لينا يطيب به أنفسهم.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾: اختبروهم قبل البلوغ فى عقلهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كناية عن البلوغ، لأنه عند البلوغ يصلح للنكاح ﴿فَإِنْ آنَسْتُم﴾: أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْداً﴾ صلاحًا في الدين والمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فدفع المال بعد البلوغ بشرط الرشد ﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾ حال، أو مفعول له ﴿أَن يَكْبَرُوا﴾ أي: مسرفين مبادرين كبرهم مخافة نزعها عن أيديكم عند كبرهم ﴿وَمَن كَانَ غَنِياًّ﴾ من الأوصياء ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل شيء منها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ[1]﴾ أجرة مثله، أو القرض فيجب الأداء، أو لا يأكل إلا أن يضطر كأكل الميتة ويقضي، أو لا يأكل إلا بقدر الحاجة ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ بعد البلوغ والرشد ﴿فَأَشْهِدُوا[2] عَلَيْهِمْ﴾ بقبضهم، وهذا أمر إرشاد لقطع الخصومة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾: محاسبًا فاعدلوا في أموالهم.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ[3] مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ أي: المتوارثون بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل مما ترك

---

(١) وظاهر القرآن أن الوصي الغني لا يجوز له أكل شيء من ماله بوجه من الوجوه، وأن الوصي الفقير جاز أكله قدر أجرة الحفظ ولا تبعة عليه في الدنيا ولا في الدين/ ١٢ وجيز.

(٢) وظاهر القرآن وجوب الإشهاد لكن الأكثرون على أنه أمر إرشاد/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر حال مال اليتامى كان سائلا يسأل من أين لليتامى مال؟ فقال: للرجال.

﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ مصدر مؤكد، أو بتقدير: أعنى، نزلت لما كانوا يجعلـــون المـــال للرجال الكبار دون النساء والأطفال[1] .

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث **﴿أُوْلُوا الْقُرْبَى﴾**: ممن لا يرث **﴿وَالْيَتَـــامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾**: مما ترك، وهو أمر ندب للبلّغ، أو أمر وجـــوب علـــى الصغير والكبير منسوخ[2] أو غير منسوخ، أو المراد أن الميت يوصي لهم، أو واجب مما طابت به النفس[3] **﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾**: هو أن يدعو لهم ويلطف فى العبارة معهم، وإن كانت الورثة صغارًا اعتذروا[4] إليهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُـــوا اللَّـــهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ أمر لمن حضر الميت بأن يخشوا على أولاد المريض خشـــيتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضرّ هم بصرف المال عنهم ويســـددوه للصـــواب، أو للأولياء بأن يخشوا الله ويتقوه فى أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريـــهم بعد وفاتهم، وأن يقولوا لليتامى بالشفقة وحسن الأدب ولو بما في حيزه صلة للذين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾: ظالمين أو على وجه الظلم **﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ[5] نَاراً﴾**: ملء بطونهم ما يجر إلى النار، وقد نقل أن في القيامة يخرج لهب

---

(١) وقوم من يونان لا يعطون إلا للبنات فرد على الفريقين/ ١٢ وجيز.

(٢) هذا صح عن ابن عباس/ ١٢ منه.

(٣) كثير من السلف على أنه يجب عليهم أن يرزقوهم إذا حضروا بشرط أن يطيـــب بـــه نفوس أهل الميراث/ ١٢ منه.

(٤) كأن يقول الولي: إني لا أملك هذا المال إنما هو للصغار ولـــو كـــان لي منـــه شـــيء لأعطيتكم، وإن يكبروا فسيوفون حقكم. هذا هو القول بالمعروف، هكذا نقل عن ابـــن عباس/ ١٢ منه.

(٥) حقيقة فقال -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء: "رأيت قوما لهم مشـــافر كمشـــافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج مـــن =

النار من فيه ومسامعه وأنفه وعينه يعرفه من رآه ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وسيدخلون نارًا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ
ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ
مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ
فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ
دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ
يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن
كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ
دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا
ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ

= أسافلهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا"./ ١٢ وجيز.[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٨٧/٤) وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤٨٨٤) من طريق: أبو هاردن العبدي عن أبي سعيد الخدري.]

خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿**يُوصِيكُمُ**[1] **اللَّهُ**﴾: يعهد إليكم ﴿**فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ فى شأن ميراثهم ﴿**لِلذَّكَرِ**﴾ منهم ﴿**مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**[2] **فَإِن كُنَّ**﴾ أى: المولودات ﴿**نِسَاءً**﴾ خلصًا ليس معهن ذكر ﴿**فَوْقَ اثْنَتَيْنِ**﴾ صفة نساء ﴿**فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ**﴾ المتوفى منكم ﴿**وَإِن كَانَتْ**﴾ المولودة ﴿**وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**[3]﴾ وللبنتين حكم ما فوقهما، لأنهما أمس[4] رحمًا من الأختين، وقد فرض لهما الثلثين بقوله: فلهما الثلثان مما ترك، وقيل: لفظ الفوق صلة زائدة وما فوق الواحدة جماعة ﴿**وَلأَبَوَيْهِ**[5]﴾ أى: الميت ﴿**لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا**﴾ بدل ﴿**السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ**﴾: للميت ﴿**وَلَدٌ**﴾ ذكر أو أنثى، يعني: بطريق الفرضية ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ**﴾ فحسب ﴿**فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾ يعني: وللأب الباقي وهو الثلثان ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ**﴾: للميت ﴿**إِخْوَةٌ**[6]﴾ وحكم الأخوين كحكم الأخوة[7] ﴿**فَلأُمِّهِ**

---

(١) لما أبهم في قوله: ﴿ نصيب مما ترك الوالدان﴾ فى المقدار وأبهم الأقربين بين الكل فقال: ﴿يوصيكم الله﴾/ ١٢ وجيز.

(٢) أنث الضمير مع أنه راجع إلى الأولاد، لتأويل المولودات أو باعتبار الخبر/١٢.

(٣) وفيه دليل على أن الواحد له جميع المال، لأن للذكر مثل حظ الأنثيين وللواحدة النصف/ ١٢ وجيز.

(٤) أقرب ١٢ .

(٥) ولما ذكر الفروع ومقدار ما يرثون أخذ فى ذكر الأصول ومقدار مايرثون فقال: "ولأبوية" الآية/ ١٢ وجيز.

(٦) أعم من أن يكونوا من أب وأم أو من أحدهما، وأعم من أن يكونوا ذكورا أو إناثا/ ١٢ وجيز.

(٧) خلافا لابن عباس فإن الأخوين عنده كواحد خلافًا للجمهور/ ١٢ وجيز.

﴿السُّدُسُ﴾ وإن كانوا لا يرثون مع الأب[1] ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ[2] ﴾ أي: هذه الأنصباء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين، وقدم الوصية على الدين وإن كان الدين مقدمًا حكمًا، لأنها تشبه الميراث شاقة على الورثة ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾: لا تعرفون من أنفع لكم من أصولكم وفروعكم، فاتبعوا ما قررت لكم من الميراث ولا تكونوا على ما كنتم عليه فى الجاهلية من حرمان النساء والأطفال، وعلى ما كان عليه الأمر فى ابتداء الإسلام من كون المال للولد، وللأبوين الوصية ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر يوصيكم الله، لأنه فى معنى: يفرض عليكم أو مصدر مؤكد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بالمصالح ﴿حَكِيماً﴾ فيما قضى.

﴿وَلَكُمْ[3] نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ وحكم أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وسواء فى الربع والثمن الواحدة والأكثر ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: منه ﴿[4] كَلاَلَةً﴾

---

(١) لا يرثون مع الأب خلافًا لابن عباس فعنده أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عن الأم، والجمهور على أن الباقي وهو خمسة أسداس للأب/ ١٢ وجيز.

(٢) وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء، إذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من التركة والموصى فيه، ولا يسقط من الدين بهلاك شئ من التركة وأو هنا كأو فى جالس الحسن أو ابن سيرين/ ١٢ وجيز للمصنف.

(٣) لما ذكر ميراث الفروع من الأصول وميراث الأصول من الفروع أخذ في ذكر ميراث المتصلين بالسبب وهو الزوجية فقال: "ولكم نصف" آية.

(٤) كلالة مصدر من تكلله النسب أي: أحاط به، وبه سمي الإكليل لإحاطته بالرأس، وهو الميت الذى لا ولد له ولا والد،، قال ابن كثير: وبه يقول أهل المدينة والكوفة والبصرة، =

لا ولد له فيورث: صفة رجل من ورث، وكلالة: خبر كان، والرجل هو الميت ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ عطف على رجل ﴿وَلَهُ﴾ أي: للرجل، ومنه يعلم حكم المرأة فاكتفي به ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ من الأم بالإجماع وهو مذكور في بعض القراءة ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا﴾ الضمير لمن يرث، وجمعه محمول على المعنى ﴿أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ ذكرا كانوا أو أنثى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ[1] ﴾ لورثته بحرمان بعضهم أو زيادة أو تنقيص مما قدر من الفريضة، ولا يكون غرضه من الوصية الإضرار بل القربة، حال من فاعل يوصى، وفي قراءة البناء للمفعول ما يدل عليه وهو الفاعل المتروك ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر أو مفعول به لغير مضار ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالمضار وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي[2] : ما تقدمت من الأحكام شرائعه التي كالحدود التي لا يجوز مجاوزتها ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾: من تحت أشجارها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ جمعه باعتبار المعنى ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: الخلود فيها ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

= وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد حكى الإجماع غير واحد وورد فيه حديث مرفوع انتهى/ ١٢ فتح.

(١) يعني: غير مضار حال مما يدل يوصى عليه/ ١٢.

(٢) وقد ورد في الترغيب في تعلم علم الفرائض وتعليمها أحاديث وآثار وهو ركن من أركان الشريعة، وذكروا من تخاريج هذا العلم ما لم يكن له مستند إلا محض الرأي، وليس مجرد الرأي مستحقًا للتدوين فلكل عالم رأيه واجتهاده مع عدم الدليل، ولا حجة في اجتهاد بعض أهل العلم على البعض الآخر، ويكفيك منه ما ثبت في الكتاب والسنة وما عرض لك مما لم يكن فيهما، فاجتهد فيه برأيك عملاً بحديث معاذ -رضي الله عنه- المشهور/ ١٢ فتح.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ يتجاوزه ﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لأنه لم[1] يرض بما قسم الله وحكم به بل ضاد فى حكمه، وخالدين: حال وكذا خالدًا لا صفة جنات ونارًا؛ لأنه لا بد أن يقول حينئذ: خالدين هم وخالدا هو فيها؛ لأنهما جريا على غير من هما له .

﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) وفي الحديث الذي ذكره الإمام أحمد وأبو داود في سننه: "أن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى خان فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخله الجنة، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم﴿تلك حدود الله﴾ إلى قوله ﴿عذاب مهين﴾ فدل الحديث على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة فلا إشكال، ولما ذكر العصيان وتعدي الحدود وذكر عقبه الفرد الأفحش مع أن الإرث لا يكون إلا فيما هو من نسب النكاح لا من السفاح/١٢.[أخرجه ابن ماجه (٢٥٠٤) وقال الشيخ أحمد شاكر في طتعليقه على المسند" (٧٧٢٨): إسناده صحيح. وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه" .]

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟
ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ
بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ
وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا
مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ
مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ﴾: يفعلن ﴿الْفَاحِشَةَ[١]﴾ الزنا ﴿مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ من رجال المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أجلسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكة الموت، أو يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن كان ذلك عقوبتهن في بدء الإسلام فنسخ بالحد ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ السبيل الذى جعله الله هو الناسخ لذلك.

﴿وَاللَّذَانِ﴾ أي: الرجل والمرأة ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾ أى: الفاحشة ﴿مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ بالشتم والتعيير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخ، وعن بعضهم: أنها نزلت فى الفتيان قبل أن يتزوجوا أو في الرجلين إذا عملا عمل قوم لوط[٢] والظاهر أن الإيذاء

(١) هي الزنا بإطباق المفسرين سوى مجاهد فإنها عنده هي المساحقة وفي اللذان يأتيانها عنده اللواطة/ ١٢.

(٢) وظاهر القرآن يناسب قول مجاهد أن اللاتى فى السحاقات واللذان فى اللواط/ ١٢ وجيز.

مشترك بين الرجل والمرأة والحبس خاصة المرأة، فإذا تابا أزيل الإيذاء عنهما وبقي الحبس عليها، وقيل: هذه الآية سابقة على الأولى نزولاً، وكانت عقوبة الزناة الأذى ثم الحبس ثم الجلد ﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ اتركوا أذاهما ولا تعنفوهما بعدُ بكلامٍ قبيحٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ليس قبول التوبة واجبا على الله بمقتضى وعده لأحد إلا ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ ملتبسين ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أجمع الصحابة على أن من عصى الله عمدًا أو خطأ فهو بجهالة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ زمان قريب قبل معاينة الموت، أو قبل أن يحيط السوء[1] بحسناته فيحبطها، أو في صحته قبل مرض موته ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ تاب الله عليه قبل توبته وغفر ذنبه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بنياتهم ﴿حَكِيماً﴾ بأفعاله.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أي: منفية قبولها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي: لا توبة لهؤلاء الفريقين؛ فإنه كما لا تقبل توبة الآخرة لا تقبل توبة الدنيا حين الاحتضار ﴿أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا[2] لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ الاعتداد: التهيئة.

---

(١) قال الله تعالى: "ولم يصروا على ما فعلوا" ذكر في الإحياء: معناه عن قرب العهد بالخطيئة بأن يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يدفعها قبل أن يتراكم الذنب على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "أتبع السيئة الحسنة تمحها".

(٢) إذا كان المراد من الذين يعملون السيئات المنافقين أو الكفار مطلقًا فلا إشكال، أما إذا أريد الفسقة أعم من أن يكونوا مؤمنين أو كافرين، ففي قوله: "أعتدنا لهم عذابا أليما" إشكال على مذهب أهل السنة إلا أن يقال: لما كان معدًا للأكثرين جعل حكمهم حكم الكل، أو يقال: المراد أعتدنا لهم إن لم نعف عنهم والعفو لا يكون إلا من بعض فساق المؤمنين/ ١٢ فتأمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا[1] النِّسَاءَ﴾: أي: ذواتهن ﴿كَرْهاً﴾ في الجاهلية إذا مات زوج امرأة ورث امرأته من يرث ماله إذا ألقى عليها ثوبا فإن شاء تزوجها بغير صداق، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها، وإن شاء منعها من الأزواج لتموت فيرث، أو لتعطى ما ورثت من الميت، وإن انفلتت قبل أن يلقي عليها ثوبًا نجت فنهى الله عنه، وكرها حال أي: كارهات ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ كان للرجل امرأة كاره هو صحبتها فيقهرها ويضرها لتحل مهرها أو حقا من حقوقها فالخطاب للأزواج، وأصل العضل التضييق، وهو عطف على ﴿أن ترثوا﴾ ولا لتأكيد النفي ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ[2] مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: الزنا أو النشوز والعصيان أو أعم أي: لا تضجروهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة فإنه جاز ضجرها لتخالعه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أجملوا بالقول والفعل معهن ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا عليهن ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ مثل أن يرزق منها ولدٌ ويكون في الولد خير كثير.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ طلاق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ الضمير للزوج، لأن المراد منها الجنس[3] ﴿قِنطَاراً[4]﴾ مالا كثيرًا[5] أي:

---

(١) يعنى ترثوا عيان النساء وذواتهن/ ١٢ منه.

(٢) تفسير الفاحشة بالزنا قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن والشعبى وابن سيرين وابن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم، قالوا: إذا زنت فله استرجاع الصداق وضجرها لتركه، والتفسير الثانى للضحاك وعكرمة أيضًا، والثالث اختيار ابن جرير/ ١٢ ج.

(٣) فجمعه باعتبار معناه/ ١٢.

(٤) تفسير القنطار مع اختلاف فيه قد مر فى سورة البقرة/ ١٢ ج.

(٥) واستدل بها على جواز المغالاة في الصداق/١٢ وجيز.

وقد جعلتم صداقهن قنطارا ﴿فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ من القنطار ﴿شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ أي أتأخذونه باهتين آثمين، أو مفعول له نحو: قعدت عن الحرب جبنًا، فإنهم إذا أرادوا طلاق امرأة نسبوها إلى فاحشة لتفتدى صداقها، أو حال من المفعول أي: ظلما وإثما ظاهرًا، وفيه ما لا يخفى[1] من المبالغة.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: شيئًا من الصداق ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ والحال أنه وصل إليه، وهو كناية عن الجماع ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ هو العقد أو ما أخذ الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخذتموهن[2] بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله".

﴿وَلاَ تَنكِحُوا[3] مَا نَكَحَ ءابَاؤُكُم﴾ كان نكاح زوجات الآباء معمولاً به فى الجاهلية ﴿مِّنَ النِّسَاءِ﴾ بيان ما، وعبر بما لأنه أراد به الصفة ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الاستثناء من لازم النهي أي: تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف، أو منقطع أى: لكن ما قد سلف فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أى: نكاحهن ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ أقبح المعاصى ﴿وَمَقْتاً﴾ وبغضًا شديدًا من الله ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً[4]﴾ وبئس ذلك طريقًا.

---

(١) على الوجه الأخير الذى يكون حالا من المفعول، لأنه جعله نفس الظلم والإثم/ ١٢.

(٢) في صحيح مسلم أنه قال عليه السلام في خطبته في حجة الوداع: "واستوصوا بالنساء خيرًا فإنكم أخذتموهن" إلخ وكلمة الله هي: التشهد في خطبة النكاح.[أخرجه مسلم في "الحج"/ باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٣/٣٣٣) ط الشعب.]

(٣) قال جماعة: المراد به العقد الصحيح لا الزنا، فالمراد مما سلف تعاطي الزنا فإنه جائز لكم ازدواجهن في الإسلام/ ١٢.

(٤) وعن البراء بن عازب قال: "لقيت خالى ومعه راية فقلت: أين تريد؟ فقال: أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن أضرب عنقه" =

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ
وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم
بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ
ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ
مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ
فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم
مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ
غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ
مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

= رواه ابن ماجه وغيره، ونقل ابن خيثمة عن يحيى بن معين أنه حديث صحيح، وهذا محمول على أنه مرتد لاستحلاله ذلك/ ١٢ وجيز. [وأبو داود (٤٤٥٧) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٧٤٤).]

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ أى: حرم نكاحهن ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾ الربيبة بنت زوجته ﴿اللاَّتِي[1] فِي حُجُورِكُم﴾ فى تربيتكم وبيتكم، وهذا القيد خرج مخرج الغالب لا أنه تقييد الحرمة، وقد صح عن على كرم الله وجهه أنه جعله شرطًا، وإليه ذهب داود الظاهري وابن حزم، ونقل عن المالك ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: دخلتم معهن في ستر، وهو كناية عن الجماع، ومن ابتدائية متعلقة بالربائب، وعن عليّ وزيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير ومجاهد وابن عباس رضى الله عنهم أنه قيد لأمهات النساء والربائب فيكون من لاتصال الشيء بالشيء حينئذ لا للابتداء، أي: أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن ﴿فَإِن[2] لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاحهن، وهذا تصريح بالمقصود ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ لا من تبنيتموه، وأما امرأة ابنه من الرضاعة فيعلم حكمها من حديث "يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب"(*) ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ في النكاح، وكذا جماعهما في ملك اليمين

---

(١) روى ابن أبي حاتم عن مالك بن أوس أنه قال: كانت عندى امرأة فماتت فلقيت علي بن أبي طالب فأخبرته فقال: أليس لها ابنة، فقلت: نعم وهي بالطائف، قال: كانت فى حجركم، قلت: لا هي بالطائف، قال: فانكحها قلت: فأين قوله: "وربائبكم اللاتي في حجوركم" آية قال: إنها لم تكن فى حجوركم، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: إسناده قوي ثابت على شرط مسلم، وهو قول غريب.

(٢) في نكاحهن وهذا التصريح بالمقصود مشعر بأن قوله: ﴿اللاتى فى حجوركم﴾ ليس شرطًا حيث لم يقل: فإن لم يكن فى حجوركم ولم تكونوا دخلتم بهن/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "الشهادات"/ باب: الشهادة على الأنساب (٢٦٤٥) ومسلم في "الرضاعة"/ باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (٦٢٦/٣) ط الشعب.]

على الصحيح، وهو في محل الرفع عطف على المحرمات ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لكن ما مضى مغفور ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ذوات الأزواج ﴿إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بالسبي فإنها تحل بعد الاستبراء مع أن لهن أزواجًا من الكفار، وعن بعض من السلف أن بيع الأمة طلاق لها من زوجها فتحل لسيدها لعموم الآية ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابًا ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ عطف على حرمت أي: ما سوى المحرمات المذكورات، وما فى معنى المذكورات الذى علم بالسنة[1] ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مفعول له أى: أحل ما وراء ذلك لأن تطلبوا ما وراءه بصرف الأموال في المهر والثمن[2] حال كونكم محصنين ناكحين غير مسافحين زانين، ومفعول تبتغوا متروك كأنه قيل: إن تصرفوا أموالكم، أو بدل اشتمال من وراء، والمفعول محذوف ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ موصولة أى: من تمتعتم به من المنكوحات، أو موصوفة أى: ما استمتعتم به منهن من جماع ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿فَرِيضَةً﴾ حال أو مصدر مؤكد أو صفة لمصدر أي: إيتاء مفروضًا، قال بعض السلف[3] : الآية في نكاح المتعة، وقد صح[4] عن علي أن

---

(١) كالجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: للسراري/ ١٢.

(٣) حتى أن ابن مسعود وأُبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرءون "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة"/ ١٢.

(٤) في الصحيحين/ ١٢ منه.[أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة خيبر (٤٢١٦) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "النكاح" / باب: نكاح المتعة (٥٦٢/٣) ط الشعب.]

نكاح[1] المتعة نسخت يوم خيبر ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ﴾ من إبراء الصداق أو بعضه، ومن حمل ما قبله على المتعة فعنده معناه إذا عقدتم إلى أجل بمال وتم الأجل إن شاءت[2] زادت في الأجل وزاد في الأجر وإلا فارقها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بالمصالح ﴿حَكِيماً﴾ في أحكامه.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ[3] طَوْلاً﴾ فضلاً وزيادة فى المال يبلغ بها نكاح المحصنات، فهو مفعول يستطع[4] ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: الحرائر متعلق بطولا على حذف حرف الجر أي: إلى أن ينكح ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ أي: فلينكح أمة غيره ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فلا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وقال بعضهم[5] : طول المحصنات هو أن يملك فراشها على أن النكاح الجماع، وحمل قوله: "من فتياتكم المؤمنات" على الإرشاد بالأفضل فعنده جاز نكاح الأمة الكتابية إذا لم يكن تحته حرة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان والله أعلم بالسرائر ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أنتم وأرقائكم فى النسب والدين متناسبون فلا تستنكفوا عنها عند الحاجة ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: أربابهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بغير نقص ومطل استهانة بهن ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفائف حال من مفعول

---

(١) ذهب عامة أهل العلم إلى أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة، وكان ابن عباس يذهب إلى أن الآية محكمة وترخص فى نكاح المتعة، وقيل: إن ابن عباس رجع عن ذلك كذا فى المعلم/ ١٢.

(٢) يعنى لا جناح عليكم فيم تراضيتم به من الفراق أو الوصال ومزيد الأجر من بعد الفريضة المال المعين فى الحق/ ١٢.

(٣) وقيل: من طال على الأمر إذا غلبه وتمكن منه، فتقديره: على أن ينكح/ ١٢ وجيز.

(٤) أي: لم يستطع زيادة فى الحال/ ١٢ منه.

(٥) أبو حنيفة وأصحابه/ ١٢ منه.

فانكحوا ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ[1]﴾ مجاهرات بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أحباب يزنون هن فى السر. كانت العرب تحرم الأولى لا الثانية ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ بالتزوج، ومن قرأ بفتح الهمزة والصاد فمعناه: حفظن فروجهن أو أسلمن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبكار ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد، والجمهور على أن حد الأمة مزوجة أو بكرا خمسون جلدة؛ ففائدة الشرط نفي ما يتوهم من تفاوت حالهن قبل التزوج وبعده كما في الحرائر[2] وعند بعض السلف أنه لا حد على غير المحصنة منها بل تضرب تأديبًا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأمة ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ[3] مِنكُمْ﴾ أي: خاف الوقوع في الزنا، يعني: المشقة بغلبة الشهوة فلنكاح الأمة شرطان: عدم الطول وخوف العنت ﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الأمة مع العفاف ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير[4] الولد عبدًا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأن رخص.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ

---

(١) السفاح مذموم عند الكل لكن الاختصاص بواحد فى السر لايذمه العرب فى الجاهلية/ ١٢ منه.

(٢) فإن حال الحرائر بعد التزوج ليس كحالها قبل التزوج فربما يوهم أن الاماء أيضًا كذلك/ ١٢ منه.

(٣) أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة/ ١٢ وجيز.

(٤) وفى سنن ابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرًا فليتزوج الحرائر" / ١٢ وجيز.[وأخرجه ابن عدي (٢/١٦٤) وعنه ابن عساكر (١/٢٨٤/٤) كما قال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٤١٧).]

أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ
ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ
مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا
تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾ ما خفي من الشرائع عليكم. واللام زائدة، وأن يبين مفعول يريد ﴿**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ شرائعهم[1] ومناهجهم المحمودة كملة إبراهيم ﴿**وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾ من المآثم والمحارم ويعفو عنكم ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾ بمصالح الحكم ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيما قرر وقدر.

﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾ إن صدر عنكم تقصير ﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ**[2]﴾ الزناة أو اليهود والنصارى أو المجوس الذين يحلون نكاح

(١) وعند صاحب البحران "سنن الذين" متعلق ببين ويهدي على سبيل التنازع/ ١٢ وجيز.

(٢) في التكاليف الشرعية قمع النفس وردها عن مشتهياتها واتباع شهواتها سبب لكل مذمة وكل كافر وفاسق يتبع لها/ ١٢ وجيز.

الأخت وبناتها أو أهل الباطل ﴿أَن تَمِيلُوا﴾ عن الحق ﴿مَيْلاً عَظِيماً﴾ على اتباع الشهوات.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ في شرائعه، ولهذا رخص لكم نكاح الأمة ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ فيناسبه التخفيف لضعفه فى نفسه وضعف همته، أو فى الصبر عن النساء فإنه يذهب عقله عندهن.

﴿يَا أَيُّهَا[1] الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام كالسرقة والقمار ونحوها ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ لكن كون تجارة صادرة عن تراض بين المتبايعين غير منهى عنه؛ فالاستثناء منقطع، ومن قرأ تجارة بالنصب تقديره: يكون التجارة تجارة، ومن قرأ بالرفع فيكون كان تامة ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين أو بإلقائها إلى التهلكة[2] أو أراد قتل المسلم نفسه

---

(١) ولما ذكر أجور المحصنات وأثمان السرارى ومنع الزنا سرًّا وعلانية وأن الإنسان ضعيف لا طاقة له على المشاق أراد أن يوطن انفسهم على صرف بعض المال، ويحذرهم عن بعضه فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) روى ابن مردويه عن ابن عباس: "أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جنب، فلما قدموا المدينة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن ذلك فقال: يا رسول الله خفت أن يقتلني البرد، وقد قال الله تعالى: " ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما" قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم" نقل الإمام أحمد هذا الحديث بزيادة "تيممت وصليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم" هذا ما فى المنهية وفى الفتح، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني، ومما يدل على ذلك احتجاج عمرو بن العاص بها حين لم يغتسل بالماء البارد حين أجنب في غزوة ذات السلاسل فقرر النبى صلى الله عليه وسلم احتجاجه، وهو في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما/ ١٢.[صححه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" .]

كما يفعله بعض الجهلة، أو بارتكاب محارم الله **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾** فما نهاكم عن مضاركم إلا من رحمته، أو حيث لم يكلفكم بقتل أنفسكم للتوبة كما كلف بني إسرائيل.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ ما سبق من المحرمات أو القتل **﴿عُدْوَاناً﴾**[١] **وَظُلْماً﴾** تجاوزا عن الحد ووضعا للشيء في غير موضعه **﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾**[٢] **نَاراً﴾** ندخله إياها **﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾** لا عسر ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا﴾[٣] **كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾** كل ذنب فيه وعيد[٤] شديد **﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾** نمح عنكم سيئاتكم **﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾** وهو الجنة، فمحو الصغائر لمن اجتنب الكبائر وعد مقطوع به ومحوها لمن تعاطى الكبائر ليس كذلك بل فى مشيته وإرادته تعالى.

---

(١) من يفعله جهلاً أو نسيانًا أو سفهاً فلا يدخل تحت الوعيد/ ١٢ منه.

(٢) وهذا النوع من الدخول فى النار للكفار كما سنبينه سورة والليل/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر الوعيد لمرتكب بعض الكبائر ذكر الوعد لمجتنب جميعها فقال: "إن تجتنبوا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) هذا هو أشهر الأقوال في تعريف الكبائر، وروى النسائى والحاكم فى "مستدركه" وابن حبان في "صحيحه" أنه قال عليه الصلاة والسلام: "ما من عبد صلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام" وفسر عليه السلام هذه السبع كما روى فى "الصحيحين" بالشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات/ ١٢ منه وفي الفتح، والأحاديث في تعداد الكبائر وتعيينها كثيرة جدًا فمن رام الوقوف على ما ورد فى ذلك فعليه بكتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" فإنه قد جمع فأوعى/ ١٢.

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ نهى الله تعالى عن قولهم: ليت لي مال فلان وأهله، أو نزلت فى أم سلمة حيث قالت: يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، أو حين قالت امرأة: للرجل مثل حظ الأنثيين فى الميراث وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في الثواب هكذا، أو حين قال الرجال: نريد أن يكون لنا من الأجر ضعف النساء، وقالت النساء: نريد أجر الشهداء ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، أو حين قالت النساء عند نزول "للذكر مثل حظ الأنثيين": نحن أحوج فإنا ضعفاء لا نقدر على طلب المعاش ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من العمل ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالتمني، أو لهم نصيب من الجهاد ولهن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج، والكل بعشر أمثالها ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أى: لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم فإنه أمر محتوم ولا يجدى تمنيه نفعا ولكن سلونى من فضلى أعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ فهو يعلم من يستحق شيئًا فيعطيه.

﴿وَلِكُلٍّ[(١)]﴾ منكم ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ ورثة أو عصبة، والعرب تسمي ابن العم مولى ﴿مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ مما متعلق بموالي لتضمنه معنى الفعل أي: ورثة مما ترك، يعني: يرث من تركتهم، أو معناه: لكل شيء مما تركوا من المال جعلنا موالي وراثا يحرزونه ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ[(٢)] أَيْمَانُكُمْ﴾ عهودكم يأخذ بعضهم بيد بعض على

---

(١) ولما ذكر ما حصل للرجال من اكتسابهم وللنساء من اكتسابهن أخذ فيما حصل لهم من غير اكتسابهم وتعبهم فقال: "ولكل جعلنا" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، وكان ذلك ثابتًا فى ابتداء الإسلام وذلك قوله: "فآتوهم نصيبهم" ثم نسخ، أو كان ميراث المهاجري للأنصاري دون ذوى رحمه بالأخوة السابقة، ثم نسخ مطلقًا فلا إرث بينهم وقوله: "فآتوهم نصيبهم" يعنى: من النصر والنصيحة والمحبة/ ١٢ منه.

الوفاء، وقرئ عاقدت، أي: عاقدتهم أيديكم ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من الإرث وهو السدس كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ وأمروا بأن يوفوا لمن عاقدوا ولا ينشئوا بعد نسخه بقوله: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" معاهدة فى الإرث لكن يجب الوفاء بالمعاهدة الماضية[1] أو نسخت مطلقًا فلا يجوز إنشاء المعاهدة ولا الوفاء بالعهد السابق للميراث، وقوله: "والذين عقدت أيمانكم" غير منسوخ بمعنى: وآتوهم نصيبهم من النصرة لا من الإرث، أو كان يرث المهاجري[2] الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت: "ولكل جعلنا موالي" نسخت ثم قال: "والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم" أى: من النصر والنصيحة وقد ذهب الميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ فلا تتجاوزوا عما أمركم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ

---

(١) وفى مسلم وغيره لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة/ ١٢.[أخرجه مسلم في "الفضائل" / باب: مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه (٢٥٣٠).]

(٢) نقله البخاري عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" من طرق عنه صلى الله عليه وسلم (٥/٣٧-٣٨) وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٢٤٦) من طريق: أبو سعيد الأشج، ثنا خلف بن أيوب العامري، عن أشعث بن عبد الملك، عن الحسن فذكره، عن علي -رضي الله عنه- كما قال ابن كثير (١/٤٩٢).]

شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا
يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ
بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا
بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ
ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ
شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ
وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿الرِّجَالُ[1] **قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾** قيام الولاة على الرعايا **﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** فضلهم عليهن بكمال العقل والدين والقوة **﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ**[2]

---

(١) لما ذكر أمر الرجال والنساء فى اكتساب النصيب وأمر أن لا يتمنوا بعضهم على بعض أخذ فى جهات فضائل الرجال فقال: "الرجال"/ ١٢.

(٢) قد استدل به جماعة من العلماء على جواز فسخ النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة زوجته وكسوتها، وبه قال مالك والشافعى وغيرهما/ ١٢ فتح.

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ كالمهر والنفقة، اشتكت امرأة عن زوجها بأنه لطمها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام: أردت أمرًا وأراد الله غيره فرجعت بغير قصاص[1] ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ تحفظ في غيبته نفسها وماله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياها فالمحفوظ من حفظه، أو بما حفظ الله لهن من إيجاب حقوقهن على الرجال ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن على أزواجهن ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بعقاب الله في عصيانها ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ بأن يوليها ظهره ولا يجامعها ولا يكلمها، أو معناه لا يضاجعها ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران ضربًا غير شديد[2] ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ بالإيذاء، وقيل: لا تكلفوهن محبتكم فالقلب بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِياً كَبِيراً ﴾ فهو أقدر عليكم منكم على أزواجكم، ويتجاوز عنكم ليلاً ونهارًا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافًا بين المرء وزوجه، والإضافة إلى الظرف على الاتساع[3] ﴿فَابْعَثُوا﴾ أيها الحكام ﴿حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يحكمان بينهما فيما يرى المصلحة من الجمع والتفريق، والأقارب أعرف ببواطن الأحوال فهم الأولى، وهما من جانب الحاكم ينفذ[4] حكمهما مطلقًا بغير رضى المحكوم عليه على الأصح ﴿إِن يُرِيدَا﴾ أي: يقصد الحكمان[5] ﴿إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين بحسن سعي الحكمين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ بالظاهر والباطن.

---

(١) رواه ابن مردويه عن علي وابن جرير عن الحسن البصري/ ١٢ وجيز.

(٢) مما لا يحدث شيئًا ولا يؤذن بالاحتقار/ ١٢ وجيز.

(٣) كأنه مفعول به كيا سارق الليلة/ ١٢ وجيز.

(٤) أي: في الجمع والتفريق/ ١٢.

(٥) فعن كثير من العلماء ينفذ في الجمع ولا ينفذ في التفريق/ ١٢ منه.

﴿وَاعْبُدُوا[1] اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا[2] بِهِ شَيْئاً﴾ من المخلوقات[3] أو من الإشراك قليلاً وكثيرًا جليًا وخفيًا ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ صاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ من لا يجد ما يكفيه وعياله ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ من جمع بين القرابة والجوار، أو الجار الأقرب أو الجار المسلم ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الأجنبى والذى جواره بعيد، أو أهل الكتاب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ المرأة، أو رفيق السفر، أو الحضر أيضًا ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر، أو الضعيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المماليك[4] ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً﴾ متكبرًا ﴿فَخُوراً﴾ يتفاخر[5] على المسلمين. ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله من بر الوالدين والأقربين، بدل ممن كان، أو نصب أو رفع على الذم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أيضًا كاليهود قالوا": لاتنفقوا على محمد فإنا نخشى عليكم الفقر ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ[6]﴾ يعني: الغنى، وحمل بعض السلف الآية على بخل اليهود بإظهار ما عندهم

---

(١) ولما كان أول السورة إلى هنا مبنيًا على الرفق والصلة والنصح أردف بحث الإرث والإصلاح بين الزوجين بمثل ما تقدم فقال: "واعبدوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) لما أمر الله تعالى بالعبادة بقوله: "واعبدوا الله" أمر بالإخلاص فى العبادة بقوله: "ولا تشركوا به شيئًا" لأن من عبد مع الله غيره كان مشركًا ولا يكون مخلصًا ، ولهذا قال الله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"(البينة : ٥)/ ١٢ كبير.

(٣) فإن العبادة مع الشرك مردودة/ ١٢ وجيز.

(٤) من عبيد وإماء وحيوانات إنسية/ ١٢ وجيز.

(٥) بحسب وبنسب فلا ينظر إلى الأقارب والأصحاب والمماليك إلا بنظر شر/ ١٢ وجيز.

(٦) من نعمة أنعم الله عليهم فإن البخيل يسترها ويجحدها، وفى الحديث: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه/ ١٢ وجيز.[صححه الشيخ الألباني في =

من العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك **﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ[1] عَذَاباً مُّهِيناً﴾** أي: أعتدنا لهم فإنهم كافرون بنعمة الله.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لا لوجه الله، ذكر الباذلين رياء بعد الممسكين والمراد اليهود أو المنافقون أو مشركو مكة، وهو عطف على الذين يبخلون **﴿وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾** أى فبئس الشيطان قرينا "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"(*).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أي تبعة تحيق هم **﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾** في سبيله **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾** وعيد لهم.

﴿إِنَّ[2] اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء إن كان مؤمنًا فله الأجر في الدارين، وإن كان كافرًا فمقصور على الدنيا، أو تخفيف فى عذابه فلا يظلم وهو قادر عليه **﴿وَإِن تَكُ﴾** مثقال الذرة **﴿حَسَنَةً﴾** وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة **﴿يُضَاعِفْهَا﴾** أي: ثوابها **﴿وَيُؤْتِ﴾** صاحبها **﴿مِن لَّدُنْهُ﴾** من عنده بفضلـــه **﴿أَجْــراً عَظِيماً﴾** جزيلاً وهو الجنة.

= "الصحيحة" (١٢٩٠) وقال: رواه ابن سعد (٢٩١/٤) والطحاوي في "مشكل الآثار" (١٥١/٤) والبيهقي في "الشعب" (١/٢٢١/٢).]

(١) أي: لمن كفر بنعمة الله ووعظ المسلمين بأخس الرذائل وفى الحديث: "لم يجمع البخل والإيمان في قلب" و أكثر البخلاء موتهم في حال سلب الإيمان، وقد دخل في ذلك بالدخول الأولى اليهود فإنهم مجبولون على البخل دنس الثياب كريهو الرائحة، ولما ذكر المساكين عطف عليهم منفقين لغير وجه الله/ ١٢ وجيز.

(*) الآية من سورة الإسراء.

(٢) ولما أمر بعبادته وبالإحسان والإنفاق وذم البخل ووبخ، أمر سبحانه بعدله فلا يظلم على الجزء على هذه الأمور، ثم قرر إحسانه فقال: "إن الله"/ ١٢ وجيز.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي: كيف حال هؤلاء الكفرة إذا جئنا بنبي كل أمة يشهد بصلاحهم وفسادهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ على جميع الأمم أو المنافقين أو المشركين ﴿شَهِيداً[1]﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ لو يدفنون وتبتلعهم الأرض فتسوى، أو لم يبعثوا، أو يكونون ترابًا، والباء للملابسة فهو حال، أو بمعنى: على فظرف لغو ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ بشهادة أيديهم وأرجلهم عليهم، عطف على جملة يود لما رأو أن الجنة خاصة للمسلمين قالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام:٢٣)، كذبوا رجاء زجهم فى المسلمين فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم أيديهم وأرجلهم، "ولا يكتمون الله حديثًا" (النساء:٤٢)، أو داخل فى التمنى بمعنى: يتمنون أنهم لم يكونوا كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وأمره.

---

(١) معنى هذا الكلام: كيف ترون يوم القيامة إذا استشهد الله على كل أمة برسولها واستشهدك على هؤلاء، يعني: قومه المخاطبين بالقرآن الذين شاهدهم وعرف أحوالهم، ثم إن أهل كل عصر يشهدون على غيرهم ممن شاهدوا أحوالهم وعلى هذا الوجه قال عيسى عليه السلام: "وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم"/ ١٢ كبير للإمام الرازى، وفى صحيح البخاري عن ابن عباس قال: "خطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا" ثم قال: "كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين" إلى آخر الآية (الأنبياء:١٠٤)، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: "وكنت عليهم شهيدًا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم" (المائدة:١١٧)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" انتهى من النسخة المطبوعة الأحمدية ـــ.[أخرجه البخاري في "الرقاق"/ باب: الحشر (٦٥٢٦)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ
وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ
أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا
فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ
يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا
لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ
أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ
وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن
يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ
أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا

---

(١) ولما ذكر الوقوف بين يدي الله تعالى فى الآخرة وحذرهم عن التلوث بالخبائث عقبه بأمر الوقوف بين يديه في الدنيا، وأمره بتطهير ظاهره وباطنه فقال: "يا أيها الذين"/ ١٢ وجيز.

﴿تَقُولُونَ[1]﴾ اجتنبوها حال السكر، نزلت فى جمع من الصحابة شربوا -الخمر قبل تحريمه وتقدم أحدهم للإمامة وقرأ "قل يا أيها[2] الكافرون أعبد ما تعبدون" قال الضحاك: عنى به سكر النوم لا سكر الخمر ﴿وَلاَ جُنُباً﴾ عطف على "وأنتم سكارى" ﴿إِلاَّ عَابِرِي[3] سَبِيلٍ﴾ مسافرين حين فقد الماء فإنه جائز للجنب حينئذ الصلاة، أو معنى الآية لا تقربوا مواضع الصلاة فى حال السكر ولا فى حال الجنابة إلا حال العبور فيها فجاز المرور لا اللبث وعليه كلام أكثر السلف ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ من الجنابة ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى[4]﴾ مرضا يخاف معه من استعمال الماء، وقيل: مطلقًا، قال

---

(١) فلا تقعون في تخليط كلام، وعلم منه أن النهي مستمر إلى هذا الوقت/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح/ ١٢.[أخرجه أبو داود (٣٦٧١) والترمذي (٣٢٢٩) عن علي –رضي الله عنه– قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني فقرأت ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ ونحن نعبد ما تعبودون ..... الحديث. قال الترمذي "حسن غريب صحيح" وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٢٢).]

(٣) الاستثناء مفرغ واقع موقع الحال من المخاطبين أى: لا تقربوا الصلاة جنبًا كائنين على حال من الأحوال إلا مسافرين، أو مواضع الصلاة كائنين على حال إلا مارين غير لابثين/ ١٢ ج.

(٤) والظاهر أن المرض بمجرده مسوغ للتيمم وإن كان الماء موجودًا إذا كان يتضرر باستعماله فى الحال أو فى المآل، ولا تعتبر خشية التلف فالله سبحانه يقول: "يريد الله بكم اليسر" (البقرة:١٨٥)، ويقول: "وما جعل عليكم فى الدين من حرج" (المائدة:٥)والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الدين يسر" ويقول: "يسروا ولا تعسروا" وقال: "قتلوه قتلهم الله" ويقول: "أمرت بالشريعة السمحة" فإذا قلنا: إن قيد عدم وجود الماء راجع إلى الجميع كان وجه التنصيص على المريض هو أنه يجوز له التيمم والماء حاضر موجود إذا كان استعماله يضره، فيكون اعتبار ذلك القيد فى حقه إذا كان =

مجاهد: نزلت فى مريض من الأنصار لم يكن له خادم و لم يستطع أن يقوم ويتوضأ ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ طويلاً أو قصيرًا ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ﴾ هو المكان المطمئن، وهو كناية عن الحدث الأصغر ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتموهن[1] أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ الظاهر أنه قيد للكل، والمريض الخائف من استعماله أو غير المستطيع أخذه كأنه لم يجد، فالحاصل أن الله تعالى رخص فى التيمم لفاقد الطهرين حال فقدان الماء لخوف عدو أو إرهاف فى موضع لا ماء فيه، أو عدم آلة استقاء أو غير ذلك مما يقع قليلاً، ويمكن أن يكون قيدًا للآخرين ولهذا غير الأسلوب و لم يقل: أوجنبتم وأما المرضى إذا خافوا من استعمال الماء أو لم يقدروا والمسافر إذا احتاج هو أو رفيقه أو حيوان محترم معه حالا أو مالا فلهم التيمم، وأما فاقدوا الطهرين إذا لم يجدوا ماء فلهم التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ أي: قصدوا ترابًا[2] أو ما يصعد من الأرض طاهرًا أو حلالاً ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ اليد يطلق على ما يبلغ المرفقين كما في الوضوء، وعلى ما يبلغ الكوعين كما في السرقة "فاقطعوا أيديهما" (المائدة:٣٨)، فلذلك اختلفوا أنه يجب المسح[3] إلى المرفقين أو لا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ يسهل ولا يعسر.

= استعماله لا يضره فإن فى مجرد المرض مع عدم الضرر باستعمال الماء ما يكون مظنة لعجزه عن الطلب؛ لأنه يلحقه بالمرض نوع ضعف، وأما وجه التنصيص على المسافر فلاشك أن الضرب فى الأرض مظنة لإعواز الماء في بعض البقاع دون بعض/ ١٢ فتح.

(١) وعليه الجمهور/ ١٢ وجيز.

(٢) طاهرًا كما ورد في الصحيح: "جعلت لنا الأرض مسجدًا وجعل ترابها طهورًا"/ ١٢ وجيز.[أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: مواضع الصلاة .]

(٣) ففي صحيح مسلم: التيمم مسح الوجه ومسح الكفين، وأما الفرق بين مسحت رأسه وبرأسه فبأن الباء لا يزاد إلا أن يكون بيده شيء كالدهن أو الماء أو التراب كما فهم من =

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ
ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا
عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن

= كلام المهرة من أهل اللغة، وصرح بذلك بعض العلماء من العظماء/ ١٢ وجيز. هذا المسح مطلق يتناول المسح بضربة أو ضربتين، ويتناول المسح إلى المرفقين أو إلى الرسغين، وحاصل ما قال الشوكاني في شرحه للمنتقى: إن أحاديث الضربتين لا يخلو جميع طرقها من مقال، ولو صحت لكان الأخذ بها متعينا لما فيها من الزيادة، فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاقتصار على ضربة واحدة حتى تصح الزيادة على ذلك المقدار. قال الخطابي: لم يختلف أحد من العلماء فى أنه لا يلزم مسح ما وراء المرفقين واحتجوا بالقياس على الوضوء، وهو فاسد الاعتبار. قال الحافظ: إن الأحاديث الواردة فى صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهم وعمار وما عداهما فضعيف أو مختلف فى رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه فالحق مع أهل المذهب الأول حتى يقوم دليل يجب المصير إليه، ولا شك أن الأحاديث المشتملة على الزيادة أولى بالقبول، ولكن إذا كانت صالحة للاحتجاج بها وليس في الباب شيء من ذلك.

تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ﴾ ألم تنظر إلى من له حظ يسير من التوراة، أعني: الأحبار **﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾** يختاروها على الهدى **﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا﴾** أيها المؤمنون **﴿السَّبِيلَ﴾** طريق الحق.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم **﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾** وقد أعلمكم فاحذروهم **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً﴾** يلي أمركم **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾** ينصركم فاكتفوا به عن غيره، والباء فى فاعل كفى: للتأكيد.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان للذين أوتوا أو لأعدائكم أو صلة نصيرا أى: ينصركم من الذين، أو خبر مبتدأ تقديره: من الذين هادوا قوم **﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ[1] عَن مَّوَاضِعِهِ[2]﴾** يميلونه عن مواضعه التى أثبته الله فيها بإزالته وإثبات غيره فيها، أو

(١) الكلم يفرق بينه وبين الواحد بالتاء، وغلب إطلاق الكلم على الكثير بحيث لا يطلق على الواحد لكن ليس بجمع لما يقال: الكلم الطيب، ورجوع ضمائر المفرد إليه/ ١٢ وجيز. قال الرازى فى الكبير: فى كيفية التحريف وجوه أحدها أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر إلى أن قال: والثانى أن المراد بالتحريق إلقاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا الأصح/ ١٢.

(٢) قال الحافظ ابن القيم فى إغاثة اللهفان: وقد اختلف العلماء هل التوراة مبدلة أم التبديل وقع فى التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال قالت طائفة: كلها أو أكثرها مبدل، وغلا =

يفسرونه بغير مراد الله على مقتضى هواهم ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أى: اسمع ما نقول لا سمعت، فهو حال من المخاطب أى: مدعوا عليك بلا سمعت، أو اسمع غير مسمع ما ترضى قيل: قولهم وعصينا وغير مسمع قول سرهم ﴿وَرَاعِنَا لَيّاً﴾ فتلا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ﴾ أى: يوهمون أنهم يقولون: أرعنا[1] سمعك وإنما يريدون الرعونة أو السب بلغتهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أى: لو ثبت هذا مكان ما قالوه لكان قولهم ذلك خيرًا وأعدل لهم ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا يهتدون إلى خيرهم ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ﴾ إيمانًا[2] ﴿قَلِيلاً﴾ لا ينفعهم أو إلا قليلاً منهم فهو استثناء من مفعول[3] لعنهم المرتب عليه فلا يؤمنون فليس المختار فيه الرفع.

= بعضهم حتى قال: بجواز الاستجمار بها، وقالت طائفة من أئمة الفقه والحديث والكلام، إنما وقع التبدل فى التأويل، قال البخاري فى صحيحه: يحرفون يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يتأولونه على غير تأويله هو اختيار الرازي، وتوسطت طائفة فقالوا: قد زيد فيها وقد غير أشياء يسيرة جدًّا واختاره شيخنا فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح قال: وهذا كما فى التوراة عندهم أن الله سبحانه قال لإبراهيم: اذبح ابنك بكرك ووحيدك إسحاق، قلت: والزيادة باطلة من وجوه عشرة: الأول أن بكره ووحيده إسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة/ ١٢ فتح.

(١) أي: اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت لحديثنا وتفهم/ ١٢ كبير.

(٢) هو إيمانهم ببعض الكتاب/ ١٢.

(٣) يعنى: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون يكون اتفاق القراء على غير المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا منهم يعنى: لو كان استثناء من فاعل لا يؤمنون فيكون الرفع فيه هو المختار مع أن المراد من فاعل لا يؤمنون الملعونون، والقليل الذين آمنوا ليسوا من الملعونين، فلا يجوز أن يكون مستثنى منه/ ١٢.

﴿يَا أَيُّهَا[1] الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وَجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ نحو العين والأنف ونجعلها من قبل الأقفية فلهم عينان[2] من القفى يمشون قهقرى، أو نجعلها كالأقفاء بلا عين وأنف، أو بأن نجعلها منابت[3] الشعور كالقردة، أو أن نطمس وجوها عن صراط[4] الحق فنردها على أدبارها فى الضلالة، أو نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز، فالمراد إجلاؤهم من أوطانهم، والطمس والمسخ يكونان لهم قبل[5] القيامة[6] أو لهم هذا فى القيامة، أو مشروط بعدم الإيمان وقد آمن بعضهم ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ الضمير للذين على طريقة الالتفات ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ[7] السَّبْتِ﴾ نخزيهم بالمسخ فنجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأصحاب السّبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ لا راد لحكمه.

---

(١) لما أعلم أن بعضهم غير ملعونين خاطب الجميع ليأتمر من لم يتطوق على أعناقه اللعن فقال: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب أمنوا" الآية (آل عمران:٤٧) / ١٢ وجيز.

(٢) قاله ابن عباس/ ١٢ وجيز.

(٣) فيكون تقديره: نردها على هيئة أدبارها فإن منابت شعور الآدميين فى أدبار وجوههم/ ١٢.

(٤) فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها فى الضلالة/ ١٢ منه.

(٥) عند نزول عيسى كذا ثبت عن السلف/ ١٢ وجيز.

(٦) هذا جواب عما يقال: إن الله تعالى قد أوعدهم بالطمس والمسخ و لم يقع أحد منهما/ ١٢ منه.

(٧) ولما سمع عبد الله بن سلام هذه الآية جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه فأسلم، وقال: يا رسول الله ما كنت أرى أنى أصل إليك حتى تحول وجهى فى قفاى/ ١٢ وجيز.

﴿إِنَّ[1] اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ لا يغفر لعبد لقيه مشركًا ويغفر ما دون الشرك صغيرًا أو كبيرًا لمن يريد تفضلاً ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ يحتقر دونه الذنوب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ[2] أَنفُسَهُمْ﴾ بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو بما قال اليهود: إن أبناءنا ماتوا وهم لنا قربة سيشفعون ويزكوننا، أو يقدمون أطفالهم في الصلاة لعصمتهم ويزعمون أن المأموم يصير مثلهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ المرجع في ذلك إلى الله فإنه عالم بالحقائق ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً[3]﴾ ما يكون في شق النواة أو ما فتلت بين أصابعك من الوسخ أي: لا ينقص ثواهم مقدار الفتيل.

﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ في تزكيتهم أنفسهم ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ بالافتراء ﴿إِثْماً مُّبِيناً﴾ ظاهرًا لا يخفى. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً﴾ حظًا قليلاً ﴿مِّنَ الكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ السحر والشيطان، أو الأوثان وشياطينها، أو الكاهن والساحر، أو الساحر والكاهن بلسان الحبشة، أو الجبت شيطان بلسان الحبشة والطاغوت كل ما يعبد من دون الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قريش ﴿هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ سأل قريش عن أحبار

---

(١) وبعد ما لعن اللعن المطلق واللعن المقيد حكم بالحكم البت المحكم فقال: " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ " الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وفي "الصحيحين": أنه عليه الصلاة والسلام سمع رجلاً أثنى على رجل فقال: ويحك قطعت عنق صاحبك، ثم قال: إن كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه فلا يزكى على الله "احدًا"/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "الأدب"/ باب: ما يكره من التمادح (٦٠٦١) ومسلم في "الزهد والرقاق"/ باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط (٣٠٠٠).]

(٣) نصب فتيلا بأنه صفة مفعول مطلق/ ١٢.

اليهود: ديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا: دينكم خير وأنتم أهدى وقيل: سجدوا[1] لأصنامهم حين حالفوا قريشًا في حرب المؤمنين ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ يمنعه من الطرد والخسار ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أم منقطعة والهمزة لإنكار ملكهم كما يزعمون أن الملك سيصير لهم، ومعناه الإضراب عن ذمهم بتزكيتهم أنفسهم إلى ذمهم بالبخل والحسد اللذين هما شر خصلتين. ﴿فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ أي إن كان لهم ملك فإذن لا يؤتون أحدا ما يوازى نقيرًا، وهو النقرة في ظهر النواة يعنى: هذا إكمال بخلهم في حال ملكهم وغناهم فما ظنك بحال فقرهم وذلهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل يحسدون محمدًا أو أصحابه، أضرب عن البخل إلى الحسد الذى هو شر[2] منه ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ النبوة والكتاب والنصرة وكثرة النساء، وقالوا: لو كان نبيًا لشغله أمر النبوة عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كداود وسليمان كتابهم ونبوتهم ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ ملك داود وسليمان وما أوتى من النساء[3] لهما ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بهذا الإيتاء والإنعام ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه وسعى في صد الناس عنه مع أنهم من جنسهم من بنى إسرائيل، فكيف بك يا محمد ولست من بنى إسرائيل؟ أو معناه: هم يحسدون عليكم وقد آتينا آل إبراهيم الذين هم من أسلافك يا محمد

---

(١) نقل أنه خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبًا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشًا على عداوة المؤمنين، فقال قريش: نحن لا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فإنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فإن أردتم أن تطمئن خواطرنا فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا.

(٢) فإنه بخل ما في يد الغير مع شبه اعتراض على من هو كامل في الحكمة عادل في القسمة/ ١٢ منه.

(٣) فإنه لسليمان ألف امرأة ثلاث مائة مهرية والباقية سرية ولداود مائة امرأة/ ١٢ منه.

من فضلنا فلا يبعد أن يؤتيك الله مثل ما آتاهم، ثم قال: فمن اليهود من يؤمن بمحمد ومنهم من صد عنه و لم يؤمن به ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ نارا مسعورة يعذبون بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ غير الجلود المحترقة، ويحتمل أن يعاد ذلك الجلد بعينه إلا أنه على صورة أخرى ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ وقد ورد أنه في الساعة الواحدة عشرون ومائة مرة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً﴾ غالبًا لا يغلب ﴿حَكِيماً﴾ فتعذيبه وفق حكمته لا ظلمًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والأذى ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ دائمًا لا حر فيه، والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده كليل أليل وشمس شامس.

﴿إِنَّ[1] اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ الآية كما قال السلف عامة: لكل بر وفاجر ودخل فيها حقوق الله وحقوق الناس، وإن نزلت في رد مفتاح الكعبة على عثمان[2] بن طلحة حين أخذ منه والتمس على أو عباس رضى الله عنهما أن تكون له الحجابة والسقاية ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أي:

---

(١) لما أمر بالسخاء والسماحة، وإلقاء الراحة للقلوب، وترك البخل الذى هو من أخس الرذائل والذنوب، ودفع الحسد الذى هو بخل عن ما في يد الغير، وهو عند نهاية الغور جور تبعه برد الأمانات والعدل فقال: "إن الله يأمركم" الآية/ ١٢.

(٢) أي: عثمان بن طلحة ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذى بيده الحجابة في زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، وأما عمه عثمان بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافرًا وقد اشتبه هذا على كثير من المفسرين/ ١٢ منه.

وأن تحكموا بالإنصاف إذا حكمتم ﴿إِنَّ اللَّهَ[1] نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ أي: نعـم شـيئًا يعظكم به، فما موصوفة منصوبة بيعظكم، أو نعم الشيء الذي يعظكم بـه فيكـون مرفوعة موصولة، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعما يعظكم بـه ذاك وهـو أداء الأمانات والعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ بالأقوال والأحكـام في الأمانـات وغيرها.

﴿يَا أَيُّهَا[2] الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْـرِ[3] مِنكُـمْ﴾ السلاطين والأمراء فيما وافقوا الحق، وأهل العلم والدين ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم وأولـو

---

(١) هذه الآيات من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع، لأن الظـاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس قاطبة في جميع الأمانات وورودها على سبب لا ينافي ما فيها من العموم، فالاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، قال الواحدى: أجمع المفسـرون عليه. انتهى، ويدخل الولاة في هذا الخطاب دخولاً أوليا فيجب عليهم تأدية ما لديـهم من الأمانات ورد الظلامات، وممن قال بعموم هذا الخطاب البراء بن عـازب وابـن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، واختاره جمهور المفسرين ومنهم ابن جرير وأجمعـوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار كما قال ابن المنذر، وأخـرج أبو داود والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال: "أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك".[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح سـنن أبي داود" (٣٠١٨).]

(٢) لما أمر الولاة والرعاة بالعدل أمر الرعية بطاعة الولاة فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآيـة /١٢ كبير.

(٣) هم الحكام والسلاطين إذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وإن أمروا بمباح إن كان فيه مصلحة عامة وجب القبول، وإن كان المصلحة بينه وبين الله، أو بينه وبين الخلق فيـه خلاف/ ١٢ وجيز.

الأمر ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا[١] فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ في زمانه وسنته بعده ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾ أي: الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ مآلا وعاقبة.

---

(١) قال مجاهد وغير واحد من السلف: هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء ينازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق كما قال تعالى: "فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله" (الشورى: ١٠)، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق "فماذا بعد الحق إلا الضلال" (يونس: ٣٢)، ولهذا قال: "إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" أي: ردوا وتحاكموا إليهما إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل على أن من لا يتحاكم في محال التراع إلى كتاب الله وسنة رسوله ليس مؤمنا بالله واليوم الآخر، فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الأمر وتعليق الإيمان عليه هكذا قال الشيخ محمد بن محسن عطاس صاحب تتريه الذات والصفات قال الإمام الرازى: هذه الآية دالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقًا فلا يجوز ترك العمل بهما بسبب القياس، ولا يجوز تخصيصهما بسبب القياس البتة سواء كان القياس جليًا أو خفيًا، وسواء كان ذلك النص مخصوصًا قبل ذلك أم لا ثم بين ذلك، وحقق كما هو حقه وأثبت ذلك بالوجوه العشرة التى لا يسعها المقام، وفى الفتح: ومن جملة ما استدل به المقلدة قوله تعالى: "وأولى الأمر" قالوا: هم العلماء، لكن أين هذا من الدلالة على مراد المقلدين فإنه لا طاعة لأحدهما أي: العلماء والولاة إلا إذا أمروا بطاعة الله على وفق سنة رسوله وشريعته، وأيضًا العلماء إنما أرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوهم عن ذلك كما روى عن الأئمة الأربعة وغيرهم، فطاعتهم ترك تقليدهم، ولو فرضنا أن في العلماء من يرشد الناس إلى التقليد ويرغبهم فيه لكان يرشد إلى معصية الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق انتهى ملخصًا/ ١٢.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن
يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ
رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ
أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟
ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا
لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ
وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت ههنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل، نزلت في يهودى ومنافق اختصما فقال اليهودى: بيني وبينك محمد،

وقال المنافق بيننا كعب بن الأشرف، أو في جماعة من المنافقين أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ بالطاغوت ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ لا يمكن لهم الرجوع إلى الحق أبدًا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ حال كونهم ﴿يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ صُدُوداً فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ احتاجوا إليك في دفعها ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب شؤم ذنوبهم ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ حين يصابون للعذر، عطف على إصابتهم ﴿يَحْلِفُونَ﴾ حال ﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ما أردنا من تحاكمنا إلى غيرك ﴿إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾ مداراة ومصانعة لا اعتقادا منا تلك الحكومة، أو إحسانا لخصومنا وتوفيقا بين الخصمين لا لمخالفتك، وبعضهم على أن الكلام تم عند قوله: "بما قدمت أيديهم" و"ثم جاؤك" عطف على "يصدون" وما بينهما اعتراض ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تعنفهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ وانصحهم بلسانك ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ سرًّا ليس معهم غيرهم ﴿قَوْلاً بَلِيغاً﴾ وقيل: في أنفسهم متعلق بليغًا أي: قل لهم قولا بليغًا في أنفسهم مؤثرًا في قلوبهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ فيما حكم لا ليطلب الحكم من غيره ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بسبب إذن الله في طاعته، فالإذن بمعنى الأمر والرضا، أو بتيسير الله وتوفيقه في طاعته، فالإذن بمعنى التوفيق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بمثل التحاكم إلى غيرك ﴿جَاءُوكَ[1]﴾ خبر إن، وإذ ظلموا متعلق به ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ بالإخلاص ﴿وَاسْتَغْفَرَ

(١) وهذا المجيء يختص بزمان حياته صلى الله عيه وسلم، وليس المجيء إليه يعنى إلى مرقده المنور بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما يدل عليه هذه الآية كما قرره في الصارم المنكى، ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا من التابعين ولا ممن تبعهم بإحسان/ ١٢ فتح.

﴿لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ عدل عن الخطاب تعظيمًا لشأن الرسول عليه الصلاة والسلام **﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ﴾** صادفوه[1] حال كونه **﴿تَوَّاباً رَّحِيماً﴾** أو لعلموه قابلاً لتوبتهم **﴿فَلاَ[2] وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** لا مزيدة لتأكيد القسم، أو معناه: فليس الأمر كما يزعمون أهم آمنوا وهم يخالفون حكمك **﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾** اختلف واختلط **﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً﴾** ضيقًا أو شكًا **﴿مِّمَّا[3] قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا[4]﴾** إنقادوا لأمر رسوله **﴿تَسْلِيماً﴾** نزلت حين خاصم الزبير رجلاً فقضى

(١) يعني إن كان وجد بمعنى صادف فتوابا حال، وإن كان بمعنى علم فهو مفعوله الثاني/ ١٢ ج.

(٢) اعلم أن قوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون" قسم من الله على أهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط، أولها: قوله تعالى: "حتى يحكموك فيما شجر بينهم" وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمنًا. الشرط الثاني: قوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت" قال الزجاج: لا تضيق صدورهم من أقضيتك، واعلم أن الراضى بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام قد يكون راضيا به في الظاهر دون القلب، فبين في هذه الآية أنه لا بد من حصول الرضاء به في القلب. الشرط الثالث: قوله: "ويسلموا تسليمًا" واعلم أن من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقًا قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد، أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى أنه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب فلا بد أيضًا من التسليم معه في الظاهر، فقوله: "ثم لايجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت" المراد به: الانقياد في الباطن، وقوله: "يسلموا تسليمًا" المراد منه الانقياد في الظاهر والله أعلم/ ١٢ كبير.

(٣) جاز أن يكون ما مسدرية، أو موصولة/ ١٢ منه.

(٤) ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص، النص بالقياس؛ لأنه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه على الإطلاق، وأنه لا يجوز العدول منه إلى غيره، ومثل هذه المبالغة المذكورة في هذه الآية قلما يوجد في شيء من التكاليف، وذلك يوجب تقديم عموم

=

رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير[١] فقال الرجل: قضى له لأنه ابن عمته[*]، أو اختصم رجلان فقضى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذى قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب فلما أتيا إليه قالا: قضى لنا رسول الله صلى الله عيه وسلم ثم جئنا إليك لتقضى بيننا، فقال عمر: مكانكما فخرج بالسيف وقتل من لم يرض بحكم رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن[**] [٢] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا على بنى إسرائيل، وأن[٣] مصدرية ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ كما أمرناهم من ديار مصر ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب، أو الضمير لمصدر أحد[٤] الفعلين ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم

= القرآن، والخبر على حكم القياس، وقوله: "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت" مشعر بذلك لأنه متى خطر بباله قياس يفضى إلى نقيض مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى أنه لا يكمل إيمانه إلا بعد أن لا يلتفت إلى ذلك الحرج ويسلم النص تسليمًا كليًا، وهذا الكلام قوى حسن لمن أنصف/ ١٢ كبير.

(١) رواه البخاري عن عروة/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ (٤٥٨٥).

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير" (٥٥٦٠) قال: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبأ ابن وهب، أخبرني عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود.....فذكره. وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٢٢/١) وقال: وكذا رواه ابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود به. وهو أثر غريب مرسل، وابن لهيعة ضعيف والله أعلم.

(٢) فأنزل الله تلك الآية فبرأ عمر على قتله ظلمًا رواه ابن أبى حاتم، وابن مردويه والحافظ المقدسى/ ١٢ وجيز.

(٣) جاز أن يكون أن مفسرة لأن كتبنا بمعنى: أمرنا/ ١٢.

(٤) أي: اقتلوا أو اخرجوا/ ١٢ منه.

المخلصون، نزلت حين افتخر صحابى ويهودى فقال اليهودى: لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا أنفسنًا، فقال الصحابى: لو كتب الله علينا لقتلنا[١] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من مطاوعة النبى ومتابعته طوعًا ﴿لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ في الدارين ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ لإيمانهم وتصديقهم ﴿وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً﴾ كأنه قيل: ما يكون لهم بعد التثبيت، فقال: وإذًا والله لآتيناهم فإن إذا جواب وجزاء ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ بسلوكه يصلون إلى الفلاح. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في الفرائض والسنن ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ نزلت[٢] حين قال بعض[٣] الصحابة: إنى محزون، لأنى لا أطيق فراقك يا محمد وإنى إن دخلت الجنة أكون في مترلة دون مترلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، وفى الحديث أن الأعلين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم فيجتمعون في رياضها ويترل لهمرة[*] أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون فهم في روضة يحبرون ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ الرفيق كالصديق يطلق على الواحد والجمع أو المراد كل واحد منهم ونصبه على التمييز أو الحال وهو كلام في معنى التعجب. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما أعطى المطيعين من مرافقة المنعم عليهم ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ الأول صفة ذلك أو خبره والثانى خبره أو حال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ بمن أطاع الله ورسوله فلا يضيع أجرهم.

---

(١) وعلى هذا الآية مدح لهذا الصحابى أنه من القليل الذين لهم الإخلاص/ ١٢ منه.

(٢) قد ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من طرق متواترات عن جماعة من الصحابة أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال: "المرء مع من أحب، قال أنس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث"/ ١٢ وجيز.

(٣) كما رواه ابن جرير وابن مردويه والحافظ المقدسى/ ١٢ وجيز.

(*) وردت في الأصل مصحفة: يترلهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ
مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن
مَّعَهُمۡ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَـٰبَكُمۡ فَضۡلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ
وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيۡتَنِى كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَـٰتِلۡ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأَخِرَةِۚ وَمَن يُقَـٰتِلۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ
يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ
هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى
سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَـٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ كَانَ
ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا[1] **الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾** من عدوكم أي: استعدوا للحرب واحذروا من الأعداء **﴿فَانفِرُوا﴾** أخرجوا إلى الجهاد **﴿ثُبَاتٍ﴾** جماعة بعد جماعة متفرقين **﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً﴾** مجتمعين أي بادروا إلى الجهاد كيفما أمكن من غير أن تلقوا أنفسكم إلى التهلكة. **﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ﴾** يتثاقلن ويتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ لازم أو ليبطئن غيره منقولا من بطأ والخطاب لعسكر الرسول. والبعض: المنافقون

(١) ولما ذكر أنه لو كتب عليهم قتل أنفسهم وأطاعوا لهم الأجر العظيم وإن إطاعة الله سبب للرفاقة مع هؤلاء السعداء أمرهم بالجهاد الذى قد ينجر إلى القتل وحذرهم عن الغفلة، فقال: "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم"/ ١٢ وجيز.

واللام الأولى للابتداء والثانية جواب قسم تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطئ ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً﴾ حاضرا. ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكد تنبيها على فرط تحسرهم ﴿كَأَن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ منصوب بجواب التمنى ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾ نصيبًا وافرًا من الغنيمة يعنى أن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وليس من أهل دينكم فإن الحظ من المال غاية بغيتهم لا إعانتكم وأجرهم ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ معناه: إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل الذين يبيعون دنياهم بآخرتهم وهم المؤمنون حقًّا أو معناه ليغير ما بهم من النفاق فليقاتل الذين يشترون الدنيا الفانية بالآخرة الباقية فعلى الأول حث المؤمنين على القتال وعلى الثانى حث المبطئين على ترك ما هم عليه ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ له الأجر الجزيل غَلَبَ أو غُلِبَ. ﴿وَمَالَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حال، يعاتبهم على ترك الجهاد ويحرضهم عليه ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن أيدى العدو أو في المستضعفين[1] على حذف المضاف أي في تخليصهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين الذين هم بمكة تحت أيادى المشركين ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ[2] أَهْلُهَا﴾ أرادوا مشركى مكه ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياًّ﴾ يلى أمرنا ﴿وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ

---

(١) فهو إما عطف على المضاف إليه من غير تقدير، أو على المضاف على تقديره/ ١٢.

(٢) في القرآن نسبة الظلم إلى القرية كثيرة لكن نسب ههنا إلى أهلها تعظيمًا لأم القرى وتعليمًا/ ١٢ وجيز.

﴿نَصِيراً﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءهم يسر لبعضهم الهجرة إلى المدينة وفتح مكة على نبيه عليه الصلاة والسلام فنصرهم وتولاهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيما يصلون به إلى الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ[1]﴾ فيما يبلغ هم إلى الشيطان[2] ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ أي: مكره المؤمنين بالنسبة إلى مكر الله للكافرين ضعيف فلا تخافوهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

(١) وهذه الآية دالة على أن كل من كان غرضه في فعله رضاء غير الله فهو في سبيل الطاغوت، لأنه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهى أن القتال إما أن يكون في سبيل الله أو في سبيل الطاغوت، وجب أن يكون ما سوى الله طاغوتًا/ ١٢ كبير.

(٢) وهو مع حزبه في النار/ ١٢.

غَيْرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ
بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ
مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾
فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ
بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً
يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال المشركين حين التمسوا قتالهم في مكة وهم ضعفاء[1] قليلون **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** واشتغلوا بما أمركم الله **﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾** في المدينة وهم أقوياء كثيرون **﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾** إذا للمفاجأة جواب لما **﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾** الكفار خبر فريق ومنهم صفته **﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾** إضافة المصدر إلى المفعول أي: خشية مثل خشيتهم **﴿لله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾** عطف على كخشية الله أي: أو خشية أشد تلك الخشية خشية من خشيتهم لله بأن جعل الخشية خاشيًا كجد جده أو كخشية الله حال من ضمير الجمع أي: حال كونهم مثل

(١) فإنهم يلقون من المشركين أذى كثيرًا يستأذنون في القتال ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا لم نؤمر بالقتال أمرنا بالعفو فكفوا أيديكم"/ ١٢ وجيز.

أهل خشية الله أو أشد خشية من أهل خشية الله **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا﴾** هلا **﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾** أي: الموت يعنى هلا تركتنا نموت بآجالنا قيل: القائلون منافقون أو مؤمنون وقالوه خوفًا وحرصًا على الحياة ثم تابوا، أو مؤمنون تخلفوا ونافقوا لما فرض عليه القتال **﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾** سريع التقضى **﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** لا ينقص من ثوابكم مثل فتيل النواة **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾** حصون مرفوعة منيعة عالية قيل: نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا **﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾** المنافقين واليهود **﴿حَسَنَةٌ﴾** كخصب ورزق من ثمار وأولاد **﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾** كجدب ونقص من هلاك ثمار وموت أولاد **﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾** قالوا: ما هى إلا بشؤم محمد وأصحابه **﴿قُلْ كُلٌّ﴾** من الحسنة والسيئة **﴿مِّنْ عِندِ[1] اللَّهِ﴾** بإرادته وقضائه يبسط ويقبض **﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ﴾**

---

(١) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا متعلق لهم فيه؛ لأنه ليس المراد من الآيات حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصى بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم و لم ينسبها إليهم فقال: ما أصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابنى إنما يقال: أصبتها ويقال في المحن: أصابنى بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابًا فهو كقوله تعال: " فإذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه" (الأعراف:١٣١)، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه ووعد عليها الثواب والعقاب فقال: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها" (الأنعام:١٦٠)، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله: "قل كل من عند الله" أي: =

لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ أي: القرآن فإنه لو فهموه لعلموا أن الكل[1] منه تعالى، أو حديثًا ما كبهائم لا أفهام لهم **﴿مَا أَصَابَكَ﴾** يا إنسان **﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾** من نعمة **﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾** تفضلاً منه **﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾** بلية **﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾** بسبب شؤم ذنوبك[2] وإنما كتبتها عليك فالحسنة إحسان، والسيئة مجازاة يصل الكل من الله تعالى **﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾** يا محمد **﴿لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾** حال قصد به التأكيد ويجوز تعلق للناس به فحينئذ قصد به التعميم أي: رسولاً للناس كلهم **﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾** على رسالتك **﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا

= الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: فمن نفسك أي: وما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال الله تعالى: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" (الشورى:٣٠)، يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك"، وأنا كتبتها عليك) وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبله والقول فيها مضمر تقديره "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا" يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، قل: كل من عند الله / ١٢ معالم.

(١) أي: لا فاعل سواه تعالى ولا واسطة في البلايا سوى: أنفسهم دون النبى على ما زعموا، فتمام الرد عند قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" وبهذا اندفع ما قيل إنهم لم يجعلوا النبى فاعلاً للبلايا بل واسطة كما في قوله تعالى: "يطيروا بموسى" (الأعراف:١٣١)، فلا يكون جعل المبدأ الفاعلى هو الله وحده ردًا لمقالتهم فافهم/ ١٢ج.

(٢) يعنى إن نظرت إلى المبدأ الفاعلى فالكل منه، وإن نظرت إلى الواسطة والسبب فما هى إلا شؤم أنفسهم لا النبى ، بل هو الواسطة لدفع المصائب ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، ما أرسلنك إلا رحمة للعالمين، وأما قوله: "قل كل من عند الله" فلدفع وهم ينشأ من قوله: "وما أصابك من سيئة فمن نفسك/ ١٢ وجيز.

وحى يوحى، نزلت حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أطاعني وأحبني أطاع الله تعالى وأحبه فقال المنافقون: يريد أن نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى عليه السلام ﴿وَمَن تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ عن المعاصي إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿طَاعَةٌ[1]﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: قدر وبدل ليلاً وسرًّا خلاف ما قلت لهم أو خلاف ما قالت طائفة من الطاعة ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يثبت في صحائف أعمالهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ ما يسرون ويقدرون ليلاً ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فاصفح عنهم ولأتوا خذهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ سيما في شأنهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ يكفيك شرهم قيل: الآية منسوخة بآية القتال ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ[2] الْقُرْآنَ﴾ لا يتفكرون فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ كما زعم الكفار والمنافقون ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ تفاوتًا وتناقضًا لا يكون كله في طبقة البلاغة، ويكون في إخبار الغيب بما كان ويكون خلاف واقع ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ مما يوجب أحدهما ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتحهم أو هزيمتهم يفشونه قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه مضار كثيرة وهم المنافقون وقيل: ضعفة المؤمنين وأذاع جاء متعديًا بنفسه وبالباء ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ ذلك الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ ذوى الرأى من أصحابه أو أمراء السرايا ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

---

(١) وأصلها النصب أي: أطعنا طاعة والرفع للثبات كسلام عليك/ ١٢ وجيز.

(٢) لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم، وكان كل ذلك لأجل أنهم ما كانوا يعتقدون كونه محقًا في ادعاء الرسالة صادقًا فيه، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخرص، فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال: "أفلا يتدبرون القرآن" الآية (النساء:٨٢، محمد:٢٤) / ١٢ كبير.

يستخرجونه ويستعملونه من معادنه يعني: لو سكتوا لحصل لهم العلم به من الرسول وأولى الأمر، ولا ضر فيه أو لو ألقوا ذلك الخبر إليهم لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم على أي وجه يذكر من إفشاء ما فيه المصلحة وكتمانه، وقد صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجد الناس يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فجاء إليه وسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام: لا فنادى عمر بأعلى صوته: لم يطلق، ونزلت هذه الآية فقال عمر: أنا الذى استنبطت ذلك الأمر(*) ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿**لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ ممن تفضل عليه بعقله الصائب فاهتدى به كورقة بن نوفل وقيل: إلا اتباعًا قليلاً نادرًا ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ولو كنت وحدك ﴿**لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**(١)﴾ إلا فعل نفسك فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فالله ناصرك ﴿**وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي: على القتال فما عليك إلا التحريض ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: شدة المشركين بتحريضك إياهم على القتال، وقد فعل بأن ألقى الرعب في قلوبهم فرجعوا عن الطريق في البدر الثاني ﴿**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً**﴾ صولة وشدة من قريش ﴿**وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾ عقوبة ﴿**مَن**(٢) **يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً**﴾ تجوز في الدين قُبلت أو لا ﴿**يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ وهو ثواب الشفاعة ﴿**وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**﴾ لا يجوز أن يشفع فيه ﴿**يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾ نصيب من

(*) أخرجه مسلم في "الطلاق"/ باب: بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية (٦٧٩/٣) ط الشعب.

(١) واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بعد حرب أحد في بدر الصغرى الخروج، فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت/ ١٢ منه.

(٢) ولما كان بين المؤمنين والمشركين من قريش القرابة الموجبة للتواد والتعاطف والإشفاق عليهم بمثل الشفاعة في مصائبهم بين سبحانه شفقة على المؤمنين أن الشفقة على أي غاية جائزة فقال مستأنفًا: "من يشفع" الآية/ ١٢ وجيز.

وزرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾ مقتدرًا أو حفيظًا ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم[1] بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي: إذا سلم عليكم فأجيبوا بزيادة أو ردوا كما سلم فإذا قال أحد: السلام عليك ورحمة الله فزد عليه: وبركاته، والزيادة سنة، والرد واجب، وقال قتادة: الزيادة للمسلمين والرد لأهل الذمة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ يحاسبكم ويجازيكم. ﴿اللَّهُ[2] لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: والله ليحشرنكم من قبوركم إلى يوم القيامة أو ليجمعنكم في القبور إلى يوم القيامة ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو في الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ[3] حَدِيثاً﴾ وعدًا ووعيدًا .

---

(١) ولما قسم الشفاعة قسمين وما هى إلا من لوازم التواد والتعاطف، ذهب وهم واهم إلى أن التحية والسلام كالشفاعة فدفعه وقال: "إذا حييتم بتحية" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما ذكر فرضية القتال وأمر بالتحريض عليه والشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة وتعليم السلام، وأنه حسيب على كل شيء أخبر بأنه يجمعهم للمجازاة فقال: "الله لا إله إلا هو" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) قوله حديثا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: سائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء، وقد سمى الله القرآن حديثا ومحدثا فقال: "الله نزل أحسن الحديث" وقال: "من أصدق من الله حديثًا" وقال: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" (الأنبياء:٢)، وقال النبى صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء" وهذا مما احتج به البخارى في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخارى كنعيم ابن حماد وحماد بن زيد، ومن المشهور عن السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق منه يبدأ وإليه يعود انتهى.

قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية باب قول الله: "كل يوم هو في شأن" (الرحمن:٢٩)، و"ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" (الأنبياء:٢)، وقول الله: "لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا" (الطلاق:١)، وإن حدثه لا يشبه حـــدث المخلوقين =

....

= لقوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١). وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وأن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة" انتهى ووقعت هذه العبارة في صحيح البخارى، وأيضًا قال فيه في باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق: وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق ومن كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مخلوق مكون. انتهى وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية قدس الله روحه: و أفعال الله عز وجل نوعان: متعد ولازم.

فالمتعدى مثل الخلق والإعطاء ونحو ذلك. واللازم مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان قال تعالى: "هو الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش" (الحديد:٤)، فذكر اللفظين المتعدى واللازم وكلاهما حادث بقدرته ومشيئته، وهو متصف وتسمى هذه الأفعال أفعالاً اختيارية التي يسميها الجهمية المعتزلة حلول الحوادث وهى كثيرة جدًّا بل الآيات التى تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدًّا، وهذا كقوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" (الأعراف:١١)، فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم لم يأمرهم في الأزل وكذلك قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران:٥٩)، فإنما قال له كن بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل، وكذلك قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام "فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها" (النمل:٨)، "فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين" (القصص:٢٠)، فهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء، ولم يكن النداء في الأزل كما تقوله الكلابية يقولون: إن النداء قائم بذات الرب في الأزل وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال مناديًا له لكنه لما أتى خلق فيه إدراكًا لما كان موجودًا في الأزل إلى أن قال: والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضى أنه إنما ناداه وناجاه حين أتى لم يكن النداء موجودًا قبل ذلك فضلاً عن أن يكون قديما أزليًّا، وقال تعالى: "فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما =

....

= وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" (الأعراف:٢٢)، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما لم ينادهما قبل ذلك وقال تعالى: "ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين"(القصص:٦٥). "ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون" (القصص:٧٤)، فجعل النداء في يوم معين وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو حينئذ يناديهم لم ينادهم قبل ذلك وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد" فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهى متعلقًا بإرادته وهذه أنواع الكلام فدل على أنه يأمر بإرادته وينهى بإرادته، ويحلل بإرادته، ويحرم بإرادته، إلى أن قال: ومثل هذا كثير في القرآن، وكذلك في الإرادة والمحبة كقوله تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون" (يس:٨٢)، وقوله: "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله" (الكهف: ٢٣،٢٤)، وقوله: "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين" (الفتح:٢٧)، وقوله: "وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له" (الرعد:١١)، وقوله: "وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً" (الإنسان:٢٨)، وقوله: "ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك" (الإسراء:٨٦)، وأمثال ذلك في القرآن، فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال مثل إن وأن، وكذلك إذا ظرف لما يستقبل من الزمان فقوله تعالى: "وإذا اراد الله" (الرعد:١١)، و"أن يشاء الله" (الكهف:٢٤)، ونحو ذلك يقتضى حصول إرادة مستقبلة ومشيئة مســـتقبلة وكذلك في المحبة والرضى قال تعالى: "إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"(آل عمران:٣١)، إن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله فإنه جزم قوله يحببكم اللّه، فجزمه جوابا للأمر وهو في معنى الشرط تقديره: إن تتبعونى يحببكم الله، ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم الرسول، وقد مر بعض هذه العبارة بعينها في صفحة متقدمة فلا نعيده. =

....

= وأطال رحمه الله وبين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب من الخطأ إلى أن قال: وكذلك كونه خالقًا ورازقًا ومحسنًا وعادلاً فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته وقدرته إذ كان يخلق بمشيئته ويرزق بمشيئته ويحسن بمشيئته ويعدل بمشيئته والذى عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بأفعال الرب وصفاته كما في قوله: "أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك". فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه، وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق، لأنه استعاذ به فقال صلى الله عليه وسلم من نزل مترلا فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه، فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوق، لأنه استعاذ به والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقه؛ فإنها نتيجة معافاته، وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد حكى البخارى إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق، وعلى هذا يدل صريح المعقول فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن وأن الله الفرد بالقدم والأزلية إلى أن قال: فالسلف يقولون: لم يزل متكلما إذا شاء وكما شاء وقد قال تعالى: "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا" (الكهف:١٠٩)، فكلمات الله لا نهاية لها وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية إلى أن قال: والمقصود هاهنا أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع أما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب كما في الصحيحين عن زيد بن خالد: أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه صلاة الصبح ثم قال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة الحديث................ وفى الصحاح في حديث الشفاعة فيقول كل من الرسل: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا =

﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ
أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟
فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟
فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن
يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ
ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ
أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ
وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ تفرقتم في أمرهم فرقتين، "فئتين" حال، وعاملها لكم "وفي المنافقين" متعلق بما دل عليه فئتين أي: متفرقين فيهم نزلت في عبد الله بن أبى وأصحابه حين رجعوا عن طريق أحد فبعض المسلمين قالوا: نقتلهم، وفرقة تقول: لا فإنهم مسلمون.

= يغضب بعده مثله فقال كل منهم: إن ربي قد غضب اليوم، وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله وفى الصحيح إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماوات كجر السلسلة على الصفوان" فقوله: إذا تكلم الله بالوحى يسمع يدل على أنه يتكلم به حين يسمعون، وذلك ينفى كونه أزليًا إلى آخر ما تركناه لضيق المقام انتهى مختصرًا ملتقطًا/ ١٢.

أو في قوم من العرب نزلوا المدينة وأسلموا ثم أصابتهم حمى المدينة فخرجوا ولحقوا المشركين وكتبوا إلى المسلمين إنا على دينكم فقال: بعضهم نافقوا و قال بعضهم: هم مسلمون.

أو في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين وقعدوا عن الهجرة ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ ردهم إلى الكفر بسبب عصيانهم أو أهلكهم ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أيها المؤنون ﴿أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ تجعلوه من المهتدين ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ إلى الهدى ﴿وَدُّوا﴾ تمنوا هؤلاء ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أنتم ﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم[1] ﴿سَوَاءً﴾ في الضلال وهو عطف على تكفرون ﴿فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لا توالوهم ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فتحققوا إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الهجرة وأظهروا الكفر ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِياًّ وَلاَ نَصِيراً﴾ لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ استثناء من مفعول[2] واقتلوهم أي: لا تقتلوا الذين يلجأون وينتهون إلى قوم عاهدوكم واجعلوا حكمهم كحكمهم وهم الأسلميون، فإنه عليه الصلاة والسلام وادع لهلالاً الأسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل إليه فله من الجوار مثل ما له، أو بنو بكر بن زيد مناة أو خزاعة ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال أي: قد ضاقت عن ﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أو لأن أو كراهة أن ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ هؤلاء قوم آخرون من المستثنين عن الأمر بقتلهم وهم الذين يخشون المصاف وصدورهم كارهة عن قتالكم

---

(١) مستوى الضلال يعنى أنتم ترجون هدايتهم، وهم يرجون ضلالكم فقد تباعدتم في المذاهب وتباينتم في المقاصد/ ١٢وجيز.

(٢) وليس استثناء من قوله: "ولا تتخذوا منهم وليًّا" وإن كان أقرب لأن اتخاذ الولى منهم حرام بلا استثناء ما داموا في الكفر/ ١٢.

ولا يهون عليهم أيضًا أن يقاتلوا قومهم معكم لا عليكم ولا لكم، كجماعة خرجوا يوم بدر من بنى هاشم مع المشركين وكرهوا القتال كعباس ونحوه وقيل: معناه أن يقاتلوا قومهم أي: إذا أسلموا وقيل عطف على صفة قوم أي: إلا الذين يلجأون إلى قوم جاءوكم كافين عن القتال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ أي: من لطفه بكم أن أذلهم عندكم وضيق صدورهم عن قتالكم فكفوا عنكم ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ[1] السَّلَمَ﴾ الصلح والانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ في أخذهم وقتلهم ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ هم أسد وغطفان أو بنو عبد الدار أظهروا الإسلام مع المسلمين ليأمنوا عندهم على دمائهم وأموالهم وحققوا الكفر مع قومهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك وقيل: إلى القتال مع المسلمين ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ انهمكوا فيها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ لم يصلحوا ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾ حجة بينة في قتالهم لظهور عداوتهم وعدم وفائهم.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) لا يكفى كف الأيدى عن الأيدى في نفى التعرض بل لابد منه مع الصلح ونبذ العهد/ ١٢ منه.

مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ
وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ**﴾ ما صح له وليس من شأنه ﴿**أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا**﴾ في شيء من الأحوال ﴿**إِلاَّ خَطَئًا**[1]﴾ أي: حال الخطأ أو إلا قتلاً خطأ وقيل: الاستثناء منقطع، وما كان نفي بمعنى النهي أي: لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر ﴿**وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**[2]﴾ أي: فعليه إعتاقها[3] ﴿**وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**﴾ مؤداة إلى

(١) وقيل: الاستثناء منقطع وهذا بناء على أن المتصل دال على جواز القتل خطأ ولا يدل لأن حاصله أن من شأن المؤمن ألاّ يقتل إلا خطأ/ ١٢ وجيز.

(٢) هذا إذا كان المقتول مؤمنًا وعند كثير من العلماء: كذا إن كان كافرًا أيضًا والقرآن لا يدل عليه/ ١٢ وخيز.

(٣) اختلف العلماء في الرقبة المؤمنة قيل: هي التي صلت وعقلت الإيمان فلا تجزئ الصغيرة، وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي وقتادة وغيرهم. أخرج عبد بن حميد وأبو داود والبيهقي عن أبي هريرة: "أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية =

ورثته يقسمونها قسمة الميراث ﴿إِلاَّ أَن يَّصَّدَّقُوا﴾ يعفوا وسمى العفو عنها صدقة ترغيبًا عليه أي: فعليه التحرير والدية في جميع الأحيان إلا حين أن يتصدق أهله بالدية فحينئذ تسقط الدية ﴿فَإِن كَانَ﴾ المؤمن المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ كفار محاربين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ولم يعلم القاتل إيمانه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ دون الدية لأهله لأنه لا وراثة بين مسلم وكافر ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ ككفار معاهدين أو أهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي: فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية إن كان المقتول مؤمنًا وكذا إن كان كافرًا أيضًا عند كثير من العلماء ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ولم يجد ثمنها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: فعليه ذلك ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مفعول له أي: شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بحاله ﴿حَكِيماً﴾ فيما حكم عليه ﴿وَمَن يَّقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ عشرة من كبار(١) السلف بل أكثر على أنه لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدًا ويؤيدهم بعض الأحاديث كقوله عليه الصلاة والسلام: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا(٢) " والجمهور على أنه له توبة

= سوداء فقال: يا رسول الله إن على عتق رقبة مؤمنة فقال لها أين الله؟ : فأشارت إلى السماء بأصبعها فقال لها: فمن أنا فأشارت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى السماء أي: أنت رسول الله فقال: أعتقها فإنها مؤمنة"، وقد روى من طرق وهو في صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى/ ١٢ فتح.[أخرجه مسلم في "المساجد"/ باب: تحريم الكلام في الصلاة (٢/ ١٧٠) ط الشعب.]

(١) بالنقل الصحيح منهم/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائى والبزار/ ١٢ وجيز.[أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/ ٩٩) والحاكم في "المستدرك" (٤/ ٣٥١)، والنسائي (٣٧١٩) من طريق ثور عن أبي عوف، =

ويدل عليه الآيات والأحاديث فقال بعض السلف: هذا جزاؤه إن جوزى عليه[1] لكن قد يكون لذلك الجزاء معارض من عمل صالح أو عفو، وقيل الإخلاف في الوعيد ليس بخلف وذم، أو المراد بالخلود المكث الطويل، أو الخلود لمن يستحله فإنه نزلت في رجل خرج من المدينة وقتل مؤمنًا وارتد. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** ذهبتم للغزو وسافرتم **﴿فَتَبَيَّنُوا﴾** اطلبوا بيان الأمر ولا تعجلوا فيه **﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ﴾** لمن حياكم بتحية الإسلام، ومن قرأ السلَم فمعناه: الانقياد وقيل: معناه: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله **﴿لَسْتَ مُؤْمِناً﴾** وإنما فعلت ذلك متعوذا **﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** تطلبون حطام الدنيا، هو حال من فاعل لا تقولوا **﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾** ربما يغنيكم عن قتل من أظهر الإسلام لما له **﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾** تخفون إيمانكم أو لم تكونوا مؤمنين أو محصونة دماؤكم بمجرد كلمة الشهادة **﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالاشتهار بالإيمان أو بالهداية **﴿فَتَبَيَّنُوا﴾** لا تبادروا ظنًّا بأنهم دخلوا في الإســـلام اتقاءً وخوفًا. تأكيد لما تقدم **﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** عالمًا بالغرض من القتل فاحتاطوا. نزلت في رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فقتلوه وأخذوا غنيمته[2]، أو في

= عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت معاوية يخطب فذكره. قال الحاكم: "صحيح الإسناد" وأقره الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" .]

(١) قال الشيخ ابن كثير: الأصح أن هذا القول موقوف على أبي هريرة وقيل: إنه تعالى يسيء عاقبته ولا يوفقه للتوبة النصوح لشؤم هذا الذنب، وقد ثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلى الذى قتل مائة نفس ثم تاب الله عليه، وإذا كان في بنى إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة المرحومة توبتهم بطريق الأولى/ ١٢ وجيز.

(٢) كما رواه البخارى والترمذى عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ (٤٥٩١).]

رجل له[1] مال كثير بقى من قوم كافرين أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية وقد تفرقوا فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فأهوى إليه أحد من المسلمين فقتله، فأنزل الله الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاتل: "كان رجل مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته وكذلك كنت تخفى إيمانك بمكة قبل" **﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ﴾** عن الحرب **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾** صفة القاعدون، فإنه ما أراد به قومًا معينًا فهو كالنكرة أو بدل، ومن قرأ منصوبا فهو حال أو استثناء، نزلت أولاً "لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله" إلخ فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ثم سرى عنه فقرأ: "لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر"[2][*] **﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾** يعنى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الحرب من غير عذر **﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ﴾** غير أولى الضرر صرح به ابن عباس والحديث الصحيح يدل عليه **﴿دَرَجَةً﴾** الجملة موضحة، لما نفى الاستواء فيه ونصب درجة بنزع الخافض أي: بدرجة عظيمة تندرج تحت الدرجات أو على المصدر، لأنه تضمن معنى

---

(١) رواه الحافظ وفى البخارى بعض منه/ ١٢ وجيز.[ذكره الحافظ في "الفتح" (١٠٧/٨) وابن كثير في "تفسيره" (٥٤٠/١) وعزاه للبزار من طريق: حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... فذكر القصة. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٧/٣) وعزاه للبزار والدارقطني والطبراني.]

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله﴾ (٤٥٩٤) ومسلم في "الإمارة"/ باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين (٥٦١/٤) ط الشعب.

التفضيل ﴿وَكُلاًّ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى(١)﴾ الجنة والجزاء الجزيل ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ(٢) عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ بمعنى آجرهم أجرًا عظيمًا ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ كل واحد بدل من "أجرًا" كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالا وتفصيلاً قيل: الدرجة: ارتفاع مترلتهم عند الله، والدرجات: منازلهم في الجنة، وقال بعض المفسرين: القاعدون الأول هم الأضراء خلاف ما صرحناه فإنهم أفضل بدرجة واحدة؛ لأن لهم نية بلا عمل ولهم نية وعمل، والقاعدون الثاني: هم غير أولي الضرر فإن بينهم درجات كثيرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لما فرط عنهم ﴿رَّحِيماً﴾ بأن جعل نية المؤمن كعمله.

---

(١) وفى البخارى أن بالمدينة أقواما ما تسيرون من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، قالوا: كيف وهم بالمدينة؟! قال صلى الله عليه وسلم: حبسهم العذر/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "الجهاد"/ باب: من حبسه العذر عن الغزو (٢٨٣٩).]

(٢) واعلم أن الجهاد في الجملة فرض غير أنه ينقسم إلى فرض العين وفرض الكفاية، ففرض العين: أن يدخل الكفار دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم حرًا كان أو عبدًا غنيًا كان أو فقيرًا دفعًا عن أنفسهم وعن جيرانهم، وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض على الكفاية فإن لم يقع الكفاية بمن نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم، وإن وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الأبعدين على طريق الاختيار، ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء، ومن هذا القبيل أن يكون الكفار قادرين في بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلى سنته عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهاد معطلاً والاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عن الجهاد، ولكن لا يفترض، لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال: "وكلا وعد الله الحسنى" فلو كان فرضا على العين لاستحق القاعد العقاب لا الثواب/١٢ معالم التتريل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ يحتمل أن يكون ماضيًا ومضارعًا **﴿الْمَلائِكَةُ﴾** ملك الموت وأعوانه ولا يبعد أن يقال معناه: قتلهم الملائكة فإن الملائكة محاربون يوم بدر **﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾** حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وبالخروج مع المشركين **﴿قَالُوا﴾**: الملائكة، توبيخًا لهم **﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾** أي: في أي شيء كنتم من أمر الدين حيث ما هاجرتم وما أظهرتم دينكم **﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾** عاجزين من الخروج عن مكة إلى المدينة **﴿قَالُوا﴾**: الملائكة، تبكيتا لهم **﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا [1] فِيهَا﴾** إلى جانب وبلد آخر **﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾** لمساعدتهم الكفار وهو خبر إن و"قالوا فيم كنتم": حال بإضمار قد أو خبر بحذف العائد أي: قالوا لهم وحينئذ فأولئك عطف على الجملة قبلها مستنتجة منها **﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾** جهنم[2] نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام و لم يهاجروا وخرجوا مع

---

(١) إلى جانب وأرض يمكن لكم التمسك بالشرائع وإقامة الدين/ ١٢.

(٢) حاصل معنى الآية أن من مات على ترك الهجرة مع قدرته عليها وإقامته بين المشركين غير متمسك بالشرائع فهو في جهنم/ ١٢ وجيز.

المشركين فقتلوا يوم بدر ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ استثناء منقطع ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الصبيان أو المماليك وذكر الصبيان إن أراد المراهقين فظاهر وإلا فللمبالغة والإشارة إلى أن على القوم أن يهاجروا هم ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أسباب السفر من قوة أو مال حال عن المستضعفين أو صفة له إذ لا تعيين في الألف واللام ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ لا يعرفون طريقًا ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ هم وإن كانوا عاجزين لكن ربما تمكنوا من الهجرة وقتا ما بنوع ما و لم يدروا ولهذا أطمعهم في العفو وليعلم أن تلك الهجرة أمر خطير من شأنه أن لا يأمن المعذور فكيف بغيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُوراً وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً﴾ تمتعا يراغم به الأعداء، وعن كثير من السلف أن المراغم التحول من أرض إلى أرض وعن بعضهم متزحزحًا عما يكره ﴿وَسَعَةً[1]﴾ في الرزق أو من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثبت أجره عند الله نزلت في ضمرة بن جندب شيخ كبير مصاب البصر هاجر من مكة فمات في الطريق ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً[2]﴾ فبرحمته يجعل الناقص كالتام.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا

---

(١) كما ورد سافروا تغنموا رواه الطبراني/ ١٢ وجيز.[وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة".]

(٢) فبرحمته يكمل الناقص ولما أوجب السفر بالهجرة والجهاد وفى السفر مشقات ولهذا قيل: السفر قطعة من نار السقر خفف في صلاة السفر فقال: "وإذا ضربتم"/ ١٢ وجيز.

كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ
أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ
يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ
تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ
حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ
ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ
إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ سافرتم **﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** حرج **﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾** هذه العبارة تدل على جواز القصر لا على وجوبه، لكن أكثر السلف على وجوبه، وقال كثير منهم: هذه الآية في صلاة الخوف، فالمراد: أن تقصروا من جميع الصلوات بأن تجعلوها ركعة واحدة أو من كيفيتها لا من كميتها، والآية التي بعدها تبيين وتفصيل لها كما سنذكر، سئل ابن عمر رضى الله عنهما أنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافر؟ فقال ابن عمر: إنا وجدنا نبينا يعمل فعملنا به(*) وما يدل على ذلك كثير ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٥/١٥٥،١٥٦) من طريق: ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبد الله بن عمر .... فذكره. وذكره ابن كثير في "تفسيره" (١/٥٤٧) والسيوطي في "الدر المنثور" (٣/٢٧٣).

الخوف(*) صدره بهذه الآية وعلى هذا قوله ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن(١) يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شرط(٢) له لا باعتبار الغالب في ذلك الوقت ويعتبر ولا يعتبر مفهومه فإن الإجماع على

(*) الفتح (٤٩٧/٢).

(١) إن كان المراد من الآية صلاة الخوف فهذا شرط لا يجوز قصر الخوف بدون هذا، وإن كان المراد قصر السفر فهذا بيان واقع غالب أسفارهم ونظير ذلك وربائبكم اللاتى في حجوركم كما بينا، وفى مسلم: "سئل عمر إن شرط قصر الصلاة في القرآن الخوف وقد أمن؟ الناس فقال عمر: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما سألتم عنه فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته/ ١٢ وجيز.[أخرجه مسلم (٣٣٧/٢) ط الشعب.]

(٢) ظاهر الآية يدل على جواز القصر في مطلق السفر، وأن قليل السفر وكثيره سواء في حصول الرخصة، لأن قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة" جملة مركبة من شرط وجزاء الشرط هو الضرب في الأرض والجزاء هو جواز القصر، وإذا حصل الشرط وجب أن يترتب عليه الجزاء لا يقال فهذا يقتضى حصول الرخصة،عند انتقال الإنسان من محلة إلى محلة، ومن دار إلى دار؛ لأنا نقول الانتقال من محلة إلى محلة لا يسمى ضربا في الأرض لا شرعا ولا عرفا، وأن قوله تعالى:"وإذا ضربتم في الأرض" يدل على جعل الضرب في الأرض شرطا لحصول هذه الرخصة فلو كان الضرب في الأرض اسما لمطلق الانتقال لكان ذلك حاصلاً دائمًا امتنع جعله شرطًا لثبوت هذا الحكم، فلما جعل الله الضرب شرطًا لثبوت هذا الحكم علمنا أنه مغاير لمطلق الانتقال، وذلك هو الذى يسمى سفرًا، ومعلوم أن اسم السفر واقع على القريب والبعيد فعلمنا دلالة الآية على حصول الرخصة في مطلق السفر وأيضًا اضطراب أقوال الفقهاء في ذلك يدل على أنهم لم يجدوا في المسألة دليلاً قويًا في تقدير المدة، إذ لو حصل في المسألة دليل ظاهر الدلالة لما حصل هذا الإضطراب، وأما سكوت سائر الصحابة عن حكم هذه المسألة فلعله إنما كان لأنهم اعتقدوا أن هذه الآية دالة على ارتباط الحكم بمطلق السفر، فكان هذا الحكم ثابتًا في مطلق السفر بحكم هذه الآية، وإذا =

جواز القصر في السفر من غير خوف ﴿إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُواً مُّبِيناً وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ أيها الرسول، علمه طريق صلاة الخوف ليقتدى الأئمة بعده به[1] عليه

= كان الحكم مذكورًا في نص القرآن لم يكن بهم حاجة إلى الاجتهاد والاستنباط، فلهذا سكتوا عن هذه المسألة وأيضًا السفر واقعة تعم الحاجة على معرفة حكمها، لأن الحاجة إليها عامة لأن أكثر الصحابة كانوا في أكثر الأوقات في السفر وفى الغزو، فلو كانت رخص السفر مخصوصة بسفر مقدر كانت الحاجة إلى مقدار السفر المقيد للرخص حاجة عامة في حق المكلفين ولو كان الأمر كذلك لعرفوها ولنقلوها نقلاً متواترًا لاسيما وهو على خلاف ظاهر القرآن وأيضًا دلائل الشافعية ودلائل الحنفية صارت متقابلة متدافعة، وإذا تعارضت تساقطت فوجب الرجوع إلى ظاهر القرآن والله أعلم/ ١٢.

وفى معالم التنزيل اختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة: يجوز القصر في السفر الطويل والقصير روى ذلك عن أنس وقال عمر بن دينار: قال لى جابر بن زيد: أقصر بعرفة، أما عامة الفقهاء فلا يجوزون القصر في السفر القصير، واختلفوا في حد ما يجوز به القصر فقال الأوزاعى: مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد وهى ستة عشر فرسخًا، وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق ولكن قول الحسن والزهرى قريب من ذلك قالا: مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعى قال: مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع: ستة أربعون ميلاً بالهاشمى، وفى الكبير قال مالك والشافعى: أربعة برد كل بريد أربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة أميال بأميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قدر أميال البادية كل ميل اثنا عشر ألف قدم وهى أربعة آلاف خطوة فإن كل ثلاثة أقدام خطوة/ ١٢.

(١) فلا يدل على عدم جوازه إذا لم يكن هو صلى الله عليه وسلم فيهم وعند من يقول: قوله :"إذا ضربتم" الآية في صلاة السفر فقد تم وقوله "وإذا كنت فيهم" شروع في بيان صلاة الخوف/ ١٢.

الصلاة والسلام ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ أي: اجعلهم طائفتين فلتقم أحداهما معك فصل بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي: الباقون وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم أو المصلون حزمًا ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المصلون ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: غير المصلين ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ أي الذين كانوا من ورائهم يحرسوهم ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا[1]﴾ أي: الذين صلوا قبل أو الذين أتوا ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فجمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ روى في طريق صلاة الخوف ستة أوجه أو سبعة، وأنا أذكر بعضها.

أحدها: أن يجعلهم صفين[2] ويصلى بهما إلى أن يرفعا رأسهما من الركوع سجد وسجد الصف الأول والصف الآخير قيام يحرسوهم فلما قام الصف الأول إلى الركعة الثانية سجد الصف الثانى، ثم يقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وهؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع وركعوا جميعًا ورفعوا من الركوع ثم سجد وسجد الصف الذى يليه والآخر قيام يحرس فلما جلسوا سجد الصف الثانى وتشهد الكل وسلموا.

---

(١) وظاهر القرآن أن الضمير للمصلين المقتدين فإنهم مظنة طرح السلاح للصلاة/ ١٢.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وهذه صلاته بعسفان، وهذه مذكورة أيضًا في البخارى بعبارة أخصر من ذلك، وظاهر القرآن كثير الملائمة مع تلك الطريقة/ ١٢ منه.

وفى الفتح: وقد وردت صلاة الخوف في السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزية من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به، ومن ذهب من العلماء إلى اختيار صفة دون غيرها فقد أبعد عن الصواب/ ١٢.[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١٠٩٦) من حديث أبي عياش الزرقي –رضي الله عنه-]

والثانية: أن يصلى بالطائفة الأولى ركعة وينتظر قائمًا حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلى المصاف، وتأتى الأخرى فيتم به الركعة الثانية وينتظرهم قاعدًا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم(*).

والثالثة: قال جابر عن عبد الله الركعتان في السفر تمام إنما القصر واحدة عند القتال، وهو أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام صف قبله وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا مقام أصحابهم وجاء أولئك حتى قاموا خلفه مقام هؤلاء، فصلى بهم ركعة وسجدتين، ثم سلم وسلموا فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم ركعتين ولهم ركعة ركعة(**) وهذا الطريق مروى عن كثير من الصحابة بروايات متعددة صحيحة.

والرابعة: أن يصلى بكل من الطائفتين ركعتين فيكون للإمام أربع ركعات وللمأمومين ركعتان• ﴿**وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً**﴾ بالقتال فلا تغفلوا عنها ﴿**وَلاَ جُنَاحَ**﴾ لا وزر ﴿**عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ**﴾ هذا يدل على أن الأمر بأخذ السلاح للوجوب، وهو قول بعض العلماء، وأكثرهم على أنه سنة مؤكدة ﴿**وَخُذُوا**

(*) أخرجه البخاري في "المغازي"/ باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٢٩) ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث صالح بن خوات -رحمه الله- وهو تابعي ثقة ليس له في البخاري إلا هذا الحديث الواحد. (محققه)

(**) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٦٣/٢) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٥٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٤/٢) وقال ابن كثير: ورواه النسائي من حديث شعبة ولهذا الحديث طرق عن جابر رواه جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد.

(•) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"/ باب: من علق سيفه بالشجر في السفر عن القائلة (٢٩١٠) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "صلاة الخوف" (٤٩٣/٢) ط الشعب. من حديث جابر -رضي الله عنه-.

حِذْرَكُمْ﴾ أي: لا بد من التيقظ وعدم الغفلة في أي صفة وحال كنتم **﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾** وعد للمؤمنين بالنصر وإشارة على أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم، بل لأن الواجب في الأمور التيقظ **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ﴾** فرغتم من صلاة الخوف **﴿فَاذْكُرُوا**[1] **اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾** أي: في سائر أحوالكم وكثرة الذكر عقب صلاة الخوف آكد لما فيها من التخفيف ومن الرخصة في الذهاب والإياب، وغيرها قيل: معناه إذا أردتم الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيف ما أمكن **﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾** سكنت جاشكم من الخوف **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾** عدلوا أركانها واحفظوا شرائطها **﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾** مفروضًا محدودًا أو منجما كلما مضى وقت جاء وقت **﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾** في طلب قتال الكفار **﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾** من الحرج **﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾** فضرر القتال لا يختص بكم **﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾** ولكم هذا المزيد رجاء المثوبة والنصر والتأييد، فينبغي أن تكونوا أصبر على الحرب وأرغب **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾** بضمائركم **﴿حَكِيماً﴾** فيما حكم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا

---

(١) والمعنى: ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله والتضرع إليه، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه، أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح.[أخرج البخاري معلقا (٢/١٣٥-الفتح) ووصله مسلم (١/٦٧٤) ط الشعب.]

أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ**[١] **بِالحَقِّ**﴾ في الحكم لا بالتعدى فيه ﴿**لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ بما عرفك وأوحى به إليك نزلت[٢] في طعمة بن أبيرق سرق درعًا فجاء صاحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن طعمة سرق درعى فلما رأى السارق ذلك ألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته: إني ألقيتها في بيت فلان فانطلقوا ليلاً إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إن صاحبنا برىء وسارقها فلان فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذره وقيل: هم أن يبرئه فنزلت ﴿**وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ**﴾ لأجلهم ﴿**خَصِيماً**[٣]﴾ للبراء

---

(١) ولما أمر ونهى ووعد ونصح ووعظ في أمور الدنيا والدين عقب بتلك الآية المحكمة تعليمًا وتقوية لعضد نبيه فقال "إنا أنزلنا إليك الكتاب"الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) روى الترمذى وغيره/ ١٢ وجيز. [من حديث قتادة بن النعمان وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٢٤٣٢).]

(٣) وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق/ ١٢ فتح.

﴿وَاسْتَغْفِرِ[1] اللَّهَ﴾ من موافقتهم في نسبة السرقة إلى البرىء أو من ذلك الهم والقصد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ لمن استغفر ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونوها بالمعصية، لأن الضرر راجع إليهم أي: لا تجادل عن كل من خان[2]﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ[3] مَن كَانَ خَوَّاناً﴾ مبالغًا في الخيانة ﴿أَثِيماً﴾ منهمكًا في الإثم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ يسترون سرقتهم ﴿وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو أحق أن يستحي ويخاف ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء فطريق إخفاء شيء عنه عدم فعله ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون وأصله أن يكون[4] بالليل ﴿مَا لاَ يَرْضَى﴾ الله ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ رمى البرىء وشهادة الزور ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ فيجازيهم. ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ خاصمتم عن طعمة وقومه. جملة هى مبينة لوقوع أولاء خبرًا، أو صلته عند من يقول: إنه موصول ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا أخذهم بعذابه ﴿أَم مَّن[5] يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾

---

(١) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار قال ابن جرير إن المعنى: استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين، وقيل: واستغفر الله للمذنبين من أمتك والمخاصمين بالباطل والأول أرجح/ ١٢ فتح.

(٢) فسره بقوله: أي لا تجادل عن كل من خان ليعلم أن جميع الخائنين داخل في الحكم والنهى الثانى عام لا يختص بقصة دون قصة فلا تكرار/ ١٢ منه.

(٣) فلا تكن ظهيرًا لمن لا يحبه/ ١٢ منه.

(٤) فإن التبييت تدبير وتزوير وقع في الليل، ثم استعمل في التزوير أعم من أن يكون ليلاً أو نهارًا/ ١٢ منه.

(٥) وأم في مثل هذه المواقع أعنى إذا وقع بعدها اسم استفهام يكون بمعنى بل لا منقطعة بمعنى بل والهمزة؛ ولا متصلة قاله العلامة التفتازانى/١٢ وجيز.

فيروج دعواهم ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً﴾ يسوء به غيره[1] أو صغيرة أو إثما دون الشـــرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بما لا يتعداه أو بكبيرة أو بالشرك ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِـدِ اللّـهَ غَفُوراً[2] رَّحِيماً﴾ فيه عرض التوبة على طعمة لكن كما قيل: ما تاب بل ارتد ﴿وَمَـن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ولا يتعدى ضرره إلى غيره، لا تـــزر وازرة وزر أخرى ﴿وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ فمن علمه وحكمته أنه لا يأخذ أحدًا بذنب آخر ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة، أو ذنبًا بينه وبين الله ﴿أَوْ إِثْماً﴾ كبيرة، أو مـــا بينه وبين الناس ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ بأحدهما ﴿بَرِيئاً﴾ كما رمي طعمة ﴿فَقَـدِ[3] احْتَمَـلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ برمى البرىء وتتريه الخاطئ.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن

---

(١) كالحلف الكاذب/ ١٢ وجيز.

(٢) الظاهر تعليق الغفران والرحمة للعاصى على مجـــرد الاســتغفار إلا أن يقـــال: المـــراد من الاستغفار التوبة وفى لفظ: "يجد الله" مبالغة في الغفـــران كأنـــه معـــد لطالبـــه مهيأ لـــه متى طلبه وجده، وفيه لطف عظيم، ووعـــد كـــريم للعصـــاة، عـــن ابـــن مسعود أنها من أرجى آيات، لكن ما استغفر طعمة بـــل ارتـــد هكـــذا نقـــل/ ١٢ وجيز.

(٣) في الافتعال معنى التسبب فهو أبلغ من حمله/ ١٢ وجيز.

يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإعلام ما وقع منهم ﴿لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق، وليس المراد نفى همهم بل المراد أن من فضل الله عدم تأثيرهم فيك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن الله عصمك وهم ارتكبوا خطايا ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ شيئا من الضر فإن الله عاصمك من الناس ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ قبل نزول ذلك من خفيات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ فإنه لا فضل أعلى من النبوة ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ النجوى سر بين اثنين ﴿إِلاَّ﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ هو كل ما يستحسنه الشرع ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ خصه لشرفه، والاستثناء بدل من كثير وقيل: منقطع أي: لكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير ﴿وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: الأمر بالصدقة ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: مخلصا محتسبا ثوابه عند الله ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ فإن من فعل خيرًا رياءً لم يستحق جزاءً أصلا، لأن كل جزاء من الله عظيم في جنب أغراض الدنيا وقيل: قوله "ذلك إشارة إلى الصدقة والمعروف والإصلاح، لا إلى الأمر بها فالأول حكم الدال على الخير، والثاني حكم فاعله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له الحق بوقوفه على المعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ[1]﴾ غير

---

(١) ولا حجة في الآية على حجية الإجماع، لأن المراد بغير سبيل المؤمنين هنا هو الخروج من دين الإسلام إلى غيره كما يفيده اللفظ ويشهد به السبب، فلا يصدق على عالم اجتهد في بعض المسائل فأداه اجتهاده إلى مخالفة من بعصره من المجتهدين فإنه إنما رام السلوك في سبيل المؤمنين وهو الدين القويم والملة الحنيفية ولم يتبع غير سبيلهم/ ١٢ فتح.

طريقهم ﴿نُوَلِّه مَا تَوَلَّى﴾ ندعه وما اختار ونزينه له وقيل نكله في الآخرة لما تولى وأعرض في الدنيا ﴿وَنُصْلِه جَهَنَّمَ﴾ ندخله فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ جهنم نزلت في طعمة حين حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يده فهرب إلى مكة مرتدًا وخالف(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا
(١١٧) لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ
وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ
وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ
عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا (١٢٢)
لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)﴾

---

(١) ذكره محيي السنة والواحدي/١٢ وجيز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لمن لقيه مشركا ﴿وَيَغْفِرُ[1] مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ غفرانه ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ فإنه أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الثواب قيل: نزلت في طعمة أيضًا فإنه مات مشركًا، أو في شيخ جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئًا، و لم أوقع المعاصى جرأة على الله وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربًا، وإني لنادم تائب مستغفر، فما حالي؟ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن[2] دُونِهِ﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿إِلاَّ[3] إِنَاثاً﴾ اللات والعزى ومناة، لأن لكل حي صنمًا يسمونه أنثى بني فلان، أو لأن مع كل صنم جنية، أو لأن الإناث كل شيء ميت لا روح فيه من شجر أو حجر، أو المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ المريد المارد: الخارج بالكلية عن طاعة الله، فإنه أمرهم بعبادها فعلى الحقيقة هم يعبدونه ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته صفة ثانية للشيطان ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ لأن أغويهم وأضلهم ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ معينًا معلومًا عطف على لعنه الله، أي: يعبدون شيطانا ماردًا مطرودًا عدوًا لكم غاية العداوة ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الصواب ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ إدراك الآخرة مع المعاصى وطول الحياة، يأمرهم بالتسويف والتأخير أو أنه لا جنة ولا نار ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ يشقوها ويجعلون ركوب تلك الأنعام حرامًا ويسموها بحائر: ما يجيء في المائدة وهو إشارة إلى تحريم كل حلال

---

(١) أما المظالم فإن أراد الله غفرانه ألقى في قلب مظلومه عفوه وهو الله سبحانه يغفره كما ورد في الأحاديث/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: ما يعبدون من دون الله تعالى ومن عبد شيئًا دعاه عند حوائجه أي: ما يدعون أحدا/ ١٢ وجيز.

(٣) قال الراغب: لما كانت الأصنام أشياء منفعلة غير فاعلة بكتهم الله تعالى أنهم مع كونهم فاعلين من وجه ما يعبدون إلا منفعلا من كل وجه/ ١٢ وجيز.

﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ[(١)] خَلْقَ اللَّهِ﴾ هو الخصاء[(٢)] أو الوشم أو دين الله ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِياً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فيطيعه ولا يطيع الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾ إذ ضيع بالكلية رأس ماله وباع الجنة بالدنيا ﴿يَعِدُهُمْ﴾ ولا ينجز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا يدركون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ هو إيهام النفع فيما فيه الضرر ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ﴾ مرجعهم ﴿جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾ معدلا ومهربًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تحت

---

(١) صورة وصفة ويندرج فيه فقأ عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) كالخصاء والوشم وغيرهما والخصاء من الشيطان في كل شيء من آدمى وغيره صرح بذلك عظماء السلف/ ١٢ وجيز.

وفى الكبير: ولهذا كان أنس يكره إخصاء الغنم، وفى الفتح: ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور حملاً شموليًا أو بدليًا، وقد رخص طائفة من العلماء في خصى البهائم إذا قصد بذلك زيادة الانتفاع به سمن أو غيره، وكره ذلك آخرون، وأما خصى بنى آدم فحرام بلا اختلاف: أخرج ابن أبى شيبة والبيهقى "عن ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خصى البهائم والخيل" [أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢٢٥/١٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠)، وقال البيهقي: والصحيح الموقوف. وعبد الله بن نافع فيه ضعف يليق به رفع الموقوفات. والله أعلم. وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف.]، وأخرج ابن المنذر والبيهقى "عن ابن عباس رضى الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الروح وإخصاء البهائم" [أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٢٤/١٠) وذكره الهيثمي في "الجمع" (٣٦٥/٥) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.]، وفى معالم التنزيل فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى جرم بعضهم الخصاء وجوز بعضهم في البهائم لأن فيه غرضا ظاهرًا/ ١٢.

غرفها وأشجارها ﴿الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً﴾ مصـــــــدران الأول مؤكـــد لنفســـه، والثاني لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ جملة مؤكدة مقابلــــة لمواعيد الشيطان ﴿لَيْسَ[(١)] بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ أي: ليس الدين بالتمنى نزلت في المسلمين واليهود حين افتخروا فقال اليهود: نبينا وكتابنا قبل ونحن أولى منكم بالله، وقال المسلمون: نحن أولى نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على جميـــع الكتـــب، وقال مجاهد قالت العرب: أي: المشركون لن نبعث ولن نعــــذب، وقـــالت اليــــهود والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى فترلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُـــــوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ ما في الدنيا أو في الآخرة، وقد صح المصائب[(٢)] والأمراض في الدنيا جــــزاء ﴿وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِياًّ وَلاَ نَصِيراً[(٣)]﴾ يواليه وينصره من عذاب الله ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ من للبيان حال من ضمير يعمـــل وليـــس

(١) ولما بين أن الشيطان يعدهم ويمنيهم، ومن أمنيته المشركين: أن لا عذاب ولا حســـاب ومن أمنيته أهل الكتاب: أنهم أحباء الله تعالى آيسهم عن كواذب تمنيتهم فقال: "ليـــس بأمانيكم"/ ١٢ وجيز.

(٢) لما نزلت قال الصديق: ما أشد هذه الآية جاءت قاصمة الظهر فقال صلـــى الله عليـــه وسلم: "إنما هى المصيبات في الدنيا" رواه الترمذى وأحمد وابن حبان/ ١٢ وجيز.[هـــذا لفظ ابن جرير في "تفسيره" كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٠٢/٢) وليس لفـــظ الترمذي وأحمد وابن حبان.]

(٣) قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرًا ينصره، فإن قلنا: إن هذه الآية خاصة في حـــق الكفار فتأويلها ظاهر، وإن قلنا: إنها في حق كل عامل سوء مسلم وكافر، فإنــه لا ولى لأحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر، فالمؤمنون لا ولى لهـــم غـــير الله، وشـــفاعة الشافعين تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحدًا من الله/ ١٢لباب التأويل للشيخ عـــلاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن/ ١٢/ وشفاعة الأنبياء والملائكة في حق العصـــاة إنما تكون بإذن الله وإذا كان كذلك فلا ولي لأحد إلا الله سبحانه وتعالى/ ١٢ كبير.

للابتداء ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط للجزاء المرتب ﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ مقدار النقير، وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر بأن ينقص من فضله على المطيع وهو أرحم الراحمين فمعلوم أنه لا يزيد[١] في عقاب العاصي ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخلص العمل لربه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ[٢]﴾ تابع للشرع في علمه أو

---

(١) لأن ثواب المطيع في الآخرة ليس إلا فضل موعود وجعل نقصان فضله بكمال رحمته ظلمًا، فكيف يجوز أن يزيد عقاب العاصي من قدر الجزاء ولما كشف زورهم وبين فجورهم أخذ في كذب زعمهم فقال: "ومن أحسن"/ ١٢ وجيز.

(٢) اعلم أن دين الإسلام مبنى على أمرين: الاعتقاد والعمل.

أما الاعتقاد فإليه الإشارة بقوله: "أسلم وجهه" ذلك لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع والوجه أحسن أعضاء الإنسان فالإنسان إذا عرف بقلبه ربه وأقر بربوبيته وبعبودية نفسه فقد أسلم وجهه لله.

وأما العمل فإليه الإشارة بقوله: "وهو محسن" فيدخل فيه الحسنات وترك السيئات فتأمل في هذه اللفظة المختصرة واحتوائها على جميع المقاصد والأغراض وأيضًا فقوله: "أسلم وجهه لله" يفيد الحصر معناه أنه أسلم نفسه لله، وما أسلم لغير الله، وهذا تنبيه على أن كمال الإيمان لا يحصل إلا عند تفويض جميع الأمور إلى الخالق وإظهار التبرى من الحول والقوة، وأيضًا ففيه تنبيه على فساد طريقة من استعان بغير الله، فإن المشركين كانوا يستعينون بالأصنام ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والدهرية والطبيعيون يستعينون بالأفلاك والكواكب والطبائع وغيرها، واليهود كانوا يقولون في دفع عذاب الآخرة عنهم أنهم من أولاد الأنبياء والنصارى كانوا يقولون: ثالث ثلاثة، فجميع الفرق قد استعانوا بغير الله، وأما المعتزلة فهم في الحقيقة ما أسلمت وجوههم لله يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من أنفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم، ولا يخافون إلا أنفسهم، وأما أهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والخلق إلى الحق سبحانه انقطع نظرهم عن كل شيء سوى الله/ ١٢ كبير.

أخلص نفسه له لا يعرف لها ربًا سواه ثم يعمل الحسنات ويترك السيئات أو خضع في عبادته وهو موحد **﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾** الموافقة لدين الإسلام **﴿حَنِيفاً﴾** مائلا عن سائر الأديان حال من إبراهيم، أو من فاعل اتبع، أو من ملة **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾** صفيا خالصا ليس في محبته خلل، روى أنه لما نزلت ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب آلخ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء فنزلت "ومن يعمل من الصالحات" "ومن أحسن دينا" آلخ فتبجح[1] به المسلمون **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** خلقًا وملكًا **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ[2] مُّحِيطاً﴾** بعلمه وقدرته فيجازيهم على الخير والشر.

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ

---

(١) بجحته فتبجح أي: فرحته ففرح/ ١٢ صراح.

(٢) بالعلم والقدرة فلا يفوت منه شيء ويجازيهم، ولما ذكر أنهم يعبدون إناثا ويجعلون لما يعبدون نصيبًا من أموالهم إذعانا لأمر الشيطان المريد الملعون الذى هو في غاية عداوتهم ويقولون: ميراثنا ليس إلا للذكور الذين هم حامو بيضتنا، لا للإناث الضعفاء، فتكرر من بعض الصحابة سؤال ميراث الإناث اللاتى هن أحق بالإعانة والشفقة والمال ليس إلا لمن له ما في السماوات والأرض وقد فرض لهن فريضة بينها وشرحها مع طريق معاشرتهن، ثم أعاد لتكرر سؤالهم فقال: "ويستفتونك"/ ١٢.

ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن
تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩
وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ
وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ١٣٢ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤ ۞﴾

﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ**﴾ في طريق المعاشرة مع اليتامى، نزلت في كل من عنده يتيمة هو وليها ووارثها فيرغب في نكاحها إن كانت جميلة ويأكل مالها، وإن كانت دميمة يعضلها حتى تموت فيأخذ ميراثها، أو في ميراث بنات أم كجّة من أبيهن فإن العرب كانت لا تورث النساء والصبيان وحينئذ معناه في ميراث النساء ﴿**قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ الإفتاء تبيين المبهم ﴿**وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ**﴾ عطف على لفظ الله أو على الضمير في يفتيكم والإفتاء مسند إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى" إلخ أو من قوله: "يوصيكم الله في أولادكم" إلخ على ما ذكرنا من اختلاف سبب النزول على طريقة قولهم: أغناني زيد وكرمه ﴿**فِي يَتَامَى النِّسَاءِ**﴾ صلة يتلى أو بدل من فيهن والإضافة بمعنى من ﴿**اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ**﴾ من صداقهن أو ميراثهن ﴿**وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ**﴾ أي: عن أن تنكحوهن لدمامتهن فنهاهم الله عن عضلهن طمعا في ميراثهن، كما ذكرنا في قوله: "وإن خفتم

ألا تقسطوا" إلخ أو معناه: ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن ومالهن ولا تعطون صداقهن وتأكلون مالهن ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء، فإن العرب لا يورثونهم كما لا يورثون البنات ﴿و أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: العدل عطف على يتامى النساء أيضًا أي: يفتيكم في أن تقوموا أو منصوب بإضمار فعل أي: ويأمركم أن تقوموا، أو عطف على فيهن بإضمار في ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾ فما ينساه ويجزيكم ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره قوله ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ علمت منه ﴿نُشُوزاً﴾ تجافيا عنها ومنعا لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضاً﴾ بأن يقل مجالستها ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة والزوج ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً﴾ بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو النفقة، وصلحا مصدر، وبينهما مفعول به ومن قرأ: يصالحا فمعناه: يتصالحا ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ يعنى أن النفس مطبوعة على البخل لا يغيب عنها، فلا تكاد المرأة تسمح بحط شيء من مهرها وقسمها ولا الزوج يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها إذا لم يردها، وهو وقوله: "الصلح خير" اعتراض للترغيب في المصالحة وتمهيد العذر في المماكسة ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز ونقص الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان ﴿خَبِيراً﴾ فيثيبكم ﴿وَلَن(١) تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي تساووا بينهن من جميع الوجوه فإنه لا بد من التفاوت في

---

(١) ولهذا كان يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "اللهم هذا قسمى في ما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك"، رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن المنذر عن عائشة وإسناده صحيح [وضعفه الشيخ الألباني في "الإرواء (٢٠١٨)"]. قال ابن مسعود: العدل بين النساء الجماع، وقال الحسن الحب وكذا المحادثة والمجالسة والنظر إليهن والتمتع/ ١٢ فتح.

المحبة والشهوة والجماع ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل ﴿فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى واحدة منهن فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: الواحدة الأخرى كالتي ليست بذات بعل ولا مطلقة ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل الجور فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ يغفر لكم ما كان من ميل إلى واحدة ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ بالطلاق و لم يصلحا بينهما ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ﴾ منهما عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِ[1]﴾ فضله الواسع وقدرته ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً﴾ واسع[2]

---

(١) قال الحسن بن على رأيت الله تعالى علق الغنى بأمرين فقال: "وأنكحوا الأيامى" الآية (النور:٣٢)، وقال: "وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته"/ ١٢ وجيز.

(٢) وجملة حكم الآية أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهن في القسم، فإن ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة، أما في الجماع فلا لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه ولو كانت في نكاحه حرة وأمة، فإنه يبيت عند الحرة ليلتين وعند الأمة ليلة واحدة، وإذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بأن يبت عندها سبع ليال على التوالى إن كانت بكرًا وإن كانت ثيبا فثلاث ليال، ثم يسوى بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالى للقديمات، عن أنس رضى الله عنه قال: من السنة إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا ثم قسم، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ثم قسم، قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنسا رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وإذا أراد الرجل سفر حاجة فيجوز له أن يحمل بعض نسائه مع نفسه بعد أن يقرع بينهن فيه، ثم لا يجب عليه أن يقضى للباقيات مدة سفره وإن طالت إذا لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين، والدليل عليه: ما روى عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها"، أما إذا أراد سفر نفلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة ولا بغيرها/ ١٢ معالم.

الفضل ﴿حَكِيماً﴾ فيما حكم وأمر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ فله السعة وكمال القدرة ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بأوتوا أو بوصينا ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على الذين ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بتقوى الله وجاز أن يكون أن مفسرة، فإن التوصية في معنى القول ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ أي: وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ مالك الملك كله لا يضره كفركم كما لا ينفعه شكركم فما الوصية إلا لحاجتكم وصلاحكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِياًّ﴾ عن الخلق ﴿حَمِيداً﴾ في ذاته حمد أو لم يحمد ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى[1] بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ فتوكلوا عليه فكأنه قال له ما في السماوات وما في الأرض فاقبلوا وصيته وله ذلك فهو الغنى فاسألوا الله وله ذلك فاتخذوه وكيلاً لا غيره ﴿إِن يَشَأْ﴾ إذهابكم ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ يفينكم ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ يوجد قومًا آخرين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ الإعدام والايجاد ﴿قَدِيراً﴾ بليغ القدرة وهذا تقرير لغناه وتهديد لمن كفر ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ[2] ثَوَابَ

---

(١) فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله تعالى: "لله ما في السماوات وما في الأرض" قيل: لكل واحد منها وجه أما الأول: فمعناه لله ما في السموات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى، فاقبلوا وصيته.
وأما الثانى فيقول: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكفى غنيا أي: هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون.
وأما الثالث: فيقول: ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً أي له الملك فاتخذوه وكيلاً ولا تتوكلوا على غيره/ ١٢ معالم.

(٢) يعنى من كان يريد بعمله عرضًا من الدنيا نزلت في مشركى العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الله تعالى خالقهم ولايقرون بالبعث ليوم القيامة، وكانوا يتوبون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها/ ١٢.

الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، أو معناه فيعطيه ما يريد وليس له في الآخرة من نصيب **﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾** فلا يخفى عليه خافية ويجازى بحسب قصده.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ
ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟
ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا (١٣٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟
ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا (١٣٧)
بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ
فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن
يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مواظبين على العدل لا تعدلوا عنه يمينًا ولا شمالاً ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله ﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ أي[1]: ولوعاد ضررها على نفسك أو عليهم أو تقول[2] الإقرار شهادة على نفسه ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ أي: بالغنى والفقير منكم فكلوا أمرهما إليه فلا ترحم فقره ولا ترهب غناه، وضمير التثنية لما دل عليه المذكور وهو جنس الغنى والفقير لا إليه وإلا لوحد[3] ﴿فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا﴾ أي: لأن تعدلوا عن الحق ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ أي: تحرفوا الشهادة وتغيروها ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ فيجازيكم عليه ﴿يَا أَيُّهَا[4] الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين كلهم أو لمؤمنى أهل الكتاب حين قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه، أو خطاب لليهود والنصارى ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ اثبتوا عليه أو آمنوا بمحمد كما آمنتم بموسى وعيسى ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن

---

(١) ابتدأ بنفسه، لأنه لا شيء على الإنسان أعز من نفسه، ثم ذكر الوالدين لأنهما أقرب إليه، وسبب نشأته، والأقربين فإنهم مظنة التعصب، وإذا كان الأمر فيهم القسط فالأجنبي أحرى بذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) قوله: أو نقول يعني الشهادة على الوالدين والأقربين أن يقول: أشهد أن لفلان على والدي أو على أقاربي كذا وأما الشهادة على نفسه فهي الإقرار لأنه في معنى الشهادة، والوجه الأول أن يشهد من يتوقع ضرره من ظالم/ ١٢ منه.

(٣) يعني الظاهر أن يقال: أولى به، لأن المرجع به مذكور بأو لكن ثنى الضمير لإرجاعه إلى المدلول لا إلى المذكور/ ١٢ منه.

(٤) ولما أمر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله أمرهم بالرسوخ في الإيمان فإنه لا يأتمر بالأمر إلا الراسخ فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿قَبْلُ﴾ يعني جنس الكتاب لا بكتاب دون كتاب ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي: بشئ من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود على سواء السبيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوراة ﴿ثُمَّ[1] كَفَرُوا﴾ بها بعبادة العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بها بعد عود موسى إليهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام واستمروا عليه حتى ماتوا ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ طريقا إلى الهدى، ولا فرجا ولا مخرجا، فإن الكافر إذا أسلم يغفر الله كفره السابق، لكن من تقرر منه الإيمان والكفر ثم استمر على الكفر لا يغفر الله كفره اللاحق والسابق.

أو نزلت في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا مرارًا لا في اليهود فقيل معناه: من تكرر منه الإيمان فالكفر لا يغفر الله له لاستبعاد التوبة منه، لأن قلوبهم طبعت على الباطل فلا يثبت على الحق، وعن علي رضى الله عنه يقتل ولا يقبل توبته ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ من باب[2] التهكم ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ فإنهم أيضًا آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن مرارًا، ثم استمروا بالإصرار على النفاق ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مرفوع أو منصوب بالذم ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ العِزَّةَ﴾ والغلبة على المسلمين أو يتعززون بموالاتهم ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ[3] جَمِيعاً﴾ أي: له القوة والغلبة لا يعز إلا من أعزه

---

(١) الظاهر أنه في شأن المنافقين فإنهم في أوائل البعث والنبوة كانوا مذبذبين ثم اتفقوا على الباطل ورسخوا في كفرهم، ويدل على ما قلنا قوله في عقبه: "بشر المنافقين" والمراد في قوله: "ولا ليهديهم سبيلا" لا يوفقهم على سلوك سبيل الحق لرسوخ قدمهم في الباطل فلا يتوبون/ ١٢ وجيز.

(٢) عند من لا تكون البشارة إلا في السرور/ ١٢.

(٣) والفاء لما في الكلام من معنى الشرط، أي: إن تبتغوا العزة من هؤلاء فإن العزة لله جميعًا ونصب جميع على الحال/ ١٢ وجيز.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ﴾ في القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الآيات ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع من يكفر ويستهزئ ﴿حَتَّى[1] يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الاستهزاء، وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله "وإذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا" الآية (الأنعام:٦٨)، ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ﴾ في الكفر إن رضيتم بذلك، أو في الإثم فإنكم قادرون على الإعراض والإنكار، وقيل: هى منسوخة بقوله: وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء إلخ ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم، بدل من الذين أو مبتدأ وخبره ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ ففى الدين والنصرة فأسهموا لنا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر فإن الحرب سجال ﴿قَالُوا﴾ للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فما فعلنا شيئًا من ذلك ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن ثبطناهم عنكم بتخييلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم، أو معناه نصرفكم عن الدخول في جملتهم، فإن

---

(١) قال الضحاك عن ابن عباس دخل في الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، نقله محى السنة وفى الفتح: والآية بعموم اللفظ دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع لكثير من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة، ولم يبق في أيديهم سوى قال إمام مذهبنا كذا أو قال فلان من أتباعه بكذا وإذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوى سخروا منه ولم يرفعوا إلى ما قاله رأسًا ولا بالوا به بالة وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع وخطب شنيع وخالف مذهب إمامهم الذى نزلوه منزلة معلم الشرائع بل بالغوا وجعلوا رأيه مقدما على كتاب الله وسنة رسوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون/ ١٢ فتح.

المنافقين حذروا الكافرين ومنعوا الإسلام ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما يعلمه منكم من البواطن ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ حجة في الآخرة أو ظهور أو استيلاء كليًّا في الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ
يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ
لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن
تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾
مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا
يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن
تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بزعمهم الباطل كما يحلفون يوم القيامة أنهم على الاستقامة ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يجازيهم على خداعهم أو يعاملهم معاملة المخادع في الدنيا بإمهالهم واستدراجهم في طغيانهم، وفى الآخرة بأنهم يعطون نورًا يوم القيامة، فإذا مضوا قليلاً يطفأ[1] نورهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ متثاقلين كالمكره ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ ليحسبوهم مؤمنين لا لإخلاص ومطاوعة أمر الله، صفة كسالى أو مستأنفة ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً[2]﴾ لأنهم يفعلونه رياءً ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان[3] كثيرًا وقيل: لأن ذكرهم باللسان فقط وقيل المراد من الذكر الصلاة أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا على ندرة ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ[4] ذَلِكَ﴾ مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان حال من واو الجمع أي: يروهم غير ذاكرين إلا قليلاً مذبذبين ﴿لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ﴾ لا منضمين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾

---

(١) قال تعالى: "يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم" الآية (الحديد:١٣)، وقال في الفتح: بعد ما نقل هذا القول عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، ولا أدرى من أين جاء لهم هذا التفسير فإن مثله لا ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال صاحب الكشاف: وهكذا نرى كثيرًا من المتظاهرين بالإسلام، لو صحبته الأيام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة، لكن حديث الدنيا يستغرق به أيامه وأوقاته لا يفتر عنه/ ١٢ كبير.

(٣) كما قال ابن عباس/ ١٢ وجيز.

(٤) قال في الكشاف: وحقيقة المذبذب: الذي يذب ويدفع من كلا الجانبين مرة بعد أخرى أي: يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه/ ١٢.

إلى الصواب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن مصاحبتهم[١] ومصادقتهم وإسرار المودة إليهم صنيع المنافقين فلا تكونوا مثلهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾ حجة بينة في عقابكم بموالاتكم إياكم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ هو الطبقة التي في قعر جهنم، أو توابيت من حديد مقفلة في النار أو بيوت مقفلة عليهم توقد من تحتهم وفوقهم ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ يخرجهم منها ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ العمل ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به والتجأوا إليه ﴿وَأَخْلَصُوا[٢] دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من شوائب الرياء فلا يعملون إلا لله ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ[٣]﴾ في زمرتهم يوم القيامة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ فيشاركونهم فيه ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ أيدفع به ضرًّا أو يستجلب به نفعًا وهو الغنى المتعالى لا كالملوك فمن أخرج نفسه عن خساستها الباعثة للمذلة فلا تهان ولا تخذل، قيل: تقديم الشكر لأن الناظر بأدنى نظر في النعم يعرف أن لها منعمًا فيشكر وإن لم يعرفه زيادة معرفة، ثم يفضى به إلى زيادة النظر في معرفته، والتصديق به قدر ما يجب على العبد، فالشكر المبهم أصل التكليف من الإيمان وغيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً﴾ يرضى بالقليل ﴿عَلِيماً﴾ بظاهركم وباطنكم.

---

(١) قال القفال: المراد من الكفار المنافقون يعنى: قد بينت لكم أخلاق هؤلاء المنافقين فلا تتخذوا منهم أولياء/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما كان المنافق متصفًا بنقائض هذه الأوصاف من الكفر وفساد العمل والموالاة للكافرين والاعتزاز بهم والمراءاة للمؤمنين شرط في توبتهم ما يناقض ذلك الأوصاف/ ١٢ وجيز.

(٣) حكم بأنهم مع المؤمنين لا أنهم منهم تنفيرًا لما كانوا عليه وتفظيعًا بحال من كان متلبسا به وأخلص الأجر للمؤمنين فيرشح أجرهم إليهم فاقتهم/ ١٢ وجيز.

﴿لاَ يُحِبُّ[1] اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ أي: إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم، وقيل: هو من يشتمك فتشتمه بمثله فالبادئ ظالم، والأصح أنها نزلت[2] فيمن ضاف أحدا فلم يؤد إليه حق ضيافته، فلما خرج أخبر الناس فرخص الله شكايته ﴿وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بفعل الظالم ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ عمل بر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ﴾ يأتيكم من أخيكم ﴿فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ لمن عفى ﴿قَدِيرًا﴾ على الانتقام وهو إشارة إلى حث المظلوم على العفو وإن جاز له الشكاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به ويكفروا برسله ﴿وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ أي: ببعض الأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ أي: بعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: الإيمان والكفر ﴿سَبِيلاً﴾ وسطًا ولا واسطة بين الكفر والإيمان وهم اليهود والنصارى ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الكاملون في الكفر، ما نقص ذاك الإيمان من كفرهم شيئًا ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ في الإيمان[3] به ﴿أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم.

---

(١) ولما أمر عباده بالشكر وقد ثبت أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله أخذ يبين موضع جواز الشكاية عن خلقه فقال: "لا يحب الله الجهر" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) رواه عبد الرزاق ومحمد بن إسحاق وغيرهما عن مجاهد/ ١٢ وجيز.

(٣) في الإيمان لا في التفضيل فقد قال تعالى: "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" (البقرة:٢٥٣)، وقد مر أن أحدًا يستوى فيه المفرد والجمع، ولذلك جاز دخول بين عليه/ ١٢.

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ
أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا
مُّبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (154) فَبِمَا نَقْضِهِم
مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا
غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي
شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ
إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا
وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا (161) لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162) ﴾

﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قالت اليهود: إن كنت صادقًا فأتنا بكتاب من السماء جملة أو صحفًا مكتوبة بخط سماوى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا

مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ أي: إن استعظمت ما سألوك، فقد سألوا موسى أعظم من ذلك، وهذا السؤال وقع من آبائهم لكنهم تابعون لهذيهم وقوم مثل ذلك لا يستغرب عنهم **﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾** أي: أرنا الله نره عيانا قيل معناه قالوا جهرة لا سرًّا وخفية **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾** نار من السماء **﴿بِظُلْمِهِمْ﴾** أي: بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السؤال وطلب ما يستحيل في تلك[1] الحال لهم **﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ﴾** إلهًا **﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ[2]﴾** معجزات موسى عليه السلام **﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾** و لم نستأصلهم بالكلية وقبلنا توبتهم **﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾** يعني هم إن بالغوا في العناد معه لكن نصرناه وعفونا عن قومه، ففيه إشارة ببشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام **﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ[3]﴾** عند امتناعهم قبول شريعة التوراة

---

(١) وذلك لا يستلزم امتناعها يوم القيامة فقد جاءت بذلك الأحاديث المتواترة ومن استدل بهذه الآية على امتناع الرؤية يوم القيامة فقد غلط غلطا بينًا/ ١٢ فتح.

(٢) على أن الله وحده لا شريك له / ١٢ وجيز.

(٣) والطور اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن موسى جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من آثار الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم، وقال لهم: إن قبلتم وإلا ألقى عليكم حتى قبلوا لا يقال: إنه إلجاء فيمنع التكليف، لأنا نقول إنه إكراه، وهو معدم للرضاء لا للاختيار/١٢ كمالين قال ابن عطية: والذى لا يصح سواه أن الله سبحانه اخترع وقت سجودهم الإيمان لا أنهم آمنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة انتهى.

وهذا تكلف ساقط حمله عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد مذهبية قد سكن قلبه إليها كغيره وكل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه، ونحن نقول: أكرههم الله على الإيمان فآمنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان، وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الإسلام والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه، وقد ثبت في الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرًا عن قتله بأنه قالها تقية و لم يكن عن =

﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ﴿وَقُلْنَا﴾ بلسان نبيهم ﴿لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ متواضعين منحنين ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ لا تظلموا في اصطياد السمك فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ على ذلك ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما مزيدة للتأكيد ﴿مِّيثَاقَهُمْ﴾ فعلنا بهم ما فعلنا ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المعجزات الباهرات ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بعناد وتشهى نفس ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في غطاء لا نسمع ما تقول أو أوعية للعلم ولا نحتاج إلى شيء آخر ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ على الأول معناه: نعم صدقوا فيما ادعوا من عدم السماع لكن بختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، وعلى الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من أن قلوبهم أوعية للعلم ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ إلا إيمانًا قليلاً لا ينفعهم أو إلا قليلاً منهم ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ نسبتها إلى الزنا ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: من يزعم أنه رسول الله أو سموه رسولاً استهزاء، فالذم بسبب جرأتهم على الله تعالى وتبجحهم بقتله بعد ما أظهر المعجزات ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ[1] لَهُمْ﴾ أي: لكن وقع لهم التشبيه بين

= قصد صحيح: "أأنت فتشت عن قلبه" وقال: "لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس". قال القفال: إنه ليس إجبارًا على الإسلام، لأن الجبر ما سلب الاختيار بل كان إكراها وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالمحاربة مع الكفار، فأما قوله: "لا إكراه في الدين" (البقرة: ٢٥٦)، وقوله،: "أفأنت تكره الناس" (يونس:٩٩)، فقد كان قبل الأمر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب/ ١٢ فتح.

(١) روى النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رهطًا من اليهود اجتمعوا على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأنصاره: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل فيكون معي في الجنة؟ فقال شاب منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب، وعلى هذا معناه لكن وقع لهم التشبه بين عيسى والمقتول، وفي رواية: أن المقتول منافق دل اليهود على عيسى فألقى الله تعالى شبه عيسى على المنافق بعد ما رفع عيسى فقتلوه، =

عيسى والمقتول فقتلوا شابا من أنصاره حسبوه عيسى، أو شبه لهم من قتلوه بأن ألقى الله على رجل من اليهود شبهه فقتل ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في شأن عيسى فإنهم لما قتلوا ذلك الرجل قال بعضهم: عيسى، وقال بعضهم: ليس بعيسى وجهه وجه عيسى والبدن بدن غيره، وقال بعضهم: كذاب قتلناه وقال بعضهم: ابن الله رفع إلى السماء ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ تردد من قتله ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ لكنهم يتبـــعون الظـــن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ يقينا تأكيد لـــ"ما قتلوه" نحو: ما قتلوه حقًا أي: حق انتفاء قتله حقًا قيل: "ما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين ﴿بَل رَّفَعَهُ[1] اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فإن السماء محل ظهور سلطانه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً﴾ لا يغلب إراداته ﴿حَكِيماً﴾ فيما دبر ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: أحد منهم ﴿إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى بعد نزوله عند قيام[2] الساعة فيصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية، أو قبل موت الكتابي إذا وقع في الباس حين لا ينفعه إيمانه ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ يشهد عليهم أنه قد بلغ الرسالة وأقر على نفسه بالعبودية، قيل: يشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ[3] أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ أي: ما استمر

= أي: شبه لهم من قتلوه فشبه مسند إلى ضمير المقتول الدال عليه "إنا قتلنا" "ولهم": فاعل شبه/ ١٢ فتح.

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: رفعه الله إليه فهو عنده في السماء/ ١٢ منثور.

(٢) أي: قربها كما ورد في حديث رواه البخارى/ ١٢ كمالين.[كذا قال وأخرجه مسلم (٧٥٣/٥) ط الشعب.]

(٣) قال الواحدى: وأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف كان ومتى كان وعلى لسان من حرم فلم أجد فيه شيئًا انتهى إليه فتركته. قال الخازن: ولقد أنصف الواحدى فيما قال؛ فإن هذه الآية في غاية الإشكال انتهى/ ١٢ فتح.

تحريمها إلا بظلم عظيم منهم، "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر" الآية (الأنعام:١٤٦)، ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ صدًّا كثيرًا أو ناسًا كثيرًا ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشوة وغيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون من آمن وتاب ﴿عَذَاباً أَلِيماً لَكِنِ الرَّاسِخُونَ[1] فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ منهم وقيل أي: الصحابة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبر المبتدأ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾ نصب على المدح، وهو شائع في كلام الفصحاء، وقيل: مخفوض عطف على ما أنزل أي: آمنوا بإقامة الصلاة أي بوجوبه، أو المراد بالمقيمين: الأنبياء ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ[2] بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ قدم الإيمان بالقرآن والكتب، لأنه المقصود من الآية ﴿أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

---

(١) الثابتون فيه وهم في الحقيقة المستدلون، لأن المقلد يكون بحيث إذا شُكك يشك، وأما المستدل فإنه لا يتشكك البتة، فالراسخون هم المستدلون/ ١٢ كبير.

(٢) يعنى الظاهر تقديم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالقرآن والكتب، لكن المقصود من الآية: وصفهم بصفة أنهم آمنوا بك وبجميع الأنبياء قبلك فإن أهل الكتب مؤمنون بالله لكن لا يؤمنون ببعض الأنبياء/ ١٢ منه.

حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟
خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ
إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا[١] **إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** يعني شأنك في الوحي كشأن الأنبياء فمالهم والعناد معك **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾** أي: أولاد يعقوب **﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾** خصهم بالذكر؛ لأنهم أشرف الأنبياء **﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**

---

(١) الوحي إعلام في خفاء وخص نوحًا حال كونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه وكان أبا البشر كآدم وأطول الأنبياء عمرًا وصبر على أذى قومه طول عمره/ ١٢.

﴿وَرُسُلاً﴾ نصب على مضمر يدل عليه أوحينا أي: أوحينا إليك وأرسلنا رسلاً أو على مضمر يفسره قوله: ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في السور المكية ﴿وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ[1] اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلاً﴾ نصب على المدح أو على الحال أو على تقدير أرسلنا ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب على الطاعة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب على المعصية ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا يعلمنا الدين متعلق: بـ"أرسلنا" وبـ"بمنذرين" ومبشرين وأحد المجرورين خبر كان، والآخر حال والظرف لحجة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فيما أراد ودبر ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ استدراك عما فهم[2] من قبل من تَعَنُّتِهِمْ بأنهم لا يشهدون ﴿بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن الدال على نبوتك ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ متلبسا بعلمه الذي

---

(١) أخبر بأنه شرف موسى بكلامه وأكده بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز/ ١٢ وجيز.

قال الفراء: إن العرب تسمى ما وصل الإنسان كلامًا بأى طريق وصل ما لم يؤكد بمصدر، فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام، قال النحاس: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا فيه، رد على من يقول: إن الله خلق كلامًا في محل فسمع موسى ذلك الكلام، أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى في نوادر الأصول وابن حبان في صحيحه والحاكم وابن عساكر عن أبى ذر قال: "قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. قلت: كم الرسل منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جم غفير"، وأخرج نحوه ابن أبى حاتم عن أبى أمامة مرفوعًا إلا أنه قال: "والرسل ثلاث مائة وخمسة عشر"، وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند ضعيف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فيمن خلا من إخوانى من الأنبياء ثمانية آلاف نبى ثم كان عيسى ثم كنت أنا بعده/ ١٢ فتح.

(٢) لأنه متعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه/ ١٢ منه.

أراد أن يطلع عباده من صفاته ومغيباته وأوامره ونواهيه، أو أنزله عالمًا بأنك أهل لانزاله إليك ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضًا بنبوتك نزلت في جماعة من اليهود قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك"(*) ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ فإنه أقام الحجج والبينات الواضحة على صحة نبوتك ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً﴾ فإنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمدًا صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته أو الناس بصدهم أو أنفسهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ[(١)] لَهُمْ﴾ بعد ما ماتوا عليه أو هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر ﴿وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ إلى النجاة ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ استثناء منقطع أو متصل على السخرية ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: عدم الغفران والخلود ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ[(٢)] قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لما قرر أمر النبوة واوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة ﴿فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ﴾ أي: إيمانًا خيرًا لكم أو ائتوا أمرًا خيرًا لكم مما أنتم عليه أو يكن الإيمان خيرًا لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهو الغني عنكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيماً﴾ فيما أراد لكم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ النصارى تجاوزوا الحد في عيسى عليه السلام بل في الأحبار، كما قال: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا" (التوبة: ٣١)، ﴿وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ لاتفتروا عليه ﴿إِلاَّ الْحَقَّ﴾ لكن قولوا الحق فتزهوه عن شريك وولد ﴿إِنَّمَا

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٢/٦) وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٩٠/١) والسيوطي في "الدر المنثور" (٤٣٩/٢) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في "الدلائل" عن ابن عباس -رضي الله عنه-.

(١) في هذه العبارة مبالغة في عدم غفرانهم، كأن غفرانهم منافية لعظمته تعالى/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما قرر أمر النبوة وأوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة فقال: "يا أيها الناس"/ ١٢ وجيز.

المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ أوجده بكلمة كن ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ[1]﴾ يعنى خلقه بالكلمة التى أرسل الله بها جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة إلقاح[2] الأب[3] الأم ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: صدر منه بغير مادة وإضافة الروح إلى الله للتشريف ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ﴾ أي: آلهتنا ثلاثة الله والمسيح ومريم ﴿انتَهُوا﴾ عن التثليث وائتوا أمرا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا تعدد فيه أصلاً ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: أسبح سبحانه من ﴿أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا لا يماثله شيء حتى يكون له ولد ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ فلا يحتاج إلى ولد؛ لأن الولد وكيل والده وهو وكيل كل شيء.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا

---

(١) عن أبي موسى أن النجاشى قال لجعفر: "ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر فتناول عودًا من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان! ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه"، وعن ابن مسعود بأطول من هذا وأخرج البخارى عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله" وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل" أخرجه الشيخان/ ١٢ فتح.

(٢) يقال: ألقح الفحل الأنثى فلقحت/ ١٢ .

(٣) صرح بذلك ابن عباس وغيره/١٢ وجيز.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ
فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾
يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ
فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا
ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿لَن يَسْتَنكِفَ[1] الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف من ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ فإن عبوديته شرف، قيل: نزلت حين "قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تعيب عيسى تقول: إنه عبد الله؟ قال: إنه ليس بعار أن يكون عبدًا لله قالوا بلى" ﴿وَلاَ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ[2]﴾ عطف على المسيح أي لا يستنكفون مع أن ما بعثكم في دعوى الإلهية

(١) اصله من نكفت الدمع: إذا نحيته عن خدك بأصبعك كي لا يرى أثره عليك/ ١٢ وجيز.

(٢) قد استدل بهذا القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء وقرر صاحب الكشاف وجه الدلالة بما لا يسمن ولا يغني من جوع، وادعى أن الذوق قاض بذلك، ونعم الذوق العربي إذا خالطه محبة المذهب وشابه شوائب الجمود كان هكذا أو كل من يفهم لغة العرب يعلم أن من قال لا يأنف من هذه المقالة إمام ولا مأموم ولا كبير ولا صغير ولا جليل ولا حقير، لم يدل هذا على أن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه، وعلى كل حال فما أبرد الاشتغال بهذه المسألة، وما أقل فائدتها وما أبعدها عن أن يكون مركزًا من مراكز الدينية وجسرًا من الجسور الشرعية.

لعيسى أقوى وأشد[1] فيهم لا أب ولا أم لهم ولهم قوة لا تفيء بها طاقة البشر كقلع الجبال والتصرف في الأهوال والأحوال وهم مع ذلك لا يستنكفون ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ الاستنكاف تكبر مع أنفة والاستكبار بدونه ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ مجازاة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ وهذا تفصيل للمجازاة العامة[2] الدال عليها فحوى الكلام، وإن لم يجر سوى ذكر المستنكفين فكأنه قال: ومن استنكف ومن آمن فسيحشرهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ[3] قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ[4] مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام أو القرآن وقيل: المعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ أي: القرآن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ جمع بين مقامى العبادة والتوكل على الله أو اعتصموا بالقرآن ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ زائد على قدر أعمالهم ﴿وَيَهْدِيهِمْ

---

(١) هذه الآية على ما قدرنا وفسرنا لا تدل على تفضيل الملك نعم تدل على كثرة قوهم وغلبتهم/ ١٢ منه.

(٢) جواب عن سؤال وهو أن التفصيل وهو قوله: فأما الذين آمنوا وأما الذين استنكفوا مشتمل على ذكر الفريقين المستنكفين وغيرهم والمفصل أي: المجمل الذى فصل وهو المذكور بقوله: "ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم" إنما اشتمل على ذكر فريق المستنكفين فقط وحاصل الجواب أن ذكر الفريق الآخر مطوى في المفصل/ ١٢ منه.

(٣) ولما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاهم دعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإلى الإيمان بالكتاب الذى أنزل معه والاعتصام به فقال: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان" الآية/ ١٢ كبير.

(٤) والبرهان ما يبرهن به على المطلوب قال قتادة: البرهان البينة وقال مجاهد: الحجة/ ١٢ فتح.

﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله ﴿صِرَاطًا[1] مُّسْتَقِيمًا﴾ في العلم والعمل فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة، وفى الآخرة على صراط مستقيم يفضى إلى روضات الجنات، وصراطًا: إما بدل من إليه أو مفعول يهديهم وإليه حال مقدم ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: عن الكلالة ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ نزلت في جابر[2] بن عبد الله حين "سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى مريض وكللة، فكيف أصنع في مالى؟" ﴿إِنِ امْرُؤٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ما بعده ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أصلاً ولا والد أيضًا فإن الأخت لا ترث مع الأب، وهو صفة لاغير[3] ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ أي: من الأبوين أو الأب، فإن ذكر ولد الأم مضى حكمه في أول السورة ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ أي المرء ﴿يَرِثُهَا﴾ أي الأخت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا[4] وَلَدٌ﴾ أي إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ إن لم يكن لها ولد أصلا ولا والد ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأختان ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ فصاعدا ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً﴾ أصله: وإن كانوا أخوة وأخوات فغلب الذكر ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الحق كراهة ﴿أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المعاش والمعاد.

والحمد لله حق حمده

---

(١) وفى الدعاء المأثور: "إن ربي على صراط مستقيم فمن سلكه فهو واصل إليه"، ولما قال: واعتصموا بالقرآن ومن جملة الاعتصام السؤال عما أشكل عليهم، وهذه السورة بينة للمواريث، وقد استفتوا في الكلالة اختتم السورة في بيانها فقال: "ويستفتوك في الكلالة" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كما في الصحيحين/ ١٢ وجيز.

(٣) رد على القاضى حيث قال: إما صفة أو حال/ ١٢ منه.

(٤) فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها/ ١٢.

سورة المائدة مدنية

وهى مائة وعشرون آية وستة عشر ركوعًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا
يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ
ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ
عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ
وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ
مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ
ٱلطَّيِّبَـٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ
مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾
ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا[1] بِالْعُقُودِ﴾ أى: العهود وهو ما حد فى القرآن كله ﴿أُحِلَّتْ لَكُم[2] بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ تفصيل للعقود والإضافة بيانية وهى الإبل والبقر والغنم وألحق بها الظباء وبقر الوحش ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه أو إلا محرم ما يتلى عليكم وهو قوله: "حرمت عليكم الميتة" (المائدة: ٣) ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من ضمير[3] لكم أو من ضمير أوفوا ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من ضمير محلي يعنى أحلت لكم جميع الأنعام إنسيًّا ووحشيًّا وإحلالها عن عمومها مختص بحال كونكم غير محلين للصيد فى الإحرام إذ معه تحريم البعض وهو الوحشى أو الأول: حال من الفاعل الحقيقى المتروك لأحلت، والثانى: حال من ضمير لكم المقدر أى: أحللنا حال كوننا غير محلين الصيد لكم فى حال إحرامكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من تحليل وتحريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: مناسك[4] الحج أو محارم الله أو الهدايا المعلمة للذبح بمكة ﴿وَلاَ الشَّهْرَ الحَرَامَ﴾ بعدم تعظيمه والقتال فيه والجمهور على أنه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع أهل الشرك فى أشهر الحرم ﴿وَلاَ الهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى

---

(١) الوفاء والإيفاء هو القيام بمقتضى العهد/ ١٢ وجيز.

(٢) نقله البغوى عن الحسن وقتادة ثم قال: وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: بهيمة الأنعام هى الأجنة. ومثله عن الشعبى قال: هى الأجنة التى توجد ميتا فى بطون أمهاتها إذا ذبحت أو نحرت، ذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، ثم ذكر حديث أبى سعيد وحديث جابر "ذكاة الجنين ذكاة أمه"/ ١٢ معالم.

(٣) عليه كلام الجمهور وذهب إليه الزمخشرى وتعقب وأجيب/ ١٢ فتح.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد، والثانى لعطاء، والثالث لأبى عبيدة كذا قال البغوى/ ١٢.

الكعبة بأن تتعرضوا له ﴿وَلاَ القَلاَئِدَ﴾: ذوات القلائد من الهدى ذكرها لأنها أشرف الهدى، قال بعضهم: معناه لا تتركوا الإهداء إلى البيت، ولا تتركوا تقليدها فى أعناقها ﴿وَلاَ آمِّينَ البَيْتَ الحَرَامَ﴾ أى: لا تستحلوا قتال قوم قاصدين إلى بيت الله ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ﴾: رزقا بالتجارة حال من ضمير آمين ﴿وَرِضْوَاناً﴾ بزعمهم؛ لأن الكافرين ليس لهم نصيب من الرضوان، نزلت فيمن أغار على سرح المدينة، فلما كان من العام المقبل اعتمر من البيت فأراد بعض الصحابة أن يتعرضوا عليه فى طريقه إلى البيت، وهذا الحكم منسوخ الآن فيهم. قال بعضهم: أهل الجاهلية يقلدون أنفسهم بالشعر والوبر فى سفر الحج فى غير أشهره وإبلهم من لحا شجر الحرم فيأمنون به، فنهى الله التعرض لهم بقوله: "ولا القلائد" وهو أيضًا منسوخ وقيل: معناه يتقلدون من لحا شجر الحرم فنهى الله عن قطع شجرة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ إذن فى الاصطياد بعد الإحرام ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: بعضهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ أى: لأن صدوكم ﴿عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ وقرئ إن فحرف الشرط معترض بين العامل والمعمول ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام وهو ثانى مفعولى يجرمنكم فإنه يعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب، نزلت حين أراد الصحابة صد بعض المشركين عن العمرة انتقاما من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ﴾ المأمورات عطف على لا يجرمنكم ﴿وَالتَّقْوَى﴾ عن المنهيات ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ﴾: المعاصى ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ أى: المسفوح[1] ﴿وَلَحْمُ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ[2] بِهِ﴾ لقوله عند الذبح: بسم اللات والعزى، والإهلال: رفع الصوت

---

(١) أى: المصبوب السائل/ ١٢.

(٢) فإنه وإن ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وإن لم يذكر فقد زيد فى تنجيسه/ ١٢ تبصير الرحمن.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: التى ماتت بالخنق ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هى التى تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، وذلك من عادات الجاهلية ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التى أطيحت[1] من موضع فماتت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ كشاتين تناطحتا فماتتا أو ماتت إحداهما، والتاء فيها للنقل ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: منه فمات ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وفيه حياة[2] مستقرة فإنه حلال ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ[3] ﴾ هى حجارة حول

---

(١) تطاوحت بهم النوى أى: ترامت/ ١٢ صراح.

(٢) قال الشوكانى: وأما البنادق المعروفة الآن وهى بنادق الحديد التى يجعل فيها البارود والرصاص ويرمى بها فلم يتكلم عليها أهل العلم لتأخر حدوثها، فإنها لم تصل إلى الديار اليمنية إلا فى المائة العاشرة من الهجرة وقد سألنى جماعة من أهل العلم عن الصيد بها إذا مات ولم يتمكن الصائد من تزكيته حيًّا، والذى يظهر لى أنه حلال لأنها تخرق وتدخل فى الغالب من جانب منه وتخرج من جانب الآخر، وفى الحديث الصحيح فى الصحيحين: "إذا رميت بالمعراض فخرق فكله" فاعتبر الخرق فى تحليل الصيد/ ١٢ فتح.[أخرجه البخاري (٥٤٧٧) ومسلم (٤/٥٩٠) ط الشعب].

(٣) وإن لم يسمع فيه إهلال غير الله وزعم صاحبه أنه ذبح لله فلا يسمع منه. هذا ما فى تبصير الرحمن، والأنصاب: جمع نُصُب بضمتين أو جمع نَصْب بالفتح والسكون، وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك، هذا فى مجالس الأبرار، وقال الشيخ ولى الله الدهلوى فى الترجمة الفارسية: المشهور بفتح الرحمن وحرام است انجه ذبح كرده باشيد برنشا نهائى معبود باطل مترجم كَويد يعنى برصورت وقبر والله أعلم، وفى الحديث الذى رواه أبو داود: "لا عقر فى الإسلام قال أبو داود: قال عبدالرزاق: كانوا يعقرون عند القبر يعنى ببقرة أو بشيء، وقال الشوكانى: قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هدى أو أضحية أو نسك، وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فهو عبادة لا تكون إلا لله فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله ودليل الكبرى قوله تعالى: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"(هود:٥٠) و"فإياى فاعبدون"(العنكبوت:٥٦) و"وإياك نعبد"(الفاتحة:٥) و" قضى

البيت يذبحون عندها وينضحونها بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب، فحرم الله أكل هذا اللحم وإن ذكر عليها اسم الله لما فيه من الشرك، وقال بعضهم: هى الأصنام ومعناه: ما ذبح على النصب، وعلى هذا هو وما أهل لغير الله واحد ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ أى: حرم الاستقسام بالأزلام وهى عبارة عن قداح مكتوب فى بعضها افعل وفى بعضها لا تفعل، وبعضها غفل لاشيء عليه، يستقسمون بها فى الأمور فإذا خرج الأمر فعلوه وإذا خرج الناهى تركوه وإذا خرج الغفل أجالوها ثانيا ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أى: تعاطيه فسق وضلالة وجهالة ﴿الْيَوْمَ﴾ أريد به الأزمان الحاضرة ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾: من إبطاله بأن ترجعوا إلى دينهم ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾: بعد ما أظهرت دينكم ﴿وَاخْشَوْنِ﴾: أخلصوا الخشية لى

غيره"(هود: ٥٠) و"فإياى فاعبدون"(العنكبوت:٥٦) و"وإياك نعبد"(الفاتحة:٥) و" قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"(الإسراء:٢٣) "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"(البينة:٥) انتهى. أقول: ودليل الصغرى قوله تعالى: "فصل لربك وانحر"(الكوثر:٢) "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين"(الأنعام:١٦٢) وفى حديث مسلم: "لعن الله من ذبح لغير الله"، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب قال: "مر رجلا، على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئًا فقالوا لأحدهم: قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار قالوا للآخر قرب فقال: ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة. وفى حديث آخر رواه أبو داود: "اذبحوا لله فى أى شهر" كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل العتيرة وفى التفسير النيسابورى قال العلماء: ولو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا ذبيحته ذبيحة مرتد، وفى الدر المختار ذبح لقدوم الأمير ونحوه كواحد من العظماء يحرم لأنه أهل به لغير الله ولو ذكر اسم الله تعالى عليه ومثل هذا فى القاضى خان والعالمكَيرية وفتاوى الإبراهيم الشامى وقد ذكرنا عبارة الصراط فى البقرة فارجع إليها تجدها شافية مغنية فى المسألة/ ١٢.

﴿الْيَوْمَ﴾ قيل المراد يوم النزول يوم عرفة فى حجة الوداع ﴿أَكْمَلْتُ[1] لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فلا زيادة بعده و لم ينزل بعده حرام ولا حلال ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾: بالهداية وإكمال الدين ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ من بين الأديان فلا أسخطه أبدًا، ودينا، إما حال أو تمييز ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى تناول شيء من هذه المحرمات وهو متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ﴾ غير مائل لمعصية بأن يأكلها تلذذًا أو مجاوزًا حد الرخصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رخص فلا يؤاخذه به ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ نزلت حين سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله قد حرم الميتة فماذا يحل لنا؟ وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ[2]﴾ أى: الذبائح الحلال، وقيل: كل ما يستطيبه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ[3]﴾ يعني

---

(١) إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا وإذا حصل النص في الوقائع وفى الآية دلالة على بطلان القياس وعلى أنه تعالى قد نص على الحكم فى جميع الوقائع إذ لو بقي بعضها غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملا وإذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس إن كان على وفق ذلك النص كان عبثا وإن كان على خلافه كان باطلاً، وقد أجاب مثبتو القياس عن هذا بما لا يكفى فى الجواب والله أعلم بالصواب/ ١٢ فتح البيان.

(٢) كل ما تستطيبه العرب من غير أن ورد بتحريمه نص والعبرة فى الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروة والأخلاق الجميلة من العرب، فإن أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"(الأعراف:١٥٧) فإن الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم/ ١٢ فتح.

(٣) والحق أنه يحل صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب وغيره وبين الأسود وغيره وبين الطير وغيره ويؤيد هذا أن سبب نزول الآية سؤال عدى بن أبى حاتم [كذا بالأصل ، والمشهور أنه عدى بن حاتم] عن صيد البازى/ ١٢ فتح.

أحل لكم صيد ما علّمتم من كواسب الصيد على أهلها من سباع وطيور ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال كونكم معلمين إياه الصيد وذكرها للمبالغة فى التعليم ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أو استئناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: من طرق التأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ كثير من السلف على أن الجوارح إذا أخذت الصيد وأكلت شيئًا منه ولم يدركه صاحبه حيا فيذبحه فهو حرام، وبعض آخر منهم على وابن عباس على حلته وإن أكل منه ثلثيه ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: على ما علمتم أى عند إرساله إلى الصيد وهذا الأمر على الندب عند الأكثرين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيؤاخذكم بما كسبت أيديكم ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: الذبائح على اسم الله ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى يعنى ذبائحهم ﴿حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ بمعنى حل وجاز لكم أن تطعموهم[1] من ذبائحكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الحرائر العفائف أو الحرائر أو العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أكثر السلف على أنه لا يجوز تزوج الذمية الزانية، وهو يعم كل كتابية عفيفة، وقيل: المراد بها الذميات دون الحربيات، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما-: لما نزلت "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن"(البقرة: ٢٢١) حجر الناس عنهن حتى نزلت والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فنكح الناس نساء أهل الكتاب ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن وتقيد الحل به لتأكيد وجوبها[2] ، وقيل المراد بإيتائها: التزامها محصنين ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مجاهرين بالزنا ﴿وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ مسرين به والخدن: الصديق. بعض السلف ذهب إلى أنه لا يصح نكاح البغية من عفيف وعقد

---

(١) فالخطاب مع المسلمين حقيقة؛ لأن أهل الكتاب كفار من زماننا لا يأمرون بحلال وحرام/ ١٢ وجيز.

(٢) فلا ينبغى دخول زوج بزوجة إلا بعد بذل مهرها/ ١٢ وجيز.

الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وسيأتى الكلام[1] فيه ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ**﴾: بالله الذى يجب الإيمان به، قيل: أراد بالكفر الإنكار، وبالإيمان: الشرائع والإسلام ﴿**فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ

(١) قوله تعالى: "الزانى لا ينكح إلا زانية"(النور:٣)/ ١٢ منه.

(٢) ولما افتتح بالأمر بإيفاء العقود وذكر تحريمًا وتحليلا فى المطعم والمنكح اللذين هما رأسا المستلذات الجسمانية استطرد منها المعاملات الأخروية وابتدأ بالطهارة فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢.

ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ أى: إذا أردتم القيام إليها وهو مطلق أريد به التقييد أى: إذا قمتم إليها[(١)] محدثين وقيل: الأمر شامل للمحدثين على الإيجاب وللمطهرين على وجه الندب وقال بعضهم: إن الآية نزلت إعلاما من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى صلاة دون غيرها من الأعمال؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ **﴿فَاغْسِلُوا[(٢)] وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أى مع المرافق فالجمهور على دخول المرفقين فى المغسول، قيل: ومنه علم وجوب النية كما إذا قلنا إذا رأيت الأمير فقم أى: فقم له **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق **﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** نصبه نافع والكسائى وابن عامر وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم، وجره الباقون وعلى الإنصاف ظاهر قراءة النصب على وجوب الغسل وظاهر الثانية على وجوب[(٣)] المسح، فإن جر الجوار وإن كان بابًا واسعًا فهو خلاف[(٤)] الظاهر، والأحاديث الصحاح تدل على وجوب الغسل دلالة لا

---

(١) والدال على هذا مقابلته بقوله: "وإن كنتم جنبا" كأنه قال: إن كنتم محدثين الحدث الكبر فاغسلوا جميع الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) الفاء دال على أن أول واجب فى الوضوء غسل الوجه/ ١٢ وجيز.

(٣) وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله: "إلى الكعبين" لأن المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الإسراف/ تبصير الرحمن.

(٤) مع أن جر الجوار إن وقع فى فصيح فهو بدون الواو فظاهر القرآن المسح على قراءة الجر ونعم ما حققه الزمخشرى أن الرجل من الأعضاء المغسولة مظنة إسراف الماء فعطف على الممسوح تنبيها على وجوب الاقتصاد فى صب الماء، فإن المسح والغسل متقاربان فسهل =

....

= عطف أحدهما على الآخر نحو: متقلدًا سيفًا ورمحًا فعدل إلى المجاز للإيجاز وقرينة المجاز أنه يجيء بالغاية إلى الكعبين فإن المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة، والمراد: فاغسلوا أرجلكم غسلاً خفيفًا واختصر بعطفه على الممسوح، وفى باب التيمم "فامسحوا بوجوهكم"(المائدة:٥): وجوب استيعاب جميع الوجه بالتراب، فالمسح بالماء فى الأرجل كذلك والأحاديث الصحاح التى قاربت التواتر على وجوب الغسل والوعيد على تركه فالقول ما قالت حذام/ ١٢ وجيز.

اختلف العلماء فى هذا الحكم، وهل فرض لرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضًا، ويروى عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح، والسنة بالغسل، وعن عكرمة قال: ليس فى الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح، وعن الشعبى أنه قال: إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل، ومذهب الإمامية من الشيعة أن الواجب فى الرجلين المسح. وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم: إن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى: يجب الجمع بينهما، وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى: المكلف مخير بين الغسل والمسح، والحق ما قال الجمهور؛ لأنه قد ثبت فى السنة المطهرة بالأحاديث الصحيحة من فعل النبى –صلى الله عليه وسلم– وقوله وعمل أصحابه وقولهم والتابعين وقولهم هذا ما فى لباب التأويل المعروف بالخازن مع ضميمة من الفتح/ ١٢.

وأما من جعل كسر اللام فى الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم: جحر ضب الخرب وقال: الخرب نعت للجحر لا للضب، وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس بجيد؛ لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة فى الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس؛ لأن الخرب لا يكون نعتًا للضب بل للجحر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، أما مع حرف العطف فلم يتكلم به العرب/ ١٢ باب التأويل.

محيص عنها ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ (١) فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم(٢) مِّنْهُ﴾ قد مر تفسيره فى سورة النساء ولعل فائدة التكرار بيان أنواع الطهارة هنا أيضًا ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم﴾: بما فرض من الغسل والوضوء والتيمم ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: من الإحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ ببيان ما هو مطهرة للقلوب والأبدان عن الآثام والإحداث ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْــكُرُونَ﴾: نعمتى فأزيدها عليكم ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: من القديم والحديث لأجل الدين والدنيا ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ حين بايعوا النبى -صلى الله عليه وسلم- على السمع والطاعة فى منشطهم ومكرهم أو الميثاق الذى أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، وقيل: هذا تذكار لليهود بما أخذ عليهم من العهود فى متابعة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى نقض عهده ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بخفياتها فضلاً عن جلياتها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ أى: قائمين بالحق لله لا للرياء ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا بالجور ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ عداوتهم ﴿عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ بل الزموا العدل مع العدو والصديق ﴿اعْدِلُوا هُوَ﴾ أى: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ اللام للاختصاص واستعمل أفعل التفضيل فى محل

---

(١) لما ذكر الطهارة الصغرى أعقب بالطهارة الكبرى والظاهر أن الجنب مأمور بالاغتسال، ولهذا قال ابن مسعود: لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء والجمهور على أنه يتيمم؛ ونقل أنه رجع إلى ما عليه الجمهور للحديث/ ١٢ وجيز.

(٢) قد مر تفسير الآية فى سورة النساء إلا أن فى هذه الآية زيادة منه وهى دالة على أن يمسح بعضه ولا يتيمم بصخرة لا تراب عليه/ ١٢ وجيز.

ليس فى الجانب الآخر منه شيء كقوله تعالى: "أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلا" (الفرقان: ٢٤) وكم مثله فى كلام البلغاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مستأنفة مبنية لثانى مفعولى وعد أو وعد واقع على تلك الجملة كأنه قال: وعدهم هذا القول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا ينفكون عنها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ﴾ متعلق بنعمة الله ﴿قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ رد مضرتها عنكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فمن توكل عليه كفاه الله أربه، نزلت لما أراد قوم من العرب أن يكبوا على رسول الله وأصحابه صلى الله عليه وسلم إذا اشتغلوا بصلاة العصر، فأخبرهم جبريل وجاء بصلاة الخوف. أو فى قوم من اليهود صنعوا طعامًا ليقتلوهم فأوحى الله إليه بشأنهم. أو فى بنى النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأسه عليه الصلاة والسلام الرحا إذا جلس تحت الجدار فأطلعه على كيدهم، أو فى قوم أرسلوا أعرابيًا لقصده فجاءه وهو صلى الله عليه وسلم راقد تحت شجرة فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى؟ فقال الله فأسقطه جبريل من يده وأخذه الرسول(*).

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ

(*) لفظ المصنف ذكره الحافظ في "الفتح" (٤٩٢/٧) وأصل الحديث أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: غزوة ذات الرقاع (٤١٣٦) ومسلم في "صلاة المسافرين وقصرها" / باب: صلاة الخوف (٤٩٣١٢).

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟
حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ
جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ
ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ
بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ
وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم
بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ
جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لما أمر المؤمنين بالوفاء بعهده وأمرهم بالحق والعدل وذكرهم نعمه شرع يبين لهم كيفية أخذ العهود على من كان قبلهم وطردهم ولعنهم لما نقضوها ليتعظ المؤمنون ﴿وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً[1]﴾ كفيلاً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصرة ﴿لَئِنْ﴾ أى: والله لئن ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي﴾ صدقتموهم بما جاءوا به ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم وعظمتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ بأن تنفقوا فى سبيل الخيرات نصب بالمصدر أو بالمفعول الثانى ﴿لأُكَفِّرَنَّ﴾ جواب القسم سد مسد جواب الشرط ﴿عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تحت غرفها ﴿الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ صراط الحق فإن الضلال بعده أظهر وأعظم وأقبح ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يابسة غليظة لا تنتفع بالمواعظ وقرئ قسية أى: مغشوشة[2] ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ كلام الله ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ يبدلون نعت محمد أو يأولون الآيات بسوء تأويل ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا نصيبهم من التوراة فلم يعملوا بها أو زلت بعض آياتها عن حفظهم

---

(١) لما هلك فرعون واستقر بنو إسرائيل فى مصر أمرهم الله بالمسير إلى أرض الشام والجهاد مع سكانه، وكان مسكن الجبابرة، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيبًا يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا فاختار موسى اثنى عشر نقيبا، وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنوا أرض الشام بعث النقباء لتجسس الجبابرة فرأوا أجرامًا عظيمة وشوكة فرجعوا ونهى أكثر قومهم عن الجهاد وخوفوهم مع أن موسى نهى النقباء أن يحدثوا قومهم بحكايات الجبابرة وأخبارهم/ ١٢ منه.

(٢) نحو درهم قسى من القسوة، فإن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيها يبس وصلابة/ ١٢ وجيز.

﴿وَلاَ تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ[1] ﴾ خيانة وغدر فاعل بمعنى المصدر ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا استثناء من ضمير منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ نسخ بآية السيف، وقيل: معناه إن تابوا أو عاهدوا والتزموا الجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[2] ﴾ تعليل للأمر بالعفو ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى[3] أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا من اليهود، سموا أنفسهم نصارى ادعاء لنصرة الله ﴿فَنَسُوا حَظًّا﴾: نصيبًا وافيًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ ألصقنا وأوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بين اليهود والنصارى أو بين فرق[4] النصارى وهم كذلك ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بشنيع صنيعهم بأقطع جزاء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ عام لكل كتابى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كآية الرجم وبشارة عيسى بأحمد ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ لا يتعرض لكثير مما حرفوه وأخفوه لأنه لا يحتاج إلى بيانه ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أى: قرآن أو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ﴾ أى: بالنور والكتاب المبين، فإنهما واحد أو فى حكم

---

(١) يعنى هذا دأبهم وعادة آبائهم من خيانة الرسل وقتلهم الأنبياء فهم لا يزالون يحزنونك ويظاهرون عليك أعداءك/ ١٢ وجيز.

(٢) ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة" يعنى لا تدعوا الإحسان فى شيء حتى فى القتل/ وجيز.[أخرجه مسلم (٤/٦٢٢) ط الشعب]

(٣) لأنهم من قرية بالشام تسمى ناصرة، وظاهر سوق العبارة مشعر بأن هذا الاسم من عند أنفسهم وزعمهم أنهم أنصار الله، وأما من قال "نحن أنصار الله"(الصافات:١٤) فهم الحواريون وهم مؤمنون حقا وليس منهم الاختلاف، وجاء الاختلاف ممن يدعى تبعيتهم/ ١٢ وجيز.

(٤) وهو الظاهر/ وجيز.

الواحد ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: من آمن منهم ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ طرق السلامة والنجاة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ إلى الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[١]﴾: يوصلهم إلى رحمة الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ[٢] ابْنُ مَرْيَمَ﴾ اليعقوبية من النصارى قالوا: المسيح هو الله ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾: من يستطيع إمساك[٣] شيء من قدرة الله ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أى: هو وجميع الخلائق مقهور تحت قدرته قابل للفناء فلا يكون إلهًا ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إيجاد شيء من غير أصل ومادة ولا أب وأم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أى: هو كالأب لنا فى العطوفة أو وجدوا فى التوراة يا أبناء أحبارى فبدلوا بيا أبناء أبكارى، وقيل: نحن أبناء رسل الله وقيل: جمع ابن الله للابن وأشياعه والابن بزعم الفريقين عزير وعيسى كقول أقارب الملك: نحن الملوك ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾: فى الدنيا والآخرة، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه أقبح[٤] لتعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: كسائر المخلوقات ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وهو من آمن برسله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من مات

---

(١) عليه الرب سبحانه كما ورد "إن ربى على صراط مستقيم"/ ١٢ وجيز.

(٢) قيل: ما صرح أحد من النصارى بذلك لكن لما اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة، واعترفوا بأن الله موجود لزمهم القول بأن الله هو المسيح لا غير/ ١٢ منه.

(٣) حقيقة الملك الضبط والحفظ عن حزم يقال: ملكت الشيء إذا دخل تحت ضبطك دخولاً تاما ولا أملك رأس البعير إذا لم تستطعه/ ١٢.

(٤) فإن المسخ والخسف تعذيب البتة وليس بتأديب/ ١٢ منه.

على الكفر لا مزية لكم على سائر الخلق ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ فيجازى المحسن والمسيء ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: الدين ﴿عَلَى فَتْرَةٍ[1] مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أى جاء على حين فتور من الوحى أو حال من ضمير يبين ﴿أَن تَقُولُوا﴾ كراهة أن تقولوا ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ﴾ فتعتذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ أى: لاتعتذروا فقد جاءكم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[2]﴾ فقادر على إرسال الرسل تترى، وعلى الإرسال على فترة، وعلى عقاب العاصى وثواب المطيع.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا

---

(١) أما الفترة بين أحمد وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما خمسمائة وستون، وقيل: سبع مائة، وقيل غير ذلك، وذكر ابن سعد فى الطبقات عن ابن عباس والزمخشرى عن الكلبى عن الفترة بين عيسى وموسى عليهما السلام ألف وسبعمائة وسنة/ ١٢.

(٢) ولما ذكر تمردهم وكذبهم أخذ يذكر تمرد أسلافهم على موسى مع تذكيره إياهم بنعم الله تعالى حتى لا يطمع محمد صلى الله عليه وسلم فى إخلاصهم فقال: "وإذ قال موسى لقومه" الآية/ ١٢ وجيز.

مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ *﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن إبراهيم حتى ختم بعيسى ﴿وَجَعَلَكُم[1] مُّلُوكاً﴾ أصحاب خدم وحشم وهم أول من ملك الخدم أو كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم سمي ملكا، قيل: ملكوا أنفسهم بعد ما كانوا مملوكين في أيدي القبط ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر والمن والسلوى أو من الفضل والشرف على عالمي زمانهم ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس أو الطور وما حوله أو الشام، فإنه مقر الأنبياء مطهر من الشرك ﴿الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾: وعدكموها الله أنه وراثة من آمن منكم ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجعوا مدبرين خوفًا من الجبابرة وجاهدوهم فإنكم غالبون ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدارين ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ متغلبين أقوياء ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلاَنِ﴾ يوشع وكالبُ[2] ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أمر الله وعقابه وقيل: هما من الجبابرة أسلما واتبعا موسى فمعناه يخافون أي بنو إسرائيل منهم ﴿أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة هو الثبات صفة ثانية لرجلين أو

---

(١) فالامتنان بأن منهم سادة الدين وقادة الدنيا/ ١٢ وجيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره أنهما يوشع ابن أخت موسى وكالب ختن موسى على أخته مريم بنت عمران وهما من النقباء الكامنين ما اطلعا عليه من حال الجبابرة/ ١٢ وجيز.

اعتراض ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ﴾ باب قريتهم أى: ازحفوا عليهم ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لما جربنا ضعف قلوبهم ولتيقُن انجاز وعد الله فى نصرة نبيه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[1] ﴾ به مصدقين لوعده ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً﴾ تعليق للنفى المؤكد بالدهر[2] المتطاول ﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ بيان للأبد ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾: الجبارين ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ قال بعض الصحابة يوم[3] بدر: "إنا لا نقوله كما قالت بنو إسرائيل،بل نقول اذهب أنت وربك إنا معكم مقاتلون"﴿قَالَ﴾: موسى لبث الحزن إلى الله ﴿رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي[4] ﴾ عطف على نفسى ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ اقض بيننا وبينهم بما نستحق أو خلصنا من صحبتهم[5] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَإِنَّهَا﴾ أى: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: دخولها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف لمحرمة فيكون التحريم مؤقتا فقد نقل عن بعض

---

(١) وكثيرًا يأتى معمول ما بعد الفاء متقدما عليها لما رأيا بنى إسرائيل قد عصوا فى الإقدام على الجهاد مع وعد الله فى قوله: "التى كتب الله لكم" استرابا فى إيمانهم فقالا "إن كنتم مؤمنين"/ ١٢ منه.

(٢) لا أبد الآبدين على ما هو الظاهر من التأبيد لدلالة البيان أعنى: ماداموا فيها على ذلك/ ١٢ منه.

(٣) رواه البخارى فى المغازى والإمام أحمد والنسائى/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ (٤٦٠٩).

(٤) لما رأى موسى تمردهم وسوء أدبهم وكفرهم مع الله ولم يبق معه من يثق به إلا هارون بث حزنه إلى الله تعالى والشكوى إليه وقوله "وأخى" عطف على نفسى يعنى أملك أمر نفسى وأمر أخى، والباقون متمردون عنى، وكأنه عليه السلام ما اعتد بالرجلين المؤمنين كما روى عن على كرم الله وجهه أنه خطب فى الكوفة مستنجدا على قتال الشام فلم يجبه إلا رجلان فقال: أين تقعان مما أريد/ ١٢ وجيز.

(٥) فالفرق على الأول حكمى، وعلى الثانى مكانى/ ١٢ منه. رحمة وروح لهما/ ١٢.

السلف أن موسى سار بمن بقي من التيه بعد الأربعين ففتح بيت المقدس أوظرف لقوله ﴿يَتِيهُونَ﴾ أى: يسيرون متحيرين ﴿فِي الأَرْضِ﴾ فيكون التحريم مؤبدًا وقد نقل عن كثير من السلف أن موسى وهارون ماتا فى التيه[1] ولم يبق أحد من أهل التيه ـــ سوى يوشع وكالبُ ـــ إلا مات فيه، ويوشع سار بأولادهم وفتح الشام ﴿فَلاَ تَأْسَ﴾: لا تحزن ﴿عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ[2]﴾ هذا تسلية لموسى فإنهم مستحقون لما عاملناهم.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

---

(١) والتيه خرق عادة فقالوا عرضه وطوله ثلاثون فرسخا، وكانوا إذا ساروا جميع الليل أصبحوا فى المكان الذى رحلوا منه/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما كان من آخر كلامهم لموسى "اذهب أنت وربك" وهذا من جبنهم وعدم وثوقهم بقول الله تعالى، وفى قصة ابنى آدم جسارة عظيمة فقابيل أول عاص بتلك المعصية التى لم تعهد وبنو إسرائيل أول من خاطب رسولهم بهذا القول الشؤم عقب قصتها بقصتهم فقال "واتل" الآية/ ١٢ وجيز.

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾: هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى: تلاوة متلبسة بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾ ظرف للنبأ. والقربان: اسم لكل ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة وغيرها ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ قابيل كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه فبينما هما قاعدان فقالا: نقرب قربانا فقرب هابيل خير غنمه وقرب الآخر أبغض زرعه، فجاءت نار من السماء وأكلت الشاة وتركت الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذى فدى به إسماعيل أتى به من الجنة فحسد قابيل أخاه(*) ﴿قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ هابيل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أى: لم تقتلنى ولا ذنب لى وإنما أتيت من قبل نفسك بتركك التقوى ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ لا أقابلك[1] على صنيعك الفاشل بمثله ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كان هابيل أشد وأقوى لكن

(*) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤٨٤/٢) وعزاه لابن جرير عبد الله بن عباس –رضي الله عنه–.

(١) هذا استسلام للقتل من هابيل كما ورد فى الحديث "إذا كانت الفتنة فكن كخير ابنى آدم" وتلا النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية/ ١٢.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤٨٧/٢) أحاديث وآثار بهذا المعنى فليراجع هناك.]

منعه الورع ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلى[1] ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذى عملته قبل ذلك فلم يتقبل من أجله قربانك أى: ترجع متلبسا بالإثمين حاملا لهما وقيل: معناه إثمى لو بسطت يدى إليك وإثمك ببسطك يدك إلىّ ونحوه المستبان[2] ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد[3] المظلوم فإن على البادى إثم سبه ومثل إثم صاحبه، لأنه الباعث، والإثم محطوط عن صاحبه؛ لأنه دافع مكافئ عن عرضه إذا لم يخرج عن حد المكافأة ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا الكلام من هابيل موعظة لأخيه وزجر له، قال ابن عباس رضى الله عنهما: خوفه بالنار فلم ينته و لم يترجر، وقيل: هو يعلم أن أخاه ظالم وإرادة جزاء الظالم حسن ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ سهلته ووسعت له ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ[4]﴾: فى الدنيا والآخرة ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً

---

(١) وهذا يوافق معناه معنى ما ثبت فى صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه ومثله قوله تعالى: "وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم"(العنكبوت:١٣)/ ١٢ فتح.[أخرجه مسلم (٤٤٣/٥) ط الشعب.]

(٢) المستبان مبتدأ وقوله: ما قال فعلى البادى الخ جملة شرطية خبر له وقوله ما لم يعتد أى مادام لم يظلم و لم يتجاوز حد المساواة/ ١٢ منه.

(٣) فالآية محمولة على أن ملك إثمى المقدر الذى كان يثبت ببسط اليد إلى قابيل، وأما فى الحديث فكل من المستبان ساب فى نفس الأمر/ ١٢ منه.[أخرجه مسلم (٤٤٨/٥) ط الشعب]

(٤) ثبت فى الحديث "ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها" لأنه أول من سن القتل. رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حيث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه/ ١٢.[أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء" (٣٣٣٥) ومسلم في "القسامة" (١٦٧٧) ولفظة "لا تقتل نفس ظلما .....الحديث"]

﴿يَبْحَثُ[1] فِي الأَرْضِ﴾ لما قتله تحير فى أمره لم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابًا إلى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُ﴾: الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أى: جسده، فإنه مما يستقبح أن يرى، وكيف: حال من ضمير يوارى، والجملة ثانى مفعولى ليريه ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى﴾ كلمة جزع والألف بدل من ياء المتكلم أى: احضرى يا هلاكى فهذا أوانك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ﴾ عطف على أكون أو جواب استفهام؛ لأنه للإنكار بمعنى النفى أى: إن لم أعجز واريت ﴿سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله قيل اسود جسده وتبرأ منه أبواه، وقد ذكر أكثر المفسرين إن الله قد شرع لآدم أن يزوج بناته من بنيه، وكان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر فكانت أخت هابيل دميمة[2] وأخت قابيل جميلة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك، وأمرهما بأن يقربا قربانا فمن تقبل منه فهى له فتقبل من هابيل فحسد. هذا ما نقلوه والذى صح عن ابن عباس ما نقلناه أولاً وهو يشعر بل يدل على أن قرباهما لا عن سبب ولا عن بداءة فى امرأة، وهو ظاهر القرآن فلذلك اخترناه ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أى: بسبب قتله أخاه ظلمًا ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حكمنا وقضينا[3] عليهم

---

(١) والبحث فى الأرض: نبش التراب وإثارته/ ١٢ وجيز. السوءة: العورة وأراد بها الجسد/ ١٢ وجيز.

(٢) وهذه الحكاية حكاية إسرائيلية وعبارة ابن عباس دالة على أن قرباهما لا عن سبب فلهذا تعرضنا بظاهر ما فى القرآن/ ١٢ وجيز.[أثر ابن عباس رواه ابن جرير كما سبق وقال ابن كثير في "تفسيره" (٢/٤٤): فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارؤ في امرأة كما تقدم عند جماعة. وهو ظاهر القرآن]

(٣) فإنهم أول أمة نزل فيهم الوعيد للقتل وغلظ عليهم الأمر بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء، ومع ذلك لا يرتدعون حتى قتلوا الأنبياء وهموا بقتل النبى المصطفى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين/ ١٢ وجيز.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى: بغير قتل نفس يوجب القصاص **﴿أَوْ فَسَادٍ**[1] **فِي الأَرْضِ﴾** أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق **﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾** أى: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس أو لأنه يقتل قصاصا كما لو قتل الجميع أو كما قتل الناس وزرًا أو إثما **﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾** حرم قتلها وكف عنها أو عفا عن قاتل أو أنجاها عن هلكة **﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾** حيى الناس منه جميعًا وحرم قتل جميع الناس أو فى الأجر والثواب والمقصود تعظيم القتل والإحياء فى القلوب **﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾** أى: بنى إسرائيل **﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾** بالمعجزات الظاهرات على صدقهم **﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ﴾**: إرسال الرسل مع البينات **﴿فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**[2] **﴾**: فى مثل القتل **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**[3] **﴾**

---

(١) وظاهر النظم القرآنى أنه ما يصدق عليه أنه فساد فى الأرض فالشرك فساد فى الأرض، وقطع الطريق فساد فى الأرض وسفك الدماء، وهتك الحرم ونهب الأموال فساد فى الأرض، والبغى على عباد الله بغير حق فساد فى الأرض وهدم البناء وقطع الأشجار وتغوير الأنهار فساد فى الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد فى الأرض وهكذا الفساد الذى يأتى فى قوله "ويسعون فى الأرض فسادًا" يصدق على هذه الأنواع، وسيأتى تمام الكلام على معنى الفساد قريبًا/ ١٢ فتح.

(٢) مجاوزون الحد فى المعاصى وعدم اتباع الرسل ومنهم فى موضع الصفة لكثيرًا و بعد ظرف لمسرفون ولما ذكر تغليظ الإثم فى القتل والفساد فى الأرض أتبعه بيان الفساد فى الأرض الذى يوجب القتل، فإن بعض الفساد لا يوجب فقال "إنما جزاء الذين"/ ١٢ وجيز.

(٣) والحق أن هذه الآية تعم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته ولا اعتبار بخصوص السبب بل الاعتبار بعموم اللفظ، قال القرطبى فى تفسيره ولا خلاف بين أهل العلم فى أن حكم هذه الآية مرتب فى المحاربين من أهل الإسلام وإن كانت نزلت فى المرتدين واليهود انتهى ومعنى قوله: مرتب أى ثابت والأولى أن تفسير محاربة الله سبحانه بمعصيته ومخالفة شرائعه ومحاربة الرسول تحمل على معناها الحقيقى وحكم أمته حكمه وهم أسوته/ ١٢ فتح.

يحاربون أولياءهما من قاطع الطريق وغيره ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾: مفسدين أو كأنه قال: يفسدون فى الأرض فساداً أو يسعون فى الفساد، والفساد يطلق على أنواع الشر قال بعضهم نزلت فى بعض أهل الكتاب بينهم وبين النبى -صلى الله عليه وسلم- ميثاق فنقضوا وأفسدوا فى الأرض أو فى جماعة مرضوا فى المدينة فداواهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ألبان الإبل وأبوالها، فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل فلما أخذوا قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم ألقوا فى الرمضاء حتى[1] ماتوا فعلى هذا تكون تعليمًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا ما سمر بعد ذلك عينا ﴿أَن يُقَتَّلُوا﴾ أى من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا[2]﴾ مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ أيدى اليمنى وأرجل اليسرى إن أخذوا المال فقط ﴿أَوْ يُنفَوْا[3] مِنَ الأَرْضِ﴾ إن اقتصروا على الإخافة والنفى هو أن يطلبهم الإمام فيقام عليهم الحد أو يهربوا من دار الإسلام أو ينفى من بلد إلى بلد وهكذا وقال بعضهم لا يخرجون من أرض الإسلام أو المراد من النفى السجن أو يخرج من بلده إلى آخر ميسجن فيه حتى تظهر توبته وقال كثير من السلف: إن الإمام مخير بين هذه العقوبات الأربعة فى كل قاطع طريق فيكون أو للتخيير

---

(١) وفى صحيح مسلم أنهم سمروا أعين الرعاء ففعل بهم قصاصا/ ١٢.[أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ...﴾ الآية (٤٦١٠) وفي غير موضع من صحيحه.]

(٢) عند أبى حنيفة ومالك يصلب حيا ويطعن حتى يموت إن قتل وأخذ المال، وقال غيرهما يقتل ثم يصلب لعبرة الغير وعليه الشافعى/ ١٢ وجيز.

(٣) وظاهر القرآن أن الإمام مخير بين إيقاع ما شاء منها بالمحارب فى أى رتبة كان/ ١٢ وجيز.

لا للتفصيل **﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾** فضيحة **﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** هذا يدل على أن الآية نزلت فى جمع من المشركين وإلا فالجمهور على أن من أذنب ذنبا وعوقب فى الدنيا فهو كفارة له **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾** على قول من قال هى فى أهل الشرك فظاهر لأن من آمن ما بقى عليه شيء وأما المحاربون المسلمون إذا تابوا قبل القدرة سقط عنهم حد الله لا حقوق بنى آدم وكثير من السلف يدل على أنه يسقط حقوق بنى آدم، أيضًا إلا إذا أخذ مالاً معينًا فيجب الضمان **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا
نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ
ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ
إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ
لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى

ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٤١ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٤٢ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٣ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا[1] الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أى: القربة بطاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بمحاربة أعداء الله﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكى تفوزوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ[2] ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم، واللام متعلق بثبت الدال عليه "لو" وإفراد ضمير به لإجرائه مجرى اسم الإشارة أو لأنه من قبيل إنى قيار بها لغريب لا أن ومثله مفعول[3] معه ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ جواب لو ولو بما فى حيزه خبر إن ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ[4] مُّقِيمٌ

---

(١) ولما ذكر جزاء المحارب أمر المؤمنين بالتقوى وابتغاء القربات إلى الله فإن ذلك هو المنجى من المحاربة وعذاب المعد للمحارب فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) وإفراد ضمير به لتلازمهما كأنهما واحد كما قالت العرب: رب يوم وليلة مر بى أو لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة/ ١٢ وجيز.

(٣) لأن العامل معنوى فإذا جاز العطف تعين ولأن التركيب يصير ركيكا للفظة معه/ ١٢ وجيز.

(٤) لا ينفك عنهم أبدًا ولما ذكر أمر المحاربين الذين هم ساعون للفساد عقبه بذكر السوارق الذين هم أيضًا ساعون للفساد إلا أن الأولى على سبيل الشوكة والظهور والسرقة على سبيل الاختفاء والستر، فقال: "السارق والسارقة"/ ١٢ وجيز.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أى: أيمانهما[١] وتقديره عند سيبويه: حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، فيكون جملتين وجملة عند المبرد والفاء للسببية أى: الذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوبان[٢] على المفعول له ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فى الإنتقام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم من القطع ﴿فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلا يعذبه فى الآخرة، وأما القطع فلا يسقط عنه[٣] على الأصح ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ[٤] أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) أى إيمانهما وفى قراءة ابن مسعود "فاقطعوا أيمانهما" وقراءته أيضًا دالة على أن المقطوع يد واحد؛ لأن اليمين لا يكون إلا واحد، فالجمع باعتبار كثرة أفراد النوعين، ومثل هذا التركيب عند سيبويه جملتان تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم، ودليله فى كتب النحو وعند جماعة من البصريين جملة واحدة وجملة الأمر وخبر المبتدأ، والمعنى على العموم أى: الذى سرق والتى سرقت فالفاء دخل على جملة صالحة لأداة الشرط وأما نصاب السرقة ففيه خلاف كثير وعند الأكثرين ربع دينار للحديث الثابت فى الصحيحين ومذهب الجمهور أن القطع من الرسغ لفعل الشارع/ ١٢ وجيز.

(٢) وهما منصوبان على المفعول له وترك العطف بينهما للإشعار على أن القطع للجزاء على قصد النكال والمنع عن المعاودة والعبرة/ ١٢ وجيز.

(٣) بالتوبة/ ١٢ وجيز.

(٤) والخطاب فى "ألم تعلم" لكل من له علم كأنه قال: إنك عاجز عن الخروج عن ملكى فلم اجترئت على ما منعتك منه اعترض نصرانى على الدين الحنيفى أن فى اليد االمقطوع ظلما خمسين من الإبل وأنتم حكمتم بقطعه فى ربع دينار وما ذلك إلا جهل فأسكته بعض عظام العلماء بقوله: كانت ثمينة فلما خانت هانت. ولما بين أنه مالك العلويات والسفليات بيده التعذيب والغفران وله القدرة التامة العامة فعلى مذعنه تفويض الأمر إليه كما قال الله "ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل
=

يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾ أى: لا تهتم بمسارعتهم فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بقالوا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن[1] قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود عطف على من الذين ﴿سَمَّاعُونَ﴾ أى: هم سماعون أو تقديره: ومن اليهود قوم سماعون ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أى: قابلون له يقبلون من أحبارهم ما يفترونه وقيل: سماعون كلامك لأجل الكذب أى: ليكذبوا ويفترون عليك ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أى: يسمعون من جمع من اليهود لا يأتون مجلسك ويقبلون كلامهم أو معناه سماعون منك لأجله، وقيل: سماعون الثانى للتأكيد، ولقوم متعلق بالكذب أى: سماعون ليكذبوا لقوم لم يأتوا مجلسك تجافيا عنك وتكبرًا ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: من بعد أن وضعه الله مواضعه إما لفظا وإما معنى بحمله على غير مراده، الجملة صفة لقوم أو مستأنفة أو خبر محذوف، وكذلك قوله ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ أى: إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل يفتى بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ قبوله. "نزلت فى رجل وامرأة محصنين من اليهود زنيا وهم قد بدلوا الرجم فى التوراة بمائة جلدة والتحميم[2] والإركاب على حمار مقلوبًا فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتوا وقالوا: إن حكم بمثل ما قلنا اعملوا أو يكون نبى من أبنبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه فأمر عليه الصلاة والسلام بالرجم

أن نبرأها"(الحديد:٢٢) إلى أن قال "لكيلا تأسوا على ما فاتكم" فقال: "يا أيها الرسول" خاطبه به إشارة إلى أن الرسالة شغلك/ ١٢ وجيز.

(١) واللسان ترجمان القلب/ ١٢.

(٢) أى: تسويد الوجه/ ١٢.

وألزمهم أنه حكم التوراة فرجما[1] " ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: ضلالته ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ فى دفع الفتنة عنه ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من خبائث الشرك ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: فضيحة وهتك ستر للمنافقين وجزية وخذلان لليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرره للتأكيد ﴿أَكَّالُونَ[2] لِلسُّحْتِ﴾: الحرام كالرشى، فإنه مسحوت البركة ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تخيير فى الحكم والإعراض ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً﴾ فإن الله يعصمك من الناس قال كثير من السلف: الآية منسوخة[3] بقوله: "وأن احكم بينهم بما أنزل الله" (المائدة: ٤٨) ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أى: العدل وإن كانوا ظلمة مستحقين للتعذيب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: يرضى عنهم ويعظمهم ﴿وَكَيْفَ﴾ حال من فاعل ﴿يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم فى كتابهم المؤمن به منصوص ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : التحكيم فلا يقبلون حكمك المطابق لما فى كتابهم عطف على يحكمونك ﴿وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: لا بك ولا بكتابك.

---

(١) والحكاية فى الصحيحين ومنها يعلم أن كفرهم عناد بالتوراة والقرآن/ ١٢.[أخرجه البخاري في "الحدود" / باب: أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام (٦٨٤١) ومسلم في "الحدود" / باب: من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٩).]

(٢) ولما كان معظم النفع من المال الأكل وصفهم بأكل الحرام الذى يصير جزء البدن وفى الحديث: "كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به"/ ١٢ وجيز.[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٤٥١٩) ولفظة "كل جسد...الحديث"]

(٣) وفى الوجيز والمراد: فإن جاءوك للحكم فأنت مخير فى ذلك وقوله: "وأن احكم بينهم بما أنزل الله"(المائدة:٤٨) يعنى: إن حكمت فلا يكون هذا منسوخًا بذلك/ ١٢.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ
فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ
وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ
وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ
مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا
لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ
ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ
وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ
جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ
لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ
يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

ثم مدح التوراة بقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾: يهدى إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾: به ينكشف المبهم ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾: أنبياء بنى إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ فيه تعريض باليهود وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق بأنزلنا أو بيحكم أى: لأجل اليهود ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ عطف على "النبيون"، وهم الزهاد والعلماء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾: بسبب أمر الله إياهم بحفظ كتابه، وإظهاره وضمير ما محذوف ومن للتبيين ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: رقباء لئلا يبدل أو بأنه من عند الله ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ نهى للحكام عن المداهنة خشية الناس ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾: الرشوة والجاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ نزلت فى أهل الكتاب[1] دون من أساء من هذه الأمة

---

(١) صرح الحسن البصرى بأن من لم يحكم منا فهو فاسق ومن لم يحكم من أهل الكتاب فهو كافر؛ لأنهم تركوا الحكم للتحريف والعناد، وقد روى هذا عن جماعة من السلف وعن حذيفة بسند صحيح أن هذه الآيات ذكرت عنده ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، فقال رجل: إن هذا فى بنى إسرائيل فقال حذيفة: نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة، كلا والله لتسلكن طريقهم قدر الشراك [ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٠٧/٢) وعزاه لابن جرير ابن أبي حاتم والحاكم في "المستدرك" وصححه]، وعن ابن عباس نحوه وأقول: هذه الآية وإن نزلت فى اليهود لكنها ليست مختصة بهم؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكلمة "من" وقعت فى معرض الشرط فتكون للعموم فهذه الآيات الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو الكتاب والسنة، والمقلد لا يدعى أنه حكم بما أنزل الله بل يقر أنه حكم بقول العالم الفلانى وهو لا يدرى هل ذلك الحكم الذى حكم به هو من محض رأيه أم من المسائل التى استدل عليها بالدليل ثم لا يدرى أهو أصاب فى الاستدلال أم أخطأ وهل أخذ بالدليل القوى أم الضعيف! فانظر يا =

أو من تركه عمدًا وأجاز وهو يعلم فهو من الكافرين، فيكون فى المسلمين أو ليس

= مسكين ماذا صنعت بنفسك، فإنك لم يكن جهلك مقصورًا عليك بل جهلت على عباد الله فأرقت الدماء وأقمت الحدود هتكت الحرم بما لا تدرى، فقبح الله الجهل بما أنزله، ولاسيما إذا جعله صاحبه شرعًا ودينًا له وللمسلمين، فإنه طاغوت عند التحقيق وإن ستر من التلبيس بستر رقيق فيا أيها المقلد أخبرنا أى القضاة أنت من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: واحد فى الجنة واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار". أخرجه أبو داود وابن ماجه عن بريدة [وصححه الشيخ الألباني في "الإرواء" (٢٦١٤)]. فيا لله عليك بل قضيت بالحق وأنت تعلم أنه الحق إن قلت نعم فأنت وسائر أهل العلم يشهدون بأنك كاذب، لأنك معترف بأنك لا تعلم ما الحق، وكذلك سائر الناس يحكمون عليك بهذا من غير فرق بين مجتهد ومقلد، وإن قلت بل قضيت بما قاله إمامى ولا تدرى أحق هو أم باطل كما هو شأن كل مقلد على وجه الأرض فأنت بإقرارك هذا أحد رجلين إما قضيت بالحق ولا تعلم أنه الحق أو قضيت بغير الحق لأن ذلك الحكم الذى حكمت به هو لا يخلو عن أحد الأمرين إما أن يكون حقًّا وإما أن يكون غير حق، وعلى كلا التقديرين فأنت من قضاة النار بنص الصادق المختار، وهذا ما أظن يتردد فيه أحد من أهل الفهم لأمرين: أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قد جعل القضاة ثلاثة، وبين صفة كل واحد منهم ببيان يفهمه المقصر والكامل والعالم والجاهل.

الثانى أن المقلد لا يدعى أنه يعلم ما هو حق من كلام إمامه وما هو باطل بل يقر على نفسه أنه يقبل قول الغير ولا يطالبه بحجة، وأنه لا يعقل الحجة إذا جاءته فأفاد هذا أنه حكم بشيء لا يدرى هو فإن وافق الحق فهو قضى بالحق ولا يدرى أنه الحق وإن لم يوافق الحق فهو قضى بغير الحق وهذان هما القاضيان اللذان فى النار فالقاضى المقلد على كل حال يتقلب فى نار جهنم كما قال قائل:

خذى بطن حرشا أو قفاها فإنه   كلا جانبى هرشا لهن طريق/ ١٢ فتح.

بكفر ينقل عن الملة والدين، ولكن كفر دون كفر ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: فرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: فى التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ مقتولة ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ﴾ مفقوءة ﴿بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ﴾ مجدوع ﴿بِالأَنفِ وَالأُذُنَ﴾ مصلومة ﴿بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ مقلوعة ﴿بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أى: ذات قصاص فيما يمكن الاقتصاص منه، وأما ما لا يمكن القصاص ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته فلا قصاص فيه، ومن قرأ والعين بالعين بالرفع وكذلك الباقى فيكون عطفًا على أن وما فى حيزه أى: كتبنا عليهم فيها العين بالعين ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص بأن عفا عنه ﴿فَهُوَ﴾ أى: التصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾: للمتصدق يكفر الله به ذنوبه أو للجانى لا يؤاخذه الله به كما أن القصاص كفارة له ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم بالعدل نزلت لما[1] اصطلحوا أن لا يقتل شريف بوضيع ورجل بامرأة ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم﴾ أى: وأتبعناهم فحذف المفعول لدلالة الظرف عليه والضمير للنبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثان متعدى إليه بالباء ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: حاكما بما فيها ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ يستضاء به فى إزالة الشبهات، والجملة أعنى: "فيه هدى" فى موضع نصب على الحال ﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ لا يخالفه إلا فى قليل ﴿وَهُدًى[2] وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ زاجرًا عن ارتكاب المحارم لمن اتقى الله وخاف عقابه ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ عطف على وآتيناه الإنجيل أى: وآتيناه الإنجيل، وقلنا لهم: ليحكم ومن قرأ ليحكم بكسر اللام وفتح الميم فتقديره وآتيناه ليحكم ﴿وَمَن لَّمْ

(١) أى اليهود/ ١٢.

(٢) فقوله: "فيه هدى" مبهم وهدى للمتقين مبينة أو الأول: ذكر أن فيه الهداية والنور والثانى: جعل نفس الإنجيل هاديًا وواعظًا/ ١٢ وجيز.

﴿يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ[١]﴾: الخارجون عن طاعة ربهم ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ﴾ أى: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسا به ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ﴾: من جنس الكتب المنزلة ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾: رقيبا على سائر الكتب وشهيدًا. فكل خبر يوافقه فحق وما خالفه منها فمحرف باطل أو حاكما على ما قبله من الكتب ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بالانحراف ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ﴾ ولتضمن لا تتبع معنى الانحراف تعلق به عن أو حال عن الفاعل أى: مائلاً عما جاءك ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً[٢]﴾: سبيلا ﴿وَمِنْهَاجاً﴾: سنة السنن هى مختلفة فى التوراة شريعة وفى الإنجيل

---

(١) وفى الآية دلالة على اشتراط الاجتهاد فى القضية وإشارة إلى ترك الحكم بالتقليد، فإن قلت: إذا كان التخاصم ببلدة لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصمين الترافع إلى من بها من القضاة المقلدين؟ قلت: إذا كان يمكن وصولها إلى قاض مجتهد لم يجز للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما إلى القاضى المجتهد أو يرفع القضية إليه ليحكم فيها بما أنزل الله أو بما أراه الله، فإن كان الوصول إلى القاضى المجتهد متعذرًا أو متعسرًا فلا بأس بأن يتولى ذلك القاضى المقلد فصل خصوماتهما لكن يجب عليه أن لا يدعى علم ما ليس من شأنه، فلا يقول: صح أو لم يصح شرعًا بل يقول قال إمامه كذا ويعرف الخصمين أنه لم يحكم بينهما إلا بما قاله الإمام الفلانى وفى الحقيقة: هو محكم لا حاكم، وقد ثبت التحكيم فى هذه الشريعة المطهرة كما جاء ذلك فى القرآن الكريم فى شأن الزوجين، وأنه يوكل الأمر إلى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل المرأة، وكما فى قوله تعالى: "يحكم به ذوا عدل منكم"(المائدة:٩٥) وكما وقع فى زمن النبوة والصحابة فى غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب، والعور خير من العمى/ ١٢ فتح.

(٢) الشريعة فى الأصل الطريقة الظاهرة إلى الماء والمنهاج الطريق الواضح فالعطف للجمع بين الوصفين، والمراد: الأحكام العلمية، وأما أصول الدين فلا اختلاف بوجه آخر/ ١٢

=

شريعة يحل الله فيها أشياء هى حرام فى غيرها ليتميز المطيع من العاصى **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** جماعة متفقين على دين وطريقة واحدة فى جميع الأعصار ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه **﴿وَلَكِن﴾** أراد **﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾**: ليختبركم **﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾** من الشرائع المختلفة فى كل عصر هل تعملون بها وتعتقدون حكمتها **﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾** ابتدروا وسارعوا إلى الأعمال الصالحة **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾** أيها الناس **﴿جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** بالجزاء فيجزى الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين **﴿وَأَنِ احْكُم﴾** عطف على الكتاب أو على الحق أى: أنزلنا إليك الحكم أو أنزلنا إليك الكتاب بأن احكم أو تقديره وأمرنا أن احكم **﴿بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرًا بين أن يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم ويردهم إلى حكامهم فأمر أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يردهم إلى حكامهم **﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾** أهل الكتاب **﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾** بدل اشتمال من هم أو مفعول له أى: مخافة أن يفتنوك ويضلوك **﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾** نزلت حين قالت رؤساء اليهود نتطلق إلى محمد لعلنا نفتنه، فقالوا قد تعلم أنا إن ابتعناك اتبعناك الناس ولنا خصومة فاقض لنا على خصمنا إن جئنا نتحاكم إليك فنؤمن بك **﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾** عما حكمت **﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾** لما لهم من الذنوب السالفة التى اقتضت نكالهم **﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾**: خارجون عن طاعة ربهم **﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ[1] يَبْغُونَ﴾** أى: يريدون، وعن حكم الله يعدلون

= وجيز. وفى الفتح وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن وأما بعده فلا شرعة ولا منهاجًا إلا ما جاء به صلى الله عليه وسلم/ ١٢.

(١) استفهام إنكار على اليهود حيث هم أهل الكتاب ومع ذلك يعرضون عن حكم الله تعالى/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً﴾ تمييز ﴿لِّقَــــوْمٍ يُوقِنُــونَ﴾ أى: عندهــم فــاللام للبيان أى: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لمن له اليقين بأنه أعــدل العــادلين وأرحــم الراحمين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ فــلا تعاشــروهم معاشرة الأحباب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فهم متفقون على مخــالفتكم ومعــاداتكم

---

(١) ولما بين كمال عداوتهم مع المؤمنين وقلة عقلهم خاطب المؤمنين بالنهى عــن مــوالاة أعدائهم فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ[1] مِنْهُمْ﴾ يحشر معهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[2]﴾ فاحذر عن موالاة من ظلم نفسه فإنهم الظالمون ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق كابن[3] أبي ابن سلول وأضرابه ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ فى محبتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ[4]﴾ بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار ﴿فَعَسَى[5] اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ للمسلمين على أعدائهم ﴿أَوْ[6] أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ كضرب الجزية عليهم وهتك ستر المنافقين ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ هؤلاء المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من النفاق ودس أخبار المسلمين على أعدائهم ﴿نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرئ بالنصب عطف على يأتى بتقدير الضمير أى: عسى الله أن يقول الذين آمنوا به أو باعتبار أن قولهم لما كان مسببا عن الإتيان بالفتح أقيم مقامه مبالغة فى اتحاده معه وبالرفع كلام مبتدأ وبغير أو على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبًا من كذبهم وحلفهم بالباطل أهؤلاء الذين

---

(١) فيه تشديد عظيم ومن هذا ورد "من أحب قومًا فهو منهم"/ ١٢ وجيز.

(٢) المراد من سبق فى علم الله تعالى أنه يموت ظالمًا/ ١٢.

(٣) رأس المنافقين/ ١٢ وجيز.

(٤) قال الواحدى: الدائرة من دوائر الدهر كالدولة، وهى التى تدور من قوم إلى قوم، والدائرة هى التى تخشى كالهزيمة والحوادث المخوفة فالدوائر تدور والدوائل تدول/ ١٢ كبير.

(٥) وعسى فى كلام الله سبحانه وعد لا يتخلف والفتح ظهور النبى صلى الله عليه وسلم على الكافرين/ ١٢ فتح.

(٦) قوله: "أو أمر من عنده" يعنى: لا يكون للناس فيه فعل البتة كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير محاربة ولا عسكر/ ١٢ كبير.

أقسموا لكم بأغلظ الأيمان إنهم أولياؤكم ومعاونوكم على الكفار أى: يجتهدون جهد أو مصدر من لفظ أقسموا لأنه بمعناه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل كل عمل خير لهم ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ فى الدنيا والآخرة وهو من قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ قد ارتد عن الإسلام قبائل العرب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ[2]﴾ بدلهم ومكانهم ﴿يُحِبُّهُمْ[3]﴾ يهديهم ويثبتهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ هم أبو بكر

---

(١) ولما ذكر أقوامًا كافرين ظالمين نادمين خاسرين عقب قومًا أخس منهم وأقبح فقال "يا أيها الذين آمنوا"/ ١٢ وجيز.

(٢) وهم قوم أبى موسى الأشعرى على الأصح كما فى المستدرك لأبى عبد الله الحاكم/ ١٢ وجيز. المراد بالقوم الذين وعد الله بالإتيان بهم هم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وجيشه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين فى جميع الزمن قال بعض الصحابة ما ولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة/ ١٢.

(٣) اعلم أن حب المحمود وبغض المذموم صفتان من صفات الكمال فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال ولا يحب صفات الكمال.

وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور والجهل والظلم والكذب ونحو ذلك لا يحب هذا ولا يبغض هذا كان الذى يحب تلك الأمور أكمل من هذا فدل على أن هذه من صفات الكمال، والموجود إما أن لا يكون له علم كالجماد فالذى يعلم أكمل منه، والعالم إما أن يحب المحمود ويبغض المذموم وإما أن لا يحبهما، وإما أن يحبهما، ومعلوم أن الذى يحب المحمود ويبغض المذموم أكمل ممن لا يحبهما ويبغضهما. وأصل هذه المسألة هى الفرق بين محبة الله ورضائه وغضبه وسخطه وإرادته كما هو مذهب السلف، ومن ذهب إلى أنه لا =

وأصحابه أو أهل اليمن أو الأشعريون ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين لهم أجنحتهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: شداد متغلبين عليهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة أخرى لقوم ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ لا كالمنافقين يخافون ويراقبون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ[1]﴾ بمن هو أهله ﴿إِنَّمَا[2] وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ بدل من الذين آمنوا أو مرفوع،

= فرق بينها فقوله مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإنه لا يكون شيء إلا بمشيئته، ومجمعون على أنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول، والذين نفوا محبته بنوها على هذا الأصل الفاسد فالمحبة صفة ثابتة له تعالى فهو يحب الصادقين ويحب الصابرين ويحب المقسطين ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا، وهو يأتى بقوم يحبهم ويحبونه، والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، فليس لمؤمن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله أن ينفى صفة أثبتها الله لنفسه وشهد رسوله أن يفسرها برأيه ثم يستحيلها؛ لأن عدم علمنا بكيفية صفة من صفاته لا يوجب نفيها، كما أن عدم علمنا بكنه ذاته لا يستلزم النفى فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل/ ١٢.

(١) ولما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بين لهم من وليهم فقال: "إنما وليكم الله"/ ١٢ وجيز.

(٢) لم يقل أولياء إشارة إلى أن المجموع فى حكم واحد وإلى التنبيه على أن الولاية على الأصالة لله تعالى وللباقين تبع، ولأن الولى بزنة فعيل فيستوى فيه التثنية والجمع والواحد كما صرح بمثل ذلك الزمخشرى فى قوله تعالى "وما قوم لوط منكم ببعيد"(هود:٨٩)/ ١٢ وجيز.

أو منصوب على المدح[1] ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم، أو حال من الذين بمعنى أنهم دائمون للركوع أى لصلاة التطوع أو حال من فاعل يؤتون؛ فإن عليا رضى الله عنه أعطى خاتمة فى ركوعه لسائل[2] فنزلت ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: من يتخذهم أولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ أى: فإنهم الغالبون: كأنه قال فهم حزب الله وجنده وحزب الله هم الغالبون.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا

(١) لا صفة لاشتراك الموصوفين فى كونهما وصفين، والوصف لا يوصف إلا إذا جرى مجرى الاسم كالمؤمن مثلاً بخلاف الذين آمنوا، فإنه فى معنى الحدوث/ ١٢ وجيز.

(٢) كما رواه ابن جرير وابن مردويه بروايات مختلفات [ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٧٢/٢) وقال: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها" وذكرها السيوطي في "الدر المنثور" (٥١٩/٢)]، وذكر بلفظ الجمع تحريضًا على المبادرة إلى الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر/ ١٢ وجيز.

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ
وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ
غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ
لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ قرئ والكفار بالجر فيكونون داخلين فى المستهزئين، وبالنصب عطف على الذين اتخذوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى اتخاذ هؤلاء أولياء ﴿إِن كُنتُم[1] مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرعه ودينه الذى اتخذه هؤلاء هزوا ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ الناس ﴿إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا[2]﴾ أى: المناداة ﴿هُزُواً وَلَعِباً[3]﴾ تضاحكوا فيما بينهم

(١) ولما ذكر اتخاذهم دينكم هزواً أخذ يبين قبيح صنيعهم فقال وإذا ناديتم/ ١٢ وجيز.

(٢) هم المنافقون يظهرون الإسلام عند المسلمين وفى قومهم يضحكون ويستهزءون/ ١٢ وجيز.

(٣) يحكونها ويستهزءونها فليست المناداة عندهم ولا ركوع فى صلاتهم/ ١٢ وجيز. وليس فى كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا فى هذا الموضع، وأما قوله تعالى فى =

يحكونه ويستهزءونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ فإن العقل يمنع من الاستهزاء بأمر معقول مشروع ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾: تنكرون وتعيبون ﴿مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ قيل: نزلت فى اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال: "نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل" إلى قوله "ونحن له مسلمون" فقالوا لما سمعوا ذكر عيسى والله لا نعلم دينا شرا من دينكم[1] ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على "أن آمنا" وحاصله: أنكم ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون عنه، أو عطف على علة محذوفة تقديره: تنكرون منا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم ويجوز أن يكون حالاً من فاعل تنقمون ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ﴾: المنقوم ﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ تميز عن شر أى جاء ثابتًا عنده، وهو من باب: تحيتهم بينهم ضرب وجيع. فإن المثوبة مختصة بالخير ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أى: هو دين من لعنه الله فلا بد من حذف مضاف هنا أو فى قوله بشر من ذلك أى: من أهل ذلك ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على لعنه والطاغوت: العجل أو الكهنة أو الشيطان ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فيه مبالغة ليست فى قوله أولئك شر[2] قيل: لأن مكانهم سقر ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: قصد الطريق المتوسط والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالإضافة إلى المؤمنين ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ يعنى

= سورة الجمعة: "إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة"(الجمعة:٩) فهو خاص بنداء الجمعة/ ١٢.

(١) رواه محى السنة والواحدى وغيرهما/ ١٢ وجيز.

(٢) كما تقول فى التعظيم سلام على مجلسه ففيه مبالغة، فإن كان ذلك فى الآخرة يراد بالمكان حقيقة، لأن جهنم مكانهم. وإن كان ذلك فى الدنيا فالمراد المكانة/ ١٢ وجيز.

منافقى اليهود ﴿وَقَد دَّخَلُوا﴾ حال من ضمير قالوا ﴿بِالْكُفْرِ﴾ حال من فاعل دخلوا ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أى: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لم يؤثر فيهم كلامك[1] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: من الكفر وفيه وعيد ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ﴾: من منافقيهم أو من اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾: المحارم أو الكذب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الاعتداء على الناس أو مجاوزة الحد فى المعاصى ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الحرام خص بالذكر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: شيئًا عملوه ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾: زهادهم ﴿وَالأَحْبَارُ﴾: علماؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾: كذبهم وافتراءهم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[2]﴾: من عدم النكير عليهم التحضيض لهم على

(١) واللائق بحال العاقل إن فرضنا أنه دخل متلبسًا بالكفر أن لا يخرج إلا مؤمنًا/ ١٢ وجيز.

(٢) فيه توبيخ العلماء والزهاد على السكوت، قال السلف: ما نعلم آية أشد توبيخًا للعلماء والزهاد على السكوت عن النهى عن المعاصى من هذه الآية والعمل لا يسمى صناعة إلا إذا تمكن صاحبها فيها وينسب إليه، ففيه إشارة إلى أن ترك نهى المنكر عادة خواصهم/ ١٢ وجيز. وبخ سبحانه الخاصة وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعلى المعاصى فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرجوا لها عن قلوبهم فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافى لهم بأن كفهم عن المعاصى مع ترك إنكارهم على أهلها لا يسمن ولا يغنى من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالا من العصاة فرحم الله عالما قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب ما أوجب عليه النهوض به، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الذين لا يخافون فيك لومة لائم وأعنا على ذلك وقونا عليه ويسره لنا وانصرنا على من تعدى حدودك وظلم عبادك، إنه لا ناصر لنا سواك ولا مستعان غيرك يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين/ ١٢.

النهى عن ذلك، فإن لولا إذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾** مجاز عن البخل أى هو مسك كف الله عنهم نعمة الدنيا حين جحدوا القرآن بعد ما كانوا فى خصب ورخاء فقالوا ذلك **﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾** أى: هم البخلاء أو دعا عليهم بالبخل قيل: هى من الغل فى النار **﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ[1] يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** ليس له بخل أصلاً وله غاية الجود وتثنية اليد تدل عليها، وقيل يداه أى: نعمة الدنيا والآخرة **﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾** تأكيد لذلك أى هو مختار يوسع ويقتر بحسب مشيئته وإرادته **﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ﴾** فاعل يزيدن **﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾**: كلما نزلت آية كفروا وازدادوا طغيانًا وكفرًا **﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾**: بين طوائف اليهود **﴿الْعَدَاوَةَ[2] وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** فلا يتفق كلمتهم **﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ﴾**: مع المسلمين **﴿أَطْفَأَهَا[3] اللَّهُ﴾** بأن أوقع

---

(١) أعلم أن اليد صفة قائمة بذات الله وهى صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء، والذى يدل عليه أن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيديه على سبيل الكرامة، ولو كان معناه بقدرته أو بنعمته أو ملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم وامتنع كون آدم مصطفى بذلك؛ لأن ذلك حاصل فى جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى وراء ذلك يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء وبه قال أبو الحسن الأشعرى على ما نقله الرازى عنه وجماعة من أهل الحديث/ ١٢ فتح. فلا نكذب بأصلها لعدم علمنا بوصفها وآمنا بالله كما هو بأسمائه وصفاته/ ١٢.

(٢) لا يقال: إن هذا المعنى حاصل بين المسلمين أيضًا فكيف يكون عيبا عليهم لا على المسلمين لأنا نقول: إن هذه البدع والافتراق لم يكن شيئًا منها حاصلاً بينهم فى الصدر الأول، وإنما حدثت بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم فحرى جعل ذلك عيبًا عليهم فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

(٣) أى: كلما جمعوا للحرب جمعًا وأعدوا له عدة شتت الله جمعهم وذهب بريحهم، وذلك بأن بعث الله عليهم بخت نصر البابلى ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومى، ثم =

بينهم منازعة كف بها شرهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾: للفساد أو يسعون بمعنى يفسدون ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: لا يرضى عنهم ولا يعزّهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ مع هذه الجرائم ﴿آمَنُوا﴾: بالقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾: معاصيهم ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ[1] سَيِّئَاتِهِمْ﴾: الماضية ﴿وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾: بأن يصدقوا ولا يحرفوا ويعملوا بالأحكام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أى: القرآن أو كتب الأنبياء مطلقًا ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لأنزل عليهم المطر وأخرج لهم نبات الأرض، أو من الأشجار والزروع أو من غير كد وتعب قيل أراد به التوسعة كقولهم: فلان بالخير من قرنه إلى قدمه ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: جماعة غير غالية ولا مقصرة كمؤمنى أهل الكتاب ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: مقول فى شأنه ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: بئس ما يعملونه، وفيه معنى التعجب أى ما أسوأ عملهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ

= أفسدوا فسلط عليهم المجوس وهم أهل الفرس، ثم أفسدوا فقالوا يد الله مغلولة، فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود فى ذلة أبدا وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ثم يبطل الله ذلك/ ١٢ فتح.

(١) قال بعض العلماء: من آمن ولم يراع التقوى لم يكفر جميع ما مضى من سيئاته فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه: "أنؤاخذ عملنا فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم: من أحسن منكم فى الإسلام فلا يواخذ بها ومن أساء أخذ بعمله فى الجاهلية والإسلام"، وأما من قال المراد من قوله من أحسن فى الإسلام عدم النفاق والمراد من الإساءة النفاق فقوله تمحل يخالف ظاهر الآية/ ١٢ وجيز.[الحديث أخرجه البخاري في "استتابة المرتدين" (٦٩٢١) ومسلم في "الإيمان" (٣٢٢/١) ط الشعب.]

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا
وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ
وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ
كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ
﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ
وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ
وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ
ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا
وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي
دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا
وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ۞

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: جميعه غير خائف من شيء ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: ولم تبلغ جميعه وكتمت آية منه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: وما أديت شيئًا منها كمن أضاع ركن صلاة، أو فكأنك ما بلغت شيئًا منها، فإن كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى: أنا ناصرك وحافظ روحك فلا تخف أحدًا(١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس من قبل ذلك، فلما نزلت تلك الآية تركت الحراسة(*) ويجاهد الأعداء بعيب دينهم وسب آلهتهم بلا خوف. قيل: المائدة آخر ما نزل من القرآن فلا يشكل بشج رأسه الأشرف صلى الله عليه وسلم، أو المراد حفظ روحه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أى: بلغ إليهم رسالتك والله الهادى وليس عليك هداهم قيل معناه: لا يمكنهم مما يريدون بك من الهلاك. قيل: الأمر بتبليغ كل ما قصد منه اطلاع الناس فإن من الأسرار ما يحرم إفشاؤه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أى: دين يصح أن يسمى شيئًا ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى: تؤمنوا بجميع الكتب وتصدقوها ولا تكتموا شيئًا منها فمن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ كرره ليتعقب عليه قوله: ﴿فَلاَ تَأْسَ﴾: لا تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإنهم الأشقياء وضرر كفرهم لا يلحق بغيرهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: باللسان كالمنافقين أو المراد منه المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ مرفوع بالابتداء وخبره محذوف

---

(١) رواه الترمذى وقال: الحاكم صحيح الإسناد/ ١٢ وجيز.[أخرجه الترمذي (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٣٤٤٠)]

(*) أخرجه الترمذي (٣٢٥٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها- وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٣٤٤٠).

أى والصائبون كذلك وهو اعتراض مشعر بأهم مع كمال ضلالهم إن آمنوا يتاب عليهم فغيرهم من باب الأولى وهم طائفة من النصارى أو من عبدة الملائكة أو قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة، وقيل: غير ذلك ﴿وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: بقلبه أو ثبت على الإيمان مبتدأ خبره "فلا خوف" والجملة خبر إن وضمير اسمها محذوف أى: من آمن منهم أو بدل من اسم إن وخبره فلا خوف ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات عنهم من الدنيا ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾: ليذكروهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى﴾: تشتهى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ جملة شرطية وقوله: ﴿فَرِيقاً﴾: من الأنبياء ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ دال على جواب الشرط وهو استكبروا، وقوله: "فريقا كذبوا" مستأنفة كأنه قيل: كيف فعلوا برسلهم؟ وجملة الشرط والجزاء صفة "رسلا" أى كلما جاءهم رسول منهم ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أى: حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم شر بما صنعوا ومن قرأ "ألا تكون" بالرفع يكون أن مخفف من المثقلة ﴿فَعَمُوا﴾: عن الدين والدلائل ﴿وَصَمُّوا﴾: عن إسماع الحق حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أى: ثم تابوا فقبل الله توبتهم ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ كرة أخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من ضمير الجمع ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أى: إنى مخلوق مثلكم فاعبدوا خالق الكل ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: فى عبادته ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ﴾: مترله ﴿النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: ما لهم أحد ينصرهم لأهم ظلمة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ(١)﴾ أى: أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ

---

(١) أنه أحد ثلاثة من الآلهة هو والمسيح وأمه قال الله تعالى: "ءأنت قلت للناس اتخذونى =

وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أى: و لم يوحدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير ليعلم أن ترتب العذاب لكفرهم، ومن للبيان ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ[١] إِلَى اللَّهِ﴾ بالانتهاء عن تلك العقيدة الوخيمة بعد هذا التهديد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم ويرحم عليهم بعد التوبة مع هذا الذنب الجسيم ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: ما هو إلا رسول كالرسل السابقة ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها وكتبه ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾: يحتاجان إليه، فكيف يكونان إلهين؟!! ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[٢] ﴾ أى: كيف يصرفون عن الحق وتدبر الآيات ﴿قُلْ﴾: يا محمد لمن يعبد غير الله ومنهم النصارى ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً﴾: لا يملك[٣] أن يدفع عنكم ضر المصائب ولا أن يوصل إليكم نفع الصحة

= وأمى إلهين من دون الله"(المائدة:١١٦) وقد حكى عنهم أنه جوهر واحد وثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس والثلاثة إله واحد كالشمس يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة اختلطت الكلمة بجسد عيسى كالماء فى الخمر فكل من الثلاثة إله ولا يجوز فى العربية فى ثالث ثلاثة إلا الإضافة فلا يقال ثالث الثلاثة/ ١٢ وجيز.

(١) هذا من لطف الله تعالى استدعاء إلى التوبة من تلك المقالة الباطلة بعد أن كرر عليهم الشهادة بكفرهم/ ١٢ وجيز.

(٢) ودخلت ثم للتراخى ما بين العجبين، فإن الثانى أعجب من الأول فإنه الإعراض عن الآيات أعجب من التوضيح/ ١٢ وجيز.

(٣) والمراد هنا المسيح عليه السلام وإيثار "ما" على "من" لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الألوهية ببيان انتظامه عليه السلام فى سلك الأشياء التى لا قدرة لها على شيء أصلا، وقدم سبحانه الضر على النفع لأن دفع المفاسد أهم من جلب المصالح =

والسعة ﴿وَاللَّهُ هُو السَّمِيعُ﴾: بالأقوال ﴿العَلِيمُ﴾: بالعقائد فيجازى عنها ﴿قُلْ[1] يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾: لا تتجاوزوا عن الحد فيه ﴿غَيْرَ الحَقِّ﴾: حال كون دينكم غير الحق أى باطلاً وقيل: صفة مصدر أى غلوًّا باطلاً فإن غلو الحق وهو التفحص عن حقائقه محمود ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا من قَبْلُ﴾ أى: أئمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَضَلُّوا﴾: خلقًا ﴿كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أى: استمروا على الضلال أو بعد بعثته أو ضلوا قبل عن مقتضى العقل ثم عن مقتضى الشرع.

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا

= وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية والإلهية حيث لا يستطيع ضرًّا ولا نفعًا وصفة الرب والإله أن يكون قادرًا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا فى حق عيسى النبى فما ظنك بولى من الأولياء، فإنه أولى بذلك/ ١٢ فتح.

(١) ولما سبق القول فى أباطيل اليهود وشيء من ترهات النصارى جمع الفريقين فى النهى فقال "قل يا أهل الكتاب" الآية/ ١٢ وجيز.

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وأصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم[1] آية فمسخوا خنازير أو ملعونون فى الزبور والإنجيل[2] على لسانهما **﴿ذَلِكَ﴾** أى: اللعن **﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** أى: بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم **﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ[3] فَعَلُوهُ﴾**: لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه قيل: أى لا ينتهون من تناهى عن الأمر إذا امتنع **﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** تعجيب مؤكد بالقسم **﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ[4]﴾**: من أهل الكتب **﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾**: يوالون **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** فإن المنافقين يوالون المشركين **﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** ما بعد أن هو المخصوص بالذم كأنه قال: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم أى

---

(١) وقال مجاهد والسدى وغيرهما/ ١٢.

(٢) هذا عن ابن عباس/ ١٢.

(٣) يعنى جمعوا بين فعل المنكر والتجاهر وعدم النهى/ ١٢ وجيز.

(٤) إن كان المراد أهل الكتب الذين فى عهد المسلمين فترى بصرية/ ١٢.

موجب سخطه ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ أى: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إذ الإيمان يمنع عن ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ[١]﴾: خارجون عن طاعة الله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فإنهم[٢] متفقون فى الانهماك فى حسدهم وعنادهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى[٣]﴾ نزلت فى وفد بعثهم النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ عليهم القرآن بكوا وأسلموا ثم رجعوا إلى النجاشى فأخبره وقيل: غير ذلك ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ أى: علماء ﴿وَرُهْبَاناً﴾ أى: عبادًا ﴿وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ[٤]﴾ كما يتكبر المشركون واليهود ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ عطف علي يستكبرون بيان لرقة أفئدتهم ﴿مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ جعلت أعينهم من كثرة البكاء كأنها تسيل بأنفسها ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

---

(١) وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر، وأصل الكلام: ولكنهم فاسقون، ولما طال الكلام أعيد كثيرًا منهم بلفظه المذكور فلا يلزم أن معناه أن كثيرًا من ذلك الكثير فاسقون/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنهما متفقان فى الحسد، وفى تقديم اليهود إشارة إلى أنهم أصول فى العداوة/ ١٢ وجيز.

(٣) لم يرد به جميع النصارى؛ لأنهم فى عداوتهم للمسلمين كاليهود فى قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن أسلم منهم كالنجاشى وأصحابه، وقيل فى جميعهم؛ لأن اليهود أقسى قلبًا والنصارى ألين قلبًا منهم، وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود/ ١٢ معالم.

(٤) بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك، والعموم أولى ولا وجه لتخصيص قوم دون قوم والآية الكريمة ساكتة عن قيد الإيمان، وإنما هو مدح فى مقابلة ذم اليهود، وليس بمدح على الإطلاق/ ١٢ فتح البيان.

من الأولى للابتداء والثانية للتبيين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ من الذين شهدوا بأنه حق أو من أمة محمد عليه[1] الصلاة والسلام فإنهم شاهدون يوم القيامة لنبيهم أنه قد بلغ، وللرسل أنهم قد بلغوا ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ﴾ نقل[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم إلى دينكم فأجابوا. أى: أى شيء حصل لنا؟ وقوله: لا نؤمن حال من ضمير "لنا" أى: غير مؤمنين ﴿بِاللَّهِ﴾: بتوحيده ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونطمع حال وعامله عامل الحال الأولى، لكن مقيدًا بالحال الأولى بتقدير: ونحن نطمع وعطف على لا نؤمن أو حال من فاعل لا نؤمن ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ﴾: أعطاهم ﴿بِمَا قَالُوا﴾: سألوا ربهم وتمنوا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾: من تحت غرفها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا القول والعمل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ التكذيب بالآيات وإن كان داخلا فى الكفر لكن كفرهم لأجل تكذيبهم آيات ربهم والكلام فى بيان المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٤٣/٢)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن ابن عباس -رضي الله عنه-]

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عباس/ ١٢ وجيز.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٣٨/٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأبي الشيخ.]

يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أى: ما طاب ولذ منه **﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾**: لا تبالغوا فى التضييق على أنفسكم فى تحريم المباحات عليها، أو لا تجاوزوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم، أو لا تعتدوا فى تناول الحلال بل خذوا منه بقدر الكفاية **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**(١) **﴾**: لا يرضى عمن تجاوز الحد فى الأمور

---

(١) ولما مدح النصارى بأن منهم قسيسين ورهبانًا وشيمتهم الزهد عن الطيبات أوهم ذلك رغبة المسلمين فى مثل تقشفهم وتبتلهم فبين أن الإسلام لا رهبانية فيه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا" قال ابن جرير لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبى صلى الله عليه وسلم التبتل على عثمان بن مظعون[أخرجه البخاري في "النكاح" (٥٠٧٣)
=

نزلت فى جمع من الصحابة منهم على بن أبى طالب رضى الله عنه تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات الطعام واللباس وهموا بالإخصاء ولذلك قيل الاعتداء: الإخصاء ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً[1]﴾ من إبتدائية متعلقة بكلوا وحلالا مفعوله أو للتبعيض مفعول كلوا وحلالا حال من الموصول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ قيل لما نزلت الآية فى منعهم عما اتفقوا عليه من الإخصاء وغيره قالوا: يا رسول الله: إنا قد حلفنا على ذلك فنزل قوله ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ[2]﴾: هو قول الرجل فى الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله، أو فى الهزل أو فى المعصية أو على

= ومسلم في "النكاح" (٥٤٩١٣) ط الشعب] فثبت أنه لا فضل فى ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو فى فعل ما ندب الله إليه عباده وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنه لأمته واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون إذ كان خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كان ذلك كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حلة وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرًا من عارض الحاجة على النساء، قال: فإن ظن ظان أن الفضل فى غير الذى قلنا لما فى لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وهذا ما فضل بينهما من القيامة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء أضر على الجسم من المطاعم الردية، لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التى جعلها الله سببًا إلى طاعته/ ١٢ فتح.

(١) قال ابن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه، والطيبات ما أغذى وأنمى وأما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه، إلا على وجه التداوى، ثم وصاهم الله تعالى بالتقوى/ ١٢ فتح.

(٢) وقد ذهب الجمهور من الصحابة ومن بعدهم إلى أنها قول الرجل لا والله وبلى والله فى كلامه غير معتمد لليمين وبه فسر الصحابة الآية وهم أعرف بمعانى القرآن قال الشافعى: وذلك عند اللجاج والغضب والعجلة/ ١٢ فتح.

غلبة الظن أو فى الغضب أو فى النسيان أو هو فى ترك المأكل والملبس ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾: بما صممتم عليه وقصدتموه إذا حنثتم ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أى: كفارة نكثه التى تذهب إثمه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾: وهو من لا يجد ما يكفيه ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾ صفة إطعام أو تقديره إطعامًا من أوسط أو طعامًا من أوسط ﴿مَا تُطْعِمُونَ[١] أَهْلِيكُمْ﴾ أى: من أعدله أو من أمثله، قال كثير من السلف: لكل واحد مد من بر ومعه إدامه، وقال بعضهم: نصف صاع من بر أو تمر ونحوهما وعند الشافعى مد بمد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك أَوْ ﴿كِسْوَتُهُمْ[٢]﴾ عطف على إطعام أى: ما يقع عليه اسم الكسوة أو كسوة تجوز صلاته فيها وقيل غير ذلك ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[٣]﴾: مؤمنة عند الشافعى فالحانث مخير بين هذه الثلاثة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: واحدًا منها بأن لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله فى يومه وليلته ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ أى: فكفارته ذلك، والتتابع ليس بشرط عند الشافعى ﴿ذَلِكَ﴾ أى: المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ يعنى: حنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ لا تتركوها بغير تكفير أو لا تحلفوا أو عن الحنث إذا لم يكن على ترك مندوب أو فعل مكروه فإن الأفضل الحنث والكفارة حينئذ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه فيزيدنكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[٤] آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ﴾: هو القمار بجميع أنواعه ﴿وَالأَنصَابُ﴾: هى حجارة كانوا يذبحون

---

(١) والظاهر أن المراد قدر الشبع/ ١٢ وجيز.

(٢) والظاهر ما يسمى كسوة/ ١٢ وجيز.

(٣) مؤمنة عند الأكثرين، فالحانث مخير بين هذه الثلاثة، والعتق أفضل ثم الكسوة وبدأ بالأيسر/ ١٢ وجيز.

(٤) ولما نهى عما حرموا على أنفسهم بين ما هو الحرام وهم يتعاطونه يعنى الخمر والباقى ذكر تبعًا له ليعلم أن الخمر من جنسه فقال: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر"/ ١٢.

قرابينهم عندها ﴿وَالأَزْلامُ﴾: هى قداح كانوا يستقسمون بها وقد مر ﴿رِجْسٌ[1]﴾: سخط وإثم خبر للخمر وخبر الباقى محذوف أو تقديره تعاطى الخمر والميسر رجس ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾؛ لأنه مسبب من تسويله ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أى: الرجس ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكى تفلحوا بالاجتناب عنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ[2] وَيَصُدَّكُمْ﴾: يمنعكم ﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

---

(١) فى الصحاح الرجس: القذر والعقاب والغضب وهذا كما قال: "إنما المشركون نجس"(التوبة:٢٨) فلا حاجة على تقدير مضاف فإنه أبلغ/ ١٢ وجيز.

(٢) وكما دلت هذه الآية على تحريم الخمر دلت أيضًا على تحريم الميسر والأنصاب والأزلام قال قتادة: الميسر هو القمار وقال ابن عباس: كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وعن على بن أبى طالب قال: النرد والشطرنج من الميسر وعنه قال الشطرنج ميسر الأعاجم، وقال قاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر، وعن ابن الزبير قال: يا أهل مكة بلغنى عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها نرد شير، والله يقول فى كتابه "إنما الخمسر والميسر" الآية إلى قوله "فهل أنتم منتهون"، وإنى أحلف بالله لا أوتى بأحد يلعب بها إلا عاقبته فى شعره وبشره، وأعطيت سلبه من أتانى به، وعن أنس بن مالك قال: الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مال يتيم فأحرقها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال: هى شر من النرد وسئل أبو جعفر عنه فقال: تلك المجوسية فلا تلعبوا بها وأخرج ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لعب بالنرد شير فقد عصى الله ورسوله، وأخرج ابن أبى الدنيا عن يحيى بن كثير قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يلعبون بالنرد فقال: قلوب لاهية وأيد عليلة وسنة لاغية وقال ابن سيرين: ما كان من لعب فيه قمار أو صياح أو شر فهو من الميسر، وفى الباب روايات كثيرة مشتملة على الوعيد الشديد لا نطول بذكرها، وقد أشار سبحانه إلى ما فى الخمر =

﴿الصَّلاةِ﴾ ذكر الأنصاب والأزلام اللذين هما من الكفر مع الخمر والميسر كأنه للدلالة على أنهما مثلهما فى الحرمة، ولذلك خصهما بإعادة الذكر ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ من أبلغ عبارة فى النهى كأنه قال قد تلوت عليكم من أنواع الصوارف فهل أنتم معها منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه و لم ينفعكم الزجر؟! ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾: مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ فلا ضرر له، وإنما ضررتم به أنفسكم، ولما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم أحد شهداء والخمر فى بطونهم فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾: إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾: مما لم يحرم عليهم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾: الحرام ﴿وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما حرم عليهم بعد ﴿وَآمَنُوا﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ استمروا على اتقاء المعاصى ﴿وَأَحْسَنُوا﴾: العمل ومعناه فى الأول: اتقوا الشرك وآمنوا ثم اتقوا أى: داموا على ذلك وآمنوا وثبتوا عليه وازدادوا إيمانًا ثم اتقوا المعاصى كلها وأحسنوا العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فلا يؤاخذهم بشيء.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ

= والميسر من المفاسد الدنيوية بقوله: "إنما يريد الشيطان" الآية/ ١٢ فتح.[ذكر هذه الآثار السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٥٦٤)]

ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا
ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ
ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا
لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا
تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ
ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾: يختبرنكم **﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾** هذا فى عمرة الحديبية المسلمون محرمون والصيد من الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم لم يروا مثله قط **﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾**: تتمكنون من أخذه باليد، لأن فيه صغارًا وفراخًا **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾**: تحتاجون إلى مزاولة الرمح لأن فيه الكبار **﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾**: ليرى الله وليتميز **﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾**: من يخاف الله و لم يره أو من يخاف عقاب الله وهو غائب غير شاهد **﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾**: الإعلام والإنذار **﴿فَلَهُ عَذَابٌ[(١)] أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ[(٢)]﴾** أى: محرمون جمع حرام **﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً﴾**: ذاكرًا لإحرامه، والأصح عند السلف والخلف أن العمد والخطأ سيان فى لزوم الكفارة

---

(١) ولله الحمد على أن لم يقعوا فى مثل ما وقع فيه اليهود، ولما علم من ضمن الكلام حرمة الصيد فى الإحرام أمرهم صريحً فقال: "يا أيها الذين"إلخ/ ١٢ وجيز.

(٢) فإن الإحرام تذكرة للموت والميت لا يؤذى بوجه والحرم موطن الرفق أيضًا/ ١٢.

دون الإثم والآية فيهما ولذلك قيده بمتعمد، أو يدل عليها صريحًا قوله "ومن عاد فينتقم الله" ﴿فَجَزَاءٌ﴾: أى فعليه أو فواجبه جزاء ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ صفة جزاء ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ بيان للمثل ومن قرأ فجزاء بالإضافة فمن إضافة المصدر إلى المفعول والمثل غير زائد، لأنه بصدد بيان أن الجزاء ما هو لا بيان أن عليه جزاء ما قتل، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة على الأصح[1] المنقول عن السلف ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾: الجزاء ﴿ذَوَا[2] عَدْلٍ﴾: رجلان صالحان فإن الأنواع تتشابه، ففى النعامة بدنة، وفى حمار الوحش بقرة، ﴿مِّنكُمْ﴾: من المسلمين فما حكم الصحابة بالمثلية فهو المتبع وإلا فلابد من عدلين يحكمان، هذا هو الأصح، ﴿هَدْياً﴾ حال من ضمير به، ﴿بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾، صفة هديًا، والإضافة لفظية أى: واصلاً إليه بأن يذبح فيه، ويتصدق به، ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾، عطف على جزاء، ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ بدل منه أو تقديره هى طعام وظاهره التخيير وعليه الأكثرون، وقال بعض من السلف: إن لم يجد هديًا يعدل على أن يقوم مثل ما قتل، فيشترى بثمنه طعامًا لكل مسكين مد فإن لم يجد يصوم، ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ[3]

---

(١) وعند الشافعى للمحرم قتل ما لا يؤكل، فإن الصيد لا يطلق عليه عرفًا غالبًا والجمهور على تحريمه إلا ما يؤمر بقتله، وظاهر القرآن على أن فى غير المتعمد لا جزاء وبه قال ابن عباس فى أحد قوليه وابن جبير وطاوس وعطاء وسالم وبه قال أبو داود والطبرى وأحد قولى الحسن البصرى، ومجاهد وأحمد وأما عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فلا إثم، ولكن وجب الجزاء ويأباه قوله "متعمدًا" و قوله "ومن عاد"/ ١٢ وجيز.

(٢) فما حكم الصحابة فى المثلية فهو متبع، وإلا فلا بد من عدلين على الأصح/ ١٢.

(٣) الظاهر أن الإشارة إلى أقرب مذكور، وهو الطعام أى: ما ساواه من الصوم، فيصوم عن إطعام كل مسكين يومًا وصيامًا تمييز للعدل قد أجهل قدر الطعام وعدد المساكين والظاهر ما يسمى طعامًا وما يطلق عليه الجمع لكن عند جمع من السلف يُقَوِّم الصيد دراهم، ثم يشترى بها الطعام فيطعم كل مسكين نصف صاع، وعند بعض آخر يُقَوِّم =

صِيَاماً﴾ أى: ما ساواه من الصوم فيصوم عن إطعام كل مسكين يومًا وصيامًا تمييز للعدل، **﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾**: ثقل أمره، وجزاء معصيته أى: أوجبنا عليه ذلك ليذوق، **﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾**: قبل التحريم، **﴿وَمَنْ عَادَ﴾**: إلى مثل ذلك، **﴿فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾**: فى الآخرة أى: فهو ينتقم الله منه ليصح دخول الفاء وعليه مع ذلك الكفارة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا كفارة عليه فإن الأمر أشد، **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾**: على المصر بالمعاصى، **﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ[1] الْبَحْرِ﴾**: مما لا يعيش إلا فى

= الهدى ثم يشترى بقيمته طعامًا والآية كالصريح فى التخيير بين الثلاثة كالحلف وعليه الأكثرون وهو أصح قولى الشافعى/ ١٢ وجيز.

(١) وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره أما السمك فميته حلال مع اختلاف أنواعها، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أحلت لنا ميتتان السمك والجراد) [أخرجه أحمد (٢/٩٧)، وابن ماجه (٣٣١٤)، وانظر "الصحيحة" (١١١٨)]، فلا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، وعند أبى حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب من وقوع على حجر أو انحسار الماء منه ونحو ذلك أما غير السمك فقسمان قسم يعيش فى البر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكله، وقسم يعيش فى الماء ولا يعيش فى البر إلا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم إلى أنه لا يحل شيء منها إلا السمك، وهو قول أبى حنيفة، وذهب قوم أن ميت الماء كلها حلال لأن كلها سمك وإن اختلف صورها كالجريث يقال له حية الماء، وهو على شكل الحية وأكله مباح بالاتفاق، وهو قول عمر وأبى بكر وابن عباس، وزيد بن ثابت وأبى هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشافعى، وذهب قوم على أن ما له نظير فى البر يؤكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه، وما لا يؤكل نظيره فى البر لا يحل من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخنزير، والحمار ونحوها وقال الأوزاعى: كل شيء عيشه فى الماء فهو حلال قيل فالتمساح قال: نعم قال الشعبى لو أن أهلى =

الماء فى جميع الأحوال ﴿وَطَعَامُهُ﴾ أى: ما يتزود منه يابسًا مالحًا أو ما لفظه ميتًا، ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: منفعة للمقيم، والمسافر، وهو مفعول ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ[1] الْبَرِّ﴾ أى: مصيدها، وعن بعضهم المراد بالصيد فى الموضعين فعله ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ وأما أكل لحم صيد غير المحرم لا لأجله فى حال الإحرام فالأصح الجواز بدليل الحديث، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ[2] تُحْشَرُونَ جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ﴾، عطف بيان للكعبة على جهة المدح، ﴿قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾: فى أمر دينهم ودنياهم به الحج وبه يلوذ الخائف، وهو ثانى مفعولى جعل، ﴿وَالشَّهْرَ الحَرَامَ﴾، عطف على الكعبة جعل الأشهر الحرم قيامًا للناس فيه الحج، والأمن من القتال، ﴿وَالْهَدْيَ﴾: ما أهدى إلى الكعبة، ﴿وَالْقَلائِدَ﴾: ذوات القلائد من الهدى ما قلد به الهدى من نعل، أو لحاء شجر أى: علامة يعلم منها أنه هدى، وكانوا يؤمنون بتقليد الهدى فبه يحصل القيام، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الجعل وقيل إشارة إلى ما فى السورة من أخبار الغيب، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل الوقوع، وجلب المنافع دليل كمال علمه أو لتعلموا أنا نعلم مصالح دينكم ودنياكم،

= أكلوا الضفادع لأطعمتهم، وقال سفيان الثورى: أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس، وظاهر الآية حجة لمن أباح جميع حيوانات البحر/ ١٢ معالم.

(١) والظاهر أن الصيد فى الموضعين فى الصحيحين أن جماعة من الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الصيد للحرم فقال هل كان فيكم أحد أشار إلى الصيد وأعان فى القتل قالوا لا فأكلوا وأكل منها/ ١٢ وجيز.[أخرجه البخاري في "الذبائح والصيد" (٥٤٩٢)، ومسلم في "الحج" (٢٧٩/٣) ط الشعب واللفظ له]

(٢) ذكر الحشر إذ يظهر فيه جزاء من أطاع وعصى، ولما ذكر تعظيم الإحرام بالنهى عن قتل الوحش فيه وذكر تعظيم الكعبة بقوله: "هديا بالغ الكعبة" بين بعده أن الكعبة جعل قيامًا للناس فقال: "جعل الله الكعبة"/ ١٢ وجيز.

فتستدلوا بهذا على أنه عالم بما فى السماوات والأرض، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، تعميم بعد تخصيص.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾: لمن انتهك محارمه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن حافظ عليها ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ﴾: فإذا بلغ ليس لكم عذر فى التفريط، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من تصديق وتكذيب، ﴿قُل[1] لاَّ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ[2]﴾: الحرام والحلال، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ﴾: فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى الخبيث ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾: أرباب العقول السليمة،[3] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: راجين أن تبلغوا الفلاح.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى

---

(١) ولما حذر عن المعصية، ورغب فى الطاعة وكرر ذلك أتبعه بنوع آخر من الترغيب والترهيب، فقال: "قل لا يستوى الخبيث" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) يمكن إطلاقهما على المؤمن والكافر، والمطيع والعاصى، والجيد والردى، والمعرفة والجهل، والطاعة والمعصية والأولى حملها على العموم/ ١٢ وجيز.

(٣) والفلاح أقصى غاية مراد المرء العاقل، ولما كرر عدم استواء الخبيث والطيب وأشار إلى أن العقل الخالص هو المميز وبعض الأسئلة من قسم الخبيث أمر باجتنابه فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء" الآية/ ١٢ وجيز.

ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن
ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ
ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ
ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا
لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا
وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ
وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم. **﴿عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾**: تظهر لكم، **﴿تَسُؤْكُمْ﴾**: تغمكم وتضركم. الشرطية وما عطف عليها من الشرطية الأخرى صفة أشياء نزلت(١) لما سئل من يطعن فى نسبه من أبى فعينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال آخر أين أبى؟ قال: "فى النار"(**) أو نزلت

(١) روى فى الصحيحين/ ١٢ وجيز. [أخرجه البخاري في "التفسير"/ باب: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (٤٦٢١) ومسلم في "الفضائل" (٢٣٥٩)]

(**) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٥/٧/٥٣) من حديث أبي هريرة. وذكره الحافظ في "الفتح" (٨/١٣١).

لما[1] نزل وجوب الحج، فقال: " فى كل عام، فقال: ولو قلت نعم لوجبت فاتركونى ما تركتم" ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أى: وإن تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أى: عما سلف من مسألتكم، فلا تعودوا لمثلها فهى استئناف أو صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها و لم يكلف بها، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم بالعقوبة، ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أى: عن الأشياء بالحذف والإيصال، وقيل الضمير إلى المسألة التى دل عليها "لا تسألوا" فيكون فى موقع الصدر وليس من قبيل سألته درهما، لأنهم ما طلبوه، بل سألوا عنه، ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾، متعلق بسألها، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ أى: بالأشياء أو بسببها، ﴿كَافِرِينَ﴾؛ لأنهم تركوها وهجروها وقد[2] ورد "اتركونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم" ﴿مَا[3] جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ أى[4] ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير، فلا يطلب إلا مفعولا واحدًا و من زائدة، وهى ناقة ولدت خمسة أبطن بحروا أى: شقوا أذنها وتركوا الحمل، والركوب عليها، ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾: هى ناقة لا تركب، ولا تحبس عن كلاء وماء لنذر صاحبها إن حصل ما أراد من شفاء المريض، أو غيره أنها سائبة، ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: الشاة إذا نتجت سبعة أبطن نظر إن كان السابع ميتًا فهو

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد/ ١٢ وجيز.[أخرجه مسلم في "الحج"/ باب: فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧)]

(٢) فى الصحيحين/ ١٢ وجيز.[تقدم تخريجه] .

(٣) لما نهى عن بعض الأسئلة وأمر بالاكتفاء بما أمرهم علم منه بطريق الأولى عدم جواز اختراع شرع من عند أنفسهم فقال: "ما جعل الله" الآية/ ١٢ وجيز.

(٤) قال النحاة: إن جعل يجيء بمعنى خلق وألقى وصير وبمعنى أخذ في الفعل وبمعنى سمى، وأما جعل بمعنى شرع وسن فلم يسمع، والحمل على ما سمع أولى وأحرى/ ١٢ وجيز.

للرجال دون النساء، وإن كان ذكرا فهو مذبوح للرجال، وإن كان أنثى تركوها فلم يذبح، وإن كان ذكرًا و أنثى خلوا الذكر أيضًا من أجل أنثى، وقالوا: وصلت أخاها ولبنها للرجال ﴿وَلاَ حَامٍ﴾: هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يحمل عليه، وقد قيل فى تفسير كل واحد غير ما نقلنا، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: فى تحريمهم هذه الأنعام، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾: جهلة كالأنعام، بل هم أضل أو أكثرهم مقلدون لرؤسائهم لا يعرفون ان ذلك افتراء منهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: فى الفرائض والسنن، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من سننهم السيئة، ﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾، الواو للحال والهمزة للإنكار أى: أحَسبهم وجدان آبائهم على هذا المثال، ولو كان الحال أن آباءهم جهلة ضلال[(١)]، ﴿يَا أَيُّهَا[(٢)] الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الجار والمجرور اسم فعل أى: الزموا صلاحها، ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فيه رخصة[(٣)] فى ترك الحسنة إذا علم عدم قبولها أو فيها مفسدة وإضرار له منها اتفقت كلمة السلف على ذلك،

---

(١) فإنها حال لا ينبغى أن يتبع فيها/ ١٢ وجيز.

(٢) ولما رغب ورهب ونصح و لم يفد لهم، بل بقوا مصرين على فعل آبائهم وحسبوا أن تركهم لما هم عليه عار خاطب المؤمنين فقال: "يا أيها الذين آمنوا عليكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) لما توهم من ظاهر الآية الرخصة فى ترك الأمر بالمعروف والإذن فى ذلك، بل الأمر به أشار إلى الجواب بأن الرخصة إذا علم عدم قبولها أو إذا كان فيها مفسدة فوقها أو المراد من الاهتداء أن ينكر، ويأمر حسب طاقته، فليس عليه بعد ذلك شيء أو للمنع عن هلاك النفس حسرة وأسفا على ما فيه الفسقة/ ١٢ منه.

والأحاديث تدل[1] عليه أو معنى إذا اهتديتم إذا ائتمرتم بالمعروف، وأمرتم به، وانتهيتم عن المنكر، ونهيتم عنه حسب طاقتكم أو المراد المنع عن هلاك النفس أسفًا على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات"(فاطر: ٨)، وهو استئناف أو جواب للأمر أى: إن لزمتم أنفسكم لا يضركم، والقياس الفتح لكن أوثرت ضمة الراء لاتباع الضاد، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وعد ووعيد للفريقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[2] آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾، إضافة إلى الظرف على الاتساع، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، ظرف للشهادة، وحضوره: ظهور أماراته، ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾، بدل من الظرف وفيه دليل على أن الوصية مما لا ينبغى التساهل فيها، ﴿اثْنَانِ﴾، خبر شهادة أى: شهادة بينكم شهادة اثنين أو فاعلها أى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان، ﴿ذَوَا[3] عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾:من المسلمين، وقيل من أقاربكم وهما صفتان لاثنان، ﴿أَوْ

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم عن تلك الآية: "ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دينا مؤثرة وشحا مطاعًا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك"/ ١٢ وجيز. أخرجه الترمذى، وصححه ابن ماجه وابن جرير والبغوى والحاكم وغيرهم/ ١٢ فتح.[وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه (٨٦٩)".]

(٢) اعلم أنه تعالى لما أمر بحفظ النفس فى قوله: "عليكم أنفسكم" أمر بحفظ المال فقال: "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم" الآية/ ١٢ كبير.

(٣) قيل إن الضمير فى منكم للمسلمين، وفى غيركم للكفار وهو الأنسب بسياق الآية، وبه قال أبو موسى الأشعرى، وابن عباس وغيرهما، فيكون فى الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة من المسلمين فى خصوص الوصايا كما يفيده النظم القرآنى، ويشهد له السبب للنزول، وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وأبو مجلز والنخعى وشريح وعبيدة السلمانى وابن سيرين ومجاهد وقتادة والسدى والثورى وأبو عبيد وأحمد بن حنبل، وقيل ضمير منكم إلى القرابة وغيركم إلى الأجانب، وإليه ذهب الزهرى والحسن وعكرمة، =

﴿آخَرَانِ﴾، عطف على اثنان، ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير المسلمين أو من غير أقاربكم، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أى: شهادة غير المسلم إذا كنتم فى السفر يعنى: لم تجدوا مسلمًا، ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ المَوْتِ﴾، عطف على ضربتم، وجواب الشرط محذوف أى: إن كنتم فى سفر ولم تجدوا مسلمين، فيجوز إشهاد غير المسلمين، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تقفوهما صفة للآخران، أو استئناف كأنه جواب ما قيل كيف نعمل إن ارتبنا فى الشاهدين؟! ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلاَةِ﴾ أى: صلاة العصر، فإن أهل الكتاب أيضًا يعظموها أو بعد صلاة ما، أو بعد صلاقم، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أى: إن ارتاب أحد الوارثين فيهما حبسهما للحلف، ﴿لاَ نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالقسم، ﴿ثَمَناً﴾، الجملة مقسم عليه أى: لا نستبدل به عرضًا من الدنيا أى: لا نحلف كاذب، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: من نقسم له، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: قريبًا منا لا نحلف له كاذبًا أى نحن رجال عادتنا الصدق لنا أو علينا، ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أى: الشهادة التى أمر الله بإقامتها، ﴿إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ﴾: إن كتمنا، ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا﴾ أى: آخرين ﴿اسْتَحَقَّا إِثْماً﴾: استوجبا إثما بيمينهما الكاذبة، ﴿فَآخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، خبر لقوله فآخران، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: من الذين جنى عليهم، وهم الورثة، فضمير استحق للإثم أى ارتكب الذنب بالقياس إليهم، ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ أى: أحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما استئناف كأنه قيل من هما قال:

= وذهب مالك والشافعى عن عكرمة وغيرهم من الفقهاء إلى أن الآية منسوخة واحتجوا بقوله: "ممن ترضون من الشهداء"، وقوله: "وأشهدوا ذوى عدل منكم"(الطلاق:٢) والكفار ليسوا بمرضيين ولا عدول، وخالفهم الجمهور فقالوا: الآية محكمة، وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ وأما الآيتان المذكورتان فهما عامان فى الأزمان والأشخاص والأحوال وهذه الآية خاصة بحالة الضرب فى الأرض وبالوصية، وبمحال عدم شهود المسلمين، ولا تعارض بين خاص وعام/ ١٢ فتح.

هم الأوليان، أو بدل من آخران، ومن قرأ الأولين فهو صفة، أو بدل من الذين، ومن قرأ استحق غير مجهول، فهو فاعل[١] أى: من الورثة الذين استحق[٢] عليهم الأوليان بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾، عطف على يقومان، ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ﴾: بالاعتبار، ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾، أو أصدق، ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾: ما تجاوزنا عن الحق فيها، ﴿إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: إن اعتدينا، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: الحكم الذى تقدم، ﴿أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ اى: أقرب أن يأتى الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة، فلا يغيروها، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾: على المدعين، وهم أولياء الميت، ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: إذا ظهر للأولياء أمارات كذب الشاهدين، فيفتضحوا أى: أقرب إلى أحد الأمرين أداء الشهادة على الصدق أو الامتناع عن أدائها بالكذب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾: بسمع إجابة ما أمرناكم، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ[٣]﴾: أى إن لم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهديهم، ومحصل الآية أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغى أن يشهد على وصيته اثنين من المسلمين أو من قرابته، فإن لم يجدهما بأن كان فى سفر فآخرين من غيرهم، ثم إن وقع

---

(١) والمفعول محذوف، وهو أن يجردوهما للشهادة أى للحلف على أولوية شهادتهما، وهما بالحقيقة الآخران اللذان يقومان مقام الأولين على وجه الظاهر موضع المضمر، لكن لم يمكن أن يجعل فاعل استحق ضمير آخران الإفراد هذا فى المنيهة، وفى الكمالين، ومفعوله محذوف قدره ابن عطية ما لهم وتركتهم، وقدره بعضهم وصيتهما وقدر الزمخشرى أن يجردوهما للقيام بالشهادة/ ١٢.

(٢) استحق بضم التاء على المجهول هذا قرأة العامة، وقرأ حفص بفتح التاء والحاء وهى قراءة على والحسن/ ١٢ منه.

(٣) لما أخبر بشاهدى الوصية بعد ما بين أمر الضالين ذكر بهذا اليوم المخوف يخوف من الشهادة من لم يتق الله فقال: "يوم يجمع".

ارتياب فيهما أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت أيضًا، فإن اطلع بأمـارة، ومظنة على كذبهما أقسم آخران من أولياء الميت، هكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآيات غير واحد من أئمة السلف والتابعين، وهو مذهب الإمام أحمد، والقـاضى شريح فى خاصة مثل هذه الواقعة، وقال بعضهم حكم الآية منسوخ إن أريد من الغـير الكافرون فإن شهادة الكافر كانت فى بدأ الإسلام ثم نسخت، وقال بعضهم المراد مـن الشهادة الوصاية وكون الوصى اثنين للتأكيد فإنهم قالوا: لا نعلم حكما يحلـف فيـه الشاهد وهو خلاف الظاهر المتبادر، وسبب نزول الآية أن رجلا من المسلمين خـرج مسافرا معه رجلان من أهل الكتاب، ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركتـه فقدوا جاما من فضة مموها بالذهب، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترلت فأحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء، ثم وجد الإناء عنـد من اشترى منهما، فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذا.

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا

وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ[(١)] اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ أى: اذكر يوم جمعهم، وقيل ظرف للايهدى، أو بدل اشتمال من مفعول اتقوا، ﴿فَيَقُولُ﴾: لهم، ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أى إجابة أجبتم، إجابة إقرار أو إنكار، ﴿قَالُوا لَا[(٢)] عِلْمَ لَنَا﴾: إنما قالوا ذلك من هول ذلك اليوم، أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا أو بالنسبة إلى علمك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: فتعلم ما نعلم، وما لا نعلم، وهذا السؤال لتوبيخ الأمم، ﴿إِذْ قَالَ[(٣)] اللَّهُ﴾، بدل من يوم الجمع

---

(١) اعلم أن عادة الله تعالى جارية فى هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعًا كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها إما بالإلهيات، وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكدا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا جرم لما ذكر فيهما تقدم أنواعًا كثيرة من الشرائع أتبعها بوصف أحوال القيامة أولاً ثم ذكر أحوال عيسى أما وصف أحوال القيامة فهو قوله: "يوم يجمع الله"/ ١٢ كبير.

(٢) لا نعلم ما كان لهم بعد وفاتنا أو لا علم لنا البتة بأحوالهم إنما الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن، والظن كان معتبرًا فى الدنيا لأن الأحكام فى الدنيا كانت مبنية على الظن، وأما الآخرة فلا التفات فيها إلى الظن، لأن الأحكام فى الآخرة مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور فلهذا السبب لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولم يذكروا البتة ما معهم من الظن؛ لأن الظن لا عبرة به يوم القيامة، وهذا الوجه هو الذى خطر ببالى وقت الكتابة/ ١٢.

(٣) اعلم أن الغرض من قوله تعالى للرسل: "ماذا اجبتم" توبيخ من تمرد من أممهم وأشد الأمم افتقارا إلى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام؛
=

أو بتقدير اذكر، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ[1] إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك ظرف نعمتى، أو حال منهما، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل، وقيل بكلام ونفس يحيى به الدين، والموتى، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: بدعوهم إلى الله تعالى، ﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾، عطف على محل فى المهد فإنه حال قالوا، وما وصل إلى سن من الكهولة، ففيه إشارة إلى نزوله من السماء، وهو آية من آياته، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾: الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفهم، ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: تشكله وتصوره على هيئة طائر، ﴿بِإِذْنِي﴾: لك فى ذلك، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾: فى تلك الصورة، ﴿فَتَكُونُ طَيْراً﴾: تطير، ﴿بِإِذْنِي﴾: وأمرى ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾: بأن تدعوهم فيقومون من قبورهم بإرادة الله وقدرته، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ أى: عن قتلك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، ظرف لكففت، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾ أى: ما هذا، ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾: ألهمت أو بلسانك ﴿إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أصحابه، وأنصاره، ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ﴾: يا الله أو يا أيها الرسول، ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون، ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾، منصوب باذكر، ﴿يَا عِيسَى

= لأن طعن سائر الأمم كان مقصورًا اللأنبياء، وطعن هؤلاء الملاعين تعدى إلى جلال الله، وكبريائه حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل أن يصف الإله به، وهو اتخاذ الزوجة، والولد فلا جرم ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة فواحدة، والمقصود منه توبيخ النصارى، وتقريعهم على سوء مقالتهم فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة على عيسى تدل على أنه عبد، وليس بإله، والفائدة فى هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم، وركاكة مذهبهم واعتقادهم/ ١٢ كبير.

(١) ونعمته على أمه ما هى مذكورة فى مواضع من براءتها مما نسب عليها وغير ذلك/ ١٢ وجيز.

ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، وهذا كما تقول: هل تستطيع أن تجيء معى؟ عالمًا باستطاعته أى هل تفعل أم لا؟ أو بمعنى هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك فيكون أطاع واستطاع بمعنى كأجاب واستجاب، وقيل: شكوا[١] أى فى قدرة الله، ولذلك أجابهم عيسى عليه السلام بقوله: "اتقوا الله"، ومن قرأ هل تستطيع بالتاء، وربك بالنصب، فمعناه هل تستطيع سؤال ربك؟ ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً[٢] مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ﴾: عيسى، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فى سؤالها، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أى: لا يليق اقتراح الآيات بعد الإيمان، ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، فأجابوا بأن طلبها لأجل الحاجة لا أنا نطلب آية، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بزيادة علمنا، ﴿وَنَعْلَمَ﴾: علم مشاهدة بعد ما علمناه علم إيمان، ﴿أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: فيما وعدتنا أو فى نبوتك، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أى: من الشاهدين على تلك المائدة الدالة على نبوتك أو من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها من بنى إسرائيل، وعليها متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين، ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾، نداء ثان فإن اللهم لا يوصف، ولا يبدل منه، ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ أى: خوان إذا كان فيه الطعام، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً﴾، العيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص فضمير تكون للمائدة على حذف مضافين أى: تكون يوم نزولها أو اسم سرور يعود فلا حذف، لكن فى الإسناد مجاز، ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾، بدل من لنا، ﴿وَآخِرِنَا﴾: لمتقدمينا ومتأخرينا أو يأكل منها أولنا وآخرنا ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾: على كمال قدرتك، وصحة نبوتى، ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ﴾: مجيبًا له، ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾: بعد نزولها، ﴿مِنكُمْ

---

(١) وهو الظاهر، والشك فى القدرة هل هو كفر أم لا فى أول من أسلم محل بحث/ ١٢ وجيز.

(٢) هى الخوان الذى عليه الطعام/ ١٢ وجيز. لاقتراح آية من الله مع بشاعة اللفظ/ ١٢ وجيز.

﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً﴾: تعذيبًا، ﴿لاَّ أُعَذِّبُهُ﴾، الضمير للمصدر فيكون فى موقع المفعول المطلق ويقوم مقام العائد فإن لا أعذبه صفة عذابًا أو من باب الحذف والإيصال أى: لا أعذب به، ﴿أَحَداً مِّنَ العَالَمِينَ﴾: عالمى زمانهم والأصح أن المائدة نزلت[1] وكفروا بها فمسخوا قردة[2] وخنازير قيل ما مسخ أحد قبلهم خنزيرًا، فالعالمين مطلق قال عبد الله بن عمر: أشد الناس عذابًا يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ

---

(١) وأقوال السلف بأجمعهم صريحة فى نزول المائدة وكفرهم بها وكيف لا وقد قال الله: "فإنى مترلها عليكم" الآية/ ١٢ منه.

(٢) كأصحاب السبت لكن روى ابن جرير وابن أبى حاتم تعليقًا وصححه عن الحسن ومجاهد أنهما خالفا الجمهور لم يترل فإنه لما شرط عليهم الشرط [فى الأصل كلمة مطموسة] وقالوا لا نريد وأما كفرهم المائدة فعلى ما أخرجه الترمذى أنه قال صلى الله عليه وسلم : نزلت المائدة خبزًا ولحمًا وأمروا أن لا يدخروا لغد ولا يخونوا، فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير/ ١٢.

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾: يوم القيامة تقريعا وتوبيخًا للنصارى على رءوس الأشهاد، **﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ**[(١)] **مِن دُونِ اللَّهِ﴾**، صفة إلهين أو متعلق باتخذونى، **﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾**: أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك، **﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾**: ما ينبغى أن أقول قولاً لا يحق لى أن أقوله فمتعلق لى بحق المقدر قبله، فإن تقديم صلة الجار على المجرور ممتنع، **﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**[(٢)] **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي**[(٣)] **نَفْسِكَ﴾**: تعلم ما أخفيه، ولا أعلم ما تخفيه، **﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾**، تصريح بنفى المستفهم عنه، **﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾**، بدل من ضمير به، والمبدل ليس فى حكم المطروح بالكلية أو عطف بيان له، **﴿وَكُنتُ**[(٤)] **عَلَيْهِمْ**

---

(١) ذكر أن عيسى لما سمع هذا الخطاب ارتعدت مفاصله فانفجر من أصل شعره منه عين من دم فعند ذلك قال سبحانك/ ١٢ وجيز. قيل لما قالوا ولدت مريم إلها لزمهم من حيث البعضية القول بإلهية من ولدته فصاروا بمثابة من قال وإلا فلم يقل أحد بإلهية مريم/ ١٢ وجيز.

(٢) علق مستحيلا على مستحيل، وهو نفى العلم بذلك القول فانتفى القول/ ١٢فتح.

(٣) فيه دلالة على إطلاق لفظ النفس عليه سبحانه/ ١٢ فتح.

(٤) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم محشورون وإن ناسا يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح "وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم" إلى قوله: "العزيز الحكيم" رواه البخاري.[أخرجه البخاري في "التفسير" (٤٦٢٥)]

شَهِيداً﴾: مشاهدًا لأحوالهم، ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، بالرفع إلى السماء، والتوفى أخذ الشيء وافيًا، ﴿كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع عليه، ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: لا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل فى ملكه، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مع كفرهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾: القوى القادر على الثواب، والعقاب لا تثيب ولا تعاقب إلا عن حكمة، والمغفرة وإن كانت قطعية الانتفاء فى الكفار بحسب الوعيد، لكن يحتمل الوقوع، واللاوقوع بحسب العقل فجاز استعمال إن فيه، ومسألة الكلام أن غفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قيل معناه، إن تعذبهم أى: من يكفر منهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم أى: من أسلم منهم، ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: مجيبًا لرسوله فيما أنهاه إليه من التبرى من النصارى، ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: المستمرين، ﴿صِدْقُهُمْ﴾: فى دنياهم إلى آخرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ينفع الموحدين توحيدهم، والمشار إليه يوم القيامة، ومن قرأ يوم بالنصب فيكون ظرفا لقال، والمشار إليه قوله " يا عيسى ابن مريم ءأنت" إلخ، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: هذا نفعهم، ﴿ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[١] وَمَا فِيهِنَّ﴾: خلقا وملكا فلا شك فى كذب زعم النصارى، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فلا يكون إلا هو وحده إلها لأنه لو كان متعددًا لابد أن يكون كل واحد قادرًا على كل شيء، وهذا محال.

والحمد لله حق حمده..

---

(١) والأصح أن "ما" يختص بغير ذوى العقول، بل يتناول الأجناس كلها من العقلاء، وغيرهم/ ١٢ وجيز.

سورة الأنعام مكية غير ست أو ثلاث آيات:

من قوله "قل تعالوا" وهي مائة وخمس، أو ست وستون آية

وعشرون ركوعا(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ
سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ
رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن
قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا
وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا
مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا

(*) وهي في مصحفنا، الذي برواية حفص عن عاصم مائة وخمس وستون آيـة، ولكن المصنف أوردها مائة وستّا وستين آية.

وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ جمع[1] السموات لظهور تعددها دون الأرض، **﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾** أي: أنشأهما، وجمع الظلمات لكثرة أسبابها، فإن لكل جرم نور، **﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾**، عطف على الحمد لله وثم للاستبعاد ومفعول يعدلون محذوف أي: يسوون الأوثان (بربهم) أو بربهم متعلق بـ"كفروا" و"يعدلون" من العدول لا من العدل وصلته محذوفة أي: يعدلون عنه، وقيل: الباء بمعنى عن فيتعلق بيعدلون، **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾**: ابتدأ خلقكم، **﴿مِن طِينٍ﴾** فإن آدم منه، **﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾** أي: الموت، **﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾** أي: الآخرة، **﴿عِندَهُ﴾** :لا يعلمه إلا هو، أو مدة الدنيا وعمر الإنسان، أو النوم والموت، أو مدة العمر ومدة البرزخ، والواو إما للعطف على (هو الذي) أو للحال، **﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾**: تشكون في أمر الساعة، **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾**: متعلق بالله باعتبار المعنى[2] الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة

---

(١) لأن تعددها ظاهر بالعقل والنقل بخلاف الأرض، فإن كيفية تعددها مع عدم ثبوت النقل لدى العقل متعسر/١٢وجيز.

(٢) لا خفاء في أنه لا يجوز تعلقه بلفظ الله لكونه اسمًا لا صفة، فالقول أنه متعلق به بهذا التوجيه كأنه قال: وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشترك به في هذا الاسم أو كأنه قال: وهو المعبود فيهما كما في قوله: هو حاتم في حيه، أي: جواد والله أعلم هذا ما في المنيهة وفي الفتح "وهو الله" أي: هو المعبود فيهما كقوله: "هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" (الزخرف:٨٤)، وهو الذي يقال له فيهما، قال ابن عطية: هذا عندي أفضل الأقوال، وأكثرها إحرازًا لفصاحة اللفظ، وجزالة المعنى، وقال ابن جرير: هو الله في السموات ويعلم سركم وجهركم في الأرض، والأول أولى/١٢.

أو متعلق بقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ ولا يلزم كون ذاته أو علمه فيهما: بل يكفي كون المعلوم فيهما وهو إما خبر ثان أو حال، ﴿سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خير وشر، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ﴾ (من) زائدة للاستغراق، ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : الدالة على وحدانيته، و(من) تبعيضية لا تبيينية إلا أن تكون النكرة في النفي بمعنى جميع الأفراد، ﴿إِلا كَانُوا عَنْهَا﴾: عن التفكر فيها، ﴿مُعْرِضِينَ﴾ : لا يلتفتون إليها، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: إن أعرضوا فلا تعجب فإنهم كذبوا بأعظم آية، وهذا أشد من الإعراض، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: أخبار القرآن وأحواله بأنهم بأي شيء استهزءوا، وهذا تهديد ووعيد شديد، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾: قوم، ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ[1]﴾ والقرن أهل كل عصر أو مدة أعمار الناس، ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أعطيناهم من العمر، والمال، ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾: ما لم نعطه لكم، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر والسحاب، ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: كثير الدر أي: الصب، ﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بالعذاب من القحط والصواعق وغيرهما، ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: بدلا منهم فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا بهؤلاء، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾: مكتوبًا، ﴿فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ واللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن الأكثر أنه بعد المعاينة، وأكثر السحر والتزوير في المراءى[2]، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: عنادا، ﴿إِنْ هَذَا﴾: ما هذا ، ﴿إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قيل: نزلت حين قالوا لا نؤمن بك حتى تأتينا

---

(١) والقرن: الأمة المقترنة في مدة، ومدة القرن مائة سنة عند الأكثرين، ويدل عليه ما قاله - صلى الله عليه وسلم- في شأن أحد من الصحابة "إنه يعيش قرنًا" فعاش مائة سنة/١٢وجيز.

(٢) وأكثر السحر والشعبذة في المرائي، ولا يقع التزوير في اللمس، فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا/١٢منه.

بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله، ﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ : على محمد، ﴿مَلَكٌ﴾: يخبرنا أنه نبي، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾: بحيث يرونه كما اقترحوا، ﴿لَقُضِيَ[1] الأَمْرُ﴾: لحق إهلاكهم وعذابهم، فإن سنة الله جرت على أن من اقترح آية و لم يؤمن بها بعد نزولها استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾: لا يمهلون، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الرسول الذي أنزل على محمد، ﴿مَلَكًا﴾: يشهد على صدقه، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلا﴾: في صورة رجل فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته، أو معناه؛ ولو جعلنا الرسول إليكم بدل الرسول البشري ملكًا فإنهم قالوا أيضًا: "لو شاء ربنا لأنزل ملائكة" (فصلت:١٤)، ﴿وَلَلَبَسْنَا[2] عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾، ولو جعلناه رجلاً لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فينفون رسالته، ويقولون هو بشر مثلنا كما يقولون في شأن محمد –عليه الصلاة والسلام، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾، تسلية لمحمد –عليه الصلاة والسلام ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط أو نزل، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: من الرسل وبال، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ[3] قُلْ﴾: لهم يا محمد.

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) أو معناه لو أنزلنا ملكًا على صورة ملكية لماتوا من هوله فإن رؤية الملك في صورته من خواص رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فإنه رأى جبريل في صورته مرتين، وقوله: "ولو جعلنه ملكا" يؤيد هذا المعنى/١٢وجيز.

(٢) فإنهم إذا رأوا ملكًا في صورة إنسان يقولون: هذا إنسان ليس بملك، فإن استدل بدليل على أنه ملك كذبوه/١٢.

(٣) ولما ذكر ما حل بالمستهزئين. والمخاطبون أمة أمية لم يدرس الكتب و لم يجالس العلماء فلها أن تكابر في هلاكهم، فقال: "قل سيروا في الأرض"/١٢وجيز.

ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا
سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ
فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ
﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿سيروا[١] **في الأرض﴾**: بالأقدام، أو بالعقل والفكر، **﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة**[٢]**المكذبين﴾**: فتعتبروا، **﴿قل لمن**[٣] **ما في السموات والأرض﴾**: خلقا

---

(١) والظاهر أن المراد من السير والنظر بالعين والأرض ما قرب من بلادهم كأرض عاد وثمود ومدائن قوم لوط وثمود/١٢وجيز.

(٢) عاقبة الشيء ما آل إليه/١٢وجيز.

(٣) ولما ذكر تقريعهم بذنوبهم التي هي الشرك بالله أمر نبيه أن يسألهم سؤال تبكيت يلجئهم إلى الإقرار بوحدانيته قال: "قل لمن ما في السموات". الآية/١٢وجيز.

وملكًا ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾، فإن الكفرة متفقون معكم في ذلك، فإن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره، ﴿كَتَبَ﴾: التزم، ﴿عَلَى نَفْسِهِ[1] الرَّحْمَةَ﴾: لطفًا وفضلا فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: في القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فيجازيكم بأعمالكم، ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في اليوم، ﴿الَّذِينَ خسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بتضييع الفطرة، والعقل نصب على الذم أو رفع أو مبتدأ ما بعده خبره، ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فإن استعمال العقل باعث على الإيمان، ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله في"قل لله"، ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: وله ما استقر في الأزمنة، وهو من السكنى قيل: تقديره ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لكل مسموع ، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ،إنكار لاتخاذ غير الله تعالى وليًا معبودًا ربا، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: مبدعهما، صفة الله، فإنه بمعنى الماضي فالإضافة معنوية ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ[2] وَلا يُطْعَمُ﴾ يَرْزُقُ ولا يُرْزَقُ لا أحد إلا يحتاج إليه، وهو غير محتاج إلى أحد، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ[3]﴾: من هذه الأمة، ﴿وَلا تَكُونَنَّ﴾ عطف على أمرت أي: قيل لي لا تكونن، أو على قل، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، جواب الشرط دال عليه (أخاف)، والشرط معترض بين الفعل ومفعوله،

---

(١) وثبت في الصحيحين مرفوعًا (لما قضى الله الخلق كتب فوضعه عنده فوق العرش: "إن رحمتي سبقت غضبي")/١٢فتح[البخارى (٧٤٥٣)، ومسلم (٥/٥٩٧) ط الشعب. ولفظه"... كتب عنده فوق عرشه"].

(٢) يعني جميع المنافع منه، وخص الإطعام لمزيد مس الحاجة إليه/١٢وجيز.

(٣) هذا على سبيل التحريض على الإسلام كملك يأمر رعاياه بأمر ثم يتبعه بقوله: أنا أول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله/١٢وجيز.

وفيه تعريض بأنهم مستوجبون للعذاب بألطف وجه، ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾: العذاب، ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: وأنعم عليه، ومن قرأ يصرف مبني للفاعل فالضمير لله، والمفعول وهو العذاب محذوف، ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: الصرف والرحم، ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: كمرض وبلاء، ﴿فَلا كَاشِفَ لَهُ﴾: لا قادر على رفعه، ﴿إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: كصحة ونعمة، ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : فيقدر على حفظه وإدامته، ولا راد لفضله، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ[1] عِبَادِهِ﴾: قهره استعلى عليهم فهم تحت تسخيره، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾:في أمره، ﴿الْخَبِيرُ﴾: بخفايا العباد.

---

(١) قوله: "فوق" إلخ، ومثله قوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم" (النحل:٥٠)، وقوله تعالى: "تعرج الملائكة والروح" (المعارج:٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على فوقية الله تعالى، وعلوه على خلقه قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في العقيدة الحموية: فهذا كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق السماء، وفوق كل شيء، وعلا كل شيء وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (فاطر:١٠)، وقوله تعالى: "إني متوفيك ورافعك إلي" (آل عمران:٥٥)، وقوله تعالى: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا" (الملك:١٦،١٧)، وقوله تعالى: "تعرج الملائكة والروح إليه" (المعارج:٤)، وقوله تعالى: "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه" (السجدة:٥)، وقوله تعالى: "يخافون ربهم من فوقهم" (النحل:٥٠)، وقوله تعالى: "ثم استوى على العرش" (البقرة:٢٩)، في سبعة مواضع: "الرحمن على العرش استوى" (طه:٥)، "يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا" (غافر:٣٦،٣٧)، تنزيل من حكيم حميد" (فصلت:٤٢)، =

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، نزلت[1] حين زعم قريش أن أهل الكتاب أنكروا نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- فسألوا عنه من يشهد بنبوتك، ﴿قُلِ[2] اللَّهُ﴾ أعظم شهادة، فإن أعظمية شهادة الله تعالى أمر لا ينكر، ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: هو شهيد، ﴿بَيْنِي

= "منـــزل من ربك" (الأنعام:١١٤)، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بتكلف، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ربه، ونزول الملائكة من عند ربهم وصعودها إليه إلى أن قال: وقوله في حديث الأوعال "والعرش فوق ذلك"، والله فوق عرشه وهو تعليم ما أنتم عليه، وذكر رحمه الله الأحاديث، وأقوال الصحابة إلى أن قال: إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينًا من أبلغ العلم الضروري أن الرسول المبلغ عن الله تعالى ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله تعالى على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية، والإسلام إلا من اجتالتهم الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين ألوفا، وليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين ولا عن أئمة الدين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا و لم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه في كل مكان ولا أن الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها. انتهى قاله شيخ الإسلام ملخصًا/١٢.

(١) كما رواه محي السنة، والواحدي، والكلبي/١٢وجيز.

(٢) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية بعد ما ذكر هذه الآية في ترجمة الباب: فسمى الله نفسه شيئًا. سمى النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- القرآن شيئًا وهو صفة من صفات الله، وقال: "كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص:٨٨)/١٢.

وَبَيْنَكُمْ﴾ أو الله مبتدأ، وشهيد[1] خبر فإنه إذا كان هو الشهيد فأكبر شيء شهادة شهيد له، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾: الذي ترونه ناطقًا بحجج وبينات، ﴿لأُنْذِرَكُم بِهِ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: وسائر من بلغه من الأسود والأحمر قل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ تقرير لهم مع إنكار، ﴿قُلْ لا أَشْهَدُ﴾: بما تشهدون، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ : من الأصنام، ﴿الَّذِينَ[2] آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا -عليه الصلاة والسلام- بنعته المذكور في التوراة والإنجيل، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾: بحيث لا يشكون في رسالته، فعدم شهادتهم برسالته لعنادهم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: من أهل الكتاب، وهجروا ما في كتابهم، ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾: به.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ

---

(١) وعلى هذا الجواب نوع من الأسلوب الحكيم كأنه قيل: معلوم أن الله أكبر شهادة فالكلام الأنسب بالمقام الإخبار بأن الله شهيد بيني وبينكم لينتج جواب السؤال مع زيادة مهمة/١٢.

(٢) ولما قال قريش سألنا لك عن اليهود فكذبوك قال تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" الآية/١٢وجيز.

يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ
عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ
وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ
عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ
﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ
قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾: اختلق، **﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**: ككذب المشركين، وأهل الكتاب، **﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾** : كالقرآن، ومعجزات محمد -عليه الصلاة والسلام- أي: لا أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بينهما؟! **﴿إِنَّهُ﴾** أي: إن الشأن، **﴿لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** : فضلا ممن هو أظلم، **﴿وَيَوْمَ﴾** أي: اذكر، **﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾** : العابد والمعبود، **﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾**: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله، **﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾** أي: تزعمونهم شركاءهم "حينئذ" يشاهدون آلهتهم في غاية الهوان، فيسأل عنهم تقريعًا وتوبيخا، **﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلا أَن قَالُوا﴾** أي: لم تكن غاية فتنتهم، ومقاتلتهم وكفرهم في الدنيا إلا التبرؤ، في الآخرة أو عاقبة افتتاهم ومحبتهم في الأصنام إلا التبرؤ أو معذرتهم أو جوابهم وسماه فتنة لأنه كذب أو لأنهم قصدوا به الخلاص يقال: فتنت الذهب إذا خلصته، ومن قرأ بنصب فتنتهم، فتكون تأنيث الفعل للخبر كقولك: من كانت أمك؟ **﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ[1]﴾** فيحلفون

(١) أي: لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا عليه إلا ما وقع منهم الحلف من الجحود على نفيه بقوله: "والله"إلخ/١٢فتح.

بالكذب لحيرهم "فحينئذ" يختم على أفواههم، ويشهد عليهم جوارحهم، ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾: في الآخرة بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا[1] يَفْتَرُونَ ﴾، وغاب عنهم ما كانوا يفترون إلهيته، وشفاعته، ﴿وَمِنهُم مَّن يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن كأبي جهل، والوليد، وأضرابهم، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أو عن أن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ[2] وَقْرًا﴾ :ثقلا وصمما مثل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبول القرآن، واعتقاد صحته بالأكنة والوقر، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لقوة عنادهم، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ﴾: بلغ عنادهم إلى أنهم إذا جاؤك، ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ جملة حالية، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب إذا وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها، ﴿إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ[3] الأَوَّلِينَ﴾ والأساطير: الأباطيل أو أحاديث الأمم السالفة التي سطروها في كتبهم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس ﴿عَنْهُ﴾ استماع القرآن أو عن الإيمان، ﴿وَيَنْأَوْنَ[4] عَنْهُ﴾: يتباعدون

---

(١) أي: ما يظنونه من أن الشركاء يقربوهم إلى الله ويشفعون لهم/١٢.

(٢) هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة، فلا يفقه كلام الله، ولا يؤمن/١٢معالم.

(٣) عن ابن عباس أن جماعة من قريش كانوا يستمعون القرآن فقالوا لشخص منهم هو فصيح شاعر سمع أقاصيص رستم، واسفنديار، وأمثالهم ما تقول أنت فيما يقرأ؟ فأجاب ما هو إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون/١٢وجيز.

(٤) وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويمنعهم وينأى عن الإيمان به أي يبعد حتى روى أنه اجتمع عليه رؤوس المشركين، وقالوا: خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع إلينا محمداً، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني أدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم، وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاه إلى الإيمان فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت به عينك، ولكن أذب عنك ما حييت، وقال فيه أبيات شعر:

=

عنه بأنفسهم[1]وعن بعض[2] السلف أنه في شأن أبي طالب، فمعناه ينهون عن التعرض لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وإيذائه، ويتباعدون عنه، فلا يؤمنون به، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾: وما يهلكون بذلك ﴿إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا[3] يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَلَوْ تَرَى﴾، جوابه محذوف أي: لرأيت أمرًا فظيعًا، وحالا عجيبًا، ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾: وعاينوا ما فيها من أنواع العذاب، ﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا، ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾، عطف على نرد فيكون المعنى على تمني مجموع الأمرين، أو عطف على التمني عطف إخبار على إنشاء، وهو جائز باقتضاء المقام أو حال وأما على قراءة النصب فبإضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء، ﴿بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾: إضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني، ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ظهر لهم قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرًا لا محبة للإيمان، ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾: إلى الدنيا، ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: من الكفر لقضاء شقاوتهم في الأزل، ﴿وَإِنَّهُمْ

=

والله لن يصلوا إليك بجمعهـــم	حتى أوسد في التراب دفيـــنا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وأبشر بذاك وقر منه عيـــونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحـــي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضـــت دينا قد علمـــت بأنه	من خير أديان البرية ديـــنا
لولا الملامـــة أو حـــذار مســـبة	لوجدتني سمحا بذاك مبينا/ ١٢

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي -صلى الله عليه وسلم- وكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر/١٢أسباب نزول السيوطي.

(٢) كما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس/١٢أسباب نزول للسيوطي.

(٣) ولما بين غاية جهلهم وختم بالتهديد الشديد استشرف النفوس إلى معرفة حالهم في مآلهم فقال: "ولو ترى"/١٢وجيز.

﴿لَكَاذِبُونَ﴾: فيما وعدوا صريحا ضمنا، **﴿وَقَالُوا﴾**، عطف على لعادوا أو نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا، **﴿إِنْ هِيَ﴾** أي: الحياة، **﴿إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى﴾**: مسألة، **﴿رَبِّهِمْ﴾**: وتوبيخهم، وقيل أي: بين يديه، **﴿قَالَ﴾**، استئناف فكأن سائلا قال: ماذا قال ربهم حينئذٍ؟ **﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾**: البعث **﴿بِالْحَقِّ قَالُوا[1] بَلَى وَرَبِّنَا﴾**: إقرار مؤكد باليمين، لكن لا ينفعهم، **﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**: بسبب كفركم.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ

---

(١) قال ابن عباس: هذا في موقف وقولهم "والله ربنا ما كنا مشركين" في موقف آخر وفي القيامة مواقف ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون/١٢معالم.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ**﴾: بالبعث، وما يتبعه، ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ**﴾: غاية لكذبوا، أو من مات فقد قامت قيامته، ﴿**بَغْتَةً**﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من المجيء أو حال، ﴿**قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا**[1]﴾: تعالى فهذا أوانك، ﴿**عَلَى مَا فَرَّطْنَا**﴾: قصرنا، ﴿**فِيهَا**﴾: في الدنيا أو في الساعة أي: في شأنها، ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ**﴾: آثامهم، ﴿**عَلَى ظُهُورِهِمْ**﴾: تمثل ذنوبهم بأقبح صورة منتنة فتركب عليهم وتسوقهم[2] إلى النار، ﴿**أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾: بئس شيئًا يزرونه وزرهم، ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ**[3] **الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**﴾، لأنها تنقضي عن قريب، ولا تعقيب منفعة، ﴿**وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**[4]﴾: لدوام لذاتها ومسراتها، ﴿**أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾:

---

(١) والحسرة شدة الندم حتى يحسر الندم النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر البعيد/١٢معالم.

(٢) رواه أبو داود وغيره/١٢وجيز.

(٣) ولما قالوا: "إن هي إلا حياتنا الدنيا" بين قصار أمرها، ومنتها أمرها فقال "وما الحياة الدنيا"/١٢وجيز.

(٤) أشار إلى أن غير عمل التقوى لعب/١٢وجيز.

إنها كذلك، ﴿قَدْ نَعْلَمُ[1] إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: تسلية لرسوله فيما قال الكفار: إنك كذاب، ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في نفس الأمر، أو في السر، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: لكنهم لظلمهم جحدوا الآيات، وكذبوا بها، نزلت[2] حين قال أبو جهل: لا نكذبك لكن نكذب بما جئت به، أو لما سئل أبو جهل عنه قال: والله إنه لصادق وما كذب قط، لكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ[3] رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: بمعونتهم وإهلاك أعدائهم فاصبر أنت أيضًا كما صبروا فسيجيء نصرك، وما مصدرية، ﴿وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لمواعيده وحكمه، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾: بعض أخبارهم كيف صبروا، وكيف دمرنا قومهم، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظم وشق، ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن الإيمان، ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾: تطلب منفذا، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: تنفذ فيه إلى جوفه، ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعدا، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد به إليه، ﴿فَتَأْتِيَهُم﴾: من الأرض أو السماء، ﴿بِآيَةٍ﴾، وجواب الشرط الثاني مقدر أي: فافعل، والجملة جواب الأول يعني لا مغير لحكم الله فاصبر، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي: لو أراد جمعهم على الهدى لجمعهم وهداهم، ولكن

---

(١) ولما كرر في هذه السورة الأمر بمقاولتهم، وأطال في الحث على مجادلتهم وكان من المعلوم أنهم لا يراعون الأدب، وجوابهم ليس إلا السب كما هو دأب المعاند المغلوب فلهذا نفى عنهم الشعور والعقل صار الحال محتاجًا إلى التسلية فقال "قد نعلم إنه" الآية/١٢وجيز.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢وجيز.

(٣) هذا تسلية بعد تسلية كل منهما بطور آخر/١٢وجيز.

لم يتعلق به مشيئته ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: بالحرص على خلاف مرادنا والجزع فإنه دأب الجهلة، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ أي: يجيب دعوتكم بالإيمان، ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾، لا من ختم الله على سمعه فلا يتأمل ولا يفهم، ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: الكفار الذين كالموتى لا يسمعون يبعثهم الله فيعلمون حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ[1]﴾: للجزاء، ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كملك يشهد له، وكقولهم: "حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا" (الإسراء:٩٠) ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾: وفق ما طلبوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ[2]﴾ :أنه قادر على ذلك، وأنه لو أنزل ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما هو سنة الله، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: إتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم، والمبالغة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الإفراد لكون الوصفين[3] من أوصاف الجنس دون النوع، فيشعر بأن القصد فيها إلى الجنس، ﴿إِلا أُمَمٌ[4] أَمْثَالُكُمْ﴾: مقدرة أرزاقها وآجالها محفوظة أحوالها أصناف تعرف بأسمائها وجمع الأمم للحمل على المعنى، ﴿مَا

---

(١) ولما بين تكذيبهم للرسل، ولجاجهم مع صبر الرسل عليهم، ذكر من لجاجهم مع نبينا - صلى الله عليه وسلم- فرداً آخر للتعجب، فقال: "وقالوا" /١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر أنه قادر أراهم من قدرته ما يكفي العاقل في المستدل فقال: "وما من دابة"/١٢وجيز.

(٣) وبهذا يسقط ما قيل أن الوصف بالتخصيص أولى منه بالتعميم/١٢وجيز.

(٤) قال مجاهد: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة كالطير أمة، والهوام أمة، والذباب أمة، والسباع أمة يعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم، وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم) قال عطاء: أمثالكم في التوحيد والمعرفة/١٢.

﴿فَرَّطْنَا﴾: ما أهملنا، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فإنه مشتمل على ما يجري في العالم ومن شيء أي: شيئا من التفريط، فيكون مصدراً فإن فرط غير متعد بنفسه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ[1] يُحْشَرُونَ﴾ أي: الأمم كلها، فينصف بعضها عن بعض، "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير:٥)، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- موت البهائم حشرها، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ﴾: عن سماع آياته سماع قبول وتأثر، ﴿وَبُكْمٌ﴾: لا ينطقون بالحق، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، خبر ثالث، أو حال عن المستكن في الخبر ظلمة الكفر، والجهل، والعناد، ﴿مَن يَّشَأِ اللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضْلِلْهُ﴾: فيميته على الكفر، ﴿وَمَن يَّشَأْ﴾: هدايته، ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[2]﴾: فيميته على الإيمان، ﴿قُلْ﴾: يا محمد للكفرة، ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني استفهام وتعجب، والكاف لتأكيد الفاعل لا محل[3] له من الإعراب، وهو من وضع السبب موضع المسبب فإنه وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار؛ لأنه لا يخبر عن الشيء إلا العالم به، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: قبل الموت، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، وأهوالها، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ[4] تَدْعُونَ﴾: في صرف العذاب عنكم، وهو متعلق الاستخبار، ﴿إِن كُنْتُمْ

---

(١) كما قال: "وإذا الوحوش حشرت" (التكوير:٥)، والأحاديث الصحاح دالة على أن الجميع محشورة فينصف بعضها من بعض ثم يجعل الكل ترابا وعنده يقول الكافر "يا ليتني كنت ترابا" (النبأ:٤٠)/١٢وجيز، وفي الحديث: "لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء"/١٢معالم.

(٢) ولما بين عنادهم في التوحيد وأنهم في تمادي لجاجهم لا يهديهم التأمل في الآفاق أخذ يبين ما لأنفسهم في بعض أحوالهم من ظهور الحق، وصدوره عنهم فقال: "قل"/١٢وجيز.

(٣) هذا هو الأصح/١٢وجيز.

(٤) قال صاحب البحر: جواب الشرط محذوف لدلالة "أرأيتكم" عليه تقديره إن أتاكم عذاب الله فأخبروني عنه، أتدعون غير الله لكشفه؟! كما تقول: أخبرني عن

=

صَادِقِينَ[1]﴾ في أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تعبدون أصنامكم في ذلك الحال؟! ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ[2]﴾: تخصونه بالدعاء كما قال تعالى: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" [لقمان: ٣٢] ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾: الله، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى كشفه، ﴿إِنْ شَاءَ﴾ لكن لم يشأ كشف عذاب الآخرة عنهم، ﴿وَتَنْسَوْنَ[3] مَا تُشْرِكُونَ﴾ فلا تذكرونه في ذلك الوقت.

= زيد إن جاءك ما تصنع به؟، ثم قال: هذا الذي قدرناه هو الذي تقتضيه قواعد العربية/ ١٢.

(١) أراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطرار كما أخبر الله عنهم "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" (لقمان:٣٢)/١٢معالم.

(٢) كما حكى عنهم في مواضع، وتقديم المفعول لإفادة التخصيص/١٢بيضاوي.

(٣) لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره/ بيضاوي/ فمن هاهنا تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد سمعت أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف الكرخي أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء من زيد بن الخطاب، والزبير أجل من هؤلاء مثل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالله المستعان ومنه نسأل العفو والغفران/١٢، وفي الدر النضيد للشوكاني أن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم وهو أن أهل الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور كما حكاه الله عنهم بقوله: "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا" (الإسراء:٦٧)، وبقوله: "قل =

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ
لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا
عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم
مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلۡ
أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ
يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ
أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي

= أرأيتكم" وبقوله: "وإذا مس الإنسان الضر دعا ربه منيا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل" (الزمر:٨)، وبقوله: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعو الله مخلصين له الدين" (لقمان:٣٢)، بخلاف المعتقدين في الأموات فإنهم إذا دهتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم، ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابًا شديدًا فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون الأموات ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله أعاذنا الله من الشرك والكفران ومنه نسأل العصمة والغفران/١٢.

مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا[١] إِلَى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: الرسل فكذبوهم، ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾: بالشدة والجوع، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الأمراض والنقصان، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾، : لكي يسألوا ربهم متذللين تائبين، ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾، حاصله نفي التضرع[٢]، لكن جاء بـ(لولا) ليفيد أنه لم يكن لهم عذر سوى العناد والقساوة، لأن (لولا) يفيد اللوم والتندم، وذلك إنما يحسن إذا لم يكن في ترك الفعل عذر، وعنه مانع، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: ما رقت، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[٣]﴾: فأصروا عليه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من البأساء والضراء و لم يتعظوا به، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من أنواع النعم استدراجًا ليكون الأخذ والهلاك أشد عليهم وأفظع، ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: وحسبوا أنهم على شيء، ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: فجأة، مفعول مطلق لأنها نوع من الأخذ، ﴿فَإِذَا[٤] هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

---

(١) ولما أخبر أنه تعالى قد يكشف البلاء بالتضرع إلى الله أنبأهم أن تركه يوجب غضب الله بنوع من الاستدلال للترهيب، فقال: "ولقد أرسلنا"/١٢وجيز.

(٢) فعدم التضرع لقسوة قلوبهم فقلوبهم كالحجارة أو أشد ولفظة لكن واقع بين الضدين بحسب الحقيقة أعني اللين والقسوة/١٢وجيز.

(٣) يعني الحامل على ترك التضرع قسوة القلب، والإعجاب بالأعمال التي كان الشيطان سببها في تحسينهم لهم/١٢وجيز.

(٤) ابتلاهم أولا فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم فلم يشكروا بالإنابة، بل فرحوا وغفلوا فأخذهم بنوع لم يتقدم لهم شعور به ليوطنوا نفوسهم على لقائه/١٢وجيز.

آخرهم لم يترك منهم أحد، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ[1] الْعَالَمِينَ﴾: على إهلاك الظلمة الذين من شؤمهم تقطع الرحمة، وتحزن الطير في وكره، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أيها المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أصمكم وأعماكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: حتى لا تفهموا شيئًا، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بما أخذ وختم أو بأحد هذه المذكورات، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: على غفلة أو ليلا، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: معاينة تعلمون[2] نزوله أو نهارًا، ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ[3]﴾ فإن الموحدين لا يهلكون بالعذاب البتة؛ بل أولئك لهم الأمن كما فعل بالأمم الماضية ما نزل العذاب إلا بعد تمييز المسلمين، ولو نزل على مسلم مصيبة فهي ليست بعذاب[4]، ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ[5] فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾: العمل، ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: بالعذاب، ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يصيبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم، ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ[6] اللَّهِ﴾: فأعطيكم ما

---

(١) وفي تلك الحكاية تسلية وتنبيه وترهيب لمن له بصيرة ولما هددهم، أولا بالعذاب المطلق الذي هو بنوع خاص من الأخذ هددهم ثانيًا بعذاب خاص فقال: "قل أرأيتم"/١٢.

(٢) فعلى هذا ناسب مقابلة البغتة بالجهرة/١٢.

(٣) ولما طلبوا من الرسل الآيات التي ليست في قدرتهم، بل هو في قدرة مرسلهم أشار إلى أن الظلم في طلبهم بين حقيقة الرسالة، وقال: "وما نرسل المرسلين" الآية/١٢وجيز.

(٤) بل هي تهذيب له/١٢وجيز.

(٥) وفي مبشرين، ومنذرين مع أنهما حال فيهما معنى العلية أي: أرسلناهم للتبشير والإنذار لا لأن يقترح منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات/١٢وجيز.

(٦) جواب لما قالوا إن كنت رسولا فاسئل حتى يوسع علينا خيرات الدنيا/١٢وجيز.

تريدون، ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: فأخبركم[1] بكل ما تسألون، عطف على (عندي خزائن الله)، وقيل: على (لا أقول)، ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: فأقدر على ما يقدر، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وحاصله لا أدعي ما تستبعده العقول؛ بل أدعي النبوة كما كان لكثير من البشر، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: مثل للجاهل، والعالم أي: لا يستوي متبع الوحي ومن ضل، ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ[2]﴾ أنه لا تستوي كقوله تعالى: "أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى" [الرعد:١٩].

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

(١) حتى أقول لكم من الأخبار المستقبلة من المصالح، والمضار لتستعدوا لتحصيل الملك، ودفع هذه/١٢وجيز.

(٢) فيه عرض وتحضيض على الفكر/١٢.

﴿وأَنذِرْ[1] بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ[2] يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: يخافون هول يوم الحشر لا من جزم استحالته، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ﴾: يتولى أمرهم، ﴿وَلا شَفِيعٌ[3]﴾:

---

(١) ولما قال: "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين" أمر بالإنذار لأنهم أجلاف، فقال: "وأنذر به الذين" الآية/١٢وجيز.

(٢) والخائف المقصر في العمل من المؤمنين وأهل الكتاب وكثير من المشركين بعدما أخبروا بالحشر/١٢.

(٣) قوله: "ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع" الآية قال الإمام الرازي في التفسير الكبير: لا ينافي هذه الآية مذهبنا في إثبات الشفاعة للمؤمنين، لأن شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين إنما يكون بإذن الله لقوله تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة:٢٥٥)، فلما كانت تلك الشفاعة بإذن الله تعالى كانت في الحقيقة من الله تعالى. انتهى وفي لباب التأويل تحت قوله تعالى: "قل لله الشفاعة جميعا" (الزمر:٤٤)، أي: لا يشفع إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى، لأنه هو الشفيع في الحقيقة، وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده. انتهى، وقال الشيخ شمس الدين بن عبدالهادي في كتابه الصارم المنكى: فمن أنكر شفاعة نبينا في أهل الكبائر فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة، ومن قال: إن مخلوقا يشفع عند الله بغير إذنه، فقد خالف جميع المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة:٢٥٥)، وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء:٢٨)، وقال تعالى: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" (النجم:٢٦)، وقال تعالى: "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا" (طه:١٠٨،١٠٩)، وقال تعالى: "ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع" (السجدة:٤)، ومثل هذا في القرآن كثير. انتهى وقال المصنف في موضع آخر من كتابه المذكور: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" (سبأ:٢٣)، قد فسروها بأنه يؤذن للشافع والمشفوع له جميعًا فإن سيد الشفعاء =

يشفع[1] بغير إذنه إن أراد العذاب بهم، والجملة حال، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: عن كفرهم ومعصيتهم، ﴿وَلَا تَطْرُدِ[2] الَّذِينَ﴾ : لا تبعدهم عنك، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: يصلون المكتوبات في ليلهم ونهارهم، أو صلاة الصبح، والعصر، أو يذكرون ربهم، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: يعبدونه حال كونهم مخلصين فيها، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، (من) زيدت للاستغراق وهو فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومن حسابهم حال من شيء، أو من شيء مبتدأ وما عليك خبره، والحال من ضمير في الخبر أي: من شيء من تبعة حسابهم ليست عليك، ولا تكلف أمرهم، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾: وليست تبعة حسابك عليهم، ولا يكلفون أمرك أو

= يوم القيامة محمد -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد الشفاعة قال: "فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا فأحمده بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن، فيقال لي ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط واشفع تشفع قال: فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة" وكذلك ذكره في المرة الثانية، والمرة الثالثة، ولهذا قال "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة" (الزخرف:٨٦)، فأخبر أنه لا يملكها أحد دون الله وقوله "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" (الزخرف:٨٦)، استثناء منقطع أي: من شهد بالحق وهم يعلمون أنهم أصحاب الشفاعة منهم الشافع، ومنهم المشفوع له. انتهى أقول: فثبت من هذه الدلائل أن الشفاعة كلها لله، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا بالتوحيد والشفاعة مقيدة بهذه القيود كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل" (الأحزاب:٤)/١٢.

(١) وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالحشر أن آباءهم هم يشفعون لهم وهم أهل الكتاب أو أن أصنامهم تشفع لهم، وهم المشركون أو أن المشايخ يشفعون لمريدهم وهم المتصوفون، لأن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" (البقرة:٢٥٥)/١٢فتح.

(٢) ولما أمر بإنذار المتقين نهاه عن إذلال المتقين فقال: "ولا تطرد الذين"/١٢وجيز.

معناه إنما حساهم على الله ليس عليك كما أنه ليس عليهم من حسابك من شيء كقول نوح -عليه السلام- في جواب: "أنؤمن لك واتبعك الأرذلون"؟! قال: "وما علمي بما كانوا يعملون إن حساهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين"[الشعراء: ١١١-١١٣]، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾، جواب النفي، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي نزلت في فقراء المؤمنين قال رؤساء قريش: يا محمد نَحِّ هؤلاء الأعبد عن مجلسك حتى نجالسك ونسمع كلامك[١]، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفتن العظيمة ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا، ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ[٢] لِيَقُولُوا﴾: رؤساء قريش قالوا في شأن فقراء المسلمين وضعفائهم: ﴿أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ إنكار لأن يخصهم الله بهداية ونعمة كما قالوا: "لو كان خيرا ما سبقونا إليه" (الأحقاف: ١١)، واللام للعاقبة للتعليل، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ[٣]﴾؛ هذا جواب لقولهم أي: الله أعلم بمن يشكر الإيمان وطبعه مستقيم فيهديه، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هم فقراء الصحابة الذين نهى الله طردهم، ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أكرمهم ببدء السلام عليهم، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: بشرهم بسعة رحمة الله، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا﴾: من قرأ (أنه) بفتح الهمزة يكون بدلا من الرحمة، ومن قرأها بكسرها فاستئناف، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع الحال أي: جاهلا بما يورثه ذلك الذنب أو متلبسا بفعل الجهالة، لأن ما يؤدي إلى الضرر لا يرتكبه سوى الجاهل قال بعض السلف: كل

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير/١٢وجيز.

(٢) قال العلامة: ليس القصد إلى مشبه ومشبه به، بل هذا كقولك: ضربته كذلك أي: هذا الضرب المخصوص، ومثله كثير في تركيب البلغاء/١٢وجيز.

(٣) والشاكرين وقع في غاية من الحسن إذ تقدم معنى الإنعام في قولهم: "منّ الله عليهم" فناسب لفظ الشكر/١٢وجيز.

من عصى الله فهو جاهل نزلت في عمر حين أشار بإجابة قريش إلى طرد المؤمنين فأنزل الله، "ولا تطرد الذين" إلخ ثم جاء واعتذر من مقالته، ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ﴾: العمل أو السوء، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله أو أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من قرأ (فأنه) بفتح الهمزة تقديره فأمره، أو فله غفرانه البتة، ومن قرأ بالكسر فتقديره: فالله يغفره ويرحمه البتة فإنه غفور رحيم، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين الواضح، ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: التي يحتاج الناس إلى بيانها، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: من قرأ تستبين بالتاء وسبيل بالنصب فمعناه: ولتعرف طريقهم، فتعاملهم بمقتضى عملك، ومن قرأ بالتاء، ورفعها أي: ولتبين سبيلهم ومن قرأ بالياء ورفعها فلأن السبيل يذكر ويؤنث وهو إما عطف على مقدر أي: فصلنا ليظهر الحق ولتستبين وإما تقديره: ولتستبين فصلنا هذا التفصيل.

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿قُلْ[1] إِنِّي نُهِيتُ﴾ : عن، ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قُل لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ﴾ فيه إشارة إلى علة النهي، ومبدأ ضلالهم فإن طريقهم اتباع الهوى لا الهدى، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إن فعلت ذلك فقد ضللت، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ فيه تعريض بأنهم كذلك، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِن رَّبِّي﴾: غير متبع الهوى، وهو صفة لبينة، ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾: بربي، حيث أشركتم أو الضمير للبينة فإنها بمعنى الدليل، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب كما قالوا: "إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة" [الأنفال:٣٢]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ﴾: في تعجيل العذاب وتأخيره، ﴿يَقُصُّ[2] الْحَقَّ﴾: يتبع الحق والحكمة فيما حكم، ومن قرأ "يقضي الحق" أي: يحكم القضاء الحق فيكون صفة مصدر أو يصنع[3]، الحق فيكون مفعولا به، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾: القاضين، ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب، ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لعجلته حتى أتخلص منكم حين سألتم أنتم العذاب، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: لكن هو أعلم بوقت العقوبة، ﴿وَعِنْدَهُ[4] مَفَاتِحُ الْغَيْبِ[5]﴾: خزائنه جمع مفتح بالميم وهو

---

(١) ولما أوضح الحق واستبان طريقهم لتعاملهم بمقتضى العلم ومن مقتضاه ألاَّ تكون متبعا لهواهم وتجاهد معهم بالعداوة، فبين هذا بقوله: "قل إني نهيت" الآية/١٢وجيز.

(٢) من قص أثره يعني: تتبع/١٢.

(٣) من قضى الدرع صنعه/١٢.

(٤) ولما قال الله أعلم بهم انتقل من خاص إلى عام، فقال: "وعنده مفاتح الغيب" الآية/١٢وجيز.

(٥) وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من مدعي علم الغيب ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرتهم، ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخذلة =

المخزن أو جمع مفتاح بكسر الميم وهو المفتاح(١)، وقد صح أن مفاتيح الغيب خمس "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث" [لقمان:٣٤]، ﴿لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: يحيط علمه بالمغيبات والمشاهدات، ﴿وَمَاتَسْقُطُ من وَّرَقَة إلا يَعْلَمُهَا﴾، لأنه لا تسقط إلا بعد تعلق إرادته به، ﴿وَلا حَبَّة فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾: فوق الأرض أو تحته عطف على ورقة(٢)، ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾ المراد منه كل شيء، ﴿إِلا فِي كِتَاب مُبِينٍ﴾: في اللوح المحفوظ، وهو صفة للمذكورات كما أن "إلا يعلمها" صفة لورقة، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾: هو التوفي(٣) الأصغر استعار التوفي للنوم لما بين الموت والنوم من المشاركات، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾: كسبتم، ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ : يوقظكم، ﴿فِيهِ﴾، الضمير للنهار وقيل: في المنام، ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾: أجل الحياة إلى الممات أي: ليستوفى مدة عمره، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾:

= ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: (من أتى كاهنًا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد)/١٢فتح.

(١) كأن الغيب في بيته مقفل مفاتحه لا توجد إلا عنده، ولا يعلم الغيب إلا الله/١٢وجيز.

(٢) والمراد من السقوط الوقوع على مكان لا الوقوع من علو وإلا فلا وجه لعطف الحبة والرطب واليابس على ورقة هي فاعل تسقط، أو من باب صفته [كذا في الأصل والأظهر : علفته] تبنا وماء وقلدته سيفا ورمحا، وفي هذه الآية مثل قوله "لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض" دلالة صريحة على علمه بجميع الجزئيات إحاطة تامة شاملة عامة كاملة، ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث ومن عظيم أدلة البعث النوم، والإيقاظ، وفيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة أتبعه بما يجيء، فقال: "وهو الذي يتوفاكم بالليل" الآية/١٢وجيز.

(٣) يقبض النفس كما قال: "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها" الآية (الزمر:٤٢) / ١٢وجيز.

بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يجزيكم بعملكم إن خيراً فخير وإن شـــراً
فشر.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ
ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا
لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ
﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ
ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ
يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ
يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا
تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ
حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ
نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ
عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ[1] عِبَادِهِ﴾: تصوير لقهره وعلوه بالقدرة، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً[2]﴾: من الملائكة تحفظ أبدانكم كما قال تعالى: "له معقبات من بين يديه"[الرعد:١١]. أو تحفظ جميع أعمالكم وهم الكرام الكاتبون، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: حان أجله، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ لملك الموت أعوان يخرجون الروح فيقبض ملك الموت، ﴿وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾: فيما أمروا يفعلون ما يؤمرون ﴿ثُمَّ[3] رُدُّوا﴾ أي: الملائكة أو الخلائق كلها، ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ[4]﴾ : الذي يتولى أمرهم، ﴿الْحَقِّ﴾: العدل الذي لا يظلم فضلا ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم بوجه لغيره فيه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾: لا يحتاج في الحساب إلى ضرب وقسمة وفكر وروية وعقد يد لا يشغله حساب عن حساب، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ[5]﴾: سؤال توبيخ، ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: شدائدها[6] وأحوالها ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: معلنين

---

(١) فوقية تليق بجلاله كما ورد "أنت الظاهر فليس فوقك شيء" هذا ما في الوجيز وفي الفتح هو صفة الله تعالى وهذا هو مذهب سلف الأمة وأئمتها يمرونها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا تعطيل أي: فوقية تليق بحاله وهو الحق وتقدم بيانه في الآية من السورة.

(٢) نظيره (وإن عليكم لحافظين)/ ١٢ معالم.

(٣) الظاهر أن الضمير للعباد المفهوم من أحدكم.

(٤) إلى الله وقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أن الملائكة يصعدون بأرواح الموتى من سماء إلى سماء حتى تنتهي بها إلى السماء السابعة، وفي رواية إلى السماء التي فيها الله ثم ترد إلى عليين، أو سجين، وفي الآية دليل على علوه تعالى من خلقه/ ١٢ فتح .

(٥) ولما بين كمال القدرة ذكر نوعًا من القدرة عن أثرها فقال: "قل من ينجيكم"/١٢وجيز.

(٦) أي: من شدائدهما وأهوالهما كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم/١٢معالم.

ومسرين، أو إعلانا وإسرارا ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي: يقولون لئن أنجيتنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لا من الكافرين، ﴿قُلِ[1] اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: الظلمة، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غم سواها، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ[2]﴾: فلا تشكرون[3]، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا[4] مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط ونوح، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: كالخسف، والزلزلة نقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عذاب الفوق أمراء السوء والتحت خدم السوء، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، ﴿وَيُذِيقَ[5] بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يسلط بعضكم على بعض بالعذاب، والقتل وفي الحديث الصحيح (سألت ربي ثلاثا فأعطاني

---

(١) أمره بالمسابقة إلى الجواب لأنه أمر متفق عليه، فيكون هو -صلى الله عليه وسلم- سبق إلى الخير والاعتراف بالوحدانية/١٢وجيز.

(٢) وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا/١٢بيضاوي.

(٣) ولفظ الآية يدل على أنه عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور أحدها الدعاء، وثانيها التضرع، وثالثها الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله: "وخفيه"، ورابعها التزام الاشتغال بالشكر وهو المراد من قوله "لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين" (يونس:٢٢)، ثم بين تعالى أنه ينجيهم تلك المخاوف، ومن سائر موجبات الخوف والكرب، ثم إن ذلك الإنسان يقدم على الشرك ونظير هذه الآية قوله: "ضل من تدعون إلا إياه" (الإسراء:٦٧)، وقوله: "وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين" (يونس:٢٢)، وبالجملة فعادة أكثر الخلق ذلك إذا شاهدوا الأمر الهائل أخلصوا وإذا انتقلوا إلى الأمن والرفاهية أشركوا به/١٢كبير.

(٤) يعني كما أن المنجي من المهالك هو الله وحده هو الموقع فيها وحده/١٢وجيز.

(٥) ذكر الإذاقة التي للمطعوم مبالغة في أن الشدة تصل إلى باطنهم/١٢.

ثنتين ومنعني واحدة سألت أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها [1])، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نوضحها ونكررها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: لكي يفهموا ويتدبروا، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآن[2] وقيل: بالعذاب، ﴿قَوْمُكَ﴾: قريش، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق أو الواقع، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: ما وكل إلى أمركم إنما على البلاغ، ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾: لكل خبر من أخبار الله تعالى وقوع، ولو بعد حين، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: بعضه في الدنيا، وبعضه في الآخرة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ[3] الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: بالطعن والاستهزاء، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: اترك مجالستهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ[4] غَيْرِهِ﴾: الضمير للآيات

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان/١٢وجيز [أخرجه الترمذى (٢٢٨٠) وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الترمذى" (١٧٦٧) وأصل الحديث فى مسلم فى "الفتن وأشراط الساعة" (٥/٧٤٠) ط الشعب.

(٢) الدال عليه ذكر الآيات/١٢.

(٣) ولما أمره بما يقول عند تكذيب قومه أمره بما يفعل حين تكذيبهم فقال: "إذا رأيت"/١٢.

(٤) وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وتقليداتهم الفاسدة وبدعهم الكاسدة فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتسببون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر/١٢فتح.

باعتبار القرآن، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾: النهي عن مجالستهم بوساوسه[1]، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى[2]﴾ : بعد أن تذكر، ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، معهم فإنهم ظلمة لوضع التكذيب، والسخرية موضع التصديق والتعظيم، ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: ما عليهم شيء مما يحاسبون عليه أي: من آثام الخائضين إن قعدوا معهم، ﴿وَلَكِن ذِكْرَى﴾ أي: لكن عليهم أن يذكروهم، ويمنعوهم، ويعظوهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يجتنبون الخوض كراهة لمساءتهم نقل أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون: إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف فإنهم يخوضون أبدا، فنزلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير، قال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية، وهي قوله "إنكم إذا مثلهم" (النساء: ١٤٠)، وفي رواية قال المسلمون: نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم وحينئذ معنى قوله: "ولكن ذكرى" أي: ولكن عليكم التجنب وتذكر النهى لعلهم يتقون حين يروا إعراضكم عنهم، وصح عن سعيد ابن جبير: إن معناه ما عليكم أن يخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتم، وأعرضتم عنهم أي: عليكم الإعراض، ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: استهزءوا بالدين الحق الذي يجب أن يعظم غاية التعظيم، أو معناه جعلوا اللعب كعبادة الأصنام وتحريم[3] البحائر وغيرها دينا واجبًا أي: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى اطمأنوا بها، ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿أَنْ

---

(١) فمفعوله الثاني محذوف/١٢.

(٢) بعد التذكر مصدر وألفه للتأنيث قيل: لم يجئ مصدر على فعلى غير الذكرى/١٢ وجيز.

(٣) وما كانوا يحتاطون في أمر الدين البتة ويكتفون فيه بمجرد التقليد فعبر الله تعالى عنهم بأنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا/١٢ كبير.

تُبسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: مخافة أن تسلم إلى الهلكة بسوء عملها، أو تفضح، أو تحس أو تؤاخذ أو تجزى، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾: يدفع العذاب عنها، والجملة إما صفة أو حال، ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: وإن تَفْدِ النفس كل فداء، ونصبه على المصدر، ﴿لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾: فاعله منها لا ضمير العدل؛ لأنه مصدر وهو ليس بمأخوذ، ﴿أُولَئِكَ[1] الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾: سلموا للعذاب، ﴿بِمَا كَسَبُوا[2] لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: الماء المغلي، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[3].

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ

(١) إشارة إلى الذين اتخذوا أو إلى الجنس المدلول عليه بأن تبسل نفس/١٢.

(٢) من الخطايا وقبائح الأعمال/١٢.

(٣) إشارة إلى أن كفرهم أسوأ ما كسبوا ولما أقام الحجة البالغة على أن المؤثر ليس إلا الله تعالى عقبه سؤال مرتبط فقال: "قل أندعوا"/١٢.

هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ
﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ
يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ
قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ
مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ
يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿قُلْ أَنَدْعُو﴾: نعبد، **﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾**: لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، **﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾**: نرجع إلى الشرك، **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾**: كالذي ذهبت به الغيلان مردة الجن، وأضلته، و(كالذي) حال من ضمير (نرد) أي: ننكص مشبهين من أضلته الغيلان **﴿فِي الأَرْضِ﴾**: في المهمه[1] **﴿حَيْرَانَ﴾**: متحيرا، **﴿لَهُ﴾**: لهذا المستهوى، **﴿أَصْحَابٌ﴾**: رفقاء، والجملة (كحيران)، **﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾**: إلى الطريق المستقيم، **﴿ائْتِنَا﴾** أي: قائلين إيتنا، فلا يلتفت إليهم، ويصير مع الغول حتى يلقيه إلى الهلكة، **﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾**: فما عداه ضلال وهلكة، **﴿وَأُمِرْنَا﴾**: عطف على (إن هدى الله)، **﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** أي: بأن نسلم،

---

(١) أي: البادية/١٢.

ونخلص له العبادة أو اللام للتعليل أي: أمرنا بذلك لنسلم﴿وأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ﴾، عطف على لنسلم،﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ[1]﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والحكمة، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُون ﴾، عطف على السماوات فذكر بدء الخلق وإعادته أو على مفعول اتقوه أو بتقدير واذكر، والمراد يوم القيامة فإن الأمر فيه غير تدريجي، ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصدق الواقع لا محالة مبتدأ وخبرا أو(قوله) مبتدأ و(الحق) صفته "ويوم يقول" خبره أي: قضاؤه الحكمة والصواب حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء يعني ما ظهر من مكوناته شيء إلا عن حكمة وصواب، فلا يكون المراد من يوم يقول يوم القيامة، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ[2]﴾ إما ظرف لقوله: "له الملك" كقوله: "لمن

---

(١) فيجازيكم وفيه تنبيه بأن ثمرات هذه الأفعال وحسرات تركها يظهر يوم الحشر/١٢وجيز.

(٢) أي: الملك كائن له في هذا اليوم فإن ظهور توحده في الملك في هذا اليوم الذي لا أمر لأحد سواه كما قال "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار" والصور قرن يوسع السموات والأرض/١٢وجيز، والصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وهو لغة أهل اليمن، وكذا قال الجوهري: إن الصور القرن أي: المستطيل، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبها، ووصلت لجسدها، فتحله الحياة قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق وقرئ "الصُّوَرِ" جمع صورة والمراد الخلق، وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة: وهذا وإن كان محتملا يرد بما في الكتاب والسنة قال الله تعالى "ثم نفخ فيه أخرى" (الزمر:٦٨)، وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه النسائي وابن المنذر وابن حبان وابن أبي حاتم والحاكم، وصححه والبيهقي وعبد بن حميد وابن المبارك عن عبدالله بن عمر وقال: سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصور فقال: "قرن ينفخ فيه"، وأجمع عليه أهل السنة والأحاديث الواردة في كيفية النفخ ثابتة في كتب الحديث لا حاجة لنا إلى إيرادها هاهنا/١٢فتح.

الملك اليوم لله الواحد القهار" [غافر: ١٦] وإما بدل من "يقول" والصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وقيل: جمع صورة أي ينفخ فيها فتحيا، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: هو عالم الغيب، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ[١] لأَبِيهِ آزَرَ﴾، عطف بيان لأبيه والأصح[٢] إنه اسم أبيه وله اسمان (آزر) و(تارخ) أو أحدهما لقبه، ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾: دون الله، ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ﴾: عن الحق، ﴿مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: مثل هذا التبصير نبصره، وهو حكاية حال ماضية، ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: ملكها والتاء زائدة للمبالغة[٣]، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ أي: ليستدل، وليكون، أو وفعلنا ذلك ليكون، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: ستره بظلامه، وهذا تفصيل لإراءته، ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾: هو الزهرة أو المشترى، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل، ثم يكر عليه فيبطله بالحجة وهذا النوع أدعى إلى القبول فإن قومه يعبدون الكواكب، وهذا هو الأصح، أو قال ذلك على وجه النظر والاستدلال في أول بلوغه، بل قبله فقد نقل أنه في السرب سبع سنين أو أكثر لخوف والديه من نمرود لأنه يقتل الصبيان، فإنه قد أخبر بمولود ذهاب ملكه على يديه، وهو ما رأى في السرب لا سماء ولا أرضًا فلما خرج ورأى كوكبًا قال هذا ربي، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾: عبادة شيء يتغير عن حال إلى حال فعرفهم جهلهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي

---

(١) ولما بين لهم بقوله ما لا ينفعنا ولا يضرنا أنهم في اتخاذ الأصنام بكمال الجهل أعقبه حكاية إبراهيم في شأن أبيه وقومه لأنه أنسب لرجوع العرب من ضلالتهم إذ هو جد لهم معظم عندهم وإنكار نبينا -صلى الله عليه وسلم- على قومه إنكار إبراهيم عليهم/١٢وجيز.

(٢) عن ابن عباس وغيره/١٢.

(٣) كالرهبوت والرحموت/١٧.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا﴾ أي: الشيء الطالع صان ما سماه ربا عن وصمة[*] التأنيث، ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ جرمًا، وإضاءة، فأليق بالربوبية، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: وظهر حدوثه، وأنه مسخر، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا[١] تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى محدث يحدثها، ثم توجه إلى موجدها الذي دلت هذه الممكنات عليه وقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصت ديني وأفردت عبادتي، ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: ابتدعهما على غير مثال سبق، ﴿حَنِيفًا﴾: حال كوني مائلا عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لله، ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: جادلوه في التوحيد، ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾: في وحدانيته، ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾: إلى التوحيد، وأنا على بينة منه، ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: معبوداتكم فإنها لا تملك ضرًا ولا نفعًا وهم يخوفونه[٢] منها، ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، استثناء منقطع، أي: لكن أخاف مشيئة الله، أو متصل تقديره لا أخاف معبوداتكم في وقت قط إلا وقت مشيئة ربي شيئًا من مكروه يصيبني من جهتها مثل أن يرجمني بكوكب أو يجعلها قادرة على مضرتي، ﴿وَسِعَ[٣] رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ[٤] عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعتبروا أن ما قلت لكم حق

(*) في حاشية النسخة: عيب/ ١٢.

(١) ولابد أن موضع الاستدلال الواقف هو فيه -عليه الصلاة والسلام- يكون تحت جبل عال أو جدار فإنه لا يمكن غروب كوكب ويكون بعده طلوع القمر وبعد غروبه طلوع الشمس في ليلة واحدة/١٢وجيز.[والأمر لا يحتاج إلى كل هذا التكلف من صاحب الحاشية؛ لأنه لا دليل على أن هذه الرؤى قد وقعت له في ليلة واحدة، فقد يكون ذلك في أوقات متعددة، ويكون قد تأملها ثم أدارها في نفسه، ثم احتج بها على قومه وهم يقرّون بها ابتداء لطول مشاهدتهم إياها]

(٢) كما قال قوم هود: "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء" (هود:٥٤)/١٢وجيز.

(٣) وفي تكرار ربي استلذاذ، وتعريض بأن الله ربه ومولاه ولا مولى لهم، بل الله عدوهم/١٢وجيز.

(٤) منصوب على التمييز فهذا أبلغ من وسع علم ربي كل شيء/١٢وجيز.

فتركوا عبادها، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ وهو لا يملك ضرا، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: الذي هو حقيق بأن يخاف منه، لأنكم أشركتم المصنوع بالصانع، وسويتم بين العاجز والقادر، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: شيئًا لم يترل بإشراك ذلك الشيء حجة من كتاب وغيره، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: من الموحدين والمشركين، ﴿أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[١]﴾: إن لم يكن لكم جهل، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوه بشرك[٢]، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: وقد صح أنها لما نزلت قد شق على الصحابة، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "ليس كما تظنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يا

---

(١) إن كنتم غفلاء لستم بمجانين فأخبروني أيُّ هذين الفريقين أحق بالأمن، ولما خوفوه في مكان الأمن و لم يخافوا في مكان الخوف أبرز الاستفهام في صورة الاحتمال وقد علم يقنيا، لأنه أقرب من إنصافه وإذعانهم كأنه صيرهم حكاما وطلب منهم الإنصاف والصدق/١٢وجيز.

(٢) بشرك تفسير الظلم بالشرك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد صح عن البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد صح عن جم غفير من السلف والإنكار منكر من القول هذا ما في الوجيز وفي الفتح، والعجب عن صاحب الكشاف حيث يقول في تفسير هذه الآية: وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرها بهذا وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وفي زاده على البيضاوي: وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك بناء على أن خلط إحدى الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك لأنهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشبهة ترد عليهم بأن يقال: كما أن الإيمان لا يجامع الكفر فكذلك المعصية لا تجامع الإيمان عندكم لكونه اسم لفعل الطاعات واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم انتهى/١٢

بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان: ١٣٠) "إنما هو الشرك"(*)، وقد فسره السلف بذلك، والمراد من الخلط النفاق، أو المراد من الإيمان مجرد تصديقه وشركه عدم توحيده، أو المراد الثبات على الإيمان وكثير من الناس يزعمون إيمانهم وهم عنه بمراحل لفساد عقيدتهم بصفة من صفات الله.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما مر من قوله: " فلما جن" إلى قوله: "وهم مهتدون"، **﴿حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾** : ألهمناها، **﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾** متعلق (بحجتنا)، **﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ**

(*) أخرجه البخاري في "التفسير" / باب: "ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" (٤٦٢٩) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم في "الإيمان" / باب: صدق الإيمان وإخلاصه.

﴿نَشَاءُ﴾ قرئ بالإضافة، وبلا إضافة (فمن نشاء) مفعول (نرفع) و(درجات) إما مصدر أو ظرف أو تمييز إن جوزنا تقديمه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في الرفع والخفض، ﴿عَلِيمٌ﴾، بحال من يرفعه ويخفضه وقابليته، ﴿وَوَهَبْنَا[1] لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً﴾: منهما، ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم وهداية الوالد شرف الولد، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾، الضمير لإبراهيم، واللوط[*] هو ابن أخيه أدخل في ذريته تغليبا أو الضمير لنوح -عليه السلام ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: هدينا من ذريته داود وسليمان، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾: مثل ما جزينا إبراهيم برفع الدرجة، وكثرة أولاد مهتدين، ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾، فيه دليل على أن ولد البنت من الذرية، ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ الصحيح أنه غير إدريس، ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: بالنبوة، ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ عطف على كلاً أي: فضلناهم وبعض آبائهم، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وفيهم سيد الكونين -عليه السلام- فهم أفضل جميع المخلوقات بأسرها، ﴿وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخترناهم، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[2] ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما هم عليه، ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا[3]﴾ بحسب الفرض أي: هؤلاء الأنبياء مع علو درجتهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بطل عملهم كآحاد الناس، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يريد جنس الكتاب، ﴿وَالْحُكْمَ﴾: العلم والحكمة، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَّكْفُرْ بِهَا﴾: بالنبوة، أو بهذه الثلاثة،

---

(١) أي: من جملة رفع الدرجات أنا وهبنا له يحتمل عطفه على نرفع وعلى تلك حجتنا.

(*) كذا بالأصل.

(٢) وأما نكتة خصوصية عدد هؤلاء بهذا الترتيب فعلمها عند الله/١٢وجيز.

(٣) فيه دلالة على أن الهدى السابق هو التوحيد ورفض الشرك/١٢وجيز.

﴿هَؤُلاءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وهم المهاجرون والأنصار، ومن تبعهم إلى يوم الدين، وعن قتادة هم الأنبياء المذكورون ومن تبعهم، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأنبياء المذكورون، ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ[1] اقْتَدِهْ﴾: في التوحيد، والصفات الحميدة، والهاء للوقف، ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ أو القرآن، ﴿أَجْرًا﴾: جعلا كما لم يسأل الأنبياء، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلاَّ ذِكْرَى﴾: تذكرة وعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ[2]﴾.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ

---

(١) عن ابن عباس قال أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بهديهم وكان يسجد في "ص" [أي في سجدة سورة "ص"] أخرجه البخاري والنسائي وغيرهما ففيه دليل على أنه -صلى الله عليه وسلم- مأمور بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص/١٢فتح [البخارى(٤٦٣٢)].

(٢) ولما عد الأنبياء، ووصفهم بأنهم أصحاب كتاب وحكم ونبوة وأوعد من كفر بهذه الثلاثة عقبه بمن نفى الكتاب عن أسه وأصله فقال: "وما قدروا الله حق قدره"/١٢وجيز.

ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞﴾

﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾: ما عظموه حق تعظيمه، أو ما عرفوه حق معرفته في اللطف والرحمة على عباده، ﴿**إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾: إذ كذبوا إرسال الرسل الذي هو من عظائم نعمه، ﴿**قُلْ**﴾: لهم، ﴿**مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ**﴾: نزلت[1] في قريش، وهم يسمعون كتاب موسى من اليهود، ويسلمونه، ويقولون: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم، أو في طائفة[2] من اليهود حين قالوا ذلك مبالغة في إنكار القرآن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فألزموه ما لابد لهم من الإقرار به أو رجل معين من اليهود قال: ما أنزل الله على بشر من شيء حين غضب، ﴿**تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾ أي: جملتها بجعلها قطعا قطعا، ويجزئونها جزءا جزءا يبدون ما يحبون ويخفون بعضا لا يشتهون، مثل صفة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وآية الرجم، وقراءة الخطاب يؤيد كلام من يقول: أن الآية في اليهود اللهم إلا أن يقال إن قريشًا واليهود النصارى متشاركون في إنكار القرآن، فلم يبعد أن يكون الكلام بعضه خطابا مع قريش، وبقية

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما/١٢وجيز ولقريش صحبة ومحبة مع اليهود/١٢وجيز.

(٢) وهو الظاهر وهو قول بعض السلف/١٢وجيز.

مع اليهود، والنصارى كأنهم طائفة واحدة، وأما قراءة الياء أي: الغيبة تكون التفاتا[1] عند من يقول الآية في اليهود، ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾: بسبب القرآن، ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾: من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي، وإذا كان الخطاب مع اليهود فمعناه علمتم بالقرآن زيادة على التوراة وبيانا لما التبس عليكم، وعلى آباءكم كما قال تعالى "إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون"[النمل: ٧٦]، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾: أنزله أَجِبْ عنهم ذلك، لأنه متعين وفيه إشعار بأنهم تحيروا في الجواب ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾: دعهم في أباطيلهم، ﴿يَلْعَبُونَ﴾: يعملون ما لا ينفع، وهو حال من مفعول ذر، ﴿وَهَذَا﴾: القرآن، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع، ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية، ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ أي: أهل مكة فـ(عطف على) صريح لفظ مبارك أي: كتاب مبارك كائن للإنذار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهل الشرق والغرب، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، فإن لازم الإيمان بها الخوف، والخوف يجره إلى الإيمان بالقرآن والمداومة بصلاته فإنها عماد الدين، ﴿وَمَنْ[2] أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كمن ادعى أنه أرسله كاذبا، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، نزلت في مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والوحي[3]، ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ[4] اللَّهُ﴾:

---

(١) إهانات لهم/١٢.

(٢) ولما كان لمن يدعي الرسالة لنفسه، ولمن ينفيها مضادة كما قالت اليهود وكل منهما كافر بسبب هذا القول عقب أحدهما الآخر فقال: "ومن أظلم" الآية/١٢.

(٣) أتى بأو التنويعية مع أنه القائل والمفترى ليدل على أن كل واحد من فعله وقوله يكفي في أنه ظلم/١٢ وجيز.

(٤) قال السدي: نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي، وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي -صلى الله عليه وسلم- فكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما وإذا أملى =

كما قالوا: "لو نشاء لقلنا مثل هذا" (الأنفال:٣١)، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، جوابه محذوف أي: ولو ترى زمان سكراتهم لرأيت أمرًا فظيعًا، ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: شدائده، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾، بتعذيبهم لقبض أرواحهم، فقد ورد[1] أن أرواح الكفرة تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى[2] تخرج، ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أي: قائلين ذلك تعنيفًا وتغليظًا وزجرًا وإضرارًا لهم، ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الموت، ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الهوان والذل، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: كإثبات الشريك والولد، وإدعاء النبوة، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فلا تؤمنون بها، فالهوان لاستكبارهم، ﴿وَلَقَدْ[3] جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾:

= عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم فعجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال -صلى الله عليه وسلم-: اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقًا فقد أوحي إلى مثل ما يوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي -صلى الله عليه وسلم- نازل بمر الظهران: هذا ما في لباب التأويل المعروف بالخازن وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض رسائله: وعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد وكان يكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن ثم تاب وأسلم وبايعه النبي -صلى الله عليه وسلم- على ذلك/١٢.

(١) كما رواه ابن أبي حاتم، وغيره/١٢وجيز.

(٢) وأما أن للكافر اختيار في حبس الروح في البدن وإطلاقه فالعلم عند الله تعالى، وفيه دليل على عدم تجرد الروح/١٢وجيز.

(٣) ولما كان من المعلوم أن ليس استكبارهم إلا لمالهم وخولهم وكان استظهارهم بالشفعاء اللات والعزى عقبه بقوله: "ولقد جئتمونا فرادى" الآية/ ١٢وجيز.

منفردين عن الشفعاء، والأموال، والأهل، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقد كنتم تنكرون ذلك حال ثانية أو صفة مصدر جئتمونا أي: مجيئا مثل خلقناكم أو بدل من فرادى، ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: تركتموه كليا وليس معكم شيء منه، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ[1] الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: في ربوبيتكم واستعبادكم، ﴿شُرَكَاءُ﴾: لله، ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، على قراءة رفع (بينكم) يكون بمعنى الوصل ليس بظرف، أو ليس بلازم الظرفية، وعلى قراءة النصب أسند لتقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾: ضاع وبطل، ﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ[2]﴾: تزعمونه شفيعًا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ

(١) الذين قلتم: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر:٣)/١٢فتح.

(٢) أنها شفعاءكم/١٢بيضاوي.

لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ[1] الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يشقهما في الثرى فينبت منهما الزرع[2] والشجر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النبات والحيوان من الحب والنطف، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾: الحب والنطف ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾: النبات والحيوان عطف على فالق الحب فإن (يخرج الحي من الميت) كالبيان له ولذا ترك العطف، ومخرج الميت من الحي لا يصلح للبيان؛ لأن فلق الحب ليس إلا لإخراج الحي، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فاعل هذه الأشياء هو الله، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عنه إلى غيره، ﴿فَالِقُ[3] الْإِصْبَاحِ[4]﴾: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾، إعمال اسم الفاعل، لأنه بمعنى الدوام التجددي نحو:

"ولقد أمر على اللئيم يسبني"[*]

لا بمعنى الثبوت الدائمي كـ"مالك يوم الدين" (الفاتحة:٤)، ﴿سَكَنًا﴾: يسكن فيه خلقه، ويستريح، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا[5]﴾ أي: تجريان بحساب معين لا

---

(١) ولما تقدم ذكر البعث في قوله: "ولقد جئتمونا" نبه على إمكانه في جنب كمال قدرته بالأمر المشابه للبعث فقال: "إن الله فالق الحب" الآية/١٢وجيز.

(٢) ففيه تنبيه على البعث/١٢.

(٣) ولما ذكر القدرة في الأرضيات توجه إلى قدرة مثلها في السماوات "فالق الإصباح" إلخ/١٢وجيز.

(٤) والإصباح مصدر سمي به الصبح/١٢وجيز.

(*) صدر بيت من الكامل، وهو لرجل من سلول في الدرر ١/٧٨ وعجزه:

"فَمَضَيْتُ ثَمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي"

(٥) حسبانًا هو مصدر حسب بفتح السين أي: العد والحصر، والحسبان بكسر الحاء مصدر حسب بكسر السين أي: الظن والتخمين/١٢منه.

تتجاوزان، أو معناه جعلهما علمى حسبان؛ لأن حساب الأوقات يعرف بدورهما، ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي: المذكور من فلق الصبح، وجعل الليل، والشمس، والقمر، ﴿**تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ**﴾: الذي يفعل ما يريد، ﴿**الْعَلِيمِ**﴾: بما قدر وأراد، ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ**﴾: خلقها لكم، ﴿**لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ**[1] **الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ أي: في ظلمات[2] الليل فيهما، ﴿**قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ**﴾: بيناها مفصلا لا مجملا، ﴿**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**[3]﴾، فإن الجاهل لا ينتفع به، ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ أي: آدم، ﴿**فَمُسْتَقَرٌّ**﴾ أي: فلكم مستقر في الأرحام، ﴿**وَمُسْتَوْدَعٌ**[4]﴾: في الأصلاب، أو بالعكس أو في الأرحام، وعلى ظهر الأرض أو في القبر وفي الدنيا أو في الرحم والقبر أو في الجنة أو النار وفي القبر وهما اسما مكان أو مصدران، وفي قراءة كسر القاف الأول اسم فاعل، والثاني اسم المفعول أي: فمنكم قار ومنكم مستودع، ﴿**قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ**

---

(١) وهذا إحدى منافع النجوم ومنها ما ذكره الله في قوله :"وحفظا من كل شيطان مارد" (الصافات:٧) وقوله تعالى: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين" (الملك:٥)، وعن عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا فإنها والله ما خلقت إلا زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها وعن قتادة نحوه وأخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عمر مرفوعًا: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا/١٢فتح.

(٢) فإضافة الظلمات إليهما لملابستهما لهما/١٢منه.

(٣) ولما كان جميع تلك الآيات المتوالية للاستدلال على الوحدانية إذا أتم دليلا رجع إلى غيره من آفاقي وأنفسي، ومن هذا قال: "وهو الذي أنشأكم"/١٢وجيز.

(٤) والحاصل أن المستقر، والمستودع حالان يتواردان على الإنسان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى القبر إلى المحشر إلى الجنة أو النار، ففي كل رتبة استقرار بالإضافة إلى ما قبلها استيداع بالإضافة إلى ما بعدها واستقر لازم فلا يبنى منه اسم مفعول/١٢وجيز.

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ[1]﴾، الفقه: تدقيق النظر، فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته بخلاف الاستدلال بالآفاق، ففيه ظهور ولهذا قال في الأول: "لقوم يعلمون".

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبه، **﴿مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾**: بسبب الماء، **﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾**: تنبت، **﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾**: من النبات أو الماء، **﴿خَضِرًا﴾**: زرعا وشجرا أخضر، **﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾**: من الخضر، **﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾**: بعضه على بعض كسنابل البر وغيره، **﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾**، الطلع: أول ما يخرج من ثمرها والقنو: العرجون، وهو مبتدأ "ومن النخل[2]" خبره، "ومن طلعها" بدل، **﴿دَانِيَةٌ﴾**: سهلة المجتنى لقصر النخل اللاصقة عذوقها بالأرض، أو قريب بعضها من بعض على التفسير الأول ذكر الدانية لأن النعمة فيها أظهر أو دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله "سرابيل تقيكم الحر" (النحل:٨١) أي: والبرد، **﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾** عطف على (نبات)، أو على (خضراً) **﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾** أي: شجريهما بدليل انظروا إلى ثمره، **﴿مُشْتَبِهًا[3] وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾** أي: متشابها ورقهما، فإن ورقهما قريب غير متشابه

---

(١) لما كان الاهتداء بالنجوم، واضحا ختمه بيعملون وكون الإنسان من نفس واحدة وتصريفه في أحوال كثيرة أدق ختمه بيفقهون فإن المفهوم من الفقه دقيق النظر/١٢وجيز.

(٢) والجملة مقطوع عما قبلها في تجريدها من عظم المنة إذ كانت من أعظم قوت العرب، ولها شبه بالحب، وشبه بالعنب في التغذي والتفكر، فناسب أن يكون اعتراضًا بين الحب والعنب/١٢وجيز.

(٣) الافتعال والتفاعل يشتركان كثيرًا يقال: اشتبه الشيئان وتشابها واستويا وتساويا، فهو حال من الزيتون لسبقته، أو من الرمان لقربه، وحذف مشتبها وغير متشابه من أحدهما للقرينة وبأن بعض الرمان حامض وأحمر وكبير، وبعضه حلو وأبيض وصغير ففي الرمان في غاية الظهور/١٢وجيز.

ثمرهما، أو بعضه متشابه ببعض آخر منه في الهيئة، واللون والطعم وبعضه غير متشابه، ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: ثمر كل واحد من ذلك، ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أخرج ثمره، ﴿وَيَنْعِهِ﴾: وإلى نضجه نظر استدلال بعد أن كان حطبًا صار عنبًا ورطبًا وبعد أن كان جافا تفها صار لذيذا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ أي: على كمال قدرته، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون بالله.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: عبادة غير الله تعالى، عبادة الشيطان هم جعلوا الشيطان شريكًا له، أو كما قال الثنوية: الله خالق النور، والشيطان خالق الشرور، (وشركاء الجن) مفعول (جعلوا) أو (لله) متعلق بـ(شركاء) أو حال منه أو (لله شركاء) مفعولاه، و(الجن) منصوب بمقدر، كأنه قيل: من جعلوه شركاء؟ فقال: "الجن"، ﴿وَخَلَقَهُمْ[1]﴾، حال بتقدير قد والضمير إما إلى الكفار أي: جعلوا غير خالقهم شريكًا لخالقهم، وإما إلى الجن: أي جعلوا المخلوقين شركاء للخالق، ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: اختلفوا وافتروا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من فاعل خرقوا أي: خرقوا عن عمى وجهالة لا عن فكر وروية، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تعالى عطف على أسبح.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ

(١) والأولى أن ضمير الجمع للجاعلين إذ هم المحدث عنهم يعني جعلوا مخلوقًا شريكًا لخالقهم، وما هو إلا حماقة/١٢وجيز.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ
أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ
جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا
يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ ﴾

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي[1]: هو مبدعهما ومحدثهما على غير مثال سبق قيل: من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سماواته، وقيل الإضافة حقيقية بمعنى في أي هو عديم النظير فيهما، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾، والولد إنما يكون بين متجانسين ولا يناسبه شيء فإنه فالق الأشياء وأين الخالق من المخلوق؟! ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[2]﴾، لم يقل وهو به عليم لأن علمه أشمل من خلقه، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: الموصوف بما سبق من الصفات، وهو مبتدأ، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لا

---

(١) ولما كان التوالد من صفات الأجسام ومن هو مبدع تلك الأجسام ومخترع الأجسام ليس بجسم، فلا يكون له ولد "أنى يكون له ولد"الآية/١٢وجيز.

(٢) يعني من كان موصوفا بالخالقية، والعالمية غني عن العالمين والولد إنما يطالبه المحتاج إليه فنفى الولد بأدلة ثلاثة، ويمكن أن يجعل أربع دلائل/١٢وجيز.

إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أخبار مترادفة[1]، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾؛ لأن من له هذه الصفات استحق العبودية، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: متولى أموركم فكلوها إليه، ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ أي: في الدنيا أولا يحيط به الإبصار، فإن الإدراك أخص من الرؤية أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر ولا ملك، لكن إذا تجلى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار، أو لا يراه جميع الأبصار؛ بل الكفار عنه محجوبون، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ[2]﴾: تحيط علمه بها ويراها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: بأوليائه، ﴿الْخَبِيرُ﴾:

---

(١) يعني المتصف بالصفات المتقدمة هو الله مالِكُكُمْ الناظر في مصالحكم، ثم حصر الإلهية فيه وأنه هو وحده متصف بالخلق ثم أمر بعبادته، فقال: "اعبدوه "لأنه هو الحقيق بالعبادة/١٢وجيز.

(٢) أي: هو لا تدركه حاسة النظر في الدنيا لأن الإرادة الأزلية أنقضت أنها لا تراه في الدنيا وأما أمور الآخرة فعلى خلاف ما في الدنيا تأمل فيما ورد عن أمر الصراط وأحوال الجنة وأهل النار والأحاديث الصريحة في شأن رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة واردة، وهو يدرك جميع الحواس النظرية، فهو خالقها وصاحب الحاسة لا يرى حاسة نفسه، وكلا الأمرين معًا صفة مدح، والتغير من جانب الرائي لا من جانب الرب سبحانه، ولا عليك أن تجعل تلك الصفة دليلا آخر لنفي الولد والصاحبة فإن التوالد لابد له من خلطة وتماس، والصفات الذاتية لا تتغير/١٢وجيز. وقد ثبت الرؤية في القيامة بالأحاديث المتواترة تواترا لا شك فيه، ولا شبهة ولا يجهله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلا عظيمًا وأيضًا قد تقدر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار هذا على تسليم أن نفي الإدراك يستلزم نفي الرؤية الخاصة والآية من سلب العموم لا من عموم السلب والأول يخلفه الجزئية، والتقدير لا تدركه كل الأبصار، بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين، وقد أطال الواحد المتكلم الحافظ ابن قيم في حادي الأرواح في إثبات الرؤية ورد المنكرين لها بما لا مزيد عليه/١٢فتتح.

بأعمالهم قيل من باب اللف والنشر أي لا تدركه الأبصار، لأنه لطيف لا كثافة(*) فيه بوجه، وهو يدرك الأبصار؛ لأنه خبير، ﴿قَدْ جَاءكُمْ بَصَائِرُ[1] مِن رَّبِّكُمْ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للجسد أي: جاءتكم بالوحي الآيات البينات، والحجج القرآنية التي هي للقلوب كالبصائر، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: يرى تلك الآيات وآمن بها، ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: أبصر، وله نفعه، ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾، فلا يؤمن بها، ﴿فَعَلَيْهَا﴾: فعلى نفسه عمى، وعليها ضره، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: أحفظ أعمالكم فأجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ، وهذا وارد على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾: مثل ذلك التبيين نبينها ونكررها، ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾، معلله محذوف أي: وليقولوا درست نصرفها، والدرس القراءة، والتعلم أي: ليقول المشركون درست، وتعلمت من اليهود، ثم تزعم أنه من عند الله عليك يعني لشقاوة بعض كما قال تعالى: "يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا" (البقرة:٢٦)، فيكون اللام على أصله أو اللام لام العاقبة، وقرئ (دارست) أى: دارست أهل الكتاب وقارءهم، وقرئ (درست) أي: قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾، الضمير للقرآن أو الآيات باعتبار أنها قرآن أي: كررناه لنبينه، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لهداية المؤمنين، وحاصله تصريف الآيات لشقاوة بعض وسعادة بعض آخر، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالعمل به، ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ حال مؤكدة من ربك أي: منفرداً بالألوهية، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تجادلهم، واحتمل أذاهم حتى ينصرك الله فإن لله حكمة في

(*) بالأصل كثافته، والأصح ما ذكرناه. ص٢٠٤.

(١) وهذا كلام استئناف وارد على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولهذا قال في آخره: "وما أنا عليكم بحفيظ" ووصف البصائر بالمجيء تفخيمًا لشأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه كما يقال: جاءت العافية، وانصرف المرض، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس/١٢فتح.

إضلالهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: توحيدهم، ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيبًا تحفظ أعمالهم وتجازيهم أو تحفظ من عذاب الله، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم.

﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أصنامهم، ﴿فَيَسُبُّوا[(١)] اللَّهَ عَدْوًا﴾: ظلمًا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله يعني سب آلهتهم وإن كان حقًا لكن فيه مفسدة عظيمة، نزلت حين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك أو كان المسلمون يسبون آلهتهم وهم يسبون الله عدوًا، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من أمم الكفار، ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

---

(١) وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل إذا خشى أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرمة ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان وجبًا عليه، وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصدين لبيانها للناس وإذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضا لاتباع المحقين، وجرأة على الله سبحانه فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف، وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة، وجعل المخالفة لها والتجري على أهلها وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "ملعون من سب والديه قالوا: يا رسول الله، وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه"/١٢فتح البيان في مقاصد القرآن المأخوذ من فتح القدير للشوكاني/١٢[البخارى (٥٩٧٣)، ومسلم (١/٢٧٦) ط الشعب ولفظه "إن من أكبر الكبائر..."الحديث].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أوكدها أي: أقسموا قسمًا غليظًا ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: كما لموسى وعيسى، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا عندي حتى آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ابتداء كلام وليس في حيز (قل) و(ما) استفهام إنكار ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾: تلك الآية التي طلبوها، ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون والله يعلم ذلك، ولا يترلها وقيل: لا مزيدة، وقيل: فيه حذف تقديره: ما يدريكم أنهم لا يؤمنون، أو يؤمنون وقيل: أن بمعنى لعل، ومن قرأ إنها بكسر الهمزة على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بما علم منهم فقال ذلك، والخطاب للمؤمنين أو للمشركين، ويؤيده قراءة التاء في "لا تؤمنون" نزلت حين قالوا: والله لئن تجعل لنا الصفا ذهبا لنتبعنك أجمعين، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾: عن الحق لو أنزلنا ما اقترحوا من الآيات فلا يفقهونه عطف على (لا يؤمنون) أو جملة على حيالها، ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ولا يؤمنون بها، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بما أنزل من الآيات، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: من انشقاق القمر وغيره، أو المراد كما لم يؤمنوا بما أنزلنا على موسى، وعيسى لقوله: "أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل" (القصص:٤٨)، وعن بعض السلف نقلبهما فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: في كفرهم، وضلالهم متحيرين.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا

هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن
يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ
عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ
عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ
وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا
تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ﴾: فرأوهم عيانا، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾: فشهدوا لك، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا﴾: جمع قبيل بمعنى كفيل، أو بمعنى جماعات، أو هو مصدر بمعنى المقابلة، وهو حال من (كل)، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: في حال، ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ[1] اللَّهُ﴾ أي: إلا حال مشيئته، فيبدل طبعهم لتمرهم في الكفر وسبق القضاء

(١) يعني أن الأسباب لا دخل لها في إيمانهم بخلاف بعض الكفرة فإنه لا حاجة إلى تبديل طبائعهم، بل إذا جاءهم سبب، وضم إليه مشيئة الله تعالى لآمنوا فإن هذا العالم عالم الأسباب/١٢ وجيز.

بشقاوهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ[1]﴾: أهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا، فيقسمون جهد أيماهم قيل: أو إن أكثر المسلمين يجهلون أهم لا يؤمنون فيتمنون نزول آية طمعا في إيماهم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ[2] عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لك عدوًّا جعلنا لكل نبي عدواً، ﴿شَيَاطِينَ﴾: مردة، ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل[3] من عدوًّا، أو أحد مفعولي (جعلنا لكل نبي) ظرف (عدوًّا)، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: يوسوس ويلقي بعضهم بعضا، ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: أباطيله المزينة يغروهم، ﴿غُرُورًا﴾ أو للغرور، يعني أن مردة الجن يوحون مردة الإنس، ويغروهم بالإضلال، وهذا[4] هو الأصح، وقال بعضهم: معناه الشيطان الموكل بالجن يوحي، ويعلم الشيطان الموكل بالإنس أباطيل القول في إضلال المسلمين وبالعكس، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾: ألا يكون لهم عدو، ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: إيحاء الزخارف، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: ولا تغتم أنت منهم، ﴿وَلِتَصْغَى﴾ أي: ولتميل، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى زخرف القول، ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، عطف على (غرورًا) إن جعلته مفعولا له، وإلا فهو متعلق بمحذوف أي: وجعلنا لكل نبي عدوا لتصغى، أو تقديره: جعلنا ذلك لمصالح لا تحصى ولتصغى، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾: ليحبوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: ليكتسبوا، ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ[5]﴾:

---

(١) ولما علم مما سبق أهم له -صلى الله عليه وسلم- أعداء لا تزول عداوتهم أعقبه ما يسلي فؤاده، فقال: "وكذلك جعلنا" الآية/١٢وجيز.

(٢) لست منفرداً بذلك/١٢.

(٣) والبدل جمع، والمبدل مفرد دل على أن المراد الجنس وإتيانه بصورة المفرد للإشعار بأهم كيد واحد على ما سواهم/١٢وجيز.

(٤) وهو قول جميع السلف، ويدل عليه الحديث الصحيح/١٢.

(٥) من الآثام، وهذا الترتيب في غاية الفصاحة أولا ذكر الخداع فالميل فالرضاء فالاقتراف وكل مسبب عما قبله، ولما كان من عادة قريش في المخالفات التحاكم إلى كهاهم، =

من الآثام، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أي: قل أغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، و(حكما) حال من غير الله، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مُفَصَّلًا﴾: بين وميز الحق والباطل، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: من اليهود والنصارى، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، لأن وصفه مذكور في كتبهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ في أنه من عند الله، وهذا من باب التحريض، والتهييج، قال تعالى: "وإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب" الآية [يونس:٩٤]، وقد جاءت في الحديث أنه عليه السلام قال حين نزوله: (لا أشك ولا أسأل)(*) أو المراد نهي الأمة، وقيل: معناه لا تكن من الشاكين في أنهم يعلمون ذلك، ﴿وَتَمَّتْ[1] كَلِمَةُ رَبِّكَ[2]﴾:بلغت الغاية، وعداته وأقضيته، ﴿صِدْقًا﴾: فيما وعد،

= وهم شياطين الإنس الذين قال الله تعالى فيهم: "يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا" وطلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التحاكم في أمر نبوته نهى الله تعالى عن التحاكم إلى غيره فقال: "أفغير دين الله أبتغي حكما" إلخ/١٢وجيز.

(*) أخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره" (١١/١١٦) عن قتادة رضي الله عنه. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٥٧١) ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه.

(١) ولما كان من أول السورة إلى هنا في بيان التوحيد والنبوة والطعن على المخالف ومن هنا إلى آخر السورة في بيان الأحكام، والقصص ناسب قوله: "وتمت كلمة ربك"/١٢وجيز

(٢) قوله: "وتمت كلمة ربك" الآية قال شيخ الإسلام: السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام يقولون إن الكلام صفة ذات وفعل وهو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حي وصف بالكلام فكلامه لابد أن يقوم بنفسه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته قال الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلما إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته، وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى: "فلما أتاها نودي يا موسى" (طه:١١) فناداه حين أتاها، ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى: "فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم =

﴿وَعَدْلاً﴾: فيما حكم وهو إما حال أو تمييز، ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه﴾: لا راد لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: لما في صدورهم، ﴿وَإِن[1] تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾: فإن أكثرهم على الضلال، ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الموصل إليه، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾: فإن دينهم ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون على الله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِه﴾ أي: بمن يضل، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ[2] بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أعلم بالفريقين، ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّه[3] عَلَيْه﴾، أي: على ذبحه لا مما مات حتف أنفه،ولا مما ذكر عليه اسم غيره، ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يقتضي

= أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين" فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم يناداهما قبل ذلك وكذلك قوله تعالى "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" (الأعراف:١١)، بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" (آل عمران:٥٩) فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب،ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين، وعليه يدل كلام السلف قاطبة، والكتاب والسنة مملوآن منه. انتهى مختصرًا ملتقطًا/١٢.

(١) ولما قال: "وتمت كلمة ربك" علم منه أنه المستمسك وأنه العروة الوثقى فالجدير ألاَّ تدعه في شيء وفي حال ولهذا عطف عليه قوله: "وإن تطع أكثر من في الأرض" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) لما قال: "وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك" أخبر أنه أعلم بالفريقين من الضال والمهتدي، فلا تطع أحدًا إلا ربا وكلمته "فكلوا مما" الآية/١٢وجيز.

(٣) يعني لما نهيناك عن اتباع الغير فلا تأكل مما ذكر عند الذبح اسم غير الله تعالى عليه ولا مما مات حتف أنفه فإن ذلك من شرع المشركين/١٢وجيز.

استباحة ما أحله الله لا ما أحله[1] الظن، والهوى، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ : أيُّ غرضٍ لكم، ﴿أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: منه وحده وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: في "حرمت عليكم الميتة" الآية (المائدة:٣)، ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (ما) موصولة والاستثناء من ضمير حرم، أو (ما) مصدرية في معنى المدة أي: الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: بتحليل الحرام وتحريم الحلال، ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾: بتشهيهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: غير متعلقين بدليل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ[2]﴾: المتجاوزين الحق إلى الباطل، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: معصية العلن والسر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ[3]﴾: يكسبون، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لـ"ما" أو للأكل، وعند بعض السلف إن ذبيحة تركت التسمية عليها عمدًا أو سهوًا حرام، والآية دليلهم وعند بعض التسمية مستحبة، وقالوا: الآية فيما ذبح لغير الله، وقيل: الواو في (وإنه لفسق) حالية، والفسق: ما أهل لغير الله بدليل قوله: "أو فسقا أهل لغير الله به" ، وقال بعض منهم المراد من الآية الميتة، وعند كثير من السلف: إن ترك التسمية نسيانًا لا يضر[4] أما عمدا، فالذبيحة حرام، ﴿وَإِنَّ

---

(١) فإنهم اعترضوا على الدين بأن ما قتله الإنسان والصقر والكلب يحكم بحله، وما قتله الله تعالى من الميتة من ذوات الأربع لا يحلله/١٢وجيز.

(٢) ولما عتب عليهم في التجاوز عما ذكر اسم الله عليه وهذا من أمور قد يظهر وقد لا يظهر عقبه بقوله: "وذروا ظاهر الإثم" الآية/١٢وجيز.

(٣) وكان من عادة المشركين في الزنا أنهم يدخلون بيتا مظلمًا مغلقين أبوابه، مستترين بمثل لحاف قائلين: لا يرانا رب السماء/١٢وجيز.

(٤) وهو المشهور عن مالك، وعليه أبو حنيفة، وأحمد وقيل: عليه الإجماع وعند بعض أن الرجوع هنا إلى الآية التي هي حرمت عليكم الميتة كما مر في قوله: "وقد فصل لكم ما

=

﴿الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يوسوسون، ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾: من الكفار، ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾: يقولون تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك، والصقر والكلب حلال، وما قتله الله حرام، وهو يؤيد التأويل بالميتة، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: في استحلال ما حرم، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: فإن اتباع غير الله في الدين إشراك وكفر.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ

= حرم عليكم" دال على أن الحرام ما أهل لغير الله لا ما لم يذكر فيه اسم الله وقوله: "أو فسقًا أهل لغير الله به" مشعر عليه/١٢وجيز.

رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾: بالكفر والجهل، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: بالعلم والإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يهتدي كيف يسلك(*) وكيف ينصرف والنور القرآن أو الإسلام، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾: صفته، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: بقى على الضلالة لا يفارقها مجال حال من المستكن في الظرف وحاصله أنه كمن إذا وصف يقال له "في الظلمات ليس بخارج"، فـ(في الظلمات ليس بخارج) خبر مثله على سبيل الحكاية، والجملة صلة من، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما زين للمؤمنين الإيمان، ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١]﴾ قيل: الآية نزلت في حمزة وأبي جهل، أو في عمر وأبي جهل، أو في عمار بن ياسر وأبي جهل، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أي: كما صيرنا فساق مكة أكابرها صيرنا مجرمي كل قرية رؤساءها، ومترفيها و(أكابر مجرميها) بالإضافة هي المفعول الأول والثاني (في كل قرية) أو (ليمكروا فيها) مفعولاه قيل: جاز أن يكون (أكابر) مضافًا إلى مجرميها مفعوله الأول، و(ليمكروا) مفعوله الثاني، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: بصد الناس عن الهدى، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: فإن وباله يحيط بهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: دالة على صدق محمد -عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ أي:

(*) في الأصل: يسالك، وما ذكرناه هو المناسب لاسيما أن العبارة في تفسير ابن كثير ١٧٣/٢: (أي يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف به ...).

(١) ولما مر أن لكل نبي عدوًّا وهم شياطين الإنس والجن وقد قر في الأذهان أن عدو عظيم القدر لا يكون إلا عظيمًا مثله ليحكي عنه مكره من فعله، وقوله وعلم أن هذا ليس خاصًّا بنبينا -صلى الله عليه وسلم، بل لكل نبي عدوًّا أراد أن يبين أن لكل قرية حال كحال قرية نبينا أم القرى، فقال (وكذلك جعلنا في كل قرية)/الآية١٢وجيز.

حتى تأتينا الملائكة بتصديقك كما يأتي إلى الرسل، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: استئناف يرد عليهم أنهم ليسوا بأهل الوحي والرسالة أي: أعلم بالمكان الذي فيه يضعها، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا[1] صَغَارٌ﴾: ذل وحقارة، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: يوم القيامة، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ[2]﴾: بسبب مكرهم، ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾: يوسع قلبه، ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾: للتوحيد وفي الحديث[3] تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآيات قالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: "نور يُقذف به في القلب" قالوا: هل لذلك من أمارة؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله"، ﴿وَمَن يُرِدْ﴾: الله، ﴿أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: فلا يبقى فيه منفذ للخير، ومكان حرج أي: ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾: أي: مثله في امتناع قبول الإيمان مثل صعود السماء، فإنه ممتنع غير مستطاع أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هربًا من الإيمان، وتباعدًا عنه، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما ضيق الله صدره، ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾: يسلط الشيطان أو العذاب، ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عليهم لعدم إيمانهم، ﴿وَهَذَا﴾: الذي أنت عليه يا محمد، ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾: الطريق الذي ارتضاه، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه حال، وعامله معنى الإشارة، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

---

(١) من الأكابر والأصاغر/١٢.

(٢) ولما ذكر أنه لا يصطفى إلا من يصلح للاصطفاء، ولا يطرد إلا من يليق بالطرد بين وعين حال المصطفى، والمطرود، فقال: "فمن يرد الله" الآية/١٢وجيز.

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢وجيز، وقد روى بطرق يقوي بعضها بعضا، والمتصل يقوي المرسل، فالمصير إلى هذا التفسير النبوي متعين/١٢فتح [أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (٨/٢٠) من حديث ابن مسعود -رضى الله عنه- والحديث ضعفه الشيخ الألبانى فى "الضعيفة" (ح٩٦٥) وقد أطال الكلام عليه فراجعه].

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: لهم فهم ووعي، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ﴾: الجنة؛ لأن فيه سلامة عن الآفات أو السلام من أسماء الله، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه أو يوم القيامة، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: ناصرهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[1]﴾: بسبب أعمالهم، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: اذكر يوم نحشر الثقلين قائلين: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ أي: الشياطين، ﴿قَدِ

---

(١) اعلم أنه تعالى لما بين عظيم نعمه في الصراط المستقيم وبين تعالى أنه معد مهيئ لمن يكون من المذكورين بين الفائدة الشريفة التي تحصل من التمسك بذلك الصراط المستقيم فقال: "لهم دار السلام عند ربهم"، وفي هذه الآية تشريفات النوع الأول. قوله: "لهم دار السلام"، وهذا يوجب الحصر فمعناه لهم دار السلام لا لغيرهم. النوع الثاني قوله: "عند ربهم" يشعر بأن ذلك الأمر المدخر موصوف بالقرب من الله تعالى. النوع الثالث: من التشريفات المذكورة في هذه الآية قوله: "وهو وليهم" والولي معناه القريب فقوله: "عند ربهم" يدل على قربهم من الله، وقوله (وهو وليهم) يدل على قرب الله منهم، ولا نرى في العقل درجة للعبد أعلى من هذه الدرجة، وأيضًا فقوله: "وهو وليهم" يفيد الحصر" أي: لا ولي لهم إلا هو، وكيف وهذا التشريف إنما حصل على التوحيد المذكور في قوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا" فهؤلاء الأقوام قد عرفوا من هذه الآية أن المقدر والمدبر ليس إلا هو وأن المسعد والمشقى ليس إلا هو وأنه لا مبدئ الكائنات والممكنات إلا هو فلما عرفوا هذا انقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم إلا إليه، وما كان توكلهم إلا عليه، وما كان أنسهم إلا به وما كان خضوعهم إلا له، فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال تعالى: "وهو وليهم" وهذا إخبار بأنه تعالى متكفل بجميع مصالحهم في الدين، والدنيا ويدخل فيها الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة وإيصال الخيرات، ودفع الآفات والبليات، ثم قال: "بما كانوا يعملون" وإنما ذكر ذلك لئلا ينقطع المرء من العمل فإن العمل لابد منه/١٢ مفاتيح الغيب المشهور بالكبير للإمام الرازي.

اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ أي: من إغوائهم[1] أي: أضللتم كثيرًا، **﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾**: محبوهم ومطيعوهم، **﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾**: مجيبين لله عن ذلك، **﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾**: بعضهم مطاع وبعضهم مطيع، أو كان في الجاهلية إذا نزلوا مفازة قالوا: أعوذ بكبير هذا الوادي، فيفتخر كبير الجن بتعوذ الإنس بهم، ويقولون: نحن سيد الإنس والجن، وهذا هو الاستمتاع، **﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾** أي: القيامة والبعث، وهذا اعتراف بطاعة الشيطان وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم، **﴿قَالَ﴾**: الله، **﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾**: مترلكم، **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾**، حال، والعامل معنى الإضافة، **﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** أي: هم مخلدون[2] جميع الأوقات إلا مدة حياتهم في الدنيا والبرزخ أو المراد الانتقال من النار إلى أنواع أُخر من العذاب كالزمهرير، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه[3] لا يترلهم جنة ولا نارًا، **﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾**: في أفعاله، **﴿عَلِيمٌ﴾**: بأعمال خلقه.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، **﴿نُوَلِّي[4] بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**: نسلط بعضهم على بعض، كما ورد

---

(١) ففيه حذف مضاف كذا قدره ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن/١٢منه.

(٢) قال ابن عباس، ونعم ما قال: الله أعلم بثنياه وكذا قال قتادة وغيره اعترفوا بالعجز عن الفهم والتعيين وأحالوا العلم إلى الله في الاستثناء وعندي أن القول ما قالت حذام/١٢وجيز.

(٣) وعلى هذا النقل يكون ما بمعنى من/١٢منه.

(٤) أي: نسلط بعضهم على بعض جزاء على ظلمهم، ولهذا دلت الآية على أن الرعية إذا كانت ظالمة فالله يسلط عليهم ظالمًا مثلهم/١٢وجيز.

"من أعان ظالمًا سلطه الله عليه(*)" أو نتبع بعضهم بعضًا في النار أو نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم أو نجعل الكافر ولي الكافر أينما كان.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي
وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن
رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا
رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ
وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ
١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ
نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ
فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا
يَحۡكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ
أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ
فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ

(*) ذكره العجلوني في "كشف الخفاء" (٢٣٨٠) وقال في "المقاصد": رواه ابن عساكر في "تاريخه" عن ابن مسعود رفعه، وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع.

إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٌ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ
عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ
هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةً فَهُمۡ
فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ
قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ
ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ ﴾

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ[1] مِّنكُمْ﴾ هو الله سبحانه يقرع الكافرين يوم القيامة بهذا السؤال وهو استفهام تقرير، والأصح بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم قالوا نظيره "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"[الرحمن:٢٢] وهما لا يخرجان من العذب كما سنذكر إن شاء الله تعالى، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يوم القيامة، ﴿قَالُوا﴾: جوابا، ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾: أنهم قد بلغوا ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فأعرضوا عن رسلنا و لم يرفعوا إليهم رأسا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾: يوم القيامة، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: في الدنيا، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: إرسال الرسل، ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ خبر ذلك، وأن إما مصدرية أو مخففة، واللام محذوف أي: لأن، أو تقديره الأمر ذلك لأن لم يكن إلخ، ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ[2]﴾: أي: لانتفاء كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلمهم وأهلها غافلون

---

(١) قيل لرسل الإنس رسل إلى الجن منهم لإنذارهم فهو المراد/١٢وجيز.

(٢) وحاصله أنه لا يهلكهم بدون التنبيه فإنه ظلم، والله تعالى ليس بظلام للعبيد، وليس في هذا اعتزال، فإن الظلم لغة واصطلاحًا: وضع الشيء في غير موضعه/١٢.

لم ينبهوا برسول كما قال تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"[الإسراء:١٥] أو (بظلم) حال من (ربك)، وحاصله أنه لا يهلكهم دون التنبيه بالرسل والآيات فإنه ظلم والله غير ظلام للعبيد، ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من المكلفين، ﴿دَرَجَاتٌ﴾: مراتب، ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾: من أعمالهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: فيخفى عليه خافية، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾: عن خلقه من جميع الجهات، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾: بهم فلا يعجل بالعقوبة، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: إذا عصيتم، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾: قومًا آخرين يعملون بطاعته، ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي: هو قادر على ذلك كما أذهب القرن الأول وأتى بالذي بعده، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾: من أمر المعاد، ﴿لَآتٍ﴾: كائن البتة، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الله في قدرته، ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى[1] مَكَانَتِكُمْ﴾: على تمكنكم من أمركم أو على جهتكم، وحالكم التي أنتم عليها، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على ما أنا عليه أي: اثبتوا على الكفر فإني ثابت على الإسلام، وهو أمر تهديد شديد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: سوف تعلمون أينا له العاقبة المحمودة، والجنة أو المراد من عاقبة الدار أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، و(من) استفهامية مبتدأ خبره تكون، وفعل العلم علق عنها أو موصولة فهو مفعول (تعلمون) على أنه متعد إلى مفعول واحد بمعنى يعرفون، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ[2]﴾: لا يسعد من كفر، ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: مشركو العرب، ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق، ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ

(١) مصدر مكن فالميم أصلية أو من الكون يعني على تمكنكم من الأمر/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر للمشركين عبادة الأصنام أثبت لهم نوعًا آخر من جهالاتهم ما دل على قلة عقلهم مما يتعجب منه من له أدنى تدبر فقال: "وجعلوا" إلخ/١٢وجيز.

﴿يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾[1]: كانوا يجعلون من أموالهم نصيبًا لله ومصرفه الضيفان، ونصيبًا لآلهتهم ومصرفه خدم أصنامهم فإن سقط شيء من الثمر مثلا من نصيب الوثن فيما سمى للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوا لله، وإن سقط شيء من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به، وقالوا: الله غني، وهذا معنى قوله: "فما كان لشركائهم" الآية، وفي قوله: "مما ذرأ" إشارة إلى جهلهم بأنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادًا، ثم جعلوا له النصيب الأوفر، وقوله: "بزعمهم" إشارة إلى أن هذا مخترعهم ليس من أمر الله، ولا يصل إليه، **﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**[2]: حكمهم هذا، **﴿وَكَذَلِكَ﴾**: مثل هذا الفعل القبيح، **﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾**، فإن الشياطين وهم

---

(١) ونظير هذا في زماننا جعل كثير من عابدي القبور قسطا من أموالهم نذرًا للموتى ويحتاطون فيه مالا يحتاطون في حق الله تعالى ويهتمون فيه ما لا يهتمون في قسط الله المفروض كما يجعلون شيئًا من الزرع، ويعينونه بأسمائهم بأن هذا نذر فلان وقسطه، ويقلدون بعض أنعامهم، ويشتهرونه بأسمائهم، ويصرفون على سدنة قبورهم ومجاوريهم وينحرونها على قبورهم فهذا بعينه الذي كان يفعله المشركون الذين حكى الله تعالى عنهم "وجعلوا لله مما ذرأ" الآية "ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون" (النحل:٥٦)، فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين، حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقدوه إلا في الله تعالى هكذا قال السيد الأمير اليماني صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام في كتابه "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"/١٢.

(٢) والمقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسدة أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب وأن يصير ذلك سببًا لتحقيرهم في أعين العقلاء وألاّ يلتفت إلى كلامهم أحد البتة/١٢ كبير.

آلهتهم أمروهم وزينوا لهم وأد أولادهم،ومن قرأ زين بالمجهول ورفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتل إليها، والفصل بينهما يدل على أن هذا الفصل جائز فصيح، والمطعون من طعن فيه، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: ليدخلوا الشك في دينهم، فكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشيطان، وقيل: دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المشركون ما زين لهم، أو الشركاء التزيين، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: ما يختلقون من الكذب على الله، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾: إشارة إلى ما جعل للآلهة، ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ[1]﴾: حرام، ﴿لا يَطْعَمُهَا إلا مَن نَّشَاءُ﴾: من رجال خدم الأوثان، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: لا حرمة من الله، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة والبحيرة والحام، ﴿وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، أو لا يحجون على ظهورها، والمعنى أنهم قسموا أنعامهم، فقالوا: هذه حجر، وهذه محرمة الظهور، وهذه لا يذكر عليها اسم الله ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾، نصبه على أن قالوا بمعنى افتروا أو حال أي: مفترين أو مفعول له، ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: بسبب افترائهم، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ﴾ أي: أجنة البحائر والسوائب، ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾: نسائنا خاصة للذكور دون الإناث إن ولد حيًّا، ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ﴾: الذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، وتأنيث خالصة، وتذكير محرم لمعنى ما فإنه الأجنة ولفظه أو التاء للمبالغة، ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصْفَهُمْ﴾ أي: جزاء وصفهم الكذب على الله قيل: تقديره على وصفهم، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال خلقه، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ﴾:

---

(١) الحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح أو الطحن/١٢منه. يستوى فيه الواحد والكثير/١٢وجيز.

بناتهم[1] بالوأد، ﴿سَفَهًا﴾: للسفه أو سفهاء، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: من البحائر ونحوها، ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: يحتمل المصدر، والحال والمفعول له، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

﴿وَهُوَ[2] الَّذِي أَنْشَأَ﴾: أبدع، ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين من الكروم، ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾:

---

(١) بالوأد فإنهم قالوا: البنات تأكل رزقنا، ولا تنفعنا فإثبات الخسران لهم في غاية الحسن، فإنه ضد ما قصدوه/١٢.

(٢) ولما أخبر عنهم أنهم حرموا من حرثهم وأنعامهم أخذ يمتن عليهم بهذين أي: الثمار والأنعام ويعيرهم بفعلهم، ويبين لهم طريق التصرف، فقال: "وهو الذي أنشأ جنات معروشات" الآية/١٢وجيز.

مرفوعات على ما يحملها، ﴿وغير معروشات[1]﴾ قيل: الأول ما غرسه الناس، والثاني ما نبت في البراري، ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله﴾ أي: أكل كل واحد منهما يعني ثمره في الكيفية، والهيئة و(مختلفا) حال مقدرة، لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، ﴿والزيتون والرمان متشابها﴾: في المنظر، ﴿وغير متشابه﴾: في الطعم قيل: بعض أفرادهما يتشابه في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها، ﴿كلوا من ثمره﴾: ثمر كل واحد، ﴿إذا أثمر﴾: وإن لم ينضج، ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾: هذا شيء كان واجبا قبل وجوب[2] الزكاة، وعن بعض السلف أنه[3] الزكاة قيل فيه دليل على رخصة الأكل قبل أداء الزكاة، ﴿ولا تسرفوا﴾: في التصدق أو في الأكل والتصدق أو في البخل فلا تعطوا حق الله، ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾: لا يرتضي فعلهم، ﴿ومن الأنعام﴾ عطف على جنات أي: أنشأ من الأنعام، ﴿حمولة﴾: ما يحمل الأثقال، ﴿وفرشا﴾: ما يفرش المنسوج من شعره أو الصغار منها ولدنوها من الأرض كأنها فرش أو ما يفرش للذبح، ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾: من الثمار، والزروع، والأنعام، ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾: طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون افتراء على الله، ﴿إنه لكم عدو مبين﴾: ظاهر العداوة، ﴿ثمانية أزواج﴾: بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا أو الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه، ﴿من الضأن﴾: زوجين، ﴿اثنين﴾: الكبش والنعجة، وهو بدل من ثمانية إن جوزنا البدل من البدل، وإلا فمن

---

(١) فيه أن العنب هو رأس الفواكه من شجرة البساتين/١٢وجيز.

(٢) من قال: إن الآية مكية لابد له أن يقول إن الواجب غير الزكاة، ومن قال: إن الآية مدنية، فعنده الواجب الزكاة فإنها فرضت في المدينة/١٢منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر القرآن ما عليه مالك: إن في كل حب وثمرة زكاة واشترط أن يكون خمس أوسق، وفيه رخصة الأكل قبل أداء الزكاة والحصاد/١٢وجيز.

الضأن بدل من الأنعام واثنين من حمولة وفرشا، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: التيس،والعـتر، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿آلذَّكَرَيْنِ[1]﴾: من الضأن والمعز، ﴿حَـرَّمَ﴾: الله عليكـم أيهـا المشركون، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾: منهما، ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ[2]﴾ أو مـا حملت إناث الجنسين ذكرا كان أو أنثى كما قالوا "ما في بطون هذه الأنعام خالصـة" الآية (الأنعام:١٣٩)، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾: دليل على حرمته، ﴿إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ﴾: في دعوى التحريم، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْـأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ بل أكنتـم حـاضرين: ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾: حين وصاكم بتحريم بعض وتحليله وهذا من بـاب التـهكم، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: متلبسـا بغـير دليل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وأول من دخل في هذه الآية عمرو بـن لحي فإنه أول من غير دين إسماعيل.

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا

---

(١) المعنى إنكار أن الله حرم من الأجناس الأربعة ذكرًا أو أنثى أو ما يحمل إناثها ردًّا عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف كانت تارة زاعمـين أن الله حرمها/١٢منه.

(٢) والمقصود إنكار الفعل لكنها ورد في صورة إنكار المفعول ليطابق ما ادعوا من التفصيـل والترديد، فيكون إنكار الفعل بطريق برهاني؛ لأن الفعل لابد له من متعلق فإذا انتفـى جميع متعلقاته على التفصيل لزم انتفاء الفعل/١٢منه.

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ
عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا
وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ
ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا
تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ ﴾

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: طعامًا، **﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهُ﴾**: يعني أن التحليل والتحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى، ولا يعلم بالوحي أن شيئًا من الطعام حرام في وقت، **﴿إِلاَّ﴾**: في وقت، **﴿أَنْ يَّكُونَ﴾**: الطعام، **﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا[1]﴾**: مصبوبًا سائلا لا كالكبد والطحال، ومن قرأ برفع ميتة فعنده كان تامة

---

(١) وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فإن ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال، فإنهما حلال؛ لأنهما دمان جامدان وقد ورد الحديث بإباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل قال عمران بن جدير: سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيه حمرة الدم، فقال: لا بأس بذلك إنما نهي عن الدم المسفوح، وقال إبراهيم النخعي: لا بأس بالدم في عرق أو مخ إلا المسفوح، وقال عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود، هذا ما في كتاب التأويل المعروف بالخازن وكذا في المعالم/١٢.

و(دمًا) عطف على أن يكون أي: إلا وجود ميتة، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ﴾: لحمه أو الخنزير، ﴿رِجْسٌ﴾: حرام، ﴿أَوْ فِسْقًا[1]﴾ عطف على لحم خنزير ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ صفة له موضحة، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: إلى كل شيء من ذلك، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: قدر الضرورة وقد مر معناهما في البقرة، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[2]﴾: لا يؤاخذه، والآية دالة على أن ما أوحي في حرمته إلى تلك الغاية هو ذلك، وهذا لا ينافي التحريم في أشياء أخر بعد هذا، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ

---

(١) سمي فسقًا لتوغله في باب الفسق كما يقال: فلان كرم وجود إذا كان كاملا فيهما فإن أجل العبادات المالية إراقة الدم تقربًا إلى الله، قد جمع الله بينها وبين الصلاة في قوله: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين" (الأنعام:١٦٢)، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه وفي قوله: "فصل لربك وانحر" (الكوثر:٢)، فكما أن الصلاة أعظم العبادات البدنية وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية كذلك النحر من أجل العبادات المالية وما يجتمع له في نحره من إيثار لله وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده ثلاثا وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها وفي قوله تعالى: "فصل لربك وانحر" لطيفة دالة على أن ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده، وتنحر له وفي إن شانئك هو الأبتر، تعريض بحال الأبتر الشانئ الذي صلاته ونسكه لغير الله كما في الحديث "ملعون من ذبح لغير الله" هذا ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره لسورة الكوثر وقد مر هذا البحث في البقرة، والمائدة فتذكر/١٢.

(٢) ولما ذكر أن التحريم ليس إلا من الله تعالى، وبين خطأ قريش كأن قائلا قال: أليس تحريم بعض الأشياء من قبل إسرائيل كما قالت اليهود كذبهم الله تعالى فقال: "وعلى الذين هادوا حرمنا" الآية/١٢وجيز.

﴿ذِي ظُفُرٍ﴾ أي: حرمنا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط، أو كل ذي حافر، وقيل: كل ذي مخلب من الطير، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ أي: حرمنا جميع شحومهما، ﴿إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: ما علق بالظهر من الشحوم ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: ما اشتمل على الأمعاء، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال و أو هاهنا كأو في قولهم جالس[1] الحسن أو ابن سيرين، وما بقى على الحرمة الثروب[2] وشحوم الكلى، ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم والتضييق، ﴿جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم ومخالفتهم أوامرنا، ﴿وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فيما أخبرنا من تحريمنا ذلك عليهم كما زعموا أن إسرائيل حرمه، ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه إذا نزل، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: فلا تغتروا[3] بالإمهال.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ[4] أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: خلاف ذلك، ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾: فإن ما لم يشأ لم يكن، وما شاء فهو مرضي مأمور به فأرادوا بذلك أن ما هم عليه مرضى عند الله مأمور به، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بهذه الشبهة الداحضة كذب الأمم السالفة أنبياءهم، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: فعلموا

---

(١) فإنه للإباحة، وهو أبلغ من الواو فإنه يدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل من الثلاثة مستقل بحكم الحلية/١٢وجيز.

(٢) الثروب جمع الثرب ومعناه الشحم الرقيق الذي على الكرش والأمعاء/١٢.

(٣) فبيت الظالم خراب، ولو بعد حين، والقوم المجرمون عام ومنهم المكذب/١٢وجيز.

(٤) ولما بطل احتجاج المشركين في تحريم ما زعموا حرمته وثبت الرد عليهم عدلوا إلى أمر حق مغالطة، وإلحاد أو علم الله تعالى ذلك قبل وقوعه فأخبر به وردهم وقال: "سيقول الذين" الآية/١٢.

أهم على دين مبغوض غير مرضي أراد الله لهم خزيهم وسوء شكيمتهم[1]، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: يدل على رضى الله عنكم فيما أنتم عليه، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: تظهروه لنا، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾: في ذلك لا العلم، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ[2]﴾: تكذبون على الله فإنه منع الشرك، وغضب على المشركين مع أنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء لا يزاحمه أحد تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التي بلغت غاية المتانة وهي الكتاب والرسول والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لكن شاء هداية قوم، وضلال آخرين، والمعنى وإذ قد ظهر ألاَّ حجة لكم فلله الحجة لكن لا يهدي الله الكل إليها لعدم مشيئته، وله في ذلك حكم، ومصالح لا يهتدي إليها إلا من هداه الله، ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾: أحضروهم، اسم فعل متعد ويكون لازمًا، ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: وهم قدوتهم ليلزمهم الحجة، ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾: عنادًا، ﴿فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: لا تصدقهم فيه وبين فسادهم، ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: لا تتبعهم فإنهم يكذبون بآياتنا، ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: كعبدة الأوثان، ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلا سبحانه!

---

(١) والشكيمة الأنفة، ومن اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان أنفا أبيا، في مَثَل: ذو شكيمة لا ينقاد/١٢صراح.

(٢) فالحاصل أنهم اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور المرضي والمشيئة كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقية الإشراك، وينادي على ذلك قوله: "كذلك كذب" فإنه لو كان المراد أن ذلك بمشيئة الله تعالى لقال: "كذلك كذب" بالتخفيف لا بالتشديد، وهذه الآية عند من له أذن واعية تصيح على المعتزلة بالويل والثبور لكن في آذانهم وقر، ومن لم يهده الله فلا هادي له/١٢وجيز.

﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ
ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا
بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا
نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ
أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا
فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) ﴾

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: أقرأ، **﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾**: حقا لا ظنًا ولاتخرصًا متعلق بـ(حرم) أو (اتل)، **﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ﴾**: (أن) مفسرة يعني أي: لاتشركوا، ولا للنهي، **﴿شَيْئًا﴾**، مصدر أو مفعول به، **﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** أي: أحسنوا بهم، وضع أحسنوا موضع ألا تسيئوا للدلالة على أن عدم الإساءة في شأنهما غير كاف، **﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾**: من أجل فقر، **﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾**، بدل من الفواحش أي: العلانية والسر فإن المشركين لا يستقبحون الزنا سرًا، **﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾**: بجهة من الجهات، **﴿إِلا بِالْحَقِّ﴾**: القود، والارتداد والرجم، **﴿ذَلِكُمْ﴾** إشارة إلى المذكور، **﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾**: بحفظه، **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**: عنه أمره ونهيه أو ترشدون، **﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** أي: إلا بطريقة هي أحسن الطرق كحفظه

وتثميره، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: حتى يصير بالغًا فادفعوا إليه جمع شده[1]، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل أي: لا تبخسوهما، ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾: إلا ما يسعها ولا تعجز عنه فإن أخطأ بعد بذل جهده فلا حرج، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَاعْدِلُوا﴾: في القول لا تجوروا فيه، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول له أو عليه، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: من قرابتكم، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: وبوصيته أوفوا فاعملوا بكتابه لا تنكثوه، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[2]﴾: تتعظون به، ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ إشارة إلى ما في الآيتين، وقيل إلى ما في السورة، ﴿صِرَاطِي﴾: ديني، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: عطف على لا تشركوا "وأن هذا صراطي"إلخ علة الاتباع أي: لأن (هذا) إلخ، والجمع بين حرفي العطف الواو والفاء عند تقديم المعمول فصلا بينهما شائع، وربك فكبر، وقيل عطف على لعلكم تذكرون أي وصاكم به لأن هذا ديني المستقيم، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ الباء للتعدية، ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: الذي هو اتباع الحق، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[3]﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى

---

(١) وقيل جمع لا واحد له من لفظه، وقيل مفرد لا جمع له/١٢وجيز.

(٢) لما كانت الخمسة المذكورة أولا من الأمور الظاهرة ختمت بقوله: "لعلكم تعقلون" وهذه الأربعة خفية لابد فيها من الاجتهاد والذكر المكرر ختمت بقوله: "لعلكم تذكرون"/١٢وجيز.

(٣) أخرج أحمد وابن حميد وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود قال: خط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما" ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: "وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية، وقال ابن مسعود: من سره أن ينظر إلى =

﴿الْكِتَابَ﴾، عطف على ذلكم وصاكم وثم[1] للتراخي للإخبار، ﴿تَمَامًا﴾: كاملا جامعًا لما يحتاج إليه، ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي: جزاء على إحسانه في الطاعة وتبليغ الرسالة أو تمامًا بمعنى كرامة، ونعمة أي: حال كون الكتاب نعمة على من أحسن القيام به أي: على المحسنين أو معنى تمامًا زيادة أي: حال كون الكتاب زيادة على ما أحسنه من العلم أي: على علمه، ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بيانا مفصلا، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه عطف على تماما، فهو حال، وقيل نصبهما بالعلية أو بالمصدر، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾: بني إسرائيل، ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لكي يؤمنوا بالبعث.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟
إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم
بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ
﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ
رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن
قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

= الصحيفة التي عليها خاتم محمد -صلى الله عليه وسلم- فليقرأ هؤلاء الآيات. أخرجه الترمذي وحسنه/١٢فتح.

(١) لأن الإيتاء قبله بدهر طويل كأنه قال هذه وصية قديمة بلسان الأنبياء جددناها/١٢ وجيز.

كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾

﴿**وَهَذَا**﴾ أي: القرآن، ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ**﴾: كثير النفع، ﴿**فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا**﴾: مخالفته، ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: بواسطة العمل به، ﴿**أَن تَقُولُوا**﴾ : علة لأنزلناه أي: كراهة أن تقولوا، ﴿**إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ**[١]﴾: اليهود، والنصارى، ﴿**مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا**﴾ أي: وإنه كنا، ﴿**عَنْ دِرَاسَتِهِمْ**﴾: قراءتهم ﴿**لَغَافِلِينَ**﴾: ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا، ﴿**أَوْ تَقُولُوا**﴾، عطف على ما تقولوا، ﴿**لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ**[٢] **مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ أي: إن صدقتم[٣] فيما

---

(١) وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأهما اللذان اشتهرا من بين الكتب السماوية بالاشتمال على أحكام، وفيه دليل على أن المجوس ليسوا بأهل الكتاب إذ لو كانوا منهم لكانوا ثلاث طوائف قاله ابن الكمال/١٢فتح.

(٢) فهذا كتابكم بلسانكم/١٢وجيز.

(٣) دلت الفاء الفصيحة على حذف الشرط نحو "فقد جئنا خراسانا"/١٢منه.

قلتم فقد جاءتكم حجة واضحة فيها بيان الحلال والحرام، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: لمن عمل به، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بعد ما تمكن من معرفته، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض أو صد الناس عنها، ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بسبب إعراضهم أو صدهم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أهل مكة أي: ما ينتظرون، ﴿إِلا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، وهم إن كانوا غير منتظرين لذلك لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ(١) رَبُّكَ﴾: المراد يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من

---

(١) وزاد المصنف في الوجيز لفصل القضاء بين خلقه وإتيانه تعالى نؤمن به ولا نعرف كيفه انتهى.

أقول كيف لا يؤمن بإتيانه ومجيئه تعالى يوم القيامة، وقد جاء في القرآن في عدة مواضع "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام" (البقرة:٢٠٩)، "وجاء ربك والملك صفا صفا" (الفجر:٢٢)، "إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك" (النحل:٣٣)، وأي أمر أصرح منه في القرآن، وروى الطبري في تفسيره على ما نقله عنه الخازن بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيه محفوفا" وذلك قوله: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر" (البقرة:٢١٠)، قال عكرمة: والملائكة حوله انتهى، فهذا من صفات الله تعالى يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت وإن لم نعرف كيفيتها، وعدم علمنا بكيفيتها بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته فلا نكذب بما علمناه لعدم علمنا بما لم نعلمه وهذا هو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة وأنشد بعضهم في المعنى:

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته	ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها	وأخبارها للظاهر المتقارب
ونركب للتسليم سفنا فإنها	لتسليم دين المرء خير المراكب

المغرب، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: التي تضطرهم إلى الإيمان، ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة نفسا، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: عطف على آمنت أي: لا ينفع الكافر إيمانه في ذلك الحيز ولا الفاسق الذي ما كسب خيرًا في إيمانه توبته، فحاصله أنه من باب اللف التقديري أي: لا ينفع نفسًا إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه أي: لا ينفعهم تلهفهم على ترك الإيمان بالكتاب، ولا على ترك العمل[1] بما فيه، ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾: إتيان أحد هذه الثلاث، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: له، وعيد شديد ﴿إِنَّ[2] الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: اليهود والنصارى أخذوا بعض ما أمروا وتركوا بعضه، أو أهل الشبهات والبدع من هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقًا بعضهم يكفر بعضًا، وقد ورد "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة"، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: لست من عقابهم في شيء، ومن قال: إنه نهى عن التعرض لهم، فعنده الآية منسوخة وإذا كان المراد هذه الأمة فيحتمل أن يكون معناه أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ[3]﴾: بالعقاب، ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشر

---

(١) وعلى ما قررنا لا يتم استدلال المعتزلة بالآية على أن مجرد الإيمان بدون أن يكون فيه كسب خير ليس بنافع، ويوافق على ما قلنا الآيات والأحاديث الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع ويورث النجاة من النار، ولو بعد حين ويلائم مقصود الآية/حيث وردت تحسراً لمن أخلف ما وعد من الرسوخ في الهداية عند إنزال الكتب حيث كذبوا به وصدفوا عنه/١٢منه.

(٢) ولما ذكر أن الإيمان يوم ظهور بعض آيات القيامة من غير سبق الإيمان عليه غير نافع توجه القلب إلى أن إيمان أهل الكتاب الذي كانوا عليه هل هو نافع، فقال: "إن الذين فرقوا" إلخ/١٢وجيز.

(٣) ظاهر هذا الكلام مشعر بأنهم من أهل الضلال، وعاقبتهم العقاب بالعدل لا بالظلم/١٢وجيز.

حسنات أمثالها فضلا من الله، وهذا أقل ما وعد لا ينقص منه، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا﴾ أي: إلا جزاء مثلها لا يضاعف، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ[1]﴾: بنقص الثواب، وزيادة العقاب، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي﴾: بالوحي[2]، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ أعني دينًا أو بدل من محل (صراط) إذ معناه وهداني صراطًا: ﴿قِيَمًا﴾، مصدر بمعنى القيام أي: قائمًا ثابتًا لا زوال له كرجل عدل، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، عطف بيان لدينا لما في الإضافة من زيادة التوضيح، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن غير الصواب حال عن إبراهيم فإنه بمنزلة الحال من المضاف الذي هو معمول الفعل، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما يقول المشركون، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾: الذبح[3] في الحج والعمرة وقيل: عبادة كلها، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: حياتي وموتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ملك له، وهو خالقه فأنا خالص في العبادة لا أشرك أو ما أنا عليه في حياتي ومماتي من الإيمان والطاعة خالص له، ﴿لا شَرِيكَ[4] لَهُ وَبِذَلِكَ﴾: القول والطريق، ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ غير الله حال من ربًّا والهمزة للإنكار، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، حال في موقع العلة،

---

(١) أمره بالمبالغة في إعلان دينه ونبذ ما سواه/١٢.

(٢) لما بين أمر الفرق، وفصل حالهم وأظهر مآلهم ذكر فذلكة السورة ناظرا إلى ما مر من قوله: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه" فقال: "قل إنني هداني ربي" إلخ/١٢.

(٣) قال المصنف في الوجيز: ولا بأس إن قصدت العموم فإن ذبح قريش كانت باسم أصنامهم قال الله تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر:٢)/١٢وجيز. وفي التفسير الكبير وأما قوله: "ونسكي" فقيل: المراد بالنسك الذبيحة بعينها يقول "من فعل كذا فعليه نسك أي دم يهريقه" وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: "فصل لربك وانحر"/١٢.

(٤) واحدٌ أحد فرد ليس لشيء قابلية شركه/١٢وجيز.

﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾، فإثم الجاني عليه لا على غيره، ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم نفس أخرى، وهذا جواب عن دعائهم لـــــه إلى عبادة آلهتهم قائلين: "اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم" (العنكبوت:١٢)، ﴿ثُمَّ إِلَـــى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فتعلموا[1] أننـــا على الحق أو أنتم، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ﴾ : يا أمة محمد، ﴿خَلائِـــفَ الأَرْضِ[2]﴾: خلفاء الأمم السالفة، وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة، لأنه يخلفـــه في الأرض، وقيل: يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيـــها فالخطـــاب عـــام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: بالغنى والرزق منصوب على التمييز أو بـــدل من بعضكم أو بترع الخافض أي: بدرجات، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختـــبركم، ﴿فِـــي مَـــا آتَاكُمْ﴾: يمتحن الغني في غناه، ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صـــبره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: بمن عصاه، وخالف رسله وكل ما هو آت قريب، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن والاه واتبع رسله.

والحمد لله حق حمده..

---

(١) فتعلموا المحق من المبطل ختم السورة بهذه الآية الآتية الدالة على أن هذه الأمة ختم الأمم ختامه مسك لا تقوم القيامة إلا عليهم، ولا نبي بعده ففيها منة وبشارة وإشارة إلى قرب القيامة، ووقت الجزاء، والعلم بالمحق والمبطل فقال: "وهو الذي"/١٢وجيز.

(٢) فإن نبيهم خاتم الأنبياء كأمته خلفت سائر الأمم ولا يجيء بعدها أمة تخلفها/١٢وجيز.

سورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات

من قوله "فاسألهم" إلى قوله "وإذ نتقنا" وقيل إلى قوله "وأعرض عن الجاهلين" وآياتها مائتان وست.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ
وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن
دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا
بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝١٠ ﴾

﴿المص كِتَابٌ[1]﴾ أي: هو كتاب أو خبر المص إن كان اسم سورة **﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾** صفته، **﴿فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾** أي: شك[1] ونهيه عنه للمبالغة،

(١) قال ابن عباس: معناه أنا الله أفضل وعنه أنه قسم أقسم الله به وهي اسم من أسماء الله، وقيل غير ذلك ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في شيء من ذلك والحق ما قدمناه في سورة البقرة والله أعلم بمراده وهو سره في كتابه العزيز/١٢فتح.

أو نهي لأمته أو ضيق قلب من تبليغه مخافة التكذيب[2] ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ متعلق بأنزل أو بلا يكن فإنه إذا لم يكن ذا حرج كان أجسر على الإنذار ﴿وَذِكْرَى﴾ موعظة، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقديره: لتنذر به الكافرين ولتذكر ذكرى للمؤمنين أو عطف على محل تنذر، أو عطف على كتاب ﴿اتَّبِعُوا[3] مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ اتبعوا أوامر الله ونواهيه، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ﴾: من دون ربكم[4]، ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من الجن والإنس فيضلوكم ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون اتعاظًا قليلاً وما مزيدة لتأكيد القلة ﴿وَكَم[5] مِّن قَرْيَةٍ﴾ كثيرًا منها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالعذاب لمخالفة الرسل، أي: أردنا إهلاك أهلها ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ بايتين ليلا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ عطف على بياتًا فإنه حال من القيلولة، أي: الضحى وكلا الوقتين وقت غفلة واستراحة فالعذاب فيهما أفظع ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ دعاؤهم وقولهم ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: أقروا بحقية العذاب تحسرًا ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ عن إجابتهم الرسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن إبلاغ[6] الرسالة وعما أجيبوا به

---

(١) قال مجاهد وقتادة الحرج: الشك/١٢فتح.

(٢) لأن انتفاء الشك في كونه من عند الله يقويه على الإنذار ويشجعه لأن المتيقن يقدم على بصيرة ويباشر بقوة نفس وصاحب اليقين جسور متوكل على ربه/١٢فتح.

(٣) لما أمره بالإنذار والتذكير أمر أمته بالاتباع/١٢وجيز.

(٤) أي: من دون كتاب الله وسنة رسوله أولياء تقلدونهم في دينكم كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحلونه لهم ويحرمونه عليهم/١٢فتح.

(٥) ثم بين أن هذه عادة قديمة أنتم أخذتموها وراثة فانظروا عاقبتهما واتركوا متابعتها وكم من قرية/١٢وجيز.

(٦) ولا يعارض هذا قول الله سبحانه "ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون"(القصص:٧٨) لما قدمناه غير مرة أن في الآخرة مواطن ففي موطن يسألون وفي موطن لا يسألون وهكذا

=

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرسل والأمم يخبر عباده بما عملوا من جليل وقليل ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بجملته ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ[(١)]﴾ عنهم فيخفى علينا ﴿وَالْوَزْنُ﴾ أي: للأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم السؤال ﴿الْحَقُّ[(٢)]﴾ العدل ووزن الأعمال بتقليبها أجساما أو بوزن

= سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت تارة ونفى أخرى بنفسه أنه إلى يوم القيامة فإنه محمول على تعدد المواقف مع طول ذلك اليوم طولا عظيمًا/١٢فتح.

(١) ولما قال: "فلنقصن عليهم بعلم" وهو مؤذن بجزاء الأعمال السيئة بمثلها وزاد في الحسنة تسعة أمثالها للفضل يخطر في الخواطر كيف يعلم المثلية والزيادة فقال: "والوزن"/١٢ وجيز.

(٢) يومئذ الحق مذهب الجمهور أن في القيامة ميزانًا له كفتان ولسان ومثل ذلك ليس بثابت بالنص ولا بالسنة والثقل والخفة من صفات الأجسام فقالوا الموزون الصحف أو بتقليب الأعمال أجساما والكلام الحق أن الموازين يختلف كميزان الشعر وميزان العرض والطول وكيفية ميزان الأعمال علمها عند الله تعالى لا نعلم إلا بعد الرؤية/١٢وجيز. بلفظه. قال القشيري: وقد أحسن الزجاج فيما قال ولا يحمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصًا انتهى. والحق أن وزن الصحائف وزن حقيقي، وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فلم يأتوا في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية وليس في ذلك حجة لأحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل، وقال كُلٌّ ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه هو ومن هو تابع له فتناقض عقولهم على =

صحيفة الأعمال أو صاحب الأعمال، قيل: تارة توزن الأعمال وتارة صحيفتها وتارة صاحبها جمعًا بين الأحاديث، ويومئذ خبر الوزن والحق صفته. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع موزون أي: أعماله مطلقًا أو ميزان وجمعه على الثاني باعتبار كثرة الموزون. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون الناجون.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتضييع الفطرة السليمة. ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ[1]﴾ فينكروها. ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتمليك والتصرف والقدرة. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ[2]﴾ أسباب تعيشون بها. ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكرًا قليلا، وما مزيدة.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ

= حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف ومن أنكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه، وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن والأحاديث في الباب كثيرة جدًّا، وما في الكتاب والسنة يغني عن غيرهما فلا يلتفت إلى تأويل أحد أو تحريفه مع قول الله ورسوله الصادق المصدوق والصباح يغني عن المصباح/١٢فتح البيان في مقاصد القرآن.

(١) ولما تقدم الأمر باتباع القرآن وهو العمدة ووقع بعده ما هو في مورد الاعتبار والاتعاظ رجع إلى ما هو العمدة فقال مخاطبًا: "ولقد مكناكم"، والمخاطب المأمورون بقوله: "اتبعوا ما أنزل إليكم"/١٢وجيز.

(٢) معايش جمع معيشة، وهي: ما يعاش به من المطعوم والمشروب وما تكون به الحياة/١٢ فتح.

لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ
صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ
وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا
مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ
وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن
سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ
تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ
عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل
لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ
لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ
وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ
وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ خلق آدم من طين غير مصور ثم صوره نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره؛ لأنه أبو البشر، أو خلقناكم يا بني آدم ثم صورناكم في أرحام أمهاتكم أو صورناكم في ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجهم

كالذر، أو خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام[1] النساء، وعلى هـذا ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: للتراخي في الإخبار.

﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ وقد مر الكلام في أن المأمور به جميع الملك، أو ملائكة الأرضين وأن إبليس منهم، أو من الجن ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ منع بمعنى أحوج واضطر؛ لأن الممنوع عن شيء مضطر إلى خلافه، أي: ما أحوجك إلى عدم السجدة؟ أو لا زائدة[2] مؤكدة[3] معنى الفعل الداخلة هي عليه والسؤال للتوبيخ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ كأنه قال: المانع أني خير منه.

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار ألطف وأنور، فقاس وقصر النظر[4] بالعنصر، وما نظر إلى تشريف خلقه بيده ونفخ روحه فيه، وأخطأ في القياس أيضًا؛ فإن من طين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو، ومن النار الإهلاك والطيش والسرعة والارتفاع.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء أو من مترلتك ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ ما يستقيم ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ[5]﴾ ممن أهانه الله لكبره.

---

(١) وهذا المعنى رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين/١٢وجيز.

(٢) وقيل: الأولى إنها غير زائدة؛ لأن زيادتها في صدر الكلام معهود نحو "لا أقسم" "فلا أقسم" ولها مواقع خاصة/١٢وجيز.

(٣) بدليل قوله تعالى في سورة ص "ما منعك أن تسجد"(ص:٧٥) قاله الكسائي والفراء والزجاج/١٢فتح البيان.

(٤) قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالقياس/١٢معالم.

(٥) وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار فكل من تردى برداء الاستكبار عوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس لباس التواضع ألبسه الله رداء الترفع/١٢فتح.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أمهلني فلا تمتني **﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ﴾**[1] **﴿الْمُنظَرِينَ﴾** إلى ابتداء القيامة وهي النفخة الثانية فتموت حين موت الخلائق.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بسبب إغوائك إياي أقسم بالله لأقعدن لهم كما يقعد القطاع للسابلة[2] طريق الإسلام والباء متعلق بأقسم المقدر؛ ولأن لام القسم مانع من تعلقه بأقعدن، ونصب صراط على الظرف، أو تقديره على صراطك **﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾** من قبل آخرتهم فأشككهم فيها أو دنياهم **﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾** دنياهم أزين لهم أو آخرتهم **﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾** من قبل حسناتهم، **﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾** قبل سيآتهم، أو المراد من أي وجه يمكن، **﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾** مطيعين، وإنما قاله ظنًّا وقياسًا، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ معيبًا، والذأم: أشد العيب **﴿مَّدْحُورًا﴾** مطرودًا، **﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾** لام توطئة القسم وجوابه **﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** وهو ساد مسد جواب الشرط.

﴿وَيَا آدَمُ﴾ أي: قلنا **﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾** وقد مر الخلاف في الشجرة **﴿فَتَكُونَا﴾** يحتمل النصب على الجواب، والجزم على العطف **﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**.

---

(١) من الطائفة التي تأخرت آجالهم مثل الملائكة فإنهم ميتون عند النفخة الثانية فلم يبق فيها أحد من ملك وغيره إلا الله هذا ما في الوجيز وفي سورة الحجر "إلى يوم الوقت المعلوم"(الحجر:٣٨) قال المصنف في المنهية هـ. الأولى أن يقال: إن يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وتغيير الكلام للتفنن؛ لأنه قد مر في سورة الأعراف أنه قال: "أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين"(الأعراف:١٤، ١٥) فإنه يدل على الإجابة والملعون عالم بأن لا يسأل عما لا يجاب عنه/١٢.

(٢) السابلة الطريق المسلوكة والقوم المختلف عليها/١٢.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ فعل الوسوسة لأجلهما ﴿الشَّيْطَانُ﴾ والوسوسة حديث يلقيه في القلب ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ ليظهر لهما، واللام إما للعاقبة وإما للغرض، فإن اللعين يعلم أن العصيان في الجنة سبب لسلب اللباس والفضيحة ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ ما غطى عنهما وستر ﴿مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾ أكل ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ يحصل لكما ما للملائكة من القوة والاستغناء عن الغذاء وغيره ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ في الجنة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: أقسم لهما على ذلك، و"لكما" متعلق بالناصحين على حذف المفسر، أو التوسع في الظرف ﴿فَدَلاَّهُمَا﴾ خدعهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرهما به من القسم ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ وجد طعمها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ بأن تهافت عنهما لباسهما ﴿وَطَفِقَا﴾ أخذا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ﴾ أشجار ﴿الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا[1] رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين، والأصح أن هذه كلمات تلقاها آدم من ربه[2] فتاب عليه

---

(١) فيه إثبات النداء لله تعالى، وأنه صفة من صفات الله تعالى أثبته لنفسه في عدة مواضع من كتابه فلابد من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، ونفى مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ولا استوى كان معطلا جامدًا ممثلا له بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي وقوة كقوتي أو حب كحبي أو رضا كرضائي أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي كان مشبهًا ممثلا له بالحيوانات، بل لابد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ولله المثل الأعلى كذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام في رسالته التدمرية/١٢.

(٢) يعني قوله: "فتلقى آدم من ربه كلمات" (البقرة:٣٧)، إشارة إلى هذه الكلمات/١٢.

﴿قَالَ[1]اهْبِطُوا﴾ الخطاب لآدم وحواء وإبليس والحية والعمدة في العداوة آدم وإبليس كما قال تعالى في سورة طه "اهبطا منها جميعا"(طه:١٢٣)، أو الخطاب لآدم وحواء وذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي: متعادين لكم ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وتمتع إلى آجال معلومة[2] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ
ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا
يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا
ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا
عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّى بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ
مَسۡجِدٍ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ
وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ
وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

---

(١) الله تعالى/١٢.

(٢) وهذا حال جميع الآباء والأولاد/١٢.

﴿يَا بَنِي[1] آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي: خلقنا لكم ولما كان بقضاء سماوي، وأسباب من السماء[2] قال: "وأنزلنا" وكم مثله في القرآن ﴿لِبَاسًا يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَاتِكُمْ[3]﴾ فأغناكم عن خصف الورق ﴿وَرِيشًا[4]﴾ مالا أو ما يتجمل[5] به من الثياب، أو جمالا ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خشية الله أو الإيمان أو العمل الصالح، أو العفاف، أو هو اللباس الأول يعني لباسًا يواري عوراتكم، أو لباس الحرب وهو مبتدأ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ خبره ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق اللباس ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيتورعون عن كشف العورة.

﴿يَا بَنِي[6] آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يضلنكم ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ فتنهما فأخرجهما ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال من أبويكم أو من فاعل أخرج، والشيطان سبب الإخراج والنزع ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ فإن كل واحد منهما ما رأى عورة صاحبه قط ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ تعليل للنهي فإن عدوًا يراك ولا تراه لشديد المؤنة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أحباء ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم متابعوهم، أو سلطناهم عليهم ليزيد غيهم

---

(١) ولما ذكر بيان حال أبويهم من تطاير اللباس عنهما، وأنهما يخصفان عليهما من ورق الجنة امتن على أولادهما وناداهم فقال: "يا بني آدم"/١٢وجيز.

(٢) كالمطر والريح/١٢.

(٣) التي قصد الشيطان إبداءها فاحتاج أبوكم إلى خصف الورق ليسترها/١٢منه.

(٤) تريش الرجل إذا تمول فسر به ابن عباس كما نقل عنه في البخاري ومجاهد وعروة ابن الزبير والسدي والضحاك/١٢منه.

(٥) فإن الزينة غرض صحيح وفي بعض الأوقات سنة مستحبة/١٢.

(٦) ولما قص علينا حكاية إغواء الشيطان أبوينا وبين عداوته القديمة أخذ يحذرنا منه فقال: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان" الآية/١٢وجيز.

﴿وَإِذَا[1] فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ككشفهم عورهم في الطواف نسائهم ورجالهم ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا﴾ على تلك الفعلة المتناهية في القبح ﴿آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتقدوا أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع[2] ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإنه لا يأمر إلا بما لا ينفر عنه الطبع السليم، ولا يستعيبه العقل المستقيم ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل لا الإفراط ولا التفريط ﴿وَأَقِيمُوا﴾ عطف على أمر ربي، ومثله شائع[3] ﴿وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ استقيموا في العبادة في محالها وهي متابعة الأنبياء أو وجهوا وجوهكم إلى الكعبة في الصلاة حيث كنتم، أو صلوا في أي مسجد كنتم فيه إذا حضرت الصلاة ولا تؤخروها إلى مساجدكم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ فلا تقبل عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة خالصة ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة ﴿كَمَا[4] بَدَأَكُمْ﴾ أنشأكم ابتداء ﴿تَعُودُونَ﴾ بإحيائكم وإيجادكم بعد موتكم وفنائكم أو كما خلقكم مؤمنًا وكافرًا تعودون[5] مؤمنًا وكافرًا ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ فوفقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ[6]﴾ وانتصابه بمقدر

---

(١) ولما ذكر أن الكافرين محبون تابعون للشياطين بين متابعتهم في شيء عجيب فقال: "وإذا فعلوا فاحشة" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما سمعوا من آبائهم أنهم على دين إسماعيل/١٢وجيز.

(٣) يعني عطف الإنشاء على الإخبار وهو على سبيل الحكاية وبتأويل هذا الكلام ومثله شائع/١٢منه.

(٤) ولما أمر بالطاعة الخالصة لله تعالى توجه النفس إلى فائدتها وظهور إفادتها يوم الدين أشد على هذا اليوم فقال: "كما بدأ لكم" الآية/١٢وجيز.

(٥) قال السدي: معناه كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضلال كذلك تعودون: تخرجون من بطون أمهاتكم/١٢منه.

(٦) فنفوا واستحالوا الحشر كالمشركين والفلاسفة/١٢وجيز.

تفسيره ما بعده، أي: وفريقًا أضل[1] ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيتبعوهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ[2] يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ثيابكم التي تستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ بصلاة وطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ نزلت حين كان بنو عامر لا يأكلون دسمًا في أيام حجهم، ولا يأكلون إلا قوتًا فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك، أي: كلوا ما طاب ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بتحريم الحلال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يرتضي فعل ﴿الْمُسْرِفِينَ[3]﴾ المعتدين حده في حلال أو حرام، أو معناه لا تسرفوا بإفراط الطعام والشراب.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى

---

(١) وأما جعل المضمر المفسر خذل دون أضل ليلائم الهدى، ولحقت عليهم الضلالة كما فعله الزمخشري فتبعه القاضي فاعتزل/١٢منه.

(٢) ودلت الآية على أن المخطئ والمعاند سواء في الضلال فتدعو بالويل على الخوارج، وعلى كل مبتدع، ولما أمر ربنا بالقسط وهو الوسط بين الإفراط والتفريط يأمر وينهى بما هو الوسط وعما هو من أحد الشقين فقال: "يا بني آدم" الآية/١٢وجيز.

(٣) وفي البخاري عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة، أي: ما دام تعدم ولا تجد فيك الخصلتان اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في اللبس/١٢منه.[ذكره البخاري معلقاً (١٠/٢٦٤)]

فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ
أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا
تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ التي حرمتموها على أنفسكم في الطواف **﴿الَّتِي أَخْرَجَ﴾** من النبات والحيوان والمعادن كالقطن والحرير والدروع **﴿لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾** المستلذات من المآكل والمشارب كما حرمتم من عند أنفسكم في أيام الحج **﴿قُلْ هِيَ﴾** أي: الطيبات مخلوقة **﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** بالأصالة والكفرة شريكهم تبعًا **﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** لا يشاركهم الكافرون وقيل: خالصة في الآخرة من التنغيص والغم خلافا للدنيا، ونصبه على الحال من المستكن في الظرف **﴿كَذَلِكَ﴾** كتفصيلنا هذا الحكم **﴿نُفَصِّلُ﴾** جميع **﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** أن الله هو الذي يحرم ويحلل أو لقوم غير جاهلين **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾** ما تزايد قبحه كالكبائر **﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** جهرها وسرها **﴿وَالْإِثْمَ﴾** كل ذنب، أو الصغائر أو

الخمر[1] ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظلم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مؤكد له معنى ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ برهانًا ومن المحال إنزال البرهان على الاشراك فيكون هذا تهكمًا واستهزاء ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ[2] مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ بالافتراء عليه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ كذبت رسولها ﴿أَجَلٌ﴾ وقت معين لنزول العذاب والاستئصال ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: إذا جاء وقت العذاب لا يتأخر ولا يتقدم أقصر وقت، ويصل إليهم في ذلك الوقت المقدر[3]، أو لا يطلبون التأخر والتقدم؛ لشدة الهول ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾ إن حرف شرط وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ التي فيها الفرائض والأحكام ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ الشرك منكم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا الشرط والجزاء إما يأتينكم ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ منكم عطف على من اتقى ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ فتركوا العمل بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تقوَّل عليه ما لم يقله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أو كذب ما قاله ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ينالهم

---

(١) وأما تفسيره بالخمر فليس بشيء فإن السورة مكية وتحريم الخمر في المدينة/١٢وجيز.

(٢) لما ذكر أن بني آدم فريقان وأمر بخلاف قوله "وفريقًا حق عليهم الضلالة" ثم بين حال تلك الجماعة الضالة ومآلهم فقال "ولكل أمة أجل"/١٢وجيز.

(٣) فهو بمنزلة المثل يقصد من مجموع الكلام ألاَّ تغيير ولا تبديل لحكم الله تعالى، قالوا: قوله: "لا يستقدمون" لا يمكن عطفه على "لا يستأخرون"؛ لأن إذا شرطية لا يترتب عليها إلا ما يستقبل، ولا يترتب على مجيء الأجل في الاستقبال إلا مستقبل والاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال، فالوجه أن يقال: إن قوله ولا يستقدمون منقطع من الجواب على الاستئناف أي: وهم لا يستقدمون الأجل أي: لا يسبقونه وتحقيق العلامة على هذا المنوال/١٢وجيز.

ما كتب عليهم وهو قوله: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"(الزمر:٦٠)، أو ما وعدوا في الكتاب من خير وشر أو ما أثبت لهم في اللوح المحفوظ أو مما كتب لهم من العمل والرزق[١] والعمر **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾** ملك الموت وأعوانه **﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾** أي: أرواحهم حال من الرسل **﴿قَالُوا﴾** جواب إذا **﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** ما موصولة أي: أين الآلهة التي كنتم **﴿تَدْعُونَ[٢]﴾** تعبدونها **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** وهو سؤال وتقريع **﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾** غابوا فلا نراهم ولا ننتفع بهم **﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ[٣] قَالَ﴾** الله لهم يوم القيامة **﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾** أي: ادخلوا في النار كائنين في زمرة أمم تقدم زمانهم أي: كفار الجن والإنس **﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾** في النار **﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾** في الدين التي ضلت بالاقتداء بها **﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾** تلاحقوا واجتمعوا **﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾** دخولا في النار **﴿لِأُولَاهُمْ﴾** أي: لأجل أولهم دخولا، أي: الأتباع للمتبوعين، فإن المتبوع دخل قبل التابع؛ لأنه أشد جرمًا، أو آخر كل أمة لأولها، أو أهل آخر الزمان لأولهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين **﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾** أي: سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم **﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾** مضاعفًا **﴿مِنَ النَّارِ﴾** أي: أضعف عليهم العقوبة **﴿قَالَ[٤] لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾** أي: لكل واحد

---

(١) هذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه وإن كان الأول والثاني منقولين عن أكثر السلف/١٢منه.

(٢) تستغيثونها في طلب حوائجكم/ ١٢ وجيز.

(٣) فالمقصود من الآية زجر الكفار عن الكفر؛ لأن التهويل بذكر هذه الأحوال مما يحمل العاقل على المبالغة في النظر والاستدلال والتشدد في الاحتراز عن التقليد/١٢ كبير.

(٤) الله تعالى/١٢.

ضعف من عذاب جهنم في هذا الحين، أو لكل عذاب لا مزيد له، أو عذاب ضعف ما يتصور أحدكم في شأن الآخر ﴿**وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ**﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب.

﴿**وَقَالَتْ أُولاهُمْ**﴾ القادة ﴿**لأُخْرَاهُمْ**﴾ الأتباع ﴿**فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ**﴾ رتبوا هذا الكلام على قول الله يعني: أن القادة لما سمعوا قوله تعالى: "لكل ضعف" قالوا للسفلة: ما لكم فضل علينا فإنا متساوون في الضلال والعذاب ﴿**فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ من قول القادة، أو من قول الله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ
وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُجۡرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ
أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ
ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٤٣) وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ
ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ
نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٤) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ (٤٥) وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ
يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ (٤٦) ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ
رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٧) ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ لأرواحهم ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ بل يهوى بها إلى السجين[1] أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ لحاف جمع غاشية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي[2] الظَّالِمِينَ﴾ سماهم مرة ظالمًا ومرة مجرمًا؛ لتعدد قبائحهم وتكثرها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "لا نكلف" جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب والإعلام بأن هذه المرتبة الجليلة ممكنة الوصول إليها بسهولة ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حسد وحقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد[3] ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت منازلهم ﴿الأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لما رأوا تلك النعمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ لعمل هذا ثوابه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ اللام لتوكيد النفي ويدل ما قبل لولا على جوابه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فحصل لنا هذه النعمة بإرشادهم ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ إذا رأوها من بعيد، أو بعد دخولها، وأن هي المخففة أو مفسرة فإن المناداة من القول ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ حال من الجنة أو خبر والجنة صفة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي/١٢وجيز لمصنف جامع البيان.

(٢) وكفى لكل ظالم ومجرم نقصًا بأن وصف الكفار بتلك الألقاب زجرا/١٢وجيز.

(٣) حتى تصير الجنة دار متمحض السرور قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم "ونزعنا ما في صدورهم"/١٢وجيز.

أعطيتموها بلا تعب كالميراث، أو ميراثكم من أهل الجنة، فقد ورد "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة وفي النار، والكافر يرث المؤمن منزله[1] من النار والمؤمن الكافر من الجنة" **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾** تبجحًا بحالهم وشماتة بالكفرة **﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾** يحتمل المخففة والتفسير **﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾** في الدنيا من الثواب **﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾** من العذاب وأهوال الآخرة **﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾** نادى مناد **﴿بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** "أن" كما مر **﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** صفة الظالمين أي: يمنعون الناس عن اتباع شرعه **﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾** زيغًا وميلا حتى لا يتبعها أحد **﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾** بين الجنة والنار حاجز يمنع من وصول أهل النار إلى الجنة، وهو الأعراف **﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾** وهو السور المضروب[2] بينهما **﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾** من أهل الجنة والنار **﴿بِسِيمَاهُمْ﴾** بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها قبل دخول أهل الجنة الجنة والنار النار وبَعْده لارتفاع محلهم وإشرافهم، وبإعلام الله تعالى إياهم فهم يعرفونهم بأشخاصهم، والأصح بل الصحيح أنهم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم **﴿وَنَادَوْا﴾** عطف على يعرفون **﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾** وأن مثل ما مر **﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾** استئناف[3] **﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾** في دخولها عطف، أو حال من النفي أي: هم عند عدم الدخول

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وغيرهما/١٢وجيز.[وله أصل في مسلم (٥/٦١٢) ط الشعب. ولفظة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ "إذا كانوا يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا مكانك من النار"]

(٢) وتصور هذا السور بين الجنة التي في الكرسي والنار التي في أسفل السافلين موقوف بالمشاهدة/١٢وجيز.

(٣) كأن سائلا سأل عن حال أهل الأعراف فقيل: لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون دخولها/١٢منه.

كانوا طامعين ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ فيه إشارة إلى أن نظرهم إلى أصحاب النار لا برغبة منهم وميل ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[1]﴾ في النار.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

---

(١) معنى الآية: أنه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى ألا يجعلهم من زمرتهم، والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف حتى يقدم المرء على النظر والاستدلال، ولا يرضى بالتقليد ليفوز بالدين الحق فيصل بسببه إلى الثواب المذكور في هذه الآيات ويتخلص عن العقاب المذكور فيها/١٢ كبير.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً﴾ من الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفرة يقولون: يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل يا فلان يا فلان ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ لم تنفعكم كثرتكم أو جمعكم المال ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمة قول أهل الأعراف لأولئك الكفار، والإشارة إلى ضعفاء الجنة التي كانت الكفرة يحتقروهم في الدنيا ويحلفون أنهم لا يدخلون الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: ثم يقال لأهل الأعراف ذلك، أو لما عير أهل الأعراف أهل النار قال أهل النار: إن دخل هؤلاء الجنة فوالله أنتم لا تدخلوها تعييرًا لهم فقال الملائكة: أهؤلاء أي: أهل الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنه لا ينالهم الله برحمته؟!، ثم قالت الملائكة لهم "ادخلو الجنة" الآية ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ﴾ ألقوا[1] علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ أي: مآء الجنة وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا[2]﴾ فاستهزءوا به أو جعلوا اللهو واللعب دينهم، وهو ما زين لهم الشيطان كتحريم البحيرة والتصدية وغيرهما ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فتركوا الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ نعاملهم معاملة الناسين فنخليهم في جهنم ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فلم يستعدوا له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وكما كانوا منكرين أنه من عند الله.

---

(١) قيل: طلبهم مع اليأس كالغريق يتشبث بالزبد لكن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما مشعر بأنهم طامعون في حصول ما التمسوا/١٢وجيز.

(٢) وفي الآية لطيفة عجيبة وذلك لأنه تعالى وصفهم بكونهم كافرين ثم بين من حالهم أنهم اتخذوا دينهم لهوًا أولا ثم لعبًا ثانيًا ثم غرتهم الحياة الدنيا ثالثًا ثم صار عاقبة هذه الأحوال والتدرجات أنهم جحدوا بآيات الله، وذلك يدل على أن حب الدنيا مبدأ كل آفة، وقد يؤدي حب الدنيا إلى الكفر والضلال/١٢كبير.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بينا مواعظه وأحكامه ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا بما فصلناه به حال من المفعول ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ نصبهما بالحال من المفعول ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ ما يئول إليه أمر الكتاب من صدق وعده ووعيده وكذبهما ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإيمان به والعمل له ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل إتيانه أي: في الدنيا ﴿قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ونحن كذبناهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ أي: هل نرد إلى الدنيا؟ ﴿فَنَعْمَلَ﴾ جواب هل نرد ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بصرف العمر في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾ غاب وبطل ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: لم ينفعهم آلهتهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ(١) **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** أي: في مقدار ستة أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة(٢) **﴿ثُمَّ اسْتَوَى**(٣) **عَلَى الْعَرْشِ﴾**

---

(١) ولما كان مدار القرآن على أصول أربعة التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة وبين كلا من الأربعة وأطال الكلام فيها رجع إلى بيان كل منها مفصلا ومجملا لأجل جدال الخصم وعناده فقال: "إن ربكم" الآية/١٢وجيز.

(٢) وقدرته الشاملة وسعت أن يخلقها في لمحة لكن حكمته الباهرة اقتضت المدة وعلمها عند الله تعالى/١٢وجيز.

(٣) قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد . ذكر القولين البغوي في تفسيره، وفي صحيح البخاري في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية "استوى على السماء": ارتفع، وقال مجاهد "استوى على العرش": علا على العرش انتهى. وأبو العالية هذا تابع بصري راو عن ابن عباس، وفي كتاب العلو للحافظ الذهبي قال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوى" (طه:٥)، أي: ارتفع، وقال محمد بن جرير الطبري في قوله "ثم استوى على العرش الرحمن" (الفرقان:٥٩)، أي: علا وارتفع وقال الفراء "ثم استوى" أي: قعد قاله ابن عباس، وهو كقولك للرجل: كان قاعدًا ثم استوى قائمًا رواه البيهقي في الصفات له، وروى الدارقطني عن إسحاق الكاذي قال: سمعت أبا العباس ثعلبا يقول في "استوى على =

أجمع السلف على أن استواءه على العرش صفة له بلا كيف نؤمن به ونكل العلم إلى الله تعالى وليس المراد منه خلق العرش بعد السماوات والأرض كما فسر بعض العلماء **﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾** يغطيه به وفيه حذف، أي: ويغشى النهار الليل و لم يذكر للعلم

= العرش" علا واستوى بوجهه أقبل، واستوى القمر امتلأ، واستوى زيد وعمرو تشابها، واستوى إلى السماء أقبل هذا الذي يعرف من كلام العرب، وقال داود بن علي كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: ما معنى قوله "على العرش استوى"؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبدالله إنما معناه استولى. فقال: اسكت لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضادًا فإذا أغلب أحدهما قيل: استولى. وقال محمد بن أحمد بن النصر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها "الرحمن على العرش استوى" بمعنى استولى فقلت: والله ما يكون هذا، ولا أجبته، وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس استوى أي: ارتفع، وقال البغوي في تفسيره: قال ابن عباس وأكثر مفسري القرآن: ارتفع إلى السماء، وقال الخليل بن أحمد في "ثم استوى إلى السماء" (البقرة:٢٩، فصلت:١١)، ارتفع رواه أبو عمرو بن عبدالبر في شرح الموطأ له انتهى. وذكر الذهبي في موضع آخر من الكتاب المذكور بسنده عن محمد بن جرير الطبري: وحسب أمرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز عن ذلك فقد خاب وخسر ومحمد بن جرير هو أحد الأئمة الكبار في وقته في التفسير والحديث والفقه والتاريخ وصاحب المصنفات الكثيرة ذكره أبو إسحاق وذكر ترجمته إلى أن قال: وقال أبو حامد الأسفراني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرًا أو كلاما هذا معناه، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، قلت: فمن أراد الإنصاف فليطالع تفسيره في آيات الصفات والعلو في مواردها، فمن ذلك قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" نقل فيه عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع وقال في تفسير قوله "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي: علا وارتفع انتهى/١٢.

به ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ يعقبه سريعًا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء، والجملة حال من النهار وحثيثًا صفة مصدر، أي: طلبا سريعًا ﴿وَالشَّمْسَ﴾ عطف على السماوات ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ نصب على الحال ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقضائه وتصريفه ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لا خالق إلا هو ﴿وَالأَمْرُ﴾ لا يجري(١) في ملكه إلا ما يشاء ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى وتعظم ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: ذوي تذلل واستكانة وخفية، فالأصح أنه يكره الصياح والنداء في الدعاء ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين في شيء أمروا به ومنه الإطناب في الدعاء بمثل مسألة الجنة ونعيمها وإستبرقها وقصورها وأمثال ذلك ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ ببعث الأنبياء، وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسك المطر فتخرب الأرض بعدما كانت مخضرة ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ من عقابه وثوابه حالان من الفاعل ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين في أمره ونهيه لم يقل قريبة، لأن الرحمة بمعنى الثواب ولاكتساب المرجع التذكير من المضاف إليه كما صرح الزمخشري في "ما إن مفاتحه لتنوء" (القصص:٧٦)، بالياء التحتانية ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ جمع بشير

(١) قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر نقل عنه البغوي في التفسير، وفي البخاري قال ابن عيينة: بين الله الخلق من الأمر بقوله "ألا له الخلق والأمر" انتهى. قال الحافظ ابن الحجر في فتح الباري: سئل سفيان بن عيينة عن القرآن أمخلوق هو؟ فقال: يقول الله تعالى: "ألا له الخلق والأمر" ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه، فلو كان كلامه مخلوقًا لم يفرق، ووضع البخاري بابًا في صحيحه فقال: باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون/انتهى١٢.

يبشر بالمطر، أي: باشرات، أو للبشارة، ومن قرأ نشرا بالنون وضمها وشين مضمومة أو ساكنة أو فتح النون وسكون الشين فمن النشر أي: ناشرات للسحاب الثقال ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر قيل: الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا﴾ أي: سحائب ﴿ثِقَالا﴾ بما فيها من الماء ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لأجل أرض لا نبات فيها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد أو بسبب السحاب ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بسبب الماء أو بالبلد فالباء للظرفية ﴿مِن كُلِّ﴾ أنواع ﴿الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ مثل إخراج الثمرات وإحياء البلد ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بعد إحيائهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على ذلك قدر على هذا ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: أرض كريمة التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بمشيئته وتيسيره سريعًا حسنًا ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لا يَخْرُجُ﴾ أي: نباته حذف المضاف وأقيم المضاف إليه، أي: الضمير المجرور مقامه فصار مرفوعًا مستترًا ﴿إِلاَّ نَكِدًا﴾ بطيئًا عديم النفع ونصبه على الحال ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبينها مكررًا ﴿لِقَوْمٍ[1] يَشْكُرُونَ﴾ فيتفكرون في الآية وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف ﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ لما ذكر قصة آدم في أول السورة شرع في قصص الأنبياء ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة إله باعتبار محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ القيامة

---

(١) ولما قص في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني وقص من أخباره ما قص واستطرد من ذلك إلى المعاد، ومصير أهل السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار أتبع ذلك بأحوال الرسل، فبدأ بقصة نوح إذ هو الآدم الثاني وأمته أدوم تكذيبًا وأقل استجابة، وغرقهم وهلاكهم بالمطر الذي هو الرحمة فقال: "لقد أرسلنا نوحًا" الآية/١٢وجيز.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ أي: الأشراف والسادة ﴿مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ بين لأنك تركت دين آبائك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ أي: أقل ما يطلق عليه اسم الضلال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثابت على الصراط المستقيم(١) ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ صفة لرسول(٢) أو استئناف ﴿رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال نصحته ونصحت له ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من جهته بالوحي ﴿مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ من صفات لطفه وقهره ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، أي: أكذبتم وعجبتم(٣) من ﴿أَن جَاءَكُم ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ من جنسكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عاقبة المعاصي ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ من المعصية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالتقوى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ ظرف معه أي: صاحبوه في الفلك، أو حال من ضمير معه، أو من الموصول، والأصح أنهم ثمانون(٤) ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ بالطوفان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى القلوب عن معرفة الله تعالى.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا

---

(١) فيه إشارة إلى جواب ما يقال: لابد أن يكون لفظ لكن متوسطًا بين كلامين متغايرين نفيًا وإثباتًا فكأنه قال: ليس بي ضلالة لكن ثابت على الطريق السوي؛ لأني رسول من رب العالمين/١٢منه.

(٢) من قبيل أنا الذي سمتني أمي حيدرة فإن الظاهر يبلغكم/١٢منه.

(٣) فيه بيان أن الواو للعطف على محذوف وهو كذبتم/١٢منه رح.

(٤) روى ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس/١٢منه.

لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن
رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ
خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن
رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا
نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟
مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ أي: إلى قومه عطف على "نوحًا" **﴿أَخَاهُمْ﴾** في النسب، أو واحد منهم كقولك: يا أخا العرب **﴿هُودًا﴾** عطف بيان لأخاهم **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾** عذاب الله **﴿قَالَ الْمَلأُ﴾** الأشراف **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾** ومن أشرافهم من آمن به[1] **﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾** في خفة عقل **﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي﴾** كامل[2] العقل لأني

---

(١) صرح به مجاهد وغيره/١٢ فظهر فائدة قوله الذين كفروا حيث لم يقل قال الملأ من قومه كما قال في قصة نوح/١٢منه.

(٢) إشارة إلى جواب سؤال قد كتبنا على حاشية "ولكني رسول من رب العالمين" في قصة نوح/١٢منه. رح.

﴿رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ[1] نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة لا أكذب فيها ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ قد مر تفسيره قريبًا فلا نعيده ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ في مساكنهم أو في الأرض بأن أخذ منهم وأعطاكم ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ قامة وقوة ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ تعميم بعد تخصيص ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسبب ذكر النعم وشكره ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ مجاز من القصد والتعرض أي: أقصدتنا ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الوعد[2] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب وحق أو جعل متحقق الوقوع كالواقع ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها فما هي إلا من موضوعاتكم ومخترعاتكم وليس تحتها مسميات، فإن معنى الألهية فيها بالكلية منتف فكيف تتخذونها إلها ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما جعل الله لكم في عبادتها حجة ولا دليلا ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أمر الله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ حتى تروا حالكم وحالنا ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا

---

(١) وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في مواضع الضرورة إلى مدحها وفي إجابة الأنبياء من ينسبهم إلى السفاهة والضلال بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وتعليم من الله لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيال حلمهم على ما يكون منهم/١٢ فتح.

(٢) والوعيد مختص بالشر والوعد يطلق على الخير والشر/١٢ منه.

دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أهلكناهم[١] عن آخرهم واستأصلناهم **﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ[٢]﴾** والناجي في الدارين المؤمنون.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ
جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ
ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ
خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا
وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ
أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ
وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ
يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ
ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ

---

(١) وفي هذا توبيخ شديد لقريش فإنهم أيضًا كذبوا بآيات الله فحق عليهم رجس وغضب/١٢وجيز.

(٢) والفارق بين الناجي والهالك هو الإيمان هذا إخبار من الله تعالى أنهم ممن علم الله أنهم يموتون على الكفر قال صاحب فتح البيان -ونعم ما قال-: وقد أطال القوم في بيان قصة قوم هود وهلاكهم وإجمال القرآن يغني عن تفصيل لا يسند/١٢.

أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ أي: إلى قبيلته ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ استئناف يبين البينة وإضافة الناقة إلى الله؛ لأنها جاءت من عنده بلا سبب معهود، فإنها خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضرهم حين سألوا تلك المعجزة وعهدوا أن يؤمنوا به بعد ما تظهر، ونصب آية على الحال والعامل معنى الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ من الضرب والطرد والأذى ﴿فَيَأْخُذَكُمْ[1] عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جواب للنهي ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ[2] جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ في مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾ سكنكم ﴿فِي الأَرْضِ[3] تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تبنون القصور من سهولة الأرض بما تصنعون منها من اللبن والآجر ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ كانوا يثقبون في الجبال ويسكنون في الشتاء فيها لتنعمهم، ونصب بيوتًا على الحال المقدرة[4]؛ لأن الجبل ما كان بيتًا في حال النحت، أو تقديره من الجبال

(١) وناصب الفعل أن المقدرة بعد الفاء/١٢وجيز.

(٢) أي: نعمه/١٢.

(٣) فيه دلالة على فسحة ديارهم وسعة تصرفهم/١٢وجيز.

(٤) ضد المحققة.

بيوتًا ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا﴾ العثي: أشد الفساد ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تبالغوا في الفساد في حال فسادكم ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ أي: الرعايا ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من للذين بدل البعض؛ لأن ضمير منهم راجع إلى للذين فإن المستضعفين كثيرون والمؤمنون أربعة آلاف ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قيل قالوه على الطتر[*] والسخرية. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ عدلوا به عن مثل نعم إشارة إلى أن إرساله معلوم مسلم إنما الكلام في الإيمان به ونحن مؤمنون ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ فما سلموا إرساله الذي ادعوا ظهوره ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحروها وكلهم راضون بنحرها فأسند الفعل إلى جميعهم ﴿وَعَتَوْا﴾ استكبروا ﴿عَنْ﴾ قبول ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ[1] ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة فإنه كان عذابهم صيحة من السماء وزلزلة من الأرض[2] تقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ أرضهم ومسكنهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ خامدين ميتين ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب نبينا -عليه الصلاة والسلام- قليب بدر بقوله "هل وجدتم ما

(*) الطتر: الكلام باستهزاء. لسان العرب مادة (طتر) (٢٧٠٩/٤) ط دار المعارف.

(١) حين قال لهم صالح: "ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"/١٢.

(٢) هكذا ذكره الإمام أبو جعفر بن الجرير وغيره من علماء التفسير فلا منافاة بين هذا وبين ما وقع في موضع آخر "فأخذهم الصيحة" (المؤمنون:٤١)، لأن في عذابهم رجفة وصيحة فبين في كل موضع شيئًا/١٢منه.

وعد ربكم حقًا" قيل: ويجوز أن يتولى عنهم ويقول ذلك حين مقدمة نزول العذاب وهذا كما قال بعضهم في الآية تقديم[1] وتأخير.

﴿وَلُوطًا[2]﴾ أي: أرسلنا، أو واذكر لوطًا **﴿إِذْ قَالَ﴾** ظرف على الأول وبدل من لوطًا على الثاني **﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾** تلك[3] الفعلة القبيحة **﴿مَا سَبَقَكُمْ﴾** استئناف مقررة للإنكار **﴿بِهَا﴾** الباء للتعدية **﴿مِنْ أَحَدٍ﴾** من زائدة للاستغراق **﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾** من للتبعيض أي: ما فعلها أحد قط قبلكم **﴿إِنَّكُمْ﴾** الهمزة للإنكار **﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾** من أتى المرأة إذا غشيها **﴿شَهْوَةً﴾** للاشتهاء أنكر أن يكون الحامل على هذه القباحة مجرد الشهوة، أو حال أي: مشتهين غير ملتفتين إلى سماجتها **﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾** المخلوق لكم **﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾** إضراب على الإنكار إلى الإخبار عن طريقتهم وعادتهم كأنه قال: بل أنتم قوم لكم الإسراف في الأمور كلها وهو الباعث لكم إلى تلك القبيحة **﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾** أي: قال بعضهم لبعض: أخرجوهم في مقابلة النصح والإرشاد **﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾** من دبر الرجال[4] والنساء قيل قالوا سخرية **﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾** فإنه ما من

---

(١) وترتيبه إن كنت من المرسلين فتولى عنهم إلى قوله: "لا تحبون الناصحين" ثم "فأخذتهم الرجفة"/١٢منه.

(٢) ولوطًا هو ابن هاران بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم وليس من أنبياء بني إسرائيل وكانا ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام، فنزل إبراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، وبعثه الله إلى أمة يقال لها سذوم بالذال المعجمة وهي بلد بحمص/١٢فتح.
قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت/١٢.

(٣) طهر فمه عن أن يمسه باسم النجس/١٢وجيز.

(٤) هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأما قول من يقول قولهم سخرية فمعناه أنهم أناس يتطهرون عن الفواحش/١٢منه، كما يقول الشياطين من الفسقة
=

أحد سوى أهل بيته ﴿إلا امْرَأَتَهُ﴾ فإنها تستر الكفر ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ[(١)]﴾ الباقين في ديارهم فهلكت ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ نوعًا من المطر وهو حجارة ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ
بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ
لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ
أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ
نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ
شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا

= لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد/١٢ كبير.

(١) ولم يقل من الغابرات كأنها من الرجال في فعلها/١٢وجيز.

لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى
وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ قبيلة، أو المراد بلد مدين **﴿أَخَاهُمْ﴾** في النسب **﴿شُعَيْبًا[1] قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾** معجزة **﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾** وليس في القرآن أنها ما هي **﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾** أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به كالعيش على المعاش **﴿وَالْمِيزَانَ[2] وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ[3]﴾** لا تنقصوهم حقوقهم قيل كانوا مكاسين[*] **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ[4]﴾** بالكفر **﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** ببعث

---

(١) عن عكرمة والسدي قال ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا مرة إلى مدين فأخذتهم الصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان/١٢فتح.

(٢) وجاز أن يكون المراد المصدر كالميعاد فحينئذ المراد من الكيل المصدر فتطابقا/١٢ وجيز.

(٣) أمرهم أولا بشيء خاص ثم نهاهم عن شيء عام فقال أشياءهم/١٢وجيز.

(*) المكس: النقص. أي ينقصون في المكيال.

(٤) وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع إلى أصلين التعظيم لأمر الله ويدخل فيه الإقرار بالتوحيد والنبوة، والشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك النجس والإفساد وحاصلها يرجع إلى ترك الإيذاء كأنه تعالى يقول إيصال النفع إلى الكل متعذر وأما كف الشر عن الكل فممكن/١٢كبير.

النبي وأمره بالعدل ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[(١)]﴾ مصدقين بمقالي ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ فإنهم يقعدون طرق الناس يوعدون الآتين إلى شعيب للإيمان بالقتل[(٢)] وغيره، أو معناه النهي عن وعيد الناس لإعطاء أموالهم فإنهم مكاسين ويوعدون في موضع الحال ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ عطف على توعدون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بشعيب أو بالله وتوعدون وتصدون تنازعا في من آمن والعمل للثاني ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ وتطلبون لسبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ بإلقاء الشبه ووصفها للناس بالاعوجاج ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ في العدد والعُدد ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالأموال والبنين ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم فاعتبروا منهم ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذبين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ[(٣)]﴾ لا حيف في حكمه ولا معقب له ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا[(٤)]﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين إما الإخراج أو العود، وشعيب -عليه السلام- قط لم يكن على ملتهم لكن غلّبوا قومه عليه فإنهم كانوا على ملتهم ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: أنعود في ملتكم وإن كنا

---

(١) وأما الكافر فلا خير له لا في الآخرة ولا في الدنيا/١٢وجيز.

(٢) قاله السدي وكثير من المفسرين/١٢وجيز.

(٣) هذا من أحسن المحاورة إذا أبرز المتحقق في صورة المشكوك ومتعلق لم يؤمنوا محذوف أي: به،والخطاب في منكم لقومه، فاصبروا خطاب للطائفتين وبيننا أي: بين الجميع وفيه وعد للمؤمنين بالنصر ووعيد للكافرين بالخسار/١٢وجيز.

(٤) ويمكن أن يكون العود بمعنى الصيرورة فلا يستدعي الرجوع إلى حالة سابقة فإن شعيبًا لم يكن قط على ملتهم/١٢وجيز.

كارهين لها؟ ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ يدل على جواب الشرط قد افترينا، أي: قد افترينا الآن إن هممنا[1] بالعود بعد الخلاص منها فإن المرتد مفترى في إثبات الند، وفي ظهور الحقية عنده للدين الباطل فهو أقبح من الكافر ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ لا يمكن ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ[2] رَبُّنَا﴾ ارتدادنا فإنه مصرف القلوب كيف يشاء، ولو أراد الله بأحد سوء فلا مرد له ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط علمه بما كان وما يكون وعلمًا تميز ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في تثبيتنا على الإيمان وتخليصنا منكم ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ اقض واحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ فأنزل على كل منا ما يستحقه[3] لا أن تهلكهم بدعائي وهم غير مستحقين للعذاب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ والله ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق، وجملة إنكم إذًا لخاسرون ساد مسد جواب القسم والشرط ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ مدينتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ ميتين قد اجتمع عليهم أنواع من العذاب بسحابة فيها شرر من النار ولهيب وهو قوله تعالى "عذاب يوم

---

(١) جواب عما يقال ظاهره إخبار مقيد بالشرط وما تقدم بمنزلة الجزاء وظاهر أن الافتراء الماضي لا يتعلق بالعود وحاصل الجواب أن قد افترينا بمعنى المستقبل؛ لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال كأنه قيل: قد افترينا الآن إن هممنا العود قاله أبو البقاء رحمه الله/١٢منه.

(٢) يعني لا يمكن الارتداد ونحن على هذا الطبع المستقيم نعم لو أراد ارتدادنا فهو قادر على تغيير طبعنا وتبدله كمرآة أكله الصداء فإنها لا تقبل الجلاء نعم للحداد أن يذيبها ويجعلها مرآة تقبل الجلاء/١٢وجيز.

(٣) هذا المعنى يستفاد عن قوله: "بالحق" وإلا فجميع حكم الله بالحق ولا يصدر عن الله شيء إلا وهو حق/١٢منه.

الظلة"(الشعراء:١٨٩) في سورة الشعراء ثم جاءهم صيحة من السماء وهو قوله تعالى "فأخذهم الصيحة"(الحجر:٨٣) في سورة الحجر ورجفة من الأرض فزهقت أرواحهم وخمدت أجسادهم﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ خبره أي: كأن لم يقيموا فيها قط ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ لا الذين صدقوه كما زعموا ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الظاهر أنه بعد عذابهم وموتهم ﴿وَقَالَ﴾ تأسفا هم ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ وقد كفرتم ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ مستحقين للعذاب.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ فكذبه أهلها ﴿إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ كي يتضرعوا ويتركوا الاستكبار عن الإيمان ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أعطينا السلامة والسعة مكان البلاء والشدة ابتلاء واستدراجًا ﴿حَتَّى[1] عَفَوْا﴾ كثروا عددًا ومالا ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ

(١) عفا النبات والشجر والوبر إذا كثرت/١٢وجيز.

وَالسَّرَّاءُ﴾ فأصابنا مثل ما أصابهم وهذا عادة الدهر و لم ينتبهوا وغفلوا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة مصدر أي: هذا النوع من الأخذ ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ أي: تلك القرى التي أرسلنا فيها رسلا ﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ المعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ﴾ يسرنا الخير لهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ من كل جانب أو قطر السماء ونبات الأرض ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ رسلنا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[١]﴾ بسبب كفرهم وعصيانهم ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الهمزة للإنكار وهو عطف على فأخذناهم بغتة، أو فأخذناهم بما كانوا، وحاصله فعلوا كيت وكيت فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ أي: وقت بيات، أي: بيتوتة فنصبه على الظرف بحذف المضاف ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ جملة حالية ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ ضحوة النهار ظرف ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ[٢]﴾ من فرط غفلتهم ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر[٣] واستدراجه ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فطرتهم.

---

(١) لما حكى عن بعض الأمم السالفة أخذ يحذر قريشًا ويخوفهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم فقال: "أفأمن" الهمزة للتوبيخ دخلت على أمن والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها. قال صاحب البحر: ما قاله الزمخشري في هذه الآية من أن الفاء بعد الهمزة عاطف على ما بعدها على ما قبل الهمزة من الجملة رجوع إلى مذهب النحاة ويخرج لهذه الآية على خلاف ما قدر من مذهبه في غير آية من أن يقدر محذوفًا بين الهمزة وحرف العطف كما يصرح بذلك/١٢وجيز.

(٢) وهذا وقت لعبهم واشتغالهم بدنياهم قيد كل ظرف بما يناسبه من الحال، وجاء نائمون باسم الفاعل؛ لأنها حالة ثبوت واستقرار وجاء يلعبون بالمضارع؛ لأنهم يشتغلون بأفعال متجددة شيئًا فشيئًا، وكلا الحالين حال ترفه وطمأنينة ففجأة المصائب فيها أشد/١٢وجيز.

(٣) وفي الحديث: "اللهم أمني مكر الشيطان ولا تأمني مكرك يا الله"/١٢وجيز.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا
كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم
مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ
عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ أي: يرثون ديار من قبلهم ﴿أَنْ﴾ أي: أن الشأن ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ بالبلاء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسببها كما عذبنا من قبلهم وجملة أن لو نشاء فاعل يهد ومن قرأ بالنون فهو مفعول وفي الهداية حينئذ تضمين التبيين ولهذا عدى باللام ﴿وَنَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ هو استئناف ولهذا غير الأسلوب أي: نحن نطبع، أو عطف على مدلول أو لم يهد يعني يغفلون ونطبع وليس بعطف على أصبناهم؛ لاستلزام انتفاء كونهم مطبوعين مع بطلانه لقوله: "فهم لا يسمعون" وقوله: "كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين" وقوله: "فما كانوا ليؤمنوا"؛ لدلالته على أن حالهم منافية للإيمان ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة أبدًا سماع قبول.

﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى قرى الأمم التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ حالٌ، أو خبرٌ إن جعلت القرى صفة تلك ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ أي: بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: ما صلحوا للإيمان بعد رؤية المعجزات ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل رؤيتهم تلك المعجزات يعني بعدما طبعناهم لا يمكن لهم الإيمان بما جاءهم الرسول أو الباء للسببية أي: كفرهم السابق سبب كفرهم اللاحق وعن بعض السلف المراد من قبل يوم أخذ الميثاق فإنهم حينئذ أقروا باللسان وأضمروا التكذيب ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الوارثين والموروثون ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الأمم الماضية ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، أو عهدهم مع أنبيائهم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾ أي: إن الشأن علمنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعتنا وعند الكوفيين أن نافية واللام بمعنى إلا.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا[1] مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل الذين مر ذكرهم ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: بالآيات بأن وضعوا الكفر بها مكان الإيمان ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ﴾ على بمعنى الباء أي: بألاَّ أقول، كما تقول: رميت على القوس أو أصله حقيق علي ألاَّ أقول كما هو قراءة نافع فقلب لأمن الإلباس، أو أراد موسى أن يغرق في وصف نفسه بالصدق فيقول: أنا حقيق على قول الحق، أي: واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله، ولا

---

(١) ولما قص أخبار الأمم وما آل إليه أمرهم أتبع بقصص موسى عليه السلام وفرعون وبني إسرائيل فإن معجزاته أظهر وأمته أكثر الأمم عناداً وبين موسى وشعيب قرابة ونسب فقال "ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا" الآية/١٢وجيز.

يرضى إلا بمثلي ناطقًا به أو معناه أني حريص على ألاَّ أقول ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ وهي العصا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة فإن فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ من عند من أرسلك ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ أحضرها عندي ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة لا يشك في أنها حية ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ لها شعاع غلب[1] نور الشمس ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول وللناظرين متعلق ببيضاء، أي: بيضاء للنضارة.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ

(١) هكذا قاله مجاهد وغيره/١٢.

لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ في صنعته أي: قالوا ذلك موافقين لقول فرعون كما حكاه تعالى: "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم" (الشعراء:٣٤)، فوافقوه وقالوا كمقالته أو قال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى القوم يعني قبط ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ يا معشر القبط ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ[١]﴾ تشيرون في أمره ﴿قَالُوا﴾ بعدما اتفقوا رأيهم ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ الإرجاء التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو احبسه وأصله أرجئه ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ أي رجالا يحشرون إليك من في مدائن صعيد مصر من نواحي مصر من السحرة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ[٢] قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ على موسى ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمْ﴾ إن لكم أجرًا ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ[٣]﴾ فهو معطوف على محذوف سد مسد نعم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ما معنا من الحبال ورغبتهم في أن

---

(١) من المؤامرة في إعرابه وجهان أحدهما ماذا مفعول ثان محذوف حرف الجر والمفعول الأول محذوف أي: بأي شيء تأمروني، والثاني أن ما مبتدأ وذا بمعنى الذي خبر عنه ومفعول تأمرون محذوف أي: أي شيء الذي تأمرونني، أي: تأمروني به/١٢ وجيز.

(٢) يعني بعدما بعث فأتوه/١٢وجيز.

(٣) يعني لا أقتصر لكم في الأجر بل أزيدكم في الرفعة والمنزلة/١٢وجيز.

يلقوا قبله، ولهذا غيروا نظم الكلام إلى آكد وجه[1] ﴿قَالَ﴾ موسى كرمًا ووثوقًا على الله ﴿أَلْقُوا[2] فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ خيلوا إليها ما لا حقيقة له[3] ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم[4] ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ قيل خمسة عشر ألف ساحر وقيل أكثر[5]، ومع كل عصى وحبال غلاظ طوال، وألقوا فإذا حيات قد امتلأت الوادي تركب بعضها بعضا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يزورونه من الإفك، فلما أكلت حبالهم وعصيهم بأسرها، قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ صاروا أذلاء، وأرجعوا إلى مدينتهم أذلاء مغلوبين، والضمير لفرعون وقومه ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ[6]﴾ ألقاهم الله تعالى، أو ألهمهم أن يسجدوا، أو من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا[7] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لا رب

---

(١) من تأكيد ضمير المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر/١٢.

(٢) وليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل إباحة السحر بل لإبطاله/١٢.

(٣) فيه دلالة على أن سحرهم من باب التخييل لا يقلب عينا/١٢وجيز.

(٤) وأرهبوهم، فاستفعل بمعنى أفعل/١٢.

(٥) قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ونقل ابن جرير: انهم سبعون ألف ساحر/١٢منه.

(٦) وقد سجدوا شكرًا على المعرفة وظهور الحق وقد نفعهم علمهم وإن كان حرامًا، وقالوا رب موسى بالبدل من رب العالمين لتدفع توهم غير الله تعالى لقول فرعون "أنا ربكم الأعلى" (النازعات:٢٤)/١٢وجيز.

(٧) يعني أنه تمثيل شبه حالهم في سرعة الخرور بحال من ألقى/١٢وجيز.

القبط فإنه فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ[1] لَكُمْ﴾ في الإيمان ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: حيلة صنعتموها أنتم وموسى في مصر قبل الخروج إلى هنا ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: القبط فتبقى المصر لكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة صنيعكم، ثم فصل ما أجمل وقال: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ[2]﴾ من كل شق طرفا ﴿ثُمَّ لأصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ[3] قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بالموت ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ فلا نخاف من وعيدك، أو مصيرنا ومصيرك إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا[4]﴾ ثم أعرضوا عنه وفزعوا إلى الله تعالى، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ حتى لا نرجع من الدين ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: كانوا أول النهار سحرة وفي آخره شهداء.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ

(١) من غير رخصتي في الإيمان، ولما خاف أن يصير إيمان السحرة حجة قومه ألقى في الحال نوعين من الشبهة: أحدهما أن هذا مما تواطئوا بينهم لا أن هذا غلبة حقيقة، وأن ذلك طلب منهم للملك فقال: "إن هذا لمكر مكرتموه" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما ظهرت الحجة عاد إلى عادة ملوك السوء بالتهديد إذا غلبوا بحجة، قوله: "من خلاف"، أي من مختلفات من اليد اليمنى والرجل اليسرى وقد يجيء بسطه إن شاء الله تعالى في سورة طه/١٢وجيز.

(٣) وما أوعدهم لا يعلم من القرآن أنه عمل به أو لم يعمل/١٢وجيز.

(٤) وما هو إلا أصل المفاخر/١٢.

عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿وقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ[1]﴾ بني إسرائيل ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بدعوهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ عطف على يفسدوا، أو جواب للاستفهام بالواو، كما يجاب بالفاء قيل: لفرعون بقرة يعبدها ويأمر أن يعبدوا بقرة حسناء، وقيل علق على عنقه صليبًا يعبده، وقيل: اتخذ لقومه أصنامًا وأمر بعبادها،وقال لهم: هذه آلهتكم وأنا ربكم الأعلى ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ كما كنا نفعل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود على يده زوال ملكنا ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ نتركهن أحياء للخدمة ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ هم تحت أيدينا مقهورون ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ حين شكوا إليه ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ[2]﴾ فلربما يأخذ منهم ويعطيكم بسهولة كالميراث ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: عاقبة الأمر بالنصر والظفر للمتقين فثقوا بالله تعالى وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة ﴿ قَالُوا﴾ بنوا إسرائيل ﴿أُوذِينَا﴾ بقتل[3] الأبناء ﴿مِنْ قَبْلِ[4] أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة القتل ﴿قَالَ﴾

(١) قالوا:ذلك إغراء لفرعون بموسى وقومه وتحريضه بقتلهم للخوف على الملك والجاه/١٢وجيز.

(٢) وعدهم النصر بالصبر وذكرهم ما وعد الله تعالى به بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريث أرضهم وديارهم/١٢وجيز.

(٣) وإخدام النساء/١٢.

(٤) مخافة ما كان يتوقع من هلاك ملكه على يد مولود منا/١٢وجيز.

موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أرضهم وملكهم ﴿فَيَنْظُرَ﴾ يرى ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكر وكفران وطاعة وعصيان.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن
مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا
تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ
وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ
﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا
غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ
وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ
يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ
أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ

ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ ﴾
﴿وَلَقَدْ[١] أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ بالجدوب لقلة الأمطار ﴿وَنَقْصٍ[٢] مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكي ينتبهوا ويتعظوا ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ السعة والمال ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ لأجلنا ونحن[٣] مستحقوها و لم يشكروا منعمها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء وجدب ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يتشاءموا هم وقالوا ما هذا إلا بشؤمهم ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: شؤمهم[٤] من قبل الله ومن عنده، أو سبب شؤمهم وهو أعمالهم القبيحة عنده مكتوب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما أصابهم[٥] من الله تعالى ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ﴾ أي: أيما شيء تأتنا به فمحل مهما الرفع وجاز النصب بفعل يفسره تأتنا أي: أيما[٦] شيء تحضرنا تأتنا به ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ بيان لمهما وسموها آية على زعم موسى ﴿لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ الضمير لما في

---

(١) ولما وعد موسى قومه بهلاك عدوهم من جانب وحي الله تعالى شرع سبحانه بيان مقدمات افتتاهم فقال: "ولقد أخذنا"/١٢وجيز.

(٢) أي: لم يبارك في طعامهم وفواكههم/١٢وجيز.

(٣) ووجدوا خلاف ذلك ظلمًا/١٢.

(٤) أي: شؤمهم من عند الله وقبله هم يتفاءلون بالطير بطيرانه من جانب إلى جانب وصوته فهذا اللفظ مستعار/١٢وجيز.

(٥) والحاصل إنما أصبناهم يتضرعوا ويندرجوا تحت أمرنا ونهينا فلم يتضرعوا و لم يسلموا بل تنفروا عن رسولنا إليهم وشتموه وتطيروا به/١٢وجيز.

(٦) يريد أنه من باب شريطة التفسير والمضمر تحضرنا الذي هو في معنى تأتنا فيكون من قبيل زيدًا مررت به/١٢.

مهما باعتبار المعنى فإن[1] من آية فضلة جيء للتبيين ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم موسى عليه السلام ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ أرسل الله تعالى مطرًا[2] سبعة أيام امتلئت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم و لم يدخل بيوت بني إسرائيل مع أن بيوقم مشتبكة[3] أو المراد من الطوفان الوباء أو الجدري[4] ثم فزعوا إلى موسى وعهدوا بالإيمان إن كشف عنهم العذاب، فلما كشف نقضوا عهودهم ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأرسل الله إليهم الجراد فأكل زروعهم وثياهم حتى[5] مسامير أبواهم ثم عهدوا وكشف فنقضوا ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ فأرسل الله إليهم السوس[6] أو أولاد الجراد قبل أجنحتها أو الحمنان[7] صغار القردان أو دواب سود صغار أو القمل بفتح القاف حتى أكلت أبدالهم ومصت[8] دماءهم فعهدوا فلما كشف نقضوا ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فأرسل الله تعالى إليهم الضفادع حتى لا يستطيعوا الطبخ والأكل فإنه يمتلئ قدورهم وظروفهم وأفواههم فعهدوا ونقضوا ﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دمًا وسالت النيل عليهم بالدم أو المراد بالدم

---

(١) قوله فإن من آية إلخ جواب لسؤال وهو أن الظاهر أن يكون الضمير لآية لا لما فما الموجب إلى العدول/١٢منه.

(٢) مع ظلمة شديدة/١٢.

(٣) يعني مع بيوت القبط وزرعهم ينمو وزرع القبط يموت من الماء/١٢وجيز.

(٤) الأول رواية عن ابن عباس وهو قول الضحاك والثاني لعطاء ومجاهد ورواية عن ابن عباس أيضًا وروى ابن جرير وابن مردويه عن عائشة مرفوعًا والثالث لأبي قلابة/١٢منه.

(٥) كما قال مجاهد/١٢منه.

(٦) الذي يخرج من الحنطة كذا قال ابن عباس/١٢منه.

(٧) قاله أبو عبيدة/١٢.

(٨) كذا قاله مجاهد وعكرمة وقتادة/١٢.

الرعاف فعطشوا فعهدوا ونقضوا ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبينات لا يشتبه على أحد أنها نقمة من الله ونصبها على الحال ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ الآيات المفصلات أو الطاعون فهو عذاب سادس ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي: بحق عهده عندك وهو النبوة أو بما أنت تعلمه من أسمائه التي تدعو بها فيستجيب الدعاء ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون أو مهلكون فيه وهو الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهدهم أي: فلما كشفنا العذاب فجاءوا النقض بلا مهل وتأمل ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ أردنا الانتقام[1] ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر العميق ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتفكرون في آياتنا ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ أرض الشام ﴿وَمَغَارِبَهَا[2] الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالسعة والرخاء ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ هي وعده إياهم بالنصر والظفر ﴿الْحُسْنَى﴾ صفة الكلمة ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على الشدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ استأصلنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من البيوت والقصور أو من البساتين.

---

(١) فسرنا بذلك، لأن الإغراق هو الانتقام وجاز أن يكون فأغرقنا لمجرد التفسير فحينئذ فانتقمنا على ظاهر معناه ولا حاجة إلى تأويل/١٢منه.

(٢) هو مفعول ثان لأورثنا والمفعول الأول هو القوم بحذف مضاف أي: ذرية القوم فإنهم لم يعودوا إلى أرض مصر بأعيانهم بل أقاموا بالأرض المقدسة وذريتهم كسليمان عليه السلام دخل مصر التي باركنا/١٢وجيز.

﴿وَجَاوَزْنَا[1] بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عبرنا بهم ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾ مروا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى[2] اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ مثالا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ[3] آلِهَةٌ﴾ ما كافة ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لأن العاقل لا

(١) ولما ذكر إنعامه على بني إسرائيل وانتقامه على القبط أخذ يبين كفران بني إسرائيل نعمهم وصنيعهم في مقابلة ما أنعم عليهم فقال: "وجاوزنا"/١٢وجيز.

(٢) قوله تعالى "اجعل لنا إلها" قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب المعروف بالكبير: واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرًا لأن الذي يجعل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرًا له ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصنامًا وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"(الزمر:٣) إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول: لم كان هذا القول كفرًا فنقول أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلها للعالم أو اعتقد فيه أن عبادته تقربه إلى الله تعالى؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام/١٢كبير.

(٣) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا إلهًا نعبده ونعظمه قال البغوي: ولم يكن ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لايضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم، فرد عليهم موسى عليه السلام بقوله "إنكم قوم تجهلون" يعني تجهلون عظمة الله وأنه لا يستحق أن يعبد سواه، لأنه هو الذي أنجاكم من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه. عن أبي واقد الليثي رضي عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة
=

يطلب معبودًا مخلوقًا لا يضر ولا ينفع ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى القوم ﴿مُتَبَّرٌ﴾ مكسر مدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي: دينهم فاعل متبرأ أو مبتدأ ومتبر خبره ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ألبتة لا محالة ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بأن أعطاكم نعمًا وخصكم بها ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: واذكروا هذا اللطف العظيم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ استئناف أو حال أي: يبغونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بدل من يسومون مبين له ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب ﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل الإشارة إلى الإنجاء فالبلاء بمعنى المنحة[1] لا المحنة.

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ

= والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم" أخرجه الترمذي وصححه النسائي وأحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه/١٢ لباب التأويل المعروف بخازن.[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٧٧١) وفي "ظلال الجنة"].

(١) يعني أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة/١٢ لباب.

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ
ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ
ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى[١] ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة للمناجاة وإرسال كتاب من عنده ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة نقل أنه بعد صوم الشهر استاك فزال خلوفه فلذلك أمر بصوم عشر ليكون لفمه خلوف[٢] ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً[٣] وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ ارفق بهم واحملهم على طاعة الله تعالى ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا تطع من دعاك إلى الفساد[٤].

---

(١) وعد موسى قومه وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من الله فيه بيان ويأتون ويذرون فلما هلك فرعون سأل ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة/١٢وجيز.

(٢) وفي الحديث: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"/١٢.[أخرجه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (٣/٢٠٦) ط الشعب.

(٣) نصب أربعين بالخبر من تم؛ لأن تم من الأفعال الناقصة بمعنى التصيير فإن لم تجعله من الناقصة فنصبه على التمييز/١٢وجيز.

(٤) وهو صلوات الله وسلامه عليه يعرف حيلة قومه/١٢وجيز.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: لوقتنا الذي وقتنا له ﴿وَكَلَّمَهُ[1] رَبُّهُ﴾ فلما سمع كلامه اشتاق لقاءه ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك بأن تتجلى إلي ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أراك ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي[2]﴾ في الدنيا وقد وردت أحاديث صحاح صريحة على رؤية الله تعالى في الآخرة وأجمعت الأمة على ذلك سوى المعتزلة وحسبهم من الخسران والحسرة أن عاملهم الله تعالى في الآخرة بعقيدتهم وحرمهم من نعمة لقائه كما قال جدي قدس سره ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ[3] اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ويطيق الرؤية مع أنه أعظم

---

(١) قال الزمخشري تكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه محفوظًا في الألواح انتهى. وإليه ذهب المعتزلة وهو مذهب فاسد يرده الكتاب والسنة وأين للشجر وذلك الجرم أن يقول: "إنني أنا الله" (طه:١٠٤)، وذهب الحنابلة ومن وافقهم من أهل الحديث أن كلامه تعالى حروف وأصوات مقطعة وأنه قديم وهو الحق وقد نطق به السنة المطهرة وقال جمهور المتكلمين: إن كلامه صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وأراد به الكلام النفسي ولا توجد له رائحة في السنة المطهرة وكذا ما ذكره الشيخ في التأويلات أن موسى سمع صوتًا دالا على كلام الله وهو ظاهر البطلان لمخالفة نص القرآن، وقد سكت جمع من السلف والخلف عن الخوض في تأويل صفة كلام الله تعالى وقالو: إنه متكلم بكلام قديم يليق بذاته بحرف وصوت لا يشبه كلام المخلوق ليس كمثله شيء وله المثل الأعلى/١٢فتح البيان.

(٢) فإن الأعين الدنيوية لا تطيق النظر إلى وجهه الكريم والأحاديث الصحاح في رؤية الله تبارك وتعالى لا ينكرها إلا مخانيث الحكماء أي: المعتزلة وحسبهم من الخسران أن عاملهم بعقيدتهم في الرؤية وفي الخلود في النار من مات غير تائب من الكبيرة/١٢وجيز.

(٣) فإن استقر مكانه عند تجليه سبحانه نبه على أن الجبل مع شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته أولى بألاّ يستقر وفيه تسكين لفؤاد موسى؛ بأن المانع من الانكشاف إشفاقي عليك وأما أن المانع محالية الرؤية لتجرد الرب فليس في القرآن إشارة إليه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته مرتين وهذا من =

وأثقل جسمًا ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر نور ربه وقد ورد ما تجلى إلا قدر الخنصر[1] ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مدكوكًا كالتراب ومن قرأ دكاء فمعناه أرضًا مستوية ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ سقط مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يليق بك أو قال سبحانك لعظمة ما رأى ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ[2]﴾ من مسألة الرؤية بغير إذن ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنه لا يراك أحد إلى يوم القيامة أو أول قومي إيمانًا.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي﴾ بوحيي ﴿وَبِكَلامِي﴾ من غير واسطة ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ولا تطلب ما لا طاقة لك به.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ﴾ ألواح التوراة وقيل الألواح قبل نزول التوراة وهي من خشب أو من جوهرة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هم إليه محتاجون في أمر دينهم ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تبيينًا لكل أمر ونهي حلال وحرام فنصبهما على المفعول له أي: للموعظة ولتبيين الحلال والحرام وقيل من كل شيء مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه ﴿فَخُذْهَا﴾ أي: فقلنا له خذ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: التكليف عليك يا موسى أشد من التكليف على قومك قيل في الألواح ما هو أحسن كالصبر بالإضافة إلى الانتصار مثلا فأمرهم على طريقة الندب

= خواصه وما أطاق أحد من الأنبياء غير نبينا صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين رؤيته وهو على صورته/١٢وجيز.

(١) كما نقله الترمذي مرفوعًا عن ابن عباس/١٢منه.[أخرجه الترمذي (٣٢٨٢) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه]

(٢) ما هو خلاف الأدب كمسألة الرؤية بغير إذن كالشفاعة من غير إذن فيها/١٢وجيز.

أن يتبعوا أفضل ما فيها وهو الصبر والعفو ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: ستـــرون عاقبة من خالف أمري كيف تصير إلى الهلاك أو هي جهنم فاحذروا أن تكونوا منـــهم أو منازلهم كيف تكون خاوية على عروشها قيل هذا بشـــارة بأنـــه ســـيرزقهم أرض أعدائهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: أمنعهم عن فـــهم الحجج والأدلة الدالة على وحدانيتي وعظمتي وأنزع عنهم فهم كلامي ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ صلة يتكبرون أو حال فإن تكبر المحق على المبطل حق والتكبر على المتكبر صدقة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ معجزة ﴿لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لعنادهم[1] ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَـــبِيلَ الرُّشْـــدِ﴾ طريق الهدى والسداد ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ طريـــق الضـــلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَـــا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرون فيها ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْـآخِرَةِ﴾ أي: لقائهم الدار الآخرة ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت فليس لها نفع ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَـــا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء أعمالهم.

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي

(١) أو اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد/١٢ بيضاوي.

فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ أي: اتخذ السامري[1] لهم بإعانتهم ورضاهم فكأنهم هم الذين اتخذوا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروا من القبط ﴿عِجْلاً جَسَدًا﴾ بدنا ذا لحم ودم بدل من عجلا ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ صوت البقر قال بعضهم: استمر على كونه من الذهب إلا أنه يدخل في فيه الهواء فيصوت كالبقر[2] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ أي: ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه حيوان لا يقدر على كلام ولا على إرشاد فكيف اعتقدوا على أنه خالق القوى والقدر؟![3] ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلوضعهم الأشياء في غير موضعها اتخذوه إلها ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن الندامة فإن النادم يعض يده ﴿وَرَأَوْا﴾ أُعلموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بقبول توبتنا ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ هذا الذنب العظيم ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

---

(١) روي أنه لما وعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر المزيدة قال السامري لبني إسرائيل وكان مطاعًا فيهم: إن معكم حليًّا من حلي آل فرعون الذي استعرتموه منهم لتتزينوا به في العيد وخرجتم وهو معكم وقد أغرق الله أهله من القبط فهاتوه فدفعوه إليه فاتخذ منه العجل المذكور/١٢فتح.

(٢) وفي الوجيز وأما أنه صنع من حليهم شكل ولد البقر مجسدا من ذهب لا روح فيه إلا أنه عمله مجوفا بطور إن دخل فيه الهواء خرج منه صوت كصوت البقر فليس بوجه سديد لقوله تعالى في سورة طه "ما خطبك يا سامري قال بصرت" الآية (طه:٩٥،٩٦) وإذا كان هو على صورة العجل لا حياة فيه فليس بقبض التراب من أثر جبريل دَخْلٌ/ ١٢.

(٣) جمع القدرة/١٢.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا[1]﴾ شديد الغضب أو حزينًا فإنه قد أعلمه الله بذلك وهو على الطور[2] كما قال تعالى: "فإنا قد فتنا قومك من بعدك" (طه:٨٥)، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: فعلتم بعد ذهابي وفاعل بئس ضمير يفسره ما والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس فعلا فعلتموه من بعدي فعلكم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وهذا كما يقال لمن ولى أحدا غير مستحق للولاية: عجلت أمر السلطنة أي: في حالها وأمرها أو ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته أي: سبقتم أمر ربكم أو ميعاد ربكم أو سخط ربكم ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ[3]﴾ طرحها غضبًا ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بشعره ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ خوفًا عن أن يكون قد قصر في نهيهم وهارون أكبر من موسى[4] ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ كانا أخوين من أب وأم وذكر الأم ليرققه[5] ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي: بذلت وسعي في النهي حتى قهروني وقاربوا قتلي ﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ لا تفعل بي شيئًا يشمتون[*]

---

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد فتنوا وأن السامري قد أضلهم فلذلك رجع موسى وهو غضبان أسفا/١٢.

(٢) كما في سورة طه/١٢منه.

(٣) من شدة الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل قال ابن عباس: لما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع إلا سدسها رفع الله منها ستة أسباعها وبقى سبع وقال مجاهد: لما ألقاها موسى ذهب التفصيل يعني أخبار الغيب وبقى الهدى أي: ما فيه المواعظ والأحكام وعن ابن جريج قال: كانت تسعة رفع منها لوحان وبقى سبعة/١٢فتح.

(٤) بثلاث سنين هكذا قال محيي السنة/١٢منه.

(٥) ويستعطفه عادة العرب التحنن بذكر الأم/١٢وجيز.

(*) في الأصل: يشتمون.

لأجله ﴿وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ معدودًا في عــداد عــابدي العجــل في عقوبتك.

﴿قَالَ﴾ لما علم براءة ساحته ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ أن قصــر في نهيهم ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعــام أو في جنتــك ﴿وَأَنْــتَ أَرْحَــمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا
وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ
أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ
أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ
بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ
قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ
ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو أمرهم بقتل أنفسهم للتوبة كما مر فهو حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى حين أخبره أو غضب في الآخرة ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخراجهم من ديارهم وهوانهم إلى الأبد وقيل المراد من الذين اتخذوا العجل: أبناؤهم وهم يهود زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصف الأبناء بقبائح فعل الآباء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الشرك ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد السيئات ﴿وَآمَنُوا﴾ أخلصوا الإيمان واشتغلوا بما هو مقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ[١]﴾ أي: سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ[٢]﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: في الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو لما ألقى الألواح تكسرت ثم رد عليه لوحان أو لما تكسرت نسخ منها نسخة أخرى ﴿هُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ للخائفين ودخول اللام في المفعول لضعف الفعل بالتأخير[٣] وقيل في يرهبون تضمين معنى الخضوع[٤] ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ منصوب بترع الخافض أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ أمر موسى أن يختار[٥] من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك

---

(١) كأنه جعل الغضب شخصًا آمرًا ناهيًا يهيجه لما فعل ويأمره بشتم قومه فسكت عن الإغراء/١٢وجيز.

(٢) هو جواب لما/١٢.

(٣) يعني دخول اللام في المفعول مقربة لوصول الفعل إلى المفعول المتقدم نحو إن كنتم للرؤيا تعبرون/١٢وجيز.

(٤) وهومستعمل باللام/١٢منه.

(٥) هذا قول ابن عباس وهذا يدل على أن ذلك قبل عبادتهم العجل/١٢منه.

فأخذهم الرجفة أو اختار[1] سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذهم الصاعقة فماتوا أو أخذهم[2] الرجفة فإنهم علماء وما نهوا بني إسرائيل عن عبادة العجل، وقال بعضهم: ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا أو ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى **﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ﴾** موسى: **﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ﴾** لو للتمني **﴿أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾** تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى، أو المراد أهلكتهم أي: عبدة العجل من قبل عبادتهم **﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾** من التجاسر على طلب الرؤية فإن بعضًا من السبعين طلبوا الرؤية، أو من عبادة العجل، ولذلك قيل: علماؤهم ما عبدوا العجل **﴿إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ﴾** اختبارك وامتحانك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية، أو حين خلقت في العجل خوارًا فضلوا **﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾** ضلاله **﴿وَتَهْدِي﴾** بها **﴿مَنْ تَشَاءُ﴾** هداه **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾** القائم بأمرنا **﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾** ذنوبنا[3] الماضية **﴿وَارْحَمْنَا﴾** بأن لا توقعنا بعد في مثله **﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾** لأنك تغفر الذنوب جميعًا بلا عرض ولا عوض **﴿وَاكْتُبْ﴾** أي: أثبت **﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** عافية وطاعة **﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾** جنة وقربة **﴿إِنَّا هُدْنَا﴾** رجعنا وتبنا **﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾** الله مجيبًا له في قوله: "إن هي إلا فتنتك" **﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ**

---

(١) وهو قول السدي ومحمد بن إسحاق/١٢منه.

(٢) هو قول مجاهد وقتادة وابن جريج/١٢منه.

(٣) اعلم أن كونه تعالى وليًا للعبد يناسب أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه وفضله وإلهيته وأيضًا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع والخشوع يناسب طلب هذه الأشياء لذكر السبب الأول أولا وهو كونه تعالى وليا له وفرع عليه طلب هذه الأشياء ثم ذكر بعده السبب الثاني وهو اشتغال العبد بالتوبة والخضوع فقال: "إنا هدنا إليك"/١٢كبير.

﴿أَشَاءُ﴾ تعذيبه **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** في الدنيا حتى الشجر والحجر **﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾** فسأوجب رحمتي في الآخرة **﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** الكبائر **﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾** بما أنزل على جميع الأنبياء لا يكفرون بشيء منها قيل لما اختار موسى سبعين[1] قال لهم: أجعل لكم الأرض مسجدًا و طهورًا وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهور قلوبكم؟ فقالوا: لا نريد إلا أن نصلي في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في القلوب، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظرًا قال تعالى: "فسأكتبها للذين يتقون" الآية **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾** أي: هم الذين أو بدل من الذين يتقون، والمراد اليهود الذين في آخر الزمان وآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام أو عامة أمته الصالحين **﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾** الذي لا يكتب ولا يقرأ **﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾** اسمه وصفته **﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ[2] يَأْمُرُهُمْ﴾** النبي

---

(١) هذا وإن كان كلام بعض السلف لكن فيه بعد لأنه يلزم رجع الضمير إلى ما لا شعور عليه بوجه فلذلك ذكرناه بصيغة التمريض/١٢منه.

(٢) أخرج ابن سعد والبخاري وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذير وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينًا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وروى نحو هذا مع اختلاف في الألفاظ وزيادة ونقص في بعض عن جماعة وذكر الخميسى في تاريخه أن لفظ محمد مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ "لمنحمنا" ومعنى هذا اللفظ في تلك اللغة هو معنى لفظ محمد وهو الذي يحمده الناس =

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ والخير ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ والشر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا ﴿وَيَضَعُ﴾ يخفف ويسقط ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ أي: ثقلهم العهد الثقيل الذي أخذ عليهم بالعمل بالتوراة ﴿وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ التكاليف الشاقة التي كانت في دينهم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ بهذا الرسول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ عظموه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على عدوه ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ[1]﴾ أي: مع نبوته وقيل: متعلق باتبعوا القرآن مع اتباع النبي أي: اتبعوا الكتاب والسنة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون[2] في الدارين.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ

= كثيرًا وذكر أن لفظ أحمد مذكور في الإنجيل بهذا اللفظ العربي الذي هو أحمد/١٢ فتح.[الحديث أخرجه البخاري (٤٨٣٨)]

(١) إشارة إلى أن الظرف إن تعلق بأنزل فلابد من تقدير مضاف كنبوته أو إرساله وإن تعلق باتبعوا على معنى اتبعوا القرآن والنبي لم يحتج إلى تقدير/١٢منه.

(٢) الفائزون في الدارين لا غيرهم ولما ذكر صفة النبي الأمي وأخبر أن من أدركه فآمن به أفلح أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- باشتهار دعوته إلى الناس كافة فقال: "قل يا أيها الناس"/١٢وجيز.

فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ[1]﴾ خطاب عام لا يشذ عنها أحد ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا[2] الَّذِي﴾ صفة الله والفصل غير أجنبي أو منصوب بتقدير أعني ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ بدل اشتمال من له ملك السماوات ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ جميع كتبه ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ في الإيمان بالله وجميع الكتب ، بما أمر ونهى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا ﴿وَمِنْ قَوْمِ[3] مُوسَى﴾ بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ[4]﴾ محقين ﴿وَبِهِ﴾ بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم وهم الثابتون على الحق من اليهود قرنا بعد قرن أو من

(١) يا من أطلق عليه ناس/١٢.

(٢) بحيث لا يشذ عنكم فرد/١٢وجيز.

(٣) ولما ذكر أن الرحمة الخاصة الثابتة لمتبعي نبينا الذي هو ثابت صفته في كتابين سماويين، وهو مسقط عن المسلمين الإصر والأغلال التي كانت عليهم أخذ يبين أنه بقى من أهل الكتاب من استمر على الطريقة الحسنى والدين القيم فقال: "ومن قوم موسى"الآية/١٢وجيز.

(٤) بالحق فيه خلاف كثير أن المراد من هذه الجماعة من هم؟ وأن الظاهر أهم قوم في أطراف الأرض ليس لهم همة إلا اتباع الحق حيث كان/١٢وجيز.

آمن منهم كعبد الله بن سلام وأتباعه أو قوم وراء الصين[1] هم على الحق[2] آمنوا بمحمد لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا إليهم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ صيرنا بني إسرائيل قطعًا وفرقناهم **﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾** مفعول ثان لقطع لأنه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة أو القطعة **﴿أَسْبَاطًا[3]﴾** تمييز له وهو من الجمع الذي وقع موقع المفرد فإن معناها القبيلة؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط أو بدل منه **﴿أُمَمًا[4]﴾** بدل أو نعت لأسباطا **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾** في التيه[5] **﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾** جنس الحجر أو حجرا خاصًا كان

---

(١) هذا قول الكلبي والضحاك والربيع وابن جريج ونقل عن ابن عباس السدي أيضًا/١٢منه.

(٢) وفي لباب التأويل وهذه الحكاية ضعيفة ولم يرو بها نقل صحيح ولا رواها أحد من أئمة الحديث، ولا يلتفت إلى قول الإخباريين والقصاص في ذلك انتهى ملخصًا، وفي الفتح قال الكلبي والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون في النهار ويزرعون ولا يصل إليهم أحد منا وهم على الحق إلى آخر القصة وما أبعدها عن الصحة وأقربها إلى الوضع وقد ابتلى بذكرها جمع من المفسرين الذين ليس لهم معرفة بعلم الحديث انتهى/١٢.

(٣) والأسباط أولاد الولد يعني اثنا عشر قبيلة من اثنى عشر ولدا من أولاد يعقوب ولما ذكر أنهم جماعة كثيرة بين نعمته عليهم في مشربهم ومأكلهم فقال وأوحينا/١٢وجيز.

(٤) التي وقعوا فيه لذنبهم كما مر / ١٢ وجيز.

(٥) أمما؛ لأن كل سبط كان جماعة كثيرة العدد وكانوا مختلفي الآراء يؤم بعضهم غير ما يؤمه الآخر، وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب قال: افترقت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة، وافترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة ولتفترقن هذه الأمة على ثلاث =

معه كما مر ذكره في سورة البقرة ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل قبيلة ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ لدفع حر الشمس ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ شيء كالترنجبين ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طير كالسماني وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ما رجع ضر كفران نعمه إلينا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون أنفسهم ووبال فعلهم راجع إليهم ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ[1]﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: مغفرة يعني استغفروا أو أقروا بالذنب أو احطط عنا الخطايا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب البلد ﴿سُجَّدًا﴾ شكرًا لله تعالى على الفتح والإنقاذ من التيه ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابًا وهو استئناف[2] ولم يأت بالعطف إشعارًا على أنه تفضل محض ﴿فَبَدَّلَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بدلوا بحطة حنطة استهزاء ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا مقدرًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بسبب ظلمهم.

= وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فأما اليهود فإن الله يقول: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" فهذه التي تنجوا وأما النصارى فإن الله يقول: "منهم أمة مقتصدة" (المائدة:٦٦)، فهذه التي تنجو وأما نحن فيقول: "وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (الأعراف:١٨١)، فهذه التي تنجو من هذه الأمة وقد قدمنا أن زيادة كلها في النار لم تصح لا مرفوعة ولا موقوفة/١٢فتح.

(١) بيت المقدس وقد مر في سورة البقرة بتغييرات في الألفاظ من غير تناقض/١٢ وجيز.

(٢) كأن سأل سائلا ماذا بعد الغفران لهم؟ فقال: سنزيد المحسنين، ولو أتى بالواو لدل على أن زيادة الثواب جزاء لدخولهم الباب سجدًا ومقابل له/١٢منه.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ
نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ
مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ
قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
(١٦٧) وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ
وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)
وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٧٠)
۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ
ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)﴾

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع **﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾** أي: خبر أهلها **﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾** قريبة منه، وهي أيلة بين مدين والطور **﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾** بدل من اشتمال القرية أو ظرف كانت أو حاضرة،

ومعناه يتجاوزون حدود الله يوم السبت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي: يوم تعظيمهم أمر السبت من سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة ﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء حال من الحيتان ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت ﴿لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الامتحان التام ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ نختبرهم بإظهار السمك في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائها في اليوم المحلل لهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على إذ يعدون ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: فرقة من أهل القرية فإنهم ثلاث فرق: فرقة ارتكبوا الخطيئة، وفرقة ناهية، وفرقة سكتوا فما ارتكبوا وما نهوهم، فقالت الفرقة الساكتة للناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فإنهم علموا لكثرة عدم نفع الموعظة أنها لا تنفع لا محالة استحقوا سخط الله تعالى ﴿قَالُوا﴾ أي: الفرقة الناهية مبيّنًا لهم هذه ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر، ومن قرأ بالنصب فتقديره وعظناهم معذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ عن الاصطياد في السبت فلا نيأس من أن تدركهم الرحمة ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا ترك الناسي ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ خالفوا أمرنا ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد[1] ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم والأصح أن

---

(١) والأصح لدلالة بعض الأحاديث واتفاق السلف أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاث ولم يبق منهم نسل والفرقة الساكتة الذين قالوا: لم تعظون ناجية أو مهلكة فيه خلاف، وكان ابن عباس متوقفًا ثم صرح بأنهم من الناجين وفي القرآن إشارة إلى أنهم كانوا وعظوهم أولا ثم سكتوا حين علموا ألاّ نفع للوعظ ولما ذكر تعالى قبح أفعالهم واستعصائهم أخبر أنه حكم عليهم بالذل والصغار إلى يوم القيامة فقال: "وإذ تأذن"/١٢ وجيز.

الفرقة المرتكبة دون غيرهم صاروا قردة والفرقتين الأخريين نجوا وعند بعضهم أن الفرقة الساكتة أيضًا مسخوا ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾ عن بعض السلف أنهم سمعوا مناديًا قال: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذليلين أو المراد من أمرهم سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك لا حقيقة الأمر والأصح أن المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلاثة أيام و لم يبق منهم نسل، والعذاب البئيس هو المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل[1] للأولى.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلم أو قال أو أمر وحكم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود وأجرى تأذن كعلم الله وشهد الله مجرى القسم ولذلك أجيب بقوله ليبعثن ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أوجب الله على نفسه ليسلطن عليهم من يعذبهم بضرب الجزية والإهانة وسبي النساء إلى آخر الدهر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على من تاب وأناب ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقناهم في البلاد فلا تجتمع كلمتهم مفعول ثان؛ لأن القطع بمعنى التصيير ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ صفة أمم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ[2]﴾ منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما كانوا فيه ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد ذلك الجيل الذي فيهم الصالح والطالح ﴿خَلْفٌ﴾ والخلف بسكون العين البدل السوء ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة من أسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ أي: حطام هذه الدنيا الحقير كالرشوة في تبديل حكم الله والجملة حال من فاعل ورثوا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ

---

(١) يعني لقوله: "وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس" وقيل المسخ معنوي لا صوري والعذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولا ثم كان المسخ آخرًا/١منه.

(٢) فدون مرفوع بأنه صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ ومنهم خبره/١٢منه.

لَنَا﴾ الفعل مسند إلى الجار والمجرور ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: يرجون المغفرة والحال أنهم مصرون على الذنب عائدون على مثله. عن السدي كان بعضهم يطعن في حكامهم بأخذ الرشوة فإذا جعل مكان حاكمهم من يطعن بأخذ الرشوة هو أيضًا يأخذ فحاصله وإن يأت الآخرين عرض مثله يأخذوه ﴿أَلَمْ[1] يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي: في التوراة ﴿أَنْ لا يَقُولُوا﴾ أي: بأن لا يقولوا أو عطف بيان لميثاق ﴿عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ[2] وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ فهم ذاكرون لهذا الميثاق عطف على ألم يؤخذ ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لا للذين يخالفون أمر الله تعالى فإن مصيرهم إلى النار ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلموا ذلك ويرتدعوا عما هم فيه ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ اعتصموا بكتابهم فآمنوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ﴾ خبر الذين يمسكون ﴿أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ[3]﴾ أي: أجرهم لإصلاحهم ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ رفعنا ﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ الظلة: كل ما أظلك ﴿وَظَنُّوا﴾ تيقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم إن خالفوا وقلنا لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد في العمل به ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ فاعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كي تتقوا عن القبائح وذلك أنهم أبوا قبول أحكام التوراة فرفع الطور فوقهم وقيل لهم: إن قبلتم وإلا ليقعن عليهم فسجدوا وقبلوا.

---

(١) أي: أخذ عليهم الميثاق ودرسوا وليس من عطف الإخبار على الإنشاء؛ لأن الهمزة للإنكار لا لمحض الاستفهام/١٢منه.

(٢) استثناء منقطع البتة/١٢منه.

(٣) إشارة إلى أنه من باب وضع المظهر موضع المضمر، ولذلك لا يحتاج إلى ضمير المبتدأ فإن المصلحين هم الذين تمسكوا بالكتاب وجاز أن يكون والذين عطفًا على للذين يتقون وقوله إنا لا نضيع اعتراض/١٢منه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ
تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ
ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ
أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء(١) في

---

(١) والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعًا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وموقوفًا على غير واحد من =

الترتيب ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أشهد بعضهم على بعض ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا[(١)]﴾ قال بعضهم: شهدنا قول الملائكة لا قول بني آدم وهو أنه قال الله تعالى للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا شهدنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كراهة أن تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ أي: عن إنك ربنا ﴿غَافِلِينَ﴾ لم ننبه عليه ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية وأرسلنا الرسل بذكرهم العهد فلا يكون لهم عذر ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ عطف على أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل زماننا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الآباء المبطلون بتأسيس الشرك. اعلم أن الأحاديث الصحاح الدالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس[(*)] وابن عمر[(**)] -رضي الله عنهم- كما حققه الثقات من المحدثين

= الصحابة ولا ملجئ للمصير إلى المجاز وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل/١٢ف، واختلف الناس في كيفية الاستخراج على أقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله تعالى كما ورد في الصحيح قال المقبلي في الأبحاث ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك/١٢فتح.

(١) أي: على أنفسنا بأنك ربنا واختلفوا في الإجابة هذه كيف كانت أجابوا بلسان المقال أم أجابوه بلسان الحال والظاهر الأول، ونكل علم كيفيتها إلى الله سبحانه/١٢فتح، والظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم، وأما أن الأرواح أين رجعت بعد رد الذريات إلى ظهره فهذه مسألة غامضة لا يتطرق إليها النظر بأكثر من أن يقال: رجعت كما كانت عليه قبل حلولها في الذرات والحق أن كل ما لم يرد فيه نص من كتاب والسنة فإطوائه على غرة أولى وترك الخوض فيه أحرى/١٢فتح.

(*) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٥٩) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير واللالكائي في "السنة"]

(**) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/٢٦١) وعزاه إلى ابن جرير وابن منده في "كتاب الرد على الجهمية".

ووافقهما أكثر السلف والخلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم وقال بعض السلف والخلف[1]: المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد ولظهورها صارت بمنزلة أنه قيل لهم: "ألست بربكم قالوا بلى" وأنت تعلم أن ابن عباس حبر الأمة وأعلم الناس بمعاني القرآن[2] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ لفوائد جمة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكي يرجعوا عن اتباع الأصل.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ[3]﴾ على اليهود أو على قومك ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ من الآيات بأن أعرض وكفر ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ لحقه وأدركه ﴿فَكَانَ مِنَ

---

(١) اعلم أن المتأخرين عدلوا عن تفسير الصحابة وعن ما يدل عليه الأحاديث الذي لا يمكن رده وعن ظاهر القرآن لشيئين: الأول أن لو كان المراد ما قالوا لكان المناسب أن يقال: وإذ أخذ ربك من آدم من ظهره الثاني: أنه تعالى جعل علة أخذ العهد هي أن لا يقولوا في القيامة إنا غافلون عن ربوبيتك وإذا كان كذلك فالواجب أن لا ينسيهم الله هذا العهد حتى يكون له فائدة، وإلا فهو كأن لم يكن وقد أشرنا إلى دفع الإشكال الثاني بقولنا ولذلك نصبنا الأدلة على الربوبية.إلخ فلا تغفل وأما الجواب عن الأول فهو أن الله أخرج من نفس آدم أولاده الذين من صلبه ثم من أولاده أولادهم وهكذا إلى أن أخرج جميع بني آدم فأخذ منهم الميثاق ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم وهل لمؤمن أن يعتقد تضييقًا في قدرة الله تعالى ففي الصحيحين أنه يقال لرجل من أهل النار: أرأيت لو كان لك جميع الدنيا أكنت مفتديًا به يقول: نعم فيقال: قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت أن لا تشرك بي/١٢منه.

(٢) مع أن التمثيل بمثل تلك العبارة والحكاية لم يقع في كلام الله ولا في كلام البلغاء/١٢وجيز.

(٣) ولما ذكر لأهل الكتاب الميثاق الخاص الذي في كتابهم واتبعه الميثاق العام لهم ولغيرهم أمر نبيه أن يتلو عليهم حال من انسلخ من الميثاقين كيف أسقطه من ديوان =

﴿الْغَاوِينَ﴾ صار من الضالين[1] هو رجل من بني إسرائيل والأكثرون على أنه[2] بلعم بن باعوراء[*] عالم باسم الله الأعظم سألوا عنه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى[3] ثم ألحوا فألحوا وجاءوه بالرشوة فقبل فدعا عليهم فقبل الله ثم دعا موسى عليه فترع عنه الإيمان والاسم الأعظم، وقال بعضهم: ما يسر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم: أخرجوا النساء تستقبلهم فعسى أن يزنوا ففعلوا فوقع واحد من بني إسرائيل في الزنا فترل عليهم الطاعون فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحسب من هلك في الطاعون في ساعة من النهار فوجدوا سبعين ألفًا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى الدرجات العلى ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا وزخارفها فإن جميع زخارفها من الأرض ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في أخذ الرشوة والإعراض عن أمر الله تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ في أخس أحواله وهو ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ إن شد عليه فطرد ﴿يَلْهَثْ[4]﴾: هو إخراج الكلب اللسان ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ غير متعرض له بالزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ قد نقل: إن بلعم لما دعا عليهم اندلع لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب أو مثله في أنه إن وعظته أو تركته فهو على

= السعداء بعد أن كان معدودًا في زمرة الأبرار الأخيار فقال: "واتل عليهم" الآية/١٢ وجيز.

(١) بعد أن كان من الهادين المهديين/١٢وجيز.

(٢) صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقد صح عن عبدالله بن عمر أن المراد منه أمية بن أبي الصلت فقيل مراد ابن عمر أنه يشبهه في كثرة علمه وتلقيه كتب الأوائل ومع ذلك إلى موالاة المشركين ومناصرتهم/١٢منه.

(*) وفي حاشية النسخة: رجل كنعاني/ ١٢ وجيز.

(٣) كذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم/١٢منه.

(٤) اللهث التنفس بسرعة وتحرك أطراف الفم مع امتداد اللسان/١٢وجيز.

الضلال كالكلب في لهثته في الحالتين أو إن قلب الكافر ضعيف كالكلب فإن لهث الكلب من ضعف قلبه ولا يلهث سائر الحيوان إلا في حال إعياء أو عطش **﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ[1]﴾** المذكور على اليهود أو على كفار مكة **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** فيعلموا أنها شابهت قصتهم وحالهم فيتعظوا[2] **﴿سَاءَ مَثَلا الْقَوْمُ﴾** أي: مثل القوم على حذف المضاف **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾** أي: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فتقديم المفعول للتخصيص **﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾** والاهتداء من أعظم الصفات **﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** والإفراد في الأول والجمع في الثاني إشارة إلى أن طريق الهدى واحد فهم كرجل واحد وأنواع الضلال مختلفة متكثرة **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا[3]﴾** خلقنا **﴿لِجَهَنَّمَ﴾** اللام للعاقبة **﴿كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾** وهم الذين حقت عليهم كلمة الشقاوة **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾** أي: لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي خلقها الله للاهتداء **﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾** في عدم فقه معرفة الحق والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر بل صرفوا مشاعرهم وقصروها في أسباب التعيش **﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾** فإن الدواب تفعل ما خلقت له إما بالطبع وإما بالتسخير وترتدع عن مضارها بخلاف الكافر فإنه خلق ليعبد الله وهو يعبد الشيطان ويعلم بعضهم أنه يضره ويرتكبه عنادًا **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** أشد غفلة لا

---

(١) أي: القصة المذكورة عليهم/١٢.

(٢) فإن الله تعالى أعطاهم النعم ما لم يعط أحدًا ميزهم بالعلم وأنزل عليهم الكتب وجعل فيهم الأنبياء فيعرفون محمدًا كما يعرفون أبناءهم فلو مالوا إلى الأرض لأحل الله عليهم ذل الدنيا والآخرة/١٢منه.

(٣) ولما علم من القصص أن أكثر الخلق هالك صرح بذلك مقسمًا؛ لأنه لا يكاد يصدق أن الإنسان أضل من البهائم قال "ولقد ذرأنا" الآية/١٢وجيز.

غفلة بعد ﴿وَلِلَّهِ[1] الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[2]﴾ هي أحسن الأسماء دالة على أحسن المعاني وليست منحصرة في التسعة والتسعين[3] ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ سموه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُوا[4]

---

(١) ولما ذكر حكاية بلعم وهو كان عالمًا بالاسم الأعظم ثم بين لنا علامة من هو مخلوق لجهنم وختم بكمال غفلتهم نبهنا أن لا نكون من الغافلين فقال: "ولله الأسماء الحسنى"/١٢.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء مدرج في هذا الحديث يعني حديث الترمذي الذي سرد فيه الأسماء وأنهم جمعوها من القرآن/١٢فتح.

(٣) كما ورد: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك"/١٢وجيز، ومنه الحديث رواه أحمد في مسنده وأخرج أبو حاتم وابن حبان في صحيحه بمثله/١٢فتح.[وقال الشيخ أحمد شاكر في "تعليقه على المسند" (٣٤١٢): إسناده صحيح].

(٤) قوله تعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائه" من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة والمتكلمين المتفلسفين الذين يجعلون الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني تخالف لغة العرب وتناقض ثبوت الصفات فهؤلاء عمدوا إلى لفظ الغنى والقديم والواجب بنفسه فصاروا يجعلونها تدل على معاني وتستلزم معاني تناقض شيء من الصفات وتوسع في التعبير ثم ظنوا أن هذا الذي فعلوه موجب الأدلة غلط منهم فموجب الأدلة العقلية لا تتلقى عن مجرد التعبير وموجب الأدلة السمعية تتلقى من عرف التكلم بالخطاب لا من الوضع للأحداث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني بل هذا من فعل أهل الإلحاد المفترين، فإن هؤلاء عمدوا إلى معاني ظنوها ثابتة فجعلوها هي معنى الوحدة والوجوب والغنى والقدم ونفي المثل، ثم عمدوا إلى ما جاء في القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغني ونحو ذلك من نفي المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء، وهذا من أعظم الافتراء على الله وكذلك فعل من فعل =

....

= بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيبويه وبقراط؛ لفسد ما ذكروه من النحو والطب ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، لفسد العلم بذلك ولكان ملبوسًا عليهم فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته ومن شركهم في بعض ذلك مثل قول من يقول: الواحد هو الذي لا ينقسم ومعنى قوله لا ينقسم أي: لا يتميز منه شيء عن شيء ويقول: لا تقوم به صفة ثم زعموا أن الأحد والواحد في القرآن يراد به هذا ومعلوم أن كل ما في القرآن من اسم الواحد والأحد كقوله تعالى: "وإن كانت واحدة فلها النصف" (النساء:١١)، وقوله: "قالت إحداهما يا أبت استأجره" (القصص: ٢٦)، وقوله: "ولم يكن كفوا أحد" (الإخلاص:٤)، وقوله: "وإن أحد من المشركين استجارك" (التوبة:٦)، وقوله: "ذرني ومن خلقت وحيدا" (المدثر:١١)، وأمثال ذلك يناقض ما ذكروه فإن هذه الأسماء أطلقت على قائم بنفسه مشار إليه يتميز منه شيء عن شيء وهو الذي يسمونه في اصطلاحهم جسمًا، وكذلك إذا قالوا الموصوفات تتماثل أو الأجسام تتماثل أو الجواهر تتماثل وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثله شيء" (الشورى:١١)، على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث كان هذا افتراء على القرآن فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب لا لغة القرآن ولا غيرها، قال تعالى: "وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" (محمد:٣٨)، فنفى مماثلة هؤلاء لهؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية فكيف يقال: إن لغة العرب توجب أن كل ما يشار إليه مثل لكل ما يشار إليه وقال تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد" (الفجر:٧،٨)، فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد فكيف يقال، إن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة العرب حتى يحمل على ذلك قوله "ليس كمثله شيء" وقد قال شاعر العرب:

ليس كمثل الفتى زهير.

وقال الآخر: ما إن كمثلهم في الناس من بشر

﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على آلهتهم بزيادة ونقصان كاللات من الله والمنات من المنان والعزى من العزيز وقيل الإلحاد فيها تسميته بما لم يرد في الكتاب ولا في السنة كيا سخي ويا مكار، ويا عاقل ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الإلحاد ﴿وَمِمَّنْ[1] خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يقولونه ويدعون إليه ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يعملون ويقضون وهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان إلى يوم الدين وهذه صفة من ذرأ للجنة كما وصف من ذرأ لجهنم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى

= ولم يقصد هذا أن ينفي وجود جسم من الأجسام، وكذلك لفظ التشابه ليس هو التماثل في اللغة قال تعالى: "وأتوا به متشابهًا" (البقرة:٢٥)، وقال تعالى: "متشابها وغير متشابه" (الأنعام:١٤١)، ولم يرد به شيئًا هو مماثل في اللغة، وليس المراد هنا كون الجواهر متماثلا في العقل أو ليست متماثلة فإن هذا مبسوط في موضعه، بل المراد أن أهل اللغة التي بها نزل القرآن لا يجعلون مجرد هذا موجبًا لإطلاق اسم المثل ولا يجعلون نفي المثل نفيًا لهذا فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن/١٢، هذا ما قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام قدس الله روحه في بعض رسائله.

(١) ولما قال: "ولقد ذرأنا لجهنم" قال في مقابله: "وممن خلقنا أمة يهدون" الآية/١٢ وجيز.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقربهم إلى الهلاك والعذاب قليلا قليلا ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ كلما جددوا معصية جددنا لهم وأسبغنا عليهم النعم وننسيهم الشكر والاستدراج[1] الاستصعاد أو الاستنزال درجة درجة ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ليزدادوا ضلالا بعد ضلال ﴿إِنَّ كَيْدِي[2] مَتِينٌ﴾ مكري شديد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا[3]﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ أي: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿مِنْ جِنَّةٍ[4]﴾ جنون نزلت[5] حين علا عليه الصلاة والسلام الصفا فدعاهم يحذر فقال قائل منهم: إن صاحبكم مجنون بات يهوت إلى الصباح ﴿إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنذاره ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ربوبيتها وملكها وقيل

---

(١) من الدرجة وذلك؛ لأن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة/١٢منه.

(٢) ولذلك لما قيل لحكيم فلان عدوك قال: اللهم طول عمره وزد ماله، ولما أمر في هذه السورة بالتوحيد، وعن مُرَّة: عندهم الآمر بترك الطريقة القديمة مجنون سيما إذا قال كثرة النعمة وطول العمر مصيبة أمر بتفكرهم في أن يعلموا أنه ليس بمجنون فقال: "أو لم يتفكروا"/١٢وجيز.

(٣) في الاستفهام معنى التحريض مع شيء من التوبيخ/١٢وجيز.

(٤) حاصله أو لم يعملوا الفكر ليعلموا ما بصاحبهم من جنة وعدم إعمال الفكر في الأمور علامة الجنون سيما إذا انضم إليه التكلم بقضية ظاهر نقيضها على كل عاقل/١٢وجيز.

(٥) قاله قتادة/١٢.

عجائبها والتاء فيه للمبالغة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيما يقع عليه اسما لشيء ففي كل شيء له آية ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم ليسارعوا إلى ما ينجيهم من العذاب واسم كان ضمير الشأن ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إن لم يؤمنوا به وليس بعد هذا البيان حديث آخر ينتظر وروده ليؤمنوا به ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ حال من هم ومن قرأ ويذرهم بالياء والجزم فعطل على محل فلا هادي.

﴿يَسْأَلُونَكَ[1] عَنِ السَّاعَةِ﴾ أي: القيامة ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا[2]﴾ متى يكون، وأي وقت إثباتها؟ نزلت في قريش يسألون وقتها استبعادًا لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ﴾ أي: لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو أي: الخفاء به مستمر إلى وقت الوقوع واللام للتأنيث كقولهم كتب لثلاث من رجب ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عظمت وشقت[3] على أهل السماوات والأرض لهولها أو ثقلت[4] عليهما عند الوقوع حتى انشقت وانهدمت، أو ثقل[5] علمها وخفاؤها على أهلهما وعلى الوجوه كلمة في استعارة منبهة على تمكن الثقل، أو معناه خفيت في السماوات والأرض لا يعلمها شيء وكل خفي ثقيل ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾ فجأة على غفلة ونصبه على المصدر فإنها نوع من الإتيان ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالم بها

---

(١) ولما قال قد اقترب أجلهم وما هذا إلا تخويفهم من الساعة فقد سألوا منها فقال: "يسألونك" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) رُسُوُّ الشيء ثباته واستقراره/١٢منه.

(٣) نقله ابن جرير عن ابن عباس واختاره من بين الأقوال/١٢منه.

(٤) قول ابن عباس وابن جريج/١٢.

(٥) قاله ابن نجيح والضحاك وقد روى عن ابن عباس/١٢منه.

من حفى[1] عن الشيء بالغ في السؤال عنه، والمبالغة في السؤال مستلزم للعلم أطلق الحفي وأريد العالم، أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت، أو عنها متعلق بيسألونك أي: يسألونك عنها كأنك شفيق بهم من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشًا[2] قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة، وكأنك في موقع الحال أي: مشبها حالك بحال الحفي ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يطلع عليه أحد كرره تأكيدًا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها[3] مختص بالله ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ أي: جلب نفع ولا دفع ضر ﴿إِلا مَا شَاءَ[4] اللَّهُ﴾ أي: لكن ما شاء يصل فمنقطع أو إلا نفعًا وضرًا يملكني الله ويوفقني به فمتصل ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ أي: لكانت حالي من استكثار الخير واستفراز[5] المنافع واجتناب السوء على خلاف ما هي عليه، فلم أكن غالبًا مرة ومغلوبًا أخرى، ورابحًا وخاسرًا في التجارة ﴿إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة لهم فإنهم المنتفعون بهما، أو ما أنا إلا نذير

---

(١) الأول أن حفى مجاز عن العلم والوجه الثاني أنه مستعمل في معناه الحقيقي فلا تغفل/١٢منه.

(٢) رواه قتادة وغيره/١٢.

(٣) لما اختص علم الساعة بأنه لا يعلمها إلا هو ربما ظن ظان أنه -صلى الله عليه وسلم- عالم بها لما يلقى إليه من الغيب فرفع الظن وقال: "قل لا أملك" الآية/ ١٢وجيز.

(٤) هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي: أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني/١٢مدارك، وهو إظهار للعبودية والتبرء عن ادعاء العلم بالغيوب/١٢بيضاوي.

(٥) الاستكثار/١٢منه.

للكافرين وبشير للمؤمنين فمتعلق النذير محذوف، ونزلت حين قالت قريش: ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشتري وتربح والأرض التي تريد أن تجدب فترتحل[1] إلى المخصبة.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ
شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ
شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ
صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟
شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ
يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ
وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) ولما ذكر من أول السورة إلى هذه الآية التي هي قريب من آخرها القصص والأمثال والأحكام في المهتدين والضالين وكل من القسمين أصناف مختلف بعضهم في ثبوت ورسوخ من حالهم وبعضهم في تزلزل وتقلب أخذ يبين أن هذا تقدير خالقكم من ابتداء خلقكم ولذلك يكون إلى الانتهاء فقال: "هو الذي"/١٢ وجيز.

ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم
مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ
تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا
بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا
وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَۤ ۩
﴿٢٠٦﴾﴾

﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ آدم ﴿**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ خلق من ضلع آدم حواء ﴿**لِيَسْكُنَ**﴾ ليطمئن ﴿**إِلَيْهَا**﴾ ويأنس بها فإنها جزءه ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا**﴾ جامعها ﴿**حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا**﴾ عليها يعني النطفة ﴿**فَمَرَّتْ بِهِ**﴾ استمرت به أو قامت وقعدت بالحمل لخفته ﴿**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ**﴾ صارت ذات ثقل لكبر الولد ﴿**دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا**﴾ بشرا سويًا فإنهما أشفقا أن يكون بهيمة ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ لك ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ**[1] **فِيمَا آتَاهُمَا**﴾ لما حملت حواء جاءها إبليس في غير صورته وقال: هذا الذي في بطنك ربما يكون بهيمة، وهل تدري من أين يخرج فخوفها مرارًا كثيرة ثم قال: لي عند الله منزلة وإن دعوت أن يخرج سالمًا سويًا أتسميه عبدالحارث وهذا اسم إبليس في الملائكة، فلم يزل بها حتى غرها فسمته عبدالحارث بإذن من آدم و لم تعرف حواء أنه إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن

---

(١) قال قتادة أشركا في الاسم و لم يشركا في العبادة/١٢الباب.

عباس -رضي الله عنهما- وكثير من السلف[1] والخلف، وهذا ليس بشرك حقيقي لأنهما ما اعتقدا أن الحارث ربه بل قصدا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركًا للتغليظ ويكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**[2]﴾ فإن الأولى بهما أن لا يفعلا ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وعن الحسن البصري رحمه الله يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا، وعلى هذا تقدير الآية جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهما فسموه عبدشمس وعبدمناف وغيرهما، فحذف المضاف وهو الأولاد وأقيم المضاف إليه مقامه، وقوله: "شركاء" و"تعالى الله عما يشركون" بلفظ الجمع[3] يدل عليه قيل معناه هو

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثًا مرفوعًا يدل على ما نقلناه عن ابن عباس لكن في رواة الكل نوع ضعف هكذا قال المحدثون/١٢منه وفي الفتح حسنه الترمذي وصححه الحاكم/١٢.[وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن الترمذي"]

(٢) أيِّ: شرك كان/١٢.

(٣) قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى متخالفة في المبنى ولا يخلو كل واحد منها من بعد وضعف وتكلف بوجوه: الأول أن الحديث المرفوع المتقدم يدفعه وليس في واحد من تلكم الأقوال قول مرفوع حتى يعتمد عليه ويصير إليه بل هي تفاسير بالآراء المنهي عنها المتوعد عليها. الثاني: أن فيه انخرام نظم الكلام سياقًا وسباقا.الثالث: أن الحديث صرح بأن صاحبة القصة هي حواء وقوله: "جعل منها زوجها" إنما هو لحواء دون غيرها، والقصة ثابتة ولا وجه لإنكارها بالرأي لمحض. الرابع: إن الحديث ليس فيه إلا ذكر حواء وكان هذا شركًا منها في التسمية، ولم يكن شركا في العبادة، قيل: والشرك في التسمية أهون قلت: وفيه بعد ظاهر؛ لأن الله تعالى ساق آيات التشنيع عليها وهو شرك وإن لم يكن في العبادة، وما قيل إنها إنما قصدت أن الحارث كان سبب نجاة الولد كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفه فهو =

الذي خلق آل قصي وهم قريش من نفس واحدة وهو قصي فجعل من جنسها زوجها عربية قرشية فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد المناف وعبد العزي وعبد القصي وعبد الدار وقيل تم الكلام عند قوله آتاهما ثم ذكر كفار مكة فقال: "تعالى الله عما يشركون" ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ ابتداء كلام وإنكار على المشركين ﴿مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ كالأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ مخلوقون لله جيء بضمير العاقلين بناء على اعتقادهم وتسميتهم إلها ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لِعُبَّادهم ﴿نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ لا يقدرون على دفع مكروه كمن أراد كسرهم ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام أو المشركين ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى أن يهدوكم أو إلى الإسلام ﴿لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إلى مرادكم ولا يجيبوكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ أي: سواء إحداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمت عن دعائهم فإن الكفار إذا نزل عليهم أمر دعوا[1] الله تعالى دون الأصنام.

= خطأ؛ لأن الأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني، وكان اسم أبي بكر الصديق في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي -صلى الله عليه وسلم- سماهما صديقًا وعبد الرحمن وما قيل: إنها سمته بعبدالحارث بإذن من آدم فهذا يحتاج إلى دليل يدل عليه ويصح وأنى له الدليل ولعلها سمته بغير إذن منه ثم تابت من ذلك والحاصل أن ما وقع إنما وقع من حواء لا من آدم عليه السلام، ولم يشرك آدم قط وعلى هذا في الآية إشكال والذهاب إلى ما ذكرناه متعين تبعًا للكتاب والحديث وصونا لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى والذي ذكروه في تأويل هذه الآية الكريمة يرده كله ظاهرُ الكتاب والسنة كما تقدم وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله أعلم/١٢فتح.

(١) فعادتهم المستمرة وطبيعتهم أنهم صامتون عن دعوة أصنامهم وليست دعوة الأصنام إلا بحسب هواهم المحدث لأجل بيان هذه الفائدة عدل إلى الجملة الاسمية فقال: "أم أنتم =

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ مملوكون مسخرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على إنجاح سؤال سائل ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إنهم آلهة ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ هذا بيان لقصور معبودهم عن عبادهم كأنه قال: عباد أمثالكم بل أنتم أكمل ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ﴾ يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ ثم بالغوا أنتم وشركاؤكم في مكروهي ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ لا تمهلوني فإني لا أعبأ بكم ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يلي أمرهم وينصرهم ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ دون الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف أخاف ذاك العابد وذاك المعبود ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ أي: ما هو صلاحهم أو إلى أن يهدوكم ﴿لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: كأنهم ينظرون فإنهم نحتوها مصورين بالعين والأنف والأذن ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنهم لا يقدرون إيجاد النور في أعين أصنامهم أو ضمير تدعوهم وتراهم إلى المشركين لقوله تعالى: "صم بكم عمي"(البقرة:١٨) ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من أخلاق الناس من غير تجسس كقبول أعذارهم والمساهلة معهم وقد ورد[1] أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا يا جبريل قال: إن الله تعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من

= صامتون" ولم يقل أم صمتم كأنه قيل لم يفرق الحال بين إحداثكم دعائهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم عند الحاجة والشدائد/١٢منه ووجيز.

(١) رواه ابن مردويه عن سعد بن عبادة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى ابن جرير وابن أبي حاتم مرسلا/١٢منه.[وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/٢٨٠) وعزاه لابن أبي الدنيا وابن جرير ولبن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي].

قطعك" أو خذ الفضل وما تسهَّل به من أموالهم وذلك قبل وجوب[1] الزكاة ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ لا تقابل السفه بالسفه ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ نزغه إذا طعنه وكأن الشيطان يطعن حين يغري الناس إلى المعاصي وحاصله إذا عرض لك منه أدنى وسوسة تصدك عن الإعراض عن الجهال ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فإنه الملجأ أو المنجى ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالدعاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمصالح وبأحوال الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكبائر ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ لمة ووسوسة من طاف به الخيال يطيف أو من طاف يطوف ومن قرأ طيف فهو مصدر، أو تخفيف طيف كلين من لان يلين أو كهين من هان يهون ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ وعيد الله ووعده ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فأنابوا لا كالكفار العمي ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: الكفرة فإنهم إخوان[2] الشياطين وأتى بضمير الجمع للشيطان؛ لأن المراد منه الجنس ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للشياطين أي: يكون الشياطين مددًا لهم ﴿فِي الْغَيِّ﴾ أو المراد من الإخوان الشياطين وضمير إخوانهم للجاهلين أي: شياطينهم يكونون مددًا لهم ﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ لا يمسكون على إغوائهم، أو الضمير للكفرة أي: لا يكفون عن الغي أو الضمير للكفرة[3] والشياطين جميعًا أي لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ من القرآن أو معجزة اقترحوها ﴿قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اختلقتها من قبل نفسك قيل: كانوا يسألون الآيات تعنتًا فإذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها وأنشأتها من نفسك، أو معناها لم لا تجهد نفسك في طلب الآيات من الله

---

(١) فإنه لما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعًا وكرها/١٢منه.

(٢) قال الله تعالى: "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"/١٢منه.

(٣) هو قول ابن عباس والسدي /١٢.

تعالى حتى نراها ونؤمن بها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لست بمختلق أو إن منعها لا أسألها إلا بإذنه ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ للقلوب بها تبصر الحق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فلو كان لكم بصيرة لكفاكم القرآن آية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا[1] لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأصح أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة[2] أو ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها ولاشك أنه يستحب

---

(١) أي عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الإمام في الجهرية للإجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر في غير الصلاة مع أن الإمام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم/١٢تبصير الرحمن.

(٢) كذا قاله ابن عباس وابن مسعود وأبو هريرة وجماعة لا تحصى من السلف قال مجاهد: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وجماهير السلف أن المراد بذلك في الصلاة/١٢منه، واختلف العلماء في القراءة خلف الإمام فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الأوزاعي وإليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه القراءة، ولا يقرأ فيما جهر الإمام فيه يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر الإمام يروى ذلك عن جابر وإليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام هذه الآية، وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية أن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام، فحملنا مدلول الآية على الصلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على الصلاة السرية جمعًا بين دلائل الكتاب والسنة، وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية قال: الآية واردة في غير الفاتحة؛ لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يفرق بين السرية والجهرية، قالوا: وإذا قرأ الفاتحة خلف الإمام فيتتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة، ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل
=

الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقًا ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أمر بذكره أول النهار وآخره ﴿تَضَرُّعًا﴾ متضرعًا ﴿وَخِيفَةً﴾ خائفًا ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾

= عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال: صلى رسول الله صلى عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: "أراكم تقرءون وراء إمامكم قال قلت: يا رسول الله أي والله. قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها" أخرجه الترمذي بطوله وفي الصحيحين أقصر منه: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"، وروي مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج" يقولها ثلاثا غير تمام. فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام قال: اقرأ بها في نفسك/ لباب التأويل المعروف بالخازن. وقال الرازي لا حجة لمانعي القراءة في الآية لأن الخطاب فيها مع الكفار؛ لأنهم طلبوا معجزة فبين تعالى أن القرآن بصائر وهدى لو استمعوا له وأنصتوا حتى يفقهوا فصاحته وعلومه الكثيرة الدالة على صدق محمد -صلى الله عليه وسلم- ولو قلنا إن المراد منه قراءة المأموم خلف الإمام لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلق بوجه من الوجوه، وانقطع النظم وحصل فساد الترتيب، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى فوجب أن يكون المراد منه شيئًا آخر سوى هذا الوجه، وعند هذا يسقط استدلال الخصوم بهذه الآية من كل الوجوه ومما يقوى أن حمل الآية على ما ذكرناه أولى وجوه: الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم قالوا: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون"(فصلت:٢٦) فلما حكى عنهم ذلك ناسب أن يأمرهم بالاستماع والسكوت حتى يمكنهم الوقوف على ما في القرآن إلى آخر ما بين الوجوه وللقوم في المسألة كلام مشبع ورسائل متفرقة ردًّا وإثباتًا من شاء تفاصيل المسألة فليرجع إليها وذكر دلائل المسألة في هذا المقام أزيد مما بينا يوجب السآمة ويشغل عن أصل المراد منه:

فدع عنك نهبا صيح في حجراته! وهات حديثًا ما حديث الرواحل/١٢.

وهو كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- أن تسمع نفسك دون غيرك **﴿بِالْغُدُوِّ[1] وَالْآصَالِ﴾** بهذين[2] الوقتين لفضلهما **﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾** عن ذكره وهذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء والآية مكية وأما حمل الآية على غير هذا المعنى فبعيد، ولا يساعده نقل سديد **﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾** أي: الملائكة المقربين **﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾** ينزهونه **﴿وَلَهُ﴾** لا لغيره **﴿يَسْجُدُونَ﴾** لا يشركون بالعبادة غير الله تعالى أي: هم مع كونهم آمنين من سوء العاقبة وعذابه متوجهون إلى الله تعالى دائمًا فأنتم مع خوفكم تتمادون في الغفلة وتعبدون غيره وهذه أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع.

والحمد لله حق حمده..

---

(١) الغدوة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والأصيل الوقت من بعد العصر إلى المغرب/١٢فتح.

(٢) والغدو جمع الغدوة والآصال جمع أصيل العشاء/١٢.

فهرس سور المجلد الأول

جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

الإيجي الشيرازي الشافعي

المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي

المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الثاني

المحتوى:

من أول سورة الأنفال - إلى آخر سورة طه

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

سورة الأنفال مدنية

وهي خمس وسبعون آية وعشر ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ
بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ
رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى
ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ
إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ
وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ
لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾ أي: حكم الغنائم نزلت[1] حين اختلف كلام الشبان

---

(١) رواه الترمذي والحاكم، وقالا: حسن صحيح، وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن حبان/١٢منه [صححه الشيخ الألباني فى "صحيح الترمذى" (٢٤٦٠)].

والشيوخ في غنائم بدر، والشبان ادعوا الأحقية بأهم باشروا القتال ﴿قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: فيضعها الرسول حيث يأمره الله، ولذلك قسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غنائم بدر بين الشبان والشيوخ على السواء، وعن بعض: إن هذا في بدر ثم نسخت بقوله: "واعلموا أنما غنمتم" إلى آخره، فإن غنائم بدر قسمت من غير تخميس وفيه نظر؛ لأن بعض الأحاديث يدل على تخميسها[1] صريحًا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في الاختلاف ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال[2] التي بينكم بترك المنازعة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن من مقتضى الإيمان طاعة الله ورسوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾: بأن سمعوا الأذان والإقامة ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: من الله[3] فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: لا يرجون غيره، وإن سألوا غيره، فإنهم يعلمون أنه المعطي والمانع ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: يديمونها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: يؤدون الصدقة الواجبة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: صدقًا من غير شك، صفة مصدر محذوف أي: إيمانًا حقًا، أو مصدر مؤكد، بخلاف المنافق، فإنه لا يدخل في قلبه شيء من ذكر الله تعالى عند الصلوات، ولا يصدقون بآيات الله تعالى كلما نزلت، فلا يزداد إيمانهم،

---

(١) كحديث علي بن أبي طالب في شارفيه اللذيْن حصلا له من الخمس يوم بدر/١٢منه [أخرجه البخارى فى "فرض الخمس" (٣٠٩١)، ومسلم فى "الأشربة" (٦٥٨/٤)ط الشعب].

(٢) لما كانت الأحوال ملابسة للبين، قيل لها: ذات البين، كاسقني ذا إناءك، ونحو: ذات الصدور أي: مضمراتها/١٢منه.

(٣) قال السدي ومجاهد هو الرجل هم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه/١٢منه [ذكره الشيوطى فى "الدر المنثور" (٢٩٧/٣) وعزاه لابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ والبيهقى فى "شعب الإيمان"].

ولا يصلون إذا غابوا عن محضر المسلمين، ولا يؤدون الزكاة، فهم ليسوا بمؤمنين حقًا، هكذا فسرها ابن عباس -رضي الله عنهما-، أو معناها المؤمن الكامل الإيمان من ضم إلى مكارم أعمال قلبه من الخشية عند ذكر الله تعالى من الإخلاص، واطمئنان النفس ورسوخ اليقين، ومن التوكل عليه في جميع الأمور، محاسن أفعال الجوارح، من الصدقة والصلاة **﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾** : من الجنة **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** يرتقونها بأعمالهم لا للمنافقين **﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾** لسيئاتهم **﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[١]﴾** : حسن، وهو رزق الجنة.

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الحال في كراهتهم القتال كحال إخراجك من المدينة، أو متعلق بما بعده، وهو يجادلونك[٢] ومعنى الوجهين واحد، أو تقديره: حالهم في كراهة حكمنا بأن الأنفال لله تعالى كحالهم في حكمنا بإخراجك من المدينة **﴿بِالْحَقِّ﴾** أي: إخراجًا متلبسًا بالحكمة والصواب **﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** : بعضًا منهم **﴿لَكَارِهُونَ﴾** : الخروج و حينئذ الجملة في موقع الحال، وذلك أن عير قريش أقبلت[٣] من الشام في تجارة عظيمة، فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عقبهم، فبلغ الخبر أهل مكة، فخرج أبو جهل مع عسكر عظيم، فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القتال ووعد الأصحاب بالظفر فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، ثم واجهوا العدو وقاتلوا في بدر، والظفر للمسلمين **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾** : وهو إيثار الجهاد **﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾** : نصرتهم بإعلام رسول

---

(١) لما تقدمت ثلاث صفات: قلبية وبدنية ومالية، رتب عليه ثلاثة أشياء فقوبلت القلبية بالدرجات والرفعة، والبدنية بغفران الذنوب التي ارتكبتها الجوارح، والمالية بالرزق الكريم من مستلذات الجنة/١٢وجيز.

(٢) أي: يجادلونك في إيثارك الجهاد جدالا مثل جدالهم حين أخرجك ربك... إلخ/١٢منه.

(٣) كذا نقل ابن مردويه وابن أبي حاتم وغير واحد من الرواة/١٢منه [ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٢٩٩)].

الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يكرهون القتال كراهة من يجر إلى القتل، وهو مشاهد ناظر إلى أسبابه ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: اذكر إذ يعدكم ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ : العير التي فيها التجارة، أو النفير التي خرجت من مكة ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال من ثاني مفعوليه، وهو إحدى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي: العير التي ليس فيها عدد كثير ولا عُدَد ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ﴾ : أن يثبت ويظهر ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ : بأمره إياكم بالقتال، قيل الباء بمعنى مع أي: يرفع كلمة الله ويجعل دينه عاليًا غالبًا ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ الدابر: الآخر، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال، يعني إرادتكم إصابة مال بلا مكروه، وإرادة الله إعلاء كلمته، وفوز الدارين لكم ﴿لِيُحِقَّ(١) الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ متعلق بمحذوف أي: لهذين الجهتين فعلنا ما فعلنا أو متعلق بيقطع ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ : ذلك ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ : هو إلحاح دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- حين رأى شوكة الأعداء، وهو بدل من إذ يعدكم بأن يكون عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه والاستغاثة في بعض، أو متعلق بـ"ليحق" ﴿رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ(٢) لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ أي: بأني ومن قرأ "إني" بالكسر فعلى إرادة

(١) قوله "يريد الله" لبيان الفرق بين الإرادتين، وقوله: "ليحق الحق ويبطل الباطل"، لبيان أنه لم يفعل ما فعل إلا لهذا الغرض الصحيح، والحكمة الباهرة كقولك: أريد أن أكرمك، لإكرامك أنعمت عليك بما أنعمت، فلا تكرار بوجه/١٢.

(٢) هو إلحاح دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- حين رأى شوكة لأعدائه، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب، أن عدد المشركين يوم بدر ألف، وعدد المسلمين ثلاث مائة وسبعة عشر رجلا، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رأى ذلك استقبل القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، وآتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم =

القول، أو استجاب بمنزلة قال ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ : متتابعين بعضهم على إثر بعض، أو مردفين بألف آخر فقد نقل[1] عن علي رضي الله عنه-: إن جبريل في ألف عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم- وفيها أبو بكر وميكائيل في ألف عن ميسرته وأنا فيها، ومن قرأ بفتح الدال فمعناه أردف الله المسلمين بهم، أو أردف الله ألفًا بألف آخر وقد أنزل الله تعالى أولا ألفًا ثم ألفًا ثم ألفًا إلى خمسة آلاف كما ذكرناه في سورة آل عمران ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلا بُشْرَى﴾: بشارة ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ فيزول منها الوجل ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وإمداد الملائكة وكثرة العدد والعُدَد وسائط لا تأثير لها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ : لا يغالب ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ

= التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك"، فأنزل الله عز وجل هذه الآية/١٢[أخرجه مسلم فى "الجهاد" (٣/٣٧٤) ط الشعب].

(١) رواه بن جرير/١٢منه.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ
شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ : الله ﴿النُّعَاسَ﴾ بدل ثان من إذ يعدكم أو بإضمار اذكر ﴿أَمَنَةً﴾ : أمنا وهو مفعول له وفيه شرط[1] النصب؛ لأن حاصل معنى يغشيكم النعاس تنعسون والأمنة فعل لفاعله ﴿مِنْهُ﴾ أي: حاصلة من الله تعالى وهذه السِّنَة[2] في البدر أيضًا ففي الصحيح أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع الصديق يدعوان يوم بدر في العريش أخذته سنة ثم استيقظ متبسمًا وقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع، وعن علي[3] –رضي الله عنه– قال: لقد رأينا يوم بدر وما فينا إلا نائم إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي ويبكي حتى أصبح ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ : من الجنابة والحدث ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ

---

(١) وهو أن يتحد فاعله وفاعل عامله/١٢.

(٢) يعني حكاية النعاس في أحد مشهورة، وفي البدر على ما نقلناه من الصحيح فهو نعاس خاصة برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأما على ما نقل الحافظ أبو يعلى عن علي –رضي الله عنه– فالأمر ظاهر، وفي الجملة القرآن دال على أن النعاس في بدر أيضًا كما كان في أحد، إلا كما قال الواحدي في الوجيز/١٢منه[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١٣) وعزاه للبيهقى فى "الدلائل" من طريق عكرمة عن ابن عباس –رضى الله عنه].

(٣) رواه الحافظ أبو يعلى/١٢منه[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١٠) وعزاه لأبى يعلى والبيهقى فى "الدلائل"].

﴿الشَّيْطَانِ﴾: وسوسته، فإنهم في البدر نزلوا على غير الماء، فاحتلم[1] أكثرهم وقد غلب الكفار على الماء، وقد وسوس إليهم الشيطان بأنكم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسول الله وحينئذ تصلون على جنابة، فأنزل الله تعالى المطر، وسال الوادي ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر واليقين ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ : بسبب المطر والربط ﴿الأَقْدَامَ[2]﴾ على المحاربة يعني قوى[3] قلوبهم، وشجعهم أو المطر لبد[4] الرمل بحيث لا يغوص أرجلهم فيه، فثبت أقدامهم، فإنهم في كثيب أعفر[5] تسوخ فيه الأقدام ﴿إِذْ يُوحِي﴾ بدل ثالث أو بإضمار اذكر ﴿رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ : بالعون والنصر، وهو مفعول يوحي، وعند بعضهم أن الخطاب مع المؤمنين أي: أوحى للملائكة أن يقولوا للمؤمنين: إن الله معكم ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ببشارة النصر، أو بتكثير سوادهم، ومحاربة أعدائهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ : الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس أو أعاليها، وهي المذابح، قال ربيع

---

(١) هذا ما روى عن ابن عباس، وفي الفتح: إن المشهور في كتب السير المعتمدة أن المشركين لم يغلبوا المؤمنين على الماء، بل المؤمنون هم الذين غلبوا عليه من الابتداء وهذا المروي عن ابن عباس في إسناده العوفي، وهو ضعيف جدًا/١٢[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور (٣/٣١١) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ من طريق ابن جرير عن ابن عباس - رضى الله عنه].

(٢) بدأ بلام العلة في فعل جسماني هو التطهير، وعطف عليه من غير لام العلة ما هو لازم التطهير، ثم عطف باللام ما هو فعل محله القلب، وعطف عليه بغير اللام ما هو من لازمه فما أفصح أداء/١٢وجيز

(٣) على الوجه الأول: تثبيت الأقدام مجاز، وعلى الثاني: حقيقة/ ١٢منه.

(٤) هكذا روي عن عَروة بن الزبير ومجاهد/١٢منه[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١١) وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم].

(٥) الأعفر: رمل أبيض يخالط حمرة، وتسوخ: تغيب/١٢.

بن أنس: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة من قتيلهم، بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق بها ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: أصابع أو كل طرف ومفصل، قيل: الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين، والأكثرون على أنه للملائكة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الضرب أو الأمر به ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : خالفوهما، تركوا الشرع فصاروا في شق[1] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ : له ﴿ذَلِكُمْ﴾: الخطاب مع الكفرة أي: الأمر ذلكم، أو ذلكم العذاب ﴿فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ عطف على ذلكم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ الزحف: الجيش الكثير منصوب على الحال ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ بالانهزام[2] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ : يوم القتال مطلقًا، أو يوم قتال البدر خاصة ﴿دُبُرَهُ﴾: فانهزم ﴿إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ : يفر مكيدة، ليرى أنه خاف، فيتبعه العدو فيكر عليه ويقتله ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ فر من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونونه، حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إمامه الأعظم لجاز، ونصب متحرفًا ومتحيزًا على الحال، أو استثناء من المولين أي: إلا رجلا متحرفا

---

(١) أي جانب غير شق المؤمنين/١٢.

(٢) ذهب الجمهور إلى أن الآية محكمة عامة غير خاصة، وأن الفرار من الزحف محرم، ويؤيد هذا أن هذه الآية نزلت بعد انقضاء الحرب في يوم بدر، والإشارة في يومئذ إلى يوم الزحف كما يفيده السياق، ولا منافاة بين هذه الآية وآية الضعف بل هذه الآية مقيدة بها، فيكون الفرار من الزحف محرمًا بشرط ما بينه الله تعالى في آية الضعف، ولا وجه لما ذكروه من أنه لم يكن في الأرض يوم بدر مسلمون غير من حضرها، فقد كان في المدينة إذ ذاك خلق كثير لم يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخروج؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- ومن خرج معه لم يكونوا يرون في الابتداء أنه سيكون قتال، ويؤيد هذا ورود الأحاديث الصحيحة بأن الفرار من الزحف من جملة الكبائر/١٢فتح[الحديث أخرجه البخارى فى "الطب" (٥٧٦٤) وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "الإيمان"].

﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ : رجع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، أكثر السلف على أن هذا في يوم البدر خاصة[1]، ولهذا "قال[*] رسول الله -صلى الله عليه وسلم فيه: "اللهم إن تهلك هذه العصابة، فلن تعبد في الأرض أبدًا"، وأما في سائر الحروب فجاز الفرار إذا كان الكفار أكثر من مثليهم[2] وعن بعض الفرار مطلقًا حرام وكبيرة إلا عن هذين السببين[3]، وعن بعض هذا خاصة الصحابة ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ تقديره: إن فخرتم بقتلهم يوم بدر، فلم تقتلوهم بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ[4] قَتَلَهُمْ﴾ : بأن أظفركم عليهم، وأرسل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم، نزلت حين انصرفوا عن القتال يتفاخرون، يقولون: قتلنا فلانًا أو أسرنا فلانًا، فهو تعالى يبين أنه خالق أفعالهم وأنه المحمود على جميع خير صدر عنهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمد قبضة التراب في أعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أتيت بصورة الرمي ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى[5]﴾ أتى بما هو غاية الرمي، فصورة الرمي منك، وحقيقتها مني كأنه قال: ما رميت خلقًا إذ رميت كسبا،

---

(١) فيه إشكال، فإن الآية نزولها إن كانت قبل وقعة بدر لها فائدة لكن ما قبل الآية وما بعدها صريح في أن نزولها بعد وقعته، إلا أن يقال: مضمونها وحكمها قبل كما في "فثبتوا الذين آمنوا سألقى" لكن لفظها للامتنان بعد تأمل فإنك لا ترى مفسرًا حام حول تحقيقها/١٢وجيز.

(*) تقدم تخريجه.

(٢) كما قال تعالى: "علم أن فيكم ضعفًا" الآية/١٢وجيز.

(٣) وفي الصحيحين وغيرهما أحاديث دالة على أن الفرار مطلقًا من الكبائر/١٢ منه، وهذه الآية دالة على أن تلك الكبيرة سبب لخلود جهنم فإن تلك العبارة لا يحتمل إلا بالخلود كما في صورة قتل المتعمد بغير حق، وصورة الحيف في الإرث/١٢وجيز.

(٤) فإن قتيل الملك يباين قتيل الصحابة كما عرف الصحابة/١٢وجيز.

(٥) إلى أعينهم، وأوصله إليها وأن هذا ليس من جنس أفعال البشر، هذا هو معنى القرآن إن شاء الله، وقد صح عن علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهما، أن الرمية كانت يوم بدر كما كانت يوم حنين مثلا بمثل/١٢وجيز.

"وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ قبضة من تراب، بتعليم جبريل عليه السلام فرمى بها وجوه الأعداء، قائلا: شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا وامتلأت عينه منها"(*)، فاشتغلوا بأعينهم فردفهم المؤمنون بالقتل والأسر، وهذه الرمية ليست من جنس أفعال البشر وقولهم ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ تقديره: ولكن الله رمى لفوائد كثيرة وليبلى ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ : من الله ﴿بَلاءً حَسَنًا﴾ أي: ولينعم عليهم نعمة حسنة عظيمة بالنصر، ومشاهدة الآيات فيشكروا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ : بدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى البلاء الحسن، وتقديره: الأمر والحكمة ذلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الحكمة إبلاء المؤمنين، وإبطال حيل الكافرين ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ المشركون حين خرجوا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الحزبين وأهدى الفئتين، أو قال أبو جهل يوم بدر: اللهم أهلك أيتنا[1] أقطع للرحم، فيقول تعالى: إن طلبتم الفتح للأكرمين أو لواصل الرحم، فقد استجاب الله تعالى، فالخطاب على سبيل التهكم ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ : إلى الكفر والمحاربة ﴿نَعُدْ﴾ لكم بمثل وقعة بدر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ : ترفع ﴿عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ : جماعتكم ﴿شَيْئًا﴾ من الإغناء أو المضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فئتكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : بالنصر[2]، فلا يغلبون، ومن قرأ "أن" بفتح الهمزة تقديره: لأن الله مع المؤمنين وقعت تلك الواقعة.

(*) أخرجه مسلم فى "الجهاد والسير" (٤٠٩/٣) ط الشعب.

(١) رواه أحمد والنسائي، والحاكم وصححه/١٢وجيز [أخرجه أحمد (٤٣١/٥) والحاكم (٣٢٨/٢) وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأقره الذهبى. وذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣١٨/٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم وغيرهم].

(٢) بالنصر في الدارين، ولما مَنَّ على المؤمنين بإهلاك أعدائهم وتداوي دائهم، حثهم على الطاعة وعدم مشابهة الأعداء فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/١٢وجيز.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ
٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ
ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا
لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ
بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ
قَلِيلٌ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ
وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ لا تتولوا عن الرسول، ولا تعرضوا عنه، فإن طاعته طاعة الله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن أي: بعد ما علمتم وأجبتم داعي الله ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ هم الكفرة أو المنافقون ﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع انتفاع، فكأنهم ما سمعوا، أو معناه يقولون: أطعنا وهم لا يطيعون. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ : جميع الحيوانات ﴿عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ : عن الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن التكلم به ﴿الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ فهذا الضرب من بني آدم شر الخلائق ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ : انتفاعًا بالآيات ﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ : إسماع تفهيم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم ألا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ : ما صدقوا وما انتفعوا به، فكيف على تقدير عدم

الإسماع، كقوله: نعم العبد صهيب، ولو لم يخف الله لم يعصه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ[1]﴾: عنه عنادًا بعد الفهم، أو معناه وهم قوم عادهم الإعراض عن الحق ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وحَّد الرسول لأن دعوة الله تسمع من رسوله ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: الإيمان فإنه يورث الحياة الأبدية، أو القرآن فيه الحياة والنجاة، أو الشهادة فإنهم أحياء عند الله يرزقون، أو الجهاد فإنه سبب بقائكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: بين[2] المؤمن وكفره وبين الكافر وإيمانه، أو يحول حتى لا يدري ما يعمل، أو حتى لا يستطيع أن يعزم على شيء إلا بإذنه، أو تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"ق:١٦. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لجزاء الأعمال.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً[3]﴾ حذر الله المؤمن عن محنة تعم المسيء وغيره، لا تخص من باشر الذنب، والفتنة إقرار المنكر بين أظهرهم والمساهلة في

---

(١) يعني هم على طبع لا يمكن أن يتأتى منهم الإيمان، إلا إن أزال الله منهم هذا الطبع بالتبديل، فالأسباب لا دخل لها في إيمانهم ومجرد الإراءة من غير تبديل لا يفيد أيضًا/١٢.

(٢) عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"أخرجه الترمذي، لباب التأويل المعروف بالخازن [وصححه الشيخ الألباني فى "ظلال الجنة" وأخرجه الترمذى (٢٧٦٨) من حديث أم سلمة وصححه الشيخ الألبانى وأصل الحديث عند مسلم (٥/٥٠٩) ط الشعب من حديث عمر بن العاص].

(٣) في مسند الإمام أحمد، أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب العامة والخاصة"/١٢وجيز[أخرجه أحمد فى "مسنده" (٤/١٩٢)

=

الحسبة، بمعنى لا تصيبن وبالها، أو نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وما وقع عليهم يوم الجمل بعد شهادة عثمان -رضي الله عنهم- أو في قوم مخصوصين من الصحابة أصابتهم الفتنة يوم الجمل، والأول أصح، وقوله "لا تصيبن" إما جواب الأمر على مذهب الكوفيين فتقديره إن لا تتقوا لا تصب الظالمين خاصة، ودخول النون لما فيه من معنى النهي، كأن إصابة الفتنة إليهم خاصة مطلوب، وإما صفة فتنة ولا للنهي؛ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم بتقدير القول أي: فتنة مقولا في حقها **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**.

﴿وَاذْكُرُوا﴾ : يا معشر المهاجرين **﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾** : في العدد **﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾** بمكة قبل الهجرة **﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾** : يذهب بكم، ويعدمكم كفار قريش أو كفار سائر البلاد **﴿فَآوَاكُمْ﴾** إلى المدينة **﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾** على الأعداء يوم بدر وغيره **﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** الغنائم، وكانت لا تحل للأمم السابقة **﴿لَعَلَّكُمْ[1] تَشْكُرُونَ﴾** : لكي تشكروا نعمة، والآية خطاب للعرب كافة لا للمهاجرين خاصة، فإن العرب كانوا أذل الناس وأجوعه وأعراه وأضله، حتى جاء الله بالإسلام فمكنهم في البلاد، وسلطهم على العباد وجعلهم ملوكًا شرفاء، وصيرهم مترفهين أغنياء **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** بترك فرائض الله وسننه، أو بما تضمروا خلاف ما تظهرون **﴿وَتَخُونُوا﴾** داخل في النهي، أو نصب

= وذكره الهيثمى فى "المجمع" (٢٦٧/٧) وقال: رواه أحمد من طريقين ورواه الطبرانى وفيه رجل لم يسم وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وذكره الحافظ فى "الفتح" (٦/١٣)، وحسنه وعزاه لأبى داود].

(١) ولما مَنّ عليهم بما مَنّ بعد أن كانوا في قلة وذلة، نصحهم بألا يفتنوا بعده بإيثار المال والولد على محبة الله، فإنه ينافي الشكر فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا" الآية/١٢ وجيز.

بإضمار أن ﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾ أي: لا تنقضوا كل عمل ائتمن الله عليه العباد، أو لا تخونوا أماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة، أو أنتم[1] علماء، قال كثير من السلف: نزلت[2] في أبي لبابة حين حاصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريظة وأمرهم أن ينزلوا على حكم سعد فاستشار قريظة من أبي لبابة في النزول على حكم سعد، وكان أهل أبي لبابة وأمواله فيهم فأشار إلى حلقه أنه الذبح[3] فتلك خيانة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ : اختبار وامتحان ليختبركم أنكم

---

(١) تميزون الحسن من القبيح/١٢.

(٢) رواه سعيد بن منصور وغيره، عن عبدالله بن أبي قتادة/١٢أسباب النزول للسيوطي[ذكره السيوطي فى "الدر المنثور" (٣/٣٢٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ].

(٣) فأشار إلى حلقه أنه الذبح، فنزلت، وعن الزهري نحوه بأطول منه، وعن الكلبي والسدي نحوه، ولما اشتد الحصار ببني قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على ما يحكم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحكم فيه سعد بن معاذ، وقال: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"، وفي كتاب العلو المنسوب للإمام الذهبي، وعن سعد بن أبي وقاص "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لسعد يعني ابن معاذ -رضي الله عنه-: لقد حكمت فيهم -يعني بني قريظة- بحكم الملك من فوق سبع سماوات" هذا حديث صحيح، وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة "قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة، وحديث سعد بن أبي وقاص أصح، انتهى بلفظه، وهذان الحديثان ذكرهما صاحب الفتح تحت هذه الآية عن المواهب اللدنية/١٢[ذكره السيوطي فى "الدر المنثور" (٣/٣٢٣) أثر الزهرى والكلبى والسدى وحديث سعد بن معاذ أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤١٢١)].

تشتغلون بها عن الله سبحانه، فتنسونه وتعصونه أو تذكرونه وتطيعونه فيها، فإن أبا لبابة خان بسبب الأولاد والأموال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: خير لكم من أموالكم وأولادكم، فحافظوا على حدود الله تعالى فيهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ
سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾
وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ
فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا
يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ
أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ
ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ
ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا
فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ : مخرجًا ونجاة في الدنيا والآخرة، أو فصلا بين الحق والباطل أو يفرق بينكم وبين ما تخافون، أو ظهورا يعلى قدركم ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ : يسترها عن أعين الناس ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ لا يؤاخذكم بها ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فبمحض إحسانه يفي بما وعدكم على التقوى.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ[2]﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ : ليقيدوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ : من مكة، اجتمع قريش وشاور بعضهم بعضًا في شأن محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقيل: قيدوه حتى يموت وقيل: أخرجوه فتستريحوا من أذاه ثم اتفقوا على رأي أبي جهل وهو: أن يؤخذ من كل بطن رجل، يضربونه ضربة رجل واحد، فلا يقوى بنو هاشم على طلب قوده من جميع قريش، وهذا بتصويب الشيطان فإنه بينهم في صورة شيخ جليل فأمر الله تعالى نبيه بالهجرة[3] ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ : يعاملهم الله تعالى معاملة الماكرين ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ مكره أنفذ تأثيرًا ﴿وَإِذَا[4] تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ

---

(١) ولما حذر عن فتنة الأموال والأولاد، وأطمعهم بما عنده مُدَّخَر للأتقياء، بين لهم فوائد التقوى ومنافع ترك الهوى فقال: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا" الآية/١٢وجيز.

(٢) ولما مَنَّ على المؤمنين بأنهم ذو قلة فأعزهم وكثرهم، منَّ على خاصة رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم، وهذا في الحقيقة منة جليلة على أمته أعظم المنن فقال "وإذ يمكر بك" الآية/١٢وجيز.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس/١٢أسباب النزول[أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٨٩٩٤) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي ليلة عن مجاهد عن ابن عباس...فذكره].

(٤) ولما ذكر مكرهم بنبيه، عقبه بمكرهم في شأن كتابه وآياته فقال "وإذا تتلى" الآية/١٢وجيز.

﴿الأوَّلِينَ﴾ : ما هذا إلا ما سطره الأولون من القصص، هو اقتبسها وتعلم منها، نزلت[1] في نضر بن الحارث ومن وافقه ورضي بقوله حين ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم، فلما رجع يحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: تالله أينا أحسن قصصا أنا أو محمد، وهذا غاية مكابرته وفرط عناده، فإنهم لا يجدون إلى أقصر سورة سبيلا.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ أي: القرآن **﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** هذا قول نضر بن الحارث[2] أيضًا أو قول أبي جهل[3]، وغرضه إظهار عدم الشك في بطلان القرآن، والتعريف في الحق إشارة إلى الحق الذي يدعيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه متزل من ربه، فإنهم يسلمون أنه قصص القرون الماضية، وقد نقل أن معاوية قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة أي: بلقيس قال: أجهل من قومي قومك؛ قالوا حين دعاهم إلى الحق: "إن كان هذا هو الحق" الآية، و لم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له **﴿وَمَا كَانَ[4] اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾** : مقيم بمكة، فإن الله تعالى لا يستأصل قومًا وفيهم نبيهم، واللام لتأكيد النفي **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[5]﴾** أي:

---

(١) أخرجه ابن جرير، عن سعيد بن جبير/١٢[وذكره ابن كثير فى "تفسيره" (٢/٣٠٥)].

(٢) روي عن أبي سعيد ومجاهد وعطاء/١٢فتح[أخرجه ابن أبى حاتم فى "تفسيره" (٩٠٠٨) عن ابن عباس -رضى الله عنه].

(٣) رواه البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي، عن أنس بن مالك/١٢فتح[أخرجه البخارى فى "التفسير (٤٦٤٨)].

(٤) ولما دعوا على أنفسهم، وما استجاب الله مع استحقاقهم بين سبب عدم الاستجابة فقال: "وما كان الله ليعذبهم" الآية/١٢وجيز.

(٥) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كانوا يقولون: غفرانك ولبيك لا شريك لك، ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار، فجعله الله أمنة منهم في الدنيا/١٢وجيز[أخرجه ابن أبى حاتم فى "تفسيره" (٩٠١٧)].

وفيهم من يستغفر كالمؤمنين الذين كانوا بمكة، وما استطاعوا الهجرة أو لما أمسوا ندموا على قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق، فقالوا: غفرانك غفرانك، فنزلت، أو المراد من استغفارهم أنه في علم الله تعالى أن بعضهم يؤمنون، فالمعنى يمهلهم؛ لأن فيهم من يستغفر بعد ذلك، وقد ورد: "أنزل عليَّ أمانين[1] لأمتي: "وما كان الله ليعذبهم" الآية فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار"، قيل: هذا دعوتهم إلى الإسلام والاستغفار، أي: استغفروا لا أعذبكم كما تقول: لا أعاقبك وأنت تطيعني، أي: أطعني لا أعاقبك، وقيل معناه: وفي أصلابهم من يستغفر **﴿وَمَا لَهُمْ[2] أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾** قال بعضهم: قوله: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم" نزل بمكة، فلما خرج عليه الصلاة والسلام إلى المدينة نزل: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أي: من بقى من المؤمنين في مكة، فلما خرجوا أنزل الله تعالى "وما لهم ألا يعذبهم الله" والتعذيب فتح مكة، أو القتل يوم بدر، أو الجوع والضر، وقال بعضهم: قوله "وما كان الله ليعذبهم" الآية منسوخة بقوله: "وما لهم ألا يعذبهم الله" وهذا عند من قال المراد بالاستغفار: صدور الاستغفار منهم نفسهم، كما ذكرنا غفرانك غفرانك **﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾** : يمنعون المؤمنين **﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** كعام الحديبية وإخراج رسول الله –صلى الله عليه وسلم **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءهُ﴾** مستحقين ولاية أمر المسجد الحرام، فإنهم يقولون: نحن أولياء الحرم نفعل فيه ما نريد **﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ﴾** :

---

(١) أخرجه الترمذي وضعفه/ ١٢فتح[أخرجه الترمذى (٣٢٧٨-تحفة) وقال: "حديث غريب" وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف فى الحديث. وضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى"].

(٢) لما بين سبحانه أن المانع من تعذيبهم هو الأمران المتقدمان وجود رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بين ظهورهم، ووقوع الاستغفار ذكر بعد ذلك أن هؤلاء أعني كفار مكة مستحقون لعذاب الله، لما ارتكبوا من القبائح، فقال: "وما لهم ألا يعذبهم الله" الآية/١٢فتح.

عن الشرك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ إنهم غير مستحقين لولاية الحرم ومنهم من يعلم ويعاند.

﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً﴾ أي: كيف لا يستحقون العذاب، وكيف يكونون ولاة الحرم، وتقربهم إلى الله تعالى وما يضعون موضع صلاتهم الصفير يدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون في الطواف﴿وَتَصْدِيَةً﴾ : تصفيقًا، وقد نقل كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم، وقال بعضهم: كان إذا -صلى النبي صلى الله عليه وسلم- في الحرم قام رجلان عن يمينه يصفران، ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا عليه صلاته، وقال بعضهم: المراد صد الناس عن سبيل الله تعالى، فحينئذ من قلب إحدى الدالين تاء كما في ظنيت من الظن ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ : ببدر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ[(١)] كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا﴾ : الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما رجع من بقي من الكفرة من البدر إلى مكة، استعانوا من أبي سفيان وغيره من مال تجارة الشام، واستقرضوا أيضًا ثم أنفقوا في غزوة أحد، ولهذا قالوا: نزلت في أبي سفيان، أو المراد صرف أموالهم في غزوة بدر ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾ أي: بعد ذلك في غزوة أحد ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ : في الآخرة، أو في الدنيا لذهاب الأموال، وعدم نيل المرام ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ : عاقبة الأمر، وقيل: المراد من قوله: "فسينفقونها" ذكر قرب زمان الإنفاق ثم الحسرة على صرفه ثم غلبة المؤمنين، فإنه وإن كان الإنفاق وحده واقعًا متقدمًا لكن الإنفاق والحسرة

---

(١) لما فرغ سبحانه من شرح هؤلاء الكفرة في الطاعات البدنية، أتبعها شرح أحوالهم في الطاعات المالية فقال: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" الآية/١٢ فتح.

والمغلوبية، لم يقع بعد حين نزول الآية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ[1] يُحْشَرُونَ﴾ يعني: من مات على الكفر منهم ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ : الشقي من السعيد، أو الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله تعالى، واللام متعلق بيحشرون، وهذا التمييز في الآخرة أو في الدنيا وحينئذ متعلق اللام مقدر أي: يسر الله للكافرين إنفاق أموالهم في محاربتكم، ليميز الخبيث من الطيب، أي: من يطيعه بقتال أعداء الله ممن يعصيه بالنكول عنه كما قال تعالى "وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه" [آل عمران:١٠٩]، وقال تعالى "وما أصابكم يوم التقى الجمعان" [آل عمران:١٦٦] ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ : عبارة عن الضم والجمع حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم، أو معناه يضم على الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه، كقوله "فتكوى بها جباههم وجنوبهم"[التوبة:٣٥] ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن

(١) لما أخبر بما آل إليه حالهم في الدنيا من حسرتهم وكونهم مغلوبين، أخبر بما يؤول إليه حالهم في الآخرة، ولام "ليميز" متعلق بيحشرون، هذا هو ظاهر القرآن، وباقي التوجيهات تمحل وتكلف/١٢وجيز.

كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : كأبي سفيان وغيره أي: لأجلهم ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ : عن الكفر ومعاداة الدين ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ : من الذنوب[1] ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى القتال ويستمروا على كفرهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ في نصرة أنبيائه وإهلاك أعدائه، أو سنة الأولين في قريش يوم بدر ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ : لا يوجد شرك[2]، أو لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ[3]﴾ : لا يعبد غير الله تعالى في جزيرة العرب ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

---

(١) فيه دليل على أن الإسلام يجب ما قبله، وفي حديث مسلم وأحمد "إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله"/١٢فتح[أخرجه مسلم فى "الإيمان" (١/٣٢٤) ط الشعب].

(٢) قاله ابن عباس، وقيل: بلاء، وقد فسرها جمهور السلف بالكفر/١٢فتح[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١/١٦٢) وابن أبي حاتم فى "تفسيره" (٩٠٧٣)].

(٣) قال قتادة: حتى يقال لا إله إلا الله، عليه قاتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإليه دعى/١٢فتح[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١/١٦٢)].

يجازيهم مجازاة البصير بهم، أو معناه فإن انتهوا عما هم فيه من الكفر والقتال، فكفوا عنهم وإن كنتم لا تعلمون بواطنهم، فإن الله بما يعملون بصير ومن قرأ "تعملون" بالتاء، فمعناه: فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام، وتسببكم إلى إخراجهم من ظلمة الكفر بصير، فيجازيكم ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ولم ينتهوا عن الشرك والقتال ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾ : ناصركم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ : لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ[(١)]﴾ فمن نصره لا يغلب أبدًا.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ : أخذتم من الكفار قهرًا لا صلحًا، أي شيء[(٢)] كان ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ مبتدأ خبره مقدر أي: فثابت أن لله خمسه، والأصح أن ذكر الله افتتاح كلام[(٣)] للتبرك، وقال بعضهم: سهم الله يصرف إلى الكعبة ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ كان يصرف فيما شاء، والآن لمصالح المسلمين أو للخليفة، أو مردود إلى الأصناف الباقية، أو لقرابة النبي -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ هم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب[(٤)]، أو من لا يحل له الزكاة، أو بنو هاشم وحدهم[(٥)]، أو

---

(١) الله والمخصوص بالمدح مقدر، ولما قال: "وقاتلوهم" يخطر بالبال أن المال الذي يؤخذ منهم بعد نصر المؤمنين، كيف يفعل به؟ فقال: "واعلموا أنما غنمتم" الآية/١٢وجيز.

(٢) وقد خصص الإجماع من عموم الأسارى، فإن الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف، وكذلك سلب المقتول إذا نادى به الإمام، وقيل: وكذلك الأرض المغنومة، ورد بأنه لا إجماع على الأرض/١٢فتح.

(٣) كما تقول لعبدك: أعتقك الله وأعتقتك/١٢وجيز.

(٤) وليس لبني عبد شمس وبني نوفل منه شيء وإن كانوا إخوة، لقوله -صلى الله عليه وسلم- : "إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه" وهو في الصحيح، وبه قال الشافعي وأحمد وأبو ثور ومجاهد وقتادة وابن جريج ومسلم بن خالد/١٢فتح[الحديث أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٢٢٩)].

(٥) وبه قال مالك والثوري والأوزاعي وغيرهم وهو مروي عن علي بن الحسين ومجاهد/ ١٢فتح.

قريش[1] كلهم ﴿وَالْيَتَامَى﴾ : يتامى المسلمين فقراءهم، أو فقرائهم وأغنيائهم، أو يتامى ذوي القربى ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ : المحاويج الذين لا يجدون ما يصدون خلتهم، أو مساكين ذوي القربى ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ : المسافر أو مريد السفر إلى مسافة القصر، وليس له ما ينفقه في سفره، أو ابن السبيل من ذوي القربى، فعلى هذا الغنيمة تقسم على خمسة: أربعة منها للمحاربين، وخمس لهؤلاء المذكورين ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ تقديره: امتثلوا ما شرعت لكم في الغنيمة، إن كنتم آمنتم بالله ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم فرق فيه بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، والآية نزلت فيه ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ : المسلمون والكفار، وهو يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان[2] ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولهذا قدر على نصر القليل على الكثير.

---

(١) روى ذلك عن بعض السلف، واستدلوا بما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "أنه لما صعد الصفا جعل يهتف ببطون قريش كلها قائلا: يا بني فلان يا بني فلان"[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٧٧٠)]، واختلفوا في سهم ذوي القربى، هل هو ثابت اليوم أم لا؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت فيعطى فقراءهم وأغنياءهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الأنثيين، وبه قال مالك والشافعي، وقيل: إنه غير ثابت وسقط سهمه وسهمهم بوفاته -صلى الله عليه وسلم- وصار الكل مصروفًا إلى الثلاثة الباقية، وبه قال أبو حنيفة وأصحاب الرأي وحجة الجمهور أن الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- كانوا يعطونهم، ولا يفضلون فقيرًا على غني؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطى العباس مع كثرة غناه وكذا الخلفاء بعده/١٢فتح.

(٢) وهو أول مشهد شهده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذا روي عن علي -رضي الله عنه/١٢فتح.

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ بدل من يوم الفرقان ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ : شط الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ : الأقرب من المدينة ﴿وَهُمْ﴾ : كفار مكة ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ : جانب الوادي الأبعد من المدينة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ أي: ركب أبي سفيان الذين جاءوا من الشام ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ : في مكان أسفل من مكانكم أي: ساحل البحر، منصوب على الظرف واقع موقع خبر و"الركب" ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم والكفار للقتال ﴿لاخْتَلَفْتُمْ﴾ : أنتم ﴿فِي الْمِيعَادِ﴾: خوفًا وهيبة لقلتكم وكثرهم ﴿وَلَكِنْ﴾ جمع الله تعالى بينكم بصنعه من غير ميعاد وإرادة لكم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ : في علمه، أو معناه حقيقًا بأن يفعل من نصر أوليائه، وإعلاء كلمة الإسلام ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدل من ليقضي، أو متعلق بمفعولا ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآيات، فلا يبقى له حجة وعذر بوجه، ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة ويقين، فالهلاك والحياة: الكفر والإيمان، أو ليموت من يموت عن بينة عاينها، ويعيش عن حجة شاهدها، لئلا يكون له حجة ومعذرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ : بكفر من كفر، وإيمان من آمن ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ بدل ثان من يوم الفرقان، أو مقدر باذكر ﴿فِي مَنَامِكَ[١] قَلِيلا﴾ لتخبر أصحابك فيكون تشجيعًا لهم، وهو ثالث مفاعيل يريكم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ : لجبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ : اختلفت كلمتكم في أمر القتال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ : أنعم بالسلامة من التنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما كان وما سيكون

---

(١) اعلم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، بمعنى أن رؤياهم معبر لا أضغاث أحلام كرؤيا نبينا -صلى الله عليه وسلم- في أمر القردة على منبره وغير ذلك فيجوز أن يراهم قليلا في العدد، وحكى على أصحابه من غير أن يعبر، وتعبيره ضعفهم فإن الضعف يترتب على القلة أكثريًا، فما أخطأ في منامه، والله أعلم/١٢وجيز.

من الجبن والتنازع ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ[1]﴾ لا في المنام ﴿قَلِيلا[2]﴾ حال عن ثاني مفعولي يريكموهم لا مفعول ثالث؛ لأنه من رؤية العين ههنا، وإنما قللهم في أعين المسلمين تثبيتًا لهم، وتصديقًا لرؤيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليجترؤا، أو لا يستعدوا للحرب حتى قال أبو جهل: إنهم أكلة جزور، ثم كثرهم في أعينهم حتى يروهم مثليهم، لتفاجئهم الكثرة فتكسر قلوبهم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ : من إهلاكهم وإذلالهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ : فلا أمر إلا وهو خالقه، وعلى الحقيقة هو فاعله، أو بعد الدنيا مصير الكل إليه فيجازيهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) ﴾

---

(١) إشارة إلى أن ما مر لا من رؤية العين/١٢منه.

(٢) قال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا منهم رجلا فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفًا/١٢منه[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٠/١٠) وابن أبي حاتم (٩١٢٧)].

﴿يَأَيُّها الَّذِينَ[1] آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ : حاربتم جماعة، والمؤمنون لا يحاربون[2] إلا الكفار ﴿فَاثْبُتُوا﴾ : ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا[3]﴾ : في تلك الحال[4] بأن تستغيثوا به، وتتوكلوا عليه وتسألوا النصر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : كي تظفروا بمرامكم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا﴾ : باختلاف الآراء ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ فتجبنوا، جواب النهي ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ : دولتكم ووقاركم وريح النصر، فإن النصرة لا تكون إلا بريح[5] كما في الحديث: "نصرت بالصبا"[6] ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾: فخرًا[7]

---

(١) ولما بين أن النصر والغلبة من الله لا يؤثر فيه القلة والكثرة، أمر المؤمنين بالتوكل وطلب النصر من الله المؤثر، فقال "يا أيها الذين آمنوا" الآية/١٢وجيز.

(٢) فلا حاجة إلى ذكر وصف الفئة بكونها كفارًا/١٢منه.

(٣) قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف/١٢فتح، وحاصل الكلام، أنه تعالى أمرهم عند لقاء العدو بالثبات والاشتغال بذكر الله، ومنعهم من أن يكون الحامل لهم على ذلك الثبات البطر والرياء، بل أوجب عليهم أن يكون الحامل لهم عليه طلب عبودية الله، واعلم أن حاصل القرآن من أوله إلى آخره دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق وأمرهم بالغناء في طريق عبودية الحق، والمعصية مع الانكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار/١٢كبير.

(٤) وهي حالة الذهول عن كل شيء، فأمروا بذكر الله الذي يفزع إليه عند الشدائد/١٢وجيز.

(٥) يقال: هبت ريح فلان، إذا ذهبت دولته/١٢منه.

(٦) وأهلكت عاد بالدبور/١٢منه[أخرجه البخارى فى "الاستسقاء" (١٠٣٥)، ومسلم فى "الاستسقاء"].

(٧) عن قتادة قال: ذكر لنا "أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال يومئذ: اللهم إن قريشًا قد أقبلت بفخرها وخيلاءها لتجادل رسولك، وقال: جاءت من مكة أفلاذها" وقد =

وطغيانًا ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ : ليثنوا[1] عليهم بالشجاعة والغلبة والرياسة، كما قال أبو جهل، لما قيل: إن العير قد نجا فارجعوا، فقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجزور، ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان[2]، وتسمع[3] بنا العرب ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطف على بطرًا، سواء كان مفعولا له، أو حالا على تأويل المصدر ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ[4]﴾ : عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم شر الجزاء ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ مقدر باذكر ﴿لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ في معاداة الرسول، فإنه تمثل[5] لهم في سورة سراقة بن مالك الكناني، وهو من أكابر بني كنانة معه عسكر وراية ﴿وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ﴾ خبر لا، أو صفة غالب، ولو كان ظرفًا لغالب لوجب أن يقال: لا غالبًا ﴿الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكثرة عددكم وعددكم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾: مجيركم من بني كنانة وممدكم في الحرب، وكان بين قريش وبني كنانة حرب وعداوة،

= احتج بهذه الآية الشيخ عبدالعزيز الدهلوي، على أنه لا يجوز طوف البلد للعروس بركوب الخيل وغيرها، كما اعتاده أهل الهند في عقود مناكحهم/١٢[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١٣/١٠) ابن أبى حاتم فى "تفسيره" (٩١٥٢) وذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣٤٤/٣)].

(١) إشارة إلى أن بطرًا ورياء منصوبان بالعلية/١٢منه.

(٢) جمع قينة: الجارية المغنية/١٢.

(٣) فتهابنا آخر الأبد، نعم وردوا، فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم صادين عن سبيل الله/١٢ وجيز.

(٤) كالتهديد والزجر عن الرياء والتصنع/١٢كبير.

(٥) قد صح عن ابن عباس وغيره، بروايات متنوعات تمثل الشيطان بصورة آدمي معه عسكر وراية/١٢منه[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١٤/١٠) وابن أبى حاتم (٩١٥٧)].

وخافوا من بني كنانة فلهذا أجارهم ﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ﴾ : التقى الجمعان ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقري وكانت يده في يد أحد من المشركين فقال له: أفرارا من غير قتال؟! فضرب في صدر صاحبه المشرك فانطلق ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ﴾ من جنود الله: ملائكته ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ وهذا كذب منه، ما به مخافة الله تعالى لكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، أو أخاف الله أن يهلكني فيمن أهلك، أو خاف أن يصله مكروه من الملائكة، وهذا عادته الشؤمة كما حكاه تعالى "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر" الآية[الحشر:١٦] ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ من تتمة كلام الشيطان، أو ابتداء كلام الله تعالى.

﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ مقدر باذكر ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ : شرك، أو قوم أسلموا بمكة و لم يهاجروا وخرجوا مع الكفار يوم بدر، ولما رأو[1] المسلمين قليلا ارتابوا وارتدوا، وقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتى تعرضوا مع قلتهم كثرتنا، فقتلوا جميعًا، فقال تعالى مجيبًا لهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا غالب لأمره، ولا يضام من التجأ إليه ﴿حَكِيمٌ﴾ : في أفعاله لا يضعها إلا في موضعها ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾ أي: لو رأيت[2] حالهم حين قتلهم الملائكةُ يوم بدر، وقال بعضهم: هذا عند الموت لا يخص بيوم بدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: إذا أقبلوا ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ : إذا أدبروا، والجملة حال ﴿وَذُوقُوا﴾ أي: ويقولون[3] : ذوقوا، عطف على يضربون ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: بشارة لهم بجهنم، قال بعضهم: مع الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها، وجواب "لو" مقدر أي: لو ترى لرأيت أمرًا فظيعًا هائلا ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بشؤم ذنوبكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف[4] على ما قدمت، قيل: للدلالة على

---

(١) هكذا قال مجاهد وغيره/١٢[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١٠/١٦)].

(٢) إشارة إلى أن لو عكس أن يجعل المضارع ماضيًا/١٢منه.

(٣) تقدير يقولون، ليس لأجل دفع عطف الإنشاء على الإخبار، بل لأن المعنى على ذلك/١٢منه.

(٤) عطف على ما قدمت أشار إلى أن من عفى عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، وظلموا عباد الله المؤمنين صار ظالمًا كثير الظلم، بمعنى أنه وضع الشيء في غير موضعه اللائق، وبهذا فسر أهل اللغة الظلم، وما ورد في كتاب الله الظلم إلا بهذا المعنى، والعفو في موضع لا تقتضيه الحكمة ظلم لاشك فيه، وليس هذا من الاعتزال في شيء قيل: إن ذلك =

أن سببية مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يعذهم بغير ذنب، وظلام للتكثير لكثرة العبيد فالظالم لهم كثير الظلم.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: دأهم وطريقتهم كدأهم **﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** : من قبل آل فرعون **﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** تفسير الدأب **﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾** كما أخذ هؤلاء **﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾** لا يغلبه شيء **﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** : للكافرين **﴿ذَلِكَ﴾** أي: الأخذ بالذنوب، لا التعذيب بغير ذنب **﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** أي: بسبب أن عادة الله جارية، بأن لا يبدل نعمة على قوم بنعمة، حتى غيروا حالهم إلى أسوءها كقريش، كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها، وصدوا عن سبيل الله وغيرها من القبائح **﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** : لما يقولون **﴿عَلِيمٌ﴾** بما يضمرون، ولولا إحاطة علمه كيف يأخذهم بأعمالهم؟! **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** أي: عادهم كعادهم **﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾** تكرير للتأكيد **﴿وَكُلٌّ﴾** : من الأولين والآخرين **﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[1] **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** : رسخوا[2] في الكفر **﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** : لرسوخهم فيه **﴿الَّذِينَ﴾** بدل من الذين كفروا **﴿عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾** أي:

= على طريق النسب كتمار ولبان، وقيل: ذلك على طريق التوزيع، فإن العبيد دال على الاستغراق فالظالم لهم كثير الظلم لإصابة كل منهم ظلمًا، فالمعنى ليس بظالم هذا ولا ذلك ما لا يحصى فالمبالغة راجعة إلى الكمية، وتأمل قول القاضي البيضاوي في هاهنا وفي سورة آل عمران، كيف وقع فيما فر منه/١٢.

(١) جمع الضمير للفواصل و لم يجعل على لفظ كـــ"كل" يعمل على شاكلته"[الاسراء:٨٤]، و"فكلا أخذنا بذنبه"[العنكبوت:٤٠]/١٢وجيز.

(٢) فسر الذين كفروا بالرسوخ والإصرار؛ لأن مجرد الكفر لا يخبر عن المتصف به بأنه لا يؤمن/١٢.

أخذت منهم العهد ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ كيهود بني قريظة، نقضوا عهدهم وأعانوا المشركين بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية فنقضوا[1] يوم الخندق ﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ : عاقبة الغدر ﴿فَإِمَّا[2] تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ : تظفرن بهم وتأسرهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾ أي: بسبب قتلهم ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: فافعل بهم عقوبة، يفرق منك ويخافك من ورائهم من الكفرة ليعتبروا، فلا ينقضوا العهد بعد ذلك، يعني: غلظ عقوبتهم ليكون عبرة لغيرهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ : يتعظون، فيحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل صنيعهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ : معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ : نقض عهد بإمارة تلوح لك ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ : اطرح إليهم عهدهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي: ثابتًا على طريق مستو متوسط، بأن تخبرهم أنك قطعت العهد الذي بينك وبينهم، فلا يكونون على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك، فالجار والمجرور حال ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تعليل لنبذ العهد وعدم مفاجأة القتال بلا إعلام.

﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ

(١) فهم شر سائر الكفرة/١٢منه.

(٢) ثم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشدة والغلظة عليهم، فقال: "فإما"/١٢فتح.

أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ : يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ : فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا، ومن قرأ "لا يحسبنَ بالياء فالذين كفروا فاعله، بتقدير: أن سبقوا فحذفت أن، أو تقديره: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا، أو فاعله ضمير إلى "من خلفهم" أو إلى جيل المؤمنين، وفي الجميع تكلف ﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ : لا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم، ومن قرأ بالفتح [1] فتقديره: لأنهم لا يعجزون، قال بعضهم: نزلت[2] فيمن أفلت يوم بدر من المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ : للكفار ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ : من كل ما يتقوى به في الحرب، وفي الحديث[3] الصحيح: "ألا إن القوة الرمي" قالها ثلاثًا ﴿وَمِنْ رِبَاطِ[4] الْخَيْلِ﴾ الرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ : تخوفون ﴿بِهِ﴾ : بما استطعتم ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ : كفار مكة ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: من دون كفار مكة ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ : لا تعرفونهم[5] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ : يعرفهم، هم المنافقون أو

---

(١) أي: بفتح أن/١٢منه.

(٢) هكذا نقله محي السنة/١٢منه.

(٣) كما في صحيح مسلم وغيره/١٢.

(٤) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، قال أبو حاتم: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها/١٢فتح، وقيل: إذا كان الرباط اسمًا للخيل فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه، والجواب أن الرباط اسم للمربوطات لكن لا يستعمل إلا في الخيل، فالإضافة باعتبار عموم المفهوم الأصلي/١٢، وقد ورد في استحباب الرمي وما فيه من الأجر واستحباب اتخاذ الخيل وإعدادها، وكثرة ثواب صاحبها أحاديث كثيرة لا يسع المقام بسطها، وقد أفرد ذلك جماعة من العلماء بمصنفات/١٢فتح.

(٥) ليس له إلا مفعول واحد/١٢.

اليهود أو أهل فارس[1] ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ : قليل أو كثير ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره وجزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ : مالوا للصلح ﴿فَاجْنَحْ[2] لَهَا﴾ : مل إليها[3]، قال بعضهم: الآية منسوخة بقوله: "قاتلوا الذين لا يؤمنون"، وفيه شيء لأن المهادنة لكثرة الأعداء ولغيرها جائزة إذا رأى الإمام، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بأهل الكتاب ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في الصلح، ولا تخف خداعهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ : لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتهم ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ : يريدون بالصلح خديعة ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ : محسبك وكافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مع ما فيهم من الضغينة في أدنى شيء ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوتهم وجهالتهم، فإن بين الأوس والخزرج من العداوة والحروب ما لا يمكن الإصلاح، فالله بمحض قدرته ألف بينهم فاجتمعوا وأنفقوا، وأنساهم الله تلك الشحناء فصاروا أنصارًا ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ فإنه مقلب القلوب ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ : غالب لا يغالب أبدًا ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع كل شيء في موضعه ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ : كافيك ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ[4] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) وقيل: كل من لا تعرف عداوته، وقيل: بنو قريظة، وقيل: غير ذلك، والأولى الوقف في تعيينهم لقوله: "لا تعلمونهم"/١٢.

(٢) وتأنيث السلم، قيل: لغة، وقيل: بمعنى المسلمة، وقيل: حملا على النقيض وهو الحرب، وهذا كما فعل يوم الحديبية، والظاهر أن هذه الآية قبل صلح الحديبية/١٢وجيز.

(٣) يقال: مال له ومال إليه/١٢منه.

(٤) اختلفوا في محل "من"، فقال أكثر المفسرين: محله خفض عطفا على الكاف في قوله: "حسبك" معناه: حسبك الله وحسب من اتبعك/١٢معالم.

مفعول معه، أي: محسبك[1] مع المؤمنين الله، أو عطف على "الله"، نزلت في غزوة بدر، وقال بعضهم: نزلت حين أسلم عمر، ثم اعترض عليه بأن الأنفال كلها مدنية[2]، وإسلام عمر قبل الهجرة فلا يصح هذا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

---

(١) الله، كما تقول: حسبك وزيدًا درهم،والمعنى: كافيك وكافي المؤمنين وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أي: وحده حسبك، وحسب المؤمنين الذين اتبعوك، ومن قال: إن المعنى أن الله والمؤمنين حسبك، فقد ضل بل قوله من جنس الكفر، فإن الله وحده هو حسب كل عبد مؤمن، والحسب الكافي كما قال تعالى: "أليس الله بكاف عبده"[الزمر:٣٦] وقال تعالى "وقالوا حسبنا الله"[آل عمران:١٧٣]، [التوبة:٥٩] ولم يقل ورسوله "وقالوا إنا إلى الله راغبون" [التوبة:٥٩] ولم يقل هنا وإلى رسوله انتهى./١٢فتح.

(٢) لم يستثنوا منها شيئًا، صرح بهذا كثير من المفسرين، وبه قال الحسن لا عكرمة وجابر بن زيد وعطاء وعبدالله بن الزبير وزيد بن ثابت، وعن ابن عباس أنه قال: نزلت في بدر، وفي لفظ: تلك سورة بدر كذا في الفتح/١٢.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: بالغ في حثهم عليه ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ شرط في معنى الأمر[١] بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بالغلبة ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ : بسبب جهالتهم بالله يقاتلون لأجل حظ دنيوي، فلا تثبت أقدامهم إذا رأوا شدة القتال وظنوا الهلاك ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ نزلت لما ثقلت على المسلمين مقابلة الواحد مع العشرة، فنسخها وخفف عنهم ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ في البدن أو في البصيرة، فإن في بعضهم ضعف البصيرة ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ[٢]﴾ أي: إن كانوا على الشطر من عدوهم لم يجز الفرار، وإلا جاز و لم يجب القتال، ثم اعلم أنه ذكر في الأول العشرين والمائة، وفي الثاني المائة والألف، للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره وإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ[٣]﴾ : بالنصر والظفر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء أن يأخذ أسرى، ولا يقتلهم ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ : يكثر القتل فيعز الإسلام ويذل الكفر ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حطامها، أي: الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يريد لكم ثواب الآخرة، أو ما هو سبب نيل الجنة من إعزاز الدين وقمع الملحدين ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يعلم ما

---

(١) ولذلك دخلها النسخ، فإن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ/١٢ وجيز.

(٢) قال سفيان وابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا، إن كان رجلين أمرهما، وإن كانوا ثلاثة فهو في سعة من تركهم/١٢فتح كذا في المعالم.

(٣) ولما كان الصبر شديد المطلوبية أثبت في أول جملتي التخفيف، وحذف من الثانية ثم ختم الآية بقوله: "والله مع الصابرين" مبالغة في أن الصبر هو الأصل، والعمدة في الغلبة/١٢وجيز.

يليق بالأحوال، نزلت حين جاءوا بأسارى بدر، فاستشار[1] فيهم، فقال عمر: هم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء فاضرب أعناقهم، وقال أبو بكر: هم قومك وأهلك لعل الله يتوب عليهم، خذ منهم فدية تقوى بها أصحابك، فقبل الفداء وعفى عنهم **﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾** يعني في أم الكتاب أن لا يعذب مسلم شهد البدر، وهم مغفورون، أو فيه أن المغانم والفداء حلال لكم، أو لا أعذب من عصاني إلا بعد تصريح بنهي **﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾**: من الفداء قبل أن آذن لكم **﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا﴾** أي: أبحت لكم الغنائم فكلوا **﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾** : من الفدية، فإنها من جملة الغنائم **﴿حَلالاً﴾** حال، أو أكلا حلالا **﴿طَيِّبًا﴾** قيل: إنهم أمسكو عن الغنائم أيضًا، وخافوا أشد خوف، فترل "فكلوا" الآية **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** : في مخالفته **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾** فيغفر ذنبكم **﴿رَحِيمٌ﴾** فأباح لكم الفداء.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ

---

(١) أي رسول الله -صلى الله عليه وسلم/١٢.

كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى إنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ بأن يتعلق علم الله بحصول إرادة إيمان وإخلاص فيها **﴿يُؤْتِكُمْ﴾** إن أسلمتم **﴿خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾** : من الفداء **﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾** ما صدر قبل الإسلام منكم **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** نزلت في عباس وأصحابه، أسروا يوم بدر[1] وأخذ منهم الفداء، وكان العباس بعد ذلك يقول: أعطاني الله مكان عشرين أوقية أفديتها لنفسي ولابني أخي كانت معي، والتمست من النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يحاسبني من جملة فدائي وفداء ابني أخوي فأبى فأبدلني الله في الإسلام عشرين عبدًا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله.

(١) "لما أخذ العباس طلب منه فدائه وفداء أقاربه، فقال: ما ذاك عندي، قال عليه الصلاة والسلام- : فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقال: والله لأنت رسول الله!! إن هذا الشيء ما علمه غيري وغيرها، قال: فاحسب لي ما أصبتم من عشرين أوقية من مال كان معي، فقال عليه الصلاة والسلام: لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى"/١٢منه، أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراءهم، بعثت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في فداء أبي العاص، وبعثت فيه بقلادة فلما رآها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رق رقة شديدة، وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها/ ١٢فتح.

﴿وَإِنْ[1] يُرِيدُوا﴾ أي: الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ فيما أظهروا لك من الإسلام والإخلاص ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾ : بالكفر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ : من قبل بدر ﴿فَأَمْكَنَ﴾ أي: فأمكنك ﴿مِنْهُمْ﴾ يوم بدر، فإن عادوا نعد، قال بعضهم[2]: نزلت في عبدالله بن سعد الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين، قال بعض[3]: نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا: آمنا بك ولننصحن لك على قومنا، والأكثرون[4] على أنه عامر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ : بخيانة من خان ﴿حَكِيمٌ﴾ : بتدبيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا﴾ : أسكنوا المهاجرين منازلهم ﴿وَنَصَرُوا﴾ أي: نصروهم على أعدائهم ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ : في الميراث دون أقارهم، آخا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين[5] والأنصار، كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: ليسوا لكم بأولياء في الميراث ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي: المؤمنون الذين لم يهاجروا ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ : فواجب عليكم نصرهم على المشركين ﴿إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ : عهد فلا تنقضوا عهدكم في نصرهم عليهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الوفاء بالعهد ونقضه

---

(١) ولما ذكر ما ذكره من العوض لمن علم في قلبه خيرًا، ذكر من هو على ضد ذلك منهم، فقال: "وإن يريدوا خيانتك" الآية/١٢فتح.

(٢) هو قتادة/١٢.

(٣) قاله ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس/١٢منه.

(٤) هكذا قال السدي/١٢منه.

(٥) نقله البخاري عن ابن عباس/١٢وجيز.

﴿بَصِيرٌ﴾ : فيجازيكم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الميراث دون المسلمين ﴿إِلا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أمرتم من قطع العلائق حتى في الميراث بينكم وبين الكفار ﴿تَكُنْ﴾ : تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدين كقوة الكفر وضعف الإسلام ﴿وَالَّذِينَ[1] آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ : صدقًا من غير ريب، دون من آمن وسكن دار الشرك، وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر: "المرء[2] مع من أحب"، ونصب حقًا على المصدر المؤكد، أو تقديره: إيمانًا حقًا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ : في الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ : من جملتكم، أيها المهاجرون والأنصار، فإن المهاجرين بعضهم هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم بعد صلحها قبل فتح مكة وهي الهجرة الثانية﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في التوارث من الأجانب ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكمه، أو في اللوح وهذه ناسخة للإرث بالحلف والإخاء الذي كانوا يتوارثون به أولا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم صلاح الأوقات.

---

(١) ثم بين سبحانه حكمًا آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله، والمؤمنين الذين آووا من هاجر إليهم ونصروهم وهم الأنصار، فقال: "والذين آمنوا" الآية/١٢فتح.

(٢) وفي عبارة رواية أخرى "من أحب قومًا حشر معهم"/١٢منه.

سورة التوبة

سورة براءة والتوبة ولها أسماء أخر مدنية قيل إلا الآيتين لقد جاءكم رسول وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون ولها ستة عشر ركوعاً

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾
وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ
مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ
كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ
ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿بَرَاءَةٌ[1] مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، أي : هذه براءة واصلة[2] من الله ورسوله ﴿إِلَى

---

(١) في البخاري عن البراء: إن براءة آخر سورة نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة تبوك وقصد الحج فكره مخالطة الكفار سيما وهم يطوفون بالبيت عراة/١٢منه .

(٢) إشارة إلى أن "من الله" صفة لبراءة لا أنه من صلة براءة /١٢ منه .

الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي : الله ورسوله برءا من العهد الذي عاهدتم به المشركين ، وإن كان صادراً من رسوله -صلى الله عليه وسلم- بإذن الله تعالى ، يعني وجب نبذه ولا عهد بعد ذلك﴿**فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ : أيها المشركون ، ﴿**أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**﴾ ، والأصح أنه من يوم النحر إلى عاشر ربيع الآخر ، وعند بعضهم أنه إلى سلخ المحرم ؛ لأن الآية نزلت في شوال والأكثرون[١] على أن من كان له عهد مؤقت و لم ينقض عهده فأجله إلى مدته مهما كان ، ومن له عهد غير مؤقت أو دون أربعة أشهر أو أكثر لكن نقضه فيكمل له أربعة أشهر وقد صحت هذا الروايات عن علي رضي الله عنه- ، وفي رواية[٢] عن ابن عباس أن من له عهد مؤقت أو غير مؤقت فأجله أربعة أشهر ومن ليس له عهد فأجله انسلاخ الأشهر الحرم فمن يوم النحر إلى انسلاخ المحرم خمسون ليلة ثم السيف حتى يدخلوا في الإسلام ، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ**﴾: لا تفوتونه وإن أمهلكم ، ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ** ﴾ : مذلهم في الدنيا والآخرة ، ﴿**وَأَذَانٌ**﴾ أي: إعلام ، عطف على براءة ﴿**مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ**﴾: يوم أفضل أيام المناسك وأكبرها جميعاً[٣] وهو يوم العيد أو يوم عرفة أو أيام الحج كلها، وعن الحسن البصري رحمه الله: عام، حج فيه أبو بكر[٤] -

---

(١) هذا قول الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد من السلف واختاره ابن جرير وهو الرواية عن السدي وقتادة / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى أن بعض الروايات عن ابن عباس يوافق قول الأكثرين / ١٢ منه .

(٣) وإذا كان يوم العيد فأكبريته باعتبار أن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج من الطواف والسعي والحلق والرمي والذبح ، وإذا كان المراد يوم عرفة فلأنه يحصل في هذا اليوم أعظم واجباته ، لأنه إذا فات فات الحج والحج عرفة / ١٢ منه .

(٤) عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه علياً وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا وحجا فقام علي =

رضي الله عنه- بالاستخلاف، وعن بعضهم: الذي حج فيها النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين و لم يجتمع قبله ولا بعده وقال بعضهم الحج الأصغر العمرة ، ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي : بأنه ﴿بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي : من عهودهم ، ﴿وَرَسُولُهُ﴾ عطف على المستكن في بريء ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : ورسوله كذلك وعند ابن حاجب[1] جاز في مثله أن يكون عطفاً على محل اسم "أن" ، ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ : من الكفر والغدر ، ﴿فَهُوَ﴾ ، أي : الرجوع ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ : من التوبة ، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ : غير فائتين أخذه وعقابه ، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، في الآخرة ، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، استثناء من المشركين في قوله "بريء من المشركين" فالمستثنى من جميع المشركين من كان أجل عهده فوق أربعة أشهر و لم ينقضوا[2] العهد ، فوجب إتمام عهدهم على الأصح ، وأما على ما نقلنا عن ابن عباس رضي الله

= في أيام التشريق فنادى: إن الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، فكان علي ينادي فإذا أعيى قام أبو بكر ينادي بها. أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [وهو صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٨)]، وفي الباب أحاديث في الصحيحين وغيرهما / ١٢ فتح .

(١) فإنه قال : أن المفتوحة قسمان قسم هو في حكم المكسورة نحو علمت أن زيداً قائم وعمرو ، فإن "علم" لا يدخل إلا على المبتدأ و الخبر فلابد أن نقول "أن" في حكم إن المكسورة فجاز فيها العطف على اسمها بالرفع، وقسم ليس في حكمها نحو: أعجبني أن زيداً قائم وعمرًا ، فلا يجوز إلا النصب في "عمرًا" / ١٢ منه .

(٢) وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله بإتمام عهدهم إلى مدهم، وكان قد بقي من مدهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أهم لم ينقضوا العهد/ ١٢ معالم .

عنهما في بعض الروايات فمعناه: أتموا إليهم عهدهم إلى مدهم ، أي : مدة قدرنا وهي أربعة أشهر لكن في الاستثناء يختل الفصل بأجنبي[١] أو تقديره: فقولوا لهم: سيحوا واعلموا أن الله بريء منهم لكن الذين عاهدتم و لم ينقضوا عهدهم أتموا عهدهم وأمهلوهم بعد أربعة أشهر إلى انقضاء أجلهم ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾ : من شروط العهد ، ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ : لم يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾ : من أعدائكم ، ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾ ، تمام ﴿مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، فإتمام العهد من التقوى، ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ ، انقضى ، ﴿الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ : الأشهر التي حرمنا فيها قتالهم وأجلناهم فيها وهو أربعة أشهر لغير من كان معاهدته أكثر من أربعة أشهر و لم ينقض عهده وأكثر من أربعة أشهر لهم فإن بني ضمرة وبني كنانة بقي من مدة عهدهم تسعة أشهر وأوله يوم النحر أو يوم نزول الآية وقد نزلت في شوال كما ذكرنا ، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ : كافة ناكثاً وغير ناكث ، وعلى ما نقلنا عن ابن عباس رضي الله عنهما فمعناه: إذا انقضى الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم فاقتلوا المشركين الذين لا عهد لهم أصلاً، فعلى هذا أول الصفر ابتداء جواز المقاتلة مع من ليس له عهد ، ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ : من حل أو حرم ، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ : ائسروهم ، ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ ، احبسوهم وضيقوا عليهم ، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ : كل ممر حتى لا يتوسعوا في البلاد ، ﴿فَإِن تَابُوا﴾ : عن الشرك ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ : فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر زلاتهم وينعم عليهم .

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ : الذين أمرتك بقتلهم ورفع "أحد" بشريطة التفسير ، ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ : طلب منك الأمان ، ﴿فَأَجِرْهُ﴾ : أمنه ، ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ ،

---

(١) وهو قوله: فإن تبتم فهو خير لكم / إلخ ١٢ منه .

تقرأه عليه وتقيم عليه حجة الله تعالى ، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ، هو مستمر الأمان إلى أن يرجع بلاده ، ﴿ذَلِكَ﴾ : الأمر بأمنه ، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ[1]﴾ : جهلة فلابد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا كلام الله لعلهم يعقلون فيطيعون .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ
عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ
يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا
يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ
إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ
وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن
تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ
وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا

(١) أي : لا يعلمون دين الله وتوحيده، فهم محتاجون إلى سماع كلام الله قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة. /١٢ معالم .

يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ ، استفهام إنكار ، أي : يمكن ذلك وهم على الشرك والكفر وخبر يكون "عند[1] الله" و"كيف" حال من العهد ، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ المَسْجِدِ[2] الحَرَامِ﴾ ، يعني يوم الحديبية ومحله الجر والنصب على الاستثناء المتصل ، لأنه في معنى ليس للمشركين عهد إلا الذين ، أو منقطع أي : لكن تربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ، أي : فإن استقاموا على الوفاء بالعهد فاستقيموا أنتم أيضاً "فما" شرطية ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ ﴾ ، والوفاء بالعهد من التقوى، هم أهل[3] مكة[4] نقضوا عهدهم

(١) وجاز أن يكون خبر "يكون للمشركين" و"عند الله" ظرف للعهد / ١٢ منه .

(٢) هذه الآية تدل على صحة ما نقلنا عن الأكثرين ورجحناه بأنه ثابت عن علي رضي الله عنه فتدبر / ١٢ منه .

(٣) فإنهم عاهدوا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : "اللهم إني ناشد محمداً" إلى آخر ما قال من الأشعار ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا نُصِرتُ إن لم أنصركم وتجهز إلى مكة سنة ثمان حتى فتحها إلى تمام القصة / ١٢ معالم .[رواه أبو يعلي عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنها، وقد وثقهما ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح، كذا في المجمع (١٦١/٦)].

(٤) أي : الذين عاهدتم عند المسجد الحرام / ١٢ منه .

وقاتلوا حلفاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعند ذلك قاتلهم وفتح مكة، وقال بعضهم: هم قبائل[1] من بني بكر قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية و لم ينقضوا والناقض قريش وبعض قبائل بني بكر فإن بني ضمرة ممن استمر على عهده فما قاتلهم أحد حتى أسلموا بلا مقاتلة ، ﴿**كَيْفَ**﴾ ، تكرار للاستبعاد ، أي : كيف لهم عهد عندك؟! ﴿**وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**﴾ ، والحال أهم إن يظفروا بكم ، ﴿**لاَ يَرْقُبُوا**﴾ : لا يراعوا ، ﴿**فِيكُمْ إِلاًّ**﴾ : قرابة، أو حلفا قال بعضهم الإل هو الله عبراني ، ﴿**وَلاَ ذِمَّةً**﴾ : عهدا ، ﴿**يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ ، استئناف ، أي : يظهرون خلاف ما يضمرون ، ﴿**وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**﴾ الوفاء بما قالوا ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ : ناقضون للعهد ، ﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ : استبدلوا بالقرآن ، ﴿**ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ : متاع الدنيا قيل نقضوا العهد بأكلة أطعمهم أبو سفيان ، ﴿**فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ**﴾ : أعرضوا عن دينه، أو منعوا الناس عن الدخول في دينه ، ﴿**إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ ، عملهم[2] هذا ، ﴿**لاَ يَرْقُبُونَ**﴾ : لا يحافظون ، ﴿**فِي مُؤْمِنٍ**﴾ ، فإنهم يحبون الكفر وأهله ، ﴿**إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ : قرابة وعهداً ، ﴿**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** ﴾ : المتجاوزون الغاية في الشرارة ، ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**

---

(١) قال محيي السنة: هذا أقرب إلى الصواب ، لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة ، فكيف يقول لشيء قد مضى "فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم" ، وإنما هم الذين قال الله عز وجل "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً" يعني كما نقضكم قريش ، "و لم يظاهروا عليكم أحداً" كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. انتهى ما قاله محي السنة. قال المصنف في المنهيات بعد أن نقل هذا القول: وأنت إن تأملت في بعض الآيات لعرفت أن الظاهر أن نزولها قبل الفتح /١٢.

(٢) قوله عملهم هذا هو مخصوص بالذم المحذوف / ١٢ منه .

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ ، أي : فهم إخوانكم[(١)] ، **﴿فِي الدِّينِ[(٢)] وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾** : نكررها ونبينها ، **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** ، وهم المؤمنون ، **﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم﴾** : نقضوا مواثيقهم ، **﴿مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي[(٣)] دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾** : رؤساء مشركي قريش فإنهم ناقضون للعهد مستهزئون بدين الله ، أي : قاتلوهم؛ لأنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة في الكفر[(٤)] قال بعضهم : هم أهل فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان: لم يأت أهلها بعد ، **﴿إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾**: لا عهود لهم فإن عهدهم على الحقيقة ليس بعهد ومن قرأ لا إيمان بكسر الهمزة فمعناه لا إسلام أوْ لا أمان لهم ، **﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ[(٥)] ﴾** ، أي : قاتلوهم[(٦)] لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والعناد ، **﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ﴾** ، تحريض على القتال ، **﴿قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾** : كفار مكة

---

(١) يعني "إخوانكم" خبر مبتدأ محذوف / ١٢ .

(٢) قال ابن عباس :حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له / ١٢ معالم .

(٣) قد استدل بالآية على أن الذمي إذا طعن في الدين لا يقتل حتى ينكث العهد كما قال أبو حنيفة ، لأن الله إنما أمر بقتلهم بشرطين أحدهما: نقض العهد، والثاني: الطعن في الدين، وذهب مالك والشافعي وغيرهما إلى أنه إذا طعن في الدين قتل ؛ لأنه ينتقض عهده بذلك ، قالوا : وكذلك إذا حصل من الذمي مجرد النكث فقط من دون طعن في الدين فإنه يقتل / ١٢ فتح .

(٤) إشارة إلى أنه وضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر بمعنى : قاتلوهم فإنهم أحقاء / ١٢ منه .

(٥) هذه الآيات كالصريح في أن نزول تلك الآيات قبل فتح مكة خلاف ما قال محي السنة كما كتبنا على الحاشية، اللهم إلا أن يقال : هذه الآيات من قوله : " وإن نكثوا أيمانهم " قبل الفتح والآيات التي تقدمت بعده / ١٢ منه .

(٦) ولما تقدم الحث على القتال أمر به "قاتلوهم" الآية / ١٢ وجيز .

نقضوا عهد الحديبية ، ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ[1]﴾ : من مكة كما مر في قوله: "وإذ يمكر بك الذين كفروا" ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ : بالقتال ، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، يعني يوم بدر فإنهم خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت استمروا على وجههم طلباً للقتال بغياً وتكبراً، أوالمراد أنهم بدءوا بالقتال مع حلفائكم خزاعة ، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ : أتتركون قتالهم خشية منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ : فلا تتركون لدينه ضعفاً وتسعون في إعلاء كلمته ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، فإن الإيمان الكامل ينفي الخشية عن غير الله ، ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ ، أمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ، ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم ، ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ، وعد من الله بنصر المؤمنين وقتل الكافرين وإذلالهم ، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي : بني خزاعة أعانت قريش بني بكر عليهم ، ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ : كربها بمعونة قريش بني بكر ، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ : من المشركين كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما كان وما لم يكن ﴿حَكِيمٌ ﴾: لا يأمر إلا بما هو المصلحة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: أيها المؤمنون، وأم منقطعة بمعنى الهمزة فيها توبيخ على الحسبان وقيل خطاب للمنافقين ، ﴿أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ ، أي : نتركك مهملين ولا نختبركم بأمور يظهر الخلَّص من غيرهم، نفى العلم ، وأراد نفي المعلوم للمبالغة نفياً للملزوم بنفي اللازم ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ ، عطف على جاهدوا ، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ : بطانة وأولياء يفشون إليهم أسرارهم ، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ : يعلم أغراضكم من أفعالكم .

---

(١) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهموا بأحد أمور ثلاثة قتله وحبسه وإخراجه ، وإنما اقتصرنا على الهم بالإخراج؛ لأنه هو الذي وقع أثره في الخارج بحسب الظاهر وكانت دار الندوة مكان اجتماع القوم للتحدث وكان قد بناها قصي ، وقد أدخلت الآن في المسجد فهي مقام الحنفي الآن / ١٢ فتح .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿مَا كَانَ﴾ : ما صح ، **﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾** ، أيُّ مسجد كان ، أو المراد مسجد الحرام، وجمعه لأنه قبلة المساجد ، ويدل عليه قراءة من قرأ مسـجد الله وعمارته مرمته عند الخراب، أو الصلاة والقعود فيه أو أعم ، قيل : نزلت في عباس حين أسر في البدر فأغلظ علي –رضي الله عنه– له القول في التعيير فأجاب: تعدون مساوئنا

ولا تذكرون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ، ﴿شَاهِدِينَ[١] عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ ، حال من فاعل يعمروا ، أي : ما استقام الجمع بين عمارة بيت الله وعبادة غيره ،﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ[٢] أَعْمَالُهُمْ﴾ ، لأن الكفر يذهب ثوابها ، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ ، في باب[٣] الدين وأمره يعني من كان بهذه الصفات فهو اللائق بعمارة المساجد قال صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم[٤] الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان" ، قال الله تعالى : " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " (التوبة:١٨)، وقد ورد "عمار المساجد هم أهل[٥] الله" ﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ، قيل الإتيان بلفظ عسى إشارة إلى ردع الكفار وتوبيخهم بالقطع في زعمهم أنهم مهتدون فإن هؤلاء مع هذه الكمالات اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما ظنك بمن هو أضل من البهائم! وإشارة إيضاً إلى منع المؤمنين من الاغترار والاتكال على الأعمال ،﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ، أي : أهل السقاية والعمارة ، وقيل المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أي: الساقي والعامر ،

---

(١) وشهادتهم على أنفسهم هو قولهم في الطواف لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك إذا سئلوا عن دينهم قالوا: نعبد اللات والعزى / ١٢ منه .

(٢) لأنها لغير الله عز وجل / ١٢ معالم .

(٣) لا أن يترك الدين خشية من زوال مال أو جاه أو تعيير أو قتال / ١٢ منه .

(٤) ذكره الإمام أحمد والدارمي والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن المنذر والبيهقى هذا يدل على أحد الوجهين الأخير في قوله: "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله" /١٢ منه وفتح .[ضعيف، انظر ضعيف الجامع]

(٥) رواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه والحافظ البزار / ١٢ منه .[ضعيف، وهو في "الحلية" أيضا لأبي نعيم (١٧٣/٦)]

﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ[1] الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، وفي مسلم قال رجل من: الصحابة ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال الآخر: الجهاد خير مما قلتم[2] فقال عمر: استفتيت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأنزل الله تعالى : " أجعلتم سقاية الحاج " الآية ، وعن كثير من السلف: أنها نزلت في مفاخرة عباس وطلحة وعلي بن[3] أبي طالب رضي الله عنهم ، قال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه ، ولو أشاء أبيت فيه ، وقال العباس بعد إسلامه : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي : ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، وأنزلت حين قال المشركون[4] : عمارة البيت والقيام على السقاية خير من الإيمان والجهاد ، ﴿لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾ ؛ بل المجاهد أفضل لكن للمرجوح درجة[5] ثم بين بقوله ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، أن من ليس له فضل ، ولا هداية ولا درجة هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادة الأوثان مكان عبادة الله ، وإن كان سبب النزول مفاخرة المشركين فقوله: " والله لا يهدي القوم الظالمين " لبيان عدم التساوي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ : ممن لم

---

(١) جاز أن يكون تقديره: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجهاد من جاهد؟! / ١٢ منه .

(٢) يعني من السقاية والعمارة / ١٢ منه .

(٣) تصديقاً لمن قال الجهاد أفضل / ١٢ منه .

(٤) رواه العوفي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٥) هذا على أن تكون تلك المفاخرة بين المسلمين كما بُيِّن في الوجهين الأولين، وأما على الوجه الثالث فهو الذي ذكرناه بقولنا : وإن كان سبب النزول إلى آخره فافهم/١٢ منه .

يستجمع هذه الصفات ، ﴿وأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ : بالنجاة الكلية[1] عن النار والظفر المطلق بالأمنية ، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ : يستحقر دونه نعيم الدنيا بأسرها ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ : أصدقاء ، ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ : اختاروا ، ﴿الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ ، نزلت حين أمروا بالهجرة من مكة فإن بعض[2] المؤمنين قالوا : إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا ، أو نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ : بوضع الموالاة مكان المعاداة ، ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ : أقرباؤكم ، ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ : اكتسبتموها ، ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ : تستطيبونها ، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ ، جواب الشرط ، أي : انتظروا ، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ : عقوبته العاجلة والآجلة ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ : لا يرشد الخارجين عن الطاعة وفي الحديث[3] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : الآن يا عمر ، قيل المراد الحب الاختياري دون الطبيعي الذي لا يدخل تحت التكليف .

---

(١) فلا يرد أن من لم يكن له هذه الصفات لم يكن من الفائزين فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) نقله محي السنة والواحدي / ١٢ منه .

(٣) رواه البخاري في صحيحه / ١٢ وجيز .

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم
مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ
جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ
ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟
ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ : أماكن ، **﴿كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ**[1] **حُنَيْنٍ﴾** ، أي : وموطن يوم حنين[2] واد بين مكة وطائف وقع فيه المقاتلة بعد فتح مكة ، **﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾** ، بدل من يوم حنين ، **﴿كَثْرَتُكُمْ﴾** ، المؤمنون اثنا عشر ألفا والكفار أربعة آلاف ، **﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾** ، أي : لم تدفع الكثرة ، **﴿عَنكُمْ شَيْئاً﴾** : من أمر العدو ، **﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ**

---

(١) عطف على محل في مواطن ولا محظور فيه أصلاً فلا تخف من قعقعة سلاح الزمخشري فليست تحته إلا إخافة وليس بشيء فتدبر / ١٢ منه .

(٢) قدر المضاف في يوم حنين ، لأن المتعلقات لا يعطف بعضها على بعض إلا ما هو من جنسه نحو صمت يوم الجمعة ويوم الخميس، ولا يقال صمت يوم الجمعة وفي بلدك وبتقدير المضاف صارا ظرفين مكانيين وجاز أن يقدر في أيام مواطن حتى يكونا زمانيين / ١٢ منه .

﴿الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ، أي : برحبها وسعتها فلم تجدوا موضعاً للفرار تطمئن به نفوسكم ، **﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾** : فررتم ، **﴿مُّدْبِرِينَ﴾** : منهزمين حتى بلغ[1] فُلّكُم مكة وبقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مركزه معه العباس وأبو سفيان[2] ، **﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾** : ماسكن واطمئن به الفؤاد من رحمته ، **﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** : فنادى العباس بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان صيتاً : يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة. فكرُّوا عنقاً واحداً قائلين لبيك لبيك ، **﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً﴾** : من الملائكة ، **﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾** ، لكن قالوا : سمعنا صلصلة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الجديد ، **﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** : بالقتل والسبي ستة آلاف أسير من صبي وامرأة ، **﴿وَذَلِكَ﴾** ، إشارة إلى ما فعل بهم ، **﴿جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾** : في الدنيا ، **﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾** ، فإن كثيراً ممن بقي من هؤلاء المقاتلين بعد الوقعة بقريب من عشرين يوماً قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلمين فرد عليهم سبيهم كلها برضى المؤمنين وقسم أموالهم بين الغانمين ، **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** : لمن آمن يتجاوز عنه ويتفضل عليه ، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ[3]﴾** : باطنهم ودينهم قال قتادة

---

(١) أي : منهزموكم يستوي فيه الواحد والجمع / ١٢ .

(٢) ابن حارث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحارث والفضل بن عباس وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجالاً / ١٢ وجيز .

(٣) جعلوا كأنهم النجاسة مبالغة، فإن النجس بفتح الجيم مصدر أو معناه ذوو نجس فإن شركهم بمنزلة نجس ، وعن بعض أن أعيانهم كالكلاب والخنازير نجسة، وعند الحسن من مس مشركاً فليتوضأ / ١٢ وجيز ، وفي الفتح: قد استدل بالآية من قال : بأن المشرك نجس الذات كما ذهب إليه بعض الظاهرية، وروي عن الحسن البصري ، وهو =

لأنهم[1] لا يتطهرون من جنابة ولا من حدث ، **﴿فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ[2] الْحَرَامَ﴾** ، منعوا من دخول الحرم ، وقيل : منعوا عن الحج[3] والعمرة لا عن الدخول مطلقاً ، **﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾** ، وكان سنة تسع أرسل علياً ونادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾** : فقراً بسبب منع الكفار من الحرم لانقطاع المتاجر ، **﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** : من عطائه بوجه آخر ، **﴿إِن شَاءَ﴾** ، قيده بالمشيئة لينقطع الآمال إلى الله عوضهم الجزية وأموال البلدان ، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾** : بأحوالكم ، **﴿حَكِيمٌ ﴾** : في المنع والإعطاء ، **﴿قَاتِلُوا[4] الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** ، أمر بقتال أهل الكتاب ، فهم لا يؤمنون إيماناً كما ينبغي فإيمانهم كلا إيمان ، **﴿وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾** : كالخمر والربا ، **﴿وَلاَ يَدِينُونَ[5] دِينَ الْحَقِّ﴾** : لا يعتقدون دين الثابت الناسخ لسائر الأديان ، **﴿مِنَ الَّذِينَ**

= محكي عن ابن عباس ، وقال الحسن بن صالح : من مس مشركاً فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية وذهب الجمهور من السلف والخلف ومنهم أهل المذاهب الأربعة إلى أن الكافر ليس بنجس الذات؛ لأن الله سبحانه أحل طعامهم وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك من فعله وقوله ما يفيد عدم نجاسة ذواتهم فأكل في آنيتهم وشرب منها وتوضأ فيها وأنزلهم في مسجده وهو الحق / ١٢ .

(١) فعلى قوله نجس ظاهرهم وباطنهم / ١٢ منه .

(٢) يطلق مسجد الحرام ويراد به الحرم كله / ١٢ منه .

(٣) فيكون المراد من المسجد الحرام نفس المسجد ؛ لأن الحج لابد له من الدخول فيه/١٢ منه .

(٤) ولما بين وفصل أمر المشركين من قريش وغيره توجه إلى أمر أهل الكتاب فقال : " قاتلوا الذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذ دينه واعتقده / ١٢ منه .

﴿أُوتُوا الكِتَابَ﴾ ، بيان للذين لا يؤمنون ، **﴿حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ﴾** : ما تقرر عليهم أن يعطوه ، **﴿عَن يَدٍ﴾** : عن قهر وذل يقال لكل شيء أعطي كرها : أعطاه عن يد أي : عاجزين فهو حال أو يعطوها بأيديهم ولا يرسلون على يد غيرهم ، أي : المسلمين بأيديهم وقيل : عن غنى[1] ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير ، **﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** ، ذليلون ، عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤخذ منه وتوجأ عنقه .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

---

(١) يقال: لفلان ذات يد أي ثروة ومال / ١٢ منه .

مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُوا۟
ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا
وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ
سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وَقَالَتِ[1] الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وذلك لأن العزير كتب التوراة بعدما فات منهم وضاع ، ثم لما وجدوا نسخة من نسخ التوراة قابلوها بها فوجدوها صحيحاً فقال بعض جهلتهم ، إنما جاء بها لأنه ابن الله ، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وسبب ضلالهم في المسيح ظاهر ، ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ : لامستند لهم كالمهمل يتفوهون به ليس له مفهوم عيني ، ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ ، أي : يضاهي قولهم فحذف القول وأقيم المضاف إليه مقامه ، ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ ، من قبلهم ، أي : قدمائهم فالكفر فيه قديم ، أو المشركين الذين يقولون الملائكة بنات الله ، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ ، قال ابن عباس : أي لعنهم الله ، ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ، كيف يضلون عن الحق ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ ، علماؤهم ، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ ، زهادهم والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ، ﴿أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ، حرموا[2] عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام

---

(١) هذا كالدليل على جواز مقاتلتهم لما قتل الأنبياء بعد موسى رفع الله عنهم التوراة ومحاها عن قلوبهم خرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل وعلمه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه فلما وجدوا شيئاً من التوراة قابلوها فوجدوها صحيحاً فقالوا ما قالوا/١٢ وجيز .

(٢) الأكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم؛ بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم، عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي –
=

فأطاعوهم وتركوا كتاب الله تعالى ، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ، بأن جعلوه ابناً له ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً﴾ ، هو الله ، ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ، صفة ثانية أو استئناف ، ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ[1]﴾ ، هو المنزه عن شريك وولد ، ﴿يُرِيدُونَ أَن

= صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال : "إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه" أخرجه أحمد وابن جرير والترمذي وحسنه البيهقي في سننه وابن أبي حاتم [حسن، انظر صحيح الترمذي (٢٤٧١)]، وقال الربيع: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل ؟ فقال : إنهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى قال شيخنا ومولانا خاتم المحققين والمجتهدين رضي الله عنهم: قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات و لم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إليّ كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها؟! ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا / ١٢ كبير.

(١) وفي هذه الآية مما يزجر عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب والسنة المطهرة فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياؤه -هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم؛ بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء، فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه فعملتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق و لم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب =

﴿يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ، الذي أرسل به رسوله من الهدي ودين الحق ، **﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾** ، بتكذيبهم ، **﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾** ، لا يرضى ، **﴿إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾** ، بإعلاء كلمته، والاستثناء مفرغ لأن الفعل الموجب في معنى النفي وهذا تمثيل لحالهم في طلب إبطال الدين بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور منبث في الآفاق بنفخة ، **﴿وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾** ، إتمامه، ويدل على جواب لو ما قبله ، **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾** ، القرآن والمعجزة ، **﴿وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾** ، ليعليه على سائر الأديان فينسخها فالضمير إما لدين الحق ، أو للرسول ، أو على أهل الكتاب(*) فيخذلهم ، **﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾** ، غلبته وهذه الجملة كالبيان للجملة الأولى .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً(١) **مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾** ، يأخذ علماء أهل الكتاب الرشى ويبطلون دين الله وحكمه والمقصود

والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه؟! فدعوا أرشدكم وإياي كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ومعبودهم ومعبودكم واستبدلوا بأقوال من تدعوهم بأئمتكم بأقوال إمامكم وإمامهم وقدوتهم وقدوتكم وهو الإمام الأول محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم– اللهم اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب / ١٢ فتح .

(*) قوله: "أو على أهل الكتاب" معطوف على قوله: "ليعليه على سائر الأديان" ولو عطف على ما قبله مباشرة لفسد المعنى؛ إذ لا يصح أن يعود الضمير في قوله: "ليظهره" على أهل الكتاب. والله أعلم.

(١) ولعمري من تأمل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنما ما أنزلت إلا في شأنهم وفي شرح أحوالهم فنرى الواحد منهم يدعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى إذا آل الأمر إلى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله / ١٢ كبير .

التحذير من علماء السوء وعباد الضلال ، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، يصرفون الناس عن اتباع الحق ، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا﴾ ، الضمير للدنانير والدراهم الكثيرة الدالة عليها يكترون الذهب والفضة ، أو للكنوز أو للفضة ، لأنها أقرب وتدل على أن حكم الذهب بطريق الأولى ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، عن كثير من السلف كعمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أن الكتر مال لم يؤد منه الزكاة وما أدي زكاته فليس بكتر[*] وقد صح عن علي رضي الله عنه قال : أربعة آلاف فما دونها نفقة فما أكثر من ذلك فهو كتر ومثل هذا مذهب كثير من السلف، والأخبار في مدح التقلل وذم التكثر[1] أكثر من أن يخفى ، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ ، أصل معناه يوم تحمى النار ، أي : توقد ذات حمي وحر شديد على الكنوز ثم طوي ذكر النار وحول الإسناد إلى الجار والمجرور للمبالغة في شدة حر الكنوز ، ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾، لا يوضع دينار على[2] دينار لكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم في موضع على حدة قال بعضهم صاحب الكتر إذا رأى الفقير قبض جبهته وولى ظهره وأعرض عنه كشحه ولهذا خص الجباه والجنوب والظهور ، ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك ، ﴿لأَنفُسِكُمْ﴾ ، فصار النفع ضرًّا ، ﴿فَذُوقُوا﴾ : وبال ، ﴿مَا كُنتُمْ[3] تَكْنِزُونَ﴾ ، ما

(*) وقد صح ذلك مرفوعا.

(١) نقل الإمام أحمد عن علي –رضي الله عنه– أن رجلاً من أهل الصفة مات وترك دينارين فقال عليه السلام كيتان/١٢ منه .

(٢) هكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لكن في إسناده ضعف/ منه .

(٣) ولما عد أنواعاً من قبائح أهلِ الكتاب والنسيء من قبائحهم عده في جنبها فقال إنما النسيء / وجيز .

مصدرية أو موصولة وأكثر السلف على أن الآية عامة في المسلمين وأهل الكتاب وبه بالغ وحلف[1] أبو ذر .

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ ، مبلغ عددها ، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ ، متعلق بعدة فإنها مصدر ، ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾ ، لا أزيد من ذلك كما يفعله المشركون وسنذكره في قوله : " إنما النسيء زيادة " الآية (التوبة:٣٧)، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ : في اللوح المحفوظ أو في حكمه ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ، أي : ثابت في كتاب الله يوم خلق الأجسام فيكون "في كتاب الله" صفة لاثني عشر و"يوم خلق" متعلق بمتعلقه ، ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ، رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ ، أي : تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين الأنبياء ، ﴿فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ، بهتك حرمتها فإن الظلم فيها أعظم وزراً فيما سواه ، والطاعة فيها أعظم أجراً قال بعضهم : ضمير فيهن راجع إلى اثني عشر ، أي : لا تظلموا في الشهور كلها قال الأكثرون : حرمة المقاتلة في أشهر الحرم منسوخة فأولوا نهي الظلم بترك المعاصي ، وقال بعضهم : محكمة وجازت المقاتلة إذا كانت البدأة منهم وأجابوا عن محاربة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل الطائف بأن ابتداءه في الشهر الحلال ، ﴿وَقَاتِلُوا[2] المُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ : جميعاً ، ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ : هو تهييج وتحضيض للمسلمين بالاتفاق في محاربة أهل الشرك والنفاق ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ : بشرهم بالنصرة بعدما أمرهم بالمقاتلة ، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ : هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر وذلك لأنه إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا بدله شهرًا من أشهر الحل حتى رفضوا خصوص الأشهر الحرم واعتبروا مجرد العدد ، ﴿زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ : فإن

---

(١) حين يدعي معاوية بن أبي سفيان أن الآية في شأن أهل الكتاب لا فينا / منه .

(٢) فيه دليل على وجوب قتال المشركين وأنه فرض على الأعيان إن لم يقم به البعض/فتح .

تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه كفر ضموه إلى كفرهم ، ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ضلالاً زائداً ، ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ : أي : النسيء من الأشهر الحرم ، ﴿عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً﴾ : إذا قاتلوا[١] فيه أحلوه وإذا لم يقاتلوا فيه حرموه ، ﴿لِّيُوَاطِئُوا﴾ : متعلق بما دل عليه الكلام ، أي : حرموا مكانه شهرًا آخر ليوافقوا ، ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ : لا يزيد ولا ينقص الأشهر الحرم من الأربعة ، ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ، فإنه لم يحرموا الشهر الحرام بل وافقوا في العدد وحده ، قيل: وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت فلذلك قال تعالى: " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر " الآية ، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ : فإن الشيطان يغويهم ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ، أي : لا يهدي من هو في علم الله كافر مؤبد الكفر أو معناه، لا يهديهم في حال كفرهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِى ٱلۡأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ

---

(١) قد نقل أن جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم ينادي : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه/ منه .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] **آمَنُوا مَا لَكُمْ**[2] **إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا﴾** : اخرجوا ، **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾** ، تباطأتم ، **﴿إِلَى الأَرْضِ﴾**، متعلق باثاقلتم لتضمنه معنى الميل والخلود نزلت في شأن غزوة تبوك أمروا بها حين رجعوا من فتح مكة والطائف[3] في وقت عسرة وشدة حر فشق عليهم ، **﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾** ، أي : بدلها

---

(١) وكانت العرب لا عيش لأكثرهم إلا من الغارات وأعمال السلاح وهم يدعون إنا على دين إبراهيم ، وكانت إذا توالت عليهم الثلاثة الحرم صعب عليهم وكان فيهم من يبين دينهم فهو الذي شرع له النسيء وبقي إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضل فيهم ذو الحجة، وأما أن سنة حج فيها أبو بكر هي في ذى القعدة فليس بشيء وإن قاله بعض المؤرخين ؛ لأنه نودي في حج أبي بكر بتحريم النسيء ونفي منهم وغيره من أمر الجاهلية وأيضاً لما مضى من حجته عشر أشهر وكان الحادي عشر في أواخره سار(*) صلى الله عليه وسلم إلى الحج موافياً لهلال ذي الحجة فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار كهيئته فعلم قطعاً أن استدارته كانت في حجة أبي بكر والحمد لله وحده ولما أمرهم وهيجهم وشجعهم على القتال كافة وهم لم يبادروا وتثاقلوا وقعوا موقع العذاب فقال : " يا أيها الذين آمنوا ما لكم " الآية / وجيز .

(*) كذا بالأصل، واللفظ في الحديث "كهيئة".

(٢) الاستفهام إنكاري تفريعي والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يذكر إغلاظاً ومخاشنة لهم صوناً عن ذكره إذ خولف أمره / وجيز .

(٣) سنة تسع من الهجرة / ١٢ .

يعني الجنة ، **﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** ، التمتع بها ، **﴿فِي الآخِرَةِ﴾** ، أي: في جنبها ، **﴿إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾** ، فإنها لا تتناهى وأين نعيم الدنيا من نعيمها **﴿إِلاَّ تَنفِرُوا﴾** ، شـــرطية ، **﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾** ، في الدنيا والآخرة ، **﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾** ، يأت بقوم آخرين مطيعين بعد هلاككم، **﴿وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾** ، بالتثاقل فإنه هو الناصر لدينـــه ، أو الضمير لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، أي : سينصره إن قعدتم عن الحـــرب ، **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** ، فيقدر على تبديلكم ونصرته بـــلا مددكـــم ، **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾** ، بمترلة العلة له ، **﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، حاصلـــه أنه ينصره كما نصره جواب الشرط محذوف[(١)] وهو فسينصره ، وقوله : " فقد نصـــره الله" حين إن وقع الكفار سببًا لخروجه ، **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ[(٢)]﴾** ، أي حال كونه أحد اثنـــين هو وأبو بكررضي الله عنه ، **﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾** ، في جبل ثور وهو بدل البعض مـــن "إذ أخرجه" ، لأن المراد منه زمان متسع[(٣)] ، **﴿إِذْ يَقُولُ﴾** ، بدل آخر أو ظرف لثاني ، **﴿لِصَاحِبِهِ﴾** ، أبي بكر حين طلع الكفار فوق الغار يطلبونهما ، **﴿لاَ تَحْزَنْ[(٤)] إِنَّ اللَّـــهَ**

---

(١) لا يجوز أن يكون "فقد نصره الله" جواباً للشرط ؛ لأنه ماض محض فالمذكور بمترلة العلـــة ، أي : إن لا تنصروه فينصره الله كما نصره ؛ لأنه نصره في وقت أصعب من ذلك .

(٢) قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر/ فتـــح ، وعن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأبي بكر : أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث صحيـــح حســـن غريـــب/ فتح.[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٤٢١)]

(٣) وهذا الزمان الذي هما في الغار بعضه .

(٤) قال أبو بكر : يا رسول الله ، إن قتلت فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة وذهب دين الله فقال -صلى الله عليه وسلم- : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ومن تلك الآية قال العلماء من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر/ وجيز .

مَعَنَا[1]﴾ ، بالنصرة والعصمة ، **﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾** ، أمنته ، **﴿عَلَيْهِ﴾** ، أي تجدد أمنته على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الضمير لأبي بكر رضي الله عنه ويؤيد الأول قوله ، **﴿وَأَيَّدَهُ﴾** ، أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا خلاف ، **﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾** ، أي : الملائكة ليحرسوه ، قال بعضهم : المراد بقوله : " وأيده بجنود لم تروها " التأييد يوم البدر فعلى هذا عطف على أخرجه الذين كفروا ، **﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، كلمة الشرك ، **﴿السُّفْلَى[2]﴾** ، حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فلم يروه أو حين قتلوا وأسروا يوم بدر ، **﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾** ، كلمة التوحيد عالية ظاهرة حين هاجر المدينة أو حين غلبوا ونصروا يوم بدر ، **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** ، في أمره وتدبيره ، **﴿انفِرُوا[3]﴾** ، إلى جهاد تبوك ، **﴿خِفَافاً وَثِقَالاً﴾** ، شبانًا وشيوخًا أو نشاطًا وغيره أو ركبانًا ومشاة أو فقيرًا وغنيًّا أو قليل العيال وغيره أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه أو أصحاء ومرضى أو مسرعين، وبعد الاستعداد ، **﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ[4] خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** ، من التثاقل إلى الأرض ، **﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** ، فإن من لم يكن من أهل العلم لا يصدق بخيرية النفور ويختار هوى النفس ، قال ابن عباس رضي الله عنه: نسخت هذه الآية بقوله : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " ، قال بعضهم[5] : لما نزلت اشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله :

---

(١) أي : ناصرنا كذا في البخاري في كتاب التفسير .

(٢) مقهورة مخفوضة .

(٣) ولما توعد من لا ينفر معه وضرب له من الأمثال، أتبعه بالأمر الجازم فقال : انفروا خفافاً / وجيز .

(٤) أي : الجهاد بالأموال والأنفس .

(٥) هو السدي .

" ليس على الضعفاء ولا على المرضي " الآية (التوبة: ٩١)، ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ ، لو كان ما دعوا إليه نفعاً وغنيمة دنيوية قريبة ، ﴿وَسَفَراً قَاصِداً﴾ ، متوسطاً ، ﴿لاَّتَّبَعُوكَ﴾ ، وافقوك ، ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ ، المسافة التي تقطع بمشقة فإنه عليه الصلاة والسلام خرج بنية الروم ، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ[١] بِاللَّهِ﴾ ، إذا رجعت من تبوك عذراً للتخلف يقولون ، ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ ، استطاعة بدن ومال ، ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ ، هذا ساد مسد جوابي القسم والشرط ، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ[٢]﴾ ، بإيقاعها في العذاب للحلف الكاذب حال من فاعل سيحلفون ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ، فإنهم مستطيعون .

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا

(١) إخبار عما سيقع فما هو إلا معجزة / وجيز .

(٢) جملة مستأنفة وإخبار منه سبحانه وباقي الإعرابات تمحلات / وجيز .

فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ
وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟
إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ
كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ
وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ
مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟
مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى
ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ ﴾

﴿**عَفَا**[1] **اللَّهُ عَنكَ**﴾ ، خطأك في إذنهم للتخلف، بدأ بالعفو قبل التعيير بالذنب لنهاية العناية في شأنه عليه الصلاة والسلام ، ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ : في القعود وهلا توقفت ،

---

(١) قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أي : في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، =

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ : في الاعتذار فتأذن لهم ، **﴿وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾** : فلا ترخصهم فى التخلف ، **﴿لاَ يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**[١] **وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** ، في التخلف كراهة ، **﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾** ، لأنهم يرون الجهاد[٢] قربة أو لا يستأذنون في أن يجاهدوا[٣] بل يسرعون إلى الجهاد من غير طلب إذن ، **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾** ، فيجازيهم على حسب تقواهم[٤] ، **﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ﴾** ، في التخلف ، **﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾** ، يتحيرون ، **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾** ، معك إلى القتال ، **﴿لأَعَدُّوا لَهُ﴾** ، للخروج ، **﴿عُدَّةً﴾** ، أهبة من الزاد والركوب ، أي : هم أهل ثروة واستطاعة ، **﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾** ، يعني ما خرجوا ولكن[٥] تثبطوا ؛ لأن الله أبغض

= والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك ، قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يؤمر بشيء فيهما إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أساري بدر فعاتبه الله كما تسمعون / لباب التأويل المعروف بالخازن .

(١) يعني أن المخلص الخالص إذا توجه سلطانه وسيده إلى سفر سيما إلى حرب لا يخطر بباله التخلف بل يسرع إلى التجهز فلا يستأذن / وجيز .

(٢) يعني : أن يجاهدوا مفعول له بحذف مضاف يعني أن الاستئذان فى التخلف لأجل كراهة المجاهدة منتف عنهم / منه .

(٣) على هذا الوجه أن يجاهدوا ظرف بحذف حرف الجر والوجه الأول كأنه أولى لأن مقدمه وهو قوله : " لم أذنت لهم " ليس إلا الإذن في التخلف ومؤخره وهو قوله: "إنما يستأذنك " أيضاً كذلك فالمناسب أن يكون المتوسط مثلهما / منه .

(٤) ومن تقواهم إسراعهم في القربات (وجيز) .

(٥) من حق حرف الاستدراك التوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإثباتاً وظاهر الآية أنهم لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا لكن كره الله فبين الشارح ملخصه وهو أن نفي إرادتهم =

خروجهم معك ، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ ، حبسهم ومنعهم عن الخروج ، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ ، في بيوتكم تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم ، أو قال بعضهم لبعض ، ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ، الذين لهم عذر ، أو مع الصبيان والنسوان وعلى هذا صلاحكم في تخلفهم ، وعتاب الله تعالى عليه لمبادرة الإذن في التخلف ، ﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ ، يبين[(١)] وجه كراهته تعالى ، ﴿فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ ، بخروجهم شيئاً ، ﴿إِلاَّ خَبَالاً﴾ ، فساداً ولا يلزم من هذا[(٢)] أن يكون للمؤمنين فساد وهم زادوه ، ﴿وَلأَوْضَعُوا﴾ ، لأسرعوا ركائبهم[(٣)] ، ﴿خِلالَكُمْ[(٤)]﴾ ، في وسطكم بإيقاع العداوة للنميمة ، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ ، يريدون أن يفتنونكم[(*)] بإيقاع الخلاف[(٥)] فيكم ، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ، مطيعون[(٦)] مستجيبون لحديثهم أو سماعون لهم الأخبار لينقلوها عليهم ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ، فيجازيهم ، ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ ، تفريق أصحابك

= الخروج يستلزم نفي خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فيئول حاصله إلى ما فسره وهو في غاية الانتظام / ١٢ منه .

(١) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي على ذي حرة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله تعالي يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم : " لو خرجوا " الآية / معالم .

(٢) لأن المستثنى منه كما بينا هو أعم العام الذي هو شيئاً والاستثناء متصل مفرغ/١٢ منه .

(٣) فمفعول أوضعوا محذوف هو ركابهم ١٢ .

(٤) من وضع البعير: أسرع .

(*) كذا في الأصل بإثبات النون.

(٥) فإنهم نمامون حرفتهم النميمة / وجيز .

(٦) قاله قتادة (منه) .

وتشتيت أمرك ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ ، في أوائل ما جئت المدينة رمته العرب واليهود ومنافقوها عن قوس واحد ، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ ، دبروا لك الحيل ، ﴿حَتَّى جَاءَ الحَقُّ﴾ ، التأييد الإلهى ، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ، وعلا كلمته يوم بدر ويوم فتح مكة ، ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ، كما قال ابن سلول الملعون حين سمع قصة بدر : هذا أمر قد توجه ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ ، في القعود ، ﴿وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ ، لا توقعني في الفتنة ببنات الأصفر نزلت في جد بن قيس من أشراف بني سلمة حين قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له هل لك في جهاد بني الأصفر يعني الروم فقال لنفاقه: ائذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فوالله إني أخشي إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ولكني أعينك بمالي(•)، ﴿أَلاَ فِي الفِتْنَةِ﴾ ، بسبب تخلفهم عنك ، ﴿سَقَطُوا﴾ ، لابسبب بنات الأصفر وما دعوهم إليه ، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ، جامعة لهم لا مهرب ولا محيص ، ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ ، ظفر وغنيمة ، ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ ، كما أصاب يوم أحد ، ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ ، عملنا بالحزم كما قال ابن سلول وأصحابه حين تخلفوا عنك يوم أحد ، ﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ ، عن مقام التحدث أو أعرضوا عن الرسول ، ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ ، بما نالكم من المصيبة ، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ، في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم ، ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ ، ملجؤنا وناصرنا ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، لاعلى كثرة العدد والعدد ، ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ ، تنتظرون ، ﴿بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ﴾ ، النصرة والشهادة(١) وكل

(•) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، كذا قال الهيثمي في "المجمع"، (٧/ ٣٠).

(١) ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تكفل الله (وفي رواية تضمن الله) لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمانًا بي =

منهما حسنى ، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ ، إحدى السوءين ، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ ، بقارعة وبلاء من السماء ، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أو بعذاب بأيدينا كالقتل، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ، انتظروا ما هو عاقبتنا ، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ، ما هو عاقبتكم ، ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ ، طائعين أو مكرهين ، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ[1] مِنكُمْ﴾ ، أمر في معنى الخبر ، أي : لن يتقبل الله منكم نفقاتكم إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً كما[2] قال جد بن قيس أعينك بمالي ، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ ، تعليل لعدم القبول على سبيل الاستئناف ، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ ، أي : إلا كفرهم فاعل منع ، ﴿بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ ، متثاقلين ليس لهم قصد صحيح ، ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ ، لأنهم لا يرجون بها ثواباً؛ بل غرضهم إظهار الإسلام ، ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ﴾ ، فإنها لهم استدراج ووبال ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، بزكاتها والنفقة في سبيل الله على كره والتعب في جمعها والوجل في حفظها والشدائد والمصائب فيها فهي لهم عذاب وللمؤمنين أجر ، قال بعضهم : في الحياة الدنيا متعلق بلا تعجبك ، ﴿وَتَزْهَقَ﴾ ، تخرج ، ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ، أي : يموتوا كافرين مشتغلين بصعوبة فراق مستلذات الدنيوية غافلين عن النظر في العاقبة ، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ ، من جملة المسلمين ، ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ، فإنهم

= وتصديقًا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة" أخرجاه في الصحيحين (لباب) .

(١) لأن هذا الإنفاق إنما وقع لغير الله وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله؛ بل أنفقه رياء وسمعة فإنه لا يقبل منه (لباب) .

(٢) نقله محيي السنة .

منافقون ، ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ ، يخافون فيحلفون تقية ، ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً﴾ ، حصناً يلجئون إليه ، ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ ، غيراناً في الجبال ، ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ ، نفقاً ينحجرون فيه كنفق اليربوع[١] ، ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ[٢]﴾ ، لأقبلوا نحوه ، ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ ، يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء وحاصله أنهم لو وجدوا مهرباً منكم أي مهرب لفروا منكم لضيقهم في أيديكم، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ ، يعيبك ، ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ، أي : في قسمتها ، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا[٣] وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ ، أي : ينكرون ويعيبون لحظ أنفسهم ، وإذا للمفاجأة نائب مناب فاء الجزاء نزلت في ذوي الخويصرة[٤] أصل الخوارج وآبائهم حين قال : اعدل في القسمة فقال صلى الله عليه وسلم : قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل فمن يعدل؟[*]، أو نزلت في أبي الجواظ من المنافقين حين قال: لم تقسم بالسوية ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ﴾ ، أعطاهم ، ﴿اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ، من الغنيمة والصدقة، وفعل الرسول بأمر الله، فلذلك أتى بلفظ الله ، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ﴾ ، محسبنا وكافينا ، ﴿سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، في أن يوسع علينا من فضله وجواب لو محذوف ، أي : لكان خيراً لهم وأقوم .

---

(١) دويبة تحفر الأرض / ١٢ .

(٢) ولما جاء بأوعاد الضمير في إليه مفرداً على قاعدة العربية وعوده إلى المغارات بالتأويل لتذكير الضمير (وجيز).

(٣) عن العطاء لا عن المعطي (وجيز).

(٤) رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة قد قتله على بن أبي طالب حين قاتل الخوارج/١٢ منه .

(*) أخرجاه في الصحيحين.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ
يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾
يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ
ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا
كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا
تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿إِنَّمَا[1] الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ ، أي : الزكاة لهؤلاء لا لغيرهم[2] والفقير المستضعف الذي لا يسأل ، وعند الشافعي رضي الله عنه: من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من

---

(١) ولما جاء ذكر الصدقات ومن يعيب الرسول فيها بين مصرفها فقال: (إنما الصدقات) الآية/١٢ وجيز .

(٢) أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا البصر وخفضه فرآنا جلدين فقال : "إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب" (صحيح، أخرجه أبو داود (١٦٣٣)، والنسائي =

حاجته أو المحتاج[1] المريض أو فقراء المهاجرين[2] ، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ، المستضعف الذي يطوف[3] ويسأل وعند الشافعي رضي الله عنه من له مال أو كسب لكن لا يكفيه أو المحتاج الصحيح والفقراء من أهل الكتاب ، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ ، الساعين في تحصيل الصدقات غنياً أو فقيراً ، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وهم أقسام منهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه ، ومنهم من يعطى رجاء إسلامه، ومنهم من يعطى لإسلام نظرائهم وأمثالهم ، ومنهم من يعطى ليأخذ الزكاة ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، قال كثير من العلماء : سهمهم الآن بعد أن أعز الله تعالى الإسلام ساقط ، وقال قوم : باق إلى الأبد، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ ، أي : للصرف في فك الرقاب بإعانة المكاتب أو باشتراء الرقاب للعتق، والعدول عن اللام إشارة إلى أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب ، ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ ، المديونين إن صرفه في غير معصية وحينئذ لو صرفه في مصالحه فيعطى إذا لم يكن له ما يفيء بالدين ولو صرفه في المعروف وإصلاح ذات

= (٩٩/٥) وغيرهما]، قال البغوي : اختلفوا في حد الغني الذي يمنع أخذ الصدقة ، فقال الأكثرون: حدُّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي ، وقال أصحاب الرأي : حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم : من ملك خمسين درهماً لا تحل له الصدقة لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة مسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ، قيل يا رسول الله : وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب[صحيح، أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وانظر صحيح الجامع (٦٢٧٦)] وهو قول الزهري وابن المبارك وأحمد وإسحاق وقالوا لا يجوز للرجل أن يعطي الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهماً .

(١) قاله قتادة .

(٢) قاله إبراهيم النخعي .

(٣) كذا قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري /١٢.

البين فيعطى وإن كان غنياً ، ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، هم الغزاة[١] الذين لا حق لهم في الديوان وإن كانوا أغنياء قال بعضهم: والحجاج أيضاً ، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، المسافر المنقطع عن ماله وإن كان له مال في بلده ، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ ، أي : فرض لهم الزكاة فريضة[٢] ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، يضع الأمور في مواضعها ثم اعلم أن أكثر السلف على أنه لا يجب استيعاب الأصناف الثمانية بل يجوز[٣] الدفع إلى واحد منها وقال بعضهم يجب ، ﴿وَمِنْهُمُ[٤]﴾ ، أي : من المنافقين ، ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ ، الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع كانوا يقولون في شأنه ما لا ينبغي فيقول بعضهم : لا تقولوا ربما يبلغه قولكم فقالوا لا بأس إنه أذن لو ننكر ما قلنا وحلفنا ليصدقنا ، ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ، كأنه قال : نعم أذن ، لكن هو أذن خير يسمع الخير ويقبله لا أذن شر فلا طعن ولا ذم بفطنته إلا شرف[*]

---

(١) قيل إن اللفظ عام فلا يجوز قصره على نوع خاص ويدخل فيه جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك والأول الأولى لإجماع الجمهور عليه / ١٢ .

(٢) يعني نصب فريضة على أنه مصدر فعل محذوف وجاز أن يكون مصدراً مؤكداً لنفسه فإن قوله "الصدقات للفقراء" دال على فرضيتها / ١ منه .

(٣) وعليه الأئمة الثلاثة وبعض الشافعية ، ويمكن حمل الآية على المذهبين فعلى الأول تكون من قبيل إنما الخلافة للعلوية والعباسية وغيرهم من أصناف قريش على التفضيل ، وعلى الثاني تكون من قبيل إنما المال لزيد ولعمرٍو ولبكر / منه ، لكن قال المصنف في الوجيز بعد نقل القول الأول: وفيه بحث؛ لأن الخليفة لا يتعدد / ١٢ .

(٤) ولما استطرد في أثناء أصناف المنافقين ذكر الصدقات وبين مصرفها رجع إلى ما هو في صدره فقال : " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن " الآية / وجيز .

(*) كذا بالأصل.

وشهامته وهو من أهل سلامة القلوب عليه أشرف الصلوات وأكمل التسليمات ثم فسر ذلك بقوله ، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ، يصدق به[1] ، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يسلم لهم أقوالهم لكونهم صادقين ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ، أي : هو رحمة ، وقراءة جرّها لعطفها على "خير" ، ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ ، وحجة على الكافرين قيل المراد من الذين آمنوا: من أظهر الإيمان حيث لا يكشف سره، ففيه إشارة إلى أن قبول قولكم رفق وترحم منه لا لجهله وبلاهته ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ[2] رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ ، على مدعاهم[3] ، ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ ، بيمينهم، نزلت في قوم من المنافقين ، قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شر من الحمير ، فلما بلغت مقالتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم- وسألهم حلفوا بالله إن المبلغ كذاب ، أو في رهط تخلفوا عن غزوة تبوك وحلفوا في معاذيرهم ، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ ، بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين فكأنهما واحد ، ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾، صدقاً ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ ، الضمير للشأن ، ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يشاقق الله ويخالفه ، ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ، تقديره فحق أن له نار جهنم على حذف الخبر ، ﴿خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ ، الذل والفضيحة العظيمة ، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ ، على المؤمنين ، ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم﴾ ، تخبرهم ، ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ، من الكفر والحسد وهتك عليهم أستارهم يعني يقولون القول ويستهزئون ، ثم يقولون عسى الله أن لا

---

(١) في تفسير يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين إشارة إلى جهة تعدية الأول بالباء والثاني باللام لأنه قصد من الأول التصديق الذي هو نقيض الكفر به نحو "ما أنت بمؤمن لنا" (يوسف:١٧)، ومن الثاني أن يسلم لهم ما يقولون ويصدقه نحو " أنؤمن لك " (الشعراء:١١١)، "فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه" (يونس:٣٨)/ منه .

(٢) بأي نوع من الأذية .

(٣) من غير تحليف / ١٢ .

يفشي[*] علينا سرنا ، ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ ، مظهر مبرز ، ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ، ظهوره ، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ، نزلت في ركب من المنافقين قالوا في غزوة تبوك انظروا[1] إلى هذا الرجل يريد فتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فلما نزل الوحي دعاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا أن لسنا في شيء من أمرك لكنا في شيء مما يخوض فيه الركب ، ليقصر بعضنا على بعض السفر وليقطع الطريق بالحديث واللعب ، ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، توبيخاً لهم فإنهم كاذبون في عذرهم ، ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا﴾ ، فإني أعلم كذبه ، ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ ، أظهرتم الكفر بما قلتم ، ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ، بعدما أظهرتم الإيمان ، ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ ، لتوبتهم ، ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ ، منكم ، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ ، مصرين[2] على النفاق والاستهزاء ، قيل كانوا ثلاثة فعفى الله عن واحد كان يضحك ولا يخوض[3] .

﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ

(*) في الأصل: يغشي.

(١) كذا قال الكلبي ومقاتل وقتادة / منه .

(٢) مصرين على النفاق أو نقول كما قالوا : إن المنافقين صنفان صنف أمر بجهادهم وهم رؤساؤهم وهم المعلنون بالأراجيف قال الله تعالى : " جاهد الكفار والمنافقين " (التوبة:٧٣)، وهم الذين أخرجوا من المسجد وصنف ضعفة وإن أبطنوا الكفر لكن لم يؤذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فعفي عنهم وعلى هذا العذاب والعفو في الدنيا/وجيز .

(٣) نقله محي السنة عن محمد بن إسحاق وأنت تعلم أن لفظ طائفة وضمير الجمع في كانوا تنافي أن يكون المعذب اثنين ومن يعفى عنه واحدًا / منه .

ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ
فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ
أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ**(١)﴾ ، أي : وهم على دين وطريق واحد وبعضهم مشابه ومقارب من بعض كأبعاض الشيء الواحد ، ﴿**يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ**﴾ ، بالكفر والمعاصي ، ﴿**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾ ، الإيمان والطاعة ، ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾ ، عن الإنفاق في سبيل الله ، ﴿**نَسُوا اللَّهَ**﴾ ، تركوا ذكره وطاعته ،

---

(١) أراد به تكذيبهم في قولهم "إنهم لمنكم" وتقرير قوله "وما هم منكم" ثم وصفهم بما يدل على اتحادهم ومضادة حالهم لحال المؤمنين بقوله ويأمرون بالمنكر الخ / منه .

﴿فَنسِيَهُمْ﴾ ، تركهم من لطفه وإنعامه ، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ ، الكاملون في التمرد ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ، مقدرين للخلود ، ﴿هِيَ﴾، أي : النار ، ﴿حَسْبُهُمْ﴾ ، كافيهم جزاء على نفاقهم ، ﴿ولَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ، أبعدهم من رحمته ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ، لا تصير النار قط عليهم[١] بردًا، ﴿كَالَّذِينَ﴾ ، أي : أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين ، ﴿مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ﴾ ، بدينهم أو بنصيبهم من ملاذ الدنيا ، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ﴾ ، فحالكم وفعلكم كفعلهم القبيح الشنيع ، بين أولاً بقوله[٢] "فاستمتعوا" قباحة طرائقهم ثم شبههم بهم حذو النعل بالنعل ، ﴿وَخُضْتُمْ﴾ ، في الكذب والباطل ، ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ ، أي : كالفوج الذي[٣] خاضوا ، أو كالخوض الذي خاضوه ، ﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ، لم يستحقوا عليها في الدارين[٤] جزاء ، ﴿وأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ ، دينهم ودنياهم ، يعني : كما حبطت أعمال من قبلكم حبطت أعمالكم ، ﴿أَلَمْ[٥] يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ ، أهلكوا بالطوفان ، ﴿وَعَادٍ﴾ ، بالريح ، ﴿وَثَمُودَ﴾ ، بالصيحة ، ﴿وَقَوْمِ

---

(١) يعني لهم عذاب مقيم دال على أنهم معذبون في النار دائماً بما لا يعتادون بها فلا يكون تكراراً مع قوله "خالدين فيها" / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى دفع ما يتوهم من أن قوله "كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم" وهذا كما يقال : أنت مثل فلان كان يقتل ويفسق وأنت تفعل مثل فعله بعينه فلا تكرار / منه ووجيز .

(٣) يعني أن الظاهر أن يقال كالذين خاضوا فبين وجهه بوجهين / منه .

(٤) نقيض قوله : " وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين " (النحل:١٢٢)، منه .

(٥) استفهام إنكار يعني جاء نبأهم فلم يعتبروا حتى تشبهوا بهم / منه .

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ، بسلب النعمة وهلاك ملكهم نمرود ببعوض ، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ ، قوم شعيب بالنار يوم الظلة ، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ ، قريات قوم لوط ائتفكت بهم انقلبت فصارت عاليها سافلها ، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ، المعجزات الظاهرات فكذبوهم فأخذوا بتعجيل النقمة ، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ ، بأن عاقبهم بلا جرم ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ، بتكذيب رسلهم فاستحقوا العذاب فنزل عليهم ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ[١] وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ، أي : يتناصرون ويتعاضدون في مقابلة قول : " المنافقون والمنافقات " الآية ، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ، في جميع ما أمر ونهى ، ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ ، لا محالة والسين مؤكدة[٢] للوقوع ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ، غالب ، ﴿حَكِيمٌ ﴾ ، يضع الأشياء في مواضعها ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ، تحت أشجارها وغرفها ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ ، من أنواع الجواهر ، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ ، وقد ورد[٣] : العدن دار الله التي لم ترها عين و لم يخطر على قلب بشر ، أونهر في الجنة جناته على حافتيه ، أو أعلى درجة في الجنة ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ، أي : شيء من رضاه ، ﴿أَكْبَرُ﴾ ، من جميع ذلك أو مما يوصف ، فإن رضى الله هو المبدأ لكل سعادة وهو المؤدي إلى الوصال واللقاء ، ﴿ذَلِكَ﴾ ، أي : الرضوان أو جميع ما تقدم ، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

---

(١) ولما ذكر المنافقين والمنافقات وأحوالهم في الدارين تعرض في مقابلتهم بحال أضدادهم فقال: "المؤمنون" / ١٢ وجيز .

(٢) لأن السين في الإثبات مقابلة لن في النفي ولهذا قد يتمحض للتأكيد من غير قصد إلى معنى الاستقبال / ١٢ منه .

(٣) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ منه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ
وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ
وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا
أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡهُم
مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ
نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ
يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي
ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ
مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ[1]﴾ ، بالسيف ، **﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾** ، بتغليظ الكلام وترك الرفق ، أو بإقامة الحدود عليهم أو بالسيف إذا أظهروا النفاق ، **﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**

---

(١) ولما كان في قوله سيرحمهم الله إجمال فصله بقوله "وعد الله" إلخ ، ولما بين مخائب الكفار ومقابح المنافقين خاطب رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بقوله : " جاهد الكفار والمنافقين " الآية / وجيز .

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ، مصيرهم ، ﴿يَحْلِفُونَ[1] بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ، نزلت حين كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالساً في ظل شجرة إذ طلع رجل أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق وجاء بأصحابه وحلفوا بالله أنهم ما قالوه ، أو نزلت في جلاس ابن سويد حين قال : إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشر من الحمير ومعه ابن امرأته فأوعده بأن يذكر قوله هذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم- وذكره فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل أقلت كذا وكذا ؟ فحلف ، أو نزلت في ابن أبي حين قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ ، فلما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر وحلف(*) ، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ ، سبه أوتكذيبه، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ ، أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان ، ﴿وَهَمُّوا﴾ ، قصدوا ، ﴿بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ ، ما قدروا عليه من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم- في العقبة التي بطريق تبوك ، أومن قتل ابن امرأة الجلاس حين أوعد السعاية ، أو أرادوا أن يعقدوا على رأس ابن سلول تاجاً يباهي به رسول الله صلى الله عليه وسلم- فلما سئلوا عن هذه الإرادة حلفوا أنا ما أردنا ، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ ، ما أنكروا وما عابوا ، ﴿إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وحاصله أنهم جعلوا الشكاية والعيب موضع الشكر والمدح فإنه ما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته بعدما كانوا في ضنك وضيق ، ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ﴾ ، أي : التوب ، ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ ، فتاب الجلاس وحسنت توبته ، ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ ، بالإصرار على النفاق ، ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾، ينجيهم من عذابه ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ

---

(١) ولما أمر نبيه بالجهاد والغلظة على الكافر والمنافق وأن مرجعهم ومترلهم جهنم يعد بعض مساوئهم ليعلم أسباب شقاوتهم فيحرز عنه / وجيز .

(*) أخرجاه في الصحيحين، وسيأتي.

لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، نزلت[١] في ثعلبة بن حاطب التمس الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكثير[٢] ماله وعهد أن لو رزق ليعطي كل ذي حق حقه فلما رزق غنمًا تضيق بها المدينة أرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في طلب الزكاة منه فأبى وقال: ما هذه إلا أخت الجزية. فلما نزلت الآية جاء بالزكاة فقال: إن الله تعالى منعني أن أقبل منك. فجعل التراب يحثو على رأسه، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قبل منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ﴿**فَلَمَّا آتَاهُم**﴾ : الله ﴿**مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا**﴾ عن طاعة الله ، ﴿**وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ ، قوم عادتهم الإعراض ، ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ**﴾ ، أورثهم الله وجعل عاقبة فعلهم ، ﴿**نِفَاقًا**[٣]﴾ ، متمكنًا[٤] ، ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**﴾ ، يلقون الله بالموت ، ﴿**بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ**﴾ ، من التصدق والصلاح ، ﴿**وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ ، وبسبب كذبهم فإن خلف الوعد مستقبح من وجهين الإخلاف والكذب ، ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ**

---

(١) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والحسن وغيرهم / منه .

(٢) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم هذه القصة بأطول من هذا جدًّا وفيه قال، يعني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له : يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. فقال : ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال: "اللهم ارزقه مالاً" فاتخذ غنمًا فنمت كما تنمي الدود، حتى ضاقت بها المدينة فتنحى بها فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يشهدها بالليل، ثم نمت حتى لا يشهد جمعة ولا جنازة [رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك، كما في المجمع (٣٢/٧)].الحديث/ فتح البيان .

(٣) إشارة بقوله: متمكنًا إلى أن ﴿في قلوبهم﴾ ظرف مستقر صفة لنفاقًا / منه .

(٤) كما في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود / فتح .

سِرَّهُمْ﴾ ، من إضمار النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه ، ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ، ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ، فلا يخفى عليه شيء ، ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ ، يعيبون مرفوع أو منصوب بالذم، أو بدل من ضمير سرهم، ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ ، المتطوعين ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ، نزلت لما حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الصدقة جاء بعضهم بكثير مال وبعضهم الفقراء بالقليل، فقال المنافقون : من أكثر فهو مراء، ومن أقل أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات ﴿وَالَّذِينَ﴾ ، عطف على المطوعين ، ﴿لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ ، طاقتهم وهم الفقراء ، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ ، يستهزءون بهم ، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ، جازاهم على سخريتهم ، أي : أذلهم ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ، أي : ساوى[1] استغفارك وعدمه في عدم الإفادة لهم ، ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ، المراد منه التكثير[2] لا العدد المخصوص ، ﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ، وقد نقل أنه لما نزلت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله قد رخص لي فأزيدن[3] على السبعين[4]، لعل الله أن يغفر لهم"

---

(١) أشار بقوله أي : ساوي إلخ . إلى أن الأمر بمعنى الخبر / منه .

(٢) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاستعمال [في تفسير البيضاوي مع حاشيته محيي الدين زاده (٢/٣٤٥): لاشتمال.]، السبعة على جملة أقسام العدد ، أي : التي هي الزائد والناقص والمساوي ، فإن ما دون السبعة لا يشتمل على جملتها كما تري فكأنه العدد بأسره / (قاضي) .

(٣) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما / وجيز .

(٤) وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمله من المعني مع العلم بأنه غير مراده كقول القبعثري : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب في جواب الحجاج لأحملنك على الأدهم أي : السلسلة ، وحاصل الكلام أن الكرام لا يرضون إلا بصدق مقالهم في كل =

حرصًا على مغفرتهم[1] فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾. وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمل مع العلم بأنه غير مراده، كقول بعضهم: مثل الأمير يحمل على الأدهم. والأشهب في جواب قول الحجاج: لأحملنك على الأدهم. أي: السلسلة إلى[*] ، ﴿ذَلِكَ﴾ ، أي : عدم قبول استغفارك ، ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، المتمردين في الكفر، فإن من طبع على الكفر لا ينقطع أبدًا ولا يهتدي، فعدم قبول دعائك لا لبخل منا ولا لقصور فيك؛ بل لعدم قابليتهم .

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن

= حال فحين خاطبه بقوله : لأحملنك على الأدهم وقصد السلسلة تجاهل تجاهل العارف وقال : مثل الأمير إلى آخره ، فإن الأدهم يطلق أيضاً على الفرس فتفضل على بهذا وتجاوز عن القصد الأولي كذلك سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله يعني صدقها إما يحمل السبعين على الكثرة الغير المحصورة التي هي المراد وإما بحمله على العدد المعين المحصور فتفضل على بأن تتجاوز عن الأول وتترك على الثاني محسناً منعماً وهذا توجيه وجيه ما حام حوله أحد من العلماء / وجيز .

(١) نظرًا إلى ظاهر ﴿إن تستغفر لهم سبعين﴾، فإنه دل على الجواز في الجملة وفي لفظ الترخيص إشعار بأنه عليه الصلاة والسلام كان عالماً بحرمة الاستغفار لهم وما خفي عليه أشرف التحيات أن هذه الآية ليست في بيان رخصة، لكن حرصه وكمال شفقته على أمته جره إلى هذا؛ لكي يرحم الله عليهم بفضله فلا تغفل / ١٢ منه .

(*) كذا في الأصل.

تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ ، بقعودهم[1] عن الغزو ، **﴿خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾** ، أي: خلفه[2] كما في: أقام خلاف الحي. أي : بعده أو من المخالفة ، أي : لمخالفته أو مخالفين له ، **﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾** ، بعضهم لبعض أو للمؤمنين ، **﴿لاَ تَنفِرُوا﴾** ، لغزوة تبوك ، **﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾** ، وقد اخترتموها بهذه المخالفة ، **﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾** ، أنها كيف هي ، أو أن مصيرهم إليها ، أو لو أنهم يفهمون ويفقهون لنفروا ليتقوا به من حر جهنم ، **﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾** ، عن ابن عباس رضي الله عنهما- وغيره: الدنيا قليل،

(١) أشار إلى أن المقعد مصدر / ١٢ منه .

(٢) على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث حال .

فليضحكوا فيها ما شاءوا ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ ، فإنهم في النار لايزالــون بــاكين أبــد الآباد ، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، من النفاق ، ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَــةٍ مِّنْهُمْ﴾ ، أي : من المخلفين. وليس كل من تخلف عن تبوك منافقًا ، يعني : إن وصلت إلى المدينة وفيها طائفة منهم ، ﴿فَاسْتَئْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ ، إلى غزوة أخرى بعد تبوك ، ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ ، إخبار في معــنى النــهي ، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ﴾ ، استئناف تعليل[1] له ، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، هــي الخرجــة إلى تبوك ، ﴿فَاقْعُدُوا[2]﴾ ، حينئذٍ ، ﴿مَعَ الخَالِفِينَ[3]﴾ ، أي: الرجال الذين تخلفوا[4] بغير عذر ، أو مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى[5] قيل: مع المخالفين. ﴿وَلاَ تُصَــلِّ﴾ ، صلاة الجنازة ، وقيل: لا تدع ولا تستغفر ، ﴿عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ ، المــوت على الكفر موت أبدي ، فإن إحياءه للتعذيب أسوء وأسوء من الموت فكأنه لم يحــى ، ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ، لا تقف تستغفر ، أو تدع له أو لا تتول دفنه ، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، تعليل للنهي ، نزلت بعد أن مات ابـــن[6]

---

(١) يعني المراد من القلة أيام الدنيا ، أخرجه على لفظ الأمر والمراد سيضحكون قليلاً للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره / منه .

(٢) كأنهم قالوا: لم لا نخرج معك؟ فقال: لأنكم رضيتم بالقعود أول مرة / ١٢ وجيز .

(٣) وفي الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطــاع عنــه وترك مصاحبته ؛ لأن الله سبحانه منع المنافقين من الخروج مع رسول الله -صلــى الله عليه وسلم- إلى الجهاد لما علم من مكرهم وخداعهم / لباب .

(٤) أي : اقعدوا بعضكم مع بعض / منه .

(٥) جمع زمن أززمانة بالفتح جائى ماندكى / ١٢ صراح.

(٦) قال القرطبي في شرح صحيح مسلم له: إن عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، فلما ظهر النبي -صلى الله عليه وسلم- وانصرف إليـــه الخـــزرج =

أبي بن سلول وهو -صلى الله عليه وسلم- أرسل قميصه الأشرف لكفنه بالتماسه، في مرض موته ، وقام ليصلي عليه، وعمر -رضي الله عنه- قام بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقبلة؛ لئلا يصلي عليه، فقال الأكثرون: نزلت بعد أن صلى عليه. وقال بعضهم: نزلت حين قام عمر فلم يصل عليه. ولما رأوا أنه تبرك بقميصه أسلم من المنافقين يومئذ ألف ، وقال بعضهم : إنما ألبسه مكافأة؛ لأن ابن سلول[1] ألبسه ثوبه يوم بدر العباس، فإنه بين الأسارى ليس له ثوب ، ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ ، بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله منها على كره والشدائد والمصائب بلا طمع ثواب ، ﴿وَتَزْهَقَ﴾ ، تخرج ، ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ، فإن الأبصار طامحة على الأموال والأولاد سيما عند المفارقة فيبغضون حكم الله وملائكته .

= وغيرهم حسده وناصبه العداوة، غير أن الإسلام غلب عليه فنافق وكان رأسًا في المنافقين وأعظمهم نفاقًا وأشدهم كفرًا وكان المنافقون كثيرًا حتى لقد روي عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة، وكان ولده عبد الله -يعني ولد عبد الله بن أبي- من فضلاء الصحابة وأصدقهم إسلامًا وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرًا، وكان أبر الناس بأبيه وأحرص الناس على إسلامه، وعلى أن ينتفع من بركات النبي -صلى الله عليه وسلم- بشيء؛ ولذلك لما مات أبوه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعطيه قميصه فيكفنه فيه فأعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه، كل ذلك إكرامًا لابنه عبد الله وإسعافًا له وقول عمر: تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه. يحتمل أن يكون قبل نزول " ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا " ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع في خاطره أن الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الإلهام والتحديث الذي شهد له به النبي -صلى الله عليه وسلم- / لباب التأويل المعروف بالخازن .

(١) سَلول بالفتح قبيلة من هوازن، وهو اسم أمهم/ ١٢ .

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا﴾ ، أي : بأن آمنوا ، ﴿بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ﴾ ، أصحاب الغنى ، ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ، الذين قعدوا لعذر ، ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ ، أي : النساء، جمع خالفة[1] ، أي : بحيث لا يتحرزون عن هذا العار ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أحدث فيها هيئة تمرهم على استحباب الكفر واستقباح الإيمان بحيث لا ينفذ فيها الحق كأنه مطبوع مختوم ، ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ ما فيه صلاحهم ولا ما فيه مضرهم، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي : إن لم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم[2] ، ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ نقل[3] عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الخيرات لا يعلم معناها إلا الله ، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون ، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فإن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) قد يقال: الخالفة لمن لا خير له / منه .

(٢) نحو " فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين" (الأنعام:٨٩)/ منه.

(٣) نقله محيي السنة البغوي / منه.

يَسْتَـْٔذِنُـونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا
تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ
لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ
ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ من عذر إذا قصر أو من اعتذر إذا مهد العذر ، **﴿مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾** في القعود عن ابن عباس ومجاهد -رضي الله عنهم- هم أهل العذر وقال الحسن وقتادة: اعتذروا فلم يعذرهم الله ، **﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** في ادعاء الإيمان ، أي : قعد آخرون من الأعراب المنافقين عن المجيئ للاعتذار ، وعن الحسن وقتادة الذين كذبوا عبارة عن المعذرون وأتى بالظاهربدل المضمر إشارة إلى أن كذبهم بعثهم على القعود يعني وقعد عن الحرب من كذب في المعذرة ، **﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾** فإن منهم من قعد للكسل لا للكفر ، **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾** كالزمنى والمشايخ ، **﴿وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا**

﴿يُنفِقُونَ﴾ الفقراء ، **﴿حَرَجٌ﴾** ، إثم في التأخر ، **﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** أخلصوا الإيمان والأعمال من الغش[1] ، **﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾** إلى عقوبتهم، وضع المحسنين موضع الضمير إشارة إلى أنهم المحسنون ، **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** للمسيء[2] فكيف للمحسن ، **﴿وَلاَ[3] عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾** هم سبعة نفر من الفقراء التمسوا مراكب للمرافقة في الغزو ، **﴿قُلْتَ﴾** يا محمد حال من مفعول أتوك بإضمار قد: **﴿لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾** من الركب ، **﴿تَوَلَّوْا﴾** جواب إذا وقلت جواب وتولوا استئناف كأنه قيل : كيف صنعوا إذا قيل لهم ذلك؟ **﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾** من للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز وهي أبلغ[4] من تفيض دمعها ، **﴿حَزَناً﴾** مفعول له أو حال ، **﴿أَلاَّ يَجِدُوا﴾** أي : لئلا متعلق بتفيض أو حزناً ، **﴿مَا يُنفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾** بالمعاتبة والعقوبة ، **﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾** النساء وقبلوا تلك الدناءة ، **﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** حتى لم يذكروا مواعظ الله ، **﴿فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** كأنهم مجانين ، **﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾** في التخلف ، **﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾** من هذه الغزوة ، **﴿إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾** لن نصدقكم[5] لأنه ، **﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ﴾** بالوحي ، **﴿مِنْ**

---

(١) ساعية في إيصال الخير للمؤمنين.

(٢) كان ابن أم مكتوم أعمى فخرج إلى (أحد) وطلب أن يعطى اللواء فأخذه فأصيبت يده التي فيها اللواء فأمسكه باليد الأخري فضربت فأمسكه بالصدر وقرأ : " وما محمد إلا رسول " الآية . رضي الله عنه / ١٢ وجيز .

(٣) عطف على الضعفاء ولا لتأكيد النفي ولا يبعد أن يقال عطف على على المحسنين وعلى الوجهين هو من باب عطف الخاص على العام لفضيلتهم / وجيز .

(٤) لأنه أسند الفيض إلى العين فجعلت العين كأنها من كثرة البكاء دمع فائض/منه .

(٥) إشارة إلى أن قوله: "قد نبأنا الله" مستأنفة يبين علة عدم تصديقهم / منه .

﴿أَخْبَارِكُمْ﴾ بعض ما في صدوركم ، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ في المستأنف أتتوبون أم تستمرون على نفاقكم؟ وجاز أن يكون معناه يمهلكم حتى تكتسبوا جرائم أخرى ، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الذي لاي يفوت عن علمه شيء ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في سركم ، ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ بأن لهم في التخلف أعذاراً ، ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تعاتبوهم ، ﴿فَأَعْرِضُوا[1] عَنْهُمْ﴾ دعوهم ونفاقهم ، ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ نجس بواطنهم لا يقبل التطهير من النفاق ، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً﴾ ، مفعول له ، أو مصدر ، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الآثام ، ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بحلفهم ، ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بأن تصدقوهم في العذر ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ[2] ﴾ فإنه لا يمكن التلبيس على الله تعالى بوجه والمقصود النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا ثمانين من المنافقين أمرنا حين قدمنا المدينة بأن لا نكلمهم ولا نجالسهم.

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ أي : أهل البدو وكفرهم ونفاقهم أعظم من أهل الحضر لقساوتهم وبعدهم عن العلماء ، ﴿وَأَجْدَرُ﴾ ، أولى ، ﴿أَلاَّ﴾ بأن لا ، ﴿يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الشرائع ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بقلوب أهل الوبر والمدر ، ﴿حَكِيمٌ ﴾ فيما قسم بين عباده وفي الحديث[3] (من سكن البادية جفا ومن

---

(١) فالإعراض عنهم لازم لأن المعاتبة لا تنفعهم ولا تصلحهم ؛ ولأن مأواهم جهنم فكفتهم النارِ عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم ، وجاز أن يكون مأواهم جهنم من تتمة الأول قال إنهم رجس من أهل النار فلا تضيعوا معاتبتكم / منه .

(٢) ولما ذكر من أحوال المنافقين ما دل على جهلهم وطغيانهم أخذ يبين تفاوت أحوالهم وعقائدهم فقال: (الأعراب) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهما / منه .[بل أخرجه أحمد وأصحاب السنن خلا ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعا بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٢٩٦).]

اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن)﴿وَمِنَ الأَعْرَاب مَن يَتَّخِذُ﴾ يعد ، ﴿مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ، ﴿مَغْرَماً﴾ غرامة وخسارة لا يرجون ثواباً ، ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ، ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم ، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ[١]﴾ الأمر منعكس والسوء دائر عليهم فلا يرون فيكم إلا ما يسوءهم ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم ، ﴿وَمِنَ الأَعْرَاب مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ﴾ يعد ، ﴿مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله تعالي ويتصدق به ، ﴿قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ﴾ أي : سبب[٢] قربات ، ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي : سبب صلاته فإنه يستغفر ويدعوا للمتصدقين ، ﴿أَلاَ إِنَّهَا﴾ أي : نفقتهم ، ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ أي : ما يرجون الحاصل البتة ، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ السين للتأكيد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيغفر زلاتهم ويدخلهم الجنة برحمته .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟

---

(١) السوء مصدر أضيف إليه للمبالغة كرجل صدق والدائرة اسم فاعل في الأصل سمي بها عقب الزمان / منه .

(٢) قوله أي : سبب قربات يمكن أن يكون بيان حاصل المعنى لا أن يكون الكلام على حذف المضاف بل مبنى الكلام على أنه نفس القربات تجوز في الإسناد و نصب قربات على المفعول الثاني / منه .

عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ
لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا
يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا
وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا
لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ
أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا
رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ ﴾
﴿وَالسَّابِقُونَ(١) الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ ، هم الذين صلوا القبلتين(٢) ، أو من

---

(١) ولما ذكر في مقابلة المنافق الذي يعد ما ينفق مغرمًا، الأعراب الذين لهم الإيمان وعدوا نفقاتهم قربات وبين مآلهم في الآخرة وصف ومدح من هو أعلى كعباً وأعظم درجة وأقدم مثوبة كأنهم هم المؤمنون فقال : " والسابقون " / ١٠٢ وجيز .

(٢) كذا قاله سعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة وغيرهم / منه .

أدرك[١] بيعة الرضوان بالحديبية ، أو من شهد[٢] البدر ، ﴿**وَالأَنصَارِ**﴾ هم الذين آمنوا قبل قدوم رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾ بإيمان[٣] وطاعة إلى يوم القيامة كسائر الصالحين من أهل السنة وقال بعضهم : المراد بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين ، ﴿**رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ**[٤] **جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ**﴾ ، أي تحت أشجارها ، ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ الجملة خبر لقوله والسابقون ، ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ**﴾ أعراب حوالي المدينة ، ﴿**مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**﴾ عطف[٥] على ممن حولكم وقوله: ﴿**مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾ ، صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو عطف الجملة على الجملة تقديره ومن أهل المدينة قوم مردوا، أي: تمردوا أو تمهروا ، ﴿**لاَ تَعْلَمُهُمْ**﴾ يا محمد بأعيانهم ، ﴿**نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾ فإنه لا يخفى علينا شيء ،

---

(١) قاله الشعبي /١٢.

(٢) قاله عطاء بن أبي رباح / منه .

(٣) قالَ أبو صخر حميد بن زياد : أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له : ما قولك في أصحاب رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، فقال : جميع أصحاب رسول الله -صلي الله عليه وسلم- في الجنة محسنهم ومسيئهم ، فقلت : من أين تقول هذا ؟ ، فقال : اقرأ قول الله تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار " إلى أن قال : "رضي الله عنهم ورضوا عنه" ، وقال: "والذين اتبعوهم بإحسان" شرط في التابعين وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة ، فقال أبو صخر : فكأني لم اقرأ هذه الآية قط /١٢ معالم .

(٤) الجنة معدة لهم والباقي من أهل الإيمان إن حال بينهم وبين الجنة ذنوبهم أول الأمر لكن يدخلونها تبعًا لهؤلاء العظماء / وجيز .

(٥) فمعناه ومن أهل المدينة منافقون / منه .

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فضيحتهم[1] في الدنيا وعذاب القبر ومصائب في أموالهم[2] وأولادهم فهذه لهم عذاب وللمؤمنين أجر وعذاب القبر أو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم ثم عذاب القبر ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وهو الخلود في جهنم ، ﴿وَآخَرُونَ﴾ من أهل المدينة[3] لا من المنافقين ، ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ في التخلف عن الغزو ، ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً﴾ كصلاتهم وإنابتهم وغيرهما ، ﴿وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ كتقاعدهم عن تلك الغزوة كسلاً ، قيل : الواو بمعنى الباء كما في بعت الشاة شاة ودرهماً أي بدرهم ، والأولى أن الواو على أصله دال على أن كل واحد مخلوط بالآخر كما تقول : خلطت الماء واللبن ، أي : خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، كأنك قلت : خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ، ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن تبوك ثم إذا رجعت الغزاة عن غزوهم ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فلما نزلت حلهم وعفا عنهم ، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ، نزلت لما أطلق هؤلاء الذين ربطوا أنفسهم بالسواري وقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا تصدق بها وطهرنا فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "ما أمرت بأخذ شيء من أموالكم" ، ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن الذنوب ، ﴿وَتُزَكِّيهِم[4] بِهَا﴾ ترفعهم بهذه الصدقة إلى منازل المخلصين ،

---

(١) هذا قول ابن عباس والكلبي والسدي/ منه .

(٢) هذا قول الحسن وابن زيد قيل: عذاب القبر وفضيحتهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد/منه.

(٣) فإن من أهل المدينة قسمان منافق ومؤمن والمراد من آخرون القسم الثاني/منه .

(٤) قال السيوطي : فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها على سبيل الكفارة لذنوبهم. فيه أن كل من أتى ذنباً يسن له التصدق / فتح .

﴿وَصَلِّ[1] عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ، ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ﴾ طمأنينة ورحمة ووقار ، ﴿لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بدعائك ، ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما هو أهل له أو سميع باعترافهم عليهم بندامتهم ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ تعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ، ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ[2]﴾ يقبلها وهذا تهييج إلى التوبة والصدقة عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ يقبل توبة تائبين ويتفضل عليهم ، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ يا معشر المخالفين ، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء ، ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فإن الله يطلعهم على أعمالكم لا محالة ، إما في الدنيا أو في الآخرة يوم تبلى السرائر ، ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ بالموت ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه فعلى هذه الآية وعيد أو معناه يا معشر المحسن والمسيء اعملوا فلا يخفى على الله خير وشر والله يطلع الرسول والمؤمنين على ما في قلوبكم فيحبون المحسن ويبغضون المسيء ثم يوم القيامة يجازيكم فعلى هذه الآية وعد ووعيد ، ﴿وَآخَرُونَ﴾

---

(١) واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة قال بعضهم : يجب وقال بعضهم : يستحب ، وقال بعضهم : يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع ، وقيل : يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كان رسول الله -صلي الله عليه وسلم- إذا أتي بصدقة قال: "اللهم صل على آل فلان" فأتاه أبي بصدقة فقال: "اللهم صل على آل أبي أوفى"/ فتح .

(٢) وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : (ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله) أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث يطول ذكرها/فتح.

من المتخلفين ، ﴿**مُرْجَوْنَ**﴾ مؤخرون يعني : موقوف أمرهم ، ﴿**لأَمْرِ اللَّهِ**﴾ في شأنهم ، ﴿**إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ**﴾ لم يقبل توبتهم ، ﴿**وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ**﴾ يقبل توبتهم ، ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾ بمن يستحق العقوبة ، ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيما يفعل والمراد منهم الثلاثة الذين خلفوا من جملة من قعد كسلاً لا نفاقاً و لم يربطوا أنفسهم بالسراراي و لم يبالغوا في التوبة كما فعل أبو لبابة وأصحابه فترلت توبتهم بعد خمسين ليلة بعدما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[1] ، ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا**﴾ مبتدأ خبره محذوف أي : وفيمن وصفنا من المنافقين الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص ، ﴿**ضِرَارًا**﴾ مفعول له أو مصدر محذوف الفعل ، أي مضارة للمؤمنين، ﴿**وَكُفْرًا**﴾ أي : تقوية للكفر ، ﴿**وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فإنهم يجتمعون في مسجد قباء فأرادوا افتراقهم ، ﴿**وَإِرْصَادًا**﴾ ترقبًا ، ﴿**لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ أبي عامر الراهب ، ﴿**مِن قَبْلُ**﴾ متعلق بحارب[2] ، ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا**﴾ ، أي : ما أردنا ببنائه ، ﴿**إِلاَّ الْحُسْنَى**﴾ ، أي : إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة فيه والتوسعة على المسلمين ، ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ في حلفهم كان بالمدينة أبو عامر الراهب تنصر في الجاهلية وما آمن بمحمد عليه السلام وبعد البدر التحق بقريش وحثهم على المحاربة وكان معهم في أحد ثم ذهب إلى عظيم الروم وكتب إلى أعوانه من المنافقين يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش لمحاربة الإسلام وأمرهم ببناء مسجد له فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء إرصادًا لرجوعه من القيصر فلما أتموا بناءه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من تبوك وقالوا: أتممنا مسجدًا للضعفاء وأهل العلة والليلة المطيرة نلتمس أن تصلي فيه وتدعوا بالبركة فترلت

---

(١) فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر أصحابه أن لا يكلموهم ولا يجالسوهم بوجه كما سيجيء في آخر السورة / منه .

(٢) فإن الراهب لم يزل يحارب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يوم حنين كذا قاله محي السنة / منه .

في تكذيبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه فهدموه وأحرقوه(١) ، ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ﴾ في ذاك المسجد ، ﴿أَبَداً﴾ للصلاة ، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بني أصله ، ﴿عَلَى

(١) فيه تحريق أمكنة المعصية التي يعصي الله ورسوله فيها وهدمها كما حرق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلي فيه ويذكر اسم الله فيه لما كان بناؤه ضراراً وتفريقًا بين المؤمنين ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له ، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي يدعو سدنتها إلى اتخاذ فيها من فيها أندادا أحق بذلك وواجب وكذلك محال المعاصي والفسوق كالخانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات ، وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكمالها يباع فيها الخمر وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقا، وأحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية ، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت تارك حضور الجماعة والجمعة ، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا يجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك هذا ما قاله الحافظ شمس الدين ابن قيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد ، وأيضا قال فيه : وهدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا للطواغيت أحب إلى الله ورسوله وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخر وهذه المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله تعالى ويشرك بأربابها مع الله لا يحل إبقاؤها في الإسلام ويجب هدمها ولا يصح وقفها ولا الوقف عليها وللإمام أن يقطعها وأوقافها لجند الإسلام ويستعين بها على مصالح المسلمين كما أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بيوت هذه الطواغيت وكذلك ما فيها من الآلات والمتاع والنذور التي تساق إليها يضاهي بها الهدايا التي تساق إلي البيت للإمام أخذها كلها وصرفها في مصالح المسلمين ، كما أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- أموال بيوت هذه الطواغيت وصرفها في مصالح الإسلام وكان يفعل عندها ما يفعل عند هذه المشاهد سواء من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها ، هذا كان شرك القوم بها ولم يكونوا يعتقدون أنها خلقت =

﴿التَّقْوَى﴾ على طاعة الله ورسوله ، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيام وجوده ، ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ للصلاة جماعة من السلف على أنه مسجد قباء منهم ابن عباس رضي الله عنهما وبعض منهم على أنه المسجد الذي في جوف المدينة وعليه حديث صحيح وقال بعضهم(*) لا منافاة ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المصطفي صلي الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ولي في هذا التوفيق خدشة[1] والله تعالى أعلم ، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ من الأحداث والنجاسات هم أهل قباء كان من عادتهم أنهم يستعملون الماء في الاستنجاء عقيب الحجر قيل: ولا ينامون على الجنابة وقيل: يتطهرون بالتوبة عن الشرك والمعاصي ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ يرضى عمن طهر ظاهره وباطنه ، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أي : بنيان مبنية ، مصدر كالغفران ، ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾ أي : على قاعدة محكمة قوية هي التقوى من

= السماوات والأرض؛ بل كان شركهم بها كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه انتهى بلفظه.

(*) في (ن): وبعض العلماء.

(١) لأن كلامه مشعر بأنه سلم أن المراد من قوله: "لمسجد أسس" هو مسجد قباء لكن مسجد المدينة أولى بالقيام فيه وهذا مسلم لكن لا ينفعه في التوفيق كما ترى، لأن الخلاف في أن المراد من قوله: "لمسجد أسس" أي مسجد هو والحديث الصحيح على أنه المسجد الذي هو في جوف المدينة قال صاحب الكشاف: أقول ومع بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يعبأ بقول غيره أما ما رواه أبو داود والترمذي أن فيه رجال إلخ .. نزلت في أهل قباء [صحيح، انظر صحيح الترمذي (٢٤٧٦)، فهو لا يعارض نص رسول الله صلي الله عليه وسلم وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر وأنس أن، هذه الآية فيه رجال الخ.. لما نزلت قال عليه الصلاة والسلام واقفاً على باب مسجد القباء (إن الله قد أثنى عليكم يا معشر الأنصار في الطهور فما طهوركم) ، فلا يدل على اختصاص أهل قباء ولا ينافي الحمل على أهل مسجده من الأنصار / منه .

مخالفته ، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ وطلب مرضاته ، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أي: بنيان مبنيه، ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ جانب وادٍ من أودية جهنم تكاد تسقط على جهنم والشفا الحرف وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً والهار المنصدع الذي أشفى على السقوط قيل حاصله أنه على قاعدة ضعيفة رخوة تكاد تسقط ، ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ طاح ببانيه وأسقطه ، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قد صح[1] عن بعض[2] الصحابة أنه رأى الدخان يخرج من هذه الأرض حين حفر وهو اليوم مزبلة ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاحهم ، ﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ﴾ أي : مبنيهم مصدر أريد به المفعول ، ﴿الَّذِي بَنَوْا﴾ صفة لبنيانهم وجاز أن يكون بنيانهم على معناه المصدري والذي بنوا مفعوله ، ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ سبب شك ونفاق فإنهم بنوا للكفر والتفريق فلما خربوه ازدادوا غيظًا وحسدًا وبغضًا﴿إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ بالموت والاستثناء من أعم الأزمنة، أي : يسئلون عنه حينئذ ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأعمال الخلائق ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في مجازاتهم من خير وشر .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ

---

(١) أخرجه الحاكم والمسدد وابن جرير وغيرهم / فتح .

(٢) هو جابر بن عبد الله وقتادة وغيرهما / منه .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ
حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا
يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ
مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ
وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ
لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

﴿**إِنَّ**[1] **اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ**﴾ ، التي هو خلقها ﴿**وَأَمْوَالَهُم**﴾ التي هو رزقها ، ﴿**بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ تمثيل لإثابة الله من بذل نفسه وماله في سبيل الله الجنة، ﴿**يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾ استئناف ببيان ما لأجله الشرى ، ﴿**وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً**﴾ مصدران مؤكدان[2] فإن الاشتراء بالجنة يستلزم الوعد بها ، ﴿**فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾ ، أي : هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين ثابت فيهما

---

(١) ولما ذكر أنهم مطروحون في جهنم أسفل السافلين بين أن مقابليهم في الجنة أعلى عليين ، فقال : " إن الله اشتري " الآية / وجيز

(٢) (وعدًا) مصدر مؤكد لنفسه و(حقًا) مصدر مؤكد لغيره / منه .

كما هو ثابت في القرآن ، قال بعضهم : الأمر بالجهاد في جميع الشرائع ، وقال بعض : كتب فيهما أنه اشترى من أمة محمد أنفسهم وأموالهم بالجنة كما بين في القرآن، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ ، يعني لا أحد أوفى بما وعد " ومن أصدق من الله قيلا " (النساء:١٢٢)، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ غاية الفرح فإنه موجب للفرح الأبدي ، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ نزلت حين قال عبد الله بن رواحة وأصحابه ليلة العقبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- : اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: "لربي أن تصدقوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم) ، قالوا : فما لنا ؟ قال : "الجنة" ،قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل[*] ، ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي : هم التائبون مدحهم الله تعالى به ، ﴿العَابِدُونَ﴾ بالإخلاص ، ﴿الحَامِدُونَ﴾ لله تعالي على كل حال ، ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون[١] كما ورد "سياحة أمتي الصوم" يعني في رمضان ، وقيل: من يديم الصوم ، أو المجاهدون أو طلبة[٢] العلم ، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ المصلون ، ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان والطاعة ، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي وجاء بحرف العطف إشارة إلى أن ما عطف عليه في حكم خصلة[٣] واحدة ، ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ القائمون بطاعته وهذا مجمل الفضائل ، وما قبله مفصل ، قال بعض العلماء : هذه الثلاثة في حكم خصلة واحدة ، يعني : يرشدون الخلائق إلى الطاعة بأمرهم بالمعروف

(*) صحيح.

(١) هو قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم / منه .

(٢) قول عكرمة لأنهم يسيحون في الأرض يطلبون العلم من مظانه / منه .

(٣) ولهذا جاء بالواو فإنه لو جاء بغير حرف العطف لناسب أن يكون مثل الخصال المتقدمة خصلة على حيالها / منه .

ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله تعالى في تحليله وتحريمه علمًا وعملاً وعلى هذا وجه العطف أظهر ، ﴿وَبَشِّرِ[1] الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : الموصوفين بتلك الفضائل وذكر لفظ المؤمنين دون الضمير للإشعار بأن الإيمان داع إلى ذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه شيء لا يمكن بيانه ، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ بأن ماتوا على الكفر نزلت في استغفار النبي صلي الله عليه وسلم لأبي طالب[2] أو لأبيه[3] وأمه أو حين استأذن المسلمون أن يستغفروا لأبويهم ، ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾ إبراهيم ، ﴿إِيَّاهُ﴾ بقوله: لأستغفرن لك ، أي : أطلب لك المغفرة من الله ، أو وعدها أبوه إياه أي : إبراهيم وهي عدته بالإيمان والأول[4] أصح عن على رضي الله عنه أني سمعت رجلاً يستغفر لأبويه المشركين فنهيته ، فقال : ألم يستغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه فذكرت ذلك

(١) وفي الآية الأولى أمرهم بالاستبشار وفي هذه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبشرهم ومن أين إلى أين، ولما بشر المؤمنين بالجنة وأنهم هم الذين اشتروها علم أن ليس للكافرين فيها نصيب فالاستغفار لهم ظلم ولا يجوز للمؤمنين الظلم فأراد منعهم ، وقال: " ما كان للنبي والذين آمنوا " الآية ، وأيضا لما بين في أول السورة وجوب البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه بين في هذه الآية أنه يجب البراءة عن أمواتهم وإن كانوا في غاية القرب كالأب والأم كما وجبت عن أحيائهم والمقصود ببيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب / كذا في الكبير والوجيز .

(٢) هكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وغير واحد / منه .

(٣) قاله أبو هريرة وفي مسلم ما يدل على ذلك / منه .

(٤) لقوله تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ المتحنة الآية .

للنبي –صلى الله عليه وسلم– فنزل "ماكان للنبي" إلى قوله : "إن إبراهيم لأواه حليم"(*) ولما استأذن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الاستغفار لأمه فلم يأذن رحم عليها وبكى فجاء جبريل عليه السلام بقوله : " وما كان استغفار إبراهيم " الآية وقال : تبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ بالوحي أو بموته على الكفر ، ﴿ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ما دعا له بعد ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ متضرع كثير الدعاء أو الرحيم[1] أو الموقن[2] بلسان الحبشة أو المؤمن[3] التواب أيضا بلساهم أو المسبح أو كثير[4] الذكر والتسبيح أو فقيه[5] أو يتأوه[6] من الذنوب كثيراً نقل أنه عليه السلام يتنفس تنفس الصعداء كثيراً ويقول آه من النار قبل أن لا ينفع آه ، ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى صفوح ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً﴾ ، ليحكم عليهم بالضلالة ويؤاخذهم ، ﴿بَعْدَ إِذ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام ، ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُون﴾ أي : ما يجب اتقاؤه والغافل غير مكلف فلا نؤاخذكم باستغفاركم أبويكم المشركين قبل أن تعلموا أنه خطر حرام لكن لما بينت حرمته إن عدتم إليه ليتحقق الضلال قال[7] بعضهم: نزلت في قوم عملوا بالمنسوخ قبل أن يعلموا نسخه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ

(*) حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

(١) قول الحسن وقتادة

(٢) قول مجاهد .

(٣) قول ابن عباس .

(٤) قول عتبة بن عامر

(٥) قول النخعي .

(٦) قول كعب الأحبار .

(٧) المقاتل والكلبي .

﴿مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ فتبرءوا عن المشركين وتوجهوا إلى الله تعالى بالكلية ، ﴿لَقَد[1] تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ﴾ ، أي : في وقت العسرة ، يعني غزوة تبوك ، فإنها في وقت شدة وحر وقلة زاد وماء ومركوب ، ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ﴾ اسم ما كاد ضمير الشأن ، ﴿يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ ، تميل عن الحق ، فإن كثيراً منهم هموا بالتخلف ثم عصمهم الله تعالى فلحقوا أو لما نالوا شدائدها من الجوع وغاية العطش والحر كادوا يشكون في دين الإسلام وأما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى : " لقد تاب الله على النبي" معهم فلأنه أذن للمنافقين في التخلف قبل إذن الله تعالى وقال بعض افتتح به الكلام لأنه كان صلى الله عليه وسلم سبب توبتهم فذكره معهم ، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ، تكرير للتأكيد ، فإنه لما ذكر ذنبهم أعاد ذكر توبتهم ، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ[2] رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ عطف على النبي ، ﴿الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ أي : خلف الله تعالى أمرهم عمن ربط نفسه بالسواري وعمن اعتذر بالأكاذيب وقيل: خلفوا[3] عن الغزو ، ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ، أي : برحبها[4] ووسعتها وهو مثل لشدة الحيرة فإنهم مهجورون بالكلية في المعاملة والمجالسة والمكالمة ، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم من كثرة الهم ، ﴿وَظَنُّوا﴾ علموا ، ﴿أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ من

---

(١) لما استقصى في شرح أحوال غزوة تبوك وبين أحوال المتخلفين عنها عاد إلى شرح ما بقي من أحكامها ومن بقية تلك الأحكام أنه صدر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نوع زلة جارية مجرى تلك الأولى وصدر أيضاً عن المؤمنين نوع زلة فذكر تعالى أنه تفضل عليهم وتاب عليهم فقال : " لقد تاب الله " الآية / كبير .

(٢) ولهذا قبل توبتهم / وجيز .

(٣) والأول أولى، لأن حتى غايته فلا يحتاج إلى تكلف بخلاف المعنى الثاني/ وجيز .

(٤) فما مصدرية وهو مثل لشدة الحيرة كأنهم لا يجدون فيها محلا يقرون فيه .

سخطه ، ﴿إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ بالتضرع والاستغفار ، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة أو رجع عليهم بالرحمة ، ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أو قبل توبتهم ليتوبوا في المستقبل إن صدر عنهم خطيئة أو تاب عليهم ليرجعوا إلى حالهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يقبل توبة العباد بمحض رحمته وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية[1] الواقفي .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ[2]﴾ في نياتهم وأعمالهم أو في الاعتراف بالذنب لا كمن اعتذر بالأكاذيب والخطاب لأهل الكتاب ، أي : كونوا مع

(١) وهم من كبار الصحابة واثنان منهم من أهل البدر كما في الصحيحين وليسوا بمنافقين أبدًا/وجيز.

(٢) ولا تفارقوهم / وجيز .

محمد عليه السلام وأصحابه ، ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْـرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ[(١)] اللَّهِ﴾ نهي بصيغة النفي للمبالغة ، ﴿وَلاَ يَرْغَبُـوا﴾ ، أي : ولا أن يرغبوا ، ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن[(٢)] نَّفْسِهِ﴾ لا أن يصونوا أنفسهم عمـا لم يصـن نفسـه الأشرف عنه ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي : النهي عن التخلف ووجوب الموافقة ، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسـبب أنهم ، ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ، ﴿وَلاَ نَصَبٌ[(٣)]﴾ تعـب ، ﴿وَلاَ مَخْمَصَـةٌ[(٤)]﴾ مجاعة ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ﴾ لا يدوسون ، ﴿مَوْطِئاً﴾ مكانـاً ، ﴿يَغِيـظُ﴾ وَطْؤُه ، ﴿الْكُفَّارَ﴾ يضيق صدورهم ويغضبهم ، ﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾ قتـلاً وأسرًا أو غنمية وغلبة ، ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ﴾ بكل واحد من الظمأ وغيره ، ﴿عَمَـلٌ صَالِحٌ﴾ ، إلا استوجبوا الثواب والاستثناء المفرغ في موقع الصفـة للنكـرة قبلـه أو الحال[(٥)] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم وهو كالعلة لكتـب ، ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ في سبيل الله ، ﴿صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾ قليـلاً ولا كثـيرًا ، ﴿وَلاَ يَقْطَعُونَ﴾ في سفرهم ، ﴿وَادِيًا﴾ أرضاً ، ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ أثبت لهم كل من الإنفـاق والقطع ، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي : يجزيهم جزاء أحسن مـن أعمالهم[(٦)] ، ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ما استقام لهم ، ﴿لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ أي : جميعًا لغزو

---

(١) فإنه النبي الصديق وقد أمرنا بقوله: (كونوا مع الصادقين) / وجيز .

(٢) أي : وما استقام لهم أن يجعلوا أنفسهم راغبة عن نفسه متباعدة مترفعة عنها والحقيقـة هذا أمر بضده وهو أن يصحبوه في البأساء والضراء .

(٣) من عطف العام على الخاص .

(٤) من عطف الخاص على العام .

(٥) فيكون الأمر بوجوب الموافقة رحمة وشفقة عليهم / وجيز .

(٦) قدمت الجملة السابقة وتأخرت الجملتان؛ لأنها أشق على النفس وأنكى علـى العـدو وأعلى وأنيل أجرًا؛ لأن هاتين المؤخرتين من خواص الأسفار لا اختصاص لهما بـالغزو =

نزلت حين بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- السرايا بعد تبوك ينفر المؤمنون جميعًا إلى الغزو حذرًا مما أنزل الله تعالى في تخلف المنافقين عن تبوك فيتركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: هلا ، ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ جماعة كثيرة ، ﴿طَائِفَةٌ﴾ جماعة قليلة ، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي : ليحصل القاعدون الفقه والقرآن[1] وأحكامه ، ﴿وَلِيُنذِرُوا[2] قَوْمَهُمْ﴾: ليعلموا النافرين ويخوفوهم بما نزل

= فأثبت لهما جزاء أحسن من العمل بخلاف الأول فإنهم وصلوا إلى أعلى رتبة الإيمان، وهى الإحسان ولما أعلم بما في الغزو من الأجر الجزيل وعلم أن الصحابة مولعون به صار مظنة أن لا يقف ولا يتوقف عند النبي -صلى الله عليه وسلم- إن جهز المسلمين إلى الغزو فقال: "وما كان المؤمنون" / وجيز .

(١) في صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال محيى السنة البغوي : الفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم ، فعلى كل مكلف معرفته ، وكذلك كل عبادة ، أوجبها الشرع على واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج إن وجب عليه وأما فرض الكفاية هو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا، وإذا قام من كل بلد واحد يتعلمه سقط الفرض عن الآخرين وعليهم تقليده فيما تقع لهم من الحوادث .

(٢) دلت الآية على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم ، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق ويحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين فكل من تفقه لهذا الأمر كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا/مفاتيح الغيب المعروف بالكبير .

من الوحي ، ﴿إِذَا رَجَعُوا﴾ من الغزو، ﴿إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[1]﴾ عما ينذروا عنه أو ليتفقه النافر أي : ليتبصروا بالغلبة على المشركين وينظروا صنائع الله تعالى ثم إذا رجعوا ينذروا قومهم من الكفار ويخبرهم بنصرة الدين لعلهم يحذرون ، أو نزلت حين نزلت أحياء العرب المدينة فغلت أسعارهم وفسدت طرقهم بالعذرات وحينئذ معنى الآية ظاهر ، أو نزلت حين خرج بعض الصحابة في البوادي فأصابوا منهم معروفًا ودعوا الناس إلى الهدى فقال أهل البوادي : ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم فرجعوا كلهم إلى المدينة فقال تعالى هلا رجع طائفة منهم يستمعوا ما أنزل الله تعالى بعدهم من الوحي ولينذروا ويخبروا قومهم أي : أهل البوادي بالفقه الذي تعلموه إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وقد ذكر في وجه النزول غير ما ذكرنا أيضًا .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

---

(١) لما أمرهم بالغزو وعلمهم وظيفة النفر شرع يعلمهم كيفية نفرهم إلى الأعداء : " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم " الآية / وجيز .

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ أمروا بقتال الأقرب فالأقرب ولهذا لما فرغوا عن جزيرة العرب شرعوا في الشام ، ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة في القتال وصبرًا، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ، بالإعانة[1] والحفظ ، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ﴾ أي : يقول بعضهم لبعض استهزاء وتثبيتًا على النفاق ، ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة ، ﴿إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ بزيادة المؤمن به أو لزيادة[2] عمله الحاصل منها ، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزولها ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ونفاق ، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً﴾ كفرًا ، ﴿إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ الذي كانوا عليه ، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ[3] أَوَلا يَرَوْنَ﴾ أي : المنافقون ، ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يختبرون بالسنة والقحط أو الغزو والمصائب ، ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ لأن يتنبهوا ، ﴿ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ولا يعتبرون ، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها عيب المنافقين ، ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ إنكارًا لها وسخرية أو تدبيرًا للفرار قائلين ، ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ يعني من المسلمين إن قمتم من الخطبة[4] والمسجد فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا أقاموا ، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ عن حضرته ، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان دعاء أو إخبار ، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي : بسبب

---

(١) والقتال مع عدو الله بالصبر من شعائر التقوى.

(٢) أو لزيادة إيمانه وقوة يقينه في الإيمان .

(٣) وهذا شقاوة لا شيء بعدها .

(٤) فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ سورة القرآن في خطبته / وجيز .

أهم ، ﴿قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ[1] ﴾ عن الله دينه ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفون حسبه ونسبه ، ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد شاق ، ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي : عنتكم[2] ومضارتكم ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ على صلاحكم وإيمانكم ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ[3] رَءُوفٌ﴾ له شدة الرحمة على المطيعين ، ﴿رَّحِيمٌ ﴾ على المذنبين لكن غليظ شديد على الكافرين[4] ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان وقاتلوك ، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ في الحماية والنصرة ، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فلا أرجوا ولا أخاف غيره ، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلق تحته وعن بعض السلف أن آخر ما نزل هاتان الآيتان.

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ولما تم جميع ما أراد بيانه في تلك السورة خاطب الكل بما هو فذلكة الكتاب وأصله ومقصوده فقال ﴿لقد جاءكم رسول﴾ الخ/ وجيز .

(٢) فما مصدرية /١٢ .

(٣) في قوله بالمؤمنين من باب التنازع بالرءوف والرحيم .

(٤) كما دل تقديم المؤمنين تخصيصهم بالرأفة والرحمة .

سورة يونس قيل مكية إلا ثلاث آيات

من قوله ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾

وهى مائة وتسع آيات، وأحد عشر ركوعًا

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ
رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ
قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا
كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ
مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ
ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا
وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾

﴿الـر﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي: أنا الله أرى[1]،﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآي، ﴿آيَاتُ الكِتَابِ﴾ القرآن، ﴿الحَكِيمِ ﴾ المحكم الذي لم ينسخ، أو الحاكم بين الناس أو ذوي الحكم ، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ استفهام لإنكار تعجب الكفار، ﴿عَجَبا﴾ خبر كان، ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسم كان ، ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ نزلت حين قال قريش : الله أعظم أن يكون رسوله بشراً مثل محمد يعني ممن لم يكن له رياسة ومال وما يعدونه من أسباب الجلال﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ ، أن مفسرة ، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ﴾ أي : بأن ، ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ [2] عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي : سابقة وأثرة حسنة أجراً حسناً بما قدموا أو سبقت لهم السعادة في الذكر الأول وذكر الصدق إشارة إلى أن نيل تلك الرفعة بسبب الصدق ، ﴿قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا﴾ أي : الكتاب ، ﴿لَسَاحِرٌ [3] مُّبِينٌ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

---

(١) قال الحسن وعكرمة:"الر" قسم، وقال قتادة:"الر" اسم للسور وقيل غير ذلك، ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في شيء من ذلك والحق أن أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء الأربعة وغيرهم والله أعلم بمراده به وهو سره في كتابه العزيز .

(٢) في البخاري في كتاب التفسير قال زيد بن أسلم : أن لهم قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد : خير .[صحيح البخاري (١٩٦/٨-فتح)]

(٣) قرأ نافع وأهل البصرة والشام السحر بغير ألف يعنون القرآن وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة لساحر بالألف يعنون محمد صلى الله عليه وسلم/ معالم .

كهذه الأيام أو كل يوم كألف سنة، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى[1] عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾: يقدر أمر الكائنات على مقتضي

---

(١) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية: استوى على السماء ارتفع، وقال مجاهد: استوى على العرش علا على العرش وقعت هذه العبارة في النسخة المطبوعة الأحمدي ، وقال محيى السنة في معالم التنزيل: قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، وقال أيضاً في سورة البقرة تحت قوله تعالى: "ثم استوى، إلى السماء " (البقرة:٢٩)، قال ابن عباس، وأكثر مفسرى السلف: أى ارتفع إلى السماء ونقل الحافظ الذهبي في كتاب العلو عن إسحاق بن راهويه أنه قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوىٍ"، أي: ارتفع ونقل عن محمد بن جرير الطبري أنه قال : "ثم استوى على العرش الرحمن" (طه:٥)، أي: علا وارتفع، قال الشيخ سلام الله بن الشيخ عبد الحق الدهلوي فى حاشية على الجلالين المعروف بالكمالين عن أم سلمة والإمام جعفر الصادق والحسن وأبي حنيفة ومالك أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وروى البيهقى عن أبي حنيفة أن الله في السماء دون الأرض وعنه قال: من أنكر الله في السماء فقد كفر، وقال الشافعي إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، ويترل كيف شاء، ومثل ذلك قال أحمد ، وقال إسحاق : إنه أجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء وهو قول المزني والبخاري وأبي داود والترمذى وابن ماجه وأبي يعلي والبيهقي وغيرهم من أئمة الحديث، وقال إبراهيم: من الحلية طريقنا طريق السلف المتبعين لكتاب الله والإجماع ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته إلى أن قال: إن الأحاديث التي يثبت في العرش والاستواء عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأنه بائن من خلقه انتهى ما في الكمالين بلفظه، وقال شيخ الإسلام صفوة العارفين أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنيمة الموجود بأيدي الناس: أما معرفة =

حكمته ، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه[(1)]﴾ رد على المشركين أن آلهتهم شفعاء لهم ، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: الموصوف بتلك الصفات العظيمة ، ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا غير ، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ في أمركم أيها المشركون ، ﴿إِلَيْه﴾ لا إلى غيره، ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ بالموت ، ﴿وَعْدَ اللَّه﴾ مصدر مؤكد لنفسه ، ﴿حَقّاً﴾ مصدر مؤكد لغيره ، ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد إهلاكه ، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ بعدله لا ينقص من ثواهم وفضل الله يؤتيه من يشاء وقيل: المراد عدلهم أي: إيماهم فإن الشرك لظلم عظيم ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار انتهى حره، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفرهم وحاصله ليجزي الذين كفروا بشراب لكن غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعذاب، وللإشارة إلى أن المقصود بالذات من الإعادة هو الإثابة، وأما عقاب الكفرة فشيء ساقه إليهم شؤم أعمالهم وهذا أيضاً عدل لكن خصص المؤمنين بذكره لمزيد عناية وبشارة، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء ، ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً﴾

= الصانع أن تعرف وتوقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستوي على العرش محيط علمه بالأشياء " إليه يصعد الكلم الطيب " (فاطر:١٠)، " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه" الآية (السجدة:٥)، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال : إنه في السماء على العرش كما قال: (الرحمن على العرش استوي) (طه:٥)، وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش وكونه سبحانه وتعالى على العرش -مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل- بلا كيف وذكر كلاماً طويلاً اختصرته من شاء الاطلاع على تمامه فيرجع إلى كتابه المذكور المطبوع المتداول بين الناس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) تقرير لعظمته وعز حلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن/ بيضاوي.

أي[1]: ذا نور قيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، ﴿وَقَدَّرَهُ﴾، أي: مسير القمر[2] ، ﴿مَنَازِلَ﴾ أو قدر القمر ذا منازل[3]، ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حساب الشهور والأيام، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ أي : المذكور ، ﴿إِلاَّ﴾ متلبساً ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ فيه الصنائع والحكم ، ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنهم المنتفعون بالتدبر، ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ[4] اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ العواقب فإنه يحملهم على التدبر ، ﴿إِنَّ[5] الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ﴾ لايتوقعون، ﴿لِقَاءَنَا﴾ لأنهم ينكرون البعث ، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة، ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ قصروا هممهم على زخارفها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ الكونية والشرعية، ﴿غَافِلُونَ ﴾ فلا يتفكرون فيها ولا يأتمرون بها ، ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، من المعاصي، ﴿إِنَّ[6] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ

---

(١) الضياء أقوى من النور بحكم الوضع والاستعمال ولذا ينسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر/ منه.

(٢) فإن المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر القمري/ منه .

(٣) يعني لابد من تقدير المضاف ؛ لأن القمر ليس منازل ثم الظاهر أن المراد بها البروج لا المنازل إذ بها وبقطعها عدد السنين والحساب / منه .

(٤) اعلم أنه تعالى استدل على التوحيد أولاً: بتخليق السماوات والأرض وثانيًا: بأحوال الشمس والقمر وثالثًا: في هذه الآية بالمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار ورابعًا: بكل ما خلق الله في السماوات والأرض/كبير .

(٥) ولما قام الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها ومن يؤمن بها فقال : " إن الذين لا يرجون " الآية / كبير .

(٦) لما بين أحوال المنكرين شرع في أحوال المؤمنين فقال : " إن الذين امنوا " الآية .

رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ[1]، بسبب إيمانهم إلى الصراط حتى يصلوا إلى الجنة بالسلامة، **﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾** استئناف أو خبر ثان، **﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** متعلق بتجرى أو حال من الأنهار، **﴿دَعْوَاهُمْ﴾** أي: دعاؤهم، **﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾** مخففة من المثقلة، **﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾** عن كثير[2] من السلف أن أهل الجنة كلما اشتهوا شيئًا قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بما يشتهون فيسلم عليهم فيردون عليه، وذلك تحيتهم فإن أكلوا حمدوا الله وذلك قوله وآخر دعواهم .

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

(١) قيل: علم من هذا أن المراد من الإيمان الإيمان المقيد بالعمل الصالح لا مطلق الإيمان ليكون ذكر العمل الصالح مستدركًا قلنا إن سلمنا لا يلزم أن من لا يكون مهتديا إلى الجنة لا يدخل الجنة قط ومنع ذلك غاية المكابرة / منه.

(٢) ومثل هذا الخبر عن السلف لا يكون إلا مرفوعًا / وجيز .

عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ
أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿وَلَوْ[١] يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾ تعجيل الله تعالى لهم[٢] ، ﴿بِالْخَيْرِ﴾ حاصله لو يستجيب دعاءهم بالشر عند الغضب لأهلهم وأولادهم وأموالهم كما يستجيب دعائهم بالخير ، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ ، لأميتوا وأهلكوا لكن بفضله يستجيب في الخير سريعًا لا في الشر قال بعضهم: نزلت حين قالوا: " اللهم إن كان هذا هو الحق " الآية (الأنفال:٣٢)، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون

(١) ولما ذكر أنه تعالى بنى الأمور على التدبير لا على التعجيل فإن الثاني من الله والعجلة من الشيطان وهو على كل حال متفضل على المؤمنين في دنياهم ودينهم بين أن عدم استجابة دعائهم في بعض الأحيان من جملة التفضيل والتدبير فقال: " ولو يعجل الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) إشارة إلى أن الاستعجال بمعنى التعجيل صفة مصدر محذوف، أي تعجيلاً مثل تعجيلهم بالخير كضربت ضرب الأمير / منه .

البعث ، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ تقديره لا نعجلهم ولا نقضي فنذرهم إمهالاً واستدراجًا،﴿وَإِذَا مَسَّ[١] الإِنسَانَ الضُّرُّ﴾ المرض والشدة، ﴿دَعَانَا﴾ لإزالته ملقيًا، ﴿لِجَنبِهِ﴾ أي: مضطجعًا، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ ، أي: في جميع حالاته فإن الإنسان لا يخلوا عن إحدى هذه الثلاثة ، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ مضى واستمر على طريقته قبل الضر ونسي، ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ أي: كأنه لم يطلب منا كشف ضره فحذف ضمير الشأن وخفف، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين، ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الانهماك في اللذات والإعراض عن الطاعات، ﴿وَلَقَدْ[٢] أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بتكذيب رسلهم، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الدالة على صدقهم عطف على ظلموا أو حال بإضمار قد، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لأن الله طبع على قلوبهم جزاء على كفرهم، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو الإهلاك بأفضح وجه، ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: كل مجرم فاحذروا يا أهل مكة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾ استخلفناكم فيها ، ﴿مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف حال عن ضمير تعملون، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: المشركون، ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ أي: جئ من عند ربك بكتاب آخر ليس فيه عيب آلهتنا، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أنت من عند نفسك بأن تأتى بآية أخرى

---

(١) ولما أخبر أن الله لا يعجلهم بالضر وإن استعجلوا فاللائق بحالهم الصبر في البلاء والشكر في النعماء فذكر أنهم على خلاف ذلك فقال : "وإذا مس الإنسان " الآية / وجيز .

(٢) ولما كان الإمهال لا يستلزم الإهمال أيقظ المعاصرين المسرفين عن رقدة الغفلة بالتأمل في حال نظرائهم فقال : " ولقد أهلكنا " الآية / وجيز .

مكان آية فيها ما نكرهه، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ﴾ ما يصح، ﴿لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ من قبل نفسي، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ يعني التبديل من قبل نفسي لا يمكنني ومن جهة الوحي موقوف على الوحي لا دخل لي فيه إنما علي اتباعه،﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لما علم من جواب التبديل جواب الإتيان بقرآن آخر اكتفى به عنه، ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا أتلوا، ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: تلاوته من مشيئة الله تعالى وإرادته فإني رجل أمي تعرفوني، ﴿وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ﴾ ولا أعلمكم الله به على لساني ومن قرأ لأدراكم بلام جواب "لو" فإنه عطف على جواب "لو" لا لام الابتداء[(١)] فمعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري لكنه خصني بهذه المزية ورآني أهلا لها دون غيري ، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ مقدار أربعين سنة، ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ[(٢)]﴾ إنه لا يكون من قبلي فإني نشأت بين ظهرانيكم وما مارست علمًا وما شاهدت عالمًا ،﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن يقول: إنه من عند الله وما هو من عنده ، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ برسوله وقرآنه ومن تأمل في أمري يظهر له صدقي فلا أحد أظلم منكم، ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ[(٣)] مِن دُونِ اللَّهِ مَا

(١) رد على الزمخشرى فإن لام الابتداء لا يدخل على الماضي / منه.

(٢) يعني أن مثل هذا الكتاب العظيم إذا جاء على يد من لم يتعلم و لم يتتلمذ و لم يطالع كتابًا و لم يمارس مجادلة يعلم بالضرورة أنه لا يكون إلا على سبيل الوحي والتنزيل وإنكار العلوم الضرورية يقدح في صحة العقل فلذلك قال : (أفلا تعقلون)/ ١٢ كبير .

(٣) ولما تكلموا بما يدل على جنونهم قال : "أفلا تعقلون"، ثم أثبت لهم ما هو صريح في جنونهم وما هو إلا من نحو أفعال المجانين فقال : " ويعبدون من دون الله " الآية/وجيز .

﴿لاَ يَضُرُّهُمْ[١] **وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾** لأنه لا يقدر على ضر ولا نفع فإنه جماد، **﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ﴾** الأوثان ، **﴿شُفَعَاؤُنَا**[٢] **عِندَ اللَّه﴾** في أمور دنيانا أو في الآخرة إن يكن بعث ، **﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾** ، تخبرونه ، **﴿بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾** ، وهو أن له شريكاً وأن هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بكل شيء لم يكن له ثبوت بوجه ، **﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾** ، حال من ضمير مقدر في يعلم يرجع إلى ما تأكيد لنفيه إذ العرف جار[٣] بأن يقال عند تأكيد النفي ليس هذا في السماء ولا في الأرض، **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** ، ما مصدرية أو موصولة، **﴿وَمَا كَانَ**

---

(١) واعلم أن العبادة أعظم أنواع الشكر فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام وذلك ليس إلا الحياة والعقل والقدرة ومصالح المعاش والمعاد، فإذا كان المنافع والمضار كلها من الله سبحانه وتعالى وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه/ كبير .

(٢) قال الإمام الرازي : اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شفعاؤنا عند الله وذكر فيه أقوالاً إلى أن قال : ورابعها أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا أعظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله انتهى ما في التفسير الكبير بلفظه ، وقال الشوكاني في نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار: اعتقاد الجهلة لها أي : للقبور كاعتقاد الكفار للأصنام ، وأعظم من ذلك وظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصد الطلب قضاء الحوائج وملجأ لإنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) لاعتقاد العامة أن كل ما يوجد فهو إما في السماء وإما في الأرض / منه .

النَّاس[1] ﴿إلاَّ أُمَّةً واحِدَةً﴾ ، بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾، فبعضهم عبدوا الأصنام، ﴿ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾، بأنه لا يهلك أحداً إلا بعد قيام الحجة وأن لكل أمة جعل أجلاً معيناً، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، عاجلاً ، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، فيهلك المبطل ويبقي المحق، قال بعضهم: أي لولا أنه في حكمه أنه لا يقضي بينهم إلا في القيامة لقضي في الدنيا فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار قبل القيامة ، ﴿ويَقُولُونَ﴾، أهل مكة ، ﴿لَوْلا﴾ ، أي هلا ، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ ، على محمد ، ﴿آيَةٌ مِّن رَبِّهِ﴾ ، مثل الناقة والعصا أو مما اقترحوه من جعل الصفا ذهباً ، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الغَيْبُ لِلَّهِ﴾ ، أي: ما تطلبونه غيب وهو القادر عليه، ﴿فَانتَظِرُوا﴾، لنزول ما تطلبونه، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ المُنتَظِرِينَ ﴾ لما يفعل الله بكم .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ

(١) ولما بين أن هؤلاء مستحقون للبلاء أول مرة وقد أمهلهم تعرض سبب الإمهال فقال:"وما كان الناس " الآية / وجيز .

نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا
وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا
فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ (٢٥) ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا
ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٦) وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ
وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧)
وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ
فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ (٣٠) ﴾

﴿وَإِذَا[١] أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً[٢]﴾ كالرخاء والصحة ، ﴿مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ ، كالجدب والمرض ، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ يحتالون في طعنها وتكذيبها وإذا

---

(١) ولما كان إجابة مقترحهم من مظنة إيمانهم وهي هين عند الله فكان منتظرا ينتظر ما هو سبب إيمانهم من مقترحهم بين أنهم لانهماكهم في الغي كأسلافهم غير متوقع منهم الإيمان فقال : وإذا أذقنا الناس " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) وقال بعض المفسرين المراد من رحمة مطر من بعد قحط وجدب.

للمفاجأة جواب لإذا الشرطية[١] ، ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾ منكم بأن يدبر العقاب قيل إن تدبروا المكر والمكر من الله استدراج أو جزاء على المكر، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ أي: الحفظة من الملائكة، ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ للمجازاة، ﴿هُوَ[٢] الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يمكنكم من السير ويحفظكم، ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ في السفن ، ﴿وَجَرَيْنَ﴾ الضمير للفلك لأنه جمع فلك، ﴿بِهِم﴾ عدل إلى الغيبة[٣] للمبالغة كأنه يذكرهم لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ لاستوائها ولينها، ﴿جَاءَتْهَا﴾ ، أي تلك السفن جواب لإذا ، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: ذات عصف يعني شديدة قيل العاصف كالحائض مخصوص بالريح فلذا لم يقل عاصفة أو الريح يذكر ويؤنث، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جميع الأطراف، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ[٤] بِهِمْ﴾ فلا يمكن لهم الخلاص، ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ بدل اشتمال من ظنوا أو استئناف جواب ماذا صنعوا بعد هذه الحالة وما قيل هو جواب للشرط وجاءها حال فليس بشيء، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ[٥] الدِّينَ﴾، مفعول مخلصين أي: تركوا الشرك فلم يدعوا إلا الله ،

---

(١) جواب لإذا الشرطية إذا جعل عامل إذا الشرطية هو الجواب كان معني المفاجأة هو العامل فيه عمل الفعل في الظرف فيصير المعنى فجاءوا في وقت الإذاقة وقت المكر/منه.

(٢) ولما بين أن الناس إذا أصابهم الضر لجئوا إلى الله وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عادتهم وكان المذكور إبرازه في صورة أمر كلي أوضح ذلك بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذاك الكلي فقال : " هو الذي " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) من الخطاب: "بقوله إذا كنتم" / منه .

(٤) أي: دنوا من الهلاك وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فحاصره فقد دنا أهله من الهلكة .

(٥) قال الرازي : يعني أن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى ،

=

﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ ، أي : قائلين أو مفعول دعو الأنه من جملة القول ، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ ، الريح والشدة ، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ﴾ ، فأجاءوا الفساد فيها، ﴿بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ لا كتخريب المسلمين ديار الكفر فإنه إفساد بحق، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ[1] إِنَّمَا بَغْيُكُمْ[2] عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ﴾ منفعة ، ﴿الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا تبقى ويبقى عقابها وهو خبر بغيكم وعلى أنفسكم متعلق بالبغي أو على أنفسكم خبره أي ما وبال بغيكم إلا على أنفسكم لا يضرون به أحدا غيركم ومتاع

= ثم إذا أنجاه الله نسي تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة. وفي الفتح: وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً أو في هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما شابهها فيا عجباً لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون كما تواترت إلينا تواتراً يحصل به القطع فانظر هداك الله ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية وأين وصل بها أهلها وإلى أين رمى بهم الشيطان وكيف اقتادهم وتسلط عليهم حتى انقادوا له انقياداً ما كان يطمح في مثله ولا في بعضه من عباد الأصنام فإنا لله وإنا إليه راجعون/فتح .

(١) الظاهر أنه خطاب عام يندرج الذين أنجاهم الله فيهم .

(٢) وعند ابن مردويه حديث مرفوع "لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي منهما" كذا في الفتح [رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو نعيم عن ابن عباس موقوفا، ورواه ابن مردويه عن الأعمش مرفوعا. قال ابن أبي حاتم: والموقوف أصح، كما في كشف الخفاء للعجلوني (١٨١/١) بتحقيقي.] وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه:

يا صاحب البغي إن البغي فارجع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوماً على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله

نقله الرازى فى الكبير.

خبر محذوف، أي: ذلك متاع ومن قرأ بالنصب تقديره يتمتعون متاع ، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[1]﴾ بالجزاء عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في سرعة تقضيها واغترار الناس بها، ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ أي: بسببه اشتبك نبات الأرض حتى خالط بعضه بعضاً، ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الزرع والبقل ، ﴿وَالأَنْعَامُ﴾ من الحشيش، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ كعروس أخذت ألوان ثيابها وحليها فتزينت بها وأصل ازينت تزينت فأدغم، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ أهل الأرض ، ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها، ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ وهو ضرب زرعها ببعض العاهات، ﴿لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: زرعها، ﴿حَصِيداً﴾ شبيهاً بما حصد ، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ أي: كأن لم يلبث و لم يكن زرعها على حذف المضاف، ﴿بِالأَمْسِ﴾ والأمس مثل في الوقت القريب يعني المتسبب بالدنيا المغرور بها يأتيه عذابه أغفل ما يكون ومضمون الحكاية[2] وهو الممثل[3] به لا الماء وحده ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك

---

(١) أما العدول من الخطاب في قوله: "إذا كنتم" إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم" فقيل: للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم من تلك الحال ، وقيل : حكمة الالتفات أن خطاب هو الذي يسيركم امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين الشاملين لمؤمن وكافر وحسن خطابهم ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر فيرجع فلما آل الحال إلى أن المتلبس بالنعمة باغ في الأرض عدل من الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبين بصدور التي اخرها البغي ولما قال: "البغي متاع الحياة الدنيا" قال: "إنما مثل الحياة الدنيا" / وجيز .

(٢) وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعدما التف وزين الأرض حتى طمع فيها أهلها وظنوا أنهم قد حصلوها سالمة عن الحوائج .

(٣) أي : ليس المشبه به هو ما دخله الكاف في قوله: "كماء"؛ بل ما يفهم من الكلام .

التبيين ، ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بها ، ﴿وَاللَّهُ[١] يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾ هي الجنة والسلام من أسماء الله تعالى أو دار السلامة من الآفـــات أودار تحيتها سلام يسلم الملائكة على من فيها، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بأن يوفقه على التقوى الذي هوطريق الجنة فالدعوة عام والهداية خاص، ﴿لِّلَّذِيـــنَ[٢] أَحْسَنُوا﴾ العمل في الدنيا، ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ النظر[٣] إلىوجه الله الكـــريم وهو قول أبي بكر الصديق وكثير من السلف رضي الله عنهم وعليه أحاديث كثـــيرة أحدها في صحيح مسلم وابن ماجه لكن من يضلل الله من العباد فمالـــه مـــن هـــاد أوالحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة أو أكثر أو الزيادة الرضـــوان، ﴿وَلاَ يَرْهَقُ﴾ لا يغشى ، ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ غبار أي: سواد ، ﴿وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ هوان وكآبة؛ بل لقاهم نضرة وسروراً، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[٤]﴾ وَالَّذِيـــنَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ بتقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات، ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِـهَا﴾ لا يزاد عليها شيء أو عطف على الذين أحسنوا ، أي: للذين كسبوا السيئات جـــزاء سيئة بمثلها كقولك : في الدار زيد والحجرة عمرو عند مـــن يجـــوزه، ﴿وَتَرْهَقُـــهُمْ﴾ تغشاهم، ﴿ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمهم ويحميهم ، ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِـــيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾ لكمال سوادها ومظلماً حال من الليل وهو صفـــة

---

(١) ولما ذكر مثل الحياة الدنيا وما يئول إليه من الفناء وما تضمنته من الآفات بـــين أنـــه سبحانه داع إلى دار سلامة وآمن فقال: "والله يدعوا" / وجيز .

(٢) لما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشيئة والهداية خاصة تقيدت بها علم أنهم فريقان أهـــل التقوى والهداية وأهل الضلال والغواية فبين مآلهما وقال: (للذين أحسنوا) / وجيز.

(٣) فسره بذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم وابـــن ماجـــه والترمذى ومسند أحمد وهو قول أكابر الصحابة / وجيز .

(٤) وفيها ظرف خالدون والتقديم رعاية للفاصلة أو فيها خبر وخالدون خبر بعده/وجيز .

لقطعاً ومن قرأ قطعاً بسكون الطاء فالأولي أن يكون مظلماً صفة ، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ والآية في الكفار قسيم المؤمنين المراد من قوله للذين أحسنوا، ﴿وَيَوْمَ﴾ بتقدير اذكر، ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ المؤمن والكافر ، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الزموا ، ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المنتقل إلى مكانكم من عامله ، ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي الأوثان ، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ فرقنا ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وقطعنا ما كان بينهم من التواصل ، ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ ينطق الله الأصنام فينكرون عبادتهم ويتبرأون منهم مكان شفاعتهم ، ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ أي أنه[1] ، ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ لأنا كنا جماداً لا نعلم ولا نشعر فما أمرناكم بها ولا رضينا منكم بها، ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام، ﴿تَبْلُو﴾ تختبر وتعلم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ من عمل فتعاين نفعه وضره ومن قرأ تتلو فهو من التلاوة أي تقرأ أومن التلو أي: تتبع عمله قال بعضهم: تتبع كل أمة ما كانت تعبد،﴿وَرُدُّوا﴾ أي: أمرهم، ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ﴾ متولي أمورهم بالحقيقة لا ما اتخذوه مولىً بالباطل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ ضاع وبطل ، ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ فيعبدونه من دون الله .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن
يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ
إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

(١) قال المفسرون: إن تكون بمعنى لقد .

يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ
أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ
ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ
يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُلْ مَن[1] يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر، **﴿وَالأَرْضِ﴾** بالنبات قيل: تقديره من أهل السماء والأرض، **﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾** أي: من يملك خلقهما أو حفظهما من الآفات، **﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾** الحيوان ، **﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾** النطفة ، **﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾** النطفة ، **﴿مِنَ الْحَيِّ﴾** الحيوان وقيل: من يحيي ويميت ، **﴿وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾** يلي تدبير أمر العالم ، **﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾** إذ الأمر أوضح من أن ينكر ، **﴿فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾** الشرك مع هذا الإقرار ، **﴿فَذَلِكُمُ﴾** إشارة إلى من هذه قدرته ، **﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾** لا ما جعلتم معه شريكاً أخبار مترادفة[2] ،

---

(١) ولما بين فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل الدالة على فساد معتقدهم بما لا يمكن إلا الاعتراف به فقال : " قل من يرزقكم " الخ / وجيز .

(٢) لأن الله علم لا يمكن أن يجعل صفة ذلكم / وجيز .

﴿فَمَاذَا بَعْدَ[١] الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ أي: ليس بعد الحق إلا الضلال ، ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال وعن عبادته إلى عبادة غيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما حق أن بعد الحق الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: حكمه السابق ، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تمردوا في كفرهم، ﴿أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ بدل من كلمة، وقيل تقديره: لأنهم لا يؤمنون فالمراد منها كلمة العذاب، ﴿قُلْ هَلْ[٢] مِن شُرَكَائِكُم﴾ أي: آلهتكم، ﴿مَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أدخل الإعادة في الإلزام وإن لم يكونوا قائلين بها لظهور برهانها، ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وأنتم تعلمون أن شركاءكم لا يقدرون على مثل هذا، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ تصرفون عن سواء السبيل ، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ والهداية كما يعدى بإلى يعدى باللام، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ أمره وحكمه ، ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾ أصله يهتدى فأدغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، ﴿إِلاَّ أَن[٣] يُهْدَى﴾، الهداية قد تجيء بمعنى النقل[٤] أي الأوثان لا ينتقل من مكان إلا أن ينقل أو يكون هذا حال أشرف شركائهم كالملك والمسيح أو لا يصح منه الاهتداء إلا أن يهديه الله بأن يجعل الجماد حيواناً عالماً ، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[٥] ﴾ بما يبطله

---

(١) ماذا استفهام معناه النفي وهو مبتدأ أو الخبر بعد الحق / وجيز .

(٢) هل تكون للاستفهام ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها.

(٣) معناه أن للمشركين شركاء بعضهم جماد كالحجر والنجوم وبعضهم عقلاء كالملك وعيسى وعزير وحال أشرف شركائهم أنهم لا يهتدون إلا بأن يهدى فكيف حال غير الأشرف .

(٤) نحو هديت العروس إلى بيت زوجه نقله محيي السنة عن بعض كبار السلف ، قيل : وما أحسن قوله إن قوله أحق من باب التهكم فإن أصنامهم ليست مستحقة بوجه للعبادة/وجيز.

(٥) ولما أثبت لهم الحجج البينة على بطلان ما هم عليه ولم ينفع وهم على الضلال القديم بين سبب ذلك فقال: "وما يتبع أكثرهم إلا ظناً" /وجيز .

العقل بتا، ﴿وَمَا[1] يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً﴾ مستنداً إلى خيال باطل ووهم زائل والمـــراد من الأكثر الجميع أو المراد رؤساؤهم فإن السفلة مقلدون ليس لهم ظـــن أيضـــاً، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ أي : لا يقوم مقام العلم فالمراد من الحق العلم ، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، ومن الحق حال قيل معناه: الظن لا يدفع من عذاب الحق شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ تهديد ووعيد، ﴿وَمَا كَانَ هَـــذَا القُــرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ما صح أن يكون القرآن مفترى من الخلق وهذا محـــــال، ﴿وَلَكِن﴾: كان، ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مـــن الكتـــب المتقدمـــة، ﴿وَتَفْصِيــلَ الكِتَابِ﴾ تبيين ما كتب وفرض من الشرائع ، ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر ثالث أو حـــال أو استئناف، ﴿مِن رَّبِّ[2] العَالَمِينَ ﴾ خبر آخر أو حال ، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل أيقولـــون ، ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد والهمزة للإنكار ، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة علـــى وجــه الافتراء ، ﴿وَادْعُوا﴾ إلى معاونتكم على المعارضة ، ﴿مَنِ اسْـــتَطَعْتُم﴾ مـــن الجـــن والإنس ، ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سوى الله تعالى فإنه القادر على ذلك متعلـــق بـــادعوا لا باستطعتم ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنه من عند نفسه فإنه بشر مثلكم بل تمرنكـــم في

---

(١) أي ما يتبع هؤلاء المشركين في إشراكهم بالله وجعلهم له أنداداً إلا مجرد الظن والتخمين والتحدس ، و لم يكن ذلك عن بصيرة والتفات إلى فرد من أفراد العلم فضلاً عـــن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق فيفهموا مضمونهـــا ويقفـــوا علـــى مقتضاها وبطلان ما يخالفها؛ بل ظن من ظن من سلفهم أن هذه المعبودات تقربهـــم إلى الله وأنها تشفع لهم و لم يكن لظنهم هذا مستند قط بل مجرد خيال مختل وحدس بـــاطل فقلدوا فيه آباءهم وما أحسن ما قال الرازى في هذه السورة تحـــت قولـــه تعـــالى : " ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله " (يونس:١٨)، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله.

(٢) مترل من رب العالمين لتربيتهم /وجيز .

النظم والنثر أكثر فإنه أمي ، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ يعني لما رأوا القرآن مشتملاً على أمور ما عرفوا حقيقتها(١) سارعوا بجهلهم إلى التكذيب(٢)، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ﴾ بعد، ﴿تَأْوِيلُهُ﴾ فإنهم إن صبروا يظهر لهم بالآخرة تأويله ، لكن فأجاءوا الإنكار قبل أن يقضوا على تأويله ، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ فيه وعيد لهم بمثل عقاب الأمم السالفة ، ﴿وَمِنْهُم﴾ من المكذبين، ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بعد ذلك ، ﴿وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بل يموت على الكفر، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ المصرين وقيل: معناه بعضهم من يصدقه باطناً لكن يعاند، وبعضهم لا يعلم صدقه لغباوة وأنا أعلم بالمعاند.

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ

(١) وهكذا صنع من تصلب في التقليد و لم يبال بما جاء به من دعي إلى الحق وتمسك بذيول الأنصاف بل يرده بمجرد كونه لم يوافق هواه ، ولا جاء طبق دعواه قبل أن يعرف معناه، ويعلم مبناه كما تراه عياناً وتعلمه وجدانا والحاصل أن من كذب بالحجة النيرة والبرهان الواضح قبل أن يحيط بعلمه فهو لم يتمسك بشيء في هذا التكذيب إلا مجرد كونه جاهلاً، إنما كذب به غير عالم به فكان بهذا التكذيب منادياً على نفسه بالجهل بأعلى صوت ومسجلاً بقصوره عن تعقل الحجج بأبلغ تسجيل ، وليس على الحجة ولا على من جاء بها من تكذيبه شيء:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

(٢) فإن المرء عدو لما جهل .

يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا
يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ
أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ
نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ
وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ
تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ
لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿**وَإِن كَذَّبُوكَ**﴾ أصروا على تكذيبك[١] ، ﴿**فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ**﴾ أي: لي الإيمان ولكم الشرك أو لكل جزاء عمله، يعني تبرأ منهم فقد أعذرت، ﴿**أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ**﴾ من الطاعة ، ﴿**وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ من المعاصي أو لا تؤخذون بعملي ولا أو خذ بعملكم ، قال بعضهم : الآية منسوخة بآية السيف[٢] ، ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ**﴾ إذا قرأت القرآن لكن لا يقبلون، ﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ**﴾ يعني:

---

(١) فسرنا بقولنا أصروا لأن أصل التكذيب حاصل مع أن الجزاء أعني التبري منهم إنما يلائم الإصرار واليأس من الإجابة / منه .

(٢) فيه بحث لأنه لا تدل إلا على أنه- عليه الصلاة والسلام- يتبرى منهم ولا يتعب نفسه في هذا كما يدل على ذلك الآية التي بعدها ولا يدل على عدم التعرض بهم فتأمل/منه .

أتطمع أن تسمع الأُطْرُوشُ فإنهم بمنزلته في عدم وحيه، ﴿وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: ولو انضم إلى صممهم عدم العقل فإن الأصم العاقل ربما يتفرس، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويعاينون أدلة صدقك لكن لا يصدقون ، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ أتطمع أنك تقدر على هداية فاقد البصر، ﴿وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ وإن انضم إليه عدم البصيرة فإن العمى مع الحمق جهد البلاء، والآية كالتعليل للأمر بالتبري، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾، من الظلم[1] بأن يشقيهم وهم مصلحون، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بارتكاب أسباب الشقوة وتفويت منافع العقول أومعناه ما يحيق بهم في الآخرة عدل من الله تعالى لأنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه فعلى هذا يكون وعيداً لهم، ﴿وَيَوْمَ[2] يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ﴾ أي: كأنه لم، ﴿يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾، يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبر لهول المحشر وكأن لم يلبثوا حال أي: مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً وهو متعلق الظرف أعني يوم نحشرهم أوتقديره اذكر يوم نحشرهم وعلى هذا يتعارفون بيان لقوله لم يلبثوا، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ هي شهادةمن الله على خسرانهم[3] ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ لرعاية مصالح هذه التجارة ،

---

(١) أشار بقوله من الظلم أن شيئاً مفعول مطلق .

(٢) ولما كان في هذه الآيات ما ذكر من أفانين جدالهم في أباطيلهم دالاً على أنهم لا يرون حشراً ونعيماً وراء نعيم هذه الدار فارغين عن نوازل الحدثان مستطيلين للزمان آمنين من الفناء حسن تعقيبه بما يستقصرون مع مدة لبثهم في الدنيا فقال:"ويوم نحشرهم" الآية/وجيز.

(٣) ولما أوعد بخسرانهم وعدم اهتدائهم وهم في عافية في دنياهم صارت النفوس كأنها منتظرة في إنما يترتب على الوعيد هو في الدنيا نراه عن قريب فقال : " وإما نرينك "الآية/وجيز .

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ[1] بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي : ننتقم في حياتك لتقر عينك وجوابه محذوف ، أي : فذاك ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريكه ، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك ، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾ فيعاقبهم ويجازيهم إن لم ننتقم في الدنيا ننتقم منهم في الآخرة ، ﴿وَلِكُلِّ[2] أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يدعوهم إلى الحق ، ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وهو هلاك من كذبه ونجاة من تبعه أو لكل أمة[3] يوم القيامة رسول فإذا جاء رسولهم الموقف قضي بينهم بالعدل ، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ ، فلا ينقص ثوابهم ولا نأخذهم بغير ذنب ، ﴿وَيَقُولُونَ[4]﴾ ، أي : المشركون استهزاء واستبعاداً ، ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا من العذاب، ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أيها الرسول وأتباعه، ﴿صَادِقِينَ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَراًّ وَلاَ نَفْعاً﴾ فكيف أملك لكم فأستعجل في عذابكم، ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن أملكه أو منقطع، أي: لكن ما شاء الله من ذلك كائن، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم ، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أعلمتم أو أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً﴾ وقت بيات، ﴿أَوْ نَهَاراً﴾ وقت اشتغالكم بطلب المعاش ، ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ متعلق بأرأيتم ومعناه التعجب والتهويل يعني أعلمتم إن أتاكم عذابه في حين غفلة أي شيء هول شديد يستعجلون من الله تعالى وإذا كان ضمير منه للعذاب فمن للبيان

---

(١) أي : وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر .

(٢) ولما ذكر حاله- صلى الله عليه وسلم- مع قومه أخذ يبين أن حال جميع الأمم مع الرسل كذلك فقال : " ولكل أمة رسول " الآية / وجيز .

(٣) هو قول مجاهد رضي الله عنه .

(٤) ولما سمعوا أمر وعيدهم بأنه متعين الوقوع استهزءوا فقال تعالى:" ويقولون" الآية/وجيز .

وهذا كقولك: أعلمت ماذا جنيت؟ وجواب الشرط محذوف[١] يدل عليه أعلمتم أي شيء يستعجلون ، وعدل عن الخطاب في يستعجلون إلى ذكر فاعله لإفادة أن تعلق الحكم باعتبار وصف الإجرام أو ماذا يستعجل جواب كقولك: إن لقيت أسداً ماذا تصنع؟ ومجموع الشرط والجزاء متعلق بأرأيتم أو الاستفهام ليس للتعجب فحاصله أن العذاب كله مكروه فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال، **﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾** الهمزة للتوبيخ والتقريع يعني إذا نزل العذاب آمنتم به، **﴿آلآنَ﴾** بتقدير القول أي : قيل لهم بعدما نزل العذاب وآمنوا الآن آمنتم فهو استئناف أو بدل من آمنتم أو من إذا ما وقع إلى آخره ، **﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ثُمَّ قِيلَ﴾** ، عطف على قيل المقدر ، **﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾** ، في الدنيا فلا ظلم ، **﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾**، يستخبرونك ، **﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾** ، ما تقول من البعث والقيامة أو العذاب وفي إعرابه وجهان كأقائم زيد قيل الهمزة للإنكار والسخرية، **﴿قُلْ إِي﴾**، بمعني نعم ويلزمها القسم، **﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾**، كائن ثابت ، **﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾**، أي: ليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله تعالى عن إعادتكم أو بفائتين العذاب.

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ

(١) وهو ندموا على الاستعجال أو عرفوا خطأه وأمثال ذلك / منه .

وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ
ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾ ، تحقق وثبت ، ﴿لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ ، بالشرك ، ﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾، من الخزائن، ﴿لافْتَدَتْ بِهِ﴾ ، لجعلته فدية لها من العذاب ، ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾، أي: أظهروا[١] الندامة أوأخفى روساؤهم الندامة من سفلتهم حذراً من تعييرهم أو أخفوا لأنهم لم يقدروا أن ينطقوا لشدة الأمر، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والكافرين، أو بين الكفار أو بين الرؤساء والأتباع، ﴿بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فيقدر على العقاب والإثابة ، ﴿أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا خلاف فيه ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ لغفلتهم وقصور عقلهم ، ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ في الدنيا ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالنشور ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ[٢] قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ زجر عن الفواحش، ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من سوء الاعتقاد والشكوك، ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه حصل لهم النجاة من الظلمات إلى النور، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[٣] أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فحذف أحد الفعلين لدلالة الباقي

---

(١) من قولهم: أسر الشيء أظهره / منه

(٢) ولما ذكر وفصل وأشبع الأدلة الوحدانية بين دليل صحة النبوة والطريق المؤدي إليها وهو القرآن فقال : " يا أيها الناس " الآية / وجيز .

(٣) وفائدة التكرير التأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا/ منه.

عليه والفاء لمعني الشرط كأنه قيل : إن فرحوا بشيء فليخصوا الفضل والرحمة بالفرح فإنه لا مفروحاً به أحق منهما ، أو تقديره قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئها فليفرحوا، أو الفضل الإيمان أوالقرآن أو الإسلام ورحمته القرآن أو أنه صيرنا من أهل القرآن أو السنن أو الجنة ، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾، من حطام الدنيا ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم[1] مَّا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، ما مفعول أرأيتم، أي: أخبرونيه، ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾، الرزق مقدر من[2] السماء محصل بأسباب منها، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً﴾، المراد ما حرم المشركون من البحائر والسوائب والوسائل، وأحلوا من الميتة وغيرها، ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، بالتحليل والتحريم، ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ[3] ﴾، في نسبة ذلك إليه

---

(١) ولما من علينا بإنزال القرآن المشتمل على التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم فقال : " قل أرايتم " الآية / وجيز .

(٢) فلذلك قال أنزل .

(٣) وفي هذه الآية الشريفة ما يصل مسامع المتصدرين للإفتاء لعباد الله في شريعته بالتحليل والتحريم مع كونهم مقلدين لا يعقلون حجج الله ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل من هذه الأمة قد قلدوه في دينهم وجعلوه شارعاً مستقلاً ما عمل به من الكتاب والسنة فهو معمول به عندهم وما لم يبلغه أو بلغه و لم يفهمه حق فهمه أو فهمه وأخطأ الصواب في اجتهاده وترجيحه فهو في حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد مع كون من قلدو متعبدا بهذه الشريعة كما هم متعبدون بها وقد اجتهد رأيه وأدى ما عليه وفاز بأجرين مع الإصابة وأجر مع الخطأ ، إنما الشأن في جعلهم لرأيه الذي أخطأ فيه دليلاً معمولاً به وقد أخطئوا في هذا خطأ بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً فإن الترخيص للمجتهد في اجتهاد رأيه يخصه وحده ولا قائل من أهل الإسلام المعتد بأقوالهم أنه يجوز لغيره أن يعمل به تقليداً له واقتداء به، وما جاء به المقلدة في تقوم هذا الباطل فهو من الجهل العاطل ، قال النسفي: الآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل عن الأحكام وباعثه على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان

=

قيل الهمزة[1] للإنكار، وأم منقطعة، ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: أي شيء ظنهم[2] في ذلك اليوم أيحسبون أن لا يجازوا عليه وفي إبهام الوعيد تهديد شديد،﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث لا يستعجل عقوبتهم أو فيما أباح لهم المنافع ولم يحرم عليهم إلا المضار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ هذه[3] النعمة فيحرمون ويحللون بمقتضى هواهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

= وإتقان وإلا فهو مفتر على الديان ثم قال : " وما ظن الذين " الآية/ فتح البيان في مقاصد القرآن .

(١) وعلى المعنى الذي فسرنا أم متصلة .

(٢) في ذلك إشارة إلى أن يوم القيامة ظرف لظن لا ليفترون .

(٣) ولما أظهر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم ورد عليهم ومجادلة الرسول لهم وفضله على الخلق وعدم شكر أكثرهم ذكر اطلاعه على أحوالهم للتنبيه والتأديب وأبصر في مقاسات الأعداء كما قال: " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" (الطور:٤٨) فقال:" وما تكون في شأن" الآية/ وجيز.

يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا
كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ ﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ما نافية والشأن الأمر والخطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾ الضمير لله وقيل للشأن، ﴿مِن قُرْآنٍ﴾ من مزيدة للنفي وقيل: للتبعيض، ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ خطاب له ولأمته ، ﴿إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾ رقباء مطلعين عليها، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تخوضون، ﴿فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ﴾ لا يبعد ويغيب، ﴿عَن رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ موازن نملة صغيرة أوهباء[1] ، ﴿فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الوجود فإن العوام لا يعرفون إلا ما فيهما ، ﴿وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ جملة برأسها مقررة لما سبق و(أصغر) اسم (لا) و(في كتاب) خبره ، ﴿أَلاَ إِنَّ[2] أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حين يخاف الناس عقاب الله، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فوات مأمول ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ[3] ﴾بيان

---

(١) يعني الذرة الصغيرة أم الهباء .

(٢) ولما بين أن المخاطبين فريقان وأعلم أن الفريق الذين هم الأكثرون غير شاكرين توجه الخاطر إلى العلم بحال القليل الذين هم شاكرون فقال: (ألا إن أولياء الله) إلخ / وجيز .

(٣) وقد أكثر أهل العلم من المتكلمين والصوفية وغيرهم في تعريف الولي ووصفه وأطالوا المقالات في ذلك بما لا حاجة إليه ، وهذه الآية تغني عنها وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، والحاصل أن ولي الله من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالأعمال

=

لأولياء الله، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الرؤيا[1] الحسنة[2] هي البشرى يراها المسلم ويرى له، وقال بعضهم: هي بشرى الملائكة عند احتضاره بالجنة وعن الحسن هي ما يبشر الله تعالى المؤمنين في كتابه من جنته ونعيمه، ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ الجنة ورضوان الله تعالى قال بعضهم: المراد بشارة الملائكة في القبر، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا إخلاف في مواعيده، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مبشرين في الدارين، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ إشراكهم وتكذيبهم، ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ[3] جَمِيعاً﴾ استئناف بمعنى التعليل كأنه قال: لا تحزن؛ لأن العزة كلها ملك له ولا يملكها إلا لمن

= الصالحة على وفق السنة المطهرة ، وعن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول : " لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله وأن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم " أخرجه أحمد وغيره [أخرجه أحمد (٤٣٠/٣)، وقال الهيثمي في "المجمع"، (٨٩/١): رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو "منقطع ضعيف"]، وفي رواية لأحمد " خيار عباد الله الذين إذا رءوا ذكر الله " الحديث [أخرجه أحمد (٢٢٧/٤) بسند ضعيف أيضا]، وفي رواية الحكيم الترمذي "خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه ورغبكم في الآخرة عمله"/ فتح .[ضعيف، وانظر الدر المنثور (٣١٠/٣)]

(١) وقد وردت أحاديث صحيحة بأن الرؤيا الصالحة من المبشرات وأنها جزء من أجزاء النبوة ولكنها لم تقيد بتفسير هذه الآية إلا ما رواه رجل مجهول عن أبي الدرداء مرفوعاً/ فتح.

(٢) هكذا فسره رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رواه الإمام أحمد وابن جرير وغيرهما وهكذا فسره ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ومجاهد وعروة وغير واحد/١٢ .

(٣) فهو يعزك بغلبتك عليهم ويذلهم .

ارتضى، ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿العَلِيمُ﴾ لنياتهم فيجازيهم ويكافئهم، ﴿أَلاَ إِنَّ[1] لِلَّهِ﴾ ملكا وخلقاً، ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ من الملائكة والثقلين الذين هم أشرف المخلوقات، فكيف بالجمادات وهو كمقدمة ودليل على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ما نافية، أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسموها شركاء، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ أو ما استفهامية وعلى هذا شركاء مفعول يدعون، أي: أي شيء يتبعون ، وقيل: ما موصولة عطف على من في السماوات[2] ، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون أو يحرزون[3] حرزاً باطلاً، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لتستريحوا من نصب النهار، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ مضيئاً تبصرون فيه مكاسبكم فكيف جاز عبادة غيره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ[4]﴾ لا للصم الذين لا يسمعون سماع انتفاع، ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ كما قالوا الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تتريه على التبني وتعجب عن حماقتهم، ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾ واتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ مقرر لغناه، ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي : ليس[5] عندكم دليل بهذا؛ بل أنتم تابعون للجهالة ، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فيه تهديد شديد ووعيد أكيد ، ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا

---

(١) وفي الآية نفي عباد البشر والملائكة والجمادات؛ لأنهم عبدوا المملوك وتركوا المالك ولهذا عقبه بقوله : " وما يتبع الذين " إلخ / فتح .

(٢) كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي : وله شركاؤهم/ منه .

(٣) أي : يقدرون أن له شركاء تقديراً باطلاً / منه .

(٤) ولما ذكر أنهم يتبعون الظن بين أن من ظنهم الباطل أن: "قالوا اتخذ الله ولداً" /وجيز .

(٥) هو علة لتتريهه عن الولد / منه .

والآخرة ، ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ لهم متاع قليل في الدنيا أو الافتراء[1] متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم ، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم

(١) يعني متاع إما مبتدأ محذوف الخبر وإما خبر حذف مبتدؤه / منه .

بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾[1] ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ حاله مع قومه ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ عظم وشق عليكم ، ﴿مَّقَامِي﴾ بين أظهركم ، ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إياكم ، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ﴾[2] ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ قال بعضهم: جواب الشرط هوقوله فأجمعوا إلخ، وقوله (فعلى الله توكلت) معترضة بين الشرط والجزاء ، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع الأمر إذا قصده وعزم عليه ، ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ الواو بمعنى[3] مع أي: اعزموا أنتم وشركاءكم الذين تزعمون أن لهم اختيارًا وأثبتُّم الربوبية لهم على كيدي وإهلاكي فإني متوكل لا أبالي ولا أخاف ، ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مبهماً مستوراً ليكن مكشوفاً تجاهرونني به وحاصله لتجاهدوا في كيدي وإهلاكي كل غاية في المكاشفة والمجاهرة، ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي ووجهوا كل الشرور إلي،﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن تذكيري، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ حتى يكون إعراضكم ضررا[4]

---

(١) ولما فصل الدلائل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبين الكفار ذكر قصصاً من قصص الأنبياء وما جرى لهم بين قومهم تسلية لقلب نبيه وعبرة لمن جحده فقال: (واتل عليهم) إلخ / وجيز .

(٢) فيه إشارة إلى أن الظاهر أن قوله فعلى الله جواب الشرط وقوله فأجمعوا مرتب عليه مسبب عنه فتأمل / منه .

(٣) يعني نصب شركاءكم على أنه مفعول معه ويؤيده قراءة الرفع قيل: تقديره دعوا شركاءكم / منه .

(٤) حتى يفوت ذلك الأجر حين ما توليتم؛ بل ما كان النصح والتذكير إلا لأجلكم فما تركتم هو نفعكم وفي بيان هذه الحكاية تشجيع لقلب أشرف رسله- صلى الله عليه وسلم- وتوعد لمن كفر به وضرب مثال لهم .

ونقصاً علي، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ فليس إعراضكم إلا نقصا وضرا عليكم، أو معناه إن أعرضتم فما هو إلا لتمردكم وعنادكم لا لتقصير وتفريط مني، فإني ما سألت منكم أجراً ينفركم عني وتتهموني لأجله، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين لأمر الله، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أصروا على تكذيبه، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ من الغرق، ﴿وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ من الهالكين وأعطيناهم ملكهم، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ المكذبين فهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كذبه، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ، ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ، ﴿فَمَا كَانُوا﴾ ما استقام لهم، ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ لشدة عنادهم وكفرهم، ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: بما كذب به قوم نوح وقد علموا حالهم فهم وآباؤهم على منهاج واحد والباء للسببية، أي: لم يؤمنوا بسبب تعودهم تكذيب الحق قبل بعثة الرسل، ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ نختم عليها فلا يدخلها رشاد ولا سداد، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ بعد هؤلاء الرسل[١]، ﴿مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ أشراف قومه ، ﴿بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾ معتادين الإجرام، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ المعجزات المزيحة للشك، ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا﴾ من فرط التمرد: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ واضح ظاهر، ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه سحر فحذف محكي القول[٢] لدلالة الكلام عليه قيل: فمعناه أتعيبونه[٣] وعلى هذا لا يستدعي مقولاً ثم

---

(١) مثل هود وصالح ولوط وإبراهيم .

(٢) ولا يجوز أن يكون قوله أسحر هذا محكي القول ؛ لأنهم بتوا القول بأنه سحر من غير شك .

(٣) فالقول كناية عن القالة والطعن يقال فلان يخاف القالة ، أي : الطعن نحو "سمعنا فتى يذكرهم" (الأنبياء: ٦٠)/ منه .

قال: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ استفهام إنكار، ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ من تمام كلام موسى، أي: لو كان سحرًا لاضمحل وذل وغلب فاعله، فكيف أرتكبه وأنا أعلم أنهم لا يفلحون ؟! ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ[1]﴾ لكما العزة والملك يعني لستما بمخلصين؛ بل هذا غرضكما، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ حاذق فيه، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ[2] فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ﴾ أي: الذي جئتم به[3] هو، ﴿السِّحْرُ﴾ لا ما جئت به ومن قرأ السحر بالاستفهام فما استفهامية، أي: أي شيء جئتم به أهو السحر؟ أو السحر بدل من المبتدأ الذي هو ما، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا يقويه ولا يثبته، ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ يثبته، ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بوعده أو بقضائه السابق، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك .

---

(١) والحاصل أنهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين التمسك بالتقليد للآباء والحرث* على الرياسة الدنيوية وكم بقي على الباطل وهو يعلم أنه باطل بهذه الذريعة من طوائف هذه العالم في سابق الدهر ولاحقه فمنهم من حبسه ذلك عن الخروج من الكفر ومنهم من حبسه عن الخروج إلى السنة من البدعة وإلي الرواية الصحيحة من الرأي البحت، قال أبو السعود: استئناف بياني مسوق لبيان أنه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل عاند لدود انتهى / فتح .

(٢) وهذا القول منه عليه السلام للاعتماد على وعد الله وعدم المبالاة بهم ولأنه علم أن مراد السحرة التقدم في الإلقاء كما علم من المواضع الأخر من القرآن وفي إبهام ما أنتم ملقون إعلام بأنه لا شيء يلتفت إليه / ١٢ .

(٣) إشارة إلى أن السحر خبر مبتدأ محذوف وهو هو / ١٢ .

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن
يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى
ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا
وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟
عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ
يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ
سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير(١) لفرعون فإن بني إسرائيل آمنوا بموسى إلا قليلاً منهم كقارون وما آمن من القبط إلا قليل، وقال بعضهم: الضمير

---

(١) الضمير لموسى فإنه عليه السلام هو المحدث عنه وهو أقرب مذكور وإلا فالمناسب أن يقول إلا ذرية من قوم فرعون على خوف منه، وكان هذا في أول مبعثه فإنه لما دعا الآباء ولم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة مَن أبنائهم أول الأمر مع الخوف من فرعون/ ١٢ وجيز .

لموسى، أي : ما آمن له في مبدأ الأمر إلا شبابهم ، ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَـــوْنَ﴾ أي: مع خوف منه ، ﴿وَمَلإِيْهِمْ﴾ الضمير للذرية أي: أشراف آل فرعـــون ، أو لفرعـــون فالمراد من فرعون هو وآله ، ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعذبهم وهو بدل من فرعـــون أو مفعـــول خوف ، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ لغالب ، ﴿فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ في الكـــبر حتى ادعى الربوبية ، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُـــوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ مستسلمين لأمره والمعلق بالإيمان وجوب التوكل والمشروط بالإسلام وجود التوكل وحصوله لا وجوبه كما يقال : إن شتمك أحد فاصـــبر إن قـــدرت، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: موضع فتنـــة لهم يعذبوننا ، أو لا تعذبنا بعذاب، فيقولون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا تسلطهم علينا فيحسبوا أنهم على الحق فيفتتنوا بذلك، ﴿وَنَجِّنَا﴾ خلصنا، ﴿بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَـــوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ أي: اتخذا مباءة يعني موضع إقامـــة، ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا﴾ أنتما وقومكما ، ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ أي : في بيوتكم الـــتي اتخذتموها ، ﴿قِبْلَةً﴾ أي: مساجد فإنهم كانوا لايصلون إلا في كنائسهم وكانوا يخـــافون من فرعون فأمروا أن يجعلوا في بيوقمم مساجد يصلون[١] فيها سرًّا أو اجعلوا بيوتكـــم قبلة مصلى، أو متقابلة والمقصود على هذا حصول الجمعية، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّـــلاَةَ﴾ أي: فيها قال بعضهم: أمروا بكثرة[٢] الصلاة كما قال تعالى:" واستعينوا بالصبر والصـــلاة "

---

(١) قاله مجاهد ونقل عن ابن عباس: والفرق بين هذا والأول أن الوجه الأول معنـــاه أنهـــم مأمورون بأن يبنوا في بيوتهم مساجد يصلون فيها ومعنى هذا الوجه بأنهم رخصوا بـــأن يصلوا في بيوتهم/١٢ منه .

(٢) يعني: اجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة كناية عن كثرة الصلاة لا أنهم مأمورون ببنـــاء المسجد / ١٢ منه .

(البقرة:٤٥)، ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا موسى، ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر في الدارين، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً﴾ من اللباس والمراكب، ﴿وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ تكرير وتأكيد للأول، ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ واللام لام العلة فليس بمحال أن الله يريد إضلال بعض، وهذا الكلام من موسى؛ لأنه علم بمشاهدة أحوالهم أن أموالهم سبب ضلالهم أو إضلالهم ولا حاجة إلى أن يقال السلام لام العاقبة أو لام الدعاء كقولك: ليغفر الله فهو دعاء بصيغة الأمر، ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ : أهلكه ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان، ﴿فَلاَ يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء وقيل: عطف على ليضلوا وقيل: دعا بلفظ النهي، ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وهذه الدعوة من موسى- عليه السلام- غضباً لله ولدينه[1] لقوم تبين له أنه لا خير[2] فيهم كما تقول: لعن الله إبليس كما دعا نوح عليه السلام "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" (نوح:٢٦)، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فإنه دعا موسى وأمن هارون، ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على أمري وامضيا له قال بعضهم: مكثوا بعد إجابة دعائهم أربعين سنة[3] وقال بعضهم: أربعين[4] يوماً ومن إجابة دعائهما أنه صار دنانيرهم ودراهمهم حجارة منقوشة[5] كهيئة ما كانت، ﴿وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ

---

(١) والرضاء بالكفر من حيث إنه كفر كفر وأما الرضى بكفر شخص معين لعقوبته فجائز، قال بعض العلماء: الرضى بكفر نفسه كفر لا بكفر غيره / ١٢ وجيز .

(٢) ولما بالغ موسى في إظهار المعجزات وإقامة الحجج البينات و لم يكن لذلك تأثير فيمن أرسل إليهم دعا عليهم بعد أن بين سبب إصرارهم على الكفر وتمسكهم بالجحود والعناد قال موسى مبيناً سبب أولاً : " ربنا " الآية / فتح .

(٣) هكذا قال غير واحد من السلفْ / منه.

(٤) قاله الضحاك وأبو العالية وربيع بن أنس وقتادة وغيرهم / ١٢ منه .

(٥) قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .

يَعْلَمُونَ ﴾ طريقة الجهلة في عدم الوثوق بوعدي، ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ**﴾ أي: جوزناهم في البحر بلا سفينة وتعب، ﴿**فَأَتْبَعَهُمْ**﴾ أدركهم[(١)]، ﴿**فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ**﴾ قيل: كانوا في مائة ألف أدهم سوى بقية الألوان ، ﴿**بَغْياً وَعَدْواً**﴾ للبغي أي : لطلب الاستعلاء والظلم أو باغين[(٢)] ، ﴿**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ**﴾ أي : بأنه ، ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**[(٣)] **آلآنَ**﴾ أى : أتؤمن

---

(١) يقال تبعته فأتبعته ، أي: لحقته و لم يقل فأتبعهم فرعون وجنوده لأنه غير مشعر بالوصول واللحوق / ١٢ منه .

(٢) يعني بغياً وعدواً إما مفعول له أو حال / ١٢ منه .

(٣) أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أغرق الله فرعون فقال: آمنت الآية ، قال جبريل: يا محمد! لو رأيتني وأنا آخذ من حال الأرض فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة) [صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٣)]، والمعني دس جبريل في فيه بأمر الله فلا اعتراض عليه ، وقد روى هذا الحديث الترمذي من غير وجه وقال: صحيح حسن غريب وصححه أيضاً الحاكم عن ابن عباس من طريق أخرى وإسناده على شرط البخاري وليس في رواهما متهم وإن كان فيه من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره وأخرج الطبراني معناه عن أبي هريرة لكن في إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول وباقي رجاله ثقات ، والعجب كل العجب ممن لا علم له بفن الرواية من المفسرين ولا يكاد يميز بين أصح الصحيح من الحديث وأكذب الكذب منه كيف يتجرأ على الكلام في أحاديث الرسول والحكم ببطلان ما صح منها، ويرسل لسانه وقلمه بالجهل البحت والقصور الفاضح الذي يضحك منه كل من له أدنى ممارسة لفن الحديث فيا مسكين مالك ولهذا الشأن الذي لست فيه في شيء ألا تستر نفسك وتربع على ضلعك، وتعرف بأنك بهذا العلم من أجهل الجاهلين وتشتغل بما هو علمك الذي لا تجاوزه وحاصلك الذي ليس لك غيره وهو علم اللغة وتوابعه من العلوم الآلية ، ولقد =

الآن حين يأسك عن نفسك؟ وهذا قول جبريل أو قول الله تعالى، ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ مدة عمرك، ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ المضلين، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر أو نلقيك بنجوة[1] من الأرض، أي: بأرض مرتفعة، ﴿بِبَدَنِكَ[2]﴾ أي: حال كونك متلبساً بالبدن عارياً عن الروح، أو الباء بمعنى مع والبدن الدرع وكانت له درع من ذهب يعرف بها، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾، لمن يأتي بعدك من بني إسرائيل وغيرهم، ﴿آيَةً﴾: عبرة ونكالاً عن الطغيان، ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ فلا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٖ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ

= صار صاحب الكشاف- عفا الله عنه- بسبب ما يتعرض له في تفسيره من علم الحديث الذي ليس هو منه في ورد ولا صدر سخرة للساخرين وعبرة للمعتبرين فتارة يروي في كتابه الموضوعات وهو لا يدري أنه منها، وتارة يتعرض لرد ما صح ويجزم بأنه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبهت وهو في الصحيحين وغيرهما مما يلتحق بهما من رواته جماعة من الصحابة بأسانيد كلها أئمة ثقات حجج أثبات وأدنى نصيب من عقل يحجر صاحبه عن التكلم في علم لا يعلمه ولا يدري به أقل دراية وإن كان ذلك العلم من علوم الاصطلاح التي يتواضع عليها طائفة من الناس ويصطلحون على أمره فيما بينهم فما بالك بعلم السنة الذي هو قسيم كتاب الله وقائله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وراويه عنه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل حرف من حروفه وكلمة من كلماته يثبت بها شرع عام لجميع أهل الإسلام/ فتح البيان .

(١) قاله ابن عباس من السلف/منه.

(٢) قيل: ببدنك معناه كاملاً سويا ببدنك لم ينقص منه شيء، وقيل: عرياناً من غير لباس/ ١٢ منه .

يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ
مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ
ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ
حِينٖ ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ
ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا
تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ
ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ
نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿**وَلَقَدْ بَوَّأْنَا**﴾ أنزلنا ، ﴿**بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ**﴾ مترلاً صالحاً بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه، ﴿**وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾ من اللذائذ، ﴿**فَمَا اخْتَلَفُوا**﴾ في أمر دينهم، ﴿**حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**﴾ الأمن بعد نزول التوراة المزيح للشك والاختلاف ، أو ما اختلفوا في تصديق النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى جاءهم القرآن ، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ فيثيب المحق ويعاقب المبطل، ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم مكتوب في الكتب السماوية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره، أو لزيادة

تنبيته وفرض الشك فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: "لا أشك[١] ولا أسأل"، ﴿فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ بالتزلزل عما أنت فيه من اليقين قيل خطاب لكل من يسمع أي: إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك فسألهم ولا تكن من الشاكين، ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ وهو كالأول المراد به غير المخاطب ، أومن باب التهييج وقطع الأطماع عنه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ ثبتت، ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب والسخط، قيل: هي قوله هؤلاء للنار ولا أبالي، ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ فإن إرادة لله تعالى لا يتعلق بإيمانهم فكيف يؤمنون، ﴿حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم، ﴿فَلَوْلاَ﴾ أي: فهلا ، ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من القرى التي أهلكناها، ﴿آمَنَتْ﴾ قبل معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ لوقوعه في وقت الاختيار، ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ لكن[٢] قومه ، ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾ قبل معاينة العذاب في وقت الاختيلو ، ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ[٣] فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ أي : إلى

---

(١) قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا أشك ولا أسأل) [أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٢١١) مرسلا]، وعن ابن عباس: لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحداً منهم/منه.

(٢) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع وهو ظاهر لا تكلف فيه.

(٣) أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً قال : إن يونس دعا قومه فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب فقال : إنكم يأتيكم يوم كذا وكذا ثم خرج عنهم ، وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت، فلما أظلهم العذاب خرجوا ففرقوا بين المرأة وولدها والسخلة وولدها وخرجوا يعجون إلى الله وعلم الله منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر فمر به رجل فقال: ما فعل قوم =

فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ أي : إلى آجالهم وقيل الجملة في معنى[1] النفي أي : ما كانت قرية آمنت أهلها بتمامها فنفعها إيمانها إلا قوم يونس آمنوا بتمامهم ونفعهم الإيمان وحاصله أنه ليست قرية آمنت أهلها بتمامها إلا وقت نزول العذاب فلا ينفعهم إيمانهم؛ لأنه اضطراري وأما قوم يونس وهم أهل نينوى من أرض الموصل بعدما عاينوا أسباب العذاب جأروا إلى الله تعالى ولبسوا المسوح[2] وفرقوا بين كل حيوان وولده وعجوا[3] إلى الله تعالى فكشف الله تعالى عنهم الدخان والعذاب وقبل منهم الإيمان وهم مائة ألف أو يزيدون، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ**﴾: يا محمد ، ﴿**لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً**﴾: مجتمعين[4] على الإيمان، ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ**﴾ بما لم يشاء الله منهم، ﴿**حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ وهذا عند حرصه- صلى الله عليه وسلم- بإيمان الخلائق كما قال تعالى:" فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" (فاطر:٨)، ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ بإرادته فليس عليك هداهم، ﴿**وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ**﴾ العذاب والضلال، ﴿**عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾ حجج الله تعالى وأدلته فهو العادل الحكيم في هداية من هدى وإضلال من أضل، ﴿**قُلِ**[5] **انظُرُوا**﴾: تفكروا، ﴿**مَاذَا**﴾ إن

= يونس فحدثه بما صنعوا فقال: لا أرجع إلى قوم قد كذبتهم وانطلق مغاضباً يعني مراغماً / فتح .[وانظر الدر المنثور للسيوطي (٥٧٣/٣)]

(١) على هذا الاستثناء متصل ولا بد من تأويله بالنفي حينئذ وإلا لفسد المعنى لما يلزم أن لا يكون الإيمان من المستثنى مطلوباً / منه .

(٢) واحده المسح بالكسر وهو لباس الرهبان .

(٣) العج رفع الصوت أي : صاحوا / ١٢

(٤) إشارة إلى أن جميعاً حال /١٢

(٥) ولما بين في الآيات السالفة أن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله ومشيئته أمر بالنظر والاستدلال في الدلائل حتى لا يتوهم الجبر فقال: " قل انظروا " الآية/ كبير.

كانت استفهامية فانظروا معلق عن العمل، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، من الصنائع الدالةعلى وحدته، ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ أي: الرسل أو الإنذارات، ﴿عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ في حكم الله تعالى، أي: لا تفيد لهم وبعضهم على أن ما استفهامية إنكارية[1] أي: أي شيء تغني الآيات عنهم ؟﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ أي: أهل مكة ، ﴿إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾: مضوا ، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي : مثل وقائع الأمم السالفة والعرب تسمي العذاب أياماً ، وهم وإن كانوا لا ينتظرون عذاب الله لكن لما استحقوه ناسب أن يشك في أنهم منتظرون، قيل: معناه هل ينتظرون لك يا محمد إلامثل تلك الوقائع لمن سلف؟﴿قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي﴾ عطف على محذوف كأنه قيل : هلك الأمم ثم ننجي، ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معهم، ﴿كَذَلِكَ حَقاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين حين نهلك المشركين وحقاً علينا معترضة ، أي : حق ذلك علينا حق بحسب وعدنا .

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

(١) فيكون ما مفعول تغني بمعنى تدفع نحو "ما أغنى عنه ماله" (المسد:٢)/ ١٢ منه.

عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي**﴾: وصحته ، ﴿**فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ**﴾ يقبض أرواحكم ، أي: هذا خلاصة ديني فاسمعوا وصفه واعرضوا على عقولكم لتعلموا حقية ديني وبطلان دينكم وخصه بوصف التوفي تهديداً لهم، ﴿**وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ**﴾ أي: بأن أكون ، ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمْ**﴾ عطف على أن أكون وصلة أن محكية بصيغة وعبارة أمره الله بها[1] والغرض وصل إن بما يتضمن معنى المصدر والإنشاء والخبر في ذلك سواء، ﴿**وَجْهَكَ لِلدِّينِ**﴾ أي: أمرت بالاستقامة في الدين وإخلاص الأعمال لله ، ﴿**حَنِيفاً**[2]﴾ منحرفاً عن الشك حال، ﴿**وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ**﴾ لا يقدر عليهما، قيل: لا يضرك إن تركت عبادته ولا ينفعك إن عبدته، ﴿**فَإِن فَعَلْتَ**﴾: عبدت غيره، ﴿**فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ**[3] ﴾ الواضعين العبادة في غير موضعها "إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان:١٣)، ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ**﴾ يصبك ببلاء، ﴿**فَلاَ كَاشِفَ لَهُ**﴾ يدفعه ، ﴿**إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ**﴾ بنعمة ، ﴿**فَلاَ رَادَّ**

---

(١) وجوز سيبويه أن يكون صلتها إنشائية، وقال لا فرق في الغرض لأن المقصود صلتها بما يتضمن معني المصدر فالمعني أمرت الاستقامة / ١٢ وجيز .

(٢) أي: مائلاً إليه ميلا كلياً معرضاً عما سواه إعراضاً كلياً وحاصل هذا الكلام هو الإخلاص التام وترك الالتفات إلى غيره/ ١٢ كبير .

(٣) يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين؛ لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه فإذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً/١٢ كبير .

﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أراد بك وإنما قال لفضله مكان له إشارة إلى أنه متفضل بالخير، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: بالخير ، ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب من أي ذنب كان فتعرضوا لرحمته بالتوبة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية ، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ، ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ بالإيمان به ، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ نفعه لها ، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بالكفر به ، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ وبال الضلال عليها، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بموكول إلى أمركم، أو بكفيل أحفظ أعمالكم إنما أنا نذير، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ بالامتثال، ﴿وَاصْبِرْ﴾ على مخالفة من خالفك، ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بنصرك وقهر عدوك، أو بالأمر بالقتال وعن ابن عباس- رضي الله عنه- نسختها آية القتال، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ[1]﴾ لأن جميع أحكامه على نهج الحكم والصواب لا يمكن طرآن الخطأ فيه والله أعلم .

(١) روي أنه لما نزلت به جمع- صلى الله عليه وسلم- الأنصار فقال (إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني)/١٢ وجيز.[أخرجاه في الصحيحين منت حديث أنس] فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون/١٢ .

سورة هود مكية

وهى مائة وثلاث وعشرون آية، وعشر ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟
إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن
تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ
يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾
۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ
فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم
مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾
وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ
يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿**الـــر**[١] **كِتَابٌ**﴾، خبر(الر) أو هذا كتاب ، ﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾ أي:

---

(١) وعن أبي بكر الصديق قال: قلت: يا رسول الله! لقد أسرع إليك الشيب فقال: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)
=

هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها أو أحكمت بأنها لم تنسخ بكتاب[1] ثم فصلت بالأحكام والعقائد والمواعظ والأخبار أو نزلت شيئًا فشيئاً ، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة أخرى لكتاب[2] أو متعلق بأحكمت وفصلت أو خبر بعد خبر ، ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ مفعول له أي: أحكمت ثم فصلت لأجل أن لا تعبدوا إلا الله أو أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول ، وقيل : هذا كتاب بأن لا تعبدوا، ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾: من الله، ﴿نَذِيرٌ﴾ بالعقاب على من عبد غير الله، ﴿وَبَشِيرٌ﴾: بالثواب على من عبد الله، ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا﴾ عطف على أن لا تعبدوا، ﴿رَبَّكُمْ﴾ من الذنوب السالفة، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلونه ، أو ثم ارجعوا إليه بالطاعة، ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾ يعيشكم في أمن وسعة، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى حين موت مقدر ، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ[3]﴾ عن ابن عباس يؤت كل من فضلت وزادت حسناته على سيئاته فضل الله، أي: الجنة أو يعط كل ذي عمل صالح جزاء عمله الصالح ، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: تتولوا ، ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيب المعرض، ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ ثنيت الشيء إذ عطفته وطويته عن ابن عباس- رضي الله عنهما- كانوا

= أخرجه الترمذى والطبراني وحسنه / فتح .[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٧٢٣)]

(١) نقله محيى السنة عن ابن عباس / ١٢

(٢) من باب التنازع / ١٢ .

(٣) والاستغفار أول حال الراجع إلى الله فناسب أن يترتب عليه حال الدنيا فقال تعالى حكاية : "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم" الآية (نوح:١٢،١١،١٠)، والتوبة هي المنجية فناسب أن يترتب عليها حال الآخرة فيكون من قبيل اللف والنشر المرتب/١٢ وجيز .

يكرهون استقبال السماء بفروجهم حال وقاعهم فنزلت ، أو كان إذا مر أحدهم برسول الله ثنى عنه صدره وأعرض عنه وغطى رأسه فنزلت ، أونزلت حين يقولون إذا رخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم ، أو نزلت في الأخنس بن شريق كان يظهر المحبة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وله منطق حلو وكان يعجب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مجالسته ومحادثته وهو يضمر عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إما بمعني الصرف من ثنيت عناني أو بمعنى الإخفاء أوبمعنى الانحناء، **﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾** من الله وعلى ما نقلنا في الوجه الثاني من سبب النزول الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، **﴿أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾** يغطون رءوسهم بثيابهم، **﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾** يستوي في علم الله تعالى سرهم وعلنهم فكيف يمكن لهم أن يخفوا من الله تعالى شيئاً، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في قلوبهم.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي : هو المتكفل بذلك فضلاً إن لم يرزقها فلا يمكن أن يرزقها أحد غير الله تعالى، **﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾** ، أماكنها في الحياة والممات أو أرحام الأمهات وأصلاب الآباء والمستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ، **﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** مثبت في اللوح المحفوظ، **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** كأيام الدنيا أو كل يوم كألف سنة، **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ[1]﴾** والماء على متن الريح وروى الترمذي وابن ماجه "أن الله كان في عماء[2] ما تحته

---

(١) عن ابن عباس أنه سئل على أي شيء كان الماء، قال: على متن الريح. / معالم.

(٢) قال أحمد: يريد بالعماء أنه ليس معه شيء ، وقال البيهقي: إن كان العماء ممدود فمعناه سحاب رقيق والمعنى فوق سحاب مدبراً له وعالياً له، وإن كان مقصوراً فمعناه لا شيء ثابت ؛ لأنه عمي عن الخلق لكونه غير شيء ونحوه قال جمع من أهل العلم ، قال الأزهري : فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته / ١٢ فتح ملخصاً .

هواء[١] وما فوقه هواء ثم خلق[٢] العرش بعد ذلك(*)"، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي: خلق ذلك ليعاملكم معاملة المختبر لأحوالكم كيف تعملون فعلم أن خلق العالم لنفع عباده وإحسان العبادة أن تكون خالصة لله وعلى شريعة شرعها الله تعالى، ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، أي: ما البعث أو القرآن المتضمن لذكره إلا خديعة كالسحر الباطل، ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ﴾ الموعود، ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ جماعة من الأوقات والأمة تستعمل في معان متعددة،﴿مَّعْدُودَةٍ﴾ محصورة قليلة، ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ، ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ويمنعه من الوقوع، ﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: اليوم المقدر لنزول العذاب، ﴿لَيْسَ﴾ العذاب، ﴿مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ ويوم ظرف مصروفاً ، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وأحاط بهم ذكر بلفظ الماضي تحقيقاً ومبالغة، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ

---

(١) قال تعالى : " وأفئدتهم هواء " (إبراهيم:٤٣)، أي : خالية ، ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه / كذا في المعالم .

(٢) وهذا دال على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل / ١٢ وجيز .

(*) ضعيف أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وانظر ضعيف ابن ماجه .

ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ
أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن
قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ
ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ »

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أعطيناه نعمة ووجد لذتها ، **﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾** قنوط كأنه لا يرجو بعد ذلك فرجاً، **﴿كَفُورٌ﴾** مبالغ لكفران نعمه السابقة

كأنه لم ير خيراً، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كغنى بعد فقر ، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بما في يده مغتر، ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس مشغول عن الشكر، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء استثناء منقطع إن حمل الإنسان على الكافر وإلا فمتصل، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في السراء والضراء، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لمعاصيهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ كالجنة، ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ تترك تبليغ بعض القرآن وهو ما فيه سب آلهتهم وطعن دينهم مخافة سخريتهم وسبهم وزيادة انهماكهم في الكفر عصمه الله تعالى عن الخيانة في الوحي ونبهه ، ﴿وَضَائِقٌ﴾ الضائق بمعنى الضيق ، إلا أن الضائق يكون لضيق عارض غير لازم كزيد سيد وعمرو سائد ، ﴿بِهِ﴾ بأن تتلوه عليهم ، ﴿صَدْرُكَ﴾ مخافة ، ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ كما قالوا "لولا لوا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كتر أو تكون له جنة يأكل منها" (الفرقان:٧،٨) قال بعضهم: ضمير به مبهم يفسره أن يقولوا، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ ما عليك إلا الإنذار فما بالك يضيق صدرك، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ موكول إلى الله تعالى لا إليك أمر الكل، ﴿أَمْ يَقُولُونَ[1]﴾ أم منقطعة ، ﴿افْتَرَاهُ﴾ الضمير لما يوحى، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ أي : يكون كل واحد مثل القرآن في البلاغة والغرض إلزامهم ، والدليل على أنه معجز من عند الله والعجز عن الإتيان بمثل الكل والبعض أعم من أن يكون عشر سور أو سورة واحدة دليل عليهم مع أن سورة البقرة متأخرة في النزول عن هود، والأصح أن يونس أيضاً متأخرة فتحداهم أولاً بعشر سور ثم عجزوا فتحداهم بسورة واحدة، ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ من عند أنفسكم مع أن ممارستكم للقصص والأشعار أكثر

---

(١) ولما أشار بقوله: "لولا أنزل" إلى أنهم كذبوه ونسبوه إلى أن ما في القرآن مفترى ردهم بدليل قاطع فقال: (أم يقولون افتراه) / ١٢ وجيز .

وأكثر، ﴿وَادْعُوا﴾ إلى المعاونة على المعارضة، ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه مفترى، ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ يا أصحاب محمد، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: متلبساً بما هو يعلمه ولا يقدر عليه غيره ، ﴿وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لأهم مع آلهتهم عجزوا والعاجز لا يكون إلهاً فلا إله إلا الله ، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ثابتون[1] على الإسلام ، أو معناه فإن لم يستجب من تدعوهم إلى المعاونة لكم يا من تدعون افتراءه ولا يتهيأ لكم المعارضة فاعلموا إلخ فالخطاب كله حينئذ للكفار وهو أظهر.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فقط عمله، ﴿وَزِينَتَهَا﴾ كأهل الرياء ، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ[2] فِيهَا﴾ أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره ، ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً نزلت في المرائين، قال بعضهم: في اليهود والنصارى أو في بر الكافرين ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ فإهم استوفوا جزاء أعمالهم وبقي لهم الأوزار ،﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ لأنه لم يبق لهم ثواب والضمير للآخرة إن كان الظرف لحبط وللدنيا إن كان لصنعوا ،

---

(١) عابدون الله دون غيره ولما ألزمهم بحقيقة القرآن، ومن أنزل ثبت أن بعد هذه الدار دار هي الدار الباقية فلابد أن لا يعقد العاقد همته على الدار الفانية فيترك الإسلام خوفاً من فوات الدنيا ، فقال: "من كان يريد الحياة الدنيا" / وجيز .

(٢) قال القرطبي: ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة وكذلك الآية التي في الشورى "ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها" (الشورى:٢٠) كذلك "ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها" (آل عمران:٤٥) وقيدها وفسرها التي في سبحان الذي " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد" (الإسراء:١٨)/ ١٢ فتح.

﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي عملهم في نفسه باطل لأنهم لم يعملوا بوجه صحيح ، وفي الحديث (أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه)(*) ﴿أَفَمَن[1] كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: برهان، ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ يدله على الصواب، وتقديره أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبع من كان على بينة ، ﴿شَاهِدٌ[2] مِّنْهُ﴾ من الله يشهد بصحته، فالبينة الفطرة السليمة للمؤمن والدليل العقلي له والشاهد جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام يأتي بالقرآن من عند الله أو القرآن، ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ قبل الشاهد الذي يأتي بالقرآن أو الذي هو القرآن، ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ أي: التوراة، ﴿إِمَاماً﴾ كتاباً مؤتماً به في الدين، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله تعالى لهم ، ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى من كان على بينة ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ أصناف الكفار، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ قال بعضهم: من كان على بينة هو محمد[3] عليه السلام والشاهد جبريل وأولئك إشارة إلى من آمن من أهل الكتاب ، وقال بعضهم: من كان على بينة

(*) "موضوع" انظر ضعيف الجامع .

(١) ولما ذكر حال مريد الحياة الدنيا أراد بيان حال من يريد وجه الله تعالى فقال: "أفمن كان" / ١٢ وجيز . ثبت بهذا البرهان العقلى أن كل من أتى بعمل من الأعمال لطلب الأحوال الدنيوية فإنه يجد تلك المنفعة الدنيوية اللائقة بذلك العمل ثم إذا مات فإنه لا يحصل له منه إلا النار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطاً باطلاً عديم الأثر/١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام الرازي .

(٢) قول ابن عباس والأكثرين: إن الشاهد جبريل ، وعن على والحسن وقتادة هو محمد عليه الصلاة والسلام / ١٢ .

(٣) هكذا فسره الإمام الواحدي- رضي الله عنه- /١٢ .

اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه ولمن سعي فيه برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

مؤمنو أهل الكتاب وبينتهم دلائلهم العقلية، والشاهد إما جبريل أو محمد عليهما السلام أو القرآن، ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ من الموعد أو القرآن، ﴿إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ كمثبت الولد والشريك له ونافي القرآن عنه، ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة فيسألهم عن عقائدهم وأعمالهم ، ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ من الملائكة والأنبياء أو جميع أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- أو الجوارح، ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ[1] الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون الناس، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ يصفونها بالانحراف عن الصواب أو يريدون أن يكون سبيل الله تعالى عوجا وهو ما هم عليه ، ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾: في الدنيا أن يعاقبهم؛ بل هم تحت قهره وسلطانه وهو قادر على انتقامهم في الدنيا لكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعوهم من العذاب، ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ﴾ لضلالهم وإضلالهم ، ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لأن الله تعالى حال بينهم وبين سماع الحق فيبغضون سماعه ، ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ لتعاميهم عن آيات الله تعالى قيل: كأنه العلة لتضاعف العذاب، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأنهم اشتروا شيئاً هو سبب

---

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر- رضي الله عنهما- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يدني المؤمن حتى يضع كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول : رب أعرف حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد إلى قوله الظالمين / ١٢ فتح.

عذابهم المؤبد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها فضاع عنهم ما حصلوا في الدنيا فلم يبق لهم سوى الندامة، ﴿لاَ جَرَمَ[1]﴾ حقاً، ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ لا أحد أكثر خسراناً منهم ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾: اطمأنوا ، ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ[2] الفَرِيقَيْنِ﴾ الكافر والمؤمن، ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ هو مثل الكافر، ﴿وَالْبَصِيرِ[3] وَالسَّمِيعِ﴾ هو مثل المؤمن يميز بين الحق والباطل ويفرق بين البرهان والشبهة ، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ أي: تمثيلاً[4] ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتفرقوا بين هؤلاء وهؤلاء.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

---

(١) قد بينا معنى لا جرم في سورة حم المؤمن بوجوه والأولى ما اخترناه هاهنا هذا ما في المنهية مذهب الخليل وسيبويه أنه اسم مركب تركيب خمسة عشر ومعناها معنى فعل وهو حق وما بعده مرفوع علي الفاعلية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين جاء بالتمثيل مُبْتَدِءا بالكافر فقال:"مثل الفريقين" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) بصير للآية الدالة على الوحدة والقدرة سميع للحق / ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى أن مثلاً تمييز / ١٢ منه .

أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ
لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي
إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا
تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ
افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا(١) **نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾** أي بأني ومن قرأ بالكسر فعلى إرادة القول، **﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لاَّ تَعْبُدُوا﴾** بدل من إني لكم على قراءة النصب، أو معناه نذير لأن لا تعبدوا ، أو مفسرة متعلقة بأرسلنا، **﴿إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾**: مؤلم(٢) وصف اليوم بالأليم المبالغة وهو في الحقيقة صفة المعذب **﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾**: الأشراف ، **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا﴾** لا فضل لك(*) علينا

---

(١) ولما ظهرت الفرقتان في زمن نوح عليه السلام كما صرح به القرآن ناسب حكاية نوح عليه السلام مع قومه فقال : " ولقد أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) هذا بناء على أن الأليم بمعنى اسم المفعول كما مر في حاشيته أوائل سورة البقرة ولو كان بمعنى اسم الفاعل لكان في الحقيقة صفة العذاب فافهم / ١٢ .

(*) بالأصل "عليك".

نخصك بقبول كلامك ، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ سفلتنا لا يتبعك الأشراف ، ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي : وقت حدوث أول أو ظاهر رأيهم بلا روية وفكر من بداء أو بداي بالهمزة أو الياء فهو ظرف بحذف المضاف لاتبعك، قيل: معناه اتبعوك ظاهر الرأى وباطنهم على خلاف ذلك،﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ إياك في دعواك ومتبعيك في دعوى العلم بصحته، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ، ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة، ﴿مِّن رَّبِّي﴾ تدل على صدق دعواي، ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ومعرفة، ﴿مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ[١]﴾ خفيت والتبست، ﴿عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ نكرهكم على الاهتداء بها، ﴿وَأَنتُمْ لَهَا﴾ للبينة ، ﴿كَارِهُونَ﴾ أو حاصله[٢] إن كنت على معرفة من الله تعالى ونبوة ومعجزة من عنده لكن صارت ملتبسة في عقولكم فهل أقدر على أن أجعلكم معترفين بها ، أي : لا أقدر على ذلك لكن لو تركتم العناد وتأملتم فقد عرفتم، ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ، ﴿مَالاً[٣] إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ﴾ لا عليكم، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم[٤]، ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ يلاقون الله تعالى فيعاقب الله من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من تمكن الإيمان وتزلزلة حيث تزعمون أن إيمانهم بادى الرأي، وأنا لا أعرف منهم إلا الإيمان فكيف أطردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ عواقب الأمور ، ﴿وَيَا قَوْمِ

(١) وحد الضمير في عميت مع أن المرجع البينة والرحمة لأنها يرجع إلى كل منهما أو لا نسلم أنهما مرجعه؛ بل يرجع إلى البينة وخفاء البينة يستلزم خفاء الرحمة / ١٢ منه.

(٢) حاصل الكلام أن المساواة في البشرية لا يمتنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة / وجيز .

(٣) مع أن في التبليغ كدا وتعباً وذلك دليل على صدقي / ١٢ وجيز .

(٤) كما قالت قريش/١٢.

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من يمنعني من عقابه، ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ ظالماً ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ لتعرفوا ما تقولون، ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ جواب لقولهم "ما نرى لكم علينا من فضل"، ﴿وَلاَ أَعْلَمُ[1] الْغَيْبَ﴾ حتى تسألوني عن وقت العذاب وغيره وتكذبوني ، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني من غير بصيرة وعقد قلب، ﴿وَلاَ أَقُولُ﴾ لكم ، ﴿إِنِّي[2] مَلَكٌ﴾ جواب لقولهم: "ما نراك إلا بشراً مثلنا" ، ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تستصغر وتحقرهم ، ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾ لفقرهم والإسناد إلى الأعين لأنهم استرذلوهم بما عاينوا من رثاثتهم لا لأن فيهم عيباً معنوياً ، ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ أي : لا أحكم على المؤمنين أنه ليس لهم عند الله ثواب ونعمة ،﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فإن كان باطنهم موافقاً للظاهر فلهم الأجر ، ﴿إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن طردهم ، أو قلت شيئاً من ذلك ، ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ فأطلت مخاصمتنا، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ فإن منزل العذاب هو الله تعالى، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله يدفع العذاب، ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إن أراد الله تعالى ضلالكم، فإن أردت نصحكم لا ينفعكم نصحي فقوله لا ينفعكم نصحى دال على جواب الشرط الأول والمجموع دال على جواب الشرط الثاني ، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فله التصرف فيكم كيف يشاء ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ منقطعة، ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: نوح وعن مقاتل أي: محمد فيكون

---

(١) الأولى أن يكون ولا أعلم عطفاً على عندي خزائن لا على أقول فتأمل / ١٢ .

(٢) وقد استدل بهذا من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء والأدلة في هذه المسألة مختلفة وليس لطالب الحق إلى تحقيقها حاجة فليست هي مما كلفنا الله بعمله / ١٢ فتح.

معترضاً في وسط هذه القصة، ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي: وباله، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وقيل: معناه من الكفر والمعاصي.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ

أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾: لا تحزن ، **﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** وكن تابعاً لمراد الله تعالى ومشيئته ، **﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾** أي : متلبساً[1] بأعيننا كأن لله تعالى معه أعيناً تحفظه عن الميل في صنعته عن الصواب وحاصله اصنعها وأنت محفوظ ، **﴿وَوَحْيِنَا﴾** إليك كيفية صنيعها ، **﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي﴾** بالدعاء ، **﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أي: في شأنهم ودفع العذاب عنهم ، **﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾** بالطوفان لا سبيل لهم إلى الخلاص ، **﴿وَيَصْنَعُ[2] الفُلْكَ[3] وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ**

---

(١) إشارة إلى أن بأعيننا منصوب المحل على الحال / ١٢ قال ابن عباس: بعين الله ووجهه ولم يعلم نوح كيف يصنع الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر/١٢فتح .

(٢) قوله ويصنع حكاية حال ماضية/١٢ .

(٣) قال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين وقيل ثلاثين سنة فكان طولها ثلاثمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً والذراع إلى المنكب وكانت من خشب الساج لها ثلاث بطون وأطباق سفلى ووسطى وعليا وكان بابها في عرضها وقيل غير ذلك هذا ما في فتح البيان ، وقال الرازي رحمه الله اعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً وكان الخوض فيها من باب الفضول لاسيما مع القطع بأنه ليس هاهنا ما يدل على =

مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزءوا به قائلين نبي نجار ، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ حين يترل عليكم العذاب ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يهينه في الدنيا ، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة فقوله من منصوب بتعلمون ويخزيه صفة عذاب ويحل عطف على يأتيه ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله يصنع وما بينهما حال، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ نبع الماء فيه مكان النار قال بعضهم: تنور من[1] حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح، وعن علي رضي الله عنه: أي طلع الفجر ونور الصبح وعن بعضهم التنور وجه الأرض، ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾، في السفينة، ﴿مِن كُلٍّ﴾، من أنواع الحيوانات، قال بعضهم: ما حمل ما يتولد من الطين كالبق والذباب، ﴿زَوْجَيْنِ[2] اثْنَيْنِ﴾، ذكرًا وأنثى فقوله اثنين تأكيد ومبالغة ، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: أهل بيتك وقرابتك عطف على زوجين وأما عند من قرأ من كل زوجين بالإضافة فهو عطف على اثنين، ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بالهلاك كامرأته واعلة وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ عطف على زوجين كما في وأهلك، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ[3]﴾ ثمانون نفساً أو اثنان وسبعون أو ثمانية نفر أو عشرة، ﴿وَقَالَ

= الجانب الصحيح والذي نعلمه أنه كان في السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه ولما يحتاجون إليه ولحصول زوجين من كل حيوان لأن هذا القدر مذكور في القرآن وأما غير ذلك القدر فغير مذكور/١٢ .

(١) نقله محيى السنة عن الحسن / ١٢ .

(٢) قال الرازي : وأما ما يروى أن إبليس دخل السفينة فبعيد ؛ لأنه من الجن وهو جسم ناري أو هوائى، فكيف يفر من الغرق؟! وأيضاً فإن كتاب الله لم يدل على ذلك و لم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه انتهى/١٢ فتح .

(٣) قيل هم ثمانية إنسان، ثلاثة من بنيه وهم سام وحام ويافث وزوجاهم ونوح وامرأته وبه قال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظي ، وقيل: كانوا ثمانين رجلاً أحدهم =

ارْكَبُوا(١) **فِيهَا بِسْمِ**(٢) **اللَّهِ مَجْرَاهَا**(٣) **وَمُرْسَاهَا﴾** أي : اركبوا قائلين بسم الله أومسمين الله وقت إجرائها ووقت إرسائها أي : ثباتها أو بسم الله خبر لمجريها أي : بسم الله إجراؤها وإرساؤها فيكون إخبارًا من نوح بأن إجراءها وإرساءها باسم الله، وقد نقل أنه إذا أراد إجراءها قال بسم الله فجرت، وإذا أراد إثباتها قال بسم الله فرست، **﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** لما نجانا من عذابه، **﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾** أي: ركبوا فيها وهي تجري وهم فيها ، **﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾** كل موجة كجبل، **﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾** كنعان، **﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾** مكان عزل وأبعد فيه نفسه عن أبيه، **﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾** في السفينة، **﴿وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ﴾** في الدين والبعد عنا ، **﴿قَالَ سَآوِي﴾** أصير وألتجئ، **﴿إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ**

= جرهم قاله ابن عباس ، ولما أخرجوا من السفينة بنوا قرية يقال لها قرية الثمانين وهي موجودة بناحية الموصل، وقيل كانوا عشرة وقيل غير ذلك ، قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال عز وجل "وما آمن معه إلا قليل" ولم يحد عدداً بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى إذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- / ١٢ فتح.

(١) وقد روي في صفة القصة وما حمله نوح في السفينة وكيف كان الغرق وكم بقيت السفينة على ظهر الماء روايات كثيرة لا مدخل لها في تفسير كلام الله سبحانه/١٢فتح .

(٢) أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم عن الحسن بن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن ﴿بسم الله مجريها﴾ الآية ، ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية (الأنعام:٩١)" ١٢ /فتح.[في سنده ضعف]

(٣) المجرى والمرسى مصدران حذف منهما الوقت المضاف نحو آتيك خفوق النجم أي: وقته/١٢ منه .

﴿اللَّهِ﴾ عذابه ، **﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾** أي: إلا الراحم وهو الله أو عاصم بمعنى ذا عصمة كلابن وتامر إلا من رحم أي: من رحمه الله ، أو الاستثناء منقطع يعني لكن من رحمه الله فهو معصوم قيل: تقديره لا عاصم لأحد إلا من رحمه الله **﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾** بين نوح وولده، **﴿الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾** صار منهم، **﴿وَقِيلَ﴾** بعدما تناهي أمر الطوفان، **﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾** أنشفي، **﴿مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾** أمسكي عن المطر، **﴿وَغِيضَ﴾** نقص، **﴿الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾** أي : إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ، **﴿وَاسْتَوَتْ﴾** استقرت السفينة ، **﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾** جبل شامخ قريب الموصل أوالشام ، **﴿وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** أي هلاكا لهم، **﴿وَنَادَى﴾** أي: أراد النداء، **﴿نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ﴾** أو نادى على حقيقته وقوله تعالى فقال تفصيل للمجمل،**﴿رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي﴾** وقد وعدت إنجاءهم ، **﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾** لا خلف فيه، **﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾** أعدلهم ، **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾** الذي وعدت نجاته فإنه داخل في المستثني، أي: إلا من سبق عليه القول أو ليس من أهل دينك، وقال بعضهم: إنه ولد زنية(١) وعن ابن عباس وغيره رضي الله عنه: مازنت امرأة نبي قط، وعن كثير من السلف كان ابن امرأته(٢)، **﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** أي: إنه ذو عمل فاسد ولا ولاية بين المؤمن والكافر قيل إنه أي: سؤالك إياي بنجاته عمل فاسد، **﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ(٣) عِلْمٌ﴾** مالا تعرف أنه خطأ أم صواب والظاهر أن هذا قبل غرق ولده أو بعده لكن قبل علم نوح بهلاكه،**﴿إِنِّي أَعِظُكَ﴾** أنهاك ، **﴿أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ**

---

(١) كالحسن البصري / ١٢ .[وكلامه هذا مردود لقول نوح عليه السلام:"إن ابني من أهلي"، وقول ابن عباس: ما زنت امرأة نبي قط]

(٢) فربيبه وظاهر القرآن على خلاف ذلك / ١٢ .

(٣) وفيه عدم جواز الدعاء لما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع / ١٢ فتح .

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾ بعد ذلك، ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ﴾ أي : إن لم ، ﴿تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ[1] قِيلَ﴾ بعد استقرار السفينة على الجودي، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ من السفينة، ﴿بِسَلامٍ[2] مِّنَّا﴾ بسلامة أو بتحية وهو حال، ﴿وَبَرَكَاتٍ[3] عَلَيْكَ﴾ البركة ثبوت الخير ، ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: على أمم ناشئة ممن معك من المؤمنين ، ولهذا قالوا دخل فيه كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، قال بعضهم: المراد من الأمم المؤمنون الذين معه وسماهم أمما لتحزبهم ، أو لتشعب الأمم منهم، ﴿وَأُمَمٌ﴾ أي: وممن معك أمم ، ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهم الكافرون من ذرية من ممن ، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ﴾ أي: من أخباره ، ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ خبر ثان لتلك أوحال، ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ خبر ثالث أو حال، ﴿فَاصْبِرْ﴾: كما صبر نوح ، ﴿إِنَّ العَاقِبَةَ﴾ في الدنيا والآخرة بالنصرة، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) ثم أعلم أن قوله: "وأن وعدك الحق" والجواب من الله بقوله: "إنه ليس من أهلك" يدل على أن الله وعد بإنجاء أهله وهو غير مذكور في القرآن ولا بعد في ذلك أن الله حين أخبره بنزول العذاب عليهم وعد معه نجاة أهله ومن آمن ثم أمر به بحملهم على السفينة وإلا ففي السؤال إشكال لأن الله أمره بحمل أهله السفينة لأن ينجوا من العذاب وابنه ما ائتمر بأمر والده في أن يركب، فالذنب عليه اللهم إلا أن يقال: إن غرقه في أثناء مجادلته مع والده ولولا حيلولة الموج بينهما ليلزمه على ركوب السفينة فالشبهة لظنه أنه إن تم كلامه معه يسمع ويقبل فتأمل/١٢ وجيز .

(٢) مصحوبا بسلامة وأمن والقائل هو الله تعالى لقوله: "وبركات عليك" / ١٢.

(٣) مشتق من بروك الحمل وهو ثبوته / ١٢.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى
فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ
ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾
قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا
تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ
بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ
أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ
رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا
لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ ﴾

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ عطف على "نوحاً" إلى قومه، **﴿هُوداً﴾**[1] عطف بيان، **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾** وحده ، **﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** صفة تابعة لمحل الجار والمجرور ،

---

(١) واعلم أنه تعالى حكى عن هود عليه السلام أنه دعا قومه إلى التوحيد فقال : " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون " وفيه سؤال وهو أنه كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل أن يقيم الدلالة على ثبوت الإله تعالى؟ قلنا: دلائل وجود الله
=

﴿إن أَنتُمْ إلاَّ مُفْتَرُونَ﴾: على الله ، ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة ، ﴿أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يعني نصيحتي خالصة لا مشوبة بالمطامع ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ حتى تميزوا بين المخطئ والمصيب، ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ بالإيمان ، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه بالطاعة، ﴿يُرْسِلِ﴾ جواب الأمر، ﴿السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾: كثير الدر، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ يضاعف قوتكم بالمال والولد والشد في الأعضاء، ومنه قال الحسن بن علي رضي الله عنه: من كثر استغفاره كثر نسله، ﴿وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ لا تعرضوا عني مصرين على إجرامكم، ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ حجة تدل على مدعاك وهذا كذب منهم وجحود، ﴿وَمَا نَحْنُ

= تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والأنفس وكلما توجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود الإله تعالى، ولذلك قال تعالى في صفة الكفار "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" (لقمان:٢٥)، قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختم له بالحسنى : دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجود الإله وأكثر بلاد الترك أيضاً كذلك إنما الشأن في عبادة الأوثان فإنها آفة عمت أكثر أطراف الأرض، وهكذا الأمر كان في الزمان القديم أعني زمان نوح وهود وصالح عليهم السلام فهؤلاء الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- كانوا يمنعون من عبادة الأصنام فكان قوله "اعبدوا الله" معناه لا تعبدوا غير الله هذا ما قاله الرازي في هذا المقام وبيّن في سورة يونس تحت قوله تعالى:" ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " (يونس:١٨) أن المشركين وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى/١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام محمد بن عمر الرازي .

بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ حال من ضمير تاركى، أي: صارفين عن قولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ﴾ ما نقول، ﴿إِلاَّ اعْتَرَاكَ﴾ أى: إلا قولنا أصابك، ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون لأنك تتكلم بالهذيانات، ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ على نفسي، ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي : من إشراككم آلهة ، ﴿مِن دُونِهِ﴾ ظرف لغو لتشركون ، أو بيان لما ، ﴿فَكِيدُونِي﴾ أنتم وأوثانكم ، ﴿جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلوني فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ومن أعظم الآيات مواجهتهم بهذا الكلام مع أنهم عطاش بإراقة دم من خالفهم وهم مع كثرتهم كرجل واحد يرمون من قوس واحد، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ الأخذ بالنواصي تمثيل لاشتمال ربوبيته على الكل وذل الكل وخضوعه تحت قهره وسلطانه فإن من أخذت ناصيته فقد قهرته، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على العدل والإحسان مع غلبته وقدرته قيل تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ تتولوا ، ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فلا على شيء فإني بلغت الرسالة وما على إلا الإبلاغ ، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ هذا وعيد بإهلاكهم واستخلاف قوم آخرين مطيعين في ديارهم،﴿وَلاَ تَضُرُّونَهُ﴾ بإعراضكم، ﴿شَيْئاً﴾ من الضرر وقيل: لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيحفظ أعمالكم ويجازيكم أو هو الحافظ للأشياء فهو الضار النافع فيستحيل أن يضره شيء أو هو الحافظ يحفظني من كيدكم ،﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هلاك عاد ، ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ الريح التى أهلك بها عادا قيل المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً والتعريض بتعذيب المهلكين في الدنيا والآخرة، ﴿وَتِلْكَ﴾، إشارة إلى القبيلة وقيل: إلى قبورهم وآثارهم ، ﴿عَادٌ جَحَدُوا﴾ كفروا ، ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ من عصى رسولاً واحداً فقد عصى الرسل فإن كلامهم واحد ، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: سفلتهم اتبعوا كبراءهم

الذين طغوا فلم يقبلوا الحق، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ قال السدي: ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لعنوا في الدارين، ﴿أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: نعمه أو بربهم فحذف الجار، ﴿أَلاَ بُعْداً﴾ من رحمته وهلاكاً، ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ جيء بعطف البيان للتمييز عن عاد الإرم قيل: ينادي في القيامة بقوله: "ألا إن عادًا" إلخ.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ
ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ
ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ
مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟
كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ عطف على (وإلى عاد)، ﴿أَخَاهُمْ﴾ واحد منهم ، ﴿صَالِحاً﴾ عطف بيان ، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة تابعة لمحل الموصوف ،

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ فإنهم من آدم وآدم من تراب، ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أقدركم على عمارتها، وعن الضحاك أطال عمركم فيها فإن الواحد منهم يعيش ثلاثمائة إلى ألف سنة، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لما مضى، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما بقي ، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ يسمع أو قريب الرحمة، ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه ، ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا﴾ نرجوا أن تكون لنا سيداً مستشاراً في الأمور لما نرى فيك من الرشد، ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا[١]﴾ عدوا هذا النهي منه بلاهة وشبه جنون، ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التبرء عن الأوثان، ﴿مُرِيبٍ[٢]﴾ موقع في الريبة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ يقين وبصيرة ، ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وحرف الشك باعتبار المخاطبين ، ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ، ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعني من عذابه ، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ الرسالة ، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن حينئذ ، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن تخسروا أعمالي وتبطلوا أو ما تزيدونني بما تقولون إلا أن أنسبكم إلى الخسران، ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ آية حال، ولكم حال منها أو بيان، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل ، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ لهم صالح ، ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا ، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ الدنيا أو منازلكم ، ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ، ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ مصدر كالمجلود والمصدوقة أوغير مكذوب فيه فاتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كيوم شهدناه[٣]

---

(١) حكاية حال ماضية وإلا فالواجب أن يقال : ما عبد آباؤنا/١٢ منه .

(٢) من أرابه إذ أوقعه في الريبة وهو على الإسناد المجازي لأن المريب هو ذلك الشخص الذي له الشك ، لكن لما كان الشك سبب تشكيك المشكك ولولاه لما قدر على التشكيك أسنده إليه / ١٢ .

(٣) أي: شهدنا فيه / ١٢ .

سليماً وعامراً ،﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ﴾ عطف على نجينا بتقدير: ونجيناهم من خزي ، ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ يوم هلاكهم بالصيحة وقيل: يوم القيامة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ القادر الغالب ، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ كان عذابهم صيحة من السماء وزلزلة من الأرض به تقطعت قلوبهم في صدورهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ خامدين ميتين، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾: لم يقيموا و لم يكونوا، ﴿فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً﴾ من رحمة الله ، ﴿لِّثَمُودَ﴾ وصرف[1] ثمود للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن
جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠
عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ
ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا
ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ
رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ
وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن
قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ

(١) وعدم صرفه للتعريف والتأنيث لأنه بمعنى القبيلة / ١٢ .

ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ (٧٨) قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا
لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ
ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ (٨٠) قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ
بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ
أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا
عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ
رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ (٨٣) ۞ ﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة، ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى[1]﴾ ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط، ﴿قَالُوا سَلاماً﴾ سلمنا عليك سلاماً ، ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ أي : عليكم سلام ، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي : فما أبطأ مجيئه بعجل[2] مشوي على الحجارة المحماة أوما أبطأ في المجيء به أي : أسرع في ضيافتهم وكانت عامة ماله البقرة(*)، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون إليه أيديهم ، ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أنكر ذلك منهم ، ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أدرك ، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لأن الضيف إذا أتى بشر لا يأكل، ﴿قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ بالعذاب ،

---

(١) أدرج شيئاً من أخبار إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- بين قصة صالح ولوط ؛ لأن له مدخلاً في قصة لوط وكان ابن خالة لوط والرسل الملائكة ، قال ابن عباس: اثنا عشر ملكاً بشروا إبراهيم بثلاث بشائر بالولد والخلة وإنجاء لوط ومن آمن معه/١٢وجيز.

(٢) على الوجه الأول فاعل "فما لبث أن جاء"، وعلى الثاني ضمير إبراهيم وحذف في وحذف حرف الجر عن أن وأنّ شائع/ ١٢ منه .

(*) كذا بالأصل.

﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سارة[١] ، ﴿قَائِمَةٌ﴾ وراء الستر أو قائمة[٢] بخدمتهم ، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سروراً[٣] بالأمن أو تعجبًا، وقالت: يا عجبًا بأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة وهم لا يأكلون طعامنا أو تعجبًا من خوف إبراهيم من رجال قلائل وهو بين خدمه وحشمه، أو ضحكت بمعنى حاضت[٤] ، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ بشروها بأن لها ولدًا يكون له عقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق ونصب يعقوب لأنه في تقدير وهبناها من وراء إسحاق يعقوب، أو بحذف حرف الجر وإيصال الفعل، ومن قرأ بالرفع فهو مبتدأ، أي: ويعقوب مولود من بعده، ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾ أي: يا عجبًا، ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين، ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾: زوجي ، ﴿شَيْخاً﴾ ابن مائة وعشرين أو مائة نصبة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ، ﴿رَحْمتُ[٥] اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ فتخصيصكم بمزيد الكرامات لا عجب ، ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ[٦]﴾ أي : أهل بيت إبراهيم وهو خبر من الملائكة أو دعاء

---

(١) سارة ابنة عمه هارون بن ناحورا قائمة أي: بخدمة الأضياف وهن لا يحتجبن كعادة العرب ونازلة البوادي وكانت عجوزاً وخدمة الضيفان من مكارم الأخلاق/١٢وجيز.

(٢) على الأول القيام على حقيقة وعلى الثاني مجاز/١٢ منه .

(٣) قاله ابن جريج وهو الأظهر وقيل: سروراً بهلاك أهل الفساد وغفلتهم وغرورهم/١٢منه.

(٤) قاله العوفي عن ابن عباس، وكذا قاله عكرمة ومجاهد، يقال: ضحكت السمرة إذا سال صمغها/١٢ منه .[لكن سياق الآيات يرد هذا التأويل]

(٥) قوله "رحمة الله" جملة مستأنفة علل بها إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة متكاثرة من الله عليكم /١٢ منه .

(٦) فيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته، عن ابن عباس أنه كان ينهى عن أن يزاد في جواب التحية على قولهم عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويتلو هذه الآية وعن ابن عمر نحوه/١٢ .

منهم، ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله، ﴿مَّجِيدٌ﴾ كريم، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ بأن عرفهم، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي : يجادل رسلنا في أمرهم كيف تهلكوهم وفيهم لوط ويجيء جواب لما مضارعًا لحكاية الحال، أو تقديره: أخذ يجادلنا أو اجترأ على خطابنا يجادلنا قيل: لما ترد المضارع إلى معنى الماضي، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ كثير التأسف على الذنوب، ﴿مُّنِيبٌ﴾ راجع إلى الله تعالى يعني رقة قلبه وفرط ترحمه باعثه إلى المجادلة، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: قالت الملائكة ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ، ﴿إِنَّهُ﴾ إن الشأن ، ﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذابه ، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ بجدال ودعاء.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: هذه الملائكة، ﴿لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ حزن بمجيئهم وساءة ، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ طاقة ، يقال: ضقت بالأمر ذرعًا إذا لم يطقه[1] وذلك لأنهم جاءوا في أحسن صورة غلمان فخاف عليهم من خبث قومه وعدم قوته بمدافعتهم ، ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد بلاؤه وقد نقل أن امرأة[2] لوط خرجت فأخبرت قومها بأن في بيته غلمانًا حسانًا، ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ[3]﴾ يسرعون، ﴿إِلَيْهِ﴾ عجلة لنيلهم مطلوبهم من أضيافه، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾: قبل ذلك الوقت، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ[4]﴾ يأتون الرجال يعني هذا عادتهم من قديم الأيام، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ

---

(١) يقال: فلان رحب الذراع إذا كان مطيقًا له وذلك لأن الشخص إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ضد ذلك مثلاً للعجز/١٢ منه .

(٢) قاله السدي الكبير وقتادة / ١٢ .

(٣) كأنما يدفعون دفعًا لطلب الفاحشة من أضيافه/١٢ منه .

(٤) والله سبحانه ما سمى إتيان الرجال باسمه في القرآن؛ بل ذكره بالخبائث أو بالسيئات لنهاية قباحة / ١٢ وجيز .

﴿بَنَاتِي﴾ أي : فتزوجوهن[1] واتركوا أضيافي وكانوا يطلبونهن قبل ذلك ولا يجيبهم، وكان تزويج المسلمة من الكافر جائزًا أوالمراد من البنات نساؤهم[2] وأضاف إلى نفسه؛ لأن كل نبي أبو أمته، ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ من نكاح الرجال، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴾ لا تفضحوني، ﴿فِي﴾ شأن ، ﴿ضَيْفِي﴾ فإخزاء ضيف الشخص إخزاؤه، ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يعرف حقية ماأقول، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال ، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ قويت بنفسي على دفعكم ، ﴿أَوْ آوِي﴾: أنضم ، ﴿إِلَى رُكْنٍ[3] شَدِيدٍ﴾ إلى قوي أستند إليه شبهه بركن الجبل في شدته ومنعته، وجواب لو محذوف أي: لفعلت وصنعت بكم كيت وكيت ،﴿قَالُوا﴾ أي : الملائكة ، ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ إلى إضرارك بإضرارنا ، ﴿فَأَسْرِ﴾: يا لوط ، ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: بطائفة، ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ استثناء من قوله فأسر بأهلك، أي : لا تسربها وخلفها ومن قرأ مرفوعًا فهو استثناء من قوله لا يلتفت منكم أحد يعني إذا سمعتم ما نزل بهم من الأصوات المزعجة فاستمروا ذاهبين ولا يلتفت

---

(١) على هذا بناتي على حقيقة وعلى الثاني مجاز / ١٢ .

(٢) قاله مجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج / ١٢ .[ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:"إنما أنا لكم بمنزلة الوالد" وانظر صحيح الجامع (٢٣٤٦)]

(٣) مراده بركن شديد العشيرة وما يمتنع به عنهم هو ومن معه ، وإنما قال ذلك ؛ لأنه لم يكن من قومه نسبًا؛ بل كان غريبًا فيهم ؛ لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى أهل سدوم وهي قرية عند حمص قال أبو هريرة ما بعث الله نبيًا بعده إلا في منعة من عشيرته / ١٢ فتح ، وفي البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: (رحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد). الحديث / ١٢ .

منكم أحد إلا امرأتك فإنا لا نمنعها عن الالتفات وقيل الاستثناء منقطع ومن الإسرائيليات أنها كانت معهم ولما سمعت أصوات البلاء التفتت وقالت: واقوماه فأدركها حجر[1] فقتلها ولا يجوز قطعًا حمل القراءتين على الروايتين في أن خلفها أو أخرجها، ولذلك قيل: إنها سرت معهم بنفسها لا أنه أخرجها والنهي عن إخراجها لا عن مصاحبتها وقيل: الاستثناء بقراءة النصب أيضًا عن قوله لا يلتفت وإن كان الأفصح الرفع حينئذ، **﴿إِنَّهُ﴾** الشأن **﴿مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾** من العذاب، **﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾** أي: موعد عذابهم، **﴿الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ﴾**[2] **﴿بِقَرِيبٍ﴾** جواب لاستعجال لوط عذابهم ، **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾**: بالعذاب ، **﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾** أدخل جبريل عليه السلام جناحه تحت قريتهم فقلعها وصعد بها إلى السماء ثم قلبها وفيها أربعمائة ألف أو أربعة آلاف ألف، **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾** على تلك القري قبل التقليب أو حين التقليب، **﴿حِجَارَةً﴾** أو كانت الحجارة على شدادهم ومسافريهم[3] ، **﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾** أصله سنك[4] كل أي: حجر وطين فارسية معربة أو الطين أو الآجر قيل اسم لسماء الدنيا أو لجبل فيها، **﴿مَّنضُودٍ﴾** متتابع أو معد في السماء لذلك، **﴿مُّسَوَّمَةً﴾** معلمة

---

(١) وأما حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها أو خرجت مع زوجها فباطل وما أوقع الزمخشري في تلك الوقيعة إلا شؤم عقيدته أن اختلاف القراءات من عند أنفسهم لا من الله كما صرح في مواضع كاد أن يكفر بذلك / ١٢ وجيز.

(٢) روي أن لوطًا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر طوى الله له الأرض حتى نجى ووصل إلى إبراهيم عليه السلام / ١٢ وجيز .

(٣) روي أن رجلاً منهم كان(*) في الحرم فبقي الحجر معلقًا في الهواء حتى خرج من الحرم فأصابه الحجر/١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .

(*) زيادة ليست بالأصل اقتضاها السياق.

مكتوبًا فيها اسم من يقتل بها، أو معلمة بسيما[1] متميزة عن أحجار الأرض ،﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ما هذه النقمة ممن يشبههم ببعيد، وقيل معناه: ما هذه القرى من ظالمي مكة ببعيد يمرون عليها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا
تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ
مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ
﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ
وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا
قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ

---

(١) السيما مقصور من الواو ، قال تعالى : "سيماهم في وجوههم" (الفتح:٢٩) وقد يجيء ممدودًا/منه.

عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾
وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ
كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ اسم بلدة ، **﴿أَخَاهُمْ﴾** من أشرافهم نسبًا، **﴿شُعَيْبًا﴾**[1] **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾** وحده ، **﴿مَا لَكُم**[2] **مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**[3] **وَلاَ تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾** نهاهم عن هذا بعد الإيمان ؛ لأنهم اعتادوا البخس، **﴿إِنِّي أَرَاكُم**[4] **بِخَيْرٍ﴾** موسرين في نعمة وخصب لا حاجة لكم إلى التطفيف، **﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾** وعدهم بعذاب يحيط بهم فلا يفلت منهم أحد ووصف اليوم بالإحاطة لاشتماله على عذاب محيط، **﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾** أمر بالإيفاء بعد أن

---

(١) ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام / ١٢ فتح .

(٢) اعلم أن الأنبياء- عليهم السلام- يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، فلهذا قال شعيب عليه السلام: (مالكم من إله غيره) ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد يشرعون في الأهم ثم الأهم / ١٢ كبير .

(٣) كما مر غير مرة أن رفع غيره بأنه صفة تابعة لمحل إله وجاز أن يكون اسم ما ومن إله بيان / ١٢ .

(٤) بثروة واسعة في الرزق تغنيكم عن البخس فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده وهذه النعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرًا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم ثم ذكر بعد العلة علة أخرى فقال: "وإني أخاف" / ١٢ فتح .

نهى عن ضده مبالغة، ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والسوية، ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا[1]﴾ لا تنقصوا ، ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ تعميم بعد تخصيص وقيل: كانوا مكاسين ، ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾ لا تبالغوا، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالفساد حال كونكم، ﴿مُفْسِدِينَ[2]﴾ وقد كانوا يقطعون الطريق ، ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ ما أبقى الله من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما تأخذونه بالتطفيف أو طاعة الله خير لكم ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرط الإيمان فإن الثواب بالأعمال مشروط بالإيمان أو إن كنتم مؤمنين مصدقين لي، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظكم عن القبائح وإنما أنا ناصح ، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف[3]، ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام أجابوه على سبيل التهكم وكان عليه السلام كثير الصلاة ، ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا[4] مَا نَشَاءُ﴾ عطف على ما، أي: وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا، ما نشاء قيل: عطف على أن نترك بتقدير أصلاتك تأمرك بنهيك عن أن نفعل إلخ، ﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء وأرادوا ضدهما أو أنت حليم رشيد فكيف تبادر على مثل كلام المجانين ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة وبصيرة ، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾ من الله بلا كدٍّ مني ، ﴿رِزْقًا حَسَنًا[5]﴾، حلالاً وكان عليه السلام كثير المال، أو أراد من

---

(١) البخس النقص ويقال للمكس البخس / ١٢ منه .

(٢) قيل: معناه لا تفسدوا في الأرض حال كونكم مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم/١٢ منه .

(٣) قدرنا هذا المضاف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره/١٢ .

(٤) وكان عليه السلام ينهاهم عن البخس والتطفيف/١٢ منه .

(٥) يعني: هل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه؟ وهذا الجواب شديد المطابقة بقولهم: "إنك لأنت الحليم الرشيد"، أي: كيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة/١٢ فتح .

الرزق الحسن العلم والمعرفة وجواب الشرط محذوف، أي: فهل يجوز لي الخيانة في الوحي والمخالفة في أمره ونهيه ، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ[1] إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ ما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستقل بها دونكم، ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ فيما آمركم وأنهاكم، ﴿إِلاَّ الإِصْلاحَ﴾ أي: إصلاحكم، ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما دمت أستطيع الإصلاح فما مصدرية واقعة موقع الظرف أو إصلاح ما استطعته فالموصولة مفعول الإصلاح ، ولا يبعد أن يكون معناه ما قصدت إلى ما نهيتكم عنه مجرد مخالفتكم؛ بل الإصلاح قصدي وهو الباعث إلى النهي، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ لإصابة الحق ، ﴿إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ بإعانته ، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنه القادر المطلق ، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ في المعاد أو فيما يترل عليّ من المصائب، ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ[2]﴾ لا يكسبنكم، ﴿شِقَاقِي﴾ عداوتي، ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ ثاني مفعوليه فإنه يتعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب، ﴿مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الريح المهلكة، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من الصيحة ، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ زمانًا فلا تنسوهم، أو مكانًا فإنهم جيران قوم لوط و لم يقل ببعيدة ولا ببعيدين لأن المراد، وما إهلاكهم ببعيد أو لأنه يستوي في مثله المذكر والمؤنث لأنه على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عما سلف ، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما بقي من عمركم ، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ فاعل بالتائبين ما يفعل البليغ المودة بمن يوده ، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ قالوه على وجه الاستهانة كما تقول لمن لم تعبأ بحديثه ما

---

(١) يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصد وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده / ١٢ منه .

(٢) يقال: جرمته ذنبًا وكسبته إياه وجرم ذنبًا وكسبه / ١٢ منه .

أدري ما تقول، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً[1]﴾ لأنه كان أعمى أو لأنه لا خـدم ولا عسكر له، ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ﴾ أي: عزهم فإنهم على ديننا والرهـط مـن الثلاثـة إلى العشرة، ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ قتلناك بأذل وجه، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ يمنعنا عـزك عـن الرجم، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ فإنكم تبقون عليَّ لرهطـي ولا تبقون عليَّ لله وأنا رسوله، ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله، ﴿وَرَاءَكُمْ ظِـهْرِياً﴾ جعلتمـوه كالشيء الملقي وراء الظهر وهو منسوب إلى الظهر والكسر مـن تغـيرات النسـب كالإمسيّ في الأمس، ﴿إِنَّ رَبِّي﴾، أي: علمه، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فيجازي عليـه، ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ[2]﴾ أي: قارين على جهتكم التي أنتم عليـها مـن الشرك أو على تمكنكم من أمركم، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ما أنا عليه، ﴿سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ﴾ استئناف كأنه قيل فماذا يكون بعد ذلك ؟ فقال: سوف تعلمون﴿مَن يَأْتِيهِ عَـذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أي: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والـذي هو كاذب فإنهم أوعدوه وسموه كاذبًا ، أو من استفهامية منقطعة عن سوف تعلمـون أي: أينا يأتيه إلخ، ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ما أقول لكم ، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظـر ،

---

(١) ليس معنى الضعيف الأعمى حتى يلزم أن قوله فينا لا يناسبه؛ لأنه لا يقال أنت أعمـى فينا؛ بل معناه أنت فينا ضعيف لأنك أعمى وكلام بعض السلف نحمله على ما قلنـا لا على ما حمله الزمخشرى فرده تأمل / ١٢ منه.

عن سعيد بن جبير قال كان أعمى وإنما عمى من بكائه من حب الله عز وجل وعـن شداد مرفوعًا بكى شعيب عليه السلام من حب الله حتى عمى أخرجه ابن عساكر/ ١٢ ف.[ضعيف جدًا، انظر الضعيفة ٩٩٨)]

(٢) المكانة إما من المكان فاستعير العين للمعنى أو من مكن مكانة فهو مكين فيكون مصدراً وأشار الشارح إلى أنه حال/١٢ منه .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل فهلكوا ، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ميتين، الجثوم: اللزوم في المكان، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ لم يكونوا فيها ، ﴿أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ هلاكاً لهم، ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ فإن عذابهم أيضًا صيحة قيل: صيحة أهل مدين من فوق وصيحتهم من تحت ثم أعلم أن الصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة كلها لأهل مدين(١).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ
بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ
وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ
ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ
تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ
شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ
ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا
تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ

(١) فلا ينافي أنه أثبت لهم في بعض المواضع الصيحة وفي بعضها الرجفة وفي بعضها عذاب يوم الظلة/١٢ منه .

وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ التوراة أو المعجزات والحجج الواضحة سيما العصى، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا﴾ أي: الملأ، ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: في الكفر بموسى ، ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ مرشد إلى الخير ، ﴿يَقْدُمُ[1] قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: يتقدمهم إلى النار فهو في الدارين قدوتهم، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ جاء بلفظ الماضي مبالغة في تحققه، ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ﴾ أي: المورد ، ﴿الْمَوْرُودُ﴾ أي : الذي يردونه والمخصوص بالذم ، أي : النار نزل النار لهم مترلة الماء ثم قبحه؛ لأن الورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده والآية كالدليل على قوله: "وما أمر فرعون برشيد"، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا، ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فإنهم ملعونون في الدارين، ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ العون المعان أو العطاء المعطى والمخصوص بالذم محذوف، أي: رفدهم وهو لعنة بعد لعنة، ﴿ذَلِكَ﴾: النبأ، ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى﴾: المهلكة ، ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ خبر بعد خبر، ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ بقيت آثاره كالحيطان ، ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أي : ومنها عافي الأثر والجملة مستأنفة، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فاستحقوا العذاب، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ ما دفعت عنهم ، ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ شيئًا من عذابه ، ﴿لَّمَّا جَاءَ﴾ حين جاء، ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ أي: ما زاد الآلهة الظالمين ، ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ بلاء وتخسير، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل

---

(١) يقال: قدمه بمعنى تقدمه كما يقال قدم بالتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش/٢منه.

ذلك الأخذ ، ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ﴾ أهل ، ﴿الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال من القرى وعلى الحقيقة لأهلها، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ[1]﴾ وجيع صعب، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: هلاك تلك الأمم أو الأنباء بإهلاكهم، ﴿لآيَةً﴾: عبرة، ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾ فيجعلها أنموذجًا ودليلاً على صدق ما أعد الله تعالى للمجرمين، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما دل عليه عذاب الآخرة، أي: يوم القيامة، ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ لأن يجازيهم، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ فيه الخلائق البر والفاجر اتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به ، أو المراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي : اليوم ، ﴿إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ الأجل يطلق على مدة التأجيل وعلى منتهاها والعد للمدة لا لغايتها فتقديره إلا الانتهاء أجل معدود على حذف المضاف، ﴿يَوْمَ يَأْتِ[2]﴾ ذلك اليوم المعين على أن يوم بمعنى حين، ﴿لاَ تَكَلَّمُ﴾: لا تتكلم ، ﴿نَفْسٌ﴾ وهو الناصب للظرف، ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾: بإذن الله تعالى، وهذا في موقف ويوم لا ينطقون في موقف آخر، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمير لأهل الموقف دل عليه قوله لا تكلم نفس، ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم[3]﴿سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير إخراج النفس والشهيق رده،

---

(١) وفي الحديث: "أن الله سبحانه وتعالى يملى الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك " الآية رواه البخاري ومسلم وغيرهما ولا تظن أن الآية حكمها مختص بظالمي الأمم الماضية؛ بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث/ ١٢ فتح .

(٢) قيل: ضمير يأت إلى الله نحو " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله " / ١٢ منه .

(٣) قد استدل بهذه الآية على أن أهل الموقف قسمان لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته أو لا حسنات لهم ولا سيئات كالمجانين والأطفال فهم تحت مشيئته يحكم فيهم بما شاء وتخصيص القسمين لا ينفي القسم الثالث / ١٢ فتح .

أوالصوت الشديد والضعيف ، أو الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره إذا ردده في جوفه ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ[1] السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، أي: أبدا دائماً لا ينقطع،

---

(١) قوله تعالى:" خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك" وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه تنبيه ما ذكرته آنفًا أن من عذاب الكفار في جهنم دائم أبدًا ما دلت عليه الآية والأخبار وأطبق عليه جمهور الأمة سلفًا وخلفًا، ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها فمنها ما ذهب إليه الشيخ محيى الدين ابن عربي أنهم يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز، وقال: "فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله" (إبراهيم:٤٧)، و لم يقل وعيده بل قال: "ونتجاوز عن سيئاتهم" (الأحقاف:١٦) مع أنه توعد على ذلك وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقال في موضع آخر أن أهل النار إذا أدخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها فإذا أغلقت عليهم أبوابها اطمأنوا لأنها خلقت على وفق طباعهم ، قال الحافظ ابن القيم: وهذا في طرف أي جهة والمعتزلة القائلون بأنه يجب على الله تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أبدًا و القولان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله، ومنهما قول جميع النار تفني فإنه تعالى جعل لها أمدًا تنتهي إليه ثم يزول عذابها لهذه الآية ، وقوله تعالى: " لابثين فيه أحقابًا" (النبأ:٢٣) قال هؤلاء: وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فنائها إنما الذي فيه أن الكفار خالدين فيها وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم وهذا لا نزاع فيه من الصحابة والتابعين، إنما التزاع في أمر آخر وهو أن النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة فلم يختلف فيه أحد من أهل السنة، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله القول بفنائها عن جمع من الصحابة والتابعين وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك وقول مهجور لا يصار إليه ولا يعول عليه ، وقد أول ذلك كله الجمهور وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجهًا وعما نقل عن-

....

= أولئك الصحب بأن معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين أما مواضع الكفار فهي ممتلئة منهم لا يخرجون عنها أبدًا كما ذكره الله في آيات كثيرة انتهى كلامه، قلت وبالله التوفيق: أخرج ابن المنذر عن عمر قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج [موضع بالبادية بها رمل] لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه. وروى عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات عن عمر نحوه وأخرج ابن راهويه عن أبي هريرة قال: سيأتى على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ " فأما الذين شقوا " وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية "خالدين فيها" إلخ، قال: وقال ابن مسعود: ليأتين عليه زمان تخفق أبوابها، وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وحكاه البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعها خرابًا، وعن قتادة قال : الله أعلم بثنياه على ما وقعت وقد روى عن جماعة من السلف مثل ما ذكره ابن مسعود وعمر وأبو هريرة كابن عباس وابن عمر وجابر وأبي سعيد من الصحابة وعن أبي مجلز وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما من التابعين وورد في ذلك حديث في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي وإسناده ضعيف ، وقد ثبت بذلك صحة ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء وانتصره الحافظ ابن القيم ووضح وهن ما قاله ابن حجر والمناوي عليهما وإن كان لا شك في أن الراجح هو الأول ، ولقد تكلم صاحب الكشاف في هذا الموضع بما كان له في تركه سعة وفي السكوت عنه غنى فقال: ولا يخدعنك قول المجبرة أن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار فإن الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن ابن عمرو وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، ثم قال: وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث انتهى.

=

والعرب إذا أراد التأبيد قال : دائم دوام السماوات والأرض، ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ استثناء من الخلود فإنه ليس لبعضهم وهم فساق الأمة خلود وهم الأشقياء من وجه(1) وهو المراد بالاستثناء الثاني(2) فإنهم ليسوا في الجنة مدة عذابهم والتأبيد من مبدأ معين

= قال الشوكاني: وأقول أما الطعن على من قال بخروج أهل الكبائر من النار فالقائل بذلك يا مسكين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه فى دواوين الإسلام التى هي دفاتر السنة المطهرة ، وكما صح عنه في غيرها من طريق جماعة من الصحابة يبلغون عدد التواتر فما لك والطعن على قوم ما عرفوا ما جهلته وعملوا بما أنت عنه في مسافة بعيدة ، وأي مانع من حمل الاستثناء على هذا الذي جاءت به الأدلة الصحيحة الكثيرة كما ذهب إلى ذلك، وقال به جمهور العلماء من السلف والخلف ، وأما ما ظننته من أن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم فلا مناداة ولا مخالفة ، وأي مانع من حمل الاستثناء في الموضعين على العصاة من هذه الأمة فالاستثناء الأول يحمل على معنى (إلا ما شاء ربك) من خروج العصاة من هذه الأمة من النار ، والاستثناء الثاني يحمل على معنى إلا ما شاء ربك من عدم خلودهم في الجنة كما يخلد غيرهم وذلك لتأخر دخولهم إليها مقدار المدة التى لبثوا فيها في النار، وقد قال بهذا من أهل العلم من قدمنا ذكره وبه قال ابن عباس حبر الأمة ، وأما الطعن على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحافظ سنته وعابد الصحابة عبد الله بن عمر رضي الله عنه فإلي أين يا محمود أتدري ما صنعت وفي أي واد وقعت وعلى أي جنب سقطت ومن أنت حتى تصعد إلى هذا المكان وتتناول نجوم السماء بيدك القصيرة ورجلك العرجاء أما كان لك في مكسري طلبتك من أهل النحو واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف والتكلم بما لا تدري فيا لله العجب ما يفعل القصور في علم الرواية والبعد عن معرفتها إلى أبعد مكان من الفضيحة لمن لم يعرف قدر نفسه ولا أوقفها حيث أوقفها الله سبحانه /١٢ فتح البيان.

(١) والسعداء من وجه، لأنهم أشقياء لعصيانهم سعداء بإيمانهم / ١٢ .

(٢) أي: في قوله:"وأما الذين سعدوا " إلخ / ١٢ .

كما ينتقص من الانتهاء ينتقص من الابتداء وهو المنقول عن كثير من السلف(١) أوهو كقولك : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك مع أن عزيمتك على ضربه فعلى هذا الاستثناء في الموضعين لبيان أنه لو أراد عدم خلودهم لقدر لا أنه واجب عليه ويؤيده قوله : " إن ربك فعال لمايريد " أو هومن باب "حتى يلج الجمل في سم(٢) الخياط " (الأعراف:٤٠)، "ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي" (الدخان:٥٦) على إحدى التأويلات أو المستثنى توقفهم في الموقف أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ أو الاستثناء لخروج الكل من النار إلى الزمهرير ومن الجنة إلى المراتب والمنازل(٣) الأرفع ، **﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾** حاكم غير محكوم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قيل المراد منهما سماوات الآخرة وأرضها وهما مؤبدان ، **﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** والأحسن عندي في الاستثنائين قول قتادة والله أعلم بثنياه اعترف رضي الله عنه بالعجز عن الفهم وأحال العلم على الله تعالى(٤) ، **﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** غير مقطوع ونصبه على الحال أو المصدر المؤكد صرح في الجنة بأنها غير مقطوع لئلا يتوهم متوهم بعد ذكر المشيئة أن ثمة انقطاعًا و لم يذكر في شق النار، **﴿فَلاَ تَكُ(٥) فِي مِرْيَةٍ﴾** شك، **﴿مِّمَّا يَعْبُدُ**

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وهو قول الضحاك وقتادة وغيرهما/١٢منه.

(٢) كأنه قال هم مخلدون في الجنة أو النار إلا أن يشاء الله خروجهم ومشيئة الله منتف بموجب وعده فخروجهم محال هذا ما في المنهية ، وفي الوجيز بعد نقل هذا القول ولذلك قال: (إن ربك فعال لما يريد) هذا و باقي التوجيهات تمحلات علمتها إن تأملت/١٢.

(٣) وفيه تمحل ؛ لأن المنازل الأرفع ليست بخارجة من الجنة / ١٢ وجيز .

(٤) وعندي أن القول ما قالت حذام / ١٢ وجيز .

(٥) ولما ذكر قصص عبدة الأوثان وأتبع ذلك بذكر أحوالهم وأحوال الموحدين السعداء أراد أن يبين أن عبادة غير الله تقليد وجهل فقال : " فلا تك " الآية / ١٢ وجيز .

﴿هَؤُلاءِ﴾ من عبادة المشركين في أنها ضلال تؤدي إلى مثل ما حل بمن قبلهم، ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾ عبادة، ﴿إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ إلا كعبادتهم[1]، ﴿مِّن قَبْلُ﴾ استئناف[2] أي: هم وآباؤهم سواء لا مستند لهم في الشرك وتقديره: كما كان يعبد وحذف كان لدلالة قبل عليه، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من الجزاء، ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حال مقيدة[3] فإنه يقال وفيته نصيبه منصفًا [4].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ
أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا
تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ
ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ
طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ
لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ
ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ
أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا

---

(١) على ما فسرنا يكون ما في كما مصدرية وجاز أن يكون موصولة، أي: ما يعبدون شيئًا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان / ١٢ منه.

(٢) يعني ما يعبدون استئناف/ ١٢ .

(٣) فيه إشارة إلى أنه حال مقيدة لا مؤكدة ، والحق ما قاله الزمخشري لاما قاله صاحب الانتصاف/١٢ منه .

(٤) معناه أعطيت النصف كاملاً من غير نقص في النصفية /١٢ .

كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

﴿وَ[1]لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بأن آمن به بعض وكفر به بعض كما اختلف في القرآن، ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن قومك، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لفرغ من جزائهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن، ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة ، ﴿وَإِنَّ كُلاًّ﴾ جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين وإن مع أنه مخففة عمل باعتبار الأصل والتنوين عوض عن المضاف إليه، ﴿لَّمَّا﴾ ما زائدة للفصل بين لام الموطئة للقسم ولام التأكيد ومن قرأ بالتشديد فأصله لمن ما فقلبت النون ميمًا للإدغام فحذفت أولى الميمات الثلاث، ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: إن جميعهم والله ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم أو لمن الذين يوفينهم إلخ، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ[2]

---

(١) ولما ذكر في هذه الآية إعراض قومه عن الاتباع ما أتى به من الآيات سلاه بأخيه موسى عليه السلام فقال : " ولقد آتينا موسى " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) لما بين أمر المختلفين وعدم استقامتهم أمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين معه بالاستقامة كأنه قال إن لم يستقيموا هم فاستقيموا أنتم فقال:" فاستقم" الآية/١٢ وجيز ومنه.

﴿خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ﴾ استقامة(١) ، ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: مثل الاستقامة التي أمرت بها على دين ربك والدعاء إليه، ﴿وَمَن تَابَ﴾ عن الكفر وآمن، ﴿مَعَكَ﴾ عطف على ضمير استقم، ﴿وَلاَ تَطْغَوْاْ﴾ لاتخرجوا عن حدود الله، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلاَ تَرْكَنُوا﴾، لا تميلوا(٢) أدنى ميل، ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بأن تعظموهم وتستعينوا بهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ بركونكم إليهم؛ بل استقيموا كما أمرت ولا تميلوا إلى جانب، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أعوان يمنعونكم من عذابه والواو للحال ، ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ لا تجدون من ينصركم أو لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن لا يرحم على من ركن وثم لاستبعاد نصره إياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أحد طرفيها الصبح والآخر إما العصر أو الظهر والعصر، ﴿وَزُلَفاً﴾ ساعات، ﴿مِّنَ

---

(١) إشارة إلى أن كما مرت صفة مصدر محذوف/١٢ .

(٢) قال البغوي : قال ابن عباس رضي الله عنه: ولا تميلوا، والركون هو المحبة والميل بالقلب، وقال أبو العالية: لاترضوا بأعمالهم، قال السدى: لا تداهنوا الظلمة، وعن عكرمة لا تطيعوهم وقال الرازي: قال المحققون: الركون المنهى عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم ، وعند غيرهم مشاركتهم في شيء من تلك الأبواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون ، وفي النيسابوري بعد نقل هذا القول وأقول: هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده؟ انتهى، وما أحسن ما قال أبو السعود: وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيمًا ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شرائره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه إلى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل عن أن تميل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب / ١٢ .

﴿اللَّيْلِ﴾ قريبة من النهار العشاء أو المغرب والعشاء قيل: هذا قبل وجــوب صلــوات الخمس فإنه كان يجب صلاتان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها وفي أثنــاء الليل قيام عليه وعلى أمته ثم نسخ، **﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾** وفي الحديث[1]: (إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحوها نزلت[2] في رجل أصاب من امــرأة مــا دون الجماع فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره فنزل "أقم الصلاة" الخ فقال الرجـل: أليَّ هذا ؟ قال: لأمتي كلهم) **﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إلى اســتقم فمــا بعــده، **﴿ذِكْــرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾** عظة للمتعظين ، **﴿وَاصْبِرْ﴾** على حكم الله، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْــرَ الْمُحْسِنِينَ[3]﴾** وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- المحسنين أي: المصلين، **﴿فَلَــوْلاَ﴾** فهلا، **﴿كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ[4]﴾** يقال: فلان من بقية القــوم، أي: من خيارهم ، أي : هلا كان منهم من فيه خير ينهى عن الفساد؟ وهذا تحريض لأمــة محمد عليه الصلاة والسلام كما قال:" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" الآيــة (آل عمران:١٠٤)، **﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾** مــن في ممن للبيان ، أي : لكن قليلاً منهم[5] أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك وجــاز أن يكــون

---

(١) رواه الترمذي وغيره / ١٢ .[صحيح، وانظر صحيح الجامع]

(٢) كما في الصحيحين وغيرهما / ١٢ وجيز .

(٣) ولما أمر بالاستقامة وإقامة الصلاة ونهى عن الطغيان والميل إلى الظلمــة وبــين فــائدة الحسنات أراد حض الأمة على النهي عن الفساد ليكون خير أمة أخرجت للناس فقال: " فلولا " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) لما بين أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمران ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترفه ، أي: لم تهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللــذات واشــتغلوا بتحصيل الرياسات/ ١٢ كبير .

(٥) قدمنا وجه الأول وهو أن الاستثناء منقطع لأنه إذا كان متصلاً فالمختار الرفع/١٢منه .

الاستثناء متصلاً لأن التخصيص ملزوم للنفي، أي: ما كان فيهم أولو بقية كذا إلا قليلاً وهم من أنجيناهم ، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على ما دل عليه الكلام، أي: لم ينهوا عن الفساد واتبعوا، ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾ نعموا ، ﴿فِيهِ﴾ من الشهوات بتحصيل أسبابها فأعرضوا عن الآخرة، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين، وهذا سبب استئصالهم وإهلاكهم فلابد من الحذر عن مثل ما هم كانوا عليه، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ ما صح وما استقام له ، ﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾: بشرك ، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي: لا يهلكهم بمجرد الشرك إذا لم يضموا إلى شركهم فسادًا أو ظلمًا فيما بينهم؛ بل يترل عليهم العذاب إذا أفسدوا وظلموا[(١)] بعضهم بعضًا أو لا يهلكهم بظلم[(٢)] منه وهم مصلحون لأعمالهم فإنه سبحانه حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرمًا " وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم" (هود: ١٠) وهذا توجيه وجيه لا اعتزال فيه، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مسلمين كلهم ، ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الأديان والاعتقادات ، ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم أتباع الرسل تمسكوا بما أمروا به، ﴿وَلِذَلِكَ﴾ أي: للرحمة[(٣)] أو للاختلاف[(٤)] أو لهما[(٥)]، ﴿خَلَقَهُمْ﴾ الضمير لمن على الأول وللناس على الأخيرين، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قضاؤه وقدره، ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: من عصاهما، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أو منهما أجمعين لا من أحدهما، ﴿وَكُلاًّ﴾ التنوين عوض،

---

(١) كما نُقِلَ الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم / ١٢ وجيز.

(٢) على هذا التوجيه بظلم حال من الفاعل / ١٢ منه .

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك قال البغوي بعد نقل هذا القول: يعني الذين رحمهم / ١٢ .

(٤) قاله الحسن وعطاء / ١٢

(٥) قوله أو لهما يعني خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف وحاصل الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف / ١٢ معالم .

أي: كل نبأ، ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بيان لكلا أو صفة لنبأه المحذوف ومن للتبعيض، ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بدل بعض من كلا أو مفعول نقص، وكلا مفعول مطلق حينئذ، أي: كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك وتثبيت فؤاده زيادة يقينه واحتمال الأذى، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السورة، ﴿الحَقُّ﴾ خص هذه السورة تشريفًا وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور أو جاءك في هذه الدنيا الحق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى﴾ جاءتك فيها، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى: عمت فائدة تلك السورة لك ولأمتك، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: على طريقتكم تهديد شديد، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾: على حالنا، ﴿وَانتَظِرُوا﴾ بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن يحل بكم مثل ما نزل على أمثالكم أو انتظروا ما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ما يعدنا ربنا، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا يخفي عليه خافية، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ في المعاد ويمكن أن يكون معناه كل الأمور راجعة إلى خلقه وقدرته فهو الفاعل على الحقيقة للأشياء، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[1]﴾ فيجازي كلاً ما يستحقه.

والحمد لله وحده ..

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب فقال- صلى الله عليه وسلم-: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) أخرجه الطبراني والترمذى وحسنه، وعن أنس مرفوعًا [صحيح، وراجع الصحيحة]، و"هل أتاك حديث الغاشية" رواه البزار وعن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرءوا هود يوم الجمعة) أخرجه الدارمي وأبو داود والبيهقي وغيرهم/١٢ فتح .[وسنده ضعيف، وصنيعه يوهم أن أبا داود أخرجه في سننه، وليس كذلك، وإنما أخرجه في مراسيله]

سورة يوسف مكية

وهي مائة وإحدى عشرة آية واثنا عشر ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * ﴾

﴿**الـر تِلْكَ**﴾ إشارة إلى آيات السورة ، ﴿**آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ**﴾ : الواضح الجلي ، أو المفصح عن الأشياء المبهمة ، ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**﴾ أى : الكتاب ، ﴿**قُرْآناً**[1]﴾، حال ، فإنه مصدر بمعنى مفعول ، ﴿**عَرَبِيًّا**[2]﴾ صفة له ، أو حال[3] ،

---

(١) القرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض / ١٢ منه.

(٢) أخرج الحاكم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى قرآناً عربيًّا ثم قال : أُلهم إسماعيل هذا اللسان العربى إلهامًا / ١٢ فتوح .[المستدرك (٢/٤٣٩) وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي بأن فيه إبراهيم بن إسحاق، كان يسرق الحديث.]

(٣) من الضمير الذي في قرآنًا أو حال بعد حال / ١٢ منه .

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي : أنزلناه بلغتكم كى تفهموا معانيه ، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [1] ﴾ مصدر بمعنى الاقتصاص ، وأحسنيته في كونه بالغة في الفصاحة ، فيكون مفعولًا مطلقًا ، والمقصوص محذوف ، أو فعل بمعنى مفعول ، وأحسنيته لما فيه من النكت والحكم والعجائب ، فيكون مفعولًا به ، ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ : بإيحائنا ، ﴿إِلَيكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: السورة ، وهو إما مفعول الإيحاء ، أو مفعول نقص على الوجه الأول ، ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾: عن هذه القصة ، لا تعلمها ، وإن هى المخففة، ﴿إِذْ قَالَ﴾ بتقدير اذكر ، أو بدل اشتمال من أحسن القصص على تقدير مفعوليته، ﴿يُوسُفُ [2] لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ ﴾ تاء التأنيث عوض عن الياء ، ومن يفتح التاء ، فلأنه كان يا أبتا ، فحذفت الألف ، ﴿إِنِّي [3] رَأَيْتُ ﴾: من الرؤيا ، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَر [4]

---

(١) لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها فإن إحدى الفوائد: التي في هذه القصة أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدر الله تعالى ، وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العالم اجتمعوا عليه لم يقدروا على دفعه والفائدة الثانية: دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان والفائدة الثالثة: أن الصبر مفتاح الفرج كما أن يعقوب ويوسف فازا بصبرهما / ١٣ كبير .

(٢) ويوسف اسم عبرى، ولذلك لا يجرى عليه الصرف ، وقيل عربى، وسئل أبو الحسن عن يوسف فقال: الأسف فى اللغة الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا فى يوسف عليه السلام فسمى به /١٢ معالم .

(٣) وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتى عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا / ١٢ معالم .

(٤) سماهما باسمهما كأنهما ليسا من جنس الكواكب و لم يقل ثلاثة عشر /١٢ منه .

رَأَيْتُهُمْ[1] لِي سَاجِدِينَ﴾ استئناف[2] ، كأنه قيل : كيف رأيتهم ؟ فقال : رأيتهم لى ساجدين ، وأجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاقم ، وساجدين حال، ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ التصغير للشفقة ، ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾: يحتالون لإهلاكك حيلة ، حسدًا منهم ، فإنهم يعلمون تأويلها ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فيحملهم على الكيد ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾، كما اجتباك بهذه الرؤيا العظيمة ، ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: يصطفيك ، ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام برأسه غير داخل في التشبيه ، ﴿مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ، وقيل : تأويل آيات كتب الله – تعالى، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: بالنبوة ، ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أراد سائر أولاده ، ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: من قبل هذا الوقت ، ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لأبويك ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق النبوة ، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ
أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ
ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ
قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن
كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ
﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن

---

(١) وكان النجوم في التأويل إخوته وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم ، والشمس أبوه والقمر أمه قاله قتادة . وقال السدى : القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت/ ١٢ معالم .

(٢) فلا يكون فى رأيت تكرار / ١٢.

تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ
ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن
يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾
وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ
دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: في قصتهم ، ﴿آيَاتٌ﴾: عظة وعبرة ، ﴿لِّلسَّائِلِينَ[١]﴾: عنها المستخبرين ، فإنه خبر عجيب يستحق الإخبار عنه ، وقيل : اليهود سألوه ومن آياته وضوح دلالته على صدق محمد — عليه السلام — فإنه موافق لما في التوراة ، ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ اللام للابتداء ، ﴿وَأَخُوهُ﴾ أي : من الأبوين ، ﴿أَحَبُّ﴾ يستوي في أفعل ، من الواحد والجمع ، ﴿إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَ نَحْنُ﴾ الواو للحال ، ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة أقوياء ، أليق بالمحبة ، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيل المفضول أي : ضلال دنيوي، ولا يجب عصمة الأنبياء عن ذلك[٢] الضلال ،

(١) روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين : سلوا محمدًا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف فنزلت السورة /١٢ منه.

(٢) فلا يكون ذلك الإطلاق كفرًا منهم ، نعم يكون سوء أدب وقول حرام / ١٢ منه .

ولا شك أن إخوته ليسوا في ذلك[1] الحين أنبياء ، قال بعضهم : لم يقم دليل على أنهم صاروا أنبياء ، ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ من جملة المحكي ، ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ بعيدة منكورة ، وهو معنى تنكيرها ، ولإبهامها نصبت نصب الظروف المبهمة ، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ جواب الأمر ، يخلص لكم وجهه عن إقباله بيوسف ، فيقبل بكليته عليكم ، ﴿وَتَكُونُوا﴾ عطف على يخل ، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد يوسف ، ﴿قَوْماً صَالِحِينَ﴾: تائبين أو يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم ، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا ، أو روبيل ، أو شمعون، ﴿لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾: في قعر[2] البئر قيل : هو بئر بيت المقدس، ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه ، ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: المسافرين ، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ : عازمين على أن تفعلوا به شيئًا ، كأنه لم يرض بإضراره ، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أي: لم تخافنا عليه، ونحن مشفقون عليه مريدون له الخير ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً﴾: إلى الصحراء ، ﴿يَرْتَعْ﴾ الرتع الاتساع في الملاذ، ﴿وَيَلْعَبْ﴾: بالاستباق[3] ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: من أن يناله ضر ، ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾: لشدة مفارقته على ، ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فإن أرضهم كانت مذأبة ، ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾: مشتغلون بلعبكم ، ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ اللام موطئة للقسم ، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء والواو للحال ، ﴿إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾: ضعفاء عاجزون وهو جواب القسم ، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾: اتفقوا ، ﴿أَن يَجْعَلُوهُ

---

(١) فلا يجب عصمتهم ولا يشكل بقصدهم إهلاك أخيهم / ١٢ منه .

(٢) قيل: بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب أو بئر بين مصر ومدين أو بأرض أردن/ ١٢ منه.

(٣) بدليل قوله: "ذهبنا نستبق" / ١٢ منه .

فِي غَيَابَةِ الجُبِّ ﴾ وجواب لما محذوف ، أي : فعلوا به ما فعلوا ، ﴿وَأَوْحَيْنَا[1] إِلَيْهِ[2] لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا ﴾، لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا ، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾: بوحي الله وإعلامه إياه ذلك ، أو هم لا يعرفونك حين تخبرهم ، كما قال تعالى : " فعرفهم وهم له منكرون " ، ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾، العشاء: آخر النهار، ويبكون حال ، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في الرمي أو العدو ، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ ﴾: بمصدق، ﴿لَّنَا ﴾: في هذه القصة ، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾: عندك في القضايا لسوء ظنك بنا، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾، وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب، وعلى قميصه حال من دم ، وجاز تقدمه على صاحبه ، لأنه ظرف ، أو محله النصب على الظرف، أي : فوق قميصه ، كما تقول : جاء على جماله بأحمال ، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾:

---

(١) أى إلى يوسف تبشيرًا له وتأنيسًا لوحشته مع كونه صغيرًا احتمع على إنزال الضرر به عشرة رجال من إخوته بقلوب غليظة قد نزعت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة فإن الطبع البشرى ـــ دع عنك الدين ـــ يتجاوز عن ذنب الصغير ويغتفره لضعفه عن الدفع وعجزه عن أيسر شيء يراد منه ، فكيف بصغير لا ذنب له ، بل كيف بصغير هو أخ له ولهم أب مثل يعقوب ، فلقد أبعد من قال إنهم كانوا أنبياء فى ذلك الوقت فما هكذا عمل الأنبياء ولا فعل الصالحين ، وفى هذا دليل على أنه يجوز أن يوحي الله إلى من كان صغيرًا ويعطيه النبوة حينئذ كما وقع فى عيسى ويحيى بن زكريا ، وقيل : معنى الوحي هنا الإلهام كقوله تعالى " وأوحى ربك الى النحل " (النحل:٦٨)، " وأوحينا الى أم موسى " (القصص:٧)، والأول أولى وقد قيل: إنه كان فى ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال وهو بعيد جدًّا فإن من كان قد بلغ مبالغهم لا يخاف عليه أن يأكله الذئب /١٢ فتوح .

(٢) لوحشته فى الجب وشدة فيه/ ١٢ وجيز .

سهلت، ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ﴾: عظيمًا ، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾: أجمل، أو فأمري[١] صبر جميل، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾، أي : على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف ، وقد نقل أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا ثوبه بدمها فلما[٢] جاءوا بثوبه، قال يعقوب: ما رأيت كاليوم ذئبًا أحلم من هذا ، أكل ابني ، و لم يمزق عليه قميصه[٣]، ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾: مسافرون ، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾، وهو الذى يطلب لهم الماء ، ﴿فَأَدْلَى ﴾: أرسل ، ﴿دَلْوَهُ ﴾، في الجب فتدلى بها يوسف فلما رآه، ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾: نادى البشرى :كأنه يقول : تعالى فهذا من أونتك ، قال بعضهم: بشرى اسم صاحب له ناداه[٤]، ﴿هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ ﴾: أخفى الواردون أمره من بقية السيارة ، ﴿بِضَاعَةً﴾ ، حال ، أي متاعًا للتجارة ، قالوا : هو بضاعة لنا من أهل هذا الماء ، أو ضمير الجمع لإخوة[٥] يوسف أى كتموا أنه أخوهم، وباعوه، فإنهم يستخبرون كل يوم منه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾: بيوسف ، ﴿وَشَرَوْهُ ﴾: باعه الواردون أو إخوته ، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: زيف[٦] أو قليل ، ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾: قليلة، بدل من الثمن ، والدراهم عشرون أو اثنان وعشرون أو أربعون ، ﴿وَكَانُوا ﴾، أي : إخوته ، ﴿فِيهِ ﴾:

---

(١) يعنى فصبر جميل إما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف / ١٢

(٢) فأخذ يعقوب بثوبه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمل وقال: ما رأيت إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) ثم قال: "بل سولت" / إلخ ١٢.

(٤) قيل تعلقه بالحبل وإخراجه من الجب دال على صغر سنه ، وغلام يرجح هذا المعنى ، لأنه ابن سبعة عشر / ١٢ .

(٥) قاله ابن عباس قيل: إن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام ، فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر إخوته فجاءوا إلى السيارة ووجدوه عندهم فقالوا: هذا عبدنا أبق منا فاشتروه وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه / ١٢ منه .

(٦) ناقص العيار/ ١٢ .

في يوسف ، ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ : من الراغبين عنه أو كان الـــــواردون زاهديــــن في يوسف فهم الذين باعوا بثمن بخس ، لأنه ملتقط وهم خائفون من انتزاعه فاســـتعجلوا في بيعه فيكونوا راغبين عنه وفيه متعلق بمحذوف يبينه من الزاهدين ، لأن ما بعد الجـار والموصول لا يعمل فيما[1] قبله .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ ﴾

---

(١) وجوز صاحب البحر تعليقه بالزاهدين وقال: في الظرف اتساع/ ١٢ وجيز .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو العزيز[1] الذى كان على خزائن مصر ، ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾: راعيل أو زليخا ، ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾: منزله ، أي : أحسني تعهده ، ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنَا﴾: يكفينا أمورنا أو نبيعه بالربح ، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان عقيمًا ، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أي : مكناه في مصر ، وجعلناه ملكًا ، مثل ما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾، عطف على مقدر أى: مكنا لمصالح ولنعلمه ، ﴿مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا وقيل: معانى كتب الله تعالى ، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء قيل : الضمير ليوسف أى أراد إخوته شيئًا والله أراد شيئًا آخر ولا راد لما أراد ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: إن الأمر كله بيده، والمراد منه الكفار أو لا يعلمون لطائف تدبيره ، فالمراد منه أعم ، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: استكمل خلقه وتم كان سنه حينئذ ثلاثة وثلاثين أو بضعًا وثلاثين أو عشرين أو أربعين أو هو الحلم وقيل غير ذلك ، ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: نبوة وفقهًا في الدين ، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: فإنه محسن في عمله صابر على النوائب ، ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: طلبت[2] منه أن يواقعها ، ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ وكانت سبعة ، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: أقبل وبادر اسم فعل واللام للتبيين كما في سقيالك ، ﴿قَالَ﴾: يوسف ، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾:

---

(١) والملك غيره / ١٢ .

(٢) من راد يرود إذا جاء وذهب والمراودة منازعة فى الرود بأن يكون له مقصدًا مجيئًا وذهابًا ومعنى المفاعلة هاهنا إما المبالغة فى رودها أو الدلالة على اختلافهما فيه وكنى ، بمن المخادعة لأجل النكاح ولأجل ذالك عداه بعن كأنه قال: وخادعته عن نفسه و لم يصرح باسمها سترًا على الحرم والعرب يضيف البيوت للنساء فيقال: ربة البيت، وصاحبة البيت / ١٢ وجيز .

أعوذ بالله معاذًا ﴿إِنَّهُ﴾، أي : الشأن ، ﴿رَبِّي﴾: سيدي الذي اشتراني ، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أكرمني فلا أخونه وقيل إن الله ربي أحسن مترلتي فلا أعصيه ، ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾: المجازون الحسن بالسيئ أو لا يسعد الزناة ، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ[1] بِهِ﴾: قصدت مخالطته ، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قصد مخالطتها لميل الطبع والشهوة الغير الاختياري ، ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جوابه[2] محذوف أي لخالطها وما ذكره أكثر السلف هو أن رأى صورة أبيه عاضًا على أصبعه[3] يعظه ، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل

---

(١) نقل محيي السنة عن بعض أهل الحقائق أن الهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به ، وهم غير ثابت وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به / ١٢ منه /.
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل:" إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها سيئة / ١٢ معالم .[أخرجه البخاري في "الرقاق" (٦٤٩١)، ومسلم في "الإيمان"، (١/٣٣٥)]

(٢) قال صاحب البحر ونعم ما قال: أن جواب لولا هو هو عين المقدم أو دل عليه المقدم وليس فى كلام العرب ولا فى قواعد النحو ما بينا فى ذلك نحو فارقت لولا أن عصمك الله معناه لولا العصمة لفارقت فتقديره هنا لولا أن رأى برهان ربه لهم لكن ما هم لرؤية برهان ربه فمن يجوز تقديم الجواب فقوله هم بها نفس الجواب ومن لم يجوز فمحذوف دال عليه المقدم نحو "إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها" (القصص:١٠)، هذا هو الكلام و لم يصح من أقوال السلف شيء دال على همه عليه السلام/ ١٢ وجيز .

(٣) قال في الفتح بعد ما ذكر الاختلاف: والحاصل أنه رأى شيئًا حال بينه وبين ماهم به والله أعلم بما هو وقد أطال المفسرون فى تعيين البرهان الذى رآه بلا دليل يدل عليه من السنة المطهرة / ١٢ .[لم يثبت في ذلك شيء يشتغل به]

ذلك التثبيت ثبتناه ، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾: خيانة صاحبه ، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنا، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ، من الذين اخلصهم الله تعالى لعبادته ، ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ فيه تضمير الابتدار ولذلك عدى بنفسه أو تسابقا إليه بحذف إلى ، ﴿وَقَدَّتْ﴾ : شقت ، ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾: من خلف ، وذلك لأنه فر منها وأسرعت وراءه واجتذبت ثوبه لتمنعه الخروج فانقد ، ﴿وَأَلْفَيَا﴾: صادفا ، ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها ، ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ فأحضرت كيدها وتبرأت ساحتها ونسبت إليه ، ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ليس جزاؤه إلا السجن أو أي شيء جزاؤه[(١)] إلا السجن ، ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الشاهد كان صبيًّا في المهد أو رجلًا من أقارب زليخا أو من خاصة الملك ، ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ﴾ أي: فقال الشاهد: إن كان قميصه وسماه شاهد ، لأنه ثبت قول يوسف بكلامه قال بعضهم : شهد شاهد أى : حكم[(٢)] حاكم فقال : إن كان إلخ ، ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾: فإنه إذا كان تابعها وهى دافعة عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع ، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فإنه دال على أنها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه إليها والجمع بين إن التي للاستقبال وكان على تأويل أن يعلم أنه كان قميصه ، ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ﴾: لما عرف خيانة امرأته ، ﴿إِنَّهُ﴾: إن هذا الصنيع ، ﴿مِن

---

(١) يعنى "ما" فى ما جزاؤه جاز أن يكون نافية وجاز أن يكون استفهامية / ١٢ .

(٢) هذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية العوفى عن ابن عباس وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم "أن شاهد يوسف طفل تكلم" / ١٢ منه .[أخرجه الحاكم (٢/٤٩٦)، وضعفه الشيخ الألباني كما في الضعيفة (٢/٢٧٢)]

كَيْدِكُنَّ ﴾ والخطاب لها ولسائر النساء ، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ[1] ﴿ يُوسُفُ ﴾ أي : يا يوسف ، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾: اكتمه ولا تذكره ، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ ﴾: من القوم المتعمدين للذنب والتذكير للتغليب قيل: إنه كان قليل[2] الغيرة .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

---

(١) وحيل النساء قد اشتهرت قال تعالى: " ومن شر النفاثات في العقَد" (الفلـــق:٤)/ ١٢ وجيز .

(٢) ولا شك أنه كان قليل الغيرة قال صاحب البحر تربة المصر اقتضت هذا ولذلك لا ينشأ فيها الأسد ولو أتى به إليها لأسرع له الموت وليس ببعيد أن يقـــال : إن قولـــه : إن كيدكن بصيغة الجمع براعة الاستهلال عذرها كأنه قال : مثل تلك الشنيعة ليست بأول قارورة كسرت منك فإنها عادة جميع النساء/ ١٢ وجيز .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾، اسم مفرد لجمع[1] المرأة وتأنيثه غير حقيقى ، ﴿فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: تطلب من عبدها الفاحشة ، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، أي : خرق[*] حبه شغاف أي : حجاب قلبها ، فوصل إلى الفؤاد ، وحبًّا تمييز ، وفاعل شغف ضمير الفتى ، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾، تسميته مكرًا لما علمت أنهن أردن بهذا القول أن تريهن يوسف أو لأنهن أفشين[2] سرها ، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهن ، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا[3]﴾ : ما يُتَّكَأُ عليه قال أكثر السلف المتكأ المجلس المعد فيه مفارش ومخاد[4] وطعام فيه ما يقطع بالسكين ، ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: لقطع ما في المائدة مما يحتاج إليه ، ﴿وَقَالَتِ﴾: حين أخذن السكاكين: ﴿اخْرُجْ﴾: يا يوسف ، ﴿عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه وهبن ذلك الحسن وقيل: أكبرنه أى : حضن له من شدة الشبق فإن المرأة إذا أكبرت حاضت أو الهاء للسكت ، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها من فرط الحيرة ، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: أصله حاشا فحذفت الألف تخفيفًا وهى من حروف الجر وضعت موضع التتريه والبراءة كأنه قال : براءة ثم قال : لله؛ لبيان من يبرئ ويتره كسقيا لك والمعنى تتريها لله من العجز وتعجبًا من قدرته على هذا الخلق الجميل ، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: فإنه لم يعهد للبشر مثل ذلك الجمال

---

(١) كلمة اسم لجماعة النساء أيضًا ولهذا لم يقل وقالت / ١٢ منه .

(*) في الأصل (خرف) ص٣٣٢.

(٢) يعني هي استكتمتهن فأفشينه عليها / ١٢ .

(٣) يقال اتكاؤنا عنده : أى طعمنا وعن مجاهد متكأ طعاما يجز جزًّا كأن المعنى يعتمد بالسكين لقطعه/١٢ .

(٤) جمع مخدة بالكسر / ١٢ .

وأعمل ما عمل ليس لمشاركتهما في نفى الحال وهو لغة الحجاز ، ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فإن[1] جماله فوق جمال البشر ، ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ وضع ذلك موضع هذا رفعًا لمنزلته واستبعاداً لمحله في الحسن ، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: بالغ في عصمته اعترفت عندهن لما علمت أنهن يعذرنها ، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ بحذف حرف الجر أي : ما أمر به ، ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾: من الأذلاء والنون الخفيفة يكتب في خط المصحف ألفًا على حكم الوقف ، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾: من المعصية أصناف الدعوة إليهن لأنهن تنصحن له مطاوعتها ، ﴿وَإِلاَّ﴾ أى : وإن لم ، ﴿تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ : أمل ، ﴿إِلَيْهِنَّ﴾ بإجابة كلامهن، وقيل: إنهن جميعًا دعونه إلى أنفسهن ، ﴿وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ[2]﴾ : من السفهاء الذين يعملون القبائح ، ﴿فَاسْتَجَابَ﴾: أجاب ، ﴿لَهُ رَبُّهُ﴾ : دعاءه ، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: بأن عصمه الله حتى اختار السجن ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لدعوات الملتجئين إليه ، ﴿العَلِيمُ﴾: بأحوالهم ، ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾: ظهر للعزيز وأصحابه ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ[3]﴾: على براءة يوسف من قدَّ القميص وكلام الطفل

---

(١) أخرج أحمد وغيره عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أعُطى يوسف وأمه شطر الحسن" وقد وردت روايات عن جماعة من السلف فى وصف حسن يوسف والمبالغة فى ذلك / ١٢ فتح .[أخرجه أحمد (٣/٢٨٦)، والحاكم (٢/٥٧٠) وغيرهما وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي، ولفظ مسلم (١/٣٩٠) كما في حديث الإسراء: "فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطى شطر الحسن".]

(٢) لأن من لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء / ١٢ .

(٣) نقل عن ابن عباس أنها قالت لزوجها : هذا الغلام العبرانى قد فضحنى وهو يحكى عند الخلق الحكاية ، وأنا محبوسة [في الأصل: (محبوس)] بى بيتك محجوبة عن الخلق لا أقدر =

وغيرهما وفاعل بدا ضمير يفسره قوله ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ أى: إلى مدة يرون فيه رأيهم فإن المرأة خدعت لزوجها وحملت على سجنه ليظهر للناس أنه راودها عن نفسها .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ
أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ
مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ
خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟
إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ
ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن
رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا

= أروح إليهم وأعتذر وأكذبه فإما أذنت لي أخرج وأعتذر أو احبسه كما أني محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه وأمر به فحمل على حمار وضرب أمامه بالطبل ونودي عليه في الأسواق إن هذا الغلام العبراني يريد خيانة سيده فجزاؤه أن يسجن قال أبو صالح : ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى /١٢ وجيز.

ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه اتهما بأنهما يريدان إهلاك الملك بالسم ، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ أى: الشرابى ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾: في المنام ﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾ أي : عنبًا سماه باسم ما يئول إليه ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ أي : الخباز ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ : أخبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ : بتعبير ما قصصنا قال بعضهم : إنهما اخترعا تلك الرؤيا لاختبار يوسف ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ : في أعمالك وأقوالك أو من الذين يحسنون تعبير الرؤيا ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ : في نومكما ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا(١)﴾ التعبير في اليقظة أو معناه لا يأتيكما طعام من بيتكما تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بقدره ولونه ووقته قبل وصوله إليكم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: "وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم" (آل عمران:٤٩) ﴿ذَلِكُمَا﴾ : العلم ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: لا من التكهن والتنجيم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ(٢)﴾ كأنه قال علمنى لأنى تركت ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم

---

(١) وصف نفسه بمزيد تعبير الرؤيا مما هو فوق علم العلماء فقالا: من أين لك هذا وأنت لست بكاهن ولا منجم؟! فقال : " ذلكما " الآية، وما قال ذلك إلا لأن يشرب فى قلوبهم الإيمان ويبغض لهما الشرك وفى الحديث:"لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير، لك من حمر النعم" / ١٢ وجيز .[أخرجه البخاري في "الجهاد"، (٣٠٠٩)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل"، (٥/٢٧١) ط الشعب]

(٢) عبر بتركت مع أنه لم يثبت قط بتلك الملة إجراء للترك مجري التجنب من أول أمره استجلاًيا لهما لأن يتركا وقوم لا يؤمنون هم أهل مصر / ١٢ وجيز .

بالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ لتأكيد كفرهم كرر الضمير ﴿وَاتَّبَعْتُ[1] مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ : ما صح وما استقام ، ﴿لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أيُّ شيء[2] كان ﴿ذَلِكَ﴾ : التوحيد ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ : على الرسل والمرسل إليهم فإنهم أرشدوهم إلى فضل الله ونبهوهم عليه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ ذلك الفضل، بل يعرضون عنه ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ : ياساكنيه[3] دعاهما إلى الإسلام فقال: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ : آلهة شتى واحد من فضة وواحد من ذهب وواحد من حديد وواحد من حجر ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ[4] القَهَّارُ ﴾ : الذى ذل كل شيء لعز جلاله ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ﴾: من دون الله خطاب لهما ولمن على دينهما ﴿إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ إلا أسماء خالية عن المعنى لا مسميات تحتها فإنهم سموا ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم يعبدونها ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ : بتسميتها ، ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ : حجة ﴿إِنِ الحُكْمُ﴾ : الأمر والنهي ﴿إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ﴾ : على لسان أنبيائه ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ : المستقيم الذى لا عوج فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

---

(١) لما ذكر رفض الشرك وعرفهما بالمعجزة نبوته أثبت لهما أنه من بيت النبوة ليتقوى رغبتهما فى الاستماع إليه / ١٢ وجيز .

(٢) من ملك وإنس وجن / ١٢ وجيز .

(٣) نحو أصحاب الجنة أو معناه يا صاحبيَّ فيه فإضافتهما إليه على الاتساع نحو:" يا سارق الليلة" / ١٢ منه .

(٤) أبرز بطلان ما هما عليه من الشرك فى صورة الاستفهام حتى لا ينفر طبعهما من المفاجأة بدليل البطلان وجاء بصفة القهار؛ لأن يخافوا من سطوته ومن لا يكون له الغلبة والقدرة لا يستحق الألوهية/ ١٢ وجيز .

﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ : فيهلكون في جهالتهم ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ[1] أَمَّا أَحَدُكُما﴾ أى: الشرابى ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾ : يعود منصبه إليه ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ أى: الخباز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ قال بعضهم : لما عبر رؤياهما قالا: ما رأينا شيئًا فقال : ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ : هذا ما يئول إليه أمركما وهو لا محالة واقع صدقتم أو كذبتم وفى الحديث "الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت[*]" وأيضًا "الرؤيا لأول عابر[**]" ﴿وَقَالَ﴾ : يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ : علم يوسف ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ : أو الظان الشرابى ﴿اذْكُرْنِي﴾ : أذكر حالى ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي : الملك كى يخلصنى[2] ، ﴿فَأَنسَاهُ﴾ أي : الشرابى ، ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أي : ذكره لربه أو معناه أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه فاستعان بغير[3] الله تعالى ، ﴿فَلَبِثَ فِي

---

(١) لما ألقى إليهما(*) ما كان أهم من أمر الدين ناداهما ثانيًا لتجتمع أنفسهما لسماع الجواب/ ١٢ وجيز .

(*) في الأصل: إليها.

(*) صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه عن أبي رزين مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (٣٥٣٥)، والسلسلة الصحيحة .

(**) ضعيف أخرجه ابن ماجه (٣٩١٥)، من حديث أنس مرفوعا، وانظر ضعيف ابن ماجه .

(٢) من جور امرأة العزيز / ١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن عباس وعليه الأكثرون / ١٢ .[وهو قول ضعيف، والصواب كما قال ابن كثير (٢/٤٨٠) أن الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد.]

السِّجْنِ بِضْعَ[1] سِنِينَ ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع وأكثرهم على أنه سبع سنين[2] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ

---

(١) وعن أنس قال : أوحى إلى يوسف من استنقذك من القتل حين هَمَّ إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من الجب إذ ألقوك فيه؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك ، قال أنت يا رب قال : فمالك نسيتنى وذكرت آدميًا قال: جزعًا وكلمة تكلم بها لسانى ، قال : فوعزتى لأخلدنك فى السجن بضع سنين، فلبث فيه سبع سنين أخرجه ابن أبى شيبة وعبد الله بن أحمد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ / ١٢ فتح .[الأثر لا يصح، قال د/ أبو شهبة رحمه الله معلقا على هذا الأثر وأضرابه: أغلب الظن عندي أن هذا من الإسرائيليات، فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها، مع أنه –عليه السلام– لم يقل هجرا ولا منكرا، فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي إظهار البراءة والحق، لا ينافي قط التوكل على الله والبلاء للأنبياء ليس عقوبة وإنما هو رفع لدرجاتهم، وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم في باب البلاء" الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة (ص٢٣٠).]

(٢) منذ سجن إلى أن خرج / ١٢ وجيز .

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿وَقَالَ المَلِكُ[1]﴾ : بعد مضى سبع سنين ، ﴿إِنِّي أَرَى[2] سَبْعَ بَقَرَاتٍ[3] سِمَانٍ﴾: وسبع بقرات مهازيل ، ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ[4] عِجَافٌ﴾: ابتلعت المهازيل السمان والعجف نهاية الهزال ، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقد حبها ، ﴿وَأُخَرَ﴾ أى : وسبعًا أخر ، ﴿يَابِسَاتٍ﴾ : قد استحصدت والتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن[5] عليها ،﴿ يَا أَيُّهَا المَلأُ﴾ أى: الأشراف من العلماء والحكماء ، ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ : عبروها ، ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ : عالمين بتعبيرها واللام لتقوية العامل فإن معموله مقدم عليه فضعف عمله فقوى باللام أو لتضمين تعبرون معنى تنتدبون[6] ، ﴿قَالُوا﴾ : هذه ، ﴿أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾: أضغاث الأحلام تخاليطها وأباطيلها والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا لتضمنه أشياء

---

(١) الأعظم / ١٢ .

(٢) فى أرى جاء بالمضارع لحكاية الحال / ١٢ وجيز .

(٣) خرجن من نهر يابس / ١٢ وجيز .

(٤) وقياس جمع العجفاء عجف لكنه حمل على سمان الذى هو نقيضه وقال: عجاف ومن دأبهم حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير / ١٢ وجيز .

(٥) قد استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات / ١٢ .

(٦) ندب فانتدب أى: دعاه فأجاب كأنه قيل : إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها / ١٢ منه .

مختلفة جمعوا وإن لم يكن إلا حلم واحد أو للمبالغة[1] في وصف الحلم بالبطلان، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ﴾ أي: ذلك الأحلام التى هى الأضغاث ، ﴿بِعَالِمِينَ﴾ أو المراد أنهم اعترفوا بالعجز وقالوا لسنا في علم التعبير بنحارير، ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾: من صاحبى السجن ، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: تذكر يوسف بعد جماعة كثيرة من الزمان يعنى مدة طويلة ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾: إلى من عنده علمه فأرسل إليه فجاء وقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصدق ، ﴿أَفْتِنَا فِي﴾: رؤيا ، ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾: إلى الملك وأهله ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويلها أو فضلك ولما جرب كمال علمه كلمه كلام محترز وبناه على الرجاء لا على اليقين فربما اخترم[2] دون الرجوع وربما لم يعلموا ، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً[3]﴾: على عادتكم حال ، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: لئلا يفسد ويحفظ من السوس، ﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: في تلك السنين ، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾: السبيع ، ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾: أصناف الأكل إلى السنين وهو لأهلهن على المجاز ، ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: ما ادخرتم لأجلهن ، ﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون للبذر والظاهر أن قوله: "تزرعون" على أصله بدليل قوله: "ثم يأتي" لا أنه[4] خبر بمعنى الأمر

---

(١) كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز وليس له إلا فرس واحد وعمامة فردة تزيدًا فى الوصف / ١٢ وجيز .

(٢) أى: ربما قطعه قاطع عند الرجوع فلا يرجع / ١٢ منه .

(٣) أى: دائبين مستمرين على عادتكم / ١٢ .

(٤) رد على الزمخشرى ومن تبعه فإنه قال : تزرعون خبر بمعنى الأمر بدليل قوله: "حصدتم" إلخ ، وأيضًا إذا كان أمرًا فأين تعبير الرؤيا فإن تعبير الرؤيا لا يكون إلا الإخبار فتضمن هذا الكلام من يوسف ثلاثة أنواع من القول أحدها: تعبير بالمعنى، الثانى: عرض رأي =

وقوله: "فما حصدتم" اعتراض لاهتمامه عليه الصلاة والسلام بشأنهم يأمرهم بما فيه صلاحهم في أثناء التأويل ، **﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾** من الغيث أى : يمطرون ، **﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾** : العنب والزيتون وما يعصر قال بعضهم : ويدخل فيه حلب اللبن أيضًا، أوَّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بمجدبة وأكل العجاف السمان بأكل ما جمع في المخصبة في المجدبة ثم بشرهم بما يكون بعد المجدبة بإلهام الله تعالى إياه لا من تأويل رؤياه .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

= ونصح وهو قوله: "فما حصدتم فذروه فى سنبله"، والثالث: الإعلام بالغيب فى العام الثامن وهو قوله: "ثم يأتي" / ١٢ وجيز.

﴿وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: بعد مراجعة الرسول ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه ، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى الملك ، ﴿فَاسْأَلْهُ[1] مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أراد أن يعلم الملك براءة ساحته ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبًا واحترامًا وهن يعلمن أيضًا براءته بإقرارها عندهن وفى الحديث[2] "لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى" وفيه[3] أيضًا "لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه ــ والله يغفر[4] له حين سئل عن تعبير الرؤيا ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشترط أن يخرجونى" ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: حين قلن : أطع مولاتك، فيه الاستشهاد بعلم الله تعالى على براءته أو الوعيد لهن على كيدهن أو تعظيم كيدهن ، ﴿قَالَ﴾: الملك لهن، ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنكن، ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾: هل وجدتن منه سوءً خاطبهن والمراد الأصلى امرأة العزيز ، ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تعجبًا من عفته ونزاهته ، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ

---

(١) لم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن لأن السؤال عن أحد يهيجه ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد تهييج الملك فى التفتيش والتبيين عن حقيقة القصة، وأيضًا هذه العبارة أقرب من الأدب / ١٢ منه .

(٢) المخرج للبخارى ومسلم والترمذي / ١٢ منه .[أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٨٧)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل"، (٥/٢١٨) ط الشعب]

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده والترمذى / ١٢ .[هذا لفظ عبد الرزاق في مصنفه أخرجه عن عكرمة مرفوعا، كذا مرسلا كما في تفسير ابن كثير (٢/٤٨٢)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (٧/٤٠) وعزاه إلى الطبراني وقال: "فيه إبراهيم بن يزيد القرشي وهو متروك"، ولفظ أحمد مغاير تماما]

(٤) مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم المخاطبة وتوقيره وتوفر حرمته كما تقول عفى الله عنك ما فعلت فى أمرى ورضى الله عنك ما جوابك عن كلامى / ١٢ .

قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ: ثبت واستقر ، **الحَقُّ** قيل : أقبلن كلهن عليها فقررنها ، **أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**[١] **ذَلِكَ**: الذى فعلت من رد الرسول ، **لِيَعْلَمَ**: العزيز ، **أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**: بظهر الغيب حال من الفاعل أى: وأنا غائب أو من المفعول أو ظرف أى : بمكان الغيب ، **وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي**: لا ينفذ ولا يسدد ، **كَيْدَ الخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي** عن السلف أنه لما قال : ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت[٢] فقال ذلك ، **إِنَّ النَّفْسَ**: بطبعها ، **لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي** إلا وقت رحمة ربى أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه ، **إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** قال بعضهم: قوله: "ذلك ليعلم" إلخ من كلام امرأة العزيز أى : اعترفت بما هو الواقع ليعلم زوجى أنى لم أخنه وما صدر منى المحذور الأكبر وإنما راودته مراودة فامتنع ولست أبرئ نفسى فإن النفس تتمنى وتشتهى ولذلك راودته: لأنها أمارة بالسوء إلا نفس من عصمه الله تعالى إنه غفور حليم وعند بعض المفسرين إن هذا القول أليق[٣] وأقرب ، **وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**:

---

(١) فيما نسب إلى / ١٢ .

(٢) أراد أن الأليق بشأن النبوة الاجتناب عن الهم وإن كان غير محظور فأجاب "وما أبرئ" / ١٢ وجيز من مصنف جامع البيان .

(٣) لأن الظاهر أن قوله: " ذلك ليعلم " من كلام امرأة العزيز داخل تحت قالت تعنى اعترفت بالحق، ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى غيبته و لم أرمه بالبهتان الذى رميته به خوفًا وحياء من بعلى ثم اعتذرت عما وقعت فيه من الميل والشهوة بقولها: " وما أبرئ نفسى " فإن النفس تتمنى وتشتهى ولذلك راودته لأنها أمارة بالسوء إلا نفس من عصمه الله إنه غفور للمذنب رحيم ومن ذهب إلى أن قوله: "ذلك ليعلم" من كلام يوسف يحتاج =

بيوسف ، ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾: أجعله خالصًا ، ﴿لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾: أتوا به ، ﴿كَلَّمَهُ﴾ وشاهد منه الكمال ، ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو منزلة ، ﴿أَمِينٌ ﴾ ، مؤتمن على الأشياء صادق ، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾: ولني أمر خزائن[1] أرض مصر ، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: لها، ﴿عَلِيمٌ ﴾ بوجوه التصرف فيها وقيل: حفيظ عليم كاتب حاسب أو عليم بسنين الجدب وسأل العمل لما في ذلك من مصالح الناس ليتصرف لفهم في القحط على الوجه الأحوط قيل:[2] إن العزيز توفى أو عزل فجعل الملك يوسف مكانه فزوجه امرأته زليخا فوجدها عذراء وولد له منها ابنان ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾: أرض مصر ، ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا﴾: ينزل ، ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾: بعد الضيق والحبس أو يتصرف فيها كيف يشاء ، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾، فما أعد الله ليوسف في الآخرة أعظم وأجل مما[3] خوله في الدنيا .

= إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ولا قرينة على أنه من كلام يوسف إذ لم يكن يوسف حاضرًا وقت سؤال الملك وإقرار امرأة العزيز / ١٢ وجيز .

(١) قال مجاهد : أسلم الملك على يده، أو نقول التولى من يد الكافر جائز إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا باستظهاره / ١٢ وجيز .

(٢) نقله محيي السنة / ١٢ .

(٣) لما روى أن الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه وأجلسه على سرير مكلل بالدر والياقوت ودانت له الملوك وهو بنفسه يطيعه وأقام العدل وأحبه الرجال والنساء وباع الطعام لأهل مصر في السنة الأولى من القحط بالنقد ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع ثم برقابهم وجاز ذلك في شرعهم ثم قال للملك: كيف ترى صنع الله بي فيما خولني فما ترى؟ قال: الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أموالهم/ ١٢ وجيز .

﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ
ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ
سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ
خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ
رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا
وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ
حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ
قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ
وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا
لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ
أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ
يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ ، لما ولاه ملك مصر الوزارة العدل اجتهد في العدل وتكثير الزراعات فدخلت السنون المجدبة وعم القحط حتى وصل بلاد كنعان

فجاءه إخوته ليشتروا منه الطعام ، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾: يوسف ، ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ لم يعرفوه فإنه قد تقرر في أنفسهم هلاكه وكان مدة المفارقة أربعين سنة ، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ[1]﴾: أصلحهم بعدتهم وأوفر حمولاتهم بما جاءوا له ، ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ لما دخلوا عليه قال كالمنكر عليهم: لعلكم عيون جواسيس قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد نبى من أنبياء الله تعالى قال : كم أنتم؟ قالوا: كنا إثنى عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وله أخ من أمه احتبسه أبوه ليتسلى به عنه قال: ائتونى به حتى أعلم صدقكم، ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ﴾: أتمه ، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾: المضيفين[2] ، ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾: ليس لكم عندى طعام أكيله لكم ، ﴿وَلاَ تَقْرَبُونِ ﴾: لا تدخلوا بلادى وهو إما عطف على الجزاء أو نهى ، ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نلح في طلبه من أبيه ، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾: ما وعدناك ، ﴿وَقَالَ﴾: يوسف ، ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾: لغلمانه ، ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: ثمن[3] طعامهم ، ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: بأنها بضاعتهم ، ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وفتحوا أوعيتهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إذا عرفوا ذلك فإنهم لا يستحلون إمساكها أو إذا عرفوا كرامتهم علينا وبرنا عليهم أو فعل ذلك حذراً من ألا يكون عندهم بضاعة أخرى

---

(١) أصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للسفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها/ ١٢ وجيز .

(٢) فى هذا العصر والزمان ثم توعدهم بقوله: "فإن لم تأتوني به" / ١٢ .

(٣) قيل: كانت بضاعتهم النعال والأدم وفيه شبهة والظاهر أن متاعهم شيء صغير الجثة قليل الوزن حيث لم يعرفوا أنه في حملهم إلى بلادهم ودوابهم قادرات على حملها مع الكيل/١٢.

فلا يمكن لهم الرجوع أو رأى لؤم أخذ الثمن من أبيه وإخوته مع حاجتهم ، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: بعد ذلك إن لم نذهب بأخينا ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نحن وهو الطعام، ونرفع المانع من الكيل ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ فإنكم ذكرتم في يوسف مثل ما ذكرتم هنا بعينه فهل يكون أماني هنا إلا كأمني هنالك أى كما لا يحصل الأمان هناك لا يحصل هنا ، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً﴾ فاعتمد عليه ونصبه على التمييز ، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾: فالله أسأل أن يرحمني بحفظه ، ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أى: لا نطلب أو أى شيء نطلب وراء ذلك من الإحسان قيل: لا نبغي منك شيئًا في ثمن الكيل وقيل: هو من البغي بمعنى الكذب أى : لا نبغي في القول ولا نتزايد فيه ، ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ استئناف موضح لما نبغى ، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ مار أهله حمل إليهم الطعام من بلد آخر عطف على محذوف أى : ردت إلينا فنستظهر بها ونمير ويحتمل عطفه على ما ينبغى إذا كانت نافية ، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المكاره ، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: حمل بعير من الطعام لأن يوسف إنما يعطى كل شخص وقرا ، ﴿ذَلِكَ﴾: الذى جئنا به ، ﴿كَيْلٌ﴾: مكيل ، ﴿يَسِيرٌ ﴾: قليل لا يكفينا أو ذلك أى : كيل بعير شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ، ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ ، تعطون ، ﴿مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهدًا مؤكدًا بذكر الله تعالى ، ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ جواب القسم إذ معناه حتى تحلفوا لتأتُنَّنى، ﴿إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن تغلبوا فلا تقدروا على إتيانه أو إلا أن تهلكو جميعًا أي: لتأتنني على كل حال إلا حال الإحاطة بكم ، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾: يعقوب، ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾: من العهد، ﴿وَكِيلٌ ﴾: مطلع ويمكن أن يكون معناه الله تعالى وكيل على حفظ ذلك العهد نَكِلُ أمره إليه ، ﴿وَقَالَ يَا

بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لأن لا يصيبكم[1] العين ، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن[2] شَيْءٍ﴾ ، أي: لو أراد الله بكم سوءًا لا يدفع عنكم ما قلت لكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أى : من أبواب متفرقة في البلد ، ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي﴾: يدفع دخولهم متفرقين ، ﴿عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من قضاءه عليهم ، ﴿مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ استثناء منقطع أى : لكن حاجة أى: شفقة في نفسه قضاها أى: أظهرها ووصى بها، أو معناه ما دفع عنهم بسبب دخولهم كذلك إلا إصابة العين وهى الحاجة التى[3] في نفس يعقوب ، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾: لذو يقين أو لذو عمل ، ﴿لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أن يعقوب لذو علم فإن المشركين لا يعلمون ما ألهم الله أولياءه .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ

---

(١) فإنهم لو كانوا مجتمعين لزاد فى أعين الناس عظمتهم قيل: لم يوصهم فى الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين وليس فيهم أيضًا أخو يوسف الذى هو مطرح حبه / ١٢ منه .

(٢) أي شيئًا فقد أصابهم ما شاء بهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك و تضاعف المصيبة بأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله / ١٢ منه .

(٣) على هذا الاستثناء متصل أى : ما دفع عنهم إلا العين لكن وصل إليهم مصائب / ١٢ منه.

زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَآؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ[1] أَخَاهُ﴾ من أبويه في مترله وأجلسه معه في مائدته واسمه بنيامين **﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾**: ولا تحزن ، **﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**: في حقنا فيما مضى ، **﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾**: أصلحهم بعدهم ، **﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾**: المشربة[2] ، **﴿فِي رَحْلِ[3] أَخِيهِ﴾**: من أبويه وهي من

---

(١) روى أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال: أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى فقال يوسف: بقي أخوكم وحيدًا فأجلسه معه على مائدته وجعل يوآكله وقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك؟ قال من يجد أخا مثلك؟ لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه / ١٢ وجيز .

(٢) بكسر الميم إناء يشرب منه وبفتحها الغرفة / ١٢ منه .

(٣) ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا مترلاً وقيل: حتى خرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم / ١٢ معالم .

فضة أو من ذهب أو من زبرجد وكان يشرب فيها ويكيل بها للناس من عزة الطعام ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى مناد ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أى : القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قال بعضهم : إن كان النداء بأمر يوسف فعلى[1]تأويل إنهم سرقوا يوسف من أبيه- عليه السلام- أو النداء برضى أخيه ، ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ أى شيء ضاع عنكم ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾: بحمل من الطعام ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل قاله المؤذن ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم ثم استشهدوا بعلمهم على براءة ساحتهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتى[2] مجيئهم فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: لا نوصف بها قط ، ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أى: السارق ، ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾: في ادعاء البراءة ، ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ أى : جزاء سرقته ، ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي: أخذ من وجد واسترقاقه ، ﴿فَهُوَ[3] جَزَاؤُهُ﴾ تقرير للحكم وقيل : جزاء لمن على أنها شرطية والجملة الشرط والجزاء خبر جزاؤه على إقامة الظاهر مقام الضمير وأصله فهو هو وضمير الثانى إلى جزاؤه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي[4] الظَّالِمِينَ﴾: بالسرقة وشريعة إبراهيم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ، ﴿فَبَدَأَ﴾: المؤذن أو يوسف

---

(١) لأنه نبى الله فهو برئ من الافتراء البتة / ١٢ منه .

(٢) فإنهم قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا ربطوا أفواه دوابهم لئلا تنال زرع الناس / ١٢ وجيز .

(٣) فجزاؤه مبتدأ ومن وجد فى رحله بمعنى أخذه خبر / ١٢ وجيز .

(٤) الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول- عند ذلك-: لا بد من تفتيش أمتعتكم، فأخذ فى تفتيشها، وروى أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه / ١٢ معالم .

بعد ماردوا إليه ، ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فتشها أولاً، ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: [1] من أبويه ، ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الكيد ، ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: بأن علمناه إياه ، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ فإن دين ملك مصر الضرب والتغريم في السارق دون الاسترقاق، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: لم يكن يتيسر له أخذه في دين الملك بحال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله تعالى بأن أجرى على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فوجد السبيل إلى ذلك وجاز أن يكون منقطعاً[2] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بالعلم كما رفعنا درجة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾: حتى ينتهى العلم إلى الله تعالى ، ﴿قَالُوا﴾ أى : إخوته ﴿إِن يَسْرِقْ﴾: بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ﴾ أى: يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعنى لا عجب فإن هذا طريقتهم ونحن براء منها وإما وصفهم إياه بالسرقة فإنه كان لجده أبى أمه صنم يعبده فأخذه سرًّا وكسره أو كانت عمته تحضنه بعد وفاة أمه فلما ترعرع أراد يعقوب أن يكون معه ويأخذه من عمته وكانت لا تطيق فراقه فعمدت إلى منطقة هى لها ورثتها من إسحاق فحزمتها[3] على يوسف تحت ثيابه ثم قالت: فقدت المنطقة اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف وهو صغير فقالت: صار يوسف سلمًا لى فأمسكته، فإن السارق يُسْتَرَقُّ لمن سرق منه كما مر وكان يأخذ من البيت للسائل أشياء فيعطيه ففطن به إخوته ،

---

(١) قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعًا ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين قال: ما أظن هذا أخذه، فقال إخوته: والله لا نترك حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله: "ثم استخرجها" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أى: لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه / ١٢ منه .

(٣) أى: شدها / ١٢ .

﴿فَأَسَرَّهَا[(١)] يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ضمير أسرها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ يعنى قال في نفسه: أنتم شر مترلة في السرقة : لأن خيانتكم حقيقة وأنث الضمير لأن المراد منه جملة وهى بدل من أسرها وهو المنقول عن ابن عباس- رضى الله عنهما- وقيل: الضمير للإجابة أو للمقالة أو لنسبة السرقة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ[(٢)] ﴾: في شأني من السرقة فإنه كذب وهذا أيضًا من جملة ما أسر يوسف ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ[(٣)] إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: بدله فإن أباه مستأنس به على أخيه الهالك ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: إلى الخلق فأحسن إلينا ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله[(٤)] معاذًا من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾: في فتواكم لو أخذنا غير السارق .

---

(١) ضمير أسرها إلى مثل الكراهة والحزازة التى دل عليها سياق الكلام / ١٢ وجيز .

(٢) روى أهم دخلوا على يوسف فقال روبيل: لتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف، لابن له صغير: قم إلى جنب روبيل فمسه ويروى خذ بيده فأتنى به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل : إن هاهنا لبذراً من بذر يعقوب ، فقال يوسف: من يعقوب؟ وروى أنه غضب ثانيًا فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال: أنتم يا معشر العبرانيون تظنون أن لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا: "يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا" إلخ / ١٢ معالم .

(٣) أهل مصر يسمون نائب السلطان عزيزًا / ١٢.

(٤) فيه إشارة أن "معاذًا" مصدر لفعل محذوف "وأن نأخذ" متعلق به وحذف حرف الجر من أن وأن ليس بعزيز/١٢ .

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ
أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ
حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ
فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ
حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ
عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟
تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ
أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ
ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن
رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا
وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ
ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ
يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: من يوسف وإجابته إياهم وباب الاستفعال للمبالغة ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا واعتزلوا ، ﴿نَجِياً﴾: ذوى نجوى أو فوجا[1] نجيًّا وكان تناجيهم في تدابير أمرهم ، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: في السن روبيل أو في الرأى وهو يهوذا أو في الرياسة وهو شمعون ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهدًا وثيقًا بذكر الله ، ﴿وَمِن قَبْلُ[2] مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ ما صلة أى: من قبل هذا قصرتم في شأنه[3] أو مصدرية عطف على مفعول تعلموا أو موصولة أى : لم تعلموا ما قدمتموه[4] فهو من الفرط وهو التقدم ، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: أفارق ﴿الأَرْضَ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: في الرجوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: بخلاص أخى أو بخروجى أو بالمقاتلة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ فحكمه الحق ، ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾: على حسب الظاهر ، ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾: عليه ، ﴿إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾: بأن رأينا إخراج الصاع من متاعه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: فلا ندرى أنه سرق أو دست الصاع في رحله أو ما كنا حين عهدنا أن نأتى به للعواقب عالمين فلم ندر أنه

---

(١) على الأول نجيا مصدر وهو حال بحذف المضاف وعلى الثانى بمعنى مناجيًا كالعشير بمعنى المعاشر وإفراده لأنه صفة لموصوف مفرد اللفظ كالفرج / ١٢ .

(٢) وجوز الزمخشرى أن ما مصدرية مبتدأ ومن قبل خبره ، قال صاحب البحر: ذهل عن قاعدة عربية وحق له أن يذهل وهى أن الظروف التى هى غايات إذا بنيت لا تقع خبرًا ولا صلة ولا صفة ولا حالاً فلا يجوز عمرو جاء وزيد خلف، بل يقال خلفه، وكذلك قال أبو البقاء / ١٢ وجيز .

(٣) على هذا الوجه ومن قبل عطف على لم تعلموا والجملة حالية / ١٢ .

(٤) يعنى على هذا الوجه يكون من الفرط بمعنى التقدم لا بمعنى التقصير وضمير الموصول محذوف / ١٢ منه .

سيسرق ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، أى: أرسل مصر واسألهم عن القصة، ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ﴾، أى: القافلة ، ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا﴾: توجهنا ﴿فِيهَا وَإِنَّا﴾: والله ﴿لَصَادِقُونَ[1] قَالَ﴾ أى: لما رجعوا وقالوا ليعقوب ما قالوا قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ : زينت وسهلت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً[2]﴾: عظيمًا قررتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل، ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: بيوسف وأخيه وأخيهما الذى توقف بمصر ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالى ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم كراهة ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: يا شدة حزنى إليه تعالى فهذا أوانك والألف عوض عن ياء المتكلم ، ﴿وَابْيَضَّتْ[3] عَيْنَاهُ[4] مِنَ الْحُزْنِ﴾: عمى من كثرة العبرة التى لا يتمالك فيها نفسه ، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ[5]﴾: مملوء من الغيظ على أولاده لا يظهره ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَؤُا﴾ بحذف حرف النفى[6] فإنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتًا لابد في جوابه من اللام والنون

(١) فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه و لم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع شدة وجد أبيه وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم قيل : قد أكثر الناس فيه والصحيح إنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه أمره به ليزيد فى بلاء يعقوب / ١٢ معالم .

(٢) وإلا فمن أين يدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته وما هذا إلا فى ديننا / ١٢ منه .

(٣) قال مقاتل: مالم يبصر بهما ست سنين / ١٢ معالم .

(٤) كثرة البكاء محقت سواد عينيه فعمى / ١٢ منه .

(٥) قال الحسن : كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً لا تجف عينا يعقوب، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب / ١٢ معالم .

(٦) قال امرؤ القيس.

فقلت يمين الله أبرح قائماه ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى.

/ ١٢ معالم ومنه .

المؤكدة أي : لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾: مشفيا(*) على الهلاك أو ذابيًا(**) من الغم أو من المرض مصدر وضع موضع الاسم ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ [1]﴾: الميتين ، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ هو أصعب هم لا يصبر صاحبه على كتمانه فيبثه وينشره إلى الناس ، ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾: لا إليكم ولا إلى غيركم فخلونى وشكايتى ، ﴿وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾: فإنى أعلم أن رؤيا يوسف صدق وإنى سوف أسجد له أو أخبره ملك الموت بحياة يوسف ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾: تفحصوا ﴿مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا﴾: لا تقنطوا ﴿مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾: من فرجه وتنفيسه ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾: فإن المؤمن لا يزال يطمع في رحمة الله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾: بعدما رجعوا إلى مصر ﴿عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾: شدة الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ[2] مُزْجَاةٍ﴾ رديئة أو قليلة كانت دراهم رديئة أو الغرايئر والحبائل أو الصوف والأقط أو حبة الخضراء أو الأدم والنعال ، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾: أتمه لنا، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: برد أخينا أو بقبض هذه البضاعة المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ : أحسن الجزاء ، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم﴾: قُبْحَ ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فرقتم بينهما وذللتموه حتى لا يستطيع أن يتكلم

(*) مشفياً - مشرفاً.

(**) ذابياً - ذائباً.

(١) قاله مجاهد وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن والأسف شفقة عليه وإن كانوا هم سبب أحزانه ومنشأ همومه وغمومه / ١٢ فتح .

(٢) وأما أن البضاعة أى شيء ففيه اختلاف، ولا فائدة فى تحقيقها له / ١٢ وجيز .

بينكم بعد فقد يوسف إلا بذلة ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ[١] ﴾: فإن فعلكم فعل الجهال ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ﴾ استفهام تقرير ﴿لأَنْتَ يُوسُفُ﴾ وضع التاج وكان فوق جبهته مثل شامة بيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها فعرفوه أو هو من وراء ستر فرفع الحجاب فعرفوه، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي[٢]﴾: من الأبوين ذكره لتعريف نفسه ولإدخاله في قوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالوصال ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: الله ، ﴿وَيَصْبِرْ﴾: على المصائب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى: أجره لإحسانه بالجمع بين الصبر والتقوى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ﴾: اختارك ، ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالعلم والحسن ﴿وَإِن كُنَّا﴾: إن شأننا إنا كنا ﴿لَخَاطِئِينَ ﴾: مذنبين ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ﴾: لا تعيير ولا مؤاخذة ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ متعلق بمتعلق الخبر أى لا مؤاخذة في هذا اليوم فكيف بما بعده من الأيام أو المراد من اليوم الدنيا أى: لا مؤاخذة في الدنيا وأما في الآخرة فبيد الله ولذلك قال ، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ دعا لهم بالمغفرة ، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾: فإنه يغفر الصغائر والكبار ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي[٣] هَذَا﴾ أى : القميص الذى كان عليه ، ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي

---

(١) لما أبدى عذرهم بقوله:"إذ أنتم جاهلون" دل على أن قوله: "هل علمتم" ليس تعتيبًا، بل هو حث على إنابتهم مع خفى معاتبة على وجود الجهل وأنه حقيق الانتفاء عن مثلهم فلله هذا الخلق الكريم / ١٢ وجيز .

(٢) زادهم فى الجواب لأنه سبق منه قوله:"هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه" وتوطئة لما ذكر بعد من قوله: "قد من الله علينا" / ١٢ وجيز .

(٣) وأخرج الحكيم الترمذى وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال: لما كان من أمر إخوة يوسف ما كان كتب يعقوب إلى يوسف، وهو لا يعلم أنه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن إسحق بن إبراهيم إلى عزيز آل فرعون سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد، فإنا أهل بيت مولع بنا أسباب

=

يَأْتِ[1] **بَصِيراً﴾**: يصير بصيرًا ذا بصر قالوا: القميص من نسج الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفى ، **﴿وَأْتُونِي﴾**: أنتم وأبى ، **﴿بِأَهْلِكُمْ**[2]**﴾**: نسائكم وذراريكم ، **﴿أَجْمَعِينَ﴾**.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ
وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ
رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ

= البلاء كان جدى إبراهيم خليل الله ألقى فى النار فى طاعة ربه فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا وأمر الله جدى أن يذبح له أبي ففداه وكان لى ابن وكان أحب الناس إلى ففقدته فأذهب حزنى عليه نور بصرى وكان له أخ من أمه كنت إذا ذكرته ضممته إلى صدرى فأذهب عنى بعض وجدى وهو المحبوس عندك فى السرقة وإنى أخبرك لم أسرق ولم ألد سارقًا، فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال: اذهبوا بقيمصي/ ١٢ فتح وزاد محيي السنة بعد قوله:"ولم ألد سارقاً" فإن رددته أتى وإلا دعوت إليك دعوة تدرك السابع من ولدك / ١٢ .

(١) على أن يأت هى التى من أخوات كان قيل: كان ذلك بوحي الله، وقيل: بعث إليه قميصه ليزول بكاؤه وينشرح صدره قال يهوذا: أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء ، قيل : حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسير ثمانين فرسخًا / ١٢ فتح.

(٢) أى : جميع من شمله لفظ الأهل من النساء والذرارى قيل: كانوا سبعين وقيل: ثلاثة وتسعين / ١٢ فتح .

وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾: خرجت ، **﴿الْعِيرُ﴾** : من مصر[1] **﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾**: لمن حضره[2] **﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾** هاجت ريح فجاءت برائحة قميصه من مسيرة ثمانية أيام **﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ[3]﴾** أى: لولا تسفهون وتنسبونى إلى نقصان عقل للهرم لصدقتموني وجواب لولا محذوف **﴿قَالُوا﴾**: الحاضرون ، **﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾**: لفى خطئك القديم من حب يوسف **﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾** أى : البريد قال البصريون: تقديره لما ظهر مجيء البشير فأضمر الرافع قال بعضهم: البشير يهوذا الذى جاء بقميصه ملطخًا بدم كذب **﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾**:

---

(١) قاصدة مكان يعقوب والأصح أنه قريب من بيت المقدس .

(٢) من أولاده وأحفاده وعشائره .

(٣) قال بعض العلماء : يقال شيخ مفند أى فاسد الرأى ، ولا يقال عجوزة مفندة لأن المرأة لم تكن لها قط رأي أصيل / ١٢ منه .

عاد ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: بتعليمه ﴿مَا لاَ تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ﴾: يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: أخر الدعاء إلى السحر(*) أو إلى ليلة الجمعة(**) أو إلى أن يستحل لهم من يوسف ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ : في[1] موضع خارج عن البلد حين استقبلهم يوسف وأهل مصر ﴿آوَى﴾: ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أباه وخالته فإن أمه ماتت وعن بعض السلف أن أمه في حياة ،﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾: من القحط والمكاره فالاستثناء متعلق بالدخول المكيف بالأمن ، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ﴾: السرير ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ : أبواه وإخوته وكان سجود التعظيم شائعًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم في هذه الملة الغراء(***) وجعل السجود مختصًّا بجناب الرب تعالى شأنه قال بعضهم: المراد من السجود الانحناء ، وعن بعضهم معناه : خروا لله تعالى سجدًا شكرًا له والأول أصح ، ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾: الشمس والقمر أبواى وأحد عشرو كوكبًا إخوتى ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾: صدقًا وكان بين رؤياه وتأويله أربعون سنة أو ثمانون سنة أو خمس وثلاثون سنة أو ثماني

(*) صح ذلك عن ابن مسعود وغيره، كما في تفسير ابن كثير (٢/٤٩١).

(**) ورد في ذلك حديث مرفوع أخرجه ابن جرير بسند ضعيف، انظر المصدر السابق.

(١) روى أن يوسف جهز إلى أبيه مائتي راحلة وخرج فى أربعة آلاف من عظماء مصر وخرج أهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب يمشى متكئًا على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس وقال: هذا يا يهوذا فرعون مصر؟ قال: لا، ولكن هذا ولدك فلما لقيه أبوه قال: السلام عليك يا مذهب الأحزان وسأله أول ما كلمه عن دينه/ ١٢ وجيز .

(***) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد....." وقد روى من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. راجع الإرواء (١٩٩٨).

عشرة سنة والله تعالى أعلم ، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: ولم يذكر الجب لأنه وعد مع إخوته لا تثريب عليكم بعد هذا ، وأيضًا عد لهم نعمًا غير معلومة لهم وإخراجه من الجب معلوم لإخوته ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾: البادية فإنهم كانوا أهل بادية ومواشى ﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾: أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: تدبيره ﴿لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بالأمور ﴿الْحَكِيمُ﴾ : الذى لا يفعل إلا على وفق الحكمة ﴿رَبِّ(1) قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي : بعضه وهو ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾: بعض تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ : مبدع ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ، منصوب بالمنادى ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾: ناصرى ومتولى أمرى ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾: اقبضني ﴿مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(2) ﴾: من آبائى وغيرهم سأل الوفاة على الإسلام واللحاق

---

(١) فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال: "رب قد آتيتنى من الملك" / ١٢ معالم .

(٢) قال قتادة: لم يسأل نبى من الأنبياء الموت إلا يوسف، وفى القصة لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه عز وجل فقال هذه المقالة قيل كان عمره عند أن ألقى فى الجب سبع عشرة سنة وكان فى العبودية والسجن والملك ثمانين سنة إلى قدوم أبيه يعقوب ثم عاش بعد اجتماع شملهم حتى كمل عمره المقدار الذى سيأتى وتوفاه الله وليس فى اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال ، ولهذا ذهب الجمهور إلى أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء فى الحال وإنما دعا به أن يتوفاه على دين الإسلام ويلحقه بالصالحين من عباده عند حضور أجله وقد عاش بعد ذلك سنين كثيرة وولد له من امرأة العزيز ثلاثة أولاد إفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب المبتلا -عليه السلام- ولما مات دفنوه فى أعلى النيل فى صندوق من رخام وقيل: من حجارة المرمر لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه فبقى أربعمائة سنة إلى أن أخرجه موسى وحمله معه حتى =

بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره وكلام بعض السلف وهو أنه ما تمنى نبى قط الموت قبل يوسف عليه السلام يشعر بأنه سأل منجزًا وهو جائز في ملتهم ويحتمل أن مراده أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحًا عليه السلام أول من قال "رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى" الآية (نوح:٢٨)، وقالوا: أقام يعقوب عند يوسف أربعًا وعشرين سنة ثم مات وحمل جسده الشريف عند أبيه إسحاق عليه السلام بالشام ، ﴿ذَلِكَ﴾ أى: نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على أمرهم ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: بيوسف وهذا كالدليل على أنه بالوحى لأنه لم تكن عندهم وما كان أحد من قومك يعلمه فيعلمك ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ : على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ ﴾: لعنادهم وعدم إرادة الله تعالى قال بعضهم: نزلت حين سأل قريش واليهود عن قصة يوسف فلما أخبرهم رجاء إيمانهم ، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الوحى ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من جعل ، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ : عظة ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ ﴾: عامة لا تخص بهم .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠

= دفنه بقرب آبائه بالشام فى الأرض المقدسة وهو الآن هناك / ١٢ فتح .[إخراج موسى لجسد يوسف عليهما السلام ودفنه له بقرب آبائه بالشام صحيح ثبت في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه الحاكم (٥٧١/٢) وغيره.]

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾ أى: وكم[1]، **﴿مِّنْ آيَةٍ﴾**: دلائل دالة على وجوده وصفاته الحسنى **﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾** : على الآيات يشاهدونها **﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**: لا يتفكرون فيها **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾**: في الإقرار بخالقيته **﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ[2] ﴾**: لعبادتهم غيره إنهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات

---

(١) والمشهور أنه مركب من كاف التشبيه ومن أى / ١٢ وجيز .

(٢) يعبدون معه غيره كما كانت تفعله الجاهلية فإنهم مقرون بالله سبحانه الخالق لهم لكنهم كانوا يثبتون له شركاء فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله كما قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر:٢)، ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله المعتقدون فى الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه كما يفعل عباد القبور ولا ينافى هذا ما قيل من أن الآية نزلت فى قوم مخصوصين فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ لا بما يفيده السبب من الاختصاص بمن كان سببًا لنزول الحكم ، قال ابن عباس فى الآية : سلهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض؟ فسيقولون: الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وقال عطاء : كانوا يعلمون أن الله ربهم وهو خالقهم وهو رازقهم وكانوا مع ذلك يشركون وقال الضحاك: كانوا يشركون فى =

والأرض؟ قالوا: الله وهم يشركون به ، وعن الحسن البصرى أن هذا في المنافقين قال بعض السلف: ثمة شرك آخر لابد أن تشعره وهو الرياء ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ : عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ : فجأة مفعول مطلق ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾: فلا يستعدون لها ، ﴿قُلْ هَذِهِ﴾ أي: الدعوة إلى التوحيد ﴿سَبِيلِي﴾ : طريقتى ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: بيان وتفسير للسبيل ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ : معرفة وحجة ﴿أَنَا﴾ : تأكيد لضمير أدعو ، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أى[1]: من آمن بى أيضًا يدعوا إلى الله تعالى، قال بعضهم : تم الكلام عند قوله: "إلى الله" و"على بصيرة" خبر أنا وما عطف عليه ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: قل أنزهه تتريهًا عن الشريك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾: يا محمد ﴿إِلاَّ رِجَالاً﴾ : لا نساء ولا ملائكة ﴿نُوحِي إِلَيْهِم﴾ : كما أوحينا إليك ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ فإن أهلها أعقل من أهل البادية ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم المكذبة فيعتبروا ﴿وَلَدَارُ﴾ : الحياة ﴿الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ : الشرك ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ :

= تلبيتهم يقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك / ١٢ فتح.

(١) قال ابن عباس : يعنى أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية معدن العلم وكتر الإيمان وجند الرحمن قال عبد الله بن مسعود: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا افضل هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم / ١٢ معالم التتريل .

يستعملون(*) عقولهم فيؤمنوا ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ متعلق بما دل عليه الكلام كأنه قيل : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا فتراخى نصرهم وتطاول عهدهم في الكفار حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، أو استيأسوا من نصرهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ فيه قراءتان التخفيف والتشديد وعلى الأول: الضمائر كلها لمن أرسل الرسل إليهم فإن الرسل دال عليهم وحاصله أنهم حسبوا كذب الرسل في الوعيد والوعد والضمائر للرسل يعنى قد خطر بخواطرهم خلف الوعد من الله تعالى في نصرهم ، وعن ابن عباس[1] رضى الله عنهما لأنهم كانوا بشرًا وتلا: "حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" (البقرة:٢١٤)، وقيل معناه : ظنوا كذب القوم بوعد الإيمان وخلف وعدهم وعلى الثاني، الضمائر للرسل والظن بمعنى اليقين وهو شائع أى: أيقنوا تكذيب القوم لهم أو بمعناه أى : ظنوا أنهم يكذبهم من آمن بهم أيضًا يرتد عن دينهم لاستبطاء النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ وهم أتباع الأنبياء، ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أى : عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ : قصص المرسلين مع قومهم أو قصص يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ﴾ : عظة ﴿لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ﴾: القرآن ، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: يختلق ، ﴿وَلَكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : من الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه العباد من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ : من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ : ينال بها خير الدارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقونه.

اللهم اجعلنا منهم .

(*) بالأصل: تستعملون.

(١) رواه البخارى عن ابن عباس، والمراد الوسوسة وحديث النفس لا الظن المصطلح/١٢.

سورة الرعد مكية أو مدنية

وهي ثلاث وأربعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَا ۖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ
ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِ ۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ
بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِى ٱلۡأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ
لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى
خَلۡقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِىٓ أَعۡنَاقِهِمۡ ۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ
ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ
ظُلۡمِهِمۡ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿الـــمر﴾ عن ابن عباس- رضي الله عنهما- : أنا الله أعلم وأرى ﴿تِلْـــكَ آيَـــاتُ الكِتَابِ﴾ أي : تلك الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن، ﴿وَالَّذِي أُنــزِلَ إِلَيْكَ مِن ربِّكَ﴾ أى : القرآن كله، ﴿الحَقُّ﴾ لا هذه السورة وحدها وهو خـــبر والـــذي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ[1] لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لما فيهم من العنـــاد، ﴿اللَّـــهُ الَّـــذِي رَفَـــعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أى : أساطين جمع عماد أو عمود ﴿تَرَوْنَهَا﴾، صفـــة لعمـــد، وعن بعض السلف أن لها عمدًا ولكن لا ترى ، أو اســـتئناف للاستشـــهاد برؤيتـــهم للسماوات كذلك فضمير المؤنث حينئذ للسماوات ﴿ثُمَّ اسْتَوَى[2] عَلَى العَرْشِ﴾،

---

(١) لما ذكر أن المترل هو الحق بين أن أكثر الناس لا يؤمنون على سبيل الزجـــر والتـــهديد ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد فقـــال : " الله الـــذي" الآيـــة/ ١٢ كبير .

(٢) وقال الإمام أبو الحسن على بن مهدي الطبرى تلميذ الأشعرى فى كتاب مشكل الآثـــار له فى باب قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (طه:٥): اعلم أن الله فى الســـماء فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه ومعني الاستواء الاعتلاء كما تقـــول العرب : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، بمعنى علوته، واســـتوت الشمس على رأسي واستوى الطير على عمة رأسي بمعنى علا فى الجو فوجـــد فـــوق رأسي، فالقديم جل جلاله وتعالت عظمته عال على عرشه بذاته بائن مـــن مخلوقاتـــه بقوله: " أأمنتم من فى السماء " (الملك:١٦)، وقوله: " يا عيسى إنى متوفيك ورافعـــك إلى " (آل عمران:٥٥)، وقوله : " ثم يعرج إليه " (السجدة:٥)، وزعـــم البلخـــى أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء مأخوذ من قول العرب : استوى بشر على العراق، إذا استولى عليها، فالجواب أن الاستواء هاهنا ليس بمعنى الاستيلاء ، لأن الله مستول علـــى العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدهم ، كما هو المعلوم من الدين بـــالضرورة، فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فبـــان بذلـــك بطلان قوله ، وكذلك أيضًا أن الاستواء هاهنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قـــول =

قال السلف : الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، وقيل: علا [1] عليه **﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾** ذللهما لما أراد منهما **﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** أى : لدرجاهما

= العرب: استوى فلان على كذا أى : استولى ، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا والبارئ عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنًا تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا انتهى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري فى كتاب اختلاف المضلين ومقالات الإسلاميين : إن الله تعالى على عرشه كما قال:"الرحمن على العرش استوى" (طه:٥)، وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال : فلولا أن الله تعالى على عرشه ما قال فى حق ملائكته: " يخافون رهم من فوقهم " (النحل:٥٠)، ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدى إلى السماء، قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى استوى استولى وملك وقهر مما يفيد التجدد والحدوث فى الملك - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - بل هو مستول ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم وقالوا : إنه فى كل مكان وجحدوا أن يكون على عرشه ، كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء وكيف يكون فى كل مكان ومنه الحشوش والخانات والمزابل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقذرة- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- ولم يخبر عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما قالوه بالنقل والعقل وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك / ١٢ .

(١) قال البغوي فى تفسيره وجزم به بلا ذكر الاختلاف، وفى صحيح البخاري قال مجاهد : استوى على العرش : علا على العرش ، ونقل الذهبى عن محمد بن جرير الطبرى فى قوله : " ثم استوى على العرش الرحمن" (الفرقان:٥٩)، أى علا وارتفع فأيضًا نقل عنه أنه قال فى تفسير قوله : ثم استوى على العرش فى كل مواضعه أى : علا وارتفع وقد مر البحث مستوفى فى سورة الأعراف فارجع إليه/١٢ .

ومنازلهما ينتهيان إليها لا يجاوزانها ، أو إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا ﴿يُدَبِّرُ[1] الأَمْرَ﴾: جميع أمور ملكوته ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾: يوضحها، وينزلها مفصلة ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لكي تتفكروا فيها فتعلموا كمال قدرته بحيث لا يعجز عن الإعادة والجزاء ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ[2] الأَرْضَ﴾: بسطها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالا ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا﴾: ضمها مع الجبال فإنها تخرج من الجبال أكثرها ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، ظرف لقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي : صنفين أسود وأبيض، أكبر وأصغر، حلوًا وحامضًا قيل: أول ما خلق العالم خلق من كل نوع من الأشجار اثنين فقط كما خلق الإنسان من زوجين ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يلبسه مكانه فيصير مظلمًا بعدما كان مضيئًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيما فيها من الصنائع والبدائع، ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة صلبة إلى رخوة ومن غير ذلك وهى دالة على قدرته واختياره ﴿وَجَنَّاتٌ﴾: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ هى : نخلة لها رأسان وأصلهما واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: مختلفة الأصول ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾: في الثمر طعمًا وشكلًا ، ورائحة وقدرًا مع أنها تستمد من طبيعة واحدة وهى الماء، بل وبعضها من أصل واحد فسبحانه من قادر ومختار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ : يستعملون عقولهم، ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾:

---

(١) وهذا التدبير والإنفاذ والإمضاء وهو من فوق العرش وهو ظاهر نظم القرآن الكريم/١٢ فتح.

(٢) لما قدر الدلائل السماوية أردفها بالدلائل الأرضية فقال : " هو الذي مد الأرض "/١٢ كبير .

يا محمد من إنكارهم النشأة الآخرة، ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ[1]﴾ أي : فعجبت فى موضعه حقيق بأن تتعجب، أو أن تعجب من تكذيبهم إياك، بعد ما حكموا بصدقك فاعجب

---

(١) اعلم أنه أخطأ صاحب الفتح هاهنا خطأ بينًا وغلط غلطًا فاحشًا حيث قال ناقلاً عن القرطبي : والله تعالى لا يجوز عليه التعجب لأنه تغير النفس بشيء تخفى أسبابه وذلك فى حق الله محال انتهى.

أقول هذا بناء على أصل فاسد وضعه نفاة الصفات فنفوا ذلك كثيرًا من الصفات التى ثبتت فى الكتاب والسنة كالرحمة ، والغضب ، والمحبة ، والرضاء، والضحك والتعجب يقولون : إن هذه انفعالات نفسانية والله تعالى متره عنها ولا يدرون أنها انفعالات فينا لا في الله تعالى – تعالى الله عن ذلك- وكما أن ذاته تعالى ليس كذوات المخلوقات وصفاته أيضًا لا يشابه صفات المخلوقين ، وبيان ذلك أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق منفعل ، ونحن وذواتنا منفعلة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزًا عن دفعها، فإن كل ما يجرى فى الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يشاء إلا ما يكون ، له الملك وله الحمد وأما قولهم التعجب استعظام للمتعجب منه، فيقال: نعم، وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب المستعجب منه وقد يكون لما خرج عن نظائره والله تعالى بكل شيء عليم فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما يعجب منه، بل يتعجب منه لخروجه عن نظائره تعظيمًا ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم ، إما لعظمه أو لعظمته فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى : " رب العرش العظيم " (التوبة:١٢٩)، وقال : " ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم " (الحجر:٨٧)، وقال : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا وإذًا لآتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا " (النساء:٦٦،٦٧)، وقال: " لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " (النور:١٦)، وقال : " إن الشرك لظلم عظيم " (لقمان:١٣)، ولهذا قال تعالى : " بل عَجِبْتُ ويسخرون " (الصافات:١٢)، على قراءة الضم فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي – صلى الله عليه وسلم- آثر هو وامرأته لضيفهما:"لقد عجب الله من صنيعكما =

من قولهم أو إن تعجب من شيء فاعجب من قولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ مرفوع بأنه بدل من قولهم أو منصوب به وإذ نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: هم الكاملون فى الكفر ﴿وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: يوم القيامة يسحبون بها فى النار، ﴿وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ : بالعقوبة، ﴿قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾ أي : العافية سألوا نزول العذاب استهزاء أو يطلبون النقمة لا النعمة كقولهم:"عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ﴾: عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ﴾ أي : لذو إمهال وستر ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: على كفرهم ومعاصيهم، وإن فسرت المغفرة بالعفو فعلى ظلمهم حال ولابد أن يفسر الظلم بمعاصي غير الكفر، ولا يناسب المقام فإنه إن

= البارحة" [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٨٨٩) ومسلم في "الأشربة"، (٧٤٩/٤) ط الشعب]، وفى لفظ فى الصحيح "لقد ضحك الله الليلة" [أخرجه البخاري في "مناقب الأنصار"، (٣٧٩٨)]، وقال:"إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفرلي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، يقول الله : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا" [أخرجه أحمد (٧٥٣ ط شاكر) وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٣) وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٢٠٦٩)، والصحيحة (١٦٥٣)]، وقال:"عجب ربك من شاب ليست له صبوة" [ضعيف، أخرجه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر مرفوعا، وانظر ضعيف الجامع (١٦٥٨)]، وقال:" عجب ربك من راعي غنم على رأس جبل شظية- يؤذن ويقيم، فيقول الله : انظروا إلى عبدي" [صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي عن عقبة مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (٨١٠٢)، وراجع الإرواء)]، أو كما قال ، ونحو ذلك هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - قدس الله روحه / ١٢ .

فسرت بما يعمه فلا يخفى(*) أن العفو من غير توبة فلا يصح بمذهب، وإن كان بعد التوبة فلا يلائم، لأنهم بعد التوبة ليسوا على الظلم ﴿وإنَّ ربَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ﴾ : لمن شاء ﴿ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾: هلا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، لم يعتدوا بالآيات الباهرات واقترحوا مثل ما أوتى موسى وعيسى، ﴿إنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾: لا عليك الإتيان بما اقترحوا كجعل الصفا ذهبًا ﴿ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: نبي مخصوص يدعوهم إلى الهدى ، أو معناه أنت منذر ولكل قوم هاد يهديهم إذا أراد ، وهو الله ، وعن بعض السلف الهادي على بن أبي طالب[1] - رضى الله عنه - وأيضًا فى ذلك[2] حديث؛ لكن قيل فيه نكارة شديدة[3].

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ

(*) فى الأصل المطبوع : "فلا يخ" ولعل الصواب ما أثبت .

(١) روي عن ابن عباس فى أحد الروايات قاله ابن أبي حاتم، وعن أبي جعفر محمد بن على نحو ذلك ونقل ابن أبي حاتم عن على أنه قال : الهادي رجل من بنى هاشم ، قال ابن الجنيد : هو على بن أبي طالب / ١٢ منه .

(٢) ذكره ابن جرير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع عليه الصلاة والسلام يده على صدره فقال :" أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب على فقال : أنت الهادي يا على بك يهتدي المهتدون من بعدى" / ١٢ .

(٣) قاله الشيخ عماد الدين ابن كثير / ١٢ منه .[تفسير ابن كثير (٢/٥٠٢)]

مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ
ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ
فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ
دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ
كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن
دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ
فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ
عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ
وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ
يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ[1] كُلُّ أُنثَى﴾ من ذكر وأنثي سويّ الخلق أو ناقصه، واحد وأكثر ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تنقص، ﴿الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾: في مدة الحمل أو عدد الولد أو المراد نقصان غذاء الولد وازدياده وهو دم الحيض وغاض وازداد جاءا لازمين ومتعديين، فإن كانا لازمين تعين أن يكون ما مصدرية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: بقدر معلوم وحد لا يجاوزه، وعنده ظرف للمقدار، ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، ما غاب عن الخلق وحضر ﴿الكَبِيرُ﴾: العظيم القدر، ﴿الْمُتَعَالِ[2]﴾: المستعلى على كل شيء أو متعال عما لا يليق بكماله ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ كما يحيط علمه بعلانيته يحيط بسره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾:طالب للخفاء، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: بارز به يراه كل أحد، وهو إما عطف على من أو على مستخف على أن من في معني الاثنين كأنه قال: سواء منكم اثنان مستخف وسارب، ﴿لَهُ﴾ الضمير لمن، أي: لمن أسر وجهر واستخفى وسرب ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾: ملائكة يعقب بعضهم بعضًا في الليل والنهار ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: ملكان من قدامه وورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: من بأسه وبلائه، أو من أجل أمر الله وبإذنه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه وعن بعض السلف المعقبات الحرس[3] حول السلطان يحفظونه بزعمهم من أمر الله قيل: مراده بهذا أن حرس الملائكة تشبه حرس هؤلاء لملوكهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من النعمة أو النقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: من

---

(١) ولما تقدم إنكارهم البعث لتفتت الأجزاء بحيث لا يتميز بينها نبه على إحاطة علمه بالخفيات فقال: " الله يعلم ما تحمل " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) أو المتعالي عن الخلق باستوائه على عرشه، ومبائنته عن خلقه وهو الأولى / ١٢ فتح البيان.

(٣) قاله عكرمة وابن عباس والضحاك والظاهر أن مرادهم أنه ينكر عليهم اتخاذ الحرس فإنهم يحفظونه ولا يمكن الحفظ منه / ١٢ منه.

الأحوال الجميلة أو القبيحة وقد ورد "قال الرب : وعزتي[1] وجلالى وارتفاعى فـــوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجال ببادية كانوا على مـــا كرهتـــه مـــن معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عـذابي ما يحبون من رحمتي" ﴿**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ**﴾: لا راد له ﴿**وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾: يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء ﴿**هُوَ الَّذِي**[2] **يُرِيكُمُ الْـــبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ نصبهما بالمفعول له بتقدير إرادة خوف وطمع ، أو التأويل بالإخافـــة والإطماع ، وعن بعض السلف الخوف للمسافر والطمع للمقيم ﴿**وَيُنشِئُ**﴾: يخلـــق، ﴿**السَّحَابَ الثِّقَالَ**﴾: من كثرة الماء، ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ**﴾ هو اسم لهذا الصـــوت أو لملك موكل[3] بالسحاب ﴿**بِحَمْدِهِ**﴾: متلبسًا بحمده ﴿**وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**﴾ : مـــن خوف الله تعالى، ﴿**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا**﴾: فيهلك، ﴿**مَن يَشَـــاءُ وَهُـــمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ**﴾: يكذبون آياته ورسله، والواو للحال أو للعطـــف نزلـــت[4] فى كافر قال : مم ربك ؟ من ذهب أو فضة أو لؤلؤ ، وهو يجـــادل إذ أخذتـــه صاعقـــة فأحرقته ﴿**وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**[5]﴾: الحول أو القوة أو الأخذ أو المحال المماحلة وهى شدة

---

(١) نقله الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال الشيخ ابن كثير: وهذا غريب وفى إسـناده من لا أعرفه [تفسير ابن كثير (٢/٥٠٥)]، هذا ما فى المنهية وفى الوجيز نقله الـترمذي فى أربعينه وصححه/ ١٢ .

(٢) ولما خوف عباده بقوله: "وإذا أراد الله" أتبعه بما يشتمل على أمور دالة علـــى قدرتـــه وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه فقال : " هو الذي " الآية/ ١٢ وجيز .

(٣) كما فى حديث رواه الإمام أحمد والترمذي / ١٢ .[صحيح، أخرجه أحمـــد (١/٢٧٤) والترمذي (٤/١٢٩)، وغيرهما، وراجع الصحيحة (١٨٧٢)]

(٤) نقله الحافظ أبو يعلى والبزار/ ١٢ وجيز .

(٥) وفى الشواذ بفتح الميم مفعل من حال يحول إذا احتال / ١٢ وجيز .

الماكرة والمكائدة ﴿لَهُ﴾: لله ﴿دَعْوَةُ(١) الحَقِّ﴾: دعوة الحق التوحيد ، وقيل : معناه العبادة والدعاء الحق لا الباطل ، كان له لا لغيره ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الأصنام، ﴿مِن

(١) اعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد ولو لم يكن فى الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيدًا للمطلوب قال الله تعالى : " ادعو ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين " (الأعراف:٥٥،٥٦)،وقال سبحانه : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى " (الإسراء:١١٠)، فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب لله عز وجل من عباده وهذا القدر يكفى فى إثبات كونه عبادة فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي من دعاء غير الله تعالي قال سبحانه : " فلا تدعوا مع الله أحدًا " (الجن:١٨)، و قال تعالى : " له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء " وقال سبحانه ناعيًا على من يدعو غيره ضاربًا الأمثال " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " (الأعراف:١٩٤)، وقال تعالى : " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض " (سبأ:٢٢)، فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب قال الله سبحانه : " ادعوني استجب لكم إن الذي يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين" (غافر:٦٠)، ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة فأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والحاكم من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :"إن الدعاء هو العبادة" [صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفى رواية مخ العبادة " ، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الآية المذكورة [ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣)]، فهذه القضية الشريفة قد اشتملت على تعريف المسند إليه وتعريف المسند وعلى ضمير الفصل ، وقد صرح أهل المعاني والبيان والأصول بأن كل واحد من هذه الثلاثة آلة من آلات الحصر وإن وجد أحدها يقتضيه ، فكيف إذا اجتمعت جميعًا وانضم إليها حرف التأكيد / ١٢ قاضى محمد بن على الشوكاني فى بعض رسائله/١٢ .

دُونِهِ ﴾: من دون الله – تعالى، أو المراد من الذين الأصنام، أي : الأصنام الذين يدعوهم من دون الله ﴿لاَ يَسْتَجِيبُونَ﴾ أي : الأصنام ﴿لَهُم﴾: لعبادهم، ﴿بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ﴾: إلا استجابة كاستجابة من بسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ﴾: يطلب منه أن يبلغ، ﴿فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ لأن الماء جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر أن يصل إلى فيه كالأصنام وعن بعض السلف كمثل الذي يناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبدًا ، فكيف يبلغ فاه ؟! وعن بعض معناه مثلهم كمثل من بسط كفيه ناشرًا أصابعه والماء لا يبقى فى الكف إذا نشرت الأصابع ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾: فى ضياع[1] لا منفعة فيه أو ما دعاؤهم ربهم إلا فى ضلال ؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ويخضع ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ ﴾: الملائكة، ﴿وَالأَرْضِ﴾: الثقلين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ نصبهما بالمفعول له أو بالحال قيل: المراد من السجدة وضع الجبهة وهو من المؤمنين بالطوع ومن الكفرة وقت الضرورة[2] قيل: اللفظ عام والمراد منه الخصوص ﴿وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾: فى هذين الوقتين يسجد ظلال الكافر والمؤمن بكيفية لا نعرف، وهل يبعد أن يخلق الله – تعالى – فى الظلال عقولاً يسجد لخالقه كما خلق فى الجبال وتجلى له والمأوَّلة يأولونها إلى تصريفه إياها بالمد والتقليص فقالوا: تخصيص الوقتين لأن المد والتقليص فيهما أظهر والأظهر أن بالغدو ظرف ليسجد والتخصيص لأنهما أشرف أوقات العبادة أو المراد بهما الدوام ﴿قُلْ مَن[3] رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أجاب عنهم فإنهم مضطرون إلى هذا

---

(١) في الوجيز نقله عن ابن عباس / ١٢ .

(٢) والشدة قال الله – تعالى: " فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله " (العنكبوت:٦٥)/ ١٢ منه .

(٣) قال الحافظ عماد الدين بن كثير عند قوله تعالى : " قل من رب السموات والأرض ": يقدر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو =

لجواب ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ألزمهم بأنكم تأخذون الأصنام ربًّا مع أنكم تسلمون أن الله - تعالى - رب السماوات والأرض ﴿لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾: لا يقدرون على أن ينفعوا أنفسهم ويدفعوا عنها ضرًّا ، فكيف يملكون لكم ؟!﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: فلا يستوي المؤمن والكافر ، وقيل المراد: هل يستوي الإله الغافل عنكم والإله المطلع على أحوالكم؟، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ فلا يستوي الكفر والإيمان ، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: بل أجعلوا والهمزة للإنكار ، ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة لشركاء ، ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾: خلق الله وخلق الشركاء ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما اتخذوا شركاء خالقين حتى يتشابه عليهم الأمر، فيقولوا: هؤلاء خالقون كما أن الله - تعالى - خالق فاستحقوا العبادة أيضًا ، بل اتخذوا شركاء من أعجز الخلق ، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وحده لا شريك له فلا تشركوا فى عبادته غيره ، ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾: بالألوهية ، ﴿الْقَهَّارُ[1]﴾: الغالب ، ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ جمع واد ، وهو موضع يسيل فيه الماء ، فنسبة السيل مجاز للمبالغة ، ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي : أخذ كل واد بحسبه ، فالكبير يسع

= ربها ومدبرها ومع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم وإنما كان عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له ، كما كانوا يقولون فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم قوله - تعالى: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر:٣)، فأنكر - تعالى - ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك ، وهو - تعالى - لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له ، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة ما سوى الله فكذبوهم / إنتهى ١٢ .

(١) ولما وصف نفسه الأقدس بأنه القهار أتبعه بذكر مثال نافع من قهره وغلبته فقال : " أنزل من السماء " / ١٢ وجيز .

الكثير ، والصغير يسع القليل ، قيل: بمقدارها الذي علم الله أنه نافع ،﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ أي : الزبد الذي يظهر على وجه الماء من غليانه ، ﴿رَّابِيًا﴾: مرتفعًا على وجه السيل ، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ[١] عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ أي : جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك ، ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب ، ﴿حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾: كالأوانى وآلات الحرث والحرب ، ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي : مما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء ومن للابتداء أو للتبعيض ، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي : مثلهما، فالحق كالماء الذي ينتفع به الناس بقدر وسع أنهارهم وأوديتهم ، ويمكث في الأرض وكالجواهر الأرضية المنتفعة بها في صواغ الحلي والأمتعة عنها ويدوم نفعها والباطل كالزبد الذى ليس له نفع ويزول بسرعة وإن علا بعض الأحيان على الماء الصافى وعلى الجواهر حين أذيبت ، وعن بعض السلف أراد من الماء القرآن[٢] ، ومن الأودية القلوب احتملت القلوب منه على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وقالوا أيضًا : العمل السيئ يضمحل عن أهله كالزبد لا نفع له ولا يبقى وأما من عمل بالحق كان له ويبقى كما يبقى الماء الصافى والجواهر الخالصة ، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: يرمى به السيل منصوب على الحال ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: كالماء الصافي وخلاصة الفلزات ، ﴿فَيَمْكُثُ[٣] فِي الْأَرْضِ﴾ وبه ينتفع

---

(١) أى : ومما توقدون ينشأ زبد الماء أو بعضه زبد مثله / ١٢ .

(٢) وفي الحديث الصحيح يؤيد هذا التأويل وهو "مثل ما بعثت به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت ، ومنها أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به ، بسقيهم وزرعهم ، ومنها قيعان فلا يمسك ولا ينبت" /١٢ وجيز.
[أخرجه البخاري في "العلم"، ، ومسلم في "الفضائل"، (٢٢٨٢)]

(٣) بدأ بالزبد إذ هو المتأخر والباطل كناية عنه ، وهو أيضًا متأخر وهذه طريقة حسنة ، يبدأ بتقسيم ما ذكر آخرًا ليكون بجنبه نحو "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين =

الخلق ، ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**﴾: للإيضاح والتبيين ، ﴿**لِلَّذِينَ**[1] **اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ**﴾ وهم المؤمنون ، ﴿**الْحُسْنَى**﴾: المثوبة الحسنى وهي الجنة مبتدأ ، والذين استجابوا خبره، ﴿**وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ**﴾ وهم الكفرة مبتدأ وقوله ﴿**لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ**﴾ خبره ، أي : لو كان لهم جميع الدنيا ومثله فى دار الآخرة[2] لافتدوا به للتخلص من عذابه ، قيل : ضرب المثل لبيان الفريقين ، فقوله: "للذين" متعلق بيضرب ، والحسنى صفة مصدر ، أي : استجابوا الاستجابة الحسنى، وقوله: "لو أن لهم" إلخ ... كلام مبتدأ لبيان مآل الفريق الآخر ، ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ**﴾: المناقشة فيه وعدم غفر شيء من ذنبه، ﴿**وَمَأْوَاهُمْ**﴾: مرجعهم ، ﴿**جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ**﴾ جهنم ، أي : المستقر .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ
يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ
﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ

= اسودت وجوههم" (آل عمران:١٠٦)، وقد يكون الأمر بالعكس نحو:" فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا" (هود:١٠٥)، فكان الله أعلم يبدأ بما هو أهم بالمقصود والذكر / ١٢ وجيز .

(١) ولما ضرب المثل للحق والباطل انتقل ما لأهلهما من الثواب والعقاب ، فقال : " للذين استجابوا " / ١٢ وجيز .

(٢) وهم فى الدنيا بخلوا بقليل منها / ١٢ .

عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَفَمَن[1] يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾: فيؤمن به، ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾: القلب لا يعلم فلا يؤمن، والهمزة لإنكار تشابههما ، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة ، ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بما أمرهم في كتابه ، أو بالعهد الذي أخذ منهم حين أخرجهم من صلب آدم ، ﴿وَلاَ يَنقُضُونَ المِيثَاقَ﴾ : ذلك الميثاق أو مطلق الميثاق ، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: من صلة الرحم والإيمان بجميع الرسل ومراعاة الحقوق ، ﴿وَيَخْشَوْنَ[2] رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ[3] وَالَّذِينَ[4] صَبَرُوا﴾: على أمر الله تعالى أو على المصائب ، ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾، طلب مرضاته ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾: بحدودها وبركوعها وسجودها على الوجه

---

(١) ولما بين حال المجيب ومن لم يجب أراد أن يبين أن بينهما بونًا بعيدًا فقال : " أفمن يعلم أنما أنزل " / ١٢ وجيز .

(٢) فلا يتجاوزون عن أمره / ١٢ .

(٣) فأجابوا داعي الله، وحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا / ١٢ وجيز .

(٤) فيما يليق فيه الصبر جاءت الصلة هنا بلفظ الماضى بخلاف ما تقدم ، لأن حصول تلك الصلات إنما هى مرتبة على حصول الصبر وتقدم عليها ولذلك لم تر صلة فى القرآن بالصبر إلا بصيغة الماضي إذ هو شرط مقدم على حصول التكاليف/١٢ وجيز .

الشرعي ، ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يؤدون الزكاة أي: من يجب عليه ، ﴿سِرًّا وَعَلانِيَةً[1]﴾: لم يمنعهم عن ذلك حال من الأحوال فى الليل والنهار وفسر بعضهم بوجه يشمل صدقة التطوع وهو الأولى، ﴿وَيَدْرَءُونَ ﴾: يدفعون، ﴿بِالْحَسَنَةِ[2] السَّيِّئَةَ﴾ أي : بالصالح[3] من العمل السيئ منه ، أو يجازون الإساءة بالإحسان ، إذا أذاهم أحد قابلوه باللطف ، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾: عاقبة الدنيا وهي الجنة ؛ لأنها التي ينبغي أن تكون عاقبة أهلها ومرجعهم ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من عقبى الدار ، والعدن الإقامة ، أي : جنات يقيمون فيها ، أو في الجنة قصر يقال له عدن له خمسة آلاف باب ، أو مدينة من الجنة فيها الأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد ، والجنات حولها ، ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ صفة جنات عدن ، ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على فاعل يدخلون وجاز للفصل بالضمير ، ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يعني يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغهم كرامة[4] لهم، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾: من أبواب منازلهم للتهنئة قائلين ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بما تعلق عليه عليكم أو تقدير هذه بما صبرتم والباء

---

(١) والأولى تعميم الإنفاق لتكون السر لصدقة التطوع والعلانية للواجب / ١٢ وجيز .

(٢) فيه إشارة إلى أن التخلص من السيئة متعذر كما ورد:

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا ... فأي عبد لك لا ألما

قاله – صلى الله عليه وسلم – حين قرأ إلا اللمم / ١٢ وجيز .[صحيح، أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عباس مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (١٤١٧)]

(٣) كما ورد فى الحديث " أتبع السيئة الحسنة تمحها " .[حسن، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وغيرهم عن أبي ذر مرفوعا، وانظر صحيح الجامع]

(٤) كما قال تعالى : " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان " الآية (الطور:٢١)/ ١٢ وجيز .

للسببية أو البدلية ، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾: جنة العدن ، ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: بعد ما أوثقوه وأقروا وقبلوا وهذا قسيم الأولين، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصى، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ أي: سوء عاقبة الدنيا وهو جهنم، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ[1]﴾: يوسع ، ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه، ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي: مشركو مكة ، ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فرح بطروأشر ، ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾: جنب، ﴿الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾: نزر قليل مثل ما يستمتع به الراكب كتميرات[2].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

(١) ولما كان كثير من الأشقياء في نعم دنيوية وكثير من السعداء فى ضنك من العيش ، وهذا أمر مشكك أراد تبيين ما هو حقيقة الأمر فقال : " الله يبسط " / وجيز .

(٢) قال عبد الرحمن بن سابط: كزاد الراعي ، يزوده أهله الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن / ١٢ فتح .

﴿وَيَقُولُ[1] الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما قالوا: "فليأتنا بآية كما أرسل الأولون" (الأنبياء:٥)، حتى نعلم حقيقتها فنؤمن بها ، ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ كما أضلكم بأن طلبتم الآية بعد تلك الآيات البينات ، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾: يرشد إلى دينه، ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: من أقبل إليه ورجع عن العناد وحاصل الجواب أن الله أنزل آيات بينات دالة على صدقه بأوضح وجه لكن الله تعالى هو المضل والهادى وقد أضلكم الله تعالى فلا تهتدون إلى تلك الآيات ، بل وإن أنزلت كل آية ما اهتديتم بها ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بدل من "مَنْ" ، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم[2] بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: بالقرآن فلا يشكون فيه أو تطيب وتسكن قلوبهم عند ذكره أنسًا به، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: تسكن إليه ويزول عنها القلق ، وعن ابن عباس هذا فى الحلف إذا حلف المسلم في شيء يشك أخوه المسلم فيه اطمئن قلبه ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ، ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره وهو مصدر لطاب كبشرى قلبت ياؤه واواً والضمة ما قبلها ، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أي : فرح وقرة عين ، أو اسم الجنة بلغة[3] الحبشة ، أو شجرة فى الجنة ، وذكروا في وصفها ما يطول الكتاب بذكره ، ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أي : حسن المنقلب ، ﴿كَذَلِكَ[4]﴾: مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن ، ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ

---

(١) ولما كان الفساد واللجاج من لوازم البطر والفرح عقبه بقوله: "ويقول الذين كفروا"/ ١٢ .

(٢) قيل: بذكر دلائله الدالة على وحدانيته / ١٢ منه .

(٣) هكذا قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً وكثير من السلف / ١٢ منه .

(٤) ولما ذكر أن أمته صارت فرقتين أراد أن يبين أن فرقة الضلال خلف لسلفهم لا أن إرسالك وضلالتهم شيء بدع غير معهود ، فقال : " كذلك أرسلناك " الآية/١٢ وجيز .

الذي أوحينا إليك﴾ أي: القرآن ، **﴿وهم﴾** الواو للحال، **﴿يكفرون بالرحمن ﴾**: بالبليغ الرحمة ، لا يشكرونه ، نزلت في قريش حين قيل لهم: "اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن" (الفرقان:٦٠)، أو في أبي جهل حين قال : إن محمدا يدعو إلهين الله وإلها آخر يسمى الرحمن ، **﴿قل هو﴾** أي الرحمن **﴿ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾**: مرجعي ، **﴿ولو أن[1] قرآنا سيرت به الجبال﴾** عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها ، **﴿أو قطعت به الأرض﴾**: حتى تتصدع وتزايل قطعا أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا ، **﴿أو كلم به الموتى﴾**، فتسمع وتجيب وجواب لو محذوف ، أي : لكان هذا القرآن ومع هذا هؤلاء المشركون كافرون به، وقال بعضهم: تقديره لما آمنوا به، فقد نقل في سبب[2] نزوله أنهم قالوا: يا محمد لو سيرت لنا جبال مكة حتى يتسع أو قطعت بنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ، أو أحييت لنا الموتى كما كان لعيسى ، وقيل : جواب لو ما يدل عليه وهم يكفرون بالرحمن ، وقوله قل هو ربي بينهما اعتراض ، **﴿بل لله الأمر جميعا[3] ﴾** هو إضراب عن معنى النفي الذي تضمنه لو أي : بل لله القدرة على كل شيء ، لو يشأ إيمانهم لآمنوا به وإذا لم يشاء لا ينفعهم إتيان ما اقترحوا من الآيات ، **﴿أفلم ييأس[4] الذين آمنوا﴾**: عن إيمانهم و لم

---

(١) ولما ذكر علة إرساله وهو تلاوته ، عظم هذا الوحي فقال : " ولو أن قرآنا " الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) نقل ابن أبي حاتم عن أبي سعيد وكذا روي عن ابن عباس والشعبي وقتادة والثوري وغيرهم/ ١٢ منه .[وهو ضعيف]

(٣) وهذا نحو " ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " (الأنعام:١١١)/ ١٢ منه .

(٤) أي : ألم ييئسهم العلم بأن الله لو شاء لهدى الناس جميعا عن إيمانهم ، فيقترحون آيات تكون سببا لإيمانهم / ١٢ .

ينقطع رجاؤهم عنه مع ما عاينوا من لجاجهم ، ﴿أن لو يشاء الله﴾ متعلق بمحذوف ، أي : علما منهم أن لو يشاء الله - تعالى، ﴿لهدى الناس جميعا﴾ وقيل: متعلق[1] بآمنوا ، وفسر أكثر السلف أفلم ييأس بأفلم يعلم، فقيل : هو بمعنى العلم في لغة النخع ، أو هوازن ، وقيل فسروه به ؛ لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين أفلم يتبين الذين آمنوا، قيل: نزلت حين أراد المسلمون أن تظهر آية مما اقترحوا ، ليجتمعوا على الإيمان، ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾: من خبائث أعمالهم ، ﴿قارعة﴾: داهية تفزعهم وتقلقهم ، ﴿أو تحل قريبا من دارهم﴾ أو تصيب القارعة من حولهم ، كما قال - تعالى - : " ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى " الآية (الأحقاف:٢٧)، ﴿حتى يأتي وعد الله﴾: الموت أو القيامة وعن بعض السلف ، أن المراد من الذين كفروا أهل مكة ومن القارعة السرية التى يبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم، أو عذاب من السماء يترل إليهم ، أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريبا[2] من دارهم وتقاتلهم حتى يأتي وعد الله - تعالى - أى: فتح مكة ، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ

---

(١) أى : أو لم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس من إيمان هؤلاء الكفرة فعلى هذا مفعول ييأس كالأول محذوف / ١٢ منه .

(٢) ليتعظوا ويعتبروا / ١٢ منه .

هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧ ﴾

﴿وَلَقَدِ[1] اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أطلت لهم المدة، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: عقابي إياهم وهذا تسلية لنبينا عليه السلام، ﴿أَفَمَنْ[2] هُوَ قَائِمٌ﴾: رقيب، ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خير وشر فيحفظهما ويجازيها والخبر محذوف، أي: كمن لا يكون كذلك والهمزة لإنكار المساواة، ﴿وَجَعَلُوا[3] لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ عطف على كسبت أو استئناف، وقيل: نقدر الخبر المحذوف لم يوحدوه فقوله وجعلوا عطف[4] عليه، وقيل تقديره أفمن هو قائم على كل نفس موجود وقد جعلوا لله شركاء فعلى هذا الواو للحال، ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾

---

(١) ولما قال: لا تزال تصيبهم بسبب صنيعهم قارعة شرع يظهر بعض صنائعهم، فقال: استهزئ برسل من قبلك مثل تلك القبائح من عاداتهم القديمة / ١٢ وجيز

(٢) ولما ذكر أن ما أصابهم ليس إلا بسبب كسبهم قال: " أفمن هو قائم " الآية/١٢ وجيز.

(٣) ولما علم أن لا يساويه ولا يناسبه شيء بين جهلهم وحمقهم، فقال: " وجعلوا لله شركاء " الآية / ١٢ وجيز.

(٤) ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على أنه المستحق للعبادة / ١٢ منه.

بأسماء من القادر أو الرازق، أو الخالق، أو القاهر أو غيرها من مثل أسماء الله الحسنى حتى تعرفوا أنهم غير مستحقين للعبادة ، ﴿أَمْ﴾، أي : بل ، ﴿تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾، أي : تخبرون الله - تعالى - بشركاء لا يعلمهم ، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ وهو العالم بكل شيء، ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ﴾ أي: أم تسموهم شركاء بظاهر من القول لا حقيقة له أصلًا[1] ، ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: كيدهم وما هم عليه من الضلال، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: عن طريق الهدى، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بالقتل والأسر وغيرهما ، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ[2] ﴾: يقيهم ويمنعهم منه ، ﴿مَّثَلُ الجَنَّةِ﴾ أي: صفتها التي هي مثل في الغرابة ، ﴿الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾ من الشرك وهو مبتدأ خبره مقدر أي : فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقوله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ حال من العائد المحذوف من الصلة أو هو خبر مثل الجنة كقولك: صفة زيد أسمر أو تقديره مثل الجنة[3] جنة تجرى ، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: لا ينقطع نعيمها، ﴿وَظِلُّهَا﴾: كذلك ، ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الجنة ، ﴿عُقْبَى﴾: مآل، ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الكَافِرِينَ[4] النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾ المراد مسلموا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه ، ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ أي : ومن أحزاب اليهود والنصارى، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ أي : ما يخالف كتبهم أو رأيهم ،

---

(١) كتسمية الزنجى كافورًا / ١٢ منه .

(٢) ولما ذكر ما أعد للكفار أخذ يذكر ما أعد للمؤمنين فقال : " مثل الجنة " الآية/ الوجيز

(٣) المثل على الوجه الأخير بمعناه اللغوي وعلى الوجهين الأولين بمعنى الصفة/ ١٢ منه .

(٤) ولما بين حال القسمين وما أعد لهما عقب ببعض من القسمين فقال : " والذين آتيناهم الكتاب " الآية / ١٢ وجيز .

قال بعضهم : هذا في مؤمني أهل الكتاب حزنوا بقلة ذكر لفظ الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما نزل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " (الإسراء: ١١٠)، فرحوا وكفر المشركون به ، فقالوا : وما الرحمن ، ﴿قل﴾: لهم، ﴿إنما أمرت أن أعبد[1] الله﴾: وحده ، ﴿ولا أشرك به إليه أدعو﴾: لا إلى غيره، ﴿وإليه﴾: لا إلى غيره ، ﴿مئاب ﴾: مرجعي للجزاء ، يعني قل لهم: هذا شغلي وأمري حتى يعلموا أن إنكارهم إنكار عبادة الله مع ادعائهم واتفاقهم وجوبها ، ﴿وكذلك﴾ أي : كما أنزلنا على قلبك الكتاب بلغاتهم ، ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن حال كونه ، ﴿حكما عربيا ﴾: حكمه مترجمة بلسان العرب، قال بعضهم: سماه حكما ؛ لأنه منه يحكم في الوقائع، أو لأن الله تعالى حكم على الخلق بقبوله ، ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾: بحقيقة ما معك وبطلان ما معهم، ﴿ما لك من الله من ولي ﴾: ينصرك، ﴿ولا واق ﴾: يمنع العقاب عنك وهذا في الحقيقة وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ

(١) قوله : "أن أعبد الله ولا أشرك به" هذا يدل على نفى الشركاء والأنداد والأضداد بالكلية ويدخل فيه إبطال كل من أثبت معبودا سوى الله - تعالى - سواء كان ذلك المعبود هو الشمس والقمر أو الكواكب ، أو الأصنام والأوثان والأرواح العلوية أو يزدان من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة على ما يقوله الثنوية وكما يجب عبادة الله وحده فكذلك يجب الدعوة إلى عبودية الله وحده كما قال: "إليه أدعوا وإليه متاب" / ١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام الرازي .

وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساء وأولادًا كما هي لك، قيل: نزلت حين قال المشركون أو اليهود: ليست همة هذا الرجل إلا فى النساء ، **﴿وَمَا كَانَ﴾**: ما صح، **﴿لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾**: خارقة للعادة ، **﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** قيل: هذا جواب لسؤالهم توسيع مكة ، **﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** أي: لكل مدة مضروب كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار ، **﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾**، أي : ينسخ الله تعالى ما يشاء من الأقدار ويثبت منها ما يريد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره يمحو ما يشاء إلا الشقاء[1] والسعادة والحياة ، والموت

---

(١) وإما أن السعادة والشقاء ومدة الحياة ووقت الأجل لا يغير ولا يمحا فالأحاديث والآثار دالة على خلاف ذلك فإن الصدقة وصلة الرحم تزيدان فى العمر وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- وابن مسعود(*) وابن عباس وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن(*) جريج -رضي الله عنهم- وغيرهم / ١٢ فتح البيان.

(*) تكررت لفظة: وابن في الأصل.

وعن كثير من السلف : أنهم يدعون بهذا الدعاء[1] اللهم إن كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، ولكل وقت حكم يكتب على عباده[2] فيمحوا ما يشاء ويثبت بنسخ ما يستصوب نسخه، وإثبات ما يقتضيه حكمته، أو فيه تقديم وتأخير[3] تقديره لكل كتاب أي : متزل من السماء مدة مضروبة عند الله - تعالى - يمحو ما يشاء ويثبت حتى نسخت كلها بالقرآن ، ويمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت بدلها الحسنات أو هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يعود بمعصيته فيموت على الضلالة فهو الذى يمحو، والذى يثبت ما يشاء فلا يغفرها، أو يمحو الذنوب بالتوبة ويثبت هو الرجل يعمل بطاعته ويموت عليها أو يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة كالمباحات ويثبت ما يتعلق به جزاء ، أو قال[4] : قريش حين نزلت وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ما نراك يا محمد تملك من شيء، ولقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه تخويفًا ووعيدًا لهم ، ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ هو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يغير، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - الكتاب كتابان، كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وكتاب لا يغير منه شيء، أو المراد منه علم الله - تعالى، ﴿وَإِن[5] مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾، أي :

---

(١) هذا الدعاء المنقول عن كثير من السلف كعمر بن الخطاب- رضى الله عنه-وابن مسعود- رضى الله عنه- وغيرهما مخالف لما قال ابن عباس- رضى الله عنه-/ ١٢ منه .
(٢) هذا غير الأول فإن الأول نسخ الأقدار وهذا نسخ الحكام كنسخ أحكام القرآن بعضه ببعض / ١٢ منه .
(٣) هذا قول الضحاك ويعني المراد من قوله لكل أجل كتاب بكل كتاب أجل /١٢ منه .
(٤) نقله ابن أبي نجيع عن مجاهد / ١٢ منه .
(*) تكرار رضى الله عنه ص٣٥٣.
(٥) ولما ذكر أن الأقدار يمحو ويثبت طمحت النفوس إلى العلم بأن إهلاك أعداء الدين هل هو من أي القسمين من المحو والإثبات فقال : " وإما نرينك بعض الذي نعدهم " الخ / ١٢ وجيز .

كيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم من عذابهم ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل نزول عذابهم ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾: ما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة، ﴿وَعَلَيْنَا﴾: لا عليك، ﴿الْحِسَابُ﴾، أي : حسابهم وجزاؤهم فلا تستعجل بعذابهم ولا يهمنك إعراضهم ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾: أرض الكفر، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بما نفتح على المسلمين من بلادهم ونزيد في دار الإسلام وما ذلك إلا من آيات نصرهم، وقال[1] بعضهم معناه: أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها فنخربها من أطرافها ونهلك أهلها ، أو ننقص أهلها وثمارها ، أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك ، أو نقصانها موت[2] علمائها وذهاب فقهائها ، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾: بما يشاء، ﴿لاَ مُعَقِّبَ[3]﴾: لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ والنفي مع المنفي في موضع الحال، أي: نافذًا حكمه ، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا ، ﴿وَقَدْ[4] مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الكفار الذين من قبل مشركي أهل مكة مكروا بأنبيائهم، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ[5] جَمِيعًا﴾، فإن مكر الماكرين في جنب مكر الله تعالى كلا مكر، فإنه القادر

---

(١) هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة / ١٢ منه .

(٢) هذا أيضاً منقول عن ابن عباس- رضى الله عنه- ومجاهد- رضى الله عنه-/ ١٢ منه .

(٣) المعقب : الذي يكر على الشيء فيبطله / ١٢ منه .

(٤) ولما ذكر إقبال المسلمين وإدبار الكافرين عقب شيئًا هو السبب لإدبارهم فقال : "وقد مكر الذين" / ١٢ وجيز .

(٥) وصف تعالى نفسه بالمكر والكيد في القرآن كما وصف عبده بذلك فقال: "ويمكرون ويمكر الله" (الأنفال:٣٠) وقال : "إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً" (الطارق:١٦)، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد ولله المثل الأعلى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير/١٢(*).

(*) تكرر رقم /١٢ بالأصل.

على ما هو المقصود منه دون غيره، أو هو خالق جميع المكر فلا يضر مكر إلا بإذنه ، فلا تخف إلا من الله تعالي ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، ويعد لها الجزاء ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: لمن تكون الدائرة والعاقبة المحمودة لهم أو للمسلمين في الدنيا والآخرة ، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، هم من اليهود والنصارى ، فإنهم عرفوا حقيته في التوراة والإنجيل ، أو من عنده علم الكتب هو الله تعالي ويؤيده قراءة من قرأ من عنده بكسر الميم والدال قال بعضهم المراد مؤمنوا أهل الكتاب ، ثم اعترض عليه بأن هذه الآية مكية ومن آمن منهم ما آمن إلا بعد الهجرة والله سبحانه وتعالى أعلم .

سورة إبراهيم مكية

وهي اثنتان وخمسون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ
إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ
وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣
وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ
أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ
أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ
وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝٦ ﴾

﴿الــر كِتَابٌ﴾ أي : هو كتاب، ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾: بدعوتك إياهم إلى ما فيه، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الضلال، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الهدى، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمره وتوفيقه ، ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ بدل من إلى النور، ﴿العَزِيزِ﴾: الغالب ، ﴿الحَمِيدِ﴾: المستحق للحمد ، ﴿اللَّهِ﴾ عطف بيان للعزيز وعلى قراءة الرفع مبتدأ خبره قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف والذي صفته، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ والويل اسم معنى كالهلاك، ﴿الَّذِينَ

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: يختارون، **﴿الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: يمنعون الناس عن دين الله تعالى، **﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾**، أي: يطلبون لها الاعوجاج، ويقولون للناس: إنها معوجة بحذف الجار وإيصال الفعل،**﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾**: عن الحق ووصفه بالبعد مع أنه في الحقيقة للضال للمبالغة، **﴿وَمَا[1] أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ﴾**: بلغة، **﴿قَوْمِهِ﴾**: الذي هو بعث فيهم، **﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾**: ما أمروا به فيفهموه بلا كلفة ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإن بعث إلى الأحمر والأسود بصرائح الدلائل ، لكن الأولى أن يكون بلغة من هو فيهم حتى يفهموا ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم ، **﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾**أي: بعد البيان، **﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾**: باتباعه ، **﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾**: الذي ما شاء كان و لم يشأ لم يكن، **﴿الحَكِيمُ﴾**: في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل الهداية، **﴿وَلَقَدْ[2] أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا[3]﴾** كاليد والعصا، **﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾** أي: بأن أخرج أو أن مفسرة ففي الإرسال معنى القول، **﴿قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾**: بنعمائه عليهم من فلق[4] البحر والإنجاء من يد فرعون وغير ذلك أو بوقائعه في الأمم السالفة، **﴿إِنَّ**

---

(١) ومن طلب الاعوجاج أنهم قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي؟! فقال الله : " وما أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر أن كتب الرسل بلسان قومهم شرع في حكاية رسول كتابه بعد القرآن ، أجل الكتب تسلية وتثبيتاً وتصبيرًا للنبي المصطفى – صلى الله عليه وسلم – فقال : " ولقد أرسلنا "/ ١٢ وجيز .

(٣) الجمهور على أن المراد بآياتنا تسع الآيات المشهورة / ١٢ وجيز .

(٤) وهذا التفسير رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – [المسند (١٢٢/٥) عن أبي بن كعب مرفوعا، وذكر ابن كثير (٥٢٤/٢) أن عبد الله بن أحمد رواه أيضا موقوفا وهو أشبه]، وهو =

﴿فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾، أي : ما صنعنا ببني إسرائيل أو ما نزل من البلاء على الأمم عبرة لمن يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه، ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي : واذكر إذ قال، ﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم ﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام وقيل بدل اشتمال من نعمة الله،﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾ أي : والحال أنه يبغونكم ، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ ﴾: أفضحه وهو ثاني مفعوليه، ﴿وَيُذَبِّحُونَ[1] أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يتركونهن[2] أحياء ، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ابتلاء من حيث إنه أمهلهم فيه أو ذلكم إشارة إلى الإنجاء بمعنى النعمة.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟
أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا
تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ

= قول كثير من السلف كمجاهد وقتادة وغيرهم وعلى هذا يكون التذكير لإسلام بعض أو يكون بعد كفرهم لعبادة العجل / ١٢ وجيز .

(١) الواو فى ويذبحون إشارة إلى أن ذبح الأبناء أحد أنواع عذابهم وهم معذبون بأنواع أخرى من الاستعباد والتكاليف الشاقة و الإذلالات / ١٢ منه .

(٢) للخدمة / ١٢ .

أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢ ﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ عطف على إذ أنجاكم[1] أي: أذن وأعلم، **﴿رَبُّكُمْ ﴾**: فقال، **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾**: يا بني إسرائيل نعمتي فأطعتموني ، **﴿لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾**: في النعمة، **﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾**: نعمتي، **﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ[2] ﴾**، لمن كفر نعمتي ، **﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾**، عن خلقه وشكرهم ، **﴿حَمِيدٌ ﴾**، مستحق للحمد في ذاته وإن لم يحمده الحامدون ، **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾**، من الكفار كلام مستأنف من الله تعالى أو من تمام كلام موسى والأول أظهر فقد نقل أن قصة عاد وثمود ليست فى التوراة ، **﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** أي : بعد هؤلاء من الأمم المكذبة، **﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾**: لا يحصي عددهم لكثرتهم إلا الله تعالى ولهذا قال بعض السلف: كذب

---

(١) جاز أن يكون عطفًا على نعمة الله ، أي : اذكروا حين تأذن ربكم / ١٢.

(٢) جاء التركيب على ما عهد فى القرآن من أنه إذا ذكر الخير أسند إلى نفسه الأقدس وإذا ذكر الشر بعده عدل عن نسبته إلى نفسه وصرح فى لأزيدنكم بالمفعول، ولم يذكره فى جانب العذاب وإنّ كان المعنى عليه رجاء ورحمة ثم نبه موسى قومه على أنه أوعد على الكفر لا لأنه محتاج إلى شكركم فقال وقال موسى "إن تكفروا" الآية ١٣ وجيز.

النسابون[1] ، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الواضحات، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، أي : الكفار عضوها من الغيظ أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وإلى ما نطقت ألسنتهم به من قولهم:" إنا كفرنا بما أرسلتم به" ، أي : هذا جوابنا ليس عندنا غيره أو وضعوا أيديهم على أفواههم كما يفعل ذلك من غلبة الضحك ، أي : ضحكوا وتعجبوا ووضعوها عليها مشيرين للأنبياء بالسكوت أو أخذ الكفار أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم أو الرسل لما أيسوا منهم، وضعوا أيديهم على أفواه أنفسهم، وسكتوا ووضعوا الكفار أيدي أنفسهم على أفواه الرسل، ردًّا أو تكذيبًا لهم، أو منعًا لهم من الكلام، أو سكتوا عن الجواب يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب: رد يده فى فيه، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾، على زعمكم، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ[2]﴾ : موقع فى الريبة، ﴿قَالَتْ﴾: لهم ، ﴿رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ﴾، أي : فى تفرده بوجوب العبادة له ، ﴿شَكٌّ﴾: فاعل الظرف، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: لا يستحق العبادة إلا من ابتدعهما من غير مثال سبق، ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: إلى طاعته، ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعض ذنوبكم الذي يُكَفَّر بالإيمان فإن المظالم لا يُكَفَّرُ بالإيمان[3] للذمي خصوصًا، وقيل من

---

(١) قاله ابن مسعود وعروة بن الزبير: يعني أنهم يدعون علم الأنساب .

(٢) صفة توكيد بادروا أولاً إلى التكذيب المحض ثم أخبروا أنهم فى ترددهم كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى انتقالهم من التكذيب المحض إلى التردد ، أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب وطائفة شكت وهذا الشك أيضاً كفر ، قالت لهم رسلهم : أفي الله شك/ ١٢ وجيز.

(٣) سيما إذا كان المال موجودًا وقيل للتبعيض لأن الإسلام يجب ما قبله ويبقى ما يستأنف بعده من الذنوب / ١٢ وجيز.

صلة، وقيل بمعنى البدل، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فمن أين لكم المتبوعية، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾: تمنعونا، ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة ومعجزة ظاهرة دالة على فضلكم وصحة دعواكم كأنهم اقترحوا آية أظهر مما جاءوا به من المعجزات[1]، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: في الجنس والصورة، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فاختصنا بالنبوة والمتبوعية من فضل الله، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس هذا في وسعنا، بل شيء يتعلق بمشيئة الله تعالى وإذنه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فنحن نتوكل عليه في الصبر على معاداتكم، ﴿وَمَا لَنَا﴾: وأي عذر لنا في، ﴿أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: طرق الرشاد، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، ﴿عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ونحن متوكلون ومن توكل على أحد فليتوكل على الله لا على غيره أو فليثبت المتوكلون على توكلهم فإنه إذا قيل للمتوكل توكل فمعناه[2] اثبت.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ

(١) فإنهم قد جاءتهم رسلهم بالحجج والمعجزات الباهرات / ١٢ .

(٢) فلا تكرار بوجه بل الأمر الأول لاستحداث التوكل والثاني للثبات فيه وفي الحث على التوكل مبالغات / ١٢ وجيز .

عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ
ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ
ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ
وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ
ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ
عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ
صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ حلفوا بأن لا محالة يكون أحد الأمرين، إما إخراجكم وإما عودكم، والأنبياء ما كانوا على ملة الكفرة، فلذلك قالوا العودة بمعنى الصيرورة، **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾** إلي الرسل، **﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾** أي: أرضهم، **﴿مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ﴾** أي: وعدي هذا، **﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾**، موقفه بين[1] يدي الله في القيامة، **﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾**: تخويفي وعذابي، **﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾**، استنصرت الرسل ربها على قومها وسألوا منه الفتح على أعدائهم أو استفتحت الأمم الفتح كما قالوا:" اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر" الآية أو الضمير للرسل والأمم أي: سألوا كلهم نصر المحق وهلاك المبطل، **﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾**: متكبر معاند للحق كأنه قال استفتحت الرسل فنصروا وأفلحوا وخاب أو استفتح الكفار فلم يفلح وخاب، **﴿مِّن وَرَائِهِ[2] جَهَنَّمُ﴾** أي: أمامه

---

(١) فإنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة وقيل: خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله/ ١٢ منه.

(٢) على الوجه الثاني من وضع الظاهر موضع المضمر فإن الظاهر أن يقال حينئذ خابوا/ ١٢ منه.

وبين يديه وقيل: من وراءه حياته، ﴿وَيُسْقَى﴾ تقديره من وراءه جهنم يلقى فيها ويسقى،﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم قيل ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر عطف بيان للماء ، ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يتكلف جرعه يعني يشربه قهرًا، فإنه لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، صفة الماء أو حال من ضمير يسقى،﴿وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: لا يقارب أن يسيغه، فكيف يكون إلا ساغه وهي جواز الشراب على الحلق بسهولة، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي : أسبابه من الشدائد ، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع جوانبه وقيل: كل مكان من أعضائه ، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: ليستريح، ﴿وَمِن وَرَائِهِ﴾ بين يديه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي : له عذاب آخر أدهى وأمر ، فإن أنواع عذاب الله تعالى لا يحصيها إلا هو ، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ، ﴿أَعْمَالُهُمْ[١] كَرَمَادٍ[٢]﴾، خبره أو تقديره فيما يقص عليكم مثل الذين كفروا وقوله أعمالهم كرماد مستأنفة كأنه قيل : كيف أعمالهم ؟ فقال : أعمالهم كرماد ، أو أعمالهم بدل وكرماد خبره ، ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العصف اشتداد الريح فهو في المبالغة كنهاره صائم يعني لا ينتفعون بأعمالهم ولا يجدونها كرماد ذرته الريح هل يجد أحد منه ذرة، ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ﴾: في القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ[٣]﴾: لحبوطه، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى عدم وجدان أعمالهم،

(١) قوله: "أعمالهم" إلخ الصالحة كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقرار الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها أو الأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى / ١٢ فتح .

(٢) كما تقول: صفة زيد عرضه مصون وماله محفوظ / ١٢.

(٣) منها ولا يرون له أثرًا في الآخرة يجازون به ويثابون عليه، بل جميع ما عملوه في الدنيا باطل ذاهب كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبها وهو فذلكة التمثيل، وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينفعهم كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل في يوم عاصف / ١٢– ١٢ فتح البيان .

﴿هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ﴾ فإنه الغاية في البعد عن الحق، ﴿أَلَمْ تَرَ[1]﴾: يا محمد والمراد خطاب أمته، ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا بالباطل في خلقه حكم ومصالح ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعدمكم، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد﴾: يخلق خلقًا آخر مكانكم أطوع منكم فإن من قدر على خلق السماوات والأرض قدر على مثل ذلك، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعسر ومن كان كذلك فحقيق بأن يعبد رجاء لثوابه وخوفًا من عقابه، ﴿وَبَرَزُوا[2] للَّه جَمِيعًا﴾: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: رؤسائهم الذين استكبروا عن عبادة الله - تعالى - ، أو تكبروا على الناس، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: في الدين جمع تابع، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ حال ومن للتبيين، ﴿مِن شَيْءٍ﴾، مفعول ومن للتبعيض، ﴿قَالُوا﴾ أي: الرؤساء جوابًا عن الضعفاء ، ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ أي : لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، أو لو هدانا الله ووفقنا للإيمان لهديناكم ، أي : إنما أضللناكم لأنا كنا على الضلال، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ هما مستويان علينا، ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ[3]﴾: مهرب نقل أن بعض أهل النار قالوا لبعضهم : تعالوا نبكي ونتضرع ، فإنما أدركوا الجنة بالبكاء والتضرع ، فلما

---

(١) ولما ذكر حال من ينكر الآخرة ومآله عقبه بدليل واضح على الإعادة فقال : " ألم تر" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ثبت بالبرهان قدرته الكاملة عطف وعقب قوله: "وبرزوا" ليكون كالنتيجة للأولى/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الأنس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس فقال تعالى : " وقال الشيطان " الآية/١٢ وجيز.

رأوا ذلك لا ينفعهم ، قالوا : تعالوا نصبر فإنما أدركوها بالصبر فصبروا صبرًا لم يــر مثله، فلما لم ينفعهم قالوا:" سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص".

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ ﴾

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ[1] لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾: لما فرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة، والنار النار، **﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ﴾**: وعدًا من حقه الإنجاز أو أنجزه وهو الوعد

(١) قيل: هذا بعد تعيين كل قوم لمنازلهم من الجنة والنار ولكنه في الموقف فقد نقل من حديث عقبة بن عامر "أن الكافرين يقولون: وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟ فقيل شفيعكم إبليس، فقاموا إليه، فقام خطيبًا وقال:﴿إن الله وعدكم﴾ الآية"/١٢ وجيز .

بالبعث وأن الناجي من اتبع الرسل، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ إنه غير كائن والناجي عابد الصنم، ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، كما قال يعدهم ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: ليس لي عليكم دليل ولا حجة، أو ليس لي تسلط فألجئكم إلى الآثام، ﴿إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: لكن دعوتكم[1] ، ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾: حيث أجبتموني، وما أطعتم ربكم مع ظهور حجته، ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم ، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثي ، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، أي: إني جحدت وتبرأت أن أكون شريكًا لله - تعالى -، فما مصدرية ، ومن متعلقة بأشركتموني، أي: كفرت اليوم بإشراككم[2] إياي في الدنيا ، وقيل: كفرت بسبب إشراككم إياي فى الدنيا ، وقيل: ما[3] بمعنى من، ومن متعلقة بكفرت ، أي : كفرت قبل إشراككم ، أي : حين أبيت السجود بالذي أشركتمونيه[4] وهو الله تعالى، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ابتداء كلام من الله، أو تتمة كلام إبليس[5] ، ﴿وَأُدْخِلَ[6]﴾ والمُدْخِل الملائكة ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع ، قال الزمخشري أي إلا دعائي إياكم بوسوستي وليس الدعاء من جنس السلطان لكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ، فعنده أن الاستثناء متصل / ١٢ منه .

(٢) منقول عن قتادة والأول هو الوجه / ١٢ .

(٣) نحو سبحان ما سخركن لنا / ١٢ .

(٤) يقال شركنيه فلان ، أي : جعلني له شريكًا / ١٢ .

(٥) وهو الظاهر / ٢١ وجيز .

(٦) ولما تم مقاولة الضعفاء مع الرؤساء، ومقاولة الشيطان، الذي هو رأسهم ورئيسهم، يذكر حال أهل النجاة كما هو عادة القرآن فقال : " وأدخل الذين آمنوا " الآية/١٢ وجيز.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أدخل بأمر الله تعالى وإذنه، **﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾**: ويحيي بعضهم بعضًا، والملائكة تحييهم بالسلام ، **﴿أَلَمْ**[1] **تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ ﴾** أي : قصد[2] ، **﴿مَثَلاً﴾**: ووضعه، **﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾** هي كلمة التوحيد ، ونصبها بتقدير جعل كلمة، ويكون تفسيرًا لقوله ضرب الله، **﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾**: هي النخلة[3] أو شجرة في الجنة، **﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾**: في الأرض، **﴿وَفَرْعُهَا ﴾**: غصونها ورأسها، **﴿فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي ﴾**: هذه الشجرة، **﴿أُكُلَهَا ﴾**: ثمرها، **﴿كُلَّ حِينٍ ﴾** عينه الله تعالى لإثمارها، أو صيف وشتاء، صباح ومساء، **﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾**: بإرادة خالقها وكلمة التوحيد كشجرة أصلها في أرض قلب المؤمن ، وثمرها صوالح أعمال المؤمن ، وفرعها في السماء ، يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء ، والشجرة لا تكون شجرة إلا بعرق وأصل وفرع، كذلك الإيمان لا يتم إلا بتصديق وإقرار وعمل ، **﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾** فإن فيها زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ، **﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾**: هي الشرك، **﴿كَشَجَرَةٍ ﴾** أي : كمثل شجرة ، **﴿خَبِيثَةٍ ﴾** وهي الحنظلة[4]، **﴿اجْتُثَّتْ ﴾**

---

(١) لما تقرر أن الوعد الحق ما قاله الله وأذن له ، والوعد الباطل ما قاله الشيطان ووعده ، ضرب لهما مثلاً تقريبيًا للفهم فقال : " ألم تر كيف " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) يقال فلان ضرب البلد ، أي : قصده / ١٢ منه .

(٣) هي النخلة بهذا فسره النبي – صلى الله عليه وسلم – رواه ابن أبي حاتم [وكذا أحمد وابن مردويه بسند جيد كما في الدر المنثور للسيوطي (١٤٣/٤)]، وفي البخارى ما يؤيده [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٦٩٨)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفات المنافقين"، (٢٨١١)]، وهو قول مسروق ومجاهد وعكرمة وغير واحد/ ١٢ منه .

(٤) رواه ابن أبي حاتم وغيره عن أنس عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم / ١٢ منه.[أخرجه ابن أبي حاتم بسند رجاله ثقات، وانظر تفسير ابن كثير (٥٣٢/٢)]

اقتلعت وأخذت جثتها بالكلية ، ﴿مِن فَوْقِ الأَرْضِ﴾ لأن عروقها قريبة منه، ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ استقرار، فإن الكفر لا أصل له، ولا يصعد للكافر عمل، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: بالحجة عندهم، ﴿فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يزلون عنه بحال، ﴿وَفِي الآخِرَةِ[1]﴾: في القبر، عن ابن عباس، من دام على الشهادة في الدنيا، يلقنه الله تعالى إياها في قبره، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: لا يلقنهم إياها في قبورهم ، فيقولون في جواب الملكين لا ندري[2]، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ[3]﴾، ولا اعتراض .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ

---

(١) وعن عثمان بن عفان– رضى الله عنه– قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم إذا فرغ عن دفن الميت، وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل" أخرجه أبو داود / ١٢ فتح .[صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وغيرهما، وانظر صحيح الجامع].

(٢) كما صرح في الصحيح / ١٢ .[أخرجه البخاري في "الجنائز"، (١٣٧٤)]

(٣) ما يشاء فعله ، لا راد لما أراد ، لكن لا يفعل باختياره واقتداره، إلا ما فيه حكم ومصالح، ولما قال: "ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء"، ذكر من أحوالهم وأعمالهم ما يدل على أنهم مستحقون للعقاب فقال : " ألم تر إلى الذين بدلوا " الآية/١٢وجيز .

ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي : نفس نعمته ، ﴿كُفْرًا﴾ فإن كفار قريش أنعم الله – تعالى – عليهم بمحمد – عليه الصلاة والسلام –وغيره من النعم ، فكفروا ذلك، فسلبت منهم فبقوا مسلوبي النعمة، حاصِلًا لهم الكفر بدل النعمة، وقحطوا وأسروا وقتلوا، أو بدلوا شكر نعمته كفرًا بأن وضعوه مكانه ، ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾: الذين اتبعوهم ، ﴿دَارَ الْبَوَارِ[1] ﴾: الهلاك ، ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها حال، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ أي : بئس المقر جهنم، ﴿وَجَعَلُوا[2] لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالاً، ﴿لِّيُضِلُّوا﴾ الناس ، ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ عن دينه ، والإضلال نتيجته فجعل غرضًا مثل لدوا للموت ، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بلذاتكم ، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ[3] إِلَى النَّارِ ﴾ والأمر للتهديد ، ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا ﴾ أي : ليقيموا[4] ﴿الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ منصوبان بالظرفية، أي: وقتي سر

---

(١) وعن على بن أبى طالب وغيره ، أنها نزلت في قتلى بدر وقليب بدر أو بوارهم ، وعلى هذا جهنم منصوب بيصلون المقدر والمذكور هو المفسر / ١٢ .

(٢) يعني زادوا إلى كفر نعمته، أن صيروا له أندادًا، أمثالاً في عبادته ليضلوا/١٢ منه .

(٣) ولما أمر بأن يقول للكافرين المشركين بقوله قل تمتعوا كأن النفس توجه إلى ما يقال للمؤمنين الموحدين، فقال: "قل لعبادي" / ١٢ وجيز .

(٤) فاللام مقدر كما هو مذهب الزجاج والكسائي وجماعة من النحويين، وهذا كأنه أولى من تقدير أقيموا الصلاة وأنفقوا ويقيموا وينفقوا جواب الأمر لقلة الحذف، ولأن قوله: "من قبل أن يأتي" يناسب الأمر لا الجواب، والأمر الغائب بعد قل واقع، نحو قل لهم إن ينتهوا يغفر لهم / ١٢ وجيز .

وعلانية، أو على المصدر، أي: اتفاقهما أو على الحال، أي: ذوى سر وعلانية، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيشتري المقصر ما يتدارك به تقصيره، ﴿وَلاَ خِلاَلٌ﴾ لا مودة، يعني مودة تكون بميل الطبيعة لكن مودة المتقين لما كانت[1] لله تنفعهم.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ خبره ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضها، ﴿رِزْقًا﴾ مفعول له أو حال أو مصدر، فإن أخرج بمعنى رزق، ﴿لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾ لأجل انتفاعكم، ﴿الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ سراجًا ونورًا وحسبانًا وغير ذلك، ﴿دَائِبَيْنِ﴾ وهو مرور الشيء على عادة مطردة، يعني: يجريان لمصالح العباد دائمًا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله، ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ﴾ من تبعيضية، ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بلسان القال والحال، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدها فضلاً عن القيام بشكرها، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ﴾ على النعمة بترك شكرها، ﴿كَفَّارٌ[2]﴾ لها وقيل: يشكر غير منعمه ويجحده.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى

---

(١) فإن مودة التقوى نافعة، ولما ذكر أن لا شيء من البيع والخلال ينفع، كأن قائلاً قال: فمن الحاكم؟ قال: " الله الذي " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) وقيل: ظلوم يشكو في شدة ويجزع، كفار يجمع ويمنع ولما قال: " إن تعدوا نعمة الله " الآية، ذكرهم نعمة أنعمها عليهم وهم كفروا بها فقال "وإذ قال" أي: وذكرهم بأيام الله إذ قال إبراهيم: " رب اجعل " الآية / ١٢ وجيز.

زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا
نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾
رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة شرفها[1] الله - تعالى، **﴿آمِنًا﴾** ذات أمن ، يذكر الله كفار مكة أنه إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده، **﴿وَاجْنُبْنِي﴾** بعدني، **﴿وَبَنِيَّ﴾** المراد أبناؤه من صلبه، **﴿أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾** أسند إلى السبب، **﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾** على ديني، **﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾** بعضي لفرط اختصاصه بي ، **﴿وَمَنْ عَصَانِي[2] فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** تقدر إن تغفر له، ولا يجب عليك شيء، قيل: معناه ومن عصاني فيما دون الشرك أو إنك غفور بعد الإنابة، **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾** بعضها أي: إسماعيل، **﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ[3]﴾** أي: مكة، **﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾** الذي في علمك أنه يحدث في ذلك

---

(١) والظاهر أن الدعاء حين صار المكان بلدًا / ١٢ وجيز .

(٢) قوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لأن التبعية طاعة / ١٢ .

(٣) غير ذى زرع، روي أن هاجر لما ولدت إسماعيل، غارت منها سارة، فروي أنه ركب البراق هو والطفل وأمه، فجاء مكة بيوم واحد من الشام، فأقامهما ورجع من يومه بوحي من الله، فلما ولى دعا بهذا، وليس في الوادي ماء وكأنه طلب من الله لهما الماء، بقوله: "غير ذى ذرع عند بيتك المحرم" / ١٢ وجيز .[انظر القصة مطولة في صحيح البخاري (٣٣٦٤)]

الوادي[1] ، قال بعض المفسرين: هذا دعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الأول بزمان، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أي: أسكنتهم كي يقيموا الصلاة عند بيتك، وتوسيط النداء للإشعار بأنها المقصودة بالذات والغرض من إسكانهم، ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ أفئدة من أفئدتهم، ﴿تَهْوِي﴾ تسرع، ﴿إِلَيْهِمْ﴾ شوقًا، وعن السلف لو قال: أفئدة الناس لازدحم إليه فارس والروم والناس كلهم، ولكن قال: من الناس فاختص به المسلمون، ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ نعمتك وقد استجاب الله دعاءه، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ فلا حاجة إلى الطلب لكنا ندعوك إظهارًا للعبودية، أو ما نخفى من الوجد بإسماعيل وأمه، حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع ، وما نعلن من الدعاء﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ﴾ صفة شيء ، ﴿وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ هو من تتمة كلام إبراهيم، أو مبتدأ من الله، ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ﴾ أي: وأنا كبير وآيس من الولد ، ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ وهو في تسع وتسعين ، ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ وهو فى مائة واثنتي عشرة، وهذا دليل علي أن الدعاء بعد[2] بناء البيت ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ لمجيبه، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ محافظًا عليها معدلاً لأركانها، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ واجعل منهم من يقيمها، وهو يعلم من الله -تعالى- أن في ذريته بعضًا من الكفار، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ[3]﴾ فيما سألتك كله،

---

(١) قوله فى ذلك الوادي إلخ، فإن موضع البيت نحو جبل يأتيه السيل ويأخذ عن يمينه وشماله، قال بعض هذا الدعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الأول بزمان ، وهو الأرجح كما يجيء المرجح / ١٢ وجيز .

(٢) فإن الدعاء الأول في طفولية إسماعيل، ولم يكن إسحاق، اللهم إلا أن يقال: إن الدعاء والحمد في زمن مختلفة، جمع الله جميعهم وحكى عنهم / ١٢ وجيز .

(٣) هو عطف جملة على جملة بتوسط ربنا للتضرع / ١٢ .

أو عبادتي، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ(١)﴾ وهذا قبل أن يتبين أنه عـــدو لله - تعـــالى، قيل: أراد وفقهما على الإيمان، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ(٢) ﴾ يثبت ، ﴿الْحِسَابُ﴾.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

---

(١) كانت أمه مؤمنة كما قيل ، ولم ييأس من إيمان والده / ١٢ وجيز .

(٢) قيام الحساب مجاز عن ثبوته، نحو قامت الحرب على ساق، ولما ذكر قريشًا نعمة مـــن نعمة الله أنعمها عليهم وهم كفروا بها ولم يشكروها، وتلك النعمة بناء جدهم- الذي افتخروا به - البيت للتوحيد ودعاءه من قوله: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنـــام"، وأتم حكايته، رجع إلى ما كان فيه بأحسن وجه حين فصل حكاية دعائه إلى قوله: "يـــوم الحساب"، فقال: " ولا تحسبن الله غافلاً " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ إذ أجل المشركين وأنظرهم ، ﴿غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ والآية تسلية لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وتهديد للمشركين، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤخر عذابهم ، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ لا تقر في أماكنها لهول ذلك اليوم، ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين، أي: إلى المحشر، كما قال - تعالى: "مهطعين إلى الداع" (القمر:٨) ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها لا ينظر أحد أحدًا ، ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ فعيونهم شاخصة يديمون النظر ولا يطرفون لمحة، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ في ذلك اليوم، ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية[١] عن الفهم خلاء ، قال بعضهم: أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت عن أماكنها، ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ يا محمد ، ﴿يَوْمَ﴾ مفعول ثان لأنذر، ﴿يَأْتِيهِمُ العَذَابُ﴾ يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا، ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ أمهلنا، ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ حد من الزمان ، ﴿قَرِيبٍ[٢]﴾ سألوا الرد إلى الدنيا ، ﴿نُّجِبْ﴾ جواب للأمر ، ﴿دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجابون بقوله: ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ حلفتم في الدنيا ، ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ جواب القسم، أي : أقسمتم أنكم لا تنتقلون إلى الآخرة، ولا معاد لكم، فذوقوا وباله ، ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصيان، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ من أحوالهم فما اعتبرتم، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم، ﴿وَعِندَ اللَّهِ﴾ مكتوب، ﴿مَكْرُهُمْ﴾ فهو مجازيهم، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ في العظم، ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ مهيأ لإزالة الجبال،

(١) خالية عن الفهم يقال للبليد: قلبه هواء، أي: لا رأي له، أو معناه كالهواء، فإن الهواء أبداً في اضطراب لا سكون له، قيل: هذه الصفات الخمس لهم عند الحساب لذكرها عقيب قوله: "يوم يقوم الحساب"/ ١٢ وجيز .

(٢) إلى أجل قريب ، ولا يبعد أن قولهم ربنا أخرنا عند سكرات موتهم ومعاينة أمور الآخرة ومن مات فقد قامت قيامته / ١٢ وجيز .

وعن بعضهم معناه : وما كان مكرهم لتزول إلخ والجبال مَثَلٌ لأمر[1] محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن نافية واللام مؤكدة لها، ومن قرأ بفتح لام لتزول فإن مخففة، واللام هي الفاصلة، وعن بعضهم معناه: وإن كان شركهم لتزول كقوله تعالى : "تكاد السموات يتفطرن منه" الآية . وعن علي - رضي الله عنه : إن الآية في نمرود[2] حيث اتخذ تابوتًا وربط قوائمه الأربع بنسور ومكر حتى طرن إلى جانب السماء ثلاثة أيام، وغابت الدنيا عن نظره يريد محاربة إله السماء ، فلما هبط إلى الأرض سمعت الجبال خفيق التابوت ففزعت ظنًّا من حدوث القيامة ، فكادت تزول عن أماكنها.

﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ من نصرهم فى الدارين، أضاف[3] إلى المفعول الثاني إيذانًا بأنه لا يخلف الوعد أصلاً، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾** يغالِب ولا يغالَب، **﴿ذُو انتِقَامٍ﴾** لأوليائه، **﴿يَوْمَ﴾** بدل من يوم يأتيهم العذاب أو ظرف للانتقام، **﴿تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾** أي: والسماوات غير السماوات فتكون الأرض من فضة والسماء[4] من ذهب أو الأرض خبزة بيضاء يأكلها المؤمن من تحت

---

(١) قوله: مثل لأمر محمد إلخ يعني: ما كان مكرهم لتزول منه شرائع الله التي هي كالجبال الراسيات فى التمكن والثبات، وقرأ ابن مسعود وما كان مكرهم/١٢وجيز .

(٢) قوله: إن الآية في نمرود، قال الرازي: قال القاضي: وهذا بعيد جدا؛ لأن الخطر فيه عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ولا حجة فى تأويل الآية البتة / ١٢.

(٣) يعني: أن مخلفاً متعد إلى مفعولين، قال الفراء وغيره: جازت إضافته إلى أيهما شاء، وهنا مضاف إلى الثاني ولو أضاف إلى الأول لأوهم أنه يجوز أن يخلف غير رسله وعده، ولما قدم وعده اندفع الوهم لدلالته على أن الاعتناء بشأن الوعد أتم وأن الإخلاف إنما لم يجز في الوعد ، لكونه وعدًا لا لكونه مع الرسل ، قيل: مخلف هنا متعد إلى واحد، نحو لا يخلف الميعاد ونصب رسله بالوعد كأنه قال: مخلف ما وعد رسله / ١٢ وجيز .

(٤) كذا قال السلف / ١٢ .

قدميه، أو تكون السماوات جنانًا والأرض نيرانًا، أو المراد تغيير هيئتها تبسط وتمد مد الأديم[1] العكاظي[2] وتكور شمسها وتنتشر نجومها وتخسف قمرها ،﴿وَبَرَزُوا ﴾ من قبورهم ، ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾ لمجازاة الله الواحد الغلاب فلا مستجار لأحد إلى غيره، ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ كل كافر مع شيطان في غل أو بعض الكفار مع بعض أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقاهم، ﴿فِي الأَصْفَادِ ﴾ في الأغلال متعلق بمقرنين أو حال من ضميره ، ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصاهم ، ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ ما يطلى به الإبل الجربي، فيحرق الجرب بحرّه وحدته والجلد فيصير كيًا ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو أسود منتن، وعن بعض السلف هو النحاس المذاب، وهذا التفسير لمن قرأ قطرٍ وهو النحاس، وانٍ وهو المتناهي حره، ﴿وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تعلوها، ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ أي: فعل هم ذلك ليجزي الله، ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ من الكفار، ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ أو معناه برزوا ليجزي الله كل نفس من المؤمن والكافر ما كسبت من خير وشر ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ لأنه لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء ، ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن، ﴿بَلاغٌ﴾ كفاية في الموعظة، ﴿لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ تقديره بلاغ لينصحوا ولينذروا به[3]، أو تقديره ولينذروا به أنزل ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يستدلوا بالآيات على وحدانيته، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ ذووا العقول الخالصة .

---

(١) قوله: تمد مد الأديم إلخ وهذا قول ابن عباس ولا يبعد أن الصواب قول حبر الأمة؛ لأن الغرض من الآية التهويل والتخويف ، وأرض الفضة أرض الجنة لا أرض يوم القيامة والكلام في أرض القيامة ولهذا قال: "وبرزوا" إلخ .

(٢) من أسواق العرب في الجاهلية بموضع يبعد عن مكة ثلاثة أيام وهو بين نخلة والطائف .

(٣) فيكون عطف على جملة / ١٢ منه .

سورة الحجر مكية

وهي تسع وتسعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟
مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ
أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ
مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا
كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ
خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤
لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥ ﴾

﴿الـر تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ، **﴿آيَاتُ الكِتَابِ﴾** القرآن ، **﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾** أي : تلك آيات جامعة لكونها آيات كتاب كامل ، وقرآن يبين الأحكام ، **﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** حين موتهم ، أو يوم القيامة ، أو حين اجتمع(1) بعض

---

(١) رواه الطبراني عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وابن أبي حاتم والترمذي [رواه الطبراني من حديث جابر مرفوعا، وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود متروك، =

المسلمين مع الكفار في النار ، فيقول الكفار معهم: ما أغنى عنكم الإسلام فغضب الله - تعالى - على الكفار وأخرج المسلمين من النار، وما كافة تكفه عن الجر، فجاز دخوله على الفعل والمترتب في أخبار الله - تعالى - كالماضي فى تحققه، ولذلك أجرى المضارع مجرى الماضى، فدخلت رُبَّ عليه مع أنه لا يجوز دخولها عليه، ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حكاية ودادهم بلفظ الغيبة كقولك: حلف بالله ليفعلن، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ في الدنيا بدنياهم[١]، ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم ، ﴿الأَمَلُ﴾ عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[٢]﴾ سوء عملهم وهذا من باب الإيذان بأن غضب الله - تعالى - حل عليهم فلا ينفعهم نصح ناصح، وقيل: منسوخة بآية القتال[٣]،﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن﴾ أهل ، ﴿قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أجل مؤقت مكتوب عند الله - تعالى - لا يهلكهم حتى يبلغوه، جيء بين الصفة والموصوف وهما لها كتاب وقرية بالواو تأكيدًا للصوقها بالموصوف ، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ [٤]﴾ لا

= قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره، وبقية رجاله ثقات" كذل في المجمع للهيثمي (٤٥/٧). وأخرجه أيضا الطبراني وابن أبي عاصم في السنة وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة : "حديث صحيح، وليس عند الترمذي كما ذكره]، وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك ، روى عنهما ابن جرير، وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم / ١٢ .

(١) واتفقت السلف على أن التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين/ ١٢ وجيز .

(٢) ولما أوعدهم بهذا الوعد الشديد استبطأ بعض النفوس حلول عذابهم فقال : " وما أهلكنا" الآية : ١٢ وجيز

(٣) لأن ظاهر قوله ذرهم أمر بعدم التعرض / ١٢ منه .

(٤) أنث الفعل فى ما تسبق وذكر فى يستأخرون حملاً على اللفظ والمعنى / ١٢ منه .

يتأخرون عنه ، ﴿وَقَالُوا[1] يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ أي : القرآن وهذا استهزاء منهم، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ[2] لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي : هلا تأتينا بهم يشهدون بصدقك ، قيل : هلا تأتينا بهم للعقاب على تكذيبنا لك ، ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أجاب الله - تعالى - عنها بأن إنزالهم لا يكون إلا تتريلاً متلبسًا بحق عند حصول الفائدة ، وقد علم الله أنهم معرضون عن الحق ، وإن شاهدوا الملائكة، قال- مجاهد: بالحق أي بالعذاب، ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ[3]﴾، أي: لو نزلنا الملائكة ما أخر عذابهم، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التحريف والزيادة والنقص، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً، ﴿فِي شِيَعِ﴾ في فرق ، ﴿الأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية ، فإن ما لا يدخل إلا على مضارع بمعني الحال أو ماض قريب من الحال، ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهذا تسلية لمحمد - صلى الله عليه وسلم ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ ندخل الاستهزاء والتكذيب ، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حال من المجرمين ، أو بيان الجملة أو مثل ذلك السَّلْك نسلك الذكر[4] ونلقيه في قلوبهم مكذبًا به غير مقبول ، ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي : قد مضت سنة الله - تعالى - بأن يسلك الكفر في قلوبهم أو بإهلاك

---

(١) ولما أثبت العذاب والانتقام عنهم في وقت ما بين من أعمالهم وأقوالهم ما يبين استحقاقهم للعذاب فقال " وقالوا يا أيها الذى " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) سبو نبي الله بعد الاستهزاء / ١٢ .

(٣) ولما قالوا: " يا أيها الذي نزل عليه الذكر " مستهزئين دل على أهم أنكروا أن الله أنزل الذكر؛ أثبت بوجوه مؤكدة فقال : " إنا نحن نزلنا الذكر " الآية / ١٢ وجيز

(٤) على هذا ضمير نسلكه إلى الذكور وهو غير بعيد، بل لا يبعد أن يكون أشد ملائمة/١٢.

من كذب الرسل من الأمم الماضية، ﴿وَلَوْ[1] فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ على هؤلاء المشركين، ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّو[2]﴾ أي: المشركون، ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون فينظرون إلى ملكوت الله - تعالى - وعبادة الملائكة ، أو ظل الملائكة فيه يصعدون والكفار ينظرون ذلك ، ﴿لَقَالُوا﴾ من غلوهم فى العناد ، ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أغشيت وسدت بالسحر أو حيرت كما يتحير السكران ، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ[3]﴾ سحرنا محمد بذلك.

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

---

(١) ولما قال نسلكه فى قلوبهم ، أثبت هذا المعني بقوله: " ولو فتحنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون / ١٢ .

(٣) ولما قال: "ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء" ، أي: نحدث لهم في السماء أمرًا بديعًا لما كانوا برؤيته يؤمنون، ثم بين أن في السماء والأرض ما هو أبدع وهم معرضون عنه، فقال:" ولقد جعلنا " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر منازل الشمس والقمر، أو المراد من البروج الكواكب، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالنجوم، ﴿لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر[1] أن يطلع على أحوالها، ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استراقه اختلاسه سرًّا، وعن بعضهم أن الشياطين كانوا غير محجوبين عن السماوات ، فلما ولد عيسى – عليه السلام – منعوا عن ثلاث سماوات ، ولما ولد محمد - صلى الله عليه وسلم - منعوا من كلها بالشهب ، والاستثناء منصوب متصل من كل شيطان ، أو منقطع ، ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ لحقه ، ﴿شِهَابٌ﴾ شعلة نار ساطعة، ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهرة لأهل الأرض، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالًا ثوابت ، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مقدر بمقدار معين، قيل: ضمير فيها للجبال والأشياء، الموزون جواهرها كالذهب وغيره، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس والمشارب، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على معايش، أي: جعلنا في الأرض من رزقه على الله – تعالى – ونفعه لكم كالخدم والعيال والدواب، أو عطف على محل لكم، أي: جعلنا المعايش فيها لكم ، ولمن رزقه على الله - تعالى – كالعبيد والإماء وسائر الحيوانات ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ[2]﴾

---

(١) في البخاري إن الشياطين يركب بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا؛ يسترق السمع من الملائكة ، فيسمع الكلمة فيلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما يلقيها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء / ١٢ منه .[أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٧٠١)، وفي غير موضع من صحيحه].

(٢) عند كثير من السلف ، أن الخزائن على حقيقتها ، وهي التي تحفظ في أمكنتها فإن للريح مكاناً ، وكذا لنمطر ، ولكل مكان ملك وحفظة ، فإذا أمر الله بإخراج شيء منه أخرجته الحفظة بقدر ما أمر الله ، وفي الأحاديث الصحاح ما يدل على صحة ما قال / ١٢ وجيز .

ضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور ، وقد نقل فى الحديث[1] ، خزائن الله - تعالى - الكلام ، إذا أراد شيئًا قال له: كن فكان، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ ما نعطيه، ﴿إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ تعلقت به مشيئتنا فإن المقدورات غير متناهية والموجودات متناهية، وقيل المراد من الشيء: المطر وما من عام أكثر مطرًا من العام الآخر، لكن الله - تعالى - يقسمه حيث شاء ، عامًا يكثر في بلد ، وعامًا يقل ، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ أي: حوامل شبه الريح إذا جاءت بخير من سحاب ماطر بالحامل، أو بمعنى الملاقح، أي: للشجر والسحاب يقال ألقحها الفحل، إذا ألقى عليها الماء فحملته، وعن كثير من السلف[2] أن الله - تعالي - يرسل الريح فيحمل الماء من السماء ، ثم يجري السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة ، ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ جعلناه لكم سقيا[3]، ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ حافظين بل نحن نحفظه عليكم في العيون والآبار والأنهار، ولو شاء الله - تعالى- لأغاره وذهب به، أو معناه: نحن نترل المطر، وهو في خزائنتنا ، لا فى خزانتكم ، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون بعد فناء الخلق ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ كل من هلك من لدن آدم[4] وكل من هو حي ومن سيأتي إلى آخر الدنيا ، أو المستقدمين[5]

---

(١) رواه الحافظ البزار / ١٢ منه ، وأبو الشيخ / ١٢ فتح .[وقد ذكره ابن كثير في "التفسير"، (٢/٥٥٠) من طريق البزار، وفي سنده حيان بن أغلب بن تميم، قال البزار: لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوي، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين، ولم يروه عنه إلا ابنه.]

(٢) كعبد الله بن مسعود وابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة / ١٢ .

(٣) أي : نصيباً من الماء / ١٢ .

(٤) قوله : كل من هلك إلخ الأول هو قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ منه .

(٥) قاله الحسن – رضى الله عنه.

الخير والمبطئين عنه ، أو المستقدمين في الصف الأول والمستأخرين منه، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رغب في الصف الأول ازدحموا عليه ، أو أناس يستقدمون في الصفوف لئلا[1] يرو النساء، وبعضهم يستأخرون لينظروا إليهن، أو المراد في صف القتال، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء ، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ[2] عَلِيمٌ﴾ باهر الحكمة واسع العلم.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ

(١) روى الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم عن أبي الجوزاء عن [ابن عباس: أن(*)] امرأة حسناء كانت تصلى فتقدم بعض لئلا ينظر إليها وتأخر بعض لينظروا إليها إذا سجدوا من تحت أيديهم فترلت ، قال الشيخ ابن كثير : في هذا الحديث نكارة شديدة / ١٢ منه .[تفسير ابن كثير (٢/٥٥٠)، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٧)، وعقد في الصحيحة (٢٤٧٢) بحثا فيه موردا طرقا ومناقشا الحافظ ابن كثير في استنكاره له، فراجعه فإنه مفيد]

(*) غير موجودة بالأصل.

(٢) ولما نبه منتهى الخلق وهو الحشر؛ أنبأهم مبدأ أصلهم وما جرى لعدوهم إبليس ليحذرهم من كيده، فإنه هو الذى أخرج أصلكم من محل الراحة إلى مقر التكليف والتعب فقال: ولقد خلقنا الإنسان " الآية / ١٢ وجيز .

لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ
فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا
صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ
مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ
مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ﴾ أرد آدم، **﴿مِن صَلْصَالٍ﴾** طين يابس يصوت إذا نقر أو من طين منتن من صَلَّ اللحم إذا أنتن وهو كزلزال، **﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾** أي: كائن من طين أسود، **﴿مَّسْنُونٍ﴾** أي: أملس أو منتن أو مصبوب كالجواهر المذابة تصب في القوالب، **﴿وَالْجَانَّ﴾** أي: إبليس وهو أبو الشياطين، أو أبو الجن مطلقًا، **﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾** من قبل خلق آدم ، **﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾** نار الحر الشديد، أو نار لا دخان لها ، وعن بعضهم من نار الشمس.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي : اذكر وقت قوله **﴿لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾** **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾** عدلت صورته وأتممت خلقته، **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾** إضافة الروح للتشريف، **﴿فَقَعُوا﴾** فاسقطوا، **﴿لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾** وقد مر أن المأمورين بالسجود جميع الملائكة أو جمع خاص منهم، **﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾** أي: لكن هو أبى

السجود، وجاز أن يكون الاستثناء متصلاً، وجملة أبى أن يكون حينئذ مستأنفة ، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ[1]﴾ أيُّ غرض لك في، ﴿أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ﴾ اللام لتأكيد النفي، أي: لا يصح مني ويستحيل أن أسجد، ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ استكبر واستعظم نفسه، ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من تلك المنزلة التي أنت فيها من الملأ الأعلي ، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود من الخير والشرف باعتبار الكرامة عند الله تعالى لا باعتبار النوع، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: تلك اللعنة لا تزال متصلة لاحقة بك إلى يوم القيامة، وهذا بُعدُ غاية[2] يضربها الناس، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ أخر أجلي، ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ[3]﴾ آخر الدنيا، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو[4] نفخة الأولى، أمهله الله استدراجًا له وابتلاء وامتحانًا للخلق، قيل: سأل الإمهال إلى يوم يبعثون لئلا يموت؛ لأنه لا يموت حينئذ أحد ، فلم يجب إلى ذلك وأمهل إلى آخر أيام

(١) ظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع إبليس بغير واسطة؛ لأنه قال فى الجواب: "لم أكن لأسجد لبشر خلقته"، فقوله: خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة، فقول بعض المتكلمين، أنه – تعالى – أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على لسان بعض رسله ضعيف/١٢ فتح .

(٢) لا أنه انتهت اللغة حينئذ/ ١٢ وجيز .

(٣) قوله: يوم يبعثون إلخ .. ولا يبعد أن يقال: إن يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد، وتغيير الكلام للمتقين؛ لأنه قدم مر في سورة الأعراف أنه قال: "أنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين" (الأعراف:١٤،١٥)، فإنه يدل على الإجابة، والملعون كان عالماً بأن لا يسأل ما لا يجاب عنه / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ .

التكليف فهو ميت، بين النفختين أربعين سنة، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: أقسم[1] بإغوائك إياي، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ[2]﴾ المعاصي، ﴿فِي الأَرْضِ﴾، أو معناه بسبب غوايتك إياي ، أقسم لأزينن الخ.. ، ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، أحملنهم على الغواية، ﴿أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، أي : إلا عبادك الموصوفين بالإخلاص لطاعتك حلل كونهم من أولاد آدم.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى قول إبليس: لأغوينهم إلا عبادك أي: هذا هو الذي حكمت به وقدرت على عبادي، وهو حق مستقيم، كما قال تعالى: "ولكن حق القول مني" (السجدة:١٣) الخ .. أو تهديد، كما تقول لخصمك: طريقك على أي لا تفلت مني ، أو الإشارة إلى تخلص المخلصين من إغوائه الدال عليه الاستثناء، أي: تخلُّصهُم طريق حق علي أن أراعيه لا انحراف عنه، أو الإخلاص طريق علي من غير اعوجاج يؤدي إلى الوصول إلى كرامتي ولقائي، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: ليس لك حجة وتسلط على أحد منهم، فمن أين لك الاختيار في غوايتهم، ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ لكن من اتبعك هو من الغاوين، أو الاستثناء متصل ويكون كالتصديق لقول إبليس، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ أي:

---

(١) وفي الفتح: والفقهاء قالوا : الإقسام بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الأفعال، ومنهم من فرق بينهما، ولأن جعل الإغواء مقسم به غير متعارف، قاله الكرخي، قلت : وإقسامه هنا بإغواء الله ، ولا ينافي إقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره؛ لأن الإغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة / ١٢ .

(٢) لذرية آدم والمرجع يفهم من الكلام قال في الآية الأخرى: "لأحتنكن ذريته إلا قليلاً" (الإسراء:٦٢)/١٢ وجيز .

الغاوين، ﴿أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للضمير، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ[1] ﴾ سبعة أطباق ، وعن علي - رضى الله عنه - إن أبواب جهنم هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى، أي : بعضها فوق بعض أو سبعة منازل لكل مترل باب، ﴿لِّكُلِّ بَابٍ ﴾ طبقة أو مترل، ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أتباعه، ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ افرز له، ومنهم حال من الجزاء، أو من ضمير الظرف .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا
مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا
نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ
دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ
تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن
يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

---

(١) قوله: "سبعة أبواب" إلخ قال الخطيب: تخصيص هذا العدد؛ لأن أهلها سبع فرق، وقيل: جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات انتهى، أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد، لا ينحصر فيما ذكر ، بل الأولى تفويضها إلى جاعلها، وهو الله سبحانه إلا أن يرد به خبر صحيح، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيجب المصير إليه / ١٢ فتح .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفر والفواحش ، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بساتين وأنهار ، ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي : يقال لهم ادخلوها ، ﴿بِسَلَامٍ﴾ سالمين من الآفات ، وقيل مسلمًا عليكم ، ﴿آمِنِينَ﴾ من المكاره ، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حسدٍ وحقدٍ، ﴿إِخْوَانًا﴾ في المودة وهوحال، ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ متواجهين وهما صفتان أو حالان ، وعن علي - رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم(*) - رضى الله عنهم ، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ[1] نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ[2] الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ[3] الْأَلِيمُ﴾ وقد نقل[4] أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج على أصحابه ، وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار؟!، فنزل جبريل بهذه الآية، "وقال: يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي؟"، ﴿وَنَبِّئْهُمْ[5] عَن

(*) أخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه عن علي كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/١٨٩).

(١) ولما تقدم ذكر ما في النار وما في الجنة وهو للمتقين، كما قال: "إن المتقين فى جنات"، وقد علم أن الموصوفين بالتقوى كانوا في الدنيا صواحب حقد وحسد ، وهو منافٍ للتقوى، رفع الالتماس والتنافي بقوله : " نبئ عبادي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فمن اتقى عن الشرك ووقع في سوء بجهالة ، فإني أرحمه وأغفر له / ١٢ وجيز .

(٣) لم يقل من جهة المقابلة وإني أنا المعذب المؤلم ، ليعلم أن جهة العفو والرحمة أرجح ولله الحمد / ١٢ وجيز .

(٤) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم / ١٢ وجيز [ذكره الهيثمي في "المجمع"، (٤٦/٧) وقال: "رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف"].

(٥) قوله : ونبئهم إلخ ليتحقق أن رحمته واسعة ، وأن عذابه أليم ، ذكر العرب بأحوال من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل؛ فحل بهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليعتبروا ، فبدأ بذكر جدهم الأعلى وما جرى لقوم ابن أخيه لوط ثَمَّ فَتَمَّ/١٢ وجيز

ضَيْفِ[1] إِبْرَاهِيمَ ﴾ ذكر لهذه هذه القصة عقيب هذه الآية ، لتحقق أن رحمته واسعة وعذابه أليم، ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ﴾ نسلم عليك ﴿سَلامًا قَالَ[2] إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون؛ لأنهم ما أكلوا من طعامه ، ودخلوا بغير إذن ، ﴿قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ[3] عَلِيمٍ ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، وهو إسحاق والأضياف ملائكة في صور البشر، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ، ﴿عَلَى أَن﴾ أي : أنه ، ﴿مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ والولد في هذه الحال كالمحال، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾بأي شيء تبشرون، فإن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ، ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق واليقين، ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ[4] ﴾ من الآيسين ، ﴿قَالَ ﴾، إبراهيم لهم: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ أي: لم استنكر ذلك قنوطًا، بل استبعادًا عاديًا، من استفهامية إنكارية ، فكأنه قال: لا يقنط أحد إلا الضالون ، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ[5]﴾ شأنكم، ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ وما الذي جئتم به، ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ أي : قوم لوط ، ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ استثناء متصل من ضمير المجرمين ، أي : إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم ، ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ استئناف ، وجاز أن يكون استثناءً منقطعًا عن قوم ، فإن القوم موصوفون بالإجرام دونهم حينئذ، إنا لمنجوهم جرى مجرى خبر لكن و لم يكن

---

(١) والضيف أصله المصدر ، و الأفصح أن لا يثنى ولا يجمع ، ولا حاجة إلى تكلف إضمار أصحاب ضيف / ١٢ وجيز .

(٢) قال بعد ما أجاب سلامهم / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا الغلام هو إسحاق ، كما وقع في موضع آخر من القرآن .

(٤) عما يمكن من رحمته / ١٢ .

(٥) فإنه علم أن البشارة لا تحتاج إلى جمع ، فلابد لهم من أمر عظيم / ١٢ وجيز .

مستأنفًا ، ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ استثناء ، من ضمير لمنجوهم ، ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم ، وإنما علق[1] مع أن التعليق[2] من خواص أفعال القلوب لتضمن التقدير معنى العلم ، أو لأنه أجرى مجرى قلنا، قال بعضهم: هذا من كلام الله - تعالى- لا من كلام الملائكة[3]، وجاز أن يكون من كلامهم، وإسناد التقدير إلي أنفسهم لما لهم من القرب إلى الله - تعالى.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

---

(١) قدرنا و لم يقل قدرناها / ١٢ .

(٢) التعليق هاهنا بإدخال أن على الاسمين ، قال الرضي : ومن المعلقات إن المكسورة إذا لم يكن فتحها بإدخال اللام على الخبر / ١٢ .

(٣) وهو الظاهر / ١٢

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ﴾ لوط لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴾ لا أعرفكم أو تنكركم نفسي وتنفر منكم مخافة شركم، ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي: ما جئناك لتعرفنا أو ما جئناك لشرك، بل جئناك بما يسرك وهو ما أوعدت به أعداءك من العذاب، فيشكون فيه ولا يصدقونك، ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ اذهب بهم في الليل، ﴿بِقِطْعٍ﴾ في طائفة، ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ سر خلفهم لتطلع على حالهم حتى لا يتخلف منهم أحد، ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ(١) مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ما وراءه إذا سمعتم الصيحة بالقوم وذروهم، ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ إلى حيث أمركم الله، ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا، ﴿إِلَيْهِ﴾ مقضيًا، ﴿ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ مبهم مفسر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ﴾ ودابرهم آخرهم، أي: يستأصلون عن آخرهم، وهو بدل من ذلك الأمر ، ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح، ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ أي سدوم ، قرية قوم لوط، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون بأضياف لوط طمعًا في ركوب الفاحشة منهم، ﴿قَالَ﴾ لوط ، ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ(٢) ﴾ بفضيحة ضيفي، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في تلك الفاحشة ، ﴿وَلاَ تُخْزُونِ ﴾ لا تخجلوني فيهم، من الخزاية وهي الحياء، ﴿قَالُوا

---

(١) قوله: "ولا يلتفت"، نهوا عن الالتفات، لئلا يروا عذابهم فيرقوا ويرحموا، أو هو كناية عن مواصلة السير وترك التأني، لأن الالتفات لابد له مِن أدنى توقف، ويدل على ذلك قوله:"وامضوا حيث تؤمرون" / ١٢ الخ ...

(٢) اعلم أن قول الملائكة: جئناك بالحق متأخر عن مجيء أهل المدينة، ومقاولته لهم، ألا ترى إلى قولهم: إنا رسل ربك، وإنما جيء على هذا النسق لدلالة كل على أمر مستقل يصلح أن تساق له القصة الأول تفريج لهم عن الصابرين ونصرة الله، أيٍّ نصر وانتقامه من أعدائهم، والثاني ذكر مساوئ الأمم وسوء الأحدوثة عنهم ، وقد جاء ذلك مرتباً في سورة هود/ ١٢ وجيز .

أَوَلَمْ نَنْهَكَ[1] **عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ أي : عن ضيافة أحد من العالمين ، أو أن تجير منهم أحدًا، ﴿**قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي**﴾ فتزوجوهن واتركوا أضيافى وعن كثير من السلف أن المراد من البنات نساء القوم، فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم[*]، ﴿**إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ لا محال قضاء وطركم بمحال المباشرة دون المنكر، ﴿**لَعَمْرُكَ**﴾ أي: لعمرك[2] قسمي ، ﴿**إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ**﴾، حيرتهم وغوايتهم، ﴿**يَعْمَهُونَ**﴾ يتحيرون عن ابن عباس[**] - رضى الله عنهما - ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد - عليه الصلاة والسلام - وما سمعت الله - تعالى - أقسم بحياة أحد غيره، وعن بعض المفسرين أن الضمير لقريش والجملة اعتراض ، ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ** ﴾ هي ما جاءتهم من الصوت العاصف حال كونهم داخلين في وقت طلوع الشمس، ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا**﴾ أي: المدينة، ﴿**سَافِلَهَا**﴾ صارت منقلبة ، ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً** ﴾ قبل التقليب أو

---

(١) هذا دليل على أنه كان يقوم بالنهي عن المنكر فأوعدوه/١٢ وجيز .

[*] ويؤيد هذا التأويل ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ابن ماجه وابن حيان مرفوعا وغيرهم بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعا: "إنما أنا لكم الوالد أعلمكم...." وانظر صحيح الجامع (٢٣٤٦)]

(٢) قوله: "لعمرك" ، قيل: الخطاب من الملائكة للوط وكثير من السلف أنه خطاب من الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا فعل المضارع لاستحضار عمههم ١٢، وفى الفتح جاءت الأحاديث الصحيحة فى النهي عن القسم بغير الله ، فليس لعباده أن يقسموا بغيره ، وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

[**] أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل وغيرهم بهذا اللفظ، ورواه أبو يعلي مختصرا بسند جيد، كما في المجمع (٤٦/٧).]

معه، أو التقليب للمتوطنين والحجارة للمسافرين، ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من حجر وطين، وقد مر في سورة هود، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ[1]﴾ المتفرسين، من توسمت في فلان كذا، إذا عرفت وسم ذلك وَسِمَتُهُ فيه، ﴿وَإِنَّهَا﴾، أي: تلك المدينة، ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ بطريق ثابت يسلكه الناس و لم يندرس آثارهم وهو تنبيه لقريش ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسله فيعرفون أن ذلك انتقام لأوليائه من أعدائه، ﴿وَإِن كَانَ﴾ أي: إنه كان ، ﴿أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب ، والأيكة الشجر الملتف، ﴿لَظَالِمِينَ﴾ بالشرك وقطع الطريق ونقص المكيال والميزان، وكانوا قريبًا من قوم لوط بعدهم فى الزمان ، ومستأمنين لهم فى المكان، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالصيحة وعذاب الرجفة وعذاب يوم الظلة ، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ مدينة لوط وأصحاب الأيكة ، ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لبطريق واضح ظاهر .

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا

---

(١) قوله: "للمتوسمين" قال مجاهد : للمتفرسين ، وأخرج البخارى في التاريخ والترمذي وابن جرير وابن أبى حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:" اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع، وراجع الضعيفة (١٨٢١)]، والفراسة على نوعين ، أحدها ما يوقعه الله في قلوب الصلحاء ، فيعلمون بذلك أحوال الناس بإصابته الحدس والنظر والظن والتثبت، والثاني: ما يحصل بدلائل التجارب والأخلاق وللناس في هذا العلم تصانيف قديمة وحديثة/ ١٢ فتح البيان في مقاصد القرآن .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ
ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ
ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ
عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ
بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾
ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ
يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾
وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ﴾ وهو مدينة بين المدينة والشام يسكنها ثمود، **﴿الْمُرْسَلِينَ﴾** أي: صالحًا، ومن كذب نبيًا فقد كذب الرسل بأجمعهم، **﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾** معجزات، كما في الناقة من غرائب الآيات ، **﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾** ما استدلوا بها علي صدق نبيهم - عليه الصلاة والسلام ، **﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾** من أن تنهدم، أو من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه، **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾** داخلين في الصباح ، **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم﴾** ما دفع عنهم العذاب ، **﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** من البيوت الوثيقة والزراعة والأموال ، **﴿وَمَا**(١) **خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾**، خلقًا متلبسًا بالحق "ليجزي الذين أساؤوا بما

---

(١) ولما ذكر قصص الأمم السالفة ليتعظ بها المشركون ، فيؤمنوا بالقيامة والبعث عقبه بما يدل على البعث فقال : " وما خلقت السموات " الآية / ١٢ وجيز .

عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى" (النجم:٣١)، ﴿**وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ**﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، ﴿**فَاصْفَحِ**﴾ يا محمد عن المشركين ، ﴿**الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ يعني عاملهم معاملة الحليم الصفوح ، وهذا قبل القتال، فإنما هذه مكية والأمر بالقتال بعد المهاجرة، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاَّقُ**﴾ الذي خلق كل شيء فقادر على الإعادة ، ﴿**العَلِيمُ**[(١)]﴾ بجميع الأحوال فيجازي بما علم منهم، ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا**﴾ هي السبع الطوال[(٢)] من البقرة إلى الأعراف ثم يونس، نص عليه ابن عباس وغيره - رضي الله عنهم، أو من البقرة إلى براءة على أن الأنفال وبراءة سورة واحدة، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أوتي النبي - عليه الصلاة والسلام - السبع الطوال، وأعطي موسى ستًّا، فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي أربع، أو المراد فاتحة الكتاب، روي ذلك عن عمر وعلي - رضى الله عنهما -، وفي البخاري قال - صلى الله عليه وسلم -: "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم[(*)]"، ﴿**مِّنَ المَثَانِي**﴾ بيان

---

(١) لما صبَّره على أذى قومه ، وأمره بأن يصفح الصفح الجميل ، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة ، التي خص الله - تعالى - محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بها لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال : " ولقد آتيناك " الآية/١٢ كبير .

(٢) جمع طويلة ، روى النسائى بإسناد صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنه - أن السبع المثاني السبع الطوال ، وأنكر بعضهم هذا القول ، لأن هذه السورة مكية ، وأكثر الطوال مدنية ، وأجيب بأن المراد من الإتيان إنزالها إلى السماء الدنيا ، والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بأن إطلاق لفظ الإتيان على ما لم يصل بعد إليه خلاف الظاهر ، لكنك خبير خصوصًا في مقام الامتنان بأن تنزيل المتوقع منزلة الواقع لـه نظائر في القرآن العظيم، منها قوله - تعالى - : " كما أنزلنا على المقتسمين " (الحجر:٩٠)، على التفسير الأول المختار / ١٢ منه .

(*) أخرج البخاري في "التفسير"، (٤٧٠٤).

للسبع لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثَنِّيت في تلك السورة؛ أو لأن الفاتحة ثنى في كل صلاة فيقرأ فى كل ركعة، ﴿وَالْقُرْآنَ[1] الْعَظِيمَ[2] ﴾ إن أريد به جميع القرآن، فمن عطف الكل على البعض، وإن أريد به الفاتحة كما دل عليه حديث البخاري، فمن عطف أحد الموصوفين على الآخر، وعن بعض السلف القرآن كله مثاني؛ لأن الأنباء والقصص ثُنِّيت فيه ، فعلى هذا المراد بالسبع أسباع القرآن ، ﴿لاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب متمن، ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا[3] بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافًا من الكفار، أي: استغن بما آتاك الله - تعالى - من القرآن عما فى الدنيا من الزهرة الفانية، ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا أو عن بعضهم لا تحزن على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا، ﴿وَاخْفِضْ[4] جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : ارفق بهم ، ﴿وَقُلْ[5] إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ تقديره أنا النذير لمن لا يؤمن عذابًا مثل ما أنزلنا عليهم، والمقتسمون المتحالفون الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وأذاهم، كما قال - تعالى - في قوم صالح : "تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله" ، أي : نقتلهم ليلاً ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ أي : جعلوا كتبهم المنزلة عليهم أجزاء، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو معناه اقتسموا كتبهم

(١) القرآن اسم يقع على الكل وعلى البعض / ١٢ .

(٢) لما بين الله لرسوله ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية ، نفره الله عن اللذات العاجلة الزائلة فقال : " لا تمدن عينيك " الآية / ١٢ فتح .

(٣) وعن سفيان بن عيينة ، قال : من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن ، ألم تسمع قوله : " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم " إلى آخر الآية ، ثم لما نهاه عن الالتفات إليهم فقال : " ولا تحزن عليهم " الآية / ١٢ فتح .

(٤) لما أمره بما يستلزم التهاون بالكفار وبما معهم أمره أن يتواضع للمؤمنين ، فقال : "واخفض" الآية / ١٢ فتح .

(٥) لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره أن يقول : "أنا النذير المبين"/١٢.

وجزءوه أجزاءً، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، فعلى هذا من القسمة لا من القسم، والقرآن يطلق على جميع الكتب السماوية، وعن بعضهم هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجزءون القرآن، يقولون: سحر، ويقولون: مفترى، ويقولون: أساطير الأولين، فأنزل الله تعالي بهم خزيًا فماتوا شر ميتة، أو اقتسموا القرآن منهم من قال: سحر ، ومنهم من قال: كذب ، ومنهم[١] من قال: أساطير الأولين ، فعلى هذا الذين جعلوا القرآن عضين بيان للمقتسمين ، وهو جمع عضة ، وأصلها عِضْوَة ، فِعْلَة من عضَّى الشاة ، إذا جعلها أعضاء ، وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش ، **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي: نسأل عن لمية تحالفهم واقتسامهم وجعلهم القرآن عضين، أو عن كل ما فعلوا، يقول: لم فعلتم كذا وكذا ، أو سؤال توبيخ لا استعلام، **﴿فَاصْدَعْ﴾** أظهر ، **﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾** به من الشرائع، ولا تخفه، وعن مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة، وعن[٢] بعضهم مازال - صلى الله عليه وسلم - مستخفيًا حتى نزلت فخرج هو وأصحابه، **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** لا تلتفت إلى أقوالهم ، **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ[٣]﴾** كان عظماء المستهزئين خمسة نفر من كبار قريش ، مات كل

---

(١) وأما قول المفسرين إن قريشًا استهزءوا واقتسموا ، فمن قائل: البعوض لي ، ومن قائل: الذباب لي ، ومن قائل: النمل لي ، ومن قائل: العنكبوت لي ، ومن قائل: الأنعام لي ، ففيه إشكال ، فإن بعض هذه السور مثل البقرة وغيرها مدنية والسورة مكية / ١٢ وجيز .

(٢) قاله أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود / ١٢ .[وأخرجه أبو نعيم في دلائله كما في الدر المنثور (٤/١٩٩) من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والسدى متهم بالكذب، والكلبي كذلك]

(٣) اختلفوا في عدد هؤلاء المستهزئين وأسمائهم وكيفية استهزائهم، ولا حاجة إلى شيء منها والقدر المعلوم أنهم طائفة لهم قوة ورياسة أظهروا السفاهة مع الرسول الكريم ، فأفناهم الله وأزال كيدهم / ١٢ كبير .

واحد منهم في أقرب زمان ، ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، ﴿وَلَقَدْ[1] نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من أذاك ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، فاشتغل بتسبيحه وتحميده وتوكل على الله تعالى ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ[2]﴾ المصلين ، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الموت المتيقن لحاقه.

اللهم أمتنا على أحسن الأحوال والأعمال.

(١) لما ذكر – تعالى – أن قومه يسفهون عليه ويستهزءون ، قال له: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون" ، لأن الجبلة البشرية يقتضي ذلك ، فعند هذا قال له: "فسبح بحمد ربك"، فأمره بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة ، لأن الإقبال على الطاعات سببٌ لزوال ضيق القلب والحزن ، لأنه إذا اشتغل الإنسان بالعبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية ، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا حقيرة، خَفَّ على القلب فقدانها ووجدانها، فلا يستوحش من فقدانها، ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم / ١٢ كبير .

(٢) وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [حسن أخرجه أحمد وأبو داود عن حذيفة، وانظر صحيح الجامع (٤٧٠٣)]، أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم فى التاريخ وابن مردويه والديلمى عن أبي مسلم الخولاني قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكن من التاجرين، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" [انظر الدر المنثور (٢٠٣/٤)، وأخرجه البغوي في "شرح السنة"، (٢٣٧/١٤) بسند مرسل، وفيه أيضا شرحبيل بن مسلم مختلف فيه]، وروى بطرق كثيرة / ١٢ فتح البيان وكذا فى المعالم .

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها

وهي مائة وثمان وعشرون آية وستة عشر ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ
۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ۝٩

﴿أَتَى[1] أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: القيامة التي هي بمنزلة الواقع في تحققه، أو العذاب الذي وعده نبينا فيمن(*) خالفه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فإنه لا محالة واقع ، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[2]﴾

---

(١) روي أنه لما نزلت وثب النبي –عليه الصلاة والسلام– ورفع الناس رءوسهم فنزلت "فلا تستعجلوه" / ١٢ منه .

(*) في النسخة (ن): من .

(٢) ولما نزه ذاته الأقدس عن الشريك شرع يصف نفسه بصفات الكمال من الأمر والخلق فبدأ بالأمر لأنه مقدم وأعلى وكان ما يشركون لا تصرف له أصلاً ، قال : " ينزل الملائكة " الآية م ١٢ وجيز .

ما مصدرية أو موصولة بحذف مضاف أي : إن مشاركة ما يشركون رد لما قالت الكفرة لو صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا ، ﴿**يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ**[1]﴾ بالوحي ، ﴿**مِنْ أَمْرِهِ**﴾ من أجل أمر الله تعالى، ﴿**عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا**﴾ أي : بأن اعلموا متعلق بالروح[2] أو بدل منه ، ﴿**أَنَّهُ**﴾ إن الشأن ، ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ عقوبتي لمن عبد غيري رجع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود ، ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ متلبسًا ، ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ لتجزى كل نفس بما كسبت ، ﴿**تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ نزه نفسه عن مشاركة غيره فإنه هو الخالق وحده ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق ، ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ**﴾ أي : جنسه ، ﴿**مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ**﴾ حين استقل ، ﴿**خَصِيمٌ**﴾ يخاصم ربه ويكذب رسله ، ﴿**مُّبِينٌ**﴾ ظاهر الخصومة ، ﴿**وَالأَنْعَامَ**﴾ منصوب بما أضمر عامله ، ﴿**خَلَقَهَا لَكُمْ**﴾ أو عطف على الإنسان وخلقها لكم مستأنفة يبين ما خلق لأجله ، ﴿**فِيهَا دِفْءٌ**﴾ ما يدفأ به من البرد ، فإن من أشعارها بيوتًا ولباسًا وملاحف ، ﴿**وَمَنَافِعُ**﴾ بالنسل والدر والركوب وغيرها ، ﴿**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ قدم الظرف للاختصاص كأن الأكل من الصيد والطيور ليس هو المعتدل بل بمنزلة التفكه ، ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ**﴾: زينة ، ﴿**حِينَ تُرِيحُونَ**﴾ تردّونها بالعشي من مراعيها إلى مراحها ، ﴿**وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾ حين تخرجونها إلى المراعي بالغداة وقدم الأول ، لأن الزينة إذا أقبلت ملأى البطون ممتلئة الضروع أظهر ، ﴿**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ**﴾ أحمالكم ، ﴿**إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ**﴾ إن لم تكن الأنعام ، ﴿**إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ**﴾ بكلفة ومشقة ، ﴿**إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ**﴾ عطف على الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ،

---

(١) الذي بمنزلة الروح للجسد / ١٢ منه .

(٢) لما كان الروح بمعنى الوحي يمكن أن يكون متعلقًا وجاز أن يكون مفسرة ؛ لأن الروح لما كان بمعنى الوحي دل على القول / ١٢ منه .

﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً[١]﴾ عطف على محل لتركبوها أو تقديره ولتتزينوا بها زينةً، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي : ويخلق لكم ما لم يحط به علمكم ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أوجب على نفسه بفضله ولطفه بيان مستقيم الطريق أو معناه طريق الحق[٢] على الله تعالى يصل إليه لا محالة من يسلكه والمراد بالسبيل الجنس ، ﴿وَمِنْهَا﴾ أي : وبعض السبيل ، ﴿جَائِرٌ﴾ مائل عن الحق ، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ، ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قصد السبيل .

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن

(١) وتغيير النظم حيث لم يقل ولتتزينوا بها ليعلم أن المقصود من الخلق الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض ولأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله / ١٢ منه .

(٢) يعني قصد السبيل الذي هو الإسلام مؤد إلى رضاه ولقائه وثوابه نحو:"هذا صراط علي مستقيم" (الحجر :٤١) / ١٢ منه .

يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

﴿هُوَ الَّذِي[١] **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾** من جانبه أو من السحاب ، **﴿مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾** ما تشربونه ومياه العيون والآبار مما أنزل من السماء ، **﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ﴾** أى : في الشجر **﴿تُسِيمُونَ**[٢] **﴾** ترعون أنعامكم والمراد من الشجر الجنس الذى ترعاه المواشي، وقيل هو كل نبت من الأرض ، **﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ﴾** أي : بسبب الماء **﴿الزَّرْعَ**[٣] **وَالزَّيْتُونَ**[٤] **وَالنَّخِيلَ**[٥] **وَالأَعْنَابَ**[٦] **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**[٧]**﴾** أي : بعض كلها لأن ما يمكن من الثمار لم ينبت في الأرض كله ، **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ**

---

(١) ولما أمتن عليهم بإيجادهم بعد العدم وإيجاد ما ينتفعون به امتن عليهم بما هو قيام حياتهم وحياة كل حيوان وما يتولد ويحصل منه من الزرع والضرع فقال هو (الذي) إلخ/١٢ وجيز.

(٢) أي : في جنس الشجر ترعون أنعامكم وتقديم فيه لرعاية الفواصل أسأم الماشية جعلها ترعي وسامت رعت حيث شاءت / ١٢ وجيز .

(٣) التى فيه قوت العالم .

(٤) فيه الاستصباح والائتدام والاطلاء / ١٢ .

(٥) فاكهة وقوت / ١٢ .

(٦) فيه قوت وهو فاكهة .

(٧) وكل الثمرات لا يكون إلا في الجنة وفي الأرض بعض منها للتذكرة وفي قوله: "من كل الثمرات" إشارة إلى أن تفصيلها لا يكاد يحصر كما أن تفصيل ما خلق كذلك/١٢وجيز .

يَتَفَكَّرُونَ ﴾ على وجوده وكمال قدرته ووحدته ، ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ**[1]﴾ أي : هيأها لمنافعكم حال كون الكل مسخرات تحت قدرة الله تعالى وسلطانه ، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ فإن من له عقل يفهم أنواع دلالاتها ولا يحتاج إلى إمعان نظر كأحوال[2] النبات ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ**﴾ عطف على الليل ، ﴿**فِي الأَرْضِ**﴾ من الحيوانات والجمادات ، ﴿**مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ**﴾ أشكاله ، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ فإن اختلاف أشكالها دال على حكمته وقدرته ، ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ**﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به ، ﴿**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً**﴾ أي : السمك ، ﴿**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً**﴾ كاللؤلؤ والمرجان ، ﴿**تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ**﴾ المخر شق الماء بصدرها أو صوت جري الفلك بالرياح ، ﴿**فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**﴾ سعة رزقه أي : سخر البحر للأكل والاستخراج والتجارة للربح ، ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**[3]﴾ نعمه وإحسانه ، ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾ جبالاً ثوابت ، ﴿**أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب فإنه لما خلق الأرض كانت تتحرك فقالت

---

(١) فيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فأخبر سبحانه أنها مذللات تحت قهره وإرادته / ١٢ .

(٢) قوله: كأحوال النبات إلخ فإن النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل فإن الجنة الواحدة إذا مرت عليها أيام في الأرض لحقها من نداوة الأرض ينشق أعلاها فتصعد منه شجرة إلى الهواء وتغوص أسفلها في عمق الأرض ثم ينمو ثم يخرج الأوراق والأغصان والأنهار والثمار المشتملة على طباع مختلفة وطعوم وألوان وروائح وأشكال وكل ذلك بتقدير قادر مختار / ١٢ وجيز .

(٣) ولا تكفرونه بالشرك.

الملائكة: ما هي بمقر أحد فأصبحت الملائكة وقد خلقت الجبال و لم تدر الملائكة مم خلقت ، ﴿وَأَنْهَاراً﴾ أي : وجعل فيها أنهارًا لأن في ألقى معنى الجعل ، ﴿وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى مقاصدكم ، ﴿وَعَلامَاتٍ﴾ كالجبال والتلال والوهاد وغيرها فإنها علامات للطرق ، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي : بجنس النجم خصوصًا القريش خصوصًا يهتدون في البراري والبحار فإن لقريش بذلك علمًا لم يكن مثله لقوم غيرهم فالشكر عليهم أوجب ، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله سبحانه ، ﴿كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ وهو كل معبود من دون الله تعالى وغلب جانب أولي العلم فجاء بمن أو المراد الأصنام وجعلها من أولي العلم بزعمهم أو للمشاكلة وحق الكلام أن يقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق وعكس للتنبيه على أنهم جعلوا الله بالإشراك من جنس المخلوقات العجزة شبيهًا بها ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعرفوا فساد ذلك ، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تضبطوا عددها لكثرتها فكيف تطيقون القيام بشكرها ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيث لا يعاقبكم بتقصير في شكرها ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ، ﴿وَاللَّهُ[1] يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ من عقائدكم وأعمالكم ، ﴿وَالَّذِينَ[2]﴾ أي : والآلهة الذين ، ﴿يَدْعُونَ﴾ أي : يعبدونهم ، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً﴾ فكيف تجوزون شركتهم مع الله الخالق لاسيما ، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ بخلق الله أو بخلقهم الناس بالنحت والتصوير ، ﴿أَمْوَاتٌ﴾ أي : هم أموات لا أرواح لهم ، ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ في وقت من الأوقات لا يعقب موته حياة فهم أغرق في الموت من النطف أيضًا ،

---

(١) ولما أثبت لنفسه الإحسان وأن الخلق مغرقون في إنعامه وأنه قادر مطلق أراد أن يثبت له إحاطة العلم صريحًا فقال : " والله يعلم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما أثبت الإحسان والقدرة والعلم لنفسه أراد أن ينفي كل ذلك عن آلهتهم ليظهر التباين فقال : " والذين " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ لا يعرفون وقت بعثهم فإن الأصنام تبعث فتتبرأ من عبادها وقيل: ضمير يبعثون إلى عبدهم يعني هم جهلاء فلا يستحقون الإلهية .

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بعد ذكر حجج وحدانيته أخبر بالنتيجة ، ﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ لا يتأملون في الحجج وإن كانت واضحات ويستكبرون عن اتباع الرسل بخلاف من يؤمن بالآخرة فإنه طالبٌ الدلائل متبع للحق ، ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم وهو في موضع الرفع بمحذوف أي: حق أن الله تعالى يعلم سرهم وعلانيتهم حقًّا ، ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ لا يثيبهم ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ السائل الحاجُّ يسألون هؤلاء المكذبين ، ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي : ما يدعي نزوله مأخوذ من الكتب المتقدمة ليس بمنزل من الله تعالى، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ هي لام العاقبة فإن قولهم هذا أدَّاهم إلى حمل أوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بمصيبة أصابتهم في الدنيا لكفرهم ، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ﴾ أي : ليحملوا أوزار أنفسهم وبعض أوزار ، ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ يعني خطيئة إغوائهم لغيرهم ، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من مفعول يضلون أو من فاعله ، ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي : بئس شيئًا يزرونه صنيعهم .

قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ
ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ
لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾
جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ
كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ليهدموا ما أسس الله تعالى من بنيان دينه ، **﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾** أي : أَمْرُ الله تعالى ، **﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾** أي : من جهة أساطين ما بنوا عليه وخُربت من أصله وأُسّه ، **﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ[1] مِن فَوْقِهِمْ﴾** وصار سبب هلاكهم ، **﴿وَأَتَاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** لا يتوقعون وهذا على سبيل

(١) والأظهر أن ذلك على سبيل التمثيل / ١٢ منه .

التمثيل وعن ابن عباس[1] -رضي الله عنهما- أن المراد به نمرود[2] حين بنى الصرح ليصعد إلى السماء فهبت الريح وألقت رأسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته وكان طولها خمسة آلاف ذراع ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ، ﴿وَيَقُولُ﴾ الله تعالي تقريعًا[3] وتوبيخًا، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ في زعمكم ليدفعوا العذاب عنكم ، ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾: تحاربون ، ﴿فِيهِمْ﴾ في سبيلهم ، ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ هم السادة في الدارين إظهارًا للشماتة وزيادة للإهانة ، ﴿إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ وَالسُّوءَ﴾ العذاب ، ﴿عَلَى الكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حال من مفعول تتوفى، ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ سالموا وانقادوا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ كفر وعدوان ، ﴿بَلَى﴾ أي: فقالت الملائكة بلى، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم ، ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي : كل صنف بابها المعد له ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مترل ، ﴿المُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن عبادة الله جهنمُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد أيضًا / ١٢ منه .

(٢) ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمرود بن كنعان حيث بنى بناءً عظيمًا ببابل طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا وكان أعظم أهل الأرض تجبرًا في زمن إبراهيم عليه السلام ونمروذ بضم النون والذال المعجمة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والأولى أن الآية عامة في جميع المبطلين الماكرين الذين يحاولون إلحاق الضر بالمحققين المؤمنين ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطابق الحق وفي هذا وعيد للكفار المعاصرين له -صلى الله عليه وسلم- بأن مكرهم سيعود عليهم كما عاد مكر مَنْ قبلهم على أنفسهم / ١٢ .

(٣) فإهانتهم جامعة بين الفعل والقول/١٢ .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ أنزل ، ﴿خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ مكافأة ، ﴿فِي هَذِهِ﴾ الحياة ، ﴿الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لهم ، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو مخصوص بالمدح أو بدل من دار المتقين ، ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ كل ما يشتهون يجدون فيها لا في الدنيا ، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء ، ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك وقيل: فرحين ﴿يَقُولُونَ﴾ أي : الملائكة ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ لا يلحقكم بعد مكروه وقيل: يبلغوهم سلام الله تعالى ، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ المعدة لكم حين تبعثون ويمكن أن يكون المراد دخول أرواحهم الجنة قبل البعث كما في الحديث(1) ، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنظُرُونَ(2)﴾ أي : هل ينتظر الكفرة ، ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ ، لقبض أرواحهم ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ، العذاب والهلاك أو القيامة يعني مآلهم إما أن يموتوا حتف أنفهم أو يقتلوا فكأنهم لا ينتظرون إلا فردًا من هذين لكن المؤمنون ينتظرون أنواع رحمة الله تعالى بعد الموت ، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : مثل فعلهم من التكذيب ، ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتعذيبهم ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا به عذاب الله تعالى

---

(1) الذي رواه مالك في الموطأ والترمذى قال -صلى الله عليه وسلم: (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) وقد صححه الترمذي وغيره ، قال المحققون : هذا غير مختص بالشهداء / ١٢ وجيز ومنه .

(2) لما ذكر طعن الكفار في القرآن كقولهم: أساطير الأولين، ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم أردف حال المؤمنين ووعد لهم كما هو دأب القرآن رجع إلى حال الكفرة فإن المقصود بيان حالهم (هل ينظرون) الآية : ١٢ وجيز .

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي : وبال سيئات عملهم ، ﴿وَحَاقَ﴾: أحاط ، ﴿بِهِم﴾ جزآء ، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نعبد غيره ، ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ﴾ أي : ما عبدنا نحن ، ﴿وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي : البحيرة والسائبة وغيرهما ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارهًا لما فعلنا[1] ولما مكننا منه وقيل: إنما قالوا استهزاء، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الشرك وتحريم الحلال ورد الرسل ، ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ أي : ليس الأمر

(١) حاصله أنهم استدلوا على عدم قبح أعمالهم بأنها برضاه فمذهبهم أن المشيئة ملزوم لا تنفك عن الرضاء كمذهب المعتزلة بعينه هداهم الله / ١٢ وجيز ومنه .

كما زعمتم من عدم الكره كيف وقد أنكرنا عليكم أشد الإنكار بلسان رسلنا وإنما عليهم التبليغ لا الإهداء ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[(١)]﴾ أي : بعثناهم بذلك الأمر فكيف يتمسكون بمشيئته؟! ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فلا يشرك ولا يحرم حلاله ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ، ﴿عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾ إذ لم يوفقهم و لم يهدهم فالله تعالى عنهم غير راض؛ بل أراد شقاوهم ، ﴿فَسِيرُوا﴾ يا معشر قريش ، ﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ حتى تعرفوا أنهم في سخط من الله تعالى، ﴿إِن[(٢)] تَحْرِصْ﴾ يا محمد ، ﴿عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ من أراد الله تعالى إضلاله ولا يغير إرادته القديمة بحرصك على هدايتهم ، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ[(٣)] ﴾ ينصروهم وينجوهم من عذابه عطف على إن الله أي : إن تحرص على هدايتهم فلا فائدة فيه ، لأن الله لا يهديهم وليس لهم ناصر فمجموع المعطوف والمعطوف عليه علة للجزاء قائمة مقامه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ[(٤)] أَيْمَانِهِمْ﴾ غلظوا في الحلف ، ﴿لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ[(٥)] بَلَى﴾ يبعثهم ، ﴿وَعْداً﴾ ، مصدر مؤكد لنفسه فـإن بلي دال على وعـد الله تعالى

---

(١) هو كل معبود من دون الله / ١٢ معالم .

(٢) ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في كمال الشفقة على من بعثه الله إليهم وقد أنزل عليه ومنهم من حقت عليه الضلالة اغتم قلبه الرحيم للضالين فقال الله : " إن تحرص على هداهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر فيه إقناط من هدايتهم يذكر ما يشعر على سبب الإقناط فقال : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) نصبه على أنه مصدر أو حال كما مر .

(٥) ونعم قول من قال: أمر البعث مجملاً عقلي لا حاجة إلى مخبر فإنا نرى من يظلم صالحًا كمال الظلم، وماتا فلو لم يكن بعده قصاص فأين العدل وحاشا لله أن يرضى بذلك ولا ينتقم منه / ١٢ وجيز .

بعثهم ، ﴿عَلَيْه﴾ إنجازه لامتناع خلف وعد ﴿حَقًّا﴾ صفة أخرى لوعدًا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم يبعثون ، ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ أي : يبعثهم ليبين ، ﴿لَهُمُ الَّذي يَخْتَلِفُونَ فِيه﴾ الضمير لمن يموت والمختلف فيه هو الحق ، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذين كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ في إقسامهم لا يبعث الله من يموت ، ﴿إِنَّمَا[1] قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ أي : احدث ، ﴿فَيَكُونُ[2] ﴾ فيحدث وهو بيان سهولة الأشياء له حتى يعلم أن البعث لا يتعسر على الله بوجه .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم

---

(١) ولما كان إنكارهم البعث لحسبانهم أن البدن الممزق إحياؤه بعيد عن العقل قال : " إنما قولنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما بين أن ما أراد لا يتخلف ولا شيء عليه عسير أخذ يبين أنه تعالى لما أراد نصرة دين نبيه وعد أن العاقبة للمتقين خاب سعيهم وجهدهم في خلاف مراد الله ورجع عليهم شؤم مكرهم وبين كذب ما أقسموا بأن الآخرة والبعث بعد الموت ثابت فقال : " والذين هاجروا " الآية / ١٢ وجيز .

بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا
إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ * ﴾

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي : في رضاه وحقه ، ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ ، عذبوا وأوذوا والمراد المهاجرون إلى الحبشة وغيرها كعثمان بن عفان رضي الله عنه- وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه- وغيرهما ، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بثوية[1] ، ﴿حَسَنَةً﴾ وهي أن مكنهم الله تعالى في البلاد وحكمهم على رقاب العباد فصاروا أمراء حكامًا وللمتقين إمامًا أو مباءة حسنة وهي المدينة ، ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أعطي لهم في الدنيا ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ قيل الضمير للكفار فإن المؤمنين يعلمون ، ﴿الَّذِينَ[2] صَبَرُوا﴾ منصوب أو مرفوع على المدح ، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[3] وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا ملائكة رد على من قال: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا ، ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب ليخبروكم أنهم بشر لا ملائكة ، ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ كأنه جواب قائل: بم أرسلوا ؟ فقال : أرسلناهم بالمعجزات والكتب وقيل صفة رجالاً ، وقيل : متعلق بما

---

(١) إشارة إلى أن حسنة صفة مصدر محذوف / ١٢ منه .

(٢) أي : هم الذين صبروا على الأذى ومفارقة الوطن لاسيما حرم الله المحبوب على القلوب، فكيف لمن كان مسقط رأسه وأول مس جلده تراها؟ / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر ومدح الصابرين المتوكلين وقدوتهم وإمامهم الأنبياء مخاطباً لنبيه : " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً " الآية / ١٢ وجيز .

أرسلنا ، وقيل : بما تعلمون أو بنوحي ، **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾**: يا محمد ، **﴿الذِّكْرَ﴾**: القرآن ، **﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** يعني لتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه ، **﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** فيما أنزلنا إليك فيهتدون ، **﴿أَفَأَمِنَ﴾**[1] **﴿الَّذِينَ مَكَرُوا﴾** المكرات ، **﴿السَّيِّئَاتِ﴾** كأهل مكة ، **﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾** كما خسف بقارون ، **﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** لا يعلمون مجيئه إليهم ، **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾**: في المعايش واشتغالهم بها من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية ، أوتقلبهم في الليل والنهار[2] ، **﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾** الله ، **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾** أي : في حال خوفهم من أخذه لا بغتة أو على تنقص بأن يأخذ شيئًا بعد[3] شيء حتى يستأصلوا ، **﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** حيث لا يعاجلكم بعقوبته ، **﴿أَوَلَمْ﴾**[4] **﴿يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾** ما موصولة مبهمة ، **﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ﴾** بيانه أي : يميل ويدور ، **﴿عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾** جمع الشمال باعتبار معنى ما خلق[5] الله تعالى، **﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾** حال من الظلال كل شيء له ظل يسجد ظله لله تعالى ولا يبعد ذلك عن قدرة الله تعالى أو

---

(١) ولما ذكر أن الإنزال للتبيين والتفكر ناسب إن يسأل أن بعد تبيينك وتفكرهم آمنوا إن لم يطيعوا أنواع العقوبة فقال : " أفأمن الذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قول مجاهد والضحاك / ١٢ .

(٣) من قولك: تخوفته وتخونته إذا انتقصته ، وقيل: هذا لغة بني هذيل / ١٢ .

(٤) ولما بين قدرته على تعذيب الماكرين أراد تنبيههم على أنه يجب عليهم أن يكونوا طائعين فقال : " أو لم يروا " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) فإنما خلق الله أشياء كثيرة لكل شيء منها جانبان فوحد الضمير باعتبار اللفظ كما وحد الضمير في ضلاله وجميع الشمائل رعاية للمعنى كما جمع قوله سجدا وهم داخرون / ١٢ منه .

سجودها انقيادها لما قدر له من التفيؤ ، أو حال من ضمير ظلاله قال كثير من السلف: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله تعالى، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾: صاغرون حال من ضمير ظلاله لأنه في معنى الجمع وجمعه بالواو والنون للتغليب ، أو لأن الدخور والسجود من أوصاف العقلاء[1] واليمين يمين الفلك أي : الجانب الشرقي والشمال الجانب الغربي أو المراد من اليمين والشمائل جانبا كلِّ شيء استعارة من يمين الإنسان وشماله ، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد[2] ، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ والدبيب هي الحركة الجسمانية فجاز أن يكون بياناً[3] لما في السماوات أيضًا ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ عطف على ما في السماوات عطف خاص على عام فإن في السماوات غير الملائكة من الأرواح ، ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادته ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ حال[4] أوبيان أو تأكيد لنفي الاستكبار ، ﴿مِّن[5]

(١) فإنه لما وصفه بوصف العقلاء جمعه جمعهم / ١٢ منه .

(٢) فسرنا السجود بالانقياد ليشمل السجود المتعارف وغيره / ١٢ منه .

(٣) كما أنه بيان لما في الأرض / ١٢ .

(٤) فإن من خاف أحدًا لا يستكبر عليه / ١٢ .

(٥) قوله تعالى : " يخافون ربهم من فوقهم " وكم في القرآن الكريم من أمثالها ونظائرها مما يدل على فوقية الله تعالى على خلقه ومباينته من جميع مخلوقاته قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسي : وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته فقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتابه شعار الإيمان إن إنكار الفوقية شيء سرقه المتأخرون من الفلاسفة وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، وقال الإمام أبو حنيفة : من أنكر الله عز وجل في السماء فقد كفر وقال الإمام مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان ، وسئل الإمام أحمد: ما تقول في من قال إن الله ليس على العرش ؟ قال: كلامهم كله يدور على الكفر، وأيضًا قال: ما فطر العباد إلا على أن

=

﴿فَوْقِهِمْ[١]﴾ أي : حال كون الرب قاهرًا عاليًا[٢] لهم[*]، وهو القاهر فوق عباده ، أو

= ربهم في السماء وقال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة : إن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علمًا ، ليس كمثله شيء وهو السميع والبصير انتهي.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك : لا نقول كما قالت الجهمية أنه في الأرض ها هنا بل على العرش استوى، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: نعرفه بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: من لم يقر بأن الله استوى على عرشه فوق سبع سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، ثم ألقي على بعض المزابل لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، وقال الحافظ الذهبي : ما أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا يقولون : إن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف وأحاط بكل شيء علمًا وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية انتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه "مختلف الحديث" : ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها أعجميها وعربيها تقول : إن الله في السماء ما تركت على فطرتها انتهى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "اختلاف المضلين" ومقالات الإسلاميين : فلولا أن الله تعالى على عرشه ما قال في حق ملائكته: "يخافون ربهم من فوقهم" ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدي إلى السماء انتهى/١٢ .

(١) الذي فوقهم على العرش / ١٢ .

(٢) لما بين أن كل ما سوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله وكبريائه أتبعه بالنهي عن الشرك وبالأمر بأن كل ما سواه فهو مِلْكُه ومُلْكه وأنه غنيٌّ عن الكل فقال : " لا تتخذوا إلَهَين اثنين " الآية/١٢ كبير .

(*) في النسخة (ن): عاليًا عليهم.

معناه يخافون من فوقهم ، أي : أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم ، وقيل : أي يخافون والحال أن الملائكة من فوق ما في الأرض من الدواب فمن دونهم أحق بالخوف ، **﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾**.

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ فإن الاثنينية تنافي الإلهية[1] ، **﴿إنما هو إله واحد﴾** فإن الوحدة من لوازم الألهية ، **﴿فإياي فارهبون﴾** كأنه قال : فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غيري ، **﴿وله ما في السموات والأرض وله الدين﴾** أي : الطاعة ، **﴿واصباً﴾** دائمًا فإن طاعة غير الله تنقطع ، **﴿أفغير الله تتقون[2]﴾** مع أنه

---

(١) يعني ذكر العدد مع المعدود ويدل عليه إيماءً إلى أن الاثنينية تنافيها / ١٢ .

(٢) يعني بعد ما عرفتم أن إله العالم واحد وكل ما سواه محتاج إليه فى كل حال فبعد العلم بهذا كيف يعقل أن يكون للإنسان رغبة في غير الله تعالى أو رهبة عن غير الله تعالى فلهذا قال على سبيل التعجب : " أفغير الله تتقون " / ١٢ كبير .

تعالى خالق الأشياء وحده ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ[1] فَمِنَ اللَّهِ﴾ ما شرطية ، أي : أي شيء اتصل بكم من النعم فهو من الله تعالى ، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ إليه لا إلى غيره تتضرعون ، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ وهم الكفار ، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعم واللام لام العاقبة ، ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أمر وتهديد ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: عاقبة أمركم ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي : لأصنامهم التي لا علم لهن فضمير الجمع لما ، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ، كما مر "هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا" (الأنعام:١٣٦)، ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ ، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ من إثبات الشريك وغيره ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: يقولون: الملائكة بنات الله تعالى، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له من قولهم ، ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي : البنون والجملة مبتدأ وخبر، أو تقديره يجعلون لهم[2] ما يشتهون ، أي : يختارون لأنفسهم البنين ، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾: أخبر ، ﴿أَحَدُهُم بِالأُنثَى﴾ بولادتها ، ﴿ظَلَّ﴾ صار ، ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة وهو كناية عن شدة الغم ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوّ غمًا وغيظًا ، ﴿يَتَوَارَى﴾: يستخفي ، ﴿مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ الضمير لما ولفظه مذكر ، أي : متفكرًا في أن يتركه ، ﴿عَلَى هُونٍ﴾: على ذل ، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾: يخفيه ، ﴿فِي التُّرَابِ﴾ فإنهم كانوا يدفنون البنات أحياء ، ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد أخس الولد عندهم ، ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفة النقص ،

---

(١) يعني أن جميع النعم من الله تعالى ثم إذا اتفق مضرة تزيل شيئًا من تلك النعم فإلى الله يجار أي : لا يستغيث أحدًا إلا الله لعلمه بأنه لا مفزع للخلق إلا هو فكأنه تعالى قال لهم : فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة؟ / ١٢ كبير .

(٢) فعلى هذا "لهم" عطف على الله و"يشتهون" على البنات / ١٢ منه.

﴿وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾ الكمال المطلق والنزاهة عن صفات الخلائق ، ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾: المتفرد بكمال الغلبة والحكمة التامة .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

﴿وَلَوْ[1] يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بما كسبوا من المعاصي ، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض لدلالة الدابة عليها ، ﴿مِن دَابَّةٍ[2]﴾ وعن بعض السلف كاد الجعل[3] يهلك في جحره بذنب ابن آدم ، وعن بعضهم معنى من دابة : من مشرك يدب على

---

(١) لما حكى عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين أنه يمهل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً للفصل والرحمة والكرم فقال : " ولو يؤاخذ الله الناس " الآية/١٢كبير .

(٢) سمع أبو هريرة -رضي الله عنه- رجلاً يقول إن الظالم لا يهلك إلا نفسه، فقال: لا والله الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم / ١٢ وجيز .

(٣) الجُعَل كـ"صرد": دويبة في تاج الأسامي الجعل سركين غلطان وفي حياة الحيوان هو كصرد جمعه جعلان بالكسر دويبة معروفة شديد السواد في بطنه لون حمرة ومن شأنه جمع النجاسات / ١٢ .

الأرض فإنه لو أهلك الآباء الكفرة لم تكن الأبناء ، ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ انقضاء عمرهم المقدر فيتوالدون ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي : وقته ، ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي : لا يمهلون لحظة ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ أي : ما يكرهون لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة والأموال ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ﴾ فسر الكذب بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى﴾ كما قال تعالى: "ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسني " (فصلت:٥٠) ، ﴿لاَ جَرَمَ[١]﴾ أي : ليس الأمر كما زُعم كسب قولُهم هذا ، ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ[٢] ﴾ مقدمون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الماء أو منسيون من أفرطت فلانًا خلفي إذا نسيته ومن قرأ بكسر الراء فهو من الإفراط بالمعاصي ، ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: رسلاً ، ﴿إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأصروا على ما هم عليه و لم يتبعوا رسلنا فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة ، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ اليَوْمَ﴾ أي : الشيطان ناصرهم الآن وهم تحت نكاله ومن هو ناصره فالويل عليه ، وقيل: المراد من اليوم يوم القيامة ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: في الآخرة ، ﴿وَمَا[٣] أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس ، ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: من أمر الآخرة ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على

---

(١) معنى لا جرم يأتي في سورة "حم" "المؤمن" واختار هاهنا هذا المعنى لتعلم كلا معنييه/١٢منه .

(٢) ولما استوفى الكلام في عنادهم وجهلهم بحيث يظن ظان أنهم أجهل الأمم وأضل أكد في نفي هذا الظن بالقسم تسلية لرسوله -صلى الله عليه وسلم- فقال : " لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولما أعلم أنهم في خلاف وضلال أراد التحريض في تبيين الحق لهم وإهدائهم فقال: (وما أنزلنا عليك الكتاب) الآية / ١٢ وجيز .

محل لتبين ولا يجوز أن يقال إلا تبييناً لأنه فعل المخاطب لا المنزل بخلاف الهداية والرحمة ، **﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**(1) **﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**(2) **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**(3) لا لمن هو أصم فيتدبر في دلالته على البعثة المختلف فيها .

وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ دلالة على كمال قدرته ، **﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾**: لما كان الأنعام اسم جمع وحد ضميره ومن قال: جمع نَعَم فالضمير للبعض

---

(1) أي: لقوم في علم الله أنهم يؤمنون فإن ما أنزلنا حياة لأرواحهم وشفاء لما في صدورهم ولما أراد التشبيه قال : " والله أنزل من السماء ماء " الآية / ١٢ وجيز .

(2) تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب " إن في ذلك " الآية/١٢ .

(3) كأنه في كونه آية دالة على إمكان البعث لا يحتاج إلا إلي حس السمع و لا يحتاج معه إلى كثير عمل بالقلب من عميق الفكر / ١٢ وجيز .

فإن اللبن لبعضها أو من للتبعيض ، ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ﴾ هو ما في الكرش من الثفل ومن للابتداء ، ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾: صافيًا ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث ، ﴿سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ﴾ هنيئًا يجري على السهولة في حلوقهم ، ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾ متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمراتهما يعني عصيرهما ، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ استئناف لبيان الإسقاء ، ﴿مِنْهُ[1] سَكَراً﴾ وهو الخمر والآية قبل تحريمه وتذكير الضمير لأنه يرجع إلى المضاف[2] المقدر أعني العصير قيل من ثمرات متعلق بتتخذون ومنه تكرير التأكيد ، وقيل : تقديره ومن ثمراتهما ثمر تتخذون منه فتتخذون صفة لمبتدأ محذوف ، ﴿وَرِزْقًا[3] حَسَنًا﴾ كالخل والدبس ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم قيل: ناسب ذكر العقل ها هنا فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرم السكر صيانة لعقولهم ، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ألهمها وأرشدها ، ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾ أي : بأن اتخذي أو أن مفسرة للوحي وتأنيث الضمير لأن المراد منه الجمع ، ﴿مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوي إليها ، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ضمير الجمع للناس يعني أرشدنا النحل باتخاذ المسكن لأنفسها من الجبال والأشجار ومما يبنون لها في أي موضع كان أو منهما ومن البيوت فإنه قد يكون بيوت الناس مسكنه ، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التي تشتهينها ، ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ في الجبال والبراري والأودية في ذهابك إلى رعيك وإيابك إلى بيتك ، ﴿ذُلُلاً﴾ حال كون السبل مُذَلَّلَةً سهلها لك أو اسلكي أنت حال كونك ذللاً منقادة لما أمرتك به ، ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو

---

(١) ولما كان اللبن ليس فيه معالجة لأحد قال نسقيكم والسكر والنحل والدبس يحتاج إلى معالجة قال: "تتخذون" / ١٢ وجيز .

(٢) مع أن المرجع بحسب الظاهر الثمرات / ١٢ .

(٣) وفيه إيماء إلى أن السكر ليس من الرزق الحسن قيل: السكر الطعم وقال الطبري: السكر في كلام العرب ما يطعم / ١٢ وجيز .

حال كونك ذللاً منقادة لما أمرتك به ، ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ، ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أبيض وأصفر وأحمر وأسود ، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ[1] لِّلنَّاسِ﴾ في الحديث:[2] (عليكم بالشفائين العسل والقرآن) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في صنع الله وإحكام أمره ، ﴿وَاللَّهُ[3] خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ[4] الْعُمُرِ﴾ أخسه وهو الهرم وعن علي -رضي الله عنه- أنه خمس[5] وسبعون سنة ففيه ضعف القوى وسوء الحفظ وقلة العلم ، ﴿لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾: ليصير إلى حالة شبيهة بالطفولية في أكثر الأشياء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما يصنع ، ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريد .

---

(١) في بعض الأحاديث ما يدل على أنه شفاء لكل داء وصرح بذلك ابن مسعود، فالتنوين للتعظيم ولما كان أمر النحل عجيب في بنائها البيوت المسدسة وفي أكلها الأزهار المتنوعة وفي طواعيتها لأميرها وكان النظر في ذلك محتاجاً إلى تأمل ختم بقوله : " إن في ذلك " الآية / ١٢ وجيز .[حديث "عليكم بالشفاء ، العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور" أخرجه ابن عدى في "الكامل" (٢/١٨٣) عن سفيان بن وكيع: ثنا أبي عن سينان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعا...فذكره. وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" تحت حديث (١٥١٤).]

(٢) رواه ابن ماجة وابن جرير .[وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٤١٥).]

(٣) ولما أثبت كمال قدرته في الأربعة المتقدمة نبه على قدرته التامة في أنفسنا فقال : " والله خلقكم " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) ولا يقيد بسن مخصوص ويتفاوت بالأشخاص قيل: أرذل العمر للكافر ولذلك قال تعالى "ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" (التين:٥،٦)،فال عكرمة : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر / ١٢ وجيز .

(٥) وعن قتادة وهو خمس وتسعون / ١٢ .

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ
عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ
مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ
مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا
يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾

﴿وَاللَّهُ[1] **فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ بسط على واحد وضيق على آخر ، ﴿**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا**﴾: في الرزق ، ﴿**بِرَادِّي**﴾: بمعطي ، ﴿**رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ أي : مماليكهم ، ﴿**فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾: فيستوون في الرزق عن ابن عباس رضي الله عنه- وغيره يقول الله تعالى: "لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيذي معي في سلطاني؟!" فهو رد وإنكار على المشركين حيث لا يرضون أن يكون حيوانًا مثلهم شريكًا لهم ويقولون مخلوقات الله شركاؤه في

(١) ولما ذكر خلقنا وإماتتنا وتفاوتنا في العمر أراد ذكر تفاوتنا في الرزق فقال : " والله فضل " الآية / ١٢ وجيز .

ألوهيته تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، **﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** حيث يتخذون معه شركاء والباء لتضمين الجحود معنى الكفر ، وقيل: معناه جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهو بشر مثلكم فكان ينبغي أن تَرُدوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس ثم جعل عدم ردهم إلى المماليك من جملة جحود النعمة ، **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ[(١)]﴾** أي : من جنسكم ، وقيل: المراد خلق حواء من آدم ، **﴿أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ[(٢)] وَحَفَدَةً﴾** أولاد الأولاد، أو بني امرأة الرجل أي : الربائب أو الخدم فعلى هذا تكون عطفًا على أزواجًا لا على بنين أو البنات أو الأختان أي : الأصهار والحفد[(٣)] في اللغة الخدمة ، **﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** اللذائذ ، **﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾**: الأصنام ، **﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾** حيث يضيفونها إلى غيره ، **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ[(٤)] لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: لا المطر ولا النبات والثمار ، **﴿شَيْئًا﴾** بدل من رزقًا أي : لا قليلاً ولا كثيرًا وإن جعلت رزقًا مصدرًا فمعوله أي : لا يملك أن يرزق شيئاً ، **﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾** أي : لا يستطيع تلك الآلهة أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلاً ، **﴿فَلاَ تَضْرِبُوا[(٥)] لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾**: لا تشبهوه بخلقه فإن ضرب المثل تشبيه ذات

---

(١) لما امتن بالرزق جعل يمتن بما هو من مصالحه ويستأنس به والمراد بالأنفس الجنس/١٢.

(٢) و لم يذكر البنات لأن الآية للامتنان والبنات عند أكثرهم مكروه/١٢ وجيز .

(٣) ومنه إليك نسعى ونحفد أي نسرع في الطاعة / ١٢ وجيز .

(٤) عن قتادة قال: هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقًا من السماوات والأرض ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا/١٢ .

(٥) أقول يحتمل أن يكون المراد أن عبدة الأوثان كانوا يقولون إن إله العالم أجل وأعظم من أن يعبده الواحد منا، بل نحن نعبد الكواكب أو نعبد هذه الأصنام ثم إن الكواكب والأصنام عبيد الإله الأكبر الأعظم والدليل عليه العرف فإن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الأكابر يخدمون الملك، فكذا هاهنا فعند هذا قال الله تعالى لهم =

بذات أو وصف بوصف وتعالى عن ذلك ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ خطأ ماتضربون ، ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ قيل: معناه لا تضربوا لله المثل فإنه يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون، ثم علمهم كيف تضرب فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكاً﴾ لا عبدًا[1] حرًا ، ﴿لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَّمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ هو تمثيل[2] للكافر والمؤمن فالكافر رزقه الله مالًا فلم يقدم فيه خيرًا فهو كالعبد لا يملك شيئًا وإن كان هو متصرفًا فيه ، والمؤمن أعطاه الله مالاً فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاه سرًّا وجهراً فهو كالحر يتصرف في ماله ولا يسلب عنه أبدًا ، أو مَثَّل الصنم بالمملوك العاجز ومثّل نفسه الأقدس بالحر المالك الذي رزقه الله مالاً يتصرف فيه كيف يشاء فالتسوية بينهما مع الاشتراك في النوعية ممتنعة فكيف بالقادر الغني المطلق والصنم العاجز على الإطلاق؟! وجمع الضمير في يستوون ، لأن معناه هل يستوي الأحرار والعبيد؟! ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد له لأنه وحده مُولي النعم كلها ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ، أنه وحده مُولي النعم فيعبدون غيره ، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ﴾ أي : جعل رجلين مثلاً ، ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: ولد أخرس ، ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الصنائع لنقصان جسده وعقله ، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾

= اتركوا عبادة هذه الأصنام والكواكب ولا تضربوا لله الأمثال التى ذكرتموها وكونوا مخلصين في عبادة الإله الحكيم القدير واتركوا دليلكم الذي عولتم إليه وهو قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لأن هذا قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص فلهذا قال إن الله يعلم أنه لا مثل له في الخلق وأنتم لا تعلمون بشيء من ذلك وفعلكم هذا هو عن توهم محض وخاطر باطل وخيال مختل / ١٢ كبير مع الفتح .

(١) فإن كل حر عبد من عباد الله / ١٢ منه .

(٢) قاله ابن عباس وقتادة واختاره بن جرير / ١٢ منه .

ثقل ، ﴿عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ حيثما يرسله سيده في أمر ، ﴿لا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لا يَكْفِ مُهِمَّ مُرْسِلِهِ ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَّأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ، فَهِمٌ منطيق ذو رشد ينفع الناس أحسن نفع ، ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ، ﴿عَلَى صِرَاطٍ[1] مُّسْتَقِيمٍ﴾: مسيرة صالحة لا يرجى منه شيء إلا وهو يأتي بأمثل منه فالأول: هو الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ومع ذلك كلفة إلى عابدها تحتاج إلى أن يخدمها ، والثاني: هو الله القادر المتكلم النافع الصمد المستغني مطلقًا المحتاج إليه ما عداه ، أو مثل للكافر والمؤمن وقد نقل أن الأول في عبد رجل[2] من قريش والثاني في عثمان بن عفان والأبكم الذي هو مولاه ينفق عليه عثمان وهو يكره الإسلام ويأباه .

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا
تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ
إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ

---

(١) ولما قال: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون وضرب المثل وصف نفسه بأنه عالم قادر قال: "ولله غيب السموات" / ١٢ وجيز .

(٢) نقله ابن جرير عن ابن عباس ومراده أن الممثل به في قوله: "ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا" عبد رجل من قريش وفي قوله: "ضرب الله مثلاً رجلين" عبد لعثمان وحاصله أن الممثل به موجود لا مخيل كما هو شأن أكثر المثل / ١٢ منه .

جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يختص به علم ما غاب عن العباد ، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ قيام القيامة في السرعة والسهولة ، ﴿إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في أقل من ذاك الزمان وأو للتخيير أو بمعني بل ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إعادة الخلائق دفعة.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم﴾ دليل على كمال قدرته ، ﴿مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ حال كونكم ، ﴿لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ﴾ أنشأ ، ﴿لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ[(١)]﴾ التى هي سبب معرفتكم الجزئية والكلية ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم فلا تعبدون غير موليها ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة ، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الجو الهواء المتباعد من الأرض ، أي : في هواء العلو ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فيه ، ﴿إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ والآيات خلق الطير بهيئة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن فيه الطيران وإمساكها في الهواء مع ثقل جثة الطير ولا ينتفع بها إلا كل مؤمن ، ﴿وَاللَّهُ[(٢)] جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ

---

(١) ولما ذكر السمع والبصر والفؤاد وهي الحس والعقل ذكر مدركها فقال : " ألم يروا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر الطير الذي ليس له إلا الوكر في مثل الأشجار، وقد خلق له من الرياش التى منها الطيران وهي دافعة عنه ضر الحر والبرد عقبه امتناناً لمن لا يتمكن من الطيران وليس =

﴿سَكَناً﴾: موضعًا تسكنونها كالبيوت الحجرية والمدرية والسكن بمعنى المسكون ، أي : ما يسكن إليه بأن خلق الآلات ثم علمكم الترصيف ، **﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾** هي القباب المتخذة من الأدم والأنطاع ، **﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾** تجدونها خفيفة[1] ، **﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾** ترحالكم في سفركم ، **﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾**: وقت حضركم أو نزولكم ، **﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾**: هي للضأن ، **﴿وَأَوْبَارِهَا﴾**: هي للإبل ، **﴿وَأَشْعَارِهَا﴾** هي للمعز ، **﴿أَثَاثاً﴾** من الفرش والأكسية وغيرهما ، **﴿وَمَتَاعًا﴾** ما يتمتعون به ، **﴿إِلَى حِينٍ﴾** مدة متطاولة أو إلى أجل معلوم ، **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ[2] لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً﴾** تستظلون بها من الحر كالأشجار وغيرها ، **﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً﴾** جمع كِنٍّ وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال والحصون ، **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾** القمصان والثياب ، **﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾** والبرد واكتفى بأحد الضدين عن الآخر أو خصه بالذكر ؛ لأن الحجاز بلاد الحر ، **﴿وَسَرَابِيلَ﴾** لباس الحرب كالدروع ، **﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾** تمنعكم الطعن والقطع والرمي ، **﴿كَذَلِكَ﴾** مثل تمام هذه النعم التي مر ذكرها ، **﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** لتستعينوا بها على الطاعة ، **﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾**: تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه وعن عطاء إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب هم أصحاب جبال وأوبار وأشعار ألا ترى إلى قوله: "سرابيل

= معه ما يدفع به ضر البرد والحر بذكر ما هو دافع عنه فقال : " والله جعل لكم من بيوتكم " الآية / ١٢ وجيز .

(١) يعني خففه عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً أو خفف عليكم حملها ونقلها يوم ترحالكم وضربها يوم نزولكم وإقامتكم في مكان / ١٢ منه .

(٢) ولما كانت بلاد العرب غالبًا عليها الحر امتن عليهم بذكر ما يكنهم من الحر فقال : " والله جعل لكم " الآية / ١٢ وجيز .

تقيكم الحر" وما يقي من البرد أعظم لكنهم أصحاب حر ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن قبول كلامك ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ لا يضرك إعراضهم ، ﴿يَعْرِفُونَ﴾ أي : المشركون ، ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ وأن كلها من الله ، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا[1]﴾ بعبادهم غيره ويقولون : إنها بشفاعة آلهتنا ، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: الجاحدون عنادًا وذكر الأكثر ؛ لأن بعضهم لنقصان عقلهم لم يعرفوا أنها من الله أو الأكثر بمعنى الجميع ، وعن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قرأ على أعرابي أتاه : " والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا" قال الأعرابي : نعم "وجعل لكم من جلود الأنعام" إلى آخر النعم فقال: نعم، فلما بلغ "كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" ولى الأعرابي، فأنزل الله "يعرفون نعمة الله" إلى "وأكثرهم الكافرون"(*) .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟

---

(١) يعترفون أنها من الله ثم يقولون: حصلت بسبب الآلهة / ١٢ منه ، ونقل البغوي عن الكلبي قال : هو إنه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا : نعم هذه كلها من الله ولكنها حاصلة بشفاعة آلهتنا / ١٢ .

(*) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٢٦٠) وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٣٨/٤) وعزاه لابن أبي حاتم في "تفسيره".

يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿**وَيَوْمَ**[1] **نَبْعَثُ**﴾ أي : اذكر هول هذا اليوم ، ﴿**من كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾ يعني رسولها يشهد لهم وعليهم ، ﴿**ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ في الاعتذار لأنه لا عذر لهم ، ﴿**وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ ولا هم يسترضون أي : لا يكلفون بإرضاء ربهم لأن الآخرة ليست بدار عمل ، ﴿**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا العَذَابَ**﴾: عذاب جهنم عطف على "يوم نبعث" ، ﴿**فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ**﴾: يمهلون ، ﴿**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ**﴾ أوثانهم التي جعلوها شركاء لله ، ﴿**قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا**﴾ ، نعبدهم ، ﴿**مِن دُونِكَ**﴾ كأن هذا القول منهم التماس بأن يشاركهم في عذابهم ، ﴿**فَأَلْقَوْا**﴾ آلهتهم ، ﴿**إِلَيْهِمُ القَوْلَ**[2] **إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ أي : أجابوهم بالتكذيب[3] وقالوا: لسنا شركاء الله ومادعوناكم إلى عبادتنا بل عبدتم أهواءكم وليس ببعيد إنطاق الله الأصنام ، ﴿**وَأَلْقَوْا**﴾: الكفار ، ﴿**إِلَى اللَّه يَوْمَئِذ السَّلَمَ**﴾ استسلموا لحكمه ، ﴿**وَضَلَّ**﴾ ضاع وبطل ، ﴿**عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ من شفاعة آلهتهم ونصرتها ، ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا**﴾: الناس ، ﴿**عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ عن

---

(١) ولما ذكر إنكارهم لنعمة الله ذكر لهم هول يوم لا ينفع فيه ندم نادم فقال : " ويوم نبعث " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) يعني قالوا لهم: إنكم لكاذبون /١٢.

(٣) أجاب شركاؤهم عابديهم بالتكذيب وقالوا: حاشا لله أن نكون شركاء له وما دعوناكم إلى عبادتنا؛ بل عبدتم أهواءكم وشركاءهم عام من صنم ووثن وملك وشيطان فيكذبهم من له نطق وانطق الله الأوثان / ١٢ وجيز .

دخوله في الإسلام ، ﴿زِدْنَاهُمْ[1] عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾: بسبب إفسادهم فإنهم ضالون مضلون ، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ أي : اذكر هذا اليوم وهوله ، ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نبي كل أمة بعث من قومه ، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد ، ﴿شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ﴾: على أمتك ، ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ حال بإضمار قد ، ﴿عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا﴾: بيانًا بليغًا ، ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاجون إليه من أمور الدين ، ﴿وَهُدًى﴾: من الضلال ، ﴿وَرَحْمَةً﴾: للجميع ، ﴿وَبُشْرَى﴾ وبشارة ، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ[2] ﴾ خاصة وحاصله أن الله أمره أن يخوف أمته بيوم شهادته -عليه الصلاة والسلام- على أمته حال كونه مسئولاً عن تبليغ أحكام الله المبينة في القرآن والأمة عن قبولها كما قال تعالى: " فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين " (الأعراف:٦)، " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانو يعملون " (الحجر:٩٢).

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ

---

(١) قال ابن مسعود وابن عباس: المزيد عقارب أنيابها كالنخل الطوال وأنهار من صفر مذاب/١٢ وجيز .

(٢) ولما قال في وصف القرآن : تبيانًا لكل شيء وصل به ما يقتضي التكاليف فرضًا ونفلاً وأخلاقًا وآدابًا وعقبه بآية جامعة لأصول التكليف كلها تصديقًا لذلك فقال : " إن الله يأمر بالعدل " الآية / ١٢ وجيز .

إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ
شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ
وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ
قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ
صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ
لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ[1] بِالْعَدْلِ﴾ ، بالتوسط في الأمور اعتقادًا وعملاً ﴿وَالإِحْسَانِ[2]﴾: إلى الناس وعن ابن عباس العدل التوحيد ، والإحسان الإخلاص فيه ، ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾: صلة الرحم ، ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: ما غلظ من المعاصي كالزنا ، ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ وما تنكره الشريعة ، ﴿وَالْبَغْيِ﴾: العدوان على الناس ، ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) قوله تعالى "إن الله يأمر" الآية ، قال ابن مسعود: هي أجمع آية في القرآن للخير والشر/١٢ منه .

(٢) إلى الخلق كلهم ولهذا قيل: من أحسن إلى الجميع سوى هرة في بيته لم يكن محسنًا/١٢ وجيز .

﴿تَذَكَّرُونَ ﴾: تتعظون ولله در من قال[1]: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة ولعل إيرادها عقيب قوله: "ونزلنا عليك الكتاب" للتنبيه عليه ، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ البيعة التي بايعتم على[2] الإسلام أو كل عهد وميثاق ، ﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي : أيمان البيعة بعد توكيدها بذكر الله أو الأيمان مطلقًا ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾: شاهدًا بتلك البيعة والواو للحال ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ تهديدًا لمن نقض الأيمان ، ﴿وَلاَ تَكُونُوا﴾: في نقض الأيمان ، ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ، ﴿غَزْلَهَا﴾ مصدر بمعنى المفعول ، أي : ما غزلته ، ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي : نقضت بعد إحكامه وفتله ، ﴿أَنكَاثاً﴾ جمع نكث وهو ما ينكث فتله ثاني مفعولي نقضت بتضمين معنى الجعل أو بأنه بمعني صيرت، أو مفعول مطلق لنقضت وهو مثل لمن نقض عهده بعد توكيده وقد نقل أن في مكة كانت امرأة حمقاء تفعل[3] ذلك ، ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ حال من اسم كان ، ﴿دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ أي : مفسدة[4] ودغلاً، وهو ثاني مفعولي تتخذون ، ﴿أَن تَكُونَ﴾ أي : بسبب أن تكون ، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة ، ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر عددًا وعُددًا ، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: من جماعة أخرى كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر وأعز منهم فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون الأكثرين ، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أنكم متمسكون بحبل الوفاء أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين

---

(١) قائله القاضي البيضاوي / ١٢ منه .

(٢) وكل من دخل في الإسلام فقد بايع ولم يرد بيعة الرضوان؛ لأن السورة مكية والوفاء بالعهد من العدل والإحسان ، ونقضه من الفحشاء والمنكر / ١٢ وجيز .

(٣) فيكون الممثل به موجودًا لا مخيلًا / ١٢ .

(٤) أي : لا تكونوا مثلها متخذي أيمانكم مفسدة بينكم/١٢ .

وفقرهم أو ضمير به راجع إلى الأمر بالوفاء ، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا فيجازي كلٌ بعمله ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: متفقة الكلمة والدين ، ﴿وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ عدلاً منه ، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: فضلاً منه ، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يوم القيامة بنقير وقطمير ويجازيكم ، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ صرح بالنهي بعد النهي مبالغة ، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: مكرًا وخديعة ، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ[1]﴾ عن محجة الإسلام ، ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا[2]﴾: عليها ، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: العذاب في الدنيا ، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : بسبب صدكم غيركم عنه فإن الكافر إذا رأى المؤمن قد غدر لم يبق له وثوق بالدين فانصد عن الإسلام ، أو لأن من نقض البيعة جعل ذلك سنة لغيره ، أو بصدودكم عن الوفاء ، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة ، ﴿وَلَا[3] تَشْتَرُوا﴾: لا تستبدلوا ، ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بيعة رسوله ، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرضًا يسيرًا من الدنيا ، ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾: من الثواب على الوفاء ، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : من أهل العلم والتمييز ، ﴿مَا عِندَكُمْ﴾: من أمتعة الدنيا ، ﴿يَنفَدُ﴾: ينقضي ، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم لا ينقطع ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الوفاء أو على أذى الكفار ، ﴿أَجْرَهُم﴾ ثاني مفعولي نجزين فإنه بمعنى نعطين ، ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بجزاء أحسن من أعمالهم ، قيل معناه : نجزيهم بما ترجح فعله من أعمالهم وهو الواجب

---

(١) المراد من قدم أقدامكم ، قال الزمخشري : وحّدو نكر للدلالة على أن ذلك قدم واحد عظيم فكيف بالكثير/١٢ منه .

(٢) فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين، والعرب تقول "لكل مبتلى بعد عافية أوساقط في ورطة بعد سلامة به زلت قدمه" / ١٢ معالم .

(٣) ثم نهاهم سبحانه عن الميل إلى عرض الدنيا والرجوع عن العهد لأجله فقال : " ولا تشتروا " الآية / ١٢ فتح .

والمندوب ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: نرزقه رزقًا حلالاً وقناعة وحلاوة طاعة وانشراح صدر ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: ولنعطينهم ، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا[1] قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أردت قراءته ، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: سل الله أن يعيذك من وساوسه وهو أمر ندب ، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾: تسلط ، ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾: تسلطه ، ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يحبونه ويطيعونه ، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ﴾: بالله أو بسبب الشيطان ، ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

---

(١) ولما قال: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء" وأعقبه بما يؤيده حتى ختم بالحث على الأعمال الصالحة التي في القرآن تبيينها وذكر أن الإيمان شرطها والمؤمن من هو سالم من غوائل الشيطان وهو الذي يحول بينه وبين فهم القرآن وصالحة الأعمال أمر أن يستعيذ من خداعه ووساوسه ويلجأ إلى ربه فقال : " فإذا قرأت القرآن " الآية/١٢ وجيز .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ *﴾

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا[1] آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾: رفعناها وأنزلنا غيرها لمصالح ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: أعلم بمصالح عباده في التبديل والنسخ ، ﴿قَالُوا[2] إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ ، أي : قالت الكفرة وهو جواب إذا وما بينهما اعتراض أو حال ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام ، ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبسًابالحكمة ، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على إيمانهم حين تأملوا وفهموا مصالح النسخ ، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ معطوفان على محل ليثبت أي : تثبيتًا وهداية وبشارةً ، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ، كان غلام لبعض[3] بطون قريش، وكان بيَّاعاً فربما كان -صلى الله عليه وسلم- يجلس إليه ويكلمه ولسانه أعجمي لا يعرف من العربي إلا قدر ما يرد الجواب فقال المشركون : هو الذي[4] يعلمه القرآن ، وقد نقل أن كاتب وحيه الذي ارتد افترى هذه المقالة ، ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾: لغة الرجل

---

(١) ولا يبعد أن يقال المراد من الذين يتولونه الفجار من المسلمين، ولما ذكر تسلط الشيطان لأوليائه بين بعض ما أنتج تسلطه فقال: "وإذا بدلنا" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) من تعليم الشيطان ووساوسه / ١٢ منه .

(٣) قاله سعيد بن المسيب / ١٢ منه .

(٤) وأما نسبة تعلمه من سلمان فباطل ؛ لأن الآية مكية وقد أسلم سلمان بالمدينة/١٢ وجيز.

الذي يُمِيلُون قولَهم عن الاستقامة ، ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا﴾: القرآن ، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه من لا يعرفه؟![1] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾: إلى الحق فيتفوهون بكلمات هي أضحوكة لمن يسمع ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: في الآخرة ، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ﴾: بالله ، ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: فلا يخافون عقابه ، ﴿وأُوْلَئِكَ﴾: المفترون هذا الافتراء ، ﴿هُمُ الكَاذِبُونَ ﴾: الكاملون في الكذب، فإن الطعن بمثل هذه الخرافات أعظم الكذب ، ﴿مَن كَفَرَ[2] بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله: "فعليهم غضب" ، ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ على كلمة الكفر استثناء[3] متصل ، ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾: لم يتغير عقيدته ، ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾: طاب به نفسًا ، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ جزاءً لمن شرح ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عن[4] ابن عباس: إنها نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون ليرتد فوافقهم مكرهًا وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً[5] والإجماع على جواز كلمة الكفر عند الإكراه لكن الأفضل تركه وإن قتل، ﴿ذَلِكَ﴾: الكفر بعد الإيمان أو غضب الله عليهم ، ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ

---

(١) يعني هب أنه تعلم منه المعني لكن من أين تلقف لفظه والقرآن كما هو معجز بحسب المعني معجز بحسب اللفظ / ١٢ وجيز .

(٢) وإنما قال: "إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون" ذكر أن من المفترى من هو ألد وأشد الكاذبين ومنه من ليس من الكاذبين حقيقة فقال : " من كفر بالله " الآية/١٢وجيز .

(٣) لأن الكفر لغة يعم القول والعقيدة كالإيمان / ١٢ منه ووجيز .

(٤) رواه البيهقي وغيره / ١٢ منه .[وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٤٨/٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.]

(٥) فقبل رسول -الله صلى الله عليه وسلم- عذره / ١٢ وجيز .

الكَافِرِينَ ﴾ أي : قومًا كفروا في علم الله وخلقهم على الكفر ، ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ**﴾: ختم ، ﴿**اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ و أَبْصَارِهِمْ**﴾ فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون الحق ، ﴿**وأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ** ﴾: الكاملون في الغفلة ، ﴿**لاَ جَرَمَ**[1]﴾: حقًا ، ﴿**أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ** ﴾ ، إذ اشتروا برأس مالهم العذاب المخلد ، ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا**﴾ أي : ربك لهم لا عليهم وليهم وناصرهم وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت لهم الهجرة مع المهاجرين ، ﴿**مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا**﴾ عذبوا[2] وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك ، ﴿**ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا**﴾ على المشاق للدين ، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا**﴾ بعد الهجرة والجهاد والصبر ، ﴿**لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ يغفر ذنوبهم ويرحمهم فينعم عليهم .

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا
كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا
تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ

(١) قد بسطنا تحقيق معنى لا جرم في سورة حم المؤمن / ١٢ منه .

(٢) وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت لهم الهجرة مع المهاجرين/١٢ وجيز .

ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا
ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ
بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بغفور رحيم أو بتقدير اذكر ، ﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ تحتج عن ذاتها وتسعي في خلاصها ، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون ﴾: بنقص أجورهم ، ﴿وَضَرَبَ[1] اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً﴾ أي : جعلها مثلاً لمن أنعم الله عليه فكفر بالنعمة فأنزل الله عليه النقمة ، ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ أي : كمكة[2] كانت ذات أمن ، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: مستقرة لا يزعج أهلها خوف ، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: أقواتها ، ﴿رَغَدًا﴾: واسعًا ، ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها ، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ قد جرت الإذاقة عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في الشدائد فيقولون ذاق فلان البؤس، واستعار اللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف، ثم إن أهل مكة لما استعصوا فدعا عليه السلام عليهم بسبع كسبع يوسف أصابتهم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف ، وأما الخوف فمن سطوة سرايا المؤمنين حتى فتح الله على أيديهم ، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: بسبب صنيعهم ، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ[3]﴾: من نسبهم

---

(١) ولما بين أن كل نفس لا تجزى إلا جزاء عملها في الآخرة غير مظلومين في ذلك ضرب مثلاً أنموذجًا في تحقق ما بين فقال: "وضرب الله" إلخ / ١٢ وجيز .

(٢) كما نقل عن ابن عباس: القرية المضروب بها المثل مكة ضرب مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا صريح في أن القرية المضروبة مثلاً ليست قرية مقدرة كما جوزه الزمخشري بل هي قرية كانت موجودة / ١٢ وجيز .

وأصلهم ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ﴾ من الجوع والخوف والقتل ، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: حال التبساهم بالظلم ، ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أمرهم الله بأكل الحلال وشكر النعمة بعد أن هددهم وزجرهم عن الكفر ، ﴿حَلالاً طَيِّبًا﴾ مفعول كلوا والظرف حال أو بالعكس ، ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن كنتم تطيعون الله وحده ، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ[١] عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عدد عليهم ماحرم الله لا ما حرموا من عند أنفسهم من البحائر والسوائب وغيرهما بعد ما أمرهم بتناول[٢] ما أحل لهم وقد مر تفسيره مفصلاً في سورة البقرة ، ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ وصف ألسنتهم الكذب مبالغة في كذبهم كأن الكذب مجهول وألسنتهم تعرفه وتصفه بكلامهم هذا كقولهم: وجهها يصف الجمال والكذب مفعول تصف وما مصدرية أي : لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب يعني : لا تحللوا ولا تحرموا بمجرد قول ينطق به ألسنتكم من غير حجة ، أو نصب الكذب بلا تقولوا واللام في لما تصف كاللام في لا تقولوا لما أحل الله لك هذا حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب أو متعلق بتصف على إرادة القول ، أي : لا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من الأنعام والحرث بالحل والحرمة فيقول هذا حلال وهذا حرام ، ﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾ اللام لام العاقبة ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾: لا ينجون من عذابه ،

---

(١) أمرهم الله بأكل الحلال المستلذ وشكر النعمة بعد أن هددهم عن الكفر ولما قال : " مما رزقكم الله حلالاً " شرع يبين ما هو حرام ليظهر الحلال فقال: "إنما حرم " الآية/١٢ وجيز .

(٢) فلا يدل على حصر المحرمات في تلك الأشياء كأنه قال الحرمة محصورة في تلك الأشياء لا تجاوز إلى البحائر والسوائب / ١٢ منه ووجيز .

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي : ما يفترون لأجله أو ماهم فيه منفعة قليلة ، ﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى[1] الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ في سورة الأنعام وهو : " على الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر " (الأنعام:١٤٦) الآية ، ﴿مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بالتحريم ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فاستحقوا التضييق عليهم وهذا إشارة إلى أن تحريم بعض الأشياء على المؤمنين لمضرة فيه وعناية في شأنهم وأما تحريم بعض الأشياء على اليهود فجزاء نكالهم وتضييق عليهم كما قال تعالى: " فبظلم من الذين هادوا " الآية (النساء:١٦٠)، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ﴾ لا عليهم أي : لهم بالنصر والرحمة ، ﴿عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي : متلبسين[2] بها أو بسببها، وعن بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل ، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ ، حالهم ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ، ﴿لَغَفُورٌ﴾: كثير المغفرة ، ﴿رَّحِيمٌ[3]﴾: واسع الرحمة لهم فيثيبهم علىأعمالهم وجاز أن يكون لغفور رحيم خبر إن الأولي وإن ربك من بعدها تكرير وتأكيد .

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ

---

(١) ولما ضرب مثلاً لمن لم يشكر نعم الله من المشركين بين مثلاً آخر من أهل الكتاب فقال : " وعلى الذين هادوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) غير عارفين بعقابه غير مدبرين للعاقبة ملتذا بهواه لا يبالي بمعصية مولاه مغترًا بالحال عن المآل/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما أمر قريشًا ونهاهم وهم مفتخرون بجدهم إبراهيم -عليه السلام- مقرون بحسن سيرته ووجوب اتباعه ذكره في آخر السورة وأوضح منهاجه فقال : " إن إبراهيم" الآية / ١٢ وجيز .

فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا
كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ
بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا
بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟
وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾ أي : مأمومًا مقصودًا يقصده الناس ليأخذوا منه الخير[1] أو مؤتمًا به مقتدى فُعْلة بمعنى مفعول كرحلة ونخبة ، أي : ما يرتحل إليه وما ينتخب أي يختار أو أمة لأنه وحده مؤمن[2] والناس كلهم كفار، أو لكماله واستجماعه فضائل لا توجد إلا في أمة ، ﴿**قَانِتًا**﴾: مطيعًا ، ﴿**لِّلَّهِ حَنِيفًا**﴾ ، مائلاً عن الباطل ، ﴿**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ كما زعم قريش أنهم على ملة إبراهيم[3] وهم مشركون ، ﴿**شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ**﴾ لقلائل نعمه[4] فكيف بالكثير ، ﴿**اجْتَبَاهُ**﴾ للنبوة ، ﴿**وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ عبادة الله وحده ، ﴿**وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾ هي كونه حبيب الخلائق

---

(١) قاله ابن مسعود / ١٢ .

(٢) قاله مجاهد / ١٢ .

(٣) من وقف على علم القرآن علم أن إبراهيم -عليه السلام- كان غارقًا في بحر التوحيد/١٢ كبير .

(٤) علم ذلك من أنعمه فإن أفعل جمع قلة / ١.٢ منه .

ومن أولاده الأنبياء ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : جمعنا له خير الدارين ومن دعائه عليه السلام: "وألحقني بالصالحين"، ﴿ثُمَّ[1] أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ، ﴿أَنِ اتَّبِعْ﴾ أي: بأن أو تفسيرية ، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ وهذا أدل دليل على عظمته فإن مثل أفضل الخلائق قاطبة مأمور باتباعه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما يزعم قومك ، ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه ، ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: اليهود، فإن موسى عليه السلام أمرهم بتعظيم الجمعة[2] فأبوا إلا شرذمة منهم ، وقالوا: نريد يومًا فرغ الله فيه من الخلق وهو السبت فأذن الله لهم في السبت وغلظ وشدد الأمر فيه عليهم فابتلاهم بتحريم صيده فما أطاعوا إلا الشرذمة التي رضوا بيوم الجمعة وعن قتادة اختلفوا فيه أي : استحله بعضهم وحرمه بعضهم ، وقيل : أي : إنما جعل وبال السبت ، أي : المسخ على الذين حرموه تارة وحللوه أخرى وهو الاختلاف ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيجازي كل فريق بما يستحقه ، ﴿ادْعُ[3] إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دينه ، ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بالقرآن[4] ، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: مواعظ القرآن وقيل المراد القول

---

(١) ولما وصفه صلى الله عليه وسلم بتلك الأوصاف الحسنى أمر نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال : " ثم أوحينا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ذكره مجاهد وفي صحيح البخاري ومسلم ما يدل على ذلك/١٢ منه .[أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس فيه تبع اليهود غدا، والنصارى بعد غد".]

(٣) ولما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع خليله أمر حبيبه بما هو الأصل والمقصود من اتباعه وإرساله فقال : " ادع إلى سبيل ربك " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنه- / ١٢ .

اللين بلا تغليظ وتعنيف ، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق وحسن خطاب[1] وقيل نسختها آية القتال ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي : قد علم الشقي والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم أنت إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فإنما عليك البلاغ ، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ السورة مكية وهذه الآيات[2] مدنية نزلت[3] حين وقعت وقعة أحد وفعلوا ما فعلوا بحمزة -رضي الله عنه- فحين نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فلما نزلت كفر عن يمينه ، وعن بعضهم أن هذا أمر بالعدل في الاقتصاص والمماثلة في استيفاء[4] الحق مطلقاً ، ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: عن المجازاة بالمثلة ، ﴿لَهُوَ﴾ أي : الصبر ، ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ من الانتقام للمنتقمين وعلى ما فسرنا الآية محكمة وعن بعضهم ، هذا هو الأمر بالصبر عن القتال والابتداء به فنسخت بسورة براءة وعلى كل تقدير الآية في غاية المناسبة مع قوله : " ادع إلى سبيل ربك " الآية ، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾: بتوفيقه وعونه ، ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على من خالفك وقيل: على ما فعل بالمؤمنين ، ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ في ضيق صدر من مكرهم فإن الله كافيك وناصرك ، ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) وتوضيح مقصود بمثل مثال ودليل ظاهر الدلالة / ١٢ وجيز .

(٢) من هاهنا إلى آخر السورة/ ١٢ منه .

(٣) كذا قاله عطاء بن يسار وفيه حديث مرسل وذكر الحافظ البزار بطريق متصل وفيه ضعف/١٢ منه .[وأخرجه الترمذي (٣٣٤٩) من حديث أبي بن كعب -رضي الله عنه- وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٥٠١): حسن صحيح الإسناد]

(٤) فلا يلزم أن يكون تلك الآيات في تلك السورة مدنية / ١٢ وجيز .

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا المحرمات أو الشرك بتأييده ومعونته ، **﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ[1] ﴾** في العمل وقيل: بالشفقة على خلقه.

اللهم اجعلنا منهم برحمتك الواسعة .

---

(١) قيل لهرم بن حيان عند الموت: أوص فقال إنما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل / ١٢ فتح .[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٥٦/٤) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن شيبة وهناد وابن رير وابن المنذر وابن أبي حاتم.]

سورة بني إسرائيل

مكية وقيل إلا قوله: "وإن كادوا ليفتنونك" إلى ثمان آيات

وهي مائة وإحدى عشرة آية واثنا عشر ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ (١) وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا
تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ
أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ
رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ
نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ
ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (٨) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)﴾

﴿سُبْحَانَ﴾ اسم بمعنى التسبيح ، أي : أنزهه تنزيهًا من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله تعالى بمجد الله نفسه وعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمدٍ[1] صلى الله عليه وسلم ، ﴿لَيْلاً﴾ أي : في بعض الليل،

---

(١) فإنه صلى الله عليه وسلم قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل: أصبت الفطرة ، قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل له : من أنت؟ فقال : جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل وقد أُرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ فقال : جبريل، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيي وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ قال: جبريل فقيل : ومن معك؟ قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف فإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، فقيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل: وقد بعث إليه ؟ ، قال: بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال: بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، فقيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال: بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريلّ قيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، فقيل: ومن معك ؟ قال:

=

فإنه مع تنكيره دال على تقليل مدة الإسراء ، ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ مسجد مكة أو من مكة لا من المسجد ويطلق على مكة كلها مسجد الحرام ، ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الذي ببيت المقدس ببدنه الأشرف والأصح، بل الصحيح أن الإسراء في اليقظة بعد البعثة مرة[1] واحدة وإن كان في المنام قبلها ، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار وببركات الدين والدنيا ، ﴿لِنُرِيَهُ﴾ أي : محمدًا، ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الكبرى عجائب سماواته وغرائب آياته ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد مصدقين ومكذبين ،

= محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة فإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها قال : فأوحى إلى ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتي انتهيت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب! خفف عن أمتي فحط عني خمسًا فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت ؟ قلت قد حط عني خمسًا ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسًا حتى قال : يا محمد هى خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون، صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت" رواه الشيخان واللفظ لمسلم .[البخاري ومسلم (١/٣٨٨) ط الشعب]

(١) لا كما قال بعضهم: كان مرات جمعاً بين الأحاديث / ١٢ .

﴿الْبَصِيرُ ﴾ فيجزيهم وفق ما يستحقون ، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كثيراً ما يقرن بين ذكر محمد وموسى -عليهما السلام- والقرآن والتوراة ، فأولاً ذكر شرف سيدنا محمد رسول الله ثم شرع في فضل كليمه موسى[1] ، ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا﴾ أن مفسرة ، ومن قرأ بالغيبة فأن ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي: لئلا ، ﴿مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾: ربًّا تَكِلُون إليه ، ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ نصب على الاختصاص وعلى قراءة الخطاب جاز نصبه بالنداء ، ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ﴾: نوحاً ، ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الحمد فيه تذكير لنعمة إنجائهم من الغرق ثم الحث للذرية على الاقتداء به.

﴿وَقَضَيْنَا﴾: أوحينا وحيًا مقضيًّا مقطوعًا ، ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواب قسم محذوف ، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالمعاصي ، ﴿مَرَّتَيْنِ[2]﴾ مخالفة أحكام التوراة ، ثم قتل يحيى وزكريا ، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ تستكبرن عن طاعة الله أو تظلمن الناس ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾: عقاب ، ﴿أُولاهُمَا﴾ ، أي : أولى الإفسادتين، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ هم جالوت وجنوده ، أو ملك الموصل سنجاريب أو بُخْت نَصَّر فأذلهم وقهرهم وقتلهم ، ﴿أُوْلِي﴾: ذوي ، ﴿بَأْسٍ﴾: قوة ، ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾: ترددوا لطلبكم ، ﴿خِلالَ﴾: وسط ، ﴿الدِّيَارِ﴾ للقتل والغارة والسبي ، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ فإنه قضاء مبرم ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدولة، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأن سلط داود على جالوت فقتله أو دانيال على جنود بخت نصَّر ، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ حتى عاد أمركم كما كان ،

---

(١) وكان بينهما في تلك الليلة حكاية مراجعة إلى الله لخمسين صلاة فرضت بأمر موسى وصلاحه مشهور مسطور في كتب الأحاديث/١٢ وجيز .[وقد تقدم ذكر الحديث قريبا.]

(٢) قتل زكريا أولهما، والثانية قتل حبرار مياحين أنذرهم سخط الله/١٢ وجيز .

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾: مما كنتم وهو من ينفر مع الرجل من قومه أو جمع نفـر ، أي : أكثر عددًا مما كنتم ، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي : الإحسان والإساءة كلاهما مختصان[1] بها لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم ، وقيل: أتى باللام دون على في قوله وإن أسأتم فلها للازدواج، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقوبة المرة ، ﴿الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا﴾ تقديره بعثناهم ليسوءوا ، ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ يهينوكم ومن قرأ ليسوء فالضمير لله أو للوعد أو للبعث ، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ عطف على ليسوؤا ، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي : كما خربوا أولاً بيت المقدس بعثناهم ليخربوا ثانيًا، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾: يهلكوا ، ﴿مَا عَلَوْا﴾ مفعول يتبروا ، أي : ليهلكوا كل شيء غلبوه ، ﴿تَتْبِيراً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم برد الدولة إليكم ، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلى المعصية ، ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة وعن بعض السلف عادوا فبعث الله عليهم المسلمين ، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً[2]﴾ محبسًا أو بساطًا كما يبسط الحصير ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ للحالة أو الطريقة التي ، ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أسدّ الحالات ، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ﴾ أي : بأن ، ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ[3]﴾ عطف

---

(١) فاستعمل اللام للدلالة على الاختصاص لا للازدواج وكلام الزمخشري دال على ذلك فانظر/ ١٢ منه .

(٢) ولما ذكر من اختصه بالإسراء ومن آتاه التوراة وأن التوراة هدى لبني إسرائيل وذكر ما قضى إليهم بذنوبهم تنبيهًا وردعًا عن المعاصي بين أن كتابنا يهدي وبين حال من يهتدي به ومن لا يهتدي به فقال : " إن هذا القرآن " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) قوله : "وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة" إلخ دل بمفهومه على أن من آمن لا يعدله عذاب أليم والعمل الصالح ليس شرطًا من نجاته عن تلك العقوبة ولا شك أن قد وقع في • الصدر الأول هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها في الأحاديث الصحاح وإنكار ذلك مكابرة، ولما بين إعطافه على المؤمنين بإثابتهم والانتقام من أعدائهم ذكر =

على أن لهم ، ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ ، أي : يبشرهم بثوابهم وعقاب أعدائهم .

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا
ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟
فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ
ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً
أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا
﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ
جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ
عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

= لطفًا آخر على الإنسان مؤمنهم وكافرهم في صورة قهر فقال : " ويدع الإنسان " الآية / ١٢ وجيز .

عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ ﴾

﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ أي: يسأل الله عند غضبه الشر على نفسه وأولاده وأمواله ، ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أي: مثل مسألته الخير ، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾: يسارع إلى ما لا يعلم خيريته لكن الله تعالى صبور عليهم لا يجيب جميع مسألته لطفًا وإنعامًا، ﴿وَجَعَلْنَا[1] اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ[2]﴾ تدلان على قدرة خالقهما وحكمته ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، الإضافة بيانية ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً[3]﴾ مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر[4] وعن ابن عباس كان القمر وهو آية الليل يضيء كما تضيء آية النهار وهي الشمس فمحونا آية الليل محوه السواد الذي في القمر ، وسئل عن[5] علي ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن فمحونا آية الليل فهذه محوه ، وروي عن آخرين من السلف[6] ما يدل على ذلك ، ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا في النهار أسباب معاشكم ، ﴿وَلِتَعْلَمُوا[7] عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾

---

(١) ثم عدّ ما عدّ للكل من إنعام عام ظاهرة باهرة دالة على قدرته الكاملة فقال : " وجعلنا الليل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كلام السلف كما سنذكره دال على أن آيتين مفعول جعلنا وقوله: "الليل والنهار" ظرفان في موقع المفعول الثاني "فمحونا آية الليل" وعلى ما ذكرنا ليست الإضافة بيانية/١٢ وجيز .

(٣) قال الكسائي: أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر فيه الأشياء / ١٢ منه .

(٤) فيكون متعديًا، أي يجعل الناس بصراء / ١٢ منه .

(٥) كما وراه ابن جرير وغيره من طرق متعددة/ ١٢ .

(٦) مثل قتادة والحسن وغيرهما / ١٢ منه .

(٧) ظاهر القرآن، على أن قوله لتبتغوا ولتعلموا متفرع على المحو والإبصار كما قال : "يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " (البقرة:١٨٩)، وليس ببعيد أن =

لولا محو آية الليل لكان الليل مثل النهار مضيئاً فما عرفنا عدد السنين ولا جنس الحساب ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ ، مماتحتاجون إليه ، ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾: بيناه بحيث لا يلتبس ، ﴿وَكُلَّ[1] إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ ، أي : ما قضي عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة وشقاوة وكانوا يتيمنون بسنوح الطير ويتشاءمون[2] ببروحها فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ، ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ أي : لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه ، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً﴾ مفعول نخرج ، أو حال من مفعوله المحذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة من قرأ يخرج بالياء وفتحه ، ﴿يَلْقَاهُ﴾ صفة ، ﴿مَنشُورًا﴾ إما حال من مفعول يلقى أوصفة أخرى أي : يجده منشورًا لكشف غطائه ، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ أي : يقال له ذلك ، ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ﴾ الباء[3] مزيدة في الفاعل ، ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي : حاسبًا عليك تمييز يعني كفيت أنت في محاسبة نفسك لا تحتاج

= يقال النقصان الذي في نور القمر في أوائل الشهر وأواخره داخل في المحو فلو كان القمر دائمًا بدرًا كنور الشمس أو كان بعض الليالي كالنهار مضيئًا فلا يمتاز أحدهما من الآخر لكل أحد ولا يختص النهار بطلب المعاش ولا الليل بالسكن ولا يعرف الجميع عدد السنين والحساب ولا يتميز أوسط الشهر عن الأول والآخر ويكون مجيء الشهر الفلاني وذهابه مجرد اصطلاح من غير تعبير وبيان / ١٢ وجيز .

(١) ولما قال: "وكل شيء فصلناه تفصيلاً" أتبعه تفاصيل أحوال البشر من حين حياته إلى موته بأنها مضبوطة من غير مزيد ونقصان فقال : " وكل إنسان ألزمناه "/١٢وجيز .

(٢) البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك والسانح عكسه / ١٢ قاموس .

(٣) الباء مزيدة في فاعل كفى فلا يحفظ التأنيث في كفى حين كان فاعله مؤنثًا مجرورًا مع أن الظاهر تأنيثه نحو : " ما آمنت قبلهم من قرية " (الأنبياء:٦)، " وما تأتيهم من آية" (الأنعام:٤)/ ١٢ .

إلى من يحاسبك وتذكير حسيبًا[1] لأن مثل هذه الأمور يتولاها الرجال كأنه قال : كفى بنفسك اليوم رجلاً حسيباً ، ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: لا ينجي غيره، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا يضر ضلاله غيره ، ﴿وَلاَ تَزِرُ﴾: لا تحمل ، ﴿وَازِرَةٌ﴾ نفس حاملة ، ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ نفس أخرى، بل لا تحمل إلا وزرها ، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ يبين لهم ما يجب عليه فلا يُدْخِل أحدًا في النار إلا بعد إرسال الرسل إليه كما قال تعالى: " كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها" الآية (الملك : ٨)، فعلى هذا الظاهر أن يقال: إن من نشأ في شاهق جبل و لم يسمع رسولاً فهومعذور وكذا المجنون الدائم المطبق وكذا الأطفال[2] مطلقًا ، لكن الشيخ الأشعري ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة بأن يأمرهم الله بدخول النار فمن أطاع نجا ودخل الجنة وانكشف علم الله فيه لسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخرًا وانكشف تقدم شقاوته وحكاه عن أهل السنة والجماعة وهومختار البيهقي ومحققي العلماء والنقاد وعلى هذا أحاديث[3] منها ما هو صحيح ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف

---

(١) مع أن النفس مؤنث / ١٢ منه .

(٢) أى : أطفال المؤمنين والكافرين / ١٢ منه .

(٣) وفي حديث رواه البيهقي وقال إسناده صحيح أربعة يحتجون يوم القيامة : أصم لا يسمع شيئاً وأحمق وهرم ومن مات في فترة فيرسل الله إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها يسحب إليها" وروى غير البيهقي مثل هذا المعنى بعبارات مختلفة وقد صرح الأشعري أن الأطفال يمتحنون يوم القيامة بمثل ما نقلنا في الحديث وقال: على هذا أهل السنة والجماعة، ولما بين سبحانه أنه لا يعذب أحدًا قبل بعثة الرسول بين بعد ذلك علة إهلاكهم ، قال : " وإذا أردنا " الآية / ١٢ وجيز.[الحديث أخرجه الطبراني (٢١٧٩) والضياء في "المختارة" (٤٦٣/١) وهو في "المسند" (٢٤/٤) وصحيح ابن حبان (١٨٢٧) وانظر "الصحيحة" (١٤٣٤)]

ولولا التزام الاختصار لذكرنا نبذًا منها مع تحقيق المسألة رداً وإثباتًا ، **﴿وَإِذَا أَرَدْنَـا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾** متنعميها بالفسق والمراد بالأمر الأمر القدري يعني سخرهم الله إلى فعل الفواحش فاستحقوا العقوبة فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قيل معناه كثرنا يقال : أمرت الشيء إذا كثرته وقراءة من قرأ آمرنا يؤيده ومن قرأ أمَّرنا فمعناه جعلناهم أمراء ، وقيل : أمرناهم بالطاعة على لسان رسول وفيه بعد ؛ لأنه يبقى حينئذٍ تخصيص المترفين غير بين الوجه وكذلك التقييد بزمان إرادة الإهلاك فتدبر ، **﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾** أي : كلمة العذاب ، **﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً[1] ﴾**: استأصلناها، **﴿وَكَمْ﴾** أي : كثيرًا مفعول ، **﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾** تميز لِكَم ، **﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾** كعاد وثمود فإن بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الإسلام ، **﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ﴾** الباء مزيدة على الفاعل ، **﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾** متعلق بقوله: **﴿خَبِيراً[2] بَصِيراً ﴾** وهما منصوبان على التميز أو الحال فإن الذنوب هي أسباب الهلكة وهو تعالى عالم بها فمعاقب عليها ، **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾** أي : همته مقصورة على الدنيا ، **﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾** بدل البعض من له فإن ضميره لمن وهو في معني الكثرة ، **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا﴾** يدخلها ، **﴿مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ﴾** مطرودًا قيل : الآية في المنافقين يغزون مع المسلمين وليس غرضهم إلا الغنائم ، **﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾** حقها من السعي وهو الإتيان بالأوامر والانتهاء عن النواهي ، **﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ﴾**: الجامعون للشرائط الثلاثة ، **﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾**: مقبولاً عنده

(١) استأصلناها وغير المترفين الذين فيها لما رضوا بفعلهم وسكتوا عن النهي استحقوا العذاب قال الله تعالى : " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " (الأنفال:٢٥)، فقال كثير من السلف : المراد من الفتنة ترك نهي المنكر / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر أنه خبير بصير يعاقب على الذنوب رغب في الآخرة وزهد من الدنيا فإن الدنيا رأس كل خطيئة فقال : " من كان يريد العاجلة " / ١٢ وجيز .

مثابًا عليه ، ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلاءِ وَهَـٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ أي: كل واحد من الفريقين أعني هؤلاء الذين أرادوا الدنيا وهؤلاء الذين أرادوا الآخرة نمدهم ونزيدهم من عطاء ربك فنرزق المطيع والعاصي وهؤلاء منصوب بتقدير أعني أو بدل من كلًّا ، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ ممنوعًا في الدنيا عن مؤمن ولا عن كافر ، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الدنيا فمنهم الغني والفقير والحسن والقبيح والصحيح والمريض وغير ذلك ونصب كيف بفضلنا على الحال ، ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ أي : التفاوت في الآخرة أكثر وأكبر ونصبها على التميز ، ﴿لاَ تَجْعَلْ[1] مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ الخطاب لكل أحدٍ أو للرسول[2] والمراد أمته ، ﴿فَتَقْعُدَ﴾ تصير ، ﴿مَذْمُوماً﴾: من الملائكة والمؤمنين ، ﴿مَّخْذُولاً ﴾ من الله .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا

---

(١) ولما تقرر بما مضى أنه القادر المعطي المانع أنتج أنه الواحد المتره عن النقص والشريك فقال إن كنت تريد الآخرة لا تجعل مع الله إلهًا آخر/١٢ .

(٢) فإنه رأس الكل وسيدهم وهو المخاطب في الكلام / ١٢ وجيز .

مَّيۡسُورٗا ۝٢٨ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ۝٢٩ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ۝٣٠ ﴾

﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أمر أمرًا قطعيًا ، ﴿أَلاَّ﴾ أي: بألا ، ﴿تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ فإنه المستحق للعبادة وحده ، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً[1]﴾ أي: وبأن تحسنوا هما إحسانًا ، ﴿إِمَّا﴾ إن شرطية وما زائدة[2] ، ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل يبلغن ، ﴿أَوْ كِلاهُمَا﴾ ومن قرأ يبلغان فأحدهما بدل البعض من الضمير ، ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ هو صوت دال على تضجر وهو مبني على الكسر والتنوين والتنكير ومن قرأ بالفتح فعلى التخفيف يعني إن عاش أحد والديك أو كلاهما حتي يشيب ويكون كلاً عليك فلا تسمعهما قولاً سيئًا حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ، ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾: لا تزجرهما ، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ ، جميلاً بتأدب وتوقير ، ﴿وَاخْفِضْ[3] لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ تذلل لهما واخضع جعل للذل جناحًا وأمره بخفضه مبالغة في التواضع لهما ،﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من فرط رحمتك عليهما ، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ رحمة مثل رحمتهما على في حال صغري، وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله

---

(١) عطف على أن لا تعبدوا وجاز أن يقدر أحسنوا هما إحسانًا/١٢ .

(٢) ولزيادتها جاز دخول النون المؤكد على الفعل ومذهب سيبويه كما ذكره صاحب البحر جواز مثل إن يبلغن بدون زيادة ما / ١٢ وجيز .

(٣) قال القفال فيها أمران: أحدهما أن الطير إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه وهذا من حسن التدبير والاتفاق فكأنه قال اكفل والديك بضمهما إلى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك والثاني أن الطير ينشر جناحه للطيران والارتفاع وحين ترك الطيران يخفض جناحه فهو كناية عن السكون والتواضع / ١٢ وجيز .

صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال: (دَعْهُ يَلِهِ غَيْرُك)[*] ، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من قصد البر والعقوق ، ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدين للصلاح مطيعين لله ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ هم التائبون من الذنب الراجعون عن المعصية إلى الطاعة ، ﴿غَفُورًا وَآتِ[1] ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم والبر عليهم وعن على بن الحسين: أراد به قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾ بأن تصرف مالك في غير حق ، وعن[2] السلف لو أنفقت مدًا في غير حقه صرت مبذرًا، ولو أنفقت جميع مالك في الحق لم تكن مبذرًا[3] ،﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أصدقاءهم وأتباعهم وأمثالهم في الشرارة ، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ، جحودًا منكرًا لأنعم الله فلا تتبعوه ولا تكونوا مثله ، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ وإن أعرضت عمن أمرتك أن تؤتيه من الأقارب وغيرها حياء من ردهم وليس عندك شيء تعطيه حين سألك ، ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه ، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ يعني : إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة فعدهم وعدًا بسهولة ولينٍ مثل أن تقول: إذا جاء رزق الله فسنصلكم

(*) لم يأتِ في ترجمة "حذيفة بن اليمان" رضي الله عنه أنه استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه. وإنما ورد ذلك في ترجمة "عبد الله بن أبي مالك" ابن أبي ابن سلول" انظر ترجمته في "الإصابة" للحافظ بن حجر (٤/٩٥).

(١) ولما أمر بالبر إلى أقرب الأقارب وهما الأبوان أمر بصلة باقي الأقارب / ١٢ وجيز .

(٢) قاله ابن مسعود ومجاهد / ١٢ منه .

(٣) في الصحيحين (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا)/١٢ منه .[أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (٣/٤٧) ط الشعب]

إن شاء الله كذا فسرها السلف[1] وقيل : القول الميسور الدعاء لهم مثل رزقنا الله وإياكم ، ﴿وَلاَ [2] تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ لا تمسكهما[*] عند البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك ، ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا﴾ بالخير ، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾ تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر ، ﴿فَتَقْعُدَ﴾ تصير ، ﴿مَلُومًا﴾ يلومك الناس ويذمونك إن بخلت ، ﴿مَّحْسُورًا[3] ﴾ نادمًا إن بسطت كل بسط وأيضًا دابة عجزت عن السير ضعفًا تسمى حسيرًا فعلى ما فسرنا من باب اللف والنشر وجاز أن يكونا متعلقين بالإسراف فإن المسرف ملوم عند الله والناس نادم عن فعله ، أو بكل من البخل والسرف قيل : نزلت حين وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه و لم يجد ما يلبسه للخروج حين أذنوا للصلاة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾ ، يوسع ، ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: يعلم سرهم وعلنهم فيوسع على من يرى مصلحته في التوسعة له، ويضيق على من يعلم مصلحته في

---

(١) كمجاهد وسعيد والحسن وقتادة وغيرهم / ١٢ منه .

(٢) ولما أمر بالإيتاء ونهى عن التبذير الممنوع توجه إلى طريق الإيتاء فقال : " ولا تجعل يدك " الآية / ١٢ وجيز .

(*) في الأصل: تمسكها ما.

(٣) وهذا أمر في شأن المتعارف في الناس كما أنه لا يجوز السفر الطويل من غير زاد ولا ماء في مفازة وصاحب التوكل حق التوكل مستثنى ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير يغدو خماصًا ويروح بطانًا ، ولما نهى العباد عن الشح والإسراف للملومية و المحسورية أجاب عما سيعرض في بعض من الأذهان فقال : " إن ربك " الآية / ١٢ وجيز .[أخرجه أحمد (٣٠/١) والترمذي (٥٥/٢-بولاق) والحاكم (٣١٨/٤) قال الترمذي:"حديث حسن صحيح" وقال الحاكم:"صحيح الإسناد" وأقره الذهبي. وانظر "الصحيحة"]

تضييقه، وفي الحديث (إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه) .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا
تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا
بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾
وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ
ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ
مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ
مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ فقر وفاقة وكانوا يئدون بناهم مخافة الفقر ، **﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾**: ذنبًا عظيمًا والخطأ[1] الإثم ،

---

(١) يقال: خَطِئ خِطْأً كأثم إثماً وقرأ ابن عامر خطأ اسم يضاد الصواب وقيل لغة فيه كحذر وحذر ومثل ومثلٍ / ١٢ منه .

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى[1]﴾ نهي عن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه فضلاً عن مباشرته ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾: بئس طريقًا طريقه ، ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا[2] النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتله ، ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ ، بردة وزنًى بعد إحصان وقتل معصوم عمدًا ، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مستوجب القتل ، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ وهو الوارث لأنه يلي أمره بعده ، ﴿سُلْطَاناً﴾: تسلطًا على القاتل بقتله أو أخذ الدية أو عفوه ، ﴿فَلاَ يُسْرِف﴾ أي: الولي ، ﴿فِّي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير القاتل أو يمثل بالقاتل، أو معناه لا يسرف القاتل[3] فيه بأن يقتل من لا يحق قتله وقراءة لا تسرفوا يؤيده ، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ استئناف أي : لا يسرف الولي لأن الله نصره ولطف عليه حيث أوجب القصاص له وأمر الناس بمعونته ، وعلى الوجه الثاني معناه : فإن المقتول منصور لا محالة يقتل به الظالم ، ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا[4] مَالَ الْيَتِيمِ﴾ فضلاً أن تتصرفوا فيه ، ﴿إِلاَّ بِالَّتِي﴾ أي: إلا بالطريقة التي ، ﴿هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ حتى يصير بالغاً فادفعوه إليه ، ﴿وَأَوْفُوا[5] بِالْعَهْدِ﴾ الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملوهم أو بما عاهدكم الله من تكاليفه ،﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ عنه أو مطلوبًا يطلب من العاهد أن لا

---

(١) ولما كان الزنا كقتل الولد في تضييع النسب ذكر في عقبه فقال : " ولا تقربوا الزنى " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما خص نهى القتل بالأولاد لاعتيادهم أعقبه بالتعميم فقال : " ولا تقتلوا النفس " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) منقول عن مجاهد / ١٢ منه .

(٤) ولما كانت الشريعة لإحصان الدماء والفروج والأموال التي هي عديل الأرواح ذكر الأشياء الثلاثة أحدها عقيب الآخر فقال : " ولا تقربوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) ولما كان قبول الأوامر والوصايا من الوفاء بالعهود قال: (وأوفوا بالعهد) / ١٢ .

يضيعه ، ﴿وَأَوْفُوا[1] الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ من غير تبخيس ، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان العدل وهو لفظ رومي عُرّبَ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ عاقبة من آل إذا رجع ، ﴿وَلاَ[2] تَقْفُ﴾ لا تتبع ، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ[3]﴾ ما لم يتعلق به علمك من قول وفعل فيدخل فيه شهادة الزور والكذب والبهتان ، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وأولئك قد يجيء لغير العقلاء ، ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ ، من جوز تقديم مفعول ما لم يسم فاعله ؛ لأنه في المعنى مفعول سيما إذا كان ظرفًا فعنده أن عنه فاعل مسئولاً ، ومن لم يجوز فعنده أن في مسئولاً ضمير يرجع إلى كل أولئك أي كان كل واحد منها مسئولاً عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ، أو ضمير عنه راجع إلى صاحب كل واحد ، ﴿وَلاَ تَمْشِ[4] فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ وهو التكبر أي : ذا مرح ، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً لشدة وطأتك ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾ بتطاولك وكبرك وهو تهكم بالمتكبر ، وعن بعضهم أنك لن تقطع الأرض حتى تبلغ آخرها ولا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها فأنت عاجز أو ما أقبح منه التكبر ، ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما مر من قوله

---

(١) ولما وصى في مال اليتيم ثم عم الوصية بوفاء العهد على الإجمال عقبه بتفضيل أمر جزئي ليعلم منه الاهتمام التام في الاجتناب عن المظالم فقال: "وأوفوا الكيل " الآية/١٢ وجيز .

(٢) ثم توجه إلى النهي عن كل ما لا يليق فقال : " ولا تقف " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) نقل عن محمد بن الحنفية أن المراد منه شهادة الزور عن قتادة لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، وعن ابن عباس لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم/١٢ منه .

(٤) ولما كان الكبر من أقبح خصال الفؤاد الذي هو مسئول عنه قال : "ولا تمش " الآية/١٢ وجيز .

"ولا تجعل مع الله" وهي خمسة وعشرون خصلة ، ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ أي : المنهي عنه لا المأمورات ، ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ مبغوضًا، و من قرأ سيئة فذلك[1] إشارة إلى ما نهى عنه خاصة واسم كان ضمير لكل ومكروهاً خبر بعد خبر أو بدل من سيئه أو حال من ضمير كان ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي : الأحكام المتقدمة ، ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ وهي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ، ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ كرره لأنه المقصود والتوحيد رأس كل حكمة ، ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ من الله والملائكة ومن نفسك ، ﴿مَّدْحُوراً﴾: ملعونًا والمراد من هذا الخطاب اهتداء أمته عليه السلام ، ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ[2] رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ أي : أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد؟ فالهمزة[3] للإنكار ، ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا﴾ بناتًا لنفسه كما قلتم الملائكة بنات الله تعالى ، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾ إضافة الولد إلى الله تعالى ثم تفضيل أنفسكم عليه حين تنسبون إليه ما تكرهون ثم جعل الملائكة إناثًا وأي خطأ وقولٍ أعظم من هذا .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

---

(١) من قوله: "ولا تجعل مع الله إلهاً آخر" إلى هذه الغاية / ١٢ .

(٢) ولما كان لكفار قريش رذيلتان قبيحتان أنكر عليهم أحدهما ثم تلاها الثانية فقال : " أفأصفاكم " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) فتقولون: لابد لنا البنون، وتكرهون البنات حتى تقتلوهن هل في ذلك حكم الله وأمره؟ ١٢/ .

فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا مكررًا، **﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾** العبر والأمثال والحجج والأحكام أو بينا فيه مكررًا إبطال إضافة البنات إليه ، **﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾**: يتدبروا ويتعظوا ، **﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾**: عن الحق ، **﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾**: لطلبوا إلى من له الملك سبيلاً[1] بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ، أو معناه إن كان الأمر كما زعمتم أنهم آلهة شفعاء فهم طالبون[2] الوسيلة والتقرب إلى الله تعالى محتاجون إليه فكيف تسموهم آلهة وتعبدوهم ، **﴿سُبْحَانَهُ**

---

(١) قول قتادة قريب من هذا الوجه / ١٢ منه .

(٢) نحو "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة" (الإسراء:٥٧)/ ١٢ .

وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا﴾: تعاليًا ، ﴿كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ إجماع السلف أن للأشياء تسبيحات[1] لا يسمع [لا يسمع الله إياه] إلا من يَسْمع(*)، وقال المتأخرون لكل شيء تسبيح بلسان حاله وهو دلالته على صانع قديم واجب لذاته ، ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وفي البخاري عن ابن مسعود: "كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل"(**) ، والأحاديث الدالة على التسبيح القالي(•) للحيوانات والجمادات كثيرة وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه- وسلم [قال:"إن نبي الله نوحا"](***) لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: "آمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء"(****)، وعن ابن عباس وبعض من السلف[2] إنما يسبح ما كان فيه روح من حيوانات ونبات ،﴿إِنَّهُ كَانَ

---

(١) في سنن النسائي نهى عليه الصلاة والسلام عن قتل الضفدع فقال: "نقيقها تسبيح"/١٢ منه.

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من حاشية النسخة.

(**) أخرجه البخاري في "المناقب" / باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٩).

(•) أي: بلسان المقال.

(***) سقطت هذه العبارة من الكتاب فأثبتناها هاهنا.

(****) والحديث أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/١٧٠) والبخاري في " الأدب المفرد" من طريق: الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو...فذكره.

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على "المسند" (٦٥٨٣): "إسناده صحيح على ما فيه من شك حماد بن زيد".

وصححه الشيخ الألباني في " الصحيحة" وقال: "هذا سند صحيح".

(٢) كالحسن والضحاك / ١٢ .

حَلِيمًا﴾: لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، **﴿غَفُورًا﴾** لمن رجع وتاب ، **﴿وَإِذَا**[١] **قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا ﴾** يحجبهم عن فهم ماتقرؤه عليهم والانتفاع به أو حجابًا لا يرونه عند قراءة القرآن فإن المشركين الذين في عزمهم أن يؤذوه يمرون به ولا يرونه ، **﴿مَّسْتُورًا﴾** لا يرى ذلك الحجاب أو ذا ستر كسيل مفعم أي : ذو إفعام[٢] ، **﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾**: أغطية ، **﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾** أي : كراهة أن يفقهوا القرآن ، **﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾**: ثقلا لئلا يسمعوا سماع انتفاع ، **﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾** من غير ذكر آلهتهم وأصله يَحِد وَحْده فهو مصدر يقع موقع الحال ، **﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ**[٣] **نُفُورًا﴾** ، نفرة من التوحيد أو جمع[٤] نافر ، **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾** أي : ما يستمعون بسببه ولأجله من الهزء والتكذيب ، **﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾** ظرف لأعلم ، **﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾** حين هم ذوو نجوى يتناجون بالتكذيب ، **﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾** بدل من إذ هم بوضع الظاهر موضع المضمر ، **﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾** سُحِرَ فَجُنَّ وعن بعضهم مشتق من السَّحر وهو الرئة[٥] أي : رجلاً مثلكم ، **﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾** مثلوك بساحر وشاعر وكاهن ومجنون ، **﴿فَضَلُّوا﴾**: عن طريق الحق ، **﴿فَلاَ**

---

(١) ولما تقرر في قوله: (ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورًا) أهم في حضيض من الغباوة التفت إلى سيد أولي الفهم فقال : " وإذا قرأت القرآن " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) إفعام ملءٌ يقال أفعم الإناء ملأه، وأفعم المسك والعود البيت بريحه وأفعمت الرجل ملأته غضبًا/ ١٢ صراح .

(٣) نزلت حين قرأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– القرآن ومر بالتوحيد قال: يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فنفروا وولّوا / ١٢ وجيز .

(٤) فعلى هذا "نفورًا" حال / ١٢ .

(٥) أي : ذو سحر وركة فيكون مثلكم/١٢ منه .

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ إلى الرشاد أو هم متحيرون ليس لهم سبيل يسلكونه ، **﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا ﴾** بعد الموت ، **﴿وَرُفَاتًا﴾**: ترابًا ، **﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾** الهمزة لتأكيد الإنكار والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون فما بعد إن لا يعمل فيما قبله ، **﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾** مصدر أو حال ، **﴿قُلْ﴾** جوابًا لهم ، **﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾** وهما أشد امتناعًا من العظام والرفات في قبول الحياة ، **﴿أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ[١]﴾** وهو الموت[٢] ، أي : لو فرضتم أنكم صرتم حجارة أوحديدًا أو موتًا هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء ، وعن مجاهد في تفسيره أي : السماء والأرض والجبال ، **﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾** إذا كنا حجارة أو خلقًا شديدًا ، **﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ﴾**: يحركون ، **﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾** تعجبًا وتكذيبًا ، **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾** فكل ما هو آت قريب ، أن يكون اسم عسى وكان تامة وقريبًا خبره أو اسم عسى ضمير البعث وما بعده خبره ، **﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾** ربكم من قبوركم ، **﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾**: تجيبون بحمده **﴿بِحَمْدِهِ ﴾** متلبسين[٣] بحمده حين لا ينفعكم الحمد، وعن ابن عباس: أي بأمره وعند بعض: أنه خطاب للمؤمنين، وقد ورد أنهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك ، **﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾**: في الدنيا أو في البرزخ ، **﴿إِلاَّ قَلِيلاً ﴾** "كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم" (المؤمنون: ١١٢،١١٣) .

---

(١) هكذا فسره ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك ونقل الإمام مالك عن الزهري /١٢ منه .

(٢) لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه /١٢ فتح .

(٣) والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام كان معهم فهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد/ ١٢ وجيز .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ
كَانَ لِلۡإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ
يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٍۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ
ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا
تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ
أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ
كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلۡكِتَـٰبِ مَسۡطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأَيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ
بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأَيَـٰتِ إِلَّا
تَخۡوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيۡنَـٰكَ
إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِى ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا
طُغۡيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿**وَقُل**﴾[1] ﴿**لِّعِبَادِي**﴾: المؤمنين قولوا التي هي أحسن ، ﴿**يَقُولُوا**﴾: الكلمة ، ﴿**الَتِي هِـيَ أَحْسَنُ**﴾ يعني في محاوراتهم ومخاطباتهم فيقولوا[2] جواب الأمر والمقول محـذوف ، ﴿**إِنَّ**

(١) ولما أمر تعالى بإبلاغ قوله : " قل كونوا حجارة " الآية وفيها نوع من التهكم والتبكيت وربما استن به المؤمنون فخاطبهم نحوه من عند أنفسهم مما فيه نحو غلظة فنهاهم عـن ذلك فقال : " قل لعبادي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) تذكر قولنا في قوله تعالى: "قل لعبادي الذين آمنوا" (إبراهيم:٣١)/ ١٢ منه.

الشَّيْطَانَ يَنزَغُ يهيج الشر ، **﴿بَيْنَهُمْ﴾** فإذا لم يكونوا على لين الكلام فلربما يفضي إلى المخاصمة والمشاجرة ، **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواً مُّبِيناً﴾** وعن الكلبي ، أنها نزلت حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحش كلام المشركين وسوء خلقهم فقيل: الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديك الله، وقيل: هذا قبل الإذن في الجهاد ، **﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾** فيوفقكم للإنابة والطاعة الظاهر أنه خطاب للمؤمنين وحث على المداراة ، **﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾** وقيل: ربُّكم أعْلَم تفسيرًا للكلمة التي هي أحسن أي : يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار ومعذبون وما يشبهها ، **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾** ليس أمرهم موكولاً إليك إنما أنت نذير فما عليك إلا التبليغ وحسن المعاشرة وطيب الكلام في النصح والله الهادي ، **﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** فإنه خلقهم على قوابل مختلفة ومراتب متفاوتة في الفهم وقبول الفيض من مفيض الحكمة فليس لأحد أن يستبعد في نبوة يتيم أبي طالب عليه السلام وفي سيادة الجوَّع العراة رضي الله عنهم وأرضاهم ، **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾** بمزيد العلم اللدني لا بوفور المال الدني ، **﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً[1] ﴾** إشارة إلى وجه تفضيله فعلم من هذا أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل فإن كتابه أشرف الكتب " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" (الأنبياء:١٠٥)، وما وقع في الصحيحين من النهي عن التفضيل بين الأنبياء فمحمول(*) على التفضيل بالتشهي والعصبية ولا خلاف

---

(١) ولما ذكر فضل الأنبياء وأن بعضهم أفضل الخلائق ومع ذلك هم معترفون بالعبودية لا يستطيعون الشفاعة إلا بإذنه فكيف بحجر جماد فقال : " قل ادعوا الذين " الآية/١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء" / باب: قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ (٣٤١٤) ومسلم في "الفضائل" / باب: من فضائل موسى عليه السلام (٥/٢٢٥) ط الشعب.

أن محمداً رسول الله أفضلهم ثم إبراهيم ثم موسى على المشهور عليهم الصلاة والسلام ، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنها آلهة ، ﴿مِّن دُونِهِ﴾ كالملائكة وغيره ، ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ﴾ فلا يستطيعون ، ﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ بالكلية ، ﴿وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ إلى غيركم أو تحويل حال من العسر إلى حال اليسر نزلت حين شكى المشركون قحطهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ[(١)] الْوَسِيلَةَ﴾ ، الذين صفة أولئك ويبتغون خبره أي : هؤلاء الذين تعبدونهم يطلبون القربة إلى الله كالملائكة وعيسى وأمه وعزير والشمس والقمر[(٢)] ، ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من فاعل يبتغون أي : يطلب من هو أقرب منهم الوسيلة فكيف لغيره ، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فكيف يستحقون الألوهية ، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقًا بأن يحذر منه كل شيء حتى الرسل من الملائكة والبشر، وعن ابن مسعود أنها نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم[(٣)] الجنيون

(١) اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون: ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي يروه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام، وإذا ثبت هذا فتعين أن المراد الملائكة والمسيح وعزير والجن، ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهبهم أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضر وإيصال المنفعة وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بأنها ليست آلهة / ١٢ كبير .

(٢) صرح بذلك هؤلاء ابن عباس ومجاهد / ١٢ منه .

(٣) كذا ذكره البخاري / ١٢ منه .[أخرجه البخاري (٤٧١٥).]

والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ بالموت ، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيدًا﴾ بأنواع العذاب وعن مقاتل وغيره الأول في قرية المؤمنين والثاني في الكفار ، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ، ﴿مَسْطُوراً وَمَا مَنَعَنَا[1] أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ أي: ما صرفنا عن إرسال الآيات المقترحة لقريش كفسحة مكة وجعل الصفا ذهباً ، ﴿إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ أي : إلا تكذيب من هو قبلهم وقومك مثلهم طبعًا فلو أرسلناها وكذبوا بها لاستأصلناهم فقد جرت سنتنا على أن لا نؤخر من كذب بالآيات المقترحة فليس عدم إرسالها إلا العناية فإنه سهل علينا يسير لدينا ، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم ، ﴿مُبْصِرَةً[2]﴾ آية بينة ، ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ، كفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسببها فإنهم منعوا شربها وعقروها فعاجلناهم بالعقوبة ، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ المقترحة أو مطلق الآيات ، ﴿إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ للعباد ليؤمنوا والباء زائدة أو المفعول محذوف وبالآيات حال، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي : واذكر إذ أوحينا إليك ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ هم في قبضته وتحت مشيئته فهو حافظك منهم فامض لما أمرك ولا تهبهم ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَتِي أَرَيْنَاكَ﴾ هي[3] قصة المعراج والرؤيا من الرؤية عن ابن عباس وغيره هي

---

(١) ولما قال بعض القرى نهلكها وبعضها نعذبها في وقت معين عندنا تقتضي حكمتنا أراد أن يبين أن مكة ما جاء وقت خرابها ولا وقت عذابها فقال : " وما منعنا أن نرسل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) واختار تلك الآية من بين الآيات المقترحة للأولين لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم / ١٢ وجيز .

(٣) فإنها كانت في المنام أولا ثم في اليقظة بالجسم والعين فالمعنى الرؤيا التي أريناك في اليقظة تعبيرًا كذا قاله ابن عباس وغيره كما رواه البخارى / ١٢ وجيز .[أخرجه البخاري (٤٧١٦)]

رؤيا عين ، ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ فقد أنكر بعضهم ذلك وكفروا وزاد إيمان بعضهم فما هي إلا اختبار وفتنة وعن بعضهم أن المراد بهذه الرؤيا رؤيا عام الحديبية رأى عليه السلام أنه دخل هو وأصحابه مكة فتوجه إليها قبل الأجل فصده المشركون ورجع إلى المدينة وكان ذلك فتنة وشكًّا في قلوب بعض حتى دخلها في العام القابل كما قال تعالى: " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " الآية (الفتح:٢٧)، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ أي : وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة وهي شجرة الزقوم يقال طعام ملعون أي : مكروه ضار وملعون أكلها وصفت به مجازًا للمبالغة أو لأن منبتها أصل الجحيم وهي أبعد مكان من رحمة الله ، وفتنتها أنهم قالوا: محمد يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أن فيها شجرة وقالوا: لا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر فجاء أبو جهل بهما وقال يا قوم: زقموا فهذا ما يخوفكم به محمد ، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ، ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا[1]﴾ تمردًا وعتوًّا عظيمًا .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ

(١) ولما قال إن بعض الأشياء للفتنة والاختبار ومنه التخويف ولا يزيدهم إلا طغيانًا أراد أن يذكر رأس الفتنة ورئيس أهل الطغيان فقال (وإذ قلنا) / ١٢ وجيز .

بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن
تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا
﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ قد مر الخلاف في أن المأمورين جملة الملائكة أو ملائكة الأرضين ، **﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ﴾** أى : لمن خلقته ، **﴿طِينًا﴾** حال من (مَن) أو من ضميره أو نصبه بنزع الخافض ، **﴿قَالَ﴾**: إبليس **﴿أَرَأَيْتَكَ﴾** أي : أخبرني والكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ، **﴿هَذَا﴾** مفعول أرأيت ، **﴿الَّذِي﴾** صفة هذا ، **﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾** أي : أخبرني عن هذا الذي فضلته علي بأن أمرتني بسجوده لم كرمته علي فمتعلق الاستخبار محذوف يدل عليه الصلة ، **﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** اللام توطئة القسم وجوابه ، **﴿لأَحْتَنِكَنَّ﴾** لأستأصلن ، **﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾**: بالإغواء ، **﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾** لا أقدر أن أقاومهم وكأنه لعنه الله تفرس من خلقه فإنه قد جبل بشهوة ووهم وغضب ، **﴿قَالَ﴾**: الله :**﴿اذْهَبْ﴾** أي: خليتك وأنظرتك فامض لما قصدت ، **﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾** أي: جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب ، **﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾**: مكملاً ونصب جزاء بما في جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون وجاز أن يكون حالاً فإنه مقيد بموفورا ،

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾: استخف ، ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾: أن تستفزه ، ﴿بِصَوْتِكَ[1]﴾: بدعائك إلى معصية الله وعن ابن عباس كل داع دعا إلى معصية الله فهو شيطان يصوته ، وقيل هو الغناء والمزامير ، ﴿وَأَجْلِبْ﴾ : صِحْ ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل الفرسان والرجل اسم جمع للراجل ، أي : صح عليهم بأعوانك من راكب وراجل وهو كل راكب وماش في المعصية ، وعن قتادة أن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس ، قيل : هذا تمثيل لتسطله بشخص كثير الغارة صوت على قوم فاستفزهم وأقلقهم عن أماكنهم وأجلب عليهم بجنده فاستأصلهم ، والمعنى تسلط عليهم بكل ما تقدر والمراد من الأمرين أمر القدري أو أمر تهديد ، ﴿وَشَارِكْهُمْ[2] فِي الأَمْوَالِ﴾

---

(١) ولا بعد أن يكون المراد من استفزازه بصوته صفيره كصفير راعي الغنم حين يريد أن تسعى أو ترجع غنمه ومثل ما قلنا يكاشف أهل القلب / ١٢ وجيز .

(٢) عن ابن عباس أن الشركة في الأولاد هي الموءودة وفي رواية أخرى عنه هو تسميتهم الأولاد عبد الحارث وعبد الشمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها هذا ما في المعالم ، أقول أراد بقوله: نحوها كل اسم فيه نسبة العبد إلى غير الله تعالى مثل عبد الحارث وعبد النبي وعبد الرسول وغيرها وفيها من أعظم مقاصد الشيطان لما فيها من الشرك في التسمية كما مر في تفسير قوله "جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون" (الأعراف : ١٩٠) ، قال فى المدارك : معنى إشراكهم فيما آتاهما الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم انتهى، وقال القاري في شرح المشكاة: ولا يجوز مثل عبد الحارث وعبد النبي ولا غيره مما شاع بين الناس انتهى، وقال ابن حجر مكي في التحفة : ويحرم ملك الملوك؛ لأن ذلك ليس لغير الله تعالى وكذا عبد النبي والكعبة أو الدار أو العلي أو الحسين لإيهام التشريك انتهى، والأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني وكان اسم أبي بكر في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي صلى الله عليه وسلم وسماهما =

كل ما أُنفق في حرام أو جُمع من حرام ﴿وَالأَوْلادِ[1]﴾ ، ببعثهم على الزنا حتى يكون الولد منه وعلى قتلهم خشية إملاق وعلى تسميتهم بعبد الشمس ونحوه وغير ذلك ، ﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيد[2] الباطلة كشفاعة الآلهة وكرامة الآباء ، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي : المخلصين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: تسلط على إغوائهم ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ أي : كفى الله لأنَ يكل أولياءه فيعصمهم منك ، ﴿رَّبُّكُمُ[3] الَّذِي يُزْجِي﴾: يجري ، ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: لتطلبوا من رزقه وتتجروا ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون ، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: خوف الغرق ، ﴿فِي الْبَحْرِ ضَلَّ﴾: زال عن خاطركم ، ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: كل من تدعونه ،

= صديقًا وعبد الرحمن ، وقد قدمنا بعضا من هذا البحث في سورة الأعراف في قصة آدم وحواء فلا نعيده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) وعلى تسميتهم بمثل عبد الشمس وما مجّسوه وما هودوه / ١٢ وجيز .[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٨/٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس]

(٢) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل/ ١٢ بيضاوي ، وزاد في الكبير وإيثار العاجل على الآجل وبالجملة فهذه الأقسام كثيرة وكلها داخلة في الضبط الذي ذكرناه وإن أردت الاستقصاء فطالع ذم الغرور من كتاب إحياء علوم الدين للشيخ الغزالي حتى يحيط عقلك بمجامع تلبيس إبليس/١٢ .

(٣) ولما وصف المشركين في بطلان اعتقادهم بأن أصنامهم ضار نافع وأتبع ذلك بقصة إبليس وتمكينه من وسوسته أراد ذكر ما يدل على وحدانيته وأنه هو النافع الضار المتصرف في خلقه ذاكراً لإحسانه إليهم في البر والبحر فقال : " ربكم الذي " الآية/١٢ وجيز .

﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾: الله وحده فحينئذ لا يخطر ببالكم سواه فتدعونه وحده ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾، من الغرق ، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عن التوحيد ، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ يعني سجية الإنسان نسيان النعم وجحدها ، ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والفاء عطف على محذوف أي : أنجوتم من البحر فآمنتم من ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي : يقلبه الله وأنتم عليه وبكم حال من مفعول يخسف أو الباء للسببية متعلق بيخسف وذكر الجانب إشارة إلى أنهم إذا وصلوا الساحل أعرضوا وأن الجوانب[1] بقدرة الله ، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: المطر الذي فيه الحجارة أو الريح التي ترمي بالحصباء ، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾: يحميكم من العذاب ، ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ، ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ﴾: ريحًا تكسر كل شيء تمر عليه ، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بسبب كفركم أو كفرانكم ، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ، التبيع المُطَالِبُ أي : لا تجدوا أحدًا يطالبنا بما فعلنا انتقامًا منا ، ﴿وَلَقَدْ[2] كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: بأشياء كثيرة منها العقل والنطق وحسن الصورة ، ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على الدواب والسفن ، ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ، المستلذات ، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ أي : كثيرًا بينًا وافرًا ولا يلزم من هذه الآية على ما فسرنا تفضيل الملائكة نعم يلزم نفي الأفضلية الكثيرة الوافرة ولا يلزم من نفي هذه الأفضلية نفي مطلقها .

---

(١) وجانب البر وجانب البحر سيان عند قدرته فإن الخسف تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء وهما بخلق الله وإرادته/١٢ وجيز .

(٢) ولما امتن عليهم من إزجاء الفلك وتنجيتهم من الغرق وكفرانهم نعمه أراد تتميم ذكر النعم فقال : " ولقد كرمنا بني آدم " الآية / ١٢ وجيز .

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿**يَوْمَ**[(١)]﴾ أي : اذكر يوم ، ﴿**نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ أي : نبيهم[(٢)] كيا أُمَّةَ فُلان، أو بكتاهم الذي أنزل عليهم أو بكتاب أعمالهم أو إمام هدي وإمام ضلالة كيا متبعي محمد -عليه السلام- ويا متبعي شيطان ،و عن محمد بن كعب هي جمع أم كخفاف

(١) ولما ذكر الأنواع من كرامات الإنسان في الدنيا ذكر أشياء من أحوال الآخرة فقال : " يوم ندعوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قوله أي : نبيهم كيا أمة فلان إلخ ، الوجه الثالث قول ابن عباس والحسن والضحاك وغيرهم يعني ينادون بيا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وهو الأرجح لما رواه الحافظ البزار وصححه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولقوله تعالى: " وكل شيء أحصيناه في إمام مبين" (يس:١٢)، ولقوله : " كل أمة تدعى إلى كتابها " (الجاثية:٢٨)؛ ولأنه ذكر عقيبه (فمن أوتي كتابه بيمينه) / ١٢ منه وكذا في وجيز.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥١/٤) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنه-]

فلا يفتضح أولاد الزنا ويلزم إجلال عيسى والحسن والحسين عليهم السلام ، ﴿**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ**﴾ كتاب أعماله ، ﴿**بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ فلا ينقص من أجورهم أدنى شيء والفتيل الخيط المستطيل في شق النواة ، ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ**﴾: الدنيا ، ﴿**أَعْمَى**﴾: عمى القلب فلم ير رشده ، ﴿**فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى**﴾ لا يرى طريق النجاة قيل أعمى الثاني أفعل التفضيل كالأجهل ، ﴿**وَأَضَلُّ**[1] **سَبِيلاً**﴾ منه في الدنيا ، وقد نقل عن بعض السلف أن معناه من كان في هذه النعم التي قد مر وهو قوله : " ربكم الذي يزجي لكم " الآية ، أعمى وهو يعاين فهو في أمر الآخرة التي لم يعاين ولم ير أعمى وأضل ، ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ**﴾ إن مخففة ، أي : إن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة قيل: نزلت في ثقيف[2] حين قالوا: لا نؤمن حتي تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نجّي في الصلاة ، أي : لا ننحني ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنةً من غير أن نعبدها[3] فإن خشيت أن

---

(١) ولما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين للسعداء وعمى الأشقياء أتبع ذلك ما هو به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع على سيد السعداء المقطوع له بالعصمة فقال : " وإن كادوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) نقله محيي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .[وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٣/٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه]

(٣) ومن الفوائد الجليلة في هذه الآية أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا، فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأعظم شركا عندها وبها، فإن اللات على ما نقله ابن خزيمة عن =

يسمع العرب لم أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك ، وقيل نزلت حين قال قريش: لا ندعك يا محمد أن تستلم الحجر الأسود حتى تمس آلهتنا وقيل قالوا: نؤمن بك أن تمس آلهتنا، وقيل غير ذلك ، ﴿**عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾: من الأحكام ، ﴿**لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ**﴾: غير ما أوحينا إليك ، ﴿**وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً**﴾: لو اتبعت مرادهم يؤمنوا بك ولكنت لهم وليًا ، ﴿**وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ**﴾ لولا تثبيتنا لك وعصمتنا ، ﴿**لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ**﴾: لقاربت أن تميل ، ﴿**إِلَيْهِمْ**﴾: إلى اتباع مرامهم ، ﴿**شَيْئًا قَلِيلاً**﴾

= مجاهد: رجل كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره يعبدونه ويعظمونه ولم يكونوا يعتقدون أن اللات خلقت السماوات والأرض، بل كان شركهم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها وما طلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا مجرد مس آلهتهم كما قالوا: نؤمن بك أن تمس آلهتنا وما التمسوا منه إلا التمتيع باللات سنة من غير عبادة كما قالوا على ما رواه البغوي عن ابن عباس: وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فحدث نفسه ما عَلَيَّ أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر وخطر خطرة بقلبه الأشرف فتوعد بهذا الوعيد الشديد والتهديد الأكيد فالرزية كل الرزية ما ابتلي به القبوريون من أهل الزمان فإنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه بالقبور فإنا لله وإنا إليه راجعون، بل كثير منهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا فإذا قيل له بعد ذلك بشيخك ومعتقدك الوالي الفلاني تلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين وثالث ثلاثة ، فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للإسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا فاللهم انصر من نصر الحق واهدنا إلى سواء السبيل / ١٢ .

لكن عصمناك فما قاربت من الركون مع قوة اهتمامك بإيمانهم فضلاً من الركون وقيل خطر خطرة بقلبه الأشرف و لم يكن عزمًا والله قد عفى الخلق عنه والأول هو الأولى ، **﴿إِذًا﴾**: لو قاربت ، **﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾**[1] **﴿الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ﴾** أي : عذاب الدنيا والآخرة ضعف ما يُعذب به غيرك بمثل هذا الفعل فإن المقربين على خطر عظيم وأصله عذابًا ضعفًا في الحياة ، أي : مضاعفًا فأقيمت الصفة مقام الموصوف بعد ما حذف ثم أضيفت كما يقال: أليم الحياة ، أي: عذابًا أليمًا في الحياة ، **﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾**: يدفع عنك عذابنا ، **﴿وَإِن كَادُوا﴾** إن مخففة مثل الأول ، **﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾**: يزعجونك ، **﴿مِنَ الأَرْضِ﴾**: أرض مكة أو المدينة ، **﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾** قيل: نزلت حين هم قريش بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، **﴿وَإِذًا﴾**: لو خرجت ، **﴿لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾**: لا يبقون بعد خروجك ، **﴿إِلاَّ قَلِيلاً ﴾**: إلا زمانًا قليلاً وقد كان كذلك فإنه قد وقع على أكثرهم بعد سنة واقعة بدر ، وقيل نزلت في المدينة حين قالت اليهود : إن الشام مسكن الأنبياء وأنك إن كنت تسكن فيها آمنّا بك فوقع ذلك في قلبه الأشرف لكن السورة مكية[2] بتمامها عند الأكثر فالأول أقرب ، **﴿سُنَّةَ﴾** أي: سن الله ذلك سنة ، **﴿مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾** وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل ؛ لأنها من أجلهم ، **﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾**: تغييرًا .

---

(١) وفي الآية دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ولذلك قال الله تعالى : " يا نساء النبي " (الأحزاب: ٣٠) وقد ورد أنه لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) / ١٢ وجيز .

(٢) فتوجيه الآية كما نقل محيي السنة عن الإمام الكلبي أن الكفار بأجمعهم هموا أن يستفزوه من أرض العرب بتظاهرهم عليه فلم ينالوا منه ما أملوا / ١٢ وجيز .

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿أَقِمِ[1] الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: زوالها[2] واللام للتأقيت ، ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: ظلمته فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، أو المراد من الدلوك الغروب وأصل لغته الانتقال ، ﴿وَقُرْآنَ الفَجْرِ﴾ صلاة الصبح سميت قرآنا كما سميت الصلاة ركوعًا وسجودًا تسمية للشيء باسم ركنه وجزئه عطف على الصلاة ، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: يشهده[3] ملائكة الليل وملائكة النهار ، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي :

---

(١) ولما ذكر كيدهم وأن الله بفضله حماه منه أمره أن يتوجه إلى ما هو شأنه وأن لا يشغل قلبه بشانئه والصلاة أشرف العبادات بعد الإيمان فقال : " أقم الصلاة " الآية/١٢ وجيز.

(٢) كذا فسره السلف / ١٢ وجيز.

(٣) هكذا فسره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رواه الترمذى والنسائى / ١٢ .[أخرجه الترمذي (٣٣٥٥) وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٥٠٧): صحيح الإسناد]

بعضه ، ﴿فَتَهَجَّدْ﴾: اترك الهجود والتهجد ترك الهجود للصلاة كالتأثم والتحرج[1] ، ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فضيلة لك، فإنه قد غفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر فجميع نوافله زيادة في رفع درجته ، أو معناه فريضة زائدة لك على الصلاة المفروضة ، وعن كثير من السلف أن التهجد واجب عليه ونصبها بالعلية على التوجيه الأول أو بتقدير فرضها فريضة أو حال من ضمير به ، ﴿عَسَى أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا[2]﴾ أي :

---

(١) أي : جانب الإثم والحرج فتهجد أي : جانب النوم ويقال تهجد أي : نام / ١٢ منه.

(٢) وعن مجاهد قال: يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال: يقعده على الكرسي، ذكر القولين البغوي في المعالم وفي الفتح حكي هذا القول يعني أن الله سبحانه يجلس محمدًا -صلى الله عليه وسلم- معه على كرسيه ابن جرير عن فرقة منهم مجاهد وقد ورد في ذلك حديث وحكى النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم مازال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث / ١٢ .[أثر مجاهد هذا باطل كما قال الشيخ الألباني في "الضعيفة" وقال: ومما يدل على ذلك -أي بطلانه- أنه ثبت في "الصحاح" أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام. ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائرا أن يفتي بعض المتقدمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي في "العلو" (ص١٠٠-١٠١،١١٧-١١٨) عن غير واحد منهم، بل غلا بعض المحدثين فقال: لو أن حالفا حلف بالطلاق ثلاثا أن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش واستفتاني، لقلت له صدقت وبررت!.

وقال الذهبي -رحمه الله- "فأبصر -حفظك الله من الهوى- كيف آل الغلو بهذا الحديث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر، واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو، بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ". وأثر عبد الله بن سلام ذكره الذهبي في "العلو" وقال: "هذا موقوف ولا يثبت إسناده وإنما قاله مجاهد].

في مقام ، ﴿مَّحْمُودًا[1] ﴾ أو تقديره فيقيمك مقامًا ، أي : في مقام هو مقام الشفاعة لأمته يحمده فيه الأولون والآخرون ، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾: المدينة ، ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ أي : إدخالاً مرضيًّا، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾: من مكة ، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ[2]﴾ إخراجًا حسنًا مرضيًّا نزلت حين أمر بالهجرة، أو أدخلني الجنة وأخرجني من الدنيا أو أدخلني القبر وأخرجني منه وفيه أقوال أُخر ، ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ ملكا وعزًا قويًّا مظهرًا للإسلام على الكفر أو حجةً بينةً تنصرني على من خالفني ،﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام ، ﴿وَزَهَقَ﴾ هلك ، ﴿الْبَاطِلُ﴾: الشرك ، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مضمحلاً غير ثابت وكان –صلى الله عليه وسلم– يقول ذلك يوم[3] فتح مكة، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ من للبيان قدم على المبين لكونه أهم ، ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾: لأمراض القلوب من الشك والنفاق والزيغ ، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: يحصل في القلب الإيمان والحكمة والرغبة في الخير ، ﴿وَلاَ يَزِيدُ﴾: القرآن ، ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ، ﴿إَلاَّ خَسَارًا﴾: نقصانًا وخذلانًا لكفرهم به، ﴿وَإِذَا[4]﴾

---

(١) والمقام المحمود مقام الشفاعة العامة و"عسى" تفيد الإطماع والله أكرم أن يطمع من غير أن ينفذ وهذا من جنس كلام الملوك ولهذا قيل : عسى من الله واجب ولما أمره بإقامة الصلاة بالتهجد ووعده ببعثه مقامًا محمودًا وذلك في الآخرة عقبه بأمره بما يشمل الدنيا والآخرة فقال : " وقل رب " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) والظاهر أنه عام في الأمور الدنيوية من جميع مورده ومصادره / ١٢ وجيز .

(٣) في الصحيحين أنه دخل مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : " جاء الحق وزهق الباطل " الآية / ١٢ منه .[أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ (٤٢٨٧) ومسلمفي "الجهاد والسير" / باب: فتح مكة (٤١٩/٤) ط الشعب.]

(٤) ولما بين أن القرآن لا يزيد للبعض إلا الخسران أراد أن يبين أن حرمان البعض من كفران نعمة الله أعم من أن يكون النعمة قرآناً أو غيره فقال : " وإذا أنعمنا " الآية/١٢ وجيز .

﴿أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ﴾: بمال وعافية ، ﴿أَعْرَضَ﴾: عن طاعة الله ، ﴿وَنَئَا بِجَانِبِهِ﴾ والنائى بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أي : بعد عنا أو استكبر عن طاعتنا ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من المصائب والنوائب ، ﴿كَانَ يَئُوسًا ﴾: شديد اليأس قَنِطَ أن يعود له بعد ذلك خير ، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾: دينه ونيته وطريقته التى تشاكل حاله في الهدى والضلالة[1] أو على طبيعته التى جبلت عليها ، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً[2] ﴾: أسدَّ طريقًا وسيجزي كل عامل بعمله، وهو وعيد للمشركين كما قال تعالى: " وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون "(هود :١٢١،١٢٢) .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ

---

(١) يقال: طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب من الطريق نقل عن الصديق الأكبر – رضي الله عنه– أنه قال لم أر آيه أرجى من هذه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر مكر اليهود وخداعهم من قبل في قوله : " وإن كادوا ليستفزونك " الآية إلى أن وصل الكلام إلى قوله : " كل يعمل على شاكلته " أعقبه بشيء من تعنتهم ومكرهم فقال : " ويسألونك " / ١٢ وجيز .

لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي : اليهود والأحاديث الواردة في نزول هذه الآية مشعرة بأنها نزلت في المدينة والأصح أن السورة كلها مكية فأجيب بأنه نزلت مرتين ، أو أنه نزل في المدينة عليه وحي بأن يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه في مكة ، وما ذكره الإمام أحمد يدل على أنها مكية فإنه نقل عن ابن عباس أن قريشًا قالت لليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه فنزلت، ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾: روح بني آدم أو جبريل أو ملك عظيم ، ﴿قُلِ الرُّوحُ[1] مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ، مما استأثر

---

(١) وفي الآية ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته أبلغ زجر وقد أطالوا المقال في هذا البحث وغالبه، بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه فضلاً من أممهم المقتدين بهم فيا لله العجب، حيث تبلغ أقوال أهل الفضول والقانعين بالمعقول من المنقول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه ولذا رد ما قيل في حده قديمًا وحديثًا ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله : " وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " /١٢ فتح .

بعلمه ، ﴿وَمَا أُوتِيتُم[1] مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ ، أي : ما اطلعتم من علمه إلا على القليل يعني في جنب علم الله قليل وأمر الروح مما لم يطلعكم الله عليه ، وقد روي أن اليهود قالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فنزلت " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام" (لقمان: ٢٧) الآية، ﴿وَلَئِن[2] شِئْنَا﴾ اللام توطئة القسم ، ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب القسم ساد مسد جواب الشرط[3] ، ﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي : إن شئنا محونا القرآن عن مصاحفكم وصدوركم ، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾: من يصير وكيلاً علينا باسترداده ، ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي : لكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به أو الاستثناء متصل يعني: إن نالتك رحمته تسترده عليك كأن رحمته تصير وكيلاً عليه ، ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ حيث أنزل عليك الكتاب وأبقاه ، ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ[4]﴾ وإن فرض أن كلهم بلغاء ، ﴿عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ﴾ في البلاغة والإخبار عن المغيبات ، ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ لعدم قدرهم وهو جواب القسم الدال عليه اللام ، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ[5] ظَهِيراً ﴾: معينًا وناصرًا في الإتيان ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا مكرّرًا ، ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من

---

(١) الخطاب عام دل على ذلك حديث صريح / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان مكرهم وسؤالهم عن الروح لأجل أن يزيد في القرآن شيئًا من عنده حاشاه بين أن القرآن محفوظ من عند الله فقال : " ولئن شئنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ودال عليه / ١٢ .

(٤) ذكر الجن لأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين ولأن الجن تقدر على الغرائب/١٢ .

(٥) فالقرآن كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله / ١٢ معالم .

كل معنى هو كالمثل في الغرابة والحسن ، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ ، جحودًا للحق وهو في معنى الكلام المنفي فلذلك جاز الاستثناء ، ﴿وَقَالُوا لَن[1] نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ﴾: أرض مكة ، ﴿يَنبُوعاً﴾: عينًا لا ينضب ولا ينقطع ماؤها ، ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي : بستان ، ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً﴾ حتى نعرف فضلك علينا، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ أن ربك إن شاء فعل ، ﴿عَلَيْنَا كِسَفاً﴾ أي : قطعًا فلا نؤمن لك حتى تفعل يعنون قوله تعالى : " أو نسقط عليهم كسفًا من السماء" (سبأ:٩)، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ ، كفيلاً بماتقول شاهدًا بصحته أو مقابلاً معاينة نراه وهو حال من بالله وحال الملائكة محذوفة أي قبيلاً وقبلاء ، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: من ذهب ، ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد في سلم ونحن ننظر ، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: صعودك وحده ، ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ﴾ أي : مكتوبًا فيه إلى كل واحد هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ويكون فيه تصديقك ، ﴿قُلْ﴾ ، أي : رسول الله ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجبًا من تمردهم، أو تنزيهًا لله من أن يأتي أو يشاركه أحد في قدرته ، ﴿هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً﴾ كسائر الناس ، ﴿رَّسُولاً﴾ كسائر الرسل وهم لم يقدروا و لم يأتوا بمثل ما قلتم فكيف أقدر على ذلك؟! .

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا

---

(١) لما تحداهم بأن يأتوا بمثله هذا وتبين عجزهم وغلبوا أخذوا يتعللون بافتراء آيات ست فِعْلَ الحَائِرِ المبهوت، "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا" الآية / ١٢ وجيز .

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ
جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ
أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثان ، أي: ما منعهم الإيمان بعد ، **﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾** بعد نزول القرآن الذي هو معجزة ، **﴿إِلاَّ أَن قَالُوا﴾** فاعل منع ، **﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا﴾** أي : إلا قولهم هذا أي لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرًا ، **﴿رَّسُولاً قُل﴾** جوابًا لشبهتهم ، **﴿لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾** كما تمشون ، **﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾**: ساكنين في الأرض ، **﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً[1]﴾** أي : من جنسهم يهديهم، لأن انتفاع الجنس من الجنس أكثر

---

(١) فيه إعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي أن يكونوامن جنس المرسل إليهم فكأنه اعتبر في تتريل الرسول من جنس الملائكة أمرين: الأول كون سكان الأرض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الأقدام غير قادرين على الطيران بأجنحتهم إلى السماء إذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا إليها وسمعوا من أهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا تكون في بعثة الملائكة إليهم فائدة ثم ختم الكلام بما يجري التهديد فقال: "قل كفى بالله شهيدًا بيـي =

فرحمتنا دعتنا إلى أن أرسلنا إليكم بشرًا من جنسكم وبشرًا وملكًا منصوبان على الحال من رسولاً أوموصوفان برسولاً ، ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ﴾ أي: كفى الله ، ﴿شَهِيداً﴾ حال أو تمييز ، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنتم عاندتم أوعلى أني رسول إليكم وأظهرت المعجزات ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ فيعلم إبلاغي وعنادكم فيجازي كلاً ما يستحقه من الإنعام والهداية والانتقام والإزاغة ، ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ ، يهدونهم وينصرونهم، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يمشون بها وعن[1] أنس يقول : قيل يا رسول الله: "كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال : الذي أمشاهم علىأرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم" أو يسحبهم الملائكة إلى النار ، ﴿عُمْياً وَبُكْماً وَصُماًّ﴾ هذا في حال دون حال فيكون هذا بعد الحساب أو عميًا عما يقرأ عينهم بكمًا عن حجة وعذر يقبل منهم صمًا عما يُلذّ مسامعهم ، ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكن لهبها ، ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ توقدًا بأن نبدل لحومهم وجلودهم فتعود متلهبة بهم، قيل ونعم ما قيل كأنهم لما كذبوا الإعادة بعد الإفناء جازاهم الله بدوام الإعادة بعد الإفناء ، ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾: ترابًا ، ﴿أَئِـنَّا﴾ الهمزة لتأكيد الإنكار والعامل في إذا ما دل عليه قوله:﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ فإن ما

= وبينكم" ، ثم علل كونه سبحانه شهيدًا كافيًا بقوله: "إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا" ثم بين سبحانه أن الإقدار والإنكار مستندان إلى مشيئته فقال : " ومن يهد الله " الآية / ١٢ فتح .

(١) هذا الحديث مروي في الصحيحين / ١٢ وجيز .[أخرجه البخاري في "الرقاق" / باب: الحشر (٦٥٢٣) ومسلم في "صفة القيامة" / باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (٦٧٢/٥) ط الشعب.]

بعد إن لا يعمل فيما قبله ، ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾: مصدر أو حال ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ألم يعلموا ، ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإن خلقهم ليس بأشد من خلق السماوات والأرض ، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾ ، أي : القيامة عطف على أو لم يروا ، ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ أو معناه أو لم يعلموا أن من قدر على خلق هذه الأجسام قادر على أن يخلقهم مثل ما كانوا أي : يعيدهم ويجعل لإعادهم أجلاً مضروبًا ومدةً مقدرةً لابد من انقضائها[1]، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾: بعد قيام الحجة ، ﴿إِلاَّ كُفُوراً﴾ جحودًا[2] بذلك الأجل أو بذلك الخلق ، ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ ، أنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده ، ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ خزائن رزقه ونعمه ، ﴿إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ لبخلتم ، ﴿خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ أي : مخافة النفاد يقال: أنفقَ التاجرُ ذهبَ مالهُ ، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً﴾: بخيلاً .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

(١) فعلى هذا المراد من الخلق إعادهم وقوله: "وجعل" عطف على يخلق وليس فيه مانع /١٢ وجيز .

(٢) ومن كفورهم أنهم علموا كمال قدرته- وأد أولادهم خشية إملاق، ولما قالوا: (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) فطلبوا الأنهار لتكثر أقواتهم وتتسع معايشهم بين الله سبحانه أنهم لا يقنعون بل يبقون على بخلهم وشحهم فقال : " قل لو أنتم " الآية/١٢وجيز.

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا
فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا
تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟
فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ
سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى
ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾

﴿**وَلَقَدْ**[١] **آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾ اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وعن بعضهم بدل السنين ونقص الثمرات فلق البحر وحل العقدة التي بلسانه ، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وقال "صحيح حسن" والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تفسيره أن يهوديَّيْنِ سألا النبي - صلى الله عليه وسلم- عن هذه الآية "ولقد آتينا موسى تسع آيات" فقال لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت فقبَّلا يدَيه ورجلَيه"[*]

---

(١) ولما حكى عن قريش تعنتهم باقتراح آيات ست سلى نبيه -صلى الله عليه وسلم- بما جرى على موسى وقومه مع فرعون فقال : " ولقد آتينا موسى " الآية / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/٢٤٠) والترمذي (٣٣٥٣-تحفة) وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصراً والحاكم في "المستدرك" (١/٩) والنسائي (٧/١١١).

=

فقال بعض المحدثين: لعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين عليه ويدل عليه الآية التي بعده ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر" الآية، **﴿فَاسْأَلْ﴾**: يا محمد ، **﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** عن الآيات ليطمئن قلبك ويظهر للمشركين صدقك ، **﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾** ظرف لآتينا أوتقديره سل عن بني إسرائيل زمان ما جاءهم موسى حتى يخبروك عما وقع فيه ، **﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾** فتتخبط عقلك ، **﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ[1] مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾**: الآيات ، **﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾**: بينات تبصرك صدقي وهو حال ، **﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا[2]﴾**: هالكًا ملعونًا أومصروفًا عن الخير مطبوعًا على الشر ، **﴿فَأَرَادَ﴾**: فرعون ، **﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾**: يخرج موسى

= من طريق : شعبة، عن عمرو بن مرة، عبد الله بن سلمة، عن صفقان بن عسال...فذكره.

قال الترمذي : "حسن صحيح" وقال الحاكم "حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه و لم يخرجاه" وأقره الذهبي.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضفيع ابن ماجه" .

(١) قال ابن عباس -رضي الله عنه- علم فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى: "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا" (النمل:١٤)، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن على رفع التاء لأنه روي عن رجل عن مراد عن على وذلك الرجل مجهول و لم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائى / ١٢ معالم .

(٢) يقال: ما بثرك عن هذا أي : صرفك ومنعك وهذه المحاكاة بينهما بعد مدة من دعوته لفرعون لا أول الأمر/١٢ منه .

وقومه من أرض مصر ، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ﴾: التي أراد أن يخرجكم منها، وهذا بشارة للمؤمنين بفتح مكة فإن هذه السورة نزلت قبل الهجرة ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ أي : الدار الآخرة يعني القيامة ، ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾: جميعًا إلى الموقف ونحكم بينكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي : ما أنزلنا القرآن إلا متلبسًا بالحق المقتضي لإنزاله فيه أحكام الله وأوامرة ونواهيه ، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ[1]﴾ وما نزل إلا بالحق الذي اشتمل عليه أو ما وصل إليك يا محمد إلا محروسا محفوظًا من تخليط وتبديل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾: لمن أطاعك ، ﴿وَنَذِيرًا ﴾: لمن عصاك ، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾: نزلناه مفرقًا منجمًا على الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾: مَهَلٍ وتؤدة ، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾: نجومًا بعد نجوم ، ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾ أي : سواء آمنتم به أم لا هو حق لا يزيد ولا ينقص منه شيء ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ ، من قبل القرآن ، أي عالمي أهل الكتاب ، ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: القرآن ، ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾: يسقطون على وجوههم وذكر الذقن للمبالغة في الخشوع وهوتعفير اللحى على التراب أو أنه ربما خر على الذقن كالمغشي عليه لخشية الله واللام لاختصاص الخرور بالذقن ، ﴿سُجَّدًا﴾: شكرًا لإنجاز وعده ولأن جعلهم ممن أدركوا هذا الرسول المنزل عليه هذا الكتاب ، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: عن خلف الوعد ، ﴿إِن كَانَ﴾: إنه كان ، ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ في الكتب السالفة بإرسال رسول خاتم الرسل،

---

(١) يقال أنزلت فلم ينزل إذا عرض له مانع من نزوله فقال: "وبالحق نزل" لإزالة هذا الاحتمال وقوله: "وبالحق أنزلناه" من دور على قوله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبه يأخذ في شيء ويستطرد منه إلى آخر ثم يعود إلى ما ذكره أولاً / ١٢ وجيز .

﴿لَمَفْعُولاً﴾ ، واقعًا كائنًا ، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ[١]﴾ حال كونهم باكين لما أثـر فيهم مواعظه كرره لتكرار الفعل منهم ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع القرآن ، ﴿خُشُوعًا[٢] ﴾: خضوعًا لربهم ، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ نزلت حين يقول عليه السـلام في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمع رجل من المشركين وقال: إنه يزعم أنـه يدعـو واحدًا وهو يدعو اثنين والدعاء بمعني التسمية وهو متعد إلى مفعولين كدعوته زيـدًا ثم يترك أحدهما فيقال دعوت زيداً و المراد من الله والرحمن الاسم لا المسمى وأو للتخيـير أي : سموا بهذا الاسم أو بهذا ، ﴿أَياًّ مَّا تَدْعُوا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه ومـا مزيدة للإبهام الذي في أي ، ﴿فَلَهُ﴾ الضمير لمسمي الاسمين فإن التسـمية للـذات لا للاسم، ﴿الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[٣]﴾ أي : أيَّ هذين الاسمين سميتم فهو حسـن؛ لأن لـه ألأسماء الحسنى وهذان الاسمان منها ، ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ أي: بقـراءة صلاتـك

---

(١) والبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة ?رضي الله عنه- قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يلج النار رجل بكي من خشية الله حتى يعود اللـبن في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم) أخرجه الترمزي والنسائي وعن ابن عباس -رضي الله عنه- مرفوعًا عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر مقالات موسى وفرعون وإنجائه للتوحيد وإهلاكه مع قومه لادعائهم الشـركة وبهذا البيان أنذر قريشًا ثم قال مخاطبًا لهم : " آمنوا به أو لا تؤمنوا) والإيمان يسـتلزم التوحيد الذي هو المطلوب الأصلي عنهم أمر نبيه أن يدفع عنهم شبهة نشأت لهم فقـال (قل ادعوا) الآية / ١٢وجيز.

(٣) فكأنه تعليم في أذكار السجود حين مدح سجود العلماء ولما قال (ادعوا الله أو ادعـوا • الرحمن) يخطر بالبال هل ندعوه جهرة أو خفية فقال : " ولا تجهر بصلاتك " الآية/١٢ وجيز .

فيسمعها المشركون فيسبون القرآن ، ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ ولا تخفها عمن خلفك من أصحابك ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بين الجهر والمخافتة ، ﴿سَبِيلاً ﴾ وسطًا وكان ذلك قبل الهجرة والمراد من الصلاة الدعاء ، ﴿وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما قالت اليهود عزير ابن الله عليهم لعائن الله ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما أثبته النصارى والمشركون فإنهم أثبتوا الربوبية للمسيح والأصنام ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ ، ناصر من الذل لا يحوم الدخور[*] جنابه ليحتاج إلى ولي يتعزز به، وعن القرطبي أن الصابئين والمجوس يقولون : لولا أولياء الله لذل. أثبت لنفسه الأقدس الأسماء الحسنى ونزه نفسه عن النقائص كمضمون "قل هو الله أحد" (الإخلاص:١)، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: عظمه عن الولد والشريك والولي عظمة تامة قد جاء في حديث أنه عليه السلام سماها آية العز وفي بعض الآثار ما قر في ليلة في بيت فيصيبه سرقة[١] أو آفة .

(*) كذا في الاصل وفي نسخة : لا يحوم الذل حول جنابه.

(١) ذكرهما الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره وما خرجهما، هذا ما في المنهية والوجيز وفي الفتح عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعلم أهله هذه الآية "الحمد لله" إلخ الصغير من أهله والكبير، أخرجه ابن جرير وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عبد الكريم بن أبي أمية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات "الحمد لله الذي" إلى آخر السورة، وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: "آية العز الحمد لله" إلخ ١٣/.[أخرجه أحمد ي "مسنده" (٤٣٩/٣) وذكره الهيثمي في "المجمع" (٥٢/٧) وأشار إلى انه طرقا يصلح بها. وذكر السيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٦/٤) ونسبه لأحمد والطبراني.]

سورة الكهف مكية

قيل إلا "قوله واصبر نفسك" الآية.

وهي مائة وإحدى عشر آية واثنا عشر ركوعًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا
لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ
وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ
أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى
ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)
فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ
ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا (١٢)﴾

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ رتب الحمد على إنزاله القرآن على عبده سيد السادات عليه الصلوات والتسليمات؛ لأنه أجل نعم وأعظم كرم، فإنه سبب جميع السعادات ﴿**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾ شيئًا من العوج، لا في ألفاظه، ولا في معانيه ﴿**قَيِّمًا**﴾: مستقيمًا معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط، فقيل قيما على سائر الكتب مصدقا

لها، منصوب بقدر، أي: جعله قيما، أو حال من الكتاب على أن عطف و لم يجعل بياني حتى لا يلزم العطف قبل تمام الصلة كأنه قال: أنزل على عبده الكتاب الكامل الذي لا يسمى غيره في جنبه الكتاب ﴿لِيُنْذِرَ﴾: الكافرين ﴿بَأْسًا﴾: عذابًا ﴿شَدِيدًا﴾: صادرًا ﴿مِن لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: الجنة ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ﴾: في الأجر ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: ينذرهم ببأس شديد وخصهم من بين الكفار بالذكر لغلظ كفرهم ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ[1]﴾ أي: يقولون عن جهل وافتراء وضمير به إما إلى الولد أو إلى الاتخاذ أو إلى القول ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾: الذين قالوا ذلك ﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز، وهو أبلغ من كبرت كلمتهم ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة للكلمة[*] مفيدة لاستعظام اجترائهم، فإن هذه الكلمة الردية الشنيعة التي لو خطرت ببال لا يليق أن تظهر بحال هم تكلموا بها ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾: قاتل ﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ إذا أعرضوا عن الإيمان، شبهه لما تداخله من الأسف على إعراضهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على فراقهم وآثارهم ﴿إِن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ لفرط[2] الحزن ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾: مما يصلح أن يكون زينة ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[3]﴾: في تناوله وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: من الزينة

---

(١) وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يتفق تعلق العلم به، وهذا من الثاني/١٢وجيز.

(*) وفي النسخة (ن): لكلمة.

(٢) ولما منعه من هلاك نفسه تأسفًا لله بقوله: "إنا جعلنا ما على الأرض" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) فلابد منهم من لم يحسن العمل، فلا تحزن على من قضينا عليه الشقاوة/١٢وجيز.

﴿صَعِيدًا جُرُزًا[1]﴾: مثل أرض ملساء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء في إزالة بهجته وإبطال حسنه يعني نميت الحيوانات، ونجفف النباتات وهو ترغيب في الزهد عنها. ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ بل أحسبت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: الغار الواسع في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ هو لوح من رصاص، أو حجر موضوع على باب كهفهم مكتوب فيه أسماؤهم، أو اسم لذلك الجبل أو الوادي، أو لقرية[2] هم خرجوا منها ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا﴾: آية ﴿عَجَبًا﴾ فإن قصتهم بالإضافة إلى ما خلقنا على وجه الأرض من أنواع الحيوانات وغيرها ليس بعجيب. ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ[3] إِلَى الْكَهْفِ﴾: صاروا إليه

---

(١) فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها، وتسلية له صلى الله عليه وسلم عما تضمنته أيدي المترفين من زينتها، إذ مال الكل إلى الفناء، ولما كان لنبلوهم أيهم أحسن عملا دالا على البعث الذي نفاه المعاندون أتى بواقعة مبينة للبعث فقال: "أم حسبت" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) جميع ما نقلنا في تفسير الرقيم أقوال السلف واختار ابن جرير إنه فعيل بمعنى مفعول أي: مرقوم أي: شيئًا مكتوبًا نحو كتاب مرقوم/١٢منه. وفي المراد من الرقيم اختلاف كثير والظاهر أنه الفئة المذكورون هنا، وقيل: هم قوم حالهم كأصحاب الكهف أخبر الله عن حال أصحاب الكهف و لم يخبر عنهم/١٢وجيز.

(٣) الفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب، فكانوا في سن الشباب مردًا، وكانوا سبعة خرجوا من مدينتهم خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار، حيث أمروهم بعبادة غير الله وكذلك ملك المدينة، أمرهم بما ذكر، واسمه دقيانوس ومدينتهم اسمها أفسوس عند أهل الروم؛ لأنها من مدائنهم، واسمها عند العرب طرسوس، فلما أمروهم بعبادة غير الله ذهب كل واحد منهم إلى بيت أبيه وأخذ منه زادًا ونفقة وخرجوا فارين هاربين حتى أووا إلى كهف في جبل قريب من المدينة، فاختفوا فيه، وصاروا يعبدون الله ويأكلون ويشربون ويبعثون أحدًا منهم خفية ليشتري لهم الطعام من المدينة وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة عليهم فيقتلوهم لعدم دخولهم في دينهم، فجلسوا يومًا
=

وسكنوا فيه هم من أهل الروم، قصد دقيانوس تعذيبهم ليرجعوا إلى الشرك فهربوا بدينهم إلى الكهف[1] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ترحمنا بها وتسترنا من أعين قومنا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾: يسر لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه من الفرار عن الكفار ﴿رَشَدًا﴾: نصير بسببه راشدين مهديين ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجابًا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، فحذف المفعول كما يقال: بنى على امرأته أي: القبة ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرفان لضربنا ﴿عَدَدًا﴾ أي: ذوات عدد ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليتعلق علمنا تعلقا حاليا، أو لنعلم علم المشاهدة ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين منهم ﴿أَحْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: أضبط أمدًا لزمان لبثهم فإنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك كما قال تعالى: "قال قائل منهم كم لبثتم" الآية، أو المراد من الحزبين غيرهم، فقد ذكر أن أهل قريتهم تنازعوا في مدة لبثهم ولصدارة أي لما فيه من معنى الاستفهام علق لنعلم عنه فهو مبتدأ، وأحصى الذي هو فعل ماض خبره، وأمدًا مفعوله .

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى
(١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن
نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن
دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ

= بعد الغروب يتحدثون فألقى الله عليهم النوم وذلك قوله تعالى: "فضربنا على آذانهم" إلخ /١٢فتح.

(١) هكذا ذكره المفسرون من السلف والخلف/ ١٢منه.

إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾﴾

﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**﴾: الصدق، ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ**﴾: شبان ﴿**آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾: بالتثبت ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: قويناهم بالصبر والثبات ﴿**إِذْ قَامُوا**﴾: بين يدي دقيانوس ملكهم حين دعاهم إلى الكفر، وأوعد بأنواع العذاب، ثم القتل إن خالفوا ﴿**فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا**﴾ فإنه يأمرهم بعبادة الأصنام ﴿**لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**[1]﴾ أي: إن دعونا غير الله، والله لقد قلنا قولا ذا بعد عن الحق ﴿**هَؤُلَاءِ**﴾ مبتدأ ﴿**قَوْمُنَا**﴾ عطف بيانه ﴿**اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ**[2] **آلِهَةً لَوْلَا**﴾: هلاَّ ﴿**يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ**﴾ أي: على عبادتهم[3] ﴿**بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾: بدليل واضح فإن دينًا لا دليل عليه فهو باطل ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾: فإنهم افتروا عليه أن له شركاء ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ**[4]﴾ خطاب بعضهم لبعض

---

(١) قوله: "لقد قلنا إذًا شططا" إلى قوله: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا" استدل تعالى على عدم الشركاء بعدم الدليل عليها، فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية، ثم قال: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا" يعني أن الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وكذب، وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد/ ١٢مفاتيح الغيب المعروف بالكبير.

(٢) وفي هذا الإخبار معنى الإنكار وفي الإشارة إليهم تحقير لهم/١٢فتح.

(٣) قال الزمخشري: وفي الآية دليل على فساد التقليد، وأنه لابد في الدين من الحجة حتي يثبت ويتضح/١٢فتح.

(٤) خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال شامل لمفارقة الأوثان ومعتقدات قومهم فهو اعتزال جسماني وقلبي/١٢وجيز.

والعامل فيه الجزاء ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ عطف على مفعول اعتزل، وهم يعبدون الأصنام مع الله ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ﴾: يبسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: رحمة يستركم بها من قومكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾: الذي أنتم فيه ﴿مِرْفَقًا[1]﴾: ما تنتفعون به[2] ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾: لو رأيتهم ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾: تميل[3]، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ فلا يقع شعاعها عليهم لتحترق أبدانهم ولباسهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهته، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم وتعدل عنهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾: متسع، ﴿مِنْهُ﴾: من الكهف فلا يؤذيهم حر الشمس وينالهم روح الهواء وذلك إذا كان باب الكهف على بنات[4] النعش فيقع الشعاع على جنبيه وهم في وسطه فيحلل عفونته ويعدل هواءه، وعند بعضهم أن الله صرف عنهم الشمس بقدرته وحال بينها وبينهم لا لأن باب الكهف على جانب لا تقع الشمس إلا على جنبيه ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى غار كذلك ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ﴾: ولم يرشده ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾: من يلي أمرهم ويرشده.

---

(١) أي: من أمركم الذي أنتم فيه ما تنتفعون به من أمر المعيشة وغيره. هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم، والتقدير: "فأووا إلى الكهف" فألقى الله عليهم النوم واستجاب دعائهم "وترى الشمس" الآية/ وجيز.

(٢) وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه، أو أخبرهم به نبي عصرهم/١٢فتح.

(٣) وتعدل وتتنحى/١٢فتح.

(٤) بنات النعش وهي الكبرى والصغرى هفت ستاركان در شمال وجنوب جهار ازوى دانعش وسه رابناة كويند/١٢صراح.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: لانفتاح عيونهم ليصل إليها روح الهواء جمع يقظ، كأنكاد في نكد **﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾**: نيام **﴿وَنُقَلِّبُهُمْ[١] ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَال﴾**: لئلا تأكل الأرض لحومهم، عن ابن عباس في كل سنة مرة، وعن بعضهم مرتين **﴿وَكَلْبُهُمْ[٢]**

---

(١) ظاهر كلام المفسرين أن التقليب من فعل الله ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله والأول أولى/١٢فتح.

(٢) قال مجاهد اسم كلبهم تطمورا وعن الحسن اسمه قطمير وقيل: ريان وصهيان قيل كان كلبا أعز، وقيل: فوق القلطى، ودون الكرزي والقلطي كلب صيني وقيل كان أصفر

=

بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ[(١)]﴾ بالفناء وقيل: بالعتبة خارج الكهف؛ لأن الملك لا يدخل بيتًا فيه كلب[(*)] والأصح أنه كلب صيد لأحدهم وقد نقل أنه كلب تبعهم فطردوه فأنطقه الله وقال: أنا أحب أحباء الله ناموا وأنا أحرسكم،﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾: نظرت إليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾ هربت وأعرضت عنهم ﴿فِرَارًا﴾ حال أو مفعول له أو مصدر ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا[(٢)]﴾: خوفًا يملأ صدرك لمهابتهم ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾: كما أنمناهم آية بعثناهم كذلك ﴿لِيَتَسَاءَلُوا[(٣)] بَيْنَهُمْ﴾: ليسأل بعضهم بعضًا مدة لبثهم فيعرفوا حالهم فيزداد يقينهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا[(٤)] يَوْمًا أَوْ

= وقيل أسمر اللون، ولا أدري أي تعلق لهذا التدقيق والتحقيق بتفسير الكتاب العزيز وما الذي حملهم على هذا الفضول الذي لا مستند له في السمع ولا في العقل/١٢فتح.

(١) وفي هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للصالحين وللأنبياء والعلماء المخالطين للأولياء والأصفياء/١٢.

(*) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة"، أخرجه البخاري في "اللباس"، باب: التصاوير، (٢٩٤٩)، وفي مواطن كثيرة من صحيحه، ومسلم في اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، (٢١٠٦).

(٢) وسبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها، وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم، ذكره المهدي والنحاس والزجاج والقشيري ويدفعه قوله: "لبثنا يومًا أو بعض يوم" فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئًا ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ بهم الحالة التي ماتوا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير لهم صفة ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليهم أهم، ذكره القرطبي/١٢فتح.

(٣) واللام للصيرورة نحو لدوا للموت/١٢.

(٤) وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب/١٢فتح.

بَعْضَ[(١)] يَوْمٍ[(٢)]﴾ فإنه غالب مدة نوم نائم كأهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ كأنه حصل لهم بعض تردد في طول مدهم لطول أظفارهم وأشعارهم ﴿فَابْعَثُوا﴾ يعني لا يصل علمكم إليه فاتركوا المقال وابعثوا ﴿أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾: فضتكم، ﴿هَذِهِ﴾ فإنه كان معهم دراهم ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أي: إلى المدينة التي خرجتم عنها وهي طرسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾ أي: أهل تلك المدينة ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾: أحل وأطهر، فإن في المدينة المؤمن والكافر ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: في الذهاب والإياب والمعاملة حتى لا يطلع على حاله أحد ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد بكم ﴿إِنَّهُمْ﴾: أهل المدينة ﴿إِنْ يَظْهَرُوا﴾: يظفروا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بأفضح أنواعه ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: كرهًا والعود بمعنى الصيرورة، أو كانوا على دينهم فهداهم الله للإيمان ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾: إن دخلتم في دينهم ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم وأيقظناهم أطلعنا عليهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: ليعلم من يطلع عليهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالبعث ﴿حَقٌّ﴾: يقاس الموت والبعث بتلك الرقدة، والإيقاظ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإن من حفظ أبدانهم من التفتت ثلاثمائة سنين يمكن له حفظ النفوس إلى أن يحشر أبدانها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ ظرف لأعثرنا ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمر دينهم، فإن لأهل ذلك الزمان[(٣)] شكًا في البعث فمنهم من قال: يبعث الأرواح لا الأجساد فيبعثهم

---

(١) وقد استدل ابن عباس أن الصحيح أن عددهم سبعة؛ لأنه قال في الآية: "قال قائل منهم كم لبثتم" وهذا واحد، وقالوا في جوابه: "لبثنا يومًا أو بعض يوم" وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا: "ربكم أعلم بما لبثتم" وهو قول جمع آخرين فصاروا سبعة/١٢منه.

(٢) الظاهر صدور الشك من المسئولين/١٢.

(٣) صرح بذلك ابن عباس وعكرمة وغير واحد من السلف/١٢منه.

الله حجة لمن يقول تبعث الأرواح والأجساد معًا، أو التنازع في البنيان فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا يصلى فيه الناس، لأنهم على ديننا والمشركون يقولون: نبني بنيانًا لأنهم من أهل نسبنا أو التنازع في مدة لبثهم وعددهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي: المرتابون في البعث[1] ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي: سدوا عليهم باب الكهف وذروهم على حالهم فإن ربهم أعلم بحالهم وقيل: هذا يدل على أن التنازع في مدة اللبث أو العدد ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ وهم المؤمنون وكانوا غالبين في ذلك الوقت ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ حكى أن المبعوث إلى الطعام لما أخرج الدرهم للطعام أخذوا درهمه واتهموه بوجدان كنز؛ لأن الدرهم على ضرب لم يروه فسألوه عن أمره فقال: أنا من هذه المدينة وعهدي بها عشية أمس وضربه ضرب دقيانوس، فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فأخبرهم بأمره فقام متولى البلد وأهلها معه حتى انتهى إلى الكهف فقال: دعوني أتقدم في الدخول فعمى عليهم المدخل وأخفى الله عليهم فبنوا ثم مسجدًا، وعن بعضهم: دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم ثم كلمهم وودعهم فتوفاهم الله ﴿سَيَقُولُونَ﴾: القائلون أهل الكتاب والمؤمنون في عهد نبينا عليه الصلاة والسلام ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ أي: هم ثلاثة رجال ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: يرمون رميًا بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد والقائل بهما أهل الكتاب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ والقائل هم المؤمنون ﴿وَثَامِنُهُمْ[2] كَلْبُهُمْ﴾ وفائدة

---

(١) لئلا يتطرق الناس إليهم كما حفظت تربة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالحظيرة/١٢فتح.

(٢) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبيًا: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطوريًا: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال =

هذا الواو بين الصفة والموصوف تأكيد لصوقها به والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهي التي آذنت بأن هذا القول منهم لا عن رجم بالغيب، بل عن دليل وعلم ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس وقد صح[1] عن ابن عباس أنه قال: أنا من ذلك القليل كانوا سبعة(*) ﴿فَلَا تُمَارِ[2]﴾: لا تجادل ﴿فِيهِمْ﴾: في شـــأن الفتية ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: سهلا هينًا، فإن معرفته لا يترتب عليه كثير فائدة، فلا تُجَهِّلْهُمْ ولا ترد عليهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا تسأل عن قصتهم أحدًا منهم، فإنهم لا يقولون إلا ظنًّا بالغيب.

= المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى فقال: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم" /١٢معالم.

(١) نقله ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عنه/١٢منه.

(*) الدر المنثور للسيوطي (٣٩٣/٤) وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وصحح سنده.

(٢) قال ابن عباس: يقول حسبك ما قصصت عليك ثم استثنى سبحانه من المراء ما كان ظاهرًا واضحًا فقال إلا مراء ظاهرًا أي: غير متعمق فيه وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه، فحسب من غير تجهيل لهم ومن غير رد عليهم، وقال الرازي: هو أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد، بل يقول: هذا التعيين لا دليل عليه، فوجب التوقف ثم نهاه سبحانه عن الاستفتاء في شأنهم، فقال: "ولا تستفت فيهم منهم أحدًا"؛ لأن المفتي يجب أن يكون أعلم من المستفتي، وهاهنا الأمر بالعكس ولاسيما في واقعة أهل الكهف، وفيما قص الله عليك في ذلك ما يغنيك عن سؤال ما لا علم له، قال ابن عباس: يعني اليهود، وقال القرطبي: النصارى وهم الأولى، قال البيضاوي: لا تسأل سؤال مسترشد ولا سؤال متعنت يريد فضيحة المسئول وتزييف ما عنده، فإنه يخل بمكارم الأخلاق، وفي الآية دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم/١٢.

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى
كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم
بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا
﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا
لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى
ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا
خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ
مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ ﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء تعزم عليه **﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾**: الشيء، **﴿غَدًا﴾** أي: فيما يستقبل من الزمان، و لم يرد خصوصية الغد **﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**: إلا بأن يشاء الله، أي: متلبسًا بمشيئته، يعني إلا أن يقول إن شاء الله، فهو استثناء من النهي، نزلت حين سأل أهل مكة عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال عليه السلام: "أخبركم غدًا"، و لم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أيامًا ثم نزلت هذه

الآية تعليمًا وتأديبًا، وقيل معناه: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته، وقل إن شاء الله ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: إذا فرط منك نسيان، يعني: إذا أنسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: للحالف أن يستثني ولو بعد سنة، قال ابن جرير: السنة أن يقول ذلك حتى ولو كان بعد الحنث، ليكون أتيا بسنة الاستثناء لا لأن يكون رافعًا للحنث مسقطًا للكفارة، وقال: هذا هو الصحيح الأليق بحمل كلامه عليه، وقد نقل عن ابن عباس إن هذا خاصة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي إنه لا يحنث إن استثنى ولو بعد سنين، وقيل معناه إنه تعالى أرشد من نسي الشيء من كلامه إلى أن يذكر الله، فإن النسيان منشؤه الشيطان، وذكر الله يطرده فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي: يدلني ويعطيني من الآيات الدالة على نبوتي ما يكون أقرب وأدل في الرشد من قصة أصحاب الكهف، وقيل معناه إذا سُئلت عن شيء لا تعلمه فتوجه إلى الله في أن يوفقك لأقرب طريق إليه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت شيئًا، واذكر ربك أن تقول عند نسيانه عسى ربي أن يهدين لشيء آخر بدل المنسى أقرب من المنسى رشدًا ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ هذا إخبار من الله بمقدار لبثهم منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم، وسنين: عطف بيان لثلاثمائة عند من قرأ مائة بالتنوين ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا[(١)]﴾ فإن مقداره ثلاث مائة سنة وتسع بالهلالية، فيكون بالشمسية ثلاث مائة سنة، لأن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلِ﴾: يا محمد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا[(٢)]﴾ فلا

---

(١) ولما كان الخطاب للعرب وحسابهم القمرية زيدت التسع لاتفاق الحسابين/١٢وجيز.

(٢) اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم، أما الزمان الذي حصلوا فيه، فقيل: إنهم كانوا قبل موسى عليه السلام وإن موسى ذكرهم في التوراة، ولهذا السبب؛ اليهود سألوا عنهم، وقيل: دخلوا الكهف قبل المسيح، وأخبر المسيح بخبرهم، ثم بعثوا في =

تختلفوا بعد ما أخبركم الله بمدته ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ جملة مستأنفة لتعليل الأعلمية وعن قتادة أن قوله ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة حكاية قول أهل الكتاب(١) وقد رده الله بقوله: "قل الله أعلم" والأول قول أكثر السلف والخلف ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ هما صيغتا التعجب أي: ما أبصره وما أسمعه، فالضمير الراجع إلى الله فاعل والباء صلة ﴿مَا لَهُمْ﴾ الضمير لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: يلي أمرهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾: الله ﴿فِي حُكْمِهِ﴾: قضائه ﴿أَحَدًا﴾: منهم ﴿وَاتْلُ(٢) مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾: من القرآن ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا أحد يقدر على تبديلها ﴿وَلَنْ

= الوقت الذي بين عيسى عليه السلام وبين محمد -صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنهم دخلوا الكهف بعد المسيح وحكى القفال هذا القول عن محمد بن إسحاق، وقال قوم: إنهم لم يموتوا ولا يموتون إلى يوم القيامة، وأما مكان هذا الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي النجم أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف إلى الروم، قال: فوجه ملك الروم معي أقوامًا إلى الموضع الذي يقال إنهم فيه، قال: وإن الرجل الموكل بذلك الموضع منعني من الدخول عليهم، قال: فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم، قال: وعرفت إنه تمويه واحتيال، وإن الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالأدوية المجففة، لأبدان الموتى لتصونها عن البلى مثل التلطيخ بالصبر وغيره، ثم قال القفال: والذي عندنا لا يعرف أن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، أو موضع آخر، والذي أخبر الله عنه وجب القطع به ولا عبرة بقول أهل الروم إن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، وأقول: العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال، وإنما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود وثبت أنه لا سبيل إليه/١٢ كبير ملخصا.

(١) وكان في مصحف عبدالله قالوا لبثوا في كهفهم/ كذا في البحر ١٢وجيز.

(٢) ولما أنزل ما أنزل من قصة أهل الكهف التي سألوها امتحانًا أمره بأن يقص على معاصريه ما أوحي إليه في شأنهم وفي غيرهم فقال: واتل ما أوحي" الآية/ ١٢وجيز.

تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ تعدل إليه إن لم تتل و لم تتبع ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: طرفي النهار ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يريدون الله لا عوضًا من الدنيا نزلت في أشراف قريش حين طلبوا أن يفرد لهم مجلسًا لا يكون فقراء الصحابة[1] فيه ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والزينة، واستعماله بعن مع أنه مستعمل بغير واسطة لتضمينه معنى نبا[2] يقال: نبت عنه عينه إذا ازدرته و لم تتعلق به ﴿تُرِيدُ﴾ حال من كاف عيناك ﴿زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: مجالسة الأشراف ﴿وَلَا تُطِعْ﴾: في تبعيد الفقراء ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: جعلنا قلبه غافلا ﴿عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: متقدمًا للصواب نابذًا له وراء ظهره يقال: فرس فُرُط، أي: متقدم للخيل ﴿وَقُلِ﴾: يا محمد ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق حال كونه من ربكم أو الحق ما يكون من ربكم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: فإني لا أبالي وهو تخيير بمعنى التهديد ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: نسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار أو دخانها ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾: من العطش ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كمذاب النحاس عن ابن عباس هو ماء غليظ كدردي الزيت ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾: من حره إذا قدم ليشرب ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: المهل ﴿وَسَاءَتْ﴾: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكئًا أو منزلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ قوله: "من أحسن عملا" هو عين من آمن وعمل صالحًا فجاز أن يكون "إنا لا نضيع" خبر إن أو تقديره إنا لا نضيع

---

(١) الذين يؤذوننا رائحة جيبهم كعمار وابن مسعود وصهيب وسلمان وبلال -رضي الله عنهم وأرضاهم/ ١٢وجيز.

(٢) نبا كمنع: ارتفع/ قاموس.

أجر من أحسن عملا منهم أو هو جملة معترضة وخبره قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها يقال: عدن بالمكان، إذا أقام فيه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ أي: من تحت غرفهم ﴿الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ﴾: يزينون ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة أو أسوار في جمع سوار ومن للابتداء ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ صفة أساور، ومن للبيان ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾: رقيق الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظ منه فإن ما يلي البدن رقيق وما فوقه غليظ كما في الدنيا ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ الاتكاء الاضطجاع أو التربع في الجلوس ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾: السرر، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: الجنة ونعيمها ﴿وَحَسُنَتْ﴾: الأرائك أو الجنات ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكئًا أو مترلا .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ
شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ
أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى
خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ
أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن
تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا
غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ

أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿واضْرِبْ[1] لَهُمْ مَثلا رَجُلَيْنِ﴾ بيان لمثلاً، أو بدل لحذف المضاف أي مثل رجلين قيل: هما أخوان من بني إسرائيل ورثا مالا فاشترى أحدهما بميراثه ضياعًا وزينة، وصرفه الآخر في وجوه الخير ﴿جَعَلْنَا﴾ الجملة بيان التمثيل أو صفة رجلين ﴿لأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلنا النخل محيطة بهما والباء للتعدية إلى المفعول الثاني يقال: حففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: وسط النخل والكرم ﴿زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ وإفراد الضمير لإفراد كلتا ﴿ولَمْ تَظْلِمْ﴾: تنقص ﴿مِنْهُ﴾: من أكلها ﴿شَيْئًا﴾: كما يعهد نقصها في سائر البساتين ﴿وفَجَّرْنَا خلالَهُمَا﴾: وسط الجنتين ﴿نَهَرًا وكَانَ لَهُ﴾: لصاحب البستانين ﴿ثَمَرٌ﴾: أنواع من المال ﴿فَقَالَ[2] لِصَاحِبِهِ[3]﴾: الذي صرف ميراثه لوجه

---

(١) أي لهؤلاء المتجبرين الطالبين طرد الضعفاء من المؤمنين لفقرهم المفتخرين بما هو في معرض الزوال من الأنصار والمال "مثلا رجلين" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) حاصل ما قاله الكافر من القول الشنيع ثلاث مقالات:
الأولى: أنا أكثر منك مالا إلخ، الثانية: ودخل جنته إلخ. الثالثة: وما أظن الساعة قائمة إلخ. وقد تعقبه المؤمن في الثلاثة على سبيل اللف والنشر المشوش فوبخه على الأخيرة بقوله: "أكفرت بالذي خلقك"إلخ ووعظه ونصحه على الثانية بقوله: "ولولا إذ دخلت جنتك"إلخ وقرعه على الأولى بقوله: "فعسى ربي"إلخ/١٢فتوحات الإلهية للشيخ سليمان الجمل.

(٣) وهذا دال على أنه ليس أخاه/١٢وجيز.

الله ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ[١]﴾: يراجعه في الكلام لا أنه يجادله ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ حشمًا وعشيرة وأولادا ذكورًا ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: حين أخذ بيد صاحبه وأدخله بستانه يطوف به فيها يفاخره بها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: بسبب عجبه وكفره ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾: راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى، ولله در صاحب الكشاف حيث قال: وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه[٢] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: كائنة، ﴿وَلَئِن رُدِدتُّ إِلَى رَبِّي﴾ يعني: وإن فرضنا حقيقة البعث ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿مُنْقَلَبًا﴾: مرجعًا وعاقبة؛ لأنه ما أعطاني في الدنيا إلا لاستئهالي لذلك والآخرة لوكانت خير وأبقى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: خلق[٣] أصل مادتك ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: فإنها مادتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾: عدلك وكملك إنسانًا ذكرًا بالغًا ﴿لَكِنَّا﴾ أصله: لكن أنا، حذفت الهمزة وأدغمت النونان ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾ والجملة خبر أنا، كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن[٤] ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ

---

(١) أي: حال كونه يراجعه في الكلام ولا يغاضبه/١٢وجيز.

(٢) والأمر كما قال، قال الله تعالى: "الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده" (الهمزة: ٢،٣)، فإنه لفرط غروره وطول أمله لا يخطر الموت بباله فيعمل أعمال ما يظن الخلود/١٢وجيز.

(٣) فإن آدم من تراب وقيل: أراد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب/١٢وجيز.

(٤) والاستفهام في "أكفرت" لما كان للتوبيخ والتقرير أدى هذا المؤدى ولا شك أن الكفر يقابله الإيمان، فجاز الاستدراك/١٢منه كأنه قال: أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن/١٢بيضاوي.

جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ أي: هلا قلت حين دخلت ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ما موصولة أي: الأمر ما شاء الله أو ما شاء كائن ﴿لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ﴾ إقرارًا بأنها بمشيئته إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها واعترافًا بالعجز على نفسك والقدرة لله قال بعض السلف: من أعجبه[1] شيء فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا﴾ ضمير الفصل أو تأكيد للمفعول ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ في الآخرة أو في الدنيا أيضًا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ مراقي جمع حسبانة وهي الصاعقة ﴿فَتُصْبِحَ﴾ الجنة ﴿صَعِيدًا﴾ أرضًا ﴿زَلَقًا﴾ ملساء لا يثبت فيه قدم ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائرًا في الأرض مصدر وصف به كالزلق ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾ للماء الغائر ﴿طَلَبًا﴾ في رده ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ عبارة عن إهلاكه ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهرلأ لبطن تأسفًا ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ متعلق بيقلب لأنه في معنى يتحسر أي: يتحسر على ما أنفق في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ فإن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: تذكر موعظة أخيه، وتمنى لو لم يكن مشركًا حتى لا يهلك الله بستانه ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يقدرون على

---

(١) قد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: ولكن ضعفه الحافظ أبو الفتح الأزدي/١٢منه وجيز وفي الفتح أخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبده نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ هذه الآية"، وفي إسناده عيسى بن عون وروى عن أنس نحوه موقوفًا وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "ألا أدلك على كتر من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله" / ١٢.[أخرجه البخاري (٦٤٠٩)]

نصرته من دون الله، وحمل ينصرونه حيث لم يقل تنصره على المعنى دون اللفظ ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾: ممتنعًا عن انتقام الله تعالى منه، أي: لا يقدر أحد ولا هو نفسه على انتصاره ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ من القراء من يقف على هنالك، فعلى هذا معناه منتصرًا في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، ومن لم يقف عليه فمعناه في ذلك الموطن الذي نزل عليه عذاب الله النصرة له وحده، لا يقدر عليها غيره أو ينصر فيها أولياءه على أعدائه، ومن قرأ الولاية بكسر الواو فمعناه: في تلك الحالة السلطان له وحده لا يعبد غيره، وكل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له كما قال الله تعالى: "فلما رأو بأسنا قالوا آمنا بالله وحده" والحق: صفة الولاية أو صفة لله على القراءتين ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ لأهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا[1]﴾ أي: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

(١) ونصب ثوابا وعقبا بالتمييز أي: الله خير ثوابا لأهل طاعته لو كان غيره مثيبا، وخير عاقبة طاعته من طاعة غيره سبحانه، والأصح أن الرجلين رفيقان ورثا مالا فاشترى أحدهما ضياعًا وصرف عمره وماله فيها، والآخر صرف ماله في وجوه الخير وعمره في الطاعة، فلم يبق في يد الأول سوى الندم والجزع والخسران، والثاني وجد ما قر عينيه، كذلك حال صناديد القريش المتمنعين عن فقراء المؤمنين المفتخرين بثيابهم وطيب رائحتهم وبقاء راحتهم وفسحة ساحتهم، فساء صباح المنذرين، ولما أتم المثل الأول لدنياهم الخاصة بهم التي أبطرتهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ضرب لدار الدنيا العامة لذوى العقول في قلة بقائها وسرعة فنائها فقال: "واضرب لهم" الآية/ ١٢ وجيز.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ
بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ
مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها[1] ﴿كَمَاءٍ﴾ أي: هو كماء ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾: التف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضًا ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: يابسًا مكسورًا، ﴿تَذْرُوهُ﴾: تفرقه وتطيره ﴿الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾: قادرًا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾: اللذان يفتخر بهما الأغنياء ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لا زينة

---

(١) واغترار الناس بها/١٢.

الآخرة ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ أي: الأعمال الصالحة، وعن كثير من السلف[1] إنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله(*) ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أفضل جزاء وثوابا ﴿وَخَيْرٌ أَملًا﴾، لأن صاحبها ينال ما يؤمل بها في الدنيا ﴿وَيَوْمَ[2]﴾ أي: اذكر يوم ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: نقلعها[3] ونسيرها كالسحاب ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة قاعًا صفصفًا سطحًا مستويًا لا وادي فيها ولا جبل ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ الواو للعطف أو للحال أي: وقد حشرنا جميع الخلق وأحييناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا ما أنكروا ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: لم نترك، ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾: كما يعرض الجند على السلطان ليأمر فيهم ﴿صَفًّا﴾: مصطفين لا يحجب أحد أحدًا ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ حال من نسير أي: قائلين لهم ذلك، وجاز أن يكون تقديره: قلنا لهم ذلك فهو العامل في يوم نسير الجبال، ولا نقدِّر اذكر ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: عراة بلا مال ولا ولد ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث،

---

(١) صرح بذلك ابن عباس وعثمان وابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة وفيه أحاديث تدل على ما زعموا/١٢منه. والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير، عن قتادة: كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات فيندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس، وأعمال الحج والعمرة وصيام رمضان والكلام الطيب وغير ذلك اندراجًا أوليًّا/ ١٢فتح.

(*) وقد ورد فيه حديث ضعيف مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم ولفظه: "استكثروا من الباقيات الصالحات: التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله" وانظر ضعيف الجامع .]

(٢) ولما ذكر ما يئول إليه حال الدنيا من النفاد أعقبه بأوائل أحوال القيامةحتى تيقن عندك ضرب المثل فقال: "ويوم نسير الجبال.." الآية/ ١٢وجيز.

(٣) من أصولها كما نسير نبات الأرض بعد أن صيرناه هشيمًا/١٢.

والجزاء والخطاب للبعض قيل بل للخروج من القصة إلى أخرى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي: صحف الأعمال في أيمانهم وشمائلهم ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ ينادون هلكتهم من بين الهلكات ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ﴾ تعجبيًا[1] من شأنه، ﴿لا يُغَادِرُ﴾: لا يترك، ﴿صَغِيرَةً﴾ أي: هنة[2] صغيرة من أعمالنا ﴿وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾: عدها وحصرها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: في الصحف أو جزاء ما عملوا حاضرًا عندهم ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا[3]﴾، فيكتب عليه ما لم يفعل أو بأن يعاقبه بما لم يفعل.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ[4]﴾ ذكره بعد ذكر صنيع المفتخرين بالأبناء، والأولاد ليعلموا أن الكبر من سنن إبليس، أو لما نفرهم عن الاغترار بزهرة الدنيا نبههم بقدم عداوة إبليس معهم ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ استئناف كأنه قيل لِمَ لم يسجد؟! فقال: لأنه كان من الجن وقد مر خلاف بين السلف في أنه من الملائكة الذين يقال لهم الجن، أو من الجن حقيقة ﴿فَفَسَقَ﴾: خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: بترك

---

(١) كأنه قال: يا ويلتنا تعالي وانظري إلى الكتاب وتعجبي منه / ١٢ منه.

(٢) هنٍ كأخٍ معناه شيء، ويقال هنة للمؤنث والجمع هنات وهنوات ويقال: في فلان هنات أي: خصلات الشر ولا يقال ذلك في الخير/ ١٢صراح.

(٣) ولما ذكر الحشر وخوف المجرمين من أعمالهم وإبليس هو حاملهم على المعاصي بين عداوته القديمة مع أبيهم ليتخذوه عدواً فقال: "وإذ قلنا للملائكة" / ١٢وجيز.

(٤) روى الضحاك عن ابن عباس أنه كان من أشراف الملك وكان خازنًا على الجنان وله سلطان السماء الدنيا والأرض، فرأى لنفسه شرفًا على أهل السماء، فوقع في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله فأمره الله بالسجود لاستخراج ذلك الكبر منه، فاستكبر وأظهر ما هو كائن فيه فذكر حاله بعد حكاية صناديد قريش والرجل المفتخر بالبستان والأولاد في غاية المناسبة ليعلموا أن الكبر من سنته/ ١٢وجيز.

السجود والفاء مشعر بأن سبب عصيانه كونه جنيًا فإن الملك لا يعصى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ الهمزة للإنكار والتعجب أي أعُقَيب ما صدر منه تتخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ عن بعضهم هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل: يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين، ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾: فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: من الله إبليسُ وذريته(*) ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ما أحضرت الشياطين زمان خلقي الدنيا لأستعين بهم فأنا المستقل ليس معي شريك فمالكم اتخذتموهم شركاء لي! ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا[1]﴾: أعوانًا، وفي وضع المضلين موضع الضمير ذم لهم واستبعاد للاعتصام بهم، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: اللهُ للكافرين: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أنهم شركائي أو أنهم شفعاؤكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: للإغاثة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾: مهلكًا فلا وصول لهم إلى آلهتهم، بل بينهما مهلك وعن بعضهم هو واد في النار أو نهر من قيح ودم، وعن بعض السلف أن ضمير بينهم إلى المؤمنين والكافرين أي نفرق نجعل بينهم حاجزًا ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾: أيقنوا، ﴿أَنَّهُم مُوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها[2] واقعون فيها، فيكون ذلك من باب تعجيل حزنهم وغمهم ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مكانًا ينصرفون إليه .

(*) أي: استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس.

(١) ولما ثبت جهل من أطاع الشياطين بين أنهم يضرونهم في أحوج زمان، ومكان، فقال: "ويوم يقول" /١٢وجيز.

(٢) مخالطوها: واقعون فيها من مسيرة أربعين سنة كذا في الحديث لتعجيل غمهم وتقدم خوفهم قبل الوقوع فيها والظن بمعنى اليقين أو على ظاهره لرجاء الخلاص من رحمة الله/١٢وجيز.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا وكررنا **﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾**: الواضح المبين، **﴿لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾**: يحتاجون إليه، **﴿وَكَانَ الإنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾**: يتأتى منه الجدل **﴿جَدَلا[1] ﴾**: خصومة ومعارضة للحق بالباطل إلا من عصمه الله ونصبه بالتمييز **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾** من **﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾**: الرسول والقرآن **﴿وَيَسْتَغْفِرُوا[2] رَبَّهُمْ﴾**

(١) والظاهر العموم، فإن هذا النوع أكثر شيء يتأتى منه الجدل ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طرقه وفاطمة ليلا فقال: ألا تصليان فقلت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: "كان الإنسان أكثر شيء جدلا"/ ١٢فتح.

(٢) كما قال: "فإذا هو خصيم مبين" (يس:٧٧)، لا يذعن للأدلة اليقينية والأمثال الواضحة/١٢.

عطف على يؤمنوا أي: من أن يستغفروا ﴿إلا أن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ﴾ أي: إلا تقدير أن يأتيهم عذاب الاستئصال فإنه تعالى قدَّر عليهم العذاب فذلك هو المانع من إيمـــانهم، أو إلا طلب أن يأتيهم العذاب الموعود وأخذهم عن آخرهم كما قالوا: "فأسقط علينـــا كسفًا من السماء.." الآية (الشعراء:١٨٧)، "اللهم إن كان هذا هو الحق من عنـــدك فأمطر" الآية (الأنفال:٣٢). أو إلا انتظار أن تأتيهم كما يقال لمن حان له الرواح عـــن مترله وهو غير رائح: ما تنتظر إلا الهلاك ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا[1]﴾ عيانًـــا وهـــو بضم القاف والباء لغة في قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء أو جمع قبيل بمعنى أنواع ﴿وَمَـــا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾: للكافرين، ﴿وَيُجَـــادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كما قالوا: "أبعث الله بشرا رسولا" (الإسراء:٩٤)، "ولـــولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيـــم" (الزخـــرف:٣١)، وأمثـــال ذلـــك ﴿لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا، ﴿بِهِ﴾: الجدال، ﴿الْحَقَّ﴾ الذي جاءهم عن مقـــره ويبطلـــوه ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ الحجج والبراهين ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾ أي: ما أنذروه من العقاب أو مـــا مصدرية أي: إنذارهم ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَـــاتِ رَبِّـــهِ﴾: بالقرآن، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ تركها و لم يؤمن بها و لم يتفكر فيها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَـــتْ يَدَاهُ﴾: ما سلف من معاصيه، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية وغشاوة تعليل للإعراض والنسيان ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: كراهة أن يفهموه، ولما كان المـــراد بالآيـــات القرآن ذكر الضمير وأفرده ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صممًا وثقلا معنويًا عن اســـتماع الحق حق استماعه ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ إذاً جواب وجـــزاء كأن قوله: "إنا جعلنا على قلوبهم أكنة" في معنى لا تدعهم ثم نزل حرصه عليه الصلاة

---

(١) وفيه إشارة إلى أن جبلة قريش كجبلة عاد وثمود وليس الجدال وعدم قبول الحـــق مـــن خواصهم/١٢وجيز.

والسلام على إيمانهم منزلة قوله مالي لا أدعوهم فأجيب بقوله وإن تدعهم إلى الآخر ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: من الذنوب، ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾: في الدنيا، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ هو يوم القيامة وقيل: بدر ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾: من دون الله في ذلك الموعد، ﴿مَوْئِلًا﴾: منجا، وقيل: لن يجدوا من دون ذلك الموعد ومن عنده منجا ومهربا ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي: أصحابها أي قرى عادٍ وثمود وأضرابهم مرفوع بالمبتدأ و قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ خبره أو منصوب بشريطة التفسير ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بأن كفروا وعاندوا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾: وقتًا معينًا لا يزيد ولا ينقص فكذلك أنتم يا قريش احذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فقد ظلمتم مثل ما ظلموا، بل أشد ومن قرأ المهلك بكسر اللام أي: وقت هلاكهم أو مصدر كالمرجع والمحيص.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ
أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ
أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا
عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا
﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ[1]﴾ أي: واذكر إذ قال ﴿مُوسَى لِفَتَاهُ﴾: يوشع بن نون كان يخدمه: ﴿لا أَبْرَحُ﴾ حذف خبره للقرينة أي: لا أزال أسير ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحرى فارس والروم مما يلي المشرق فإن فيه موعد لقاء الخضر ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: أو أسير دهرًا أو عن بعضهم هو ثمانون أو سبعون سنة، أي: حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضى الحقب قيل: أو بمعنى إلا أن أى: إلا أن أمضي حقبا من الدهر فأتيقن معه فوات المجمع وقصته أن كليم الله قام خطيبًا في بني إسرائيل فَسُئِلَ أيُّ: الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم[2] إلى الله فأوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك فقال: يا رب كيف لي به؟ قال: خذ حوتًا فحيث ما فقدته فهو ثَمَّه ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أي: البحرين ظرف أضيف إليه على الاتساع كشهادة بينكم أو بمعنى الوصل ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسى موسى أن يطلبه ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته، أو نسيا تفقده ﴿فَاتَّخَذَ﴾: الحوت، ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: مسلكًا وهو مفعول ثان لاتخذ أي: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه[3] وقد

---

(١) ولما علّم اليهود قريشا أن يسألوا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من ثلاثة أشياء امتحانًا عن نبوته فسألوا أولا عن أصحاب الكهف وأجاب بما أجاب، وأعقبه بضرب أمثال ونصائح شرع في حكاية موسى بن عمران نبي الله، الدال على أن النبي لا يجب أن يعلم جميع الوقائع فلو لم يجب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أسئلتهم لا يلزم منه أن لا يكون نبيا، فقال: "وإذ قال موسى لفتاه" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) كما وقع من نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنه جزم بأن يجيبهم غدًا فتأخر الوحي مدة وفرح الأعداء السائلون شامتين/١٢وجيز.

(٣) كذا في الحديث الصحيح/ ١٢وجيز.[أخرج القصة بطولها البخاري في "التفسير"، باب: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما، فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾، (٤٧٢٦)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" باب: من فضائل الخضر (٥/٢٣٠-٢٣٥) ط الشعب.]

نقل أنه حوت مملوح في مكتل وكان في ذاك(*) المجمع نهر ماء الحياة، فوصل إلى الحوت قطرة منه فحيى(**) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾: يوشع[1]، ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾: ما نتغدى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: تعبًا[2] ولم يتعب موسى في سفر غيره فلهذا قيده باسم الإشارة، وعن بعضهم ما تعب إلا بعد مجاوزة المجمع ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: ما دهاني[3] ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: التي في الموضع الموعود ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ﴾ أي: ذكره ﴿إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الضمير[4] ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: سبيلا عجبًا، وهو كالأول ثاني مفعولي اتخذ وقيل: تقديره أعجب عجبًا، قاله يوشع في آخر كلامه تعجبًا ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه فإنه أمارة الظفر بالطلبة[5] ﴿فَارْتَدَّا﴾: رجعا، ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾: طريقها الذي جاء فيه ﴿قَصَصًا﴾: يقصان قصصًا أو حال بمعنى مقتصين ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو خضر وكان مسجى بثوب فسلم موسى عليه فقال: وأنى بأرضك السلم ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ علم الباطن إلهامًا من رحمتنا. قال البغوي وغيره: أكثر أهل العلم على أنه ما كان نبيًا بل

(*) في النسخة (ن): ذلك.

(**) في النسخة (ن): فنجى.

(١) وإنما سمي فتى موسى لأنه كان ملازمًا له يأخذ عنه العلم ويخدمه ويتبعه وهذا وجه إضافته لموسى/ ١٢فتح.

(٢) قيل: سارا بعد الصخرة يومًا وليلة وألقى عليه التعب بعد أن جاوز الموعد/ ١٢ وجيز.

(٣) دهاك: أصابك/ ١٢.

(٤) في أنسانيه/ ١٢.

(٥) من لقاء العبد الصالح/١٢.

كان[1] وليًا[*] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ مما يختص بنا لا يحصل بالكسب ﴿عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ بعد أن قال له الخضر: من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال نعم. ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ أصاحبك ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ حال من مفعول أتبع ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ مفعول تعلمن ومفعول علمت ضمير محذوف عائد إلى ما والصيغتان من علم الذي بمعنى عرف ﴿رُشْدًا﴾ أي: علمًا ذا رشدٍ فحذف المضاف أو مفعول له لأتبعك ولا نقص أن يكون نبي يتعلم من غيره في غير أصول الدين وفروعه فإنه لابد أن يكون أعلم أهل زمانه فيهما لا في غيرهما وقد نقل أنه قال الخضر: كفاك بالتوراة علمًا. فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فجئتك ﴿قَالَ﴾:الخضر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أي: وكيف تصبر وأنت نبي على أمور لم يحط ببواطنها خُبْرُك وظواهرها مناكير، فنصب خبرًا على التمييز أو مصدر؛ لأن "لم تحط" بمعنى لم تخبر ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ

---

(١) في الوجيز: والأصح أنه ولي من أولياء الله باق إلى الآن، وفي المنهية قيل: ملك وقيل: نبي وأما كونه باقيًا إلى الآن، فالنووي وابن الصلاح على ترجيح القول بالبقاء وآثار السلف وواقعات الأولياء تدلان عليه/١٢.

(*) كذا نقل، وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح"، (٦/٥٠٠): "حكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ ونقل عن القرطبي قوله: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء. اهـ. والآية التي أشار إليها في كلامه هي قول الخضر لموسى: "وما فعلته عن أمري" وبها استدل على نبوته. وانظر تفسير القرطبي (٥/٤٠١)، وابن كثير (٣/١٠٠). وقال أبو جعفر ابن المناوي بعدما قرر أن الخضر نبي: أو عقدة تحل من عقد زندقة الصوفية هو أن يكون الخضر نبيا، إذا إنهم يثبتون له بالولاية ويستدلون بذلك أن الولي أرفع درجة من النبي!! فانتبه.

شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾: معك، ﴿ولا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ عطف على صابرا أي: غير عاص أو عطف[1] على ستجدني ﴿قَالَ فَإِن اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾: لا تفاتحني بالسؤال عمَّا صدر عني ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكون أنا الفاتح عليك .

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

---

(١) فلا يكون مقيدا بالمشيئة لفظًا ولهذا قيل: قيد الصبر بالمشيئة فصبر، وأطلق عصيانه فعصاه، حيث قال: لا تسألني فسأل وفيه شبهة فانظر إلى قوله: "ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا"١٢/ وجيز.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿فَانْطَلَقَا﴾: على الساحل يطلبان سفينة **﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾**: عرف أهل السفينة الخضر وحملوهما بغير نول، فأخذ الخضر قدومًا وقلع من ألواح السفينة لوحًا[1] **﴿قَالَ﴾**: موسى، **﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ﴾** قيل: اللام لام العاقبة لا لام التعليل **﴿أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾**: عظيمًا من أَمِرَ الأَمْرُ إذا عظم **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ﴾**: له موسى: **﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾**، ما يحتمل الموصولية والمصدرية يعني نسيت وصيتك ولا مؤاخذة على الناسي، وفي الحديث الصحيح[*] كانت الأولى من موسى نسيانا[2] **﴿وَلا تُرْهِقْنِي﴾**: لا تغشني، **﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾**: بالمؤاخذة على المنسي وعسرا ثاني مفعوليه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه **﴿فَانْطَلَقَا﴾** بعدما خرجا من السفينة **﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا﴾**: يلعب مع الغلمان، وكان أحسنهم **﴿فَقَتَلَهُ﴾**: الخضر بأن أخذ رأسه فاقتلعه، أو ذبحه أو ضرب رأسه بحجر **﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾**: طاهرة من الذنوب فإنه صغير[3] **﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾** أي: لم

---

(١) هكذا منقول في البخاري عن سعيد بن جبير/١٢منه.[البخاري (٤٧٢٥) وقد تقدم قريبا]

(*) سبق تخريج الحديث.

(٢) فالمعاني الأخر في معنى النسيان باطل كقول من قال: إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه وكذا ما قيل المراد بالنسيان الترك/١٢كذا في المنهية والوجيز.

(٣) حكى القرطبي أنه عليه السلام لما قال للخضر هذا غضب الخضر واقتلع كتف الغلام الأيسر وقشر اللحم عنه فإذا في عظمه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدًا/ ١٢وجيز وما =

تقتل نفسًا وجب عليها القتل ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا[1] نُكْرًا﴾: منكرا لما كان هذا أقبح بحسب الظاهر بالغ في إنكاره ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ زاد في هذه المرة لك زيادة لعتابه على رفض وصيته وقلة صبره ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ سؤال اعتراض وإنكار ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ﴾: وجدت، ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾: من قبلي ﴿عُذْرًا﴾: لما خالفتك مرارًا وفي الحديث: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر[2] العجب[*]"، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية، وقيل أيلة ﴿اسْتَطْعَمَا[3] أَهْلَهَا﴾: سألاهم الطعام ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا[4] فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ استعار الإرادة للمداناة والمشارفة، كما استعير الهم والعزم لذلك، يقال: عزم السراج أن يطفأ إذا قرب،

= روى ابن أبي حاتم عن أبي العالية أن الخضر كان عبدًا لا تراه الأعين إلا من أراد الله أن يريه إياه، فلم يره من القوم إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين السفينة وبين قتل الغلام فمخالف للحديث الصحيح" "فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول" الحديث كذا في الفتح/١٢.

(١) قيل النكر: أقل من الإمر، فإن قتل نفس واحدة أهون من إغراق جمع قيل: أنكر من الأول؛ لأن الخرق يمكن سده والقتل لا يتدارك/ ١٢وجيز.

(٢) ذكره ابن جرير وصححه/١٢منه.[سبق تخريج الحديث]

(*) سبق تخريج الحديث.

(٣) أخطأ من استدل بهذه على جواز السؤال كقول بعض الأدباء الذين يسألون الناس:

فإن رددت فما في الرد منقصة   عليّ قد رد موسى قبل والخضر

وقد ثبت في السنة تحريم السؤال بما لا يمكن دفعه/١٢فتح.

(٤) وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالسهم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله سبحانه/١٢وجيز.

وانقض: إذا أسرع سقوطه، ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قال: بيده فأقامه[1] أو هدمه فبناه ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾: أن تأخذ جعلا ﴿لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ والتاء من تخذ أصل كتَبِعَ، وليس من الأخذ يعني: قد علمت أنا جياع حتى افتقرنا إلى المسألة، فما وجدنا مواسيًا فلو أخذت على عملك أجرًا ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ[2]﴾ إشارة إلى الفراق الموعود بقوله: لا تصاحبني كهذا أخي إشارة إلى الأخ، أو إشارة إلى السؤال الثالث أي: هذا الاعتراض سبب فراقنا، أو إشارة إلى الوقت أي: هذا وقت فراقنا، وإضافته إلى البين من إضافة المصدر إلى الظرف للاتساع ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ[3]﴾ قيل: فيه دليل على أن المسكين يطلق أيضًا على ما لا يملك شيئا يكفيه ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾: صالحة جيدة ﴿غَصْبًا﴾ نصب بالحال أو بالمفعول له ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: يغشيهما ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني: يحملهما حبه على متابعته على الفساد والكفر، وفي الحديث: "الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا"[*] ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ

---

(١) قول ابن عباس/ ١٢.

(٢) في الحديث: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو ثبت لقص الله علينا من خبره لكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني". أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم وصححه/١٢فتح.[وقال الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٣٧١): صحيح دون قوله "لكن قال..."]

(٣) والظاهر أنه المراد من المساكين هاهنا هو المسكين في قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين/ ١٢ منه.[صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (١٢٦١)]

(*) جزء من حديث موسى والخضر أخرجاه في الصحيحين، وقد سبق تخريجه، واللفظ هنا لمسلم (٢٣٩/٥) ط الشعب.

﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: يرزقهما بدله ولدًا **﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾**: طهارة وتقوى **﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾**: رحمة وعطفًا على والديه عن كثير من السلف: أبدلهما الله جارية فقيل: تزوجها نبي وولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم(*)، وعن ابن جريج لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم، ونصب رحمًا وزكاة على التمييز **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾** أي: في تلك المدينة **﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾** أي: مال وعن كثير من السلف[1] أنه لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! عجبا لمن آمن بالقدر كيف ينصب؟! عجبًا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب؟! عجبًا لمن أيقن بالحسنات كيف يعقل؟! عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله(•)وفي بعض الروايات: عجبًا لمن عرف النار كيف يضحك؟! وقيل: مكتوب في الجانب الآخر أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير فأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه، وعن بعض السلف أنه كنز علم. قيل لا منافاة بين الأقوال؛ لأن اللوح الذهبي هو مال، وما كتب فيه كنز علم **﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا[2] صَالِحًا﴾**كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجًا، ويعلم منه أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته **﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا**

(*) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٨/٢٧٥).

(١) كابن عباس والحسن البصري وجعفر بن محمد وغيرهم لكن الروايات مختلفة في أن المكتوب هذا الذي نقلناه بتمامه أو بعضه بزيادة ونقصان/١٢منه.

(•) أخرج البزار هذا الأثر في مسنده من حديث أبي ذر مرفوعا بسند فيه مجهولان كما في المجمع للهيثمي (٧/٥٤).

(٢) والظاهر أن أباهما الذي ولدهما، لكن صرح جعفر بن محمد وغيره أن بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء/١٢وجيز.

﴿أَشُدَّهُمَا﴾: حلمهما وكمال رأيهما **﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾** ولو سقط الجدار لتلف الكتر **﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** نصب على المفعول له، **﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾** أي: ما رأيت **﴿عَنْ أَمْرِي﴾**: رأيي واختياري، بل فعلته بأمر الله **﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ**(١)**﴾** أي: تستطع حذف التاء تخفيفًا **﴿عَلَيْهِ صَبْرًا**(٢)**﴾**.

---

(١) ذكر في هنا تسطع بحذف التاء لأن الثاني كالفذلكة والتأكيد للأول فالتخفيف يناسبه، ولما فرغ عن قصة من طاف في الأرض لتحصيل العلم أعقبه بقصة من طاف في الأرض للجهاد، وهي من الأسئلة التي سألها قريش بتعليم اليهود امتحانًا لنبوته وتبكيتا له فقال: "ويسألونك عن ذي القرنين" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) وقد اختلف أهل العلم في حياة الخضر قال ابن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصلحاء والعامة منهم، وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث: أنه مات قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة، ونصره أبو بكر بن العربي بقوله -صلى الله عليه وسلم- في آخر حياته: "لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم" وله ألفاظ عند الشيخين وغيرهما عن جابر وابن عمر، وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر وما أبرد هذا الجواب وأبعده عن الصواب. وأما اجتماعه مع النبي - صلى الله عليه وسلم- وتعزيته لأهل البيت وهم مجتمعون لغسله -صلى الله عليه وسلم- فقال لهم علي: هو الخضر، فقد ذكره ابن عبدالبر في التمهيد وقيل: اجتمع إلياس مع النبي - صلى الله عليه وسلم- وإذا جاز ذلك جاز بقاء الخضر، رواه ابن أبي الدنيا عن أنس وتعقبه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية، وقال: لم يصح من طرقه شيء ولا يثبت اجتماعه مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قصه الله من خبره وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق أهل النقل، وأما ما جاء من المشايخ فهو ما يتعجب منه كيف يجوز العاقل أن يلقى شيخا لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه، وحديث التعزية المتقدم موضوع وفيه ابن محرز متروك وقال مسلم صاحب الصحيح: فلما رأيته كانت بعرة أحب إلى منه، وما روى عن أنس فموضوع أيضًا، وقد نقل تكذيبه عن أحمد ويحيى =

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ
فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ
ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ
إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ
يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ
ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ
وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟
أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ
رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

وإسحاق وأبي زرعة وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من المجازفات. انتهى كلامه ملخصا/١٢فتح.

لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ بعث قريش إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: سلوه عن رجل طاف في الأرض، وعن فتية لا يدرى ما صنعوا، وعن الروح. فنزلت سورة الكهف(*)، والمشهور أنه الإسكندر الرومي، وما يعلم من تاريخ الأرزقي وغيره أنه غيره، وهذا الرومي كان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف، وأما هذا الإسكندر فقد كان في زمن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وطاف بالبيت معه ووزيره الخضر ووجه تسميته أنه كان صفحتا رأسه من نحاس، وقد صح عن علي أنه قال: كان عبدًا ناصح الله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فسمي ذا القرنين[1]، أو لأنه بلغ طرفي الدنيا من حيث تطلع قرنا الشمس وتغرب ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾: أيها السائلون، ﴿مِنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا[2] إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ﴾: أمره، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: بأن تصرف

(*) ذكره محمد بن إسحاق بسند فيه مجهول كما في تفسير ابن كثير، (٣/٧٢،٧٣). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٨٠) إلى ابن جرير وابن إسحاق وابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي كليهما في الدلائل.

(١) قال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك الروم والفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين والله أعلم بصحته/١٢منه.

(٢) يحتمل أن يراد من الذكر القرآن، ويحتمل أن يراد الخبر والحديث ولهذا الأمر مناسب؛ لأنه لما تأخر الوحي وفرح قريش شامتين ناسب أن يقال لهم لا تفرحوا فإني سأتلو عليكم ما يحزنكم ثم يأخذ بتفصيل الحكاية "إنا مكنا له" الآية/ ١٢ وجيز.

فيها كيف[1] شاء ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أراده، ﴿سَبَبًا[2]﴾ وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يوصله إلى المغرب ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس[3] في منظره تغرب في عين ذات حمئة أي: طين أسود، ومن قرأ حامية، أي: حارة والجمع بين القراءتين أن تكون العين جامعة للوصفين ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾: عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ أمة عظيمة من الأمم كفارًا ﴿قُلْنَا[4] يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾: بقتلهم وسبيهم ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: بإرشادهم وتعليمهم الشرائع أو بالمن والفداء؟ أو بأسرهم؛ فإنه إحسان في جنب القتل ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: بأن يصر على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾ إشارة إلى الحشر والبعث ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾: الله في الآخرة ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾: منكرًا لم يعهد مثله ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ أي: فله المثوبة الحسنى، وجزاءً تمييز أو حال أي: مجزيا بها أو تقديره يجزى بها جزاء ومن قرأ برفع جزاء أي فله أن يجازى المثوبة الحسنى وهي الجنة، أو جزاء فعلته الحسنى وهي أعماله الصالحة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا[5]﴾: لا نأمره بالصعب

---

(١) وفي الحديث الذين ملكوا الدنيا أربعة مؤمنان: سليمان، وذو القرنين، وكافران نمرود وبختنصر/ ١٢وجيز. وزاد في الفتح عن القرطبي: سيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: "ليظهره على الدين كله" (التوبة:٣٣)، وهو المهدي/١٢.

(٢) وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل ما يتوصل إلى الغرض/ ١٢وجيز.

(٣) قلنا في منظره؛ لأن الشمس في السماء الرابع، فكيف تغيب في عين كذا؟! وهذا شأن من كل من انتهى إلى ساحل البحر المحيط يراها تغرب فيه/ ١٢منه.

(٤) ظاهره أنه وحي وقيل كلمه كفاحا كما كلم موسى، ويبعد أن يكون إلهاما/ ١٢وجيز.

(٥) لما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاءه لم يناسب أن يذكر جزاء بالفعل بل اقتصر على القول أدبًا مع الله، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه قولا وفعلا/ ١٢وجيز.

الشاق، بل بالسهل المتيسر أي: ذا يسر ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: طريقًا إلى المشرق ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولا، ومن قرأ بفتح اللام فهو بحذف مضاف أي: مكان طلوعها فإن المطلع مصدر ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا﴾: من دون الشمس ﴿سِتْرًا﴾ ليس لهم أبنية تكنهم فإن أرضهم لا تمسك الأبنية ولا أشجار تظلهم، فهم حين طلوع الشمس في أسراب[1] أو في ماء فإذا زالت خرجوا ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: أمره كما وصفنا في رفعته أو أمره كأمره في أهل المغرب[2]، أو صفة قوم أي: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل أي: أهل المغرب أو صفة: مصدر محذوف أي: بلغ مطلعها بلوغًا مثل بلوغه مغربها ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من أسبابه ﴿خُبْرًا﴾: علمًا؛ لأنا أعطيناه ذلك، فيه تكثير ما لديه كأنه بلغ مبلغًا لا يحيط به علم أحد إلا علم الله ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب وهو الشمال ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي: بين الجبلين المبني بينهما السد، وهما جبلان عاليان في أقصى الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج، والصحيح أنهم من أولاد آدم وبين هاهنا مفعول به، فإنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفًا ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ يعني لعجمهم وقلة فطانتهم لا يفهمون كلام أحد، ومن قرأ بضم الياء وكسر القاف أي: لا يفهمون السامع لغرابة لغتهم ﴿قَالُوا يَا ذَا[3] الْقَرْنَيْنِ﴾ عن بعض السلف أنه يعلم جميع الألسنة ﴿إِنَّ

---

(١) هكذا قال الحسين وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج/١٢منه.

(٢) يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم، وقيل كذلك صفة سترا أي: مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأشجار وغيرها/١٢منه.

(٣) هذا دليل على أنه معروف بهذا الاسم بين الخلق لا لما نقلناه، ولا يبعد صحة ما قيل كان في رأسه شبه القرنين والله أعلم/ ١٢وجيز.

﴿يَأْجُوجَ[1] وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: في أرضنا بأنواع المفاسد ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جعلا نخرجه من أموالنا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: فلا يمكن لهم الوصول إلينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾: من المال والملك ﴿خَيْرٌ﴾ من خراجكم لا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: بأيديكم وقوتكم وآلات بنائكم لا بمالكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزًا حصينًا ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ[2]﴾ أي: قطعة، والزبرة: القطعة الكبيرة ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى﴾ أي: فجاءوا بها حتى إذا ساوى ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ الصدفان: جانبا الجبلين؛ لأنهما يتصادفان أي: يتقاربان أي: امتلأ بينهما من زبر الحديد ﴿قَالَ﴾: للعَمَلَة ﴿انْفُخُوا﴾ فإنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾، الضمير للمنفوخ فيه ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار بالإحماء ﴿قَالَ آتُونِي﴾: قطرًا ﴿أُفْرِغْ[3] عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا مذابًا على الحديد المحمي حتى التصق بعضُه ببعض، فحذف مفعول آتوني لدلالة الثاني[4] عليه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف التاء ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه لطوله وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: من أسفله لشدته ﴿قَالَ﴾: ذوالقرنين، ﴿هَذَا﴾ أي: السد ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾: على عباده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ[5] رَبِّي﴾ أي: وقت وعده بقيام الساعة أو بخروجهم ﴿جَعَلَهُ

---

(١) الصحيح أنهما قبيلتان من أولاد آدم قال السدي والضحاك: الترك شرذمة منهم/ ١٢وجيز.

(٢) استدعى مناولة قطع الحديد أي: أحضروا/ ١٢.

(٣) وفي كيفية إفراغ النحاس المذاب على الحديد المحمي الذي هو كالجبل في الطول إشكال بين لم يبينه أحد، ولا يمكن أن يحام حوله وعلمها عند الله سبحانه فلا يغفل/ ١٢وجيز.

(٤) فهو من باب التنازع/ ١٢.

(٥) في الصحيحين أنه عليه السلام استيقظ يومًا من نوم محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق عقد تسعين/١٢منه.[البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٧٢٩/٥) ط الشعب.]

﴿دَكَّاءَ﴾ أي: أرضا مستوية ومن قرأ "دكا" بغير مد يكون مصدرًا بمعنى المفعـــول أي: مدكًا مسوى بالأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا[1]﴾ كائنا البتة ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾أي: بعض يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم فتح السد ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلط بعضـهم ببعض كموج الماء لكثرتهم، أو جعلنا بعض الخلق من الإنس والجن يوم قيام الســـاعة يختلط إنسهم بجنهم حيارى[2]﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إســـرافيل لقيـــام الساعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ : للحساب ﴿وَعَرَضْنَا﴾: أبرزنا وأظهرنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِـذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾: فعاينوها ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاوة، ﴿عَـــنْ ذِكْرِي﴾ عن رؤية آياتي الدالة على توحيدي ﴿وَكَانُوا لا يَسْـــتَطِيعُونَ سَـــمْعًا﴾: لكلامي كأهم أُصمتت مسامعهم بالكلية .

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا
جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ
سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ
ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ

(١) ولما ذكر ذو القرنين وأن سده عند الوعد مدكوك بين تعالى بعض حال ذلـــك اليـــوم فقال: "وتركنا بعضهم يومئذ" الآية/ ١٢.

(٢) وهذا التفسير أليق/ ١٢وجيز.

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿أَفَحَسِبَ﴾ همزة الاستفهام للإنكار ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾: كالملائكة وعيسى أو الشياطين ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: معبودين وثاني مفعولي حسب محذوف للقرينة أي: ظنوا اتخاذهم معبودين نافعًا لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ أي: مترلا أو ما يهيأ للضيف حين نزوله مما حضر، وفيه تنبيه على أن لهم وراءها عذابًا أشد ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز وجمعه لتنوع الأعمال ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾ أي: هم الذين بطل وضاع ﴿سَعْيُهُمْ﴾ أو نصب على الذم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١)﴾: لاعتقادهم أنهم على الحق ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الدالة على توحيده ﴿وَلِقَائِهِ﴾: بالبعث ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بسبب كفرهم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: ليس لهم خطر ولا مقدار ولا اعتبار عند الله ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَهَنَّمُ﴾ عطف بيان للخبر، أو هو خبر وجزاؤهم بدل من المبتدأ أو تقديره: الأمر ذلك والجملة مبينة له ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ ما مصدرية ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أوسط الجنة وأعلاها، ومنه تفجر الأنهار ﴿نُزُلًا﴾ فيه تفسيران كما مر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا(٢)﴾: تحولا إذ لا يتصورون

---

(١) وهذا ينادي بالويل على أهل البدع/ ١٢منه.

(٢) لما ذكر ما أعد للكافرين ذكر ما أعد للمؤمنين بقوله: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات" الآية، ثم لما أتم الجواب عن مسائلهم التي سألوه رجاء عجزه -صلى الله عليه =

منزلا أطيب منها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: مـــاء البحـــر ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ[1]

= وسلم- عن الجواب وأعقبه ببعض أهوال القيامة التي أنكروها أشار إلى أنه عليه السلام مغترف من بحر لا ينفد فمن حام حول نقصه غرق في بحر لا ساحل له من الندم، فقال: "قل لو كان البحر" الآية/ ١٢وجيز.

(١) قوله تعالى: "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي" الآية. فيه أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء وأن كلماته لا نهاية لها وقد قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلما إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء وهو مذهب سلف الأمة، وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام كالهشامية والكرامية، وأصحاب أبي معاذ التومني وزهير البائي، وطوائف غير هؤلاء يقولون: إن الكلام صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حيٍّ وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لابد أن يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم، والكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشيئته، أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟!! وأما الجهمية والمعتزلة فيقولون: ليس له كلام قائم بذاته بل كلامه مخلوق منفصل عنه، والكلابية يقولون: هو متكلم بكلام ليس له عليه قدرة ولا يكون بمشيئته، والأشعرية يقولون: إن الكلام معنى واحد لا يتبعض ولا يتعدد وكل هذه أقوال باطلة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مبتدعَة مبنية على أصل واحد، وهو قولهم: إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية فلا يقوم به كلام ولا فعل باختياره ومشيئته. وهو أصل باطل مخالف للنقل والعقل، والقرآن الكريم يدل على بطلانه في أكثر من مائة موضع، وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب، والصواب في هذا الباب وغيره مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته وأن كلماته لا نهاية لها وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك وإن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن =

﴿رَبِّي﴾: لكلمات علمه وحكمته ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ[1] كَلِمَاتُ[2] رَبِّي﴾ فإن ماء البحر متناه وعلم الله غير متناه ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: بمثل البحر الموجود ﴿مَدَدًا ﴾: زيادة معونة؛ لأن المجموع أيضًا متناه نزلت حين قالت اليهود: إنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك: ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أو لما نزلت: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فنزلت "قل لو كان البحر[*]" الآية ﴿قُلْ إِنَّمَا

= عن مخلوقاته بذاته وصفاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وأن أقوال أهل التعطيل والاتحاد الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات أو الصفات باطلة كذا قاله شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رحمه الله/١٢.

(١) قوله: قبل أن تنفد هو من باب إرخاء العنان وفهم العامة وإلا فالأصل أن يقال لنفد البحر و لم تنفد كلمات ربي/ ١٢وجيز.

(٢) والسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكما شاء وقد قال تعالى "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" فكلمات الله تعالى لا نهاية لها وهذا تسلسل جائز في المستقبل فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية/ ١٢شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام قدس الله روحه العزيز.

(*) أخرجه أحمد والترمذي (٣٣٤٩-أحوزي)، وصححه والنسائي وابن حبان والحاكم وأبو نعيم والبيهقي في دلائلها وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا. وقال الحافظ في "الفتح"، (٢٥٣/٨): رجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه". وكذا صححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٣٠٩)، والذي في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن اليهود لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن =

أَنَا بَشَرٌ[١] مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ خصصت بالوحي وتميزت عنكم به[٢] ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يخاف المصير إليه أو يأمل لقاء الله ورؤيته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ وهو ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ[٣] رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ أي لا يرائي بعمله بل لابد أن يريد به وجه الله وحده لا شريك له.

والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه

= الروح أمسك فلم يرد عليهم شيئا. قال عبد الله: فعلمت أنه يوحى إليه. فقمت مقامي. فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ قال الحافظ في الموضع سالف الذكر محاولا الجمع بين هذا وحديث ابن عباس: "ويمكن الجمع بأن يتعدد الترول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك، وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح".

(١) لا أدعى علم الغيب فيما أخبرتكم من قصة أصحاب الكهف وذي القرنين/ ١٢وجيز.

(٢) خصصت بالوحي وتميزت عنكم به فلولا أن الله أطلعني ما كنت أعرفه، وما أرسلني إليكم إلا لأن توحدوا الله/ ١٢وجيز.

(٣) وقد نقل في سبب نزولها حديث دال على أن ذلك في الشرك الأصغر أعني الرياء/١٢ وجيز.

سورة مريم مكية إلا آية السجدة
وهي ثمان أو تسع وتسعون آية وست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ
بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا
فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ
سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ
ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ
وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن
سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا
﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا
عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿كـــهيعص[1]﴾ عن بعضهم معناه: الله كاف هاد يده فوق الأيدي عالم صـــادق.

---

(١) عن محمد بن الحنفية أنه قال -في جواب سائل سأل عن كهيعص: لو أخبرتك عن تفسيرها لمشيت على الماء /١٢وجيز كما وقع الخلاف في تفسير هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من =

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر لكهيعص، إن كان اسما للسورة، وإلا فتقديره هذا المتلو ذكر رحمة ربك ﴿عَبْدَهُ﴾ مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّا[1] ﴾ بدل، أو عطف بيان ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ والإخفاء في الدعاء أبعد من الرياء[2]، ولأن دعاءه جوف الليل عند نوم أهله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعف،﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾ أي: جنس العظم، والعظام التي هي قوام البدن إذا وهنت مع أنها أصلب ما فيه، فكيف بما وراءها؟! ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه الشيب بلهب[3] نار لا دخان فيه وانتشاره باشتعالها[4]، وأسند إلى الرأس الذي هو مكان الشيب[5] مبالغة، و لم يضف الرأس[6] اكتفاء بعمل المخاطب وأخرج الشيب مميزًا الإيضاح المقصود ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ بل عادتك الاستجابة لي كلما دعوتك فأنت الذي أطمعتني[*] [7] في قبول الدعاء﴿وَإِنِّي خِفْتُ

= بعدهم ولم يصح مرفوعًا في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيئًا فقد روي عن غيره ما يخالفه فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف/١٢فتح.

(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان زكريا نجارا" أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه/١٢فتح.[وقال الشيخ شاكر في "تعليقه على المسند" (٨٩٣٤): إسناده صحيح]

(٢) والإخفاء في الدعاء سنة الأنبياء "ادعوا ربكم تضرعا وخفية" (الأعراف:٥٥)، وفي الحديث: "إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا"١٢وجيز.[البخاري (٦٣٨٤) ومسلم (٥/ ٥٥٤) ط الشعب]

(٣) في بياضه وإنارته /١٢منه.

(٤) وأخرجه مخرج الاستعارة بطرح أداة التشبيه/١٢وجيز.

(٥) فإن الشيب في الشعر والرأس منبته/١٢منه.

(٦) حيث لم يقل رأسي اكتفاء باللام/١٢منه.

(*) في الأصل: أطعمتني والسياق يرجح ما ذكرنا.

(٧) روى أن حاتم الطائي أتاه طالب حاجة وقال أنا الذي أحسنت إلى رحمة كذا فقال حاتم مرحبا بالذي توسل بنا إلينا وقضى/١٢وجيز. في الأصل: أطعمتني والسياق يرجح ما ذكرنا.

﴿الْمَوَالِيَ﴾ بني عمه وعصبته خاف أن لا يحسنوا الخلافة ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي وهو متعلق بمحذوف أي خفت عملهم بعدي ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ : لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ : من محض فضلك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة بحسب العادة ﴿وَلِيًّا﴾ : من صلبي[1] ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ : النبوة والعلم وكان زكريا من ذرية يعقوب وقد ثبت "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة"[2] ولولا أن المراد منه هذه الوراثة الخاصة لكانت تلك الصفة أي: يرثني زائدة لا فائدة فيها إذ الولد يرث أباه في كل[3] شرع ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ :مرضيا عندك وعند خلقك،

---

(١) كما صرح به في سورة آل عمران "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء" (آل عمران:٣٨)/١٢وجيز.

(٢) في الصحيحين/١٢.[أخرجه البخاري في "الفرائض"،باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة، (٦٧٢٦،٦٧٢٧) وفي موضع آخر من صحيحه، ومسلم في "الجهاد"، باب: حكم الفيء، (١٧٥٧) بلفظ: "لا نورث ما تركنا صدقة" وأما اللفظ الذي ذكره المصيف قال عنه الحافظ في "الفتح"، (١٢/ ١٠): "وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: نحن.....وذكره. فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ "نحن"، لكن أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة عنه، وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عيينة وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه. وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق باللفظ المذكور، وأخرجه الطبراني في الأوسط بنحو اللفظ المذكور، وأخرجه الدارقطني في "العلل" من رواية أم هانئ عن فاطمة عليها السلام عن أبي بكر الصديق بلفظ:"إن الأنبياء لا يورثون".

(٣) والأكثرون على موت زكريا قبل يحيى فلا يلزم عدم استجابة دعائه، وقد قال الله في سورة الأنبياء "فاستجبنا له" (الأنبياء:٩٠)، فإن مقصوده من الولد الوراثة فلو لم تكن فالولد كلا ولد فكيف يقول الله تعالى "فاستجبنا له"/١٣وجيز.

﴿يَا زَكَرِيَّا﴾ ، جواب لندائه **﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾** : لم يسم أحدٌ قبله بهذا الاسم[1] أو معناه شبيها **﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي﴾** : من أول عمرها **﴿عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾** : يبسا في المفاصل والعظام كالعود اليابس يقال: عتا العود أي: يبس من أجل الكبر وأصله عتو استثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت، وهذا تعجب منه عليه الصلاة والسلام واستغراب[2] **﴿قَالَ﴾** : الملك المبشر له،**﴿كَذَلِكَ﴾** أي: الأمر كذلك **﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾** أي اتخاذ الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها **﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾** : يسير، **﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا[3] ﴾** ، فإن خلق أصلك آدم وهو معدوم صرف أغرب **﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾** : علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به**﴿قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾** : لا تقدر على التكلم **﴿ثَلاثَ لَيَالٍ﴾** : يعني ثلاثة أيام ولياليها **﴿سَوِيًّا﴾** حال كونك سوى الخلق من غير خرس و بكم فإنه كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم[4] قومه إلا بإشارة **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾** : من المصلى، أو من الغرفة **﴿فَأَوْحَى﴾**: أشار وأومأ **﴿إِلَيْهِمْ﴾** وعن بعضهم كتب لهم في الأرض **﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾** أن مفسرة أو مصدرية **﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** : طرفي النهار والمراد تنزيهه وتحميده أو الصلاة **﴿يَا يَحْيَى﴾** يعني لما وهبنا له قلنا: يا يحيى **﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾** : أي التوراة التي يحكم بها النبيون **﴿بِقُوَّةٍ﴾** : بجد وحرص **﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾** : الفهم والحكمة والنبوة

---

(١) قاله أكثر المفسرين/ ١٢فتح.

(٢) فلا يرد أنه عليه السلام طلب أولا فلما استجيب استبعد وأحال، قيل استعجب ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون/١٢منه.

(٣) في حيز العدم فظاهر هذا أن المعدوم ليس بشيء/١٢وجيز.

(٤) حين حملت زوجته/١٢وجيز.

﴿صَبِيًّا﴾[1] ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ : رحمة وتعطفا من عندنا، وقيل تعطفا منا على أبويه عطف على الحكم ﴿وَزَكَاةً﴾ : طهارة من المعاصي ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ، وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام[2] ما أذنب ولا هم بذنب ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ ، عطف على تقيًّا أي: بارًّا بهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ عاقًّا أو عاصيا لربه ﴿وَسَلَامٌ﴾ : من الله ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أوحش ما يكون الخلق في تلك المواطن الثلاثة فخصه الله تعالى بالسلامة.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً

---

(١) وعن ابن عباس مرفوعًا قال الغلمان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب فقال: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلى، فهو قول الله "وآتيناه الحكم صبيا" أخرجه الحاكم في تاريخه، وعنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيا" أخرجه البيهقي وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفا عليه/١٢فتح.

(٢) ذكره الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكن ضعفه المحدثون وذكره قتادة مرسلا/ ١٢منه ووجيز.[يقصد قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد (١/٢٥٤) من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أوهم بخطيئة ليس يحي بن زكريا" وهذا ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان له منكرات كثيرة كما قال الحافظ ابن كثير في "التفسير" (٣/١١٥).]

مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾
فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ
نَسۡيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا
﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي
وَقَرِّي عَيۡنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ
أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ
شَيۡـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيًّا
﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي
عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ
وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾
ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ
مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ
فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ
لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ
وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا
يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وَاذْكُرْ[١] فِي الْكِتَابِ﴾ : أي القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: قصتها ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت، بدل اشتمال من مريم أو ظرف لقصتها المقدرة ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: شرقي مسجد الأقصى لحيض أصابها، أو لفراغها للعبادة وهو ظرف أو مفعول فإن انتبذت متضمن معنى أتت ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: استترت منهم وتوارت قيل استترت في مقابل شروق الشمس للاغتسال عن الحيض ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ : جبريل[٢] ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا[٣]﴾ أي: على شكل إنسان تام كامل ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ : يا أيها البشر ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تتقي الله، وجواب الشرط محذوف أي: فستنتهي مني بتعوذي، أو فلا تتعرض لي، قيل هو للمبالغة أي: إن كنت تقيًّا فأعوذ منك، فكيف إذا لم تكن تقيًّا متورعًا؟! ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ : لم تصابي مني بسوء، قاله وهو كان في صورة بشر أو عاد إلى هيئته[٤]

---

(١) ولما ذكر قصة زكريا مع ما فيها من الغرابة أعقب بما هو أغرب فقال "واذكر في الكتاب مريم" الآية/١٣وجيز.

(٢) سماه روحنا لأن حياة الدين به قيل هو مجاز عن كمال المحبة، كما يقال أنت روحي/١٢وجيز.

(٣) وما قيل قائله البيضاوي إن ذلك التمثل ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها ففيه نظر لقوله تعالى: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلا عما ذكر من الحالة المرتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلاءها وصبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه/١٢أبو السعود ملخصا.

(٤) وفي الوجيز وأما أنها لما ذكرت الرحمن ارتعد جبريل فزعا وعاد إلى صورته الأصلية وقال أنا رسول ربك فضعيف؛ لأن رؤية جبريل في صورته خاصة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رآه مرتين لم يكن لأحدٍ قبله/١٢وجيز.

الملكية ﴿لأَهَبَ لَكِ غُلامًا﴾ : لأكون سببا في هبته، ﴿زَكِيًّا﴾ : طاهرا، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾ : لم يباشرني ﴿بَشَرٌ﴾ : من الحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: لست بزانية، وهو فعول قلبت الواو وأدغمت ثم كسرت الغين للمناسبة ﴿قَالَ كَذَلِكِ﴾ أي: الأمر كذلك صدقها فيما قالت، ثم ابتدأ وجاز أن يتعلق كذلك "بقال ربك" وقوله "هو علي هين" مفسر ذلك المبهم ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾ أي: وهب غلام من غير أب ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾ ، تقديره: ونفعل ذلك لنجعله أو لنبين قدرتنا ولنجعله ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾ : على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ : على عبادنا لأنه يهديهم[(١)] ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ : في علم الله الأزلي الذي لا يتغير ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في جيبها[(٢)]، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت ومدة حمله تسعة أشهر أو ثمانية[(٣)]، ولهذا لا يعيش ولد لثمانية فيكون آية أخرى أو ساعة ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ أي اعتزلت حال كونها متلبسة بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدا عن الخلق لخوف التهمة عنهم ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ ألجأها: واضطرها ﴿الْمَخَاضُ﴾ : وجع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: لتعتمد عليه عند الولادة، والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثم غيرها متعالم عند الناس،﴿قَالَتْ﴾ : استحياء[(٤)] من الناس ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا﴾ ما من حقه أن يطرح وينسى كالذبح اسم لما من شأنه أن يذبح وبفتح النون

(١) هداهم في فترة ثم يترل زمان قيام الساعة ويقتل الدجال ويؤيد دين المصطفى -صلى الله عليهما وسلم/ ١٢وجيز.

(٢) وظاهر قول الله فنفخنا فيه من روحنا أن النافخ هو الله سبحانه/١٢وجيز.

(٣) وقيل ساعة وهذا التفصيل لا دليل عليه إلا إخبار الأحبار أو آراء الرجال ولو صح من نص صحيح لوجب المصير إليه وكان آية أخرى/١٢فتح البيان.

(٤) ولشدة الوجع ولانفرادها عمن يعينها/١٣وجيز.

لغة فيه﴿مَنسِيًّا﴾ : بحيث لا يخطر ببال أحد،﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ فاعل نادى ضمير جبريل، قيل هو كالقابلة لها أو المراد أسفل من مكانها أي: آخر الوادي أو ضمير عيسى قيل أي: من تحت النخلة﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ أن مصدرية أي: بأن أو بمعنى أي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهرًا أو سيدًا أو هو عيسى من السرو ﴿وَهُزِّي﴾ أميلي، ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الباء زائدة للتأكيد أو بمعنى افعلي الهز به ﴿تُسَاقِطْ﴾ تتساقط النخلة ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز إن كان تساقط من باب التفاعل ومفعول إن كان من المفاعلة ﴿جَنِيًّا﴾ : غضا وكانت تلك النخلة يابسة، فأورقت[1] لتكون آية أخرى تطمئن بها قلبها أو مثمرة لكن لم تكن في حين ثمرها،﴿فَكُلِي﴾ : من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ : من النهر أو عصير الرطب ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ : طيبي نفسك وهو من القرأى: البرودة فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة، أو من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره،﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ : فإن تري ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ : صمتا وكان شريعتهم ترك الطعام والكلام في الصيام ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ : بعد أن أخبرتكم بنذري بل لا أكلم إلا ملائكة الله وأناجي ربي، أو كان الإخبار بالنذر أيضًا بالإشارة، وعن بعضهم لما قال عيسى لأمه: لا تحزني، قالت: كيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج، ولا مملوكة! فأي شيء عذري يا ليتني مت قبل هذا، قال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام قولي إني نذرت للرحمن صوما ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ ، الباء للتعدية، والضمير للولد ﴿قَوْمَهَا﴾، مفعوله الثاني ﴿تَحْمِلُهُ﴾ حال ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ[2] لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ : منكرًا عظيما ﴿يَا

(١) قاله ابن عباس/١٢وجيز.

(٢) اختلف الناس في نبوة مريم فقيل إنها نبية لإرسال الملك إليها وقيل لا والمتفق عليه أن المنفي وهي الرسالة لا مطلق الوحي والوحي هنا ببشارة الولد لا بالرسالة/١٢فتح.

أُخْتَ[1] هَارُونَ﴾ أي: شبيهه في الزهد والتقوى أو كانت من نسله كما يقال للتميمي والمضري يا أخا تميم، ويا أخا مضر، أو نسبت إلى رجل صالح فيهم اسمه هارون(*)، أو رجل فاجر فيهم يقال له هارون[2] ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا[3]﴾ : زانية حتى نقول إنك تابعت في تلك الفاحشة أحد أبويك ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ : إلى عيسى أن كلموه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ كان تامة وصبيا حال أو زائدة والظرف صلة من ﴿قَالَ﴾ عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أقر أولا بالعبودية[4] ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ : الإنجيل جعل ما يأتي بعد في حكم الآتي، أو أنه درس الإنجيل وأحكمها في بطن أمه وقيل: المراد علمني التوراة ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ : في

---

(١) أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهل نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحون قبلهم" وهذا التفسير النبوي يغني عن سائر ما روي عن السلف في ذلك قاله في الفتح/١٢.

(*) وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بنحو هذا وذلك فيما أخرجه مسلم في "الآداب"، (٤/٨٤٦) من حديث المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون: "يا أخت هارون" وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين فيهم".

(٢) حكاه ابن جرير ولم يسم قائله، وهو ضعيف/١٢فتح.

(٣) قيل: لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صلاح بكوا وقالوا ذلك وهموا برجمها فأشارت إليه الآية/١٢وجيز.

(٤) ردًّا لوهم ما سيقوله النصارى في شأنه/١٢وجيز.

سابق علمه أو هو نبي حينئذ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا[1]﴾ : معلما للخير ﴿أَيْنَمَا كُنْتُ﴾ : حيث كنت ﴿وَأَوْصَانِي﴾ : أمرني ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ[2]﴾ : زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا﴾ عطف على مباركًا أي: بارًا أو منصوب بفعل بمعنى أوصاني وهو كلفني،﴿بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا[3]﴾ : مستكبرا عن عبادة الله وبر والدتي ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ : فلا ينالني شيطان[4]،﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ فأنجاني من سوء الخاتمة ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ : فليس لي هول ﴿ذَلِكَ﴾ : الذي وصفنله هو ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ : لا ما تصفه النصارى ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ أي: هو قول الحق الذي لا ريب فيه، فالإضافة بيانية أو الحق هو الله تعالى أو خبر ثاني لذلك، ومن قرأ بنصب قول جعله مصدرا مؤكدا ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فبعضهم يقولون إنه لزنية[5] ساحر وبعضهم إنه ابن الله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لجناب قدسه ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يناسبه خلقه ولا يحتاج إلى ولد يعضده ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ عطف على إني عبد الله وهو من مقول عيسى ومن قرأ أن بالفتح فتقديره ولأن أو عطف على

---

(١) نفاعا ولما جرت العادة أن العوام يتشاءمون من شيء يقع على خلاف مجرى العادة قال "جعلني مباركًا"/١٢وجيز.

(٢) الظاهر أن يحمل الصلاة والزكاة على ما شرع من شريعتهم في البدن والمال/١٢ وجيز.

(٣) وكان عليه الصلاة والسلام في نهاية التواضع يلبس الشعر، ويأكل الشجر ويجلس على التراب، وينام حيث جنه الليل لا مسكن له/١٢وجيز.

(٤) كما ورد في الحديث/١٢ وجيز.

(٥) زنية حرام زاده نقيض رشدة بمعنى حلال زاده /١٢كذا في الصراح.

الصلاة ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ : طريق مشهود له بالاستقامة ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾: أهل الكتاب، أو النصارى فإن فيهم ثلاث فرق ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ من بين الناس، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهود هول يوم عظيم، أي: يوم القيامة أو من وقت الشهود، أو مكان الشهود فيه وهو الموقف﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أسمعَهم وأبصرَهم في ذلك اليوم لكن لا ينفعهم سمعهم حينئذ ولا بصرهم وحاصله أن كمال بصارتهم واستماعهم في ذلك اليوم جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ أوقع المظهر موقع المضمر لأن يسميهم ظالما ﴿الْيَوْمَ﴾ : في الدنيا ﴿فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ فيقولون إنه ابن الله، أو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يتحسر المسيء على الإساءة، والمحسن على قلة الإحسان﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ : فرغ من الحساب، وذبح الموت بدل من اليوم أو ظرف للحسرة﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أنذرهم حال كونهم غافلين عن غير مؤمنين﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ : يبقى له الملكية وتزول الملكية غيره ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَاذْكُرْ[1] فِي الْكِتَابِ﴾: لهؤلاء الذين هم من ذرية إبراهيم، ويدّعون أنهم على ملته ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ : كيف نهى أباه عن عبادة الأصنام ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ : ملازما للصدق بليغا فيه ﴿نَبِيًّا إِذْ قَالَ﴾ بدل من إبراهيم ﴿لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ﴾ دعائك ﴿وَلا يُبْصِرُ﴾ عبادتك ﴿وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا[2]﴾ : من المكاره ﴿يَا أَبَتِ﴾

(١) ولما ذكر قصة مريم وزكريا أتبعه قصة إبراهيم لمناسبة، ولتذكير العرب الذين يدعون أنهم على ملته، وهم يعبدون الأصنام فقال: "واذكر في الكتاب إبراهيم"/١٢وجيز.

(٢) في جلب نفع ودفع ضرر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب، حيث لم يصرح بضلاله طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام؛ وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقدرا على النفع والضرر، ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد المقدرة الواجبة فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر؟! ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محفوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي، فقال: "يا أبت إني قد جاءني" الآية، و لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق، ثم ثبط عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان؛ لأنه الآمر به فقال: "يا أبت لا تعبد الشيطان" إلخ وبين وجه الضر بأنه مستعصٍ على ربك المولى للنعم كلها ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص
=

كرره للاستعطاف ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ : وإن كنت من صلبك أصغر منك سنا ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ : مستقيما ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ : ومطاوع العاصي عاص ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ يصيبك ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ : على شركك وعصيانك ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ : قريبا مصاحبا لمن هو أعدا عدوك وأبغض الخلق إلى الله وذكر الخوف ونكر العذاب لحسن الأدب حيث لم يصرح بأن العذاب لاحق به ﴿قَالَ﴾ : أبوه ﴿أَرَاغِبٌ[1] أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ، قابل استعطافه بالغلظة حيث سماه باسمه و لم يقل يا ولدي وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بهمزة الإنكار، ثم أوعده بأقبح وعيد فقال: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾: عن مقالتك أو عن الرغبة عنها ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾ : بلساني أي أشتمك جزاء سبك آلهتي، وقيل بالحجارة حتى تموت ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ ، عطف على مقدر أي: فاحذرني واهجرني ﴿مَلِيًّا[2]﴾ زمانا[3] طويلا

= وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره إليه فقال: "يا أبت إني أخاف أن يمسك" الآية/١٢ بيضاوي.

(١) والأولى أن نقول: راغب مبتدع لاعتماده على أداة الاستفهام، وأنت فاعل ساد مسد الخبر فلا يكون فصل بين العامل وهو راغب ومعموله وهو عن آلهتي بأجنبي وهو أنت/ ١٢وجيز.

(٢) ومنه الملوان أي الليل والنهار تقديره احذرني حتى لأرجمنك واهجرني مدة مديدة و هذا التقدير في غاية المناسبة لفظا ومعنى مع أن عطف الإنشائية على الخبرية جائز عند سيبويه فيجوز عطف واهجرني على جملة لئن لم تنته فيكون كلاهما من مقبول أبيه/١٢وجيز.

(٣) هذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم، والثاني للسدي والضحاك وقتادة ومالك وغيرهم، واختاره ابن جرير يعني مليا قادرا بالذهاب عني يقال مليء بكذا إذا كان مطيقا له/١٣منه.

أو سويا سالما قبل أن يصيبك مني مكروه﴿قَالَ﴾ : إبراهيم ﴿سَلامٌ[1] عَلَيْكَ﴾ : سلمت بعد مني لا أقول لك ما يؤذيك وهذا جواب الجاهل "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" (الفرقان:٦٣)، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ رجاء أن يوفقك للتوبة[2]، فتؤمن أو كان يستغفر له أولا ثم رجع عنه كما قال تعالى: "فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه" (التوبة:١١٤)، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ بليغا في البر واللطف ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ[3] وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : أفارقكم وأفارق دينكم ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾: أعبده وحده ﴿عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ كما شقيتم أنتم بعبادة آلهتكم فضاع سعيكم صدره بعسى تنبيها على أن الإجابة فضل غير واجب والحكم على الخاتمة وهي غيب ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهاجر إلى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ : بدل والده وقومه ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ : ابنه إسحق وابن ابنه يعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَكُلا﴾ : منهما ﴿جَعَلْنَا﴾ أي: جعلناه ﴿نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ ، وهي النبوة والمال والرفعة وغيرها ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الثناء الحسن، فإن جميع الملل يثنون عليهم ويمدحونهم وعبر باللسان عما يوجد به كما تطلق اليد على العطية وأضاف بالصدق دلالة على أنهم أحقاء بتلك الثناء ووصف بالعلو إشعارا على أن لمحامدهم إعلاء في الأمصار على تباعد الأعصار.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ

---

(١) هذا سلام متاركة كما ورد/١٢وجيز.

(٢) وقضاء لحق الأبوة/١٢وجيز.

(٣) ثم امتثله وهاجر عنه إلى الشام بعد أن قال: "وأعتزلكم" الآية /١٢.

هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ
رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ
مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ
مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ
وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا
تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ
عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ
فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي
نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا
وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام أي: أخلصه الله ونجاه وبكسر اللام أي خاليا عن الرياء أو مخلصا نفسه عما سواه **﴿وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾**: أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن أمره ونهيه **﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾**: من ناحيته التي يلي يمين موسى، وقيل من اليمن لا من اليمين **﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾** من النجو وهو الارتفاع فإنه رفعه فوق السماوات حتى سمع صرير القلم، فهو حال من المفعول أو من النجوى أي مناجيا **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾**: من أجل رحمتنا له **﴿أَخَاهُ﴾** أي: معاضدته **﴿هَارُونَ﴾** عطف بيان **﴿نَبِيًّا﴾** إجابة لدعوته "واجعل لي وزيرا

من أهلي" (طه:٢٩)، وهارون أكبر[١] سنا منه منصوب على الحال **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾** قد نقل أنه أقام حولا في مكان ينتظر أحدًا لوعده و أيضا قال لأبيه "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" (الصافات:١٠٢)، أي: على الذبح فوفى بوعده وفي الجملة هو مشتهر بهذه الجميلة **﴿وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾**، من قال: إن الرسول من يكون له شريعة مجددة والنبي أعم ففيه إشكال فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته ومن قال: الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يأتيه الوحي في المنام فلا إشكال **﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ﴾** كما قال: "وأمر أهلك بالصلاة" (طه:١٣٢)، وقال سبحانه: "قوا أنفسكم وأهليكم نارا" (التحريم:٦)، وفي الحديث[٢] "إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" **﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾** لحسن شيمه **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾** : السماء الرابعة[٣] أو السادسة[٤]

---

(١) يعني لما كان هارون أكبر سنا من موسى فلا معنى لوهبه له إلا وهب معاضدته وموازرته كما صرح به ابن عباس/١٢منه.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه/١٢منه.[أخرجه أبو داود (١٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٣٥) واللفظ له وغيرهما من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معا، وصحح سنده الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١١٦١)، وصحيح ابن ماجه (١٠٩٨)، وصحيح الجامع (٣٣٣)].

(٣) قول أنس بن مالك يرفعه/١٢منه.

(٤) هذا قول ابن عباس والضحاك بن مزاحم وعن مجاهد أنه رفع و لم يمت كما رفع عيسى قيل المكان العلي النبوة، والزلفى عند الله هذا ما في المنهية وفي الفتح وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الإسراء، وفيه ومنهم إدريس في الثانية وهو غلط من رواية شريك بن عبدالله بن أبي نمر والصحيح أنه في السماء الرابعة كما رواه مسلم في =

ومات فيها أو إلى الجنة[1] ﴿أُولَئِكَ﴾ : الأنبياء المذكورون في تلك السورة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ : نعما ظاهرة وباطنة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ ، بيان للموصول ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ بدل منه بإعادة الجار﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: ومن ذرية من حملنا مع نوح[2] من سفينته سوى إدريس فإنه جد نوح فهو من ذرية آدم وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ عطف على إبراهيم فموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل لا إسحاق وإسماعيل﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي هديناه إلى الحق ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ للنبوة ﴿إِذَا تُتْلَى﴾ ، ظرف لخروا وهو خبر لأولئك إذا جعلت الذين صفته وإن جعلته خبره فهو استئناف ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا﴾ : سقطوا ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَبُكِيًّا﴾ ، جمع باك ﴿فَخَلَفَ[3] مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ خلفه أي: عقبه وخلف بسكون اللام عَقِب السوء وبفتحها عقب الخير ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ[4]﴾ : تركوها أو أخروا عن وقتها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ مالوا إلى زخارف

= صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن شيث بن آدم وهو أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من أعطى النبوة من بني آدم وأول من خط بالقلم ونظر في النجوم والحساب وأول من خاط الثياب وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار/١٢فتح.

(١) قول الحسن/١٢.

(٢) لأنه من ذرية سام بن نوح/١٣.

(٣) ولما مدح الله سبحانه هؤلاء الأنبياء بهذه الصفات ترغيبا لغيرهم في الاقتداء بهم وسلوك طريقتهم ذكر أضدادهم تنفيرًا للناس عن طريقتهم فقال: "فخلف" الآية/١٢ فتح.

(٤) واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل في اليهود وقيل في النصارى، وقيل في قوم من أمة محمد -صلى الله عليه وسلمَ- يأتون في آخر الزمان وقال بالأولين السدي وقال بالثالث =

الدنيا وهم اليهود والنصارى، وعن بعضهم أنهم من هذه الأمة في آخر الزمان **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾** : شرا وخسرانا أو هو واد في جهنم يسيل فيها صديد[1] أهل النار **﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾** ، هذا يدل على أن الآية في الكفرة إلا عند من يقول: تارك الصلاة كافر وعليه كثير من السلف **﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾** : بنقص جزاء أعمالهم فشيئا إما مصدر أو مفعول بمعنى لا ينقصون ولا يمنعون شيئا من جزاء أعمالهم **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** بدل من الجنة بدل البعض، والعدن علم، ولذلك جاز أن يكون بدلا من المعرفة وجاز وصفها بقوله: **﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾** أي: وهي غائبة عنهم لم يروها **﴿إِنَّهُ﴾** : إن الله **﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾** : مفعول لا بمعنى فاعل؛ فإن الوعد هو الجنة وهم يأتونها **﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾** : ما لا طائل تحته، **﴿إِلا سَلامًا﴾** استثناء منقطع وهو سلام الملائكة أو بعضهم بعضًا، وقيل السلام الدعاء بالسلامة، والدعاء بها في الجنة من باب[2] اللغو نعم فائدته الإكرام **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** لا فيها ليل ونهار لكن على التقدير[3] وعن بعضهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب وقيل المراد الدوام[4] **﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ**

= مجاهد ولفظه: هم من هذه الأمة يتراكبون في الطرق كما تراكب الأنعام لا يستحيون من الناس ولا يخافون من الله في السماء/١٣فتح.

(١) قاله عبدالله بن مسعود، ونقل ابن جرير فيه حديثا لكن قال ابن كثير رفعه منكر وهو حديث غريب/ ١٢منه وجيز.

(٢) لأن السلامة متحققة فيها/١٢.

(٣) هكذا قال ابن عباس/١٢.

(٤) كما تقول: أنا على بابك صباحا ومساء/١٢.

﴿كَانَ تَقِيًّا﴾ : الوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك فإنه لا فسخ ولا رجوع فيه قيل: أورثوا المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا(١)**﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ(٢) إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾** أبطأ جبريل النزول مدة فقال رسول الله عليهما السلام ما نزلت حتى ظن المشركون كل ظن فأوحى إلى جبريل أن قل له "وما نتنزل"(*) الآية وقد(٣) ورد أن جبريل قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟! **﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾** أي: أمر الدنيا وأمر الآخرة وما بين النفختين أو الأرض والسماء والهواء(٤) أي: جميع الأزمان أو الأماكن له لا تنتقل في زمان دون زمان أو مكان إلى مكان إلا بأمره**﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾** : تاركا(٥) لك مودعا إياك كما زعمت المشركون **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا**

---

(١) وفيه حديث معتمد /١٢وجيز.

(٢) لما حكى قصة زكريا التي دلت على كمال قدرته وقصة مريم وما يعقبها التي هي أدل على أن لا يتخلف مراده عن إرادته أعقب ذلك حكاية قول جبريل الدال على أن القوة بتمامها لله سبحانه وفيه تسلية قلب نبيه كما أن في تلك الحكايات سيما في مقاولة إبراهيم مع أبيه أن أباه كيف أغلظ على ولده الذي راعى الأدب تسلية لخاطره الأشرف عما وجد من خلف اتبعوا الشهوات، فقال: "وما نتنزل" الآية/١٢وجيز

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (١٣١/٣) عن مجاهد مرسلا.

(٣) رواه الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-/ ١٢منه.[أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلا. كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٠٢/٤)].

(٤) يعني المراد مما بين أيدينا الدنيا أو الأرض ومما خلفنا الآخرة أو السماء ومما بين ذلك ما بين النفختين أو الهواء وكل من التفسيرين قول كثير من السلف/١٣منه.

(٥) تاركا لك مودعا إياك كما زعم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات عن ابن عباس أنه أبطأ جبريل نزوله مدة فشكا إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنزل "وما نتنزل

=

﴿بَيْنَهُمَا﴾، بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ ، عدى باللام[1] لتضمنه معنى الثبات أي: اثبت لها ولا يضق صدرك عن احتباس الوحي وشماتة المشركين ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا[2]﴾: مثلا وشبها فلا محيص عن عبادته والصبر على مشاقها وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- ليس أحد يسمى الرحمن غيره، وعن بعضهم هل تعلم أحدا يسمى الله غيره[3]؟

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم

= إلا بأمر ربك" الآية هذا ما في الوجيز وفي الفتح أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال: ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا "وما كان ربك نسيا".

(١) ولم يقل واصطبر على عبادته/ ١٢.

(٢) كذا قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغير واحد/ ١٢.

(٣) ولما ذكر وتم الحكايات الدالة على شمول علمه وقدرته لاسيما في إيجاد بشر تارة من التراب وتارة من ذكر وأنثى في حكم العدم وتارة من أنثى بلا ذكر أعقب من أمر الإنسان على التعجب فقال: "ويقول الإنسان" الآية/١٢ وجيز.

مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ
مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا
وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾
كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا
فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ
بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ حرف التعريف للجنس، فإنه إذا قال قائل منهم ذلك صح إسناده إلى جميعهم كما يقال بنو فلان فعلوا، والفاعل أحدهم أوْ للعهد أي: منكرو الحشر ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ﴾ ما زائدة للتأكيد ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ واللام لمجرد التأكيد ليس فيها معنى الحال والعامل في إذا فعل دل عليه "أخرج"؛ لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها والمراد من الخروج الخروج من الأرض، أو حال الفناء ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ : لا يتفكر ﴿الإِنْسَانُ﴾ عطف على يقول، والهمزة بين المعطوفين ليدل على أن المنكر العجيب هو المعطوف فإنه لو تأمل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك أي: لو تأمل النشأة الأولى حيث أخرجنا الجواهر والأعراض من العدم وأوقعنا تلك التأليف المشحون بأنواع الحكم اختراعا من غير حذو على مثال له ينكر النشأة الثانية ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ قسم باسمه الأعلى مضاف إلى أشرف مخاطب ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ[1]﴾ الواو

---

(١) لو كان المراد من الإنسان منكري الحشر كما ذكرنا ففي رجع الضمير لنحشرنهم لا إشكال بوجه/١٢منه.

مفعول معه أو للعطف والضمير المفعول لجنس الإنسان فإنه إذا حشر الجميع حشرًا واحـــدًا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد صدق أن الكل محشورون[١] معهم ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّـهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ : قعودا على الركب على المعتاد في مواقف التقاول كما قـــال تعـــالى "وترى كل أمة جاثية"[الجاثية:٢٨] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ : أمةٍ شـــاعت دينـــا ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ : غيا وفسادا أي: قادهم ورؤساؤهم في الشـــــر أو يبدأ بالأفسق فالأفسق، فيطرح في جهنم وأيهم مرفوع بالابتداء استفهامي وخبره أشـد، والجملة محكية أي لنترعن الذين يقال فيهم أيهم أشد أو مبني على الضم لحـــذف[٢] صـــدر صلته و"على الرحمن" للبيان لا متعلق بعتيا؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليـــــه أو معلـــق بأشد أي: عتوهم أشد عليه كما يقال: هو أشد على خصمه ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُـمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ أي: احتراقا "وبها" للبيان أو ظرف لأولى أي: صليـــهم أولى بالنـــار يعني نترع الرؤساء، ونعلم أهم أحق بتضعيف العذاب أو نبدأ بـــــالأعصى فـــالأعصى ونقدم الأولى فالأولى بالعذاب وجاء بثم لتأخره في الإخبار، ولأن حاصله طرحـــهم في النار على الترتيب وهو متأخر عن الترع ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ أي: منكم أحد ﴿إِلا وَارِدُهَـا﴾ : داخلها يدخل النار بر وفاجر وتكون على المؤمنين بردا وسلاما وكثير من الســـــلف[٣] على أن الورود هو الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها، وعـــن بعضهـــم[٤] الورود

(١) هذا إشارة إلى ما يقال إذا جعلت الشياطين مفعولا معه لا يستقيم لأن حشر الكل ليس مـــع الشياطين إلا أن يكون الضمير للكفرة فأجاب بأن الضمير للجنس والمعنى مستقيم/١٢منه.

(٢) أي هو أشد/١٢.

(٣) كأنس وأبي هريرة وأبي سعيد وجابر وغيرهم وفيه أحاديث صحاح/١٢منه.

(٤) عن ابن عباس – رضى الله عنه – قد يرد الشيء و لم يدخله نحو "ولما ورد ماء مديـــــن" (القصص:٢٣)، ويقال وردت القافلة البلد و لم تدخله وقد صح عن كثير من الســـــلف وفيه حديث رواه الترمذي والإمام أحمد أن المراد من الورود الدخول يدخل النار كل بر وفاجر وتكون على المؤمنين بردا وسلاما/ ١٢وجيز.

الحضور والرؤية لا الدخول وقد ورد أنه -عليه السلام- عاد رجلا من أصحابه وَعِكًـا، ثم قال: "إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة"(*) وعن مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار ﴿كَانَ﴾ : الورود ﴿عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا﴾: واجبا أوجبه على نفسه أو قسمًا واجبًا ﴿مَقْضِيًّا﴾ : قضاه الله عليكم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ : عن النار ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ : الشرك ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ : الكافرين ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ جميعا جمع جثوة أو على الركب جمع جاث ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ : واضحات المعاني والبرهان حال مؤكدة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: معهم، ولأجلهم ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾ : منا(**) ومنكم خير ﴿مَقَامًا﴾ : مكانا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ : مجلسا يعني لما سمعوا آيات الله أعرضوا عنها واستدلوا على فضلهم وشرفهم بزيادة حظهم حطام الدنيا فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ : متاع البيت ﴿وَرِئْيًا﴾ : منظرًا أو هيئة فلم ينفعهم، ولن يدفعهم عذاب الله تعالى، وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وهم أحسن في محل النصب صفة كم وأثاثا ورئيا تمييز عن النسبة ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ الشرك ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ : يدعه ويمهله في طغيانه استدراجا وهو خبر بلفظ الأمر إشعارا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة(١) وقيل هذا دعاء ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ : في الدنيا كالأسر والقتل ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ : القيامة

(*) أخرجه أحمد (٢/٤٤٠)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم (١/٣٤٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، ووافقهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة .

(**) بالأصل مما .

(١) حاصله من كان في الضلالة فلا عذر له فقد أمهله الرحمن ومد في عمره ومن قال: إنه دعاء فيكون هذا إظهاراً العدم بقاء عذر بعد هذا البيان الواضح فهو على أسلوب ربنا ليضلوا عن سبيلك والوجه الأول أوفق.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ : فئة وناصرًا وحتى غاية المد أي: هم في الاستدراج ممدود لهم الغواية إلى أن يأتيهم وعد الله أو غاية قول الكفار أي: الفريقين خير، أي: لا يزالون يقولون ذلك إلى أن يشاهد الموعود ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ : إيقانا على يقينهم عطف على الجملة الشرطية أي "من كان في الضلالة"إلخ وحاصله أن الله يزيد في ضلال الضالين، ويزيد هداية المهتدين﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الأذكار والأعمال الصالحة التي يبقى أثرها﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ : من مفاخرات الكفار ﴿ثَوَابًا﴾ : جزاء ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا[(١)]﴾ مرجعا، وهذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء أي: أبلغ في حره من الشتاء في برده﴿أَفَرَأَيْتَ﴾[(٢)] أي: أخبر بقصة ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ : عقب حديث أولئك﴿وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾، وذلك حين تقاضى خباب دينا له على عاص بن وائل، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة، ومن كل الثمرات قال: بلى. قال: فإذن موعدك الآخرة أوفيك فيها

---

(١) لما ذكر الدلائل أولا: على صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعنا في القول بالحشر فقال: "أفرأيت الذي كفر بآياتنا" الآية/١٢كبير.

(٢) عن مسروق عن خباب قال: كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد قلت لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك قال إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فأنزل الله "أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا"، رواه البخاري في صحيحه وقع هذا الحديث في تفسير سورة كهيعص.[أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ (٤٧٣٢)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفة القيامة والجنة والنار"، باب: بيان قول الله تعالى: "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"(العلق:٦،٧)، (٦٦٣/٥) ط الشعب.]

فوالله لأوتين مالا وولدا ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ : أعلم علم الغيب حتى عرف أنه في الجنة ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ : أن سيؤتيه ذلك وعن بعضهم معناه أم قال لا إله إلا الله فيرجو بها ﴿كَلا﴾ ردع وردٌّ لما تصوره ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ : نحفظها عليه ونجازيه البتة فالسين لمجرد التأكيد، أو معناه سنظهر له أنا كتبنا، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: نطيل مدة عذابه أو نزيده عذابا فوق العذاب من المدد ﴿وَنَرِثُهُ﴾ أي: نرث منه ولا نرزقه ﴿مَا يَقُولُ﴾ : من مال[1] وولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ : يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ : لا مال له ولا ولد ﴿وَاتَّخَذُوا﴾[2] أي: مشركو قريش ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ : يعبدونها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ : ليتعززوا بهم حيث يكونون[3] لهم شفعاء عند الله ﴿كَلا﴾ ، ردع لتعززهم بها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يجحد الآلهة عبادة المشركين كما قال تعالى: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون" (القصص:٦٣)، أو سينكر الكفرة عبادة الأوثان كما قال الله تعالى: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام:٢٣)، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أعداء كما نقل أنهم يقولون: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك وتوحيد ضدا لأنهم كشيء واحد

(١) أي ما كان له في الدنيا.

(٢) ولما أخبر أن هذا الكافر مآله الذل اتبعه بما يستنجد الآلهة بعبادتهم، فقال: "واتخذوا من دون الله" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) يعني عبدوا الملائكة والأنبياء والصالحين ليشفعوا لهم فكانت عبادتهم إياهم وإشراكهم به الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا وشفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وكثير من أهل الضلال يظن أن الشفاعة تنال بهذه الأمور التي فيها شرك كما ظن ذلك المشركون وكما يظنه النصارى ومن ضل من المنتسبين إلى الإسلام يدعون غير الله ويحجون إلى قبره أو مكانه وينذرون له ويحلفون به ويظنون أنه بهذا يشفع لهم فبين تعالى: أنهم يكونون لهم أعداء على أبلغ الوجوه قاله ابن تيمية/١٢.

لفرط توافقهم في العداوة كما يقال هم يد على من سواهم، أو ضمير يكونون للكفرة وضمير عليهم للآلهة .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ
عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾
وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟
لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾
وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ
وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ
أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

﴿أَلَمْ[(١)] **تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** : سلطناهم عليهم **﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾** الأز، والهز التحريك أي: تحركهم وتحثهم على المعاصي **﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾** : بطلب عقوبتهم حتى تطهر الأرض من دنسهم **﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾** : أيام آجالهم وأنفاسهم **﴿عَدًّا﴾** أي: لم يبق إلا أيام محصورة معدودة **﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ﴾**

---

(١) ولما أنكر أن يكون لهم العز وأثبت ذلهم أعقب ذلك بما يوجب ذلهم فقال: "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين" الآية/١٢وجيز.

منصوب بمقدر وهو اذكر أو تقديره يوم نحشر ونسوق نفعل بهم ما لا يحيط به الوصف، أو بلا يملكون ﴿وَفْدًا[1]﴾ : وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ : كما يساق البهائم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ : عطاشا؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ : كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض ﴿إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ استثناء منقطع أي: لكن من اتخذ عهدا هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها له الشفاعة، أو ضمير لا يملكون للفريقين والاستثناء المتصل بدل من الضمير ﴿وَقَالُوا[2] اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾: عجيبا أو عظيما منكرًا أو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى ولتنبيهٍ على عظيم قولهم ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ : يشققن ﴿مِنْهُ﴾ من ذلك القول ﴿وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا[3]﴾ أي: تهد هدا أي: تنكسر وتسقط ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أي: لأن أو بدل من ضمير منه والدعاء بمعنى التسمية وترك مفعوله الأول للعموم والإحاطة بكل ما دعى له ولدا أو بمعنى النسبة وفي اختصاص الرحمن أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وجميع ما معهم فمن أضاف إليه ولدا من نعمه فقد جعله كبعض خلقه ونعمه فحينئذ لا يستحق اسم

---

(١) قال على وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة: هم راكبون على النجائب والمجرمون راجلون وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا مرفوعا عن علي رضي الله عنه وأرضاه/١٢منه.

(٢) ولما رد على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولدا فقال: "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا" الآية/١٢كبير.

(٣) عن ابن عباس أن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق سوى الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمته الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين/١٢منه.

الرحمن ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يتأتى له اتخاذه لأن الولادة لا مقال في أنه محح وإما التبني فلا يكون إلا في مجانس وأين للقديم الرحمن مجانس[1]؟! ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا[2]﴾ أي: ما منهم إلا وهو مملوك له يأوى إليه بالعبودية ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ : حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّاوَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ : منفردا عن الأتباع والأنصار كعبد ذليل ﴿إِنَّ[3] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ : سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض للأسباب التي يكتسب بها الناس موادات(*) القلوب وقد[4] صح "إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادى في السماء ثم يترل له المحبة في أهل الأرض فذلك قوله تعالى: "سيجعل له الرحمن ودا" ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي يسرنا القرآن عليك حال كونه مترلا

---

(١) ولا يبعد أن يقال إن التبني يصدر عمن يصلح أن يكون له ولد و قد عجز عن تحصيله للكبر أو للعقم أو لمثل ذلك فإثبات التبني لله سبحانه أقبح مثل إثبات الولد له تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا كذا في الوجيز/ ١٢.

(٢) المراد ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة والناس إلا وهو يأتي الرحمن أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة والأول أولى لأنه لا تخصيص فيه/ ١٢ كبير.

(٣) ولما رد على أصناف الكفر وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال: "إن الذين آمنوا" الآية/ ١٢ كبير.

(*) وفي النسخة (ن): مَوَدَّات.

(٤) رواه مسلم والترمذي/ ١٢ وجيز.[أخرجه مسلم في "البر والصلة"، باب: إذا أحب الله عبدا وضع له القبول في الأرض (٥/ ٤٩٠) ط الشعب.]

بلغتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ أشداء الخصومة بالباطل ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ تخويف لهم، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ : هل تشعر بأحد منهم وتراه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ[1] رِكْزًا﴾ : صوتا خفيًّا اللهم اجعلنا من الوافدين إلى الرحمن لا من الواردين إلى النيران.

(١) قال الحسن: بادوا جميعا، فلم يبق منهم عين ولا أثر نقله البغوي/ ١٢.

سورة طه مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون آية وثماني ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾
تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ
﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن
تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ
ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا
نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا
تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا
تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ
غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ
حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ
ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿طه﴾ عن كثير من السلف[1] أن معناه يا رجل بالعبرانية، وعن بعض[2] أنه عليه السلام إذا صلى في التهجد قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله طه أي طاء[3] الأرض بقدميك فقلبت همزته هاء. ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ : لتتعب، لما نزل القرآن قام هو عليه السلام وأصحابه واجتهدوا في القراءة والعبادة، فقال المشركون: ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت﴿إِلا تَذْكِرَةً﴾ أي: لكن تذكيرا فنصبه على الاستثناء المنقطع، وقيل علة لفعل محذوف، أي: وما أنزلناه إلا للتذكير والموعظة، وقيل مصدر في موقع الحال من الكاف أو من القرآن ﴿لِمَن يَّخْشَى﴾ : لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالإنذار ﴿تَنْزِيلا﴾ أي: نزل تنزيلا أو مفعول به ليخشى، أي: لمن يخشى تنزيل الله، ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع العُليك أي: الرفيعة و"مِنْ" صلة تنزيلا[4] أو صفة له والالتفات للتعظيم. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ[5]

---

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وهو المروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد من الصحابة والتابعين/١٢منه. وفي الفتح وإذا تقرر أنها لهذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة المعنى واضح الدلالة خارجة عن فواتح السور التي هي من المتشابهات/١٢.

(٢) نقله قاضي عياض في كتاب الشفاء عن الربيع بن أنس/١٢منه.

(٣) والأظهر أنه من الحروف المقطعة نحو يس وق/١٢وجيز.

(٤) الظاهر أنه إخبار من الله عن نفسه وباقي التأويلات بعيد/١٢وجيز.

(٥) قال في كتاب العرش: قال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني في مصنفه مصنف حلية الأولياء في الاعتقاد الذي جمعه: هي طريقتنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة ومما اعتقدوه أن الله لم يزل بجميع صفاته القديمة لا يحول ولا يزول إلى أن قال: إن الأحاديث التي تثبت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه، وذكر السلف واعتقادهم وإجماعهم على ذلك انتهى.

=

اسْتَوَى[1]﴾ هو مبتدأ مشار بلامه إلى من خلق وعلى العرش استوى خبره أو تقديره هو الرحمن، وعلى العرش استوى إما خبر ثان أو تقديره هو على العرش استوى، سئل الشافعي عن الاستواء فأجاب: آمنت بلا تشبيه، واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك.﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا**

= وأيضا فيه وقال الإمام الزاهد أبو عبدالله بن بطة العكبرى في كتاب الإبانة تأليفه باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه: وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فأما قوله: وهو معكم فهو كما قالت العلماء علمه انتهى وأيضا فيه، نقلا عن حافظ المغرب ابن عبد البر - رحمه الله: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" (المجادلة:٧)، هو على العرش وعلمه بكل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله انتهى، وهكذا نقل عنه هذا الإجماع في الحموية/١٢، وفي كتاب العرش عن الإمام أبي بكر الحافظ الذي نقله(*) الأجري في كتاب الشريعة له: فإن قال قائل: ايش يكون معنى قوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم"؟! الآية التي احتجوا بها قيل له: علمه والله عز وجل على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العلم والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه فهذا قول المسلمين انتهى.

وفيه عن عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة الذي قال فيه البخاري: ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ولا رأى عثمان مثل نفسه من كتاب النقض على بشر المريسي له: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى بكماله فوق عرشه فوق سماواته، وقال: أيضًا في موضع آخر من الكتاب قال أهل السنة: إن الله بكماله فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش لا يخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء انتهى/١٢.

(*) زيادة اقتضاها السياق.

(١) قال محمد بن جرير في تفسير قوله: "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي علا وارتفع نقله الذهبي عنه في كتاب العرش/١٢.

﴿تَحْتَ الثَّرَى﴾ : ما تحت سبع أرضين وعن بعضهم هو صخرة تحت الأرض السابعة﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ أي: بذكر الله ودعائه ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي: فاعلم أنه غني عن جهرك، فإنه يعلم ما تسر في نفسك وأخفى منه، وهو ما لم تحدث به نفسك بعد، أو ما أسر الرجل إلى غيره وأخفى منه، وهو ما أسر في نفسه فيكون نهيًا عن الجهر، كما قال تعالى: "واذكر ربك في نفسك" (الأعراف:٢٠٥)، أو معنله، يعلم السر وأخفى منه فكيف ما تجهر به فحينئذ حاصله أنزل من خلق السماوات والأرض القرآنَ ويعلم السر والجهر﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تأنيث الأحسن.

﴿وَهَلْ[١] أَتَاكَ﴾ : يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ : قفّاه بقصته، ليأتم به في تحمل أعباء الرسالة والصبر على الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل﴿إِذْ رَأَى﴾ مفعول لاذكر أو ظرف للحديث ﴿نَارًا[٢]﴾ : في طريق مصر حيث استأذن شعيبًا في الرجوع إلى مصر لزيارة الوالدة، فخرج بأهله فأضل الطريق في ليلة مظلمة باردة فرأى من جانب الطور نارًا ﴿فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ : أقيموا مكانكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾: أبصرت إبصارا بيّنا ﴿نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾: بشعلة منها ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ

---

(١) ولما ذكر تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليأتسي به في تحمل أعباء النبوة والصبر على الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل، فقال "وهل أتاك" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما قضى موسى أكمل الأجلين استأذن شعيبا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فخرج بأهله وماله وكان أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل فسار في برية لا يعرفها، فألجاه البرد إلى جانب الطور في ليلة مظلمة مثلجة وأخذ امرأته الطلق وأقدح زنده فلم يور/١٢وجيز طلق دردزه.

﴿هُدًى﴾ : هاديًا يهديني إلى الطريق ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي: النار[1] ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾ : من قرأ بكسر إن فبإضمار القول أو بإجراء النداء مجرى القول، ومن قرأ بالفتح فتقديره نودي بأني ﴿أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾، فإنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ، أو أمر بالخلع تعظيما للوادي. ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ، عطف بيان، إن كان اسمًا للوادي وقيل معناه مرتين كثنى فهو مصدر لنودي أو المقدس، وقيل تقديره واطو الأرض بقدميك طوى فهو مصدر كهدى﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: اصطفيتك للنبوة، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ : إليك، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، بدل مما يوحى، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ : لتذكرني أو عند ذكرك لي، يعني عند ذكر الصلاة، ففي الحديث: "إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: "أقم الصلاة لذكري"[*]. ﴿إِنَّ[2] السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ : لا محالة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن نفسي أي: وقتها فهو مبالغة[3] في الإخفاء، وفي مصحف أبيّ وابن مسعود أكاد أخفيها من نفسي، وفي بعض القراءات فكيف أظهرها لكم أو أريد إخفاء وقتها أو أكاد أظهرها فالهمزة للسلب، في بعض القراءات أخفيها بفتح الهمزة أي

---

(١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- رأى نارا مضطرمة في شجرة خضراء، كلما قرب منها تباعدت فإذا أدبر تبعه وأيقن أن ذلك سر خارق للعادة، فصار متحيرا وسمع من جانب السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة/١٢وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "مواقيت الصلاة"، باب: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها... ومسلم في "المساجد وموضع الصلاة"، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، (٢/٣٢٤-٣٢٦) ط الشعب.

(٢) لما أمره بالعبادة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث إشارة إلى الجزاء، فقال: "إن الساعة آتية" الآية/١٢وجيز.

(٣) كما تقول: كتمت سرك عن نفسي/١٢منه.

أظهرها، وقيل أخفيها فلا أقول هي آتية ولولا ما في الإخبار من اللطف لما أخبرت به **﴿لِتُجْزَى﴾** متعلق بآتية **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾**: تعمل **﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾**: عن التصديق بالساعة **﴿مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا﴾** يعني كن شديد الشكيمة حتى لا يؤثر فيك أقوال الكفرة واعتقاداتهم فنهى الكافر والمراد نهيه أن ينصد عنها **﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾**: خالف أمر الله **﴿فَتَرْدَى﴾**: فتهلك منصوب على جواب النهي.

﴿وَمَا تِلْكَ﴾ ، الحكمة في السؤال تنبيهه وتيقظه ليرى ما فيه من العجائب **﴿بِيَمِينِكَ﴾** حال من معنى الإشارة، أو صلة لتلك، وهي اسم موصول. **﴿يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾** : أعتمد **﴿عَلَيْهَا﴾** : عند المشي والإعياء **﴿وَأَهُشُّ﴾** : أخبط الورق عن الشجر **﴿بِهَا عَلَى﴾** رؤوس. **﴿غَنَمِي﴾** : تأكله ، **﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾**: حاجات، **﴿أُخْرَى[1]﴾**: كحمل الماء والزاد بها. قيل: لما أمره الله بخلع النعلين وتركهما تصور عند هذا السؤال إنكار التمسك بها، وأمره بالرفض فبسط الكلام، وقال: أنا محتاج إليها غاية الاحتياج، وعن وهب لما قال الله ألقها ظن موسى أنه يقول ارفضها. **﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ[2] خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾** أي: نردها عصى كما كانت، منصوب بنزع الخافض، أي: إلى سيرتها، أو

---

(١) قال الشوكاني: قد وقفت على مصنف في مجلد لطيف في منافع العصا لبعض المتأخرين، وذكر فيه أخبارًا وأشعارًا وفوائد لطيفة ونكتا رشيقة، وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام والآيات الجسام ما أمن به من كيس السحرة، ومعرة المعاندين، واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته، وكان ابن مسعود صاحب عصا النبيﷺ وعترته، وكان يخطب بالقضيب وكذا الخلفاء من بعده، وكان عادة العرب العرباء أخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب/١٢فتح.

(٢) أمره بالإقدام على أخذها، ونهاه عن الخوف الذي يلحق البشر عند رؤية مثل ذلك سيما عند إمساكه/١٢وجيز.

ظرف، أي: في طريقتها ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: إلى جنبك تحت العضد. ﴿تَخْرُجْ﴾ ، حال كونها ﴿بَيْضَاءَ﴾ : لها شعاع كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ : كبرص صلة لبيضاء. ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ ، حال ﴿لِنُرِيَكَ﴾ أي: فعلنا ذلك لنريك، أو تقديره خذ آية أخرى. لنريك فلا تكون آية على هذا حالا. ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ، ثاني مفعولي نريك. ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ[1]﴾ : وادعه إلى التوحيد ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ : عصى وتكبر .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾
ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا
يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ
تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ
سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ
لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا

(١) خص فرعون، وإن كان مبعوثا إلى الكل لأنه رئيس الضلال وهم تبع/١٢وجيز.

رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا
قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ
فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا
يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ ﴾

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ : أفسح ربي قلبي لتحمل أعباء النبوة. ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ : سهل عليّ أهم الكلام أولا، وعلم أن ثمه مشروحا وميسرا، ثم رفع الإبهام بصدري وأمري ففيه تأكيد ومبالغة. ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ هو في صغره كان يومًا في حجر فرعون فأخذ لحيته ولطمه فتشاءم به وأراد قتله، فقالت امرأته: أنه لا يعرف ولا يعقل ونمتحنه، فقربوا إليه جمرتين ولؤلؤتين فتناول جمرتين ووضعهما في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة وأصابه اللثغ، وعن بعض السلف[1] سأل حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك لأعطى، ولذلك بقى في لسانه شيء من الرتة، ومنها قال فرعون: "ولا يكاد يبين" (الزخرف:٥٢)﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ : يفهموه هو جواب الأمر ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾ مفعولاه إما وزيرا أو هارون قدم ثانيها للعناية به أولى ووزيرًا وهارون عطف بيان للوزير، أو وزيرا ومن أهلى وأخي

---

(١) هو ابن عباس/١٢منه.

على وجه بدل من هارون أو عطف[1] بيان آخر ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ : ظهري أو قوتي[2]. ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ : في الرسالة ومن قرأ أشْدُد وأُشْركه بلفظ الخبر فهما جواب الأمر ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ، فإن التعاون يؤدي إلى تكاثر الخير ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا﴾ : بأحوالنا ﴿بَصِيرًا﴾ ، فأعطنا ما هو الأصلح لنا.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ[3]﴾ : مسئولك ﴿يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ : بالإنعام، ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ : في وقت آخر ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا[4]﴾ : ألهمنا ﴿إِلَى أُمِّكَ﴾ وقيل: أوحى إليها ملكا لا على وجه النبوة، أو على لسان نبي في وقتها﴿مَا يُوحَى﴾ : ما لا يعلم إلا بالوحي ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ : بأن ألقيه وضعيه. ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ : بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ جعل البحر كأنه ذو تمييز فأمره وأخرج الجواب مخرج الأمر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ[5]﴾ جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة. ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ : كائنة ﴿مِنِّي﴾ قد ركزها في القلوب، يحبك كل من يراك، أو منى ظرف لألقيت، أي: أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ : لتربى ويحسن إليك بمرأى، ومنظر مني كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، تقديره ليتعطف[*] عليك ولتصنع ، أو تقديره ولتصنع فعلت ذلك ﴿إِذْ تَمْشِي﴾ ظرف

---

(١) إنه أشهر من وزير وهو عطف بيان له/١٢.

(٢) أزر فلانا أي قواه/١٢.

(٣) كالخبز بمعنى المخبوز/١٢.

(٤) والمراد بالوحي إما مجرد الإلهام لأمه واسمها يوحانذ قاله السيوطي في شرح النقاية، أو في النوم بأن أراها ذلك، أو على لسان ملك/١٢.

(٥) والأولى أن الضمائر كلها إلى موسى فإنه هو المحدث عنه، والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل، وإن كان هو التابوت بالذات إلا أن المقصود الأصلي موسى/١٢منه.

(*) في النسخة (ن): ليتلطف.

لألقيت أو لتصنع بدل من إذ أوحينا على أن المراد به وقت متسع ﴿أُخْتُكَ﴾ : مـــريم ﴿فَتَقُولُ﴾ : حين ألقاه النيل إلى الساحل وأخذه فرعون وأحبه وكان لا يقبل ثـــدي أحد من المراضع كما قال تعالى: "وحرمنا عليه المراضع من قبل" (القصص:١٢). ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ : فجاءت بأمك فقبلت ثديها. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَـــيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ : بلقياك وقد مر اشتقاقه في سورة مريم ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ : هي بفراقك قيـل أي: لا تحزن أنت على فراقها، قد ذكر أن أمه اتخذت تابوتا ووضعته فيه، فأرسـلته في النيل وأمسكته بحبل، وكانت ترضعه في الليالي ثم ترسله في النيل، لأنه قد ولد في سـنة أمر فرعون بقتل الغلمان المولود فيها، فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت من يدها فذهب به البحر فاغتمت، وذهب به النيل إلى دار فرعون فالتقطـــه آل فرعـون﴿وَقَتَلْـتَ نَفْسًا[١]﴾ أي: القبطي الذي استغاثه على الإسرائيلي ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ : بأن غفر الله لك، وأمنك من القتل. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا[*]﴾: ابتليناك ابتلاء أو جمع فتن يعني ضروبا من الفتنة، وهي ما وقع عليه من الواقعات[٢] قبل النبوة ﴿فَلَبِثْتَ﴾ : مكثت ﴿سِـنِينَ﴾

---

(١) وكان عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشر سنة واغتم خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون/١٢وجيز.

(*) أخرج الإمام النسائي في "تفسيره"، (٢/٤١-٦٢) حديثا طويلا جدا يسمى بحديـث الفتون أسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا بسند صحيح، وانظر تفسير ابـن كثير (٣/١٤٩)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٥٣٠).

(٢) أولها: إن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاءه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتلـــه، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا، فكان ابن عبـاس - رضي الله عنهما- يقص القصة على سعيد بن جبير - رضي الله عنه- نقله البغـــوي في تفسيره/ ١٢.

أي: عشر سنين ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ : منزل شعيب -عليه السلام-(*) على ثمان مراحل من مصر. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ : على رأس أربعين سنة وهو القدر[1] الذي يوحى فيه الأنبياء أو قدر قدرته في علمي ﴿يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: إخترتك لرسالتي وأمري تمثيل لكمال قربه ووفور حبه ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ : معجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ : ولا تقصرا ولا تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾، يعني لا تنسياني[2] وقيل لا تقصرا في تبليغ ذكري ورسالتي ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ : تكبر، أمره بالذهاب وحده أولا حيث قال: اذهب إلى فرعون وثانيًا: مع أخيه ﴿فَقُولَا[3] لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ : فلا تعنفا في قولكما كي لا تأخذه أنفة ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ : يذعن للحق ﴿أَوْ يَخْشَى﴾: أن يكون الأمر كما تصفان فيجر إنكاره إلى هلاكه يعني: اذهبا على رجائكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ترتب الفائدة على سعيه فيجتهد بطوقه، قيل قبل النصح أولا ثم أضله هامان ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ : أن يعجل علينا بالعقوبة[4] ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ : يجاوز الحد في الإساءة علينا أو فيك ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾: بالحفظ والعون ﴿أَسْمَعُ﴾ : ما يجري بينكم ﴿وَأَرَى﴾: لست بغافل عنكما ﴿فَأْتِيَاهُ﴾: فأتياه مكثا في بابه حينًا طويلا قيل: سنتين حتى أذن لهما ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ

(*) في القطع بأن صالح مدين هو شعيب النبي عليه السلام نظر يأتي تحقيقه في تفسير سورة القصص.

(١) نقله البغوي عن عبد الرحمن بن كيسان، وقال هو معنى قول أكثر المفسرين/١٢.

(٢) كما وعدت كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرا/ ١٢وجيز.

(٣) وعن ابن مسعود قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون قال: رب أي شيء أقول؟ قال: قل هياشراحيا قال الأعمش تفسير ذلك الحي قبل كل شيء، والحي بعد كل شيء. وجود السيوطي إسناده وسبقه إلى تجويد إسناده ابن كثير في تفسيره،١٢فتح.

(٤) مِنْ فرط أي سبق ومنه الفارط/١٢منه.

فَأَرْسِلْ[1] مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ[2]﴾ : خل عنهم وأطلقهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالأعمال الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ : ببرهان ومعجزة على رسالتنا ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: السلامة من عذاب الله عليه ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ : الرسل ﴿وَتَوَلَّى[3]﴾ : وأعرض عنهم، ومن لين المقال أنه ما قال: إن العذاب عليك إن كذبت وتوليت ﴿قَالَ﴾: بعدما أتياه، وقالا ما أُمرا به ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ، خص موسى بالنداء لأنه المتكلم، أو لأنه عرف أنه الأصل وهارون ممده، أو لما علم أن له رتة، ولهارون فصاحة حمله خبثه على ذلك﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾: صورته وشكله اللائق به ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ : هداه إلى منافعه وأعطى كل حيوان نظيره وزوجه ثم هداه كيف يأتي الذكر الأنثى، وقيل أي: أوجد الأشياء وقدر الأرزاق والآجال والأعمال، ثم الخلائق ماشون على قدر لا يقدر أحد عن الخروج منه، كما قال: "والذي قدر فهدى" (الأعلى:٣)، وقيل أي: أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى استعماله وعلى هذا خلقه مفعوله الأول، ولما كان الجواب بليغًا جامعًا مفحمًا بهت فلم ير إلا صرف الكلام عن الطريق الأول ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ : ما حالهم مع أن أكثرهم عابدو الأصنام. ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ : أعمالهم محفوظة عنده ﴿فِي كِتَابٍ﴾ : اللوح المحفوظ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ : لا يخطئ شيئًا. ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ : ولا يذهب عنه ويجازيهم أو لا يضل ربي الكافر حتى ينتقم منه ولا ينسى الموحد حتى يجازيه[4] أو لما سأل عن سعادتهم وشقاوتهم

---

(١) وذكر في غير هذه الآية دعاءه إلى الإيمان أولا/ ١٢وجيز.

(٢) فإنهم في أيدي القبط كالعبيد والإماء يستعملونهم بأي وجه يشتهون/١٢منه.

(٣) قال ابن عباس: هذه أرجى آية في القرآن فإن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب/١٢وجيز.

(٤) قاله ابن عباس/ ١٢وجيز.

أحال علمه إلى الله فكأنه قال: لا أعلم حالهم ﴿الَّذِي[1] جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾: كالمهد ، ﴿وَسَلَكَ﴾ : حصل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ : تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي : المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ قيل: تم كلام موسى وهذا من كلام الله، وقيل: من تمام كلام موسى لكن عدل إلى التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيهًا على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته، وإيذانًا بأنه مطاع تذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، ويمكن أن يكون كلام موسى، فأخرج بصيغة الغيبة لكن لما حكى الله قوله حكاه لفظا بلفظ حتى انتهى إلى قوله: "فاخرجنا" غير الأسلوب إلى التكلم تنبيهًا على عظم قدره، وأنه أمر لا يدخل تحت قدرة غيره ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ : مفترقات(*) جمع شتيت والنبات مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع فلهذا جاز وصفه بشتى التي هي جمع وقيل شتى صفة أزواجًا ﴿كُلُوا﴾ أي: فأخرجنا قائلين كلوا ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ أي كلوا أنتم من النبات وأسرحوا أنعامكم[2] فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ[3] لأُولِي النُّهَى﴾ ذوي العقول الناهية عن القبائح .

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

---

(١) ثم إن كلام موسى قد تم عند قوله: "ولا ينسى"، وقوله: "الذي جعل" من كلام الله نبه على قدرته ووحدانيته، فأخبر عن نفسه مخاطبًا لنبيه عادلا عن الغيبة للإيذان بأنه مطاع لا يمتنع شيء عن إرادته، نحو: "وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء" (الأنعام:٩٩)، وهذا هو الأوجه الأبلغ/ ١٢وجيز.

(*) في النسخة (ن): متفرقات.

(٢) معناه الإباحة والإذن/١٢منه.

(٣) أشار إلى جعل الأرض مهدًا وسلوك سبلها، وإنزال الماء وإخراج النبات/ ١٢وجيز.

يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ
نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ
ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾
فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ
أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾
فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟
يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ
خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ
مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ
فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ
لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ
رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا

قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿مِنْهَا[1]﴾ : من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ : فإن أب الكل منها وعن بعض الملك يأخذ من تراب الأرض الذي قدر أن يدفن فيها فيذره على النطفة فيخلق منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ : بالموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ : يوم البعث ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ أي : الآيات التي ظهرت على يد موسى ﴿فَكَذَّبَ﴾ : الآيات وقال إنها سحر، ﴿وَأَبَى﴾ : قبولها ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى[2]﴾ : فيبقى لك ديارنا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ : مثل سحرك ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ اسم مكان أو زمان ﴿لا نُخْلِفُهُ﴾ جعل المكان أو الزمان مخلفًا على الاتساع كيوم شهدناه ﴿نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا﴾ بدل من الموعد على الأول، وظرف للانخلفه على الثاني، وقيل مفعول أول لاجعل ﴿سُوًى﴾ منصفًا يستوي مسافته

(١) أخرج أحمد والحاكم عن أبي أمامة قال: لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في القبر قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم : "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله"، وفي حديث في السنن "أنه أخذ قبضة من التراب وألقاها في القبر وقال: منها خلقناكم ثم أخرى، وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى، وقال: ومنها نخرجكم تارة أخرى"/ ١٢فتح.[الحديث سكت عنه الحاكم في "المستدرك" (٣٧٩/٢) وقال الذهبي: خبر واه علي بن يزيد متروك]

(٢) هذا كلام اضطراب إذ علم أنه الحق، وذكر علة المجيء وهي إخراجهم من أرضهم، ولاشك لأحد أن ساحرًا لا يقدر على إخراج ملك من أرضه؛ لكن ألقى هذه العلة ليصير قومهم الجاهلون متعصبين له إذ الإخراج من الوطن شاق جعله الله تعالى مساويا للقتل، كما قال: "اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم" (النساء:٦٦)، مع أنه لا يطلب منهم إلا الإيمان/١٢وجيز.

إلينا وإليك أو عدلا أو مستوىً يتبين الناس وما فيه فيه،﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾: يوم عيد لهم، وعن ابن عباس —رضي الله عنه— يوم عاشوراء إذا كان الموعد اسم زمان فهو ظاهر، وأما إن كان اسم مكان فهو كما تقول يوم عرفة في جواب أين أراك؟ أي: في عرفة فإن له مكانا معينًا معروفا ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ ، عطف على اليوم والزينة ﴿ضُحًى﴾ : في وقت الضحوة جهارًا في محضر الخلائق ليتضح الحق على رءوس الأشهاد ويشتهر،﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ هو كما تقول ذهب يفعل كذا أي شرع فيه ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكاد به من السحرة وآلاتها ﴿ثُمَّ أَتَى﴾: الموعد ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ : للسحرة ﴿مُوسَى﴾ وفي عددهم اختلاف كثير قيل سبعون رجلا، وقيل ثمانون ألفا، أو ثلاثون أو تسعة عشر ألفا، أو خمسة عشر ألفا، أو اثنا عشر ألفا ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، بأن تخيلوا للناس ما لا حقيقة له، فتقولوا إنه مخلوق لله وأن تدعوا معجزاته سحرًا أو تدعوا له ندا ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ : يستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾ : خسر ﴿مَنِ افْتَرَى﴾ : على الله ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تشاجر السحرة سرًّا من فرعون في أمرهم فقائل منهم يقول ليس هذا بساحر إنما هو كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى[1]﴾ أي: تناجوا فيما بينهم ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ ، تفسير لأسروا النجوى وهذا من اسم إن لغة من يجعل التثنية غير مختلف في الرفع والنصب والجر، أو تقديره أنه هذان لساحران﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ : بملككم وعيشكم الذي أنتم فيه أو بأشراف قومكم أو بدينكم الذي هو أمثل الأديان، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: أحكموا واعزموا كلكم على كيدهما مجتمعين لهما ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ : مصطفين فإنه أهيب في عين الرائين، وهذا قول بعض السحرة لبعضهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ : فاز

(١) خيفة من فرعون، عن ابن عباس نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه/١٢وجيز.

من غلب، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ ، بعدما جمعوا كيدهم وأتوا، ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ : عصاك أولا، ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ، ما بعد أن منصوب بمحذوف أي: اختر إلقاءك أو إلقاءنا أو مرفوع أي: الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ ، قيل: لما علم ميلهم إلى البدء أمرهم به وليشعر علية تغيير نظمهم عن إما أن تلقي إلى أو أن نكون أول من ألقى ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ ، إذا للمفاجأة أي: فألقوا فإذا حبالهم ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ ، جمع عصى ﴿يُخَيَّلُ[1] إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ، وتحريكها ما كان إلا بحيلة وحاصل الكلام فألقوا ففاجأ موسى تخيله وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم ومن قرأ تخيل بالتاء فقوله: أنها تسعى بدل اشتمال من ضميره الراجع إلى الحبال والعصى قيل لطخوا بالزئبق فلما ضربت عليهما الشمس اضطربت. ﴿فَأَوْجَسَ﴾ : أضمر ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ : من أن يلتبس الأمر على القوم فلا يتبعونه وقيل من : طبع البشرية ظن أنها تقصده﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ ، وهذا مشعر ومؤيد للوجه الأول، وإلا فالمناسب أن يقال لا تخف إنك آمن ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ لم يقل عصاك تحقيرًا لها أي العويدة التي في يدك ولا تبال بعصيهم ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع جواب الأمر وقراءة تلقف بالرفع أي: تتلقف فبالحال أو الاستئناف. ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أي: إن الذي زوروا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ ، وحد الساحر لأن المراد به الجنس، وقراءة سِحْرٍ كعِلْمُ فِقْهٍ بأن الإضافة للبيان أو جعل الساحر سحر للمبالغة ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ : حيث كان ﴿فَأُلْقِيَ[2] السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾

---

(١) ولما كان المتبادر من نسبة السعي والمشي إلى شيء أنه مختار مريد نفى عنه السعي إلا بالتخيل/١٢.

(٢) قال صاحب الكشاف: سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الالتفات/١٢فتح.

أي: ألقى موسى عصاه فتلقفت فألقى ذلك السحرة على وجوههم ساجدين لله ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾، وعن بعض لما سجدوا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: لموسى واللام لتضمين معنى الاتباع ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ : في اتباعه ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ : أستاذكم ﴿الَّذِي[1] عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: مختلفات من اليد اليمنى ومن الرجل اليسرى، ومن للابتداء، فإن القطع ناشئ من مخالفة العضو العضو. أي: من وضع المخالفة فقد لابس المخالفة أيضًا وقيل من أجل خلاف ظهر منكم ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها شبه تمكن المصلوب بالجذوع بيتمكن المظروف بالظرف، فقال: في جذوع ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾: أنا أو موسى وأراد به الهزء فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل أينا أي: أنا أو رب موسى الذي آمنتم به ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ : نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا﴾ الضمير لما ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ : المعجزات ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ ، عطف على ما جاءنا وقيل قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: قاضيه يعني اصنع ما تصنع ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما لك تسلط في دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ[2]﴾ أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرائيل، وأمر بتعليم

---

(١) فإنه حين رأى ما رأى من المعجزة، ورأى قد آمن من استنصر به بحضرة الناس، شرع في المكابرة والبهت يقول: يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه كذب مختلق ثم هددهم فقال: "فلأقطعن" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) إكراهه إياهم على معارضة موسى مع علمهم أنه ليس بساحر فإنهم لما رأو أن عصاه يحرسه وهو نائم قالوا لفرعون إنه ليس بساحر، فأبى إلا المعارضة، وليس في القرآن ما يدل على أنه أنفذ وعيده فيهم، بل الظاهر أن الله سلمهم منه، قال تعالى: "أنتما ومن اتبعكما الغالبون" (القصص:٣٥)، هذا ما في الوجيز قال أبو السعود: قال =

السحر لهم كارهين، وهم الذين قالوا ذلك، وقيل لما رأى السحرة عصاه يحرس موسى وهو نائم قالوا لفرعون: إن هذا ليس بساحر فأبى إلا المعارضة **﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾** : جزاءً أو لنا منك **﴿وَأَبْقَى﴾** عقابا أو لنا فإنك فان. **﴿إِنَّهُ﴾** الضمير للشأن **﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾** : بأن يموت كافرًا **﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا﴾** : فيستريح **﴿وَلا يَحْيَى﴾** : حياة مرضية وهذه الجملة إما من تمام قول السحرة وإما ابتداء كلام من الله، وفي مسلم[1] وغيره وإما أناس تصيبهم النار بذنوبهم، وليسوا من أهلها فيميتهم إماتة حتى يصيروا فحمًا يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم نهرًا يقال له الحياة فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل. **﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾** وفي مسند أحمد والترمذي: قال عليه السلام: "في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة"[*]. **﴿جَنَّاتُ**

= المفسرون: وليس في القرآن أن فرعون فعل بالسحرة ما هددهم به ولم يثبت في الأخبار أيضًا/١٢.

(١) أخرج أحمد ومسلم وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب فأتى على هذه الآية فقال: "أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا أهلها فإن النار تميتهم إماتة ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر (الجماعات) على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل" /١٢فتح.[أخرجه أحمد (٣١٦/٥) والترمذي (٢٦٦٤)، والبيهقي في "السنن الكبرى"، (١٥/٩) وغيرهم. وصححه الحاكم (٨٠/١) وأقره الذهبي، وهو كما قالا، وانظر صحيح الترمذي (٢٠٥٦)، والسلسلة الصحيحة .]

(*) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/ ٤٤٥،٤٤٦). ط الشعب.

عَدْنٍ﴾ ، بدل من الدرجات ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ : تطهر من أدناس المعاصي.

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ﴾ ، أن مفسرة أو مصدرية ﴿بِعِبَادِي﴾ : من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾ : اتخذ واجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾ : بأن تضرب البحر بعصاك

﴿يَبَسًا﴾ أي: طريقًا يابسًا ﴿لا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي: من أن يدركك فرعون حال من ضمير فاضرب، أو صفة ثانية لطريقًا، أي: طريقًا لا تخاف فيه ﴿وَلا تَخْشَى﴾، من قرأ لا تخف بالجزم[1] فلا تخشى إما استئناف، أي: وأنت لا تخشى، أو عطف على لا تخف والألف زائدة للفاصلة كالظنونا ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ حين أسرى موسى ببني إسرائيل من مصر، وثاني مفعوليه محذوف، أي: أتبعهم فرعون نفسه متلبسا بجنوده أو الياء صلة، أي: أتبعهم جنوده وقيل أتبع بمعنى[2] اتبع ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ : في هذا الإبهام من التفخيم ما لا يخفى ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ : رد عليه حيث قال: "وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" (غافر:٢٩) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، خطاب لهم بعد إهلاك فرعون على إضمار قلنا ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ[3] مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ[4]﴾ لمناجاة نبيكم، وإنزال التوراة عليكم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ شيء مثل الترنجبين من السماء ينزل عليهم ﴿وَالسَّلْوَى﴾ : طائر يسقط عليهم فيأخذون بقدر الحاجة، وذلك في التيه ﴿كُلُوا﴾ أي: قائلين كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ : من لذائذه أو حلالاته ﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ : بأن تكفروا نعمتي فتنفقوا في معصيتي ولم تشكروا ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ : يلزمكم، ومن قرأ يَحُلّ فمعناه ينزل ﴿غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ[5] عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: هلك، وعن ابن

---

(١) على أنه جواب الأمر/ ١٢منه.

(٢) والباء حينئذ للتعدية، والقراءة باتبع يؤيده/١٢منه.

(٣) ذكر سبحانه ما أنعم به على بني إسرائيل بعد إنجائهم وفي هذا الترتيب غاية الحسن حيث قدم تذكير نعمة الإنجاء ثم النعمة الدينية ثم النعمة الدنيوية/١٢فتح.

(٤) من قرأ الأيمن بالجر فهو من جر الجوار نحو: "جحرُ ضبٍّ خربٍ"/ ١٢منه.

(٥) يحلل بكسر اللام من حل الدين إذا وجب وحان وقت أدائه، وبضم اللام من الحلول بمعنى النزول/١٢منه.

عباس[1] في جهنم قصر يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله :"فقد هوى"، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾: عن الشرك، ﴿وَآمَنَ﴾: بما يجب الإيمان به، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾: استقام على الطريق المستقيم ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها، وهو مبتدأ أو خبر ﴿عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ﴾، وذلك حين اختار سبعين رجلا من قومه فذهبوا إلى الطور للمناجاة وأخذ التوراة، فعجل من بينهم شوقا إلى ربه، وتقدم وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل قال مجيبا لربه: ﴿هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ أي: هم بالقرب مني "وعلى أثرى" إما حال أو خبر بعد خبر، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى[2]﴾ : لتزدد عني رضا فإن المسارعة إلى امتثال الأمر أمثل، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ الذين خلفتهم مع هارون، وهم ستمائة ألف إلا السبعين الذين اختارهم للمناجاة ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ : بعد خروجك ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ[3]﴾ : بأن دعاهم إلى عبادة العجل بعد اتخاذهم ﴿فَرَجَعَ مُوسَى[4] إِلَى قَوْمِهِ﴾ : بعد أخذ التوراة ﴿غَضْبَانَ﴾:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم/١٢منه.

(٢) كأنه قال: ما تقدمت عليهم إلا بقدر يسير يتقدم بمثله الرفقة بعضها فما يعد هذا من العجلة، وأيضًا طلبت في تلك العجلة رضاك/١٢منه.

(٣) وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في دين بني إسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر، وكان من قبيلة تعرف بالسامرة، وقيل: كان من القبط، وقيل: كان علجا من علوج كرمان رفع إلى مصر، وكان جارًا لموسى وآمن به واسمه موسى بن ظفر، وكان منافقًا فقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي، وهي حرام عليكم وأمرهم بإلقاءها في النار وكان من أمر العجل ما كان/ ١٢فتح.

(٤) روى أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال: هذا صوت الفتنة، وفي القرطبي وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي عن جماعة يجتمعون، =

عليهم ﴿أَسِفًا﴾ الأَسِفُ الشديد الغضب أو الحزين، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بأن يعطيكم التوراة، ووعدكم على لساني خير الدارين ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي: الزمان في انتظار ما وعدكم الله ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي: وعدكم إياي بالثبوت على الدين واتباع هارون ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ : عن قدرتنا واختيارنا، ولو لم يسول لنا السامري لما أخلفناه ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ : حمالا، ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ : من حلي القبط ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ : في النار وذلك أهم لما خرجوا[1] من مصر كانت معهم ودائع من حلي آل فرعون، فقال هارون: "لا يحل لكم الوديعة، ولسنا برآدين إليهم"، فأمرهم أن يقذفوها في حفيرة ويوقد عليها النار، فلا تكون الودائع لنا ولا لهم أو أمرهم بذلك ليصير الحلي كحجر واحد حتى يرى فيها موسى حين رجوعه

= ويكثرون من ذكر الله، وذكر رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم إنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئًا يأكلونه فهل الحضور معهم جائز أم لا؟ فأجاب: يرحمك الله! مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدًا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون وهو دين الكفار عباد العجل وأما الطبل فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وإنما كان مجلس النبي مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان، ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين. انتهى/ ١٢فتح.

(١) رواه النسائي في سننه عن ابن عباس في حديث طويل وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢منه.

ما يشاء، وقيل الآمر بذلك السامري لا هارون **﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾** أي: أراهم أنه أيضًا ألقى حليًا في يده وإنما ألقى التربة التي أخذها من تربة حافر فرس جبريل **﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا﴾** : من تلك الحلي المذاب، **﴿لَهُ خُوَارٌ﴾** : صوت العجل عن ابن عباس، لا والله ما كان له صوت، وليس له روح إنما كانت تدخل الريح في دبره وتخرج من فيه، والصوت من ذلك[1] **﴿فَقَالُوا﴾** أي: السامري والضلال منهم: **﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾** أي: فنسيه موسى هاهنا، وذهب يطلبه، أو فنسي أن يذكركم أن هذا إلهكم أو فنسي السامري ما كان عليه من الإسلام وتركه **﴿أَفَلا يَرَوْنَ﴾** ، من كلام الله ردًّا عليهم، وبيانًا لسخافة رأيهم **﴿أَلا يَرْجِعُ﴾** أي: أنه لا يرجع **﴿إِلَيْهِمْ قَوْلا﴾** : لا يجيبهم، ولا يكلمهم **﴿وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾** : لا يقدر على إضرارهم وإنفاعهم أو على دفع ضرهم، وإيصال نفعهم.

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى

(١) وفيه بحث لأنه إذا لم يكن له حياة فليس لقبض التراب من أثر جبريل فائدة كما ذكرنا في سورة الأعراف/١٢ وجيز.

ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ
ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ
يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ(١) **مِنْ قَبْلُ﴾** : قبل رجوع موسى، **﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾** : ابتليتم بالعجل، **﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾** : لا العجل، **﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾** : في الثبات على الدين **﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾** : لن نزال **﴿عَلَيْهِ﴾** على العجل بأن نعبده **﴿عَاكِفِينَ﴾** : مقيمين **﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ﴾** : موسى بعدما

---

(١) اعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم عن الباطل أولا بقوله: "إنما فتنتم به" ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى ثانيًا بقوله: "وإن ربكم الرحمن" ثم دعاهم ثالثًا إلىمعرفة النبوة بقوله: "فاتبعوني" ثم دعاهم إلى الشرائع رابعًا بقوله: "وأطيعوا أمري" وهذا هو الترتيب الجيد لأنه لابد قبل كل شيء من إماطة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى، فإنها هي الأصل ثم النبوة ثم الشريعة ثم إنهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بالتقليد والجحود فقالوا: "لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" كأنهم قالوا: لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى وعادة المقلد ليس إلا ذاك/١٢ كبير.

رجع: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ : بعبادة غير الله ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ أي: عن أن تأتي عقبي فتخبرني عن ما أحدثوا، أو عن أن تتبعني في الغضب لله، والمقاتلة معهم، ولا مزيدة على الوجهين نحو "ما منعك أن لا تسجد" (الأعراف:١٢)،﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ، حيث وصيتك أخلفني ولا تتبع سبيل المفسدين، فرضيت، وسكنت وسكت ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَا ابْنَؤُمَّ﴾ ذكر الأم مع أنهما أخوان من أبوين، لأن ذكرها أرق وأبلغ في الحنو،﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أي: بشعره فإنه كان عليه السلام شديد الغضب لله متصلبا لم يتمالك حين رآهم مشركين ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خشيت لو فارقتهم ليتفرقوا، وخشيت لو قاتلتهم لصاروا أحزابًا مقاتلين بعضهم بعضًا، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت اخلفني في قومي وأصلح أي: ارفق بهم ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ، ثم أقبل إليه، وقال له منكرًا ما طلبك[1] له، وما شأنك، وما الذي حملك عليه ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ : علمت، وفطنت ما لم يعلموه، و لم يفطنوا له ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ أي: مرة من القبض أطلق على المقبوض ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: من تربة موطئ فرس جبريل، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ : ألقيتها في الحلي المذاب نقل أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادته في نفسه، فلما رأى جبريل حين جاء لهلاك فرعون أخذ قبضة من أثر فرسه وألقى في روعه[2] إنك إن ألقيتها في شيء فقلت له كن فكان، وعن بعض أخذ التراب حين جاء جبريل ليذهب بموسى إلى المناجاة ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ : زينت، ﴿لِي نَفْسِي قَالَ﴾ : موسى له، ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ : ما دمت حيًا، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ : مع كل من جاء إليك ﴿لَا مِسَاسَ[1]﴾ لا

---

(١) من خطب الشيءإذاطلبه/١٢وجيز.

(٢) وفي الوجيز وألقى الشيطان في خاطره/ ١٢.

ما دمت حيًّا، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ : مع كل من جاء إليك ﴿لا مِسَاسَ[1]﴾ لا مخالطة بوجه فتكون وحشيًا نافرًا منفردًا فإنه إذا اتفق أن يماس أحدًا حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ : لعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ : لن يخلفك الله و ينجزه لك البتة، ومن قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ : ظللت بحذف اللام الأولى ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ : مقيما على عبادته ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ : بالنار فإنه صار لحمًا ودمًا أو بالمبرد[2] فهو مبالغة في حرقه إذا برد بالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ : لنذرينه رمادا أو مبرودًا ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ : وقد ذكر أنه لم يشرب أحد ممن عبده من ذلك الماء إلا اصفر وجهه كالذهب، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، نصبه بالتمييز أي: وسع علمه كل شيء لا العجل الذي هو مثل في الغباوة، ولو كان حيًّا ﴿كَذَلِكَ﴾ : مثل ذلك الاقتصاص ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ : أخبار، ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ : من الأحوال تبصرة لك، وتنبيهًا ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا[3]﴾ : ذكرا كتابا مشتملا على ذكر أمور محتاج إليها،﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ : فلم يؤمن به و لم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ﴾ ، الضمير للشأن ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ : عقوبة ثقيلة، ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ : في الوزر، وإفراد أعرض وجمع خالدين نظرًا إلى اللفظ والمعنى ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا﴾ : ساء بمعنى بئس، وفيه ضمير مبهم يفسره حملا، والمخصوص بالذم محذوف أي : ساء حملا

---

(١) وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع، والمعاصي، وهجرانهم وأن لا يخالطوا قاله الكرخي/ ١٢فتح.

(٢) نقله أبو حاتم عن علي بن أبي طالب، ونقل الضحاك عن ابن عباس فإن مآل الحرق تفتت الشيء، وإذا برد بالمبرد يكون مثل الحرق/١٢وجيز.

(٣) وتنوين ذكرًا للتعظيم/١٢

وزرهم واللام كهيت لك للبيان ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ : زرق[1] العيون قبيح المنظر وقيل: عميا فإن حدقة الأعمى تزرق ﴿يَتَخَافَتُونَ[2]﴾ : يتشاورون، ﴿بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ :ما لبثتم في الدنيا ﴿إِلا عَشْرًا﴾ : عشر ليال استقصروا مدة مكثهم فيها مع أنهم آثروها على الباقي الدائم فتأسفوا عليها، وقيل: المراد مدة مكثهم في القبر أو مرادهم ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع عنهم العذاب في تلك المدة استقصروها لهول ما عاينوا من القيامة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ : منهم، ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ : في حال تناجيهم، ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ : أعدلهم رأيا وقولا ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا[3]﴾.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا

(١) والزرقة أبغض ألوان العيون، والعرب تتشاءم به/١٢وجيز.

(٢) فإن الهول مخفض أصواتهم، فلا يقدرون على رفع الصوت/١٢وجيز.

(٣) لما وصف أمر يوم القيامة حكى سؤال من لم يؤمن بالحشر فقال: "ويسألونك عن الجبال" الآية. والسائل منكر الحشر/١٢وجيز مع الكبير.

تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾
وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ : يا محمد ﴿عَنِ الْجِبَالِ﴾ : هل تبقى يوم القيامة أو تزول، ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا﴾ : يقلعها من أصلها ﴿رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا﴾ : يدع أماكنها ومقارها من الأرض، ﴿قَاعًا﴾ : منبسطا من الأرض ﴿صَفْصَفًا﴾ : ملساء منصوبان بالحال، ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ : اعوجاجا[1] قليلا لا يدرك إلا بالقياس ﴿وَلا أَمْتًا﴾ : نتوءًا أي: لا واديا ولا رابية ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : يوم إذ نسفت ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ : حيث ما أمرهم بادروا إليه أو الداعي[2] إلى المحشر ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ : لا يعوج له مدعوّ ولا يعدل[3] عنه ﴿وَخَشَعَت﴾ : سكنت أو خفضت ﴿الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ : لمهابته، ﴿فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾ : صوت[4] وطء أقدامهم إلى المحشر أو صوتا خفيًّا ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا[5]﴾ : شفاعة ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ[6]﴾ ، أو لا تنفع الشفاعة

---

(١) فإن العوج بكسر العين ما هو في المعاني تنفى في الأرض ما دق فألحقه بالمعاني/١٢.

(٢) وقد ورد أن إسرافيل يقوم على صخرة ببيت المقدس يدعو الناس يضع الصور في فيه قائلا: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة اللحوم المتفرقة هلموا إلى العرض على الرحمن/١٢

(٣) بل يسمع دعاءه جميعهم لا يميل إلى ناس ولا إلى جانب/١٢وجيز.

(٤) نقل عن ابن عباس وكثير من السلف/١٢وجيز.

(٥) فالاستثناء مرفوع بالبدلية/١٢.

(٦) فيه أنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه تعالى لا يرضى إلا التوحيد ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص فروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعًا "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه"، وعن عوف بن مالك
=

أحدًا[1] إلا من أذن في أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا[2]﴾ : رضي الله قوله عن ابن عباس يعني من قال لا إله إلا الله، أو رضى قوله لأجله أو رضي لمكانته عند الله قوله في الشفاعة،

= قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا" رواه الترمذي وابن ماجه فأسعد الناس بشفاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية، وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء:٢٨)، وأما الشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه لشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة قاله الشوكاني/١٢.

(١) فهو منصوب على المفعولية.

(٢) قوله "ورضي له قولا" قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني قدس الله سره العزيز في بعض فتواه: وللناس في الشفاعة أنواع من الضلال قد بسطت في غير هذا الموضع فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي بسبب اتصال الشافع بالمشفوع له كما ذكر ذلك أبو حامد وغيره، ويقولون: من كان أكثر صلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أحق بالشفاعة من غيره، وكذلك من كان أحس ظنًا بشخص، وأكثر تعظيمًا له كان أحق بشفاعته، وهذا غلط، بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا نتولى الملائكة ليشفعوا لنا يظنون أن من أحب أحدًا من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه كان ذلك سببًا لشفاعته له، وليس كذلك، بل الشفاعة سببها توحيد الله وإخلاص الدين له، فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، فإن الشفاعة من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع،وهو الذي يقبل شفاعته وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من رحمه من عباده وأحق الناس برحمته أهل التوحيد، والإخلاص له، فكل من كان أكملَ في تحقيق كلمة الإخلاص -لا إله إلا الله- كان أحق بالرحمة، =

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : ما تقدمهم من الأحوال، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما يستقبلون يعني أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾: لا يحيط علمهم بمعلومات الله أو الضمير للموصول ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت، ﴿الْوُجُوهُ[1]﴾ : وجوه العالمين ﴿لِلْحَيِّ﴾ : الذي لا يموت ﴿الْقَيُّومِ﴾ : الذي هو قيم كل شيء، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ : من أشرك بالله فإن الشرك لظلم عظيم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ : بعض الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ : إذ الإيمان شرط صحة الطاعة ﴿فَلا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ : بأن يزاد على سيئاته، ﴿وَلا هَضْمًا﴾ : بأن ينقص[2] من حسناته، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال عطف على كذلك نقص، ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ : كررنا، ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : من المعاصي أي ليكونوا بحيث يرجى منهم التقوى، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ : القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ : عظة واعتبارًا بذكر العقاب للأمم الماضية فيشغلهم عن المعاصي ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ : جل[3] الله في ذاته

= والمذنبون الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم فاستحقوا النار من كان منهم من أهل لا إله إلا الله فإن النار تصيبه بذنوبه، ويميته الله تعالى إماتة فتحرقه إلا موضع السجود، ثم يخرجه الله من النار بالشفاعة ويدخله الجنة كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة فبين أن مدار الأمر كله على كلمة الإخلاص وهي -لا إله إلا الله- لا على الشرك كما ظنه الجاهلون، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع انتهى/.

(١) صارت عانية ذليلة كوجوه العانية يعني الأسارى/١٢وجيز.

(٢) كذا فسره ابن عباس، ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف نقله المفسرون وصححه الشيخ الناقد عماد الدين بن كثير في تفسيره/١٢وجيز.

(٣) لما بين أنه متعال عن كل ما لا ينبغي، وأنه موصوف بالإحسان والرحمة ومن كان كذلك وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي فقال: "ولا تعجل بالقرآن" الآية/ ١٢كبير.

وصفاته، ﴿الْمَلِكُ﴾: الذي جميع الكائنات تحت سلطانه، ﴿الْحَقُّ﴾ : وعده ووعيده، أو الثابت في ذاته وصفاته، ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: بقراءته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: لا تقرأه حين يقرأ جبريل، بل أنصت فإذا أتم قراءته عليك فاقرأه بعده، وعن بعض: لا تبلغ، ولا تمله على أصحابك حتى يتبين لك معانيه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: بالقرآن ومعانيه، ﴿وَلَقَدْ[1] عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ : أمرناه، يقال في وصايا الملوك وأوامرهم عهد إليه، وعزم عليه، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ : قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي فكذبوك ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: وصيناه أن لا يقرب الشجرة فترك ما وصى به، وقيل: لم يعتن بالعهد حتى غفل عنه، ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا[2]﴾ : تصميم رأى حيث أطاع عدوه، والوجود إن كان بمعنى العلم فله عزمًا مفعولاه، وإن كان بمعنى الوجود المناقض للعدم فله إما ظرف لغو، أو حال من عزما .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ
إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ
فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ
رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ

---

(١) لما تقدم قوله: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق" ذكر قصة آدم إنجازًا للوعد، وأيضًا لما قال: "لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" أردفه بهذه القصة كأنه قال إن طاعة بني آدم للشيطان، وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم فإنا عهدنا إلى آدم من قبل، وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا له: "إن هذا عدو لك ولزوجك" ثم إنه مع ذلك نسى وترك ذلك العهد، وأيضا لما قال و"قل ربي زدني علما" ذكر بعده قصة آدم لتدل على ضعف قوة البشرية عن التحفظ فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه في أن يوفقه لتحصيل العلم ويجنبه عن السهو والنسيان/ ١٢كبير ملخصًا.

(٢) قيل: لم نجد له عزمًا على الذنب، بل وقع منه خطأ/ ١٢وجيز.

كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَة اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ أي: اذكر حاله في ذلك الوقت حتى تعلم أنه ترك المأمور و لم يكن ذا عزم، **﴿فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ أَبَى﴾**، مستأنفة أي: أظهر الإباء واستكبر **﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾** يعني: كونا على وجه لا يؤثر فيكما غوايته **﴿مِنَ الْجَنَّة فَتَشْقَى﴾** : فتتعب في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش رغيد بلا كلفة، وأسند الشقاء إليه وحده لأن طلب الرزق على الرجل، **﴿إنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ[1] فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ[2] فِيهَا﴾** ، من قرأ أنك بالفتح فهو عطف على أن لا تجوع قال أبو البقاء: تقع أن المفتوحة معمولة للمكسورة لما فصل بينهما، نحو: إن عندنا أن زيدًا منطلق، وعلى أي حال جاز في المعطوف عليه ما لا يجوز في المعطوف **﴿وَلا تَضْحَى﴾** : لا تصيبك الشمس وأذاها **﴿فَوَسْوَسَ إلَيْه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَة الْخُلْد﴾** أي: شجرة من أكل منهـا صـار مخلدًا لا يموت **﴿وَمُلْك لا يَبْلَى﴾** : لا يزول، **﴿فَأَكَلا منْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفقَا يَخْصفَان عَلَيْهِمَا﴾** أي: أخذ يلزقان على سوآتهما للتستر **﴿منْ وَرَق الْجَنَّة﴾** عـن ابن عبـاس ذاك ورق التين، **﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾** : بأن خالف أمره، **﴿فَغَوَى﴾** : أخطأ طريق الحق، و لم ينل مراده، ويجوز أن يقال "وعصى آدم" ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه لا يقال عاص إلا لمن اعتاد العصيان كما لا يقال من خاط ثوبه مرة خياط **﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾** : اصطفاه، **﴿فَتَابَ عَلَيْه﴾** : قبل توبته **﴿وَهَدَى[3]﴾** : هداه إلى الثبات على التوبة **﴿قَالَ﴾** الله: **﴿اهْبِطَا[4]﴾**

---

(١) وليس فيها جوع، وإنما طعامها كالفواكه في الدنيا لا يرغب فيها إلا للذة/١٢ وجيز.

(٢) الجوع خلو الباطن، والعري خلو الظاهر، والظمأ إحراق الباطن والضحى إحراق الظاهر فالمراد ليس لك ضرر لا ظاهرًا ولا باطنًا/١٢وجيز.

(٣) هداه إلى الثبات عليها بعد مدة وشدة وخضوع وخشوع وندامة وسآمة وملالة، وملامة ١٢وجيز.

(٤) الضمير لآدم وحواء وقيل: له ولإبليس/١٢منه.

﴿مِنْهَا﴾ : من الجنة والهبوط النزول إلى الأرض ﴿جَمِيعًا﴾ ، لما كانا أصلى البشر خاطبهما مخاطبتهم ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ : متعادين بالحسد وأنواع العداوات ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ : كتاب ورسول ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ﴾ : في الدنيا، ﴿وَلا يَشْقَى[1]﴾ :في الآخرة الشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول، وما مزيدة أكدت به "إن" التي للشك وعلم منه أن إرسال الرسل غير واجب عقلا، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ : عن اتباع القرآن، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ، المراد عذاب القبر[2]، وقد ورد أن المعيشة الضنك أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية، ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة[3] أو في الدنيا بأن لا طمأنينة له فلا يزال في نصب من خوف القلة وما برح في تعب من هم إلا زيد في الدنيا أخذت بمجامع همه[4] أو في النار، والضنك الضيق مصدر وصف به يستوى فيه المذكر والمؤنث ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ : أعمى البصر أو لا حجة[5] له ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ﴾ : مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره فقال: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ : تركتها وأعرضت عنها، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ : مثل تركك إياها ﴿الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ : تترك على عماك ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ : في مخالفة الله ، ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ : من ضنك العيش، ﴿وَأَبْقَى﴾ قيل: معناه عذاب الآخرة بعد العمى، وهو النار أشد وأبقى ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ ، فاعل "يهد" جملة "كم أهلكنا"

---

(١) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية/ ١٢معالم.

(٢) قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهم- ونقله البزار عن رسول الله ﷺ بإسناد جيد/١٢منه.[أخرجه الحافظ ابن كثير في "تفسيره"، (١٧٠/٣) من طريق البزار من حديث أبي هريرة مرفوعا، وقال: "إسناد جيد"، وذكره الهيثمي في "المجمع" (٦٧/٧) عن ابن مسعود من قوله وقال:"رواه الطبراني وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات".]

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنه- وقال الضحاك العمل السيء، والرزق الخبيث/١٢ منه.[أخرجه البزار من طريق محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجيرة عن أبي هريرة مرفوعا كما في تفسير ابن كثير (١٧٠/٣)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (٦٧/٧) وقال: "رواه البزار وفيه من لم أعرفه".]

(٤) قال الحسن هو الزقوم، والضريع والغسلين في النار/ ١٢منه.

(٥) قاله أبو صالح ومجاهد والسدي/ ١٢منه.

بواسطة مضمونها أي كثرة إهلاكنا لأن كم لا يعمل فيه ما قبله أو فاعله[1] ضمير لله، والجملة في تأويل المفعول أي: أفلم يبين الله لهم مضمون هذه الجملة، وعند البصريين فاعله مضمر يفسره كم أهلكنا ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾، والحال إنهم يترددو نفي مساكنهم الخالية حين سفرهم إلى الشام فإن ديار ثمود ولوط بين الشام ومكة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأولِي النُّهَى[2]﴾: لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ١٣٣ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ١٣٤ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ١٣٥ ﴾

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ : حكم بتأخير عذابهم، ﴿لَكَانَ لِزَامًا[3]﴾ : لكان العذاب لازمًا لهم كما لزم الكفار الماضية، وهو مصدر لازم وصف به ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ عطف على كلمة أي لولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، وقيل عطف على ضمير كان أي: لكان العذاب العاجل وأجل مسمى لازمين لهم، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المراد

---

(١) ويدل على ذلك قراءة نهد بالنون/ ١٢منه.

(٢) ثم بين الوجه الذي لأجله لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بالقرآن فقال: "ولولا كلمة سبقت من ربك" الآية/ ١٢وجيز.

(٣) وقيل اسم آلة فيكون فعالا بمعنى مفعل أي ظرفا سمي به اللازم لفرط لزومه/١٢منه.

من التسبيح الصلاة[١]، وقيل على ظاهره، وبحمد ربك في موضع الحال ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ : الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ : العصر، وقيل الظهر والعصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ[٢] اللَّيْلِ﴾ : ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: التهجد أو المغرب والعشاء، وتقديم من آناء الليل لاختصاصه بمزيد مزية فإن أفضل الطاعات[٣] أحمزها[*] والليل للاستراحة، والنفس فيه مولعة إلى النوم والعبادة فيه أبعد من الرياء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ يعني: التطوع في أجزاء النهار كالتهجد في آناء الليل أو صلاة الظهر فإنها نهاية النصف الأول وبداية النصف الأخير ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي: سبح في تلك الأوقات طمعًا في أن تنال ما به رضاك من المقام المحمود ﴿وَلا تَمُدَّنَّ﴾ :نظر، ﴿عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ : نظر استحسان وغبطة، ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أصنافًا من الكفرة، وقيل منهم مفعول متعنا، و"أزواجًا" حال من ضمير به ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : زينة وبهجة زائلة، نصب على الضم نحو، أتاني زيد الفاسق، أو ثاني مفعولي متعنا لتضمن معنى الإعطاء ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ : نختبرهم، ﴿فِيهِ﴾ أو لنجعل ذلك فتنة وبلاء لهم لأن يمدوا في طغياهم ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ : في المعاد أو ما رزقك من العلم والنبوة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى[٤] وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ : أهل بيتك أو أمتك ﴿بِالصَّلاةِ﴾ ، ولا تهتموا بأمر المعيشة ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ : وداوم، ﴿عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ : أن ترزق أحدًا ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ، ففرغ بالك للصلاة وفي الحديث إذا أصابه عليه السلام[٥] خصاصة نادى أهله: "يا أهلاه صلوا وصلوا وفي الحديث القدسي: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ

---

(١) وعليه أكثر السلف، وقيل: التسبيح مقرونا بالحمد في تلك الأوقات الآتية ذكرها فأما أن يراد أن يقول سبحان الله، والحمد لله أو أريد تنزيهه مع الثناء الجميل من غير قول/١٢وجيز.
(٢) جمع إني بالكسر والقصر/١٢.
(٣) قال الله تعالى: "إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلا" (المزمل:٦)/ ١٢منه.
(*) أحمزها: أمتنها وأقواها وأشدها، وقيل: أمضها وأشقها. وانظر لسان العرب مادة حمز.
(٤) قال بعض السلف: من ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه ودام عذابه/١٢وجيز.
(٥) نقله ابن أبي حاتم بإسناد جيد وذكره صاحب الفتح وعزاه إلى أحمد والبيهقي وغيرهما/ ١٢. [أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت مرفوعا كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/٥٦١).]

صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا و لم أسد فقرك"(*) ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: المحمودة، ﴿لِلتَّقْوَى(١)﴾ : لذويه قد نقل أنها نزلت لما استسلف عليه السلام من يهودي فأبى إلا برهن فضاق صدره الأشرف﴿وَقَالُوا﴾ المشركون: ﴿لَوْلا﴾ : هلا، ﴿يَأْتِينَا﴾ : محمد، ﴿بِآيَةٍ﴾ : دالة على رسالته، ﴿مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾، وهي القرآن المعجز الذي هو أعظم المعجزات المهيمن على سائر الكتب السماوية فإن القرآن معجز دون سائر الكتب ظهر على يد أميٍّ لا يعرف القراءة والكتابة، ولا يدارس أهلهما -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ : محمد، أو القرآن، ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ(٢) إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ : بعذاب الدنيا ﴿وَنَخْزَى﴾ : بعذاب الآخرة ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ : منتظر دوائر الزمان على صاحبه، ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ : المستقيم، ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ : إلى الحق "من" في الموضعين للاستفهام مبتدأ على أن الفعل معلق عن الجملة الاستفهامية، ولو جوزت حذف صدر الصلة وقررت من هو أصحاب الصراط لجاز أن يكون موصولة أي: من هو أصحاب الصراط؟

والحمد لله رب العالمين

(*) أخرجه الترمذي (٣/٣٠٨)، وأحمد (٢/٣٥٨)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وابن حبان (٢٤٧٧) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وانظر صحيح ابن ماجه (٣٣١٥)، والصحيحة (١٣٥٩).

(١) ولما بين أن عذاب الدنيا والآخرة لمن أسرف ولم يؤمن، ولم يتأمل في آيات الله والآيات ليست إلا لذي النهى ثم توجه إلى نصح حبيبه -صلى الله عليه وسلم- عقبه بما يدل على عمههم في الدنيا وأنهم ليسوا من أهل النهى فقال "وقالوا" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) قال تعالى "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"(هود:١١٧) [بالأصل غافلون ولعله قصد آية سورة الأنعام : "ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون" (الأنعام:١٣١)] . ولما طال زمان الفترة وانتشر الكفر فهم غفلة الجميع أو الأكثر/١٢وجيز.

فهرس سور المجلد الثاني

جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

الإيجي الشيرازي الشافعي

المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي

المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الثالث

المحتوى:

من أول سورة الأنبياء - إلى آخر سورة الزمر

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

سورة الأنبياء مكية

مائة واثنتا عشرة آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن
رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ
٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ
قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ
٥ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ
إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا
جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ
فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ
ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾: للكفار ، **﴿حِسَابُهُمْ﴾**، فإنه قد ظهر خاتم الأنبياء ، الذي هو من علامات آخر الزمان، **﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾**: عن الحساب، **﴿مُّعْرِضُونَ ﴾**: عن التفكر فيه ، والإيمان به ، **﴿مَا[1] يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾** ، المراد من الذكر الطائفة النازلة من

---

(١) من ذكر من ربهم محدث ، قال البخارى في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية ، باب قول الله: كل يوم هو في شأن ، "وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"، وقول الله: "لعل=

= الله يحــدث بعد ذلك أمرًا"، وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين، لقوله: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (الشورى:١١)، وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وســلم: "إن الله يحــدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة" انتهى. وأيضًا قال: فيه باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق، ومــا كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون انتهى . وقال شيخ الإســلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم قدس الله روحه في بعض فتاواه: وسائر أهل الســنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء، وقد سمى الله القرآن حديثًا ومحدثًا، وقال: "الله نزل أحسن الحديث" (الزمر:٢٣)، وقال: " ومن أصدق من الله حديثًا" (النساء:٨٧)، وقال: " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محــدث" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وهذا مما احتج به البخاري في صحيحه وغير صحيحه واحتج به غير البخاري ، كنعيم بن حماد ، وحماد بن زيد ، ومن المشهور عن السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود انتهى. وأيضًا قال رحمه الله: قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته ، يتكلم بشيء بعد شيء ، كما قال تعالى: " فلما أتاها نودي يا موسى " فناداه حين أتاها و لم يناده قبل ذلك ، وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّــجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف:٢٢) فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ، و لم ينادهما قبل ذلك . وكذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْــنَاكُمْ ثُــمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ (الأعراف:١١)، فأمرهم بالســجود بعد أن خلق آدم وصوره ، و لم يأمرهم قبل ذلك، وكذلك قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَــى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩)، فأخبر أنه قال له كن بعد أن خلقه من تراب، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير، يخبر أنه =

القرآن ، ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾، صفة لذكر أو صلة يأتيهم، ﴿مُّحْدَثٍ﴾: تتزيله، جديد إنزاله، ﴿إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ حال من فاعل استمعوه ، أي: ليستهزءون به، ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ حال كوفهم مشغولين بدنياهم، لا يصغون إلى القرآن، ذو الحالين واحد، أو حال من فاعل يلعبون، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾: بالغوا في إخفائها أو تناجوا وأخفوا نجواهم ، فلا يفطن[1] أحد لتناجيهم،﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من فاعل أسروا، أو منصوب على الذم ، أو مبتدأ خبره أسروا النجوى، وضع الذين ظلموا موضع هؤلاء

= تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما خرج إلى الصفا ، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨)، قال: "نبدأ بما بدأ الله به" فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة ، والسلف اتفقوا على أن القرآن كلام الله ، نزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، انتهى كلامه رضي الله عنه.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في خطبته النونية : وأما القرآن فإني أقول إنه كلام الله مترل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، تكلم الله به صدقًا، وسمعه منه جبريل حقًّا، وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم - وحيًا ، وأن "كـــهيعص"، و"حم" و"حم عسق" و "الر" و،"ق"، و "ن" عين كلام الله حقيقة وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر والله يصليه سقر، ومن قال: ليس لله بيننا في الأرض من كلام، فقد جحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فإذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول . انتهى/١٢ .

(١) إشارة إلى دفع إشكال ما قيل: إن التناجي لا يكون إلا خفية، فما معنى قوله: " وأسروا النجوى" بوجهين: الأول: إن الإسرار واقع على ما تناجوا به من القول، والثاني: إنه واقع على الحدث أعني : التناجي وهذا أظهر/١٢ منه .

تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، ﴿هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في موضع النصب بدل من النجوى ، أو مفعول لقول مقدر، استدلوا على كذبه في النبوة بأنه بشر، لأن زعمهم أن الرسول لا يكون إلا ملكًا، فلا بد أن تكون المعجزة بمقتضى عقيدهم سحرًا، فلذلك قالوا إنكارًا: أفتحضرون السحر وأنتم تعاينون أنه سحر، ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾: جهرًا كان أو سراً، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ فكيف يخفى عليه نجواهم، ومن قرأ قال فهو حكاية قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه شيء ، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ[1]﴾ اقتسم المشركون القول في القرآن، فقيل: سحر وقيل: تخاليط أحلام وأباطيل خيلت إليه، وخلطت عليه، وهذا أبعد فسادًا من الأول، وقيل: هو مفترى اختلقها من تلقاء نفسه، وهذا أفسد من الثاني ، وقيل: كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها، وهو أفسد من الثالث ، لأنه كذب مع علاوة فلذلك جاء ببل تتريلاً من الله لأقوالهم في درج الفساد، ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ أي: كما أرسل به الأولون، كاليد البيضاء، والناقة وغيرهما، ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ﴾: أهل، ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: ما آمنت قرية من القرى التي أهلكناها لما جاءهم الآيات المقترحة، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لو جئتهم بها مع أنهم أعتى من الذين اقترحوا الآيات وعهدوا الإيمان بها، وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بمقترحاهم للإبقاء عليهم، إذ لو أتى به لم يؤمنوا، فنستأصلهم كمن قبلهم ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

---

(١) قيل: جاز أن يكون هذا بيانًا لكونهم غير ثابتين في شأن القرآن بشيء، بل متحيرون، مرة يقولون: هذا أمره، ذلك كما هو شأن المبطل أنه رجاع غير ثابت على شيء واحد/ ١٢ منه .

إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ فما لهم ينكرون زاعمين أن الرسول لا يكون بشرًا، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهل الكتاب، والمشركون يشاورونهم في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويثقون بقولهم،﴿إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ[1]﴾ ، أن الرسل بشر ، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ أثبت لهم ثلاثة أشياء هي لا تكون للملك، وهي لبشر تحقيقًا لنفي الملكية عنهم ولإثبات البشرية لهم: كونهم أجسادًا ، والجسد جسم ذو لون، والملك لصفائه لا يوصف باللون، كما لا يطلق الجسد على الماء والهواء، ووحد الجسد لإرادة الجنس، وأنهم أكلوا الطعام، وأنهم يموتون في الدنيا، وموت الملك لا يكون إلا بعد انقراض الدنيا ، أو لأن المشركين اعتقدوا خلود الملك ، ﴿ثُمَّ[2] صَدَقْنَاهُمُ الوَعْدَ﴾ أي : في الوعد ، ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾: ومن في إبقائه حكمة، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ[3]﴾: في الكفر، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا

---

(١) أن الرسل بشر ، والعجيب أنهم يجيزون أن يكون الرب حجرًا، ولا يجيزون أن يكون الرسول بشرًا، قال الرازي: فأما تعلق كثير من الفقهاء بهذه الآية في أن للعاميّ أن يرجع إلى فتيا العلماء، وفي أن للمجتهد أن يأخذ بقول مجتهد آخر فبعيد ، لأن هذه الآية خطاب مشافهة، وهي واردة في هذه الواقعة المخصوصة ، ومتعلقة باليهود والنصارى على التعيين. انتهى. وفي الفتح استدل بالآية على أن التقليد جائز وهو خطأ ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة لا عن الرأي البحت ، وليس التقليد إلا قبول قول الغير دون حجته والمقلد إذا سأل أهل الذكر عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن مقلدًا، فالآية دليل الاتباع لا دليل التقليد / ١٢ .

(٢) وهذا بيان سنته تعالى مع الأنبياء ، فكذلك يسلك مع خاتم الأنبياء ، ومن يشاء من أمته فهذه عدة ووعيد/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما توعدهم في تلك الآية ، عقب ذلك بوعده ثم بما فيه وعيدهم إن لم يؤمنوا بما فيه شرف دينهم ودنياهم فقال: "لقد أنزلنا إليكم" الآية.

قريش، ﴿كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: صيتكم[1] وشرفكم أو موعظتكم وذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتؤمنون به.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾
فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾
فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن
لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ
وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ
إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ
وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ
مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ
بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

---

(١) هكذا فسره ابن عباس- رضى الله عنه- الصِّيت بالكسر الذكر الحسن / ١٢.

يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: أهلكنا والقصم: الكسر الشديد، **﴿مِن قَرْيَةٍ﴾**: من أهلها، **﴿كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾**: مكانها، **﴿قَوْماً آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾**: أدركوا، وشاهدوا شدة عذابنا، **﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾**: يهربون بسرعة، والركض[1] ضرب الدابة بالرجل، **﴿لاَ تَرْكُضُوا[2]﴾** أي: قيل لهم لا تركضوا، **﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾**: من التلذذ والتنعم والإتراف: إبطار النعمة، **﴿وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾** غدًا من أعمالهم، أو تسألون شيئًا من دنياكم فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، فإنهم أهل ثروة ينفقون رئاء الناس، تهكم بهم الملائكة بهذا القول، ووبّخهم وقيل: يسألكم خدمكم في أموركم، كيف نأتي ونذر كعادة المنعمين، أو يسألكم الناس في مهامهم ويستشفون بتدابيركم، **﴿قَالُوا﴾**: حين رأوا العذاب، **﴿يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾**: ندموا حين لا ينفعهم الندم، **﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾**: المقالة، أي: الاعتراف بالظلم، **﴿دَعْوَاهُمْ﴾**: دعوتهم نحو: آخر دعواهم أن الحمد لله، **﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً﴾**: مثل ذرع محصود، **﴿خَامِدِينَ﴾** ميتين[3] من

---

(١) ضرب الدابة بالرجل والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها منهزمين، أو شبهوا في عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم/١٢ وجيز.

(٢) قال المفسرون وأهل الأخبار: إن المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن، وكان أهلها عربًا، وكان الله –سبحانه– قد بعث عليهم نبياً اسمه شعيب بن مهدم، وقبره بجبل من جبال اليمن يقال له: صنين وبينه وبين حضور نحو بريد، قالوا: وليس هو شعيب صاحب مدين / ١٢ فتح.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن وهب، قال: حدثني رجل من الجزريين، قال: كان باليمن قريتان يقال لأحدهما حضور وللأخرى قلابة، فبطروا وأترفوا حتى ما كانوا يغلقون

=

خمدت النار ، وهما بمنزلة مفعول واحد، كرأيته حلوًا حامضًا، وخامدين حال أو صفة، ﴿وَمَا خَلَقْنَا[1] السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾ ، بل لنجزي الذين أساءوا بما عملوا ونجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾: لو أردنا اتخاذ ما يلعب ويتلهى به، لاتخذناه من عندنا، وما خلقنا جنة ولا نارًا ولا موتًا ولا بعثًا ولا حسابًا، أو لو أردنا أن نتخذ زوجة أو ولدًا لاتخذنا من الحور العين أو الملائكة، أو لاتخذناه من عندنا بحيث لا يظهر لكم ويستتر عنكم، فإن زوجة الرجل وولده يكونان عنده لا عند غيره، واللهو: المرأة والولد بلسان اليمن، وهو رد على النصارى في أم المسيح ، أو المسيح، أو في المسيح، قيل: لو أردنا اتخاذ لهو لقدرنا عليه ومن لدنا، أي: من جهة قدرتنا لكن الحكمة صارفة عنه، ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ أي: إن كنت فاعلاً لذلك، أو إن نافية ، فالجملة كالنتيجة للشرطية، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ﴾: نغلِّبُ الحق الذي منه الجد على الباطل الذي منه اللهو، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: يمحقه، جعل الحق كجرم متين صلب ، قذف ورمي به على حيوان

= أبوابهم، فلما أترفوا بعث الله إليهم نبيًّا فدعاهم فقتلوه، فألقى الله في قلب بختنصر أن يغزوهم، فجهز لهم جيشًا، فقاتلوهم ، فهزموا جيشه، فرجعوا منهزمين، فجهز إليهم جيشًا آخر، أكثف من الأول ، فهزموهم أيضًا، فلما رأى بختنصر أغزاهم هو بنفسه فقاتلهم حتى خرجوا منها يركضون، فسمعوا مناديًا يقول: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه، ومساكنكم ، فرجعوا فسمعوا صوت مناد يقول: يا لثارات النبي ، فقتلوا بالسيف فهي التي قال الله :"وكم قصمنا من قرية"، إلى قوله :"خامدين"، قلت: وقرية حضور معروفة الآن بينها وبين مدينة صنعاء نحو بريد في جهة المغرب منها/ ١٢ فتح البيان .[ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٣٦١٤)]

(١) ولما ذكر قصم تلك القرى الظالمة ، فلم يرحم عليهم حتى ندموا ، أتبع ذلك بما يدل على أن ذلك عدل ومجازاة لأعمالهم ، وجميع ما قدر منه سبحانه حق عدل ، فقال:"وما خلقنا السماء والأرض" الآية / ١٢ وجيز .

ضعيف فشق دماغه، وبل إضراب عن اتخاذ اللهو وتتريه لذاته عن اللعب ، ﴿فَإِذَا هُوَ﴾: الباطل ، ﴿زَاهِقٌ﴾: هالك والزهوق ذهاب الروح ، ﴿وَلَكُمُ الوَيْلُ[1] مِمَّا تَصِفُونَ﴾: مما تصفون الله به مما لا يليق بعظمته ، ﴿وَلَهُ مَن[2] فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: خلقًا وملكًا، ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾، أي: الملائكة المقربون، فإهم مترلون لكرامتهم عليه مترلة المقربين عند الملوك، أو لأهم في محل ظهور سلطانه، وهو السماوات، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيون ولا يتعبون قيل:" ومن عنده" عطف على " من في السموات "، أفرده بالذكر للتعظيم، أو المراد : من في العرش والكرسى، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾: دائبون في التسبيح، عن كعب الأحبار: التسبيح لهم كالنفس[3] لبنى آدم ، ﴿أَمِ[4] اتَّخَذُوا﴾ منقطعة، والهمزة لإنكار اتخاذهم، ﴿آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ﴾، ظرف لاتخذوا أو صفة لآلهة، ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أى: اتخذوا آلهة هم قادرون وحدهم على إحياء الموتى، والمراد تجهيلهم والتهكم بهم ، والكفرة وإن لم يكونوا يدعون ذلك

---

(١) الويل كلمة جامعة للشر كله، قال الأصمعي: ويل تقبيح / م .

(٢) ولما حكى كلام الطاعنين وبين أن غرضهم من تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد، بين في هذه الآية ، أنه تعالى متره عن طاعتهم ، لأنه هو المالك لجميع المخلوقات فقال:"وله من في السموات" . الآية / ١٢ كبير .

(٣) فلا يشغلهم الكلام والرسالة والعمل عن التسبيح / ١٢ منه .

(٤) ولما ثبت أنه ينتقم في الدنيا، عمن يكذب بآياته وأن كل ما صدر عنه حق عدل، وأن جميع من فى الأرض والسماء ملك له وأن الملائكة سيما الكاملين منهم، دائبون في عبادته، فهو الحقيق بالتوجه إليه ظاهرًا أو باطنًا، والإعراض عما سواه، ومن لم يكن كذلك فهو جدير بالتوبيخ والتقريع ، فقال :"أم اتخذوا آلهة من الأرض"، الآية / ١٢ وجيز .

للأصنام ، لكن لما أثبتوا الألوهية لهم يلزمهم إثبات ذلك فإنه ممكن، والإلـــه لابـــد أن يكون قادرًا على الممكنات، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ﴾ أي: غير الله، صفــــة لا بدل لفساد المعنى واللفظ[1] ، قال صاحب المغني[2] : إذا اختلف الموصـــوف والصفـــة إفرادًا أو غيره ، فالوصف للتأكيد لا للتخصيص ، كما قالوا: عندي عشرة إلا درهمًـــا، لزم عليه تسعة ، ولو قال : إلا درهم بالرفع فقد أقر له بعشرة، فمعنى الآية: لو كـــان الإله غير واحد البتة ، والصفة تأكيد، لأن كل متعدد غير واحد البتة، ﴿لَفَسَـدَتَا﴾ لأن الملك يفسد بتدبير مالكين لما يحدث بينهما من الاختلاف والتمانع عادة ، ﴿فَسُـبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ[3]﴾: المحيط بجميع الأجسام، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الشريك والولد، ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لانفراده في عظمته وسلطانه ، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ وهو ســائل خلقه عما يعملون، فإنهم عبيد، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ كرره استقباحًا لشـأنهم واستعظامًا لكفرهم، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ من جهة عقل أو نقل، أن لـــه شـــريكًا،

---

(١) أما فساد المعنى، فلأن المراد نفي التعدد مطلقًا، ولو كان مستثنى لكان المعنى: لو كـــان فيهما الآلهة المستثنى منهم الله لفسدتا، فلو كان الله فيهم لم يفسدوا، وأما فساد اللفـظ، فلأن المستثنى يجب أن يكون داخلا البتة في المستثنى منه ، لو لم يؤت بالمســتثنى، والله لا يجب أن يكون داخلاً في آلهة / ١٢ منه .

(٢) هذا النقل إشارة إلى دفع إشكال على ما قررناه من أنه صفة ، وهو أن حقيقة معنـــاه حينئذ لو كان فيهما من الإله متعدد غير واحد ولا شك لأحد أن المتعدد غير الواحـــد فالصفة حشو / ١٢ منه.

قال على القارى: وأما قول التفتازاني: الآية حجة إقناعية، فالمحققون كـــالغزالي وابـــن الهمام ما قنعوا بالإقناعية، بل جعلوها من الحقائق القطعية ، بل قيل يكفر قائلها . انتهي / ١٢ .

(٣) فسبحان الله رب العرش الذي استوى عليه ، وهو محيط بجميع الأجسام فلا يمكـــن أن يكون الإله فى الأرض / ١٢.

﴿هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: عظة أمتي، ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم السالفة، فهذا إشارة إلى الكتب السماوية، أي: هذا كتاب الله، فاطلبوا، هل تجدون فيها أن له شريكًا، أو إشارة إلى القرآن وحده، أي: القرآن فيه ذكر أمتي وذكر أمم قبلي، إنهم مطالبون بالتوحيد، ممنوعون عن الشرك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ﴾: لا يميزون بينه وبين الباطل، ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، عن التوحيد واتباع الرسل، من أجل ذلك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ[1] أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾: وحدي، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾ من العرب من قال: الملائكة

---

(١) يعني أن عبادة الله وحده لا شريك له، هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب كما في هذه الآية، وقوله تعالى: " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (النحل:٣٦)، وكان – صلى الله عليه وسلم – يحقق التوحيد، ويعلمه أمته حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال :"أجعلتني لله ندًّا" ؟!، قل ما شاء الله وحده"، ونهى عن الحلف بغير الله، وقال :"من حلف بغير الله فقد أشرك"، وقال: "اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد"، وقال:"لا تتخذوا قبرى عيدًا ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا على حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني"، ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكثر الأسباب لعبادة الأوثان كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي – صلى الله عليه وسلم – عند قبره أنه لا يتمرغ بحجرته ، ولا يقبلها ، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ،كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيماً " (النساء:٤٨) ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه وأعظم آية في القرآن ، آية الكرسي : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم "

=

بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عن ذلك ، ﴿بَلْ﴾ هم ، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وليسوا بأولاد ، ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يقولون شيئًا حتى يقول الله ، ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم ، كما هو طريق الأدب ، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ لا يعملون بما لا يأمرهم ، ولا يبعد أن يكون ذلك كالدليل على أنهم غير الأولاد فإن الأولاد لا يكون كذلك ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: يحيط علمه بجميع أحوال عباد مكرمين مما قدموا وأخروا ، ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾: أن يشفع له ، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون لا يأمنون مكر الله، والإشفاق خوف مع اعتناء ، فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر ، وإن عدي بعلى فبالعكس[1]، والخشية خوف مع تعظيم، ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من الملائكة، وهذا على سبيل الفرض ، ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ قيل : أراد إبليس حيث دعا الخلق إلى عبادة نفسه دون عبادة ربه ، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: المشركين .

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا
مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ
فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ

= (البقرة:٢٥٥)كل هذا قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمه الله رحمة باقية إلى قيام الساعة وساعة القيام / ١٢ .

(١) فمعنى الاعتناء فيه أظهر / ١٢ منه .

وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا
ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ
مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن
وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً﴾ أي : جماعة السماوات، وجماعة الأرض كانتا مرتوقتين يعني جميعهما في أول الأمر متصل متلاصق بعضهما ببعض، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فصارت السماوات سبعًا، والأرض كذلك، أو كانتا رتقًا لا تمطر ولا تنبت ففتقنا بالمطر والنبات، فعلى هذا المراد من السماوات سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الأفق، أو جميع السماوات على أن للكل مدخلاً فى الإمطار، والرتق هو الضم والالتحام، فإن قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: الفتق مشاهدة عارض يفتقر(*) إلى مؤثر واجب، والرتق ممكن أخبر به القرآن المعجز فهم لو نظروا لعلموا، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ[1] كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي: كل شيء موجود أصله من الماء، فإن الله خلق الماء قبل الأشياء، ثم خلقها منه، أو خلقنا كل حيوان من الماء ، أي: من النطفة، أو صيرنا كل شيء له نوع حياة كحيوان ونبات من الماء، ولابد له

(*) وفي النسخة (ن): مفتقر.

(١) نقل الإمام أحمد وابن أبى حاتم أنه قال عليه السلام:"خلق كل شيء من الماء"١٢/ .
[وقال الشيخ أحمد شاكر في "التعليق على المسند" (٧٩١٩): إسناده صحيح]

منه نحو خلق الإنسان من عجل فعلى هذا جعل متعد إلى مفعولين(١)، ﴿أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ(٢) وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت، ﴿أَن تَمِيدَ﴾: كراهة أن تميد، ﴿بِهِمْ﴾: وتضطرب، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الرواسي، ﴿فِجَاجًا﴾: مسالك وطرقًا واسعة، ﴿سُبُلاً﴾ ، يعني : لما خلقنا الجبال حالت بين البلدان ، فجعلنا فيها فجوة ، وطرقًا ليسلك فيها من بلد إلى آخر ، وسبلاً إما مفعول وفجاجًا حال(٣) ، أو هو مفعول وسبلاً بدل، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ(٤) ﴾: إلى مصالحهم ، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾: على الأرض، ﴿مَّحْفُوظًا(٥)﴾: من أن يقع على الأرض أو من الشياطين بالشهب، ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ، لا يتفكرون فيما خلق فيها من الآيات، كالشمس والقمر والكواكب وغيرها،﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ(٦)﴾ أي: كل واحد منهما، ﴿فِي فَلَكٍ(٧) يَسْبَحُونَ ﴾ يسرعون علىفلكه، كالسابح فى

---

(١) يعني : قوله من الماء ، وكل شيء مفعولاه/١٢ وجيز .

(٢) فيه معنى التعجب من ضعف عقولهم يعني: أفلا يتدبرون تلك الأدلة فيتركوا الشرك/١٢.

(٣) لأن أصله سبلاً فجاجًا على الصفة تقدم فصار حالاً ، قال تعالى: "سبلاً فجاجًا" (نوح: ٢٠) والفج الطريق الواسع/١٢ منه .

(٤) جعلوا عسى ولعل شكًا ويقينًا كقوله تعالى:"لعلهم يهتدون"، أي : ليهتدوا .

(٥) وعن ابن عباس ونقل حديثًا مرفوعًا أن معناه محفوظًا عن الشياطين بالشهب/١٢ وجيز.

(٦) اعلم أن المراد من الكل، الكل المجموعي لا الإفرادي بدليل قوله: "يسبحون" بالجمع لا بالإفراد فيحتاج إلى تأويل فى فلك بالإفراد فلا تغفل لئلا تقع فيما وقع فيه بعض المفسرين/ ١٢ منه .

(٧) وظاهر القرآن أنهما يسبحان بنفسهما في الفلك ، والحركة لهما ، وعلى هذا جاز أن تكون جميع السيارات والثوابت في سماء الدنيا ، كما قال الله تعالى: " إنا زينا السماء =

المـــاء، والفلـــك الجنس نحو كساهم الأمير حلة، والجمع باعتبار كثرة مطالعها وجمع العقلاء للوصف بفعلهم، وهو السباحة والجملة حال منهما.

﴿وَمَـــا جَعَلْـــنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْدَ﴾، نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون، استدل به بعضهم على عدم بقاء الخضر، ﴿أَفَإِن مِّتَّ﴾ الهمزة للإنكار، والفاء لـــتعلق الشـــرط بمـــا قبله، ﴿فَهُمُ الخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾ أي: مرارته، ﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نعاملكم معاملة من يختبركم، ﴿بِالشَّرِّ﴾: بالمصائب تارة، ﴿وَالْخَيْرِ﴾: بالنعم أخرى، ﴿فِتْنَةً﴾: ابتلاء لننظر من يصبر ومن يجزع ومن يشكر ومن يكفر مصدر مؤكـــد من غير لفظه، ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم، ﴿وَإِذَا[1] رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَـــتَّخِذُونَكَ﴾ إن نافـــية ، ﴿إِلاَّ هُـــزُوًا﴾ مهزوء به، ﴿أَهَذَا﴾ أي: قالوا أهذا، ﴿الَّـــذِي[2] يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بسوء، ﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾: بصفاته الحسنى كالتوحـــيد، ﴿هُـــمْ كَافِرُونَ﴾ لا يصدقون به، فهم أحق بأن يهزأ بهم ، ﴿خُلِقَ[3] الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾: لفرط استعجاله كأنه خلق منه، قيل: لما ذكر المستهزئين وقع في النفس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك ولهذا قال ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾: نقماتي في

= الدنيا بزينة الكواكب" (الصافات:٦)، فلا تحتاج إلى تأويل ، ولا يدل دليل على خلاف ذلـــك فعلى هذا يكون الكل مجموعيًّا، وجملة كل في فلك حال منهما، وجاز للقرينة، ولما مر قوله:" وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين" (الأنبياء:٨)، وكانوا يشمتون بموته ، فنفى الله عنه الشماتة ، وقال: "وما جعلنا" الآية/١٢ وجيز.

(١) ولمـــا ذكر شماتتهم ودفع عنه عقّبه بذكر ما هو أشد وأقبح منها وهو سخريتهم فقال : "وإذا رآك الذين كفروا" .الآية / ١٢ .

(٢) يقال فلان يذكرك ، إن كان الذاكر صديقًا فهو ثناء ، وإلا فذم ولوم /١٢ منه .

(٣) ولما ذكر شماتتهم بالرسول واستهزاءهم وكأنه استعجلت النفس سرعة انتقامهم فقال: "خلق الإنسان من عجل" الآية/ ١٢ وجيز .

الدنيا والآخرة، ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ﴾: بالإتيان بها وقيل: هذا جواب المشركين حين استعجلوا بالعذاب، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾: وقت وعد العذاب أو القيامة، ﴿إِن كُنتُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿صَادِقِينَ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وضع موضع يعلمون دلالة على ما أوجب لهم ذلك، ﴿حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وَجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾: مفعول به ليعلم أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم النار فلا يقدرون على دفعها، ولا يجدون ناصرًا والجواب محذوف، أي: بما استعجلوا، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ أي: لا يعلمون بل تأتيهم العدة أو القيامة أو النار، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة مصدر، لأنها نوع من الإتيان أو حال، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تحيرهم، ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون، ﴿وَلَقَدِ(١) اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن(٢) قَبْلِكَ﴾: يا محمد فليس بشيء بدع منهم فلا تغتم، ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم﴾: من الأمم السالفة، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: جزاء ما فعلوا، أو هم استهزءوا بعذاب وعدهم الرسل إن لم يؤمنوا، فأحاط بهم ذلك العذاب فسيحيط بمن يتخذك هزوًا.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ

---

(١) ولما ذكر استهزاءهم صريحاً في قوله: " إن يتخذونك إلا هزواً"، وغير صريح في قولهم: "متى هذا الوعد" سلي نبيه – صلى الله عليه وسلم – فقال:" ولقد استهزئ برسل" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) فإنه ليس بأوّل قارورة كسرت منه معك، بل هذا عادهم الخبيثة مع الجميع/١٢ وجيز.

عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ
مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * ﴾

﴿قل﴾: للمستهزئين، ﴿من يكلؤكم﴾: يحفظكم، ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾: من عذابه، أو من بمعنى البدل نحو لا ينفع ذا الجد منك الجد ، وفي لفظ الرحمن إشارة إلى أن لا حافظ سوى رحمته، ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾: لا يخطر ببالهم ذكر ربهم فضلاً عن أن يخافوا منه، حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ، وصلحوا للسؤال عنه، ﴿أم لهم﴾: بل هم، ﴿آلهة تمنعهم﴾: من العذاب، ﴿من دوننا﴾ حال من فاعل تمنع، أو صفة بعد صفة، كأنه قال: لا تسأل عنهم؛ لأنهم لا يصلحون للسؤال لغفلتهم عنا ، بل لإقبالهم على نقيضنا[1] ، ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ سيما نصر غيرهم مستأنفة تبين إبطال ما اعتقدوه ، ﴿ولا هم منا يصحبون ﴾: يجارون، يقال: فلان لك جار وصاحب من فلان، أي: مجير منه، أو يصحبون بخير وتأييد، ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ إضراب عن بيان بطلان ما هم عليه ، ببيان ما غرهم فحسبوا أنهم على شيء ، وهو أنه-

---

(١) فبل للترقي ، والهمزة للإنكار / ١٢ منه .

تعالى- متعهم زمنًا طويلاً في الدنيا فقست قلوبهم وظنوا أنها لا تزال، ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَـأْتِي الأَرْضَ﴾: أرض الكفرة ، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بأن نخرب ديارهم ونسلط المسلمين عليها، ﴿أَفَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾، أم المؤمنون ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾: بما أوحـي إلي أو بأمـر الله، ﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾: من قرأ لا تسمع من باب الإفعـال، عـلى خطاب النبي، فالصم الدعاء مفعولاه، ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ[١] ﴾ ظرف ليسمع أو الدعاء ، واللام في الصم للعهد والمشركون صم آذان قلوبهم عن آيات الله، ﴿وَلَـئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: رائحة وشيء قليل، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء ، مع أن البناء للمرة ، ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ دعوا على أنفسـهم بـالويل وأقروا بظلمهم ، ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ[٢] ﴾، جمعه لكثرة ما يوزن به ولاختلافه، ﴿القِسْطَ﴾: ذوات القسط أو نحو[٣] رجل عدل، ﴿لِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾: لأجل جزائه أو لأجل أهله ، أو اللام[٤] بمعنى في، ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: من الظلم أو من العمـل، ﴿وَإِن كَـانَ﴾: العمل، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا[٥] بِهَا ﴾: أحضرنا لـنجازي بها ، ومن قرأ : مثقال بالرفع فكان تامة ، ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ لكمال

---

(١) والتقيـيد به ، لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة كأنه قال لا يسمعون أصلاً بوجه من الوجوه، فإن من لا يسمع الإنذار لا يسمع البشارة/١٢ منه .

(٢) لمـا ذكر حالهم في الدنيا استطرد لما يكون في دار هي مقر الثواب والعقاب فأخبر عن عدله وأسند ذلك لنفسه بنون العظمة ، وتقدم الكلام على الموازين في أول الأعراف/ ١٢ وجيز .

(٣) كأنها في نفسها قسط ، وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة / ١٢ منه .

(٤) نحو: جئت لخمس خلون من الشهر/١٢ منه .

(٥) ضـمير بهـا للمـثقال ، والتأنيـث لإضـافة المـثقال إلى الحبة نحو: ذهبت بعض أصابعه/١٢ منه.

علمنا وعدلنا مفعول كفى محذوف ، أي : كفينا العالمين حال كوننا حاسبين لا يحتاجون إلى محاسب غيرنا ، ﴿ولَقَدْ[1] آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً[2] وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الكتاب الجامع لكونه ، فارقًا بين الحق والباطل وضياء في القلب ، وذكرًا يتعظ به المتقون ، أو الفرقان النصر على الأعداء والضياء التوراة ، ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ ، صفة للمتقين، ﴿بِالْغَيْبِ﴾، حال من الفاعل، أو من المفعول، ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ﴾: القيامة، ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون، ﴿وَهَذَا﴾: القرآن، ﴿ذِكْرٌ[3] مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ[4] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم

---

(١) ولما كان كتاب موسى وهارون الذي هو عضد موسى، أعظم الكتب السماوية بعد القرآن ، وكان أهله قد أعرضوا عنه مرارًا بعد إيتاء الآيات، التي تحيرت منها العقول، وكتابهما فرقان مَيَّزَ بين الحق والباطل ، وضياء رافع للظلام مبين للحق، كالميزان فلهذا أعقبه بقوله :"ولقد آتينا موسى" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ومن شأن من كان في الضياء أن لا يضع شيئًا إلا في موضعه / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر مدح التوراة ، أعقبه بذكر القرآن فقال: "وهذا ذكر مبارك" / ١٢ وجيز .

(٤) ثم لما ذكر الكتابين الناهيين عن الشرك أعقبه بحكاية إبراهيم الذي هو فخر قريش وجدهم في نهي والده وقومه عن الشرك فقال : " ولقد آتينا إبراهيم رشده " الآية/١٢ وجيز.

بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ
بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ
شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى
بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾
وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ
إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ
وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى
رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: الاهتداء لوجوه الصلاح، والإضافة ترشد إلى أنه رشد له شأن ، **﴿مِن قَبْلُ﴾** : من قبل موسى أو من قبل البلوغ، **﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾**: علمنا أنه أهل لما آتيناه ، **﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾** ظرف لآتينا، أو لرشده، أو تقديره

اذكر من أوقات رشده وقت قوله لأبيه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: الصور التي لا روح فيها، ﴿الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ عدى العكوف باللام لتضمن معنى العبادة، فإن العكوف يستعمل بعلى، ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ[1]﴾: فقلدناهم، ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: المقلِّدون والمقلَّدون منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ أي أما تقوله جد أم هزل، فإنهم استعجبوا واستبعدوا تضليله آباءهم، ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إضراب عن كونه لاعبًا بإقامة البرهان على ما ادعاه، ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ قيل الضمير للتماثيل، أو للسماوات والأرض، ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم﴾: المذكور من التوحيد، أو على أنه خالقهن، ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾: المتحققين له المبرهنين عليه، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾: أمكرنَّ بها في كسرها، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا﴾: عنها، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: إلى عيدكم حين كانت البلدة خالية، وإنما قاله سرًّا، ولم يسمع إلا رجل واحد فأفشاه[2] عليه، ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي: الأصنام، ﴿جُذَاذًا﴾: مقطوعًا، فعالاً بمعنى مفعول أو جمع جذيذ، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: للأصنام،

---

(١) فقلدناهم واقتدينا بهم، وأجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبل الذي يتشبث به كل غريق، وهو تمسك بمجرد تقليد الآباء، أي: وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناهم اقتداءً بهم، ومشيًا على طريقتهم، وهكذا يجيب هؤلاء المقلدة من أهل هذه الملة الإسلامية، فإن العالم بالكتاب والسنة إذا أنكر عليهم العمل بمحض الرأي المدفوع بالدليل قالوا: لهذا قد قال به إمامنا الذي وجدنا آباءنا له مقلدين، وبرأيه آخذين، قال الحفناوي: أي: فلم يكن جوابهم إلا التقليد انتهى / ١٢ فتح.

(٢) هكذا نقله محيي السنة عن مجاهد وقتادة والمنقول عن السدي: أن ضعفاء القوم سمعوا ذلك القول منه/١٢ منه.

قطعهن بفأس ، واستبقى الكبير ، ووضع الفأس على عنقه ، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: إلى كبيرهم ، ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فيعتقدون أنه هو الذي كسرهن حسدًا عليهن ، أو إلى إبراهيم فيحاجهم بأنه فعله كبيرهم ، أو إلى الله بتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم ، ﴿قَالُوا﴾: حين انصرفوا من العيد ، ﴿مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا﴾ القائل. من سمع قواه: لأكيدن أصنامكم وهذا[1] كما يقال: أكرمني بنو فلان ، وإنما المكرم من بينهم رجل:﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: بعيبهم، ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ مرفوع بيقال لأن المراد به الاسم[2] ، ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: بمرأى منهم بحيث يتمكن[3] صورته في أعينهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: عليه أنه الفاعل ، كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ، أو يحضرون عقابه، وكان هذا هو المقصود الأكبر له لأن يبين لهم في محفل عظيم ، وفور جهلهم وقلة عقلهم في عبادة الجماد ، ﴿قَالُوا﴾: حين أتوا به ، ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ أراد أن يتفكروا فيعترفوا بعدم نطقهم ، وأن هذا

---

(١) لأن المناسب أن يقال : قال سمعنا؛ لأن القائل مفرد ، على قول مجاهد وقتادة بخلاف ما قاله السيد / ١٢ منه .

(٢) فصح أن يكون مقولاً لا المسمى،حتى لا يجوز تعلق القول به، قال صاحب البحر: هذا التأويل الذي ذكرناه في إبراهيم يمنعه بعض النحويين ، إذ لا نحفظ من لسان العرب قلت زيد ولا قال ضرب ، فالأولى أن إبراهيم نداء مقدر بجملة يحكى بيقال، أي: يقال حين يدعى يا إبراهيم، هذا ما في الوجيز وفي الفتح، ومن غرائب التدقيقات النحوية وعجائب التوجيهات الإعرابية ، أن الأعلم الشنتمرى الأشبيلى قال: إنه مرتفع على الإعمال، قال ابن عطية: ذهب إلى رفعه بغير شيء / ١٢ .

(٣) تمكن الراكب من المركوب / ١٢ منه.

لا يصدر عن صنم جماد ، فتقوم الحجة عليهم ، وفي الصحيحين :"إن إبراهيم لم يكذب[١] غير ثلاث"، قيل: أسند إلى الكبير لأن غاية تعظيمهم إياه سبب لمباشرة إبراهيم ، فأسند إلى السبب[٢] ، ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾: بالملامة، أو راجعوا عقولهم وتفكروا، ﴿فَقَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾: بهذا السؤال ، أو لما أنكم تركتم الأصنام بلا حافظ، أو بعبادتكم من لا يتكلم ، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾: أطرقوا[٣] رءوسهم من الحيرة والخجل ، أو انقلبوا[٤] إلى المجادلة بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم ، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليًا على أعلاه ، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ أي : قالوا لقد علمت إلخ فكيف نسألهم ، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَيَضُرُّكُمْ ﴾: إن عبدتموه، أو تركتموه، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ هو صوت المتضجر، أي: قبحًا ونتنًا لكم، واللام لبيان المتأفف به، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ قَالُوا﴾: أنتم مجانين لا تفهمون قبح مثل هذا الصنع ، قالوا حين عجزوا عن الجواب ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

---

(١) وفي رواية أبي داود والترمذى : "لم يكذب إبراهيم في شيء قط ، إلا في ثلاث كلهن في الله، قوله: إني سقيم، ولم يكن سقيما، وقوله لسارة: أختي وقوله: بل فعله كبيرهم هذا"/ ١٢ فتح .

(٢) وفي الوجيز بعد نقل هذا القول، وعندي أن مثل تلك التأويلات غير محتاج إليه على ما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – كما ورد في الصحيحين : لم يكذب إبراهيم غير ثلاث وعد هذا منها ، ومثل هذا الكذب من الرخص كالتلفظ بالكفر عند التعذيب لكن هو عليه الصلاة والسلام من أولي العزم فعليه الاحتراز عن مثل ذلك لأنه يقال له: يا صاحب العزيمة إياك والرخص / ١٢ .

(٣) كذا فسره قتادة / ١٢ منه

(٤) كذا فسره السدي / ١٢ منه .

﴿آلِهَتَكُمْ﴾: بإهلاك عدوهم ، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾: ناصرين لآلهتكم، أو إن كنتم فاعلين شيئًا، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً﴾ أي : باردًا فيه ما لا يخفى من المبالغة، ﴿وَسَلامًا﴾: يسلم من حرِّك، ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾، جمعوا له حطبًا وأوقدوا نارًا وقد ذكر أنهم جمعوا حطبًا كثيرًا جدًا حتى إن كانت امرأة تمرض فتقول : إن عافاني الله لأجمعن حطبًا لإبراهيم ، ثم أوقدوا نارًا كادت الطير في الجو تحرق ورموه بالمنجنيق فيها، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريل قائلاً: ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا ، فقال: سل ربك، فقال :"حسبي من سؤالي علمه بحالي"، فما أحرقت منه سوى وثاقيه[١] وكان في النار سبعة[٢] أيام وقيل خمسين ، وقيل أربعين وهو ابن ست عشر[٣]، وكان يقول : ما أنعم أيامي في النار، وقيل: لم يبق نار في الأرض إلا طفئت ، وما من دابة إلا تطفي النار سوى الوزغ ولهذا عد من الفواسق، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ مكرًا في إهلاكه ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾: أخسر كل خاسر، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً﴾: ابن أخيه[٤] من أرض العراق، ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي : الشام ، فإن أكثر الأنبياء بعثوا فيه ، فانتشرت في العالم بركتهم قيل : كل ماء

---

(١) كذا قاله ابن عباس والسدى وكعب الأحبار / ١٢ منه .

(٢) نقله محيى السنة / ١٢ منه .

(٣) قاله شعيب الجبائى / ١٢ منه .

(٤) قاله ابن عباس ، أي : هاران الأصغر وكان لهما أخ ثالث اسمه ناحور، والثلاثة أولاد آزر وإبراهيم خرج من كوثا من أرض العراق ومعه لوط وسارة ، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج من حران حتى قدم مصر ، ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل من أرض فلسطين ، وترك لوطًا بالمؤتفكة وهى على مسيرة يوم وليلة من اليسع فبعثه الله نبيًا إلى أهلها وما قرب منها ذكره الخازن/ ١٢ فتح .

ينبع في العالم فأصله من الشام ، أو المراد مكة ، ﴿ووَهَبْنا[1] لَهُ إسْحَاقَ ويَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي : عطية حال منهما ، أو النافلة ولد[2] الولد ، أو هو طلب ولدًا فأعطي إسحاق وزاده يعقوب نافلة، فيكون حالاً من يعقوب للقرينة، ﴿وكُلاًّ جعَلْنا صَالِحِينَ وَجعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: يقتدى بهم، ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس بالحق، ﴿بأَمْرِنَا وأَوْحَيْنَا إلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ﴾ لأن يحثوا عليه ، ﴿وَإقَامَ الصَّلاةِ وَإيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من عطف الخاص على العام للتفضيل، ﴿وكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾: موحدين مخلصين .

﴿ولُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً﴾ الفصل بالحق بين الخصوم ، ﴿وعِلْماً ونَجَّيْنَاهُ مِنَ القَرْيَةِ الَتِي كَانَتْ تَّعْمَلُ الخَبَائِثَ﴾ وهي قرية سدوم ، كان عمل أهلها اللواط ، ﴿إنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾: في أهل رحمتنا أو في جنتنا، ﴿إنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا

(١) أي : زيادة وفضلاً / ١٢ منه .

(٢) نقله العوفي عن ابن عباس / ١٢ منه .

فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ
وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا
بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى
رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن
نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا
وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى﴾ أي: اذكر نوحًا إذ دعا على قومه بالهلاك وإذ نادى بدل من نوحًا ، **﴿مِن قَبْلُ﴾**: من قبل المذكورين، **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾**: دعاءه ، **﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾**: الذين آمنوا به ، **﴿مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾**: تكذيبهم وأذاهم ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يؤذونه ويوصون بمخالفته قرنًا بعد قرن، **﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾**: جعلناه منتصرًا منهم، **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾** ، فاسقين ، **﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾**: فلم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، **﴿وَدَاوُدَ**

﴿وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: اذكرهما ، ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ بدل منهما، ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ كان ذلك كرمًا انثنت[1] عناقيده ، وقيل زرعاً[2] ، ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾: رعت ليلاً [3] ، ﴿فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: فأفسدته ، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: عالمين ، وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما، أو لأن الاثنين جمع، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكومة، أو الفتوي، ﴿سُلَيْمَانَ﴾ دون داود، فإنه حكم بأن الغنم لصاحب الكرم بدل إفساده وحكم سليمان بدفع الكرم لصاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فينتفع بَدَّرها و نسلها وصوفها فإذا صار الحرث كما كان يأخذ كل منهما ماله ، ﴿وَكُلاًّ﴾: من داود وسليمان ، ﴿آتَيْنَا[4] حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال بعض

(١) كذا قال ابن عباس -رضي الله عنه- ونقل ابن جرير عن ابن مسعود -رضي الله عنه- ونقل ابن أبي حاتم عن مسروق/١٢ منه .

(٢) وهو أشبه بالعرق / ١٢ فتح .

(٣) لو وقع مثل هذا اليوم فمذهب الشافعي الضمان إن كان بالليل ، وعند أبي حنيفة لا ضمان مطلقاً إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد/١٢ منه .

(٤) وقد استدل بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، ولا شك أنها تدل على رفع الإثم عن المخطئ ، وأما على كون كل واحد منهما مصيبًا فلا تدل هذه الآية ولا غيرها، بل صرح حديث الصحيحين ، وغيرهما أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر ، فسماه النبي – صلى الله عليه وسلم – مخطئًا، فكيف يقال إنه مصيب لحكم الله؟! فإن حكم الله – سبحانه – واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين ، وإلا لزم توقف حكمه عز وجل على اجتهاد المجتهدين واللازم باطل فالملزوم مثله ، وأما لو وقع مثل هذا اليوم في الشريعة المحمدية فقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من حديث البراء أنه شرع لأمته أن على أهل الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار ، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها ، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عنها أو قيمته ، وقد ذهب جمهور العلماء إلى العمل بما

السلف[1]: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ، ولكن الله تعالى حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ يقدسن الله معـــه ، ويجاوبـــنه قيل يصلين معه إذا صلى[2] وقيل : إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط، ويشتاق ويسبحن حال أو استئناف ، وأخر الطير، لما أن تسبيح الجبال لأنهـــا جمـــاد أعجب، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: لأمثاله ليس ببدع منا ، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَـــبُوسٍ لَّكُمْ﴾: عمل الدرع ، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ الضمير لداود في قراءة الياء ، وللبوس الذي هو الدرع في قراءة التاء، وهو بدل اشتمال من لكم بإعادة الجار،﴿مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَـــلْ أَنــتُمْ شَـــاكِرُونَ﴾ أي: فاشـــكروا لي وكـــان قريش أهل حرب وقتال، ﴿وَلِسُـــلَيْمَانَ﴾ عطف على مع داود ، إن كان متعلقًا بسخرنا ، وإن تعلق بيسبحن فـــتقديره وسخرنا لسليمان، ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب ، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ حـــال ثانـــية، ﴿إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الشام فإنه وطنه ، كان له بسط من خشب يوضع عليه ما أراد من الجند ، وغيره فتحملها الريح ، وتظله الطير من الحر إلى حيث يشاء ، والريح في قبضته إن أراد عاصفة فعاصفة ، وإن أراد رخوة فرخوة، وعلى الوجهين لينة لا تشوشهم ولا تزلزلهم ، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ فتجرى الأشياء

= تضـــمنه هـــذا الحديث ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه وجماعة من الكوفيين إلى أن هذا الحكم منسوخ ، وأن البهائم إذا أفسدت زرعًا في ليل أو نهار لا يلزم صاحبها شيء ، وأدخلوا فسادها في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم - : "جرح العجماء جبار" قياسًا لجميع أفعالها على جرحها ، ويجاب عنه بأن هذا القياس فاسد الاعتبار ، لأنه في مقابلة النص ، ومن أهل العلم من ذهب إلى أنه يضمن رب الماشية ما أفسدته من غير فرق بين الليل والنهار ، ويجاب عنه بحديث البراء / ١٢ فتح اليان.

(١) هو الحسن رضي الله عنه / ١٢ .

(٢) قال قتادة / ١٢ منه .

على ما يقتضيه علمنا ، ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾: فيخرجون من البحر الجواهر واللآلئ ، والجملة مبتدأ أو خبر أو من يغوصون عطف على الريح ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾: سوى الغوص ، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾: من الزيغ والفساد ، ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي: واذكره ، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأني ، ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ كان نبيًّا صاحب حرث وأنعام وأولاد فابتلاه الله بإهلاك كلها ثم ابتلاه بجسده فلم يبق منه سليم سوى لسانه وقلبه يذكر بهما ربه حتى تنافر عنه كل أنيس ، وتحاشى عنه كل جليس ، فلا يتردد عليه سوى زوجته ، ويقلل: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله فدعا الله لكشف كربه بعد[1] مدد من الأيام المتطاولة بهذا الأسلوب البليغ ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾: بالشفاء ، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: بإحياء من مات من أولاده ، وإعطائه مثلهم من الأولاد ، أو أعطيناه أولاده الذين ماتوا في الجنة ، ومثلهم معهم في الدنيا فقد نقل[2] أنه قيل له : إن أهلك فى الجنة إن شئت أتيناك بهم ، وإن شئت تركناهم لك

---

(١) قال الحسن وقتادة: سبع سنين، وقال وهب بن منبه: ثلاث سنين ، ونقل ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أن أيوب لبث به بلاءه ثماني عشر سنة" قيل دعاؤه هذا بعد أن لامه بعض أصحابه حين جاءوه وافدين من بعيد قائلين تب إلى الله من ذنب تلك عقوبته فتضرع بتلك العبادة في كشف كربه قائلاً : لا طاقة لي في أن ينسبنى أحد إلى معصيتك ، لضر بالفتح الضر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال / ١٢ وجيز .[ذكره ابن كثير في "تفسيره" (١٩٠/٣) وقال: رفع هذا الحديث غريب جدا وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٩٣/٤) وعزاه لابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وللحاكم وصححه]

(٢) عن مجاهد / ١٢ .

فيها وعوضناك مثلهم في الدنيا فاختار الثاني ، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على أيوب مفعول له ، ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكرة ، ﴿لِلْعَابِدِينَ﴾: ليصبروا كما صبروا لئلا ييأسوا في البلاء ، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ﴾ كثير من السلف[1] على أنه صالح من بني إسرائيل تكفل لنبي أن يكفيه أمر قومه ، ويقضي بينه وبينهم بالعدل وفعل فسمي ذا الكفل[2] لكن الظاهر أنه نبي قرنه فى سلكهم ، ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾: على مشاق التكاليف ، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾: النبوة والجنة ، ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿وَذَا النُّونِ﴾: يونس ، ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾: من بين قومه ، ﴿مُغَاضِبًا﴾ لهم من غير إذن ربه حين أصروا على الكفر ، والمفاعلة للمبالغة ، أو هو أغضبهم أيضًا بالمهاجرة عنهم خوف العذاب، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: لن نضيق عليه ، أو لن نقضي عليه بالعقوبة ولن نعمل فيه قدرتنا، ويؤيده قراءة نقدّر بالتشديد قيل : هذا من باب التمثيل ، أي : حاله ممثلة بحال من ظن عدم قدرتنا عليه في مراغمة

---

(١) كمجاهد وابن عباس- رضى الله عنه- وأبى موسى الأشعري رضي الله عنهم/ ١٢ منه.

(٢) أخرج أحمد والترمذى وحسنه ابن حبان والطبراني والبيهقى في شعب الإيمان وغيرهم عن ابن عمر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : "كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال : ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط ، وما حملني عليه إلا الحاجة ، فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته ، اذهبي فهى لك، وقال : والله لا أعصى الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه إن الله قد غفر للكفل" [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (٤١٥٤)] وقد ذهب الجمهور إلَى أنه ليس بنبي ، وبه قال أبو موسى الأشعرى ومجاهد وغيرهما وقال جماعة : هو نبى ، ولعله هو الصحيح ، وبه قال الحسن ، لأن الله قرن ذكره بإسماعيل وإدريس ، ولأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء/١٢ فتح .

قومه من غير انتظار لأمرنا ، وقيل : خطرة شيطانية سماها للمبالغة ظنًّا، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمة بطن الحوت والبحر والليل ، ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ﴾ أي: بأنه، أو أن مفسرة، ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لمبادرتي إلى الهجرة قبل الإذن، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: بأن قذفه الحوت بالساحل سالماً بعد ما مكث في بطنه أربعين يوماً[1]، ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي[2] الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا دعونا في الشدائد منيبين إلينا، سيما إذا دعوا بهذا الدعاء ، ففي الحديث "ما من مكروب[3] يدعوا بهذا الدعاء إلا استجيب له"، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: بلا ولد، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ[4]﴾ ثناء منه على الله بأنه خير من يبقى بعد ما سأل ولدًا يبقى بعده ، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: صيرناها ولودًا بعد ما كانت عاقرًا أو حسنة الخلق بعد ما كانت سيئة[5] الخلق ، ﴿إِنَّهُمْ﴾: المذكورين من الأنبياء ،

---

(١) رواه ابن جرير عن الحسن البصري / ١٢ منه .

(٢) أخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وصححه والبيهقى عن سعد بن أبي وقاص- رضى الله عنه- قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى ، دعوة يونس بن متى"، قلت : يا رسول الله هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هى ليونس خاصة ، وللمؤمنين عامة ، إذا دعوا به ألم تسمع قول الله "وكذلك ننجي المؤمنين"؟، فهو شرط من الله لمن دعاه"/١٢فتح.[أخرجه أحمد والترمذي والنسائي بغير هذا اللفظ وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (١/٥٠٥) بهذا اللفظ]

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم بغير هذه العبارة / ١٢ منه .

(٤) قيل : سأل أن يرزقه ربه ولدًا يرثه ، كما مرورد أمره إلى الله فقال : وأنت خير الوارثين، أي : إن لم ترزقنى من يرثني فأنت خير وارث / ١٢ وجيز .

(٥) قاله عطاء ومحمد بنكعب والسدى / ١٢ .

أو زكريا وأهل بيته ، ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾: يبادرون ، ﴿فِي الْخَيْرَاتِ[1]﴾: في عمل القربات ، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: راغبين في رحمتنا راهبين من عذبنا ، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ لا يخافون ولا يخضعون لغيرنا ، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: مريم فإنها بكر ما ذاقت حلالاً ولا حرامًا ، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: بأن أمرنا جبريل بالنفخ في جيب درعها ، وإضافة الروح إليه للتشريف، وقيل من جهة روحنا جبريل ، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾ دالة على كمال قدرتنا، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإنها أتت به من غير فحل ، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾: ملة الإسلام، ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ : ملتكم ، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: غير مختلفة في ما بين الأنبياء ، نصب على الحال ، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: لا غيرى ، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ إما بمعنى قطعوا ، أو نصب أمرهم بترع الخافض ، يعني اختلفوا وصاروا فرقًا التفت من التكلم إلى الغيبة لينعي عليهم ما أفسدوه إلى المؤمنين[2]، ويقبح عندهم كأنه يقول: ألا ترون إلى قبح ما ارتكبوا هؤلاء في ديننا؟ ﴿كُلٌّ﴾: من الفرق، ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: فنجازيهم .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ

---

(١) نقل ابن أبي حاتم عن أبي بكر – رضى الله عنه – قال فى خطبة : إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : إنهم يسارعون في الخيرات / ١٢ منه .

(٢) متعلق بينعي لتضمين معنى الإنهاء/١٢ .

أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ
لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي
مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ
كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا
فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ
أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ
وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾
قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر في إعطائه ، **﴿وَإِنَّا لَهُ﴾**: لسعيه ، **﴿كَاتِبُونَ﴾** ، في صحيفة عمله ، أو إنا كاتبون لمن يعمل ما عمل، **﴿وَحَرَامٌ﴾**: ممتنع ، **﴿عَلَى﴾**: أهل ، **﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ[1]﴾** أي : رجوعهم إلى الدنيا ، فلا صلة ، وقيل معنى الحرام الواجب فلا غير صلة ، وقيل: معناه حرام على أهل قرية قدرنا إهلاكهم

(١) يريد أنهم يرجعون ، فزاد لا في أنهم لا يرجعون / تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .

بالكفر أن يرجعون عن كفرهم وينيبوا ، وقيل : حرام عليهم عدم كفران سعيهم ، لأنهم لا يرجعون عن الكفر ، ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي : حرام عليهم الرجوع إلى الدنيا إلى أن فتحت سد يأجوج ومأجوج فإنهم يحيون ويرجعون إلى الدنيا حينئذ للقيامة ، أو ممتنع عليهم الإنابة إلى القيامة ، وإنابتهم في القيامة لا تنفع ، ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مرتفع من الأرض ، ﴿يَنسِلُونَ﴾ ، يسرعون في الحديث[1] "هم صغار العيون عراض الوجوه من كل حدب ينسلون"، ﴿وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ﴾ أي : القيامة عطف على فتحت ، ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ ، جواب الشرط ، وإذا للمفاجأة سد مسد الفاء فإذا دخل الفاء ايضًا تأكد الارتباط ، ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فتحت أعينهم لا يكاد تطرف من الهول ، وضمير هي مبهم يفسره الأبصار ، أو ضمير القصة،﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أي : قالوا يا ويلنا ، ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾: في الدنيا ، ﴿مِّنْ هَذَا﴾، اليوم ما كنا نعلم أنه حق ، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: لأنفسنا لأنه نبهنا الرسل فكذبناهم ، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي : الأصنام ، ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الحصب، ما يحصب ويرمى به في النار ، ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ استئناف، واللام[2] للاختصاص فإن استعمال الورود بعلى ، وقيل لها خبر وواردون خبر ثان ، ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ﴾: الأصنام ، ﴿آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ﴾: من العابد والمعبود ، ﴿فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ﴾: للكافرين ، ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنين ، ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ﴾ ، عن ابن مسعود إذا بقي من يخلد فيها جعل لكل منهم تابوت من نار مسمر من نار فلا يظن أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ، ثم قرأ وهم فيها لا يسمعون ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم / ١٢ منه .[وقال الهيثمي في "المجمع" (٦/٧): رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح]

(٢) أي : أنتم خاصون مختصون لها / ١٢ منه .

﴿لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾: الرحمة والسعادة ، ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قد ذكر[1] أنه عليه السلام لما تلا " إنكم وما تعبدون " الآية، قيل قد عبدت الملائكة وعزير ومسيح فكل منهم مع آلهتنا في النار فأجاب عليه السلام أنهم إنما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ثم نزل " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى" الآية، استثناء من المعبودين ، فعلى هذا " وما تعبدون " عام مخصص ، ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ هو صوت يحس به، خبر ثان لأولئك أو حال ، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾: دائمون في التنعم ، ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾: النفخة في الصور، أو حين يؤمر بالكفار إلى النار، أو حين يطبق النار على أهلها، أو حين يذبح الموت، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾: تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة مهنئين قائلين ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: للثواب، ﴿يَوْمَ﴾ عامله لا يحزنهم أو تتلقاهم أو اذكر ، ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ الطي ضد النشر، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجل الصحيفة ، صرح بذلك جماهير السلف ، أي: كطي الطومار لأجل ما يكتب فيه ، يعني : تطوى السماء كما يطوى الكتاب الطومار ويسوى ويضعه مطوياً حتى إذا احتاج إلى الكتابة لم يحتج إلى تسوية ، أو السجل ملك يطوي كتب بنى آدم وعلى هذا اللام زيدت للاختصاص ، وفى سنن أبي داود والنسائى أنه كاتب لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وكثير من الأكابر[2]

---

(١) روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبو بكر بن مردويه عنه أيضًا ورواه غيرهما أيضًا/١٢ منه كذا في الوجيز .

(٢) وفي الوجيز وأما أن السجل اسم لكاتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما في أبي داود والنسائى ، فقد حكم النقاد أنه موضوع ، وليس في الصحابة من يسمى بالسجل. انتهي،

وفى الفتح قال ابن كثير: هذا منكر جدا،وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه ، وإن كان في سنن أبي داود منهم الحافظ المزي وقد أفرد الشوكاني لهذا الحديث جزءً على =

صـــرحوا بوضعه[١] ، وقالوا : لا يعرف من الصحابة أحد اسمه السجل ،﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْــقٍ نُّعِــيدُهُ[٢]﴾ ، أي : نعيد أول الخلق كما بدأناه ، وأول الخلق عبارة عن إيجـــادة عـــن العدم فنصب أول نعيد المقدر المفسر بنعيد وكم مفعول مطلق أو كما مفعول به لنعيد المقدر وما موصولة ، وأول ظرف لبدأنا وحينئذ مفعول بدأنا ضمير لما، أي: نعيد مثل الذى بدأناه في أول الخلق حين الإيجاد عن العدم، ﴿وَعْداً عَلَيْنَا﴾، أي: نعد وعدًا علينا إنجازه ، أو مصدر مؤكد ، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾: ذلك البتة ، ﴿وَلَقَدْ[٣] كَتَبْـــنَا فِـــي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: الزبور ما أنزل من الكتاب ، والذكر اللوح المحفـــوظ، أي: كتبـــنا في الكتب بعد ما كتبنا في اللوح أو هو كتاب داود ، والذكر الـــتوراة ، ﴿أَنَّ الأَرْضَ﴾ أرض الجنة ، أو أرض الكفار ، أو بيت المقدس ، ﴿يَرِثُهَا عِــبَادِيَ الصَّـــالِحُونَ﴾: المؤمن مطلقاً أو أمة محمد -عليه السلام، ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾: القـــرآن ، ﴿لَــبَلاغاً﴾: لكفايـــة ، أو لوصولاً إلى البغية ، ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾: لله لا للشطان ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً[٤] لِّلْعَالَمِينَ ﴾: للبر والفاجر ، فإنه رُفع ببركته

= حدة وقد تصدى الإمام ابن الجرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد ، وقال : لا نعـــرف في الصـــحابة أحدًا اسمه سجل ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس فيهم أحد اسمه السجل انتهي/١٢ .

(١) كأبي الحجاج المزى والإمام أبي جعفر ابن جرير ، وقالا. موضوع ركيك/ ١٢ منه .

(٢) يعني كما أبرزناه من العدم نعيده ثاني مرة أو خبر من أن كل شخص يبعث على هيئته التي خرج بها إلى الدنيا كما ورد في الحديث: "يحشر الناس حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده" / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر أن وعده حق لا يتخلف الموعد عنه أعقبه بما هو دال على ذلك فقال : " ولقد كتبنا في الزبور " / ١٢ وجيز.

(٤) أخـــرج مســـلم عـــن أبي هريـــرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : ادع الله على المشركين ، قال : إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة" ، ثم بين سبحانه أن=

الخسف والمسخ والاستئصال ، أو إرسله للرحمة على الكل ، لكن بعضهم أعرضوا عن الرحمة ، وما تعرضوا لها فحر مافهم وشقاوهم من سوء شكيمتهم ، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: لا متعدد كما تقولون ، أو المقصود الأصلي من جميع[1] الوحـي العـلم بالوحدانـية ، فكأنه ما نزل عليه إلا هذا ، أو ما كافة، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: مخلصون[2] العبادة لله ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ : عن الإسلام، ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾، أنذرتكم بالعذاب ، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ : مستوين في الإعلام ، أو إيذانًا على سواء ، أو حال من الفاعل والمفعول ، أي : مستويان في العلم بما أعلمتكم لا أدري وقته ، وقيل معـناه : إن أعرضوا فقل أعلمتكم بما يوحى إلى مستوين في العلم ما كتمت شيئًا عن أحد ، ﴿وَإِنْ﴾ : نافية ، ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ ، من[3] العذاب أو القـيامة ، ﴿إِنَّـهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ لا تفاوت عنده في إسراركم الطعن في الإسلام وإجهاركم ، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ : لعل تأخير العذاب ، ﴿فِتْـنَةٌ﴾ : اختـبار ، ﴿لَّكُـمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ تمتيع إلى أجل قدَّره الله ، ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم﴾ ، اقـض بيننا وبينهم ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ : بالعدل ، أمرٌ باستعجال عذاب هو حقيق لهم ، وقد وقع ببدر ، وفي الدعاء أيضاً إظهار لعبوديته والرغبة ، وإن كان المدعو أمـرًا محققـا ، ﴿وَرَبُّـنَا الرَّحْمَنُ[4] الْمُسْتَعَانُ﴾ ، المسئول منه المعونة ، ﴿عَلَى مَا

= أصـل تلك الرحمة هو التوحيد، والبراءة من الشرك فقال : " قل إنما يوحى" الآية/ ١٢ فتح .

(١) كمـا تقـول لمـن يعتقد قعود زيد : ما زيد إلا قائم ، فلايلزم أن لا يوحى بالشرائع والقصص/ ١٢ منه .

(٢) استفهام يتضمن الأمر بالإخلاص والانقياد / ١٢ وجيز .

(٣) من العذاب وهذا مشعر بأن الإيذان به إيذان العذاب لا إعلام الوحي / ١٢ وجيز .

(٤) قوله : ربنا مبتدأ والرحمن صفة والمستعان خبره / ١٢ وجيز .

تَصِفُونَ[1]﴾ ، من الحال فإن زعمهم أن راية الإسلام ستنتكس عن قريب وتصير الشوكة لهم فخيب الله آمالهم وخرب مآلهم.

والحمد لله على ذلك

(١) أخرج البخارى وغيره عن ابن مسعود قال: "بنوا إسرائيل" [يعني: "الإسراء"]، والكهف ومريم والأنبياء من العتاق الأول وهن من تلادي وعن عامر بن ربيعة قال لرجل من العرب نزل به: لا حاجة في قطعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا. يريد هذه السورة/١٢فتح .

سورة الحج مكية، غير ست آيات وهي:

﴿هذان خصمان﴾ إلى ﴿صراط الحميد﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ (١) يَوۡمَ
تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى
ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ (٢) وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ (٣) كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن
تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن
مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن
يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ
أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ
فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ (٨) ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا
قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (١٠)﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ هي النفخة الأولى قبل قيام القيامة المسماة بنفخة الفزع ، وهي من أشراط الساعة ، أو المراد قيام القيامة ، فإضافة المصدر إلى فاعله أي : شدة تحريكها للأشياء أو زلزال وأهوال هي فيها فمن إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع في إجرائه مجرى المفعول به ، أي : الزموا التقوى، فإنه لا ينفعكم في هذا اليوم العظيم إلا التدرع بلباس التقوي، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ الزلزلة، ونصب يوم بقوله: ﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة ، ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾: في حال إرضاعها ، ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: لشدة ذلك اليوم والذهول ، والوضع لبيان واقع إن كان المراد حين النفخة الأولى، وإلا فتصوير لهولها ، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾: كأهم سكارى، ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾: في الواقع ، أو كأهم سكارى من الخمر ، وماهم بسكارى منه ، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ[1]﴾ فأدهش عقولهم أو فهم سكارى من الخوف ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ﴾: في جداله ، ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ عار عن الخير مطلقًا جادل قريش، وقالوا: محال إعادة الخلق بعدما صاروا ترابًا، وقد نقل أن واحدًا منهم قال: أخبرنا عن ربك من ذهب أو فضة أو نحاس فصعقته صاعقة فاختطفته ، ﴿كُتِبَ﴾: قُضي وقُدّر ، ﴿عَلَيْهِ﴾ على الشيطان، ﴿أَنَّهُ﴾ أي الشيطان ، ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعه ، ﴿فَأَنَّهُ﴾[2]: الشيطان،

(١) وروي أن الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم تر باكيًا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يضربوا الخيام وقت النزول ، ولم يوقدوا نارًا وهم بين حزين وباك ومفكر ــ رضي الله تعالى عنهم أجمعين- ، ولما علم أن الناس قسمان من قوله : " يا أيها الناس اتقوا ربكم " فقسم هم المتقون ذكر قسيمهم فقال "ومن الناس" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) في الوجيز الضمائر الثلاثة أيضًا لمن يعني هذا المجادل لكثرة جداله الباطل صار إمامًا لمن يتولاه ، والظاهر أن جملة : " أنه من تولاه" مفعول ما لم يسم فاعله، لكُتِب إسنادًا =

﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ هذا من باب التهكم ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ أي: فانظروا في بدء خلقكم، لتعلموا أن من قدر على هذا قدر على ذلك ﴿مِّن تُرَابٍ[1]﴾: خلق آدم منه ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: ذريته من منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ فإن النطفة تصير دمًا غليظًا ، ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: قطعة من لحم قدر ما يمضغ، ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: تامة ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: ساقطة، أو مسواة ومعيوبة ، ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: كمال قدرتنا على البدائع والحشو فرد منها، ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أن نقره فلا نسقطه ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الوضع ، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ[2] طِفْلاً﴾ نصب على الحال والمراد منه الجنس ، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم المعطوف محذوف كما تقول: جاء زيد ثم عمرو وثم أي : ثم نربيكم لتبلغوا أو تقديره : لنبين لكم ثم لتبلغوا فكأن الأمر التدريجي من النطفة والعلقة والمضغة ليس إلا للتبيين ، وأما تمكينه في الرحم ، ثم إخراجه لمصلحتين التبيين والإيصال إلى كمال العقل ، أو تقديره ثم فعلنا ما فعلنا لتبلغوا ، ﴿وَمِنكُم مَّن

= لفظياً، أي: كتب عليه هذا الكلام ولا يذهب عن الخبير أن ما ذكرنا في إعراب " أنه من تولاه" معناها واضح من غير إشكال وإغلاق ، ولما حذر الناس من ذلك اليوم وأخبر أن فيهم من يكذب وعرف مآله أقبل إليهم ثانيًا ــ رحمة عليهم مستدلاً لهم على وقوعه بدليلين: نفسي وآفاقي فقال : " يا أيها الناس " الآية/١٢ وجيز .[دليل آفاقي تعني دليل كوني قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت:٥٣)].

(١) وهذا أول تطور الإنسان في أطوار سبعة ، وهي التراب والنطفة والعلقة والمضغة والإخراج طفلاً وبلوغ الأشد والتوفي أو الرد إلى أرذل العمر / ١٢ فتح .

(٢) وأحد يراد به جميع كقوله تعالى: "هؤلاء ضيفي فلا تفضحون" (الحجر:٦٨) أو قوله تعالى: "أنا رسول رب العالمين" (الشعراء:١٦).

﴿يُتَوَفَّى﴾: قبل الهرم ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف ، ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾، كحال طفولية فسبحان من يعيد كما بدأ ، ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾: ميتة يابسة شرع في دليل[1] آخر للبعث ، ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات ، ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخت ، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ، ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن رائق ، ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور[2] ، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، بسبب أنه الثابت الموجود فإنه هو الموجد قيل تقديره: ذلك هادٍ بأنه هو الحق، ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾: لولا قدرته على إحياء الموتى، كيف يحيي النطفة والأرض، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على مثل ذلك ، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ وإلا فيكون ذلك سيما إخراج الطفل ، والتبلغ عبثًا لعبًا لاطائل تحته -تعالى الله عن ذلك﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ الأولى بيان حال المقلدين ، ولهذا قال :"ويتبع كل شيطان مريد" ، وهذه الآية حال المقلدين ، ولذلك يقول ليضل الناس ،﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾: ليس له علم فطري ، ولا ما يستند إلى دليل عملي ، ولا إلى وحي ، ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ كناية عن الكبر أو عن الإعراض حال من فاعل يجادل ، ﴿لِيُضِلَّ﴾: الناس ، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اللام لام العاقبة ، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: مذلة كقتل وسبي ، ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: المحرق ، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ التفات أو تقديره يقال له ذلك ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل عادل ومن العدل تعذيب المسيء وإثابة المحسن، والظالم قد يترك عقاب المسيء للعصبية كما يترك إثابة المحسن

---

(١) أفاقي للبعث ولما كان هذا مشاهدًا للأبصار بخلاف الدليل الأول فإن بعض مراتب الخلقة فيه غير مرئى أحال الثاني على الرؤية / ١٢ وجيز .

(٢) من خلق بني آدم وإحياء الأرض / ١٢ .

قيل : لما أثبت له خزي الدنيا ، وعذاب الحريق صار مظنة لأن يتوهم أنه ظلم عظيم ، فعكس الأمر ، وقال : لست بظلام كما زعمت وقد مر في سورتي آل عمران والأنفال.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ
فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ (11)
يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ (12)
يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ (13) إِنَّ ٱللَّهَ
يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ (14) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ
بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ (15) وَكَذَٰلِكَ
أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يُرِيدُ (16) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ
وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ شَهِيدٌ (17) أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ
وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (18) ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ (19) يُصۡهَرُ
بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ (20) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ (21) كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن
يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (22)﴾

﴿وَمِنَ[1] النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: طرف من الدين لا على وسط منه كمن هو على طرف من العسكر إن أحس بظفر قرَّ وإلا فرَّ ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: ما يحبه ، ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾: فاستقر على دينه ، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: ما يكره ، ﴿انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾: رجع عن دينه ، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ نزلت[2] في ناس من الأعراب يسلمون فإن وجدوا عام غيث ونتجت فرسهم وما لهم وولدت امرأتهم غلامًا رضوا به وإلا ارتدوا ، ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنفَعُهُ﴾: جمادٌ لا يقدر على شيء ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾: عن المقصد ، ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ[3]﴾: النفع والضر المنفيان قدرته عليهما والمثبت كونه بسبب من الضر المحقق ، وبمعزلة عن النفع المترتب[4] ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾: الناصر ، ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾: الصاحب، اعلم أن يدعو الثاني إن كان تأكيدًا ليدعو الأول ، فالموصول بصلته مبتدأ وفعل، لذم خبره ، والجملة مستأنفة إخبار من الله ، وإن كان بمعنى يقول ، فالجملة مقول له ، أي : يقول الكافر حين يرى ضر عبادته في الآخرة لمن ضره أقرب إلخ، وقيل: اللام في لمن زائدة وقرأ ابن مسعود بلا لامٍ .

---

(١) ولما ظهر حال الكافر وحال المؤمن المخلصين في الكفر والإيمان أعقبه بحال المذبذب فقال "ومن الناس" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كما في البخارى عن ابن عباس- رضى الله عنه-/ ١٢.

(٣) الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة ، والتوسل بها إلى الله تعالى قاله القاضي/١٢ منه .

(٤) قيل: المراد من النفي الأول نفي الضر والنفي الأول نفي الضر والنفع من الأصنام، ولهذا جاء بمن التى هى لذوى العقول فمنهم نفع دنيوى لعابديهم لكن ضرهم أعظم وأقرب/١٢ وجيز .

﴿إِنَّ[1] اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، ولما ذكر إضلال قوم وإهداء آخرين قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: لا يُسأل عما يفعل ، ﴿مَن[2] كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾، أي : نبيَّه ، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ كما قال المشركون: ننتظر عليه الدوائر ، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: يمد حبلاً إلى سماء بيته ، أي : سقفه ، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: يختنق[3]، ﴿فَلْيَنظُرْ﴾: يتأمل ، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾، سماه كيدًا لأنه منتهى ما يصل إليه يده، ﴿مَا يَغِيظُ﴾: من نصر الله أو غيظه ، وحاصله أن الله ناصر رسوله فمن يتوقع من غيظه خلاف ذلك فليجتهد في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل الممتلئ غيظًا، يعني ليس في يده إلا ما لا يذهب غيظه ، وعن بعض معناه فليتوسل إلى بلوغ السماء ، فإن النصر من السماء ثم ليقطع ذلك عنه ، قيل: المراد بالنصر الرزق وحينئذ الضمير في ينصره لمن ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإنزال ، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾: القرآن ، ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ أي : ولأن الله يهدي به من يريد هدايته أنزلناه كذلك ، فالجملة من التعليل والمعلل المحذوف عطف على "كذلك أنزلناه"إلخ،﴿إِنَّ[4] الَّذِينَ

---

(١) ولما ذكر حال المذبذب وبين حال آلهتهم أعقبه بأن الله هو القادر على كل شيء يثيب المخلصين في الإيمان فقال :"إن الله". الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذم حال من لا يطمئن قلبه في بعض الأحوال ، وفطن في شأن نفسه أنه ربما لا يكون الرب ناصره لشك في دينه كما نقل أن بعض الأعراب قالوا : لو لم يكن الدين منصوراً ينقطع ما بيننا وبين حلفائنا من يهود فأنزل الله تعالى : " من كان يظن أن لن ينصره الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ليختنق سمي الاختناق قطعًا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه / ١٢ .

(٤) ولما كان ذلك موجبًا للسؤال عن حال الفريقين المهدي والضلال أجاب عن ذلك فقال: " إن الذين آمنوا " / ١٢ وجيز .

آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾: يقضي بينهم ويجازي كلًا ما يليق به ، ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ إن دخل[1] على الخبر أيضاً لمزيد التأكيد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾: فيعرف ما يليق بهم ، ﴿أَلَمْ[2] تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ ﴾: ينقاد ، ﴿لَهُ مَن[3] فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ[4] وَالْقَمَرُ[5] وَالنُّجُومُ[6] وَالْجِبَالُ[7] وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ[8]﴾ ، وقد[9] ورد:" الشمس والقمر حين يغيبان يقعان لله ساجدين ثم لا يطلعان حتى يؤذن لهما" ، وفي الحديث[10] "لا تتخذوا ظهور الدواب منابر فرب مركوب خيرٌ أو أكثر ذكرًا لله من راكبه" ، وبالجملة لا يستحيل سُنِّيٌّ مسلم أن يكون للجمادات خشوع وتسبيح ، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾: المسلمون، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ ﴾: هم الكفار فإنهم غير منقادين لله فهو بحسب المعنى استثناء مِنْ "مَنْ في الأرض"، ومن يُجوِّز

---

(١) وحسن دخولها لطول الفصل ، قال أبو البقاء: خبر إن الأولى محذوف مثل يقترفون والمذكور بعده كالتفسير له / ١٢ .

(٢) ولما ذكر أنه هو يقضى بين الخلائق ، أعقبه بما هو دال على أن الجميع في خضوع ، وانقياد سوى بعض من الإنس فقال : "ألم تر أن الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولا يبعد أن يراد بمن في السماوات والأرض كل شيء فيهما ، وجاء بمن لتغليب العقلاء/١٢ .

(٤) عبدتها حمير / ١٢ .

(٥) عبدته كنانة / ١٢ .

(٦) تميم عبد الديوان، وقريش ولخم عبد الشعرى وطيء عبد الثريا / ١٢ .

(٧) الأصنام المنحوتة بعضها من الجبال ، وبعضها من الأشجار / ١٢ وجيز .

(٨) البقر معبود اليهود / ١٢ .

(٩) وفي الصحيحين بغير هذا اللفظ / ١٢ وجيز .

(١٠) في مسند الإمام أحمد / ١٢ وجيز .[وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام]

استعمال لفظ واحدٍ في حالةٍ واحدة على معنيين مختلفين فلا إشكال عنده فإنه يحمل السجود على معانٍ ، قيل : وكثير من الناس مبتدأ خبره مقدر ، أي : مثاب بقرينة مقابلة ، وقيل : حق عليه العذاب خبر لهما[1] أي : وكثير وكثير حق عليه العذاب ، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَانِ[2] خَصْمَانِ ﴾: فوجان مختصمان ، ﴿اخْتَصَمُوا ﴾ الجمع نظرًا إلى المعنى، ﴿فِي رَبِّهِمْ ﴾: في أمره ودينه، نزلت[3] في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث بارزوا مع عتبة وشيبة والوليد يوم بدر ، قال علي: أنا أول من يجثوا بين يدي الرحمن للخصومة في القيامة أو في المسلمين واليهود، قالت اليهود: نحن أفضل، كتابنا ونبينًا أسبق ، فقال المسلمون : نحن أحق بالله آمنا بجميع كتبه ورسله وأنتم تعرفون كتابنا ورسولنا وكفرتم حسدًا ، أو المراد المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾: كما يقطع الثياب بقدر القامة فيخيط ، وهذا بيان فصل خصومة الكافر ، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾: الماء الحار الذي لو سقطت نقطة على جبال الدنيا لأذابتها خبر ثان، أو حال من لهم﴿يُصْهَرُ ﴾: يذاب ، ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾: الأمعاء ، ﴿وَالْجُلُودُ ﴾ الجملة حال ، ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ ﴾: سياط ، ﴿مِنْ حَدِيدٍ ﴾ لو ضرب[4] جبل بمِقْمَعٍ منها لتفتت، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾: من النار ، ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل من منها ، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: حين خرجوا منها من غير مهلة وتراخ ، وعن الحسن

---

(١) فيكون وكثير الثاني تكرير، الأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب/١٢ .

(٢) ولما ذكر الفريقين من أهل السعادة وأهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة في الدين فقال : " هذان خصمان " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كما في البخارى / ١٢ وجيز .

(٤) كما روي في مسند الإمام أحمد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم / ١٢ وجيز.[وفي إسناده ابن لهيعة وفيه كلام]

أن أيديهم وأرجلهم موثقة لكن يدفعهم لهبها فتردهم مقامعها ، ﴿وَذُوقُوا﴾ أي : قيل لهم ذوقوا ، ﴿عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾: فيجمع لهم بين التعذيب الجسماني والإهانة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾، هذا بيان فصل خصومة المؤمن ، ﴿يُحَلَّوْنَ ﴾، من حليته إذا جعلت له حليًا، ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾، جمع سوار ، ﴿مِن ذَهَبٍ ﴾، بيان لأساور، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر والنصب عطف على لفظ أساور ومحلها أو تقديره ويؤتون لؤلؤا ، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ[1] ﴾: في مقابلة ثياب أهل النار، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ ﴾: هدوا إلى مكان لا يسمعون فيه إلا الكلام الطيب وهو سلام الملائكة وتهنئتهم في مقابلة وذوقوا عذاب الحريق ، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ ﴾: المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ، وعن بعض الكلام الطيب القرآن، أو كلمة التوحيد في الدنيا، أو قولهم في الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وصراط الحميد : الإسلام ، ﴿إِنَّ[2] الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: في ماضي

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة " / ١٢ فتح .

(٢) ولما بين ما للفريقين أكد ذكر الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزاءهم فقال : " إن الذين كفروا " الآية / ١٢ وجيز .

الزمان ، ﴿وَ﴾، ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يومًا فيومًا ، ﴿وَالْمَسْجِدِ[1] الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾: لمناسكهم كلهم، ﴿سَوَاءً[2] الْعَاكِفُ﴾: المقيم، ﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾: الطارئ، من قرأ برفع سواء فهو خبر مقدم ، والجملة ثاني مفعولي جعلناه إن جعلته للناس حالاً وإن جعلت ثاني مفعوليه فهي حال ، ومن قرأ بنصبه فثاني مفعوليه أو حال بمعنى مستويا والعاكف مرتفع به ، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: ميل عن القصد ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول ، والباء للحال أو فيه تضمين معنى الهم، وقيل الباء زائدة، ﴿بِظُلْمٍ﴾: بعمدٍ حال أو بدل فالمراد بالإلحاد كل كبيرة أو الشرك، وعند بعض[3] أن من عزم سيئة بمكة أذاقه الله العذاب الأليم، وإن لم يفعلها وهذا من

---

(١) عطف على لفظ الله أو على سبيل الله / ١٢ منه .

(٢) قال القرطبي: وأجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه واختلفوا فى مكة، فذهب مجاهد ومالك إلى أن دور مكة ومنازلها يستوى فيها المقيم والطارئ ، وذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة على أن للقادم أن يترل حيث وجد وعلى رب المترل أن يئويه شاء أم أبى ، وذهب الجمهور إلى أن دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ولأهلها منع الطارئ من الترول فيها ، والحاصل أن الكلام في هذا راجع إلى أصلين: الأول ما في هذه الآية هل المراد بالمسجد الحرام نفسه أو جميع الحرم أو مكة على الخصوص.
والثاني : هل كان فتح مكة صلحًا أو عنوة ، وعلى فرض أن فتحها كان عنوة ، وهل أقرها النبي – صلي الله عليه وسلم – في أيدى أهلها على الخصوص أو جعلها لمن نزل بها على العموم، وقد أوضح الشوكاني هذا في شرحه على المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه إلى زيادة / ١٢ فتح.

(٣) منهم ابن مسعود وقيل الإسناد على شرط البخارى ووقفه عليه أشبه من رفعه ، وفي الفتح قال ابن كثير : هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أشبه من رفعه. انتهى، وقال بعض: الإلحاد فيه لا والله، وبلى والله / ١٢ .

خصوصيات مكة، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ[1] أَلِيمٍ﴾، جواب لمن وخبر إن مقدر أي: نذيقه من عذاب أليم وحذف لدلالة جواب الشرط عليه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ

---

(١) وقد كان دور مكة في الصدر الأول بلا باب ليترل فيه الحاج رضي رب البيت أم لم يرض حتى كثرت السرقة فاتخذ شخص بابًا لداره فأنكر عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقال : أتغلق على وجه الحاج ، وقد قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد ، فقال: أردت حفظ متاعهم فاتخذ الناس بعده الأبواب ، وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة من السلف أنه لا يجوز لرب بيوت مكة منع الحاج عن الترول فيها، ولما ذكر صدهم عن المسجد الحرام وعظمه عقبه بحكاية بانيه الدالة على أنه بناه لكل موحد أراد زيارةً فهذا البيت ليس للمشركين فكيف لهم صد الناس عن دخول بيتهم فقال: " وإذ بوأنا ". الآية/ ١٢ وجيز .[وكان سهيل بن عمرو هو أول من بوب داره كما قال ابن كثير (٣/٢١٥)]

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾[1] ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾: واذكر زمان جعلنا له، ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: مباءة مرجعًا يرجع إليه للعمارة والعبادة وذكر مكان البيت لأن البيت ما كان حينئذ، ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أن مفسرة لبوأنا من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا، أي: ابْنهْ على اسمي وحدي، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾: من الشرك، ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: حوله، ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، عبر عن الصلاة بأركانها أو المراد بالقائمين: المعتكفون لمشاهدة الكعبة، وبالركع السجود المصلون، ﴿وَأَذِّن﴾: نادِ، ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾: بدعوته والأمر به، نقل[2] أنه قام على مقامه أو على الحجر، أو على الصفا أو على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس إن ربكم اتخذ بيتًا فحجوه، فأجابه كل شيء من شجر وحجر ومن كتب الله له الحج إلى يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم: لبيك اللهم لبيك، ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة جمع راجل، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: ركبانًا حال معطوف على حال، ﴿يَأْتِينَ﴾، صفة لضامر، وجمعه باعتبار معناه، ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد، ﴿لِيَشْهَدُوا﴾: يحضروا، ﴿مَنَافِعَ﴾: دينية ودنيوية، ﴿لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: عشر ذي الحجة، أو يوم النحر وثلاثة بعده ويعضد الثاني قوله: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، فإن المراد التسمية عند ذبح الهدايا والضحايا، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾، الأمر للاستحباب أو للإباحة، فالجاهلية يحرمون أكلها،

---

(١) عَيِّنًا /١٢ .

(٢) هذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أورده ابن زيد وابن أبي حاتم بطوله / ١٢ منه .

وعند الأكثرين لا يجوز الأكل من الدم الواجب، ﴿وَأَطْعِمُوا[1] الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الشديد الفقر المتعفف أو الزمِنَ أو الضرير، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا﴾: يزيلوا ﴿تَفَثَهُمْ﴾، وسخهم بقص الشوارب والأظفار ولبس الثياب وغيرها أو التفث المناسك، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: أعمال حجة من وفّى بنذره إذا خرج مما وجب عليه مطلقًا أو ما نذر وأوجب على نفسه في الحج، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: طواف الإفاضة والعتيق[2] القديم أو أُعتق من تسلط الجبابرة عليه، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الأمر ذلك وهو وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: بترك ما نهى الله أو بتعظيم بيته، والشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام، ﴿فَهُوَ﴾: التعظيم، ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: ثوابًا، ﴿وَأُحِلَّتْ[3] لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى﴾: آية تحريمه، ﴿عَلَيْكُمْ﴾، هي "حرمت عليكم الميتة" الآية في المائدة لا البحائر والسوائب، ﴿فَاجْتَنِبُوا[4] الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾: الذي هو الأوثان بيان للرجس، وتمييز له كعندي عشرون من الدراهم، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ[5]﴾: الكذب والبهتان ومنه شهادة الزور، ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: مخلصين له ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾، حالان من فاعل

---

(١) والإطعام واجب وظاهر القرآن وجوب الأكل أيضًا/ ١٢ وجيز.

(٢) قال تعالى: " إن أول بيت وضع للناس " قيل: العتيق المحرر لم يملك قط موضعه أو معتق من طوفان أو الجيد من قولهم عتاق الخيل، وعتاق الطير، وقيل: المراد بيت مازاره أحد إلا هو عتيق من النار / ١٢ وجيز.

(٣) ولما ذكر الهدايا والضحايا وذكر الحرام منها الذي أحل قريش وبين الحلال الذي أحل الله فقال: وأُحِلّت" الآية / ١٢ وجيز.

(٤) ولما حث على تعظيم حرمات الله وقول الزور أعظم الحرمات، أتبعه الأمر باجتناب الأوثان، فإن الشرك أقبح كل زور "فاجتنبوا الرجس" الآية / ١٢ وجيز.

(٥) كأنه قال: اجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله / ١٢ وجيز.

اجتنبوا ، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سقط، ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ﴾: تسلبه ، ﴿الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي﴾: تسقط ، ﴿بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد يعني: من أشرك فقد أهلك نفسه غاية الإهلاك فهو كجيفة اختطفته الطير فتفرق قطعًا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة ، و أو للتخيير أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلاً ، ومنهم من يمكن خلاصه بالإيمان لكن على بعد[1] ، ﴿ذَلِكَ﴾: الأمر ذلك، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ[2] اللَّهِ﴾: البدن والهدي وتعظيمها استسمانها أو أعمال الحج، ﴿فَإِنَّهَا﴾: تعظيمها ، ﴿مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي : ناشئ من تقوى قلوبهم أو من أعمال ذوى تقوى القلوب ، ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: في الشعائر وهي البدن ، ﴿مَنَافِعُ﴾: درّها وصوفها وظهرها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت[3] النحر وإن سماها وجعلها هديًا أو الأجل المسمى تسمينها[4] وجعلها هديًا فما لم تسم بدنًا ينتفع به ، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾: منحرها ، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أي : عنده يعني: الحرم مطلقًا.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

---

(١) فإنه لا يؤمن من آلاف ألف إلا واحد / ١٢ وجيز.

(٢) وعن ابن عباس- رضى الله عنه- في الآيات قال الشعائر : البدن والاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وينبغي للإنسان أن يترك المشاحة في ثمنها ، روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة وأن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار / ١٢ فتح .

(٣) هكذا قاله السلف / ١٢ وجيز.

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ .

ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ**﴾، لكل أهل دين ، ﴿**جَعَلْنَا مَنسَكاً**﴾، بفتح السين مصدر ، أي : ذبح المناسك، وبكسرها موضع نسك يعني : إراقة الدماء مشروعة في جميع الملل ، وعن بعض لم يجعل الله لأمه منسكاً غير مكة ، ﴿**لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ**﴾ أي : المقصود من المناسك خلوص العبادة له، ﴿**فَإِلَهُكُمْ**﴾: أنتم ومن قبلكم ، ﴿**إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا**﴾: انقادوا له لا لغيره ، ﴿**وَبَشِّرِ**[1] **الْمُخْبِتِينَ**﴾: الخاشعين الراضين بقضائه ، ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ**[2]﴾: في أوقاتها ، ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾:

---

(١) وناسب من اتصف بالإخبات بتبشيره هنا لأن أفعال الحج من نوع الثياب ، وليس مثل الكفن وكشف الرأس والتردد إلى المواضع الغبرة والتلبس بالمشاق التي لا يعلم حكمتها إلا الله مؤذنة بالتواضع التام والاستسلام / ١٢ .

(٢) أمره أولاً بأن يبشر المتضرعين المتواضعين ، وثانيًا بأن يبشر من أحسن إلى غيره ، فإن فى أفعال الحج النفع اللازم والمتعدي ، ولما ذكر أعمال الحج وكان المشركون يؤذون المؤمنين سيما في أوقات الحج بشرهم بدفع الكافرين عنهم فقال : " إن الله يدافع " الآية/١٢ وجيز.

يتجدد إنفاقهم فى جهات الخير، ﴿وَالْبُدْنَ﴾: جمع بدنة وهي الإبل أو البقر ، وانتصابه على شريطة التفسير، ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام دينه، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: منافع الدارين، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند نحرها يقول: بسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك ، ﴿صَوَافَّ﴾: قائمات على ثلاثة قوائم[(١)] معقولة يدها اليسرى أو رجلها اليسرى ، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾: سقطت، ﴿جُنُوبُهَا﴾: على الأرض أي : ماتت ، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾: السائل من قنع قنوعًا إذا سأل ، أو فقيرًا لا يسأل من القناعة ، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل أو السائل ، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما وصفنا من نحرها قيامًا، ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾: مع عظمها ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا إنعامنا، ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ﴾: لن يصل إليه ، ﴿لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ أي : النية والإخلاص فإنها هي المتقبل منكم ، ويجزي عليها نزلت[(٢)] في أن الكفرة إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من اللحوم ونضحوا عليها من دمائها ، وعن بعض كانوا ينضحون بلحومها ودمائها ، فقال بعض المسلمين : نحن أحق أن ننضح البيت ، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: كررها تذكيرًا لنعمة التسخير وتعليلاً له بقوله ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: تعظموه ولا تثبتوا لغيره الكبرياء ، ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: إلى كيفية التقرب إلى الله بها ، ولتضمين تكبروا معنى تشكروا عدَّاه بعلى ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا أعمالهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾: يبالغ في مدافعة غائلة المشركين ، ﴿عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: في أمانة الله، ﴿كَفُورٍ﴾: لنعمته، ومن تقرب بذبيحة إلى غير الله فهو خوان كفور.

---

(١) نقل عن ابن عباس- رضى الله عنه-.

(٢) روي عن ابن عباس- رضى الله عنه-/ ١٢ منه .

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ
﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ
لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ
ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

﴿أُذِنَ﴾: رخص في القتال ، **﴿لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾**: يريدون القتال والمسلمون كانوا يتظلمون إلى رسول الله من أذى المشركين ويطلبون القتال قبل الأمر به قيل سماهم مقاتلين باعتبار المآل ، ومن قرأ بصيغة المجهول فمعناه: يقاتلهم المشركون ، **﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾**: بسبب أنهم مظلومون، هي أول آية نزلت[1] في الجهاد حين هاجروا من

(١) حين هاجروا إلى المدينة كذا ذكره المفسرون، وهو المنقول عن ابن عباس- رضى الله عنه- وعروة ومجاهد وقتادة- رضى الله عنه- وغيرهم ، وروى الترمذى والنسائى عن=

مكة واستدل بهذه الآية على أن السورة مدنية ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ عدة بالنصر وقيل معناه :إنه لقادر على نصرهم من غير قتال لكن صلاحهم في القتال ، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا ﴾، بدل من للذين، أو صفة، ﴿مِن دِيَارِهِم﴾: مكة، ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، موجب استحقوا الإخراج به ، ﴿إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: سوى التوحيد الذي هو موجب للتمكين والتعظيم فالاستثناء بدل من حق ، وهذا من باب.

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: بالجهاد وإقامة الحدود، ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: خربت ، ﴿صَوَامِعُ﴾: الرهبان ، ﴿وَبِيَعٌ﴾: كنائس النصاري، ﴿وَصَلَوَاتٌ[(١)] ﴾: كنائس اليهود سميت بها لأنهم لا يصلون إلا فيها ، ﴿وَمَسَاجِدُ﴾: للمسلمين ، ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ﴾، صفة لمساجد خصت بها تفضيلاً ، وقيل: صفة للأربع ، ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾، يعني: لولاه لهدم في زمن موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام مواضع عباداتهم باستيلاء الكفرة ، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾: من ينصر دينه ويعلي كلمته ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على خلقه ، ﴿عَزِيزٌ ﴾: لا يغلبه غالب، ﴿الَّذِينَ﴾، بدل أو صفة لمن ينصره ، ﴿إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: نصرناهم فيتمكنوا من البلدان ، ﴿أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾: مرجع الأمور إلى حكمه وفيه تأكيد لما وعد من

= سفيان الثوري وفيه إشكال لما قال المفسرون:" إن سورة الحج مكية إلا ست آيات وهن من قوله :"هذان خصمان" إلى "صراط الحميد" ، قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: استدل بعضهم بهذه الآية على أن السورة مدنية ، وهو قول المجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد/١٢ وجيز .[حديث سفيان الثوري صحح إسناده الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٥٣٥)].

(١) حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فالصلوات لا تهدم وإنما أراد بيوت الصلوات .

النصرة، قيل معناه: تصير الأمور إليه بلا منازع فيبطل كل ملك سوى ملكه، وقيل: له عاقبة الأمور فيجزيهم، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾: رسلهم فأنت لست بأوحدي في التكذيب فلا تغتم ، ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾: مع ظهور معجزاته كذبه القبط[1] لا قومه بنو إسرائيل ، ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أمهلت ، ﴿لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بتبديل منحتهم محنة وعمارتهم خراباً ، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي : أهلكنا كثيرًا من القرى بإهلاك أهلها كأين منصوب بشريطة التفسير أو مرفوع ، وأهلكناها خبره ، والجملة بدل من فكيف كان نكير ولذلك جاء بالفاء ، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: أهلها جملة حالية ، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ، ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ على سقوفها أي: خرت سقوفها ثم سقطت حيطانها فوق السقوف، أو خالية مع سلامة عروشها، والجملة عطف على أهلكناها، ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئر عامرة متروكة الاستقاء منها أهلكنا مُلاَّكها، ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيع أو مجصَّص محكم أهلكنا أهلها وأخليناه عن ساكنيه ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾، حث على السفر والتفكر في نقم ما حل بالأمم الماضية المكذبه ، ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يعقل كالإيمان بالرسل، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يسمع كالتذكير ، ﴿فَإِنَّهَا﴾: ضمير القصة، ﴿لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾ أي : ليس الخلل بمشاعرهم ، ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ أي : إنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الأبصار ، فكأنه ليس بعمى ، ولكن العمى عمى القلوب ، وذكر الصدور للتأكيد ، ونفي التجوز كأنه قال : ما نفيت العمى عن البصر وأثبت للقلب سهوًا، وفلتةً، بل تعمدت به إياه بعينه تعمدًا ، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: سخرية

(١) القبط بالكسر : أهل مصر/ ١٢ .

وتكذيبًا لك، ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: ينجزُه ولو بعد حين كما نجوا يوم بدر، ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: مقدار ألف سنة عند عباده كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه، لأنه قادر لا يفوته شيء بالتأخير أو كيف يستعجلون بالعذاب، وإن يومًا من أيام الآخرة التي هي أيام عذابهم كألف سنة من أيام الدنيا، أو إن يومًا من الآيام الستة التي خلق الله الخلق فيها كألف سنة فالمدد الطوال عندكم قصار عنده، أو كيف يستعجلون، وإن يومًا من العذاب بشدته كألف سنة! ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾: أمهلتهم كما أمهلتكم وإعرابه مثل ما مر، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: مثلكم: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: بالعذاب، ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾: فأجازيهم.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٥١) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٦) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧)﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ(١) مُّبِينٌ ﴾: ليس إلى من حسابكم شيء، أمركم إلى الله إن شاء عجل العذاب ، وإن شاء أخر وإن شاء تاب عليكم وإن شاء أضل ، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾: عما فرط عنهم ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾: هو الجنة ، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا ﴾: بالرد والإبطال، ﴿فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾: مسابقين بزعمهم ظانين أهم يسبقوننا فلا نقدر عليهم ، أو سابقين لمن يسعى في تحقيق آياتنا وإثباها ، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ(٢) ﴾ الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يطلق أيضًا على من يأتيه بإلهام أو منام قيل هو من له شريعة مجددة ، والنبي أعم أو هو من أنزل عليه كتابًا والنَّبُى أعم، ﴿إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى ﴾: أحب شيئًا واشتهاه من غير أمر الله ، أو معنى تمنى قرأ(٣) وتلا، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾: وجد إليه سبيًلا أو ألقي في قراءته فأدخل

---

(١) منذر من عذاب الله لا مرسل بالعذاب فلا معنى للاستعجال مني فإن استعجلتم فاستعجلوا من المرسَل لا من الرسول ، ذكر النذارة دون البشارة ، والتقسيم بعدها يقتضيهما ، لأن الحديث مسوق للمشركين ، وإنما ذكر المؤمنين ليغبط المشركين وليحرضهم على الميل إلى نيل تلك الدرجة الرفيعة / ١٢ وجيز .

(٢) وقرأ ابن مسعود- رضى الله عنه-: " ولا نبي ولا محدث " وعن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد فنسخت:" محدث" قال: والمحدثون صاحب يس و لقمان ومؤمن آل فرعون وصاحب موسى هذا ما في الفتح، وفي صحيح البخارى فى مناقب عمر – رضى الله عنه – قال ابن عباس: من نبي ولا محدث وقال ابن حجر في شرحه أخرجه سفيان بن عيينة / ١٢ .

(٣) قال البغوى: وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: تمنى أي: تلا وقرأ كتاب الله – تعالى: " ألقى الشيطان في أمنيته " أى: تلاوته قال الشاعر: في عثمان حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر

انتهى وذكر البخاري عن ابن عباس/١٢ .

في مقروئه ما ليس منه قد ذكر أكثر المفسرين- بل كلهم- قصة[1] الغرانيق بروايات كلها مرسلة أو منقطعة إلا رواية واحدة عن ابن عباس فإنها متصلة ، وقد أنكر كثير

---

(١) روى القصة ابن أبي حاتم وابن جرير والبزار والبيهقي في كتاب دلائل النبوة هذا ما في الوجيز، وفي الفتح قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -بإسناد متصل، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة : إن هذه القصة من وضع الزنادقة، قال ابن كثير قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق ، وما كان رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظنًّا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ، و لم أرها مسندة من وجه صحيح ، وما ذكره المفسرون عن ابن عباس فمن رواية الكلبي وهو ضعيف جدًّا، بل متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي ونبه الحافظ ابن حجر على ثبوت أصلها في الجملة ، وقال : إن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح لكنها مراسيل . انتهى ما في الفتح ، وقال الشيخ سليمان الجمل بعد ما ذكر قول الرازي في تكذيب هذه القصة بالوجوه العقلية والنقلية: وأن لا أصل لها قال: وليس كذلك، بل لها أصل فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابن بشر عن سعيد بن جبير ، وذكر طرقًا كثيرة إلى أن قال: وكل من طرقها سوى طريق ابن جبير إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح إلى أن قال: وقال الحافظ ابن حجر- بعد ما ذكر أقوال الطاعنين: وجميع ذلك لا يتمشى على قواعد المحدثين فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض. انتهى ما ذكر سليمان الجمل [قال ابن كثير (٣/٢٣١): وقد ذكر محمد بن إسحاق في "السيرة" بنحو من هذا وكلها مراسيل والله أعلم.] ملخصًا قوله تعالى : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته " هذا فيه قولان ، والمأثور عن السلف =

. . . .

= يوافق القرآن بذلك والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل عن الزيادة في سورة النجم بقوله: " تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى، وقالوا : إن هذا لم يثبت ومن علم أنه ثبت قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم و لم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم - ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضًا، وقالوا في قوله: "إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" هو حديث النفس ، وأما الذين قدروا ما نقل عن السلف فقالوا: هذا منقول نقلاً ثابتًا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " إلى قوله: " إلى صراط مستقيم " فقالوا : الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك فإن نسخ الله لما يلقى الشيطان وإحكام آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته وتميز الحق عن الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها ، وجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم إنما يكون ذلك ظاهرًا يسمعه الناس لا باطنًا في النفس والفتنة التي يحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ ، وهذا النوع دل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأبعده عن الهوى، من ذلك النوع فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما أمر عند الله ، وهو صدق في ذلك فإذا قال عن نفسه ، إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ ، وإن ذلك مرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك ، كان أدل على اعتماده للصدق وقوله الحق وهذا كما قالت عائشة- رضى الله تعالى عنها:"لو كان محمد كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآيات ، "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" (الأحزاب:٣٧)، ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريه للصدق وبراءته من الكذب ، وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليمًا، ولهذا كان تكذيبه كفرًا محضاً بلا ريب انتهى ما قاله شيخ الإسلام في شرح دعوة ذى النون عليه السلام / ١٢ .

من العلماء هذه الحكاية وبالغوا في الإنكار وطعنوا في الرواة ، و قال بعض: إنها من وضع الزنادقة وهي أنه عليه السلام تمنى أن يأتيه من ربه ما يقرب بينه وبين قومه رجاء أن يسلموا، فكان يومًا في محضر قريش إذ أنزل عليه سورة "والنجم" فأخذ يقرأها ، فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في قراءته فسبق لسانه: سهوًا أو تكلم الشيطان فحسب أن القارئ رسول الله أو نام نومة فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فلما وصل قراءته إلى السجدة سجد فسجد من في النادي من المسلم والمشرك ، وفرح المشركون فأتاه جبريل وقال: ماذا صنعت؟! لقد تلوت ما لم آتك به عن الله فحزن حزنًا وخاف خوفًا فعزاه الله بتلك الآية يعني: ما أنت بأوحدي بهذا ، بل مكنا الشيطان ليلقي في أمانيهم كما ألقى في أمانيك ابتلاء منا ليزيد المنافقون شكًّا وظلمة ، والمؤمنون يقينًا ونورًا،﴿**فَيَنسَخُ اللَّهُ**﴾: يزيل ويبطل ، ﴿**مَا يُلْقِي**[1] **الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**﴾: يثبتها بحيث لا تشتبه بكلام غيره ، ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾: فيما يفعل، ﴿**لِيَجْعَلَ**﴾، أي : مكنا الشيطان منه ليجعل ، ﴿**مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً**﴾: ضلالة ، ﴿**لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾: شك ونفاق، ﴿**وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾: المشركين فإنهم لما سمعوا نسخ قول الشيطان ازدادوا غيظًا وظنوا أنه ندم مما ألقى من عند نفسه، ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ**﴾: المنافقين والمشركين ، ﴿**لَفِي**

---

(١) وقد قيل في تأويل الآية : إن المراد بالغرانيق الملائكة ، ويرد بقوله الآتي : " فينسخ الله ما يلقي الشيطان " أي : يبطله وشفاعة الملائكة غير باطلة ، وقال مجاهد : إذا تمنى : إذا تكلم ، وأمنيته كلامه ، فأخبر تعالى في هذه الآية: إن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قاله ، لأنه معصوم وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدرته وسعة علمه وشدة ساعدته في النظر فصوب هذا المعنى قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري / ١٢ فتح.

﴿شِقَاقٍ﴾: خلاف وعناد ، ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق شديد، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾، عطف على ليجعل ، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾: القرآن وهم المسلمون، ﴿أَنَّهُ﴾: ما أوحينا إليك ، ﴿الحَقُّ﴾: الصدق ، ﴿مِن ربِّكَ﴾، حال أو خبر بعد خبر، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالقرآن أو بالله ، فإن العقلاء لما رأوا أنه أعرض عما تكلم به ، و لم يعبأ ببيان خطأه و لم يبال بمزيد عداوتهم مع كثرة حرصه بألفتهم ، علموا أن الشيطان دخل في أمنيته فنسخه الله، وعصم نبيه، فزادوا يقينهم وثبتوا(*) دينهم، ﴿فَتُخْبِتَ﴾: تخشع ، ﴿لَهُ﴾: لله، ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: واطمأن ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: في الدارين ، ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ، ﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن ، أو مما ألقى الشيطان قائلين : ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة أو الموت ، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: كيوم بدر فإنه يوم لا خير للكفار فيه كما يقال: ريح عقيم ، أو المراد يوم القيامة، فإنه يوم لا ليل له فكأنه قال: تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع الظاهر موضع المضمر للتهويل، ﴿المُلْكُ يَوْمَئِذٍ لله﴾: لا منازع له بوجه، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين المؤمنين والكافرين، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن عقابهم مسبب من أعمالهم بخلاف إثابة المسلمين فإنها فضل .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ

(*) وفي نسخة (ن): ثبتوا على دينهم.

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿وَالَّذِينَ[(١)] هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: تركوا الأوطان في طريق طاعته ورضاه، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾: فيها، ﴿أَوْ مَاتُوا﴾: حتف أنفهم، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً[(٢)]﴾ هم أحياء عند ربهم يرزقون، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: فإنه يرزق من يشاء بغير حساب، ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ[(٣)]﴾: لما فيه ما تشتهي أنفسهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوال الفريقين، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿ذَلِكَ[(٤)]﴾: الأمر ذلك، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يزد على مثله سمى ابتداء الإضرار عقابًا للازدواج فإن العقاب جزاء من عَقِبِ فِعْلٍ، ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: بعقوبة أخرى، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾، فإنه مظلوم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: للمنتصر، ﴿غَفُورٌ﴾: إن زاد في الجزاء، نزلت في رهط من المسلمين لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم فناشدهم

---

(١) ولما حكم بين المؤمن والكافر عقبه بالحكم بين الشهيد ومن مات حتف أنفه من المؤمنين الكاملين فقال "والذين هاجروا" الآية/ ١٣.

(٢) قد مر بعض كبار الصحابة على قبرين أحدهما مقتول والآخر متوفى، فقال:" لا أبالي من أي حفرهما بعثت، اسمعوا كتاب الله "والذين هاجروا في سبيل الله". الآية/١٢ منه.

(٣) لا يبغون عنها حولًا لما ذكر الرزق ذكر المسكن الذي فيه الرزق/١٢ وجيز .

(٤) ولما ذكر ثواب من هاجر أخبر بأنه ينصرهم في الدنيا فقال: "ذلك ومن عاقب" الآية/١٢ وجيز .

المسلمون أن لا يقاتلوا فأبوا فقاتلوا وبغوا فنصر الله المسلمين، ﴿ذَلِكَ﴾: النصر، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، بسبب قدرته على تغليب الأمور بعضها على بعض يداول بين المتعاندين كما يزيد في أحد الملوين[1] ما ينقص من الآخر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم بما يسمع ويبصر، ﴿ذَلِكَ﴾: القدرة التامة والعلم الكامل، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ﴾: الثابتة إلاهيته، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾ وكل ما يدعون إلهًا دونه باطل الألوهية فلا إله سواه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ[2]﴾: لا شيء أعلى منه وأكبر شأنًا فلا محالة يكون قديرًا عليمًا، ﴿أَلَمْ[3] تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: برفع تصبح لأنه بعد استفهام بمعنى الخبر أي: قد رأيت فلا يكون له جواب والعدول إلى المضارع للدلالة على بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: واصل علمه أو لطفه إلى كل جليل ودقيق، ﴿خَبِيرٌ[4]﴾: بالتدابير، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الغَنِيُّ﴾: في ذاته، ﴿الحَمِيدُ﴾: المستوجب للحمد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

---

(١) الملوين: الليل والنهار / ١٢ منه.

(٢) العالي على كل شيء والعظيم الذي كل شيء دونه / ١٢ معالم.

(٣) ولما ذكر ما دل على القدرة التامة الظاهرة ذكر مثلها من القدرة الكاملة المشاهدة فقال: " ألم تر أن الله أنزل من السماء " الآية / ١٢ وجيز.

(٤) أي: إنه ذو خبرة بتدبير عباده وما يصلح لهم / ١٢ فتح.

﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
أُمَّةٍ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ
لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ
يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ
يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٌۗ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ
أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ[1]﴾: فتنتفعون به ، ﴿وَالْفُلْكَ﴾ عطف على ما ، ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، حال ، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾: من، ﴿أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾: بمشيئته كما تقع يوم القيامة، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث أثبت لهم المنافع ، ودفع عنهم المضار، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾: بعد ما كنتم جمادًا ترابًا ونطفةً، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: في الآخرة ، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾: جحود لنعم ربه ، ﴿لِكُلِّ[2] أُمَّةٍ جَعَلْنَا

---

(١) هذه نعمة أخرى ثالثة ذكرها الله سبحانه فأخبر عباده بأنه سخر لهم، ذلل ما يحتاجون إليه من الدواب والشجر والأنهار والحجر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر إليه وجعله لمنافعهم / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر أن الإنسان كفور عقبه بما يدل على كفرانه فقال : " لكل أمة " الآية/١٢ وجيز .

﴿مَنْسَكاً﴾ أي: لكل أمة نبي جعلنا شريعة، ﴿هُــمْ نَاسِــكُوهُ﴾: عــاملوه، ﴿فَــلاَ يُنَازِعُنَّكَ﴾: سائر أرباب الملل، ﴿فِي الأَمْرِ﴾: في أمر الدين أو المراد نهيــه -عليــه السلام- عن منازعتهم ، أي : لا تلتفت إلى منازعتهم ولا تمكنهم من المنازعـة[1] ، أو معناه : لكل قوم جعلنا وقدرنا طريقة هم فاعلوها البتة بحكــم القــدر فــلا تتــأثر منازعتهم[2] فيك ولا يصرفنك عما أنت عليه من الحق نحو "ولكل وجهة هو موليــها" (البقرة:١٤٨)، قيل : نزلت فيمن جادل وقال: ما لكم تأكلون ما تقتلونه ولا تــأكلون ما قتله الله؟! ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى عبادته ، ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْــتَقِيمٍ﴾: طريق موصل إلى المقصود، ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾: مراء وعنادًا، ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَــا تَعْمَلُونَ﴾: هو أعلم بما تفيضون فيه ، وكفي به شهيدًا بيني وبينكم، ﴿اللَّهُ يَحْكُــمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[3]﴾ هذا خطــاب مــن الله لرســوله وللمجادلين ، أو من تتمة ما يؤمر بأن يقول لهم أي قل: الله يفصــل بينكــم أيــها الكافرون والمؤمنون فتعرفون حينئذ الحق من الباطل نحو:" فلذلك فادع واستقم كمــا أمرت " إلى قوله "الله يجمع بيننا وإليه المصير" (الشورى:١٥)، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّــهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ ما في السماء والأرض، ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هــو اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: إثباته في كتاب وحفظه، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: فــلا يهمنك جدالهم لأنا قدرناه وهو بمرأى منا ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِــهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لا برهان سماوي ولا دليل عقلي في عبادته، بــل اختلقوه واءتفكوه وتلقوا عن ضُلاَّل أسلافهم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: ليــس

---

(١) فالمراد نهيه عن الكينونة على وصف يكون سببًا لمنازعتهم / ١٢ منه .

(٢) فيكون من نازعته فترعتها إذا غلبته / ١٢ .

(٣) والاختلاف ذهاب كل واحد من الفريقين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر / ١٢ معالم .

لهم ناصر ينصرهم من نكال الله لأنهم وضعوا عبادة جماد موضع عبادة الله ، ﴿وَإِذَا[1] تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: على أمتك ، أو على المشركين، ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَات﴾: ظاهرات الدلالة على العقائد الحقة ، ﴿تَعْرِفُ فِي وَجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾: الإنكار ، أو العبوس والكراهة ، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يبطشون ، ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ[2] آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ﴾: بطشكم وقهركم عليهم، أو من القرآن الذي تكرهونه، ﴿النَّارُ﴾ كأنه قيل: ما هو؟ قال: النار أي: هو النار، ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استئناف، أو النار مبتدأ وهذه الجملة خبره ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: النار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ

---

(١) إذا كان المراد من قوله: " إذا تتلى عليهم " المشركين فقوله: " في وجوه الذين كفروا المنكر " من باب، وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بأن إنكارهم لكفرهم وجهلهم/ ١٢ منه.

(٢) وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة مخالفًا لما اعتقده من الباطل والضلالة رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين والله ناصر الحق ومظهر دينه وهو حسبنا ونعم الوكيل / ١٢ فتح .

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ بين قصة مستغربة كالمثل السائر، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: للمثل، ﴿إِنَّ[1] الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: تدعوهم أي: الأصنام، ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾: لن يقدروا على خلقه مع صغره، ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا﴾: الأصنام، ﴿لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ[2] مِنْهُ﴾، أي: بل هم أعجز من أن يخلقوا، فإنهم لا يقدرون على استنقاذ ما اختطف هذا المخلوق الضعيف عنهم، ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ[3]﴾: الصنم أو الذباب أو العابد، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: الذباب أو الصنم أو المعبود ووجه الإطلاق الطالب والمطلوب على كل ظاهر، ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾: ما عظموه وماعرفوه، ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: حق عظمته ومعرفته، حيث أشركوا به شيئًا لا يقاوم أضعف مخلوقاته، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: قادر على كل شيء، ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يغلبه غالب، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾: يختار، ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾: يبلغون

---

(١) هذا دليل آخر على كفرانهم / ١٢ وجيز.

(٢) أي: الأصنام وهذا مثل لأي شيء يعبد غير الله من ذوي العقول أيضًا / ١٢ وجيز.

(٣) عن ابن عباس. الصنم والذباب ونقل الزمخشري عنه إنهم كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران ورءوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله/١٢ وجيز.

رسالاته إلى عباده لما قرر الوحدانية شرع يثبت أن في الملك والبشر رسلاً، لا الملك بنات الله، ولا البشر غير مستحقين للرسالة ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾: مدرك للجزئيات، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾: عالم بواقع الأشياء ومترقبها، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾، لأنه خالقها ومالكها فالله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا يُسئل عما يفعل، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾: أنواع العبادات ، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾: ما هو أصلح كصلة الأرحام ومكارم الأخلاق ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: افعلوا كل ذلك راجين الفلاح من فضل الله لا متكلين على الأعمال واثقين عليها ، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾: في سبيله، ﴿حَقَّ جِهَادِهِ ﴾: أقيموا بمواجبه وشرائطه علىوجه التمام بقدر الوسع ، وإضافة الجهاد إلى الله للملابسة، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾: اختاركم يا أمة محمد لنصرة دينه ، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾: ما كلفكم ما لا تطيقون فلا عذر لكم في تركه وقد ورد[1] "بعثت بالحنيفية السمحة"، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ[2] ﴾، أي: أعني بالدين ملة إبراهيم نحو: الحمد لله الحمد، أومصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف مضاف ، أي : وسع دينكم توسعة ملته وهو أبو نبينا ونبينا كالأب لأمته أو لأن أكثر العرب من ذريته فهو من باب التغليب،﴿هُوَ ﴾: أي[3]: الله، ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: بهذا الاسم الأكرم ، ﴿مِن قَبْلُ﴾: في سائر الكتب، ﴿وَفِي هَذَا ﴾:

---

(١) في الصحيحين / ١٢ وجيز . [فى هذا العزو وهم، فليس الحديث فى الصحيحين، وإنما هو فى المسند (٥/٢٦٦)]

(٢) وهذا من باب التهييج ، فإن أكثر القلوب راغب في اتباع آبائه سيما قريش ، فإنهم يدعون أنهم على دين إبراهيم مفتخرين بذلك، أي: اتبعوا ملة إبراهيم، فإنه هو الناهي عن الشرك ، ومعروف بأنه كاسر الأصنام / ١٢ وجيز.

(٣) هكذا فسره ابن عباس- رضى الله عنه- ومجاهد- رضى الله عنه- وعطاء والضحاك والسدى وقتادة ومقاتل وبن حيان/١٢.

القرآن، وفي الشواذ الله بدل هو، وفي النسائي:"من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم ، قال رجل: يا رسول الله: وإن صام وصلى؟ قال: نعم وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله"، وقيل[1] الضمير لإبراهيم فإنه دعى بقوله : "ومن ذريتنا أمة مسلمة لك" (البقرة:١٢٨)، وفي هذا معناه وفي القرآن بيان تسمية إياكم بهذا الاسم حيث حكى فيه مقالته ، أو لما كان تسميتهم في القرآن بسبب تسميته من قبل كأنها منه ، وفيه بعد ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: يوم القيامة بأنه بلغكم رسالته ولعصمته تقبل شهادته لنفسه قيل: يشهد عليكم بطاعة من أطاع وعصيان من عصى، ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: بأن الرسل بلغتهم ، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: أي: إذا خصكم[2] بتلك الكرامات فتقربوا إليه بأنواع الطاعات، ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: وثقوا، ﴿بِاللَّهِ﴾ لا إلى سواه ، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو فإنه لا مولى ولا نصير على الحقيقة سواه .

---

(١) هذا قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم / ١٢ منه.

(٢) يعني : إن التعقيب بالفاء مشعر بالعلية، لأن الأوصاف مناسبة للحكم، وهذا مشعر بترجيح القول بأن الضمير لله لا لإبراهيم / ١٢ منه .

سورة المؤمنون مكية

آياتها مائة وتسع عشرة وعند الكوفيين ثماني عشرة

وهي ست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ
عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ
مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ
عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ
ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ
غَٰفِلِينَ ۝١٧ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ
فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ظفروا بالمراد وفازوا بأمانيهم ، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، خائفون من الله ساكنون، وعلامته ألا يلتفت[١] يمينًا وشمالاً ولا يرفع البصر عن موضع السجود، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾: عن الشرك[٢] ، أو عن كل ما لا يعنيهم من قولٍ وفعل ، ﴿مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي: زكاة[٣] الأموال ، فإن قيل السورة مكية، والزكاة قد فرضت بالمدينة قلت: قال بعض[٤] المحققين فرضت بالمدينة نصابها وقدرها، وأما أصلها[*] فقد كان واجبًا[٥] بمكة ، أو المراد زكاة النفس وتطهيرها[٦] من الرذائل ، والزكاة اسم مشترك بين المعني والعين فإن

---

(١) لشغل قلوبهم والأصح أنه من فرائض الصلاة ، وهو أول علم يرفع من الناس كذا نقل عبادة بن الصامت/١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسره كثير من السلف/١٢ وجيز .

(٣) قيل: العين المخرج لا يسمى زكاة ، فالتعبير بالفعل عن إخراجه أولى منه بالأداء فلا يراد ما أورده من لا ذوق عنده من العربية أن مؤدون هو الفصاحة لا فاعلون ، وفي إشعار الفصحاء الفاعلون للزكاة ولا يبعد أن " فاعلون " مؤذن بأن هذا شغلهم ليسوا بتاركين كما قالوا في:" اعملوا آل داود شكرًا" (سبأ:١٣)/١٢ وجيز .

(٤) لعله أراد صاحب الوجيز / ١٢.

(*) في الأصل (صلها).

(٥) قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية " وآتوا حقه يوم حصاده " (الأنعام:١٤١)/١٢ منه.

(٦) نحو:" قد أفلح من زكاها " (الشمس:٩) ونحو:"ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة" (فصلت:٦،٧) على القولين في تفسيره/١٢ منه .

أريد الثاني فهو على حذف مضاف ، أي : لأداء الزكاة فاعلون ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي : حافظون لفروجهم من أن يقعن على أحد ، ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ أو حافظون بمعنى لا يبذلون ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أجراهن مجرى غير[1] العقلاء ، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الضمير لمن دل عليه الاستثناء ، أي : غير الحافظين من أن يقعن على الأزواج والسراري ، ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ[2] ذَلِكَ﴾: المستثنى، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾: الكاملون في العدوان ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، إذا اؤتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا أوفوا ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يواظبون لا يتركوها بوجه وذكر المضارعة لما في الصلاة من التجدد الدائمى، ﴿أُوْلَئِكَ﴾: الجامعون لتلك الصفات ، ﴿هُمُ الوَارِثُونَ﴾: هم أحقاء بأن يسموا ورَّاثًا دون غيرهم ، ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾: لمَّا أهم من أعمالهم نالوا الفردوس كأهم ورثوها منها أو يرثون من الكفار منازلهم في الجنة ، وقد ورد "ما منكم[3] إلا وله مترلان مترل في الجنة ومترل في النار فإن مات ودخل النار

---

(١) ولم يقل من ملكت/ ١٢.

(٢) قال سليمان الجمل الاستمناء باليد حرام عند الجمهور، وكان أحمد بن حنبل يجيز ذلك لأنه فضلة في البدن يجوز إخراجها لحاجة كالفصد والحجامة، لكن بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، ويفقد مهر حرة أو ثمن أمة كما ذكر في كتاب المنتهى، وأن يفعله بيده ومفهومه فيه تفصيل وهو أنه إن كان بيد زوجته أو أمته جاز وإن كان بيد أجنبية حرم إلا من الرازي انتهى.

وفي الفتح وللشوكاني فى ذلك رسالة سماها بلوغ المنى في حكم الاستمناء ، وذكر فيها أدلة المنع والجواز وترجيح الراجح منهما/١٢ .

(٣) رواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ظاهر هذا العزو يوهم أنه لم يخرجه أحد من أهل السنن، وهو خطأ فقد أخرجه ابن =

ورث أهل الجنة مترله فذلك قوله: "أولئك هم الوارثون"، أو مبالغة في استحقاقهم، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: الفردوس[1] أعلى الجنة ، ولهذا أنث ضميره ، ﴿[2]وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾ أي : جنسه ، ﴿مِن سُلالَةٍ ﴾، سمى المني سلالة ، لأنه خلاصة سُلّت من الظهر ، ﴿مِّن طِينٍ ﴾ أي : من آدم فمن في الموضعين ابتدائية ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾: السلالة، وتذكير الضمير باعتبار الماء والإنسان ، ﴿نُطْفَةً﴾ بأن خلقنا منها أو معناه خلقنا آدم من خلاصة من طين ، ثم جعلنا نسله من نطفة فمن طين على هذا للبيان، أو صفة لسلالة أو متعلق بها ، لأنه بمعنى مسلولة ، وضمير جعلناه للإنسان بحذف مضاف ، ﴿فِي قَرَارٍ ﴾: مستقر ، ﴿مَّكِينٍ ﴾: حصين يعني الرحم، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: قطعة لحم ، ﴿فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً﴾ :بأن صلّبناها ، ﴿فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾: مباينًا للخلق الأول مباينة بعيدة فإنه كان جمادًا فصار حيوانًا سميعًا بصيرًا وثم هنا ، وفي

ماجه (٤٣٤١) بسند صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣)، والصحيحة (٢٢٧٩)]، وفي مسلم "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى" وفي لفظ له "إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فكاكك من النار"/١٢ منه .[أخرجه مسلم في "التوبة"، (٥/٦١٢) ط الشعب]

(١) في الصحيحين "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن"/١٢ منه .[أخرجه البخاري في "التوحيد"، (٧٤٢٣)، وليس عند مسلم]

(٢) ولما ذكر أن المتصفين بتلك الأوصاف الحميدة هم وارثون للفردوس فتضمن ذلك المعاد الأخروي ذكر النشأة الأولى يستدل بها على صحة النشأة الأخرى فقال : "ولقد خلقنا" الآية/ ١٢ وجيز .

الأولين لكثرة تفاوت الخلقين ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾: تعالى شأنه ، ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾: خلقًا وحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ، والخالقين[1] هنا بمعنى المقدرين،﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ[2] لَمَيِّتُونَ﴾ : صائرون إلى الموت البتة ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾: للجزاء ، ﴿تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سماوات سماها طرائق ، لأن كل شيء فوقه مثله فهو طريقة ، وقيل: لأنها طرق الملائكة، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: بل نعلم جميع المخلوقات جلها ودقها فتدبر أمرها أو المراد من الخلق السماوات فإنه حفظها من الخلل والسقوط ، وقيل : المراد منه الإنسان ، أي ما غفلنا عنهم فإنا خلقنا السماوات لمنافعهم ، ﴿وَأَنزَلْنَا[3] مِنَ السَّمَاءِ﴾، من جانبه أو من نفسه ، ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار معين أو بمقدار ما يكفيهم ، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ أي : فجعلنا الماء ثابتًا، ﴿فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي : نحن قادرون على وجه من وجوه الذهاب[4] إما التصعيد أو التنشيف أو الإفساد أو غيرها ، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ﴾، بالماء ، ﴿جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ : في الجنات ، ﴿فَوَاكِهُ

---

(١) فإنه هو الخالق وحده كما في الحديث:" لا إله إلا هو لا خالق غيره" /١٢ منه .

(٢) نبه على عظيم قدرته بالاختراع ثم بالاعدام ثم بالإيجاد وقد بالغ في إثبات الموت أكثر من البعث مع أن الموت لا ينكره أحد؛ تنبيهًا على أن الموت هو الذي يليق بأن لا ينساه ولا يغفل عن ترقبه ، ويكون بين عينيه فلا يعمل عمل مخلد ولا يحسب أن ماله أخلده ، ومن كان كذلك تحقق عنده دار البقاء فلا حاجة إلى تأكيد في إثباته ، فلهذا قيل : العلم بالبعث من العقل عند من اعتقد أن الله لا يظلم مثقال ذرة لكن أكثر الخلق عاملون عمل الخالدين في الدنيا فالمناسب في إثبات الموت مزيد التأكيد/١٢ وجيز .

(٣) قال ابن عباس- رضى الله عنه- : إن الأمطار النافعة تنزل من بحر هو في السماء وقد مر في أصل التفسير/١٢ منه .

(٤) إشارة إلى نكتة تنكير ذهاب/١٢ منه .

﴿كَثِيرَةٌ﴾: تتفكهون بها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من زرع الجنات وثمارها تأكلون ، أو منها تحصلون معايشكم كما تقول : أنا آكل من حرفتي ، ﴿وَشَجَرَةً﴾، عطف على جنات ، ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾، الطور : الجبل وهو مضاف إلى البقعة أو المركب اسم لجبل موسى ، والزيتون فيه أكثر وأحسن ، وقيل: أول ما نبت نبت فيه ، ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾، أي: متلبسًا به مستصحبًا له أو الباء للتعدية ، ومن قرأ تنبت من باب الإفعال فهو بمعنى نبت أو تقديره تنبت زيتونها متلبسًا بالدهن ، ﴿وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾، معطوف على الدهن ، والصبغ الإدام الذي يغمس فيه الخبز أي : تنبت بشيء جامع بين كونه دهنًا وكونه إدامًا، وعن بعض الدهن : الزيت والإدام نفس الزيتون ، ﴿وَإِنَّ[1] لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: تعتبرون بها ، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: من الألبان أو من العلف فإن اللبن منه يحصل ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: من ظهورها وأصوافها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا﴾: على الأنعام فإن منها ما يحمل عليه ، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: في البر[2] والبحر .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا

---

(١) خص هذه الثلاثة لأنها أكرم الأشجار وأنفعها ولما دل بسبحانه على قدرته بما أحيي بالماء حياة قاصرة عن الروح أتبعه بما فيه حياة كاملة فقال : " وإن لكم في الأنعام" الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) يقال : إن الجمل سفينة البر ، ولما عدد نعمه وقدرته يبين كفرانهم من قديم الزمان مع أن ذكر الفلك مناسب لمن صنعه أولاً فقال : " ولقد أرسلنا نوحاً " الآية/٢٣ وجيز .

بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ
حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ
ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ
زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى
ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ
أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا
لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ
رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾، لما عدد نعمه يبين كفرانهم من قديم الزمان ، **﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾**: وحده ، **﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾**، استئناف لتعليل الأمر بالتوحيد ، **﴿أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾**: عن عبادة غيره ، **﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾**: الأشراف ، **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾**: لعوامهم ، **﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾**: إن يطلب الفضل عليكم فيكون متبوعًا لكم ، **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾**، إرسال رسول ، **﴿لأَنزَلَ مَلائِكَةً﴾**: للرسالة ، **﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾**: الذي يدعونا إليه أو ببعث البشر رسولاً ، **﴿فِي**[1] **آبَائِنَا الأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾**: جنون ، **﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾**: اصبروا عليه وانتظروا ، **﴿حَتَّى حِينٍ﴾**: لعله يفيق من جنونه أو

---

(١) قالوا هذا اعتماداً على التقليد ، واعتصامًا بحبله و لم يقنعوا بذلك حتى ضموا إليه الكذب البحت ، والبهت الصراح فقالوا : "إن هو إلا رجل"١٢/ فتح .

يموت ، ﴿قَالَ﴾ نوح بعد اليأس من إيمانهم: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾: عليهم ، ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم أو بدله ، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبسًا بحفظنا وكلاءتنا ، ﴿وَوَحْيِنَا﴾: بأن نعلمك كيف تصنع ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بعذابهم أو بالركوب ، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه ، والتنور تنور الخبز ، وقيل(١) كان تنور آدم ، وعن بعض(٢) التنور أعلى موضع في الأرض ، وقيل هو مثل يضرب في شدة الأمر نحو حمي الوطيس(٣) ، ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أدخل في الفلك ، ﴿مِن كُلٍّ﴾: من كل نوع ، ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: ذكرًا وأنثى واثنين تأكيد ، ومن قرأ بالإضافة فمعناه : احمل اثنين من كل زوجين أي : من كل صنف ذكر وصنف أنثى، ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أهل بيتك ، أو من آمن معك عطف على زوجين ، أو اثنين ، ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: بهلاكه يريد ابنه وزوجته ، ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدعاء إنجائهم، ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: لكثرة ظلمهم محكوم عليهم بالإغراق ، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾: علوت واستقررت ، ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي﴾: منها أو فيها ، ﴿مُنزَلاً مُّبَارَكاً﴾: يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين ومن قرأ منزلاً بضم الميم وفتح الزاي(*) فالمعنى: إنزالاً أو موضع إنزال ،

---

(١) تقدمى السنة عن الحسن / ١٢ .

(٢) الزهري وعكرمة/ ١٢ .

(٣) وطيس تنورًا منى يقال حمي الوطيس عبارة ارسخت شدة حرب/ ١٢ صراح.[وهذه العبارة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين كما في صحيح مسلم (٤/٤٠٣) ط الشعب]

(*) (الزاى) ترجمتها حمى الوطيس، عبارة تستخدم عند شدة الحرب.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ[1] إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما فعل بنوح وقومه ، ﴿لآيَاتٍ ﴾: يستدل بها ، ﴿وَإِن﴾ أي : إنه، ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مختبرين قوم نوح البلاء ، أو عبادنا لننظر من يعتبر ، أو مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم ، وقد مر في سورة هود تمام القصة، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾: أحدثنا ، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾، هم[2] عاد وثمود ، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، هو هود[3] أو صالح[4] جعل القرن موضع الإرسال ليعلم أنه أوحي إليه وهو فيهم ، وما جاء إليهم من مكان آخر ، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ، أن مفسرة لأن في أرسلنا معنى القول، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾: عذابه .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾

---

(١) قيل : أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخول السفينة ، وقيل : عند خروجه منها وأراد بالبركة النجاة من الغرق ، وكثرة النسل بعد الإنجاء ، والآية تعليم من الله لعبادة إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول / قال الواحدى : قال المفسرون : إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك : الحمد لله ، وعند نزوله منها رب أنزلني منزلاً مباركًا / ١٢ فتح .

(٢) يشعر بذلك قول الله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ ، ومجئ قصة هود عليه السلام على إثر قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف وهود والشعراء/١٢ منه .

(٣) إن كان المراد من آخرين عاد / ١٢ .

(٤) إذا كان من آخرين ثمود / ١٢ .

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ
لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا
لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ
أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً
رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ
ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَقَالَ المَلأُ﴾: الأشراف، ﴿مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾: المعاد الجسماني، ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾[1] : أنعمناهم ، ﴿فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: تشربونه أو منه ، ﴿وَلَئِنْ

(١) عطف على صلة الذين أو الواو للحال ، أي : وقد أترفناهم وعلى الوجهين مشعر بعلية التكذيب ، يعني : أحسنا إليهم فقابلوا نعمتنا بالتكذيب وينبغي أن يكون الأمر على خلاف ذلك / ١٢ .

﴿أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾: في ترك دينكم ، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾: إذًا واقع في جزاء الشرط جواب لما قال الملأ من قومهم ، ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: بلا لحم وعصب ، ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ[1]﴾: من الأجداث ثنى أنكم للتوكيد لما طال الفصل بينه وبين خبره بالظرف ، ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: البعد البعد ، ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾: نزل مترلة المصدر فهو مبتدأ وخبر أو بمعني بعد، وفاعله ضمير مصدر مخرجون أو ضمير البعد ، أي : بعد البعد ووقع ثم قيل: لماذا؟ فقيل: لما توعدون، ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي : لا حياة إلا هذه الحياة ووضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها حذرًا عن التكرير ، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: يموت بعض ويولد بعض ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: بعد الموت ، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: فيما يعدنا من البعث ، ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين ، ﴿قَالَ رَبِّ[2] انصُرْنِي﴾: عليهم ، ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: بسبب تكذيبهم إياي ، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾: عن زمان قليل ، وما صلة لتوكيد القلة ، ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾: ليصيرن ، ﴿نَادِمِينَ﴾: على التكذيب حين عاينوا العذاب ، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صيحة العذاب ، أو صاح جبريل عليهم فدمرهم ، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل؛ لأهم مستحقون ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ أي : كالغثاء وهو ما يحمله السيل من الأوراق والعيدان البالية المسودة ، ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ من المصادر التي تجب حذف فعلها، أي : بعدوا وهلكوا ، واللام لبيان من دعي عليه كهيت لك ، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا

---

(١) أعاد إنكم لما طال الكلام ، ومعنى الكلام : أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون ، وكذلك هو في قراءة عبد الله نظيره في القرآن ، "ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدًا فيها" (التوبة:٦٣)/ ١٢ فتح .

(٢) قال ذلك لما يئس من إيمانهم ، وجرب منهم مدى الأيام الإصرار/١٢ وجيز .

آخرين ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ من للاستغراق ، ﴿أَجَلَهَا﴾: الوقت الذي حد لهلاكها ، ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: ما يؤخرونه ، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: متواترين واحدًا بعد واحد ، والألف للتأنيث ، فإن الرسل جماعة ، والتاء بدل من الواو فإنها من الوتر كتيقور من الوقار ، ومن قرأ بالتنوين فمصدر وقع حالاً بمعنى المواترة ، ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ أي: جمهورهم وأكثرهم ، ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: في الإهلاك ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ[1]﴾، جمع أحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والأعجوبة ، وهي ما يتحدث به تلهيًا وتعجبًا، ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ[2]﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا[*]﴾: الدالة على صدقهما ، ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة واضحة ملزمة للخصم، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِه فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن المتابعة ، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾: متكبرين ، ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾، البشر يكون واحدًا أو جمعاً ، ومثل وغير يوصف بهما المفرد وغيره ، ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: بنو إسرائيل ، ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾: خادمون كالعبيد ، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾: بالغرق، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: بني إسرائيل، ﴿يَهْتَدُونَ﴾ وإنزال التوراة بعد إهلاك القبط ، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾: دالة

(١) قال الأخفش : لا يقال هذا إلا في الشر جمع حديث يعني لم يبق منهم عين ولا أثر الحديث عنهم ، قال صاحب البحر الصحيح : إنه جمع تكسير كعباديد وأقاطع لا اسم جمع كما قال الزمخشرى؛ لأن أفاعيل ليس من أبنيته اسم الجمع/ ١٢ وجيز .

(٢) إعرابه ما مر غير بعيد فلذا ما أعاده / ١٢ منه .

(*) أخرج مسلم في "الصلاة"، (٩٨/٢) من حديث عبد الله بن السائب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون -أو ذكر عيسى- أخذته سعلة فركع.

على كمال قدرتنا[1] ، ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع من الأرض ، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مستقر من الأرض منبسطة ، ﴿وَمَعِينٍ﴾: الماء الجاري هي بيت المقدس وهي أقرب[2] أرض من السماء أو دمشق أو الرملة أو فلسطين أو مصر .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ
حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى
ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ
يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ
وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ
هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا
مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا
تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ
تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ

---

(١) فإنه خلقه من أنثى بلا ذكر كحواء من ذكر بلا أنثى/ ١٢ وجيز .

(٢) بثمانية عشر ميلاً نقله الزمخشري عن كعب وكذا البغوي ، وفي الفتح فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً فهو أقرب بقاع الأرض إلى السماء / ١٢ منه .

جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ[1]﴾: الحلالات، **﴿وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾** الصلاح : الاستقامة على ما يوجبه الشرع ، والمقصود من الخطاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإعلامه بأن كل رسول في زمانه وصى به ونودي لذلك فهو أمر من لدنه قديم لا يجوز التجاوز عنه بوجه ، **﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** فأجازيكم به ، **﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾**: ملتكم ، **﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾**: ملة واحدة هي الدعوة إلى عبادة الله وحده ، نصب على الحال ، **﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾**، أي : خافوني ، لأن ملتكم واحدة ، وأنا ربكم فقوله : " وإن هذه أمتكم" علة لقوله : " فاتقون " ، أو تقديره :

---

(١) فيه إيذان بأن ترتيب مبادئ التنعيم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل إباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل ووصوابه/ ١٢ فتح .[وأخرج مسلم في "الزكاة"، (٥١/٣) ط الشعب من حديث أبي هريرة: "يأيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات...﴾ الآية]

واعلموا أن هذه أمتكم إلخ .. ، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾: أمر دينهم وتقطع بمعنى قطع ، أو نصب أمرهم بنزع الخافض[1] بالتمييز[2] لأنه معرفة ، ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾: قطعاً حال قيل : ثاني مفعولي تقطع فإنه متضمن معنى جعل أي : جعلوا أمر دينهم قطعًا أديانًا مختلفة ، ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: من المتحزبين ، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من أمر دينهم ، ﴿فَرِحُونَ﴾: يحسبون أنهم على شيء ، ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: جهالتهم التي غمروا فيها ، الغمرة الماء الذي يغمر القامة ، شبه جهالتهم لأنهم مغمورون فيها ، ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: حين الهلاك ، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾: نعطيهم ، ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾، بيان لما ، ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي : نسارع به لهم فيما فيه خيرهم فضمير اسم مقدر ، ﴿بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾: كالبهائم لا شعور ولا فطنة فإنه لو كان لهم فطنة لتأملوا فيعلموا أن المال والبنين استدراج لا معالجة خير ومسارعة لطف، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ[3] رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي : حذرون عن معاصيه من أجل خشية ربهم يعني : خشيتهم علة لاجتناب المعصية ، أو معناه حذرون من خوف عذابه، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الكونية والشرعية ، ﴿يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يعطون ، ﴿مَا آتَوْا[4]﴾: ما أعطوه من

---

(١) أي : في أمرهم / ١٢ وجيز .

(٢) تعريض على القاضي / ١٢ .

(٣) لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم شرع في ذكر المؤمنين ، ووعدهم فذكرهم بأبلغ صفاتهم ، وهو أنهم حذرون من معاصيه من أجل خشية ربهم ، وهذا هو تمكن الإيمان في القلب أو حذرون من خوف عذابه / ١٢ وجيز .

(٤) والمراد مما آتوا النوع ، أي : نوع مما آتوه فإنه لا يمكن أن يعطى أحد ما أعطاه ففيه إشارة إلى دوام خوفهم ، ويمكن أن يقال المقصود والذين أعطوا ما أعطوه لكن ذكر بصيغة المضارع استحضاراً لتلك الصفة الحميدة والفعلة الجميلة / ١٢ وجيز .

الصدقات ، ﴿وَقُلُوبُهُمْ[1] وَجِلَةٌ﴾: خائفة من عدم القبول ، ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: مرجعهم إلى الله أو قلوبهم وجلة من أن مرجعهم إليه ، وهو يعلم ما لا يعلمون ، ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي : أولئك يسارعون في نيل خيرات الدارين بمزاولة الأعمال الصالحة فيعطيهم خير الدنيا والآخرة ، قيل: معناه أولئك يبادرون الطاعات ، ويرغبون فيها أشد رغبة ، ﴿وَهُمْ لَهَا﴾، أي : إلى الخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾، أو لأجلها فعلون السبق ، ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ[2] وُسْعَهَا﴾: قدر طاقتها لا يريد الله بكم العسر ، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾: اللوح المحفوظ أو صحيفة الأعمال ، ﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق وليس فيه إلا ما فعلوا ، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب وعقاب على ما لم يفعلوا ، ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب الكفرة، ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: غفلة ، ﴿مِّنْ هَذَا﴾: الكتاب الذي هو عندنا ، أو من هذا الذي عليه المؤمنون ، أو من القرآن ، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾: خبيثة ، ﴿مِّن دُونِ ذَلِكَ﴾: الذي وصفنا في شأنهم ، أو متجاوز لما وصف به المؤمنون ، ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: متنعميهم ، ﴿بِالْعَذَابِ﴾: القحط الحادث فيهم حتى أكلوا الجياف ، والقتل يوم بدر ، ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾: فاجئوا الصراخ بالتضرع هو جواب الشرط ، ﴿لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ أي : يقال لهم ذلك ، ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لاَ تُنصَرُونَ﴾: لأنكم لا تمنعون منا فلا ينفعكم الجؤار ، ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾: القرآن،

---

(١) أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله قول الله: " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال : لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه"/ ١٢ فتح .[صحيح، وانظر سنن الترمذي (٢٥٣٧)].

(٢) إشارة إلى أن حصول المسابقة ليس بأمر شاق / ١٢ وجيز .

﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾: تعرضون عنها ، والنكوص الرجوع قهقرى ، ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: بالبيت[1] والحرم تفتخرون بأنكم ولاته ، والقائمون به وشهرتهم بأن تعظمهم بهذا البيت أغنت عن سبق ذكره ، أو معناه مكذبين بالآيات استكبارًا ففيه تضمين معنى التكذيب، وتذكير الضمير باعتبار أنها قرآن ، ﴿سَامِرًا﴾ السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلاً، نصب على الحال قيل : به متعلق به ، أي : تستمرون القرآن فإنهم يجتمعون الليالي حول البيت يطعنون في القرآن، ﴿تَهْجُرُونَ ﴾ من الهجر بمعنى: الهذيان[2] أي: تهذون ، أو من الهجرة أي : تعرضون عنه ، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا[3] الْقَوْلَ ﴾، أي : القرآن، ليعلموا حقيته، ﴿أَمْ

---

(١) هذا المعنى منقول عن ابن عباس رضي الله عنه نقله النسائي وهذه عبارته إنما كره السمر حين نزلت "مستكبرين به (*)سامرًا تهجرون" فقال: مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامرًا/ ١٢منه.

(*) سقطت من الأصل.

(٢) وبخهم على إعراضهم وهذيانهم بوجوه، الأول: إنهم لم يدبروا القرآن والعاقل يدبر شيئًا فإن لم يجده حقيقًا بالتوجه إليه يعرض عنه، والالتفات إلى الغيبة لعدم الالتفات إليهم، والثاني : إن سبب إعراضهم أنه ما جاء إلى آبائهم الأقدمين مثل ما جاء إليهم ، والمقصود أنه قد جاء الكتب والرسل إلى الأقدمين من آبائهم.

الثالث : إن سبب إعراضهم عدم عرفان رسولهم والحال أنهم معترفون بحسبه ونسبه وصدقه وأمانته.

والرابع : إن سبب إعراضهم اعتقاد جنونه ، والحال أنهم يقولون بلسانهم ما ليس في قلوبهم، بل ليس لإعراضهم سبب إلا أنه جاء بالحق ، والحق لا يوافق مشتهاهم / ١٢ وجيز .

(٣) هو قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من السلف / ١٢ منه .

﴿جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾: من الرسول والكتاب، يعني إرسال هـــذا الرسول إليهم ليس ببدع ، فإنه مثل ما أرسلنا إلى آبائهم الأقدمين ، وأم منقطعة ، أي: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروا ، **﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾**: بالحسب والنسب والصدق والأمانة ، **﴿فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾**: والمجنـــون لا يصلح للنبوة ، **﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾**: من عنـــد الله لا بالمـــهمل مـــن الجنـــون ، **﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾**، فعدم الاتباع لأنه لا يوافق مشتهاهم ، قيد الحكـــم بالأكثر لأن فيهم من لم يؤمن لتوبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تدبره ، **﴿وَلَوِ اتَّبَـــعَ الْحَقُّ﴾** أي : الله أو القرآن ، **﴿أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَـــدَتِ السَّـــمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَـــن فِيهِنَّ﴾**: فإن أهواءهم أن تكون له شريك وولد، منهم من يريد عظمة نفسه وحقـارة غيره ، ومنهم من يريد عكسه فيفضي إلى نساء العالم، فإنه يلزم النقيضين وهو محال ، **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾**: بكتاب هو وعظهم ، أو هو صيتهم وشرفهم ، **﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾**: على التبليغ، **﴿خَرْجـــاً﴾**: أجـــرًا أو جعـــلاً ، **﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾**: عطاؤه وأجره ، **﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** أم[1] هذه قسيم أم يقولون به جنة فهذا إلزام لهم به للسبب ، والتقسيم في أنه كإبراهيم وغـــيره رســـول معروف الحال عندكم تام العقل ليس له طمع في خسائس أموالكم ، فما هو إلا أنـــه يريد هدايتكم ، **﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** أي : الإســـلام ، **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾**: الذي تدعوهم إليه ، **﴿لَنَـــاكِبُونَ﴾**: عادلون ، **﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾**: من القحط والشـــدائد ، **﴿لَّلَجُّوا﴾**: أثبتوا ، **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾**: إفراطـــهم في المعـــاصي ، **﴿يَعْمَـــهُونَ﴾**: متحيرين، **﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾**: بالمصائب والشدائد من الموت ونقص الثمار

---

(١) يعني في قوله : "أم تسألهم" / ١٢ منه .

والأموال ، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: ما انتقلوا من كون إلى كون(١) واستمروا على ما هم عليه ، ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي : وليس من عادهم(٢) أن يتضرعوا وهم كذلك ، ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ(٣) شَدِيدٍ﴾: هو عذب الآخرة ، ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، آيسون من كل خير واعلم أن كثيرًا من المفسرين فسروا العذاب بيوم بدر ، والعذاب الشديد بالجزع ، ونقلوا(٤) أن أبا سفيان قال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، وأنت تزعم أنك رحمة للعالمين ، فادع الله أن يكشف عنا القحط فدعا ، وكشف فنزلت الآية ، وليت شعري كيف يصح هذا واتفقوا على أن السورة كلها مكية من غير استثناء فأين(٥) القتال حينئذ وقضية البدر والله أعلم.

---

(١) كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال / ١٢ منه .

(٢) فيه إشارة إلى سبب العدول من الظاهر في الإتيان بلفظ المضارع ، فإن المناسب وما تضرعوا بحسب الظاهر / ١٢ منه .

(٣) نقل محيى السنة عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، أهما فسرا العذاب الشديد بالقتل يوم بدر / ١٢ منه .

(٤) وفي الوجيز : وأما أن سبب نزوله أن أبا سفيان الخ فمحل بحث بل لا يصح للاتفاق على أن السورة مكية انتهى.

والقصة أخرجها البيهقي وغيره عن ابن عباس على ما نقله صاحب الفتح/ ١٢ .

(٥) والشيخ ابن كثير ما تعرض لسبب الترول، وليس في تفسيره شيء مما نقل ، هذا ما في المنهية ، وفي الفتح : أخرج النسائي والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك الله الرحم فقد أكلنا العلهز يعني : الوبر بالدم فأنزل الله : " ولقد أخذناهم بالعذاب " إلى آخر الآية .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا
قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾
قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ
يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ
تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾: لتحسوا آياته وتدبروا فيها ، **﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾**، ما مزيدة للتأكيد ، أي : تشكرون شكرًا قليلاً كأنه قال : قليلاً ما تستعملون السمع والبصر والفؤاد فيما خلقناها له ، **﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾**: بثكم بالتناسل ، **﴿فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾**: تجمعون بعد التفرق في القيامة ، **﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾**: هو متولي الاختلاف لا يقدر على تعاقبهما غيره ، أو لأمره الاختلاف ، وانتقاص أحدهما وازدياد الآخر ، **﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾**: أليس لكم عقول تدلكم على شمول قدرتنا الممكنات التي منها

البعث ، ﴿بَلْ قَالُوا﴾: أهل مكة ، ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُون قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استفهام الثاني تأكيد للأول واستبعاد بعد استبعاد ، ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ أي : البعث ، ﴿مِن قَبْلُ﴾: بلسان من يدعي أنه رسولهم ، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم التي كتبوها ، ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من أهل العلم ، ﴿سَيَقُولُونَ(١) لِلَّهِ﴾ فإنهم معترفون بأنه خالق الكل ، ﴿قُلْ﴾: بعد ما قالوه ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلموا أن فاطر الأرض ومن فيها قادر على الإعادة حقيق(٢) على أنْ لا يشرك به شيء ، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾:

---

(١) اعلم أن الله لم يبعث رسله و لم يترل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك ، فإن هذا يقره كل مشرك قبل بعثة الرسل كما أخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية وغيرها ، ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار مصحوبة باستفهام لتقرير هل من خالق غير الله " أفي الله شك فاطر السماوات والأرض " (إبراهيم:١٠) بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " (الأعراف:٥٩) أن لا تعبدوا إلا الله" (هود:٢)، "أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون" (النحل:٣٦)، "قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا" (الأعراف:٧٠)، "أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره" (المؤمنون:٣٢)، "وإياي فاعبدون" (العنكبوت:٥٦) وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ، ولا من غيره " فلا تدعو مع الله أحدًا " (الجن:١٨) "له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (المائدة:١١)، "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" (المائدة:٢٣) قاله الشوكاني/١٢ .

(٢) فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته / ١٢ منه .

عقابه فتنتهوا عن نسبة العجز إليه وتسويته بجماد ، ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: ملك وخزائن ، ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾: يغيث من يشاء ويحفظ، ﴿وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا يغيث أحد منه أحدًا ، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ذلك ﴿سَيَقُولُونَ[1] لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: تخدعون فتصرفون عن الرشد مع تظاهر الأدلة ، ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾، من بيان التوحيد والنبعث ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: حيث أنكروا ذلك ، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ[2] إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي : لو كان معه آلهة لتفرد كل إله بمخلوقاته متميزًا ملكه عن ملك الباقين[3] ولغلب بعضهم بعضًا كالعادة بين الملوك فلم يكن بيده ملكوت كل شيء واللازم باطل ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الولد والشريك ، ﴿عَالِمِ الغَيْبِ﴾، بالرفع خبر محذوف وبالجر صفة ، ﴿وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من له علم كل شيء لا يحتاج إلى شريك مع أنهم معترفون بأنه المتفرد بإحاطة العلم .

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

---

(١) قرأ من القراء السبعة أبو عمرو في الثاني والثالث سيقولون الله مرفوعًا كذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة ، وهذا هو المطابق لفظًا ومعنى، أما قراءة لله لباقي السبعة جاءت على المعنى، لأن قولك من ربك ولمن أنت في معنى واحد و لم يختلف في الأولى أنه باللام جواب مطابق لقوله "لمن الأرض" / ١٢ وجيز .

(٢) يعني أن "إذا" جواب لمحاجتهم وجزاء شرط محذوف / ١٢ منه .

(٣) ومحسوس أن العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت / ١٢ منه .

ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ
ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ
ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي
ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا
كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾
قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا
مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾
إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم
مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ
إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿قُل[1] رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي : إن كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب فلا تجعلني معهم ولا فيهم ومن دعائه عليه السلام[2] " وإذا أردت بقوم فتنه فتوفني إليك غير مفتون " وما والنون للتأكيد ، وتكرار رب حث على فضل تضرع وتواضع وإظهار عبودية وافتقار وعجز ، **﴿وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾**: من العذاب ، **﴿لَقَادِرُونَ﴾**: لَكِنَّا لحلمنا وحكمتنا لا نستعجل في عذابهم ، **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾** أي : ادفع من أذاك وطعنهم في الله بالشرك بالخصلة التي هي أحسن الخصال الحلم والصفح والإلزام بطريق بيان الدليل نحو : "وجادلهم بالتي هي أحسن " (النحل:١٢٥) قيل : هي منسوخة بآية السيف ، **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾**: فَكِلْ إلينا أمرهم ، **﴿وَقُل[3] رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ**

---

(١) ولما أعلم الله نبيه أنه ينتقم ممن ادعى الولد والشريك له ولم يبين أن ذلك متى يكون قريبًا أو بعيداً في حياة نبيه أو بعده ، أمره أن يدعوا بهذا الدعاء "قل رب" الآية/١٢منه .

(٢) كما ذكره الإمام أحمد وصححه الترمذى .

(٣) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائى والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" قال فكان ابن عمرو يعلمها من بلغ من أولاده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه وفي إسناده محمد بن إسحاق وفيه مقال معروف.

- وأخرج أحمد عن الوليد بن الوليد أنه قال : يا رسول الله إنى أجد وحشة قال : " إذا أخذت مضجعك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنه لا يحضرك وبالحرى لا يضرك " / ١٢ فتح .

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: وساوسهم ونزغاتهم[1] ، **﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾**: فيحوموا حولي، **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾** متعلق بـ " يصفون " وما بينهما اعتراض لا يزالون على سوء[2] الذكر حتى الآية ، **﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾**، خاطب الله بلفظ الجمع أو الملائكة ، وقيل : لتكرير الفعل أي : ارجعني ارجعني ، **﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾** أي : ردوني إلى الدنيا لعلي أعمل صالحًا في الإيمان الذي تركته ، أو في المال أو في الدنيا ، **﴿كَلَّا﴾**، ردع عن طلب الرجعة واستبعاد ، **﴿إِنَّهَا﴾** أي : رب ارجعون الخ، **﴿كَلِمَةٌ﴾**: طائفة من الكلام المنتظم بعضها ببعض، **﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾** لا محالة عند استيلاء الحسرة والاضطرار ، وعن بعض المفسرين أنها كلمة إلخ علة لردعهم ، أي : سؤاله الرجوع للعمل الصالح مجرد عدة وقول لا وفاء ولا حقيقة تحتها نحو "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون" (الأنعام:٢٨)، **﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾**: أمامهم ، **﴿بَرْزَخٌ﴾** حاجز بينهم وبين الدنيا ، **﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** هو إقناط كلي للعلم بأن لا رجعة إلى الدنيا يوم البعث فلا رجعة أصلاً ، **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**: النفخة الأخيرة ، **﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾**: لا تنفع الأنساب، **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** ويفرح[3] المؤمن أن قد وجب له حق على والده وولده فيأخذ منهما ، **﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾** لا يسأل حميم ولا قريب حميمه وقريبه وهذا في أول

---

(١) ومن دعاء بعض السلف : أعوذ بك من النزغ عند النزع / ١٢ منه .

(٢) وقيل قبلها جملة محذوفة وهذا غاية لها تدل عليها ما قبلها ، أي : فلا أكون لمن يهمزهم الشياطين ، يعني مدة عمرهم ، حتى إذا جاء وشبه ذلك بقول الشاعر :

فيا عجبًا حتى كليب يسبني

فدل ما بعد " حتى " في هذا على المحذوف ، أي: يسبني الناس حتى كليب / ١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن مسعود ورواه ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

يوم(*) القيامة ولما[1] تزوج عمر ابنة على من فاطمة قال: أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي " فأصدقها أربعين ألفًا إعظامًا لها، وروى الحافظ ابن عساكر عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً :"سألت(**) ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني[2] ذلك"، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن يكون له عقائد وأعمال صالحة تثقل ميزانه ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بأن ليس له عقائد وأعمال صالحة تثقل ميزانه ، ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: حيث بطلوا(•) استعدادها ، ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾، خبر ثان وبدل من الصلة ، ﴿تَلْفَحُ﴾: تحرق ، ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾: عابسون هو تقلص الشفتين عن الأسنان، وفي الترمذي قال عليه السلام: "تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، ولتسترخي شفته السفلي حتى تضرب سرته"(***)، ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي[3] تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي : يقال لهم ذلك ، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ الشقاوة: سوء العاقبة، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾: عن الهدى،

(*) في نسخة (ن): هول.

(١) رواهما الطبراني والبيهقى وغيرهما / ١٢ وجيز .

(**) أخرجه الحاكم (١٣٧/٣) وصححه وأقره الذهبي، من حديث ابن أبي أوفى مرفوعًا.

(٢) ونقل الإمام أحمد : "إن فاطمة بضعة منى يبغضني ما يبغضها وينشطني ما ينشطها وإن الأنساب يقطع إلا نسبي وصهري" قال الشيخ ابن كثير: هذا حديث له أصل في الصحيحين.

(•) في النسخة (ن): أبطلوا.

(***) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما بسند ضعيف.

(٣) أي : يقال لهم ذلك تقريعًا؛ لأن يجتمع لهم العذاب الجسماني والروحاني / ١٢ .

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾: لما تكره ، ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾: لأنفسنا ، ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أي: ذلوا وانزجروا كما تنزجر الكلاب ، ﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾: في رفع العذاب أو مطلقًا، وعن بعض السلف: إنه لم يكن لهم بعد ذلك إلا شهيق وزفير وعواء كالكلب، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن ، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ[1] سِخْرِياً ﴾، بكسر السين وضمها لغتان بمعنى الهزء زيدت ياء النسبة للمبالغة ، وعند الكوفيين المضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ، ﴿حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾: لتشاغلكم باستهزائهم، ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ : بما صبروا(*): بصبرهم على أذاكم ، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ استئناف ، ومن قرأ بفتح إن فثاني مفعولي جزيت أي : جزيتهم الفوز مخصوصين به ، ﴿قَالَ﴾: الله، ومن قرأ "قل" فهو خطاب لأهل النار في أن مجموعهم في حكم شخص أو الخطاب مع كل واحد أو ومع بعض رؤسائهم أو مع الملك الموكل بهم ، أي: قل لهم، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾: أحياء ، ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴾، تمييز لكم ، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا ونسوا لعظم ما هم[2] فيه ، ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾: القادرين على العد فنحن في شيء لا نقدر معه إعمال الفكر ، أو العادين الملائكة الحفظة ، ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: ما مكثتم فيها إلا زمانًا قليلاً على

---

(١) بضم السين وكسرها القراءتان بمعنى : الهزء وزيدت ياء النسبة للمبالغة ، قال يونس: إذا أريد التخديم فالضم لا غير ، وإذا أريد الهزء فالضم والكسر ، والآية بمعنى الهزء ، ألا ترى إلى قوله: "وكنتم منهم تضحكون" / ١٢ وجيز .

(*) في الأصل "صبر".

(٢) من الهول / ١٢ .

فرض أنكم تعلمون مدة لبثها وقد[1] ورد "أن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض، قالوا: يومًا أو بعض يوم قال لنعم مـــا أتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلديـــن ، ثم يسأل أهل النار فيجيبون مثلهم فيقول : بئس ما أتجرتم في يوم أو بعض يـــوم نـــاري وسخطي امكثوا خالدين مخلدين"، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: عابثين بلا فائدة حال أو مفعول له، أي : تلهيًا بكم وما زيدت للتأكيد ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَـــا لاَ تُرْجَعُونَ﴾، عطف على إنما ، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن أن يخلق عبثًا، ﴿الْمَلِكُ الْحَـــقُّ﴾ الذي يحق له الملك أو الثابت الذي لا يـــزال ملكـــه ، ﴿لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُـــوَ[2] رَبُّ الْعَرْشِ[3] الْكَرِيمِ[4]﴾، لأن الرحمة تنزل منه أو لأنه منسوب إلى أكرم الأكرمـــين ، ﴿وَمَن يَدْعُ﴾: يعبد ، ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ ، لا برهان صفـــة أخرى لإلهاً لازمة له جيء بها للتأكيد ، أو جملة[5] معترضة بين الشـــرط والجـــزاء ،

---

(١) نقله ابن أبي حاتم وغيره / ١٢ وجيز .

(٢) أخرج الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليـــوم والليلة وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود أنـــه قـــرء في أذن مصـــاب "أفحسبتم" حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: بماذا قـــرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله- صلي الله عليه وسلم-:"والذي نفسي بيده لـــو أن رجلاً موقنًا قرأ بها على جبل لزال" / ١٢ فتح .

(٣) فإن الرحمـــة منـــه يـــترل علـــى الأرض وهـــو الله ســـبحانه مســـتو عليـــه / ١٢ وجيز .

(٤) السرير الحسن وقيل المرتفع / ١٢ معالم .

(٥) لتنبيهه على أن قبول ما لا دِليل عليه في العقائد ممنوع فضلاً عما دل علـــى نقيضـــه الدليل/١٢ .

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ فيجازيه بما يستحقه، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن ، ﴿لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ وَقُل﴾: يا محمد ، ﴿رَّبِّ[1] اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ .

* والحمد لله حق حمده *

(١) أمر نبيه أن يقول مثل قول فريق من عباده الذين يقولون " ربنا آمنا " الآية ، افتتح السورة بقوله : " قد أفلح المؤمنون " واختتمها بقوله : " لا يفلح الكافرون " اللهم اجعلنا من الأولين لا من الآخرين في الأولى والآخرة/١٢ وجيز .

سورة النور مدنية

وهى اثنتان وأربع وستون آية، وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ
فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ
أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا
وَأُوْلَآئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَالِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ
لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿**سُورَةٌ**﴾، أي: هذه السورة، ﴿**أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا**﴾، أي: فرضنا أحكامها، ومن قرأ بالتشديد فمعناه فصلناها، أو التشديد للمبالغة، ﴿**وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ**

بَيِّنَاتٍ[1] لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ، ﴿الزَّانِيَةُ[2] وَالزَّانِي﴾، رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف ، أي : جلدهما فيما فرض عليكم أو خبره قوله : ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ

---

(١) ظاهرات المعاني /١٢ وجيز .

(٢) قدمت الزانية لقلة عقلها التي هي الموجبة للفاحشة ، وزناها أفحش لوجوه /١٢ وجيز قال الشيخ ابن القيم في " الهدي " ، "فصل" وأما نكاح الزانية فقد صرح سبحانه وتعالي بتحريمه في سورة النور وأخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك فإنه إما يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أولا فإن لم يلتزمه و لم يعتقده فهو مشرك ، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان ، ثم صرح بتحريمه فقال : "وحرم ذلك على المؤمنين" ولا يخفي أن دعوى النسخ للآية بقوله تعالى : " وأنكحوا الأيامي منكم " من أضعف ما يقال ، وأضعف منه حمل النكاح على الزنا إذ يصير [كذا في زاد المعاد (١١٤/٥)، وفي المطبوع (تصير) والصحيح المثبت] معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك وكلام الله ينبغي أن يصان عن مثل هذا، وكذلك حمل الآية على امرأة بغي مشركة في غاية البعد عن لفظها وسياقها ، كيف وهو سبحانه إنما أباح نكاح الحرائر والإماء بشرط الإحصان وهو العفة فقال : " أنكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان "، فإنما أباح نكاحها في هذا الحال دون غيرها ، وليس هذا من باب دلالة المفهوم ، فإن الإبضاع في الأصل على التحريم فيقصر فى إباحتها على ما ورد به الشرع وما عداه فعلى أصل التحريم ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات " والخبيثات : الزواني ، وهذا يقتضى أن من تزوج بهن فهو خبيث مثلهن ، وأيضاً فمن أقبح القبائح أن يكون الرجل زوج بغي، وقبح هذا مستقر في فطر الخلق وهو عندهم غاية المسبة ، وأيضاً فإن البغي لا يؤمن [كذا في زد المعاد (١١٥/٥) وفي المطبوع (تؤمن) والصحيح المثبت] أن تفسد على الزوج فراشه وتعلق عليه أولاداً من غيره ، والتحريم يثبت بدون هذا ، وأيضاً فإن النبي صلي الله عليه وسلم فرق بين =

﴿وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾، والفاء لتضمنها معني الشرط إذ اللام فيها بمعني الذى ، والجلد ضرب الجلد ، وهذا مطلق محمول على بعض هو حر بالغ عاقل ما جامع في نكاح شرعي ، فإن حكم من جامع فيه الرجم للأحاديث الصحاح ، والآية الرجم المنسوخ لفظها دون معناها ، وعند بعض[1] الإسلام شرط آخر ، ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: رحمة ، ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾، فتعطلوا أحكامه ، أو تسامحوا فيها ، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، فإن الإيمان يقتضي الصلابة في دينه ، والاجتهاد في إقامة أحكامه ، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي : يجلد بحضرة

= المرأة التى وجدها حبلي من الزنا وبين زوجها ، وأيضاً فإن مرثد بن أبي مرثد الغنوى استأذن النبي صلي الله عليه وسلم أن يتزوج عناق وكانت بغياً فقرأ عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم آية النور وقال لا تنكحها انتهى بلفظه [زاد المعاد (١١٥/٥)].

وقال رحمه الله في "الهدي" في حكم عدم جواز وطء الحامل قبل وضع الحمل ، والذي يقتضي منه العجب ، تجويز من جوز من الفقهاء الأربعة العقد على الزانية قبل استبرائها ووطئها عقيب العقد فتكون الليلة عند الزاني وقد علقت منه ، والليلة التى تليها فراشاً للزوج، ومن تأمل كمال هذه الشريعة علم أنها تأبى ذلك كله كل الإباء وتمنع منه كل المنع ، ومن محاسن مذهب الإمام أحمد قدس الله روحه أن حرم نكاحها بالكلية حتي تتوب ويرتفع عنها اسم الزانية والبغي والفاجرة ، فهو -رحمه الله- لا يجوز أن يكون الرجل زوج بغي ومنازعوه يجوزون ذلك ، وهو أسعد منهم في هذه المسألة بالأدلة نصًا كلها من النصوص والآثار والمعاني والقياس والمصلحة والحكمة وتحريم ما رآه المسلمون قبيحاً ، والناس إذا بالغوا في سب الرجل صرحوا له بالزاني والقاذف فكيف تجوز الشريعة مثل هذا . انتهي بلفظه .

(١) هو أبو حنيفة رضي الله عنه/١٢ .

طائفة من المؤمنين أقلها أربعة أو ثلاثة أو اثنان أو واحد(١) للشهرة ، والتخجيل ، فإن الفاسق بين المؤمنين الصالحين أخجل ، وعن بعض إنما ذلك لأن يدعوا الله له بالتوبة. ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾، هوخبر ، أي : الغالب أنه لا يرغّب الجنس إلا إلى مثله ، ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾، لما فيه من التشبه بالفساق ، والتسبب لسوء المقالة فيه ، والغيبة ، والشبهة في الولد ، وغير ذلك من المفاسد ، فللمبالغة عبر عن التنزيه بالتحريم ، وقد نقل أنها نزلت في فقراء المهاجرين حين أرادوا نكاح البغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهن من أكسابهن كعادة الجاهلية ، وعن بعض السلف نكاح العفيف البغية ، وتزويج الصالحة بالفاجر فاسد حتى يتوبان ، وبعض الأحاديث يؤيد قوله فالنفي بمعني النهي، وعن بعض هذا النكاح صحيح لكنه حرام وعن بعض الآية منسوخة ، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾: يقذفون بالزنا ، ﴿الْمُحْصَنَاتِ(٢) ﴾: المسلمات الحرائر العاقلات البالغات العفيفات عن الزنا ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا ﴾: على ما رموهن به ، ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾، يشهدون عليهن ، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ﴾، أي : كل واحد من الرامين ، ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾، وتخصيص النساء لخصوص الواقعة ، ولأن قذفهن أغلب وأشنع وإلا فلا فرق فيه بين الذكر والأنثي ، ﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ﴾: في أي واقعة كانت ، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٣) ﴾: عند الله ، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾، أي : القذف ،

---

(١) قال النخعي ومجاهد: الطائفة تقع على واحد وبه قال أحمد رضي الله عنه/١٢ منه .

(٢) وخص النساء بذلك لأن القذف بالزنا فيهن أشنع وأقبح لإزالة عرضهن وعرض أقاربهن، وشبهة أولادهن وإن كان الرجال يشاركوهن فى الحكم /١٢ وجيز .

(٣) لأنهم أثبتوا الفسق العظيم لغيرهم فانقلب إليهم ولما كانت الزنا من أمهات الكبائر ، وقلما يطلع على ذلك أحد شدد الله على القاذف حيث شرط فيها أربعة رحمة ، وستراً على عباده سيما على النساء ، والظاهر وجوب جلد الرامي ، وإن لم يطالب المقذوف ، =

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أعمالهم ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ[1] رَّحِيمٌ﴾، علة للاستثناء ومحل الاستثناء الجر على البدل من هم في لهم ، فحاصله: اجلدوهم إذا لم يأتوا بأربعة شهداء، ولا تقبلوا أبداً شهادتهم إلا التائبين فاقبلوهم بعد التوبة[2] وعند من قال قوله : " وأولئك هم الفاسقون" مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط ، والاستثناء من (الفاسقون) يكون محله النصب ، ويحكم برد شهادته بعد التوبة أيضاً ، وهو مذهب بعض السلف[3]، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ﴾، إلا بمعني غير صفة شهداء ، ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾: التي تمنع الحد ، ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾: أربع مرات، ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيما قذفها به ، وأصله "على أنه" فحذف على وكسر إن ، وعلق عنه العامل باللام تأكيداً وقرئ بنصب أربع

= والظاهر أن قوله : "وأولئك هم الفاسقون" جملة على حيالها غير داخلة في خبر "والذين يرمون" مؤكد لعدم قبول شهادتهم /١٢ وجيز.

(١) الظاهر أن الاستثناء من الفاسقون ، ومحله النصب فعلى هذا يجلد ولا يقبل شهادته بعد التوبة أيضاً ، وهذا مذهب كثير من السلف ، فقال الشعبي والضحاك : إن اعترف بعد التوبة على نفسه بأن ما قاله بهتان يقبل شهادته ، وإلا فلا والجمهور على أن الجلد واجب وإن تاب ، وأما قبول شهادته بعد التوبة فخلاف ، قال صاحب البحر : الذي يقتضيه النظر ويعضده كلام العرب أن الاستثناء إذا تعقب جملاً يصلح أن يخصص كل منها بالاستثناء لابد أن يحمل التخصيص في الجملة الأخيرة لا عودة إلى الجمل كلها ، وهذه مسألة في أصول الفقه سيما في هذه الآية ، فإن الجلد لا يسقط عنه بالتوبة إلا أن يقال رد شهادتهم لفسقهم ، والفسق زال بالتوبة فرجع إليهم قبول شهادتهم /١٢ وجيز .

(٢) هذا مذهب مالك والشافعي. وأحمد وصرح على ذلك سعيد بن المسيب وجماعة من السلف/١٢ منه .

(٣) كقاضي شريح والنخعي وسعيد بن جبير ومكحول وهو مذهب أبي حنيفة / ١٢ منه .

فتقديره : فالواجب أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع منصوب على المصدر من شهادة ، ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾، أي : الشهادة الخامسة ، ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾: في الرمي ، وحكم لعان الرجل سقوط حد القذف وبانت منه بنفس اللعان وحرمت عليه أبداً على الأصح[1] ويتوجه عليها حد الزنا إلا أن تلاعن ، وهو قوله ، ﴿وَيَدْرَأُ﴾: يدفع ، ﴿عَنْهَا العَذَابَ﴾: الحد ، ﴿أَن تَشْهَدَ﴾، فاعل يدرأ ، ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ﴾: الزوج ، ﴿لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾: فيما رماني به ، ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ﴾ : الزوج ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في ذلك، ومن قرأ الخامسة بالنصب فهو عطف على أربع كأن رجل وجد على فراشه رجلاً فجاء إلى النبي صلي الله عليه وسلم وأخبره فأراد عليه السلام أن يأمر بحده بحكم آية الرمي إذ نزلت آية اللعان فتلاعنا ، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، لعاجلكم بالعقوبة ، وفضحكم ، فجواب لولا متروك ليدل على أنه أمر عظيم لا يكتنه .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ

(١) للحديث الصحيح ، وعليه الأكثرون من السلف / ١٢ وجيز .

بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾: هو أبلغ ما يكون من الكذب ، أي : إفك عائشة أم المؤمنين[1] رضي الله عنها وصفوان ، ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، خبر إن ، والعصبة جماعة من العشرة إلى الأربعين ، ورأسهم ابن أبي بن سلول رئيس النفاق لعنه الله ، ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ﴾، أي : الإفك ، ﴿شَرًّا لَّكُم﴾: الجملة مستأنفة ، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لأنه ظهر منه البراءة لها ولجميع أزواجه ، ورفعة القدر مع الثواب الجزيل ،﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ﴾: جزاء ما اكتسب ، ﴿مِنَ الإِثْمِ﴾: بقدر ما خاض فيه مختصًا به ، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: معظمه ، ﴿مِنْهُمْ﴾، أي : من الخائضين، وهو

---

(١) كما هو المشهور المذكور في الصحيحين ، وغيرهما وذلك لإنها خرجت من هودجها تلتمس عقداً لها انقطع من جزع فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم نأقامت في ذلك المكان ، ومر بها صفوان بن المعطل وكان متأخراً عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها فلما رأي ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا فبرأها الله مما قالوا ، هذا حاصل القصة مع طولها وتشعب أطرافها كذا في الفتح/١٢ .

ابن أبي بدأ به وأشاعه ، ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ[1] ﴾: الفضيحة والشهرة بالنفاق ، والطرد في الدارين ، ﴿لَوْلا ﴾: هلا ، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾: حاصله هلا ظننتم خيراً أيها المؤمنون ، والمؤمنات بالذين هم كأنفسكم حين سمعتم الإفك ممن اخترعه ، وقلتم بناء على ظنكم خيراً ، هذا إفك مبين ، كما يقول المستيقن المطلع على الحال ، فالالتفات إلى الغيبة للمبالغة في التوبيخ ، والإشعار بأن[2] الإيمان يقتضي ظن الخير بمن هو كنفسه ، فإن المؤمنين كنفس واحدة ، ﴿لَوْلا ﴾: هلا ، ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾، أي : التفصلة بين الرمي الصادق ، والكاذب شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها ، والذين رموا حبيبة حبيب الله الطاهرة ، ولم تكن لهم بينة ، فكانوا كاذبين عند الله في حكمه[3] وشرعه ، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ

---

(١) وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل عذري قام النبي -صلي الله عليه وسلم- فذكر ذلك ، وتلي القرآن ، فلما نزل من المنبر أمر برجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم ، حسان ، ومسطح ، وحمنة [وسنده صحيح]، واختلفوا في وجه تركه -صلي الله عليه وسلم- لجلد عبد الله بن أبي ، فقيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة ، وحد من عداه ليكون ذلك تكفيرًا لذنبهم ، وقيل احتراماً لابنه وإطفاءً لنار الفتنة /١٢ فتح .

(٢) وهذا من الأدب الحسن الذى قل القائم به ، والحافظ له ،وليتك تجد من يسمع فيسكت، ولا يشيع ما يسمعه بإخوانه ، وكفي بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ، قال العلماء: في الآية دليل على أن درجة الإيمان ، والعفاف لا يزيلها الخبر المحتمل وإن شاع/ ١٢ فتح.

(٣) أو معدودون فيمن اعتادوا بالكذب ، والكذب ليس من عادة المؤمنين كما في الصحيح "أنه يتحري الكذب حتي يكتب عند الله كذابًا" /١٢ وجيز .[أخرجاه في الصحيحين]

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾، جواب لولا الامتناعية قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾: خضتم ، ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر في جنبه الجلد واللوم ، ﴿إِذْ﴾، ظرف لمسكم ، أو أفضتم ، ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: يأخذه بعض من بعض ، يعني ما اكتفيتم بتهاونكم في تكذيب الرامين حتى أفشيتموه ، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾: من غير روية وفكر ، ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: وما هو إلا قول يدور في فيكم من غير ترجمة عن علم به في القلب ، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾: سهلاً لا تَبِعَةَ له، ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر ، ﴿وَلَوْلا﴾: هلا ، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: من المخترعين ، ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي، وما يصح لنا ، ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ قدم الظرف ،وجعله فاصلاً بين لولا وفعله، لأن ذكره أهم لبيان أن الواجب عليهم التهامي(*) عن التكلم به أول ما سمعوه ، ﴿سُبْحَانَكَ﴾، أنزهك عن أن يكون لحرمة نبيك عيب يفضي إلى نقصه أو ذكره للتعجب ، فإنه لفظ يذكر عند رؤية عجيب ، ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا﴾، أي : كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا ، ﴿لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يمنع عنه ، ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾: لكي تتعظوا ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾: تنتشر ، ﴿الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا[1] وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: السرائر ، ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾: فيعاقب على ما في قلوبكم من مثل محبة إفشاء الفاحشة، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، تكريم للمنة ، وتعظيم للجريمة بحذف جواب لولا[2] ولا يخفي ما فيه من المبالغات .

(*) كذا بالأصل ولعل الصواب "التناهي".

(١) فيه دليل على أن إرادة الفسق ، والرضاء به فسق ، والمؤمن من يريد الخير لإخوانه/١٢ وجيز .

(٢) كأنه قال "لترون ما لا يخطر ببالكم" .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: وساوسه وأوامره ، **﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾**، فهو ضال ، غاو ، **﴿فَإِنَّهُ﴾**، الشيطان ، **﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾**: ما أفرط قبحه ، **﴿وَالْمُنكَرِ﴾**: ما أنكره الشرع ، **﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى﴾**: ما طهر من دنس النفس بواسطة وساوسه ، **﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ[1]﴾**: فيوفقه على تهذيب الأخلاق ، والتوبة الماحية دنسه ، كما وفق بعض من أغواه بالإفك على التوبة وطهرهم ، **﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ**

---

(١) ومن دعائه – صلى الله عليه وسلم – اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها/٢ .[أخرجه مسلم وغيره]

عَلِيمٌ ﴾: بالأقوال ، والنيات ، ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾: لا يحلف ، ﴿أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ﴾: في الدين ، ﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال ، ﴿أَن يُؤْتُوا﴾، أي : في شأن إعطاء ، ﴿أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: لا يحلف على أن لا يعطيهم ، ولا يتصدق عليهم ، وقيل معناه لا يقصر فى إعطائهم على أن يأتل من الإلو نزلت[1] حين حلف الصديق أن لا ينفق أبداً على ابن خالته المسكين المهاجر مسطح ، لأنه قد زلق زلقة في الإفك ، ﴿وَلْيَعْفُوا﴾: ما فرط منهم ، ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾: بالإغماض عنه ، ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: بعفوكم عن الناس وصفحكم ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لما سمع الصديق الآية قال : بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفائف ، ﴿الغَافِلاتِ﴾: عما قذفن به ، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، عن بعض السلف : إن من رمي الأزواج أمهات المؤمنين فهو ملعون، وليس له توبة ، فالآية خاصة بهن والأصح أن الآية عامة مشروطة[*] بعدم التوبة ، وقد عد عليه السلام قذف المحصنات من السبع الموبقات[*] ، وورد قذف المحصنة يعدم عمل مائة[2] سنة ، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾، ظرف لمتعلق لهم ، ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: بأن أنطقهن الله من غير اختيارهم ، عن ابن عباس : هذا خاص بالكفرة حين جحدوا كفرهم ، و حلفوا على إيمانهم ، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ﴾: جزاءهم ، ﴿الحَقَّ﴾: الواجب

---

(١) أخرجه ابن المنذر عن عائشة / ١٢ فتح .[بل هو في الصحيحين]

(*) بالأصل "عام مشروط".

(*) أخرجاه في الصحيحين.

(٢) أخرجه الطبراني/١٢ وجيز .[وسنده ضعيف]

المستحق، ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: علمًا عيانيًا ، ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: ذو الحق البين أي : العادل الظاهر العدل، ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾: من القول أو من النساء ، ﴿لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ﴾: من الرجال ، ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾، من القول أو من النساء ، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾: من القول أو من النساء ، ﴿لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ﴾، من الرجال ، ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾، من القول أو من النساء ، فما نسبوه إلى الصديقة هم أولي به ، وهي أولي بالبراءة والثناء الجميل ، ولا يكون أهل بيت الرسالة إلا طيبات مبرآت من الخبائث ، ﴿أُوْلَئِكَ﴾: عائشة ، وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع ، أو أهل بيت الرسالة ، ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، لأنها حليلة خليل الله، طيبة لطيب ، عليه وعلى آله وأزواجه شرائف الصلوات والتحيات ، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ
فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ
أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ
بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل
لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ
جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ

بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ﴾

﴿**يَا أَيُّهَا**[1] **الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾: التي تسكنوها ، ﴿**حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**[2]﴾، تستأذنوا ، ﴿**وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**﴾: بأن تقولوا: السلام عليكم ،

---

(١) ولما وجد أهل الإفك سبيلاً إلى البهتان لاتفاق الخلوة أعقبه تعالي بشيء لا يكون لأحد طريق في التهم فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا " الآية، هذا ما في الوجيز وفي الفتح ، ولما زجر عن الزنا والقذف شرع في الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان ، لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء ، فربما يؤدي إلى أحد الأمرين المذكورين فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا " الآية ١٢.

(٢) وفي مصحف عبد الله " حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا " وعن عكرمة نحوه ، أخرج ابن أبي شيبة ، والطبراني وغيرهما عن أبي أيوب قال : قلت : يا رسول الله أرأيت قول الله : " حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها " هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ،
=

أأدخل؟ ويقول ذلك ثلاثاً ، فإن أذن له دخل ، وإلا رجع ، وإن كان بيت أمه وبنته ، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الاستئذان والتسليم ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، أى: أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تتعظوا ، وتتأدبوا ، ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾: في البيوت ، ﴿أَحَداً﴾: يأذن لكم ، ﴿فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، يعني : حتى يأتي من يأذن لكم أو لا تدخولها إلا بإذن مالكها ، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾: ولا تلحوا ، ﴿هُوَ﴾: الرجوع ، ﴿أَزْكَى﴾: أطهر وأصلح ، ﴿لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾: فيجازيكم به.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، حرج ، ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ[1] ﴾، هذا تخصيص بعد تعميم ، ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة ، وعن بعض: المراد منها الخانات والرُّبط ، وقوله : " فيها متاع لكم " أي : استمتاع لكم ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾، فلا تدخلوا الفساد ، ولا تطلعوا على عورات ، ﴿قُل[2] لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، أي : عما يحرم ، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: عن الحرام دخل من التبعيض في النظر دون الفرج دلالة على

= قال : "يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ، ويتنحنح فيؤذن أهل البيت ، قال ابن كثير : هذا حديث غريب [وأخرجه أيضا ابن ماجه (٣٧٠٧)، وهو ضعيف، وانظر ضعيف ابن ماجه(٨٠٩)]، وأخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: الاستئناس أن تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين تسلم عليهم [وهو ضعيف كالذي قبله]، وقال الأكثرون: إنه يقدم السلام على الاستئذان فيقول : "السلام عليكم أدخل؟ ، وهو الحق ، لأن البيان منه صلي الله عليه وسلم للآية كان هكذا / ١٢ فتح .

(١) فإن الغرض من الأذن كف النظر عن العورات ، وليس في غير المسكون عورة / ١٢ .

(٢) ولما ذكر الاستئذان لئلا يقع النظر على عورة قال : " قل للمؤمنين " الآية /١٢ وجيز .

أن أمر النظر[1] أوسع وعن بعض: حفظ الفروج ههنا سترها ، **﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾**: فكونوا على حذر منه في حركاتكم ، وسكناتكم ، **﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ[2] يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾**: عما يحرم عليهن النظر إليه ، **﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾**: عما يحرم ، **﴿وَلاَ يُبْدِينَ﴾**، لا يظهرن ، **﴿زِينَتَهُنَّ﴾**: كالخلخال والقرط ، وغيرهما ، **﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ[3] مِنْهَا﴾**: كالخاتم والكحل ، **﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾**، جمع خمار وهو ا لمقنعة ، **﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾**، ليسترن بذلك القرط ، والأعناق والصدر ، **﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾**، أي : الزينة الخفية ، **﴿إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ[4] أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾**: المؤمنات أما الكافرات فعند أكثر[5]

---

(١) لأن أول النظر لا يملك ، ولهذا في الحديث " لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الثانية " [وهو حديث حسن، وانظر صحيح الجامع (٧٩٥٣)]، وقدم النظر لأنه هو بريد الفجور ، والبلوى فيه أكثر ، وقد فسره ابن كثير بحفظ الفرج عن الزنا وكشف العورة وهو حسن /١٢ وجيز .

(٢) أمرهن مصرحاً لا في ضمن أمر الرجال لكمال الاهتمام في شأن غض البصر وحفظ الفرج/١٢ وجيز .

(٣) كالخاتم ، والكحل ، قال ابن مسعود : " ما ظهر منها: هو الثياب ، ونص على هذا أحمد ، قال تعالى : " خذوا زينتكم عند كل مسجد " وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة فى الأمر بالستر فعلم ستر مواضعها بطريق الأولي /١٢وجيز .

(٤) قدم الأزواج ، لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة، بل الزينة لهم /١٢ وجيز .

(٥) وقد كتب عمر بن عبد العزيز [وهذا وهم وصوابه (عمر بن الخطاب- رضي الله عنه) تفسير القرطبي (٢١٦/٦) وتفسير ابن كثير (٢٨٥/٣)] إلى أبي عبيدة أن امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات/١٢ .

السلف أهن كالأباعد[١] ، قال بعض السلف ، الأولى أن يُستَّرن من العم ، والخـال حذراً عن أن يصفاهن لأبنائـهما ، ولهـذا لم يذكرهما[٢] ، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، أكثر السلف على أن العبيد كالآباء[٣] ، والأبناء ، وعن بعض: أن المـراد ما ملكت من إماء المشركات فإهن محرمات ، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾، الإربة الحاجة ، والمراد منهم من لا حاجة لهم إلى النساء ، ويتبعـون ليصيبوا من أفضل الطعام ، أو الأحمق الغبي ، أو من لا يستطيع غشيان النسـاء ، ومن قرأ غير بالنصب فعنده أنه حال أو بتقدير أعنى ، ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾، وصف المفرد بالجمع ، لأن المراد به الجنس ، أي : أطفال لا يعرفون ما العورة ، فمعنى الظهور الاطلاع أو المراد أطفال لم يبلغوا من الظهور بمعنى الغلبة ، ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾: الأرض ، ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: من صوت الخلخال ، وهذا من عادات الجاهلية ،﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾: من التقصير في أوامره ، ونواهيه ، أو المراد توبوا عن مثل[٤] ما كنتم عليه في الجاهلية من أمر النظر، وغيره ، ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٥]﴾: راجين الفلاح ،

---

(١) صرح بذلك عمر بن الخطاب ومجاهد / ١٢ منه .

(٢) قال الشعبي ، وعكرمة : الأولي أن تتحاشي منهما حذراً من أن يصفاهن لأبنائهما فلهذا لم يذكر هما /١٢ وجيز .

(٣) وعليه حديث صحيح /١٢ وجيز .[وهو قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة لما وهبـها عبدا ورآها تستر نفسها منه: "لا بأس عليك إنما هو أبوك وغلامك" أخرجه أبـو داود وغيره بسند صحيح]

(٤) وفي معني إبداء مثل الخلخال والتطيب عند الخروج من بيتها كما ثبت في الترمذى " إذا استعطرت فمرت بمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية " /١٢وجيز .[صحيح]

(٥) قيل ليس في كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين للمؤمنات من مخفوض ومرفوع ، ولما كان النظر بالشهوة ، وهم الوقوع هذا في الزنا غالبة في العزب =

﴿وَأَنكِحُوا[1] ﴾: أيها الأولياء والسادة ، **﴿الأَيَامَى ﴾**: العزب ذكراً كان أو أنثي بكراً أو ثيباً ، **﴿مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾**، خص الصالحين ، لأن إحصان دينهم والاعتناء بحالهم أهم وأكثر ، **﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾**، يعني: لا يمنعكم فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة ، قال تعالي : "وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء" قال الصديق رضى الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغني قال تعالى: "وإن خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء" ، **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾**: لا ينفد جوده، **﴿عَلِيمٌ ﴾**: بصلاح أحوال عباده في البسط والقبض ، **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ﴾**: ليجتهد في العفة عن الحرام ، **﴿الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً ﴾**، أي : أسبابه[2] ، **﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**: فيجدوا ما يتزوجون به ، **﴿وَالَّذِينَ[3] يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾**، أي : يطلبون من مواليهم أن يكاتبوهم ، ويبيعوهم منهم ، **﴿فَكَاتِبُوهُمْ ﴾**، خبر للموصول أو مفسر لفعل ناصب للموصول ، والفاء لتضمن معني الشرط ، والأمر للندب عند الأكثرين ، **﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾**، في الحديث[4] إن

= أعقب أمر غض البصر ، وحفظ الفرج بالتزوج فقال : " وأنكحوا الأيامى " الآية/١٢ وجيز .

(١) والأمر في " أنكحوا " للندب عند الأكثرين / ١٢ .

(٢) وقيل النكاح اسم لما يمهر به كاللحاف ، واللباس اسم لما يلحف به ، ويلبس /١٢ وجيز.

(٣) أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ، وهو غض البصر ، ثم بالنكاح الذى هو عاصم ، ثم بالحمل على النفس(*) الأمارة بالسوء عند العجز عن النكاح على رزق القدرة ، ولما ذكر العبيد والإماء الطالبين الراغبين في النكاح ، وبعث السيد على تزويجهم رغبهم في أن يكاتبوهم إن طلبوا ذلك فقال : " والذين " الآية /١٢ وجيز .

(٤) رواه أبو داود في المراسيل / ١٢ منه .[وهو ضعيف]

علمتم فيهم حرفة ، ولا ترسلوهم كلاباً على الناس ، أو أمانة وكسباً ، أو صدقاً وصلاحاً في الدين ، ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، أي : اطرحوا لهم من الكتابة بعضها والأكثرون على أن طرح شيء منها واجب ، والمراد أمر المسلمين بإعطائهم سهمهم من الزكاة أو بإعانتهم في أداء الكتابة ، ﴿وَلَا[1] تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾، إماءكم ، ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾: علي الزنا ، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾، هذا الشرط للاتعاظ يعني : ينبغي أن يحترز من تلك الرذيلة ، وإن لم يكن زاجر شرعي حتى لا تكون أمته خيراً منه ، وحاصله لو كانت للأمة هذه الخصلة فما أقبح على مولاها أن يكرهها على الرذيلة ، والإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التعفف ، ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني : ما يؤخذ من أجورهن نزلت[2] حين شكت فتيات ابن أبي بن سلول عند النبي عليه السلام عن إكراههن علي الزنا ، ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾: على الزنا ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾: لهن ، ﴿رَّحِيمٌ﴾، والوزر على المكره وفي مصحف ابن مسعود لفظ لهن مكتوب ، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾، بينت وأوضحت آي القرآن ، ﴿وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾، أمثال من أمثال من قبلكم ، وما حل بهم من مخالفتهم أوامر الله قال تعالى : " فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين " ، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ[3]﴾، فإنهم المنتفعون بمواعظ القرآن.

---

(١) ولما أمر سبحانه بالرفق بهم نهي عن ضده فقال : " ولا تكرهوا فتياتكم " الآية /١٢ وجيز .

(٢) كما نقله البزار في مسنده ، والمفسرون /١٢ وجيز .[ذكره الهيثمي في "المجمع"، (٨٣/٧) وقال: "رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح"]

(٣) فإنهم المنتفعون بمواعظ القرآن ولما قال آيات مبينات ، ومثلاً ، وما القرآن إلا هدي ونور كما وصفه الله بذلك أعقبه بقوله : " الله نور السماوات " الآية /١٢ وجيز .

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿اللَّهُ[1] نُورُ السَّمَوَاتِ[2] وَالأَرْضِ﴾: منورهما أو مدبرهما ، يقال : فلان نور قومه يهتدون به في أمورهم ، أو موجدهما عن ابن مسعود "إن ربكم ليس عنده ليل ،

(١) قال الإمام شمس الدين ابن القيم في القصيدة النونية: فصل:

والنور من أسمائه أيضاً ومن	أوصافه سبحانه ذي البرهان
بقال ابن مسعود كلاماً قد حكا	ه الدارمي عنه بلا نكران
ما عنده ليل يكون ولا نهارٌ	قلت تحت الفلك يوجد ذان
نور السماوات العلي من نوره	والأرض كيف النجم والقمران

ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه " ، قال حجة الإسلام : النور في الحقيقة اسم لكل ما هو ظاهر بذاته مظهر لغيره ، والله سبحانه هو المتصف بهذه الصفة ، فهو النور الحقيقى، ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: صفة نور الله ، وهداه في قلب المؤمن ، وكان

= من نور وجه الرب جل جلاله ... وكذا حكاه الحافظ الطبران
فيه استنار العرش والكرسي مع ... سبع الطباق وسائر الأكوان
وكتابه نور كذلك شرعه ... نور كذا المبعوث بالفرقان
وكذلك الإيمان في قلب الفتي ... نور على نور مع القرآن
وحجابه نور ولو كشف الحجاب ... لأحرق السبحات للأكوان
وإذا أتي للفصل يشرق نوره ... في الأرض يوم قيامة الأبدان
وكذلك دار الرب جنات العلي ... نور تلألأ ليس ذا بطلان
والنور ذو نوعين مخلوق وو ... صفٌ ما هو والله متحدان
وكذلك المخلوق ذو نوعين ... محسوس ومعقول هما شيئان
احذر تزل فتحت قدمك هوة ... كم قد هوي فيها على الأزمان
من عابد بالجهل زلت رجله ... فهوى إلى قعر الحضيض الدان
لاحت له آثار أنوار العبا ... دة ظنها الأنوار للرحمن
فأتي بكل مصيبة وبلية ... ما شئت من شطح ومن هذيان
وكذا الحلولي الذي هو خدنه ... من ههنا حقا هما أخوان
ويقابل الرجلين ذو التعطيل و ... الحجب الكثيفة ما هما سيان
ذا في كثافة طبعه وظلامه ... وبظلمة التعطيل هذا الثان
والنور محجوب فلا هذا ولا ... هذا له من ظلمة يريان

انتهي من عينها .

(٢) أي : منورهما ويؤيد هذا المعني قوله : " مثل نوره " بالإضافة إلى ضميره وقراءة على ابن أبي طالب وأبي جعفر وعبد العزيز المكى وزيد بن على وثابت بن أبي حفصة وسلمة بن عبد الملك وأبي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن إياس بن أبي ربيعة "نوَّر" فعلاً ماضياً والأرض بالنصب /١٢ وجيز .

ابن مسعود يقرأ: "مثل نور الله في قلب المؤمن" ، وعن بعض: الضمير للمؤمن الدال عليه سياق الكلام ، وكان أُبيٌّ يقرأ " مثل نور من آمن به " أو المراد من النور القرآن ، أو محمد -عليه السلام- أو طاعة الله ، قيل : إضافة النور إلى ضمير الله دليل على أن إطلاق النور على الله ليس على ظاهره ، ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾: أي صفته صفة كوة غير نافذة، أو هي موضع الفتيلة من القنديل ، وعليه أكثر السلف ، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، سراج أو فتيلة مشتعلة ، فالكوة صدر المؤمن ، والمصباح نور من الله في قلبه أو القرآن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: قنديل من الزجاج ، ﴿الزُّجَاجَةُ﴾: لما فيها من النور ، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه منسوب إلى الدر ، أو فعيل من الدر فإنه يدفع الظلام بضوئه ، أو كوكب يُدْرَأ ، أي : يدفع ويرمي به ، والكواكب في ذلك الحين أشد استنارة من سائر الأحوال ، وقلبت همزته ياء ، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، أي : ابتداء ثقوبه من شجرة الزيت المتكاثر نفعه ، يعني رويت ذبالته بزيتها ، وفي تنكير الشجرة ووصفها ثم الإبدال عنها تفخيم لشأن الزيت ، ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ﴾: وحدها فلا تصيبها الشمس في المساء ، ﴿وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾: وحدها فلا تصيبها في الغداة ، بل في مكان عليها الشمس مشرقة من أول طلوعها إلى آخر غروبها كصحراء أو رأس جبل فزيتها أضوء ، وهذا نحو فلان ليس بأسود ولا أبيض ، أو لا في مضحي تشرق عليها الشمس فتحرقها، ولا في مقناة تغيب عنها دائماً فيتركها نياً ، أو لا نابتة في شرق الأرض ، ولا في غربها ، بل في وسطها ، وهو الشام فإن زيتونه أجود أو لا في شرقية من الشجر ، ولا في غربية ، بل في وسط الشجر أو ليست من أشجار الدنيا ، إذ لو كانت منها لكانت أحدهما ، لكنه مثل ضربه الله لنوره فإن نور قلب المؤمن من نور الله ، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: بنفسه ، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: لفرط بريقه وضوء إشراقه ،

﴿نُورٌ عَلَى[1] نُورٍ﴾، نوره متضاعف نوّر النار ونور ذلك الزيت ، ونور القنديل ، وضبط المشكاة لأشعته ، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾، يزين فؤاد عباده المؤمنين بنور من نوره ، فينشرح صدورهم لمعارفه ، عن ابن عباس يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدي قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدي ونوراً على هدي ونور وعن بعضهم: القرآن المصباح ، والزجاجة قلب المؤمن ، والمشكاة لسانه ، وفمه والشجرة الوحي ، يكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ "نور على نورٍ" نور القرآن والدلائل العقلية ، ونور البصيرة ، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: تقريبًا للأفهام وتسهيلاً لسبيل الإدراك ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: من المعقول ، والمحسوس الظاهر ، والخفي الكلي ، والجزئى.

﴿فِي بُيُوتٍ[2]﴾، أي : كمشكاة في بعض بيوت ، وهي المساجد كأنه قيل : مثل نوره في قلبه كما ترى في المساجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت ، وقيل

---

(١) وهنا تم المثال وأما أحسن ذلك حيث ذكر المصباح مرتين نكرة ومعرفة ، وكذلك الزجاجة ، وما اكتفي بقوله كمشكاة مصباح المصباح في زجاجة للتفخيم والتعظيم ، ولقد أحسن أبو تمام وقد مدح ملكاً وقال :

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقيل له شبهت ملكاً عظيماً بأجلاف العرب ، فقال مرتجلاً .

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً في الندا والباس

والله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

النبراس أي : المصباح ، فإن المثل للتفهيم /١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور فذكر أشرف عباداتهم القلبية ، وهي التتريه عن النقائص ، في أشرف بيوت وهو المساجد ، وقد جاء التقسيم لقابل الهداية ، وغير قابلها ، فبدأ بالصالحين ثم الطالحين فقال : " في بيوت " الآية /١٢ وجيز .

متعلق بما بعده أي: يسبح في بيوت ، ولفظ فيها تكرير نحو زيد في الدار جالس فيها ، أو بمحذوف أي : سبحوا في بيوت ، ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾: أمر الله ، ﴿أَن تُرْفَعَ﴾، أن يعظم قدرها فيطهروها من الدنس ، واللغو ، وكل ما لا يليق فيها ، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾، المراد من التسبيح إما الصلاة ، وبالغدو الصبح ، وبالآصال باقي الصلوات ، لأن اسم الأصيل يجمعها أو صلاة الصبح والعصر[1] ، وإما التسبيح والتتريه ، والذكر في طرفي النهار ، ﴿رِجَالٌ﴾، فاعل يسبح ، وعند من قرأ يسبح بصيغة المفعول ففاعل محذوف كأنه قيل من يسبح[2] فأجاب يسبح رجال ، ﴿لاَّ تُلْهِيهِمْ﴾: لا تشغلهم ، ﴿تِجَارَةٌ﴾: معاملة رائجة ، ﴿وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ[3] اللَّهِ﴾، أو المراد بالتجارة الشري(*)، فإنه أصلها ومبدأها ، أو التجارة الجلب فإن من يجلب الأمتعة من بلد إلى بلد للبيع هو التاجر ، ﴿وَإِقَامِ الصَّلاَةِ﴾، عطف على ذكر الله ، أي : لا يشغلهم شيء عن إقامة الصلاة ، ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً﴾: مع تلك الطاعات ، ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾، تضطرب ، وتتغير من الهول وهو يوم القيامة ، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾، متعلق بيسبح ، أو لا تلهيهم ، ﴿اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، أي : أحسن جزاء أعمالهم ، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: أشياء لم تخطر

(١) يعني أو المراد بالغدو صلاة الصبح وبالآصال صلاة العصر/١٢ منه .

(٢) نحو :

فلبيك يزيد ضارع لخصومة

/ ١٢.

(٣) يعني لهم تجارة وبيع ولكن ذكر الله أخذ بمجامع قلوبهم فلا يشغلهم شيء عن ذكره /١٢ وجيز .

(*) كذا بالأصل، وأرى أن تكتب "الشراء".

ببالهم ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ[1] حِسَابٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾، هو ما يرى في الفلاة وقت الظهيرة فيظن أنه ماء ، ﴿بِقِيعَةٍ ﴾، هي بمعنى القاع ، وهو الأرض المستوية، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ﴾: العطشان[2] في القيامة ، ﴿مَاءً ﴾، فتوجه إليه ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ ﴾: جاء السراب ، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾: مما ظنه ، ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ ﴾: محاسبًا إياه ، ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾: جزاء عمله ، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾، لا يشغله حساب عن حساب كذلك الكافر يحسب أن عمله مغن عن عقاب الله ، فإذا جاء إليه ليغنيه عند الموت في أشد أوقات الحاجة لم يجد عمله ينفعه ووجد الله عنده ، أو وجد عقابه عنده ، فوفاه جزاء عمله ، فيجر إلى جهنم وبئس المهاد.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾، عطف على كسراب وأو للتخيير أو للتنويع ، فإن الأول حال رؤسائهم وعقلائهم ، والثاني حال مقلديهم وجهالهم ، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾: عميق كثير الماء ، ﴿يَغْشَاهُ ﴾: يعلو البحر ، ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾: أمواج مترادفة ، ﴿مِّن فَوْقِهِ﴾، الضمير إلى الموج الثاني ، ﴿سَحَابٌ ﴾، يظلمه ، ﴿ظُلُمَاتٌ ﴾، أي : هذه ظلمات[3] ، ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾، وقراءة جر ظلمات على أنها بدل من

---

(١) ولما ذكر حال المؤمنين بيَّن حال الكافرين فقال : " والذين كفروا " الآية /١٢ وجيز .

(٢) يعني المشبه به سراب يراه العطشان في القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد إلا نقيض ما رجاه وقلنا العطشان في القيامة ليحصل التقرب من أول التشبيه ، وتتمته وهو قوله (وجد الله عنده) إلخ وعلى هذا المشبه به أمر خيالي لا موجود فتأمل ولا تغفل / ١٢ منه .

(٣) إشارة إلى أن ظلمات خبر لمبتدأ محذوف / ١٢ منه .

ظلمات ، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾: لم يقرب من أن يراها فضلاً عـــن أن يراها والضمائر لمن في البحر لدلالة الفحوى عليه شبه أعمالهم في سوادها وظلمتـــها ، وما في قلوبهم من الجهل والحيرة بظلمات متراكمة في غاية ما يكون بحيث لا يمكـن أن يهتدي إلى النور سبيلاً ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، هـــذا في مقابلة يهدي الله لنوره من يشاء ، وقوله : " نور على نور " .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَلَمْ[1] تَرَ﴾: ألم تعلم علماً كالمشاهدة في اليقين ، ﴿أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، من لتغليب ذوى العقول والمراد أعم ، ولكل من الجمادات أيضاً لسان به يذكرون الله يسمعه من يسمع، وقيل المراد لسان الحال ، ﴿وَالطَّيْرُ﴾، عطف على من ، ﴿صَافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهن في الهواء يسبحن بتسبيحات هو يلهمها ، قيل: خصها ؛ لأنها ليست في أرض ولا في سماء ، ﴿كُلٌّ﴾: منهم ، ﴿قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، أي : قد علم هو صلاة نفسه كيف يصلي ويسبح[2] أو قد علم الله صلاته ، وتسبيحه لا يخفي عليه ﴿، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: مرجع الكل إليه ، ﴿أَلَمْ[3] تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، يسوقه ثم يجمع بين قطعه ، وأجزاءه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾: متراكمًا بعضه فوق بعض ، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾: فُرجِه وفُتوقه ، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾، أي : ينزل مبتدأً من السماء من جبال فيها من برد برداً ، فيكون من برد بيان للجبال ، والمفعول محذوف[4]، أو من الثالثة للتبعيض وهو المفعول ، وعن بعض

---

(١) ولما أخبر أن الله هو نور السماوات والأرض وعلم أن ظهورهما وظهور ما فيهما من نوره بين أن الموجودات التى ظهرت من نوره دالة مبينة لموجدها فقال : " ألم تر " الآية/١٢ وجيز

(٢) بإلهام الله إياه كما ألهم الطير دقائق العلوم بحيث تحير فيه عقول العقلاء /١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر أن الكل منقاد له وذكر ملكه والمصير إليه أخذ يؤكد ذلك بعجيب من أفعاله مشعر بانتقال من حال إلى حال منبه على إمكان الانتقال إلى المعاد فقال : " ألم تر أن الله يزجي " الآية /١٢ وجيز .

(٤) هو قولنا بردا لما قدرنا /١٢ منه .

السلف[1] إن في السماء جبال برد يترل الله منه البرد ، أو معناه يترل الله من جانب السماء من قطع عظام من الغيم يشبه الجبال بعض برد ، ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾: بالبرد ، ﴿مَن يَشَاءُ﴾: أن يصيبه ، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾: أن يصرفه عنه ، ﴿يَكَادُ سَنَا﴾: ضوء ، ﴿بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾: من فرط الإضاءة ، فهو الله سبحانه مخرج الماء والنار ،والظلمة ، والنور من شيء واحد[2] ، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: يصرفهما في اختلافهما ، وتعاقبهما ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، المذكورات ، ﴿لَعِبْرَةً﴾: دلالة ، ﴿لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾: لذوى العقول ، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾، وهو النطفة ، ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾، كالحية: قدَّمه ، لأنه أدخل في القدرة وأغرب ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾، كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾، كالنعم جعل الدواب وهي ما يدب في الأرض كلها مميزين تغليباً[3] للعقلاء ، فلذلك قال : " فمنهم من " إلخ... ، وعن بعض: أن الماء أول مخلوق ، والريح والنار والطين خلق منه ، ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: أن يخلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾: لكمال قدرتنا ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: هدايته ، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فيبصره آياته ، ويعلمه الكتاب والحكمة ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: الذين مع محمد -صلي الله عليه وسلم- ،

---

(١) نقله محيي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٢) وعادة الله جاريةٌ بأن برق غيم البرد أضوء، ورعده أشد /١٢ وجيز .

(٣) فإنه دخل في قوله : كل دابة الإنسان ، وهم ذووا العقول فغلبهم فلما غلبهم فى المجمل استعمل لفظة من التي هي لذوي العقول في تفصيله ، ليكون على وتيرة المجمل ، وطريقته فافهم / ١٢ منه .

﴿آمَنَّا[1] بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾: لهما ، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى ﴾: يعرض عن قبول حكم الله ورسوله ، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾: كالمنافقين ، ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾: القول ، والاعتراف ، ﴿وَمَا أُوْلَئِكَ ﴾: الفريق ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، أو ما أولئك الذين يقولون آمنا وأطعنا بمجموعهم بمؤمنين ، بل فيهم كافرون[2] ، ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾: الحاكم نبي الله عليه السلام يحكم بحكم الله ، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ[3] ﴾: فاجئوا الإعراض لعلمهم أنه لا يحكم إلا بالحق ، وهم يريدون الباطل إن كان الحق[4] عليهم ، ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الحَقُّ ﴾: لا عليهم ، ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ ﴾: إلى رسول الله ، ﴿مُذْعِنِينَ[5] ﴾: منقادين قيل نزلت[6] في منافق ، ويهودي ، وهو يجره إلى النبي -عليه السلام- ، والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: كفر ونفاق ، وقيل جنون ، ﴿أَمِ ارْتَابُوا ﴾: في نبوتك ، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾: في الحكومة ، ﴿بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ

---

(١) ولما ذكر دلائل التوحيد اتبع ذلك بذم قوم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم فقال : " ويقولون آمنا بالله " الآية /١٢ وجيز .

(٢) على الأول أولئك إشارة إلى المنافقين خاصة ، وعلى الثاني الي المجموع من حيث المجموع/١٢ منه.

(٣) وهذا هو شأن مقلدة المذاهب بعينه اليوم يعرضون على إجابة الداعي إلى الله ورسوله ، وعن التحاكم إليهما أي : إلى كتابه وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم / ١٢ فتح .

(٤) هذا القيد يعلم من مقابلة قوله : " وإن يكن لهم الحق " / إلخ .. فلا تغفل / ١٢ منه .

(٥) وما أصدق هذه الآية على المقلدين في صنيعهم مع أهل القرآن وأصحاب الحديث/١٢ فتح .

(٦) نقله محي السنة رضي الله عنه /١٢.

﴿ الظَّالِمُونَ ﴾، أي : لا يرتابون ، ولا يخافون لعلمهم بنبوتك ، وبأن الله لا يظلم وإنما هم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم أو معناه لا يظلم ، ولا يحيف[1] الله لأحد ؛ بل هم الظالمون لأنفسهم .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

---

(١) على الأول، بل إضراب عن قوله : " أم ارتابوا " وقوله : " أم يخافون " ، وعلى الثاني عن قوله : " أم يخافون " وعلى قول أن فسر المرض بالجنون يمكن أن يكون بل إضراباً عن الثلاثة / ١٢ منه .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا[1] دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، سواء كان الحق لهم أو عليهم ، ﴿أَن يَقُولُوا﴾، اسم كان ، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيما ساءه وسره ، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: على ما مضي من ذنوبه ، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما بقي من عمره في بعض اللغات إذ أسقط الياء للجزم يسكنون ما قبلها فيقال : لم أشتر طعاماً ، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: بوفق ، بل فوق بغيتهم ، ﴿وَأَقْسَمُوا[2] بِاللَّهِ جَهْدَ[3] أَيْمَانِهِمْ﴾: قسماً غليظاً ، ﴿لَئِنْ

---

(١) وفي هذه الآية دليل على وجوب الإجابة إلى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لأن العلماء ورثة الأنبياء ، والحكم من قضاة الإسلام العالمين بحكم الله العارفين بالكتاب والسنة ، العادلين في القضاء هو حكم بحكم الله ورسوله ، فالداعي إلى التحاكم إليهم قد دعي إلى الله وإلى رسوله ، أي : إلى حكمهما فإن كان القاضي مقصرًا لا يعلم بأحكام الكتاب والسنة، بل كان جاهلاً جهلاً بسيطاً ، وهو من لا علم له بشيء من ذلك أو جهلاً مركباً ، وهو من لا علم عنده بما ذكرنا ولكنه قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين ، واطلع على شيء من علم الرأى(*) فهذا في الحقيقة جاهل وإن اعتقد أنه يعلم بشيء من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة هكذا فلا تجب الإجابة إليه لأنه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله ، بل هو من قضاة الطاغوت ، وحكام الباطل وإذا تقرر لديك هذا ، وفهمته علمت أن التقليد والانتساب إلى عالم العلماء دون غيره ، والتعبد بجميع ما جاء به من رواية ورأي وإهمال ما عداه من أعظم ما حدث في هذه الملة الإسلامية من البدع المضلة والفواقر الموحشة، فإنا لله وإنا إليه راجعون / ١٢ فتح .

(*) بالأصل "الرائي".

(٢) ولما استطرد حكاية قول المؤمنين رجع إلى بيان أحوال المنافقين فقال : " وأقسموا بالله " الآية ١٢ .

(٣) مر مرار أن جهد مفعول مطلق من أقسم من غير لفظه أو تقديره يجهدون جهد أيمانهم / ١٢ منه .

﴿أَمَرْتَهُمْ﴾: بالخروج إلى الغزو ، ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾، جواب لأقسموا ، ﴿قُل﴾: لهم ، ﴿لاَّ تُقْسِمُوا﴾: على الكذب ، ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾، أي : طاعتكم طاعة مشهورة معلومة بأنها قول لا فعل معه ، أو الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا إيمان بمجرد الأفواه أو طاعة معروفة أولي وأمثل من هذا الإيمان ، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فلا يخفي عليه سرائركم ، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن[1] تَوَلَّوْا﴾: تتولوا عن الطاعة ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: على محمد : ﴿مَا حُمِّلَ﴾: من تبليغ الرسالة ، فإذا أدى خرج عن عهدته ، ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾: من القبول فإن أعرضتم فقد تعرضتم لسخط الله ، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: إلى الحق ، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾: التبليغ الموضح فضرر عدم القبول ليس إلا لكم ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ[2] الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: ليجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض لما كان الوعد من الله في تحققه كالقسم تُلُقيّ بما يُتَلَقّي به القسم أو تقديره وعد الله الذين آمنوا وأقسم ليستخلفنهم ، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، داود وسليمان ، وغيرهما أو بني إسرائيل أهلك القبط ، وأورثهم أرضهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾: تمكينه تثبيته وإحكامه ، ﴿الَّذِي ارْتَضَى﴾،

---

(١) اعلم قوله : " فإن تولوا " خطاب بدليل قوله : " فإنما عليه " وقوله : " وإن تطيعوه " والأصل فإن تولوا فإنما عليك ما حملت وعليهم ما حملوا ففيه التفات لأنه جعلهم غيباً حيث أمر الرسول بخطابهم فى قوله : " قل " ، أي : قل لهم ، ثم خاطبهم بقوله "فإن تولوا" على أنه خطاب مستقل من الله لا من تتمة المقول فهو التفات حقيقي / ١٢ منه .

(٢) ولما قال : " وما على الرسول إلا البلاغ " وصارت النفوس طامحة بأن يعلموا الحال بعد تبليغ الرسول ، وعدم قبولهم قوله قال مبيناً حال المؤمنين السامعين ، ومن ضمنه يعلم حال الجاحدين " وعد الله الذين أمنوا " الآية /١٢ وجيز .

اختار ، ﴿لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾: من الأعداء ، ﴿أَمْناً﴾، منهم نزلت[١] حين قالوا : يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون، ما يأتي علينا يوم نضع السلاح ، ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾، استئناف كأنه قيل : لم يستخلفون ، ويؤمنون ، فقال : " يعبدونني " أو حال أي : وعدهم ذلك في حال عبادتهم ، ﴿لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾، حال من فاعل يعبد ، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: هذه النعمة ، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد حصول الخلافة والأمن أو كفر بمعني ارتد ، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾: الكاملون في الفسق ، ﴿وَأَقِيمُوا[٢] الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: فيما أمر ونهي ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: راجين رحمة الله، ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ[٣]﴾: يا محمد ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾: الله عن إهلاكهم ، ﴿فِي الأَرْضِ﴾، وفي قراءة بالغيبة ، والذين فاعله ، ومعجزين في الأرض مفعولاه ، أي : لا يحسبن الكفار في الأرض أحدًا يعجز الله حتي يطمعوا في مثل ذلك ، ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾، حال أي : لا ينبغي هذا الحسبان ، وقد أعد لهم النار ، ﴿وَلَبِئْسَ المَصِيرُ﴾، النار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ

(١) نقله محي الدين ، والشيخ عماد الدين ابن كثير / ١٢ منه .

(٢) ولما تمت لهم البشري ومعناه اعبدوا ولا تشركوا ، ولا تكفروا نعمه أو لا ترتدوا عطف عليه بقول : " وأقيموا الصلاة " الآية /١٢ وجيز .

(٣) ولما وعد المؤمنين ما وعدهم كأن قائلاً قال: كيف والكفار في كثرة وقوة؟، فقال : لا تحسبن أيها المخاطب الذين كفروا الآية /١٢ وجيز .

جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟
كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا(١) الَّذِينَ(٢) آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من العبيد والإماء نزلت لما دخل(٣) غلام أسماء بنت أبي مرثد عليها في وقت كرهته ، أو لما

---

(١) ولما كانت السورة معقودة لبيان أحكام العفاف ، والستر بين بعض أحكامه وفي خلالها أثبت نصائح ومواعظ استطراداً للدلالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيره ، ووعد على امتثالها وأوعد على الإعراض ، ثم رجع إلى المقصود ، ومن المعقود من السورة فقال : " يا أيها الذين آمنوا " الآية /١٢ وجيز .

(٢) المراد خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال / ١٢ منه .

(٣) قاله مقاتل بن حيان / ١٢ منه .

دخل[1] على عمر غلام وقت الظهيرة وهو نائم منكشف عنه ثوبه ، قيل هذا رجوع إلى تتمة الأحكام السابقة بعد الفراغ عن الآيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيره ، ووعدٍ عليها ووعيد على الإعراض عنها ، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ﴾: من الأحرار ، ﴿ثَلاثَ مَرَّاتٍ ﴾: في اليوم والليلة ، ﴿مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ ﴾، بدل من ثلاث مرات ، أو تقديره هي من قبل صلاة الفجر ، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم ﴾: لأجل القيلولة ، ﴿مِّنَ الظَّهِيرَةِ ﴾، بيان للحين ، ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ﴾: الآخرة ، ﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴾، أي : هذه الأوقات ثلاث أوقات عورات سمى هذه الأوقات عورات ، لأن الناس يختل فيها تسترهم ، والعورة الخلل ، وقراءة نصب ثلاث بالبدلية من ثلاث مرات ، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ ﴾: في ترك الاستئذان ، ﴿بَعْدَهُنَّ ﴾، بعد هذه الأوقات والآية السابقة في الأحرار البالغين ، وهذه في المماليك[2] والصبيان ، ﴿طَوَّافُونَ ﴾، أي : هم طوافون ، ﴿عَلَيْكُم[3] ﴾، استئناف يبين العذر في ترك الاستئذان في غير تلك الأوقات ، ﴿بَعْضُكُمْ ﴾: طائف ، ﴿عَلَى بَعْضٍ ﴾، أو تقديره يطوف بعضكم على بعض فيكثرون التردد لحوائجكم ، فيغتفر فيهم ما لا يغتفر في غيرهم ، ﴿كَذَلِكَ ﴾: مثل ذلك التبيين ، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بأحوالكم ، ﴿حَكِيمٌ ﴾:

---

(١) نقله محي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٢) فلا تكون ناسخة للآية الأولى، وعن ابن عباس أن الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ، ولا حجال فربما فاجأ الرجل والده أو خادمه ، وهو على أهله فأمرهم الله بالاستئذان ، ثم بسط الله عليهم في الرزق فاتخذوا الستور والحجال ، فرأي الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان فتهاونوا وتركوا العمل بتلك الآية / ١٢ منه .

(٣) والظاهر أن السرية خارجة من هذا الحكم إلا أن يكون لسيدها زوجة أو سرية أخرى وتكون عنده /١٢ وجيز .

فيما أمركم ، ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ﴾، أي : ذلك الأطفال الذين يستأذنون في ثلاث أوقات ، ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾: في جميع أوقات الدخول ، ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ﴾: بلغوا الحلم ، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، وهم الرجال الأحرار ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، كرره تأكيدًا في الأمر بالاستئذان، وعن كثير من السلف[1] إذا بلغ الغلام الحلم فليستأذن على أبويه في جميع الأحوال ، ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: العجائز اللاتي قعدن عن الحيض ، ﴿اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾: لا يطمعن فيه لكبرهن ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: الثياب الظاهرة كالجلباب يعني ليس على العجائز من التستر ما على غيرها من السناء ، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾: مظهرات، ﴿بِزِينَةٍ﴾، أمر بإخفائها أو غير قاصدات بوضع الثياب[2] تبرج الزينة ، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: فلا يضعن الجلباب أيضاً ، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: لأنه أبعد من التهمة ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالهن للرجال ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمقاصدهن ، ﴿لَيْسَ[3] عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ﴾، كان المؤمنون إذا دخل عليهم الأعمى وغيره وليس في بيوتهم شيء يضيفونه يذهبون به إلى بيت أحد من هؤلاء المذكورين في الآية ،

---

(١) كسعيد بن جبير ويحيى بن أبي كثير / ١٢ منه .

(٢) علم التوجيه للأخير الزينة غير مقيدة بخلاف الوجه الأول ، فإنه مقيدة بزينة خفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها لأن الوضع بقصد التبرج مذموم أبدًا / ١٣ منه .

(٣) ولما حجر في أمر البيوت لبعض ووسع لبعض لأجل صيانة العرض ضيق ووسع أيضاً في أمر المال ، فقال : " ليس على الأعمى " الآية / ١٢ وجيز .

فيأكل هو وضيفه من بيوتهم ، فخافوا أن يكون أكلاً بغير حق ، ويلحقهم إثم لقولـــه تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " ، فترلت ، أي : ليس على الضعفـــاء ، ولا على أنفسكم حرج في ذلك أو كانوا[١] يخرجون إلى الغزو ويدفعون مفاتيح أبواهم إلى هؤلاء القاعدين، ويأذنون أن يأكلوا من بيوتهم ، وهم يتحرجون ، ولا يـــأكلون فترلت رخصة لهم ، ولغيرهم أن يأكلوا من بيوت هؤلاء أو كان[٢] هؤلاء المرضي مـــن الأعمي ، وغيره يتترهون عن مؤاكلة الأصحاء ، فترلت ، أو معناه[٣] ليس على الأعمي والأعرج ، والمريض حرج في القعود عن الغزو ، ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيـــوت، وقوله : " أن تأكلوا من بيوتكم " ، أي : التي فيها أزواجكم ، وعيالكم ، وعـــن بعـــض المفسرين: ذكره ليعطف عليه الباقي ليعلم أن بيوت الأقارب كبيت نفسه ، فلا يحترز عنـــها بوجه، ﴿**أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ**﴾، عطف على ما بعد من أي : أن تأكلوا عما في يـــده[٤] وتصرفه وملك المفاتح كناية عن ذلك (كالناطور)[*] جاز له أن يـــأكل مـــن البســـتان ، والراعي من لبن الغنم ، والمأذون مما في بيت بيده مفاتحه ، أو عطف على ما يضاف البيوت إليه أي : بيوت الذين ملكتم مفاتحهم[٥] وهم المماليك ، ﴿**أَوْ صَدِيقِكُمْ**[٦]﴾، أو بيـــوت

---

(١) نقله الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها / ١٢ منه

(٢) نقله محي السنة عن سعيد بن جبير والضحاك ، وغيرهما / ١٢ منه .

(٣) قاله العطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وجعلوا كالآية الـــتي في ســـورة الفتح، وتلك الجهاد البتة / ١٢ منه .

(٤) هو قول عائشة رضي الله عنها / ١٢ منه .

(*) النَّاطور : حافظ الزرع والتمر والكَرْم.

(٥) قاله سعيد بن جبير والسدي / ١٢ منه .

(٦) عن ابن عباس: الصديق أوكد من والديه ألا ترى استغاثة أهل النار لم يستغيثوا بالآبـــاء والأمهات ، وقالوا: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" قيل لعالم : أخـــوك أحـــب إليك أم صديقك ؟ فأجاب لا أحب أخي إلا إذا كان صديقي . وما تعـــرض لبيـــت =

صديقكم ، وهو يقع على الواحد ، والجمع وهذا كله إذا علم رضى صاحب المال وإن كان بقرينة ، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾: مجتمعين ، ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾: متفرقين ، كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده[1] فرخصهم في ذلك أو كان الغني يطلب[2] فقيراً من قرابته ليأكل معه ، فيقول : والله لأتحرج أن آكل معك وإني فقير وأنت غني ، أو كانوا[3] إذا نزل هم ضيف يتحرجون أن لا يأكلوا إلا معه ، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً﴾: من هذه البيوت لتأكلوا ، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾: على أهل الذي هو منكم دينًا وقرابة ، أو إذا دخلتم بيوت[4] أنفسكم فسلموا على أهل بيتكم ، أو إذا دخلتم[5] بيوتاً خالية فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ[6] اللَّهِ﴾: ثابتة بأمره من عنده نصب على المصدر ، لأنها بمعني التسليم ، ويجوز

= الأولاد لأنه داخل بيوتكم فإن ولد الشخص بعضه ، ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات ، وفي الحديث : " أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه " ١٢/ وجيز .[صحيح، انظر صحيح الجامع (١٥٦٦)، وراجع الإرواء (١٦٢٦)]

(١) قاله ابن عباس ، وقتادة والضحاك ، وابن جريج / ١٢ منه .

(٢) نقله عطاء الخراساني عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٣) قال عكرمة وأبو صالح / ١٢ منه .

(٤) هو قول جابر ، وطاووس ، والزهري ، وقتادة ، والضحاك ، وعمرو بن دينار / ١٢ منه.

(٥) قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد / ١٢ منه .

(٦) معناها فتعملون على مقتضاها أو تدخلون في زمرة العقلاء ، ولما بين الاستئذان في دخول البيت ، وجواز الأكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيت، وجواز الأكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيت عقبه بالاستئذان=

أن يكون معناه قولوا سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، ﴿مُبَارَكَةً﴾: يرجي بها زيادة الخير ، ﴿طَيِّبَةً﴾: تطيب بها نفس المستمع ، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[1]﴾: الحق والخير .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: من صميم القلب ، ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾: مع الرسول عطف على آمنوا ، ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: كالحروب ، والجمعة ، والمشورة ، ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا﴾: عن محضره ، ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾، حذف قوله : " ويأذن لهم " ، لأنه كالمستغني عنه ، وكانت الصحابة إذا أرادوا أن يخرجوا من المسجد لحاجة،

= عن محضر النبي المصطفي -صلي الله عليه وسلم- الذى هو في بيت الله فقال :" إنما المؤمنون " الآية/١٢وجيز

(١) ولما ذكر من الحكم ما هو من خصوصيات رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أعقبه بشئ آخر من خصوصياته الدال على تعظيمه كالأول فقال : " لا تجعلوا دعاء الرسول " الآية /١٢ وجيز .

وهو عليه السلام في المنبر لم يخرجوا حتى يقوموا بحياله فيأذن فيخرج ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: إيماناً صدقاً ، ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: مهامهم ، ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾: فالأمر مفوض إليك ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾: فإن الذهاب عن مجلسك ربما يكون زللاً لهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لفرطات العباد ، ﴿رَّحِيمٌ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم[١] بَعْضاً﴾: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً ، فقولوا: يا نبي الله ، يا رسول الله لا: يا[٢] محمد يا أبا القاسم ، أو احذروا[٣] دعاءه عليكم إذا أسخطتموه ، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء بعضكم على بعض ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾، أي : يتسلون ، ﴿مِنكُمْ﴾: قليلاً قليلاً ، ويخرجون ، ﴿لِوَاذاً﴾: ملاوذين[٤] مستترين بعضهم ببعض للخروج أو يلوذ بمن يؤذن، فينطلق معه كأنه تابعه من لاذ يلوذ ، وكأن هذا ديدن المنافقين يهربون بأي وجه يمكن لهم من محضر حضرة النبوة صلوات الله وسلامه عليه ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾: معرضين[٥] ، ﴿عَنْ

---

(١) ومعناه لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في إجابته ، والرجوع بعد الإجابة بغير إذنه فإن المبادرة إلى إجابته واجبة وإن كنتم في الصلاة والمراجعة بغير إذنه محرمة /١٢ وجيز .

(٢) قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم / ١٢ منه .

(٣) حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصرى وعطية العوفي / ١٢ منه .

(٤) ملاوذين يلوذ بعضهم ببعض بحيث يدور معه إذا دار استتاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم /١٢ وجيز .

(٥) قوله معرضين عن أمره إشارة إلى أن تعدية المخالفة بعن لتضمين معني الإعراض وإلا فالمخالفة متعدية بنفسه كما أشار إليه بقوله مخالفين أمره / ١٢ منه .

﴿أَمْرِهِ﴾: منصرفين عنه بغير إذنه مخالفين أمره ، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: في الدنيا ، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة ، ﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً ، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ[1] عَلَيْهِ﴾، من النفاق والإخلاص أكد علمه بقد لتأكيد الوعيد يعني من خَلَقَ جميع الخلقِ وملكهم كيف يخفي عليه أحوال المنافقين ، وإن اجتهدوا في الإخفاء ، ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾، المنافقون: ﴿إِلَيْهِ﴾: للجزاء، ويوم ظرف[2] لقوله ، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾: بالمجازات ، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[3]﴾.

---

(١) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ويوم يرجعون المنافقون الظاهر عطف يوم على ما أنتم عليه فهو مفعول يعلم ، وفيه التفات آخر من الخطاب /١٢وجيز .

(٢) ومعمول ينبئهم أعني يوم لما قدم عليه للاختصاص جيئ بحرفي العطف عليه ، ومثله غير عزيز/١٢ .

(٣) عن عقبة بن عامر قال : " رأيت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وهو يقرأ هذه الآية في خاتمة سورة النور وهو جاعل أصبعيه تحت عينيه يقول بكل شيء بصير " أخرجه الطبراني وغيره قال السيوطي بسند حسن / ١٢ فتح .[كما في الدر المنثور (١١٢/٥) وقال الهثمي في المجمع (٨٤/٧): "هكذا وقع، فإن كانت قراءة شاذة، وإلا فالتلاوة بكل شيء عليم. رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".]

سورة الفرقان مكية

وهى سبع وسبعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ
كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا
وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً
وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ
تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى
ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ
لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

﴿**تَبَارَكَ**﴾ تكاثر خيره ، أو تزايد عن كل شيء وتعاظم ، أو ثبت ودام ، ﴿**الَّذِي**[1] **نَزَّلَ**﴾، منجمًا لا جملة واحدة ، ﴿**الْفُرْقَانَ**﴾، سمي القرآن به لأنه فارق بين الحق

---

(١) تكلم سبحانه في هذه السورة على التوحيد ، لأنه أقدم وأهم ، ثم في النبوة ؛ لأنها الواسطة ، ثم في المعاد ، لأنها الخاتمة / ١٢ فتح .

والباطل[1] ، ﴿عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ ﴾، العبد أو الفرقان ، ﴿لِلْعَالَمِينَ ﴾، :الإنس والجن ، ﴿نَذِيرًا ﴾، : منذرًا مخوفًا، أو بمعنى الإنذار كالنكير ، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ[2] ﴾، بدل من الذي[3] أو رفع أو نصب على المدح ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾، : في ملكه وسلطانه ، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾، أي : أحدث كل شيء له ، الكون مراعى فيه التسوية ، فهيأه لما أراد منه كما سوى الإنسان من مواد وصور مخصوصة ، ثم هيأه للإدراك ، ومزاولة الأعمال الغريبة ، أو فقدره للبقاء إلى أمد معلوم ، ﴿وَاتَّخَذُوا[4] مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا ﴾ : عاجزين ، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ[5] ﴾ : فإن عبدهم ينحتونهم ، ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا ﴾ أى : دفعه ، ﴿وَ لاَ نَفْعًا﴾ أي : جلبه ، ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً ﴾، إماتة أحد ﴿وَلاَ حَيَاةً ﴾ : إحياءه ﴿وَلاَ نُشُوراً ﴾ : بعثه ثانياً فكيف يستحقون الألوهية ، وهم متصفون بصفات تنافيها ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا ﴾: ما القرآن ، ﴿إِلاَّ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ ﴾، يعنون رسول الله ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾، : اليهود ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً ﴾ : بجعل كلام الله إفكاً ، ﴿وَزُوراً ﴾، بنسبة رسوله إلى ما هو برىء منه ، وجاءوا بمعنى فعلوا أونصب ظلماً

---

(١) أو لأنه مفرق مفصول بين آياته في الإنزال ، قال الله تعالى : " وقرآناً فرقناه " (الإسراء:١٠٦) الآية/١٢وجيز .

(٢) دون غيره لا استقلالاً ولا تبعًا فهو المتصرف فيهما / ١٢ فتح .

(٣) والفصل ليس بأجنبي ؛ لأنه من تتمة الصفة ، ومتعلقاتها / ١٢ وجيز .

(٤) الضمير للعالمين أي : اتخذ الإنس والجن مع ثبوت دلائل الوحدة وعلمهم بأن الله خالقهم من دونه آلهة / ١٢ وجيز .

(٥) ونسبة الخلق إلى العباد مجاز كأحسن الخالقين فعبادهم بمترلة إله لآلهتهم / ١٢ وجيز .

بحذف الجار ، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ : ما سطره المتقدمون ﴿اكْتَتَبَهَا[1]﴾ استكتبها ﴿فَهِيَ﴾، الأساطير ، ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يقرأ من الكتاب ، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ[2] الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ولذلك تري القرآن مملوءاً من المغيبات ، ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، ولولا رحمته لاستأصلهم ، وما أمهلهم ، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾، أي : من يدعي الرسالة ، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ : لا مَلَكٌ ولا مَلِكٌ ، ﴿لَوْلا﴾ هلا ، ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ﴾ : الملك ، ﴿مَعَهُ نَذِيراً﴾ : منذراً هو خبر كان ، ومعه حال أو بالعكس ، أو مع متعلق بنذيراً ، أي: يشاركه في النبوة ، ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ : حاصله إن لم يكن ملكاً، ولا ملِكاً ، فلا أقل من أن يكون معه ملك أو يكون صاحب كنز وثروة ، وأقلها أن يكون رجلاً له بستان كما للدهاقين ، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي : قالوا لظلمهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً[3]﴾ : سحر فغلب على عقله ، ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ، ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ : من مسحور ، ومحتاج ، وغير ذلك ، ﴿فَضَلُّوا﴾ : عن الحق، ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ : إليه .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ

---

(١) جمعها أو أمر بكتابتها نحو احتجم وافتصد ، وهو خبر ثان لمبتدأ محذوف/١٢ وجيز .

(٢) أي : الفرقان ، ولم يقل أنزلها إشارة إلى أنه ليس بأساطير الأولين / ١٢ وجيز .

(٣) أي : ما اكتفيتم بأنكم تتبعون رجلاً مثلكم ، بل تتبعون رجلاً مسحوراً ، أي : رجلاً أنقص من أمثالكم / ١٢ وجيز .

سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ
مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا
وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ
كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ
رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ
أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى
لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ
وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ
صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞

﴿تَبَارَكَ﴾، :تكاثر خير ، **﴿الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾** أي : إن أراد وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوه ، وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك من الجنات ، والقصور ، ونصب جنات على البدلية من خير، أو الجزم والرفع في يجعل لأن الشرط إذا كان ماضياً ففي جزائه الجزم والرفع ، **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾** وهو أعجب وأغرب من تكذيبهم إياك ، أو لهذا كذبوك يعني : تكذيب القيامة حملهم على هذه الأقوال ، **﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً﴾** : ناراً شديدة الاشتعال ، **﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾** أي : السعير ، **﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾** : أقصى ما يمكن أن يرى منه ، **﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾** : صوت تغيظ وتغضب ، والزفير صوت يسمع من جوف المغتاظ في حين شدته وعدم

تجويز الرؤية على النار من قلة البصارة ، وقد ورد[1] "من يقل على ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا، قيل : وهل لها عينان؟! قال : أما سمعتم الله يقول : ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾" الآية ، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً﴾ : منها بيان تقدم فصار حالاً ، ﴿ضَيِّقاً﴾ : لمزيد العذاب ، وفي الحديث (والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط) ، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ، ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ : هلاكاً يقولون : يا ثبوراه تعال فهذا حينك ، ﴿لاَ تَدْعُوا﴾ أي : يقال لهم لا تدعوا ، ﴿اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾، فإن الخطب أعظم مما حسبتموه ، ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ : ما وصفنا من أنواع العذاب ، ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَتِي وُعِدَ﴾، أي : وعدها ، ﴿المُتَّقُونَ﴾، وفي ذلك تقريع مع تهكم ، ﴿كَانَتْ﴾ : الجنة في علم الله ، ﴿لَهُمْ﴾، أو لأن ما وعد الله كالواقع ، ﴿جَزَاءً﴾، : على أعمالهم بالوعد ، ﴿وَمَصِيراً﴾، : مرجعاً ينقلبون إليه أما غير المتقين من المؤمنين كالتبع لهم أو المراد من المتقين من يتقي الكفر ، والتكذيب ، ولهم إما حال أو متعلق بجزاء ، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ﴾: ما يشاءونه ،

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وغيرهما بروايات متنوعات ، وعلى هذا لا حاجة إلى بيان جهة المجاز بمثل أن هذا من باب لا تترا أي نارهما هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح بعد نقل معني هذا الحديث أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير من طريق خالد بن دريك، ونحو عند رزين فى كتابه ، وصححه ابن العربي في قبسه وله لفظ بمعناه وأخرج الترمذى من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين " ، وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب/١٢ فتح .

﴿عَلَى ربِّكَ وَعْداً﴾ : موعوداً ، ﴿مَّسْئُولاً﴾ : عن بعض السلف يقول المؤمنون : يا رب عملنا بما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا ، وذلك قوله وعداً مسئولاً ، وعن بعض الملائكة تسأل لهم ذلك قال تعالى "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدهم" (غافر:٨)، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ : المراد ذوو العقول كالملائكة وعيسى(١) واستعمال ما لأنه في الأصل أعم ، أو لأنه أريد بالوصف ، أي: معبوديهم أو لإجرائهم مجرى غير ذوي العقول ، تحقيرًا لشأنهم لقصورهم عن معنى الربوبية أو المراد أعم ، وينطق الله الأصنام(٢) ، ﴿فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ(٣) عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ : من غير دعوة منكم ، وحذف الجار للمبالغة، أي : عن السبيل ، وهذا السؤال لتقريع العبدة وتبكيتهم ، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ : تعجب منهم مما قيل لهم، أو سبحانك من أن يكون لك ند ، ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾ : ما يصح ويستقيم ، ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي : نحن لا نعبد إلا أنت ، فكيف ندعو أحداً أن يتولى غيرك ؟ قيل : أرادوا من ضمير المتكلم جميع الخلائق ، ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ : في الدنيا بالنعم ، ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي : نسوا ما أنزلته إليهم أو غفلوا عن ذكرك ، ﴿وَكَانُوا﴾ : في علمك ، ﴿قَوْماً بُوراً﴾، : هالكين أشقياء راعوا الأدب ، وما قالوا : أنت أضللتهم صريحاً ، لأن المقام غير مقام البسط(*) كما قال موسى في مقام الإنبساط : "إن هي إلا فتنتك" (الأعراف:١٥٥)،

(١) قاله مجاهد وابن جريج بدليل خطاهم وجواهم فيما بعد / ١٢ فتح .

(٢) قاله الضحاك وعكرمة والكلبي / ١٢ فتح .

(٣) ولما كان السؤال عن تعيين الفاعل قدم أنتم ، وهم نحو "أأنت فعلت هذا بألهتنا" (الأنبياء:٦٢)/١٢وجيز .

(*) في حاشية الأصل : في (ن): الانبساط.

﴿فَقَدْ[1] كَذَّبُوكُم﴾ التفات ، أي : قال الله لهم فقد كذبكم المعبودون، ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ : في قولكم: إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا ، فالباء بمعني في أو بما تقولون بدل اشتمال من مفعول كذبوا ككذبوا بالحق ، وفي قراءة " يقولون " بالياء فمعناه كذبوكم بقولهم : " سبحانك ما كان ينبغي " إلخ،﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً﴾ : للعذاب عنكم، ﴿وَلاَ نَصْراً﴾ وقراءة التاء فمعناه ، فما تستطيعون أيها العابدون صرف العذاب عن أنفسكم ولا نصر أنفسكم ، ﴿وَمَن يَظْلِم﴾، يشرك[2]، ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ﴾: رسلاً ، ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾، ما بعد إلا صفة أقيمت مقام موصوفها ، وهذا جواب قولهم : " ما لهذا الرسول " الآية ، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ : أيها الناس ، ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ : ابتلاء ، وامتحاناً كابتلاء المرسلين بالمرسل إليهم ، والفقراء بالأغنياء، ﴿أَتَصْبِرُونَ[3]﴾، علة للجعل أي : لنعلم أيكم يصبر كقوله تعالى : " ليبلوكم أيكم أحسن عملاً " (هود:٧، الملك:٢)، وقيل: حث على الصبر على ما افتتنوا به ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾، عالماً بالصواب فيما يبتلي به وغيره ، فلا يضيقن صدرك، أو بمن يصبر .

---

(١) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة ، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا" (المائدة:١٥،١٩)، وقول القائل:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا /١٢ فتح .

(٢) كذا فسره ابن عباس وغيره وهو المناسب؛ لأن الكلام من مفتتح السورة في الكافرين ، ووعيدهم / ١٢ وجيز .

(٣) روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " / ثم وعد الله الصابرين بقوله : " وكان ربك بصيرا "/١٢فتح .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ
لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا
بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا
عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾
ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ
يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ
لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ
جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾، لا يخافون البعث ، أو لا يأملون لقاءنا بالخير ، **﴿لَوْلا﴾**، : هلا ، **﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا المَلائِكَةُ﴾**، : فتخبرنا بصدق محمد ، **﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾**، فيخبرنا بذلك ، **﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾** : حتي تمنوا ما لم يحصل للرسل ، اللام توطئة القسم ، **﴿وَعَتَوْا﴾**، : تجاوزوا الحد في الظلم ، **﴿عُتُواً كَبِيراً يَوْمَ﴾**، أي : اذكر يوم ، **﴿يَرَوْنَ المَلائِكَةَ﴾**، : عند الموت ، أو في القيامة ، **﴿لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾**، أي : لهم ، لأنهم مجرمون يتحلى الملائكة للمؤمنين

فتبشرهم حين الموت وفي القيامة بالرحمة والرضوان ، وللكافرين فتبشرهم بالخيبة والخسران ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: الملائكة لهم ﴿حِجْراً مَّحْجُوراً[1] ﴾: حراماً محرماً عليكم الجنة والرحمة ، أو البشري ، فالجملة حال من الملائكة ، أي : وهم يقولون أو يقول المجرمون عند لقاء الملائكة هذه الكلمة ، وهي من المصادر المتروك فعلها ، ومن الكلمات التي تتكلم بها العرب عند لقاء العدو ، وهجوم النازلة في موضع الاستعاذة يعني أنهم يطلبون نزول الملائكة ، وهم إذا رأوهم كرهوا[2] واستعاذوا ، وقوله : محجوراً كموت مائت للتأكيد ، ﴿وَقَدِمْنَا[3] إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾، أي : قصدنا وعمدنا إلى أعمال عملها الكفار من المكارم كقرى ضيف ، وإغاثة ملهوف ، ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً ﴾ : أحبطناه ، لأنها لم تكن خالصاً موافقاً للشريعة ، والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة شبه عملهم بالغبار في الحقارة وعدم النفع ، ثم بالمنثور منه في انتشاره وتفرقه ، ومنثوراً إما صفة هباء أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر ، ﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَراً ﴾ : موضع قرار ، ﴿وَأَحْسَنُ[4] مَقِيلاً[5] ﴾ : مكان استراحة ، وعن بعض السلف يفرغ الله من الحساب نصف النهار ، فيقيل أهل الجنة في مناظر حسان ، وروح ، وريحان منها ،

---

(١) قيل: هذا قول الملائكة للمجرمين ، يعني : حراماً محرماً عليكم رحمة الله في الدنيا/١٢.

(٢) أي : يقول المجرمون عند لقاء الملائكة على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة من لقاء عدو أو غيره ، أي : عوذاً معاذاً ، أي : أطلب عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة/١٢ .

(٣) شبه حالهم بحال من خالف سلطاناً عظيماً فقدم إلى أسبابه فمزقها ، ولم يبق لها أثراً ، وقوله : " من عمل " بيان للتعميم / ١٢ وجيز .

(٤) والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم يعني : هؤلاء في أسوأ حال ، وهم في أحسنها / ١٢ .

(٥) وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف النهار ، كما ورد في الحديث/١٢ جلالين .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾، أي : تتشقق ، ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾، أي : بسبب طلوع الغمام ، وقيل بالباء بمعنى عن ، ﴿وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ﴾، : في ذلك الغمام ، ﴿تَنزِيلاً﴾، يعني : تتفتح السماء بغمام يخرج منها ، وفي الغمام ملائكة يترلون ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ، ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾، الحق خبر وللرحمن متعلق به ، أي : الملك ثابت له لا يبقى لغيره ، أو صفة للملك ، وللرحمن خبره ، ﴿وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً﴾، شديداً ومع طوله وشدته يخفف على بعض من المؤمنين ، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها[1] في الدنيا ، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾، عض اليدين والأنامل وأمثاله كنايات عن كمال الحسرة والغيظ ، وهذا عام ، وإن كان مورده في عقبة بن أبي معيط لما ارتد لأجل خاطر أبي[2] بن خلف ، ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ : إلى الهدى ، والنجاة ، ﴿يَا وَيْلَتَى﴾، تعال فهذا أوانك ، ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً﴾، أي : من أضله ، والفلان كناية عن الأعلام ، ﴿خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ : عن القرآن أو عن ذكر الله ، ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ[3]﴾، كل من صدك عن الحق فهو شيطانك ، ﴿لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾، تاركه لا نافعه عند البلاء ، وقوله : "كان الشيطان" ، إما من تتمة كلام

---

(١) كما وقع في مسند الإمام أحمد / ١٢ وجيز .

(٢) كان صديقاً لعقبة فعاتبه على الإسلام فارتد ، رواه ابن جرير مرسلاً/١٢ .

(٣) صرح كثير من السلف على أن حكم هذه الآية عام في جميع المتحابين المتفقين في معصية الله / ١٢ وجيز ، وفي الفتح وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله عز وجل ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يحشر المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل" أخرجه أبو داود والترمذي / ١٢ فتح .

الكافر ، وإما من كلام الله سبحانه من غير حكاية ، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ[1] ﴾، محمد عليه السلام يومئذ ، أو في الدنيا ، ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ : قريشاً ، ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾، متروكاً أعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ، أو بمترلة الهجر والهذيان ، فالمهجور بمعنى الهجر كالمجلود ، وفيه تخويف لقومه ، وتسلية لرسول الله بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ : يحتمل الواحد ، والجمع ، ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ : الذين يهجرون شرائعهم فاصبر كما صبروا ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً﴾ : إلى اتباعك وإن كان قومك يصدون الناس عنك ، ﴿وَنَصِيراً ﴾ لك عليهم فلا تبال بمن يعاديك ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا ﴾، هلا ، ﴿نُزِّلَ[2] عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل، ونزل بمعنى أنزل كخبَّر وإلا يكون متدافعاً ، وهذا من مماراقمم التي لا طائل[3] تحتها ، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، :هذا من الله تعالى جواب لهم ، أي أنزلناه كذلك مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك لتعيه ، وتحفظه شيئاً بعد شيء ، ولا يعسر عليك حفظه ، لأنك أمي بخلاف سائر الأنبياء ، فإنهم ممكنون من القراءة والكتابة ، ولأنه كلما أنزل عليك وحي من ربك يزداد لك قوة إلى قوة ، وللأعداء كسراً على كسر ، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ : وبيناه تبييناً على مهل بحسب الوقائع ، عطف على فعل مقدر ناصب لكذلك ، ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ : بشيء عجيب في القدح في القرآن ، وفيك ، ﴿إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ : الذي يرد ما جاءوا به من المثل ، ﴿وَأَحْسَنَ

---

(١) والأظهر أن قوله : هذا مما جرى له في الدنيا بدليل إقباله عليه مسلياً بقوله : " وكذلك جعلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قال صاحب البحران: نزل وأنزل مترادفان لا يقتضي التفريق في الترول ، وعلى هذا لا يحتاج إلى كلفة توجيه /١٢وجيز .

(٣) لأن أمر الاحتجاج به والإعجاز لا يختلف بتروله جملة واحدة أو مفرقاً/١٢ وجيز .

تَفْسِيراً ﴾ : بياناً وكشفاً في جواب اعتراضهم ، وهذا أيضاً من علل جهة إنزاله مفرقاً ، ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾ : مرفوع بالذم أو بدل من ضمير يأتونك ، أو مبتدأ خبره أولئك وعلى أي وجه ففيه بيان أهم يضربون لك الأمثال ، ويحقرونك، ولايدرون أهم على تلك الفضيحة ، وفي الصحيح أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ فقال : " إن من أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة " ، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً ﴾ : منزلاً أو منزلة ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً[1] ﴾، نسب الضلال إلى السبيل ، وهو لهم فيها للمبالغة مجازاً .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ

(١) وقوله شر وأضل ليس على باهما من الدلالة على التفضيل ، فيمكن أن يكون من باب العسل أحلى من الخل ، يعني قبح مكان الكفرة ، وضلال سبيلهم أكثر من حسن مكان المؤمنين ، وهداية سبيلهم واستقامتها ، ولما سلى رسوله بقوله : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا " كما ذكرنا أخذ يبين أعداءهم مجملاً بقوله : " وقروناً بين ذلك كثيراً ، وكلاً ضربنا له الأمثال " ومفصلاً بحكاية موسى ونوح وغيرهما فقال : " ولقد آتينا موسى الكتاب " الآية ١٢ وجيز .

ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، : الألواح[1] أو معنى آتينا أردنا إيتاءه ، أو المراد من الكتاب ما يستلزمه وهو الرسالة ، لأن التوراة ما كان إلا بعد هلاك فرعون كما مر في سورة الأعراف لما سلى رسوله بقوله كذلك جلعنا لكل نبي عدوا شرع يبين أعداءهم مجملاً ومفصلاً ، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾، : معيناً يعاونه في أمر النبوة، ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، فإن قوم فرعون لما أشركوا بالله كذبوا بما جاء به الأنبياء من قبلهم ، ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً[2]﴾، أي : فذهبا فكذبوهما فاستأصلناهم ، اختصر القصة فذكر مجملها ، لأن المقصود إلزام الحجة ببعثة الرسل أو استحقاق الهلاكة بالتكذيب ، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾، : نوحاً ومن قبله أو لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ، لأن بعضهم يصدق بعضاً ، ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾، : بالطوفان ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾، إغراقهم أو قصتهم ، ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾، عبرة ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾: سوى عذاب الدنيا ، ﴿عَذَاباً أَلِيماً وَعَاداً وَثَمُودَا﴾: عطف على قوم نوح، وناصبه محذوف ، أي : لما فعلوا مثل ما فعل المذكورون عذبناهم كما فعلنا بهم ، أو عطف على هم في جعلناهم على أن يكون وجعلناهم عطفاً على مجموع الشرط والجزاء ، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾، اختلف فيهم

(١) كثير من السلف على أن الألواح غير التوراة /١٢ وجيز .

(٢) اقتصر القصة بمجمل الحكاية فإن المقصود إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق العذاب بالتكذيب/١٢ وجيز .

فمن قائل عباد الأصنام كانوا حول بئر فخسف بهم ، والرس البئر الغير المطوية ، أو قوم دفنوا ودسوا نبيهم في بئر أو أصحاب يسن ، أو أصحاب الأخدود ، أو قرى من اليمامة ، ﴿وَقُرُوناً[1]﴾ ، أهل أعصار ، ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ : الذين ذكرناهم ، ﴿كَثِيراً وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾، : في إقامة الحجة عليهم وأنذرناهم من وقائع أسلافهم فلم يعتبروا ، نصب كلاً بما دل عليه ضربنا إلخ مثل أنذرنا ، ﴿وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾، أي : كسرناهم وفتتناهم ، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾، أي : مر قريش في طريق الشام بقرى قوم لوط التي أمطرت عليها الحجارة ، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾، فيتعظوا بما يرون من آثار العذاب مع أنهم مروا عليها مراراً ، ﴿بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ : لا يخافونه أو لا يأملونه فلهذا لم يعتبروا ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً﴾: مهزوءاً به أو موضع هزء ، ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾، أي: يقولون أهذا الذي ، والإشارة للاستحقار ، ﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾، : قالوه تهكماً ، ﴿إِن كَادَ﴾، مخففة من المثقلة ، ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ : شارفنا أن نترك ديننا لفرط اجتهاده في تقوية دينه وإبطال دين غيره ، ويصرفنا عن عبادتها ، ﴿لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ : استمسكنا بعبادتها وثبتنا عليها ، وجوابه ما دل عليه قبله ، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ : جواب عن قولهم إن كاد ليضلنا ،

---

(١) القرون جمع قرن ، والقرن مائة سنة قاله قتادة ، وقيل: مائة وعشرون قال زادة بن أوفى، وقيل: أربعون سنة وقيل غيرها وقد سمي الجماعة من الناس قرناً كما في الحديث الصحيح " خير القرون قرني" [كذا قال والذي في الصحيح بلفظ: "خير الناس قرني" وأما اللفظ الذي أورده لا يصح نبه على ذلك الحافظ وغيره] وأخرج الحاكم في الكنى عن ابن عباس قاله : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون"/١٢ فتح .[موضوع، انظر الضعيفة(١١١)].

لأنهم نسبوه إلى الضلال ، وفيه وعيد بأنه لايهملهم وإن أمهلهم ، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ[1] هَوَاهُ﴾، الاستفهام للتعجيب ، فإن دينهم ما تهوى أنفسهم ، وهم كانوا يعبدون حجراً وإذا رأوا حجراً أحسن منه ترك الأول ، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾: حفيظاً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أو ما أنت عليهم بوكيل فتمنعهم عن اتباع الهوى فالآية منسوخة ، ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾، : بل أتحسب ، ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ[2]﴾، فيسمعوا أو يعقلوا الحق خص الأكثر ؛ لأن فيهم من عقل وآمن ، أو ما آمن استكباراً ، ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾، فإنها تنقاد لمن يتعهدها وتعرف المحسن إليه ممن يسيء ، وتجتنب المضار وما لها إضلال ، وإن كان لها ضلال .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ

---

(١) قوله إلهه هواه مفعولاه ، والمعنى إنه يتخذ إلها إلا هواه ، وليس من باب القلب فإنه من ضرورات الشعر / ١٢ وجيز .

(٢) وهذه المذمة بحسب الظاهر أشد عما قبله فحقيق بالإضراب إليه عنه / ١٢ وجيز .

ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿أَلَمْ[1] تَرَ﴾ : تنظر ، ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ : إلى صنعه ، ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدوداً ؛ لأنه ظل لا شمس معه ، قال تعالى : " وظل ممدود " (الواقعة:٣٠)؛ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾ : ثابتاً دائماً لا يزيله الشمس ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾، فإنه لو لم تكن لما عرف الظل ، فإن الأشياء تعرف بأضدادها ، أو جعلنا مستتبعة عليه تتلوه ، وتتبعه كما يستتبع الدليل المدلول وثم لبيان أن هذا أعظم من الأول ، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾، أزلنا الظل قبضاً على مهل أو سهلاً أو سريعاً بأن أوقعنا موقعه الشمس ، وفيه من المنافع ما لا تحصى والقبض في مقابلة المد ، وثم هنا أيضاً لبيان أن الثالث أعظم من الأولين ،

---

(١) لما بين جهل المعترضين على دلائل حقية كلامه ورسوله ورد بأوضح وجه وأحكمه وأثبت عليهم كمال جهلهم ، ذكر أنواعاً من الدلائل على قدرته التامة العامة ، فقال : " ألم تر " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ(١) لِبَاساً﴾، : شبه الظلام في ستره باللباس ، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً(٢)﴾، راحة ، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾، بعثنا من أخ الموت ، أو ذا نشور ينتشر فيه الخلق لمعايشهم وأسبابهم ، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ(٣) الرِّيَاحَ بُشْراً﴾ : مبشرات وقرئ نشراً ، أي : ناشرات للسحاب ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ :قدام المطر، قد مر تفصيل معناه، وقراءته في سورة الأعراف، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾، هو اسم لما يتطهر به كالسحور ، عن بعض أن المطر منه ما ينزل من السماء ، وكل قطرة منه في البر بر وفي البحر در يعني : لا يمكن أن لا يكون له فوائد ، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر ، فَيَعْذِبُهُ الرعد والبرق ، ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾، وصفها بمذكر لمعنى الموضع والبلد ، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ﴾، : جمع إنسي أو إنسان ، ﴿كَثِيراً﴾: فإن بعضهم أهل مدن لا يحتاجون غاية الاحتياج إلى المطر ، وخص الأنعام من الحيوانات لأنه في معرض تعداد النعم ، والأنعام ذخيرة الإنسان متعلقة بهم ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ(٤)﴾، المطر ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، مرة ببلد ، ومرة بأخرى ، وعن ابن مسعود مرفوعاً أن ليس من سنة بأمطر من أخرى ، ولكن الله قسم هذه الأرزاق ، فإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً فإلى البحار والفيافي(*)،

---

(١) شرع في آية أخرى ١٢ .

(٢) ومنه يوم السبت ، ويقال للعليل -إذا استراح من تعب العلة: مسبوت / ١٢ وجيز .

(٣) شرع في آية أخرى / ١٢ .

(٤) عن ابن عباس الضمير للقرآن لوضوح هذا الكلام فيه ، ويعضده قوله : " وجاهدهم به " فإن الضمير فيه للقرآن بلا خلاف ، وعن بعض وهو المنقول عن ابن عباس أيضاً معناه صرفنا المطر مرة ببلدة ، وأيضاً مرة بأخرى كما نقل عن ابن مسعود مرفوعاً/١٢وجيز .

(*) أخرجه بنحوه الحاكم (٢/٤٠٢) عن ابن عباس موقوفا، وصححه وأقره الذهبي.

﴿لِيَذَّكَّرُوا ﴾، ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾: كفران النعمة أو جحوداً فإنهم قالوا مطرنا[1] بنوء[2] كذا ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴾: نبياً ينذرهم ليسهل عليك أعباء النبوة ، ولكن ما فعلنا تعظيماً لأجرك، ﴿فَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ ﴾ : فيما يريدونك عليه، وهذا يهيج له ولأمته ، ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ ﴾ بالقرآن ، ﴿جِهَاداً كَبِيراً ﴾ : لا يخالطه فتور بأن تلزمهم بالحجج والآيات أو بما يأمرك القرآن وما علمت منه ، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ[3] الْبَحْرَيْنِ ﴾: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما ، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ : بليغ عذوبته ، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ : هو نقيض الفرات ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً ﴾: حاجزاً حتى لا يخلط أحدهما بالآخر ، ﴿وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴾: وهو كلمة يقولها المتعوذ كما مر في هذه السورة ، كأن كلا منهما يقول لصاحبه ما يقوله المتعوذ عنه وهو كدجلة تدخل المالح فتشقه ، فتجري فى خلاله فراسخ ولا تختلط ، وقد ذكر أن فى سواحل بحر الهند مثل الدجلة ، وأغرب فالحاجز محض القدرة فقط ، أو المراد بالعذب الأنهار ، والعيون والآبار ، وبالملح البحار المعروفة ، وبالبرزخ الأرض الحائل بينهما ، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ[4] مِنَ الْمَاءِ ﴾ :النطفة، ﴿بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً ﴾ : ذوي نسب ، أي : ذكوراً ينسب إليهم ، فيقال : فلان ابن فلان ، وفلانة بنت فلان ، ﴿وَصِهْراً ﴾: ذوات صهر أناثاً يصاهر بهن ، أو النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل ، وقيل في ابتداء أمره ولداً نسيباً ثم يتزوج ، فيصير

---

(١) قال النحاس: ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر هنا قولهم: مطرنا بنوء كذا ، والنوء كما هو المختار سقوط نجم من المنازل فى المغرب ، وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته/١٢ .

(٢) قاله عكرمة / ١٢ .

(٣) بين آية أخري / ١٢ .

(٤) ذكر آية أخرى : ١٢ .

صهراً ، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ : على ما يشاء ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ﴾ : ما له كل العجز ، ويتركون القادر المختار ، ﴿وَكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ : يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، وقيل من ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك غير ملتفت إليه ، أي : هيناً مهيناً لا وقع له عند الله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ[١] إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، على ما أرسلت به من البشارة ، والإنذار ، ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أي : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بإنفاق ماله في سبيله فليفعل ، أو لا أطلب أجراً إلا فعل من شاء التقرب إليه كأن فعله الطاعات جعله من جنس[٢] أجره إظهاراً لغاية الشفقة، ودفعاً لشبهة الطمع كما تقول : ما أطلب في تعليمك منك أجراً إلا عزتك ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾: في الاستغناء عن أجورهم واستكفاء شرورهم فإنه باق حقيق بالتوكل عليه ، ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزهه عن كل نقص ، ﴿بِحَمْدِهِ﴾، متلبساً مثنياً بنعوت كماله ، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾: كفى[٣] الله ، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ : مطلعاً فلا عليك إن آمنوا أو كفروا ، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى[٤] عَلَى العَرْشِ﴾، قد مر في سورة

---

(١) ولما ذكر أن الكافر مهين غير ملتفت إليه على الله ، فذكر بعده ما يدل على أن اللائق بحلل رسوله أن لا يزيد همه فيهم لما بلغ رسالته ، فقال : " وما أرسلناك " الآية/١٢ وجيز .

(٢) ولا شك أنه ليس بأجر له /١٢ وجيز .

(٣) بكل اعتبار انتهى، وكفى: كلمة يراد بها المبالغة يقال : كفى بالعلم جمالاً وبالأدب مالاً يعني : حسبك لا تحتاج معه إلى غيره /١٢ وجيز .

(٤) قوله تعالى : ثم استوى على العرش قال مجاهد : استوى على العرش : علا على العرش ، وقال أبو العالية: استوى إلى السماء ارتفع نقل القولين البخاري في صحيحه ووقعا من النسخة الأحمدية في صفحة ١١٠٣، وقال ابن جرير " ثم استوى على العرش الرحمن"، =

الأعراف تفصيل معناه ، ﴿الرَّحْمَنُ﴾، خبر الذي أو خبر محذوف ، ويكون الذي صفة

= أى: علا وارتفع وقال فى تفسير قوله : ثم استوى على العرش فى كل مواضعه أى : علا وارتفع نقله الذهبي فى كتاب العلو/ ١٢ قال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله في خطبة النونية : فإن قيل : ما تقولون في مسألة الاستواء ، قيل نقول فيها ما قال ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا –صلى الله عليه وسلم– نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وننفي عنه النقائص والعيوب ، ومشابهة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحد يعبد إلهًا واحداً صمداً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فلما أنا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات فكذا نقول في صفاته إنها لا تشبه الصفات ، فليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا نشبه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين ، وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا بجبرية ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية إلى أن قال : ونقول : إن الله فوق سماواته مستوياً على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وإنه سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح إليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه وإن المسيح رفع بذاته إلى الله وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج به إلى الله حقيقة وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه وإنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى ، وإن المؤمنين والملائكة المقربون يخافون ربهم من فوقهم وإن أيدي السائلين ترفع إليه وحوائجهم تعرض عليه وإن الله سبحانه العلي الأعلى بكل اعتبار انتهى.

للحي ، ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً[1]﴾ أي : سل ما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك ومن أعلم من الله؟ أو المراد سل جبريل ، وقيل : أهل الكتاب ليصدقك فيه ، والسؤال يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء ، أو به متعلق بخبير ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾، فإنهم ما يطلقون هذا الاسم على الله ، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: للذي تأمرنا بسجوده ، أو لأمرك لنا ، وما نعرفه وقرئ يأمرنا بالياء ، فيكون هذا كلام بعضهم لبعض ، ﴿وَزَادَهُمْ﴾، الأمر بالسجود ، ﴿نُفُوراً﴾: عن الإيمان .

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ
ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ
ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن

---

(١) بالرحمن فإن أهل الكتاب يعرفون ما يراد به في كتبهم وإن قريشاً أنكروا إطلاقه على الله/١٢ وجيز .

تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ
ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ
لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمًّا وَعُمۡيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ
بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرًّا
وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ
لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿تبارَكَ[١] الّذي جعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً﴾ ، : قصوراً عالية هي الكواكب السبعة السيارة كالمنازل[٢] لسكانها أو البروج الكواكب العظام ، ﴿وجعَلَ فِيها سِـراجاً﴾: الشمس ومن قرأ سرجاً فمراده الكواكب الكبار ، ﴿وقَمراً مُنيراً﴾ : مضيئاً بالليل ، ﴿وَهُوَ الَّذي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً﴾ أي : ذوى خلفة يعقب هـذا ذاك وذاك هذا ، ويخلف كل واحد منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه فمن فاته عمله في أحدهما قضاه[٣] في الآخر والفعلة بالكسر كالجلسة للحالة ، وبالفتحة للمرة ، ﴿لِّمَنْ أَرادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ : لينظر في اختلافهما فيعلم أن له صانعاً قادراً حكيماً ، ﴿أَوْ

---

(١) ولما ذكر أنه خلق السماوات والأرض ، عقبه بما خلق في السماء ، وبأعظم ما خلق في السماء من منافع السماء والأرض، فقال: (تبارك الذي) /١٢وجيز .

(٢) وهو المروي عن على وابن عباس وغيرهما وهي الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت /١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن عباس /١٢ وجيز .

أَرَادَ شُكُوراً ﴾ : أن يشكر الله أو ليكونا وقتين للمتذكرين ، والشاكرين من فاته ورده في أحدهما قام به في الآخر ، ﴿وَعِبَادُ[1] الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾، هينين أو مشياً هيناً بسكينة ووقار من غير جبرية ، واستكبار لا مشي المرضى، فإنه مكروه وهو مبتدأ خبره الذين يمشون ، أو أولئك يجزون الغرفة ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً[2] ﴾، أي : إذا خاطبوهم بما يكرهونه قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم أو تسليماً منكم لا خير بيننا ولا شر قال تعالى: "وإذا سمعوا اللغو" الآية (القصص:٥٥)، وعن الحسن البصري قالوا: السلام ، وفي الحديث ما يؤيده، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً[3] ﴾، تخصيص البيتوتة ، لأن الصلاة

---

(١) ولما أنه جعلهما خلفة لمن أراد الذكر والشكر عرفه وبينه فقال: "وعباد الرحمن" الآية/١٢ وجيز .

(٢) ويسمى هذا سلام متاركة قال تعالى: " وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه " الآية (القصص:٥٥)، يعني يتركونه ولا يعارضونه فإن من عارض جاهلاً فهو مثله ، وعدم معارضة الجاهل من تتمة الوقار ، ولهذا لم يقل والذين إذا خاطبهم الجاهلون /١٢ وجيز . في الفتح قال النضر بن شميل حدثني الخليل قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام ، وقال لنا استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال ، ، فقال لنا: أعرابي إلى جنبه : أمركم أن ترتفعوا قال الخليل: هو من قول الله : " ثم استوى إلى السماء " فصعدنا إليه فقال : هل لكم في خبز فطير ، ولبن هجير؟ فقلنا : الساعة فارقناه ، فقال: سلاماً فلم ندر ما قال فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ، ولا شر قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً " ، قال الحسن: هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلتهم بقوله : " والذين يبيتون " الآية /١٢ .

(٣) المراد إحياء تمام الليلة أو أكثره بالصلاة ، فالقيام والسجود حالان من أحوال الصلاة والبيتوتة أن يدركك الليل نمت أو لم تنم والصلاة في الليل أفضل ، قال تعالى : " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " الآية (السجدة:١٦)/١٢ وجيز .

بالليل أفضل ، ﴿وَالَّذِينَ[1] يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ ، هلاكاً ملحًّا[2] لازمًا ، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً ﴾، مستقراً مفسر لضمير مبهم في ساءت ، والمخصوص بالذم المقدر هو سبب الربط بين اسم إن وخبرها، أي : بئست مستقراً هي ، قيل : التعليلان من كلام الله أو حكاية لكلامهم ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ : ليسوا مبذرين ، ولا بخلاء ، بل يكون إنفاقهم عدلاً وسطاً[3] ، وقواماً إما خبر ثان أو حال مؤكدة ، وقد فسر بعض المفسرين الإسراف بالنفقة في معصية الله وإن قلّت ، والإقتار بمنع حق الله ، وليت شعري كيف يصح مع قوله ، وكان إنفاقهم بين الإسراف ، والتقتير قواماً فتأمل ، ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾، قتلها ، ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾، : متعلق بلا يقتلون ، أو بالقتل المقدر ، ﴿وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾، جزاء إثمه ، أو الآثام واد ، أو بئر في جهنم ، ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾، بدل من يلق أثاماً ، ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾، وتضعيف العذاب والخلود فيه لانضمام الكبيرة إلى الكفر ، ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾، أي : تنقلب بنفس التوبة النصوح فإنه كلما تذكر ما مضى تحسر وندم واستغفر ، فيقلب الله ذنبه طاعة ، فالعبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر من ذلك ، والأحاديث الصحاح تدل على هذا المعنى، أو أنه يمحوها ويثبت مكانها الإيمان ، وما عمل من الطاعة في إسلامه ،

---

(١) فيه إيذان بأنهم مع اجتهادهم في العبادة خائفون مبتهلون في صرف العذاب عنهم لا معجبون بعبادتهم /١٢ وجيز .

(٢) من ألح السحاب ، أي : دام مطره وأقام/ ١٢ .

(٣) وعن عمر من اشترى أي شيء اشتهى فهو مسرف /١٢ وجيز .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً[1] رَّحِيماً ﴾، فلذلك يعفو عن السيئات ، ويبدلها ، ﴿وَمَن تَابَ ﴾، : عن المعاصي ، ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﴾، يرجع إليه بذلك، ﴿مَتَاباً[2] ﴾ : مرضياً عنده ، أو يرجع إلى ثوابه مرجعاً حسناً، ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ : لا يحضرون محاضر الباطل ، أو لا يقيمون الشهادة الباطلة ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ : المعاصي كلها لغو ، ﴿مَرُّوا كِرَاماً ﴾ : مكرمين أنفسهم عما يشينهم مسرعين معرضين يعني لم يحضروا مجالسه، وإذا اتفق مرورهم به لم يتدنسو بشيء ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ : وعظوا بالقرآن ، ﴿لَمْ يَخِرُّوا ﴾، : لم يسقطوا و لم يقيموا ، ﴿عَلَيْهَا صُماً وَعُمْيَاناً ﴾، يعني لم يقيموا عليها غير واعين ولا غير متبصرين بما فيها ، بل سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية ، فالنفي متوجه إلى القيد[3] ، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ : يسألون أن تكون أزواجهم وأولادهم مطيعين لله أبرارًا تقر بهم[4] عيونهم ويسرون برؤيتهم ، ومن بيانية كرأيت منك أسداً أو ابتدائية ، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ : أئمة يقتدي بنا في الخير ، ولنا نفع متعدٍ إلى[5] غيرنا ، وحّد إمامًا لأن المراد كل واحد، أو لأن مجموع لاتحاد طريقتهم كنفس واحدة ، أو لدلالته على الجنس ، ولا لبس قيل : جمع أُمّ أي : اجعلنا قاصدين تابعين للمتقين ، ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ﴾ : الدرجة

---

(١) والظاهر من الآية قبول توبة المسلم القاتل بغير حق /١٢وجيز .

(٢) أو المراد من تاب فقد تاب إلى من له اللطف الشامل والرحمة الواسعة /١٢ وجيز.

(٣) أي : ليس نفياً للخبر بل هو إثبات له ونفي للصمم والعمى نحو : لا يلقاني زيد مسلماً هو نفي للسلام لا للقاء /١٢ وجيز.

(٤) مأخوذ من القر وهو البرد ، يقال : أقر الله عينك وأسخن عين عدوك فقيل : دمع السرور بارد ودمع الحزن حار / ١٢ .

(٥) كالأنبياء / ١٢ منه .

الرفيعة في الجنة ، وهي اسم جنس أريد به الجمع ، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ : على طاعة الله وبلائه وعن محارمه ، ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾ : تحييهم الملائكة ، وتسلم عليهم ، وبعضهم بعضاً لقاهم كذا أى : استقبالهم به ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً﴾، مقابل ساءت مستقراً ومقاماً في المعنى والإعراب ، ﴿قُلْ[1] مَا يَعْبَأُ بِكُمْ﴾ : ما يصنع بكم ، ﴿رَبِّي﴾ : لا وزن ولا مقدار لكم عنده ، ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ[2]﴾ إيمانكم وعبادتكم ، أو ما يعبأ بخلقكم لولا عبادتكم يعني أن خلقكم لعبادته ، أو ما يبالي مغفرتكم لولا دعاءكم معه آلهة أخرى، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم ، وما إن كانت استفهامية نصبت على المصدر ، أي : أي : عبأ يعبأ بكم، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ : بما أخبرتكم به ، حيث خالفتموه ، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ : التكذيب أي: جزاؤه، ﴿لِزَاماً﴾: لازمًا لا ينفك عنكم.

اللهم اجعلنا ممن أحسنت مستقرهم ومقامهم.

---

(١) لما ختم أوصاف عباد الرحمن بالدعاء والإخلاص وذكر حسن جزائهم أمر الرسول النذير بأن يقول لمن تكبر عن سجود الرحمن فقال : " قل ما يعبأ بكم " الآية/١٢ وجيز .

(٢) قيل : معناه ما يعبأ بعذابكم في الدنيا لولا دعائكم في الشدائد فالعذاب لنفعكم كما قال الله : " فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون" (الأنعام:٤٢) /١٢ وجيز .

سورة الشعراء مكية

إلا قوله: "والشعراء يتبعهم الغاوون" إلى آخره

وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية وأحد عشر ركوعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا
يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ
أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا
كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

﴿طسم﴾ عن بعض السلف إنه من أسماء الله ، وعن بعض إنه قسم **﴿تِلْكَ﴾** إشارة إلى السورة **﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** القرآن **﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾** قاتل **﴿نَّفْسَكَ﴾** أشفق[1] على نفسك أن تقتلها ، **﴿أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** لئلا يؤمنوا ، **﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾** ملجئة إلى الإيمان **﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾** منقادين فلا يقدرون بعدها على الإعراض ، ولم يقل خاضعة؛ لأن المقصود أهل الأعناق ، وزيدت الأعناق لبيان موضع الخضوع ، أو كما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء أجريت مجراهم ، أو المراد من الأعناق الرؤساء ، أو الجماعات ، وعطف بصيغة الماضي على المضارع الذى هو الجزاء إشعارًا بأن انقيادهم أمر مقطوع به كأنه

(١) لعل للإشفاق / ١٢.

مضى فيخبر عنه ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ طائفة من القرآن تكون موعظة ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ[1]﴾ مجـــرد إنزاله ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ استمـــروا علـــى

---

(١) قال البخاري في صحيحه : قال ابن مسعود : عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحْدث أن لا تكلموا في الصلاة" [علقه البخاري في صحيحه (٤١٦/١٣) بصيغة الجزم، ووصله أبو داود وغيره بإسناد حسن] وعن ابن عباس قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم ، وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدًا بالله تقرءونه محضًا لم يشب ، قال البخاري : إن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "(الشورى:١١) انتهى ، قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه : مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك ، وإن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم ، وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وقد قال الإمام أحمد حينئذ وغيره: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء ،وقالت طائفة : هو معنى واحد ، وهو الأمر بكل مأمور ، والنهي عن كل منهي ، والخبر بكل مخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا ، وبالعبرانية كان توراة ، وبالسريانية كان إنجيلاً ، فجعلوا آية الكرسي ، وآية الدين ، وسائر آيات القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، وكل كلام يتكلم الله به معنى واحدًا لا يتعدد ، ولا يتبعض وهذا القول مخالف للشرع والعقل ، وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة والأعيان ملازمة لذات الله لم تزل لازمة لذاته ، وأن الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معًا أزلاً ، وأبدًا لم تزل ، ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئًا ، وهذا أيضًا مخالف للشرع ، والعقل ، وقالت الطائفتان : إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وإنه في الأزل كان متكلمًا بالنداء الذي سمعه موسى ، وإنما تجدد استماع موسى؛ لأنه ناداه حين أتى الوادي المقدس ، بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى ، ولكن تلك الساعة سمع النداء ، وهؤلاء وافقوا الذين قالوا: إن القرآن مخلوق في أصل قولهم ، فإن أصل قولهم إن الرب =

إعراضهم ، فلم يرفعوا إليه رءوسهم ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالذكر ، وأدى تكذيبهم إلى الاستهزاء ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أهو حقيق[1] بالتعظيم حق أم بالاستهزاء باطل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ لم ينظروا ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ إلى عجائبها ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا

= لا تقوم به الأمور الاختيارية ، فلا يقوم به كلام ، ولا فعل باختياره ومشيئته ، وقالوا : هذه حوادث ، والرب لا تقوم به الحوادث ، وإنه يتكلم بكلام لا يقوم بنفسه ، وإنه لم يستو على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض ولا يأتي يوم القيامة ، ولم يناد موسى حين ناداه ، ولا تغضبه المعاصي ، ولا ترضيه الطاعات ، ولا تفرحه توبة التائبين، وقالوا في قوله تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"(التوبة:١٠٥) ونحو ذلك إنه لا يراها إذا وجدت ، بل إما أنه لم يزل رائيا لها، وإما أنه لم يتجدد شيء موجود ، بل تعلق معدوم إلى أمثال هذه المقالات التي خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة مع مخالفة صريح العقل ، وخالفوا السلف والأئمة في قوله: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء ووافقوا الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم : إن الرب لا تقوم به الحوادث ، والقرآن المجيد يدل على بطلان هذا الأصل في أكثر من مائة موضع وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب ، وقد جرد الإمام أحمد الآيات التي من القرآن تدل على بطلان قولهم ، وهي كثيرة جدًا ، بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسموها حلول الحوادث كثيرة جدًا فخالفوا صحيح المنقول، وصريح المعقول ، واعتقدوا أهم بهذا يردون على الفلاسفة ، ويثبتون حدوث العالم، وأخطئوا في ذلك فلا للإسلام نصروا ، ولا للفلاسفة كسروا انتهى. ملتقطًا من مواضع مع اختصار ، وقد مر بعض الكلام على هذا في صورة الأنبياء فتذكر .

تــالله قــد لاح الصــباح لمــن له	عيــنان نحــو الفجــر ناظــرتان
وأخــو العمايــة في عمايــته يقول	اللــيل بعــد أيســتوى الــرجلان

١٢ .

(١) فيه وعيد بعذاب الدنيا والآخرة ، ولما كان إعراضهم لعدم التأمل في الصنائع نبههم ببديع يشبه الموت ، والحشر ، فقال : " أولم يروا إلى الأرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ كثير النفع، والكريم صفة لكل ما يرضى في بابه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنبات ﴿لَآيَةً[1]﴾ على أن منبتها قادر حكيم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم الله ، وقضائه ، فلهذا لا تنفعهم الآيات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ[2] الرَّحِيمُ﴾ فيمهلهم مع أنه لا غالب عليه أحد.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

---

(١) ولما كان الإثبات شيئًا واحدًا أفرد آية أو أراد أن في كل واحد من تلك الأزواج/١٢ وجيز .

(٢) ولولا اجتماع العزة والرحمة لانتقم منهم من غير مهل ، ولما ذكر تسجيلهم بكفر أكثرهم سلى نبيه بقصة موسى مع فرعون ، وإغراق القبط مع كثرتهم وما قاساه منهم، فقال : " وإذ نادى ربك موسى " الآية / ١٢ وجيز .

ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ
بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ
فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذْ نَادَى﴾ مقدر باذكر ﴿رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ﴾ أي بأن ، أو أن مفسرة ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ[(١)] فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾ تقديره ائتهم قائلاً قولي لهم " ألا يتقون " نحو : "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب "(البقرة:١٨٦) أو استئناف أتبعه إرساله إليهم تعجيبًا لموسى من أمنهم العواقب ، وعدم خوفهم عقاب الله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ[(٢)] لِسَانِي﴾ بعد التكذيب فأعجز عن جواهم ﴿فَأَرْسِلْ[(٣)]﴾ جبريل ﴿إِلَى هَارُونَ﴾ اجعله نبيا يقوي قلبي ، ويتكلم حيث تعروني حبسة ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ تبعة ذنب وهي قصاص قتل قبطي قتله موسى ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به فلم يتم أمر الرسالة ﴿قَالَ كَلاَّ﴾ لن يقتلوك ﴿فَاذْهَبَا﴾ عطف على ما دل عليه كلا ، أي : ارتدع عما تظن فاذهب أنت وهارون، وغلب الحاضر ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ[(٤)]﴾ لما يجري بينكم ، وبين

---

(١) الأجود نصب قوم بأنه عطف بيان سجل عليهم بالظلم ، أولاً ثم عينهم وبينهم ألا يتقون، أي : ائتهم قائلاً قولي لهم " ألا يتقون " / ١٢ وجيز .

(٢) يعني لي ثلاثة أشياء ، خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وعدم انطلاق اللسان/١٢ وجيز .

(٣) يعني لهذه الثلاثة أرسل / ١٢ منه .

(٤) قوله تعالي : " إنا معكم " وليس معني قوله " إنا معكم " أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق،=

عدوكم ، فأظهركم عليه ، فلا تخف ذكر " معكم " بلفظ الجمع كـــ " مستمعون " للتعظيم مثل نفسه بمن حضر محضرًا ليصغي إلى مقاولتهم فيمد أولياءه ، ومعكم إما حال ، أو ظرف مقدم ، أوخبر أول ، ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لوحدة المرسل به وحد الرسول أو لاتحادهما في الأخوة ، أو لأنه أراد كل واحد منهما ، أو لأنه مصدر وصف به أى : ذوو رسالة ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بأن أرسل ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خلهم يذهبوا معنا إلى الشام[1] ﴿قَالَ﴾ فرعون بعدما أتيا وأديا

= بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معني ربوبيته ، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله "في السماء" أن السماء تقله ، أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض ، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره"(الروم:٢٥) / ١٢ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام .

(١) أي: فلسطين ولا تستعبدهم ، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثنتين ألفا ، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك ، وفي القصة (إن موسى رجع إلى مصر ، وعليه جبة صوف ، وفي يده عصا والمكتل معلق في رأس العصا ، وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى فرعون وأرسلني إليك حتى ندعوا فرعون إلى الله ، فخرجت أمهما وصاحت وقالت : إن فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما إليه قتلكما فلم يمتنعا لقولها ، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً ودقا الباب ، ففزع البوابون ، وقالوا: من بالباب؟ وروى أنه اطلع البواب عليهما وقال : من أنتما ؟ فقال موسى : أنا رسول رب العالمين ، فذهب البواب إلى =

رسالتهما : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلاً ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ أي : قتل القبطي ، وبخه بما جرى على يده ، وعظمه حيث أتي به مجملاً كأنه لفظاعته لا ينطق به بعدما عدد عليه نعمه ، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين لم يأتني من الله شيء ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ نبوة أو فهمًا وعلمًا ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي : تلك التربية نعمة ، لأنك اتخذهم عبيدًا ، وما اتخذتني عبدا فهذا اعتراف بنعمته ، أوتلك نعمة لأجل أنك عبدهم ، ولولا ذلك لكفلني أهلي ، وما كنت إلى تربيتك محتاجًا يعني هذا منة، ونعمة لا حقيقة تحتها ، بل نقمة في الحقيقة ، أو تلك إشارة إلى ما في الذهن ، وقوله أن عبدت إلخ عطف بيانها أي: تعبيدك إياهم منة تمنها عليَّ ، وليست إلا غاية نقمة وبلية ، أو همزة الإنكار مقدرة أي : أو تلك نعمة ، وقوله: أن عبدت إلخ علة للإنكار ، أي : هل يبقي إحسان مع تلك الإساءات ، وكيف تقابله ؟! ، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي : أي شيء هو وهذا إنكار منه أن يكون إله غيره ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ما بين الجنسين ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ من أهل الإيقان والنظر الصحيح ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه تعجبًا: ﴿أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾ هذا كأنه سمع ما لم يسمع قط ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ حين لم يكن فرعون ، ولا قومه إشارة إلى أن الإله لابد أن يكون قديمًا فالحادث لا يليق ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيث يتكلم بما

فرعون وقال : إن مجنونًا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين ، فترل حين أصبح ، ثم دعاهما هذا ما نقله البغوي بصيغ التمريض في المعالم ، والله بصحته وسقمه أعلم / ١٢ .

لم نعهد أن نسمعه ، وينفي ما اتفق عليه الخلق من ألوهيتي ﴿قَـــالَ﴾ موســـى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإن طلوع الشمس من جانب ، والغروب من آخر علي هيئة مستقيمة مع اختلاف المطالع في فصول السنة من أظهر ما استدل بـــه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إن كنتم عقلاء عارض " إن رسولكم لمجنون " به قيـــل: ســـؤال(*) فرعون بقوله ، وما رب العالمين ، عن حقيقة المرسل ، وموسى عرفه بأظهر خواصـــه وآثاره، إشارة إلى أن بيان حقيقته ممتنع ، ولهذا قال : إن كنتم موقنين الأشياء محققـــين لها ثم استعجب فرعون لأنه سأل عن الحقيقة ، وأجيب بالأفعال ، ثم عـــدل إلى مـــا أقرب إلى الناظر ، وأوضح عند التأمل ، ثم صرح فرعون بجنونه لأنه يسأل عن شيء ، ويجيب عن آخر ، ثم استدل بشيء من غرائب آثاره الظاهرة الدالة على كمال قدرتـــه وحكمته ، فعدل فرعون إلي التهديد ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِـــنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ اللام للعهد فسجنه هوة بعيدة العمق مظلمة ، أي : ممن عرفت حـــالهم في السجن﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ الواو للحال ، أي أتفعل بي ذلك ، ولو جئتك بشيء يبين لك صدقي؟ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعـــواك أو في أن لك بينة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر[1] ثعبانيته ﴿وَنَـــزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ تتلألأ كالشـــمس لهـــا شـــعاع يكـــاد يغشـــى الأبصار ويسد الأفق.

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ

(*) في النسخة (ن): سأل.

(١) ليست من التي تزور بالشعبذة/١٢ .

مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن
كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن
كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ
فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا
يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ
ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ
خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ ﴾

﴿قَالَ لِلْمَلأ حَوْلَهُ﴾ ظرف في محال الحال: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ في سحره ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ﴾ بأن يذهب بقلوب الناس ، فيكثر أعوانه ، فيغلبكم على دولتكم ، فيأخذ البلاد منكم﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة ، أي : أشيروا على فيه ما أصنع أو من الأمر أي : أي أمر تأمرون؟ وعلى الوجهين كلامه من فرط الدهش ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ أخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ أو احبسهما ﴿وَابْعَثْ﴾ شرطًا ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يجمعون السحرة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ لعلهم يغلبونه ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ الميقات وقت الضحى ، واليوم يوم عيدهم ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ حثهم على الإنطلاق كما تقول لعبدك هل أنت منطلق إلى فلان؟ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ ولا نتبع موسى ﴿إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ يعني : إن غلبتم

لكم الأجر ، والقربة "فإذًا" جواب وجزاء ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ هذا إذن منه في تقديم ما هم فاعلوه[1] البتة ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ جمع عصى ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أقسموا بعزته لفرط اعتقادهم الغلبة ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يزورونه[2] أو ما مصدرية ، وتسمية المأفوك إفكًا للمبالغة ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ لعلمهم أن هذا وراء السحر يعني لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض كأنهم أخذوا فطرحوا طرحًا على وجوههم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فوادعكم[3] ذلك وتواطأتم عليه ، أو فعلمكم شيئًا دون شيء يريد التلبس على قومه من خوف اعتقادهم حقيته ، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ مختلفات اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ[4] أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر لنا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ نرجع إليه ، وهو لا يضيع أجر الصابرين ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا﴾ لأن كنا

---

(١) فلا يلزم الإذن في فعل الحرام قيل: أذن فيه ليبطله من أسه ، ويظهر على الخلق بطلانه/١٢ وجيز .

(٢) ويقلبونه عن وجهه بتمويههم ، وتزويرهم ، فيخيلون حبالهم وعصيهم أنهم حيات تسعى ، وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئًا لا حقيقة له/١٢ بيضاوي .

(٣) وادعهم صالحهم /١٢ ق ، موادعة مصالحة/١٢ صراح .

(٤) قيل إنهم فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب ، وقيل: لم يفعله بهم ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ذلك ، فلما سمعوا ذلك من قوله قالوا : " لا ضير " الآية / ١٢ فتح .

﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لموسى من القبط، أو بالله من أهل زماننا، وقد مـــر في ســـورة الأعراف وطه بسطها فأرجع إليهما.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ من مصر، وذلك بعد مدة متطاولة هو بين أظهر القبط يدعوهم إلى الله، وهم لا يزيدون سوى الكفـــر، والإصـــرار ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده، وهذا علة الأمر بالإسراء لأنـــه ســـبب هـــلاك الأعداء ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين علم خروجهم، ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يحشـــرون العساكر ليتبعوهم فيأخذوهم ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ﴾ أي: قال لهم إن بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ صفة، أو خبر بعد خبر، قيل: إنهم ستمائة وسبعون[1] ألفًا،

(١) قاله ابن مسعود / ١٢ فتح .

ومقدمة جيش فرعون سبعمائة[1] ألف ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ لفاعلون ما يغيظنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ لَجَمْعٌ من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، وهذه معاذيره لئلا يظن به الخوف ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ من كلام الله لا حكاية كلامهم، أي : بهذه الداعية ﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾ بساتين بنوا على شاطئ النيل ﴿وَعُيُونٍ ﴾ أنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال جمعوها و لم يعطوا حق الله ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ منازل حسنة ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر وأخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أعطيناهم ديارهم ، وأموالهم ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت الشروق ، أي : طلوع الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ[2] ﴾ ملحقون ﴿قَالَ﴾ موسى ثقة بوعد الله ﴿كَلاَّ﴾ لن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ[3] رَبِّي﴾

---

(١) وجملة جيشه ألف ألف وستمائة ألف قال صاحب الفتح -بعدما ذكر أقوالاً مختلفة في ذلك: هذه الأقوال ، والروايات المضطربة قد روى عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب والاختلاف ، ولا يصح منها شيء عن النبي -صلى الله عليه وسلم/١٢ .

(٢) قالوا حين رأوا عدوهم والبحر أمامهم فساءت ظنونهم / ١٢ وجيز .

(٣) قال شيخ الإسلام أبو العباس -رحمه الله- في شرح حديث النزول : اعلم أنه قد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية في الرد على الجهمية ، ولفظ المعية في كتاب الله جاء عامًّا كما في قوله تعالى : "وهو معكم أينما كنتم "(الحديد:٤) وفي قوله : " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" (المجادلة:٧) إلى قوله : " إلا هو معهم أينما كانوا " (المجادلة:٧)، وجاء خاصًّا كما في قوله: " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل:١٢٨)، وقوله: " إني معكما أسمع وأرى "، وقوله: " لا تحزن إن الله معنا "(التوبة:٤٠) ، فلو كان المراد بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص ، فإنه قد علم أن قوله : " لا تحزن إن الله معنا "(التوبة:٤٠) ، أراد به تخصيص نفسه ، =

بالنصرة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق[1] النجاة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب﴾ أن مفسرة ﴿بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ القلزم[2] ﴿فَانفَلَقَ﴾ أي : ضرب فانشق ، أوحى إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، فبات البحر تلك الليلة يضطرب يضرب بعضه بعضًا فرقًا من الله ، وانتظارًا لما أمره الله ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ كل قطعة من البحر ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الضخم ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قربنا ﴿ثَمَّ الآخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى

= وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل:١٢٨) خصهم بذلك دون الظالمين ، والفجار وأيضًا فلفظ معية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن ، أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى كما في قوله : " محمد رسول الله والذين معه "(الفتح:٢٩) ، وقوله : " فأولئك مع المؤمنين "(النساء:١٤٦) ، وقوله : " اتقوا الله وكنوا مع الصادقين "(التوبة:١١٩) ، وقوله : " جاهدوا معكم "(الأنفال:٧٥) ، ومثل هذا كثير فامتنع أن يكون قوله: "وهو معكم " يدل على أن ذاته تكون مختلطة بذوات الخلق ، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم ، وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقاربة فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ، ويكون حكم معيته في كل مواطن بحسبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد ، وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا : هو معهم بعلمه ، وقد ذكر ابن عبد البر ، وغيره أن هذا إجماع الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله ، وهو مأثور عن ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وسفيان الثوري ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم ، ثم ذكر الأسانيد ، وأطال الكلام / ١٢ .

(١) ولا يبعد أن موسى عليه السلام استنبط ذلك من قول الله : " إنا معكم مستمعون "/ ١٢ وجيز .

(٢) وهو اسم الخليج من البحر الأخضر ، وهو على تسع منازل من مصر/١٢ وجيز .

دخلوا مداخلهم من أثرهم ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم[1] مُّؤْمِنِينَ﴾ ما آمن منهم إلا رجل وامرأتان ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾
قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ
يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي
خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾
وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾
وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ
لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ
ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ
تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا
هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا

---

(١) أي : ما كان أكثر القبط مؤمنين ، فإنه قد آمن السحرة ، وآسية امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وامرأة أخرى اسمها مريم / ١٢ .

يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿**وَاتْلُ**[1]﴾ يا محمد ﴿**عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيه وَقَوْمه مَا تَعْبُدُونَ**﴾ سألهم ليريهم أن معبودهم لا يستحق العبادة ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ**﴾ ندوم ﴿**لَهَا عَاكِفِينَ**﴾ عابدين، أطنبوا في الجواب كمن يفتخر بصنيعه ﴿**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ**﴾ يسمعون دعاءكم ﴿**إِذْ تَدْعُونَ**﴾ ومجيئه مضارعًا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها ، ﴿**أَوْ يَنفَعُونَكُمْ**﴾ إذ تعبدونها ﴿**أَوْ يَضُرُّونَ**﴾ إذ تعرضون عنها ﴿**قَالُوا**[2] **بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ فقلدناهم أسندوا فعلهم إلى التقليد

---

(١) ولما قدم قصة موسى ، لأن قومه حضار مصدقون بالحكاية أتبعه قصة إبراهيم ، لأنه أب العرب له شأن عند الجميع ، فأمر بتلاوتها ، وقال : " واتل " الآية / ١٢ .

(٢) لما لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به حجته عدلوا إلى التقليد ، وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد ، ووجوب التمسك بالاستدلال إذ لو قلبنا الأمر فمدحنا التقليد ، وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحًا لطريقة الكفار التي ذمها الله تعالي ، وذما بطريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي مدحها الله تعالى ، فأجابهم إبراهيم عليه السلام بقوله: " أفرأيتم " إلخ أراد به أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديمًا وحديثًا ، ولا بأن يكون في فاعليه كثرة أو قلة هذا ما في الكبير ، وفي الفتح لم يجدوا لحجة إبراهيم جوابًا إلا رجوعهم إلى التقليد البحت ، وهذا الجواب هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز ، ويمشي بها كل أعرج فإنك لو سألت هذه المقلدة للرجال التي طبقت الأرض بطولها ، والعرض ، وقلت لهم: ما الحجة لكم على تقليد فرد من أفراد العلماء ، والأخذ بكل ما يقوله في الدين ، ويبتدعه من الرأي المخالف للدليل لم يجدوا غير هذا الجواب ، وأخذوا =

المحض ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ فإن التقدم ، والأولية لا يكون برهانًا على الصحة ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ أراد أن يقول عدو لكم لكن بنى الكلام على التعريض ؛ لأنه أدخل في القبول كقولك لمن يسيء الأدب: ليت والدى أدبني، يعني هل عرفتم أنكم عبدتم أعداءكم ، قال تعالى: " كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا "(مريم:٨٢) قيل معناه : عدو لي لو عبدتهم ، فلهذا لا أعبدهم ، وقيل من باب القلب ، أي : إني عدو لهم ، ووحد العدو لأنه في الأصل مصدر ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ منقطع ، أو متصل لأنهم يعبدون الأصنام مع الله ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى طريق مصالح معاشي ومعادي ، وعطف الجملة الإسمية بالفاء للدلالة على استمرار الهداية المتأخرة﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ تكرار الموصول للدلالة على استقلال كل باقتضاء الحكم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطف على الصلة من غير إعادة الموصول ،لأن الصحة والمرض في الأكثر يتبعان المأكول ، والمشروب ، وراعى الأدب كما حكى الله تعالى عن الجن : "وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا"(الجن:١٠) وأيضًا غرضه تعداد النعم ، والمرض من النقم بحسب الظاهر ، وأما الإماتة مع أنها وسيلة للسعداء إلى نيل الفوز ، وللأشقياء إلى تقليل أسباب عذابهم ، وتطهير الدنيا من دنسهم ، فبموت الظالم تفرح الطير في أوكارها ، فأمر لا ضرر فيه ، لأنها غير محسوس إنما الضرر في مقدماتها أعني المرض﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

= يعدون عليك من سبقهم إلى تقليد هذا من سلفهم ، وظنوا أنهم خير أهل الأرض وأعلمهم فلم يسمعوا لناصح نصحًا ، ولو فطنوا لرأوا أنفسهم في غرور عظيم ، وجهل شنيع ، فعليك أيها العامل بالكتاب والسنة أن تورد عليهم حجج الله ، فإنه ربما انقاد لك منهم من لم يستحكم داء التقليد في قلبه ، وأما من استحكم فيه فإنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء / ١٢ .

يعني إن صدر عني صغيرة ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علمًا وفهمًا أو نبوة ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح الذين ما أذنبوا ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ ذكرًا جميلاً ، وثناء حسنًا بعدي إلى القيامة أذكر به ، ويقتدى بي في الخير، وقيل صادقًا من ذريتي يدعو الناس إلى الله ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي : ممن لهم الجنة كأخص أموالهم ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وهذا قبل أن يتبين أنه عدو لله كما مر في سورة التوبة ﴿وَلاَ تُخْزِنِي﴾ لا تفضحني ولا تذلني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يبعث الخلائق ، أو هؤلاء المشركون ، وجميع الأنبياء عليهم السلام مشفقون من سوء العاقبة ، فإنه لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، أو لا تخزني بإهانة والدى ، وقد ورد[1] أن إبراهيم يلقى أباه في القيامة ، فيقول : وعدك أن لا تخزني يوم يبعثون ، فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لكن من أتى بقلب سليم عن الشرك، أو صحيح لا مريض كالمنافق يسلم وينتفع ، أو حال[2] من أتى بهذا القلب ينفعه ، أو لا ينفع شيء إلا[3] حال من أتى الله به ، أو لا ينفعان أحد إلا سليم[4] القلب ، لأنه صرف المال في الخير ، وأرشد الأولاد أو جعل سلامة[5] قلبه من جنسهما كما تقول : هل لك مال وأولاد ؟ فيقول : مالي ، وأولادي غنى قلبي

---

(١) كما في البخاري ، والترمذي / ١٢ وجيز .

(٢) فعلى هذا المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة ، بل بضرب من الاعتبار كما في قوله: تحية بينهم ضرب وجيع أي : إلا حال من أتى الله بقلب سليم عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله ، الآية .

(٣) على هذا الاستثناء منقطع / ١٢ .

(٤) فعلى هذا المستثنى منه محذوف ، وهو مفعول ينفع / ١٢ .

(٥) فالمضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى ، وهو المستثنى منه / ١٢ .

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قربت[1] لهم عطف على لا ينفع ﴿وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ[2] وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ كما زعمتم أنهم شفعاء ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ[3]﴾ بدفع العذاب عن أنفسهم ، فإنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا، والكبكبة : تكرير الكب جعل تكرير لفظه لتكرير معناه ، كأنه ينكب فيها مرة بعد اخرى ﴿فِيهَا﴾ في جهنم ﴿هُمْ﴾ المعبودون ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ العابدون أو التابعون والمتبعون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ متبعوه ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد للجنود ﴿قَالُوا﴾ السفلة للكبراء ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ جملة حالية معترضة بين القول ومقوله ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا﴾ أي : إنه كنا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم[4] بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ حيث كنا لكم تبعًا ، أوضمير قالوا للأصنام ، وعابديها وتسويتهم أنهم عبدوها ، واتخذوها آلهة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ

---

(١) قربت لينظروا إليها ، ويزيدهم قوة ونورًا وسرورًا / ١٢ وجيز .

(٢) من شملته الغواية ، وهم الكفرة لتعجيل همهم ويقين شقاوتهم / ١٢ وجيز .

(٣) بدفع العذب عن أنفسهم ، فإنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم / ١٢ وجيز.

(٤) حيث كنا لكم تبعًا قال الله : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله "(التوبة:٣١)/١٢ وجيز .

وكان تسويتهم إياها بالله في الحب والتعظيم مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تميت ولا تحيي ، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم ، والعبادة كما قال الله تعالى : " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله "(البقرة:١٦٥) ، وقال : " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون "(الأنعام:١) ، وأصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاة والمحبة ، فإنهم ما ساووهم به في الذات والأفعال ، ولا قالوا إن آلهتهم خلقت السماوات والأرض وأنها تحيي وتميت ، وإنما ساووها به في محبتها وتعظيمها كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينسب إلى الإسلام كذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله / ١٢ .

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ على الوجه الأول من باب الالتفات ، وعلى الثاني المراد من المجرمون آباؤهم وسادهم﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين ﴿وَلَا﴾ من ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الاحتمام ، أي : الاهتمام ، أو من الحامة ، أي : الخاصة ، ولتعدد أنواع الشفاء من الملك والنبي والولي جمع الشفيع بخلاف الصديق ، ولأن الصديق الحقيقي قليل[1] ولذلك قيل هو اسم لا معني له ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ﴾ نصب بجواب " لو " التي للتمني ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم ﴿لَآيَةً﴾ حجة وعظة ، فكم فيها من الإرشاد والتنبيه والاستدلال على ترتيب أنيق نصحهم ووعدهم وأوعدهم بأحسن طريق﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم[2] مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ[3]﴾ القادر ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) ولذلك قيل : هو اسم لا معنى له ، قيل : الصديق كالعدو يقع على الواحد وعلى الأكثر / ١٢ وجيز .

(٢) مع ظهور الدلائل التي استدل بها ، وفي ذلك مسلاة لخاتم النبيين صلاة الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين / ١٢ وجيز .

(٣) قال: بعض المفسرين قد تم حكاية قول إبراهيم عند قوله : " ولا تخزني يوم يبعثون " وقوله: " يوم لا ينفع " ابتداء كلام من الله أو صلة إلى كلام إبراهيم إلي قوله: "وهو العزيز الرحيم"، وعندي أن هذا ليس ببعيد ، بل هو الصواب إن شاء الله/١٢ وجيز.

﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ القوم بدليل تصغيرها على قويمة مؤنثة[1] ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ فإن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ لأنه منهم ﴿أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عرفتموني قبل الرسالة بالأمانة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أدعوكم إليه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرره تأكيدًا، و تنبيهًا على أن كلاً من الأمانة، وحسم الطمع موجب لقبول النصح ، فكيف إذا اجتمعا﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ[2] لَكَ﴾ الهمزة للإنكار ﴿وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ[3]﴾ الواو للحال ، وأتباعه الحاكة والسوقة حينئذ ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ما أعلم صنائعهم ، وليس لي من دناءتهم شيء إنما كلفت بالدعوة المطلقة ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي﴾ أي : لا أطلب إلا التصديق فيما جئت به ، والله مطلع على السرائر ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك ، قيل مرادهم أنهم سفلة اتبعوك لعزة ولقمة لا لاعتقاد ويقين كما قال تعالى حكاية : " الذين هم أراذلنا بادي الرأي "(هود:٢٧) فأجاب بأني لا أعلم أعمالهم ،

---

(١) ولهذا قال : " كذبت " / ١٢ .

(٢) شرع أشراف قومه في تنقيص متبعيه ، وأن انتفاء إيمانهم لهذا /١٢ وجيز .

(٣) كما قاله قريش في شأن عمار وصهيب وغيرهما / ١٢ وجيز .

وأنهم مخلصون فيها أو لا وأنا لا أطلب سوى التصديق ، وحسابهم على الله[1]﴿وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ[2]﴾ فقيرًا كان أو غنيًّا شريفًا أو دنيًّا ، ﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ[3] مُّبِينٌ﴾
فليس لي طرد أحد واجتباء آخر ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ المقتولين بالحجارة ، أو المشتومين ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾
وما دعا وما شكا عليهم ، وعنهم إلا بعد أيام متطاولة يدعوهم ، وهم في كفرهم
يعمهون ﴿فَافْتَحْ﴾ فاحكم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
من بلاء تنزل عليهم ، أو من كيدهم وشؤمهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من أنواع الأشياء ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي : بعد إنجاء المؤمنين
﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ دالة على أن المكذبين في معرض العقوبة
ولو بعد حين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم
بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) وعلى هذا الجواب ألصق / ١٢ وجيز .

(٢) وهذا مشعر بأنهم طالبوا طردهم كما طلب قريش مثل هذا ، ونزلت : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم " الآية (الأنعام:٥٢) / ١٢ وجيز .

(٣) فلا اشتغال إلا بما هو شغلي / ١٢ وجيز .

عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ**﴾ التأنيث باعتبار القبيلة ، وهو في الأصل اسم أبيهم ﴿**الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ**[١] **هُودٌ**﴾ هو أيضًا منهم ﴿**أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ تصدير القصص بمضمون عبارة واحدة ليعلم أن كلمتهم متفقة ، وإن اختلف في بعض الفروع ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ**﴾ مكان مرتفع ﴿**آيَةً**﴾ عمارة مشيدة عالية كآية في الشهرة ﴿**تَعْبَثُونَ**﴾ في بنائها[٢] لا تحتاجون إليها ، بل للشهرة قيل: بنوا على الطرق عمارات كالقصور يجلسون فيها يسخرون بمن يمر ، أو المراد منها بروج الحمام ، فإنهم متولعون بها ﴿**وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ**﴾ قصورًا أو حصونًا ، أو مآخذ الماء ﴿**لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ**[٣]﴾ ترجون الخلود ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ**﴾ سطوتم ﴿**بَطَشْتُمْ**[٤]

---

(١) كان أخاهم من النسب تاجرًا جميلاً أشبه الخلق بآدم عليه السلام عاش أربعمائة سنة وأربعًا وستين ، ومنازلهم بين عمان إلى حضرموت أمرع البلاد فجعلها مفاوزًا ، ورمالاً / ١٢ .

(٢) في بنائها من غير احتياجكم إليها ، ونعم ما قيل: إن في هذا نعي على المترفين يبنون للتنعم والتلذذ/١٢ وجيز .

(٣) يعني يشبه حالكم حال من لا يأمل الموت كما قال تعالي : " يحسب أن ماله أخلده "(الهمزة:٣)/١٢ وجيز .

(٤) قال الزجاج : إنما أنكر عليهم ذلك ، لأنه ظلم ، وأما في الحق فالبطش بالسوط ، والسيف جائز قال الكرخي : علم أن اتخاذ الأبنية العالية تدل على حب الدنيا ، واتخاذ =

﴿جَبَّارِينَ﴾ متسلطين ظالمين بلا رحمة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فإن أعمالكم تورث الخزي والندامة ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ من الخير نبههم على نعم الله مجملاً ، ثم فصلها بقوله ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ثم أوعدهم فقال ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن بقيتم على الكفر والكفران ﴿قَالُوا سَوَاءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي : مستو علينا وعظك وعدمه ، فإنا على ما نحن فيه لا نرعوى[1] عنه ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾ ما هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الأوائل ، ونحن سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا نشور ، أو ما هذا الذي جئتنا به إلا عادتهم يكذبون ويزخرفون ، ومن قرأ " خَلْقُ " بفتح الخاء وسكوت اللام ، فالمراد اختلاقهم واختراعهم﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فلا نخاف مما تخاف علينا وتخوفنا به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني بريح صرصر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ

= المصانع يدل على حب البقاء ، والجبارية تدل على حب التفرد بالعلو ، وهذه صفات الألوهية وهي ممتنعة للحصول للعبد انتهى ، ثم لما وصفهم بهذه الصفات القبيحة الدالة على الظلم والعتو والتمرد والتجبر أمرهم بالتقوى فقال : " فاتقوا الله " الآية / ١٢ فتح.

(١) لا نكف عنه / م .

ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ
أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ[1] الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ إنكار لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم ، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم ، وما يتنعمون فيه آمنين ، فالهمزة للإنكار ، أو للتقرير ، و " ما " موصولة ، أي : في الذي استقر في هذا المكان من النعم ، ثم فسر المجمل بقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف ضامر طلع إناث النخل بالنسبة إلى فحولها لطيف ، وطلع البرني(*) ألطف من غيره ، أو مكسور مظلوم من كثرة الثمر ، وإفراد النخل لفضله على الأشجار ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ حاذقين متقنين لنحتها ، قيل من رأي منازلهم لرأى عجبًا ، أو أشرين[2] بطرين﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾

---

(١) كان بين عاد وثمود مائة سنة / ١٢ منه .

(*) البَرْنِيُّ: ضرب من التمر أصفر مدور وهو أجود أنواع التمر (اللسان.برن).

(٢) هذا على قراءة " فرهين " من الفراهة ، وهو النشاط وأما فارهين فحاذقين في القاموس: فره ككرم فراهة حذق حذاقة / ١٢ .

رؤسائهم[1] ، وقادهم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر ، وأنواع المعاصي ﴿وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾ قطعًا ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ[2] ﴾ الذين سحروا كثيرًا حتى غلبوا على عقولهم ، أو من الذين لهم سحر ، أي : رية يعني أنت لست بملك ، فكيف تكون نبيًا ؟! ﴿مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ هذا على الوجه الثاني تأكيد ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ دعا الله تعالى فأخرجها من الصخرة في محضرهم باقتراحهم ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هو يوم لا تشرب فيه الماء ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقر إليهم لأن كلهم راضون به ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ عند معاينة العذاب ﴿فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ﴾ زلزال مع صيحة اقتلعت قلوبهم بهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ

---

(١) أي : المشركين ، وقيل التسعة الذين عقروا الناقة / ١٢ فتح .

(٢) أي : الذين أصيبوا بالسحر قاله مجاهد وقتادة ، وقيل المسحر هو المعلل بالطعام ، والشراب/١٢ ، قاله الكلبي ، وغيره فيكون المسحر الذي له سحر ، وهو الرية فكأنهم قالوا إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب / ١٢ فتح .

إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي : أتأتون من بين العالمين الذكران يعني إنكم مختصون بتلك الفاحشة لا يشارككم شيء ، أو أتأتون الذكران من بين أولاد آدم مع غلبة الإناث الموضوع له ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم[١]﴾ (من) بيان[٢] (لما) ﴿بَلْ[٣] أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ مفرطون في المعصية ، حيث تختصون بفاحشة لا تشارككم بهيمة ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عما تنازعنا فيه ﴿يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من أرضنا ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ من المبغضين غاية[٤] البغض ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من وباله ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ أهل بيته ومن تبعه ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بأن أخرجناهم من بينهم حين حلول العذاب ﴿إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي : موصوفة بكونها في الباقين في العذاب هي امرأة

---

(١) قال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال / ١٢ معالم .

(٢) قيل: من للتبعيض بدل من (ما) فالمراد مما خلق المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود "ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم" / ١٢ وجيز .

(٣) والإضراب للانتقال من شيء إلى شيء لا أنه إبطال لما سبق وجاء تصدير الجملة بضمير الخطاب تعظيمًا لقبح فعالهم ، وتنبيهًا على أنهم هم المختصون بذلك / ١٢ وجيز .

(٤) ثم دعا ربه فقال : " رب " إلخ / ١٢ .

لوط خرجت معهم ، وهم مأمورون بأن لا يلتفتوا إلى القرية إذا سمعوا صيحة العذاب وهي التفتت لأنها كانت تحبهم راضية بعملهم، فأهلكها الله بحجارة من السماء ، أو هي ما خرجت معهم ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿الآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ قلب الله ديارهم ، وحين التقليب أمطر عليهم الحجارة ، أو إمطار الحجارة على مسلفريهم ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ مطرهم ، ولام المنذرين للجنس، لأنه يجب أن يكون فاعل المدح والذم جنسًا ، أو مضافًا إليه ليكون فيه إبهام ، ويكون المخصوص بالمدح أو الذم تفسيره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ
ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ شجرة كانوا يعبدونها ﴿الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا أخوهم مع أنه أخوهم نسبًا ، لأنه نسبهم إلى عبادة شجرة فقطع نسبة الأخوة بينهم ، والأصح أنهم أهل مدين ، ولهذا وعظهم ، وأمرهم بوفاء الكيل كما في

قصة مدين سواء ، وعن بعض : هم غيرهم ، وشعيب من أهل مدين لا منهم ، فلهذا لم يقل أخوهم﴿أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ[1] أَوْفُوا الكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي قيل القسطاس القبان[*] ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوا شيئًا من حقوقهم ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾ لا تغلوا في الفساد ﴿فِي الأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل ، وقطع الطريق ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ ذوى الجبلة ﴿الأَوَّلِينَ﴾ يعني : وخلق الخلائق الأولين ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أتوا بالواو هؤلاء دون قوم ثمود دلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ، وكذا أكدوا في نفيها عنه بقولهم: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾ والظن بمعنى العلم[2] بدليل " إن " واللام ، ولذا أيضًا ما طلبوا البرهان عنه ، بل قطعوا بما يدل على اليأس ، حيث قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعة ، أو عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الدعوى ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم بما أنتم تستحقون ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ سلط عليهم حر شديد ، فأظلتهم سحابة ، واستظلوا جميعًا بظلها ، فخرجت نار من السحابة ، وأحرقتهم ، وعن بعض : كشف عنهم الظلة ، وحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى

---

(١) وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة، ولتبليغ الرسالة/١٢ معالم .

(*) في اللسان (قبن): القَبَّان: الذي يوزن به، قال الجوهري: القبان، القسطاس مُعَرَّب.

(٢) بدليل (إن) المخففة من المثقلة ، واللام / ١٢ .

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ[1] ﴾ هذا هو العلة في نزول العذاب على الأمم ، ولو آمن أكثرهم كما آمن قريش لأمهلهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم من الأعداء ﴿الرَّحِيمُ[2] ﴾ على أوليائه ، وهذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار بعدما فصلها مكررة تسلية لرسوله ، وتهديدًا[3] لمن خالفه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾
وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾
فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن
مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا

---

(١) وعلم من نصائحهم مع كفرهم بترك ذنوبهم الخاصة بكل واحد من الأمم أن الكفار يؤخذون بالفروع / ١٢ وجيز .

(٢) ولما قص حكاية الأمم السوالف عاد إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليناسب المفتتح والمختتم ، فقال : " وإنه لتتريل رب العالمين " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) وتنبيهًا على أن لكل من الرسل دعوة واحدة ، ونصائح مختلفة بحسب ما هم فيه من المعاصي/١٢ وجيز .

كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ
وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا
يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ
مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ
أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ
ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ
أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا
ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُ[١]﴾ القرآن[٢] ﴿لَتَنزِيلُ﴾ منزل ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ﴾ الباء للتعدية ﴿الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ جبريل ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ لأنه بلسانك ولغتك ، فتفهمه أولاً من غير أن تلاحظ الألفاظ كيف جرت ، ولو لم يكن بلغتك لكان نازلاً على سمعك تسمع الألفاظ ، أولاً ثم تخرج المعاني منها وإن كنت ماهراً بتلك اللغة أيضاً ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ عن كل ما لا يرضى به الله ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ واضح المعنى متعلق

---

(١) لما ختم ما اقتصه من خبر الأنبياء ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته ، فقال : " وإنه لتنزيل رب العالمين " / ١٢ كبير.

(٢) قاله أكثر المفسرين وقال مقاتل : ذكر محمد ونعته / ١٢ معالم .

بنزل ، وقيل بالمنذرين أي : لتكون ممن أنذروا بلغة العرب ، وهم خمسة هود ، وصالح، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد عليهم أفضل الصلوات وأتمها ومن التحيات أزكاها ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي : ذكر القرآن ﴿لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ كتبهم ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً﴾ على صحته ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي : أليس علم علمائهم بأنه من الله دليلاً دالاً على صحته ، والمراد العدول[1] منهم كعبد الله بن سلام وسلمان ، وقرئ تكن بالتاء مع رفع آية فآية اسم كان ، ولهم خبره " وأن يعلمه " إلخ بدل من الاسم ، أو اسم كان ضمير القصة " وأن يعلمه " إلخ مبتدأ أو آية خبره ، والجملة خبر كان ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾ القرآن الفصيح الذى عجز دونه أفصح فصحاء العرب ﴿عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾ الذين لا يدرون من العربية[2] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لفرط عنادهم ، قال تعالي : " إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية" الآية (يونس:٩٦)، قيل: معناه ، ولو نزلنا القرآن بلغة العجم على بعض الأعجمين فقرأه على أهل مكة ما كانوا به يؤمنون قال تعالى: "ولوجعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته "(فصلت:٤٤) ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا الكفر والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بإتيان العذاب ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ يتمنون النظرة ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ وهم يطلبون النظرة عند

---

(١) فكأن قريش في كثير من الأمور النقلية ترجع إلى علماء اليهود يسألونهم قائلين : " إنهم أصحاب الكتب الإلهية ، وقد تهود وتنصر كثير من العرب ، وعن ابن عباس : إن أهل مكة بعثوا إلى أحبار يثرب يسألونهم عن النبي ، فقالوا: هذا زمانه ووصفوا نعته ، ذكره التعلبي / ١٢ وجيز .

(٢) والأعجم في الأصل من يكون في لسانه عجمة وعقدة ، ثم استعمل فيمن تكلم بلسان غير لسانهم ، فالعرب عند العجم أعجمى وبالعكس ، وأما العجم فكل من هو غير العرب / ١٢ وجيز .

نزول العذاب كما قالوا : " فأتنا بما تعدنا " (الأعراف:٧٠) نقل أنه لما نزل لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ، قالوا : متى هذا العذاب؟ فنزل " أفبعذابنا يستعجلون "؟! ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ لم ينفعهم تمتعهم[1] في أيام متطاولة ، و لم يدفع شيئًا من العذاب عنهم ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ﴾ رسل ينذروهم[2] ﴿ذِكْرَى﴾ مصدر لمنذرون[3] لأن أنذر وذكر متقاربان ، أو مفعول له أي : منذرون لأجل الموعظة ، أو أهلكناهم بعد إلزام الحجة تذكره وعبرة لغيرهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنهلك قبل الإنذار ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ نزل به الروح الأمين لا الشياطين ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ ما يصح للشياطين أن يترلوا به فإنهم يترلون لفساد ، وما في القرآن إلا الرشاد ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ إنزاله وإن أرادوا ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ عن استراق السمع من السماء بحيث يكون المسموع كلامًا مفيدًا تامًّا ﴿لَمَعْزُولُونَ[4]﴾ محجوبون كما قالوا : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " الآية (الجن:٩) ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

---

(١) وفيه إشارة إلى أهم في حالة إمهالهم لا يؤمنون ، ولا يكتسبون ما ينفعهم ، ولما ذكر أن إمهالهم لا ينتجهم إلا مزيد نكالهم بين أنه أخبرهم ومهلهم وأمهلهم للسعادة لكن تقدمت شقاوهم و لم يلتفتوا فقال : " وما أهلكنا من قرية " الآية/١٢ وجيز .

(٢) وأمهلناهم ليحذروا عما أنذروا ، وجمع منذرون لأن من قرية عام كأنه قال ، ما أهلكنا القرى الظالمة /١٢ وجيز .

(٣) أو لتوغلهم في التذكير جعلهم نفس العظة كرجل عدل / ١٢ وجيز .

(٤) نفى أولاً تتريلهم به ، وما نفى الإمكان ، ثم نفى صلاحيتهم ، كأنه قال ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له ، ثم نفى قدرهم على ذلك وأنه مستحيل في حقهم فارتقى من نفي الفعل إلى نفي الصلاحية ، ومن نفي الصلاحية إلى نفي الاستطاعة ، ولما أشار إلى أن الشياطين يدعون إلى الطواغيت ، والقرآن هو الداعي إلى الحق سبب عنه بقوله: " فلا تدع مع الله " الآية / ١٢ وجيز .

آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ عن ابن عباس يحذر به غيره يقول : يا محمد أنت أكـــرم خلقي ، ولو اتخذت إلهاً غيرى لعذبتك ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ[1] ﴾ فإن الاعتنـاء بشأنهم[2] وفو ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ لين جانبك ، وتواضع ﴿لِمَـــنِ اتَّبَعَــكَ مِـــنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لا من المنافقين[3] ، فإنهم أيضًا يتبعونك بحسب الظاهر ﴿فَإِنْ عَصَـوْكَ﴾ لم يتبعوك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ الذي يقـــدر على قهر الأعداء ، ونصر الأولياء يكفيك شر من يعصيك ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾

---

(١) وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية دعا رســول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا فعم وخص ، فقال : "يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم مــن النار ، فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعًا ، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم مــن النار ، فإني لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ، ويا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لك ضرًا ولا نفعًا ، ألا إن لكم رحمًا ، وسأبلها ببلالها" ، قال الشوكاني في شرح الصدور بعد ذكر الحديث : فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخص قرابته به ، وأحبهم إليه فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسل مرسلين ، بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية ، وواحد من هذه الملة الإسلامية فهو أعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضرًّا ، وكيف لا يعجز عـــن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه شيئًا من ضر ولا نفع ، وأنه لا يغني عن أخص قرابته من الله شيئًا ، فيا عجبًا كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم أو أقل حظًّا من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة ، والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه ، فهل سمعت أذناك أرشدك الله بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع فيه أهل القبور ، إنا لله وإنا إليه راجعون / انتهى ١٢ .

(٢) فإنهم والناس سواء في أنهم معذبون إن لم يهتدوا / ١٢ وجيز .

(٣) بل واغلظ عليهم ومأواهم جهنم / ١٢ .

إلى الصلاة وحدك[1] ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ عطف على كاف يراك ، أي : تصرفك بأركان الصلاة فيما بين المصلين يعني : يراك إذا صليت منفردًا ، وإذا صليت في جماعة أو تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين ، أو تقلبك في أصلاب آبائك الأنبياء من نبي إلى نبي ، حتى أخرك يعني : توكل على من يراك في أحوال اجتهادك في مرضاته﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ هَلْ[2] أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ بعدما قال : " وما تنزلت به الشياطين " ، قال: هل أخبركم بأن الشياطين على من تنزل" ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم هم الكهنة والمنجمون ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي : يسترق الشياطين السمع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة كذبة ، وفي الحديث[3] "ربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقى قبل أن يدركه" ، وهذا يدل على أن الاستراق حينئذ أيضًا واقع ، أو معناه يلقى الأفاكون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنون وأمارات أكثرها أكاذيب ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ قل من يصدق منهم ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾ أي : الضالون يعني : شعراء الكفار الذين يهجون النبي عليه السلام ، ويقولون : نحن نقول مثل ما يقول محمد يجتمع إليهم غواة يستمعون ويروون عنهم﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام ﴿يَهِيمُونَ[4]﴾ يذهبون كالمجنون ، فإن أكثر الأشعار وأحسنها خيالات لا حقيقة[5] لها ﴿وَأَنَّهُمْ

---

(١) في أثناء الليل ، وفيه حث على التهجد / ١٢ وجيز .

(٢) ولما قال : " وما تنزلت به الشياطين " قال : " هل أنبئكم " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كما في الصحيحين / ١٢ وجيز .

(٤) الهائم : الذاهب على وجهه لا مقصد له ، وتمثيل لذهابهم في كل شعب من القول/١٢ .

(٥) حتى يجعلون في المدح أجهل الناس أفضلهم وأبخلهم أسخاهم وأجبنهم أشجعهم ، وأسفلهم أعلاهم ، وفي الذم يعكسون وينكسون / ١٢ وجيز .

﴿يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ[1]﴾ فعلم أن القرآن ليس بشعر ، وأنت لست بشاعر ،فإن أتباعك هداة مهديون ، والقرآن كله حق صدق وأنت بالصدق موصوف ، وبالوفاء معروف ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء للشعراء المؤمنين المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجين لأعداء الله ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في شعرهم ، وغير شعرهم ﴿وَانتَصَرُوا﴾ من الكفار هجوهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ أي : مكافأة هجاهم هجوا للمسلمين لما نزلت " والشعراء يتبعهم الغاوون " جاء حسان ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إليه عليه السلام ، وهم يبكون ، فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فأنزل الله " إلا الذين[2] آمنوا " الآية ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بأن ذموا قومًا ، ومدحوا قومًا بباطل ، وتكلموا بالأكاذيب ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ أي : مرجع يرجعون بعد الموت ، فيه تهديد شديد وسياق الآية ، وإن كان في الكفار وشعرائهم لكن عام لكل ظالم ، ولهذا كتب الصديق رضى الله عنه عند الوصية : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . فإن يعدل فذاك ظني به ، ورجائي فيه ، وإن يجرو ويبدل فلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

---

(١) ينسبون إلى أنفسهم من مثل فرط الحب والعشق ، وما ليس فيهم فهم كاذبون في شأن غيرهم ، وفي شأن أنفسهم/ ١٢ وجيز .

(٢) وهذه الآية إلى آخر السورة مدنية كما صرح بذلك محيي السنة وغيره ، والباقي من أول السورة إلى هذه الآية مكية ، فلا إشكال في سبب الترول على ما نقلنا ، والمورد خاص والحكم عام، فمن كان شعره في أمر ديني أو في مكافأة ظلم بقدره ، وهو متصف بما وصفه الله فهو من الذين استثناهم الله/١٢ وجيز .

سورة النمل مكية

وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ
ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ
أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ
مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ
يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ
حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا
جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ
أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤﴾

﴿**طس**﴾ عن ابن عباس : هو من أسماء الله ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْقُرآنِ**﴾ إشارة إلى آيات تلك السورة ﴿**وَكِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾: وهو القرآن ، وعطفه لعطف إحدى الصفتين على

الأخرى[1] ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حالان من الآيات ، أو خبران لمحذوف ، أو بدلا من الآيات ، أو خبران بعد خبر ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ[2]﴾ تكرير الضمير للاختصاص ، والواو للعطف أو للحال ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي : أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عنها لا يدركون قباحتها ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ﴾: في الدارين ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾: ما أحدٌ أشد منهم خسرانًا ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ لتؤتى ﴿القُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أيّ حكيم أيّ عليم، ولهذا المعنى نكرهما ، وهذا تمهيد لذكر هذه القصص التي تأتي ، فكم فيها من لطائف حكمه ، ودقائق علمه﴿إِذْ قَالَ﴾ مقدر باذكر ، كأنه قال خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ، أو متعلق بعليم﴿مُوسَى لأَهْلِهِ﴾ حين مسيره من مدين إلى مصر ، وقد ضل الطريق ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾: أبصرت ﴿نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا﴾: من أهل النار ﴿بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق ﴿أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ الشهاب : الشعلة ، والقبس : النار المقتبسة من جمر ونحوه ، فهو إما بدل أو صفة ، وقراءة الإضافة من إضافة الخاص إلى العام ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها من البرد فإنهم في ليل شتوى ﴿فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ﴾ أي : بأن ، أو (أن) مفسرة ، فإن في النداء معنى القول ﴿مَن فِي النَّارِ﴾ عن ابن عباس وغيره أي : قدس من في النار ، وهو الله سبحانه، والنار نوره تعالى على معنى أنه نادى موسى منها ، وأسمعه كلامه من جهتها،

---

(١) نحو: هذا فعل السخي والجواد / ١٢ .

(٢) لما كانت الصلاة والزكاة مما يتجدد ، ولا تستغرق الأزمنة جاءت الصلة فعلاً مضارعًا ، ولما كان الإيمان مما هو ثابت مستقر الديمومة جاءت الجملة الاسمية ، وتكرير الضمير وتغيير الأسلوب للدلالة على قوة يقينهم وأنهم الأوحدون فيه / ١٢ وجيز .

أو المراد من في طلب النار وهو موسى ، أو المراد الملائكة ، فإن فيها ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الملائكة ، أو موسى ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من تمام ما نودى به، لئلا يتوهم أنه مكاني يشبه شيئًا من مخلوقاته ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ أو راجع إلى المتكلم ، و"أنا" خبره ، والله بيان له ، أو خبر بعد خبر ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الْحَكِيمُ ﴾ فيما يفعله ﴿وَأَلْقِ[1] عَصَاكَ﴾ عطف على بورك ، أي : قيل له بورك من في النار ، وقيل له: ألق عصاك ﴿فَلَمَّا رَآهَا﴾ أي : فلما ألقى رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: حية خفيفة سريعة ، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ أي : هرب موسى ، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ[2]﴾: لم يرجع ، ﴿يَا مُوسَى﴾ أي: نودى يا موسى ، ﴿لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ[3] لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق ، قيل معناه: من أمنته ، من عذابي لا يخاف من حية ، ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ﴾ ، لكن من ظلم من العباد نفسه، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾: تاب وعمل صالحًا ، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أغفر له ظلمه أي : لستم أيها المرسلون من الظالمين التائبين ، فلا خوف عليكم بوجه ، أو لكن من ظلم قبل النبوة ، ثم تاب فإني أغفر له ، ومن غفر له لا يخاف، أو الاستثناء متصل أي : لا يخافون إلا الذين ظلموا بارتكاب الصغائر حينئذ تم الكلام ، ويكون (ثم بدّل) عطفًا على محذوف تقديره: فمن ظلم ثم

---

(١) عطف على " إنه أنا الله " عطف جملة الأمر على جملة الخبر ، وقد نص سيبويه على جوازه سيما في مثل هذا الموقع ، فإنه لا ينكره أحد من العلماء / ١٢ وجيز .

(٢) عطف على (ولّى) يقال عقب المقاتل، إذا كر بعد الفرار وأقبل بعد الإدبار/١٢ وجيز .

(٣) قيل : لا يخاف إلا من ظلم نفسه من مثل الصغائر ثم تاب فإنه يخاف مع أني غفرت له ، وهذا كما وقع في الحديث الصحيح من حكاية الشفاعة إن كل نبي أحال الشفاعة إلى نبي آخر لأجل خوفهم إلا خاتم النبيين فإنه قام بالشفاعة صلوات الله وسلامه عليه ، وعليهم أجمعين/ ١٢ وجيز .

بدل إلخ ، فإني أغفر له، أو معناه لا يخافون إلا من فرط منه ما غفر له فإنه يخاف ، وقد تحقق أن المغفور له المرحوم لا يخاف من الذنب المغفور البتة ، فإذن لا يخاف منهم أحد البتة على القطع ، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي : في جيب درعك ، وقد نقل[1] أنه كان عليه مدرعة من صوف لا كم لها ، ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ كأنها قطعة قمر تتلألأ ، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ كبرص ، ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي : اذهب في تسع آيات ، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أو معناه أدخل يدك في جملة تسع آيات وعدادهن ، وعلى هذا (إلى فرعون) متعلق بمحذوف، أي : مبعوثًا مرسلاً إليه ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ بأن جاءهم موسى بها ، ﴿مُبْصِرَةً﴾: ظاهرة للناظرين ، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا﴾: كذبوا ، ﴿بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي : وقد استيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، الواو للحال[2] ﴿ظُلْمًا﴾ أي : جحدوا للظلم ، ﴿وَعُلُوًّا﴾: وللترفع والتكبر عن اتباعه ، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ في الدارين .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا
مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ
وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ
وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ

---

(١) نقله محيي السنة / ١٢ وجيز .

(٢) يعني جحدوا وكذبوا بالآيات للظلم والتكبر عن اتباعه ، والحال أنهم متيقنون أنها آيات الله ليست بسحر / ١٢ وجيز .

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ
وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ
أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا
لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ
مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ
﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ
سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ
تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ
كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ
وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿**وَلَقَدْ**[1] **آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا**﴾ أيَّ علم، ﴿**وَ**[2]**قَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: شكرًا على ما أعطاهما من العلم، ﴿**وَوَرِثَ**

---

(١) ولما أتم قصته شرع في قصة أخرى فقال: (ولقد آتينا داود) / ١٢ وجيز.

(٢) قيل: هذا موقع الفاء دون الواو فقال السكاكي: أخبر تعالى عما صنع بهما، وأخبر عما قالا، فكأنه قال نحن فعلنا إيتاء العلم، وهما فعلا الحمد تفويضًا لاستفادة ترتب الحمد على إيتاءه العلم إلى فهم السامع / ١٢ وجيز.

﴿سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ نبوته، وعلمه وملكه دون سائر[1] أولاده ، ﴿وَقَالَ﴾ سليمان يعدد نعم الله عليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا[2] مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾: نفهم ما يقصد بصوته ، ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ[3]﴾ أي : أوتينا ما يحتاج إليه الملك ، أو المراد الكثرة كما تقول : فلان يعلم كل شيء،﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ[4] وَحُشِرَ﴾: جمع ، ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ﴾ وكانوا هم حول الإنس ، ﴿وَالإِنسِ﴾ وهم يلونه ، ﴿وَالطَّيْرِ﴾ وهن فوق رأسه فإن كان حر أظلته منه بأجنحتها ، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

---

(١) قيل: له تسعة عشر ابنا / ١٢ وجيز .

(٢) قيل: كانت الطير تكلمه معجزة ، وهذا خلاف ظاهر القرآن ، وقوله: (علمنا) كاللبين للميراث هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح قال جماعة من المفسرين: إنه علم منطق جميع الحيوانات ، وإنما ذكر الطير لأنه كان جندًا من جنوده يسير معه لتظليله من الشمس ، فخص بالذكر لكثرة مداخله ، وقال قتادة والشعبي: إنما علم منطق الطير خاصة ، ولا يعترض ذلك بالنملة فإنها من جملة الطير ، وكثيرًا ما تخرج لها أجنحة فتطير ، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع سليمان كلامها وفهمه أخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجى قال : خرج سليمان بن داود يستسقي بالناس، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك ، فإما أن تسقينا ، وإما أن تهلكنا ، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ، وقد ذكر الخازن والنسفي في تفسيريهما: منطق بعض الطيور وما تقوله القمرى وغيرها ، وكذا القرطبي بلا إسناد صحيح متصل يعتمد عليه ويصار إليه، فتركنا ذكره هاهنا فإنه لا يأتى بكثير فائدة للمنقحين / ١٢ فتح .

(٣) وقد رويت قصص في عظم ملك سليمان عن القرظي وغيره، لا تطيب النفس بذكر شيء منها فالإمساك عن ذكرها أولى / ١٢ فتح .

(٤) قال ذلك شكراً لا فخراً / ١٢ فتح .

يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ﴾ هو بالشام ، أو بالطائف ، ولما كان إتيانهم من فوق عدَّى بعلى ، أو المراد قطعه كما تقول : أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره ، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ لما نسب إليهم ما يختص به العقلاء بحسب الظّاهر خاطبهم خطاب العقلاء ، ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ أي : لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، استئناف ، أو بدل من الأمر ، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يحطمونكم ، فيه إشعار بأنهم لو علموا لم يحطموا؛ لأنهم جنود نبي ، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ أي : تبسم مقدرًا الضحك ، فإن المتبسم يصير ضاحكًا إذا اتصل وداوم، وهو للتعجب أو للسرور ، ﴿مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: ألهمني شكرها ، أو أولعني وحرصني به ، ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي﴾: عداد ، ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح ، ﴿وَتَفَقَّدَ﴾: تعرف ، ﴿الطَّيْرَ﴾[1] فلم ير فيها الهدهد ، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ كأنه ظن أنه حاضر [2]، ولا يراه لساتر، ثم لاح أنه غائب فقال: ﴿أَمْ كَانَ﴾ بل أكان ، ﴿مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ، عن ابن عباس : إن الهدهد يدل سليمان على الماء ينظر الماء تحت الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده ، ويخبره فيأمر الجن بالحفر، فترل بفلاة يومًا و لم يجده[3] فقال:

---

(١) تعرفها ، وذلك للاهتمام بالرعايا ، قيل : كان يأتيه من كل صنف واحد فلم ير فيها الهدهد / ١٢ وجيز .

(٢) لأن العادة أن لا يذهب من جنده إلا بإذنه / ١٢ وجيز .

(٣) نقله محيي السنة وقال : قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق : يا وصاف انظر ما تقول! إن الصبي منا يصنع الفخ ، ويحثوا عليه التراب فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه ، فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حالى دون البصر ، وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر / ١٢ منه .

﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا[1] شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ، بحجة تبين عذره ، حلف على أحد الثلاثة التعذيب أو الذبح أو العفو بشرط العذر ، أو الحلف على الأولين إن لم يكن الثالث، والثالث للتقابل ، أدخل في سلكهما لا أنه محلوف عليه بالحقيقة ، ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد ، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زمانًا غير مديد ، ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: علمت ما لم تعلمه ، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: مدينة باليمن ، أو اسم قبيلة هم ملوك اليمن ، ﴿بِنَبَإٍ[2]﴾: بخبر ، ﴿يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً﴾ أي : بلقيس ، ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ الضمير للسبأ باعتبار أهلها ، ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، يحتاج إليه الملوك ، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ[3] عَظِيمٌ﴾ بالنسبة إلى عروش أمثالها من ذهب مكلل بأنواع

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج : هو أن ينتف ريشه جميعًا ، وروى نحو هذا عن جماعة من التابعين ، قال البغوي : أظهر الأقاويل أن ينتف ريشه وذنبه ، ويلقيه في الشمس ممعطًا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض ، وقيل غير ذلك/١٢ .

(٢) لا شك في صدقه بادر [في الأصل : يادر] إلي جوابه بما يسكن غيظه ، وأبهم أولاً حتى يتشوق النفس إلى معرفته ، وتجاسر بأن لد معلومًا لم يكن لنبي الله ، ثم انتقل إلى ما هو أقل إبهامًا إذ فيه إخبار بما كان جاء منه وإن له علم بخبر يقيني ، وراعى على الفصاحة في كلامه بوجوه، ثم صرح بما كان أبهم فقال : (إني وجدت) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) وما أحسن انتقالات خبر هذا الطير بعد تهديد الهديد ، وعلمه بذلك أخبر أولاً: باطلاعه على ما لم يطلع تحصنًا من العقوبة لعلمه برتبة العلم عنده ، ثم أخبر ثانيًا: بأنه أمر متيقن ليزيد شوق السامع ، ثم أخبر ثالثًا: عن ملك عظيم لامرأة وكان سليمان قد سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم أخبر رابعًا: بما ظاهره الاشتراك بين سليمان و امرأة بشيء ليس لفحول الرجال وهو أن لها كل شيء ، ثم أخبر خامسًا: بأن لها عرشًا عظيمًا تجلس عليه ، و قد كان لسليمان بساط عظيم قد صنع له ، ولما علم أن سليمان عال همته لم يتأثر بأمر دنيوي أخبره سادسًا: بما يهزه لطلب تلك المملكة ودعائها إلى الإيمان ، فقال: (وجدتها) إلخ / ١٢ وجيز .

الجواهر ، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: فلا يهتدون إلى قبائح أعمالهم ، ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: منعهم ، ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق ، ﴿فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ إليه ، ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا﴾ أي : صدهم أو زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا ، ومن قرأ "ألا" بالتخفيف، فمعناه: ألا يا قوم اسجدوا، وهو استئناف أمر من الله بالسجود ، أو من الهدهد ، أو من سليمان ، ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾: يظهر ما خفي في غيره ، وهو عام[1] لإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وإنشاء البنين ، والبنات، وغيرها ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ فله استحقاق السجود لا لكرة تدور علي الفلك بأمر مديرها ، ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: المحيط بجملة[2] المكوَّنات ، ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿سَنَنظُرُ﴾ ، نتعرف من النظر بمعنى التأمل ، ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: أم كذبت فالتغيير للمبالغة ، ومحافظ الفواصل ، ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي[3] هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ، تنح عنهم إلى مكان قريب[4] ، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يردون بالجواب ، أو ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول ، ﴿قَالَتْ﴾ بعدما ألقي الكتاب إليها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ﴾ خاطبت عظماء قومها ، ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ لوجازته وفصاحته ، أو لأنه مختوم[5] أو لشرف صاحبه ، أو لغرابته من جهات،

---

(١) هكذا فسره ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن ، وغير واحد من السلف/ ١٢ .

(٢) فهو العرش لا عرش بلقيس ، ولما فرغ الهدهد من كلامه أخر سليمان أمره إلى أن يتبين صدقه فقال : (سننظر) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) يعني أمر بكتابة كتاب وذهاب الهدهد إليهم فقال : (اذهب) إلخ / ١٢ .

(٤) بحيث تسمع كلامهم / ١٢ .

(٥) وقد روى: كرامة الكتاب ختمه / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّهُ[1] مِن سُلَيْمَانَ﴾ استئناف ، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي : المكتوب أو المضمون[2] ، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، وعن السلف لم يكتب أحد قبله البسملة ، ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ أي : المقصود ألاّ تتكبروا علي ، أو عليكم أن لا تتكبروا علي ، فـ(أن) مصدرية ، ﴿وَأْتُونِي[3] مُسْلِمِينَ﴾: مؤمنين أو منقادين لما أظهر عندهم المعجزة ، وهي إلقاء الكتاب على تلك الحالة أمرهم بالإسلام والانقياد ، ونقل بعض المفسرين أن عبارة الكتاب "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" الآية، فعلى هذا لما قالت: " ألقي إلى كتاب كريم " كأن سائلا قال : بين لي مضمونه ومكتوبه؟ فأجابت وقرأت، وعن بعضهم[4] إن عبارته : من عبد الله سليمان ابن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فلا تعلوا على وأتوني مسلمين، فحينئذ كأن سائلاً يقول: بعدما قالت: ألقي إلي، ما فيه ؟ فقالت : إن مضمونه ، وما فيه من سليمان ، وإن فيه بسم الله الرحمن الرحيم إلخ ، وترك الواو في "ألاّ تعلوا" ليدل على أنه المقصود من الكتاب .

---

(١) قيل : " إنه من سليمان " بيان لعنوان الكتاب فكذا قوله: من عبد الله سليمان إلى ملكة سبأ وليس من أصل الكتاب ، كذا قاله الإمام ، ويشعر به كلام الزمخشري فسؤال تقديم سليمان اسمه على اسم الله ساقط / ١٢ منه .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية ، فكان يكتب البسلمة ، وبعدها السلام على من اتبع الهدى/ ١٢ فتح .

(٣) وهذا أي : إنه سليمان من إلى مسلمين عبارة الكتاب ، ولما قرأت على الملأ استشارتهم استعطافاً ، وتطييبًا لقلوبهم ليقوموا معها ، قالت : " يا أيها الملأ " إلخ/١٢ وجيز .

(٤) نقله الزمخشري غفر الله زلاته / ١٢ منه .

﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ
(٣٢) قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ
(٣٣) قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ
وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ
ٱلۡمُرۡسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ
مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ (٣٦) ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ
لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ
أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِي
عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ
مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ (٤٠) قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا
عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ (٤٢)
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا
ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ
مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٤) ﴾

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أجيبوا لي في أمرى الحادث ، ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً﴾: فاصلة ﴿أَمْرًا﴾: ما أبته ، ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾: إلا بمحضركم[1] ، ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا[2] قُوَّةٍ﴾: عدد كثير ، ﴿وأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: بلاء ونجدة في الحرب كان الملأ ثلاثمائة واثنا عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ، ﴿وَالأَمْرُ﴾ موكول ، ﴿إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: من المقاتلة والصلح نطعك ، ﴿قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وقهرًا ، ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً[3]﴾ ، ذكرت لهم عاقبة الحرب ، وسوء مغبتها ، وأنها سجال لا يدرى عاقبتها ، ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من كلام الله تصديق لها ، وقيل: من تتمة كلامها تقريرًا، وتأكيدًا لما وصفت، ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾: بأيادى رسل ، ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ﴾: بأي شيء يرجعون من حالة حتى أعمل بحسب ذلك ، عن ابن[4] عباس وغيره قالت : إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه ، وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ ما أهدى إليه أو الرسول ، ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾ خطاب للرسل ، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب ، ﴿بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ﴾: من النبوة والملك والمال ، ﴿خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾ فلا وقع لهديتكم عندى ﴿بَلْ[5] أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ التي يرسل بها بعضكم إلى بعض ،

---

(١) وإذا كان هذا عادتي في الأمور فكيف لا أستشيركم في هذه الحادثة الكبرى/١٢ وجيز.

(٢) حاصل الجواب أنهم ذكروا أمرين إظهار القوة الذاتية والعرضية إن أرادت الحرب والدفع ، وإظهار الطاعة لها إن أرادت السلم ، ولا يمكن ذكر جواب أحسن من هذا/ ١٢ كبير .

(٣) مالت إلى المهادنة والصلح لما رأت من الملوك ، وكتب الله سعادتها / ١٢ .

(٤) نقله محيي السنة / ١٢ .

(٥) لما أنكر عليهم الإمداد ، وعلل ذلك أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم على الإمداد ، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا/١٢ منه ، قال =

﴿تَفْرَحُونَ﴾ أو بل أنتم بهذه الهدية التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ، وأما أنا فغني عنها ، وقيل معناه : بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم ، وتفرحوا بها ، فيكون عبارة عن الرد، والهدية الذهب والجواهر مع الجواري والغلمان ﴿ارْجِعْ﴾ أيها الرسول ، ﴿إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ﴾: لا طاقة[1] ، ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا﴾ ، من بلدهم ، ﴿أَذِلَّةً﴾ ، ذليلين بذهاب أسباب عزهم ، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أسراء[2] ، ﴿قَالَ[3] يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ لما وصف الهدهد عرشها أعجبه فأراد أن يأخذه قبل إسلامها، لأنه يحرم عليه أموالهم بعد الإسلام ، أو طلب عرشها ليريها معجزة أخرى ، أو أراد اختبار عقلها بأن تعرف عرشها ، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾: خبيث قوي ، ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ بيان له ، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: من مجلسك للحكومة ، وكان يجلس إلى نصف النهار ، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾: على حمله ، ﴿لَقَوِيٌّ

= الرازي: أما الكلام في صفة الهدية فالناس أكثروا فيها لكن لا ذكر لها في الكتاب ، وقولها : " فناظرة بما يرجع المرسلون " فيه دلالة على أنها لم تثق بالقبول وجوزت الرد ، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان / ١٢، وفي الوجيز: وذكروا في الهدية أقوالاً مختلفة ، ومن حال سليمان مع الرجل حين وصلت الهدية ما الله أعلم بصحته ، ولا مدخل له في تفسير كلام الله، فأضربنا عنه /١٢ .

(١) وحقيقة القبل: المقاومة والمقابلة / ١٢ وجيز .

(٢) أسراء جملة حالية، قيل: في ذلك دليل على جواز الحالين الذي حال واحد ، وهي مسألة خلافية ، فقيل: يمكن أن يكون الثانية تأكيد الأولى فإنهما حال واحدة/١٢ وجيز .

(٣) سليمان حين رأى جماعة من بعيد فسأل عنهم قالوا : فوج بلقيس " يا أيها الملأ أيكم " إلخ / ١٢ وجيز .

أَمِينٌ[(١)] ﴾ على ما فيه من الجواهر ، فقال سليمان : أريد أسرع[(٢)] من هذا ، ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ﴾ جنس الكتب السماوية ، وهو آصف[(٣)] كاتبه صديق يعلم اسم الله الأعظم ، وعن بعض هو خضر ، وكان عرشها في اليمن وسليمان في بيت المقدس ، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي : قبل أن ترد طرفك التي أرسلت نحو شيء ، وهذا مثل في الإسراع ، وآتيك في الموضعين يحتمل الفعل واسم الفاعل ، ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾: العرش ، ﴿مُسْتَقِرًّا﴾: حاصلاً ، ﴿عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ اعترف بأنه فضل ، وهو غير مستحق به ، ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾: يعامل معي معاملة من يختبر عبده ، ﴿أَأَشْكُرُ[(٤)]﴾ نعمه فأرى ذلك من فضله بلا حول ولا قوة مني، ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أرى نفسي مستحقًا له أقصر في أداء مواجبه ، والفعلان بدلان من مفعول يبلو ، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ ترجع فوائده إليه ، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ، ﴿كَرِيمٌ ﴾ بالإفضال علي من يكفر ، ﴿قَالَ نَكِّرُوا﴾: غيروا ، ﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾ بتقديم شيء ، وتأخير شيء من أجزائه ، وتبديل جواهره عن مكانها ، ﴿نَنظُرْ﴾ جواب الأمر ، ﴿أَتَهْتَدِي﴾: إلى أنه عرشها ، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ ﴾: بلهاء[(٥)] لا تعرف شيئًا إذا ذكرت عندها بسخافة العقل ، ﴿فَلَمَّا

---

(١) لا أختلس منه شيئًا / ١٢ .

(٢) لأنه أراد أن يكون عرشها حين قدومها قائمًا عنده / ١٢ وجيز .

(٣) يعلم اسم الله الأعظم ودعاؤه: يا ذا الجلال والإكرام ، أو يا حي يا قيوم ، أو يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحدًا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها/١٢ منه .

(٤) والشكر كما قيل قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة / ١٢ وجيز .

(٥) قال وهب ومحمد بن كعب : خاف الجن أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن ، فإن أمها جنية فقالوا : إن في عقلها شيئًا وإن رجلها كحافر حمار ، وإنها شعراء الساقين، قيل: معناه لتهتدي للإيمان بأن رأت تلك المعجزة الأخرى ، أم هي من =

جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ رعت الحزم فما جزمت لقيام احتمال عقلي ، وهذا من ذكائها ، ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ بصحة نبوته ، ﴿مِن قَبْلِهَا﴾: قبل تلك المعجزة التي رأيناها اليوم ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾: منقادين له قبل مجيئنا ، ﴿وَصَدَّهَا﴾: منعها ، ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام ، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ، مستأنفة بمترلة العلة ، وقوله : " وصدها " إلى هنا إما من كلام الله ، أو من كلام سليمان ، أو قوله : " وأوتينا العلم " إلخ من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها؛ لأنه لاح من جوابها إيمانها بالله ورسوله ، حيث جوزت خرق العادة الذي هو من معجزات الأنبياء أي : وأوتينا العلم بالله قبلها ، وكنا منقادين لم نزل على دين الله ، وغرضهم من هذا الحديث التحدث بنعم الله شكرًا له ، وقيل معناه : وصد سليمان بلقيس عن عبادة الشمس ، أو صدها عن التوحيد عبادتها للشمس وكونها نشأت بين أظهر المشركين لا سخافة عقلها كما قيل ، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي[1] الصَّرْحَ﴾ القصر أُمر قبل قدومها فبُني قصر صحنه من زجاج أبيض وتحته

= المتأصلين في الكفر ، ومن حيث هذا لم يقل من اللاتي مثل قوله -في شأن مريم: "وكانت من القانتين" (التحريم:١٢) / ١٢ وجيز .

(١) أخرج ابن المنذر وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل : إن سليمان تزوجها بعد ذلك ، قال أبو بكر بن أبي: شيبة ما أحسنه من حديث، قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول : بل هو منكر جدًا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم ، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة من أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم لروايات كعب ووهب سامحهما الله فيما نقلا إلى هذه الأمة من بني إسرائيل من الأقاويل والغرائب ، والعجائب مما كان ومما لم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ انتهى، وكلامه هذا هو شعبة مما قد كررناه في هذا التفسير ، ونبهنا عليه في عدة مواضع ، وكنت أظن أنه لم ينبه على ذلك غيري، فالحمد لله على=

الماء ، وأُلقي فيه حيوانات البحر ، ووضع سريره في صدره ، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماءًا راكدًا ، ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ وإنما فعل ذلك ليريها عظمته ومعجزته، أو لأنه أراد أن يتزوجها ، وقد قيل له: إن قدميها كحافر حمار ، فأراد أن يبصرها فرأى أحسن الناس[1] ساقًا ، ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ ، مملس ، ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: زجاج فلا تخافي ولا تكشفي عن ساقيك ، ﴿قَالَتْ﴾ لما رأت معجزاته ودعاها إلى الإسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بالشرك ، ﴿وَأَسْلَمْتُ[2] مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيما أمر به عباده .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ

= هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف ، وقيل: انتهى أمرها إلى قولها: (أسلمت)، ولا علم لأحد وراء ذلك ، لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح / ١٢ فتح .

(١) وعند بعض : إن المقصود من الصرح إرادة عظمته ، وحصول كشف الساق تبع، وإما أنها كانت شعراء ، فأمر الجن فاحتالوا النورة فمذكور في القصص/١٢ وجيز .

(٢) مع اسم يدل على الصحبة واستحداثها، كما صرح به الزمخشري في سورة "يوسف" عند قوله: "ودخل معه السجن فتيان"(يوسف: ٣٦) ، وفي سورة " والصافات " في قوله : "فلما بلغ معه السعي"(الصافات: ١٠٢) فعلى هذا فالمراد أسلمت بالموافقة، أو بأن لقنها / ١٢ وجيز .

وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ
أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ
عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿**وَلَقَدْ**[١] **أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ**﴾ أي : بأن ، ﴿**اعْبُدُوا**[٢] **اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ**﴾: فريق مؤمن وفريق كافر ، ﴿**يَخْتَصِمُونَ**[٣]﴾ ، واختصامهم ما مر في سورة الأعراف " قال الذين استكبروا "(الأعراف: ٧٥) الآية ، ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ**﴾: بالعقوبة فتقولون: ائتنا بما تعدنا ، ﴿**قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾: التوبة،

---

(١) ولما ذكر قصة داود وسليمان وهما من بني إسرائيل، ذكر قصة من هو من العرب يذكر بهم العرب ، وينبئهم على أن العرب والعجم من الأنبياء يدعون إلى منع الشرك ليعلموا أنهم في ضلال من عبادة الأصنام فقال : " ولقد أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) قد مر مرارًا (أن) في مثله جاز أن تكون تفسيرية ، ومصدرية بتقدير حرف الجر/١٢ وجيز .

(٣) وعطف بالفاء؛ لأنهم بادروا بالاختصام متعقبًا دعاء صالح إياهم إلى عبادة الله وحده ، و"يختصمون" بصيغة الجمع على المعنى / ١٢ وجيز .

فتؤخروها إلى نزول العذاب ، كانوا يقولون إن صدق إيعاده: تبنا حينئذ، زاعمين أنها مقبولة حينئذ، فخاطبهم على حسب اعتقادهم ، ﴿لَوْلا﴾: هلا ، ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ قبل العذاب ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإنها لا تقبل حينئذ ، ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ، ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ فإنهم قحطوا وتفرقت كلمتهم منذ كذبوه ، ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي : شؤمكم عنده أتاكم منه بكفركم ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾: تختبرون بالخير والشر، أضرب عن بيان الطائر إلى ذكر ما هو الداعي إلى الضراء ، ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: في مدينة ثمود ، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي : أنفس ، وقع تميزًا للتسعة ، لأنه بمعنى الجماعة ، وهو من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة ، وهم الذين عقروا الناقة أبناء أشرافهم ، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾ يعني: أعمالهم محض فساد ، ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي : قال بعضهم لبعض احلفوا ، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أي : لنقتلنه ليلاً، ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ، والبيات: مباغتة العدو ليلاً ، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ لولي دمه ، ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: ما حضرنا إهلاكهم ، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ أي : ونحلف إنا لصادقون ، أو نقول له ذلك ، والحال إنا عند الناس عظماء صادقون قيل: إنا لصادقون في ذلك القول لأنا ما حضرنا مهلكهم وحده ، بل مهلكه ومهلكهم كأن الكذب عندهم أقبح من قتل نبي الله والمؤمنين ، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ بتلك المواضعة ، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: جازيناهم على ذلك ، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ بمكرنا ، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ فإنهم لما خرجوا لإهلاكهم بعد عقر الناقة دمغتهم الملائكة بالحجارة ، أو جثم عليهم جبل فماتوا ، ﴿وَقَوْمَهُمْ [1]أَجْمَعِينَ ﴾: وإهلاكهم

---

(١) روى أن صالحًا أخبرهم بعدما عقروا الناقة بمجيء العذاب فاتفقوا على قتل صالح ، فاختفوا في غار شاهرين أسيافهم بالليل، فأهلكهم الله و لم يشعر كل واحد بهلاك الآخر / ١٢ وجيز

بالصيحة ، وقراءة "إنا" بكسر الهمزة بالاستئناف ، وخبر كان "كيف"، وإن جعلتها تامة فـ(كيف) حال ، أو بدل ، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: خالية أو ساقطة، حال عاملها معنى الإشارة ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإن الجهال لا يتأملون حتى يتعظوا ، ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: صالحًا ومن معه ، ﴿وَلُوطًا﴾ أي : اذكره ، ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل ، ﴿لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ كأنها لقبحها ليست الفاحشة إلا إياها ، ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: يبصر بعضكم بعضًا لا تستترون ، وتأتون في ناديكم المنكر ، أو تعلمون أنها فاحشة[1]، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: تتركون المانع الشرعي والزاجر العقلي بمجرد شهوة ، ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ التي لا مانع لها لا شرعيًا ولا طبعيًا ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: سفهاء[2] ، ولما كان القوم في معنى المخاطب ذكر الفعل بصيغة الخطاب ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزهون عن أفعالنا ويعدونها أقذارًا، وعن ابن عباس: هذا استهزاء ، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي : قدرنا كونها من الباقين في العذاب ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: هو الحجارة ، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ قد مر إعرابه في آخر سورة الشعراء فتذكر ، ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ[3] وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ أمره أن يحمد على نصرة أوليائه وإهلاك أعدائه وأن السلام على عباد الله المصطفين الأخيار ، وهم الأنبياء ، وعن ابن عباس هم الصحابة

---

(١) فإنها مع العلم أقبح / ١٢ .

(٢) لا عقل ولا طبع / ١٢ .

(٣) لما فرغ من تلك القصص أمر نبيه بحمده ، وبالسلام على المصطفين على نصرة أوليائه وإهلاك أعداءه ، ثم أخذ في مباينة واجب الوجود للأصنام التي أشركوها مع الله تعالى، فقال : " آلله خير أما يشركون " الآية / ١٢ وجيز .

اصطفاهم لنبيه رضي الله عنهم ، ﴿آللَّهُ﴾ الذي نجّى من وحّده من الهلاك ، ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الأصنام التي لم تغن شيئًا عن عابديها ، وهو إلزام لهم وتسفيه لرأيهم ، فمن المعلوم ألاّ خير[1] فيما أشركوه أصلاً .

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

(١) وهم اعتقدوا فيه نفعاً بالجهل ، ولهذا عبر عنه بما لا يمن ، هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح: وهذه الخبرية ليست بمعناها الأصلي ، بل هي كقول الشاعر :

أتهجوه ولست له بكفءٍ ... فشركما لخيركما الفداء

فيكون ما في الآية من باب التهكم بهم، إذ لا خير فيهم أصلاً / ١٢ فتح .

﴿أَمَّنْ﴾ بل أمَّن ، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قيل: تقديره أما يشركون خير أمَّن خلق السماوات والأرض ، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ عدل إلى التكلم، للتنبيه على أن الإنبات الذي هوعندكم من أنفع الأشياء مختص به لا يقدر عليه غيره ، ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: بساتين ذات حسن ، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ ليس في قدرتكم ، ﴿أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾: أغيره يقرن به ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق ، ﴿أَمَّن[1] جَعَلَ﴾ بدل من (أمَّن خلق) ، ﴿الأَرْضَ قَرَارًا﴾: دحاها وسواها للاستقرار ، ﴿وَجَعَلَ خِلالَهَا﴾: وسطها ، ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والمالح ، ﴿حَاجِزًا﴾: مانعًا من قدرته لا يختلطان كما مر في سورة الفرقان ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: جهلاء ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الكفرة يعترفون بذلك لا يلجئون في حال الاضطرار إلا إليه ، ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾: سكانها يهلك قرنًا وينشئ آخر ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (ما) صلة ، أي : تذكرون تذكرًا قليلاً لا يترتب عليه نفع ، أو المراد من القلة العدم ، ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما خلق من الدلائل السماوية كالنجوم ، والأرضية كالجبال ، ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾: مبشرات ، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قدام المطر ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يقدر على مثله ، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الكفرة وإن أنكروا الإعادة، لكن كانت مبينة بالحجج الواضحة فهي ثابتة ، ﴿وَمَن[2] يَرْزُقُكُم

---

(١) ولما ذكر شيئًا مشتركًا بين السماء والأرض من إنزال الماء وإنبات الحدائق ذكر ما هو مختص بالأرض، فقال : " أمن جعل الأرض " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان إنعام الإيجاد لا يتم إلا بالرزق قال : " ومن يرزقكم من السماء والأرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ بأسباب سماوية وأرضية ، ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ[(١)]﴾ على أن مع الله إلهًا آخر ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، في دعواكم ، ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ[(٢)] إِلاَّ اللَّهُ﴾ ، لما بين اختصاصه بكمال القدرة أتبعه ما هو كاللازم له ، وهو التفرد بعلم الغيب ، وقد ذكر أنها نزلت حين سأل المشركون متى البعث والإعادة ، والاستثناء منقطع ، ورفعه على لغة بني تميم، واختيار تلك اللغة لنكتة ، وهي المبالغة في نفي علم الغيب عن غيره كما قالوا في:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس[(٣)]

والمراد بمن فيهما الموجودون ، فإن العوام يحسبون أن كل موجود فيهما البتة ، فعلى هذا الاستثناء متصل ، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ[(٤)] ﴾: متى ينشرون ، ﴿بَلِ ادَّرَكَ[(٥)] عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾: انتهى واضمحل، في شأن الآخرة لا يقرون بوجوده سيما بوقته، وقراءة "ادّراك" بمعناه ، أي : تتابع حتى انقطع قيل: بمعنى تلاحق ، وتساوى أي: هم في الجهل في أمر الآخرة سواء ، أو بمعنى أدرك انتهى وتكامل وادارك: تتابع ،

---

(١) هذا يدل على أنه لابد في الدعوى من البرهان ، وعلى فساد التقليد ، ولما بين أنه المختص بالقدرة، أخذ يبين أنه مختص بعلم الغيب ، وإذا ثبت ذلك ثبت أنه هو الإله المعبود ، لأن الإله هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس بأهل العقاب ، فقال : " قل لا يعلم " الآية / ١٢ كبير .

(٢) ولا يخفى على من له أدنى فهم، أن من أخبره الله بشيء من المغيبات لم يصدق عليه بحال أنه عالم الغيب ، كيف وهو جاهل إلا بما لقنه؟! / ١٢ وجيز .

(٣) رجز لجران العود في ديوانه ص ٩٧ .

(٤) نقل محيي السنة إن هذه الآية نزلت، حين سأل المشركون تهكمًا متى البعث والإعادة؟ / ١٢ وجيز .

(٥) كذا أوردها المصنف على وجه للقراءة.

واستحكم علمهم في يوم القيامة حين عاينوها ، ولا ينفعهم العلم كما قال تعالى" أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا "(مريم: ٣٨) ، الآية ، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي : لا يقرون بوجودها ، بل لهم الشك فيها فإن عدم الإقرار بشيء قد يكون لعدم التوجه إليه، وقد يكون بعده ، والثاني أقبح ، ويحسن الإضراب ، ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ[1]﴾: عيون قلوبهم عُمْي ، ومنشؤ عماهم الآخرة ، فلذلك عداه بمن دون عن، فإن الكفر بها صيرهم أضل من البهائم ، وهذا وإن كان خاصًا بالمشركين ممن في السماوات والأرض، نسب إلى الجميع كما يسند فعل البعض إلى الكل .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ
وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن
فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾
قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو
فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا
تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ
يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم
بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾

---

(١) ولما ذكر أنهم غير مقرين ، بل شاكون عُمْي القلوب، أثبت بالدليل فقال : " وقال الذين كفروا " الآية / ١٢ وجيز .

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾ من القبور أحياء، والعامل في "إذا" فعل يدل عليه " أئنا لمخرجون "، وهو يخرج؛ لأن ما بعد كل من الهمزة وإن واللام لا يعمل فيها قبله، وتكرير الهمزة لتأكيد الإنكار، ﴿**لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ**﴾: من قبل بعث محمد، ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾: سمرهم وأكاذيبهم، ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ حتى تعلموا أن هذا ليس بكذب وإسمار، ﴿**وَلاَ تَحْزَنْ**﴾ يا محمد، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾: على تكذيبهم وإعراضهم عنك، ﴿**وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ**﴾: حرج صدر، ﴿**مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾: من مكرهم فإن الله يعصمك، ﴿**وَيَقُولُونَ**[١] **مَتَى هَذَا الْوَعْدُ**﴾: القيامة، وقيل: وعد العذاب، ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم**﴾، دنا لكم وتبعكم، ﴿**بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ كيوم بدر، فإنه قامت فيه قيامتهم، وحكم لعل وعسى في مواعيد الملوك حكم الجزم، وإنما يطلقونه إظهاراً لوقارهم، وأن الرمزة منهم كافية في الأغراض، ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى**

---

(١) ولما ذكر أنهم في شك من القيامة، وأورد من كلماتهم ما دل ظاهره على شكهم، ثم أوعدهم بالهلاك، وسلّى فؤاد نبيه ذكر منهم ما دل على عنادهم وتماديهم في جهلهم مما يدل ظاهره أيضًا على شكهم، فقال: " ويقولون متى هذا الوعد " إلخ/١٢ وجيز.

النَّاسِ بتأخير عذابهم مع استحقاقهم ، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ وَإِنَّ[1] رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾**: ما تخفي ، **﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ[2]﴾**: خافية ، **﴿فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ[3] ﴾**: اللوح المحفوظ ، **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾**: كأمر عيسى وعزير ، وأحوال الجنة والنار ، **﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾** فإنهم أهل الانتفاع به ، **﴿إِنَّ[4] رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾**: بين المختلفين في الدين ، **﴿بِحُكْمِهِ﴾**: بما يحكم به، **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾**: فلا يرد حكمه ، **﴿الْعَلِيمُ ﴾** بأحوال من يحكم عليه وله ، **﴿فَتَوَكَّلْ[5] عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾**: والحق يعلو ولا يعلى، **﴿إِنَّكَ[6] لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾**: الكفار ، فإنهم كالموتى في عدم الانتفاع بما يستمعون ، **﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾** والكفار كالصم في تلك الحال، التي هي أبعد من الاستماع، فإن الأصم إذا كان حاضرًا قد يسمع ، **﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ﴾**: وهم عمي ، **﴿إِن تُسْمِعُ﴾** سماع انتفاع ، **﴿إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾**: من

---

(١) ولما كان الإمهال ربما يكون لجهل بذنوب المذنب نفاه بقوله : " وإن ربك ليعلم " الآية /١٢ وجيز .

(٢) ما من شيء في غاية الغيوبة والخفاء ، والتاء للمبالغة كراوية وعلامة / ١٢ .

(٣) فصحَّ أن الله محيط علمه، إذ لا خصوصية لهذا دون غيره بالنسبة إلى علمه/١٢ وجيز .

(٤) ولما ذكر الاختلاف، قال : " إن ربك يقضى " الآية / ١٢ .

(٥) ولما ثبت حكمه وعلمه، أمر نبيه بأن يعتمد كل الاعتماد عليه فقال : " فتوكل على الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٦) ولما قال : " إنك على الحق المبين " كأن سائلاً سأل فما بالهم لا يذعنون ؟ فقال : " إنك لا تسمع الموتى " الآية / ١٢ وجيز .

هو في علم الله مصدق بآياتنا، ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون منقادون ، فبلغ أنت رسالتك ، ولا تضيق صدرك ، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾: وجب العذاب والسخط ، ﴿عَلَيْهِمْ[1]﴾ حين لا يقبل من كافر الإيمان ، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً[2] مِّنَ الأَرْضِ﴾: من نفس مكة ، أو من بواديها ، وفي الحديث[3] (*)أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريب) ، ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام ، أو من الكَلْم ، أي : الجرح ، فقد ورد[4] إن عصا موسى تكون بيدها فتنكت في وجه المؤمنين نكتة بيضاء فتبيض منها وجوههم ، وبيدها خاتم سليمان ، وتنكت الكافر بها في وجهه فتسود منها وجوههم(**)، وفي الشواذ (تَكْلِمهم) بفتح التاء وجزم الكاف ، ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرئ بفتح الهمزة وكسرها ، ومن قال : إن هذا كلامها ، فيكون تقديره: بأن الناس ، والكسر لتضمين الكلام معنى القول ، وعند من يقول: إنه من الكلم ، أو كلامها إبطال كل دين سوى الإسلام ، أو لعنة الله على الكافرين، فتقديره: لأن الناس علة

---

(١) وعن أبي العالية، إنه فسر وقع القول بما أوحى إلى نوح "إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن"(هود:٣٦) نقله صاحب الفتح ، وفي الوجيز وقع القول: أنجز وعد عذابهم الذي يضمنه القول الأزلي الأولى من الله ، ولا يقبل من كافر إيمانه/١٢ .

(٢) والظاهر أنها واحدة ، وروى أنها تخرج في كل بلدة ، فعلى هذا دابة اسم جنس ، واختلف في كيفيتها اختلافًا لا ينضبط/١٢ وجيز .

(٣) رواه مسلم / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه مسلم في "أشراط الساعة" / باب: ذكر الدجال (٧٩٨/٥) ط الشعب.

(٤) رواه ابن ماجه وأبو داود ، وابن جريج / ١٢ وجيز

(**) أخرجه ابن ماجه (٤٠٦٦) وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٦٠٨).

لتكلمهم ، أو لأخرجنا ، وعلى كسرها مستأنفة ، ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني بخروجها ، وسائر أحوالها، فإنهما من آيات الله ، أو بالقرآن ، فإن أكثر الناس حينئذ كفار ، ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ وكلاهما على بعض التوجيهات حكاية لقول الله .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَيَوْمَ[1] نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ "من" للتبعيض ، ﴿فَوْجًا﴾: جماعة ، ﴿مِّمَّن﴾ "من" للبيان ، ﴿يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ، وهو

---

(١) ولما كان من فعل الدابة التمييز بين المؤمن والكافر دفعة، تلاه بتمييز كل فريق منهما عن صاحبه بنوع آخر، فقال : " ويوم نحشر " الآية / ١٢ وجيز .

عبارة عن كثرتهم ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ إلى المحشر ، ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال أي : أكذبتموها بادئ الرأي من غير إحاطة علم بكنهها أو للعطف ، أي : أجمعتم بين التكذيب ، وعدم التأمل لتحققها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أم أي شيء كنتم تعملون بها بعد ذلك؟! وهذا توبيخ وتبكيت كما تقول لعبدك الذي أكل مالك ، وأنت تعلمه : أكلته أم بعته أم ضل عنك أم ماذا عملت به ؟! ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ حل عليهم العذاب الموعود ، ﴿بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لاَ[1]يَنطِقُونَ ﴾ بحجة وعذر في جواب هذا السؤال عنهم ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ألم ينظروا ويتفكروا؟ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالقرار والنوم ، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ في نصب مبصرًا بالحال مبالغة ، فإن ما هو حال لأهله جعله من أحواله يعني: لو تأملوا لعلموا كمال قدرته ولطفه على خلقه ، فما أنكروا الحشر وشكروا نعمه فما أشركوا به ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[2] ﴾ فإنهم المتأملون في مثل تلك الآيات ، ﴿وَيَوْمَ﴾ أي : اذكر يوم ، ﴿يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إسرافيل في آخر عمر الدنيا ، والمراد الزمان الممتد الشامل لزمان النفختين ، ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ[3]﴾ من الهول ، وعن بعضهم معناه يلقى عليهم الفزع

---

(١) لأنه لا عذر لهم ، وقيل: يختم على أفواههم ، فيكون ذلك في موطن من القيامة ولما ذكر الحشر استدل عليهم بحشرهم كل ليلة إلى المبيت ، والختم على مشاعرهم وبعثهم من المنام، فقال : " ألم يروا أنا جعلنا " إلخ / ١٢ وجيز .

(٢) فإنهم لو تأملوا لعلموا كمال قدرته ولطفه على خلقه وأن النوم كالموت ، والنهار كالبعث ، فما أنكروا البعث وما أشركوا ، ولما ذكر هذا الحشر الخاص الذي هو كالدليل على الحشر العام أعقبه بالحشر العام ، فقال : " ويوم ينفخ في الصور " الآية/١٢ وجيز .

(٣) عن أبي هريرة إن النفخ ثلاث نفخة فزع في حياة الدنيا ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام من القبور / ١٢ وجيز .

إلى أن يموتوا ، ﴿إِلاَّ مَن شَاءَ[١] اللَّهُ﴾ ، عن كثير من السلف : هم الشهداء[٢] لا يصل إليهم الفزع أحياء عند ربهم ، أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، لا يصل إليهم الفزع ثم يقبض أرواحهم ، أو موسى بدل صعقته في الدنيا ، أو الحور والرضوان ومالك والزبانية ، وقيل غير ذلك ، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ المراد حضورهم الموقف ، ﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغرين ، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: ثابتة في مكانها ، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ في السرعة والأجرام العظام إذا تحركت لا يكاد تتبين حركتها[٣] كالسحاب ، ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه من مضمون (يوم ينفخ) الآية ، ﴿الَّذِي أَتْقَنَ﴾: أحكمَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ وأودع فيه من الحكم ما أودع ، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه ، ﴿مَن جَاءَ﴾ في ذلك اليوم ، ﴿بِالْحَسَنَةِ[٤]﴾: كلمة التوحيد ، والإخلاص ، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: رضوان الله ، أو تضعيف حسنته ، ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ نوع فزع ، وهو فزع دخول النار ، أو الفزع مطلقه، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أجمع السلف على أن المراد من السيئة هنا الشرك ، ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ، المراد من الوجوه: الأنفس ، أو ذكر الوجوه للإيذان

(١) فلا ينالهم الفزع ، ونعم ما قيل: الله أعلم بثنياه / ١٢ وجيز .

(٢) مقلدون السيوف حول العرش / ١٢ وجيز .

(٣) وذلك أحوال الجبال تسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ، ثم تكون هباء منثوراً/١٢ وجيز .

(٤) وبالحسنة الإيمان أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن مردويه عن أبي هريرة (عن النبي صلى الله عليه وسلم "من جاء بالحسنة فله خير منها " قال : هي لا إله إلا الله" ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار " قال :هي الشرك) ، وإذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمصير إليه في التفسير متعين/١٢ فتح .

بأنهم يكبون فيها منكوسين ، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إلاَّ مَا كُنتُمْ[1] تَعْمَلُونَ﴾ أي : قيل لهم ذلك ، ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أمر رسوله أن يقول لهم ذلك ، والبلدة مكة حرم الله صيدها ونباتها وأشجارها[2] ولقطتها ، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: ملكًا ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله ، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ على الناس ، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾: بالقبول والاتباع ، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لا ينفع إلا نفسه ، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: بعدم القبول والاتباع ، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ فلا علي من ضلالكم شيء ، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم عليَّ من النبوة والعلم ، ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ في الدنيا كوقعة بدر ، ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ حين لا ينفعكم ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فتأخير العذاب ليس لغفلة ، بل لرحمة.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) فما ذلك إلا عدل ، ولما رغب ورهب بقوله "هل تجزون" أمر الله نبيه بأن يبين شغله وحال أمته معه ليتميز القسمان القسيمان ، فقال : " إنما أمرت " الآية/١٢ وجيز .

(٢) ولما في الحديث (إن إبراهيم حرم مكة) فالمراد أنه أخبر بذلك ، ومنه ظهر حرمتها ، وله كل شيء خلقًا وملكًا ، فله التحريم والتحليل / ١٢ وجيز .

سورة القصص مكية

قيل إلا قوله: "الذين آتيناهم الكتاب" إلى قوله: "الجاهلين"

وهي ثمان وثمانون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم*

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ
لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ
فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ
إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ
فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ
وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن
كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا
يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ

أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿طسم تِلْكَ﴾ إشارة إلى السورة ﴿آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾ القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿ نَتْلُو﴾: نقرء بلسان جبريل أو نترل ﴿ عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ﴾ مفعول نتلوا ومن للتبعيض ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ محقين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لأهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ استئناف يبين بعض النبأ ﴿عَلَا فِي الأَرْضِ﴾ استكبر في أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أصنافًا يصرف كل صنف فيما يريد ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ حال من فاعل جعل ﴿طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بدل من يستضعف ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يخليهن أحياء للخدمة ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية ﴿أَن نَّمُنَّ﴾ نتفضل ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ بإنقاذهم من بأسه ، والجملة عطف على " إن فرعون " أو حال من مفعول يستضعف " وأن نمن " مستقبل وإرادة الله إذا تعلقت بشيء في زمان مترقب وجب أن لا يتوقف عن ذلك الزمان ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة في الخير أو ملوكًا ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾: لما كان في تحت يد فرعون وقومه ، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾: نسلطهم في أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾ من بني إسرائيل متعلق بنرى ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ من ذهاب ملكهم في يد مولود من بني إسرائيل فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَأَوْحَيْنَا[1]﴾

---

(١) ألهمنا : أي هذا وحي إلهام لا وحي نبوة قال قتادة : قذفنا في قلبها، وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب هذا ما قاله محيي السنة ، وفي الفتح وقد أجمع العلماء على أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها عند من قال به على نحو تكليم الملك للأقرع =

ألهمنا [1] ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما دمت غير خائفة عليه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من أن يحس فرعون به ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ[2]﴾ بحر نيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه فعلينا حفظه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ في هجره ﴿إِنَّا رَادُّوهُ[3] إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ فإن أمه جعلته في تابوت ، وسيرته في النيل فوقع التابوت في نهر كان يجرى منه إلى بيت فرعون فأخذه أهل داره ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللام لام العاقبة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ مذنبين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم على أيديهم، أو خاطئين في الأفكار فأخطئوا في تربية عدوهم ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ[4] فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون حين فتحت التابوت ورأت[5] فيه غلاماً هيًّا ﴿قُرَّتُ﴾ أى: هو قرة ﴿عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فأجابها أما لك فنعم ، وأما لي فلا فكان كذلك ﴿لَا تَقْتُلُوهُ[6]﴾ فإنه جاء من أرض أخرى، وهو أكبر[7] من ابن سنة ﴿عَسَى

= والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما ، وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت الصحيح فلم يكن بذلك نبيًا /١٢ .

(١) أى : ألهمناها الذي صنعت قاله ابن عباس / ١٢ فتح .

(٢) يعني اجعليه في تابوت كما مر في سورة طه / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا كما قيل يمكن تحمل الفراق حين رجاء التلاق/١٢ وجيز .

(٤) وقد هم مع أعوانه بقتله ، وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وبنات الأنبياء ، وقيل: كانت من بني إسرائيل ، وقيل: كانت عمة موسى حكاه السهيلى/١٢ فتح .

(٥) ألقى الله حبه على قلب آسية / ١٢ وجيز .

(٦) قيل : إنها قالت لا تقتلوه فإن الله أتى به من أرض بعيدة ، وليس من بني إسرائيل ثم عللت ما قالته بالترجي منها الحصول النفع منه لهم أو التبني له فقالت " عسى أن ينفعنا " الآية / ١٢ فتح .

(٧) وفرعون لا يخاف إلا من أبناء تلك السنة / ١٢ وجيز .

﴿أَن يَنفَعَنَا﴾ فإن آثار اليمن تظهر منه **﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾** نتبناه فليس لها ولد منه **﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** من كلام الله أي : التقطوا ، وقيل : كذا وكذا أو الحال أهم لا يشعرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه وقيل: من كلام امرأة فرعون والضمير للناس ، أي : نتخذه ولدًا والناس لا يشعرون أنه ولد غيرنا **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ[1] أُمِّ مُوسَى فَارِغًا[2]﴾** خاليًا من كل شيء كالمجنون في غم ولدها[3] **﴿إِن كَادَتْ﴾** إنها كادت **﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾** أي : من شدة الحزن كادت تظهر أن لها ولدًا ذهب به الماء **﴿لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾** بالصبر جوابه ما يدل عليه ما قبله **﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[4]﴾** من المصدقين بوعد الله حين ألهمها بأنا رادوه إليك وهو علة الربط قيل: معناه أصبح فؤادها خاليًا من الغم لسماعها أن فرعون تبناه وكادت من الفرح تظهر حاله **﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ﴾** أخت موسى مريم[5] **﴿قُصِّيهِ﴾** اتبعى أثره وتتبعي خبره **﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾** عن بعد **﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** أنها أخته **﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾** تحريمًا قدريا ، يعني منعناه من أن يرتضع من المرضعات **﴿مِن قَبْلُ[6]﴾** من قبل تتبعها

---

(١) لما علمت بالتقاطه/ ١٢.

(٢) من كل شيء إلا من أمر موسى كأنها لم تهتم بشيء سواه ، قاله المفسرون/١٢ فتح.

(٣) حين سمعت أن ولدها التقطه آل فرعون / ١٢ وجيز .

(٤) قال يوسف بن الحسين: أمرت أم موسى شيئين وبشرت عن شيئين وبشرت بشيئين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها / ١٢ فتح .

(٥) وقال الضحاك : إن اسمها كائمة ، وقال السهيلي: كلثوم ذكره الماوردي/١٢ فتح .

(٦) أي : قبل رده إلى أمه ، أي : منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة/١٢ جلالين ، وكانت امرأة فرعون طلبت لموسى المرضعات ليرضعنه فلم يرضع من واحدة منهن/١٢ .

فَقَالَتْ[1]﴾ أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾ يضمنونه ويرضعونه ، لكم : لأجلكم ﴿لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ لا يقصرون في خدمته قيل لما قالت ذلك القول أخذوها ، وقالوا: عرفت هذا الولد فدلينا ، فقالت : لا أعرفه وإنما أردت أنهم للملك ناصحون لا للولد حتى استدللتم على أني أعرفه فخلوها فأتت بأمها فالتقم ثديها فقالوا: من أنت منه ، فقالت: إني امرأة طيبة النشر لا أوتى بصبي إلا قبلني فأعطوه إياها مع أجر وعطاء جزيل فذهبت به إلى بيتها شاكرة ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيته ﴿وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ في رده إليها وجعله من المرسلين ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ[2]﴾ غرضنا في رده إليها، أو لا يعلمون أن وعدنا رده إليها أو أن وعده حق.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ

(١) لما رأت حنوهم عليه وامتناعه من الرضاع / ١٢ .

(٢) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: " ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين "(الشعراء:١٨)/١٢ جلالين .

فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾
فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي
كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ
أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ
يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ
النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهى قوته وهو ما فوق الثلاثين ﴿وَاسْتَوَى[1]﴾ اعتدل عقله ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بالدين أو حكمة وفهما قبل النبوة ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ مثل ذلك الجزاء نجزيهم ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ مدينة بأرض مصر وهذه الجملة ذكر سبب وصوله إلى النبوة وقصته على الوجه الأول الذي فسرنا الحكم بالنبوة ، فإنها كانت قبل بعثته﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ﴾ من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من القبط والإشارة على الحكاية ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾ طلب أن يغيثه

---

(١) أي : بلغ أربعين سنة كذا روى ابن أبي حاتم ، وابن جرير عن مجاهد أن بلوغ الأشد في ثلاث وثلاثين والاستواء في أربعين ، وعن ابن عباس أن الأشد ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين ، والاستواء ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والتحقيق أن أصل معناه القوة ، وهي تختلف باختلاف الأوقات والأعصار ، ولذا وقع له تفاسير مختلفة في كتب اللغة ، والتفسير بحسب القرائن/١٢ كمالين حاشية جلالين.

بالعون ﴿الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ لما كان فيه معنى طلب العون عدى بعلى ﴿فَوَكَزَهُ﴾ هو الضرب بجمع الكف أو الدفع بأطراف الأصابع ﴿مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ فقتله ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾ اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ معينًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لمن أدت مظاهرته إلى جرم أو معناه أقسم بإنعامك علي وجوابه محذوف ، أي : لأتوبن ، وعن ابن عباس لم يستثن ، فابتلى به مرة أخرى ، أي : لم يقل فلن أكون إن شاء الله ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ[1]﴾ ينتظر[2] سوءً ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ ذاك الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِخُهُ[3]﴾ يستغيثه ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فإنك تسببت لقتل ، ثم تدعوني إلى آخر ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ بالقبطي ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي: ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ لما سمى الإسرائيلي غويًا ظن أن البطش عليه ﴿إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس فلما سمع القبطي هذا الكلام منه راح إلى باب فرعون ، وأخبره فأمر بقتل موسى وأخذ جنوده الطرق لأخذه ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ من آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع صفة لرجل ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ فرعون وأشرافه ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ يتشاورون ﴿بِكَ﴾ بسببك

---

(١) أو يترقب الأخبار هل وقفوا على ما كان منه ، قيل: يترقب نصرة ربه / ١٢ وجيز .

(٢) لحوق طالب أو غوث الله إياه / ١٢ .

(٣) يستغيث به على قبطي آخر من الصراخ والمعنى يطلب منه أن يزيل صراخه/كمالين ١٢.

﴿لِيَقْتُلوكَ فَاخْرُجْ﴾ من البلد ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ لك بيان لا صلـه مقـدم ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق شر ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَـوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ من شرهم.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾
وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن
دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ
ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ
إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى
ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ
وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ
إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ
إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ
فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا
عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ ﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ[1]﴾ قبالة ﴿مَدْيَنَ﴾ قرية شعيب ، و لم تكن تحت سلطان فرعون ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ قصد الطريق ، وكان لا يعرف الطريق إلى مدين فتوكل وتوجه﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وصل إلى بئر لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان غنمهما عن الماء انتظارًا لخلو شفير البئر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما تذودان؟ ﴿قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ﴾ يصرف ﴿الرِّعَاءُ﴾ مواشيهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يستطيع الخروج للسقي ، ونحن ضعفاء لا نقدر على مزاحمة الرجال﴿فَسَقَى﴾ مواشيهما ﴿لَهُمَا﴾ رحمة عليهما عن عمر : " لما فرغ[2] الناس جعلوا صخرة لا يستطيع رفعها إلا عشرة على رأس البئر فرفع موسى الحجر وحده ثم لم يستق إلا ذنوبًا واحدًا ودعا بالبركة وروى غنمهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ ﴾ محتاج سأل ربه أن يرزقه شيئًا ليأكل فإنه من الجوع في غاية "وما " موصوفة وتنكير خير للشيوع أى : قليل أو كثير ، وتعدية فقير باللام لأنه ضمن معنى طالب وسائل ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مستحيية متسترة بكم[3] درعها ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ فإنهما لما رجعتا سأل أبوهما عن سرعتهما اليوم في السقى فقصتا ،

---

(١) جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ، ولم يكن يعرف طريقها قال : " عسى ربي أن يهديني سواء السبيل " فأرسل الله إليه ملكًا بيده عنزة فانطلق به إليها / ١٢ جلالين .

(٢) قوله " عن عمر " إلخ رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، وقال الشيخ ابن كثير: إن إسناده صحيح/١٢ وجيز .

(٣) أي : واضعة كم درعها على وجهها حياءً منه كذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وفيه مشروعية ستر الوجه للحرة ، وأنه لا باس بكلامها مع الرجال / ١٢ كمالين .

فبعث إحداهما لتدعوه ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ جزاء سقيك ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أخبره بأمره الذى أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ[1] نَجَوْتَ[2] مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فرعون وقومه ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعى الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وهو كذلك علمت قوته من قلع الحجر ، وأمانته من أنه أمرها بأن تكون خلفه في الطريق كيلا يراها ، واختلف في أنهما ابنتا شعيب أو ابن أخيه أو رجل مؤمن من قومه[*] ﴿قَالَ

---

(١) قيل: قرب إليه طعامًا فقال موسى: إنا من أهل بيت لا نبيع ديننا على ملء الأرض ذهبًا فأجابه شعيب: ليس هذا عوض السقى ، ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف فأكلا عليهما الصلاة والسلام / ١٢ وجيز .

(٢) لأن فرعون لا سلطان له على مدين ، وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ، ولو عبدًا أو أنثى ، وعلى المشي مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع وللرازى في هذا الموضع إشكالات باردة [هذه الكلمة ترد كثيرا في تعليقات الشارح] جدا لا تستحق أن تذكر في تفسير كلام الله عز وجل ، والجواب عليها يظهر للمقصر فضلاً عن الكامل ، وأشف ما جاء به أن موسى كيف أجاب الدعوة المعللة بالجزاء لما فعله من السقي ويجاب عنه بأنه اتبع سنة الله في إجابة دعوة نبي من الأنبياء ، ولم تكن تلك الإجابة لأجل أخذ الأجر على هذا العمل ، وفي الكشاف إن طلب الأجرة لشدة الفاقة لا يكره ، ويشهد لصحته " لو شئت لاتخذت عليه أجرًا"(الكهف:٧٧) / ١٢ فتح .

(*) الراجح بعد التحقيق أنه ليس بشعيب النبي، وإليه جنح ابن كثير، والذي يحمل على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له، ولم يبق معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيب النبي بين بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، يضاف إلى هذا أن شعيبا قال لقومه كما حكى الله عنه: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾، ولوط عليه السلام كان في عهد الخليل إبراهيم، وبين إبراهيم وموسى مفاوز، فكيف يكون الشيخ الكبير هو شعيب النبي؟!

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ[1] إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي﴾ من أجرته إذا كنت له أجيراً ، فقوله: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ ظرفه ، أو من أجرته كذا إذا اثبته إياه ، فثماني حجج ثاني مفعوليه ، أى : رعية ثماني حجج﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ عمل عشر حجج ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ فإتمامه من عندك تفضلاً وتبرعًا ، ويمكن أن يكون مثل هذا النكاح جائزاً في شرعهم ، ويمكن أن يكون هذا استدعاء العقد لا نفسه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بالإلزام إتمام العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن الصحبة ، والوفاء بالقول ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي عاهدتنى فيه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ قائم لا نخرج عما شرطنا ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ﴾ الأقصر والأطول ﴿قَضَيْتُ﴾ ما زائدة ﴿فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه ، ولي الخيار مطلقًا ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ من المشارطة ، ﴿وَكِيلٌ﴾ شاهد.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ

(١) فيه مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل وهذه سنة ثابتة في الإسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على أبي بكر وعثمان والقصة معروفة ، وغير ذلك ومما وقع في أيام الصحابة ، وأيام النبوة / ١٢ فتح .

فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢)
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِى هَٰرُونُ
هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَهُم
مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ
ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ
وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ
فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ
إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم
مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ (٤٢) ﴾

﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ**[١]﴾ في الحديث قضى أطولهما ﴿**وَسَارَ بِأَهْلِهِ**﴾ بامرأته بنته الصغرى وقيل الكبرى ﴿**آنَسَ**﴾ أبصر ﴿**مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا**﴾ وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد ﴿**قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا**﴾ لعل معها غيرها أو عظمها لأنها ابنة

---

(١) روي البخاري عن ابن عباس أنه قضى أطولها / ١٢ وجيز .

نبي ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ من الطريق فإنه أخطأ الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظٍ ﴿مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ تستدفئون بها من البرد ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ﴾ جانب ﴿الْوَادِي[1] الْأَيْمَنِ﴾ عن يمين موسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ متصل بالشاطئ ، أو صلة لنودي ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ[2]﴾ بدل اشتمال من شاطئ فإنها نابتة على الشاطئ ﴿أَن يَا مُوسَى﴾ أن مفسرة ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[3]﴾ أي : الذي يكلمك رب العالمين ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على أن يا موسى ﴿فَلَمَّا رَآهَا﴾ أي : فألقاها وصارت ثعباناً تهتز فلما رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾ تتحرك بسرعة ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ، حية صغيرة من سرعة حركتها[4] ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ منهزماً من الخوف ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع ﴿يَا مُوسَى﴾ أي: نودي يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ فرجع ووقف في مكانه الأول ﴿اسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ كأنها قطعة قمر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ كبرص ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ أمر أن يضم إليه يده إذا خاف من شيء ، وعن ابن عباس وغيره إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يَخِفّ ويزول خوفه فمن الرهب أي : من أجله أو معناه تجلد ولا ترتعد من الخوف ، والطائر ينشر جناحيه حين خوفه ويضم حين اطمئنانه ﴿فَذَانِكَ﴾ العصا واليد ﴿بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ معجزتان ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾

---

(١) صفة لشاطئ أو الوادي على معنى اليمن والبركة وبركتها لما خصت به من آيات الله وأنواره تكليمه لموسى ، ولما خلق فيها من الأرزاق والثمار الطيبة/١٢ وجيز .

(٢) قيل: هي عناب / ١٢ وجيز .

(٣) وقد حكى الله تعالى في كل سورة من مثل طه والنمل بعض ما اشتمل عليه النداء/١٢ وجيز .

(٤) وإن كانت هي في نفسها عظيمة الجثة / ١٢ وجيز .

أي : مرسلاً بهما إليه ﴿وَمَلإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُون[1] ﴾ بها ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ وقد مر أن له نوع لكنة ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينًا ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بإتمام الحجة ورفع الشبهة ويصدقني بالجزم جواب ، وبالرفع صفة ردءًا ، وعن مقاتل أرسله يصدقني فرعون لأن خبر الاثنين أوقع ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ﴾ فإن اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن تقوى بشدة[2] اليد ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بسبب إبلاغكما آيات الله ، وقيل متعلق بنجعل ﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ ﴾ وقيل: بآياتنا متعلق بالغالبون على أن يكون اللام فيه للتعريف لا بمعني الذي﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعونا إليه أو السحر ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ في أيامهم ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ بعد أن كذبوه ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ﴾ فيعلم حقيتي وبطلانكم ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ النصرة والعاقبة المحمودة في الدنيا ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أظهر عند الرعية أن وجود إله غيره غير معلوم ، وأنه يستطيع أن يحقق ذلك ، فلذلك أمر ببناء صرح وقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ أطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ بناءً مشرفًا عاليًا ﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ[3] إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ كأنه ظن

---

(١) ولم يتم أمر الرسالة / ١٢ وجيز .

(٢) على مزاولة الأمور ، فهو مجاز مرسل من باب إطلاق السبب على المسبب بمرتبتين/١٢ وجيز .

(٣) كأنه سمع من موسى أن الله في السماء هذا ما في الوجيز ونقل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام عن الإمام أبي الحسن الأشعرى أنه قال في كتابه (اختلاف

=

....

= المصلين ومقالات الإسلاميين): كذب فرعون موسى في قوله إن الله فوق السماوات. انتهى . وفي كتاب العلو للذهبي يعني : أظن موسى كاذبًا في أن إلهه في السماء ، ولو لم يكن موسى عليه السلام يدعوه إلى أنه في السماء لما قال هذا ، إذ لو كان موسى قال له إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء لكان هذا القول من فرعون عبثًا وكان بناء القصر جنونًا انتهى ، وقال العلامة الحافظ ابن قيم في القصيدة النونية :

هذا وسابع عشرها إخباره	سبحانه في محكم القرآن
عن عبده موسى الكليم وحربه	فرعون ذي التكذيب والطغيان
تكذيبه موسى الكليم بقوله	الله ربي في السماء بنان
ومن المصائب قولهم إن اعتقا	د الفوق من فرعون ذي الكفران
فإذا اعتقدتم ذا فأشياع له	أنتم وذا من أعظم البهتان
فاسمع إذا من ذا الذي أولى بفر	عون المعطل جاحد الرحمن
وانظر إلى ما جاء في القصص التي	تحكى مقال إمامهم ببيان
والله قد جعل الضلالة قدوة	بأئمة تدعو إلى النيران
فإمام كل معطل في نفيه	فرعون مع نمرود مع هامان
طلب الصعود إلى السماء مكذبًا	موسى ورام الصرح بالبنيان
بل قال موسى كاذب في زعمه	فوق السماء الرب ذو السلطان
فابنوا لي الصرح الرفيع لعلني	أرقى إليه بحيلة الإنسان
وأظن موسى كاذباً في قوله	الله فوق العرش ذو سلطان
وكذاك كذبه بأن إلهه	ناداه بالتكليم دون عيان
هو أنكر التكليم والفوقية الـ	عليا كقول الجهم ذي صفوان
فمن ذا الذي أولى بفرعون إذًا	منا ومنكم بعد ذا التبيان

بجهله أنه لو كان لكان جسمًا في السماء يمكن الصعود إليه ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ في أن لكم إلهًا غيري وهو رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ بغير استحقاق ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾ اعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ ألقيناهم ﴿فِي اليَمِّ﴾ ككف رماد ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فحذر قومك عن مثلها ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ قدوةً وسادةً للضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يلعنهم الرسل والمؤمنون ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُم مِّنَ المَقْبُوحِينَ﴾ سود الوجوه زرق العيون.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا

= يا قومنا والله إن لقولنا ... إلفًا تدل عليه بل إلفان
عقلاً ونقلاً مع صريح الفطرة ... الأولي وذوق حلاوة القرآن
كل يدل بأنه سبحانه ... فوق السماء مبائن الأكوان
أترون أنا تاركوا ذا كله ... لجعاجع التعطيل والهذيان

انتهى. وقال شيخ الإسلام: ولا ريب أن قول هؤلاء يعني منكري الفوقية والتكليم يُئَوِّلُ إلى قول فرعون وإن كانوا يفهمون ذلك فإن فرعون كذب موسى في ما أخبره به من أن ربه هو الأعلى وأنه كلمه كما قال تعالى: " وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً " إلى " وإني لأظنه كاذبًا " وهو قد كذب موسى في أن الله كلمه/١٢.

قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ
يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ
كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ[(١)]﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم فرعون ونوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ من عمى القلب والغي ، نصب على الحال من الكتاب ﴿وَهُدًى﴾ إلى الطريق المستقيم ﴿وَرَحْمَةً﴾ لو عملوا به نالوا رحمة الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليكونوا على حالٍ يرجى منهم التذكر ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ حاضرًا في جانب الغربي من الجبل الذى كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ فوضنا إليه أمر الرسالة ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك حتى تعرف هذه القصة وترى هذه الأحوال فما

---

(١) التوراة وهو أول كتاب فيه الفرائض والأحكام / ١٢ وجيز .

هو إلا من إعلام الله ووحيه ، فكيف يرتاب أحد في نبوتك ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ خلقنا أممًا بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فخربوا الشرائع ، وكذبوا الرسل وأفسدوا ، ونسوا عهودهم فلذلك كذبوك وإن كانت دلائل نبوتك ظاهرة ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هم شعيب(*) والمؤمنون به ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ تقرأها عليهم تعلمًا منهم ﴿آيَاتِنَا﴾ التي فيها قصتهم فتحكى ما رأيت ، وتعلمت قال بعض المفسرين معناه : ما كنت فيهم رسولاً تتلوا عليهم آياتنا فتقص ما قد رأيت منهم ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ إليك أخبارهم بوحينا ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا(١)﴾ موسى وأعطيناه التوراة، وقلنا له خذ الكتاب بقــوة، وعن بعض السلف

(*) في القطع بأنه شعيب النبي نظر، وانظر التعليق السابق.

(١) اعلم أنه تعالى وصف نفسه بالمناداة ، والمناجاة في قوله : وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا" (مريم:٥٢) وقوله : " ويوم يناديهم " (القصص:٦٢) وقوله "وناداهما ربهما" (الأعراف:٢٢) ووصف عباده بالمناداة والمناجاة فقال : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون "(الحجرات:٤) ، وقال : و"إذا ناجيتم الرسول"(المجادلة:١٢) ، وقال : و"إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان " (المجادلة:٩) ، وليس المناداة كالمناداة ، ولا المناجاة كالمناجاة ولا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ، ونفي مماثلته لخلقه ، فمن قال: ليس له نداء ولا نادى ، ولا ناجى كان معطلاً جاحدًا ممثلاً له بالمعدومات والجمادات ، ومن قال: له نداء كنداء المخلوقات كان مشبهًا ممثلاً له بالحيوانات ، بل لابد من إثبات بلا تمثيل وتتريه بلا تعطيل ولله المثل الأعلى ، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في القصيدة النونية :

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان

وأتى النداء في تسع آيات له ... وصفًا فراجعها من القرآن

واذكر حديثًا في صحيح محمد ... ذاك البخاري العظيم الشان

فيه نداء الله يوم معادنا ... بالصوت يبلغ قاصيًا والدَّانِ

=

معناه إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألني موسى رؤيتك ، وقلت له إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعتك صوت أمته ﴿وَلَكِن﴾ علمناك وأوحينا إليك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ عليك وعلى أمتك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بما قدرناه عاملاً في رحمته ﴿مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنهم في فترة بينك وبين عيسى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لكي يتعظوا ﴿وَلَوْلا﴾ هي امتناعية ﴿أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا﴾ الفاء للعطف على تصيبهم ﴿رَبَّنَا لَوْلا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ﴾ الفاء جواب لولا الثانية ﴿آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وجواب لولا الأولى محذوف ، أي : لما أرسلناك وحاصل الآية لولا قولهم ربنا هلا أرسلت رسولاً نؤمن به ويعلمنا الدين، إذًا عاقبناهم بسبب ما كسبت أيديهم من المعاصى لما أرسلناك

= وفي صحيح البخاري عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان " وعن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا قضي الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان " عن أبى سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "يقول الله : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار" انتهى . وقال شيخ الإسلام في بعض رسائله: وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، فإنه قد أخبر أنه نادى موسى في غير موضع من القرآن والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة انتهى ، وقال الحافظ ابن قيم في القصيدة المذكورة :

أيصح في عقل وفي نقل نداء	ليس مسموعًا لنا كآذان
أم أجمع العقلاء والعلماء من	أهل اللسان وأهل كل لسان
إن الندا الصوت الرفيع وضده	فهو النجاء كلاهما صوتان
والله موصوف بذاك حقيقة	هذا الحديث ومحكم القرآن

انتهى .

فإرسالك لئلا يكون لهم حجة علينا إن عذبناهم يعني هم مستحقون للعقاب لكن تأخيره وإرسالك لقطع الحجة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ أي: محمد عليه السلام ﴿قَالُوا﴾ عنادًا ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من اليد والعصا وغيرهما ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا﴾ أي : ألم يؤت موسى ما أوتي وألم يكفروا أى أبناء جنسهم ، وهم كفرة زمان موسى ﴿بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا﴾ في موسى وهارون ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ تعاونا واتفقا ، وقراءة " سحران " في معني ذوا سحر أو سموهما سحران للمبالغة ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ منهما ﴿كَافِرُونَ﴾ أو معناه يطلب قريش منك مثل معجزات موسى ، أو لم يكفروا بمعجزاته وقالوا فيكما يا محمد وموسى ساحران كل يصدق الآخر ، ويعاونه أو القرآن والتوراة سحران كل يصدق الآخر ، وقالوا : نحن بكل منهما كافرون ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا ساحران وهذا إلزامهم وتبكيتهم ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك إلى الإتيان بكتاب أهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لأنهم ما رجعوا بعد ما ألزمتهم بالحجة عن العناد ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ استفهام إنكار ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ حال للتوكيد وقيل للتقييد فإن هوى النفس قد يكون من الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المتبعين للهوى.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن

يَشَآءُ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ[1] وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ﴾ أي : القرآن أتاهم متتابعاً متواصلا قصصًا للأمم الخالية ونصائح ووعدًا ووعيداً أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه ببعض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يتعظوا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن ﴿هُم﴾ لا قريش ﴿بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب أو في وفد جاءوا من عند النجاشي من الحبشة ، " وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول " الآية (المائدة:٨٣)، ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لأنا نعلم قبل ذلك محمدًا والقرآن لأن وصفهما مذكور في كتابنا ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ[2]﴾ مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن ، وإن كانوا مؤمنين به

(١) ولما ذكر دلائل صحة نبوته ، وكررها بطرق مختلفة لئلا يبقي لهم شبهة وأنزل عليهم آيات بينات بين سبب تواصلها وتواليها فقال : " ولقد وصلنا لهم القول " الآية/١٢.

(٢) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الأول

=

من قبل ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم وثباتهم على اتباع الحق أولاً وآخراً ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ بالطاعة ﴿السَّيِّئَةَ[1]﴾ المعصية ، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون ، بل يجازون بالإحسان ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في الخير ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ القبيح من القول كشتمهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرمًا ﴿وَقَالُوا﴾ للاغين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد سلام المتاركة والتوديع ﴿لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ﴾ لا نريد صحبتهم وطريقتهم وذلك حين كان المشركون يسبون مؤمني أهل الكتاب قائلين تبًا لكم تركتم دين آبائكم ﴿إِنَّكَ[2] لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ[3]﴾ نزلت حين عرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الإيمان على أبي طالب في حين موته فأبى ورد ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدين لذلك ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ نؤمن بك ﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ[4] أَرْضِنَا﴾ نخرج من بلادنا ، نزلت في قوم قالوا: نحن نعلم صدقك لكنا إن اتبعناك خفنا أن يخرجنا العرب من أرضنا مكة لإجماعهم على خلافنا فرد الله قولهم

= والآخر ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده"/١٢ فتح .

(١) كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ: " أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " / ١٢ وجيز .[حسن، وانظر صحيح الجامع(٩٧)]

(٢) ولما بين أنه فصل القول لقريش لكن سبقت السعادة لغيرهم أعقبه بقوله " إنك لا تهدي من أحببت " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) قد أجمع أهل الدين على أنها نزلت في أبي طالب وحديثه مسطور في الصحيحين/١٢ وجيز .

(٤) كما يتخطف العصافير من أوكارها ، لمخافة كافة العرب لأنا نصير قليلاً من غير نصير والاختطاف الانتزاع بسرعة / ١٢ وجيز .

بقوله ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ أو لم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ مع كفرهم ، فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا كانوا موحدين ! يعني : هم كاذبون في عذرهم ﴿يُجْبَى﴾ يجمع ويحمل ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي : ثمرات كثيرة[1] ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ مصدر من معنى يجبى ؛ لأنه في معنى يرزق أو مفعول له أو حال بمعني مرزوقا من ثمرات وجاز لتخصصها بالإضافة﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ جهلة ، ولذلك قالوا ما قالوا ثم بين أهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله لا العرب ، فقال: ﴿وَكَمْ[2] أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أى : من أهلها ﴿بَطِرَتْ﴾ طغت وأشرت تلك القرية ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ أي : في معيشتها منصوب بترع الخافض أو مفعول بطرت بتضمين كفرت يقال : بطر فلان نعمة الله أى : استخفها وكفرها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خاوية ﴿لَمْ تُسْكَن﴾ من السكنى ﴿مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ أى : إلا سكنى قليلاً إذ لا يسكنها إلا المسافر حين العبور ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ إذ لم يبق أحد منهم يرثهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي : ما جرت عادة الله على إهلاكها ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أصلها وأعظمها فإنما الأشراف فيها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ فإن أنكروا نزل عليهم العذاب ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ بتكذيب الرسول وارتكاب المعاصى وعن بعض المفسرين معناه ما كان في حكمنا وقضائنا أن نهلك القرى ونخرب الدنيا حتى نبعث في أم القرى "

---

(١) أى : ثمرات كثيرة من أنواع متباينة من ثمرات البلاد الحارة والباردة ففيه الفواكه مع أنه واد غير ذى زرع وفي فعل المضارع إشارة إلى أن هذا يبقى مستمرًا / ١٢.

(٢) ولما ذكر تأمينهم وإنجائهم وتمكينهم مع أنهم قائلون معترفون بضعفهم أتبعه بما وقع من إهلاك قرى أقوياء يخاف الناس من سطوتهم فالأول ترغيب والثاني ترهيب فقال : " وكم أهلكنا من قرية " الآية / ١٢ وجيز .

مكة " رسولاً إلخ ﴿وَمَا أُوتِيتُم[1] مِّن شَيْءٍ﴾ قليل أو كثير من أسباب الدنيا ﴿فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ ما هو إلا تمتع وزينة أيامًا قلائل ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ الجنة ونعيمها ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ[2]﴾ فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ
إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا
يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

---

(١) ولما اعتلوا في الوقف عن الإيمان بالخوف والتخطف والخوف، إما على الأنفس أو على ما في أيديهم من الدنيا وذكرهم نعمته في الأمن وخوفهم سطوته وهم في مسكنهم وقوتهم إشارة إلى أنهم فوتوا بعدم الإيمان ما هو أغلى وأعلى وأفضل وأولى فقال : " وما أوتيتم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل قال الشافعي : من وصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله / ١٢ فتح .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ ﴾

﴿**أَفَمَن**[1] **وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا**﴾ حسن الوعد بحسن الموعود كالجنة ﴿**فَهُوَ لاقِيهِ**﴾ مدركه ﴿**كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ الذى هو مشوب بأنواع الغصص ﴿**ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ للحساب والعذاب وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ، ولذلك رتب عليها بالفاء نزلت في النبي عليه السلام وأبي جهل أو في علي وحمزة وأبى جهل ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**﴾ أي : اذكر يوم ينادى المشركين ﴿**فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ أى : تزعمونهم شركائى بحذف المفعولين ﴿**قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ**﴾ وجب عليهم العذاب ، أي : شياطينهم وسادهم في الضلال خوفًا من أن يقول السفلة لا ذنب لنا إنما الذنب لسادتنا ﴿**رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا**﴾ أي : أغويناهم ﴿**أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا**﴾ أى : أغويناهم فغووا غيًّا مثل ما غوينا هي خبر هؤلاء والذين مع صلته صفته أو الموصول خبره وهذه مستأنفة ﴿**تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ**﴾ منهم

---

(١) ولما بين التفاوت البين بين المتاعين شرع يبين تفاوت المتفعين بهما فقال : " أفمن وعدناه " الآية / ١٢ وجيز .

﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فإنهم يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية شهدوا على أنفسهم بالغواية والإغواء ثم تبرءوا من عبادهم ، قال تعالى : "إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا" الآية (البقرة:١٦٦)، ﴿وَقِيلَ ادْعُوا[1] شُرَكَاءَكُمْ﴾ لتخلصكم عن العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لهم ولأربابهم ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ جواب لو محذوف ، أي ما رأو العذاب أو لو للتمني فهو على الحكاية كأقسم ليضربن أو على تأويل رأوا متمنين هدايتهم ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ سأل أولاً عن إشراكهم ثم عن تكذيبهم رسلهم ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ صارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدى إليهم وفيه مبالغة ليس في عموا عن الأنباء وهذا كما يقول الكافر في قبره هاه هاه لا أدري[*] قال مجاهد: معناه فخفيت عليهم الحجج ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط حيرة كل منهم ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ أي من جمع بين الإيمان والعمل الصالح فليطمع في الفلاح وليكن بين الخوف والرجاء وعسى من الكرام تحقيق﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا معقب ولا منازع لحكمه ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي : التخير يعني ليس

---

(١) لما سألوا وأجابوا بغير جوابه سألوا ثانياً وأضاف الشركاء إليهم لمزيد نكالهم ووبالهم فقال ادعوهم لأن يخلصوكم عما هم فيه تهكماً بهم " فدعوهم " لحماقتهم وسخافة عقولهم "فلم يستجيبوا لهم" الآية / ١٢ وجيز .

(*) هو حديث البراء بن عازب الطويل في عذاب القبر ونعيمه، أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح.

لأحد أن يختار عليه أو معناه ليس لهم اختيار أصلاً بل هم عاجزون تحت[1] قدره قيل: ما موصولة مفعول يختار والعائد محذوف أي يختار الذى كان لهم فيه صلاحهم ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ عن إشراكهم نقل أنها نزلت حين قالوا : " لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم "(الزخرف:٣١) ، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تستر ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى﴾ الدنيا ﴿وَالآخِرَةِ﴾ فإنه مولى النعم في الدارين ﴿وَلَهُ الحُكْمُ﴾ فصل القضاء بين الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالنشور ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ[2]﴾ أخبروني ﴿إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائمًا ﴿إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ لا نهار معه ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴾ سماع فهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ هو من السرد ، والميم مزيدة ﴿إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ ، لا ليل معه ، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ ، استراحة عن المتاعب وصف الليل دون النهار، لأن النهار مستغن عن الوصف ، ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ ختم الأولى بقوله أفلا تسمعون ، والثانية بأفلا تبصرون لمناسبة قوة السامعة بالليل ، وقوة الباصرة بالنهار

---

(١) والصحيح أن ما نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس فإن المقام في بيان انفراده بالخلق والاختيار ، ولهذا عقبه بقوله: "سبحان الله" قال الله تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"(الأحزاب: ٣٦) / ١٢ وجيز .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح تعليم الاستخارة وكيفية صلاتها ودعائها فلا نطول بذكرها / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر أن لله العلم العام التام وليس له شريك وهو الموصوف بجميع الصفات الحسنى، وهو الحاكم يرجع إليه الأمر ، شرع يثبت المدعى بحجة ثابتة مفحمة فقال : " قل أرأيتم " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ بالنهار بأنواع المكاسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولكي تشكروا نعمه ﴿وَيَوْمَ[1] يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ[2] الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ التكرار للتقريع بعد التقريع ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تدعونه ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسله لا لهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ غاب غيبة الضائع ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ

---

(١) ولما أثبت أن له القدرة والحكمة والإحسان وأفحمهم وفهمهم نبه على عجزهم عن البرهان مرة بعد أخرى لكي يرجعوا إلى الحق ويذعنوا فقال : " ويوم يناديهم "/١٢ وجيز.

(٢) وتكرار ذلك كمن أورد مدعى الخصم وأبطله ثم بعد الإبطال أعاد المدعى ليقرعه ويقر بالإبطال / ١٢ وجيز .

عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿**إِنَّ قَارُونَ**[١] **كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى**[٢]﴾ ابن عمه آمن به ثم نافق ﴿**فَبَغَى**﴾ تكبر ﴿**عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ**[٣]﴾ جمع مفتح وهو ما يفتح به ﴿**لَتَنُوءُ**﴾ تثقل ﴿**بِالْعُصْبَةِ**﴾ الجماعة الكثيرة ﴿**أُوْلِي الْقُوَّةِ**﴾ ما الموصولة مع صلته التي

---

(١) ولما صاغ تلك السورة من قصص موسى عليه الصلاة والسلام فصل حكايته في أول السورة مع جنايته ، ولما أتمها بين فائدتها ثم شرع في حكاية أخرى منه مع أحد من أقاربه كما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم حذو النعل بالنعل فقال : " إن قارون "(القصص:٧٦) / ١٢ وجيز .

(٢) من بني إسرائيل بلا خلاف واختلف في قرابته فعن ابن عباس أنه ابن عم موسى ، وكان يسمى المنور لحسن صورته كان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم لكنه نافق كما نافق السامري حسدًا / ١٢ وجيز .

(٣) قال الواحدي: إن المفاتح الخزائن في قول أكثر المفسرين كقوله : " وعنده مفاتح الغيب "(الأنعام:٥٩) قال: هو اختيار الزجاج قال: الأشبه في التفسير أن مفاتحه خزائن ماله وقال آخرون: هي جمع مفتاح ، وهو ما يفتح به الباب ، فهذا قول قتادة ومجاهد وعن خيثمة قال: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود الإبل كل مفتاح مثل الإصبع كل مفتاح على خزائنه على حدة فإذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلاً أغر محجل ، وعنه قال : وجدت في الإنجيل أن بغال مفاتيح خزائن قارون غير محجلة قال الشوكاني : لم أجد في الإنجيل هذا الذي ذكره خيثمة / ١٢ فتح .

هي أن واسمها وخبرها ثاني مفعولي " آتينا " ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لتنوء ﴿لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ﴾ بدنياك ، فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يورث غمًّا سرمدًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾ الأشرين البطرين بالدنيا ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ بأن تصرفه في مرضاة الله ﴿وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فإن نصيب كل أحد ليس إلا ما يأكل ويلبس ، أو النصيب ما ينفعك مالاً وما هو إلا أعمال الخير ، قيل النصيب الكفن ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى الناس ﴿كَمَا(١) أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ قيل: أحسن بالشكر كما أحسن الله بالإنعام إليك ﴿وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ﴾ الظلم والكبر والمعاصي ﴿فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ قَالَ(٢) إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى(٣) عِلْمٍ عِندِي﴾ أي: أعطاني على علم وفضل عندى أستحقه لذلك ، ولولا معرفته بفضلي ورضاه ما أعطاني وهو كان أقرأ بنى إسرائيل وأحفظهم بالتوراة ، قيل (عندى) خبر محذوف أى

---

(١) لا يلزم أن تكون المشابهة من كل جهة / ١٢ وجيز .

(٢) قارون جواب النصح / ١٢ وجيز .

(٣) قيل أراد علم الكيمياء أى الإكسير المزيل لعيوب حدثت لبعض الفلزات من معادنه/١٢ وجيز . ورد بعض المفسرين بأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر عليها أحد إلا الله أقول : ليس هو من باب التقليب ، وهو علم حق ومن ظن ذلك فمن جهله بحقيقة ذلك العلم هذا ما في المنهية ، وقال الخطابى: تحت حديث (لعن الله الواشمات) إنما نهى عن ذلك لما فيه من الغش والخداع ، ولو رخص في ذلك لاتخذه الناس وسيلة إلى أنواع الفساد ، ولعله قد يدخل في معناه صنعة الكيمياء فإن من تعاطاه إنما يروم أن يلحق الصنعة بالخلقة ، وكذلك كل مصنوع يشبه بمطبوع ، وهو باب عظيم من الفساد انتهى ، وقد صنف شيخ الإسلام كتابًا في إبطال الكيمياء سماه (إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت) وكذلك تلميذه شمس الدين ابن القيم صنف كتابًا سماه (بطلان الكيمياء من أربعين وجهًا) وهو مجلد/١٢.

هذا في اعتقادي وظني وقيل: متعلق بأوتيت[1] كقولك جاز ذلك عندي ﴿أَوَ لَمْ[2] يَعْلَمْ﴾ عطف على محذوف أي : ألم يقرأ و لم يعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال ، فلا تدل كثرة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضى الله﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ، أي : لا يسأل الله أو الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، بل يدخلهم النار بلا سؤال وحساب وهذا في موطن خاص أو هو سؤال علم ، بل هو سؤال توبيخ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ[3]﴾ من مراكب وملابس وخدم وحشم ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي : المؤمنون الراغبون في الدنيا ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ من الدنيا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي : الأحبار لمن تمنى ويلكم ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك مستعمل في الزجر ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتي قارون ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ الثواب والتأنيث لأنه بمعنى المثوبة أو الجنة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ على حكم الله ، وهو من تتمة النصيحة أو المعنى ما يلقى هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء إلا الصابرون فعلى هذا من كلام الله منقطع عن الأول

---

(١) والأظهر أن (عندي) صفة علم / ١٢ وجيز .

(٢) ابتداء كلام من الله / ١٢ .

(٣) في بيان زينته ذكر أشياء الله أعلم بصحتها منها أنه خرج في تسعين ألفًا عليهم المعصفرات ، والحلي راكبين وراجلين هذا ما في الوجيز ، وفي الفتح عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خرج على قومه في أربعة آلاف بغل" أخرجه ابن مردويه ، وقد روى عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح منها شيء مرفوعًا بل هي من أخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ، ولا أدري كيف إسناد هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه فمن ظفر بكتابه فلينظر فيه /١٢ .

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ نقل[1] أنه كان يؤذى موسى كل وقت فأعطى يوماً مالاً لامرأة لتنسبه إلى الزنا فلما كان يوم العيد في محضر الخلق رمته بنفسها فناشدها موسى أن تصدق ، فقالت: أعطاني قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي فدعى عليه موسى فأوحى الله إليه أن جعلنا الأرض مطيعة لك فأمرها تأخذه(*) فأخذته وإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ﴾ أعوان ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ من الممتنعين من عذاب الله ، أو من المنتصرين بنفسه ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ منزلته ﴿بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ﴾ مركب من " وى " وهى كلمة تندم و "كأن" أو ويل بمعنى ويلك وأن الله منصوب بمقدر وهو اعلم ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ بمقتضى إرادته لا لكرامة وفضل ﴿لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ لأنا وددنا أن نكون مثله ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لنعمه أو بالله ورسله.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم ، وصححه وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس/١٢ فتح .

(*) بالأصل (يأخذه) .

رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ في تلك الإشارة تعظيم للآخرة أى : التي سمعت بذكرها ، وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُهَا﴾ إما خبر تلك والدار صفته أو الدار خبره وهو استئناف﴿لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ تكبرًا أو استكبارًا عن الإيمان ﴿وَلاَ فَسَادًا[(١)]﴾ عملاً بالمعاصى أو دعوة الخلق إلى الشرك ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الحسنى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن معاصيه ﴿مَن[(٢)] جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تبغيض السيئة إلى قلوب السامعين ﴿إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي : إلا مثله فحذف المثل للمبالغة[(٣)]

---

(١) إعادة "لا" دالة على أن كلاً من العلو والفساد مقصود لا جمعهما ، والويل للجامع كقارون ، ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما نحو : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا "(هود:١١٣) قرأها فضيل فقال : ذهبت الأماني ولا يبعد أن يراد لا يريد أن يكون جبارًا مسلطًا على العباد ، ولا يريد الفساد في البلاد ، وقوله في الأرض مشعر بما قلنا فلا يتخذ عباد الله خولاً ولا مال الله دولاً. همته ونيته إعلاء الدين وإصلاح المسلمين / ١٢ وجيز .

(٢) ولما حصل التمييز بين أهل الآخرة وأرباب الدنيا فكأن قائلاً قال : ما حال من أحسن وما حال من أساء ؟ فقال : " من جاء بالحسنة " الآية /١٢ وجيز .

(٣) كأنه لا يصل إليه إلا هذه السيئة بعينها التي أعد لنفسه والشخص إذا خرج من جلباب البدن الكثيف وإن كان كافرًا يعرف بعقله ويبين بين مساواة الجزاء ، وزيادته ونقصه ، ولما ذكر أن العاقبة للمتقين وأعقبه بقوله : " من جاء بالحسنة فله خير منها" توجه الفهم إلى حال إمام المتقين وسيد المحسنين باليقين فقال : " إن الذي فرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أى : تلاوته وتبليغه ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وأى معاد ، وهو معاد ليس لغيرك مختص بك وهو المقام[1] المحمود أو إلى مكة، فقيل: نزلت حين المهاجرة في طريق المدينة، وعن بعض المفسرين: إن ابن عباس فسره مرة بالموت[2] ومرة بالعود إلى مكة، ومراده بالثاني أيضاً الموت، لأن ابن عباس يرى فتح مكة من علامات قرب موته، وكأن التفسيرين واحد﴿قُل[3]﴾ يا محمد لمن ينسبك إلى الضلال ﴿رَّبِّي أَعْلَمُ﴾ يعلم ﴿مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فمن جاء مفعول لفعل دال عليه أعلم ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ ما كنت تظن وتأمل الوحى والنبوة قبل ذلك﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لكن ألقي إليك لرحمة من ربك وقيل: الاستثناء متصل محمول على المعنى كأنه قال: ما ألقي إليك الكتاب لأمر إلا لرحمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ فخالفهم ونابذهم ، نقل أنه نزل حين دعى إلى دين آبائه ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ العمل بالقرآن ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ إلىمعرفته وطاعته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ حقيقةالخطاب لأهل دينه ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ[4]﴾ إلا ذاته المقدس عن الفناء أو معناه إلا ما أريد به وجهه، أي: كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل فان﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، للجزاء.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) كما رواه البخاري والنسائي عنه / ١٢ .

(٢) كما روى السدي وغيره بطرق متعددة عنه / ١٢ .

(٣) ولما كان المشركون يقولون: لو كان محمد على حق وهدى لما رضي ربه بأن يكون مخرجًا من بيته وغربته وكربته ، قال: "قل" يا محمد "ربى أعلم" الآية/١٢وجيز.

(٤) في البخاري يقال : إلا وجهه إلا ملكه ويقال: إلا ما أريد به وجه الله ، وفي المعالم قال أبو العالية : ما أريد به وجهه / ١٢ .

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية وسبع ركوعات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾
وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا
يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَحۡسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن
جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِى مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ
فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا
كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ
وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿الـــم أَحَسِبَ[1]﴾ الهمزة للإنكار ﴿النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ على عافية وفراغ ، ولما كان صلة أن مشتملة على مسند ، ومسند إليه يسد مسد مفعولى حسب ، وهذا هو الأولى ﴿أَن يَقُولُوا آمَنَّا﴾ أي : بأن أو لأن ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ بل يمتحنهم الله بالمصائب ، ومشاق التكاليف ليميز المخلص من المنافق﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ[2] اللَّهُ﴾ ليتعلق علمه بالامتحان علمًا حاليًا يتميز به ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أم منقطعة ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ يعجزونا فلا نقدر على انتقامهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ وصوله إلى ثوابه أو من يخشى حسابه وجزاءه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾ فليستعد وليعمل لذلك الوقت المضروب للجزاء فإنه آت لا محالة أو معناه من يأمل لقاء الله في الجنة فوقت اللقاء آت فليبادر إلى ما يحقق رجاءه ولذلك قال بعض المحققين: هذه تعزية من الله للمشتاقين إلى لقائه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ فيعلم الأقوال والعقائد ﴿وَمَن جَاهَدَ[3]﴾ نفسه في منعها عن المناهي ، وحملها على المعروف ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

---

(١) قال الشعبي : نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يقبل فيكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ، ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين / ١٢ معالم .

(٢) وفي البخاري : فليعلمن الله ، علم الله ذلك إنما هي بمترلة فليميز الله كقوله : "ليميز الله الخبيث" (الأنفال:٣٧)/ ١٢ .

(٣) ولما أمره بالمبادرة والاستعداد قال : " ومن جاهد " إلخ / ١٢ وجيز .

أحسن جزاء أعمالهم ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ بإيتاء أو بإيلاء والديه ﴿حُسْنًا﴾ أي : فعلاً ذا حسن أو للمبالغة جعل الفعل حسنًا لفرط حسنه ، قيل تقديره : وصيناه بتعهد[١] الوالدين افعل بهما حسنًا ، وعلى هذا يحسن الوقف على بوالديه ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ أي : وقلنا إن جاهداك ﴿لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإلاهيته ﴿عِلْمٌ﴾ فإن ما لا يعلم صحته لا يتبع سيما إن علم بطلانه ﴿فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك فلا طاعة في معصية ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجع الكل المؤمن والمشرك والبار والعاق ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالجزاء عليه ، نزلت[٢] في سعد بن أبي وقاص حلفت أمه ، إنها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت إن لم يرجع إبنها[*] من الإسلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ جملة ﴿الصَّالِحِينَ ﴾ وكمال الصلاح منتهى الدرجات ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أصابه مضرة من المشركين للإيمان بالله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما أصابه من جهتهم في الصرف عن الإيمان ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الآخرة فجزع من عذابهم وأطاعهم كما يجزع ويطيع الله من يخافه وشتان ما بينهما ، أو معناه إذا نزل عليهم مصيبة اعتقدوا أنها من نقمة الله للإسلام فارتدوا ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فتح وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين فأعطونا من المغنم ﴿أَوَ لَيْسَ اللَّهُ﴾ عطف على محذوف أي : أَقَوْلُهُمْ ينجيهم وليس الله؟ ﴿بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ من الإخلاص والنفاق ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعرف المؤمنين حقيقة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ[٣] ﴾ لا يشتبه عليه ولا

---

(١) من جملة ما فتناه / ١٢ وجيز .

(٢) رواه مسلم / ١٢ وجيز .

(*) في الأصل " ابنه "

(٣) بترك الإسلام عند نزول البلاء واختلفوا في نزول هذه الآية قال مجاهد: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا ، وقال=

يمكن الإلباس عليه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا وطريقنا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ إن كان ذاك خطيئة عطفوا "ولنحملن" وهو أمر لأنفسهم على " اتبعوا " وهو أمر للمؤمنين إرادة للمبالغة وأن كليهما لابد من الحصول ، وهذا قول صناديد قريش ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أى : شيئًا من خطايهم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[1] ﴾ في إنجاز وعدهم هذا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا﴾ أخر ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي أثقال أوزار من أضلوه من غير أن ينقص من أوزار متبعيهم شيئًا ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال تقريع وتوبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الأباطيل.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

= عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم في بدر وهم الذين نزل فيهم " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم " (النساء:٩٧)، وقال قتادة : نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وقال الشعبي هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ها هنا مدنية وباقي السورة مكية/١٢ معالم .

(١) وحاصل المعنى إن تتبعونا ، وبلغكم في ذلك مكروه ، فنحن نرفع منكم مكروهكم، فالجزاء خبر لا يطابق الواقع فهو كذب صريح ، ومن قال: الوعد إنشاء وليس الكذب إلا في الخبر والجواب أن لو سلمنا ذلك فهذا الإنشاء ملزم لخبر والكذب باعتبار اللازم / ١٢ وجيز .

فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿وَلَقَدْ[١] أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ بعد نبوته ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ[٢] عَامًا﴾ هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ بعد هذه المدة لما لم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ﴾ نوحًا ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من كان معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ السفينة أو القصة ﴿آيَةً لِّلْعَالَمِينَ[٣]﴾ عن ابن[٤] عباس : بعث نوح وهو ابن أربعين سنة وعاش بعد الطوفان

---

(١) ولما كان السياق للبلاء والامتحان والصبر ذكر من الرسل من هو أولهم وطال صبره ولم يفتر عزمه عن النصح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا له ولأصحابه فقال : " ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له : إن نوحًا لبث هذه المدة الكثيرة يدعو قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر / ١٢.

(٣) من بعدهم فقد هلك سوى أصحاب السفينة وما بقى في الديار ديار ولما كان بلاء إبراهيم وصبره من أعظم البلايا لقذفه في النار وكون عدوه أباه أتبع حكايته حكاية نوح ، فقال : " وإبراهيم إذ قال لقومه " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) عزاه بعض المحشين إلى الحاكم / ١٢ .

ستين ، فمجموع عمره ألف وخمسون سنة ، وفي جامع الأصول أنـه عـاش بعـد الطوفان خمسين ، ومدة الطوفان ستة أشهر آخرها يوم عاشوراء ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطـف على نوحًا ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لأرسلنا ﴿لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْثَانًـا وَتَخْلُقُونَ﴾ تكذبون ﴿إِفْكًا﴾ كذبًا في أنها شركاء الله شفعاء أو تنحتونها للإفك ، جعـل نحتهم خلقًا وإيجادًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُـمْ رِزْقًـا﴾ ولا يكون المعبود إلا الرازق ، ورزقًا مفعول به من غير تأويل ، والتنكير للتعميم ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فإنه مالكه وحده ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فاستعدوا للقائه ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾ أي : تكذبوني ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ رسـلهم كقـوم شيث وإدريس ونوح ، ولم يضرهم تكذيبهم فلا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾ اللام للجنس ﴿إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ وهذه الآية والتي بعدها إلى قوله: "فما كان جـواب قومه" الأظهر أنها من جملة قول إبراهيم لقومه ، ويحتمل أن يكون معترضة تسلية لرسـول الله صلى الله عليه وسلم وتنفيسًا بين نصيحته وجواب قومه ، أي : وإن تكذبـوا محمـدًا إلخ ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من العدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ عطف على "أَوَ لَـمْ يَرَوْا" لا على "يُبْدِئُ" فإنه في معرض الاستدلال من الأول على الثاني وما تعلق به رؤيتهم وإنما هو إخبار(١) على حياله ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الإعادة بعد الإنشاء ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِـيرٌ قُـلْ سِيرُوا﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم على التقدير الأول ﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَـدَأَ الْخَلْقَ﴾ مع اختلاف أجناسهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ(٢) الآخِرَةَ﴾ عطف على سـيروا

(١) قيل: معناه يعيد الأشياء كالنبات والأشجار إن قطعت أو يبست وكالثمار إن قطفت/١٢ وجيز .

(٢) وأصرح باسمه الأقدس في كيف يبدأ الله وأضمر ثم يعيده وهنا أضمر وأبرز بالعكس من الأول الدلالة على تفخيم النشأة الآخرة كأنه قيل : ثم ذلك الذى بدأ الخلق هو ينشئ النشأة الآخرة / ١٢ وجيز .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعلق قدرته على جميع الممكنات على السواء ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم إن هربتم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالتوارى فيها ﴿وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ بالتحصن فيه أو ولا في السماء لو كنتم فيها قيل تقديره ولا من في السماء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ لو أراد الله بكم ضرًّا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ﴾ بكتبه أو بدلائل وحدته ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ لإنكارهم البعث والجنة ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لكفرهم

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ[1] قَوْمِهِ﴾ أي : إبراهيم له ﴿إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ أي: عذبوه أحد العذابين ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ بعد ما قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إنجائه منها ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فإن الكفار غير موفقين على التدبر في مثل ذلك ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : لِتَوَادُّوا بينكم وتتواصلوا كما يتفق الناس على مذهب ليكون ذلك سبب تحابهم ، وثاني مفعولي اتخذ محذوف وهو آلهة أو هو مودة بحذف مضاف ، أي : سبب مودة ، أو بأنها بمعنى مودودة وقراءة رفعها على تقدير هي مودة، أو سبب مودة على أنها صفة "أوثانًا" أو خبر لأن ، وما موصولة ، أي : إن الذين اتخذتموهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ فَآمَنَ لَهُ﴾ لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ هو ابن أخي إبراهيم لا ابن أخته فإنه لوط بن هاران بن آزر وهو أول من آمن به ، وفي الحديث "ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك خاطب به امرأته[*]" فالمراد والله أعلم أن ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ[2]﴾ من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ هاجر من سواد الكوفة إلى حران ثم

---

(١) لما بين إبراهيم سفههم في عبادة الأوثان رجعوا إلى الغلبة التي هي عادة العاجز عن الجواب / ١٢ وجيز .

(*) جزء من حديث أخرجه البخاري مطولا في قصة إبراهيم وبناء البيت.

(٢) قال النخعي وقتادة : الذي قال إني مهاجر هو إبراهيم ، قيل هو أول من هاجر إلى الله وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه عن أنس قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله) أخرجه أبو يعلى / ١٢ فتح.[أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣١١) بسند ضعيف]

منها إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيمنعني من الأعداء ، ويوفقني بما هو صلاحي ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهو ولد إسحاق تولد في حياة إبراهيم ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي : جنسه وكل نبي بعده كان من ذريته ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ جمع له بين السعادتين سعادة الدنيا أي : الرزق الواسع ، والمترل الرحب ، والزوجة الحسنة ، والثناء الجميل إلى يوم القيامة ، وسعادة الآخرة وهي لا يعرفها إلا الله ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على نوحًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أرسل في حياة خليل الله إلى أهل سدوم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفعلة القبيحة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ[1]﴾ استئناف مقرر لغاية قباحتها ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ[2] السَّبِيلَ﴾ فإنهم كانوا يقتلون المارين وينهبون أموالهم ، وقيل: يقطعون سبيل النسل﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ مجلسكم الغاصة ﴿الْمُنكَرَ[3]﴾ وفي الحديث "هو خذف أهل الطريق بالحصى والاستهزاء بهم"، أو الصفير ولعب الحمام وحل أزرار القبا ومضغ العلك وتطريف الأصابع بالحنا ، أو الضراط والضحك والفحش في المزاح﴿فَمَا كَانَ

---

(١) يعني : أتأتون تلك الفعلة القبيحة مبتدعين غير مسبوقين بها وفيه دليل على أنه لم يتز [في اللسان (نز): فلان نزيز أي: شهوان، وقتلته النزة أي: الشهوة] ذكر على ذكر قبل قوم لوط/١٢ وجيز .

(٢) قيل: المراد سبيل الولد بتعطيل الفروج، وهم أول من لاط رجالهم وسحقت نساؤهم/١٢ وجيز .

(٣) وفي المنكر خلاف في حديث أحمد والترمذى وحسنه هو الاستهزاء بالمارين [ضعيف]، وعن الكثير كانوا يأتون الرجال في مجالسهم ينظر بعضهم بعضًا/ ١٢ .

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ[1] اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في النبوة، أو في الوعيد ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ[2]﴾ بإنزال العذاب عليهم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ
ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ
أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا
تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا
مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ
يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ
مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا
تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ
مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا

---

(١) أما ما وقع من جوابهم " أخرجوا آل لوط من قريتكم " (النمل:٥٦) في آية أخرى فإنهم قالوا أولاً في جوابه: ائتنا بعذاب الله ثم تكرر لما منه نهي ووعد ووعيد قالوا : " أخرجوا " فهذان جوابهم / ١٢ وجيز .

(٢) فإنهم مصرون لا يذعنون الحق بوجه / ١٢ وجيز .

بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ من الله بإسحاق وولده جاءوا على طريقة أضياف ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ مستمرون على الكفر والفسق ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا﴾ في القرية ﴿لُوطًا﴾ وهو نبي غير ظالم ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ﴾ أن صلة زيدت لاتصال الفعلين، وتأكيدهما ﴿رُسُلُنَا لُوطًا﴾ بعدما ساروا من عند إبراهيم في صورة أمارد حسان ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم ﴿وَضَاقَ[1] بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: عجز وضاق بسببهم وتدبير أمرهم طاقته فإنه خاف عليهم من قومه ﴿وَقَالُوا﴾ لما رأوا غمه

---

(١) أن مزيدة لاتصال الفعلين كأنه قيل لما أحس بمجيئهم فاجأ به المساءة من غير مكث خيفة عليهم من القوم وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه وطاقته، قد جعلت العرب ضيق الذراع عبارة عن فقد الطاقة والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة / ١٢ وجيز .

﴿لاَ تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ نصب أهلك لعطفه على محل الكاف أو بإضمار فعل ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب فسقهم ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا﴾ من كلام الله تعالى ﴿مِنْهَا﴾ من قرية لوط ﴿آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ هي آثار منازلهم الخربة أوأنهارهم المسودة أو الأحجار الممطورة التي أهلكوا بها ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ عطف على نوحًا إلى قومه ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا﴾ اخشوا ﴿اليَوْمَ الآخِرَ﴾ وقيل: افعلوا ما ترجون به ثواب يوم الآخر من إقامة المسبب مقام السبب ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾ العثو أشد الفساد ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ يعني لا تزيدوا[1] في الفساد حال كونكم مفسدين ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة أو الصيحة أخرجت قلوبهم ، أو عذاب يوم الظلة ، وقد مر في سورة الأعراف وهود والشعراء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾ منصوبان بفعل دل عليه ما قبله مثل أهلكنا وعدم انصراف ثمود بتأويل القبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ بعض مساكنهم باليمن أو تبين لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا رأيتموها﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة[2] ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن الطريق المستقيم ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ عقلاء عند أنفسهم معجبين برأيهم أو كانوا في نفس الأمر متمكنين من النظر أو مستبصرين بضلالهم لكنهم لجوا ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ عطف على عاداً وثمودا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ[3] ﴾ فائتين بل

---

(١) فإن العثي أشد الفساد / ١٢ وجيز .

(٢) حتى حسبوها حسنة / ١٢ .

(٣) قيل: ما كانوا سابقين الأمم إلى الكفر تلك عادة الأمم مع الرسل / ١٢ وجيز .

أدركهم أمر الله ﴿فَكُلاًّ﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا صرصرًا تحمل الحصباء فتلقيها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض ثم تنكسهم على أم رأسهم فتشدخهم ، فكأنهم أعجاز نخل منقعر ، وهم قوم عاد ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾ قارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ فرعون وهامان وروى عن ابن عباس أن الأول قوم لوط ، والرابع قوم نوح ، والأظهر ما ذكرنا قال بعض المحدثين: الرواية منقطعة عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيما فعل بهم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا مقت الله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يتكلون إليه ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ تعتمد عليه وتحسب أنه لها بيتًا ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذه الهوام لا يدفع حرًّا ولا بردًا ، ولا يحجب عن الأعين ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لعلموا أن هذا مثلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي : الذي تدعونه من دون الله من شيء أي : شيء[1] كان فيجازيكم قيل ما نافية ومن شيء مفعول تدعون يعني الله يعلم أنهم ما يعبدون شيئًا من دون الله ، بل الذي يعبدون لا شيء ، فعلى هذا توكيد للمثل وتجهيل لهم ، ولا يخفى بعده ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيقدر على الانتقام ولا يظلم ، بل في أفعاله حِكَم ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ هذا المثل ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ نبينها تقريبًا لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ لا يفهمها ولا يتدبر فيها ﴿إِلاَّ الْعَالِمُونَ[2]﴾ في الحديث في تفسير تلك الآية العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خَلَقَ اللَّهُ

---

(١) من ملك أو بشر أو حجر أو شجر ، وهو يجازيكم / ١٢ وجيز .

(٢) وكان جهلة قريش يضحكون قائلين: إن رب محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت ، ولما بين أنه هو العزيز الحكيم أثبت ما بين بشيء مشاهد دال على ذلك ، فقال : " خلق الله السموات والأرض " الآية / ١٢ وجيز .

﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا على وجه العبث ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخلق ﴿لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ[1]﴾ فإنهم يتدبرون في صنائع ملكه.

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ﴾ أمره بقراءة القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ أي : إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك ، وفي

(١) المتدبرين في صنائع خلقه ، ولما أفاد القرآن هذا الإخبار ودل على أن فهم أمثاله من رسوخ الإيمان خاطب سيد أهل الإيمان بتلاوة ما يفيد الإخبار ، فقال : (اتل ما أوحى إليك) الآية / ١٢ وجيز .

الحديث : (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا[1] بعدًا) أو مراعاتها تجره إلى الانتهاء ، وفي الحديث[2] (قيل له عليه السلام إن فلانًا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق قال: سينهاه ما تقول) والصلاة تنهاه عن ذلك حين الصلاة ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأفضل من كل شيء فالصلاة لما كانت كلها مشتملة بذكره تكون أكبر من غيرها من الطاعة ، أو ذكر الله لعباده أكبر من ذكرهم إياه ، وهذا هو المنقول عن كثير من السلف ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بطريقة هي أحسن فإن من أراد الاستبصار منهم إذا رأوا منكم لينًا وسمعوا منكم حججًا لاهتدوا ، قال تعالى: "ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (النحل:١٢٥) الآية ، والظاهر أنها غير منسوخة بآية السيف ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإفراط في المعاداة فانتقلوا معهم من الجدال إلى الجلاد ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هذا كأنه من المجادلة الحسنة ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ﴾، خاصة ﴿لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فيه تعريض بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ﴾ كتابًا مصدقًا لسائر الكتب قال ابن جرير : معناه أنزلنا إليك الكتاب يا محمد كما أنزلنا على من قبلك من الرسل ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كمؤمني أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَؤُلاَءِ﴾ الذين بين ظهرانيك ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ كمؤمني العرب ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ مع ظهور معجزاتها ﴿إِلاَّ الكَافِرُونَ﴾ المتوغلون فيه ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزول القرآن ﴿مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني وغيره عن ابن عباس / ١٢ فتح .[رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث بن أبي سليم،وهو ثقة، ولكنه مدلس، كذا قال الهيثمي في "المجمع"، (٢/٢٥٨)]

(٢) رواه الإمام أحمد وغيره / ١٢ وجيز .[أخرجه أحمد (٢/٤٤٧) وصحح إسناده الشيخ الألباني كما في تعليقه على المشكاة (١٢٣٧)]

ذكر اليمين زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبًا ﴿إِذًا﴾ لو كان شيء من التلاوة والخط ﴿لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيقولون لعله قرأه والتقطه من الكتب المتقدمة ﴿بَلْ هُوَ﴾ القرآن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يتلونه من حفظهم لا من مصاحفهم وذلك من خاصة هذا الكتاب فإن سائر الكتب ما كان يقرأ إلا من المصاحف ، ولهذا جاء في صفة أمة محمد في الكتب المتقدمة صدورهم أناجيلهم أو معناه ، بل العلم بأنك أمى لا تقرأ أو لا تخط آيات بينات في صدور العلماء الأخيار ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ[١]﴾ المكابرون مع وضوح دلائل صدقه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كناقة صالح ، وعصا موسى ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ هوالقادر على إنزالها لا غير ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ[٢]﴾ ليس من شأني إنزال الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ أي : ألم يردعهم عن طلب آية و لم يكفهم ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ مع علمهم بأنك أمى لا تخط ولا تقرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ القرآن وإنزاله ﴿لَرَحْمَةً﴾ نعمة ﴿وَذِكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنهم المنتفعون به.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

(١) ختمت الأولى بالكافرين ، لأنه قسيم للمؤمنين لقوله : " و من هؤلاء من يؤمن به " والثانية بالظالمين لأنه جحد بعد إقامة الحجج والدلائل / ١٢ وجيز.

(٢) فأنا على شغلي / ١٢ .

بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ
فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ الباء يزاد في فاعل كفى ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يرى تبليغي ونصحي ، وتكذيبكم وتعنتكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فلا يخفي عليه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كالطواغيت ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ كما يقولون: أمطر علينا حجارة من السماء ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لعذاب قومك ﴿لَّجَاءَهُمُ العَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً[1] وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يبقى منهم أحد إلا دخلها ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ﴾

---

(١) منصوب بالمصدر لأنها نوع من الإتيان / ١٢ ومنه .

ظرف محيطة يعني لا يليق استعجالهم ، ومثل هذا العذاب معد لهم وعن بعض السلف : إن جهنم هو البحر ، وهو محيط بهم ينتثر فيه الكواكب ثم يستوقد فيكون هو جهنم ، وفي مسند الإمام أحمد أنه قال عليه السلام: "البحر[(١)] هو جهنم" فعلى هذا يوم ظرف لمحذوف ، أي : يوم يغشاهم العذاب كيت وكيت[(٢)] ﴿**مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ**﴾ الله ﴿**ذُوقُوا**﴾ جزاء ﴿**مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا عِبَادِيَ**[(٣)] **الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي**[(٤)] **وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ نصب فإياي بفعل يفسره ما بعده ،

---

(١) قال في الفتح : وفي هذا نكارة شديدة فإن الأحاديث الكثيرة الصحيحة ناطقة بأن جهنم موجودة مخلوقة على الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة / ١٢.

(٢) يقصر الوصف عن بيانه / ١٢ .

(٣) ولما أبلغ في الإنذار وحذر من الذنوب الكبار لم يهمل الإشارة إلى الصغار وقال : " إن جهنم لمحيطة بالكافرين " وقد كرر أن هذه المواعظ للمؤمنين خاطبهم لطفًا وعناية وقال : " يا عبادي الذين آمنوا " / ١٢ وجيز .

(٤) فيه أنه يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ، ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته قال على القاري: وأما اليوم فإنا بحمد الله لم نجد أعوانًا على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الديني وأظهر له من مكة حرمها الله تعالى. أقول: لولا ما فيه الآن من استطالة أهل البدع على أهل السنة وإيثار التنظيمات السلطانية على الأحكام الرحمانية ، وظلم أهل المكس على الحجاج ، وعدم الانتصاف من أهل الاعتساف على العمل بالسنة والتمسك بالحق ، والله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد. قال سهل: إذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين قلت: وأنى لنا هذا اليوم؟! لو علمنا أرضًا طائعة على وجه البسيطة على حسب ما نطق به الكتاب والسنة أو ما ذهب إليه فقهاء الأمة لخرجنا إليه إن شاء الله تعالى، ولكن كم من أمنية ضاعت فإنا لله وإنا إليه راجعون / ١٢ فتح البيان .

وهو جواب شرط محذوف ، أي : أرضي واسعة فإن لم تتمكنوا في إخلاص العبادة في أرض فاعبدوني في غيرها ولما حذف الشرط عوض عنه تقديم المفعول مع أن التقديم مفيد للاختصاص نزلت في ضعفة المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة إلى المدينة ، أو في قوم خافوا من ضيق العيش ، وتخلفوا عن الهجرة﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ فاستعدوا له بأي طريق تيسر لكم أو خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم**﴾ نترلنهم ﴿**مِّنَ الجَنَّة غُرَفًا**﴾ نصب غرفًا على قراءة لنبوئنهم أي : لنقيمنهم مفعول ثان أيضًا لإجرائه مجرى لنترلهم أو بترع الخافض أوتشبيه الظرف المعين بالمبهم لأنه منكر كأرضًا في "أو اطرحوه أرضًا "(يوسف:٩) ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ ذلك ﴿**الَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ على مفارقة الأوطان والمشاق لله ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ**﴾ لا على غيره ﴿**يَتَوَكَّلُونَ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّة لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا**﴾ لا ترفع رزقها معها ولا تدخره ﴿**اللَّهُ يَرْزُقُهَا**[1] **وَإِيَّاكُمْ**﴾ أيضًا إن كنتم تجمعون وتدخرون فلا تخافوا على معيشتكم بالهجرة ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوال العباد ﴿**الْعَلِيمُ**﴾ بأحوالهم فلا يغفل عنهم أبدًا ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم**﴾ أي : أهل مكة ﴿**مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ أي : إذا كان هذا جوابهم فكيف يصرفون عن توحيده فإنهم مقرون بأنه خالقها﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ**﴾ يضيق ﴿**لَهُ**﴾ هذا الضمير غير عائد إلى من ، بل وضع موضع لمن يشاء بجامع كونهم مبهمين ، وهذا من توسعهم فيتعدد المرزوق أو عائد إليه والتعدد بحسب أحواله يبسط له تارة ويقبض له أخرى ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم وهذه

---

(١) قال سفيان بن عيينة: ثلاث تدخر الفأر ، والنمل ، والبشر لا رابع لها ، في الحديث : (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا) أخرجه الترمذي ، وقال: حديث حسن كذا في الوجيز .[صحيح وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٤)]=

الآية لبيان أنه كما هوخالق فهو رازق ، وهم معترفون به أيضًا كما يبين بقوله:[1] ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ فإن المطر هو السبب الكلي لوجود الرزق ، وهم مع اعترافهم بخالقيته ورازقيته يعدلون عنه ﴿**قُلِ**﴾ يا محمد: ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ على ظهور حجتك عليهم ، وعلى عصمتك عن مثل تلك الضلالة ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ ما يقولون من الدلالة على بطلان الشرك.

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿**وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ إشارة تحقير ﴿**إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾ كما يجتمع الصبيان سويعة مبتهجين ، ثم يتفرقون وليس في أيديهم سوى إتعاب البدن ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ**﴾ الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ، فكأنها في نفسها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حية ففيه شذوذان قلب الياء واوًا وترك الإدغام﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ حقيقتها لعلموا صحة[2] ما قلنا ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ**

---

(١) والآية لبيان أنه كما هو الخالق فهو الرازق ، وهم معترفون بذلك أيضًا وكيف لا " ولئن سألتهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولم يؤثروا دار الفناء عليها فالخزف الباقي أحسن من الذهب الفاني سيما إذا كان الخزف هو الفاني / ١٢ وجيز .

﴿الدِّينَ﴾ يدعون أصنامهم ولا يدعونها، يبين أنهم مع الاعتراف بخالقيته ورازقيته في بعض الأحيان يعترفون بوحدانيته ومع ذلك يشركون ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجئوا المعاودة إلى شركهم من غير تأمل وسبب ، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ اللام لام الأمر على التهديد من باب " اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير " ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما فعلوا ﴿أَوَ لَمْ[1] يَرَوْا﴾ أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ جعلنا بلدهم ذا أمن لا يغار على أهله ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يختلسون تغزوا العرب بعضهم بعضًا حولهم ، وهم آمنون مع قلتهم وكثرة العرب ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ أي : أبعد لهذه النعمة الظاهرة بالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ بالرسول أو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ بلا تأمل واستعمال فكر ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقرير لثوائهم فيها أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء وكذبوا هذا التكذيب ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[2]﴾ في حقنا ومن أجلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الطرق الموصلة إلى جنابنا وثوابنا أو لنزيدهم هداية إلى سبيل[3] الخير ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ[4]﴾ بالنصرة والإعانة.

والحمد لله حق حمده.

---

(١) ولما أوعدهم لاطفهم بنعمة جليلة ظاهرة فقال : " أولم يروا " الآية / ١٢ .

(٢) في حقنا ورضانا ولم يجاهدوا في أنفسهم والشياطين / ١٢ وجيز .

(٣) قوله : " والذين اهتدوا زادهم هدى " (محمد:١٧)/ ١٢ .

(٤) عن عيسى كلمة الله صلوات الله وسلامه عليه (إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك) رواه ابن أبي حاتم/١٢ وجيز .

سورة الروم مكية إلا قوله "فسبحان الله"[1]

وهى ستون أو تسع وخمسون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم *

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿الـم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ غلبوا فى أدنى أرض العرب منهم، وهى أطراف الشام أو أدنى أرضهم إلى عدوهم، وهى الجزيرة أو الأردن، **﴿وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ[1]﴾**،

---

(١) قالوا لأبى بكر الصديق -رضى الله عنه- لما قرأ عليهم " الم غلبت الروم " أهذا كلامك أم كلام صاحبك فقال: ليس بكلامى ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى، ذكره شيخ الإسلام أبو العباس فى بعض فتاواه فى كلام البارى عز وجل/١٢.

من إضافة المصدر إلى المفعول[1]، ﴿سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ[2] سِنِينَ﴾، البضع ما بين الثلاث إلى العشر أو إلى التسع نزلت حين بلغ خبر غلبة فارس على الروم إلى مكة[3] فشمت أهلها وقالوا: أنتم أيها المؤمنون والنصارى أهل كتاب، ونحن وأهل فارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم، ﴿لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل كونهم غالبين، ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾: بعد كونهم مغلوبين يعني: ليس مغلوبيتهم

---

(١) أى غلبة فارس إياهم/ ١٢.

(٢) أخرج الترمذى وصححه والدارقطنى فى الأفراد والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل، والبيهقى فى الشعب عن نيار بن مكرم الأسلمى قال: لما نزلت " الم غلبت الروم " كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل الكتاب، وفى ذلك يقول الله: ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله " إلخ. وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا أهل الكتاب، ولا إيمان ببعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح فى نواحى مكة " الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين " فقال ناس من قريش لأبى بكر: ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس فى بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك فقال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبى بكر لم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطًا ننتهى إليه قال: فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبى بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على أبى بكر تسميته ست سنين لأن الله تعالى قال: "فى بضع سنين" فأسلم عند ذلك ناس كثير،[حسن، وانظر صحيح الترمذى(٢٥٥٢)] وأخرج الترمذى وحسنه عن ابن عباس -رضى الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لأبى بكر: "ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع"[صحيح، انظر صحيح الجامع (٢٥٥١)]، وأخرج البخارى عنه فى تاريخه نحوه، وفى الباب روايات وما ذكرنا يغنى عما سواه/١٢فتح.

(٣) وكان ذلك قبل هجرة النبى -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة/ ١٢ كمالين.

وغالبيتهم إلا بإرادته وقضائه، ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يوم يغلب الروم فارس، ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾: بتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له أو لأجل ظهور صدقهم فيما أخبروا به من غلبة الروم، ﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: ينتقم من عباده تارة بالمغلوبية، ﴿الرَّحِيمُ﴾ فيتفضل أخرى بالنصر، ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾، مصدر مؤكد لنفسه، ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: صحة وعده لكفرهم، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن لها ظاهرًا وهو التمتع بزخارفها، والتنعم بملاذها وباطنًا وهو أنها مجاز إلى الآخرة، ومزرعتها، جملة مستأنفة لبيان موجب جهلهم، ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾: لا يخطر ببالهم، فهم عقلاء فى أمور الدنيا بُلهٌ فى أمور الدين، ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾، التفكر لا يكون إلا فى القلوب لكن فيها زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك: أضمره فى نفسك، ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ﴾، ما نافية متعلق بمحذوف، أي: فيقولوا أو فيعلموا ما خلق الله، ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ﴾: متلبسة، ﴿بِالْحَقِّ﴾: لا عبثًا وباطلاً، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: تنتهى عنده وهوقيام الساعة، عطف على الحق، أو معناه أو لم يتفكروا فى أمر أنفسهم فإنها عالم صغرى فيعلموا حقيقة خلق العالم الكبرى وفناءه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ[1] بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: قيام الساعة، ﴿لَكَافِرُونَ﴾: جاحدون، ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾: ألم يسافروا؟! ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: فينظروا مصارع الأمم السالفة المكذبة، فيعتبروا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، كعاد وثمود، ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ﴾، قلبوها للزراعة، ﴿وَعَمَرُوهَا﴾: بالأبنية أو بالزراعة، ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، فإنهم فى واد غير ذى زرع، ﴿وَجَاءَتْهُمْ

---

(١) لما كان معظم نعيم الآخرة لقاء الله سمى الآخرة باللقاء؛ فيا رب لا تحرمنا من النظر إلى وجهك الكريم / ١٢ وجيز.

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَات﴾: فكذبوهم، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، فإنه حرم الظلم على نفسه، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾، حيث عملوا ما استحقوا[1] به التدمير، ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءوا السُّوأَى﴾ أي: هم عوقبوا فى الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم عقوبة هى أسوء العقوبات السوأى تأنيث الأسوء كالحسنى، ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ أى: لأن، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءونَ﴾، قيل: السوأى مفعول أساءوا أي: اقترفوا الخطيئة، و"أن كذبوا" خبر كان، أي: كان عاقبتهم أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا واستهزءوا بالآيات.

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بعد الإعادة للجزاء، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾: يسكت[2] أيسًا من كل خير، ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الكاملون فى الجرم،

---

(١) وما أغنى عنهم غناهم فليحذر قريش ومن يحذو حذوهم/١٢ وجيز.

(٢) يقال: ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج / ١٢.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِن شُرَكَائِهِمْ﴾: ممن أشركوا بالله، ﴿شُفَعَاءُ[1] وَكَانُوا﴾: فى الآخرة، ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: يكفرون بهم بعد اليأس من شفاعتهم، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾، تأكيد ليوم تقوم الساعة، ﴿يَتفَرَّقُونَ﴾، أي: المؤمنون والكافرون تفرقًا لا اجتماع بعده، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ هى أرض ذات نبات وماء، ﴿يُحْبَرُونَ[2]﴾: يسرون سرورًا تهلل له وجوههم، ﴿[3]وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه أبدًا وهذا تفصيل لتفرقهم، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، تتريه منه تعالى لنفسه الأقدس وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده فى هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، ﴿حِينَ تُمْسُونَ[4] وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أي: هو المحمود فيهما وعلى أهلهما أن يحمدوه، ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين تمسون، وله الحمد إلخ، اعتراض مناسب للتسبيح، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهيرة وسط النهار وفى الحديث[5]

---

(١) لا من ملك ونبى كعيسى وعزير ولا من صنم / ١٢ وجيز.

(٢) نكر روضة لإبهام أمرها وتفخيم شأنها وجاء "يحبرون" بصيغة المضارع لأن لهم فى كل لمحة ما يسرون به من متجددات النعم وإذا جعلت فى روضة خبرًا فيحبرون حال/١٢ وجيز.

(٣) جاء فى الكافرين باسم المفعول لدوام عذابهم كأنه وصف لازم لهم ولما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد فقال: " فسبحان الله " الآية/١٢ وجيز.

(٤) وتخصيص التسبيح بالصباح والمساء لظهور آثار القدرة فيهما وتخصيص الحمد بآخر النهار ووسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر / ١٢ وجيز.

(٥) رواه الطبراني، وأبو داود فى سننه/ ١٢ وجيز[ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الجامع(٥٧٤٥)].

" من[1] قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون (الآية) أدرك ما فاته فى يومه، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته"، وعن ابن[2] عباس الآية جامعة للصلوات الخمس حين تمسون المغرب، والعشاء وعشيا العصر والباقى ظاهر، ﴿يُخرِجُ الحَى مِنَ المَيِّتِ ويُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾: كالإنسان من النطفة، والنطفة منه، ﴿ويُحيى الأَرْضَ﴾: بإخراج النبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِها﴾: يبسها، ﴿وكَذلِكَ﴾: مثل ذلك الإخراج، ﴿تُخرَجُونَ﴾: من قبوركم.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ۝٢٢ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٢٣ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٤ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۝٢٥ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ۝٢٦ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧ ﴾

---

(١) وفى الفتح وإسناده ضعيف/ ١٢.

(٢) أخرجه الحاكم / ١٢[فى المستدرك (٢/٤١٠) وصححه وأقره الذهبى].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾، فإنه أصل الكل، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ أي: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا منتشرين فى الأرض، فثم لتراخى الرتبة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: من جنسكم، أو المراد خلق حواء من ضلع آدم، قيل: المراد خلقن من نطف الرجال ﴿لِّتَسْكُنُوا﴾: لتميلوا وتألفوا، ﴿إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ بين الرجال والنساء، ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: بعد أن لم تكن سابقة معرفة ولا سبب يوجب التعاطف، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فى غرائب صنعه، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ[1] أَلْسِنَتِكُمْ﴾: لغاتكم وايم الله إنه من غرائب صنعه، فَلِكُلٍّ لغة والكل مركب من تسعة وعشرين حرفًا، ولو تكلم صاحب لغة بلغته من مبدأه إلى منتهاه بحكايات مختلفة متميزة لتمكن منه، ولا يتحد كلام بكلام مع اتحاد ما ركب منه، ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾، هيئاتكم وحُلاكم بحيث وقع التمايز حتى بين التوأمين، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ لا تكاد تخفى على أحد، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ من باب اللف[2]، أى: منامكم، وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار وهما ظرفان والواقع فيهما مظروفهما، والظرف والمظروف كشيء واحد فلا فصل بالأجنبى والنكتة فى العدول هى الاهتمام بشأن الظرف، أو المراد منامكم فى الزمانين وطلب المعاش فيهما فحذف من أحد المتقابلين ما يقابل الآخر للدلالة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تَفَهمٍ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ أي: إراءة البرق نزل الفعل منزلة المصدر، ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: إراءة خوف وطمع أو إخافة

---

(١) قيل: المراد كيفية النطق فلأحدٍ لكنة وللآخر فصاحة ولا تسمع منطقين متفقين فى ممر واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة / ١٢ وجيز.

(٢) قال الله تعالى: " جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله"،[القصص:٧٣] و" جعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا "[النبأ:١٠-١١] /١٢ وجيز.

وإطماعًا من الصاعقة، وفى الغيث أو خائفين وطامعين أو مفعول له لفعل يلزم المذكور كأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفًا وطمعًا،﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: إنزاله منه، ﴿فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ يعنى قائمتان بأمره لهما، وتسخيره إياهما من غير مقيم مشاهد لما كان القيام غير متغير أخرج الفعل بما يدل على أنه اسم، وهو إن ليدل على الثبوت لكن إراءة البرق لما كانت من الأمور المتجددة لم يذكر معها ما يدل على المصدر، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ[1] الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، عطف على أن تقوم أي: ومن آياته قيام السماء ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وثم لعظم ما فيه، ومن الأرض ظرف دعاكم وإذا الثانية للمفاجأة تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط، ﴿وَلَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: خلقًا وملكًا، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: منقادون لتصرفه فيهم، ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ﴾ أي: أن يعيده، ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، بالقياس إلى أصولكم وإلا فهما عليه بالسوية، أو أهون بمعنى هين قيل: أهون على الخلق فإنهم يقومون بصيحة واحدة فهو أهون من أن يكونوا نطفًا، ثم كذا ثم كذا ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى﴾: الوصف العجيب الشأن الذى ليس لغيره ما يدانيه كالوحدة والقدرة،﴿فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ﴾: الذى يغلب ولا يغلب، ﴿الحَكِيمُ[2]﴾: فى أفعاله.

---

(١) وهذه نتيجة جميع الآيات المتقدمة فإن من أذعن وفهم تلك الآيات يعرف أن هذه الآيات العظيمة ظاهرة ثابتة لا ينكرها إلا من ليس له تدبر وسمع وعقل/١٢ وجيز.

(٢) فكيف لأحد أن يتخذ أحدًا شريكًا له فى ألوهيته، ضرب لكم مثلا من أنفسكم منتزعًا من أحوال أنفسكم فى فساد اعتقاد أن لله شركاء هل لكم من ما ملكت أيمانكم من مماليككم مع أن الملكية فيه عارض قابل للزوال ومملوككم مثلكم فى أنه بشر وفى الهيئات، ومملوك الله مبائن غير مشابه فى شيء/ ١٢ وجيز.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ
إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾
وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا
فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ
ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منتزعًا من أحوالها من للابتداء، ﴿هَل لَّكُم مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾: من مماليككم، من للتبعيض، ﴿مِّن شُرَكَاءَ﴾، من زيدت للتأكيد، لأن الاستفهام بمعنى النفي، ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من أموال وأولاد، ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، يعنى: هل ترضون أن يشارككم بعض مماليككم فى أموالكم فتكونون أنتم وهم على السواء من غير تفصلة فى التصرف، ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: تهابون أن يستبدوا بتصرف، ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، كما يهاب بعضكم بعضًا من الأحرار فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف لرب الأرباب مالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء، كانوا يقولون فى تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك،﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التفصيل، ﴿نُفَصِّلُ﴾: نبين، ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[1] بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا، ﴿أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين ليس لهم رادع، ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: من يقدر على هداية من أراد الله إضلاله، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: يخلصوهم من الغواية وبوائقها، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ[2]﴾: قومه، ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: لا تلتفت عنه وتوجه بكليتك إليه، وحنيفًا حال إما من فاعل أقم أو من الدين، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾: الزموا فطرته، أي: خلقته أو دينه، ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فإنه فطر الخلق على معرفته وتوحيده[3] ثم طرأ على بعضهم العقائد الفاسدة، ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: ما ينبغى أن يبدل تلك الفطرة، وقيل: لا تبديل لما

---

(١) لا لجاهل لا يعرف الغث من السمين / ١٢ وجيز.

(٢) يعنى لما علمت أن الله أضلهم وليس لهم ناصر فأعرض عنهم، وتوجه بكليتك إلى الله/١٢ وجيز.

(٣) كما قال -صلى الله عليه وسلم-:كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه)[أخرجاه فى الصحيحين] يعنى العقائد الفاسدة لم تطرأ إلا من خارج / ١٢ وجيز.

جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة، **﴿ذَلِكَ﴾**، إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة المفسرة بالدين، **﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾**: المستوى الذى لا عوج فيه، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**: استقامته، **﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾**: راجعين إليه بالتوبة حال من فاعل الزموا أو أقم وخطاب[1] الرسول خطاب لأمته، **﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ﴾** بدل من المشركين، **﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾**: جعلوه أديانًا مختلفة، **﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾**: فرقًا، **﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾**: منهم، **﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾**: مسرورون بمذهبهم يحسبون أنهم على شيء، **﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾**: شدة، **﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ[2]﴾**: بالدعاء، **﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِنْهُ رَحْمَةً﴾**: خلاصًا من تلك الشدة، **﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾** فاجأ بعضهم بالإشراك بالله، **﴿لِيَكْفُرُوا﴾**، اللام لام العاقبة، **﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾** أو لام الأمر للتهديد فيناسب قوله: **﴿فَتَمَتَّعُوا﴾**، لكن فيه التفات للمبالغة، **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾**: عاقبة تمتعكم، **﴿أَمْ أَنزَلْنَا﴾**: بل أنزلنا، **﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾**: حجة، **﴿فَهُوَ[3] يَتَكَلَّمُ﴾**: ينطق، **﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾** أي: الحجة ناطقة بالأمر الذى بسببه يشركون أو بإشراكهم بالله، **﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾**: نعمة، **﴿فَرِحُوا بِهَا﴾**: فرح البطر، **﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾**: شدة، **﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾**، من المعاصي، **﴿إِذَا هُمْ[4] يَقْنَطُونَ﴾** فاجأوا القنوط من رحمة الله، **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن**

(١) ولذا أتى بصيغة الجمع / ١٢.

(٢) وحدوه بالتضرع، والدعاء وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لا يكشف السوء إلا الله/١٢.

(٣) والتكلم مجاز نحو: " هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق "[الجاثية:٢٩] / ١٢ وجيز.

(٤) قال صاحب البحر: لا نعلم إذا الفجائية جواب إن إلا فى موضعين هذا وفى " وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون "[التوبة:٥٨] / ١٢ وجيز.

﴿يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء فما لهم يقنطون من رحمته ولا يشكرون كالمؤمنين، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، فإنهم مستدلون بها على حكمته وقدرته، ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾: من الصلة والبر، لما ذكر بسط الرزق أتبعه ذكر الصدقة فجيء بالفاء، ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، وحقهم نصيبهم من الصدقة، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: جهته، وجانبه أو يريدون النظر إليه فى الآخرة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾، أى: ما أعطيتم من أجل ربا، ﴿لِيَرْبُوَ﴾: ليزيد ويزكو، ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أى: بين أموالهم[1]، ﴿فَلَا يَرْبُو﴾: لا يزكو، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، ولا يثاب عليه يعنى من يعطى عطية يريد أن يرد المهدى له أكثر مما أهدى فلا ثواب له لكن هذا ليس بحرام أو الآية فى الربا المحرم والأول هو قول السلف، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾: صدقة، ﴿تُرِيدُونَ﴾: به، ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: مخلصين، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي: ذو الإضعاف من الثواب وضمير ما محذوف أى المضعفون به، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، "من" موصولة مبتدأ و"من شركائكم" خبره و"من" للتبعيض، و"من شيء" مفعول يفعل ومن زيدت لتعميم المنفى ومن فى "من ذالكم" إما للبيان قدم أو للتبعيض، قيل من استفهامية ويفعل خبره ومن شركائكم بيان من قدم عليه وفى هذا الوجه من المبالغة ما ليس فى الأول ولما أثبت صفات الألوهية لله ونفاها عن الشركاء استنتج من ذلك تقدسه عن الشركة فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾، عطف على ناصب سبحانه، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) بين أموال الناس فيرجع إليه كمن أرسل غنمه بين غنم الناس ليسمن فى مرعاهم فيرجع إليه بعد سمنها / ١٢.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ
ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ
ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ
فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ
يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا
رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ﴾

﴿ظَهَرَ[1] الفَسَادُ﴾ كالجدب وقلة الأمطار، وقلة الريح وكثرة الوباء، والمحن ومحق البركات، ﴿فِي البَرِّ﴾: الفيافي، ﴿وَالْبَحْرِ﴾: الأمصار والعرب تسمى الأمصار البحار أو المراد منهما المعروفان، وقالوا: إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وخلت أجواف الأصداف، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ﴾: من المعاصي، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ﴾ أي: جزاء بعض، ﴿الَّذِى عَمِلُوا﴾: فى الدنيا واللام للعلة متعلق بظهر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[2]﴾: عما هم عليه، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾، ليروا فى منازلهم آثار البلاء وكيف خبر كان، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾، استئناف للدلالة على سوء عاقبتهم لفشو الشرك فيهم، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: قوم وجهك له وعَدِّله، ﴿القَيِمِ﴾: البليغ الاستقامة، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِى يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ﴾: لا يقدر أن يرده أحد، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، ظرف يأتى أو مرد أي: لا رد من جهته لأن إتيانه فى علمه القديم ومرد مصدر بمعنى الرد، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ[3]﴾: لا على غيره، ﴿كُفْرُهُ﴾: وبال كفره، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: عملاً صالحًا، ﴿فَلأَنفُسِهِمْ﴾ لا لغيرها، ﴿يَمْهَدُونَ﴾: يسوون فى آخرتهم مترلاً، ﴿لِيَجْزِى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾، علة ليصدعون أو للا مرد أو ليأتي، والاقتصار على جزاء المؤمن للإشعار بأنه المقصود

---

(١) ولما ذكر دلائل الوحدة، ونفى الشرك وظهر من الكلام عنادهم ولجاجهم فى ارتكاب ما لا يرضى به الله تعرض لبيان ما يستلزمه فى الدنيا فقال: " ظهر الفساد " وبارتفاع البركات وحدوث الرزايا والفتن أو غلبة الكفار / ١٢ وجيز.

(٢) يعنى أنه تعالى أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بها جميعًا فى الآخرة لعلهم يرجعون فلا يذيقهم الباقى / ١٢ وجيز.

(٣) ذكر فى الكفر بعليه دلالة على الثقل والمشقة، وفى المؤمن باللام التى كلام الملك والنفع ليجزى أي: يصدعون ليجزى إلخ / ١٢ وجيز.

بالذات أو الاكتفاء على فحوى قوله ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾، فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين، ومن فضله دال على أن الإثابة تفضل محض، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ[١] أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ[٢]﴾: بالمطر فالصبا والشمال والجنوب رياح رحمة، ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِن رَّحْمَتِهِ﴾: التابعة لنزول المطر كالخصب، وزكاء الأرض وغيرهما عطف على مبشرات بحسب المعنى أو على محذوف أى مبشرات بالمطر لفوائد جمة وليذيقكم، ﴿وَلِتَجْرِيَ[٣] الفُلْكُ﴾: بهذه الرياح، ﴿بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾، يعنى تجارة البحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتشكروا نعمة الله، ﴿وَلَقَدْ[٤] أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كما أرسلناك، ﴿فَجَاءوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات فبعضهم كذبوا بها، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ وهم المكذبون، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ من جهة الوعد واللطف، ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[٥]﴾، فيه تبشير النبى

---

(١) ولما بين أن معاصى الإنسان سبب لظهور الفساد فى البر والبحر ذكر ما أنعم فيهما فقال: " ومن آياته أن يرسل الرياح " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) بعضها لتحصيل السحاب وبعضها لجمعه وبعضها للأمطار والصبا والشمال رياح الرحمة بخلاف الدبور / ١٢ وجيز.

(٣) فى ذهابه وإيابه ولو لم يكن الرياح المختلفة لا يستوى سير الفلك المختلف مقصدها/١٢ وجيز

(٤) ولما بين دلائل الوحدة والمعاد بين الأصل الثالث الذى هو النبوة التى كالغيث كما فى الصحيحين (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كالغيث) الحديث بطوله وأتبعه بقوله: " ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً " الآية / ١٢ وجيز.

(٥) هو اسم كان وأخره رعاية للفاصلة والاهتمام بالخبر وفى هذه العبارة بشارة عظيمة قيل يوقف على حقا، وفى كان ضمير أى الانتقام حق لا ظلم ثم ابتدأ وقال: " علينا نصر المؤمنين " ولما أجمل أمر بشارة الرياح لطفًا عامًّا لأن، يشكروا ووعد الشاكر وأوعد الكافر وآنس نبيه -صلى الله عليه وسلم- فصل أمر الرياح واستدل بما يتبعها للمعاد فقال: " الله الذى " الآية / ١٢ وجيز.

عليه السلام والمؤمنين، ﴿اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تخرجه من أماكنه، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ﴾: فى سمتها، ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾: سائراً وواقفاً مطبقًا وغيره إلى غير ذلك، ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ أي: تارة يبسطه وتارة يجعله قطعًا، ﴿فَتَرَى الـوَدْقَ﴾: المطر، ﴿يَخْرُجُ﴾: فى التارتين، ﴿مِنْ خِلالِهِ﴾: وسطه، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فاجأوا بالاستبشار، ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: المطر، ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ تكرير للتأكيد ومعنى التأكيد الدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم،﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين، عن بعض الفضلاء إن الظرف الأول لمبلسين، والثانى لينزل، أي: ينزل من قبل وقت نزوله كما إذا كنت معتاداً لعطاء من أحد فى وقت معين فتأخر عن ذلك الوقت، ثم أتاك به فتقول: قد كنت آيساً من قبل أن تجيئنى بهذا من قبل هذا الوقت، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: الغيث، ﴿كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: من هو محيى الأرض، ﴿لَمُحْيِي المَوْتَى﴾: بعد إماتتهم، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىٍ قَدِيرٌ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا[1] رِيحًا﴾: مضرة، ﴿فَرَأَوْهُ﴾ الضمير لأثرها أي: النبات والزرع، ﴿مُصْفَرًّا﴾: من الجائحة، ﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد اصفرار الزرع، ﴿يَكْفُرُونَ﴾ وأما المؤمنون فيفرحون بنزول الرحمة لا فرح بطر ويشكرون ويرون الجائحة من شؤم أنفسهم ويستغفرون، واللام موطئة للقسم، وقوله " لظلوا " جواب له ساد جزاء الشرط، ﴿فَإِنَّكَ[2] لاَ تُسْمِعُ المَوْتَى﴾: والكفار فى عدم جدوى السماع مثلهم، ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ الأصم

---

(١) وفى الحديث (اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا)[ضعيف، أخرجه الطبرانى وغيره]، أي: إن أرسلنا ريحًا مضرة/١٢وجيز.

(٢) ولما علم من قوله: "لظلوا من بعده يكفرون" أن ليس لهم تدبر ولا بصيرة ناسب أن يتبعه بالفاء فى قوله: " فإنك لا تسمع الموتى " الآية /١٢ وجيز.

المقبل ربما يفطن من الكلام بمعونة مشاهدة القرائن شيئًا منه بخلاف المدبر، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْى عَن ضَلالَتِهِمْ﴾ والكفار كمن لا عين له يضل الطريق وليس لوسع أحد أن ينزع عنه العمى، ويجعله بصيرًا، ﴿إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: ما ينفع الإسماع إلا لمن علم الله أنه يصدق بآياته وما طبع على قلبه،﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: منقادون لما تأمرهم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿اللَّهُ(١) الَّذِى خَلَقَكُم مِن ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً(*)﴾، يعني: ابتدأكم ضعافًا كقوله: " خلق الإنسان من عجل "[الأنبياء:٣٧] يعني أساس أمرهم

---

(١) ولما ذكر من الدلائل الآفاقية ما هو دال على الإعادة ذكر شيئًا من الأنفسية دالاً على ذلك فقال: "الله الذى خلقكم من ضعف " الآية / ١٢ وجيز.

(*) قرأ حفص (أي: فى "ضعف" الأولى، و"ضعف" الثانية، و"ضعفًا" الثالثة) بضم الضاد وفتحها فى الثلاثة لكن الضم مختار/ ١٢.

وما عليه جبلتهم الضعف، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً[1]﴾: رجع إلى حالة الطفولية، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ﴾ فإن هذا الترديد فى هذه الأحوال أظهر دليل على صانع عليم قدير، ﴿وَيَوْمَ[2] تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿يُقْسِمُ﴾: يحلف، ﴿المُجْرِمُونَ﴾: المشركون، ﴿مَا لَبِثُوا﴾ فى الدنيا، ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ واحدة، ومقصودهم بذلك عدم الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا، أو لم يمهلوا ليؤمنوا أو مرادهم ما لبثوا فى قبورهم، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الصرف، ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾، [3] عن الصدق فى الدنيا أراد الله تفضيحهم فحلفوا على ما تحقق كذبه على الكل، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾: ردًا عليهم، ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فى علم الله أو اللوح المحفوظ، ﴿إِلَى يَوْمِ البَعْثِ﴾ يعني: مبين فى كتاب الله أنكم لبثتم من ساعة، بل إلى يوم البعث، ومعلوم أنه مدة ممتدة، وعن بعض معناه: الذين أوتوا العلم فى كتاب الله يعني: الذين قرءوا فى القرآن، "ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون"[المؤمنون:١٠٠] قالوا للمنكرين: لقد لبثتم فى البرزخ إلى يوم البعث، وقيل: معناه لبثتم فى تصديق كتاب الله إلى يوم القيامة، ﴿فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ﴾ أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا[4] يومه، ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يطلب منهم إزالة غضب الله عليهم بالتوبة، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: بينا لهم من كل مثل يرشدهم إلى التوحيد والبعث،﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ أى آية كانت، ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ

(١) قد صرح بعض اللغويين أن الضعف بالضم فى البدن وبالفتح فى العقل/١٢ وجيز.

(٢) ولما أثبت قدرته على البعث ذكر شيئًا من أحواله فقال: " ويوم تقوم الساعة "/١٢وجيز.

(٣) فالغرض من الإغراق فى وصف المجرمين بالتمادي، والإصرار على الباطل/١٢ وجيز.

(٤) فالفاء لجواب شرط مقدر / ١٢.

﴿كَفَرُوا﴾: من فرط عنادهم، **﴿إِنْ أَنتُمْ﴾** أي: ما الرسول والمؤمنون، **﴿إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾**: مزورون، **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل ذلك الطبع، **﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**: فلا يدخلها إيمان ولا إيقان والأصل على قلوبهم وضع المظهر موضع المضمر لبيان جهلهم،**﴿فَاصْبِرْ﴾**: على أذاهم، **﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾**: فينصركم ولو بعد حين، **﴿وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ[1]﴾**: لا يحملنك على الخفة والجزع، **﴿الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ[2]﴾**: المشركون.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) النهى وإن كانت لغيره لكنه فى الحقيقة راجع إليه فهو كقوله: لا أرينك هاهنا/١٢ كمالين.

(٢) بل شاكون ضالون ولا يليق بأهل اليقين أن يستخفه مثلهم/١٢ وجيز.

سورة لقمان مكية

قيل إلا ثلاثا من قوله: "ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام"

وهى أربع وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم *

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن
لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى
ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾

﴿**الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ المشتمل على الحكم، أو المحكم آياته قيل: وصف كتاب الله بصفة الله على الإسناد المجازي، ﴿**هُدًى**﴾ حال[1] عن الآيات،

---

(١) العامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة أي: أشير إلى آياته حال كونه هدى ورحمة/١٢ جلالين مع الكمالين.

﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أيقنوا بالدار الآخرة، والجزاء فيها فرغبوا إلى الله وأخلصوا العمل، ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١]﴾: فى الدارين، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ[٢] الْحَدِيثِ﴾، من[٣] يحب الغناء ويختاره، والمزامير على حديث الحق أو يشترى المغنيات ويرغب الناس فى سماعها أي: ذات لهو الحديث أو نزلت فى من[٤] اشترى كتب أخبار سلاطين العجم، ويحدث بها قريشًا فيختارون استماعه على

(١) ولما وصف القرآن بأنه مشتمل على الحكم فمن تمسك به فهو حكيم، ومن أعرض عنه فهو سفيه ذكر على سبيل التعجب فقال: " ومن الناس " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) لهو الحديث قال القرطبي: إن أولى ما قيل فى هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغناء قال: وهو قول الصحابة والتابعين، وعن ابن عباس -رضى الله عنه- قال: هو الغناء وأشباهه، أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: هو والله الغناء والله الذى لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات[أخرجه الحاكم(٢/ ٤١١) وصححه] قال الطبري: قد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد، وعبد الله العنبرى قال الشوكانى فى نيل الأوطار بعد نقل الاختلاف فيه مع الأدلة: لا يخفى على الناظر أن محل النزاع إذا خرج عن دائرة الحرام يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح، (ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)[جزء من حديث أخرجاه فى الصحيحين] ولاسيما إذا كان مشتملاً على ذكر القدود والخدود والجمال والدلال والهجر والوصال ومعاقرة العقار وخلع العذار والوقار فإن سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وإن كان من التصلب فى ذات الله على حد يقصر عنه الوصف وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول وأسير الهموم غرامه وهيامه مكبول نسأل الله السداد والثبات/١٢ فتح.

(٣) رواه الحاكم وصححه عن ابن مسعود / ١٢ كمالين.

(٤) وهو النضر بن الحارث / ١٢ جلالين.

استماع القرآن، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من فاعل يضل قال قتادة رضى الله عنه: بحسب المرء من الجهل أن يختار حديث الباطل على الحق أو يشريه بغير علم بالتجارة[(١)] وبغير بصيرة، ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي: سبيل الله، ﴿هُزُوًا﴾: سخرية، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: لإهانتهم[(٢)] الحق، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ﴾: أعرض عنها، ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا، ﴿كَأَن﴾ أي: كأنه، ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، حال أي: مشابهًا حاله بحاله أو استئناف، ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، ثقلاً مانعًا عن الاستماع بدل من كان أو حال من فاعل لم يسمع أو استئناف، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فيه تهكم[(٣)]، ﴿إِنَّ[(٤)] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه، ﴿حَقًّا﴾ مؤكد لغيره، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب المطلق، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى أفعاله، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: صفة لعمد يعنى لها عمد غير مرئية أو استئناف أي: ترونها لا عمد لها، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً شوامخ، ﴿أَن تَمِيدَ﴾ كراهة أن تميد ﴿بِكُمْ﴾ فإن الأرض كانت تضطرب قبل خلق الجبال، فلا يمكن السكون على وجهها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كل صنف كثير النفع، ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾: مخلوقه، ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن

---

(١) بالتجارة وبغير بصيرة بالبيع والشراء حيث استبدل الضلال بالهدى / ١٢ وجيز.

(٢) بالسخرية / ١٢.

(٣) فإن من قال البشارة تستعمل فى ما لا يسر أيضًا يسلم أن المتبادر منها السرور وضمير ليشترى ويضل محمول على لفظ من، وفى أولئك لهم حمل على المعنى ثم فى عليه وفيما بعده على اللفظ / ١٢ وجيز.

(٤) لما بين سبحانه وتعالى من يعرض عن الآيات بين حال من يقبل عليها فقال: " إن الذين آمنوا " الآية / ١٢ فتح.

﴿دُونِهِ﴾ أي: آلهتكم حتى استوجبوا عندكم عبادتها ونصب ماذا بخلق أو ماذا مبتدأ وخبر أي: ما الذى خلق وحينئذ أو أرونى معلق عنه، ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بضلال ليس بعده ضلال.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ الأصح، بل الصحيح أنه[1] ما كان نبيًّا، بل كان عبدًا صالحًا أدرك داود عليه السلام، وعن كثير من السلف: إنه عبد

---

(١) واتفقوا عليه إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبيًّا، وتفرد بهذا القول / ١٢ كمالين.

أسود[1] آتاه الله تعالى الحكمة، وعن بعض: إن الله خيره بين النبوة، والحكمة، فاختار الحكمة فإن فيها السلامة، ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾، أي: لأن أو مفسرة فإن إيتاء الحكمة فى معنى القول، ﴿لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: نفعه لا يعود إلا إليه، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج إلى شيء، ﴿حَمِيدٌ﴾: حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد، ﴿وَإِذْ قَالَ[2] لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾، تصغير إشفاق، ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، نقل أن ابنه وامرأته كانا كافرين فما زال بهما حتى أسلما، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: برعايتهما، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ[3]﴾: تضعف ضعفًا فوق ضعف أو ذات[4] وهن على وهن، ﴿وَفِصَالُهُ﴾: فطامه، ﴿فِي عَامَيْنِ﴾، أي: فى انقضائهما، وذلك أقصى مدة الرضاع عطف على الجملة الحالية التى هى تهن وهنًا على[5] وهن لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المتاعب فى حمله، وفصاله إيجابًا للتوصية بها خصوصًا، ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ تفسير لوصينا

---

(١) روى أنه تعجب شخص من وجاهته عند الخلق مع أنه أسود غليظ الشفتين فقال: غضى لبصرى وكفى لسانى وتركى ما لا يعنيني صيرنى كما تراني/١٢ وجيز. وقد حكى الله سبحانه من مواعظه لابنه ما حكاه وفيه كفاية، وما عدا ذلك مما لم يصح فليس فى ذكره إلا شغلة للخير وقطيعة للوقت، ولم يكن نبيًّا حتى يكون ما نقل عنه شرع من قبلنا ولا صح إسناد ما روى عنه من الكلمات حتى يكون ذكر ذلك من تدين وكلام الحكمة التى هى ضالة المؤمن / ١٢ فتح.

(٢) أى اذكر إذ قال حتى تعرف من كلامه وحكمته / ١٢ وجيز.

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنه شدة بعد شدة /١٢ وجيز.

(٤) على الوجه الأول، وهنًا مصدر لفعله المحذوف، والجملة حالية وعلى الثانى وهنًا حال مفرد بتقدير مضاف / ١٢ منه.

(٥) عطف الاسمية على الفعلية / ١٢ وجيز

أو علة له[١]، ﴿إِلَيَّ وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فأجازيك[٢]، ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾: بالغاك وحرضاك، ﴿عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ما ليس بإله يعني: ما ليس لك علم باستحقاقه للإشراك تقليدًا للوالدين فـ"ما ليس" مفعول تشرك، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: فى ذلك، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: صحابًا معروفًا مشروعًا حسنًا بخلق[٣] جميلٍ وحلمٍ وبرٍ ومروة، ﴿وَاتَّبِعْ﴾: فى دينك، ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾: رجع، ﴿إِلَيَّ﴾: بالتوحيد والطاعة، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: المولود والوالدين، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بجزاء عملكم والآيتان أعني: ووصينا إلى هنا وقعتا فى أثناء وصية لقمان على سبيل الاستطراد[٤] تأكيدًا لما فى وصيته من النهى عن الشرك، وقد نقل أهما نزلتا حين قالت أم سعد لسعد حين أسلم: لتدعن دينك أو لأدع الطعام والشراب حتى أموت، فأجاب: والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني هذا بشيء إن شئت كلي وإن شئت لا تأكلي، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ أي: الخصلة السيئة قيل: إن لقمان قال[٥] ذلك فى جواب ابنه حين قال له: إن عملت

---

(١) فإلى موجدك وهما واسطتان / ١٢ وجيز.

(٢) فأجازيك فى شكرك عن ابن عيينة -رضى الله عنه- فى هذه الآية: من صلى الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين/١٢ منه ووجيز.

(٣) وكفى بهما وصية إنهما إن أمرا بالشرك فليس عليه سوى اللين والكلام الطيب مثل أن يقول: هل ترضين يا أمي الشقاوة لى والعذاب المخلد، ومثل ذلك / ١٢ وجيز.

(٤) وفيها تشديد وتأكيد لاتباع الوالد والوالدة، والنهى عن الشرك والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا فى سعد بن أبي وقاص، وعن جماعة من السلف الآيتان مما أوصى به لقمان لابنه أخبر الله عنه بذلك بعبارته المنسوبة إلى نفسه الأقدس وقيل: من كلام الله قاله للقمان يعني: وقلنا له ووصينا / ١٢ وجيز.

(٥) نقله محيى السنة عن قتادة / ١٢ منه.

خطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمها الله؟﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ[١] مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: فى أخفى مكان وأحرزه، وعن بعض[٢] إن المراد منها: صخرة تحت الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار، ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾، أو فى أعلى مكان أو أسفله، ﴿يَأْتِ[٣] بِهَا اللَّهُ﴾: يحضرها يوم القيامة للجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: يصّل علمه إلى كل[٤] خفي، ﴿يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: من الشدائد، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الصبر أو المذكور كله، ﴿مِنْ عَزْمِ[٥] الأُمُورِ﴾ أي: مما عزمه الله أى قطعه وأوجبه من الأمور، وهو مصدر للمفعول أى من معزوماها أو مفروضاها، ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾: لا تمله، ﴿لِلنَّاسِ﴾، كما يعمله المتكبرون، يعني: لا تعرض عن الناس بوجهك إذا كلموك تكبرًا، ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ أى: لا تمرح مرحًا أو للمرح والبطر كما قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس) [الأنفال:٤٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: ذى تكبر، ﴿فَخُورٍ﴾: يفتخر[٦] على

(١) فى موقع الصفة لحبة.

(٢) نقله السدى عن ابن مسعود -رضى الله عنه- وابن عباس -رضى الله عنه- وجماعة من الصحابة/١٢ منه.

(٣) جواب لـ"إن"/ ١٢.

(٤) فإنه هو خالقه وحافظه / ١٢.

(٥) جاز أن يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل أي: من عازمات الأمور من قوله تعالى: " فإذا عزم الأمر "[محمد:٢١] نحو: جد الأمر وصدق القتال / ١٢ منه. وفى الوجيز وقد ورد (إن الله يحب أن يعمل برخصه كما يحب أن يعمل بعزائمه)[صحيح، بنحوه فى صحيح الجامع (١٨٨٥)، والإرواء] بمعنى مفروضاته.

(٦) على الناس ولهذا دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بـ"اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين"[صحيح، انظر صحيح الجامع(١٢٦١)] / ١٢ وجيز.

الناس، ولا يتواضع، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسط بين الدبيب والإسراع، ﴿وَاغْضُضْ[1]﴾: وانقص وأقصر، ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾: أوحشها، ﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ أي: لصوت ذلك الجنس من الحيوان، فإنه صوت رافع لا فائدة فيه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن
يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ
عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ
قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ
وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا

---

(١) وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت / ١٢ وجيز.

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا[1] أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾: بأن جعله أسباب منافعكم، ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ﴾: أوفى وأتم، ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾: محسوسة وما تعرفونه، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: معقولة وما لا تعرفونه، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي: مع هذا بعض الناس يجادل في صفاته وإرساله للرسل، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ غير مستند بحجة عقلية، ﴿وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: ولا نقلية من اتباع رسول وكتاب واضح مضيء، بل قلدوا جهالهم كما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أيتبعونهم ويقلدونهم؟ ولو كان الشيطان يدعوهم إلى جهنم! ﴿وَمَن يُسْلِمْ[2] وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: انقاد لأوامر الله وتوكل عليه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله باتباع الشرع، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: اعتصم بأوثق حبل، مثل حال المتوكل المطيع بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاستمسك بأوثق عروة من حبل مأمون انقطاعه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾: مرجعها إليه، ﴿وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾، فإنه بإرادتنا ولا يضرك، ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ يعني: لا

---

(١) ولما كانت السورة لاتباع القرآن الآمر بالتوحيد وحسن الأخلاق وأتى بحكاية لقمان، فإنه مقدم على نزول القرآن وهو أمر بما أمر به القرآن رجع إلى دليل وجوب اتباع كلامه فقال: " ألم تروا أن الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) معنى أسلم إن استعمل مع اللام الإخلاص نحو: "بلى من أسلم وجهه لله"[البقرة:١١٢]، وإن استعمل مع إلى فإنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى أحد والمراد التوكل/١٢ منه وكذا في الوجيز.

يضرك كفرهم، ونحن ننتقم منهم فعليهم ضره، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: فيجازيهم عليه فضلاً عن أعمالهم الظاهرة، ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾: زمانًا، ﴿قَلِيلًا﴾ أو تمتيعًا قليلاً، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: نلجئهم فى الآخرة، ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد ثقيل على المعذب، ﴿وَلَئِن[١] سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، إذ قامت الحجة عليكم باعترافكم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك إلزام لهم، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ المطلق لا يحتاج إلى عبادة عابد، ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد وإن لم يحمد، ﴿وَلَوْ[٢] أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ﴾، عطف على محل (أن ما فى الأرض) فإنه فى المعنى فاعل لثبت المقدر بعد لو، ﴿يَمُدُّهُ﴾ أى: البحر وهو حال أو البحر مبتدأ ويمده خبره، والواو للحال من غير ضعف، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذلك البحر، ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾، فاعل يمده وهى للتكثير لا للحصر، وقد نقل أن فى العالم سبعة أبحر محيطة بالعالم، ﴿مَّا نَفِدَتْ[٣]

---

(١) يعني: هم لا يتبعون رسولنا ولا كتابنا ووالله إن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فهم معترفون بأنه هو الخالق مضطرون إلى هذا الجواب الحق، قل الحمد لله إذ قامت الحجة عليكم باعترافكم، بل أكثرهم لا يعلمون أن هذا اعتراف على ضلالهم وانتهى جهلهم إلى أن لا يعلمون موقع الحمد فى هذا المقام/١٢وجيز.

(٢) ولما أثبت أنه غنى حميد أخذ يبين أن لا حدَّ لغناه، ولا ضبط ولا حصر لمعلوماته الموجبة لحمده فقال: "ولو أن ما فى الأرض" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) قوله تعالى: " ما نفدت كلمات الله " فكلمات الله لا نهاية لها فإن قيل هذا تسلسل، فيقال: هذا ليس تسلسلاً فى الفاعلين والعلل الفاعلية، فإن هذا ممتنع باتفاق العقلاء، بل هو تسلسل فى الآثار والأفعال وحصول شيء بعد شيء وهذا محل النزاع، فالسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء، وقد قال تعالى: " قل لو كان البحر " إلى =

= " ولو جئنا بمثله مددًا " فكلمات الله لا نهاية لها، وهذا تسلسل جائز كالتسلسل فى المستقبل، فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية ١٢/ شيخ الإسلام، وقال الحافظ ابن القيم فى النونية:

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل ... قلنا صدقتم وهو ذو إمكان
كتسلسل التأثير فى مستقبل ... هل بين ذينك قط من فرقان
والله ما افترقا لدى عقل ولا ... نقل ولا نظر ولا برهان
فى سلب إمكان ولا فى ضده ... هذى العقول ونحن ذو أذهان
فليأت بالفرقان من هو فارق ... فرقًا يبين لصالح الأذهان

إلى أن قال:

فلئن سألت وقلت ما هذا الذي ... إذا هم بخلاف ذا التبيان
ولأى شيء لم يقولوا إنه ... سبحانه هو دائم الإحسان
فاعلم بأن القوم لما أسسوا ... أصل الكلام عموا عن القرآن
وعن الحديث ومقتضى المعقول بل ... عن فطرة الرحمن والبرهان
بنوا قواعدهم عليه فقادهم ... قسرًا إلى التعطيل والبطلان
نفى القيام لكل أمر حادث ... بالرب خوف تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم فى زعمهم ... إثبات صانع هذه الأكوان
إذ أثبتوه بكون الأجسام حا ... دثة فلا تنفك عن حدثان
فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن ... لحدوثها إذ ذاك من برهان
فلأجل ذا قالوا التسلسل باطل ... والجسم لا يخلو عن الحدثان

إلى أن قال:

هذا الدليل هو الذى أرداهم ... بل هد كل قواعد القرآن =

﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ يعنى لو ثبت أن أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات علم الله وحكمته لما نفدت ونفدت الأقلام والمداد وهو كقوله[1]:

وهــو الدلــيل الــباطل المــردود	عــند أئمــة التحقــيق والعرفان
مــازال أمــر الــناس معــتدلاً إلى	أن دار فى الأوراق والأذهــــان
وتمكنــــت أجــــزاؤه بقلوبهــــم	فأتـــت لوازمـــه إلى الإيمـــان
رقعــت قواعـــده ونحـــت أســـه	فهـــوى البـــناء فخــر للأركـــان

إلى أن قال:

أيكــون حقًــا ذا الدليل وما اهتدى	خــير القــرون محــال ذان
وفقــتموا لــلحق إذا حــرموه فى	أصــل الــيقين ومقعــد العــرفان
وهديــتمونا للـــذى لم يهـــتدوا	أبـــدًا بـــه وأشـــدة الحـــرمان
وخلــتم لــلحق مــن بــاب وما	دخلــوه واعجــبًا لــذى الخذلان
وســلكتموا طــرق الهــدى والعلم	دون القــوم واعجــبًا لذا البهتان
وعرفـــتم الـــرحمن بالأجســـام	والأعــراض والحــركات والألوان
وهــم عــرفوه مــنها بــل مــن	الآيـــات وهـــى فغــير ذى برهان
الله أكـــبر أنـــتم أو هـــم عـــلى	حـــق وفى غـــى وفى خســـران
دع ذا ألـــيس الله قـــد أبـــدى لـــنا	حـــق الأدلـــة وهـــى فى القـــرآن
متـــنوعات صـــرفت وتظاهـــرت	فى كـــل وجـــه فهـــى ذوا أفنان
معلومـــة للعقـــل أو مشـــهودة	لـــلحس أو فى فطـــرة الـــرحمن

إلى آخر ما بين وفصل وميز الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ فجزاه الله خير الجزاء/١٢.

(١) بيانه أن ما هو علة للنفاد لو وجد يكون علة لعدم النفاد فكيف لو لم يوجد علة للنفاد! فافهم/١٢ منه.

(نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)[1] نزلت حين قال أحبار اليهود: يا محمد بلغنا أنك تقول، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أفعنيتنا أم قومك ؟ فقال: كلاً، فقالوا: إنك تتلوا إنا قد أوتينا التوراة، وفيها تبيان كل شيء، فقال عليه السلام: هى فى علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم، وهذا يقتضى أن الآية مدنية، والمشهور أنها مكية، قال بعض السلف: أمر اليهود وفد قريش أن يسألوه وهو بمكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾: فى جميع شئونه، ﴿مَا خَلْقُكُمْ[2] وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، فإنه يكفى فى الكل تعلق الإرادة، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: يسمع ويبصر كل مسموع ومبصر لا يشغله شأن عن شأن[3]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ﴾: فيطول النهار ويقصر الليل، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما، ﴿يَجْرِي﴾: فى فلكه، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت معين الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، أو الأجل المسمى يوم القيامة فحينئذ ينقطع جريهما، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ﴾ أي: اختصاصه تعالى بسعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت إلاهيته، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

---

(١) ذكره العجلونى فى "كشف الخفاء" (٢/٣٩١) وقال: "اشتهر فى كلام الأصوليين وأصحاب المعانى وأهل العربية من حديث عمر، وبعضهم يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم-، وذكره البهاء السبكى أنه لم يظفر به بعد البحث، وكذا كثير من أهل اللغة، لكن نقل فى المقاصد عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به فى مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد.

(٢) ولما بالغ فى عدم تناهى علمه شرع يبالغ فى قدرته، فقال: " ما خلقكم " الآية / ١٢ وجيز.

(٣) كذلك الخلق والبعث / ١٢.

﴿البَاطِلُ﴾: إلاهيته، ﴿وأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِي الكَبِيرُ﴾ مترفع ومتسلط على كل شيء أومعناه ذلك الذى أوحى إليك بسبب بيان أنه هو الحق وأن إلهًا غيره باطل وأنه على كبيرٌ أن يشرك به.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿أَلَمْ[1] تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فِى البَحْرِ بِنِعْمةِ اللَّهِ﴾: برحمته وإحسانه، ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَات لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: لكل مؤمن فقد ورد "الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر[2]" أو لأن كون الفلك وأحوالها آية لا يدرى كما هى إلا كثير الصبر والشكر ممن ركبها فلم يقلق فيها وتأمل فى غرائبها ثم إذا خرج منها ما كفر، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: علاهم، ﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: كالجبال والسحاب، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لا يدعون معه غيره تركوا التقليد واتبعوا الفطرة،

(١) ولما تم قدرته فى السماء شرع فى بيان قدرته فى الأرض فقال: " ألم تر أن الفلك " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) صبر عن المألوف وشكر على المعروف[وهو ضعيف جدًا، وراجع الضعيفة]/١٢ وجيز.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: متوسط فى العمل لا يعمل بكل ما عهد ولا يترك كله، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ﴾، الختر: أشد الغدر، ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم والحاصل أن الناجى من البحر قسمان قسم بين بين، وقسم ينكر نعم الله، وأما العامل بجميع ما عهد فقليل نادر، ﴿يَا أَيُّهَا[1] النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي: لا يقضى، ﴿وَالِدٌ[2] عَن وَلَدِهِ﴾: فيه، ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ[3]﴾مبتدأ، ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، خبره قيل: تغيير للأسلوب بطريق التأكيد لقطع أطماع المؤمنين أن ينفعوا آباءهم الكفرة فى الآخرة فإن آباء أكثر الصحابة ماتوا على الجاهلية،﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ: بالجزاء، ﴿حَقٌّ﴾: لا يمكن خُلفه، ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾: الشيطان فينسيكم عقابه ويطمعكم فى رحمته بلا طاعة، ﴿إِنَّ اللَّهَ[4] عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ: علم وقت قيامها عنده لا يعلمه غيره وعنده خبر علم الساعة والجملة خبر إن،﴿وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾، الظاهر أنه عطف على خبر إن ولا شبهة أن المقصود اختصاص هذا العلم لا محض القدرة على الإنزال واسم الله الجامع إذا وقع مسند إليه ثم

---

(١) ولما ذكر من أول السورة دلائل التوحيد والبعث شرع فى النصح والموعظة فقال: " يا أيها الناس " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) ولما كان الوالد أشفق على الولد من الولد على أبيه بدأ به وشفقته متجددة فى الأحوال فنفى شفقته المتجددة بصيغة المضارع / ١٢ وجيز.

(٣) أتى بصيغة اسم الفاعل الدال على الثبوت والثبوت يصدق بالمرة الواحدة والولد يطلق على ولد الولد لكن المولود لا يطلق إلا على من ولد منك ففيه أن أحدكم لو شفع لأبيه لم تقبل فضلاً أن يشفع لجده، وشيئًا يحتمل أن يكون من باب التنازع للا يجزى والجاز/١٢ وجيز.

(٤) ولما أثبت قيام القيامة وكرر وبالغ بأن طول الحياة والتمتع بزينتها والشيطان لا ينسيكم اليوم طالت الأعناق إلى العلم ترقبها فقال: " إن الله عنده علم الساعة " / ١٢ وجيز.

بنى عليه الخبر على إرادة تقوى الحكم أفاد تخصيصًا لاسيما إذا كان عطفًا على المختص كما حققه الزمخشرى فى مواضع،﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ﴾: أنه ذكر أو أنثى لا يعلم أحد وقت نزول الغيث إلا عند أمر الله به فإنه يعلم حينئذ الملك ومن شاءه من خلقه وكذلك لا يعلم أن ما فى الرحم ذكر أو أنثى إلا حين ما أمر بكونه ذكر أو أنثى شقيًّا أو سعيدًا، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: خيرًا أو شرًّا عطف على جملة إن الله، أثبت اختصاصه به تعالى على سبيل الكناية على الوجه الأبلغ، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وإن استوفى حيلها وإذا كان حال شيء أخص به فكيف هو من معرفة ما عداهما،﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: فلا يخفى عليه خافية، وفى الحديث (مفاتح الغيب خمس) وتلا هذه الآية(*).

والحمد لله رب العالمين.

(*) أخرجاه فى الصحيحين، من حديث ابن عمر مرفوعًا.

سورة السجدة مكية

قيل إلا ثلاث آيات من قوله "أفمن كان مؤمنًا"

وهي ثلاثون أو تسع وعشرون آية وثلاث ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ
كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا
ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞
قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾

﴿**الم تَنزِيلُ الكِتَابِ**﴾ هو خبر (الم) إن كان (الم) اسمًا للسورة، والتنزيل بمعنى: المنزل، وإلا فخبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره قوله: ﴿**لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾ لأن نافي الريب معه، وهو كونه معجزًا، وقوله: ﴿**مِن رَّبِّ العَالَمِينَ**﴾ خبر ثان أو هو الخبر و(لا ريب

فيه) اعتراض لا محل له وضمير فيه لمضمون الجملة يعني: لا ريب في كونه متزلاً من رب العالمين ، **﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾**: بل أيقولون ، **﴿افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾** أثبت أولاً أن تتزيله من الله وأن ذلك لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك بقوله: (أم) إنكارًا لقولهم، وتعجيبًا منه لظهور بطلانه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من الله ، **﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾** فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم ، **﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾** بإنذارك ، **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى[1] عَلَى العَرْشِ﴾** قد مر في سورة الأعراف ، **﴿مَا**

---

(١) وفي كتاب العلو، قال الإمام ابن جرير في تفسير قوله : " ثم استوى على العرش " في كل مواضعه، أي: علا وارتفع ، قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى علا على العرش انتهى ، وقال أبو عبيدة : أي: صعد ، ذكره البغوي، قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: من لم يقر أن الله على عرشه استوى فوق سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، نقله في كتاب العرش والعلو وقال شيخ الإسلام أبوالعباس أحمد بن تيمية الحراني، في العقيدة الواسطية فصل: وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به الله في كتابه، وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة من أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه علا خلقه انتهى.

وذكر الشيخ شمس الدين ابن القيم في الإغاثة: أن الأساطين(*) قبل أرسطو كانوا يقولون: بحدوث العالم وإثبات الصانع ومباينته للعالم وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته كما حكاه أبو الوليد رشيد في كتاب مناهج الأدلة وهو أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم ، فقال: فيه القول في الجهة، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشاعرة، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، إلى أن قال: والشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تتزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماوات نزلت الكتب وإليها كان=

لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ﴾ ، لا ولي ولا شفيع لكم من دون الله، حال مقدم ، ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ بمواعظ الله، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾: يدبر أمر الدنيا متزلاً من السماء إلى الأرض إلى يوم القيامة، فإن السماء محل حكم الله ومنه يتزل الأمور ، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ذلك الأمر كله، أي : يصير إلى الله لأن يحكم فيه ، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ[1] سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو من يوم القيامة الذى كله خمسون ألف سنة، يوم يعرض فيه الأعمال أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد من أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بنى آدم لما قطعه في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالتزول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة، والملائكة يقطعوها في يوم واحد فعلى هذا ضمير إليه للسماء أو يتزل قضاءه وقدره من السماء إلى الأرض ثم يرفع الأعمال إلى ديوالها فوق السماء بيوم واحد مع أن المسافة مسافة ألف، قيل: معناه يدبر من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض يبين ما تحت

= الإسراء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول ، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال : فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأن إبطاله إبطال الشرائع انتهى موضع الحاجة منها.

وقال الشيخ عبد القادر في الغنية: وكونه سبحانه وتعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف انتهى.

نقله في كتاب العلو.

والله ما بعد البيان لمنصف ‌ ‌ ‌ إلا العناد ومركب الخذلان

(*) يعني من الفلاسفة .

(١) وعن ابن عباس: أنه سئل عن خمسين ألف سنة؟ فقال: أيام سماها الله لا أدرى ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم / ١٢ كمالين .

تصرفه وسلطانه، ثم يرفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة وسمك السماء خمسمائة أخرى، ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عنكم وما حضر، ﴿العَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ[1] كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أتقنه وأحكمه وأوفر عليه ما يستعده على وفق الحكمة، وخَلْقَه بدل اشتمال، وفي قراءة فتح اللام جملة فعلية صفة لكل شيء، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ﴾: آدم، ﴿مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ذريته، ﴿مِن سُلالَةٍ﴾، سلالة الشيء: ما استل منه، ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: حقير مبتذل، ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: قومه، والضمير لآدم أو لنسله، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ أضافه إلى نفسه تشريفًا[2]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا فتشكروا، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ما زائدة أي: تشكرون شكرًا قليلاً، ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾ بأن تمزقت أجسامنا وصرنا ترابًا أو غبنا فيها، ﴿أَئِنَّا﴾ تكرار الهمزة لتأكيد التعجب والإنكار، ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ العامل في إذا نُبْعَثُ الدال عليه أئنا لفي خلق جديد فإن ما بعد إن لا يعمل فيما قبله، ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم﴾: يستوفي روحكم ويميتكم، ﴿مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: بقبض روحكم، في الحديث[3]

---

(١) أخرج أحمد والطبراني عن الشريد بن سويد قال: "أبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً قد أسبل إزاره فقال: (ارفع إزارك) فقال: يا رسول الله إني أحنف تصطك ركبتاي فقال: (ارفع إزارك كل خلق الله حسن)[صحيح، أخرجه أحمد والطبرانى والطحاوى وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٤٥٢٢)، وراجع الصحيحة (١٤٤١)] وزاد في رواية للطبراني: (إن الله لا يحب المسبلين) / ١٢ فتح.

(٢) نحو بيت الله / ١٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم وغيرهلأ[وهو ضعيف لانقطاعه، وانظر العلل المتناهية لابن الجوزى(٢/٤١٤)] / ١٢.

(إن ملك الموت قال: يا محمد ما في الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحهم في
كل يوم خمس مرات حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم) ، ﴿**ثُمَّ إِلَى
رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾: للجزاء .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ
نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾
تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟
مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ
إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿وَلَوْ تَرَى[1] إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءوسِهِمْ﴾: مطأطئوها ، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ، حياءً وندمًا ، ﴿رَبَّنَا﴾ ، أي : قائلين : ربنا ، ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما كذبناه ، ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك، قيل معنى أبصرنا وسمعنا: أيقنا حقيقة الأمر ، ﴿فَارْجِعْنَا﴾ ، إلى الدنيا، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ جواب لو محذوف أي : لو ترى لرأيت العجب العجاب ، ولو وإذ كلاهما للمضى فإن المترقب من الله بمترلة الموجود ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا[2] لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾: ما تهتدى به من الإيمان والأعمال الصالحة ، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ سبق وعيدى وهو ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الذين هم في علم الله أشقياء ، ﴿أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا﴾ أي : يقال لهم ذلك على سبيل التقريع ، ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي : جازيناكم جزاء نسيانكم فهو على المقابلة أو النسيان بمعنى: الترك ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذه الآية جواب عن قولهم : " فارجعنا نعمل صالحًا " يعني : لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما أردنا، فذوقوا العذاب المقدر بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال القبيحة، وهذا إما مفعول ذوقوا، أو صفة يومكم، وايم الله إنها لكسرت أنياب المعتزلة لكن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وعظوا ، ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾: سقطوا على وجوههم ساجدين[3] خوفًا، ﴿وَسَبَّحُوا﴾: سبحوه عما لا يليق بجلاله ، ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: حامدين له شكرًا ، ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، عن طاعته فيتبعون رسله ، ﴿تَتَجَافَى﴾: ترتفع وتتنحى ،

---

(١) ولما قص دليل البعث بما لا خفاء فيه شرع يقص بعض أهوالهم عند ذلك فقال: " ولو ترى إذ المجرمون " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر ما طلبوا من الرجوع إلى الدنيا لأن يهتدوا فيها أتبعه أن شقاوتهم بإرادة الله ولولاها لهداهم الله في الدنيا فقال: "ولو شئنا" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) كأن الخرور عند الوعظ طبعهم وجبلتهم من غير كلفة واختيار / ١٢ وجيز .

﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: عن[1] الفرش ، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: داعين إياه ، ﴿خَوْفًا﴾ من عقابه ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في مصارف الخير، والمراد التهجد وقيام الليل وفي الأحاديث الصحاح ما يدل عليه ، وعن بعض هو صلاة العشاء والصبح في جماعة ، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشائين ، وعن بعض: هو انتظار صلاة العتمة ، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ ما موصولة مفعول تعلم بمعنى: تعرف، وفي الحديث[2] القدسي (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ونعم ما قيل: أخفوا أعمالهم فأخفى[3] الله ثوابهم، ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: مما تقر به عيونهم ، ﴿جَزَاءً﴾ أي : أخفى للجزاء أو جوزوا جزاء ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾: خارجًا عن طاعة ربه ، ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾ في المثوبة والمنزلة، جمعه للحمل على المعنى، نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه بينهما تنازع فقال لعلي : إنك صبي وأنا والله أبسط لسانًا وأحد سنانًا وأشجع منك جنانًا ، فقال له علي : اسكت فإنك فاسق، ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ هي المأوى الحقيقي لا الدنيا ، ﴿نُزُلًا﴾: هو ما يحضر للنازل قبل الضيافة، منصوب على الحال من

(١) وهم المتهجدون في الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش، وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور ، وعن معاذ بن جبل قال : قيام العبد من الليل ، وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثًا وأرشد فيه إلى أنواع من الطاعات ، وقال فيه: (وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم قرأ هذه الآية) أخرجه أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي وغيرهم / ١٢ فتح[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٥١٣٦)، وراجع الإرواء].

(٢) كما في الصحيحين / ١٢ وجيز .

(٣) وفيه دليل على أن المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقًا، ثم بين سبحانه أن ذلك بسبب أعمالهم الصالحة، فقال : " جزاءً بما كانوا يعملون " / ١٢ فتح .

جنات ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا﴾: تمنوا ، ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: فصعدوا إلى أبواب جهنم ، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: إلى أسفل دركاتها ، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، إهانة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُم[1] مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: مصائب الدنيا[2] ، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون عن الكفر ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ يعني : ومن أظلم ممن أذقناه المصائب الدنيوية مدة متطاولة وأريناه فيها الآيات ، ثم بعد تلك المدة خاتمة أمره الإعراض، فثم وقع موقعه، لكن في سورة الكهف ذكر بالفاء لأنه ما بين أولاً إلا جدالهم مع الرسل واتخاذ الآيات هزواً فما هو إلا أنهم حين رأوا رسلهم وآياتهم أنكروا بادئ الأمر من غير تأمل ، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ

---

(١) ثم يبين أن هذا التعذيب عدل منه لا ظلم فقال : " ولنذيقنهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسره جماهير السلف، ونقل عنهم البخاري ومسلم والترمذي والسدي/١٢ منه . ومصائب الدنيا من القتل والأسر والنهب والقحط وغيرها / ١٢ .

صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ[١] **آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾** كما آتيناك ، **﴿فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾**: شك ، **﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾** أي : من لقاء موسى ربه فاطمع أنت أيضاً فيه، فالإضافة إلى المفعول ، هكذا فسره النبي عليه السلام، رواه الطبراني(*) أو من[٢] لقائك موسى ليلة المعراج[٣] أو من تلقي موسى الكتاب بالرضاء والقبول ، قيل : معناه آتينا موسى مثل ما آتيناك فلا تك في شك من أنك أوتيت مثله ، فالضمير للكتاب الذى أريد به الجنس ، أي : لقائك الكتاب نحو " وإنك لتلقى القرآن"(النمل:٦) ، **﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾** الناس ، **﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا**[٤] **صَبَرُوا﴾** على أوامر الله ومصائبه التي قدرها عليهم ، **﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** وكأن هذه الآية وعد وتسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام وإرشاد لأصحابه وأمته ، **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: يقضي فيميز المحق من المبطل ، **﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** من أمور دينهم ، **﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾** عطف على مقدر مثل : ألم ينبههم ، **﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾** فاعل "يهد" ما يدل عليه ذلك الكلام، كأنه قال : أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا ، وكم منصوب بأهلكنا، وله صدر الكلام لا يعمل فيه ما

---

(١) ولما قرر الأصول الثلاثة: التوحيد والمعاد والرسالة، عاد إلى أمر الرسالة الذي السورة له فقال: "ولقد آتينا موسى" الآية / ١٢ وجيز .

(*) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، كما فى المجمع (٧/٩٠)

(٢) كما في البخاري / ١٢ .

(٣) كما وصفه صلى الله عليه وسلم "أنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة"/١٢ وجيز .

(٤) علة للجعل قرئ "لما" بكسر اللام وتخفيف الميم / ١٢ وجيز .

قبله،﴿يَمْشُونَ﴾ أهل مكة، ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ حين يسافرون للتجارة ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات أَفَلاَ يَسْمَعُونَ﴾: سماع اتعاظ ، ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ أي : ألم يسمعوا و لم يروا؟، ﴿أَنَّا[1] نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: التي قطع نباتها ، ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء ، ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾: من الزرع ، ﴿أَنْعَامُهُمْ[2]﴾ من أوراقه ، ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبوبه ، ﴿أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾ فيستدلون على كمال القدرة ، ﴿وَيَقُولُونَ[3] مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي: في أي وقت يكون النصر كما تزعم يا محمد؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أن لكم وقتًا علينا تنتقمون منا ، ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾: وهو يوم حلول سخط الله وعقابه، كان في نياقم أنه لو نزل عليهم من السماء بلاء لآمنوا حين يروها ، ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: يمهلون ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بكلامهم ، ﴿وَانتَظِرْ﴾ موعد النصر ، ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ حوادث الزمان عليك، قيل : انتظروا عذابهم إنهم منتظرون ذلك أيضًا ، ولذلك لم يؤمنوا ، وعن بعض الآية منسوخة وكان عليه السلام[4] لا ينام بالليل حتى يقرأ (تبارك) و (الم تنزيل).

والحمد لله وحده.

---

(١) أولاً: أقام الحجة على المشركين بالأمم السالفة، ثم أقامها عليهم بإظهار قدرته الكاملة المنبهة على البعث ، والأظهر أن المراد من سوق الماء المطر / ١٢ وجيز .

(٢) وقدم الأنعام، لتقدم مأكلها من الزرع والإنسان قد يتغذى في غير الزرع، والعرب يقدم أنعامهم على أنفسهم، فيسكن في غير مسكن لرغد دوابهم / ١٢ وجيز .

(٣) ليروا تلك الآية البينة فمن رآها، وأصر، و لم يتنبه، فليس له بصر ولا بصيرة، ولما كانت الآية أول دليل على البعث أتبع لجاجهم باستهزائهم تعجيبًا من عمههم وعماهم فقال : " ويقولون " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) رواه الإمام أحمد فيارب وفقنا لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم[صحيح، أخرجه أحمد والترمذى والدارمى وغيرهم، وراجع الصحيحة] / ١٢ وجيز.

سورة الأحزاب مدنية

وهى ثلاث وسبعون آية وتسع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ
لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ
فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟
ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ
إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ
وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِى اتَّقِ اللَّهَ﴾: اثبت عليه، ﴿وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ نقل أن بعض قريش نزلوا على منافقى المدينة بأمان النبى -عليه السلام- وقالوا للنبى: ارفض

ذكر آلهتنا بسوء، وقل إنها تشفع لمن عبدها ندعك وربك فأخرجهم النبى عن المدينة فترلت، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فهو أحق أن يطاع ويتبع، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فلا تخالفوه، ومن قرأ يعملون بالياء فمعناه إنه خبير بمكائد الكفار والمنافقين فلا تبال فإنه يدفعها عنك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾: حافظًا موكولاً إليه كل أمر، ﴿مَا جَعَلَ[1] اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ لم ير فى حكمته أن يجعل لأحد قلبين لأن القلب سلطان ولا يليق بمملكة إلا سلطان واحد، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ والمظاهرة مثل أن تقول: أنت كظهر أمى وفى الجاهلية بالمظاهرة تحصل الفرقة الأبدية وتصير كالأم، وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب والتباعد، ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: إن أمهاتكم إلا اللائى ولدنكم والأمهات مخدومات والزوجات خادمات، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ﴾: الذين تدعونهم ولدًا، ﴿أَبْنَاءكُمْ﴾، فإن البنوة أمر ذاتى والتبنى عارضى فكيف يكون هو إياه، فحاصله أنه تعالى كما لم ير فى حكمته أن يجعل لأحد قلبين فيفعل بأحدهما غير ما يفعل بالآخر لئلا يكون أحدهما فضلة غير محتاج إليه فيؤدى إلى اتصاف شخص بالعلم، والظن والمحبة والكراهة وغيرهما فى حالة واحدة و لم ير أيضًا أن تكون امرأة لرجل مخدومة وخادمة وأن يكون رجل دعيًّا غير أصيل وابنًا أصيلاً وعن بعض السلف إن الأولين للثالث أى : كما لا يكون لرجل قلبان، ولا يصير غير الأم أُمًّا كذلك لا يكون الدعى ابنًا فلا تسموا زيد بن حارثة مولى النبى الذى تبناه قبل النبوة زيد بن محمد (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)(الأحزاب:٤٠)، وعن كثير[2] من السلف إن الأول

---

(١) ولما نهاه عن إطاعة المعاندين لأهل الدين وأمره بالتوكل والتوجه بالكلية إليه تعالى، نبه نبيه أنه لا يجتمع الإقبال على الله بالكلية والتوجه إلى الغير، إلا بأن يكون لشخص قلبان، وهذا أمر لا يمكن "ما جعل الله لرجل" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كابن عباس رضى الله عنه وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة / ١٢ منه.

نزل فى شخص يقال له ذو القلبين يقول: لى قلبين أعقل بكلٍ، أفضل من عقل محمد، وعن بعض: لما سها[1] عليه السلام فى صلاته قال المنافقون : له قلبان، قلب معهم، وقلب معكم، ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى المجموع أو إلى الأخير، ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ﴾: المطابق للواقع، ﴿وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾: طريق الحق، ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾ انسبوهم إليهم، وفى إفراده بالذكر إشعار إلى ما نقلنا من أن الأولين للثالث، ﴿هُوَ﴾، راجع إلى مصدر ادعوهم، ﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط بمعنى العدل، ﴿عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ حتى تنسبوهم إليهم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أى: فهم إخوانكم، ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾: أولياءكم فيه فقولوا أخى ومولاي، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾: فيما فعلتموه مخطئين على النسيان أو سبق اللسان، ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: ما تعمدت عطف على ما أخطأتم أى : وعليكم جناح فيما أو مبتدأ مقدر خبره أى ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فى الحديث[2] "ثلاث فى الناس كفر: الطعن فى النسب والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم" وفى الحديث (إن فى القرآن المنسوخ، ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)(*)، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: فى أمور الدارين قال عمر: لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي، فقال عليه السلام:

---

(١) نقله الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنه، ورواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم عن زهير[أخرجه أحمد (١/١٦٨)، والترمذى (٣٢٥١)، وضعفه الشيخ الألبانى بقابوس بن أبى ظبيان]/ ١٢ منه.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده وكذا مسلم فالعزو إليه أولى وفى الحديث (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه كفر)/١٢ منه.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(لا يا عمر[1] حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال : (والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي)، فقال : (الآن يا عمر)، وعن بعض المفسرين معناه : النبي أولى من بعضهم ببعضهم فى وجوب طاعته عليهم، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: فى التوقير وتحريم نكاحهن على التأبيد لا فى النظر والخلوة والأصح[2] أن لا يقال هن أمهات المؤمنات، وفى الشواذ[3] وهو أب لهم، ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ﴾: ذوو القرابات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾: فى الميراث، ﴿فِى كِتَابِ اللَّهِ﴾: فى حكمه، أو فى اللوح المحفوظ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ صلة لأولى أى : هم بحق القرابة أولى بالميراث منهم بحق الإيمان والهجرة قال الزبير : أنزل الله فينا معشر قريش والأنصار خاصة وذلك لما قدمنا المدينة قدمنا ولا مال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم وأورثناهم حتى أنزل الله فينا هذه الآية فرجعنا إلى مواريثنا، ﴿إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ الاستثناء منقطع أى : لكن فعلكم إلى أحبائكم معروفًا جائز يعنى: ذهب الميراث وبقى البر والإحسان والوصية، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِى الكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أى : هذا الحكم[4] فى الكتاب[5] القديمة

(١) فى البخارى: (والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين)[وقد أخرجه مسلم أيضًا]/ ١٢.

(٢) وهو الأصح من مذهب الشافعي، وقد صح عن عائشة -رضى الله عنها- النهى عن ذلك/١٢ منه.

(٣) وعن أبى بن كعب وابن عباس انهما قرءا "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"/١٢ منه.

(٤) وهو أن أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله /١٢ منه.

(٥) فيه إشارة إلى دفع طعن الملحدين، بأنه ليس من باب البداء، فإنه غير جائز على من لا يخفى عليه شيء، ولما كان تغيير المألوف شديدًا على النفوس، وقد ذكر أشياء من تغيير المألوف، بين أن إقامة الدين هو عهد وميثاق مع أول الرسل وآخرهم فقال : (وإذ أخذنا من النبيين) الآية / ١٢ وجيز.

الذى لا يبدل مسطورًا وإن كان تعالى شرع خلافه فى وقت لما له من الحكمة البالغة، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ أى : اذكره، ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: فى إقامة دينه وإبلاغ رسالته والتعاون والإنفاق، ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، صرح بأسماء أولى العزم الخمسة من بينهم وقدم ذكر خاتم الأنبياء لشرفهم وشرفه عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا[1]﴾: عهدًا شديدًا مؤكدًا، ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ أى : فعلنا ذلك ليسأل الله الذين صدقوا عهدهم من الأنبياء عن تبليغهم تبكيتًا للكفار وقيل عن تصديقهم إياهم، ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا[2] أَلِيمًا﴾، عطف على ما دل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

---

(١) هذا الميثاق هو الميثاق الأول بعينه، كأنه قال: أخذنا ميثاقًا غليظًا لمحمد صلى الله عليه وسلم داخلاً فى أخذ الميثاق الغليظ من الأنبياء، والغلظ فى الأجسام استعير للمعنى/١٢ وجيز.

(٢) والحاصل أنه أخذ المواثيق على الأنبياء فى التبليغ، لكن جعل من يبلغ إليه فرقتين فرقة يسألها عن صدقها فيجيب بأنا صدقنا الله فى أمره ونهيه ويثيبها على ذلك، وفرقة كفرت فينالها ما أعد لها من العذاب، لما أمر نبيه فى أول السورة بالتوكل على الله فى دفع المعاندين، وما وقع فى البين إلى هذه الآيات من متفرعات التوكل كما أشرنا إليه، ذكر من نعمه ما هو محض حماية الله وعنايته ليرى فائدة التوكل فيزيد وثوقه فقال: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله) الآية / ١٢ وجيز.

وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا
غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن
يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا
يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن
فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا
ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ
مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾
أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ
حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ
يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟
فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ[1]﴾ يعنى الأحزاب لما اجتمع المشركون وأهل الكتاب كيدٍ واحدةٍ لعداوة المؤمنين أمر عليه

---

(١) أى : إنعام الله عليكم وقت مجيء الجنود، وذلك فى غزوة الأحزاب حين اجتمع المشركون من قريش وأهل الكتاب كيد واحدة، وهم نحو من خمسة عشر ألفًا وجاءوا =

السلام بحفر الخندق بشورى سلمان فنزلوا وحاصروا المدينة قريبًا من شهر، ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا**﴾ أى الصَّبا، ﴿**وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾: من الملائكة أرسل تعالى بعد مدة من المحاصرة فى ليلة مظلمة باردة ريحًا صرصرًا فنسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم، وقلعت خيامهم فماجت خيولهم بعضها ببعض فقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانبهم فارتحلوا خائفين خائبين، ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: من حفر الخندق، ﴿**بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُم**﴾ بدل من جاءتكم، ﴿**مِّن فَوْقِكُمْ**﴾: من أعلى الوادى من قبل المشرق، ﴿**وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾: من قبل المغرب، ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ**﴾ مالت أبصار المسلمين عن سنتها حيرة لشدة الأمر، ﴿**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾: رعبًا وهذا مثل فى الاضطراب، قيل: إذا انتفخت الرئة من فزع أو غضب ارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم، ﴿**وَتَظُنُّونَ**[1] **بِاللَّهِ**

= إلى المدينة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق بشورى سلمان، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، وهم كانوا ثلاثة آلاف، فالخندق إثنا عشر ألف ذراع، فترل الأحزاب خلف الخندق، وزعمهم أنهم لا يرجعون وقد بقى للإسلام باقية، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة، وظهر نفاق المنافقين واشتد الخوف على المؤمنين وتفصيل الحكاية مسطور فى السير/١٢ وجيز.

(١) ظن كل من المؤمن الخالص والمؤمن الضعيف والمنافق مختلف، وظن المنافقين ما حكى الله عنهم بقوله : " وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية " إلى قوله " يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا " (آل عمران:١٥٤)، قال بعض الأئمة بعد بيان سوء الظن: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد، كما قال تعالى : " الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا "(الفتح:٦) إلى أن قال : واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال=

....

= والبدع، وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين: أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء، والثانى: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره، قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى الهدى النبوى : من ظن أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحقائق المقصورة من كلامه سبحانه وتعالى، ورمز إليهم رموزًا بعيدة وأشار إليهم إشارة ملغزة وصرح بالتشبيه، والتمثيل والأمور الباطلة التى لا تجوز عليه ولا تليق، وأراد من خلقه أن يتبعوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم فى تحريف كلامه عن مواضعه وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة شرعًا وعقلاً، والتأويل التى هى بالألغاز والأحاجى أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم فى معرفته وأسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق، الذى ينبغى التصريح به ويريحهم من الألفاظ التى توقعهم فى الاعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان، فقد ظن به السوء، فإنه إن قيل: أنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذى عبر به هو وسلفه، فقد ظن العجز بقدرته وإن قيل: أنه قادر ولم يبين، وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يوهم بل يوقع فى الباطل المحال والاعتقاد الفاسد، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء، ومن ظن أنه وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدى والحق فى كلامهم وعباداتهم، وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المتهورين الحائرين هو الهدى والحق، هذا من سوء الظن بالله، فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، ومن ظن بأنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه أسفل كما هو أعلى وإن من قال: سبحان ربى الأسفل كما قال: سبحان ربى الأعلى، فقد ظن بــــه=

﴿الظُّنُونَا﴾، حتى قال بعض المنافقين: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر والآن لا نقدر أن نذهب إلى الغائط، والألف زيدت تشبيهًا للفواصل بالقوافي، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبروا فظهر المخلص من المنافق، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أزعجوا، ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شبهة لم تطمئن قلوبهم على الإيمان، ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾: وعدًا لا وفاء له، ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم المنافقون: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ كان اسمًا للمدينة أى: أهل المدينة، ﴿لاَ مُقَامَ لَكُمْ﴾: لا موضع قيام لكم هاهنا أى عند النبى المصطفى فى مقام المرابط، ﴿فَارْجِعُوا﴾: إلى بيوتكم، ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للرجوع فإنه كان عليه السلام خارجًا من المدينة بحيث أسند المسلمون ظهورهم إلى سلع ووجوههم نحو العدو والخندق بينهم، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غير حصينة نخاف عليها السراق، ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾: فإنها حصينة، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا[1]﴾: من القتال، ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعنى: لو دخلت هذه العساكر المدينة من جوانبها، ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾: سألت هذه العساكر من قال إن بيوتنا عورة، ﴿الْفِتْنَةَ﴾: الردة ومحاربة المسلمين، ﴿لآتَوْهَا﴾ لأعطوها، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾: بالفتنة، ﴿إِلاَّ يَسِيرًا﴾: تلبثًا يسيرًا قدر سؤال وجواب فأسرعوا الإجابة، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: من قبل

= أقبح الظن وأسوأه، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه، وأن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم فى حاجتهم إليه سبحانه وتعالى، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، إلى آخر ما بين وفصل رحمه الله تعالى/١٢.

(١) قال الضحاك رجع ثمانون من غير إذن / ١٢ وجيز.

تلك المحاربة، ﴿لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾: لا يفرون من الزحف، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾: عن الوفاء به، ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ﴾ فإنه لابد لكل من الموت حتف أنفه أو قتل فى وقتٍ معين، ﴿وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ﴾: بعد الفرار، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾: زمانًا قليلاً يعنى : لو فرضتم أنه ينفعكم لا ينفعكم إلا قليلاً، ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾: مصيبة، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ عطف على من ذا تقديره أو من ذا الذى يصيبكم بسوء إن أراد بكم، ﴿رَحْمَةً﴾ أو عطف على أرادوا العصمة بمعنى المنع مجازًا ولا حذف، ﴿وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًا﴾: ينفعهم، ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾: يدفع ضرهم، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾: الذين يعوقون المسلمين عن معاونة النبى -عليه السلام-، ﴿مِنكُمْ﴾، وهم المنافقون، ﴿وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ﴾ من ساكنى المدينة: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: قربوا أنفسكم إلينا فنحن فى ظلال وثمار وراحة فى بيوتنا، عن مقاتل: أرسلت اليهود إلى المنافقين فخوفوهم وقالوا : هلموا إلينا والمنافقون كانوا يخوفون المؤمنين يقولون انطلقوا معنا إلى إخواننا، أى : اليهود، ﴿وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ﴾: الحرب مع المؤمنين، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾: يخرجون ولا يبارزون إلا شيئًا قليلاً، أو معناه لا يحضرون إلا زمانًا قليلاً ثم يعتذرون ويرجعون قيل هذا من تتمة قولهم يعنى : الذين قالوا لإخوانهم هلموا إلينا، والمؤمنون لا يحاربون الكفار إلا زمانًا قليلاً فيغلبون، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء بالشفقة أو بالنفقة أو فى الغنائم نصبٌ على الحال من فاعل لا يأتون وهو حال من ضمير القائلين أو هما حالان من ضمير القائلين، ﴿فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ﴾: وقت الحرب، ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾، فى أحداقهم، ﴿كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ أى : كدوران(1) عين

(١) أى : كدوران عين الذى قرب من الموت، وهو الذى نزل به الموت وغشيته أسبابه، فيذهل لبه ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف، كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف / ١٢ فتح.

من يغشى عليه، ﴿مِنَ المَوْتِ﴾: من معالجة سكراته، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾: ضربوكم، ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: لأجل الغنيمة وغيرها، ﴿أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ﴾ بخلاء على الغنيمة، أو ليس فيهم خير فهم جمعوا بين البخل والجبن وقلة الحياء وعدم الوفاء، ﴿أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطل جهادهم وصلاتهم وصيامهم ومثل ذلك، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: الإحباط، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هينًا، وهذا كما فى الحديث "ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله فى أى واد أهلكه"(*)، ﴿يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾: يحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا، ﴿وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ﴾: كرة ثانية مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم، ﴿يَوَدُّوا﴾: تمنوا، ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾: خارجون إلى البدو، ﴿فِى الأَعْرَابِ﴾: حاصلون فيهم، ﴿يَسْأَلُونَ﴾: الناس، ﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ يعنى: يتمنون إن لم يكونوا بينكم ويسألون الناس عما جرى عليكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾، هذه الكرّة و لم يفرُّوا و لم يرجعوا إلى المدينة، ﴿مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلًا[1]﴾: رياء.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ

(*) "حسن"، انظر صحيح سنن ابن ماجه (٤١٠٦).

(١) رياء ونفاقًا كما فعلوا قبل ذهابهم، ولما أخبر عنهم بحال هى غاية المخالفة عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، توجه إلى الكل فقال: " لقد كان لكم " الآية/١٢وجيز.

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ[1] اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: هو من باب التجريد جرد من نفسه الزكية شيئًا يسمى قدوة يقتدى به سيما فى مقاساة[2] الشدائد وثبات القلب فى الحرب، ﴿لِّمَن كَانَ﴾ صلة لحسنة لا لأسوة لأنها قد وصفت أوصفة لها أو بدل بعض من لكم، ﴿يَرْجُو اللَّهَ﴾ أى : لقائه، ﴿وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ أى : نعيمه أو يخاف عذابهما، ﴿وَذَكَرَ[3] اللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

(١) وهذه الآية وإن كان سببها خاصا فهى عامة فى كل شيء، وقد استدل بهذه الآية جماعة من الصحابة فى مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة، وفيه دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذى أصيب به الإسلام أى مصيبة / ١٢ فتح.

(٢) قاتل بنفسه فكسرت رباعيته، وشج وجهه الكريم، وقتل عمه وأوذى ضروبًا من الإيذاء فاقتدوا به، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه /١٢ وجيز.

(٣) فالمقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك، لما أخبر عن حال المنافقين وقولهم : " ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا " بين حال المؤمنين وقولهم فقال : " ولما رأى المؤمنون الأحزاب " الآية / ١٢ وجيز.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ عن ابن عباس وغيره يعنون قوله تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم " (البقرة:٢١٤)، ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ[1]﴾: فى الوعد، ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك البلاء والضيق، ﴿إِلاَّ إِيمَانًا﴾ بالله، ﴿وَتَسْلِيمًا﴾: انقيادًا لأوامره، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فثبتوا وقاتلوا، يقال : صدقه الحديث أى : قال له الصدق فى الحديث والعاهد إذا وفى بالعهد فكأنه قال له الصدق، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾، النحب : المدة أى: استشهد كحمزة وأنس بن النضر، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أى : الشهادة، كعثمان –رضى الله عنهم- أو معناه، ومنهم من قضى نذره فإن أنس بن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال : لئن أرانى الله مشهدًا فيما بعد ليرين الله ما أصنع، فقاتل يوم أحد حتى قتل، ووجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية(*)، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾: ما غيروا العهد شيئًا من التبديل، والتغيير فيه تعريض على المنافقين بالتبديل، ﴿لِيَجْزِى اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، اللام متعلق بمعنى قوله : " ولما رأى المؤمنون الأحزاب " كأنه قال: إنما ابتلاهم الله برؤية هذا الخطب ليجزى الصادقين، ويعذب المنافقين، أو متعلق بما بدلوا مع ما يفهم منه بالتعريض، كأنه قال: ما بدل المؤمنون وبدل المنافقون ليجزي، الآية، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: فيقبل توبة من تاب، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى : الأحزاب، ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ هما حالان أى: المتغيظين غير ظافرين، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًا﴾ على إيجاد ما شاء، ﴿عَزِيزًا﴾: غالبًا مطلقًا، ﴿وَأَنزَلَ﴾

---

(١) لم يقل وصدقا للتلذذ بصريح الاسم، ولما قيل: الجمع بين اسم الله ورسوله فى الضمير سوء أدب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بئس الخطيب) حين قال: (ينهيانكم) يعنى الله ورسوله[أخرجه مسلم وغيره] / ١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخارى وغيره.

الله، ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾: عاونوا الأحزاب، ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ يعنى: بنى قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن أبآءهم نزلوا الحجاز قديمًا طمعًا فى اتباع النبى الأمى المكتوب فى التوراة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حصونهم، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف، ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: رجالهم، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: نساءهم وذراريهم، لما انهزمت الأحزاب رجع رسول[1] الله إلى المدينة، وكان على ثناياه نقع الغبار جاء جبريل وقال: أو قد وضعت السلاح؟! لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح، أخرج إلى بنى قريظة، وقاتلهم فخرجوا إلى حصونهم[2] وحاصروهم خمسة وعشرين ليلةً ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ[3]، فحكم بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم وتقسيم أموالهم[4]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارعهم، ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾: حصونهم، ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾، من النقود والمواشي، ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَأُوهَا﴾: خيبر أو مكة أو فارس والروم، أو كل أرض تفتح إلى القيامة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

---

(١) هكذا ثبت فى كتب الحديث بتفصيل وتطويل / ١٢ منه.

(٢) فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألا يصلى العصر أحد إلا فى بنى قريظة، فمنهم مصلٍّ فى الطريق، ورأى أن هذا من باب الاستعجال، ومنهم مصلٍّ بعد العشاء، وكل مصيب / ١٢ وجيز.

(٣) بعد ما أبوا أن يترلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بما هو فى القرآن، وقال صلى الله عليه وسلم: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة) ثم استترلهم فى خندق فى سوق المدينة وضرب أعناق ستمائة أو أكثر إلى تسعمائة، وتفصيله فى كتب السيرة / ١٢ وجيز.

(٤) ذكر صاحب الفتح بعض هذه القصة وعزاها إلى أحمد وابن مردويه وابن أبى شيبة/١٢.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ
صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ
ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ
ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ
تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ[(١)] **قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾**: السعة والمال، **﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾**: أعطكن متعة الطلاق، **﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾**: أطلقكن، **﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾**: طلاقًا من غير ضرار، **﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ**

---

(١) ولما أمر نبيه من أول السورة بالتقوى والتوكل وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فلا يناسب أن يكون الدنيا في بيته وأهل بيته من أهلها، فقال: (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية / ١٢ وجيز.

الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ من : للتبيين[1] ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يستحقر دونه الدنيا برمتها، نزلت حين[2] سألن ثياب الزينة، وزيادة النفقة بغيرة بعضهن على بعض، فلما نزلت بدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله ثم خير سائرهن فاخترن كما اختارت، وأكثر أهل العلم على أنه لم يكن تفويض الطلاق فلم يقع بنفس الاختيار، بل لو اخترن الدنيا طلقهن، ثم الأكثرون على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها يقع واحدة رجعية عند الشافعى بائنة عند أبى حنيفة، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِى مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾: كبيرة، ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾: ظاهر قبحها، عن ابن عباس هى النشوز وسوء الخلق، ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفى عذاب غيرهن، فإن الذنب أقبح من العارفين والشرط لا يقتضى الوقوع قال تعالى: " قل إن كان للرحمن ولد "(الزخرف:٨١)، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينًا، لا ينظر إلى كونهن نساء نبيه، بل هو السبب ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾: يطع، ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مثلى ثواب غيرها، وتعمل بالتاء وبالياء محمول على معنى من وعلى لفظه، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا[3]﴾، فى أعلى

---

(١) فكلهن محسنات وذكر المحسنات ليعلم أن الأجر للإحسان، لما فتح الله على نبيه بالغنائم قعدت أزواجه حوله، وقلن يا رسول: الله بنات كسرى وقيصر فى حلى وحلل وإماء وخول ونحن على ما ترى من فاقة، وآلمن قلبه المنور، فأمره الله بأن يتلو عليهن كما نزل فى أمرهن، فتلا أولاً على عائشة فاختارت الله ورسوله، ثم اخترن كما اختارت، ولما أن وقعت تلك الخطيئة منهن ورجعن عنها هددهن وأدبهن الله عناية وحماية فقال : " يا نساء النبى " الآية /١٢ وجيز.

(٢) كذا فى صحيح البخارى وصحيح مسلم / ١٢ منه.

(٣) حلالاً من غير تعب فى الدنيا، وفى الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وذكر صيغة الماضى لتحققه واستيثاقهن ثم خاطبهن وحاملهن فقال : " يا نساء النبى لستن " الآية / ١٢ وجيز.

عليين من الجنة، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أى : لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء، وأصل أحد[1] وحد بمعنى: واحد، ثم وضع فى النفى العام مستويًا فيه التذكير والتأنيث والواحد وما وراءه، ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾: راعيتن التقوى، ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: لا تكلمن كلامًا لينًا خنثًا[2]، يعنى لابد لكن من الغلظة[3] فى المقالة مع الأجانب، ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: فجور أو نفاق، ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ يرتضيه الدين والإسلام من غير خضوع، ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ من وقر أو من قر، والأمر منه اقْرُرْنَ أو اقْرَرْنَ حذفت الأولى من الرائين بعد نقل حركتها إلى ما قبلها كظلن وظللن،﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، ﴿تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾: جاهلية الكفر، والجاهلية الأخرى: جاهلية الفسوق فى الإسلام، أو الأولى لا أخرى لها كما قيل فى أهلك عادًا الأولى، أو الأولى: زمن داود وسليمان أو زمن نمرود، فإن المرأة تلبس درعًا من لؤلؤ وتخرج عارضة نفسها على الرجال، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى جميع ما أمركن ونهاكن، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾: خبائث القلب، أو ما ليس لله فيه رضا، ﴿أَهْلَ البَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن الذنوب، ﴿تَطْهِيرًا﴾ فى مسلم (إن عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا جاءوا فأدخلهم النبى

---

(١) وفى الوجيز ذكر صاحب البحر: أن "أحد" الذى يستعمل فى النفى العام مخصوص بذوى العقول بخلاف واحد، ثم ذكر أن النحويين صرحوا أن مادة "أحد" الذى للعموم بهمزة وحاء ودال، ومادة "أحد" بمعنى: واحد أصله واو وحاء ودال، فقد اختلفا مدلولاً ومادة/١٢ وجيز.

(٢) فى الأساس: خنث تكسر وتثن وقد خنث وخَنَّثَ كلامه: لينه / ١٢ منه.

(٣) لا كما كانت الحال فى نساء العرب مِن مكالمة الرجال برخيم الصوت ولينه / ١٢ وجيز.

عليه السلام فى كساء من شعر أسود كان عليه، ثم قال : " إنما يريد الله ليذهب عنكم " الآية، وفى مسند الإمام أحمد وغيره[1] بروايات عن أم سلمة: "أنه عليه السلام كان فى بيتها، فجاء على وفاطمة وابناهما وجلس عنده على كساءٍ خيبرى فأنزل الله هذه الآية، فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج يده وألوى إلى السماء، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم، وطهرهم تطهيرًا، قالت : فأدخلت رأسى البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال : (إنك إلى خير، إنك إلى خير)"، والأحاديث التى هى أصرح فى هذا المعنى كثيرة، والأصوب أن أزواجه المطهرات من أهل بيته، وإذا كان أزواجه من أهل بيته فهؤلاء أحق وأولى بهذه التسمية، وهذا مثل ما نقلنا فى آية "لمسجد أسس[2] على التقوى"(التوبة:١٠٨)، ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ أمرهن أن لا ينسين النعمة الجليلة القدر، وهى ما يتلى فى بيوتهن من الكتاب الجامع بين أمرين، ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا**[3] **خَبِيرًا**﴾ فلذلك خيركن ووعظكن.

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ

---

(١) كابن أبى حاتم وابن جرير، والحافظ البزار وغيرهم[وانظر صحيح سنن الترمذى(٢٥٦٢)] / ١٢ منه.

(٢) كما مر بيانها فإنها نزلت فى مسجد قباء، وفى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: "هو مسجدى هذا" والتوفيق أنه إذا كان ذلك أسس على التقوى فمسجدى هذا أولى وأحرى بهذه التسمية، والله أعلم/١٢ منه.

(٣) فيختار ما ينفعكم فى الدنيا والدين والظاهر والباطن، ولما ذكر ما هو خاصة لأهل بيته ونصحهم، عمم الوعد والنصح للرجال والنساء فقال : " إن المسلمين والمسلمات " الآية/ ١٢ وجيز.

فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم
مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى
ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا
يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ
وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ
لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾
ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ
وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لأمر الله، ﴿وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما يجب التصديق به، ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ﴾: المداومين على الطاعة، ﴿وَالْقَانِتَاتِ[1]

(١) ثم إذا آمن وعمل صالحًا كمل فيكمل غيره ويأمر بالمعروف، وينصح أخاه ويصدق فى كلامه عند النصيحة، وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات، ثم إن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه، كما قال تعالى: " والصابرين والصابرات" ثم إنه إذ أكمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله : " والخاشعين والخاشعات "، ولما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها هو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة فقال : " والمتصدقين والمتصدقات " أى : الباذلين =

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ فى جميع الأحوال، **﴿وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ﴾**: على المصائب، **﴿وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ﴾**: المتواضعين لله، **﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ﴾**: المحسنين إلى الناس، **﴿وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ﴾** عن سعيد بن جبير من صام بعد الفرض ثلاثة أيام من كل شهر دخل فى الصائمين، **﴿وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾** عن الحرام، **﴿وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾** فى الحديث[1] "من أيقظ امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات"، **﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾**، لذنوبهم، **﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا[2]﴾** عن أم

= الأموال الذين لا يكترونها لشدة محبتهم إياها، ثم قال : " والصائمين والصائمات " إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله، ثم قال : " والحافظين فروجهم والحافظات " أى : الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية، ثم قال: "والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات" يعنى هم فى جميع هذه الأحوال يذكرون الله، ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم، وصدقتهم وصومهم بنية خالصة لله، واعلم أن الله تعالى فى أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة هاهنا، وفى قوله بعد هذا: " يأيها الذين أمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا " وقال من قبل : " لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا "[الأحزاب:٢١] لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسير، ولكن لا مانع أن يذكر الله تعالى وهو آكل، ويذكره وهو شارب أو ماش أو بائع أو شار، وإلى هذا أشار بقوله تعالى : " الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم "(آل عمران: ١٩١) / ١٢ وكبير.

(١) رواه النسائى وابن ماجه وابن أبى حاتم[وكذا أبو داود والحاكم بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع] / ١٢ وجيز.

(٢) لا يعرف أحد قدر ما عظمه الله، ولما ذكر أن النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وحرض أمته على إطاعته وحذرهم من مخالفته أتبع ذلك بقوله " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة " الآية / ١٢ وجيز.

سلمة أنها قالت : "قلت يا نبى الله ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال، فنزلت"(١)، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أى : أن يختاروا من أمر الله ورسوله ما شاءوا، بل يجب عليهم اتباع اختيار رسول الله وترك رأيهم، وجمع ضمير لهم على المعنى فإن المؤمن والمؤمنة وقعا تحت النفي،﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ لما خطب(٢) النبى عليه السلام زينب بنت جحش ابنة(٣) عمته لمولاه زيد بن حارثة فامتنعت نزلت ثم أجابت،﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: بالإسلام، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بالعتق وهو زيد اشتراه فى الجاهلية وأعتقه وتبناه، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب حين قال : أريد أن أطلقها، ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فيها ولا تطلقها، ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ أى : شيئًا الله مظهره، وهو علمه بأن زيدًا سيطلقها وهو ينكحها، فإن الله قد أعلمه بذلك أو ميل قلبه إليها وإلى طلاقها، فإن نفسه الأقدس مالت إليها بعد أن تزوجها زيد(*)، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾: تكره

(١) رواه النسائى وغيره ١٢ وجيز، وعزاه فى الفتح إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه[وسنده صحيح] / ١٢.

(٢) منقول عن ابن عباس رضى الله عنه، ومجاهد ومقاتل بن حيان وغيرهم / ١٢ منه.

(٣) فإنها بنت أميمة ابنة عبد المطلب / ١٢ منه.

(*) هذا التأويل يحمل على سوء الظن بالنبى صلى الله عليه وسلم- وحاشاه من ذلك لمكان العصمة، وقد أورده الحافظ فى "الفتح" (٣٨٤/٨) أثرًا اعتمده فى تأويل هذه الآية أخرجه ابن أبى حاتم عن السدى أن النبى صلى الله عليه وسلم- لما زوج زيدًا زينب أعلمه الله تعالى بعد أنها من أزواجه فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأقره النبى صلى الله عليه وسلم- أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدًا، ثم قال الحافظ: ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى =

قالتهم وتعييرهم، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ فلا تأمر بما تعلم يقينًا أنه لا يتم، أو فلا تظهر بلسانك ما تحب بقلبك غيره، فإن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بتساوى الظاهر والباطن، ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة، ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ بعد طلاقها وانقضاء عدها بلا ولى من بشر ولا شاهد ولا مهر، ولهذا تقول افتخارًا : زوجنى الله[1] من فوق سبع سماوات والسفير جبريل، ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ بالبنوة، ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ أى : دخلوا عليهن، قيل قضاء الوطر: كناية عن الطلاق يعنى لئلا يظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء، فإنه جاز أن يتزوج موطوءة دعيه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاءه، ﴿مَفْعُولاً﴾: مكونًا لا محالة، ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: قدر وقسم له، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: سن ذلك سنة، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء أى : كثرة الأزواج سنة الأنبياء وطريقتهم من قبل، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: قضاءه قضاء مقضيًا، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾، صفة مادحة للذين خلوا، ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ فلا يمنعهم شيء من الإبلاغ بوجه فيه تهييج، بأن يسلك هو عليه السلام طريقتهم، ولذلك قالت عائشة[2]: لو كتم محمد عليه السلام شيئًا من

= حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها، والذى أوردته منها هو المعتمد. والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم- هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى، بأمر لا أبلغ منه وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط فى تأويل متعلق الخشية. والله أعلم.

(١) كما رواه البخارى وأحمد والترمذى وغيرهم / ١٢ فتح.

(٢) رواه ابن جرير وغيره / ١٢.

الوحى لكتم " وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشـــــاه "، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: كافيًا للمخاوف، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها، والمراد ولـــده لا ولد ولده، وأما قاسم وإبراهيم وطاهر مع أهم لم يبلغوا مبلغ مبلغ الرجال، فما كـانوا من رجالهم، ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ أى : ولكن كان رسول الله، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: آخرهم، وعيسى عليه السلام يترل بدينه مؤيدًا له، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًـــا﴾ فهو أعلم حيث يجعل رسالته.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ
لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ
إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ
أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ
ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن

يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿**يَاأَيُّهَا**(١) **الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**(٢)﴾، فى الحديث (أكثروا ذكر الله حتى يقال مجنون)(*)، وعن ابن عباس رضى الله عنه: ما فرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً**﴾: أول النهار، ﴿**وَأَصِيلاً**﴾ وآخره خصوصًا، وعن بعض: المراد صلاة الصبح والعصر أو

---

(١) لما وعد بأنه أعد للذاكرين الله كثيرًا والذاكرات المغفرة والأجر العظيم وأثبت أنه بكل شيء عليم، أمر المؤمنين بالذكر فقال : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله " الآية/١٢ وجيز.

(٢) روى الإمام أحمد والترمذى، والطبرانى وابن ماجه "أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرنا بأمر نتشبث به فقال : صلوات الله عليه وسلامه لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله"[صحيح، وانظر صحيح الجامع(٧٧٠٠)] / ١٢ وجيز.

(*) "ضعيف" انظر الضعيفة .

العصر والعشائين، ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾: يتعطف الله وملائكته عليكم ويترحمون، فإن استغفارهم تعطف سيما وهم مستجابوا الدعوة، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: من ظلمات الكفر والمعاصي، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الإيمان والطاعة، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ﴾ إضافة المصدر إلى المفعول، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ فى الجنة أو عند الموت، ﴿سَلامٌ﴾ أى : يسلم الله عليهم وعن قتادة تحية بعضهم بعضًا فى الدار الآخرة (سلام)، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: الجنة ونعيمها، ﴿يَأَيُّهَا النَّبِى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ لله بالوحدانية أو على الناس بأعمالهم فى القيامة، وهو على الثانى حال مقدرة، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾، للكافرين، ﴿وَدَاعِيًا﴾ للخلق، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: إلى توحيده وطاعته، ﴿بِإِذْنِهِ[1]﴾: بتيسيره قيد الدعوة به، إيذانًا بأنه أمر صعب لا يتيسر إلا بإعانته، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: بينًا أمره يستضاء به عن الجهالة، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على محذوف، مثل: فراقب أحوال الناس، وصفه بخمسة أوصاف وحذف مقابل الأول لأن الباقى كالتفصيل له، فيكون وبَشّرْ فى مقابلة مبشرًا، ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾ كتضعيف الحسنات، ﴿وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ دم واثبت على ما أنت عليه، وهو مع قوله، ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ مقابل لنذيرًا أى : دع إيذاءهم إياك اصبر عليها ولا تغتم به، أو إيذاءك إياهم ولا تجازيهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ مقابل لداعيًا، فإن من توكل على الله يسر عليه كل عسير، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: موكولاً إليه الأمور وهو مقابل لسراجًا فإن من جعله برهانًا جدير بأن يكتفى به، وجاز أن يكون دع فى مقابلة داعيًا، فإن الداعى للخلائق لابد له من الصبر، والمواساة حتى يتم له الأمر، وتوكل فى مقابلة سراجًا وكفى بالله تأييد وتأكيد

---

(١) بتيسيره وإعانته فإنه أمر صعب، يقال: البخيل غير مأذون فى الإنفاق، أى غير مسهل عليه/١٢ وجيز.

للتوكل، ﴿يَأَيُّهَا[١] الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ[٢] طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهن، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: تستوفون عددها، وقوله: (المؤمنات) تحريض على نكاحهن، وظاهر الآية إن العدة بعد الجماع لا بمجرد[٣] خلوة، وأن الطلاق بعد النكاح، وعليه جمهور السلف، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ بنصف الصداق إن كان لهن صداق، وإلا فالمتعة على قدر حاله، وعن بعض المتعة غير النصف وهو أمر ندب، وعن بعض أمر وجوب، ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ من غير ضرار ومنع حق، ﴿يَأَيُّهَا[٤] النَّبِىُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ[٥]﴾ : مهورهن وتعجيل إعطاء المهر سنة، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ[٦] اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: مما غنمك الله من دار الحرب، ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ

---

(١) لما كان معقود تلك السورة بيان الأحكام وما وقع بينها متعلق بها، وحين تم حكم وما تعلق به يرجع إلى حكم آخر مناسب لما يليه، وأكثر أحكامها متعلق بالزواج والنساء، وكذلك ترى فيها تصريحًا باسمهن ما لم تر فى غير تلك السورة وجميع أحكامها متناسقة فقال : " يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات " الآية/١٢ وجيز.

(٢) لما كان العقد: رغبة، والطلاق: نفرة، والغالب أن يتخلل بينهما مهلة أتى بثم/١٢ وجيز.

(٣) وهذا فى المطلقة، لكن المتوفى عنها زوجها عليها العدة مسها أو لا، وحكم الكتابيات حكم المؤمنات، فقوله: " المؤمنات " تحريض على نكاحهن / ١٢ وجيز.

(٤) ولما بين بعض أحكام أنكحة سائر الخلق، أتبعه بذكر طرف من نساء النبى فقال : " يا أيها النبى " الآية / ١٢ وجيز

(٥) وهؤلاء فى مقابلة ما ملكه الله، والواهبات أنفسهن والسرارى / ١٢ وجيز.

(٦) غنمك الله من دار الحرب، وصفية وجويرية من ذلك فأعتقهما وتزوجهما وأما مارية وريحانة فمن السرارى / ١٢ وجيز.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ﴾ لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة بينه وبينها سبعة أجداد، ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته، ﴿اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة لا يحل(١) له غير المهاجرات، وعن بعض معناه: اللاتى أسلمن، ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ دون غيرها، نصبها بأحللنا لأن معنى أحللنا قضينا أو أعلمنا حلها، فلا ينافى الماضى الشرط المستقبل، أو نقول أحللنا جواب الشرط بحسب المعنى والحقيقة، فهو أيضًا مستقبل، ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِي إِنْ أَرَادَ النَّبِي أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أى: طلب نكاحها يعنى هبتها نفسها منه لا توجب حلها إلا بإرادته نكاحها، فإنها جارية مجرى القبول، عدل إلى الغيبة ثم إلى الخطاب بقوله:﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للإيذان بأنه مما خص به لشرف النبوة والخطاب أدخل فى التخصيص، والاسم فى التعظيم والأصح أنه ينعقد فى حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولى وشهود ومهر، وعند بعض لا ينعقد فى حقه أيضًا إلا بلفظ الإنكاح واختصاصه فى ترك المهر فقط، ونصب خالصة على المصدر المؤكد لمضمون جملة "امرأة مؤمنة" إلخ، أو على الحال من ضمير "وهبت" أوتقديره: هبة خالصة لك، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾، من حصرهم فى أربع نسوة واشتراط عقد ومهر وشهود، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من توسيع الأمر فيها، ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، متعلقه خالصة أى: اختصصتك بأشياء فى التزوج لئلا يكون عليك ضيق فقوله: " قد علمنا " إلى " أيمانهم " معترضة بين خالصة ومتعلقها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للزلات، ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة، ﴿تُرْجِي﴾: تؤخر، ﴿مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾: من نسائك ومن الواهبات، ﴿وَتُئْوِي﴾: تضم، ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾: من نسائك والواهبات، يعنى: أنت بالخيار فى أمرهن قد

---

(١) كما فى حديث الترمذى وغيره[وسنده ضعيف، فإنه من رواية السدى عن أبى صالح]/ ١٢ وجيز.

حط عنك القسم فلا يجب عليك[1] بعد، وفى أمر الواهبات إن شئت قبلت وإن شئت رددت، ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾: طلبت وأردت إصابتها، ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: من النساء اللاتى عزلتهن عن القسمة، ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فى ذلك، ﴿ذَلِكَ﴾ التفويض إلى مشيئتك من غير وجوب القسم، ﴿أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أى : أقرب إلى قرة عيونهن، وقلة حزنهن ورضاهن جميعًا، فإنه إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج فى القسم، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارًا فرحن به، وحملن جميلتك فى ذلك واعترفن بعدلك وكمال إنصافك فى قسمك، وإن رجحت بعضهن علمن أنه بفسحة من الله لك ورضاه، فتطمئن[2] نفوسهن، وعن بعض معناه تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء، ومن ابتغيت ممن طلقت بالرجعة فلا إثم، والتفويض إلى رأيك أقر لرضاهن، لأنك لو لم تطلقهن حملن فى ذلك جميلتك " وكلهن " تأكيد لفاعل "يرضين"، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى بعضهن مما لا يمكن دفعه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ فلا يؤاخذكم بما فى قلوبكم، ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾، من بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشرة فما فوقها، ﴿وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾: بأن تطلق واحدة من هؤلاء وتتزوج بدلها أخرى، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ[3]﴾ أى : مفروضًا إعجابك بهن، حال من فاعل تبدل، وعن

(١) وذلك أشهر الأقوال فى الآية وأصحها كما قاله القرطبى وقال ابن عباس : تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء / ١٢ كمالين.

(٢) واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم راعى القسم إلى وفاته وأخذ بالفضل، غير ما جرى لسودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة لئلا يطلقها، فتكون محشورة بين نسائه/١٢.

(٣) وفى الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء، ويؤيده ما روى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل) أخرجه أبو داود[حسن، وانظر صحيح الجامع] / ١٢ فتح.

كثير من السلف: لما خيرن بين الدنيا والآخرة فاخترن الآخرة كما تقدم جازاهن الله بتحريم التزويج لغيرهن، ثم نسخ حكم هذه الآية كما دل عليه الأحاديث الصحاح وأباح[1] له التزوج أى عدد أراد لكن لم يقع منه بعد ذلك لتكون المنة له عليه السلام وعن بعض معناه: لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة التى مر ذكرها فى قوله: " إنا أحللنا " الآية، فلا يحل له عربية غير بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، ولا غير مهاجرة وإن كانت قريبة، ولا غير مؤمنة فقولة " ولا أن تبدل بهن " على هذا تأكيد بخلافه فى المعنى الأول، **﴿إلاَّ مَا مَلَكَتْ[2] يَمِينُكَ﴾** استثناء متصل من النساء المتناول للأزواج والإماء، أو منقطع، **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾** فلا تتخطوا عما حد لكم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن

---

(١) كما صرحت بذلك عائشة كما روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى فى سننيهما عنها/ ١٢ وجيز. وأخرج أحمد والترمذى فى صحيحه والنسائى والحاكم وصححه، عن عائشة قالت: (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم لقوله " ترجى من تشاء منهن " الآية، وعن ابن عباس رضى الله عنه مثله / ١٢ فتح.

(٢) وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية القبطية أهداها له المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وولدت له إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان، ومات فى حياة أبيه، وله سبعون، يومًا وقيل: سنة وعشرة أشهر / ١٢ فتح.

وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا[١] **الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا**[٢] **بُيُوتَ النَّبِى إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾** أى : إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونًا، أو إلا بأن يؤذن لكم، **﴿إِلَى طَعَامٍ﴾** متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى، **﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾**: غير منتظرين إدراكه أو وقته، حال من ضمير لكم، نهى عن جميع الأوقات إلا وقت وجود الإذن المقيد، يعنى : لا ترقبوا طبخ الطعام حتى إذا قارب الاشتواء تعرضوا للدخول فإنه مذموم، **﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾**: اخرجوا من بيته ولا تمكثوا فيه، **﴿وَلاَ مُسْتَئْنِسِينَ**

---

(١) لما بين ما تجب مراعاته عليه من حقوقهن، شرع يبين ما تجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبى صلى الله عليه وسلم، فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى " الآية / ١٢ فتح.

(٢) هذا الأمر بعد ضرب الحجاب بقوله: "وقرن فى بيوتكن" / ١٢ وجيز.

﴿لِحَدِيثٍ﴾ أي : لحديث بعضكم بعضًا عطف على ناظرين، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكث، ﴿كَانَ يُؤْذِى النَّبِى فَيَسْتَحْيِى مِنكُمْ﴾: من إخراجكم، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِى مِنَ الحَقِّ﴾ أى : الله لا يمتنع ولا يترك الحق ترك الحيى منكم، يعنى: إن إخراجكم حق ينبغى أن لا يتسحيى منه، نزلت[1] حين تزوج زينب، وأو لم، فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين، فخرج عليه السلام من مترله ثم رجع ليدخل وهم جلوس، وكان عليه السلام شديد الحياء فرجع، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾: حاجة، ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ﴾ المتاع، ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أى : ستر، هذه آية الحجاب نزلت فى ذى القعدة من السنة الخامسة أو الثالثة من الهجرة، ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من وساوس الشيطان والريبة، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بوجه، ﴿وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ نزلت فى رجل من الصحابة هم أن ينكح بعض نسائه إن قبض، واختلف فى المطلقة بعد الدخول، هل تحل؟ على قولين، أما مطلقته قبل ادلخول فلا نزاع فى حلها، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ إيذاءه ونكاح نسائه، ﴿كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا إِن تُبْدُوا شَيْئًا﴾ كنكاحهن على ألسنتكم، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾، فى صدوركم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، قيل: لما نزلت آية[2] الحجاب قال رجل : ما لنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فترل قوله: "إن تبدوا شيئًا" الآية، ﴿لاَ جُنَاحَ﴾ لا إثم، ﴿عَلَيْهِنَّ فِى آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ أى : فى ألا يحتجبن من هؤلاء سئل عكرمة والشعبى: عن سبب ترك ذكر العم والخال؟ فقالا : لأنهما يصفاها لبنيهما، وقيل: لأنهما بمترلة الوالدين فلاحاجة، ﴿وَلاَ نِسَائِهِنَّ﴾ أى : المؤمنات، ﴿وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾:

---

(١) كما فى الصحيحين / ١٢ وجيز.

(٢) ذكره محيى السنة رضى الله عنه/ ١٢ منه.

من العبيد والإماء، وقد مر بسطه فى سورة النور، ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فى السر والعلانية، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ[١] وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: يترحمونه ويعظمونه، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[٢]﴾ قولوا: اللهم صل على محمد وسلم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ[٣] اللَّهَ﴾ فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كقولهم: " يد الله مغلولة"(المائدة: ٦٤)، ﴿وَرَسُولَهُ﴾ بالطعن فيه وفيما يتعلق به، أو المراد من إيذائهما فعل مايكرهانه، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، يعنى: عذابًا جسديًّا وروحانيًّا، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية واستحقاق للأذى، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ عن مقاتل : نزلت فى الذين يؤذون على بن أبي طالب، ويسبونه، وفى الترمذى "قيل : يا رسول الله ما الغيبة؟، قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قال: أفرأيت إن كان فيه ما أقول ؟ قال : (إن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته[*])".

(١) ولما كان أكثر الآيات المذكورة دالة على شرف نبى الله صرح بما تضمنه فقال: "إن الله وملائكته يصلون على النبي" أى : إن الله يذكر نبيه بالثناء والتبجيل، وملائكته يسألون من ربهم ثناء رسوله وتعظيمه، ولا شك أن هذا الطلب منهم عين الثناء والتعظيم / ١٢ وجيز.

(٢) عظموا أنتم نبيكم بأن تطلبوا من فضل الله مزيد ثناءه وتنويه قدره فعلى هذا لا اشتراك ولا جمع بين الحقيقة والمجاز، وعند أكثر أهل العلم الصلاة والسلام عليه فرض غير محدود بوقت، وسقوط الفرض بالصلاة عليه فى عمره مرة، أما عند الشافعى وأصحابه فواجبة فى تشهد الصلاة لا غير / ١٢ وجيز.

(٣) فى الصحيحين يقول الله عز وجل: "يؤذينى ابن آدم ويسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره" ومعناه كما أورده الشافعى وغيره، أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر، فعل بنا كذا وكذا، وينسبون أفعال الله إليه ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك الله/١٢ منه.

(*) صحيح أخرجه أبو داود وغيره، وانظر غاية المرام .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن
جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾
۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى
ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ
وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾
يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾
وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ
ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِى قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾
الجلباب: رداء فوق الخمار تستر من فوق إلى[1] أسفل، يعني يرخينها عليهن ويغطين وجههن وأبدانهن، **﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾**: أقرب، **﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾** أهن حرائر ويميزن من الإماء، **﴿فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾** بالتعرض لهن، كان ناس من الفساق يتعرضون للإماء حين كانت تخرجن فى الليالي، فأمرت الحرائر بإرخاء الجلباب لتتميز الحرائر من الإماء، **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾** لما سلف من ترك التستر، **﴿رَّحِيمًا﴾** بعباده حيث يأمرهم بجزئيات مصالحهم، **﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾**: عن نفاقهم، **﴿وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم**

(١) صرح بذلك السلف / ١٢ وجيز.

﴿مَّرَضٌ﴾: ضعف إيمان، وهم الزناة عن فجورهم، **﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾**: المخبرون على غير حقيقة عن فعلتهم، **﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾** وهم الذين يخبرون عن سرايا المسلمين بأخبار[1] سوء، **﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾**: نسلطنك عليهم ونأمرنك بقتالهم، **﴿ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾**: فى المدينة عطف على لنغرينك بثم، كأنه قال : لئن لم ينتهوا ليحصل لهم خطبان، عظيمان الثانى أعظم عليهم فإن الجلاء من الأوطان أعظم المصائب، **﴿إِلا قَلِيلًا﴾**: زمانًا قليلاً وذلك بأن يضطروا إلى الجلاء، **﴿مَلْعُونِينَ﴾** نصب على الذم، وقيل: حال من فاعل يجاورون بأن دخل إلا على الظرف والحال معًا يعنى : لا يجاورن فى زمن من الأزمنة وفى حال من الأحوال إلا قليلاً ملعونين وفيه ضعف، **﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾**: وجدوا، **﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾** وهذا الحكم فيهم على جهة الأمر، وكأن المنافقين والفجار والمرجفين كانوا قومًا واحدًا هم المنافقون، ذكرهم الله بثلاث خصائلهم(*)، **﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾** أى : سن الله سنته، **﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾** فى الذين ينافقون الأنبياء، أن يقتلوا حيث وجدوا، **﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾**: تغييرًا، فإنه لا يغير سنته، **﴿يَسْأَلُكَ[2] النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾**: عن وقت قيامها؟ **﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾** لم يطلع عليه أحدًا، **﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾**: أى شيء يعلمك وقتها، **﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾**، تذكير قريبًا لأن الساعة بمعنى اليوم، أو لأنه صفة محذوف،

---

(١) كانوا يخبرون عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم كسروا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت، وفى المدينة يحتمل تعلقه بالأخير، وبالثلاثة على سبيل التنازع / ١٢ وجيز.

(*) وفى النسخة (ن): خصائل لهم.

(٢) ولما ذكر خصائص المنافقين وبئيس أمرهم، وأن حكمهم كحكم من قبلهم، تعرض بشيء من قبائحهم مثل قبائح الذين خلوا، فقال : " يسألك الناس عن الساعة " سخرية وتعجبًا واستخفافًا، كما كان الأولون يسألون عن أنبيائهم / ١٢ وجيز.

أى: شيئًا أو زمانًا قريبًا، أو لأنه بوزن فعيل الذى يستوى فيه الصيغ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا[١]﴾: نارًا شديدة الإيقاد، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يحفظهم، ﴿وَلاَ نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ﴾: تصرف من جهة إلى جهة كلحمة تدور فى القدر إذا غلت، أو المراد طرحها فى النار مقلوبين منكوسين، ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ناصب يوم: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وأَطَعْنَا الرَّسُولاْ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا﴾: هم الذين لقنوهم الكفر، ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ﴾ أى : من عذابنا، أومن هذا العذاب الذى عذبتهم به، فإنهم أحقاء لزيادة لعذاب، ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا[٢]﴾: هو أشد اللعن وأعظمه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

---

(١) ولما بين حالهم فى الدنيا، أنهم ملعونون مهانون مقتولون، عقبه بحالهم فى الآخرة فقال : " إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) فإنهم ضلوا وأضلوا عبادك، ولما كان المنافقون وبعض المؤمنين آذوا رسول الله بأنه تزوج زوجة ابنه وبغير ذلك، أنزل الله تعالى قوله : " يا أيها الذين أمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى " الآية / ١٢ وجيز.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ حين نسبوه إلى برص وأدرة لفرط تستره[1] حياء، أوحين نسبوه إلى قتل أخيه هارون[2]، ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، بأن أظهر براءته من مضمون مقولهم مؤداه بمعجزة، ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا وجاهة ومنزلة، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصدًا إلى الحق عدلاً صوابًا، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ بالقبول يعنى يتقبل حسناتكم أو يوفقكم للأعمال الصالحة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فإن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا[3]﴾، أظفر بالخير كلــه، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ[4]﴾، الطاعة والفرائض، ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) رواه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا / ١٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن على بن أبي طالب رضى الله عنه.

(٣) لما أرشد إلى ما أرشد من ترك الأذى واتقاء الله وسداد القول، ورتب على الطاعة ما رتب، أراد أن يبين أن ما كلفه الإنسان أمر عظيم لا يتبع إلا من له وجاهة ورتبة فقال: " إنا عرضنا الأمانة " الآية / ١٢ وجيز.

(٤) قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور، وقد اختلف فى تفاصيل بعضها، فقال ابن مسعود: هى أمانة الأموال كالودائع وغيرها، وقال أبو الدرداء: غسل الجنابة أمانة، وقال السدى: هى ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانته إياه، فى قتله وما أبعد هذا القول، وليت شعرى ما هو الذى سوغ للسدى تفسير هذه الآية بهذا، فإن كان ذلك لدليل دله على ذلك فلا دليل، وليست هذه الآية حكاية عن الماضى من العباد حتى يكون له فى ذلك متمسك فهو أبعد من كل بعيد وأوهن من بيت العنكبوت، وإن كان تفسيره هذا عملاً بما تقتضيه اللغة العربية، فليس فى لغة العرب ما يقتضى هذا ويوجب حمل هذه الأمانة المطلقة على شيء كان فى أول هذا العالم، وإن كان هذا تفسيرًا منه بمحض الرأي، فليس الكتاب العزيز عرضة لتلاعب آراء الرجال به، ولهذا ورد الوعيد على من فسر=

﴿وَالْجِبَالِ﴾، بأن قلنا لهن : هل تحملن الأمانة وما فيها ؟ قلن بعد أن أنطقهن[1] الله : وأى شيء فيها ؟، قلنا : إن أحسنتن أثبناكن، وإن أسأتن عوقبتن[2]، قلن : لا طاقة لنا ولا نريد الثواب، ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خفن، ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾: آدم لما عرضنا عليه، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بتحمله ما يشق عليها، ﴿جَهُولاً﴾ بوخامة[3] عاقبته، عن كثير من السلف: ما كان بين قبول الأمانة، وبين خطيئته إلا قدر ما بين العصر إلى الليل، ذكر الزجاج وبعض العلماء أن الأمانة فى حق السماوات والأرض والجبال الخضوع والانقياد لمشيئة الله وإرادته، وفى حق بنى آدم الطاعة والفرائض، ومعنى "أبين أن يحملنها" على هذا: أدين الأمانة و لم يخن فيها، وخرجن عن عهدتها، وحملها الإنسان خان فيها وماخرج عن عهدتها، يقال: فلان حامل الأمانة ومحتملها، أى لا يؤديها إلى صاحبها، وقد نقل عن الحسن مثل ذلك، والظلومية والجهولية باعتبار الجنس، قال الإمام الرازى: أى من شأنه الجهل والظلم،

= القرآن برأيه، فاحذر أيها الطالب للحق عن قبول مثل هذه التفاسير، واشدد يديك فى تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية فهو قرآن عربى كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فإنهم من جملة العرب ومن أهل اللغة وممن جمع الى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به فى لغة العرب، فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابى ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه الكلية تنتفع بها/ ١٢ فتح.

(١) هذا كلام أكثر السلف، وهو غير مستحيل كحنين الجذع وتسبيح الحصى وغير ذلك/ ١٢ وجيز.

(٢) وعن عظماء السلف أنهن ضججن إلى الله ثلاثة أيام قائلات: لا طاقة لنا بالعمل/١٢ وجيز.

(٣) وخامة: ثقالة / ١٢ وجيز.

كما تقول: الماء طهوروالفرس جموح، ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ تعليل للعرض يعني عرضناها ليظهر نفاقهم فيعذبهم ويظهر إيمانهم فيتوب عليهم، ويعود بالرحمة والغفران عليهم إن حصل منهم تقصير وللإشارة إلى تقصير الأكثرين، قال: "ويتوب الله" أو تعليل للحمل واللام للعاقبة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾، حيث يقبل التوبة ويثيب.

والحمد لله على لطفه وفضله.

سورة سبأ مكية

قيل إلا قوله: "ويرى الذين أوتوا العلم" الآية

وهي أربع وخمسون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا
تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ
﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ
صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا
مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ
جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟
إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾ كلها(*) منه نعمة وفضلا، فهو الحقيق بالحمد وحده فى الدنيا، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ﴾ لأن ما فى الآخرة أيضًا خلقه، وهم(*) المنعم عليه فيها بلا وساطة أحد، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل، ﴿فِى الأَرْضِ﴾: كالدفائن والأموات والبذور، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالحيوان والنبات، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، كالمطر والملك والأرزاق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملك والأعمال الصالحة، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾: للمقصرين فى شكر تلك النعم، ﴿وَقَالَ(١) الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: القيامة، إنكارًا للبعث، ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾ إثبات لما نفوه بآكد وجه، ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: الساعة، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾، بالجر صفة ربي، وبالرفع على تقدير هو عالم وصفه بهذه من بين الصفات لأن الساعة من أدخل المغيبات فى الخفية، ﴿لا يَعْزُبُ﴾: لا يبعد، ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ﴾: مقدار أصغر نملة، ﴿وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو كلام منقطع عما قبله بالرفع، أو الفتح كلا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿لِيَجْزِيَ﴾: الله، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ متعلق بقوله: "لتأتينكم(٢)" ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: فى الجنة بلا تعب ومنة، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا﴾: بالإبطال، ﴿مُعَاجِزِينَ﴾:مفوتين على زعمهم يحسبون أنهم يفوتوننا، ﴿أُولَئِكَ

(*) فى النسخة ن: كله.

(*) فى النسخة ن: وهو.

(١) لما ذكر تلك الأمور البدائع من خلقه وأثبت العلم الواسع له، فليس لأحد أن ينكر شيئًا من بدائعه التى أخبر بها، فقال على سبيل التعجب:"وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة"/١٢وجيز.

(٢) أي: الساعة ليجزي، وقيل لا يعزب ليجزى، والأول أولى وإن كان الثانى أقرب، وما ذلك إلا حجة ساطعة فى صدق ما أقسم عليه لأنه مركوز فى العقول ثبوت الجزاء والعقاب للمحسن والمسيء، فكأنه تعليل لتأتينكم/١٢وجيز.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: سيئ العذاب، ﴿أَلِيمٌ[1]﴾: مؤلم، ﴿وَيَرَى﴾: يعلم، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، كمؤمنى أهل الكتاب، أو كالصحابة ومن تبعهم، ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾، ثانى مفعولى يرى والضمير فصل، وقراءة الرفع على أنهما مبتدأ وخبر والجملة ثانى مفعوليه، قيل ويرى عطف على ليجزى أي: ليرى أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانًا كما علموه الآن برهانًا، ﴿وَيَهْدِي﴾: القرآن، أو الذين أوتوا العلم، ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ هو دين الإسلام، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ[2] كَفَرُوا﴾ أي: بعضهم لبعض، ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعنون أصدق الصادقين -عليه الصلاة والسلام ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يحدثكم بمحال عجيب، ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرقتم وقطعتم كل تفريق وتقطيع ولما كان ما بعد إن لا يعمل فيما قبله فعامل إذاً محذوف يدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تنشأون خلقًا جديدًا بعد أن تكونوا ترابًا، ﴿أَفْتَرَى﴾ أي: أفترى، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: اختلق عليه قاصدًا للكذب، ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: فيتفوه بما لا يعقله وجاز أن تكون منقطعة كأنهم قالوا: دعوا حديث الافتراء فإن هاهنا ما هو أهم منه فإن العاقل لا يفترى المحال، بل جنونه يوهمه ذلك، ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ[3] بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾: عن الصواب ولذلك يترددون فى أنه مفتر أو مجنون، ولولا ذلك لعلموا أنه أصدق وأعلم الصادقين والعالمين وصف الضلال بما هو صفة للضال حقيقة للإسناد

---

(١) صاحب ألم، كان الرجز أو العذاب من شدته صاحب ألم فما حال المعذب به؟!/١٢وجيز.

(٢) بعد ما أنكروا مجيء الساعة وقالوا لا تأتينا الساعة قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والتعجيب "هل ندلكم على رجل" يعنون أصدق الصادقين عليه الصلاة والسلام ونكروا اسمه، وهو أعرف اسم فى الأرض والسماء كأنهم لا يعرفونه/١٢وجيز.

(٣) أضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى: ليس للرسول مثل ما نسبتم إليه، بل أنتم فى العذاب والضلال البعيد/١٢وجيز.

المجازي، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: أعموا فلم ينظروا إلى أن السماء والأرض محيطتان بهم لا يستطيعون الخروج من أقطارهما و لم يخافوا أن نخسف بهم أو نسقط عليهم قطعة من السماء لكفرهم؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما يرون من السماء والأرض، ﴿لآيَةً﴾: دلالة، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ[1]﴾: راجع إلى ربه مطيع لكثرة تأمله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

---

(١) ولما ذكر إنكارهم البعث لأنه مستحيل عندهم ذكرهم بأشياء كل منها مستحيل عادة بعضها اتفقت به أخبارهم ونطقت به أشعارهم، ومن اعترف بثبوته و لم يعترف بالبعث مع أنه اتفق عليه ألسنة الصادقين بالأدلة الواضحة مع البينات الظاهرات من المعجزات فما هو إلا معاند قليل الحياء، فقال:"ولقد آتينا داود منا فضلا" الآية/١٢-١٢وجيز.

وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟
فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا
مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ
بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ جمع له بين النبوة والملك والجنود والمعجزات الظاهرة، **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾** أي: قلنا يا جبال رجعي معه التسبيح، أو النوحة أي: سبحي معه إذا سبح بدل من "آتينا" **﴿وَالطَّيْرَ﴾**، عطف على محل جبال أو مفعول معه لأوبي كان إذا سبح تسبح معه الجبال والطير وتجاوبه بأنواع اللغات، **﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**: كالطين والشمع يصرفه بيده من غير نار ولا ضرب مطرقة، **﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾** أي: أمرناه أن اعمل دروعًا واسعات، **﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ[1]﴾**: لا تجعل المسامير دقاقًا ولا غلاظًا قيل أي: قدر في نسجها تناسب حلقها فإن دروعه لم تكن مسمرة، **﴿وَاعْمَلُوا﴾** أي: داود وآله، **﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**: فلا يضيع عملكم، **﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾** أي: وسخرنا له، **﴿الرِّيحَ﴾**، وقراءة رفع الريح على تقدير

---

(١) والسرد: نسج الدروع/١٢.

ولسليمان الريح مسخرة، ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: مسـيرها بـالغداة إلى انتصاف النهار مسيرة شهر وبالعشى كذلك ففى اليوم الواحد تجرى مسيرة شـهرين، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أسال معدن النحاس فينبع كما ينبع الماء من العين، ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾، حال متقدمة أو خبر لقوله: ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، والجملة عطف علـى الريح، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره، ﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾: يعدل، ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذى هـو طاعته، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يدركه الصاعقة فتحرقه أو المراد عذاب الآخـرة، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾، البنـاء الرفيـع والمسـاجد والقصـور، ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: صور الملائكة والأنبياء واتخاذها مباح فى شريعتهم، ﴿وَجِفَانٍ﴾، جمـع جفنة أي: قصعة، ﴿كَالْجَوَابِ﴾، جمع جابية وهـى الحـوض الكبـير، ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: ثابتات كالجبال أثافيها منها قيل كان يـأكل فى جفنـة ألـف رجـل ﴿اعْمَلُوا[1]﴾ حكاية ما قيل لهم، ﴿آلَ[2] دَاوُدَ شُكْرًا﴾ أي: الجن يعملـون لكـم فاعملوا أنتم شكرًا، والشكر على ثلاثة أضرب بالقلب وباللسان وبالجوارح فقـال:

---

(١) وإنما قال اعملوا لينبه على التزام جميع أنواع الشكر فإن فى قوله عليك بإعمال الفكـر مبالغة ليس فى قولك تفكر فى تلك المسألة، وكان عليه السلام لا يشبع قط من خـبز الشعير ولا يطعم ألذ الأطعمة/١٢وجيز.

(٢) أي: قلنا لهم اعملوا يا آل داود شكرًا له على ما آتاكم وسئل الجنيد عن الشكر فقـال: بذل المجهود بين يدى المعبود، ثم بين بعد أمرهم بالشكر أن الشاكرين له مـن عبـاده ليسوا بكثير، فقال: "وقليل من عبادى الشكور" وقال ابن عباس يقـول: قليـل مـن عبادى الموحدين توحيدهم، والشكور المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا، وقد جاء عن داود عليه السلام أنـه جـزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات إلا وإنسان مـن آل داود قائم يصلى/١٢فتح.

"اعملوا" لينبه على التزام الأنواع الثلاثة أو مصدر لاعملوا لأن فيه معنى اشكروا، أو معناه اعملوا طاعة الله للشكر أو شاكرين، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾: المبالغ الباذل وسعه فيه، ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: على سليمان، ﴿الْمَوْتَ[1] مَا دَلَّهُمْ﴾ أي: الجن، ﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾: الأرضة، ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: عصاه، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سليمان، ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، كان من عادته أنه يعتكف فى مسجد بيت المقدس سنة وسنتين وأقل وأكثر، فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتى على الجن حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، ثم دخل المحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائمًا يحسبونه حيًّا وهم فى أعمالهم الشاقة، فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحوًا من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين فى أى موضع[2] هى فيه، وتبين إما بمعنى ظهر لازم فيكون أن مع صلتها بدل اشتمال من الجن كما تقول تبين زيد جهله أي: ظهر جهل الجن للإنس، وإما متعدٍ أي: علموا أنهم كانوا كاذبين فى ادعاء علم الغيب، ولو علموا

---

(١) أي: أنفذنا عليه ما قضينا فى الأزل من الموت وأوقعناه عليه/١٢وجيز.

(٢) كذا روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس وغيره هذا ما فى الوجيز وبمعنى هذه القصة نقل صاحب الفتح وعزاها إلى البزار، وابن جرير، وابن المنذر والطبرانى وابن السنى وغيرهم ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى الملك مدة أربعين سنة، وشرع فى بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين فى ملكه، وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل إن داود أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى، فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقى من عمره سنة سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبطل دعواهم علم الغيب/١٢فتح.

لعلموا موته حين وقع فلم يلبثوا فى الأعمال الشاقة التى هى العذاب المهين بعد مـــدة، ﴿لَقَدْ[١] كَانَ لِسَبَإٍ﴾: اسم قبيلة، ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾: موضع سكناهم، وهو باليمن أو مسكن كل واحدٍ منهم، ﴿آيَةٌ[٢]﴾: دالة على وجود قادر مختار علـــى مـــا يشـــاء، ﴿جَنَّتَانِ﴾، بدل من آية أو خبر محذوف هو هي، ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: جماعتـان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها، وكل واحدة منهما فى تقاربهـــا وتضامها كأنها جنة واحدة والآية قصتهما، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَـــهُ﴾، حكاية ما قال لهم الأنبياء أو لسان الحال، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، كانت أرخص البلـــدان أو أطيبها فى الهواء، و لم يكن فيها ذباب ولا شيء من الهوام، ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: لمن شكره استئناف لبيان موجب الشكر أي: هذه بلدة طيبة، وربكم الـــذى رزقكـــم وطلـــب شكركم رب غفور، ﴿فَأَعْرَضُوا﴾: عن الشكر إلى عبادة الشمس، وكذبوا الأنبيـــاء[٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ العرم: الوادى أو الماء الغزير أو الصعب أو الجرذ، وهو نوع من الفأر الذى نقب عليهم السد ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَـــى أُكُـــلٍ خَمْطٍ﴾: أراك[٤] قيل: كل شجر ذى شوك أو كل نبت مر فهو خمط، والأكل الثمـــر وأصله أُكُلِ أُكُلِ خَمْطٍ فأقيم المضاف إليه مقام المضاف، ﴿وَأَثْلٍ﴾ هـــو الطرفـــاء أو

---

(١) ولما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين الكافرين لهـــا تذكرة لقريش وعبرة وموعظة لكل من سمعه فقال: "لقد كان لسبأ" الآيــــة/كـــذا فى الوجيز والفتح/١٢.

(٢) وأما الآية فما هى إلا قصتهم من إعراضهم عن الشكر وخراب ديارهم/١٢وجيز.

(٣) عن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا وقال السدي: اثنى عشر ألـــف نـــبى فـــالله أعلم/١٢منه.

(٤) فسره بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس -رضى الله عنه- والحسن وقتـادة والسدى الكبير/١٢منه.

شجر يشبهه عطف على أكل، فإن الأثل لا أكل له، ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ هو أجود أشجارهما وتسمية البدل جنة للمشاكلة، وفيه من التهكم، كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيستعملونه على قدر حاجتهم، فلما كذبوا الرسل سلط الله عليه الجرذ فنقبه وغرقهم، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: بكفرهم أو بكفرانهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي[1] إِلا الْكَفُورَ﴾: هل يعاقب إلا البليغ فى الكفر، أو الكفران أو هل نجازى بمثل هذا الجزاء إلا الكفور، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، هى قرى الشام، ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متواصلة يرى بعضها من بعض بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل ماء وزاد، ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: بحيث يقيلون من اليمن إلى الشام فى قرى ويبيتون فى أخرى، ﴿سِيرُوا﴾ أي: قلنا لهم: سيروا، ﴿فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: لما مكنوا من السير فى رغدٍ وأمن كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم إن شاءوا فى الليل، وإن شاءوا فى النهار فإن الأمن فى كلا الوقتين حاصل، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، لما بطروا النعمة وملوا العافية طلبوا مفاوز يحتاجون فى قطعها إلى زاد ورواحل وسيرٍ فى حرور ومخاوف ويمكن أن يكون ذلك لئلا يتمكن الفقراء من تلك السفرة، فيتطاولون عليهم وهذا كما طلب بنو إسرائيل الفوم والعدس بدل المن والسلوى، ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالبطر، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لمن بعدهم فصاروا ضرب مثل يقال: تفرقوا أيدى سبأ، ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾: فرقناهم فى الأرض، ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: كل تفريق بعض إلى الشام، وبعض إلى عمان، وبعض إلى العراق، وهكذا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي، ﴿شَكُورٍ﴾: على النعم وهو المؤمن

---

(١) والحاصل أن الله سبحانه عدد عليهم النعم، ثم ذكر ما نزل بهم من النقم، ثم عاد لتعديد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدهم من اتصال القرى بينهم وبين ما يريدون السفر إليه، ثم ذكر بعد ذلك تبديله بالمفاوز والبرارى كما سيأتي/١٢فتح.

فإنه إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: حقق ظنه فيهم، وأما على قراءة تخفيف الدال فبتقدير فى ظنه أو يظن ظنه نحو فعلته جهدك أو لأن صدق نوع من القول عدى إليه بنفسه كصدق وعده، وكلام السلف دال على أن ضمير عليهم لبنى آدم لا لأهل سبأ خاصة عن بعضٍ[1] منهم أن إبليس لما قال: لأضلنهم ولأغوينهم، لم يكن مستيقنًا أن ما قاله يتم فيهم، وإنما قاله ظنًا فلما أطاعوه صدق عليهم ما ظنه، ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من بيانية أي: فريقًا هم المؤمنون، وقيل للتبعيض والمراد غير العاصين منهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم بالوسوسة والإغواء، ﴿إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: ليتميز المؤمن من الشاك، أو لنعلم علما وقوعيًّا فإنه كان معلومًا بالغيب أو ليتعلق علمنا تعلقًا يترتب عليه الجزاء، فالمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: محافظ.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ

---

(١) قاله الحسن البصرى وابن قتيبة/١٢منه.

شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةً
وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلِ[1]﴾: يا محمد لمشركى قومك، ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من الملائكة، والأصنام ليكشفوا عنكم ضركم ويعينوكم ويرزقوكم، ﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: من خير وشر، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾، جملة لا يملكون إما استئناف جواب عن المشركين لأنه أمر متعين لا يقبل المكابرة وإما حال عن الذين زعمتم، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾: من شركة، ﴿وَمَا لَهُ﴾: لله، ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾: من عوين[*]، فإنه هو المستقل فى جميع الأمور لا شريك ولا معين له، ﴿وَلا تَنْفَعُ[2] الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ أي: شفاعة شافع لمشفوع، ﴿إِلا لِمَنْ أَذِنَ[3] لَهُ﴾: أن يشفع، أو أن يشفع له، ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: أزيل الفزع

---

(١) ولما ذكر إنعامه على أهل سبأ ثم تدميرهم لإطاعتهم لإبليس أمر نبيه بأن يبين لقريش ضلالهم فقال: "قل ادعوا الذين" الآية/١٢وجيز.

(*) فى النسخة ن: معين.

(٢) ذكر الرازى تحت هذه الآية مذاهب المشركين وقال: واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة، ثم ذكرها إلى أن قال، ورابعها: قول من قال: إنا نعبد الأصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى فى إبطال قولهم: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإن الله لا يأذن فى الشفاعة لمن يعبد غيره، فبطلبكم الشفاعة تفوتون على أنفسكم الشفاعة/١٢.

(٣) فى هذه الآية قطع لأصول الشرك ومواده، وقلع لعروقه وهدم لأساسه لأن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا فى من فيه خصلة من هذه الخصال الأربعة إمامًا لك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك،=

وكشف عنها، ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾، توجيهه على رأى المتأخرين أن حتى غاية لما فهم من السابق من أن ثمة انتظارًا وتربصًا للإذن، كأنه قيل: يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها رب العزة قال بعضهم لبعض -على وجه السؤال: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وأما كلام السلف هو أنه تعالى إذا تكلم بالوحى أرعد أهل السماوات من الهيبة، فيلحقهم كالغشى فإذا جلي عن قلوبهم سأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟

= فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده، فنفى سبحانه وتعالى المراتب الأربعة نفيًا مرتبًا منتقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشرك، وهى بإذن الله تعالى فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا ونجاة وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها، ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه فى نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه: إنما ينقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذى كان عليه الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى سليم يرى ذلك عيانًا، والله سبحانه هو المستعان وعليه التكلان هذا ما قاله العلامة الحافظ ابن القيم فى شرح المنازل فى باب التوبة/١٢.

قالوا: القول الحق، أي: المطابق للواقع يعني: أخبر بعضهم بعضًا بما قال الله من غير زيادة ونقصان، وفى البخارى والترمذى وابن ماجه أحاديث صريحة فى هذا المعنى، وعلى هذا طباق الآية مشكل ويمكن أن يقال: إن المشركين يعبدون الملائكة زاعمين أنهم شفعاء[١] لهم فبين سبحانه مقام عظمته وجبروته أن لا يجترئ أحد منهم أن يشفع لأحد إلا بإذنه فهم خلف سرادق الهيبة متحيرون متربصون حتى إذا أزيل عنهم الفزع قالوا: "ماذا قال ربكم" الآية، كأنه قال: لا تنفع الشفاعة إلا لمن لا يثبت عند سماع كلام الحق ولا يقدر التكلم حتى إذا أزيل الفزع وعن بعض السلف[٢] معناه: حتى إذا نزع الغفلة عن قلوب المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة قالت الملائكة لهم: ماذا قال ربكم فى الدنيا بالوحي؟ قالوا "الحق" فأقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وعلى هذا أيضًا توجيهها مشكل اللهم إلا أن يقال معناها: قل يا محمد للمشركين ادعوا آلهتكم أي: اعبدوهم، فيكون الأمر للتهديد، حتى إذا نزع الغفلة عن قلوبهم، ويكون حتى غاية لعبادتهم، ويكون قوله عن قلوبهم التفات من الخطاب، والله أعلم، **﴿وَهُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ﴾**: له العلو والكبرياء، **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾**: إذ لا يجحد ذلك إلا معاند، **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ[٣]﴾**:

---

(١) قال تعالى: "وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى"[النجم:٢٦] وقال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية ربهم مشفقون"[الأنبياء:٢٨] ١٢منه، وفى الوجيز، بل أصل عبادة الأحجار أنهم نحتوا كل صنم على مثال ملك بزعمهم/١٢.

(٢) صرح بذلك مجاهد، وعبدالرحمن بتريد بن أسلم والحسن/١٢منه.

(٣) ولما كانوا فى جواب السؤال بين أمرين إما السكوت فيعلم كل سامع أن الحجة لزمتهم وإما الجواب بوقاحة: نحن على الهدى، وأنتم على الضلال، أمره أن يجيبهم على هذا بما =

أى أحد الفريقين ممن يتوحد الرازق بالعبادة، وممن يشرك به الجماد لعلى أحد الأمرين إما مستعل على ذروة(١) الهدى أو منغمس فى حضيض الضلال، وليس هذا على سبيل الشك، بل على الإنصاف فى الحجاج، وهو أبلغ من التصريح فى هذا المقام، **﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾**: من الصغائر والزلات، **﴿وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**: من الكفر والمعاصى وهذا أيضًا من الإنصاف فى غايته، حيث أسند الإجرام إلى نفسه، والعمل إليهم، **﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾**: فى المحشر، **﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾**: يفصل ويَحْكُم، **﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ قُلْ أَرُونِيَ(٢) الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ(٣) بِهِ شُرَكَاءَ﴾** أي: أرونى بأى صفة ألحقتموهم بالله حال كونهم شركاء على زعمكم، وهذا استفسار شبهتهم بعد إلزام الحجة، **﴿كَلاَّ﴾** ردع عن المشاركة، **﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**: فأين هؤلاء الأذلاء عن هذه الصفات، وضمير هو لله أو للشأن، **﴿وَمَا(٤) أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً(٥) لِلنَّاسِ﴾**: إلا إرسالة عامة، نحو: ما قمت إلا طويلا، والأظهر ما

= هو أبلغ فى الإنصاف من الأول، فقال: قل لا تسألون عما أجرمنا من الذنوب إن كنا على الضلال، ولا نسأل عما تعملون/١٢وجيز.

(١) هذا المعنى مستفاد من على وفي/١٢منه.

(٢) ولما كان شأن وقاحتهم أن يجيبوا بأن الضلال عليكم، أمره بأن يبين لهم وقاحتهم فقال: "قل أرونى الذين" الآية/١٢وجيز.

(٣) فيه إشارة إلى أن آلهتهم كشيء فى أيديهم يقلبونه حيث ما أرادوا/١٢وجيز.

(٤) ولما تم دليل بطلان دينهم وأثبت لهم أنهم على الضلال المبين شرع فى تحقيق هدايته فقال: "وما أرسلناك إلا كافة للناس"/١٢وجيز.

(٥) هو من الكف لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم عن أن يخرج عنها أحد منهم قال الزجاج: كافة حال من الكاف، فعلى هذا التاء للمبالغة كتاء علامة، وراوية يعني: أرسلناك جامعًا للناس فى الإنذار، والإبلاغ/١٢منه.

اختاره ابن مالك من أنه حال عن المجرور، ولا بأس بالتقديم لأن استعمال الفصحاء وارد عليه، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: القيامة، أو المبشر به والمنذر عنه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾، الإضافة بيانية، ﴿لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾، إذا فاجأكم، وهذا جواب إنكارهم القيامة لوحظ فى الجواب المقصود من سؤالهم لا ما يعطيه[1] ظاهر اللفظ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ
تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ
﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ
بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ
أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا
نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) فإن ظاهر اللفظ أنهم سألوا عن وقت الساعة، وأجيبوا عن أحوالهم، ولكن ليس مقصودهم إلا إنكار الساعة، وأنها لا تأتى البتة، فالجواب مطابق للمقصود، وليس هذا من باب أسلوب الحكيم فلا تغفل/١٢منه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: كالتوراة والإنجيل، أو المراد منه يوم القيامة، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: للحساب، ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾: فى التلاوم، والجدال لرأيت العجب، فجواب لو مقدر، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعين، ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: فإنكم أضللتمونا، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أنكروا أنهم أضلوهم، وأثبتوا أنهم آثروا الضلال باختيارهم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، إضراب عن إضرابهم أي: بل مكركم[1] بنا بالليل، والنهار هو السبب فى ضلالنا والإضافة على الاتساع، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا﴾ أي: أضمر الفريقان التابع والمتبوع، أو أظهروا فإن الهمزة تصلح للإثبات والسلب، ﴿النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فى أعناقهم[2] لكفرهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[3]﴾ أي: إلا على أعمالهم، فهو بنزع الخافض، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أغنياؤها ورؤساؤها، وهذا تسلية لنبيه – عليه السلام– وإثبات لمبادرة الأغنياء بالإنكار، فهم المضلون، ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، زعموا أن

---

(١) فيه إشارة إلى أن مكر الليل مبتدأ، والخبر مقدر/١٢منه.

(٢) فيه إشارة إلى أنه من باب وضع الظاهر موضع المضمر/١٢منه.

(٣) ومعنى الاستفهام النفى فإلا داخل بعد النفي، والمقصود بيان استحقاقهم، ولما ذكر استحقاقهم للعذاب يذكر ما يدل على ذلك، وفيه إشعار بصدق كلام المستضعفين فقال: "وما أرسلنا فى قرية من نذير" الآية/١٢وجيز.

ذلك من محبة الله لهم، فلا يعذب المحب حبيبه، ﴿قُلْ﴾: ردًّا لحسبانهم، ﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء، فلا البسط للرضى ولا التضييق للسخط، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾: فيحسبون كثرة الأموال والأولاد شرفًا على البت.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ
رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ
فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ
أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ
كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن
يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن
كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞﴾

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي، **﴿تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾**: فإنها خصلة واحدة هى التقوى أو ما جماعة[1] أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتى تقربكم قربة، **﴿إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**، كلام السلف يدل على أن الاستثناء منقطع أي: لكن من آمن وعمل صالحا، **﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾**: أن يضاعف حسناتهم إلى عشر إلى سبعمائة ضعف، فهو من إضافة المصدر إلى المفعول، والجزاء يتعدى إلى مفعولين، **﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾**: غرفات الجنة، **﴿آمِنُونَ﴾**: من المكاره قيل: الاستثناء متصل من مفعول تقربكم أي: ما جماعة الأموال والأولاد بالتى تقرب أحدًا إلا من آمن فإن أموال المؤمن الصالح تصرف بوجوه الخير، وأولاده بتربية أبيه يعلمون الدين، أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف، أي: إلا مال وولد من آمن، **﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾**: بردها، **﴿مُعَاجِزِينَ﴾**: يحسبون أنهم يعجزوننا، **﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ[2] قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾**: يوسع عليه تارة، **﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾**: تارة[3] أخرى، **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**: فى رضى الله، **﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ[4]﴾** يعوضه فى الدارين، أو فى أحدهما، **﴿وَهُوَ**

---

(١) فجمع التكسير عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث/١٢منه.

(٢) هذا فى مقابلة "وهم فى الغرفات آمنون"/١٢وجيز.

(٣) بحسب المصلحة، فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين كذا قيل/١٢وجيز.

(٤) والظاهر أن مساق قل إن ربى فى المؤمنين سيما مع قوله وما أنفقتم، فهذا مقام الوعظ والتزهيد بخلاف الأول وعلى هذا زاد هنا من عباده المناسب الإخلاف فى الآخرة كما قاله مجاهد ولا بعد أن يعوضه فى الدنيا إما بالمال أو بالقناعة، فهى كنز لا ينفد/١٢وجيز.

﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ[1]﴾ فإنه هو رازق بلا غرض وعوض، بل هو الرزاق وحده والغير وسط فى الإيصال، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: الكفار، ﴿جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: توبيخًا للكفرة، ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ[2]﴾، فإن كثيرًا من الكفار يدعون عبادة الملك، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: من أن نثبت لك شريكًا، ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾: أنت الذى نواليه، ﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾: لا موالاة بيننا وبينهم، فلا نرضى بمحبتهم وعبادهم، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: فإنهم مطيعون للشياطين فى الشرك، فيعبدونهم، ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أكثر الإنس، ﴿بِهِمْ﴾: بالشياطين، ﴿مُؤْمِنُونَ[3] فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ إذ الأمر كله فى ذلك اليوم ظاهرًا وباطنًا بيد الله، ﴿وَنَقُولُ﴾، عطف على "لا يملك" ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

---

(١) ولما مر مرارًا أن ليس للملائكة شفاعتهم، ولكن الأنبياء لا ينكرون قرب بعض الملائكة فربما طرأ لبعض أذهان الجهلة أنهم متفقون معنا فى قربهم، ونحن نعبدهم، فكيف لا يشفعوننا، فأقنط المشركين ووبخهم فقال: "ويوم يحشرهم جميعًا" الآية/١٢.

(٢) فالخطاب للملائكة، والتقريع للكفرة، فهذا وارد على المثل السائر "إياك أعنى واسمعى يا جارة" كما قال الله تعالى "أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله"[المائدة:١١٦]، ونظيره "وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت"[التكوير:٨-٩] هؤلاء مبتدأ وجملة كانوا خبره، وتقدم مفعول يعبدون، فصار منفصلا أبلغ فى الخطاب مع رعاية الفواصل/١٢وجيز.

(٣) فإن قليلا من الإنس لا يصدقون الجن فأكثرهم أتباع الشياطين/١٢منه.

وَإِذَا[1] ﴿تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: القرآنية، ﴿بَيِّنَات قَالُوا مَا هَـذَا﴾ أي: محمد، ﴿إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾: يمنعكم، ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَـذَا﴾ أي: القرآن، ﴿إِلا إِفْكٌ﴾ غير مطابق للواقع، ﴿مُفْتَرًى﴾: على الله، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: القرآن، ﴿إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ[2] مُبِينٌ﴾، ينسبونه إلى الاختراع والكذب، ثم إلى السحر لما فيه من الإعجاز الدال على الصدق، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: قريشًا، ﴿مِنْ كُتُبٍ[3] يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾، وكانوا يقولون: لو جاءنا نذير، وأنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا، قيل معناه ليس لهم كتاب ولا رسول قبلك حتى يقولوا نحن نتبع كتابنا ونبينا ولا نتبعك، فليس لهم عذر باطل أيضًا فى عدم اتباعك، ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الماضية، ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾: هؤلاء، ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: من طول الأعمار وكثرة الأموال وقوة الإجرام، ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾، عطف على كذب عطف مقيد على مطلق أي: فعلوا التكذيب، فكذبوا رسلى كما يقول: أقدمت على الضرب فضربته، قيل: عطف على ما بلغوا والضمير لأهل مكة أي: ما بلغوا معاشرهم فكذبوا رسلى ونفى

---

(١) لما أخبر أنهم فى أشد عذاب شرع يبين استحقاقهم وأنهم وجدوا ما عملوا، فقال: "وإذا تتلى" الآية/١٢وجيز.

(٢) طعنوا أولا فى الثاني، ثم فى ما جاء به بأنه كذب مخترع، ثم بأنه سحر واضح وقوله "لما جاءهم" يشير إلى أنهم بادروه من غير تأمل إلى الإنكار/١٢وجيز.

(٣) يعنى لا وجه لتكذيبهم، ولا شبهة فى أيديهم، وإن كانت باطلة كشبهة أهل الكتاب: نحن أهل كتب وشرائع مستندون إلى رسل، فليس لقريش عهد بإنزال، ولا بعثة رسول، فليس هذا القرآن إلا أدل كتاب، وما أنت يا محمد إلا أول نذير، وثم توعدهم بقوله: "وكذب الذين" الآية/١٢وجيز.

رسول واحد نفى جميع الرسل كما تقول: ما بلغت معشار علم زيد، فتفضل عليه، **﴿فكيف كان نكير﴾** النكير: تغيير المنكر، أي: فحين كذب الذين من قبلهم رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء عن مثل ما وقع عليهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قل[1] إنما أعظكم﴾: أرشدكم، **﴿بواحدة﴾**: بخصلة واحدة، **﴿أن تقوموا لله﴾**، المراد بالقيام لله الانتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة، والفكر خالصا له من غير هوى ولا عصبية عطف بيان أو بدل من واحدة أو خبر لمحذوف أي: هي أن تقوموا،

---

(١) ثم لما حذرهم التفت إليهم، ونصحهم فقال: "قل إنما أعظكم" الآية/١٢وجيز.

﴿مَثْنَى[1] وَفُرَادَى﴾: اثنين اثنين أو واحدًا واحدًا فإن الازدحام يشوش الفكر، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: فى أمر محمد، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ[2]﴾، كلام مستأنف للتنبيه من الله على جهة النظر قيل: معناه تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم جنون، وقيل: ما استفهامية، أي: تتفكروا أى شيء به من آثار الجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾: قدام، ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، عن مقاتل معناه: ثم تتفكروا فى خلق السموات والأرض حتى تعلموا وحدانيته، ثم ابتدأ وقال "ما بصاحبكم من جنة" ﴿قُلْ[3] مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾، أي: أى شيء سألتكم من أجر التبليغ وأدعى استحقاقه؟! ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: فذلك الشيء ملككم، وأنا معترف بذلك كما تقول: إن أعطيتنى شيئًا فخذه، فالمراد نفى الطمع بالكلية أو ما موصولة، أي: الذى سألتكم فهو لنفعكم قال تعالى "قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى"[الشورى:٢٣] "قل وما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا"[الفرقان:٥٧] ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ

---

(١) فالاثنان يعرض كل محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادفين على إنصاف، والمتفكر يفكر فى نفسه من غير أن يكابر نفسه ويعرض على عقله/١٢.

(٢) كأنهم لما سمعوا كلام منصف انجرَّ لهم أن يسألوا أى شيء هذا؟ النظر والتأمل العميق، فقيل لهم: لأن هذا الأمر الذى هو بصدده لا يتأتى إلا من شخصين رجل مجنون لا يبالى
من الافتضاح، ولا يتأمل عواقب الأمور، ورجل صادق كامل العقل مبرهن مدعاه بأقوى الحجج، وقد علمتم أن صاحبكم ما به من جنة، بل علمتموه بالعقل الراجح، والرأى الثاقب، فكان مظنة لأن ترجحوا فيه جانب الصدق، وأن تظنوا به الخير/١٢منه.

(٣) لما انتفى منه ما خيلوه به بقى مكان أن يكون دعواه لغرض دنيوي، فنفاه وقال: "قل ما سألتكم من أجر" الآية/١٢وجيز.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: فيعلم صدقي، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يرمى به ويلقيه على من يشاء من عباده قال تعالى "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" ﴿عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾، صفة لربى تابع لمحله، أو خبر بعد خبر، أو خبر لمحذوف أو بدل من ضمير يقذف، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن والإسلام، ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ أي: الكفر، ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: هلك الكفر بالكلية، فإن من خاصة صفات الحى إما أن يبدئ فعلا أو يعيده، فإذا لم تكن له تلك الصفة لم تكن له الحياة[1]، وعن بعض السلف: إن الباطل إبليس أي: هو لا يبدئ أحدًا ولا يعيده، بل المبدئ والباعث هو الله، وقيل: لا يبدئ الباطل لأهله خيرًا ولا يعيده يعني: لا ينفعهم فى الدارين، ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: وبال ضلالى عليها، لأنها هى السبب للضلال، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾: فإن الخير كله من الله، ولولا توفيق الله لما حصل الاهتداء، فإن النفس والشيطان لا يأمران إلا بالشر، ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: فيسمع قول ضال ومهتد، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾: فى القيامة، أو عند البعث، أو عند[2] عذابهم فى الدنيا لرأيت أمرًا هائلا، فجواب لو مقدر، ﴿فَلا فَوْتَ﴾: لهم منا ولا نجاة، ﴿وَأُخِذُوا﴾، عطف على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا، ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من الموقف إلى النار، أو من القبور، أو من ظهر الأرض إلى

---

(١) كما تقول: لا يأكل ولا يشرب، فهذا مثل فى الهلاك/١٢وجيز.

(٢) وقد ثبت فى الصحيح أنه يخسف بجيش فى البيداء من حديث حفصة وعائشة، وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبى هريرة وابن مسعود، وليس فى شيء منها أن ذلك سبب نزول هذه الآية، ولكنه أخرج ابن جرير من حديث حذيفة بن اليمان قصة الخسف هذه مرفوعة وقال فى آخرها: فذلك قوله -عز وجل- فى سورة سبأ: "ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت" الآية/١٢.

بطنها قيل: هو كناية عن سهولة الأمر، أي: أخذناهم أخذًا يسيرًا علينا، ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: بالله أو بمحمد أو بيوم القيامة عند البعث، أو عند العذاب، ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾: من أين لهم تناول الإيمان؟ ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، فإن التوبة والإيمان لا تكونان إلا في الدنيا، وهم في الآخرة، وهو تمثيل لطلبهم ما لا يكون فإن التناوش تناول سهل لشيء قريب، فإذا كان الشيء بعيدًا يستحيل الوصول[1] إليه، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- طلبوا الرجعة إلى الدنيا، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: يرمون بالظن بما لم يظهر لهم، ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: وهو بعدهم عن علم ما يقولون كأنهم رموا إلى شيء بعيد في ظلمة ثم يزعمون أنهم ضربوه يعني: وقد كفروا وظنوا[2] ظنونًا واعتقدوها، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: الإيمان أو من شهواتهم الدنيوية، ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: بأشباههم، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من كفرة الأمم السالفة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ[3] مُرِيبٍ[4]﴾: مشكل فيه مبالغة كما لا يخفى، والله أعلم.

---

(١) يعنى من أين لهم تناول الإيمان، والتوبة فى الآخرة؟! وما هما إلا فى الدنيا/١٢وجيز.

(٢) كقولهم: لا بعث ولا جنة ولا نار/١٢وجيز.

(٣) من أرابه إذا أوقعه فى الريب، أو من أراب الرجل: صار ذا ريب/١٢وجيز.

أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة فى قوله: "إنهم كانوا فى شك مريب" قال: إياكم والشك والريبة فإنه من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه/١٢در منثور.

(٤) هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك/١٢فتح.

سورة فاطر مكية

وهي خمس وأربعون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ
لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ
ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ
لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ**﴾: مبدع، ﴿**السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً**﴾: بينه وبين أنبيائه، قيل: بينه وبين خلقه بإيصال آثار صنعه إليهم، ﴿**أُولِي**﴾: ذوي، ﴿**أَجْنِحَةٍ**﴾: متعددة، ﴿**مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾: يسرعون نحو ما أمرهم الله به، صفات

لأجنحة[1]، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ أى: فى خلق الأجنحة، وغيرها كحسن الصوت والعقل، ﴿مَا يَشَاءُ﴾، فى الحديث: "رأى ليلة المعراج جبريل عليهما السلام وله ستمائة جناح بين كل حين كما بين المشرق والمغرب"[*]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ﴾: ما يرسل ويطلق، ﴿لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾: كهداية ورزق ومطر، ﴿فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾: يمنعها، ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ﴾: يطلقه لما فسر الشرطية فى الأول بالرحمة لبيان رحمته وأبهم فى الثانى أنث الضمير فى الأول دون الثاني، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد إمساكه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى أفعاله، ﴿يَا أَيُّهَا[2] النَّاسُ اذْكُرُوا﴾: احفظوا واشكروا، ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أنكر أن يكون لغيره فى النعم مدخل يستحق أن يشرك فى الشكر، وقراءة رفع غير بأن يكون صفة تابعًا للمحل، أو فاعل خالق، أو خبره، وخبر خالق محذوف على الأولين، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، كلام مبتدأ أو صفة بعد صفة، ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾: فهو الخالق الرازق وحده، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[3]﴾: فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد؟ ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: فليس ببدع، ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾: عظام محترمون، ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: فاصبر كما

---

(١) فى محل الجر يعنى: أجنحة بعضهم اثنان اثنان لكل منهم جناحان، وكذا فى ثلاث ورباع، ونحن نؤمن بما قال الله والعلم بالكيفية ليس علينا، والحمد لله على أن خلصنا فى مثل ذلك من التأويلات البديعة/١٢وجيز.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) ولما بين أن جميع الأمور منه سبحانه أمر الخلق بشكر إنعامه فقال: "يا أيها الناس اذكروا" الآية/١٢وجيز.

(٣) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟/١٢جلالين.

صبروا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ[1]﴾: فيجازي كلا بما يستحقه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالحشر وغيره، ﴿حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فيذهلنكم التلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة، ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: الشيطان، فيحثكم على المعاصي بإنكار الآخرة، وبوعد التوبة والمغفرة، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: من قديم الزمان، ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: ولا تغتروا بأمانيه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾: أشياعه، ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: لأن يشاركوه في المنزل والمنزلة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، بيان لحال موافقيه ومخالفيه.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي
مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا
يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ
مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ
وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي
كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ

(١) ولما كان بعث رسول الله من أتم النعم، وأعمها وأكثر الناس أنكروه وما شكروه بين سببه تسلية لقلبه الأشرف فقال: "وإن يكذبوك" الآية/١٢وجيز.

سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞﴾

﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾: رأى الباطل حقًّا، ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ**﴾: لا تهلكها ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾، متعلق بلا تذهب، ﴿**حَسَرَاتٍ**[1]﴾، مفعول له وجواب "أفمن زين" محذوف تقديره كمن وفق فرأى الحق حقًّا والباطل باطلًا، ويدل عليه قوله: "فإن الله يضل" إلى آخره، أو تقديره ذهبت نفسك عليهم للحسرة، فيدل عليه قوله: فلا تذهب إلخ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾: ليس بغافل عن صنيعهم، وهو الذى أراده فاصبر على مراد الله تعالى، ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ**[2] **الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ**﴾، صيغة المضارع حكاية للحال الماضية استحضارًا لتلك الصورة البديعة، ونعم ما قيل اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار

---

(١) كأنه لما قيل لنبيه أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له قال -صلى الله عليه وسلم: لا قال له فإذا كان كذلك فلا تهلك نفسك حسرة، فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فقدم وأخر اهتمامًا بشأن المقدم/١٢وجيز.

(٢) ولما قال "يا أيها الناس إن وعد الله حق"، وقال "لا تغرنكم الحياة الدنيا"، ولا الشيطان ذكر الآخرة وأتى بمثال دال عليه، فقال: "والله الذى أرسل الرياح" الآية/١٢وجيز.

الفعل، ﴿سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا﴾، التفت إلى ما هو أدخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع، ﴿بِهِ﴾: بالمطر، وهو مفهوم من الكلام أو بالسحاب، فإنه السبب أيضًا، ﴿الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ[1]﴾، فى الحديث[2] "يترل من تحت العرش مطر فيعم الأرض جميعًا، وينبت الأجساد من قبورها كما ينبت الحب فى الأرض"، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: فليطلبها منه بطاعته، فإن كلها له قال تعالى "واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا"[مريم: ٨١]، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ[3] الطَّيِّبُ﴾: الذكر والدعاء والتلاوة، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾: آداء الفرائض، ﴿يَرْفَعُهُ﴾ أى: يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، ويجعله فى محل القبول ولولاه لم يقبل، أو يرفع الكلم الطيب العمل الصالح لا يقبل عمل بدون كلم التوحيد، أو العمل الصالح أى: الخالص الله

---

(١) ولما أثبت القدرة والوحدانية والحشر والنشر ما بقى لعابدى الصنم مستند عندهم إلا أنهم يتحرزون بها كما قال تعالى: "اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًا"[مريم: ٨١] أراد تبيين ضلالهم فى ذلك أيضًا فقال "من كان يريد العزة" فى الدنيا، أو فى الدنيا والآخرة "فلله العزة جميعًا" لا يكون عزيز إلا من أعزه الله/١٢وجيز.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عبدالله بن مسعود/١٢ در منثور.

(٣) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال: إذا حدثناكم بحديث -أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله- إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، قبض عليهن ملك يضمهن تحت جناحه ثم يصعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ثم قرأ "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه"/١٢در منثور للسيوطي.

يرفعه، ﴿وَالَّذِينَ[1] يَمْكُرُونَ﴾ هم المراءون والمنافقون يوهمون أنهم فى طاعة الله، وعن بعض نزل فيمن تشاور ومكر فى حبس رسول الله، وإخراجه، وقتله، ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ أى: المكرات والسيئات، أو مفعول به لتضمين يمكرون معنى يعملون، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يبطل، ويفسد ويظهر من يخسر عن قريب، ﴿وَاللَّهُ[2] خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: بخلق آدم منه، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: بخلق ذريته منها، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذكرانًا وإناثًا، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: إلا معلومة لله حال من أنثى فاعل تحمل، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾: ما يمد فى عمره من مصيره إلى الكبر، ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: لغيره بأن يعطى لأحد عمر ناقص من عمر معمر، أو الضمير للمنقوص وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو الضمير للمعمر على التسامح المشهور اعتماداً على فهم السامع نحو: لك عندى درهم، ونصفه قيل: معناه لا يطول ولا يقصر عمر إنسان إلا فى كتاب، فإنه مكتوب فى اللوح: إن فلانًا إذا حج -مثلا- فعمره ستون -مثلا- وإلا فأربعون، وإذا حج فقد عمر، وإلا فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو ستون، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: صحيفة كتب فى بطن أمه أو اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الحفظ، أو الزيادة والنقصان ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، هذا بيان قدرة أخرى عظيمة، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: يكسر

---

(١) ولما بين ما يحصل العزة بين ما يكسب الذلة فقال: "والذين يمكرون السيئات" الآية/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر دلائل الآفاق من السماوات وما يرسل منها من الملائكة والأرض، وما يرسل فيها من الرياح شرع فى دلائل الأنفس فقال: "والله خلقكم من تراب" الآية هذا ما فى الكبير وفى الوجيز،ولما بين التفاوت البين فى العمل أتبعه ما هم عليه من وحدة الأصل فقال: "والله خلقكم" الآية/١٢.

العطش، ﴿سَائِغٌ﴾: مريء، ﴿شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: يحرق بملوحته، ﴿وَمِنْ كُلٍّ﴾: من البحرين، ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾: اللآلئ، ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: الحلية من الأجاج لا من العذب، ولا يلزم من عطف تستخرجون على تأكلون أن يكون الاستخراج من كل قيل: البحران مثلان للمؤمن، والكافر، ثم إن قوله "ومن كل" إلخ إما استطراد أو تتميم لتفضيل المشبه به على المشبه، ونظيره قوله: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار"[البقرة:٧٤]، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾: في كلٍّ، ﴿مَوَاخِرَ﴾: شواق للماء بجريها، ﴿لِتَبْتَغُوا﴾، متعلق بمواخر، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فضل الله بالتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: يزيد من هذا في ذاك ومن ذاك في هذا، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى يوم القيامة، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات المذكورة الله، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: وحده، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: من ملك أو صنم، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: فإنهم جماد، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: على الفرض، ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعجزهم عن الإنفاع، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: يتبرءون منكم قائلين: ما كنتم إيانا تعبدون، ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير عالم به، ولا عالم أعلم من الله وهو الذي أخبركم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ

كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا[1] النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِى الْحَمِيدُ﴾، زيادة قيد الحميد ليعلم أنه جواد منعم فإن الغنى بدون الجود غير محمود، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: فإنه غير محتاج إليكم، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غير عاصين مطيعين، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بعسير، ﴿وَلا تَزِرُ﴾: لا تحمل، ﴿وَازِرَةٌ﴾: نفس آثمة، ﴿وِزْرَ﴾: نفس، ﴿أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أى: وإن تدع نفس أثقلتها أوزارها أحدًا من الآحاد إلى أن يحمل بعض ما عليها، ﴿لا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾: من وزره، ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾: المدعو، ﴿ذَا قُرْبَى﴾: من أب وأم وابن وأخ وغيرهم، ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ[2] الَّذِينَ

---

(١) ولما اختص تعالى بالملك، ونفى عن الشركاء النفع أنتج قوله: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" الآية/١٢وجيز.

(٢) ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض أهوال القيامة كان ذلك إنذاراً فذكر أن الإنذار إنما يجدى من يخشى الله بالغيب، فقال: "إنما تنذر الذين يخشون ربهم" الآية/١٢وجيز.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: غائبين عن الناس فى السر، أو غائبين عن عذابه، أو حال عن المفعول[1]، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾: فهم المنتفعون بالإنذار، ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: عن دنس المعاصي، ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى﴾: يتطهر، ﴿لِنَفْسِهِ﴾: نفعها لها، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: فيجزيه، ﴿وَمَا يَسْتَوِي[2] الأَعْمَى﴾: الكافر، ﴿وَالْبَصِيرُ[3]﴾: المؤمن، ﴿وَلا الظُّلُمَاتُ﴾: الباطل[4]، ﴿وَلا النُّورُ﴾: الحق[5]، ﴿وَلا الظِّلُّ﴾: الثواب والجنة، ﴿وَلا الْحَرُورُ﴾: العقاب والنار، والحرور: السموم، وتكرير لا على الشقين لمزيد التأكيد، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ﴾: المؤمنون، ﴿وَلا الأَمْوَاتُ[6]﴾: الكفار، تمثيل آخر لهما،

---

(١) أى: يخشون عذابه غائبًا عنهم/١٢وجيز.

(٢) ولما بين افتقار الناس إلى الله الغني، وبين قدرته وأن كل أحد تحت عمله لا ينفعه قريبه، والنافع خشية الله وإقامة الصلاة، وختم بأن المصير إلى الله أعقبه بما دل على أن المنتفع بالآيات ليس إلا من هو بصير ذو حياة عند الله وما ذلك إلا المؤمنون، فقال: "وما يستوى الأعمى" الآية/١٢وجيز.

(٣) ولما كان التفاوت بين الجنسين مقطوعًا به لا بين الإفراد، فإنه قد يكون لفرد منه ذكاء يساوى البصير البليد أفراد، الأعمى والبصير/١٢وجيز.

(٤) وطرقه متعددة/١٢.

(٥) وطريقه واحد/١٢.

(٦) التفاوت بين الأحياء والأموات ثابت سواء قابلت الجنس بالجنس والفرد بالفرد، ولما ذكر المثلين الأعمى والبصير، وبين أن البصير ولو كان حاد النظر لا يبصر إلا فى ضوء ذكر ما هو الكافر فيه من ظلمات كفره، وما هو المؤمن فيه من نور إيمانه، ثم ذكر ما آل أمرهما إليه وهو الظل الذى فيه الراحة، والسموم الذى فيه التعب، وتكرير لا على الشقين لمزيد التأكيد ثم ذكر مثلا آخر هو فوق حال الأعمى والبصير، إذ الأعمى يشارك البصير فى إدراك ما، والكافر ليس كذلك ولذلك أتى بلا التأكيدية فى الأخير، وما أتى فى الأول فإن التفاوت بين الأخير أقوى وأعاد قوله: "وما يستوى" ليعلم أنه مثل آخر/١٢وجيز.

وقيل المراد العلماء، والجهال، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾: سماع قبول، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ أى: الكفار المصرين فإنهم كالأموات فى عدم الانتفاع بالموعظة، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ﴾: فما عليك إلا الإنذار، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ[1] بِالْحَقِّ﴾ أى: محقًّا أو محقين، وقيل: إرسالا مصحوبًا بالحق، ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾: للكافرين، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أهل كل عصر، ﴿إِلا خَلا﴾: مضى، ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نبى ينذرهم من عقاب الله، ومتى بقيت آثار النذارة صدق أن تلك الأمة لم تخل عن نذير، ولهذا لما اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله سيد الكونين -عليهما الصلاة والسلام ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: فلا تحزن لأنه ليس ببدع، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾، من باب التنازع والعمل للثاني، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ﴾: الكتب، ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح المبين، العطف لتغاير الوصفين، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾: أهلكت، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري، وتغييرى لهم بالعقوبة.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ
وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن
تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

(١) لما قال: "إن أنت إلا نذير" بين أنه ليس نذير من تلقاء نفسه إنما هو نذير بإذن الله وإرساله فقال: "إنا أرسلناك" الآية/١٢وجيز.

وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ
بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ
فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ
أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ
مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ
كَذَٰلِكَ نَجۡزِى كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ
صَـٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ
وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ[1] أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: هيآتها كالصفرة والخضرة، أو أجناسها كالرمان والتفاح، **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾** أى: ذو جدد أى خطط، وطرائق جملة من مبتدأ وخبر، **﴿بِيضٌ﴾**: كالعروق، **﴿وَحُمْرٌ﴾** يعنى: بعضها أبيض، وبعضها أحمر، **﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾**: أجناسها بالشدة والضعف، **﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾** يقال: أسود غربيب أى: شديد السواد عطف على بيض أصله سود غرابيب حذف الموصوف ثم فسر به، وعن عكرمة: هى الجبال الطوال السود،

(١) ولما قرر وحدانيته بأدلة وأمثال أتبعها بحجج سماوية وأرضية فقال: "ألم تر أن الله أنزل" الآية/١٢وجيز.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أى: الأمر كذلك كما بين ولخص، أو مختلف ألوانه اختلافًا كذلك أى: كاختلاف الثمار والجبال، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى[1] اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، لما قال ألم تعلم إنزال المطر وآثاره، واختلاف هيئات الأجناس الذى هو من آثار صنع الله، أتبع ذلك كذلك "إنما يخشى الله" إلخ، كأنه قال الأمر كما ذكر لكن إنما ينجع الخطاب ويؤثر فيمن يخشى الله بالغيب، فوضع موضعه إنما يخشى الله من عباده العلماء تعريضًا لجهل الكفرة، ومن يدعى العلم و لم يخش الله وتنويها برفع مترلة العلماء العاملين ويلزم من الجمع المحلى باللام المفيد للعموم أن من لم يخش لم يكن عالمًا قال مسروق: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: فيتمكن من الانتقام، ﴿غَفُورٌ﴾: للعصاة فحقه أن يخشى ويرجى، ﴿إِنَّ[2] الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: يداومون قراءته أو متابعته، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: فى جميع أحوالهم، ﴿يَرْجُونَ[3] تِجَارَةً﴾: طلب ثواب طاعة وهو خبر إن، ﴿لَن تَبُورَ﴾: لن تهلك بالخسران، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾:، علة للتلاوة والإقامة والإنفاق، أو متعلق بلن تبور، ﴿أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: على الأجر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾: لفرطاتهم،

---

(١) قوله تعالى: "إنما يخشى الله" الآية، أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد فى الزهد عن العباس العمى، قال: بلغنى أن داود عليه الصلاة والسلام قال: سبحانك تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من فى السماوات والأرض فأقرب خلقك إليك أشدهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، أو ما حكمته من لم يطع أمرك/١٢تفسير در منثور للحافظ السيوطي.

(٢) لما وصف العلماء أعقبه ببعض أوصافهم فقال:" إن الذين يتلون كتاب الله" الآية/١٢وجيز.

(٣) فيه إشارة إلى الإخلاص أى: يقصدون وجه الله لا رياء وسمعة/١٢وجيز.

﴿شَكُورٌ﴾ : لطاعاتهم، ﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، من للتبيين يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر، ولهذا اجتباك وأنزل عليك هذا الكتاب، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: حكمنا بتوريثه منك أو عبر بالماضى عن المضارع لتحققه، ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: آلك وأصحابك ومن بعدهم من أمتك، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: لتقصيرهم فى العمل به، وهم يحبسون فى طول المحشر حتى يصيبهم الهم الطويل، ثم[1] يدخلون الجنة، وفى الحديث[2] "هم الذين يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن" ويدل على ما فسرنا الأحاديث الكثيرة، ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: لأنهم يعملون به فى أغلب أحوالهم، وهم يحاسبون حسابًا يسيرًا، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: بالطاعات هم الأولياء والأبرار، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره، وإرادته وهم يدخلون الجنة من غير حساب، أخر السابقين لقلتهم، وللترقى من الأدنى، وعن عائشة حين سأل[3] عقبة عن تلك الآيات "يا بنى كلهم فى الجنة أمّا السابق فمن مضى على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه، وأما الظالم فمثلى ومثلكم"، وهذا منها –رضى الله عنها– من باب التواضع، وهضم النفس

---

(١) كذا رواه الإمام أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير/١٢وجيز.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه والبيهقى عن أبي الدرداء مرفوعًا[رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهى هذه إن كان على بن عبدالله الأزدى سمع من أبي الدرداء فإنه تابعى. كما فى المجمع (٧/٩٥)] قال البيهقى: إذا كثرت الروايات فى حديث ظهر أن للحديث أصلا/١٢در منثور ملخصًا.

(٣) رواه أبو داود/١٢وجيز.

وعن بعض الظالم لنفسه كافر أو منافق فحينئذ ضمير منهم للعباد لا للذين اصطفينا والأول أصح، ﴿ذَلِكَ﴾: التوريث، وقيل السبق، ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: العظيم، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، مبتدأ، ﴿يَدْخُلُونَهَا[1]﴾، والضمير للمصطفين، وفى الشواذ جنات بالنصب على شريطة التفسير، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾، خبر بعد خبر، أو حال مقدرة من حلية المرأة إذا جعلت لها حليًا، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار، ومن للتبعيض، ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾، بيان لأساور، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب عطف على محل من أساور، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: هموم الدارين، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: للذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾: للطاعة، ﴿الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الإقامة، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: إذ لا يجب عليه شيء، ﴿لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب، ﴿وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كلال، ﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مقابل للذين اصطفينا[2]، ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾: بموت فيها، ﴿فَيَمُوتُوا﴾، جواب النفى منصوب بإضمار أن، ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء، ﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾: مبالغ

---

(١) وضمير يدخلونها عائد إلى الأصناف الثلاثة، وهو قول عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وقال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له"[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٢٩٩)] وقال صاحب البحر: إنَّ هذا قول ابن مسعود -رضى الله عنه- وعثمان بن عفان -رضى الله عنه- وأبى الدرداء، وعقبة بن عامر وأبى سعيد، وعائشة، ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق، وكعب الأحبار -رضى الله عنهم/١٢وجيز، وفى الكمالين يدخلونها أى: الثلاثة أى: الظالم والمقتصد والسابق، روى أحمد والترمذى عن أبى سعيد مرفوعًا فى هذه الآية هؤلاء كلها فى الجنة[صحيح، وانظر صحيح سنن أبى داود (٢٥٧٧)]/١٢.

(٢) دال على أن الأصناف فى الجنة، والحمد لله أضعاف ما حمده الحامدون/١٢وجيز.

فى الكفر أو الكفران، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة، ﴿فِيهَا﴾: قائلين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أى: عملا صالحًا، ﴿غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾، بدل أو صفة وفائدته التحسر، والاعتراف بالذنب، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾، جواب من الله لهم، ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾، ما موصولة، ومن فاعل يتذكر والأصح الذى يدل عليه الأحاديث[1] أنه ستون[2] سنة وعن زين العابدين: إنه سبع عشر سنة، وعن كثير: إنه أربعون، ﴿وَجَاءَكُمُ﴾، عطف على معنى أو لم نعمركم كأنه قال عمرناكم وجاءكم، ﴿النَّذِيرُ﴾: الرسول، أو الشيب[3]، ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾
هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ
ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا
خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا

(١) المروية فى البخاري، والنسائي، والطبراني، وغيرها/١٢وجيز.

(٢) أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين، وهو العمر الذى قال الله تعالى: "أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر"، وفى إسناده إبراهيم بن الفضل المخزومي، وفيه مقال[ضعيف جدًّا، وانظر ضعيف الجامع]، وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أعذر الله إلى امرئ أخر عمره حتى بلغ ستين سنة"/١٢فتح.

(٣) وقيل: موت الأقارب/١٢وجيز.

خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ
بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ
بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا
زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ
ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا
مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: فلا يخفى عليه أحوالهم، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**، تعليل له أي: إذا علم مضمرات الصدور فكيف يخفى عليه شيء آخر؟! **﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ﴾** جمع خليفة أي: خلفاء قوم آخرين أورثكم أرضهم وملككم مقاليد التصرف، وسلطكم فيها، **﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾**: لا يضر غيره، **﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا﴾**: أشد البغض، وهم يحسبون أن آلهتهم شفعاءهم، **﴿وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا﴾**: وهم

يحسبون أنهم على شيء إلا أنهم هم الخاسرون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ[1] شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾ بدل من أرأيتم أو تأكيد أرأيتم لأنه بمعنى أخبروني عن شركائكم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾: هل استبدوا بخلق شيء حتى استحقوا العبادة؟! ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: شركة مع الله فى خلقها، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ أى: الأصنام، أو المشركين، ﴿كِتَابًا﴾: بأنهم شركائي، ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِنْهُ﴾: من ذاك[2] الكتب، والظاهر أنه للترقى فإن الاستبداد بخلق جزء من الأرض أقل دلالة من أن يكونوا شركاء فى خلق السماوات، ثم إيتاء كتاب من الله أدل وأدل، وأم منقطعة، ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾، بدل من "الظالمون"، ﴿بَعْضًا إِلا غُرُورًا﴾، فإن الأخلاف والأتباع اعتمدوا على قول الرؤساء والأسلاف بأنهم شفعاء عند الله، ﴿إِنَّ[3] اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا[4]﴾ أى: كراهة الزوال، أو يمنعها من الزوال، أو يمنعها من الزوال فإن الإمساك منع، ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ﴾، الجملة المنفية ساد مسد الجوابين، و"من" الأولى زائدة والثانية ابتدائية، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: لا يعاجل بالعقوبة مع تلك القدرة التامة،

---

(١) بمعنى أخبروني، يطلب مفعولين أحدهما منصوب هو شركاءكم والآخر مشتمل على الاستفهام "ماذا خلقوا" نحو: أرأيت زيدا ما صنع؟!/١٢وجيز

(٢) فعبادتهم للأصنام لا عقلية ولا نقلية، لأنه لا عقل لمن يعبد ما لا يخلق جزءًا من الأرض ولا له شرك فى السماء، ولا نقل؛ لأنه لم يؤت إليهم كتاب فيه أمر بعبادة هؤلاء/١٢وجيز.

(٣) ولما بين فساد أمر الأصنام عقب بذكر عظمته وقدرته ليتأكد حقارة آلهتهم، فقال: "إن الله يمسك السموات" الآية/١٢وجيز.

(٤) تنتقلا من أماكنهما فلا يبقى النظام الذى تراه/١٢وجيز.

﴿وَأَقْسَمُوا[1] بِاللَّهِ﴾: قبل مبعث محمد عليه السلام، **﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾**، مفعول مطلق أى قسمًا غليظًا، **﴿لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ﴾**: نبي، **﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى[2] الْأُمَمِ﴾**: أى من الأمة التى هى إحدى الأمم أى: أفضلهم وأهداهم تقول: فلان واحد القوم وأوحدى العصر، ولهذا قال الضحاك: معناه من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل أو من اليهود والنصارى وغيرهم، **﴿فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ﴾** أى: مجيئه، **﴿إِلا نُفُورًا﴾**: عن الحق، **﴿اسْتِكْبَارًا﴾**، بدل من نفورًا أو مفعول له وقيل استكبروا استكبارًا، **﴿فِى الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾**، من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل قوله: **﴿وَلا يَحِيقُ﴾**: يحيط، **﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ[3] إِلا بِأَهْلِهِ﴾**: بالماكر، **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾**: ينتظرون، **﴿إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾**: سنة الله فيهم بتعذيب المكذبين جعل استقبالهم لذلك انتظارًا له منهم، **﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا[4] وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾**: فيصل العذاب البتة، ويصل إليهم لا إلى غيرهم، **﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾**: فإنه يشاهد آثار العذاب من آثارهم، **﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾**: ليسبقه، ويفوت عنه، **﴿مِنْ شَيْءٍ فِى السَّمَوَاتِ وَلا فِى الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾**: ظهر الأرض، **﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾**: بشؤم معاصيهم، وقيل:

---

(١) ولما بين إنكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل فقال: "وأقسموا بالله" الآية/١٢وجيز.

(٢) حكاية لمعنى كلامهم، حيث لم يقل لئن جاءنا نذير لنكونن كانوا يلعنون اليهود والنصارى، حيث كذبوا رسلهم وقالوا: لئن أتانا رسول الله لنكونن أهدى من إحدى الأمم/١٢وجيز.

(٣) يعنى: المكر لا يحيق فى العاقبة بالتدمير إلا بالماكر، وإن كان قد ينفذ ظاهرًا/١٢.

(٤) تغيير العذاب إلى غيره فيصل العذاب إليه البتة/١٢وجيز.

المراد من الدابة الإنس وحده، ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يوم القيامة أو إلى أجلهم المقدر المعين، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: فيجازيهم على ما علم من عملهم.

اللهم عاملنا معاملة فضلك لا عدلك،

والحمد لله حق حمده.

سُورَةُ(1) يس مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَلاثٌ وثَمانُونَ آيَةً وخَمْسُ رُكُوعاتٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ
غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ
أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ
ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿**يس**﴾ أى: يا إنسان، أو هو(1) من أسماء الله ﴿**وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾: ذى الحكمة، وهو قسم ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾: إلى جميع الثقلين ﴿**عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾: دين قويم

---

(1) أخرج الدارمى وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وغيرهم عن أبى هريرة عن النبى -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة) قال ابن كثير: إسناده جيد[ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٧/٩٧) وقال: "رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف، وأخرجه أيضا ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: "من قرأ (يس) كل ليلة غفر له" وهو ضعيف أيضا]/ ١٢فتح.

وشرع لا عوج له خبر بعد خبر، أو حال ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أى: هو منزل، وقراءة النصب بتأويل نزل تنزيلا، أو أعنى ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بتنزيل ﴿قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أى: قومًا غير منذر آباؤهم الأولون، قيل: ما مصدرية، فيكون مفعولاً مطلقًا أو موصولة، فيكون مفعولا ثانيًا أى: لتنذرهم الذى أُنذر آباؤهم الأقدمون ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً﴾ يعنى:(١) فى أعناقهم لا أيديهم، فإن الغل لا يكون إلا فى العنق دون الأيدى ﴿فَهِيَ﴾ أى: الأغلال ﴿إِلَى الأَذْقَانِ﴾ أى: واصلة إليها ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ المقمح: الذى يرفع رأسه ويغض بصره ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: غطينا على أبصارهم غشاوة ﴿فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ مثل تصميمهم على كفرهم، وأنه لا سبيل إلى تجاوزهم عنه ؛ بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، وكالحاصلين بين السدين لا يبصرون قدامهم ولا خلفهم فى أنهم متعامون عن النظر فى آيات الله، غير متأملين فى مبدئهم ومعادهم. عن ابن عباس –رضى الله عنهما– إن الأول مثل بخلهم عن الإنفاق فى سبيل الله، قال تعالى:" وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ"[الإسراء:٢٩] وعن محيى السنة وغيره إنها فى أبى جهل حين أخذ حجرًا ؛ ليدمغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلما رفعه لصقت يده إلى عنقه، ولزق الحجر بيده حتى عاد إلى قومه، فقام آخر بأنى أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو عليه السلام يصلي، فأعمى الله بصر الكافر، يسمع صوته ولا يراه(*) ﴿وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ سبق فى أول سورة البقرة ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أى: إنذارًا نافعًا يترتب عليه البغية ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: القرآن

---

(١) والأولى أن يقال الله أعلم بمراده به/١٢ فتح.

(*) أخرجه البيهقى فى "الدلائل" بسند فيه السدى الصغير والكلبى وهما متروكان.

بالتأمل والعمل ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عنه الرحمن فلا يراه، أو غائبًا عن عذاب الرحمن ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ[1]﴾: حسن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾: عند البعث ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: من أعمالهم الصالحة والطالحة التى باشروها بأنفسهم ﴿وَآثَارَهُمْ﴾: ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة، فعمل بها أحد اقتداء بهم، فيجزون عليها أيضًا، وقريب منه ما قال بعض السلف المراد: ما أرّثوا من الهدى والضلال، أو المراد آثار خطاهم إلى الطاعة والمعصية، وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد، فأرادوا أن يتحولوا إلى قرية فنزلت "سنكتب ما قدموا وآثارهم" فثبتوا فى منازلهم[*] وهذا المعنى رواه غير الطبرانى[**]، وفيه إشكال لأنهم صرحوا بأن السورة بكمالها مكية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: اللوح المحفوظ.

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ
ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ
إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا
يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا
تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾
قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ

---

(١) ولما قال: "إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ" أراد بيان الحشر والجزاء المورثة للخشية فقال: "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى" الآية/ ١٢ وجيز.

(*) صحيح، أخرجه أحمد فى الزهد وابن ماجه، فالعزو إليها أولى.

(**) كالترمذى وانظر صحيح سننه (٢٥٧٨).

أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا
يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى
شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا
غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن
جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا
يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَاضْرِبْ[(١)]﴾: مَثِّلْ **﴿لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾** أى: مثلها بيان أو بدل من مثلاً، أو هما مفعولا اضرب، لما فيه من معنى الجعل، وقدم المفعول الثانى **﴿إِذْ جَاءَهَا﴾** بدل اشتمال من أصحاب **﴿الْمُرْسَلُونَ﴾**: رسل الله أو رسل عيسى بأمر الله **﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾**: وادعيا الرسالة **﴿فَكَذَّبُوهُمَا[(٢)] فَعَزَّزْنَا﴾**: قويناهما **﴿بِثَالِثٍ﴾** برسول ثالث **﴿فَقَالُوا﴾** أى: الرسل الثلاثة **﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾**: من ربكم، أو من رسول ربكم

---

(١) ولما دل تعالى على ما له من القدرة الكاملة بالأفعال الهائلة من الإماتة والإحياء، وكأن الأمثال بالمشاهدات ألصق شيء بالبال وأقطع للجدال، ضرب مثلا جامعًا للأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والبعث فقال: "واضرب لهم مثلاً" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) مع أنهما أظهرا المعجزة من إبراء المريض وغيره /١٢ وجيز.

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ[1] مِّثْلُنَا﴾ وإنما الرسول ملك، وهذا شبهة أكثر الكفرة أن الرسول لابد أن يكون ملكًا ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ﴾ أى: وحيًا ورسالة ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾: فى ادعاء الرسالة ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ[2]﴾ استشهدوا بما هو يجرى مجرى القسم وهو علم الله ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾: التبليغ الظاهر المبرهن بالمعجزات ﴿قَالُوا[3] إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ فإنه لم يدخل مثلكم على قرية إلا وعذب أهلها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾: عن مقالتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: بالحجارة أو بالشتم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ فإن قبائحكم التى لا تفارقكم سبب الشؤم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ جوابه محذوف، أى: أئن وُعِظتم تطيرتم بالواعظ ووعدتموه بالتعذيب؟! ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: قوم عادتكم[4] الإسراف فى الضلال، ولذلك تتطيرون بواعظ من الله ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ[5] يَسْعَى﴾: يسرع شفقة على الرسل اسمه حبيب يعمل الحبال أو كان

---

(١) وهذا القول منهم دليل على أن هؤلاء ادعوا أنهم رسل الله إليهم لا أنهم رسل عيسى إليهم/١٢ وجيز.

(٢) "مِنْ رَبِّكُمْ" صرح بذلك ابن عباس وكعب/ ١٢ وجيز.

(٣) قيل: أحبس عنهم المطر وأسرع فيمن أساء الأدب معهم الجذام ولهذا قالوا:" إنا تطيرنا بكم"/١٢ وجيز.

(٤) إضراب عن مجموع الكلام كأن الرسل قالوا إنا قد جعلنا الله أسبابًا للسعادة، وأنتم لسوء صنيعكم محرومون عنها، ثم أضربوا عنه إلى ما فعلوا من التعكيس حيث جعلوا الرسل أسبابًا للشقاوة /١٢ وجيز.

(٥) وقد نقل أنه كان مجذومًا يعبد الأصنام مدة متطاولة يسأل عن آلهة تكشف ضره، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله وحده قال: هل من آية؟ قالوا: ندع القادر يفرج عنك ما بك، قال: إن هذا لعجب لى سنون متطاولة أدعو آلهة وما استطاعوا، وربكم فى غداة =

نجارًا أو قصارًا، ويتعبد فى غارٍ بقرب بلدهم، وكان كثير الصدقة سقيمًا، لما سمع همهم بقتل رسلهم جاء لنصح قومه ونصرة رسل الله **﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾**: من لا غرض له **﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾** فقيل له: أنت تصدق هؤلاء وتذم ديننا فقال: **﴿وَمَا لِى لاَ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**: بعد الموت، فيجازيكم بأعمالكم، فاعبدوا أنتم أيضًا إياه، ووحدوه وصدقوا رسله **﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ﴾**: من دون الله **﴿آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ**(١) **شَيْئًا﴾**: لا تمنع شفاعتهم عنى شيئًا من العذاب **﴿وَلاَ يُنقِذُونِ﴾**: ولم يقدروا على إنقاذى **﴿إِنِّى إِذًا لَّفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾**: إن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز **﴿إِنِّى آمَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾**: الذى كفرتم به **﴿فَاسْمَعُونِ﴾** أى: قولى أو الخطاب للرسل، ومعناه: اشهدوا لى بذلك عند ربكم، فوطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره، أو رجموه حتى قتلوه، فلما قتلوه **﴿قِيلَ﴾** أى: قال الله له: **﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾**: بشره وأذن له فى الدخول، فلما رأى عناية الله **﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّي﴾** ما مصدرية أو موصولة، والباء صلة يعلمون، وقيل الباء صلة غفر وما استفهامية أى: يعلمون أنه غفر لى بأى شيء أراد الإيمان بالله، والمصابرة بإعزاز دينه **﴿وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾**: تمنى علمهم بحاله ؛ ليعلموا أنه على الحق فيردعوا عن الكفر، أراد نصح قومه فى حياته ومماته **﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾**: قوم الحبيب **﴿مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ**

= واحدة قالوا: نعم ربنا على ما يشاء قدير، ودعوا فكشف الله ما به كأن لم يكن به بأسًا، فأقبل على كسب والأصح أنه نجار ؛ فنصف ما يحصل منه يصرفه لعياله، والنصف الآخر للفقراء، فلما هم أهل قريته بقتل الرسل أسرع وقال: "يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" الآية/١٢ وجيز.

(١) كأنهم مثل قريش يعتقدون أنهم شفعاء لهم عند الله /١٢ وجيز.

﴿السَّمَاء﴾: لإهلاكهم ونصرة رسلنا، ولم نحتج فى إهلاكهم إلى جند، بل الأمر أيسر ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ الجند من السماء فى إهلاك الأمم المكذبة، فإنزال الجند من السماء لنصرة نبيه المصطفى عليه أكمل الصلوات وأفضل التسليمات من خاصته لشرفه، أو معناه، وما صح فى حكمتنا إنزال جند عليهم، لأنا قدرنا على إهلاكهم بأهون وجهٍ، وعن[١] بعض معناه: وما أنزلنا على قومه من بعده برسل أخرى برسالة من السماء إليهم ﴿إِن كَانَتْ﴾ أى: العقوبة ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: من جبريل[٢] بعثه الله فأخذ بعضادتى باب بلدهم، فصاح ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: ميتون كالرماد لم يبق فى البلدة روح يتردد فى جسد، واعلم أن بعض السلف وأكثر المتأخرين على أنهم رسل عيسى، وأسماءهم يحيى، ويونس، وشمعون، والقرية أنطاكية، وذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهما بثالث وظهور معجزاهم، ومن بقى على الكفر أهلكوا، وكلام بعض السلف دال على أنهم رسل الله وأسماؤهم صادق، وصدوق، وشكوم، وهو ظاهر القرآن انظر إلى قوله "مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا[٣]"وأيضًا ذكر المؤرخون أن أول مدينة آمنت برسل عيسى هو أنطاكية[٤]، وفى القرآن أن هذه القرية أهلكوا لكفرهم، وأيضًا صرح كثير من السلف فى قول الله "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا

---

(١) هو قتادة ومجاهد /١٢ منه.

(٢) هكذا نقل عن جميع المفسرين/ ١٣ منه.

(٣) فإن هذه شبهة الكفرة مع رسل الله فإنهم يزعمون أنه لابد أن يكون الرسول ملكًا ولا يزعمون ذلك فى شأن رسل الرسل فلا تغفل/١٢منه.

(٤) ولهذا أنطاكية عند النصارى من أحد المدائن الأربع اللاتى تعظمها، وهى القدس لأنها بلد المسيح وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، وإسكندرية، ورومية، وأن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا فى الملة النصرانية ولا قبلها والعلم عند الله سبحانه/ ١٢ وجيز.

أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى"[القصص:٤٣] أن الله ما أهلك من الأمم عن آخرهم بالعذاب بعد إنزال التوراة، بل أمر المؤمنين بقتال المشركين، فكيف يكون هلاك قرية رسل عيسى والله أعلم ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ[1]﴾ نداء للحسرة، كأنه قيل تعالى فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري، والظرف إما لغو أو صفة ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءون أَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ﴾ علق ألم يروا عن العمل لفظًا فيما بعده ؛ لأن كم لا يكون معمولاً لما قبله ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ[2]﴾ بدل الكل من جملة كم أهلكنا على المعنى، فإن عدم الرجوع والإهلاك واحد ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ إن نافية ولما المثقلة بمعنى إلا، والظرف لجميع بمعنى مجموع أو لمحضرون أي: ما كلهم إلا مجموعون لدينا يوم الحشر محضرون.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ

(١) والمراد من العباد الجنس إذ شؤم فعل البعض واصل إلى الجميع /١٢ وجيز.

(٢) قال صاحب البحر: الذى يقتضيه صناعة العربية أن تقديره قضينا أو حكمنا أنهم لا يرجعون، وبعض القراءات: إنهم بكسر الهمزة دل على ما ذكرنا لأنها مقطوعة عما قبلها، ولا يخفى بعد أنها بدل، أى بدل من الثلاثة/ ١٢ وجيز.

وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا
صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ
ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا
يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً
وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ**﴾: اليابسة التى لا نبات فيها ﴿**أَحْيَيْنَاهَا**﴾ بالمطر استئناف لبيان كونها آية أو آية لهم مبتدأ وخبر وأحييناها خبر الأرض، والجملة تفسير الآية ولا يبعد أن يكون أحييناها، لا بتقدير قد ﴿**وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا**﴾ أى: جنسه ﴿**فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ**﴾: من ثمر المذكور، قيل الضمير لله، فإن ثمر الله بخلقه ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾ أى: الثمر لم تعمله أيدى الناس، بل خلق الله، ولهذا قال:﴿**أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾ وعن بعض أن ما موصولة عطف على ثمره، والمراد ما يتخذ منه كالدبس ﴿**سُبْحَانَ**(١) **الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ**﴾: الأنواع ﴿**كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾: الذكر والأنثى ﴿**وَمِمَّا**

---

(١) ولما أثبت تفرده بالإيجاد والإنعام ناسب أن يعقبه تتريهه فقال: "سبحان الذي" الآية/١٢ وجيز.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: من مخلوقات شتى لا يعرفون، فكأنه قال: الأزواج قسمان معلوم[1] وغير معلوم ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ﴾: نزيل ﴿مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلون فى الظلام ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ اسم مكان وفسر النبي[2] المترل عليه القرآن أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك، وإذا كان العرش كرة محيطة فتحتيتها باعتبار مكان خاص من العرش الله ورسوله أعلم به، وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض، فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب ما يكون إلى العرش، وفى نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع، وعن بعض أنه اسم زمان أى الوقت الذى تستقر فيه، وتنقطع جريها وهو يوم القيامة ﴿ذَلِكَ﴾ الجرى الخاص ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ﴾ نصب بشريطة التفسير ﴿قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ هى ثمانية وعشرون يترل كل ليلة فى واحد، فإذا كان فى آخر منازله

---

(١) فمن بيانية والاستيعاب إنما هو باعتبار المعلومية وغير المعلومية واكتفى فى بيان قسم المعلوم بذكر بعض أفراده/١٢ وجيز.

(٢) كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما بروايات متعددة أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: (مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك وتستأذن فى الطلوع فيقال لها: اطلعى من حيث طلعت، فإذا كان عند القيامة يقال لها: اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا تنفع نفس إيمانها) هذا هو التفسير ويا عجبًا لمن عدل، وهو يدعى الإيمان، وأما كيفية ذهابها تحت العرش مع أن العرش كرة محيطة أو قبة ذات قوائم تحملها الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض كما هو ظاهر بعض الأحاديث فعلمه عند الله ورسوله نحن نؤمن به ونكل العلم إليهما كما فى أكثر أمور الآخرة /١٢ وجيز.

وذكر فى المنهية أقوالاً ثم قال: وهذه الأقوال كلها كأنه لمن لم يطلع على تفسير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذى فى الصحيحين وغيرهما وإلا فكيف العدول عنه، ويا عجبًا أن القاضى مع مطالعته لتفسير المعالم ما تعرض لهذا الوجه بوجه والله هو الموفق.

دق واستقوس ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾: كالعذق وهو العود المعوج الذى عليه الثمر ﴿الْقَدِيمِ﴾: العتيق اليابس ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا﴾ يصح لها، ويَتَسَهَّلُ عليها ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه، فتطمس نوره ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أى: ولا يطلع القمر بالنهار، وله ضوء يطمس نور الشمس فسلطانها بالنهار وسلطانه بالليل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر قبل القيامة، فعلى هذا المراد من الليل والنهار آيتاهما وهما النيران، أو المراد لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار. أيضًا يتعاقبان بحساب معلوم إلى يوم القيامة، أو المراد أنها لا تجتمع معه فى فلك واحد، ولا يتصل ليل بليلٍ لا يكون بينهما نهار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[1]﴾ أى: وكلهم، والضمير لهما ولسائر النجوم، فإن ذكرهما مشعر بها أو لهما وهما لاختلاف مطالعهما كأنهما شموس وأقمار، ولإطلاق السباحة التى هى للعقلاء جُمعا بالواو والنون ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المراد سفينة نوح، فإنها مشحونة مملوءة من الأمتعة والحيوانات، والمراد ذرياتهم التى فى أصلاب آبائهم، أى: حملنا فيها آباءهم الأقدمين، وفى أصلابهم ذرياتهم، وتخصيص الذرية ؛ لأنه أبلغ فى الامتنان، وأدخل فى التعجب مع الإيجاز، وقيل: حملنا صبيانهم أو

(١) وليست السباحة من خواص ذوى العقول، وهما لاختلاف مطالعهما كأنهما شموس وأقمار فلهذا قال: كل ويسبحون، وظاهر القرآن أن لنفسهما سيرًا وسباحة، والعلم عند الله /١٢ وجيز. وفى الفتح قال العماد ابن كثير فى البداية والنهاية: وحكى ابن حزم وابن الجوزى وغير واحد الإجماع على أن السماوات كرية مستديرة واستدل عليه بهذه الآية. قال الحسن: يدورون، وقال ابن عباس: فى فلكة مثل فلكة المغزل. قالوا: ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب، ثم تطلع فى آخرها من المشرق قال ابن حجر: حكى الإجماع على أن السماوات مستديرة جمع، وأقاموا عليه الأدلة وخالف فى ذلك فرق يسيرة من أهل الجدل/١٢فتح.

أولادهم الذين يبعثونهم إلى التجارة، فالمراد السفن مطلقًا ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾: من السفن التي بعد سفينة نوح، أو المراد الإبل فإنها سفينة برٍّ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ﴾: مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون من الغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجو لجهة إلا لرحمة منا، ولتمتيع بالحياة إلى أجل مقدر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي من الوقائع التي مضت ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ[1]﴾ من أمر الساعة، أو المراد ما تقدم من الذنوب وما تأخر، أي: من مثلها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لتكونوا على رجاء رحمة، وجواب إذا مقدر، وهو مثل أعرضوا عنه، ويدل عليه ما بعده ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمروا بالإنفاق على فقراء الصحابة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ[2] اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: فمن لم يرزق الله

(١) وعن ابن عباس ما بين أيديكم الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم الدنيا فلا تغتروا بها/١٢ وجيز.

(٢) لما أسلم أقارب صناديد قريش، وهم فقراء قطع صناديدهم عنهم ما كانوا يواسونهم، فندبهم المؤمنون إلى صلة أقاربهم فأجابوا أنطعم، وأكثر السلف على أن قولهم هذا استهزاء فإنهم يسمعون المؤمنين يعلقون الأفعال بمشيئة الله خرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولون، وهذا كما تقول لأحد أعطه دينارًا فيجيب لا أعطيه فلسًا، فإنهم أمروا بالإنفاق فأجابوا بأنا لا نطعمهم /١٢ وجيز.

وفى الفتح كأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين، وقالوا: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضًا ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً وأعطى الدنيا للغنى لا استحقاقًا وأمر الغنى أن يطعم الفقير، وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة، ولا اعتراض لأحد فى مشيئة الله وحكمته فى خلقه، والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم: "من لو يشاء الله أطعمه" هو =

مع قدرته لا نعطيه ؛ لنوافق مشيئة الله **﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾** حيث اتبعتم محمدًا، وأمرتمونا بالإنفاق على من أراد الله فقره قيل: هذا قول الله للكفار **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾**، يعنون البعث **﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنظُرُونَ﴾**: ما ينتظرون **﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** هى النفخة الأولى **﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾**: مشتغلون فى متاجرهم بخصوماتهم، لا يخطر ببالهم القيامة **﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾**: لمفاجأة القيامة فيموتون فى مكان يكونون فيه، ولا يتمكنون من الرجوع إلى بيوتهم.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟
يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي
شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا
فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ
مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ

= وإن كان كلامًا صحيحًا فى نفسه ولكنهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله وإنكار جواز الأمر بالإنفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الحيثية باطلاً/١٢ فتح.

وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يسرعون ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ تعال فهذا أوانك ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين، فيحسبون أنهم كانوا نيامًا ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ من كلام المؤمنين أو الملائكة فى جوابهم كأنه قيل: بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل، أو من كلامهم ردًّا على أنفسهم وتحسرًا، وما إما مصدرية أى وعده وصدقهم، أو موصولة أى: الذى وعده الرحمن، وصدقه بمعنى صدق فيه المرسلون ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أى: الفعلة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: بمجرد تلك الصيحة، وليس الأمر فيها بعسير ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: من الظلم ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة بعد دخول الجنة ﴿فِي شُغُلٍ﴾: عظيم لا يحيط به الأفهام ﴿فَاكِهُونَ﴾: متلذذون خبر بعد خبر، أو الأول ظرف للثانى ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ من أشجار الجنة وقصورها ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ هى السرر فى الحجال ﴿مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: جميع أنواعها ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ يدعون به لأنفسهم، فهو من الدعاء، أو يتمنون من قولهم: ادع على ما شئت، بمعنى: تمنه على ﴿سَلَامٌ﴾ أى: لهم سلام الله، أو بدل مما يدعون ﴿قَوْلاً مِن رَّبٍّ[1] رَّحِيمٍ﴾ يقال لهم

---

(١) روى ابن أبى حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم. فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة) فذلك قوله سلام قولاً من رب رحيم، قال: لينظر =

قولاً من جهته، أى: يسلّم الله عليهم بغير واسطة، تعظيمًا لهم، وهذا غاية مناهم **﴿وَامْتَازُوا[1] الْيَوْمَ﴾**: انفردوا عن المؤمنين **﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾**: الكافرون عن الضحاك لكل كافر بيت من النار، يُردم بابه بالنار، يكون فيه أبدًا، لا يرى ولا يُرى **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾** العهد: الوصية، أى: ألم أوصيكم بلسان أنبيائي، وهذا من جملة ما يقال لهم تقريعًا **﴿يَا بَنِى آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾** أن مفسرة أو مصدرية **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي﴾** عطف على أن لا تعبدوا **﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾**: بليغ فى استقامته، إشارة إلى عبادته **﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ﴾**: خلقًا **﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾**: فتدركوا إضلاله وعداوته، يعنى أنه أمر واضح لمن له أدنى عقل فى الحديث[2] "إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم، فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ" إلى قوله: **﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا﴾**: ادخلوها وذوقوا عذابها **﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**: بكفركم فى الدنيا **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ**

= إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفى ديارهم) [ضعيف، وأخرجه ابن ماجه فالعزو إليه أولى، وانظر ضعيف الجامع (٢٣٦٢)]/١٢ منه ووجيز.

(١) اعلم أن قوله: "وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" مجمل تفصيله قوله: "إن أصحاب الجنة" إلخ، وقوله: "وامتازوا اليوم" إلخ على طريقة قولهم: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر يا فلان عمرًا بالعفو والإطلاق من أن المقصود عطف جملة قصة أصحاب النار على جملة قصة أصحاب الجنة وأوثر هاهنا الطلب زيادة للتهويل والتعنيف ألا ترى إلى قوله: "اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"/١٢ منه ووجيز.

(٢) رواه ابن جرير عن أبي هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/١٢ منه [أخرجه ابن كثير فى "التفسير" (٥٧٧/٤) وفى سنده ضعيف ومجهول].

﴿عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: نمنعها عن التكلم عن السلف[1]، إنه يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه عمله فيجحد، ويقول: أى ربّ وعزتك لقد كتب على الملك ما لم أعلمه فيقول له الملك عملت كذا فى يوم كذا؟ فيقول: لا وعزتك أى رب فحينئذ ختم على فيه، ويشهد[2] عليه جوارحه ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾: بإنطاق الله إياها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصى ﴿وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا﴾ الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ﴿عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا﴾ أى: ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ أى: الطريق الذى اعتادوا سلوكه نصبه بالمفعولية ؛ لتضمنه معنى ابتدروا، أو بترع الخافض يعنى إلى ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ أى لا يبصرون الطريق ﴿وَلَوْ نَشَاء لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة أو أزمَنَّاهم ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ[3]﴾ أى: مكانهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أى لا ذهابًا ولا رجوعًا، ولفواصل الآى قال: ولا يرجعون أو معناه، ولا يرجعون إلى ما كانوا عليه وحاصله أهم أحقاء بالطمس والمسخ، ونحن قادرون لكننا نمهلهم لحكمة ورحمة منا.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ

---

(١) رواه ابن جرير عن أبى موسى الأشعرى /١٢ منه.

(٢) فى الحديث (إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير[أخرجه أحمد (٤/١٥١)، وقال الهيثمى فى "المجمع" (١٠/٣٥١): "رواه أحمد والطبرانى وإسنادهما جيد"] /١٢ منه.

(٣) المكانة والمكان كالمقامة والمقام واحد /١٢ منه.

فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾
فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ
مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾
أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ
ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ نقلبه ﴿فِي الْخَلْقِ﴾: فتنقص جوارحه بعد الزيادة، وتضعف بعد القوة ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾: أن القادر على ذلك قادر على البعث، أو على الطمس والمسخ ﴿وَ مَا عَلَّمْنَاهُ[١] الشِّعْرَ﴾ ردٌّ لما قال قريش: إن محمدًا لشاعر ﴿وَمَا يَنبَغِي[٢] لَهُ﴾: الشعر، عن ابن عباس وغيره: ما ولد عبد المطلب ولدًا ذكرًا، ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأما نحو: (أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[*]

---

(١) ولما قالت قريش: إن محمدًا شاعر وما القرآن إلا شعر فما فيه من التوحيد والبعث والوعد والوعيد خيالات شعرية لا أصل له، بل من المحالات التى تلقى على الناس فى صورة حسنة نفاه تعالى فقال: "وما علمناه الشعر" الآية/١٢ وجيز.

(٢) فإن أكثر الشعر تحسين ما ليس بحسن، وتقبيح ما ليس بقبيح ومغالاة مفرطة، وما هو إلا موزون مقفى /١٢ وجيز.

(*) جزء من حديث أخرجاه فى الصحيحين، فى غزوة حنين.

فهو اتفاقى بحسب سليقته من غير قصد إليه ﴿إِنْ هُوَ﴾ أى: ليس الذى أتى به ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾: عظة من الله ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾: واضح الدلالة على أنه من الله ﴿لِيُنذِرَ[1]﴾: الرسول ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: حى القلب والبصيرة فإنه المنتفع به ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: المصرين على الكفر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾: مما عملناه نحن بلا شريك، وإسناد العمل إلى الأيدى استعارة تفيد المبالغة فى التفرد بالإيجاد ﴿أَنْعَامًا﴾ مفعول خلقنا ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أى: خلقناها لهم، وملكناها إياهم فهم لها مالكون متصرفون مختصون بالانتفاع ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾: صيرناها منقادة ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: من الجلود والأصواف وغيرهما ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن جمع مشرب اسم مكان، أو مصدر ﴿أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾: رب هذه النعم ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: طمعًا فى أن يتقوا بهم، والأمر بالعكس لأنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾: لأصنامهم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: فى الدنيا يغضبون للآلهة ويحفظونها، أو فى الآخرة عند الحساب أى: الأصنام لعبادها جند محضرة عند الحساب ؛ ليكون أبلغ فى خزيهم ؛ لأنهم فى هذا اليوم أعداء ﴿فَلا يَحْزُنكَ[2] قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم وكفرهم ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أخس

---

(١) قراءة التاء وهى من السبعة دالة على أن الضمير فى قراءة الياء للرسول /١٢ منه.

(٢) الفاء فى "فلا يحزنك" متصل بقوله: "وما علمناه الشعر" إلخ. لما رد عليهم قولهم إنه شاعر أتى بقوله: "إنا خلقنا لهم" الآية، تسلية له صلى الله عليه وسلم يعنى لك التأسى بربك فإنه كيف أولاهم تلك النعم، وعلموا أنه تعالى المنفرد بها، ومع ذلك عاندوا وأشركوا به فإذا كان ذلك حالهم مع ربهم فلا تحزن ؛ لأنا نجازيهم على تكذيبهم إياك وإشراكهم بي/١٢ منه.

شيء وأمهنه ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: بين الخصومة لا يتأمل فى بدء أمره، ولا يستحي، نزلت إلى آخر السورة حين جاء أبي بن خلف[1] أو عاص بن وائل[2] معه عظم رميم، وهو يذره فى الهواء، ويقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: (نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار). ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾: أمرًا عجيبًا ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: ابتداء خلقنا إياه ﴿قَالَ﴾ بيان للمثل: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: بالية اسم لما بلى من العظام غير صفة، قيل: هو كبغيًّا فى "وما كانت أمك بغيًّا"[مريم: ٢٠] فى أنها معدولة عن فاعلة فإسقاط الهاء ؛ لأنها معدولة عن باغية ﴿قُلْ يُحْيِيهَا[3] الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف يخلقه، لا يتعاظمه شيء ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ مع مضادة الماء النار، والمراد الزِّنار التي تورى بها الأعراب، وأكثرها من شجرى المرخ والعفار الخضراوين ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فمن كان قادرًا على هذا، كيف لا يقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضًّا فيبس؟! قيل معناه: الذى بدأ خلق الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا يوقد به النار، قادر كذلك على كل شيء ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾: مع عظم شأنهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾: فى الصغر فإن خلق الصغير أسهل عندكم أو مثلهم فى أصول الذات، والصفات وهو المعاد ﴿بَلَى﴾ جواب من الله، وفيه إشعار بأنه لا جواب سواه ﴿وَهُوَ

---

(١) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهما عن مجاهد وعكرمة وغيرهما[ضعيف لإرساله، وانظر الدر المنثور (٥٠٨/٥)] /١٢ در منثور.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلى فى معجمه، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى فى البعث والضياء فى المختارة عن ابن عباس[أخرجه الحاكم (٤٢٩/٢) وصححه، وأقره الذهبي] /١٢ در منثور.

(٣) قيل: فيه دليل على أن العظم ذو حياة يؤثر فيه الموت.

﴿**الْخَلَّاقُ**﴾: كثير المخلوقات ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: كثير المعلومات ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ**﴾: شـــأنه ﴿**إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ**﴾: تَكَوَّن ﴿**فَيَكُونُ**﴾ فيحدث أى: لا يعسر عليه شيء، ولا يمنـع دون إرادته، وقراءة نصب فيكون للعطف على يقول ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُـوتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يعنى هو المالك المتصرف فيه ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾: للجزاء.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

سورة والصافات مكية

وهي مائة وإحدى وثمانون وقيل: اثنتان وثمانون آية وخمس ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ
لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا
يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ
أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلۡ عَجِبۡتَ
وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةً يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾
وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ
زَجۡرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا
يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞﴾

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ أقسم سبحانه بطوائف الملائكة[1] الصافات **﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾**: الملائكة الذين يزجرون السحاب سوقًا، أو الآيات القرآنية التي تنهى وتزجر عن القبيح

---

(١) الملائكة عليهم السلام ليسوا إناثًا، فلابد من تأويل لفظ الصافات وما يتبعها فأوله بطوائف، وقيل: بنفوسهم الصافات، والمراد صفهم في الصلاة قال تعالى: "وإنا لنحن الصافون" [الصافات: ١٦٥] أو في الهواء انتظارًا لأمر الله/ ١٢ منه.

﴿فَالتَّالِيَات ذِكْرًا﴾ أي : الملائكة الذين يترلون بكلام ، ويتلونه على أنبيائه، والعطف بالفاء ؛ للدلالة على ترتب الصافات في التفاصيل[1] قيل : أقسم بالذين يصفون في مقابلة العدو الذين يزجرون الخيل للجهاد ، ويتلون القرآن مع ذلك ، لا يشغلهم عنه تلك الشواغل ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾: جواب للقسم ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خبر بعد خبر أو خبر لمحذوف ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾: مشارق الكواكب أو مشارق[2] الشمس في السنة ، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليها ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ قراءة تنوين زينة مع جر الكواكب يؤيدان الإضافة للبيان ، والزينة اسم وقراءة نصب الكواكب يؤيدان الإضافة إلى المفعول ، والزينة مصدر أي : بأن زان الله الكواكب ، وحسنها[3] والكواكب ، وإن كان بعضها في غير سماء الدنيا لكن بأسرها زينة للسماء الدنيا زيناها للناظرين يروها كجواهر مشرقة على سطحها الأزرق ﴿وَحِفْظًا﴾ أي : وحفظناها حفظًا ، أو عطف على بزينة من حيث المعنى ، كأنه قيل : إنا خلقناها زينة وحفظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾: خارج عن الطاعة إذا أراد استراق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾ التسمع : تطلب السماع ، ولتضمنه معنى الإصغاء عُدِّي بإلى ، والملأ الأعلى الملائكة ، وهو كلام منقطع لبيان حالهم ، أو صفة و"لا محذور[4] معنى" ؛ لأن معناها : لا يمكنون من التسمع ، كما لا يخفى أو استئناف ،

---

(١) يعني أجريت هذه الصفات على الملائكة ، فعطف بالفاء ليفيد ترتبًا لها في الفضل ، فالفضل للصف ، ثم للزجر ، ثم للتلاوة/ ١٢ منه.

(٢) وهي ثلاثمائة وستون مشرقًا كل يوم لها مشرق/١٢ منه.

(٣) فإن الكواكب لو لم تكن مزينة في نفسها لم تزين السماء/ ١٢ـــ١٢ـــ ١٢ منه.

(٤) ولا محذور معنى فإنهم مع مبالغتهم في الطلب لايمكنهم ذلك ، لأنهم ممنوعون ، ومعنى لا يسمعون إليه لا يمكنون مصغين إليه سواء جعل صفة أو لم يجعل فلا يرد ما قاله الزمخشري: لا يجوز أن يكون صفة ؛ لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون لا معنى له ، =

معناها : لا يمكنون من التسمع ، كما لا يخفى أو استئناف ، والسؤال عما يكون عند الحفظ[1] وكيفيته ، لا عن سببه ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: يرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: من جوانب السماء حين صعدوا للاستراق ﴿دُحُورًا﴾: للدحور وهو الطرد أو مدحورين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ مستمر في الآخرة ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾: اختلس ﴿الْخَطْفَةَ﴾ استثناء من فاعل ، لا يسمعون بدل منه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي يختلس ويأخذ كلام الملائكة بسرعة ، فيتبعه كوكب مضيء ، فيحرقه[2] وسيأتي تفصيل ذلك في سورة "قل أوحي" إن شاء الله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر مشركي مكة ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ أي : سلهم أخلقهم أصعب أم خلق الملائكة والسماء والأرض ، وما بينهما ، والمشارق والكواكب والشهب الثواقب؟ فإذا اعترفوا أنها أصعب فَلِمَ ينكرون البعث؟! والبعث أسهل ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لاصق لازق بعضه ببعض ، فمن أين لهم أن ينكروا إعادتهم وهم تراب ﴿بَلْ عَجِبْتَ[3]﴾: يا محمد من إنكارهم للبعث ، أو من قدرة الله على هذه

ولا استئناف ، فلأن سائلاً لو سأل لِمَ يحفظ منها؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم /١٢ منه.

(١) لأن قوله: "وحفظا" مما يحرك الذهن له ، فقيل : لا يسمعون جوابًا عما يكون عنده ، ويقذفون بيانًا لكيفية الحفظ ، وهذا أحسن طباقًا لفظًا ومعنى فتأمل /١٢ منه.

(٢) ما يدل عليه النصوص الصريحة : أن المحرق كوكب لا الأنيار كما قاله الفلاسفة /١٢ منه.

(٣) أخرج أبو عبيد ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وصححه الحاكم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه كان يقرأ "بل عجبتُ ويسخرون" بالرفع وأخرج أبو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح أنه كان يقرأ هذه الآية "بل عجبتَ ويسخرون" بالنصب ويقول : إن الله لا يعجب من الشيء ، إنما يعجب من لا يعلم . قال الأعمش :
=

الخلائق العظيمة ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: منك ومن تعجبك ، وقراءة عجبتُ[1] بضم التاء بمعنى

= فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال : إن شريكًا كان معجبًا برأيه وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : كان أعلم منه كان يقرؤها "بل عجبتُ" /١٢ در منثور.

(١) على قراءة الضم هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للذي آثر هو وامرأته لضيفهما: (لقد عجب الله من صنيعكما البارحة) وفي لفظ في الصحيح (لقد ضحك الله الليلة)[جزء من حديث أخرجاه في الصحيحين] وقال: "إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفرلي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنا"[صحيح، أخرجه أبو داود والترمذى، وانظر صحيح سنن أبى داود (٢٢٦٧)] وقال: (عجب ربك من شاب ليست له صبوة)[ضعيف، أخرجه أحمد والطبرانى، وانظر ضعيف الجامع(١٦٥٨)] وقال : (عجب ربك من راعي غنم على رأس جبل شظية يؤذن ويقيم فيقول الله : انظروا إلى عبدي)[صحيح، انظر الصحيحة ، والإرواء] أو كما قال. (كل هذا نقله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام في بعض رسائله وذكر أن قول القائل التعجب استعظام للمتعجب منه . فيقال : نعم وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب المستعجب منه ، وقد يكون لما خرج عن نظائره ، والله تعالى بكل شيء عليم ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما يعجب منه ، بل يتعجب منه لخروجه عن نظائره تعظيمًا له ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم إما لعظمه أو لعظمته فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ، وصف بعض الشر بأنه عظيم ، فقال تعالى : "رب العرش العظيم"[التوبة:١٢٩] وقال : "ولقد أتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم" (الحجر:٨٧) وقال : "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا" (النساء:٦٦) وقال : "لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم" (النور:١٦) وقال :" إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان:١٣) وقول القائل : إن هذه انفعالات نفسانية ، فيقال : كل ما سوى الله مخلوق منفعل، ونحن وذواتنا منفعلة، فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها، لا يوجب أن =

عجبت[1] من إنكارهم البعث ، أو بلغ كمال قدرتي أني تعجبت منه ، والعجب من الله تعظم تلك الحالة ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا بشيء ﴿لاَ يَذْكُرُونَ﴾ لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا﴾ أي: ليس ما نراه[2] ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تكرار الهمزة للتأكيد في نفي البعث ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ عطف على محل إن واسمها ، أو على ضمير لمبعوثون ، وجاز للفصل بالهمزة ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون اكتفى به في الجواب؛ لظهوره مع ما يدل عليه من المعجزات والدلائل ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون أذلاء ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي : إذا كان ذلك فإذا(*) هي أي : البعثة صيحة واحدة ، وهي النفخة الثانية ، فالفاء جواب الشرط مقدر ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ أحياء يبصرون ، وينتظرون أمر الله ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ احضر فهذا أوانك ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الحق والباطل ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: وهذا من كلام الملائكة ، والمؤمنين تقريعًا لهم وتوبيخًا.

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا

= يكون الله منفعلاً لها عاجزًا عن دفعها فإن كل ما يجري في الوجود ، فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يشاء إلا ما يكون له الملك وله الحمد/١٢ منه.

(١) وفي الوجيز والعجب روعة يعتري الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى منزه عن الروعة ، فيحمل على الاستعظام من غير روعة، انتهى ، وكذا في المنهية /١٢.

(٢) فيه إشارة إلى ما يرونه من مثل انشقاق القمر الذي أطلق عليه الآية ولهذا لم يقل إن هذه/١٢ منه.

(*) فى النسخة ن: فإنما.

تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ
عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾
بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم
مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا
فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً
لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ

ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟
ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ
أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هذا من أمر الله للملائكة **﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾**: أشباههم يعني احشروا عابدي الصنم بعضهم مع بعض ، وعابدي الكواكب كذلك ، وعن عمر صاحب كل ذي ذنب مع صاحب ذلك الذنب أو قرناءهم من الشياطين أو نساءهم المشركات **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾**: من الأصنام **﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾**: عرفوهم طريقها ليسلكوها **﴿وَقِفُوهُمْ﴾**: في الموقف **﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾**: عن عقائدهم وأعمالهم **﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾**: لا ينصر بعضكم بعضًا ، وهذا للتوبيخ **﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾**: منقادون لعجزهم **﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾**: يسأل بعضهم بعضًا على طريق اللوم **﴿قَالُوا﴾**: الأتباع للرؤساء ، أو الكفار للشياطين **﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾**: عن قبل الخير فزينتم الباطل فحسبناه حقًّا ، فإن من أتاه الشيطان من جانب اليمين ، أتاه من قبل الدين ، فلبس عليه الحق ، أو عن القوة ، والقهر فألجأتمونا على الضلال . قيل : اليمين الحلف ، فإن رؤساءهم يحلفون أنهم على الحق **﴿قَالُوا﴾** أي : الرؤساء ، أو الشياطين في جوابهم **﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** أي: الكفر من قبل أنفسكم **﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾**: تسلط **﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾**: ضالين **﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾**: جميعنا **﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾**: كلمة العذاب **﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾**: العذاب **﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾** أي : أحببنا أن تكونوا مثلنا ، فلا تلومونا ، فقوله : إنا مستأنفة للتعليل **﴿فَإِنَّهُمْ﴾**: كلهم **﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ**

مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: بالمشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن أن يقولوها ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أرادوا به أصدق الخلائق وأعقلهم عليه أكمل الصلاة ، وأفضل السلام ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: أتى بما أتى به الأنبياء ذوو المعجزات ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مثله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ عن كدر الكفر ، والنفاق استثناء متصل إن كان الخطاب في أنكم ، وفي ما تجزون لجميع المكلفين[1] ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: خصائصه من طيب الطعم والرائحة وحسن المنظر أو وقته ، قال تعالى : "ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا"[مريم:٦٢] ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدل الكل أو خبر محذوف ، ورزق أهل الجنة ليس إلا للتلذذ[2] ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: بخلاف الكفرة ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ظرف أو حال ، أو خبر بعد خبر ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: ناظرين بعضهم بعضًا ، وعلى سرر ظرف مقدم ، أو حال أو خبر ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ تسمى الخمر نفسها كأسًا ﴿مِن مَّعِينٍ﴾: من نهر جارٍ على وجه الأرض كما يجري الماء ﴿بَيْضَاءَ﴾: لا كدرة فيها ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ كأن الخمر نفس اللذة وعينها أو تأنيث لذّ بمعنى لذيذ ، وهما صفتان للكأس ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ غائلة ، وفساد من قولنج ونحوه كخمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ[3]﴾: يسكرون هو من عطف الخاص على العلم ،

---

(١) نحو "والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا" (العصر:١،٢،٣)وإن كان الخطاب للكفار فالاستثناء منقطع أي : لكن المخلصون لا يذوقون/١٢ منه ووجيز.

(٢) وليس للتغذي /١٢ منه.

(٣) قال في النهر: ذكر أولا الرزق ، وهو ما تتلذذ به الأجسام ، وثانيًا الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ، ثم ذكر المحل الذي هم فيه ، وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر،

=

يعني لا فيها فساد أصلاً سيما أعظم المفاسد ، وهو زوال العقل ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: نساء عفيفات قصرن أبصارهن على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غيرهم ﴿عِينٌ﴾: حسان الأعين جمع عيناء ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شُبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه . قيل : أحسن ألوان البدن بياض مخلوط بأدنى صفرة ، أو المراد القشر الذي بين قشرة العليا ولباب البيضة . نقله ابن جرير[1] عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿فَأَقْبَلَ[2] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ عطف على يطاف عليهم أي : يشربون فيتحادثون على الشراب بأحوال مرت بهم في الدنيا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾: في أثناء المكالمة ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: جليس كافر ﴿يَقُولُ﴾: الجليس تعجبًا أو توبيخًا ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: بالبعث عن بعض[3] المراد منهما الرجلان اللذان في سورة[4]

= ثم لذة التآنس بأن بعضهم مقابل بعضًا وهو أتم السرور وآنسه ، ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم ، بل يطاف عليهم بالكئوس ، ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ، ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية ، وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق ، وهي أبلغ الملاذ وهي التآنس بالنساء ، فقال : "وعندهم قاصرات الطرف" الآية/١٢ فتح.

(١) عن أم سلمة أنها قالت : قلت : يا رسول الله! أخبرني عن قول الله كأنهن بيض مكنون. قال : (رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشرة) [جزء من حديث طويل ذكره الهيثمى فى "المجمع" (١٠/٤١٧-٤١٨) وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه، وفى إسنادهما سليمان بن أبى كريمة وهو ضعيف] . وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء وغيرهما ، واختاره ابن جرير / ١٢ منه ووجيز.

(٢) جيء بالفعل ماضيًا لجعل المتحقق كالواقع /١٢ منه.

(٣) هكذا نقله محيي السنة رضي الله عنه /١٢ منه.

(٤) أحدهما كافر واسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا/ ١٢ فتح.

الكهف "واضرب لهم مثلاً رجلين"(الكهف:٣٢) ، ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: مجزيون ﴿قَالَ﴾ الله لهم أو ذلك القائل ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: إلى النار لأريكم ذلك القرين ﴿فَاطَّلَعَ﴾: هذا القائل ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسطها ، ولاستواء الجوانب سمي وسط الشيء سواء ، وعن كعب الأحبار : إن في الجنة كوى[(١)] إذا أراد أحد أن ينظر إلى عدوه في النار ، اطلع عليها ، فازداد شكرًا ﴿قَالَ﴾: القائل لقرينه ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ أي إنه ﴿كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾: لتهلكني بالإغواء ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾: بالهداية ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: معك في النار ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ أي: نحن مخلدون منعمون ، فما نحن بالذين شأنهم[(٢)] الموت فالهمزة للتقرير ، والفاء عطف على محذوف مقول آخر للمؤمن على سبيل الابتهاج[(٣)] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾: التي كانت في الدنيا ، منصوب بمفعول مطلق من اسم الفاعل ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: كالكفار عن ابن عباس لما قال الله لأهل الجنة ﴿كلوا واشربوا هنيئًا﴾ أي: بلا موت فعندها قالوا : "أفما نحن بميتين" إلخ قال الله تعالى : لا. قالوا ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وأما قوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾: النعيم المقيم ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ فهو إما من كلام الله وعليه الأكثرون، أو من كلام أهل الجنة تحدثًا بنعمة الله وتبجحًا، ثم قال لهم: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ منصوب على التمييز أو الحال ، وفيه دلالة على أن لهم غير ذلك من نعم[(٤)] الله

---

(١) جمع كوة /١٢.

(٢) يعني حال المؤمن أن لا يذوق مرارة الموت إلا مرة واحدة بخلاف حال الكافر فإنه يتمنى الموت في كل لمحة ، قيل لبعض الحكماء : ما شر من الموت؟ قال : الذي يتمنى فيه الموت /١٢ وجيز.

(٣) فإن تذكر الخلود في الجنة لذة دونها كل لذة /١٢.

(٤) فإن النزل ما حضر للضيف من الطعام حتى يتهيأ له الضيافة. /١٢ منه.

﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ هي نزل أهل النار ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾: ابتلاء في الدنيا، فإنهم كذبوا الرسل ، وقالوا: كيف يكون في النار شجرة؟! قال تعالى : "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن"(الإسراء:٦٠) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾: منبتها قعرها، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيه منها غصن﴿طَلْعُهَا[١]﴾: ثمرها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ في تناهي قبح منظره ، وهو تشبيه تخييلي ، فإن المركوز في طباع الناس أن أحسن الصور صورة الملك ، وأقبحها صورة الشيطان قيل : العرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانًا ، وقيل هي شجرة قبيحة مرة منتنة ، تسميها العرب رءوس الشياطين ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾: من طلعها ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾: لغلبة الجوع أو يكرهون على تناولها ، فهم يتزقمون ، وفي الحديث[٢] (لو أن قطرة من الزقوم قطرت على بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم) ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: على الزقوم بعد ما شبعوا منها ، وغلبهم العطش ﴿لَشَوْبًا[٣] مِّنْ حَمِيمٍ﴾: لشرابًا من ماء مغلي أو مشوبًا ممزوجًا من حميم يمزج لهم الحميم بما يسيل من فروج الزناة ، وعيون أهل النار ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ذلك لأنهم يوردون الحميم لشربه ، وهو خارج من النار أو الحميم في طرف منها وجانب ، والمرجع بعد الشرب إلى أصلها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ أي : وجدوا ﴿آبَاءهُمْ ضَالِّينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد ﴿فَهُمْ

---

(١) سمي الثمر طلعًا لطلوعه/١٢ منه.

(٢) نقله الترمذي والنسائي وابن ماجه [صحيح، وكذا أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٠)]/١٢ منه.

(٣) الشوب الخلط سمي العسل شوبًا ، لأنه كان مزاجًا لغيره من الأشربة ، لما امتلأت بطونهم من الزقوم احترقت بطونهم فأحر سقيهم ؛ ليزدادوا عذابًا بالعطش ، ثم سقوا ما هو أحر وأكره /١٢ وجيز.

﴿عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون كأنهم في غاية مبادرتهم إلى طريق آبائهم مضطرون إلى الإسراع ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبل أمتك ﴿أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: أنبياء أنذروهم بأس الله ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾: تأمل عاقبتهم ، فإن عاقبتهم هلاك وفظاعة ﴿إِلاَّ[1] عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ كأنه قال تأمل فإن عاقبة جميعهم الهلاك إلا من[2] أخلص دينه لله وحده ، والمقصود خطاب الأمة وأخبار الأمم كانت مسطورة في كتب أهل الكتاب مشهورة منهم في العرب.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا

---

(١) الأظهر أن الاستثناء منقطع ، ولما ذكر ضلال الأولين شرع في حكاية أولهم شهرة فقال:" ولقد نادانا نوح" الآية /١٢ وجيز.

(٢) على ما فسره الاستثناء متصل وجاز الانفصال /١٢ منه .

تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي
ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ
حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ
فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ
وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾: حين أيس من إيمان قومه . فقال : "أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ" [القمر: ١٠] **﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾** أي فأجبناه أحسن إجابة ، ووالله لنعم المجيبون نحن **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾**: أذى قومه **﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾** مات من كان معه في السفينة ، سوى أولاده وأزواجهم ، وأولاده[1] ثلاثة: سام ، وهو أبو

(١) روى الترمذي وابن جرير ، وابن أبي حاتم أنه عليه الصلاة والسلام قال في قوله : ("وجعلنا ذريته هم الباقين" سام ، وحام ، ويافث[ضعيف أخرجه الترمذي (٣٢٨٣- أحوذى)]، ونقل الإمام أحمد أنه قال عليه الصلاة والسلام : (سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم)[ضعيف، أخرجه أحمد والترمذي والحاكم، وانظر ضعيف الجامع(٣٢١٤)]/١٢ منه.

العرب ، وفارس والروم ، ويافث ، وهو أبو الترك وسقالبة ، ويأجوج ومأجوج ، وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ﴿وَتَرَكْنَا[1] عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: من الأمم ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ مفعول تركنا ، وهو من كلام المحكي ، كقرأت سورة أنزلناها ، أي : يسلم جميع الأمم عليه تسليمًا ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بما تعلق على نوح به ، والغرض ثبوت هذا الدعاء في كل خلق كما تقول : السلام عليك في كل زمان ومكان ، وقيل: مفعول تركنا محذوف أي : الثناء الجميل ، والجملة بعده استئناف يدل عليه ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: مثل هذه التكرمة ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: من أحسن في العبادة ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ علة للإحسان، ومنه علم أن الإيمان هو القصارى في المدح ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: أهل دينه ، وهو من على منهاجه وسنته ﴿لَإِبْرَاهِيمَ[2]﴾ وبينهما هود ، وصالح وفي جامع الأصول أن بينهما ألفًا ومائة واثنتين وأربعين سنة ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ[3] سَلِيمٍ﴾ من الشك ، أو من العلائق ، ظرف للشيعة لما فيها من معنى المشايعة أي : ممن شايعه على طريقه حين جاء أو تقديره اذكر إذ جاء ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من الأول أو ظرف لسليم أو جاء ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: أنكر عليهم عبادة الأصنام ﴿أَئِفْكًا

(١) أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله :"وتركنا عليه في الآخرين" قال : لسان صدق للأنبياء كلهم./١٢ در منثور.

(٢) وإبراهيم أبو العرب وكما جعل الله سلامه على نوح وثناءه عليه إلى يوم الدين كذلك جعل ثناءه على إبراهيم كما قال "وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم" وجعل معجزته ماء، وجعل معجزته نارًا / ١٢ وجيز.

(٣) قال ابن عباس –رضي الله عنه: بقلب سليم يعني شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن محمد بن سيرين: يعلم أن الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور/١٢ منه.

آلِهَةً[1] **دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾** أي: تريدون آلهة دونه للإفك ، أو آفكين أو تريدون الإفك ، وآلهة بدل منه ففيه مبالغة لا تخفى **﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**: إذا لقيتموه ماذا يفعل بكم ، وقد عبدتم غيره ، أو حتى تركتم عبادته **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي**[2] **سَقِيمٌ﴾**: خرج قومه إلى عيدهم ، وأرادوا خروجه معهم ، فقال : لا أخرج لأني سقيم ، أراد التورية أي سأسقم أو سقيم النفس من كفرهم ، ولما كان غالب أسقامهم الطاعون خافوا السراية، وخلوه ، وكان قومه نجامين أوهمهم استدلاله على مرضه بعلم النجوم ، أو المراد أنه تفكر فقال : إني سقيم ، والعرب تقول لمن تفكر نظره إلى النجوم كذا قال كثير من السلف **﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾**: هاربين إلى عيدهم خوفًا عن سراية الطاعون **﴿فَرَاغَ﴾**: ذهب بخفية **﴿إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾** بعد ما ذهبوا **﴿فَقَالَ﴾**:

---

(١) قدم المفعول ، وهو آلهة للعناية والاهتمام ، وقدم المفعول له ؛ لأن الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على إفك وباطل /١٢ منه.

(٢) في الحديث المخرج في الصحاح والسنن (لم يكذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ؛ قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم ، وقوله في سارة : هي أختي" /١٢ منه. أخرج ابن جرير عن السدي قال : قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم" قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطبًا ، حتى إن كانت المرأة لتمرض ، فتقول : لئن عافاني الله لأجمعن حطبًا لإبراهيم ، فلما جمعوا له ، وأكثروا من الحطب حتى إذا كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها ، وشدتها فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء فقالت السماء والأرض ، والجبال ، والملائكة : ربنا إبراهيم يحرق فيك ، فقال: أنا أعلم به. وإن دعاكم فأعينوه ، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : (اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل) فناداه : "يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم" [الأنبياء:٦٩]./١٢ در منثور.

للأصنام سخرية ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾: من الأطعمة التي حواليكم ، فإن قومه يضعون الأطعمة بين أيديهم ويرجعون ويأكلون للتبرك ﴿مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: تعديته بعلى للاستعلاء وأن الميل لمكروه ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ مصدر لراغ عليهم ؛ لأنه بمعنى ضربهم أو لمحذوف أو حال بمعنى ضاربًا ضرّبهم باليد اليمنى ، لأنه أشد ، وقيل بالقسم الذي سبق منه ، وهو "تالله لأكيدن أصنامكم" ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم بعد ما رجعوا ورأوا إهلاك آلهتهم ، وبحثوا عن كاسرها ، وظنوا أنه هو ﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون ﴿قَالَ﴾: لهم إبراهيم ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي : وما تعملونه بقرينة ما تنحتون يعني : هل المخلوقات لخالق واحد يعبد أحدهما الآخر ، وكلمة ما عامة تتناول ما يعملونه من الأوضاع والحركات والمعاصي والطاعات وغيرها، والمراد بأفعال العباد المختلف فيها هو ما يقع بكسب العبد ، ويستند إليه مثل الصوم والصلاة والأكل ، والشرب ونحوهما مما يسمى الحاصل بالمصدر لا نفس الإيقاع الذي هو من الاعتبارات العقلية كما تقول : يفعلون الزكاة يقيمون الصلاة يعملون الصالحات والسيئات ، ولما غفل عن هذه النكتة كثير من الفضلاء بالغوا في نفي كون ما موصولة والإنصاف أن الآية محتملة لما قررنا ولأن يكون المراد ما تعملونه من الأصنام فلم يبعد الاستدلال مع الاحتمال والله أعلم﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: في النار الشديدة بنوا له حائطًا من الحجر طوله ثلاثون وعرضه عشرون ، وأوقدوا فيه النار بملئه ، وطرحوه فيه ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا[1] ﴾: شرًا ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾: الأذلين بإبطال كيدهم وتفصيل القصة في سورة الأنبياء ﴿وَقَالَ﴾: بعد خروجه من النار ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾: إلى مرضاة ربي ﴿سَيَهْدِينِ﴾: إلى صلاح داري ، فهاجر إلى الشام ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : بعض الصالحين يعني

(١) لما غلبهم بالحجة مالوا إلى الاستيلاء ، والشوكة كعادة الفراعنة/١٢.

الأولاد ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فيه بشارة أنه ابن ينتهي في السن إلى أن يوصف بالحلم، وهو إسماعيل على الأصح نقلاً ودليلاً[(١)] فإن إسماعيل هو الذي وهب له إثر الهجرة ولأن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على هذه البشارة ، وكيف لا وإسماعيل هو الذي كان بمكة والمناسك ، والذبح ما كانت إلا فيها[(٢)] قال بعض العلماء : من

---

(١) وهذا قول ابن عمر ، والحسن البصري منقول عبد الله بن الإمام أحمد عن والده في كتاب الزهد ، وقال ابن أبي حاتم: هو المروي عن علي وأبي هريرة رضي الله عنه وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي /١٢ وجيز.

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم "أنا ابن الذبيحين" ، وقد صححه ابن الجوزي في الوفاء وبين معناه /١٢ منه ووجيز[لا أصل له بهذا اللفظ، انظر كشف الخفاء للعجلوني (١/٢٢٥-٢٢٦)، والسلسلة الضعيفة]، وذكر الرازي هذا الحديث وزاد فيه ، وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين ، فتبسم ، فسئل عن ذلك فقال : (إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم ، نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده ، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله ، وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل ، والذبيح الثاني إسماعيل[أخرجه الحاكم (٢/٥٥١) وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بقوله: "إسناد واهٍ"، وانظر الضعيفة (١/٥٠١-٥٠٢)] انتهى.

وفي الفتح قال ابن كثير في تفسيره : وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة ، وليس في ذلك كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تلقى إلا عن إخبار أهل الكتاب وأخذ مسلمًا من غير حجة ، وكتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، وقال بعد ذلك: "وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين" انتهى.

واحتج القائلون بأنه إسحاق بأن الله عز وجل قد أخبرهم عن إبراهيم حين فارق قومه ، وهاجر إلى الشام مع امرأته سارة ، وابن أخيه لوط . فقال :" إني ذاهب إلى ربي سيهدين" إنه دعا فقال: "رب هب لي من الصالحين" وقال تعالى : "فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب" (مريم:٤٩)ولأن الله قال : "وفديناه

=

تحريفات اليهود أنه إسحاق ؛ لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب ، ومن زعم من السلف أنه إسحاق ، وهو الذي سمع ذلك من كعب الأحبار حين يروي من الإسرائيليات ، وليس فيه حديث غير ضعيف ، والرواية عن علي ، وابن عباس رضي الله عنهما- مختلفة ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾: الغلام ﴿مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يعني سنًّا يسعى مع أبيه في أعماله ، أو في الطاعات يعني شب وأطاق ما يفعله أبوه من العمل ، ويتصرف معه ، ويعينه ، ومعه

= بذبح عظيم" فذكر أنه في الغلام الحليم الذي بشر به ، وإنما بشر بإسحاق ؛ لأنه قال : "وبشرناه بإسحاق" وقال هناك: "بغلام حليم" وذلك قبل أن يعرف هاجر ، وقبل أن يصير له إسماعيل ، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق ، قال الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح ، وكل هذا يحتمل المناقشة والمسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسئل عنها في القيامة ، فهي مما لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله ، وقد رجح كل قول طائفة من المنصفين كابن جرير ، فإنه رجح أنه إسحاق ، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل ، ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء ، وما روى عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جدًّا ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن وهي محتملة ، لا تقوم بها حجة ، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته ، وفيه السلامة انتهى ما ذكره صاحب الفتح ملخصًا[وهناك ما يؤيد أن الذبيح إسماعيل، وهو أن الله قد بشر أم إسحاق به، وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: "لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب" فمحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد، ثم يأمر بذبحه].

ونقل العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان عن شيخه شيخ الإسلام أنه قال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ومن زيادات أهل الكتاب في التوراة أن الله سبحانه قال لإبراهيم : اذبح ابنك بكرك ، ووحيدك إسحاق قال ، والزيادة باطلة من وجوه عشرة؛ الأول : أن بكره ووحيده إسماعيل باتفاق الملل الثلاث إلى آخر ما بين الوجوه العشرة. ورجح فيها كون الذبيح إسماعيل ترجيحًا لا مرد له ، فمن شاء الاطلاع ، فليرجع إلى خاتمة كتاب الإغاثة /١٢.

ظرف للسعي المقدر عند من لم يجوز تقديم الظرف أيضًا على المصدر **﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾** ورؤيا الأنبياء وحي ، ولما تكرر رؤياه ثلاث ليال قال : أرى بلفظ المضارع **﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾**: من المصلحة هو من الرأي ، لا يطلب إلا مفعولاً واحدًا هو ماذا، اختبر صبره من صغره على طاعة الله فشاوره **﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾** أي : ما تؤمر به ، يعني : ليس هذا من مقام المشاورة ، فإن الواجب إمضاء أمر ربك **﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾**: على حكم الله **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾**: انقاد لأمر الله ، وعن بعض المفسرين : تشهد أو ذكرا اسم الله ؛ إبراهيم على الذبح وإسماعيل شهادة الموت **﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾**: أَكَبَّهُ على وجهه ؛ ليذبحه من قفاه ، لئلا يرى وجهه عند الذبح فيكون أهون عليه **﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾** أن مفسرة **﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾**: بجزم عزمك[١] وجواب لما محذوف أي : لما أسلما وكذا وكذا كان ما كان من وفور الشكر والسرور لهما والثناء الحسن **﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾**: ليس من تتمة النداء ، بل تم الكلام ثم قال : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره ، ونجعل لهم من أمرهم فرجًا **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾**: الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ﴾** الذبح اسم ما يذبح **﴿عَظِيمٍ[٢]﴾** يعني: عظيم القدر ، أو عظيم الجثة ، والأصح أنه كبش أملح أقرن ، وعن كثير من السلف

---

(١) قال طائفة منهم السدي : ضرب الله على عنقه صفحة نحاس ، فجعل إبراهيم يحز ، ولا يقطع شيئًا ، وهذا كله جائز في القدرة الإلهية ، لكنه يفتقر إلى نقل صحيح ، فإنه أمر لا يدرك بالنظر ، وإنما طريقه الخبر ، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعظيمًا لرتبة إسماعيل وإبراهيم ، وكان أولى بالبيان من الفداء/١٢ فتح.

(٢) وعن ابن عباس وغيره عظمه لأنه من كباش الجنة. قال محيي السنة : كان رأس الكبش معلقًا في الكعبة إلى زمان عبد الله بن الزبير والحجاج ، واحترق البيت في زمنهما ، وقال الشعبي : رأيت قرنيه معلقين في الكعبة /١٢ وجيز.

أنه كبش قربه ابن آدم فتقبل منه ، وكان في الجنة فأتى به جبريل ، والمنقول[1] أن قريشًا توارثوا قرني الكبش الذي فدي به أبوهم خلفًا عن سلف ، وجيلاً عن جيل ، وكان في الكعبة إلى أن بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ قد مر تفسيره في هذه السورة ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾ أي: بوجوده ﴿نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ حالان مقدرتان أي : بشرناه به مقدرًا نبوته ، وكونه من الصالحين وعند من يقول : الذبيح إسحاق ، فالبشارة الثانية بوجوده مقيدًا بنبوته ، والمقصود الأصلي في هذه المرة البشارة بالنبوة ، وأما الصلاح بعد النبوة ، فلتعظيم شأن الصلاح ، وأنه الغاية والمقصود الأصلي ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم في أولاده ﴿وَعَلَى إِسْحَقَ﴾ فإن كثيرًا من الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: إلى نفسه بالإيمان والطاعة ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: بالكفر ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهر ظلمه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ

(١) نقله الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[أخرجه أحمد (٦٨/٤) وفي إسناده ضعف] /١٢ منه.

لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿١٢٩﴾
سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾: أنعمنا بالنبوة وغيرها عليهما ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: تغلُّب فرعون ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ أي: هما والقوم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾: على القبط ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿الْمُسْتَبِينَ﴾: البليغ في بيانه ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبق في هذه السورة تفسيره ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ(١) لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن

---

(١) هو نبي من أنبياء بني إسرائيل من أسباط هارون بن عمران ، وأما إنه إدريس ، فلعله لا يصح ؛ لأن إدريس قبل نوح ، وفي سورة الأنعام إن إلياس من ذرية إبراهيم ، أو من ذرية نوح على اختلاف في مرجع الضمير /١٢ وجيز ، وأما الحديث الذي أخرجه الحاكم ، والبيهقي ، وضعفه في ملاقاة أنس مع إلياس وإخباره النبي -صلى الله عليه وسلم- بإلياس ، ثم إتيان النبي صلى الله عليه وسلم إلى إلياس ومعانقتهما وتحدثهما ، ونزول المائدة من السماء ، وأكلهما منه ، ثم صلاتهما ، ثم معاودتهما ومرور إلياس على السحاب نحو السماء ، فقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ، وقال الذهبي : بل موضوع قبح الله من وضعه ، وقال: ما كنت أحسب ، ولا أجوز أن الجهل بلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا/ در منثور ملخصًا.

=

بعض[1]: هو إدريس ، وعن بعض[2]: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل من أسباط هارون بن عمران **﴿إِذْ قَالَ﴾** ظرف لمن المرسلين **﴿لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾**: عذاب الله **﴿أَتَدْعُونَ﴾**: تعبدون **﴿بَعْلاً﴾**: ربًّا ، والبعل الرب ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي بلغة اليمن، أو هو اسم لصنم كان لأهل "بك" من الشام، وهو المسمى حينئذٍ ببعلبك، وقيل: امرأة اسمها بعل يعبدونها **﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾**: تتركون عبادته **﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾** وقراءة النصب بالبدل **﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾**: في العذاب **﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾** استثناء من فاعل كذبوه، لا من ضمير[3] محضرون **﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾** لغة في إلياس، كميكال، وميكائيل، وقيل: جمع منسوب إليه بحذف ياء النسبة كأعجمين، والأشعرين، وقراءة آل ياسين، قيل : ياسين هو أبو إلياس، فآل إلياس، وقيل ياس هو الاسم، والياء، والنون زائدة في لغة السريانية ، فعلى هذا الآل مقحم ، كآل موسى ، وهارون ، والمراد من ياسين إلياس ، وقيل : آل محمد وهو بعيد جدًّا **﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾** أي: وقعت في الباقين في العذاب **﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾** قد مرَّ تفسيره **﴿وَإِنَّكُمْ﴾**: يا أهل مكة **﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾**: على منازلهم في طريقكم إلى الشام **﴿مُصْبِحِينَ﴾**: داخلين في الصباح **﴿وَبِاللَّيْلِ﴾** يعني نهارًا وليلاً **﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾**: أليس لكم عقل فتعتبرون بهم.

= قال الحسن البصري : قد هلكا يعني إلياس وخضر ، ولا نقول كما يقول الناس أنهما حيان ، وهو الراجح نظرًا في الأدلة ، والله أعلم/١٢ فتح.

(١) هو قتادة ومحمد بن إسحاق ، وابن مسعود وضحاك/١٢ منه.

(٢) هو وهب بن منبه/١٢منه.

(٣) لفساد المعنى ؛ لأنه يلزم أن يكون المخلصين من المكذبين /١٢منه.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ
﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾
وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ
خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾
فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ[1]﴾: هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوء ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع أهل الفلك ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ صار من المغلوبين بالقرعة ، وذلك لأن البحر اشتد عليهم ، فقالوا : فينا من بشؤمه اشتد البحر فتساهموا على من يقع عليه القرعة يلقى في البحر، فوقعت عليه ثلاث مرات ، فألقى عليه السلام نفسه في البحر ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: ما يجب أن يلام عليه ، أو مليم نفسه ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ[2]﴾: لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء ، أو من المصلين في بطن الحوت ، قد نقل أنه لما استقر في بطنه ، ظن أنه قد مات ، فحرك رجليه فإذا هو حيٌّ ، فقام وصلى ، وهو في بطنه ، أو من المسبحين بقوله : (لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين)[*] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ بأن يطول عمر الحوت ، ويكون بطنه سجنًا له ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: طرحناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: الأرض الخالية التي لا نبات فيها على جانب دجلة ، وقيل : بأرض اليمن ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾:

---

(١) عبر بأبق ؛ لأنه عبدًا لله هرب عن قومه من غير إذن ربه/١٢ وجيز.

(٢) نقل ابن أبي حاتم وغيره أنه لما قال يونس في بطن الحوت : (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.) قالت الملائكة : هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة ، فقال الله : عبدي يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ، ودعوة مستجابة . قالوا : يا رب أو لا ترحم بما كان يصنع في الرخاء ، فتنجيه عن البلاء قال الله : بلى فأمر الحوت ، فطرحه بالعراء ، رواه ابن جرير أيضًا[ذكره بنحوه الهيثمى فى "المجمع" (٩٨/٧) وقال: "رواه البزار عن بعض أصحابه، و لم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس،وبقية رجاله رجال الصحيح"] /١٢ منه ووجيز.

(*) أخرج أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وغيرهم عن سعد مرفوعًا: "دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له" وانظر صحيح الجامع (٣٣٨٣).

كفرخ ليس عليه ريش ، ومدة لبثه في بطنه ، ثلاثة ، أو سبعة ، أو أربعون ، أو يوم واحد ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ أي : فوقه ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ[1]﴾: شجرة الدباء ليتظلل بها ، وعن[2] بعض كل شجرة لا ساق لها ، فهو يقطين ، وعن بعض هو[3] كل شجرة تهلك من عامها ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ هم قومه الذين هرب عنهم ، والمراد إرساله السابق ، أو إرسال ثانٍ إليهم أو إلى غيرهم ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾: بل يزيدون ، أو يزيدون على تقديركم ، وظنكم كمن يرى قومًا فيقول : هؤلاء مائة أو أكثر ﴿فَآمَنُوا﴾: المرسل إليهم ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾: إلى وقت آجالهم ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ[4]﴾ أي: سل أهل مكة ، وهو سؤال توبيخ عطف على قوله ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقًا﴾ الذي وقع في أول السورة ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض ، ثم أمره ثانيًا باستفتائهم ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ حيث قالوا : إن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ لزم من كفرهم هذا التجسيم ، فإن الولادة للأجسام ، وتفضيل أنفسهم على ربهم ، حيث جعلوا أرفع الجنسين لهم ، واستهانتهم بالملائكة ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: خلقنا إياهم بحضرتهم ، فإن الأنوثة مما تعلم بالمشاهدة ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: بهتانهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ[5]﴾: فإنه محال على الله سبحانه ﴿أَصْطَفَى

---

(١) الأصح أنها الدباء لبرد الظل ونعومة اللمس وعظم الورق ، ولأن الذباب لا يجتمع في ظلها ، وفي قصة يونس هنا جمل محذوفة كما يعلم من سورة الأنبياء /١٢ وجيز.

(٢) هو قول سعيد بن جبير رضي الله عنه /١٢ منه.

(٣) قول ابن عباس رضي الله عنه /١٢ منه.

(٤) لما ذكر قصص الأنبياء ، وأن أممهم كانوا يسارعون إلى متابعة آبائهم في ضلالهم بالشرك وغيره فقلعهم ، وقطع بنيان أكثرهم ؛ لعدم متابعة رسلهم جاء بالفاء عن سؤال أهل مكة كما في قوله في أول السورة: "فاستفتهم أهم أشد خلقًا" الآية /١٢ وجيز.

(٥) فإنه سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد/١٢ وجيز.

﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ استفهام استبعاد ، وأما قراءة كسر الهمزة فعلى حذف همزة الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها ، وقيل بدل من ولد الله ، أو بتقدير القول أي : لكاذبون في قولهم أصطفى **﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** بمثل هذا **﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** إنه سبحانه مقدس عن مثل ذلك **﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾**: حجة واضحة من السماء على ما تقولون **﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾**: الذي أنزل عليكم بهذا **﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾**: بين الله **﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾** قالوا الملائكة بنات الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه : من أمهاتهن ؟! قالوا : سروات الجن أو زعموا عليهم لعائن الله أن الله سبحانه ، وإبليس أخوان ، أو المراد من الجنة[1] الملائكة سُمُّوا جنة ؛ لاجتنانهم عن الأبصار **﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾** أي: الجن يعلمون أن القائلين هذا ، أو أن الجنة لمحضرون في العذاب يعني : الكفار يسوّون الجن بالله ، والجن يعلمون كذبهم ، وعلى قول من فسر الجنة بالملائكة معناه : ولقد علمت الملائكة أن الكافرين القائلين بذلك لمحضرون في العذاب **﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**: من الولد والنسب **﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ[2]﴾** منقطع من المحضرين أي : لكن المخلصون ناجون ، أو متصل من ضمير جعلوا أو يصفون إن فسر بما يعمهم **﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ[3] مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾** أي أنتم وأصنامكم ما أنتم بفاتنين على الأصنام يعني : لا تُغوون، ولا تضلون أنتم أحدًا إلا من هو في علم الله أنه يدخل الجحيم ،

---

(١) الأول قول مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، والثاني لابن عباس حكاه ابن جرير ، والثالث لحسن وغيره هكذا نقله ابن كثير في تفسيره/١٢ منه.

(٢) فإنهم يصفون بصفاته العلى /١٢ وجيز.

(٣) لما ذكر الدلائل على فساد مذهب الكفار أتبعه بما نبه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب ، والوقوع في النار فقال : "فإنكم وما تعبدون" الآية /١٢ كبير.

قيل: ضمير عليه لله ، والخطاب في أنتم لهم ، ولآلهتهم على تغليب المخاطب ، أي : ما أنتم على الله بمفسدين الناس بالإغواء إلا من سبق في علمه شقاوته ، وقيل وما تعبدون سادّ مسد الخبر ككل رجل وضَيْعَتَهُ ، أي : إنكم وآلهتكم قرناء ، ثم ابتدأ فقال : "ما أنتم عليه" إلخ ﴿وَمَا مِنَّا﴾: أحد ﴿إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ، أو في القربة ، والمعرفة ، وهذا حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية ردًّا على عبدهم ، وقيل من قوله : سبحان الله من كلام الملائكة كأنه قال : ولقد علمت الملائكة أن القائلين بذلك معذبون قائلين سبحان الله عما يصفون ، لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفونه ، ثم التفتوا إلى الكفرة ، وجاءوا بالفاء الجزائية أي : إذا صح أنكم مفترون ، والله متره فاعلموا أنكم وآلهتكم لا تقدرون على أن تفتنوا على الله عباده إلا أشقياء مثلكم ، ثم رجعوا من الاحتجاج وأظهروا[1] العبودية واعترفوا بها ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾: في طاعة[2] الله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: الله عما لا يليق به، أو المصلون ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ أي: وإن الشأن كان المشركون ليقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾: كتابًا ﴿مِّنْ الأَوَّلِينَ﴾: من كتبهم ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾

---

(١) وعلى هذا المراد من الجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصارصرح بذلك الحسن البصري ، وغيره كما قاله الشيخ ابن كثير في تفسيره/١٢ وجيز.

(٢) أو نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين ، أو منتظرين لأمر الله /١٢ وجيز ، أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجه ، وابن مردويه عن أبي ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- (إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، إن السماء أطت، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله) [حسن، وكذا أخرجه أحمد والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٢٤٤٩)] وأخرج محمد بن نصر وابن عساكر بمعناه ، وزاد ثم قرأ "وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون" /١٢ در منثور[وسنده حسن فى الشواهد، كما فى الصحيحة (١٠٥٩)].

لأخلصنا العبادة له ، ولم نخالفه كما خالفوا ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ أي: بالذكر لمـــا جـــاءهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[1]﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾: وعدنا بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذه الكلمة هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: في الدارين ، أو في الآخرة، عن ابن عباس : إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾: إلى وقت مؤجل ومدة يسيرة يـأتيك نصرك ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: حينئذ كيف يذلون ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عزك ونصرك ، وسوف للوعد لا للتبعيد ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ روي أنه نزلت[2] حين قالوا عند نزول قولـه فسوف يبصرون: متى يكون هذا؟ ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ أي: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم ﴿فَسَاءَ﴾: بئس ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾: صباحهم ، واللام للجنس ، والمراد من الصباح اليوم أو الوقت الخاص فإن البلايا(*) يطرقن أسحارًا شبهه بجيش أنذر بعض نصاح القوم بهجومه قومه ، فلم يلتفتوا إليه ، وما دبروا تدبيرًا حتى أناخ بغتة بفنائهم ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ وعد إلى وعد ووعيد إلى وعيد ، قيل: الأول عذاب الدنيا ، والثاني عذاب الآخرة ، وفي إطلاق أبصر ويبصرون عن التقييد بالمفعول فائدة ، وهي أنه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من أنواع المسرة وأجناس المساءة ﴿سُبْحَانَ[3] رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ فإن العزة له تعالى يعز من يشاء ﴿عَمَّا

---

(١) ولما هدد الكفار بقوله: "فسوف يعلمون" أردفه بما يقوي قلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال : "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين" الآية/١٢ كبير.

(٢) رواه محيي السنة وغيره /١٢ وجيز.

(*) في النسخة ن الحوادث.

(٣) ولما تقرر لله من العظمة ما ذكر فكان الأمر أمره ثبت تنزهه عن كل نقص ، واتصافه بكل كمال ، فلذلك ذكر نتيجة ذلك الختم بمجامع التنزيه ، والتحميد فقال :"سبحان ربك رب العزة" الآية/١٢ وجيز.

يَصِفُونَ[1]﴾ أي: المشركون ﴿**وَسَلَامٌ**[2] **عَلَى الْمُرْسَلِينَ**[3]﴾ الذين سبقت الكلمة لهم لا عليهم ﴿**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: على ما أنعم ، وهذا تعليم للمؤمنين عن علي -رضي الله عنه- : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر ، فليكن في آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة إلى آخر السورة ، وقد رفع هذا المعنى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بوجهين(*)، وروى الطبراني عنه عليه السلام أنه

---

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس في العقيدة الواسطية في ذكر عقيدة الفرقة الناجية: وهو الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، بل يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفو ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه ، وبغيره وأصدق قيلاً ، وأحسن حديثًا من خلقه ، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليهم ما لا يعلمون ، ولهذا قال : "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" فسبح نفسه عما وصف به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين ؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب/١٢انتهى.

(٢) روى ابن جرير ، وابن أبي حاتم أنه عليه الصلاة والسلام قال : (إذا سلمتم عليَّ فسلموا على المرسلين). وزاد في رواية (فإنما أنا رسول من المرسلين)[ضعيف لإرساله]/١٢ منه.

(٣) الواصفين له بما يليق جلاله /١٢ وجيز.

(*) أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبى مرفوعًا مرسلا، كما فى الدر المنثور (٥٥٤/٥).

قال: (من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة...)إلخ ، ثلاث مرات فقد اكتال بالمكيال الأوفى من الأجر)(*).

والحمد لله على ما هدانا.

(*) ذكره الهيثمى فى "المجمع" (١٠/١٠٢-١٠٣) وقال: "رواه الطبرانى وفيه عبدالمنعم بن بشير وهو ضعيف جدًا.

سُورَةُ ص مَكِّيَّةٌ

وَهِيَ ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ آيَةً وَخَمْسُ رُكُوعَاتٍ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ
أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم
مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ
هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ
هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾
أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟
عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ
مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ
﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا
كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ إن كانت اسمًا للسورة فتقديره: هذه صاد، ومضمون هذه الجملة، هو المقسم عليه بناء على ما يتضمنه من الأنباء عن الإعجاز والاشتهار به كما تقول: هذا حاتم والله أو معناه صدق الله، أو صدق محمد -عليه السلام-، وعلى كل وجه جواب القسم مقدم، وقيل: قسم حذف حرفه، والواو للعطف، والجواب محذوف أى: إنه لمعجز حق **﴿ذِى الذِّكْرِ﴾** أى: ذى الشرف، والشهرة، أو ذى التذكير والعظة **﴿بَلِ**

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾: استكبار عن الحق **﴿وَشِقَاقٍ﴾**: خلاف لله ورسوله، والتنوين فيهما للتعظيم، والإضراب عما يتضمنه الكلام من وجوب الإذعان، كأنه قيل هو معجز والله والكفار لا يقرون، بل يصرون على العناد **﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾** وعيد لهم على عدم الإذعان **﴿فَنَادَوْا﴾** استغاثة وتوبة عند حلول العذاب **﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾**: لا مشبهة بليس، أو للجنس زيدت عليها التاء للمبالغة، كما في ثم وربَّ، وخُصَّتْ بلزوم الأحيان، وحذف أحد المعمولين، أى: ليس الحين حين فرار ونجاة وتأخر أو لا من[1] حين مناص لهم، قال البغوي: لات بمعنى ليس بلغة اليمن **﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾**: رسول بشر من أنفسهم **﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾** أى: فقالوا لكفرهم[2] **﴿هَذَا سَاحِرٌ﴾** لمعجزاته **﴿كَذَّابٌ﴾** لما ينسب إلى الله تعالى **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾** نسب الألوهية التي للآلهة لإله واحد فيقول: لا إله إلا الله **﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ[3]﴾** بليغ في التعجب، نزلت[4] حين اجتمعت سراة قريش عند أبي

---

(١) هذا على أن لا نفى جنسى /١٢ منه.

(٢) إشارة إلى أن وضع الظاهر مقام المضمر للإشعار بأن كفرهم جرهم إلى ذلك/١٢ منه.

(٣) قال الرازى: يعنى أسلافهم مع كثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك. فقالوا: من العجيب أن يكون أولئك الأقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين، وهذا الإنسان الواحد يكون محقًا صادقًا إلى أن قال: فلعمرى لو كان التقليد حقًّا لكانت هذه الشبهة لازمة، وحيث كانت فاسدة علمنا أن القول بالتقليد باطل/١٢ منه.

(٤) ذكر السيوطى معنى هذه القصة مفصلاً فى الدر المنثور، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وأحمد وعبد بن حميد، والترمذى قال: وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، قال: وصححه، وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل/١٢منه.[أخرجه الترمذى (٣٢٨٥-أحوذي) وقال:"حديث حسن صحيح"، وضعفه الشيخ الألباني.]

طالب قائلين: اقض بيننا وبين ابن أخيك بأن يرفض ذكر آلهتنا ونذره وإلهه، فأجاب - عليه من الله أشرف صلاةِ وألطف سلام- بعد ما جاء وأخبره عمه عنهم: (يا عم أفلا أدعوهم إلى كلمة واحدة يدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم) فقال -من بين القوم- أبو جهل: ما هى لنعطينكها وعشر أمثالها، فقال: (قولوا لا إله إلا الله) فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿مِنْهُمْ﴾ من القوم عن محضر أبى طالب قائلين بعضهم لبعض: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾: اثبتوا ﴿عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾: على عبادتها وأن مفسرة ؛ لأن إطلاقهم يدل على القول فإن المنطلقين عن مجالس التقاول يتكلمون حال الانطلاق فى ذلك الأمر الذى كان فيه تقاولهم بحسب جرى العادة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أى: هذا الذى يدعوننا إليه لشيء يريده محمد ويتمناه لكن لا يصل إليه، أو لشيء من ريب الزمان بنا فلا مرد له ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: الذى يقوله ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ملة عيسى، فإن ملة عيسى عند قريش آخر الملل وهم مثلثة، وقيل: فى الملة حال من اسم الإشارة، كأنه قال: ما سمعنا أحدًا من أهل الملل، ولا الكهان يقول بالتوحيد كائنًا فى الملة المترقبة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: كذب اختلقه ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ وليس له علينا مزيد شرف، فكيف يختص بهذا الشرف؟! ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾: من القرآن فى أنه حق أو باطل، وأما قولهم إن هذا إلا اختلاق، وهذا ساحر كذاب، وأمثاله، فلا يتفوهون به إلا عنادًا(١) من غير اعتقاد فى صميم قلوبهم ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾: لم يذوقوا عذابي، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك من العناد والحسد وحين

(١) لما كان هذا مخالفًا لقولهم: "إن هذا إلا اختلاق" لدلالته على جزمهم بأن التوحيد المشتمل عليه القرآن المؤسس عليه أكثر أحكامه كذب وافتراء، وأنه يستلزم الجزم بعدم حقيقة القرآن، فأجاب بأن الجزم حسد لا اعتقاد من صميم القلب ١٢/ منه.

العذاب لم يبق[1] عناد ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: بل أعندهم خزائن رحمته حتى يعطوها من أرادوه، ويصرفوا عمن لم يريدوا، فيتخيروا للنبوة التى هى أعلى رحمة من أرادوا من صناديدهم؟! وإنما رحمته بيده يعطيها من يشاء ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾:إن كان لهم ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: فيصعدوا فى الأسباب التى توصلهم إلى السماء من أبوابها وطرقها من سماء إلى سماء، وليأتوا منها بالوحى إلى من يستصوبون، وهذا تهكم بهم، وأى تهكم ﴿جُندٌ مَّا﴾ أى: هم جند ما من الكفار، وما مزيدة للتقليل ﴿هُنَالِكَ مَهْزُومٌ[2]﴾: مكسور ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾: هنالك ظرف لمهزوم الذى هو صفة جند، وهنالك إشارة إلى بدر، فإنه مصارعهم أو صفة أخرى لجند، وفيه تحقيرهم ﴿كَذَّبَتْ[3] قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذو الملك الثابت، وعن الكلبى له أوتاد يعذب الناس عليها إذا غضب، وعن قتادة وعطاء له أوتاد وأرسان يلعب بها بين يديه ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ مبتدأ وخبر أى: الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم بعضًا منهم هم هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنه وجد منهم التكذيب ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أى: ما كل واحد منهم مخبرًا عنه[4] بخبر إلا

(١) لأن الحسد إنما يكون فى حال رفاهية فحين العذاب يزيل الحسد، فيزيل الشك/١٢ منه.

(٢) والمشار إليه المكان الذى تعارضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة، وهو مكة يوم الفتح/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما حقرهم وصغرهم بين حال من هو أعظم وأجل منهم من الأحزاب المتقدمة، فقال:" كذبت قبلهم قرم نوح" الآية/١٢ وجيز.

(٤) فيه أن الاستثناء مفرغ من أعم العام /١٢ منه.

مخبرًا عنه بأنه كذب جميع الرسل ؛ لأن الرسل يصدق كل منهم الكل، فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل ﴿**فحق عقاب**﴾:فوجب عقابي عليهم.

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل
لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا
ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾
وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ
عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي
لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾
فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ
خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء﴾ أى: أهل مكة ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هى نفخة الفزع ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: من رجوع[1] أى: نفخة واحدة لا تُثنَّى ولا تردَّد أو ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين الحلبتين[2] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا[3]﴾: نصيبنا من العذاب الذى يعد من يدعى النبوة، أو كتابنا الذى فيه أعمالنا ننظر فيه، أو نصيبنا من الجنة التى بعدها ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء، فإنهم غير مؤمنين بالجنة ولا بالنار ولا بيوم الحساب ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: من السخرية ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ أى: اصبر واذكر قصته كيف لقى من توبيخ الله تعالى بسبب زلة يسيرة، فصن نفسك عن أن تزل فيما أمرتك من تحمل أذاهم، وقيل معناه: اصبر وعظم أمر معصية الله تعالى فى أعينهم بذكر قصة داود ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: ذا القوة فى الطاعة ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجاع إلى الله تعالى فى أموره وشئونه ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ أى مسبحات معه ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقت الإشراق حين تشرق الشمس وهو وقت الضحى ﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على الجبال ﴿مَحْشُورَةً﴾: مجتمعة محبوسة إليه من كل جانب ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾: مطيع أو رجاع إلى التسبيح كلما رجع داود إلى التسبيح، فهذه الأشياء كانت ترجع إلى تسبيحها ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: قويناه[4] بالهيبة وكثرة الجنود ﴿وَآتَيْنَاهُ

---

(١) من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة يعنى: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان/ ١٢ منه.

(٢) أى بين حلبتى الحالب، ورضعتى الراضع /١٢ وجيز.

(٣) القط: القسط من الشيء /١٢ منه.

(٤) قيل: كان يبيت حول محرابه أربعون ألف حارس مسلح يحرسونه، وعن بعض أنه كان يحرسه فى كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا، لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها فى ذلك العام/١٢ منه.

﴿الْحِكْمَةَ[1]﴾: الفهم والعقل والإصابة فى الأمور أو النبوة ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: الفاصل من الخطاب بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ الخصم فى الأصل مصدر، فلذلك أطلق على غير واحد، والمراد من هذا الاستفهام التشويق[2] إلى استماعه ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا[3] الْمِحْرَابَ﴾: تصعدوا سور الغرفة ونزلوا إليه، وإذ ظرف للنبأ[4] على حذف مضاف أى: قصة نبأ الخصم، أو متعلق بمحذوف أى: نبأ تحاكم الخصم، أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ بدل من إذ تسوروا، أو ظرف لتسوروا ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ إذ دخلوا بغير إذن فى غير وقت دخول الخصوم، فإن له يومًا معينًا للقضاء ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ أى: نحن خصمان، والتحاكم بين ملكين تصورا فى صورة خصمين من بنى آدم، والظاهر أن معهما غيرهما[5] فمعناه: نحن فوجان متخاصمان[6] ﴿بَغَى﴾: ظلم ﴿بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ وهذا

---

(١) الحكمة هى فى التحقيق: العلم بالأشياء والعمل بالأمور كما ينبغى /١٢ منه.

(٢) والدلالة على أنها من العجائب التى فيها يصل إلى كل واحد فهل وصل إليك؟ وإن لم يصل فاستمع/١٢ منه.

(٣) عن ابن عباس كان جزَّأَ أيامه أربعة ؛ يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء، ويومًا للاشتغال بخواص أمره، ويومًا يعظ بنى إسرائيل ويبكيهم، فجاء ملكان فى صورة رجلين فى غير يوم القضاء، فمنعهما الحرس، فتسورا عليه المسجد فلم يشعر إلا وهما بين يديه ففزع عنهم إذ نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب، والحرس حوله فخاف أن يؤذوه/١٢ وجيز.

(٤) فى قوله: وهل أتاك نبأ/١٢ منه.

(٥) لقوله: إذ دخلوا، ومنهم، وقالوا/١٢ منه.

(٦) جعل رفيق الخصم ومصاحبه خصمًا أيضًا/١٢ منه.

تمثيل منهم، وتعريض بحال داود، وما صدر عنه، وتصوير للمسألة[1]، وفرض لها **﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾**: لا تجر فى الحكومة **﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾**: إلى وسطه وهو العدل **﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾**: فى الصداقة **﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾** هى الأنثى من الضأن كناية عن المرأة **﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾**: ملكنيها واجعلنى أكفلها **﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾**: غلبنى: فى مخاطبته إياي، لأنه أقدر على النطق فقهرنى **﴿قَالَ﴾**: داود لما اعترف الخصم الآخر: **﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾** فى السؤال تضمين[2] كأنه قال: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه الطلب، وقصته أن عين داود وقعت على امرأة رجل فأعجبها، فسأله الترول عنها، فذنبه مجرد أنه التمس الترول عن امرأته[*]، وعن بعضهم ذنبه أن زوجها قتل فى بعض الغزوات، فلم يغتم داود اغتمامه بالشهداء، فتزوج[3] امرأته، وما يذكره القصاص ليس له أصل يعتمد عليه، بل منقول عن على -رضى الله عنه- أنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين[**] **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ**

---

(١) كما تقول: لى أربعون شاة، ولك أربعون، فخلطناها، فحال عليها الحول، كم يجب فيها، وليس لكما من الأربعين أربعة، ولا ربعه/١٢ منه.

(٢) لتعديته إلى مفعول آخر مالى يعنى فيه تضمين معنى الإضافة/١٢ منه.

(*) "موضوع" ورد معناه مرفوعا، وهذا لا يليق بحال النبوة لمكان العصمة، وانظر السلسلة الضعيفة . وقد نبه العلامة أبو شهبة على كذب هذه الروايات وبطلانها فى كتابه "الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير"، (ص٢٦٤-٢٦٨).

(٣) هكذا نقله محيى السنة عن ابن مسعود رضى الله عنه / ١٢منه.["باطل" أخرجه بنحوه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول مرفوعا، وانظر الضعيفة].

(**) وإن صحت نسبة هذا الكلام إلى على بن أبى طالب فمن وجهين: الأول، أنه افتراء وبهتان، والثانى: أنه فى حق نبـي، ومن ذلك حكم عليه بأن يجلد مائة وستين جلدة.

﴿الْخُلَطَاءِ﴾: الشركاء ﴿لَيَبْغِي﴾ يظلم ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ما مزيدة للإبهام، وفيه تعجب[1] من قلتهم ﴿وَظَنَّ﴾ أى: علم ﴿دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ابتليناه ذكر أنه لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه، فضحك فصعدا إلى السماء، فعلم أنه تمثيل بحاله ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾: من ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ سمى السجود ركوعًا ؛ لأنه مبدأه، أو معناه خر للسجود حال كونه راكعًا أى: مصليًا ﴿وَأَنَابَ﴾ رجع إلى الله[2] تعالى بالتوبة، وذُكِرَ أنه استمر ساجدًا أربعين[*] يومًا ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى﴾: لقربة ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: مرجع ومنقلب ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾: استخلفناك على الملك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أو خليفة ممن قبلك من الأنبياء ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: الذى هو حكم الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ هوى النفس فى قضائك ﴿فَيُضِلَّكَ﴾: اتباع الهوى ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه المستقيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: بسبب نسيانهم يوم القيامة فلم يعملوا له، وقيل ظرف متعلق بلهم، ومفعول نسوا متروك.

---

(١) مستفاد من المقام وسوق الكلام، وفى تنكير قليل وإفراده موقع الجمع لكونه خبرهم، واقترانه بما الإبهامية من المبالغة فى القلة ما لا يخفى /١٢ منه.

(٢) فى البحر: ظاهر القرآن أنهم دخلوا عليه من غير المدخل فى غير وقت حكومته، ففزع منهم ظانًّا أنهم يغتالونه فلما اتضح له أنهم جاءوا لحكومة عرف خطأ ظنه، فاستغفر من ذلك الظن، وخرّ ساجدًا والله غفر له ذلك الظن وعلم أن الحافظ هو الله لا الحراس، و لم يتقدم سوى قوله: "وظن داود أنما فتناه" وأما ابتلاؤه بغير ذلك فلا نؤمن بصحته، والله أعلم /١٢.

(*) وقال: "ذُكر أنه" بالبناء للمجهول من باب تضعيف الرواية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ
إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ
سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾
فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا
عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا
يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى
بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ
لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السماء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾: خلقًا[1] باطلاً، بل لأمر صحيح، وحكمة بالغة أو للباطل[2] والعبث الذى هو متابعة الهوى **﴿ذَلِكَ﴾** أى: خلقنا إياهن باطلاً **﴿ظَنُّ﴾** أى: مظنون **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾** أم فى الموضعين منقطعة، والهمزة لإنكار التسوية فإنها من

---

(١) فيكون صفة لمصدر محذوف /١٢ منه.

(٢) يعنى منصوب بأنه مفعول له بالتجوز به عن العبث/١٢ وجيز.

لوازم[1] خلقهما باطلاً ، والإنكار الثانى غير الأول باعتبار الوصف، أو باعتبار الذات، أى: بين المتقين من المؤمنين، والفجار منهم وفى الآية إرشاد إلى المعاد، فإنه ربما يكون المفسد والفاجر أحسن حالاً فى الدنيا فلابد من دارٍ أخرى ﴿كِتَابٌ[2] أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يعنى: القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾: يتفكروا فيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: يتعظ به ﴿أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول السليمة الظاهر أن ضمير يدبروا لأولى الألباب على التنازع وإعمال الثانى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجاع إليه بالتوبة، وهو تعليل للمدح ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ ظرف لأواب، أو لنعم ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: بعد الظهر ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ الصافن من الخيل: القائم على ثلاثة قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وهذه صفة محمودة فى الخيل ﴿الْجِيَادُ﴾ جمع جواد وهو المسرع فى سيره ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ أى: آثرت حب الخيل بدلاً عن ذكر ربي، أو يكون عن متعلقًا بأحببت لتضمين معنى أَنَبْتُ، والخير: المال، وأراد به هاهنا الخيل ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أى الشمس، ومرور ذكر العشى دال على الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أى حتى غربت[3] ﴿رُدُّوهَا﴾ أى: الصافنات ﴿عَلَى فَطَفِقَ﴾: جعل يمسح السيف ﴿مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ أى: بسوقها وأعناقها، والسوق جمع ساق أى: يقطعهما ؛ لأنها شغلته عن ذكر الله تعالى يقال: مسح علاوته، إذا ضرب

---

(١) لأنه إذا لم يكن خلقهما باطلا يكون الحساب والثواب والجزاء والعقاب مقررًا فلا يستوى المؤمن والكافر والمتقى والفاجر /١٢ منه.

(٢) ولما نفى التسوية بينهما بين ما يصلح به، ويحصل لمتبعيه السعادة الأبدية وهو كتاب الله، فقال: "كتاب أنزلناه إليك" الآية/١٢ وجيز.

(٣) وفى البحر: الظاهر أن الضمير فى توارت عائد إلى الصافنات، أى: دخلت اصطبلها فهى الحجاب وقيل: حتى توارت فى المسابقة بما يحجبها عن النظر/١٢ وجيز.

عنقه ذكر أن له عشرين فرسًا، أو عشرين ألف فرس ذات أجنحة تعرض عليه للجهاد، فنسى صلاة العصر حتى غربت الشمس، كما وقع على نبينا عليهما الصلاة والسلام يوم الخندق ؛ فاغتم لذلك فطلبها فعقرها غضبًا لله تعالى، وكان ذلك مباحًا له، وقيل: ذبحها وتصدق بها، والذبح على ذلك الوجه مباح فى شريعته، فعوضه الله تعالى بما هو خير منه، وهو الريح التى تجرى بأمره، وعن بعضهم كوى سوقها، وأعناقها بكي الصدقة، وحبسها فى سبيل الله تعالى، وعن بعضهم يمسحها بيده لكشف[1] الغبار حبًّا لها، وهو قول ضعيف بعيد عن مقتضى المقام ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿سُلَيْمَانَ﴾ بأن سلبنا الملك منه أربعين يومًا، وقيل أكثر ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾: وسلطنا على ملكه ﴿جَسَدًا﴾: شيطانًا[2] ﴿ثُمَّ أَنَابَ[3]﴾ رجع إلى ملكه أو تاب، ثم اعلم أنه لم يصح حديث فى تفصيل تلك القصة، وما نقل عن السلف، فالظاهر أنه من الإسرائيليات التى

---

(١) روى عن ابن عباس -رضى الله عنهما-، والزهري، واختاره ابن جرير قال: إنه لم يكن ليعذب حيوانًا ويهلك مالاً من ماله بلا ذنب منها، ولا شك فى بعد هذا القول، والله أعلم/١٢ منه.

(٢) كذا قاله ابن عباس -رضى الله عنهما-، وجم غفير من السلف/١٢ منه.

(٣) رجع إلى الله، فأزلنا عن ملكه الشيطان، والمفسرون ذكروا أشياء فى ابتلائه لا يصح نقلها، وأقرب ما قيل فيه أن فتنته كونه لم يستثن فى قوله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله تعالى، فطاف ولم تحمل إلا واحدة، فجاءت بشق رجل، وفى الحديث (والذى نفسى بيده، لو قال: إن شاء الله ؛ لجاهدوا فى سبيل الله فرسانًا أجمعون)[أخرجاه فى الصحيحين وهو الصحيح المتعين فى تفسير الفتنة] وأما قول كثير من السلف: فهو أنه سلط الله شيطانًا يخيل أنه سليمان، وجلس مقامه، وتصرف فى ملكه حتى مضى أيام ابتلاءه/ ١٢ وجيز.

لا نصدقها، ولا نكذبها(*)، والمنقول عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يتسلط على نسائه، بل عصمهن منه تشريفًا له -عليه الصلاة والسلام-، وأما سبب ابتلائه، فقيل: لأنه أحب امرأة مات أبوها، وهى تجزع أشد جزع، فأمر سليمان عليه السلام الشياطين، فصوروا لها تمثال أبيها تسكينًا لها، فهى مع ذلك التمثال كعابدة صنم، فعوتب سليمان على ذلك، وسلط الله تعالى شيطانًا سرق منه خاتمه الذى فيه ملكه وسلطانه، وجلس مقامه يخيل أنه سليمان حتى مضى أيام ابتلائه(**)، وقيل فيه غير ذلك، والله تعالى أعلم **﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾**: ذنبى **﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾** كان معجزة زمانه الملك، فسأل من الله تعالى معجزة خاصة، لا يكون له فيها شريك إلى يوم القيامة، والظاهر أنه سأل أعلى المراتب، ولذلك قال: **﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾** أى: هب لى ملكًا أنا حقيق به وحدي، وما قال[1]

(*) بل نكذبها، لكونها لم تأت من وجه يعتبر، وقد قال أبو شهبة فى هذه القصة وأضرابها: نحن لا نشك فى أن هذه الخرافات من أكاذيب بنى إسرائيل وأباطيلهم. وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك الإمام القاضى عياض فى "الشفا": لا يصلح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه؛ لأن الشيطان لا يسلط على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله" وكذلك الإمام الحافظ الناقد ابن كثير فى تفسيره. (الإسرائيليات والموضوعات ص٢٧٢).

(**) هذه أيضا من جملة القصص التى نبهنا على كذبها.

(١) قال النسفى فى المدارك: وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان فمن أباطيل اليهود انتهى.

وقال الخازن: قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه، وإن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا انتهى.

=

لم تعط أحدًا غيري[1]، وعن بعض[2] السلف معناه: ملكًا لا تسلبنيه بعد ذلك وتعطيه غيرى كما سلبته مني، وأعطيته شيطانًا، والتفسير الأول هو الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة، فهو الصحيح ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾: وهو من جملة ما وهبنا له خاصة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾: لينة لا تُزعزِعُ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أراد وقصد سليمان ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ عطف على الريح ﴿كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ﴾ بدل منه أشغل[3] بعضهم فى المحاريب، والتماثيل وجفانٍ كالجواب، وبعضهم فى استخراج اللآلئ من البحر ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطف على كل، كأنه جعل الشياطين قسمين عَمَلة ومَردة ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: قرن بعضهم مع بعض ﴿فِى الْأَصْفَادِ﴾: فى السلاسل ﴿هَذَا﴾: التسليط ﴿عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: فأَعْطِ ما شئتَ لمن شئتَ ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أو احرم من شئتَ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من غير حرج عليك فى الإعطاء والإمساك فهو حال من فاعل الأمر، وقيل

= وذكر السيوطى حديث الخاتم فى الدر المنثور وقال: أخرجه النسائى وابن جرير، وابن أبى حاتم بسند قوى عن ابن عباس، وقال: أخرجه الفريابى والحكيم الترمذي، والحاكم وصححه عن ابن عباس -رضى الله عنهما. وفى الكمالين قال ابن كثير: إن هذا كله من الإسرائيليات التى لا نصدقها ولا نكذبها قال ابن حجر: كما نقله الخفاجى عنه: إن هذه القصة رواها النسائى وغيره بإسناد قوي، ثم إن تفسير الجسد بالشيطان رواه ابن عباس -رضى الله عنهما- ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والله أعلم /١٢.

هذا جواب عما يتوهم فيه كما توهم الحجاج حين قيل له: إنك حسود قال: أحسد منى من قال: وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدي، وهذا من شيطنته التى لا يبعد أن يكفر بها /١٢ منه.

(١) حتى يكون فيه نوع حسد/١٢ منه.

(٢) هو عطاء بن أبى رباح وغيره/١٢ منه.

(٣) أى سليمان عليه السلام/١٢.

صلة للعطاء أى إنه عطاء غير متناهٍ، وعن عطاء معناه: امنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك فى وثاقك من شئت منهم، لا تَبِعَةَ عليك ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى**﴾: لقربة ورتبة فى الآخرة ﴿**وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ هو الجنة.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ
(٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم
مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ
وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٤٤) وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٧) وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ
وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٨) هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩)
جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ
وَشَرَابٍ (٥١) ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ
مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ
(٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ
صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ
(٦٠) قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ (٦١) وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا
نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ
ٱلْأَبْصَـٰرُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ (٦٤) ﴾

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ عطف بيان لعبدنا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من عبدنا ﴿أَنِّي﴾ أى: بأنى ﴿مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾: بتعب ﴿وَعَذَابٍ﴾: ألم، ابتلاه الله تعالى بجسده وماله وولده حتى لم يبق فيه مغرز إبرة سليمًا سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به غير أن زوجته تخدم الناس بالأجر، وتطعمه نحوًا من ثمانى عشرة سنة، ورفضه القريب والبعيد حتى آل به الحال أن ألقى على مزبلة من البلدة هذه المدة، فلما طال واشتد الحال، تضرع إلى ربه تعالى(*)، فقال: "مسنى الشيطان" إلخ، فهذه حكاية لكلامه، وأسند إلى الشيْطان ؛ لأنه سببه[1] ﴿ارْكُضْ﴾: اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾: الأرض وهذا حكاية لما أجيب به ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أى فضربها فنبعت عين قيل له هذا مغتسل، أى: اغتسل، واشرب منه تزول منك داءك ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم

(*) لا يصح هذا قال أبو شهبة: والذى يجب أن نعتقده أنه ابتلى، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من أنه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقى على كناسة بنى إسرائيل يرعى فى جسده الدود، وتعبث به دواب بنى إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض ينفر الجدري، وأيوب -عليه السلام- أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأى فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التى لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله؟ والأنبياء إنما يبعثون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه وتطعمه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيرتها فى سبيل إطعامه!! بل أين كان أتباعه، والمؤمنون منه، فهل تخلوا عنه فى بلائه؟! وكيف والإيمان ينافى ذلك؟! (الإسرائيليات والموضوعات ص٢٨٠). وانظر فتح البارى لابن حجر (٦/٤٨٥) وقد أورد أصح ما ورد فى بلاء أيوب عليه السلام.

(١) فإنه إنما ابتلاه الله بما فعل بوسوسة الشيطان، كما قيل: إنه استغاثه مظلوم فلم يغثه، أو أكل شاة وجاره جائع إلى جنبه، أو أُعجب بكثرة ماله/١٢ كمالين.[لم يصح فى ذلك شيء.]

﴿مَّعَهُمْ رَحْمَةً﴾ أى: الرحمة ﴿مِّنَّا﴾: عليه ﴿وَذِكْرَى﴾: تذكـــرة ﴿لِـأُوْلِى الأَلْبَـابِ﴾ ليصبروا، وينتظروا الفرج، وقد مرَّ فى سورة الأنبياء شرحه ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ حزمـة صغيرة من الحشيش[1] ﴿فَاضْرِب بِّهِ﴾ أى: امرأتك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ روى أنهـا قطعـت ذُوَيْبَتَها[*]، وباعت بخبز، فأطعمته فلامها على ذلك، وحلف لئـن شـفاه الله تعـالى ليضربنها مائة ضربة، وقيل بغير ذلك من الأسباب ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْـدُ﴾: أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مقبل بكليته على الله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْـحَقَ

---

(١) كان حلف عليه السلام ليضربن امرأته مائة ضربة بسبب ذنب عنده جرى منها، وهـى محسنة، فجعل الله له خلاصًا من يمينه بقوله:" وخذ" الآية /١٢ وجيز.
وفى الخازن: وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فشكر الله حسن صبرهـا معه، فأفتاه فى ضربها وسهل له الأمر، وأمره بأن يأخذ ضغثًا يشتمل على مائـة عـود صغار ؛ فيضربها ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه، وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا، فيه قولان: أحدهما أنه عام، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح. والثانى: أنه خاص بأيوب –عليه الصلاة والسلام–. قاله مجاهد، واختلف الفقهاء فى من حلف أن يضـرب عبده مائة سوط فجمعها، وضربه بها ضربة واحدة، فقال مَالِكُ والليث بن سعد وأحمد: لا يبر. وقال أبو حنيفة، والشافعى: إذا ضربه ضربة واحدة فأصاب كل سوط علـى حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية انتهى.
وفى الفتح: أخرج أحمد، والطبرانى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: حملت وليـدة فى بنى ساعدة من زنا، فقيل لها: ممن حملك قالت: من فلان المقعد، فسئل المقعد. فقال: صدقت. فرفع ذلك إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. فقال: خذوا عثكولاً فيـه مائة شمراخ، فاضربوه ضربة واحدة، وله طرق أخرى/١٢.[صحيح، وأخرجه أيضا ابن ماجه عن سعيد بن سعد بن عبادة مرفوعا، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (٢٠٨٧)]
(*) فى النسخة (ن): ذوائبها.

﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من قرأ عبدنا يكون وإسحاق، ويعقوب عطفًا على عبدنا ﴿أُولِي الأَيْدِي﴾: ذوى القوة فى العبادة ﴿وَالأَبْصَارِ[1]﴾: فى معرفة الله تعالى ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم﴾: جعلنهم خالصين لنا ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ بسبب خصلة خالصة ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ أى: ليس فى قلوبهم همٌّ سوى الآخرة، لا يشوب همَّ الدنيا، وهو بدل من خالصة على قصد التفسير والبيان، أو تقديره هى ذكرى الدار، وقراءة إضافة خالصة تكون بيانية، وأما إضافة ذكرى فإضافة المصدر إلى مفعوله، وقيل: باء خالصة صلة لأخلصناهم بمعنى: وفقناهم لاكتسابها ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيْرٍ[2] أو خيِّرٍ ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ﴾ أى: كلهم ﴿مِّنَ الأَخْيَارِ﴾ وقد مر قصصهم فى سورة الأنبياء ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أى: هذا الذى مر شرف لهم، أو هذا نوع من الذكر أى: من القرآن، ثم شرع فى نوع آخر من الكلام، وهو بيان ما أُعد لأمثالهم ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾: مرجع ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ عطف بيان ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال من فاعل الظرف ﴿لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾ مرفوع بأنه معمول مفتحة، وحرف التعريف عوض عن الضمير، أو تقديره الأبواب منها ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ حال من ضمير لهم ﴿يَدْعُونَ﴾ إما حال أو استئناف ﴿فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ من غير أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ[3]﴾: مساويات فى السن ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أى:

---

(١) وللإنسان قوتان عالمية، وعاملية، وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى، وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته، فعبر عن هاتين القوتين بالأيدى والأبصار/١٢.

(٢) كأموات فى جمع مَيْتٍ أو ميِّتٍ /١٢ وجيز.

(٣) فإن الألفة والتحابب بين الأقران أشد، قيل: هن أتراب لأزواجهن سنهم وسنهن واحد/١٢ وجيز.

لأجله، فإن الحساب سبب الوصول إلى الجزاء ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا﴾: الذى رزقناهم ﴿مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾: انقطاع ﴿هَذَا﴾ أى: هذا كما ذكر أو الأمر هذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لشر مآب ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أى حال كونهم يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: جهنم، شبه ما تحتهم من النار بمهاد يفترشه النائم ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾: انتهى حره ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ انتهى برده، أو هو عين تسيل من صديد أهل النار، وحميم خبر هذا وما بينهما اعتراض نحو: زيد -فافهم- رجل صالح، أو تقديره العذاب هذا، وفليذوقوه مترتب على تلك الجملة بمنزلة الجزاء لشرط محذوف، وحميم خبر محذوف أى: هو جهنم أو هذا منصوب بمضمر تفسيره ما بعده على طريقة ربك فكبر ﴿وَآخَرُ﴾ أى: عذاب آخر ﴿مِن شَكْلِهِ﴾ أى: من شكل ما ذكر من العذاب فى الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾: أصناف يحتمل أن تكون صفة لآخر بتأويل كونه ضروبًا، وآخر إما عطف على حميم، أو تقديره: ولهم آخر ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ كلام خزنة النار للقادة حين يدخل بعدهم الأتباع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾: داخل فى النار ﴿مَّعَكُمْ﴾ ظرف لمقتحم، أو حال، والمعية تفيد المقارنة فى الحكم لا فى الزمان، فقالت القادة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: بالأتباع، والرحب السعة أى: ضاقت عليهم الأرض ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ لأنهم داخلوها، وقيل: هذا حكاية لكلام بعض الطاغين مع بعض ﴿قَالُوا﴾: الأتباع للقادة ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا[1] بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أى: العذاب ﴿لَنَا﴾: بإغوائكم إيانا ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أى: المقر جهنم ﴿قَالُوا﴾: الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مضاعفًا أى: ذا ضعف

---

(١) دعوا عليهم ؛ لأن الرئيس إذا رأى الخسيس قد قرن معه ساءه ذلك، والرحب والسعة أى ضاقت عليهم الأرض يعنى أن لا مرحبًا ابتداء كلام هو دعاء على التابعين من المتبوعين، وباء بهم كلام هيت لك، يعنى: هذا الدعاء لاحق بك، فهو بيان للمدعو عليه/١٢ وجيز.

﴿فِى النَّارِ وَقَالُوا﴾ أى: الطاغون ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾: فى الدنيا ﴿مِّنَ الأَشْرَارِ﴾ وهم فقراء المسلمين ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ إما بكسر همزة اتخذنا، فصفة أخرى لـ(رجالاً) أو تقديره: أتخذناهم بحذف همزة الاستفهام، وإما بفتح همزته فيكون استفهامًا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ وحاصله أن (أم) معادلة الهمزة أى: أى الأمرين واقع أئنا اتخذناهم سخريًا، وهم فى نفس الأمر معظمون أحقاء بالتعظيم، فلم يدخلوا النار أم هم أحقاء بما فعلنا بهم، ودخلوا النار، لكن زاغت أبصارنا عنهم فلا نراهم، أو قوله: "أم زاغت عنهم الأبصار" كناية عن تحقيرهم، أى: فعلنا بهم الاستسخار منهم، أم تحقيرهم فى الدنيا على معنى إنكار الأمرين على أنفسهم، ولذلك قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا، أو الهمزة لإنكار سخريتهم، وأم بمعنى بل، ففيه تسلية لأنفسهم بما لم يكن يعنى هم فى النار، لكن نحن لا نراهم أو معناه: بل زاغت أبصارنا، وكلت أفهامنا حتى خفى عنا مكانهم، وإنهم على الحق المبين، أو معادلة لما لنا أن جعلنا اتخذناهم صفة أى: ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ما ذكرنا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾: واقع بلا مرية ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أى: هو تخاصم، أو خبر بعد خبر.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ

ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ
فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ
ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾
إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾: للمشركين **﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾**: أنذركم عقاب الله تعالى **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾**: الذى لا يقبل الشركة عطف على إنما أنا منذر **﴿الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾**: الغالب **﴿الْغَفَّارُ﴾**: لمن أراد **﴿قُلْ هُوَ﴾** أى: القرآن، أو ما أنبأتكم به من رسالتى وتوحيد الله تعالى **﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾** وعن بعض المراد من النبأ آدم **﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**: مبيّنٌ لنبأ العظيم، أو حجة لنبوته، وإذ متعلق بعلم **﴿إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾** أى: لم يوح إلى إلا لأنى منذر مبين، كما تقول: فوضت الأمر إليك، لأنك عالم مبين، فما بعد إلا منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور قائم مقام الفاعل أو معناه لم يوح إلى إلا أن أُنذر وأُبين و لم أؤمر إلا بالإنذار والتبليغ فعلى هذا ما بعد إلا قائم مقام الفاعل **﴿إِذْ قَالَ[1] رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾** بدل من إذ يختصمون مبيِّنٌ له، والمقاولة بين

(١) ولما كان قريش للحسد والكبر خالفوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكر حال إبليس، حيث خالف أمر الله لحسده وكبره، وما آل إليه أمره من اللعنة الأبدية ؛ ليرذع من فيه شيء من ذلك، فقال:" إذ قال ربك" الآية /١٢ وجيز.

الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى، ومقاولة[1] الله بلسان ملك فى شأن الاستخلاف مع الكل ومع إبليس فى شأن السجود ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ[2] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدلت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: فأحييته ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾: خرّوا له ﴿سَاجِدِينَ﴾: تعظيمًا له وتكرمة ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ﴾ أى: فى علم الله أو صار ﴿مِنْ الْكَافِرِينَ﴾: بالاستكبار والاستنكار ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ[3] بِيَدَيَّ﴾ أوجدته بنفسى من غير واسطة ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أى المانع مجرد التكبر أو إنك أعلى وأعظم، فلا يستحق سجودك، وقيل: أستكبرت بنفسك، فأبيت السجود أم كنت من القوم المتكبرين فتكبرت؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أجاب باختيار الشق الثانى على التوجيه الأول ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾: لطيف ﴿وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ[4]﴾: كثيف ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من الجنة أو السماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾: أمهلنى ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ

---

(١) هذا جواب لما يقال يلزم أن يكون الرب تعالى من ملأ الأعلى ؛ لأن للمقاومة بينه سبحانه، وبين إبليس، فأجاب والمقاولة إلخ/ ١٢ منه.

(٢) فى آل عمران: "من تراب"[٣] وفى الحجر من صلصال من حمأ مسنون[٢٦، ٢٨، ٣٣]، التراب المادة البعيدة، ثم ما يليه، وهو الطين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم المادة الآخرة وهو الصلصال /١٢ وجيز.

أجمع السلف على أن اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع، وأبطلوا حمل اليدين بصيغة التثنية على القدرة /١٢ وجيز.

(٣) قال الرازى: وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه فى التخويف والترهيب /١٢.

(٤) لا يستحق أن يكون أعظم مني، بل أنا حقيق بأن يعظمني /١٢ منه.

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾: سلطانك ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ وقد مر مرارًا الكلام على مثل هذه الآية فى سورة البقرة، والأعراف وغيرهما ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ أى: ولا أقول إلا الحق[1] ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: من بنى آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ الحق الأول قرئ بالنصب بحذف حرف القسم أى: فبالحق، وبالرفع أى: فالحق قسمى فهو مقسم به على الوجهين، وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض، أو تقديره على النصب، فأحق الحق، أو ألزم الحق، وعلى الرفع فالحق مني، أو أنا الحق ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعْلٍ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فى نظم القرآن، فإنه من عند الله تعالى لا من تلقاء نفسى حتى أتكلف فى نظمه ﴿إِنْ هُوَ إِلاَ ذِكْرٌ﴾: عظة من الله تعالى ﴿لِّلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾: من حقية القرآن وصدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ[2]﴾ عند الموت أو بعده، أو عند ظهور الإسلام.

---

(١) الحصر مستفاد من تقديم مفعول أقول /١٢ منه.

(٢) كان الحسن يقول: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين/١٢وجيز.

سورة الزمر مكية

إلا قوله: " قل يا عبادى " الآية

وهى خمس أو اثنتان وسبعون آية وثمانى ركوعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ
ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ
سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ
ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى
بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ
عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ

إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

﴿تَنزِيلُ الكِتَابِ﴾، أى: هذا تنزيل الكتاب، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، ظرف للتنزيل، أو خبر ثان، أو حال، أوتنزيل الكتاب مبتدأ، ومن الله خبره، ﴿العَزِيزِ الحَكِيمِ [1] إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ

---

(١) قوله تعالى: " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " قال شيخ الإسلام أبو العباس رحمه الله: ومن هى لابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عينًا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: " وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعًا منه "(الجاثية:١٣)، وقوله فى المسيح: " روح منه "(النساء:١٧١)، وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله: " وما بكم من نعمة فمن الله "(النحل:٥٣) وأما إذا كان المجرور بها صفة، ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله: " ولكن حق القول منى "(السجدة:١٣) وكذلك قد أخبر فى غير موضع من القرآن أنه نزل منه وأنه نزل به جبريل منه، قال تعالى: " أفغير الله أبتغى حكمًا وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق "(الأنعام:١١٤)، وقال تعالى: " قل نزله روح القدس من ربك بالحق "(النحل:١٠٢) وكذلك سائر آيات القرآن كقوله: " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم "(الزمر:١، الجاثية:٢، الأحقاف:٢)، وقوله: " حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم "(غافر:٢،١)، وقوله: " حم تنزيل من الرحمن الرحيم "(فصلت:٢،١)، وقوله: " الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين "(السجدة:٢،١)، وقوله: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك "(المائدة:٦٧)، فقد بين فى غير موضع أنه منـــزل=

الكِتَابَ بِالْحَقِّ[(١)]، أى: متلبسًا به، **﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾**، من الشرك الجلى، والخفى، **﴿أَلاَ لِلَّه الدِّينُ الخَالِصُ﴾**: هو الذى يختص بالطاعة الخالصة ويستحقها، **﴿وَالَّذِينَ**[(٢)] **اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾**: وهم الكفرة، **﴿مَا**

= من الله، فمن قال إنه مترل من بعض المخلوقات كاللوح، والهواء فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزله منه، وما نزله من بعض المخلوقات كالمطر بأنه قال: " أنزل من السماء ماء "(الأنعام:٩٩، الرعد:١٧، النحل:٦٥،١٠، الحج:٦٣، فاطر:٣٥، الزمر:٢١) فذكر المطر فى غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء، والقرآن أخبر أنه مترل منه، وأخبر بتتريل مطلق فى مثل قوله: " وأنزلنا الحديد "(الحديد:٢٥) لأن الحديد يترل من رءوس الجبال لا يترل من السماء، وكذلك إنزال الحيوان فإن الذكر يترل الماء فى الإناث، فلم يقل فيه من السماء إلى آخر ما فصل وبين/١٢.

(١) قيل: بسبب إثبات الحق وإظهاره / ١٢.

(٢) قال الحافظ عماد الدين بن كثير -رحمه الله- فى تفسيره عند قوله تعالى: " والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " أى: إنما يحملهم على عبادتهم هم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم، فعبدوا تلك الصور تتريلاً لذلك مترلة عبادة الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله تعالى، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، قال قتادة والسدى: " إلا ليقربونا إلى الله زلفى " أى: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده مترله ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر، وحديثه، وجاءهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه، ولا رضى به، بل أبغضه، ونـــهى عنه كما قال تعالى: " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله=

نَعْبُدُهُمْ[(١)]﴾، أى: قائلون مانعبد أولياء، وهم غير الله تعالى، كالملائكة، والأصنام، ﴿**إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾، اسم أقيم مقام المصدر، أى: تقريبًا، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**[(٢)]﴾، أى: بين الذين اتخذوا، وبين مقابليهم، وهم الموحدون، وهو استئناف، ﴿**فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾: من أمر الدين، وجاز أن يكون خبر "والذين" "إن الله يحكم بينهم"، وقوله: " مانعبدهم " بتقدير: قائلين، حال من فاعل اتخذوا، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾: لا يرشد إلى الهداية من قصد الافتراء على الله

= واجتنبوا الطاغوت "(النحل:٣٦)، وقال: " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "(الأنبياء:٢٥) وأخبر أن الملائكة التى فى السماوات كلهم عبيد، خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم، " فلا تضربوا لله الأمثال "(النحل:٧٤) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا انتهى كلامه / ١٢.

(١) قد جزم الرازى بأن الضمير فى "ما نعبدهم"، عائد إلى العقلاء، الذين عُبِدُوا من دون الله، كالمسيح وعزير والملائكة، واستبعد عوده إلى الأصنام، ثم قال: ويمكن أن يقال: إن العاقل لا يعبد الصنم من حيث أنه خشب أو حجر، وإنما يعبدونه لاعتقادهم أنها تماثيل الكواكب، أو تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا، ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التى جعلوا هذه التماثيل صورًا لها، وحاصل الكلام لعباد الأصنام أن قالوا: إن الإله الأعظم أجل من أن يعبده البشر، لكن اللائق بالبشر أن يشتغل بعبادة الأكابر من عباد الله مثل الكواكب، ومثل الأرواح السماوية، ثم إنها تشتغل بعبادة الله الأكبر، فهذا هو المراد من قولهم "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"/١٢.

(٢) قيل: ضمير بينهم لهم، ولأوليائهم، فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم/١٢ منه ووجيز.

تعالى، وقلبه كافر بآياته، ﴿لَوْ[1] أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، كما زعم المشـــركون، ﴿لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أي: لو أراد لاختار الأفضل لا الأنقـــص، وهـــو الإناث، لكن لم يرد، فلا ولد له من الذكر والأنثى، أو معناه: لو أراد أن يتخذ ولـــدًا لاتخذ من المخلوقات الأفضل منها، كالبنين لا البنات كما زعمتم، لكن اللازم محـــال لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق لتنافى الوجوب، والإمكان بالذات، فكـــذا الملزوم وهو إرادة الاتخاذ فضلاً عن الاتخاذ، ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَـــهَّارُ ﴾: فإنه هو الواحد الفرد، الذى دانت له الأشياء فلا يماثله ولا يناســـبه أحـــد، ﴿خَلَـــقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْـــلِ﴾ التكوير: اللف، وإذا غشى كل منهما مكان الآخر، فكأنما لف عليه كلف اللباس على اللابس، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: مدة معينة عنـد الله تعالى، ﴿أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْغَفَّارُ ﴾، فلا يعاجل بالعقوبة على من نســـب إليه ما لا يليق به، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَـــهَا﴾: حواء عن الضلع الأسفل، وثم للتراخى الرتبى، فإن خلق حواء مقدم فى الوجود علــــى تشعيب الذرية من نفس[2] آدم، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: وقضى لكم فإن قضاياه توصـــــف بالنزول من السماء، ﴿مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، كما هو مسطور فى سورة الأنعام، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾: حيوانًا من بعد عظام من بعـد مضغ من بعد علق من بعد نطف، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾: ظلمة البطـــن، والرحـــم، والمشيمة، ﴿ذَلِكُمُ﴾، مبتدأ، ﴿اللَّهُ﴾، خبره، ﴿رَبُّكُمْ﴾، بدل، ﴿لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ

---

(١) ولما كان من الكذب العظيم دعواهم أن الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله: " لـــو أراد الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) وأما إخراج نفس من ضلع شخص، فأمر عجيب غير معهود فهو أدخل فى الآيـــة/١٢ وجيز.

﴿هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾: يُعدَل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره، **﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِي عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾**، مع أنه كان بإرادته فلا يجرى فى ملكه إلا ما[1] يشاء، ويقابل الرضاء بالسخط، والإرادة بالكراهة، أو المراد من العباد المخلصون كما فى قوله: " إن عبادى ليس لك عليهم سلطان "(الإسراء:٦٥) وحينئذ معنى الرضاء الإرادة، **﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾**: يرضى الشكر، **﴿لَكُمْ[2]﴾**، فإنه سبب فوزكم، **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾**: لا تحمل نفس وازرة، **﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾**، أى: وزر نفس أخرى، **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**: بالمجازاة، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾**: فلا يخفى عليه شيء، **﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾**: راجعًا، **﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾**: أعطاه وأملكه، **﴿نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾**: نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه، أو ما بمعنى من، وفى يدعو

---

(١) ومن تأمل وجد فى الرضا معنى ليس فى الإرادة، وهو شبه استحسان واستحماد وابتهاج يعبر عنه بترك الاعتراض، ولا يتعلق إرادة الله بشيء إلا وهو مفعول بخلاف الرضاء، ومتعلق الرضاء لا يكون إلا معنى من المعانى فيعدى إليه بنفسه محلى باللام نحو: رضى الله لكم الشكر، وقد يعدى إليه بالباء، وهو المتعلق تمييزًا نحو: رضيت بالله ربًا، وقد يطوى ذكر المتعلق قصدًا إلى العموم، ويذكر المحلى يعن نحو: رضى الله عنهم ورضوا عنه، ولا يخلو شيء من الاستعمالات عما ذكرنا من زيادة المعنى فلا تغفل/١٢ منه ووجيز.

(٢) فإنه سبب فوزكم، فقد جعل شرطًا وجزاء فوقوع الشكر شرطه، وحصول الرضاء جزاء، فلزم تقديم الشكر على إرادته إن اتحد الرضاء، والإرادة، ولأن إرادة الله مقدم على وجود الشكر منهم، لكن من كان على الضلال على قلبه رين، وعلى عينه غين، فليتفوه بما لا يرضى به إلا غبى زنديق، فنعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع/١٢ وجيز.

تضمين معنى التطوع، أى: نسى الكاشف بضر المضطرين الذى كان يتضرع إليه، ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل النعمة، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾، اللام لام العاقبة، أى: ليفيد وينتج الإضلال والضلال، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾، أمر تهديد، ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، استئناف على سبيل التعليل، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾: قائم بالطاعات، ﴿آنَاءَ﴾: ساعات ﴿اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، حالان من ضمير قانت، ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾، جملة حالية، ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ(١) رَبِّهِ﴾، أم متصلة تقديره أهذا الذى نسى خير أم من هو قانت؟! أو منقطعة، أى: بل أمن هو قانت كغيره، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾، وهم القانتون، وفى هذه أدلة واضحة على أن غير العامل كأنه ليس بعالم، ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، وقيل هذا على سبيل التشبيه، أى: كما لا يستوى العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوى القانتون والعاصون، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ بوعظ الله تعالى، ﴿أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ

(١) أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى الموت فقال: "كيف تجدك" ؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجوا وأمنه الذى يخاف"[حسن، وانظر صحيح سنن الترمذى]١٢/ فتح.

دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن
فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ
فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ
ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ
ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ
﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، عن معاصيه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: بالطاعة، ﴿فِى هَذِهِ الدُّنْيَا﴾، ظرف لأحسنوا، ﴿حَسَنَةٌ﴾، فى الآخرة[1]، وهى الجنة، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾، فهاجروا إلى أرض ما دعيتم فيها إلى المعصية، ﴿إِنَّمَا[2] يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾: على بلاء الله تعالى، ومفارقة المستلذات الداعية إلى المعاصى، ﴿أَجْرَهُم

(١) فى الآخرة، لما أحسنوا فى الدنيا ففى الآخرة لهم من جنس عملهم / ١٢ وجيز.

(٢) ولما بين ما للمحسنين، وكان لابد فى ذلك من الصبر على فعل الطاعات، والكف عن الشهوات، أشار إلى فضيلة الصبر، وعظيم مقداره، فقال: " إنما يوفى الصابرون " الآية / ١٢ فتح.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، لا يوزن لهم، ولا يكال إنما يغرف لهم غرفًا، قيل: نزلت فى جعفر بن أبى طالب، وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم، وصبروا حين اشتد بهم البلاء، ﴿قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾، أى: بأن أعبد، ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾، من هذه الأمة، واللام زائدة، كما تقول: أمرت لأن أفعل، وقيل: معناه أمرت بذلك لأجل أن أكون مقدم المسلمين فى الدارين ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، مع أنى نبى مقرب، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: لعظمة ما فيه، نزلت حين دعى إلى دين آبائه، ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِى فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾، أمر توبيخ، ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، مع أنها رأس مالهم، ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: الذين هم فى الجنة لهم من حور وغلمان، وغيرهما فإن لكل منزلاً وأهلاً فى الجنة، فمن عمل بالمعاصى دخل النار، وصار المنزل والأهل لغيره أو خسروا أهليهم الذين لهم فى الدنيا، لأنهم إن كانوا من أهل النار، فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابًا أبديًا، ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أطباق من النار هى ظلل الآخرين، ﴿ذَلِكَ﴾: العذاب، ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾، ولا تتعرضوا لمعصيتى، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الأوثان، نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وأبى ذر وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم، ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾، بدل اشتمال، ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى عبادته، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، فى الدنيا والآخرة، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾، أى: القرآن وغيره، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ[1]﴾، أى: القرآن، أو المراد من يسمع حديثًا فيه محاسن

---

(١) قال بعض السلف: معناه: الذين يستمعون أوامر الله، فيتبعون أحسنها فإن فى القرآن الانتصار من الظالم، والعفو أحسن / ١٢ منه.

ومساوئ، فيحدث بأحسن ما سمع، ويكف عما سواه، أو يستمعون القول من العزائم، والرخص فيتبعون العزائم، وضع الظاهر موضع المضمر، فإن الظاهر أن يقال: فبشرهم لأن يصفهم بهذه الصفة أيضًا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة، ﴿أَفَمَنْ[1] حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن[2] فِي النَّارِ﴾، الفاء عطف على محذوف تقديره: أأنت مالك أمرهم؟ فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، والهمزة فى الجزاء كررت لتوكيد معنى الإنكار، أى: لست بقادر على إنقاذ من أراد الله تعالى شقاوته،﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: محكمة عالية، كالأسافل بخلاف الدنيا فإن أسافلها أحكم من أعاليها[3]، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾، أى: الغرف، ﴿الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ﴾، مصدر مؤكد لنفسه، ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ المِيعَادَ﴾، أى: الوعد، ﴿أَلَمْ[4] تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾: نظمه، ﴿يَنَابِيعَ﴾: عيونًا، ومجارى، نصب على الظرف، ﴿فِى الأَرْضِ﴾، صفة ينابيع، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾: بالماء، ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ[5]﴾: أصفر،

(١) ولما كان فى ضمن البشارة، بشارتهم بالنوع الخاص، وإشارة إلى نقيضهم بالخسران والشقاوة، وكان -صلى الله عليه وسلم- مجبولاً على عظيم الرحمة، ومزيد الشفقة يتأسف على من أعرض عن الله، عقبه بقوله: " أفمن حق عليه كلمة العذاب " الآية/١٢ وجيز.

(٢) وضع الظاهر، وهو من فى النار موضع المضمر، ليدل على أن عذاب الله هو النار، وسعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إنقاذهم منها/١٢ منه ووجيز.

(٣) ولو لم يكن معنى مبينة إلا البناء الخاص لكان غير مفيد/١٢.

(٤) ولما أخبر بقدرته على البعث، دل عليها بما يتكرر مشاهدته من مثلها فقال: " ألم تر أن الله " الآية / ١٢ وجيز.

(٥) فى الصحاح اللون: الهيئة، كالسواد، والحمرة، واللون: النوع / ١٢ منه.

وأحمر وأخضر، أو أنواعه من بر وشعير وحمص، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يتم جفافه، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: خشبة مسودة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾: لعظة، ﴿لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، فيعرف أنه مثل الحياة الدنيا، ويستدل به على كمال حكمته وقدرته.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞﴾

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾: وسّعه لقبول الحق، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: يهتدى به إلى الحق، وخبره محذوف، أى: كمن أقسى الله قلبه، ويدل عليه قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أى: غلظ وجفا عن قبول ذكره،

كما تقول: أتخمت من طعام، وعن طعام أكلت، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ[1] الحَدِيثِ﴾، أى: القرآن، ﴿كِتَابًا﴾، بدل أو حال، ﴿مُّتَشَابِهًا﴾: يشبه بعضه بعضًا فى الفصاحة، أو صحة المعنى من غير مخالفة، ﴿مَّثَانِيَ﴾، جمع مثنى مفعل، من التثنية بمعنى الإعادة، والتكرير، فإن قصصه وأحكامه ومواعظه ووعده ووعيده مكرر معاد صفة لكتابًا، وهو فى الحقيقة صفة ما يتضمنه الكتاب من السور، والآيات، وعن بعضهم: إن سياق الكلام إذا كان فى معنى واحد يناسب بعضه بعضًا فهو

---

(١) أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة فى قوله: " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم " قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله، قال: تقشعر جلودهم، وتبكى أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا فى أهل البدع، وإنما هو من الشيطان، وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتى أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرءوا القرآن ؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناساً هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، قالت: أعوذ بالله من الشيطان، وأخرج الزبير بن بكار فى الموفقيات، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت أبى فقلت: وجدت قومًا ما رأيت خيرًا منهم قط يذكرون الله فيرعد أحدهم حتى تغشى عليه من خشية الله، فقال: لا تقعد معهم، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر، وعمر يتلون القرآن، فلا يصيبهم هذا من خشية الله، أفتراهم أخشى لله من أبى بكر وعمر، وأخرج ابن أبى شيبة عن قيس بن جنت قال: الصاعقة من الشيطان، وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة، وابن المنذر عن إبراهيم فى الرجل يرى الضوء قال: من الشيطان لو كان خيرًا لأوثر به أهل بدر/١٢ در منثور.[انظر الدر المنثور (٥/٦١٠،٦١١).]

المتشابه، وإن كان يذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين، ثم الكافرين، والجنة، ثم النـار، كقوله تعالى: " إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم "(الانفطار:١٣،١٤) فهو من المثانى، ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: تضطرب وتشمئز، ﴿مِنْهُ﴾: من القرآن، لأجــل خشــية الله، ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وفى الحديث: "إذا اقشعر جلد العبد من خشــية الله تعالي، تحاتت منه ذنوبه كما يتحات عن الشجر اليابسة ورقــــها"(*) ﴿ثُــمَّ تَلِــينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، لما يرجون من رحمته، ولطفه، فهم بين الخــوف والرجاء[1]، ولتضمين معنى السكون عداه بإلى، ﴿ذَلِكَ﴾، أى: الكتاب، أوالخــــوف والرجاء، ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ أَفَمَــن يَتَّقِي[2] بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شدته، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ظرف ليتقـــــى، وخــبره محذوف، أى: كمن يأتى آمنًا يوم القيامة، والإنسان إذا لقى مخوفًا استقبله بيده، ويقى بها وجهه الذى هو أعز أعضائه، والكافر المغلول لا يتهيَّأ له أن يتقى النار إلا بوجهــه، ﴿وَقِيلَ﴾، حال بتقدير قد، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، أى: لهم، ﴿ذُوقُوا﴾: وبال، ﴿مَا كُنتُــــمْ تَكْسِبُونَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: القرون الماضية، ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ[3] لاَ يَشْعُرُونَ ﴾: من الجهة التى هم آمنون منها، أى: على حين غفلة، ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّــهُ الْخِزْيَ﴾: الذل، ﴿فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ﴾: المعد لهم، ﴿أَكْبَرُ﴾، مـــن عذاب الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾، لو كانوا من أهل العلم لعلموا ذلك، ﴿وَلَقَــدْ

(*) ذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١٠/٣١٠) وقال: "رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العبــاس ولم أعرفها، وبقيه رجاله ثقات".

(١) لم يكونوا يتصارخون، ولا يرقصون / ١٢ وجيز.

(٢) ولما صرح بذكر من شرح صدره مضمنًا ذكر قاسى القلب، كما بينا، عكس الأمر فى مقابله للتعادل، فقال: " أفمن يتقى " الآية / ١٢ وجيز.

(٣) فليحذر أمتك ممن يكذب أن تصيروا كالأمم المكذبة / ١٢ وجيز.

ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، محتاج إليـــه فى الديـــن، ﴿**لَّعَلَّـــهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا**﴾، حال موطئة من هذا، ثم وصفه بما هو المقصود بالحالية، ﴿**عَرَبِيًّـا غَيْرَ**[1] **ذِى عِوَجٍ**﴾: اختلال بوجه من الوجوه، ﴿**لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**[2] ﴾، علة أخـــــرى مترتبة على الأولى، ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً**﴾، للمشرك والمخلص، ﴿**رَّجُلاً**﴾، بدل مـــــن

---

(١) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس وابن مردويه والآجرى فى الشـــريعة عنه فى قوله تعالى: " قرآنًا عربيًا غير ذى عوج "، قال: غير مخلوق [ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٦)]، وأخرج الديلمى عن أنس مرفوعًا فى قوله: " قرآنًا عربيًا غير ذى عوج " قال: غير مخلوق [لا يصح، انظر كشف الخفاء للعجلونى (٢/١١٠)]، وأخرج ابن شاهين عن أبى الدرداء مرفوعًا، قال: القرآن كلام الله غير مخلوق وأخرج البيهقى عن أنس أنه قال: القرآن كلام الله، وليس كـــلام الله بمخلوق، وأخرج البيهقى عن عكرمة قال: "صلّى ابن عباس على جنـــازة، فلمـــا وضع الميت فى قبره، قال له رجل: اللهم رب القرآن اغفر له، فقال له ابن عباس: مه لا تقل مثل هذا، منه بدأ وإليه يعود، وفى لفظ فقال ابن عباس: ثكلتك أمك، إن القـــرآن منه إن القرآن منه إن القرآن منه، وأخرج البيهقى عن عمر بن الخطاب قال: القـــرآن كلام الله، وأخرج البيهقى عن سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وأخرج البيـــهقى عـــن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سئل على بن الحسين عن القرآن؟ فقال: ليس بخالق، ولا مخلوق، وهو كلام الخالق، وأخرج البيهقى عن قيس بن الربيع قال: سألت جعفر بـــن محمد عن القرآن؟ فقال: كلام الله، قلت: مخلوق ؟ قال: لا، فقلت: فما تقول فيمـــن زعم أنه مخلوق ؟، قال: يقتل ولا يستتاب / ١٢ در منثور.

(٢) ولما ذكر أنه ضرب فى القرآن من كل مثل، شرع يضرب مثلاً لعابد الآلهة ومن يعبـــد الله وحده، فقال: " ضرب الله مثلاً " الآية / ١٢ وجيز.

مثلاً، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ﴾، مبتدأ و خبر، ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾: متنازعون، صفة لشركاء، والجملة صفة رجلا، أى: مثل المشرك كعبد يتشارك فيه جمع، يختلف كل منهم فى أنه عبد له، فيتداولونه فى مهامهم، فهو متحير لا يدرى أيهم يرضى، وعلى أيهم يعتمد إذا سنح سانح، ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا﴾: ذا خلوص، ﴿لِّرَجُلٍ﴾: واحد، يعرف أن له سيدًا واحدًا يخدمه خالصة، ويتكل عليه فى حاله وماله، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾، هذان الرجلان، ﴿مَثَلاً﴾، تمييز، أى: صفة وحالا، ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لا حمد لغيره، فإنه هو المنعم وحده، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ[1] لاَ يَعْلَمُونَ﴾، فيشركون به غيره، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، أى: أنتم فى عداد الموتى، فإن ما هو كائن، فكأنه قد كان، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾، فيه تغليب المخاطب، ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، أى: إنك وإياهم تختصمون، فتحتج أنت عليهم بما لا شبهة فيه، ويعتذرون بما لا طائل تحته، وأكثر السلف حمل ذلك على اختصام الجميع حتى الروح والجسد.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن

---

(١) إضراب عن ضرب المثل، وظهور الحالين، كأنه قال: لا ينفعهم المثل، بل أكثرهم كالبهائم، ولما ذكر أن أكثرهم جهلاء لا يتأملون فى المثل ولا يعتبرون بالوعظ، فاقتضى الحال أن تتوجه النفوس إلى المآل، وما آل الحال إليه، فقال: " إنك ميت"/١٢ وجيز.

يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ
بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ٣٧ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ
ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ
يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٤٠
إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ٤١﴾

﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ**﴾: بإضافة الولد، والشريك إليه، ﴿**وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ**﴾: بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿**إِذْ جَاءَهُ**﴾، من غير تفكر، ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى**﴾: منزلاً، ﴿**لِّلْكَافِرِينَ**﴾، واللام يحتمل العهد والجنس، ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ**[1] **وَصَدَّقَ بِهِ**﴾، أى: الفريق الذى جاء به إلخ، فيدخل فيه الرسول وأتباعه، ويكون المعطوف والمعطوف عليه صلة واحدة على التوزيع، فينصرف المعطوف عليه إلى الرسول، والمعطوف إلى الصحابة، أو إلى المؤمنين أجمعين، أو المراد من الذى جاء بالصدق، وصدق به الرسل عليهم السلام، ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾: يسترها عليهم بالمغفرة، يُعْلم من تخصيص الأسوأ أن غير الأسوأ أولى

---

(١) أثبت الله الوحدة فى الألوهية ونفى الولد، وصدق به صدق بما جاء به رسول فيدخل فيه الرسول وأتباعه، كذا قال عظماء السلف / ١٢ وجيز.

بالتكفير، وقيل: بمعنى السيئ، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ﴾: يعطيهم، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، فيعد لهم محاسن أعمالهم، بأحسنها فى زيادة الأجر وعظمه، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، لما خوفت قريش رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نزلت، وفى بعض القراءات "عباده"، فالأولى أن يراد من عبده الجنس، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾، أى: قريش، ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾: بأصنامهم أى: من دون الله، يقولون: إنك لتعيبها وستصيبك بسوء، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾، فيخوف حبيب الله بحجر لا يضر ولا ينفع، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب منيع، ﴿ذِى انتِقَامٍ ﴾، من أعدائه، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، لا سبيل لإنكارهم تفرد خالقيته، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ عني، وهذا بيان أنها لا تنفع ولا تضر فلا خوف منها، ﴿قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ﴾: كافى فى إصابة النفع ودفع البلاء، إذ قامت الحجة على تفرده فيهما، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ[1] قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: على طريقتكم، اسم للمكان استعير للحال، ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾، أى: على منهجى، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ[2]﴾، معمول تعلمون، ﴿يُخْزِيهِ﴾، صفة عذاب، أى: فى الدنيا كما أخزاهم يوم بدر، ﴿وَيَحِلُّ﴾، عطف على يأتيه، ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾: دائم فى الآخرة، ﴿إِنَّا

---

(١) ولما كانوا مع هذه الحجج القاطعة، والأدلة القامعة، والبراهين الساطعة كالبهائم الهائمة، لا يرفعون رءوسهم إليها، فهم على حال لا يرجى منهم الهداية، والدراية، قال: " قل يا قوم اعملوا " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) كالقتل والأسر والفرار / ١٢.

أنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ لِلنَّاسِ﴾: لأجل نفعهم، ﴿بِالْحَقِّ﴾: متلبسًا به، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى
فَلِنَفْسِهِ﴾: يعود نفعه إلى نفسه، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: وبـــال الضـــلال
راجع إليها، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: فتجبرهم على الهداية، إنما أنت نذير.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى
قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا
يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ
مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٨) فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ
دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ
سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) ۞ ﴾

﴿اللَّهُ[1] يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾: يستوفيها[2] ويقبضها، ﴿حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي﴾، أى: ويستوفى الأنفس التى، ﴿لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، فتجتمع النفوس كلهن فى الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن مندة، وغيره وفى الصحيحين ما يدل[3] على ذلك، ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾: فلا يردها إلى الجسد، ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾، أى: النائمة إلى جسدها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو وقت

---

(١) ولما ذكر أنه تعالى أنزل الكتاب على رسوله بالحق، نبه على آية من آياته الكبرى، الدالة على وحدانيته لا شركة لأحد فى ذلك بالاتفاق، فقال: " الله يتوفى الأنفس " الآية / ١٢ وجيز.

(٢) والأصح: أن الروح والنفس واحد، والأولى أن يكون المراد من الأنفس الجملة كما قال تعالى: " وهو الذى يتوفاكم بالليل "(الأنعام:٦٠) أى يميتكم به / ١٢ وجيز.

(٣) وهو حديث (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) رواه الشيخان، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى العظمة،وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله: " الله يتوفى الأنفس " الآية، قال: تلتقى أرواح الأحياء، وأرواح الأموات فى المنام، فيتساءلون بينهم ما شاء الله، ثم يمسك الله أرواح الأموات، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى أجل مسمى، لا يغلط بشيء منها، لذلك قوله: " إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " نقله السيوطى فى الدر المنثور، وفى الفتح، والأظهر أن الروح والنفس شيء واحد، وهو الذى تدل عليه الآثار الصحاح، وقال الزجاج: لكل إنسان نفسان: نفس التمييز، وهو الذى تفارقه إذا نام، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس، قال القشيرى: فى هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة فى الحالين شيء واحد، ولهذا قال: " فيمسك التى قضى عليها الموت " الآية / ١٢.

الموت، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، أى: التوفى والإمساك والإرسال، ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فى عجائب قدرته، ﴿أَمِ[1] اتَّخَذُوا﴾: بل اتخذ قريش، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من دون إذنه، ﴿شُفَعَاءَ﴾: عند الله تعالى بزعمهم الفاسد، ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾، أى: قل أيشفعون؟! ولو كانوا إلخ فالواو للحال، والعامل يشفعون المقدر بعد الهمزة، ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: فإنهن جمادات لا تقدر، ولا تعلم، ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: هو مالكها، لا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذنه، ولا تنفع إلا لمن أذن له، ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، فيحكم بالعدل، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾، أى: قيل: لا إله إلا الله، ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: انقبضت ونفرت، ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾، أى: الأوثان، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، سواء ذكر الله تعالى معهم أو لم يذكر، وعن مجاهد ومقاتل، وذلك حين قرأ النبى صلى الله عليه وسلم سورة النجم فألقى الشيطان فى أمنيته: تلك الغرانيق العلى، ففرح الكفار(*) كما مر ذكره فى سورة الحج، واعلم أن من قال العامل فى إذا الشرطية مضمون الجواب فلابد أن يقول: العامل فى إذا الثانية الشرطية، وإذا المفاجأة معنى المفاجأة المتضمنة هى إياه، إذ لا يعمل الفعل الذى بعده فيما قبله، أى: فاجأوا فى وقت الذكر، وقت الاستبشار، ﴿قُلِ[2] اللَّهُمَّ فَاطِرَ[3] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ

---

(١) ولما دلت الآية، على أنه تعالى هو المتصرف فى الأمور وحده، فكأنه قال: أذعنوا ذلك وأقروا به أم اتخذوا، أى: بل اتخذ قريش / ١٢ وجيز.

(*) قصة الغرانيق لا تصح، وقد جاءت من طرق واهية، وراجع فتح البارى (٨/٢٩٣)، وللشيخ الألبانى رحمه الله رسالة فى هذه القصة اسمها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

(٢) يعنى: لما تحيرت فى عنادهم، آيسًا من انقيادهم، فالجأ إلى الله القادر العالم / ١٢ وجيز.

(٣) وعن الربيع بن خيثم، وكان قليل الكلام، أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه، وقالوا: الآن يتكلم، فما زاد أن قال: آه وقد فعلوا، وقرأ هذه الآية، وعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم"، رواه مسلم/١٢ فتح.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾، أى: التجيء إلى الله تعالى لما تحيرت فى كفرهم، **﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾**: وهم المشركون، **﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾**، اسم أن، **﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ﴾**، أى: بمجموع ما فى الأرض، والمثل، **﴿مِن سُوءِ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَبَدَا﴾**: ظهر، **﴿لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾**: ما لم يخطر ببالهم من الوبال والنكال، **﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾**، أراد بالسيئات أنواع العذاب، كأنه قيل: سيئات سيئاهم، نحو: جزاء سيئة سيئة، أو معناه ظهر لهم سيئات أعمالهم التى كانت خافية عليهم، حين تعرض صحائفهم، كما قال الله تعالى: "أحصاه الله ونسوه "(المجادلة:٦)، **﴿وَحَاقَ﴾**: أحاط، **﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**، أى: جزاؤه، **﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ﴾**، أى: جنسه باعتبار الغالب، **﴿ضُرٌّ دَعَانَا﴾**، عطف على قوله: "وإذا ذكر الله وحده" بالفاء ليدل على التسبب، والدلالة على تعكيس الكافر الأمر، وجعله ما هو أبعد الأشياء عن الالتجاء وسيلة إليه، كأنه قال: هم مشمئزون عند ذكر الله تعالى وحده، ومستبشرون بذكر آلهتهم، فإذا مس أحدهم مصيبة دعا من اشمئز من ذكره، وترك من استبشر به، وما بين المعطوفين أعنى، قوله: " قل اللهم " إلى قوله تعالى: " يستهزءون " اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم، **﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾**: أعطيناه، **﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾**: تفضلاً، **﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾**، أى: شيئًا من النعمة، **﴿عَلَى عِلْمٍ﴾**، أى: على علم منى بأنى سأعطاه لاستحقاقى، أوعلى علم من الله تعالى باستحقاقى، ولولا أنى عند الله حقيق ما خولنى هذا، فهو حال من أحد معمولى أوتيته، أو خبر، إن جعلت ما موصولة لا كافة، أو معناه أوتيته على خير وفضل عندى، كقولك: أنعمت عليك على كمالك، أى: هو السبب، **﴿بَلْ هِيَ[(١)] فِتْنَةٌ﴾**: اختبار، أيشكر، أم يكفر؟ **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾**، أها امتحان، **﴿قَدْ قَالَهَا﴾**، أى: هذه المقالة، وهى " إنما أوتيته على علم "، **﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾**: الأمم السالفة، كقارون، قال: " إنما أوتيته على علم عندى "(القصص:٧٨)، **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم﴾**:

---

(١) أنث الضمير بعد ما ذكّره، لتأنيث خبره / ١٢.

عن عذاب الله تعالى، ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أى: من أموال الدنيا، أو من أعمالهم وعقائدهم، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾، أى: وبال، ﴿مَا كَسَبُوا﴾، أو جزاء سيئات ما كسبوا، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ﴾، مشركى قريش، ومن للبيان، ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين، ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويقتر على من يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، بأن الكل من الله تعالى.

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿قُلْ[1] يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾: بارتكاب المعاصى، أى معصية كانت، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾: لا تيأسوا، ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾،

---

(١) ولما شدد على الكفار، وبين ما أعد لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ملأ الأرض، ومثله معه لافتدوا به، أخذ يبين من إحسانه الكامل، والعناية، وأنهم إن رجعوا=

يعنى: ليس ذنب لا يمكن أن تتعلق به مغفرة الله تعالى، لكن جرت عادة الله تعالى أنه لا يغفر الشرك من غير توبة، أما سائر المعاصى فيغفر مع التوبة[1] بتًا وبدونها إن أراد، وما نقل من أسباب نزول تلك الآية لا يدل على خلاف مافسرناها به مع أن العبرة

= وتابوا، رجع عليهم بالعناية والقبول، لئلا يقنطوا من رحمته، فقال: " قل يا عبادى الذين أسرفوا " الآية / ١٢ وجيز.

(١) وفى الفتح: أما ما يزعمه جماعة من المفسرين، من تقييد هذه الآية بالتوبة جمعا بين هذه الآية، وبين "يغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(النساء: ٤٨، ١١٦) فهو جمع بين الضب والنون، وبين الملاح والحادى، وعلى نفسها براقش تجنى، ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة، لم يكن لها كثير موقع، فإن التوبة من الشرك أيضًا مقبولة، فلو كانت التوبة قيد فى المغفرة، لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة، وقد قال تعالى: " إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم "(الرعد:٦) قال الواحدى: المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية فى قوم خافوا، إن أسلموا لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك، وقتل النفس، ومعاداة النبى -صلى الله عليه وسلم- قلت: هب أنها فى هؤلاء القوم فكان ماذا، فإن الاعتبار للعموم لا لخصوص السبب، كما هو متفق عليه بين أهل العلم، ولو كانت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها، غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الأمة، إن لم ترفع كلها، واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله، وفى الصحيحين وغيرهما، من أحاديث الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته، علم صحة ما ذكرناه، وعرف حقية ما حررناه، قاله الشوكاني، وأيضًا قال: يمكن أن يقال: إن إخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعًا، يدل على أنه يشاء غفرانها جميعًا، وذلك يستلزم أنه يشاء المغفرة بكل المذنبين من المسلمين، فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية /١٢.

فى شرح السنة، بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى قاتل حمزة، يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه يا محمد كيف تدعونى، وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا، "يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانًا" وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لى من رخصة؟ فأنزل الله تعالى: " إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا "(مريم:٦٠، الفرقان:٧٠)، فقال الوحشى: هذا شرط شديد، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله: " إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "(النساء ٤٨، ١١٦)، فقال وحشى:هذا أرى بعد فى مشيئته فلا أدرى أيغفر لى أم لا هل غير هذا؟ فأنزل الله: " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم "، الآية، قال وحشى: هذا نعم، فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشى، فقال: هى للمسلمين عامة/١٢ وجيز، وقال السيوطى: أخرجه الطبرانى وابن مردويه والبيهقي، بسند لين / ١٢. [وذكـــره =

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كيف وقد وردت بيانًا لسعة رحمته تعالى، مع تعليل النهى عن القنوط بأنه يغفر الذنوب بصيغة الجمع مع التأكيد، نزلت فى أناس من المشركين حين قالوا: إن ما تدعونا إليه يا محمد لحسن، لوتخبرنا أن لما عملنا كفارة، أو نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه، أو فى جماعة من المرتدين، وعن بعض السلف: إن الله تعالى لما سلط إبليس على آدم عليه السلام، شكى آدم ربه فقال الله تعالى: " لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، فقال: يا رب زدنى، فقال: الحسنة بعشر، والسيئة بمثلها، أو أمحوها، قال: زدنى، قال: باب التوبة مفتوح ما كان الروح فى الجسد، قال: يا رب زدنى، فقال: " يا عبادى الذين أسرفوا " الآية، ﴿**إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا**[1]﴾: ارجعوا، ﴿**إِلَى رَبِّكُمْ**﴾، تحريض بالتوبة فإنها جاعلة للمعاصى كالعدم، موثوق معها بالنجاة، ﴿**وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾: أطيعوا، ﴿**مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ**﴾، الآية نزلت فى شأن الكفار، ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم**﴾، أى: القرآن فإنه أحسن من جميع الكتب السماوية، قيل: الأحسن العزائم دون الرخص، أى: اتبعوا ما هو أنجى، ﴿**مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً**﴾، حال أو مصدر، ﴿**وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾، بمجيئه فتداركون، أو فيكون أشد، ﴿**أَن تَقُولَ**﴾، أى: أنذركم، وآمركم، وأرشدكم باتباع الأحسن، كراهة أن تقول، ﴿**نَفْسٌ**﴾، أى: بعض النفوس، وهى النفس الكافرة، أو تقول هى عام لأنها فى سياق النفى معنى لأن، معناه لئلا تقول نفس، ﴿**يَا حَسْرَتَى**﴾، أى: أقبلى

= الهيثمى فى "المجمع"، (٧/ ١٠٠، ١٠١) وقال: "رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه أبين بن سفين ضعفه الذهبي".]

(١) ولما كانت فى الآية فسحة عظيمة، ولهذا قيل: هى أرجى آية فى القرآن، إذ أعاد الاسم الأعظم، وأكد الجملة بأن، ثم وصف نفسه بصيغتى المبالغة، وأكد بما هو مقتض للحصر، أتبعها بأن الإنابة مطلوبة مأمور بها، وتوعد من لم ينب، حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة، والمتكل على الغفران من دون إنابة، فقال: " وأنيبوا إلى ربكم " الآية/١٢ وجيز.

فهذا أوانك، ﴿عَلَى مَا فَرَّطتُ﴾: قصرت، ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾: جانبه، أى: حقه، أى: طاعته، وقيل فى قربه، ﴿وَإِن كُنتُ﴾، إن هى المخففة، والواو للحال، ﴿لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾:، المستهزئين بدينه، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾: علمنى الخير، وأرشدنى، ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا، ولو للتمنى، ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾، فى العقائد، والأعمال، وأو للدلالة على أنه لا يخلو من هذه الأقوال، ولا يبعد أن يقال: أن تقول بدل اشتمال من أن يأتيكم العذاب، أى: من قبل أن تقول نفس إلخ، وقد رأيته منقولاً عن بعض أئمة النحاة، ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، رد لما تضمنه قوله: " لو أن الله هدانى "، من معنى النفي، وفصل بين الجواب وهو يلي، وبين ما هو جواب له وهو لو أن الله هداني، لئلا ينتثر النظم الحاصل بالجمع بين القرائن الثلاث بتخلل شيء بينها، ولئلا يقدم فى الكلام ما هو مؤخر[1] فى الوجود، فإن تمنى الرجعة آخر الأمر، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾، كإضافة الولد والشريك إليه تعالى، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، جملة[2] تفسيرية إيضاحًا للمقصود مما وقعت الرؤية عليه، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مقام، ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾، عن طاعة الله تعالى، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، أى: بسبب فلاحهم وسعادتهم، أو متلبسين بفلاحهم، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، يوم القيامة عند الفزع الأكبر، جملة مستأنفة على الوجه الأول، ومبينة للفلاح على الثانى، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أى: كل ما هو موجود فى زمان، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾، فهو

---

(١) فإنه صدر عنهم أولاً: يا حسرتا، ثم لو أن الله هدانى ثانيًا، ثم أن لى كرة آخر الأمر/ ١٢ وجيز.

(٢) وفى الوجيز جملة حالية، وترى من رؤية البصر، والجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذى الحال ليس بشاذ على الأصح / ١٢ وجيز.

المتصرف فيه، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ[1]﴾: مفاتيح، وأصل الكلمة فارسية[2]، أى: أو خزائن، ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، يعنى: أزِمَّة جميع الأمور بيده، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: وجحدوا وحدته وتفرد تصرفه، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ
وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ
بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ
مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا
هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ ﴾، نصب غير بأعبد، وتعلق أعبد بتأمرونى على وجه المفعولية، أى أن أعبد، فحذف أن ورفع المضارع، لكن هذا عند من يجوز تقديم معمول ما بعد أن، عند حذف سيما، إذا زال أثره الذى هو النصب، وأما عند من لم يجوز التقديم أو لم يجوز حذف، أن، بحيث لا يبقى أثره، فنصبه إما بما يتضمنه مجموع تأمرونى أن أعبد من معنى الفعل، أى: أفغير الله تعبدونى، وتجعلوننى عابدًا بمعنى تقولون لى: اعبد، وإما بأعبد، لكن "تأمروني" اعتراض بين المعمول، والعامل غير متعلق بأعبد ليحتاج إلى تقدير إن نزلت حين قالوا: استلم بعض آلهتنا فنعبد إلهك، ﴿وَلَقَدْ أُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الرسل، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، إفراد الخطاب باعتبار كل واحد، أى: أوحى إليك وإلى كل واحد منهم،

---

(١) جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ كذاكير/ ١٢ كمالين.

(٢) كما أخرج الفريابى، وابن جرير عن مجاهد / ١٢ در منثور.

لئن أشركت، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ المراد: خسران الآخرة بشرط الموت على الردة، أى: لئن أشركت، وبقيت على الشرك، أو المراد: خسران حبوط العمل، وهو حاصل بكل حال، أو الحكم مختص بالأنبياء، فإن شركهم لا شك أقبح، وهذا خطاب مع الأنبياء، والمراد منه غيرهم، أوكلام على سبيل الفرض، وفائدته تهييج الرسل وإقناط الكفرة، وأدب للأنبياء، وتهديد للأمة، ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾، يعنى: لا تعبد ما أمروك، بل اعبده وحده، فهو ردٌّ لما أمروه به، ونصبه بفعل يفسره ما بعده عند من لم يجوز تقديم ما فى حيز الفاء، ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾، لإنعامه عليك، ﴿وَمَا قَدَرُوا[1] اللَّهَ﴾، أى: عظمته فى أنفسهم، ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكًا ، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾، هذا إخبار عن عظمته، وسهولة

---

(١) قوله تعالى: " وما قدروا الله " الآية، أخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد الرحمن بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، والدارقطنى فى الصفات، وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن ابن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة "، ووقع هذا الحديث فى صحيح البخاري.
وأخرج أحمد والترمذى وصححه، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقى عن ابن عباس، قال: مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس قال: كيف تقول يا أبا
وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: ما فى السماوات السبع والأرضين السبع فى يد الله عز وجل إلا كخردلة فى يد أحدكم، وأخرج أبو الشيخ فى العظمة، عن أبى ذر قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرى ما الكرسى ؟، فقلت: لا، قال: ما السماوات والأرض، وما فيهن فى الكرسي، إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما الكرسى فى العرش إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما العرش فى الماء إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما الماء فى الريح إلا كحلقة ألقاها ملق فى أرض فلاة، وما جميع ذلك فى قبضة الله عز وجل إلا كالحبة، أو أصغر من الحبة فى كف أحدكم، وذلك قوله " والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة " / ١٢ در منثور مع اختصار.

الأفعال العظام فى جنب قدرته، والقبضة المرة من القبض، مصدر بمعنى المقبوضة، أو تقديره: ذات قبضته، وجميعًا حال من المستتر فى قبضته إذا قلنا: إنها بمعنى مقبوضته، أو من العامل المحذوف على طريق الحال المؤكدة، أى: والأرض أعنيها، أو أثبتها مجموعة ذات قبضته، وهو تأكيد لشمول الإفراد، أى الأرضون السبع، أو لشمول الأجزاء، ونحن على طريقة السلف لا نأول اليد، والقبضة، والأصبع، ونؤمن بها، ونكل علمها إلى الله سبحانه وتعالى وهى أقرب من السلامة، وأبعد من الملامة، ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾، من الطي، الذى هو ضد النشر، ﴿بِيَمِينِهِ﴾، متعلق بمطويات، وفى الحديث[1] (يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ما أبعد وأعلا من هذه قدرته، عما ينسب إليه من الشركاء، أو عن إشراكهم، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: هى النفخة الثانية، إذ النفخة الأولى ريح باردة[2] من قبل الشام، فيموت كل من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ويبقى شرار الناس يعبدون الأوثان فى رغد من العيش، ثم ينفخ فى الصور، ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن[3] شَاءَ اللَّهُ﴾

---

(١) كما فى صحيح مسلم [وهو فى البخارى أيضًا]/ ١٢ وجيز.

(٢) كما فى الأحاديث المعتمدة / ١٢ وجيز.[وهو فى البخارى أيضا]

(٣) أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وابن ماجة، وابن جرير، وابن مردويه عن أبى هريرة قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، وقال: أتقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: "قال الله: " ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون " فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله" / ١٢ در منثور.

وعن قتادة فى الآية قال: ما يبقى أحد إلا مات، وقد استثنى، والله أعلم بثنياه، نقله السيوطى فى الدر المنثور، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم /١٢.

المراد: بعض الملائكة المقربين فإنهم لا يصعقون عند هذه النفخة، بل يقبض الله تعالى أرواحهم بعدها، حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، فلا يبقى إلا الله تعالى، فيقول: لمن الملك اليوم ؟، ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه، فيقول: لله الواحد القهار، وقد ورد فى حديث[1] أن المراد منهم الشهداء، فإنهم متقلدون أسيافهم حول عرشه، وقد مر فى سورة النمل، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾: فى الصور، ﴿أُخْرَى﴾، مرفوع بأنه فاعل نفخ، كما يقال: جاءتنى أخرى، أو منصوب بمصدر أى: نفخة أخرى، ونفخ مسند إلى الجار والمجرور، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾: قائمون من مهلكهم، ﴿يَنظُرُونَ ﴾، إلى الجوانب كما كانوا قبل ذلك، أو ينتظرون أمر الله تعالى فيهم، ﴿وَأَشْرَقَتِ[2] الأَرْضُ﴾: أضاءت أرض القيامة، ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾، الذى خلقها من غير وساطة جرم، وذلك حين تجليه سبحانه للخلق لفصل القضاء، أو معناه أضاءت بما يقام فيهامن العدل، كقولك: أضاءت الدنيا بقسطك، ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾: كتاب الأعمال للجزاء، واكتفى باسم الجنس، ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾، يشهدون على الأمم، أنهم بلغوهم رسالة الله تعالى، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾، من الملائكة، الحفظة على أعمال العباد، أو الذين يشهدون للرسل بالتبليغ، وهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، ولكل من الظرفين صلاحية أن يقوم مقام الفاعل، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾: فلا يزاد فى سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، أى: جزآءه، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾، فلا يفوته شيء مما عملوا.

---

(١) قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: رواة الحديث كلهم ثقات إلا واحد منهم فإنه غير معروف/١٢ منه.[والحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطنى فى الأفراد وابن المنذر والحاكم كما فى الدر المنثور (٥/٦٣٠)]

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة " وأشرقت الأرض بنور ربها " قال: فما يتضارون فى نوره إلا كما يتضارون فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه، "وجيء بالنبيين والشهداء"، قال: الذين استشهدوا / ١٢ منثور.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ
وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ
عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ
فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا
ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم
بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ﴾، كما يفعل بالأسارى يساقون إلى حبس[(١)] وقتل، ﴿زُمَرًا﴾: أفواجًا، بعضها على إثر بعض، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: السبعة التى كانت مغلقة قبل ذلك، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، توبيخًا وتنكيلاً، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: من جنسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَات رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أى: وقتكم هذا، أو هو وقت دخولهم النار، ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾: وجبت، ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾، فى قوله: "لأملأن جهنم من الجنة والناس"(هود:١١٩)، أو المراد حكم الله تعالى بشقاوهم، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، من وضع المظهر بدل المضمر، أى: علينا، ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾، حال مقدرة، ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾: جهنم، ﴿وَسِيقَ الَذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾، أى: عن الكفر به، يشعر به مقابلته بالذين كفروا، وذلك الإسراع بهم إلى النعيم، والمراد سوق[(٢)] مراكبهم، ﴿إِلَى الجَنَّةِ زُمَرًا﴾: فوجًا بعد فوج على تفاوت رتبتهم فى

---

(١) فإن السوق يقتضى الحث على السير بعنف / ١٢ وجيز.

(٢) كما ورد فى الأحاديث الصحيحة / ١٢ وجيز.

الشرف، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: الثمانية، قيل: الواو للحال، أى: وقد فتحت، فهو يدل على أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، بخلاف أبواب جهنم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾: طاب لكم المقام، أو طهرتم من خبث الخطايا، أو كنتم طيبين فى الدنيا، ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾، أى: مقدرين الخلود، وحذف جواب إذا، إشارة إلى أنه شيء لا يحيط به الوصف، كأنه قال: إذا جاءوها، وكذا وكذا سعدوا وفازوا وفرحوا، ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾: بالثواب، ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾، أى: أرض الجنة، نتصرف فيها تصرف الوارث لميراثه، فإن ملكية الميراث أتم، ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: نترل حيث نريد، وقد أغنى الله تعالى كلا منهم عن منازل غيرهم، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ ﴾: الجنة، ﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ﴾: محيطين، وهو حال؛ لأن ترى من رؤية البصر، ﴿مِنْ حَوْلِ العَرْشِ﴾، قيل: مزيدة، وقيل متعلق بترى، وقيل لابتداء الغاية، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، أى: متلبسين بحمده تسبيح تلذذ لا تعبد، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بين الخلائق، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، ﴿وَقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ[1] العَالَمِينَ ﴾: على عدله، القائل الملائكة، أو المؤمنون وأما إذا كان القائل بالحمد حينئذ المؤمنين، والكافرين، ولهذا لم يسند إلى قائل، فحمد الكافر لمعاينة عدله، كما ترى ظالمًا استوفى عادلٌ منه حق جنايته، يأخذ فى مدح العادل التكرار من المؤمنين، فالحمد الأول: على صدق الوعد، وإيراث الجنة، والثانى: على القضاء بالحق.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين، خاتمة المجالس فى العالم، والحمد لله رب العالمين / ١٢ وجيز.

فهرس المجلد الثالث

جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الرابع

المحتوى:
من أول سورة غافر - إلى آخر سورة الناس

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3976-2
9782745139764 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

سورة المؤمن مكية

وآياتها خمس وثمانون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ
شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟
بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا
وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ
وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾

﴿**حم**[(١)]﴾ الكلام على الحروف المقطعة قد تقدم، وقيل: حم اسمٌ من أسماء الله تعالى

---

(١) وفى الحديث الحواميم ديباج القرآن وفيه من أراد أن يرتع فى رياض من الجنة فليقرأ الحواميم ١٢ وجيز - الحديث الأول أخرجه أبو الشيخ وأبو نعيم والديلمى [موضوع، انظر ضعيف الجامع (٢٧٩٩)]، والثانى أخرجه ابن الضريس - در منثور.[ضعيف لإرساله].

وقيل معناه:[1] قضى ما هو كائن فيكون من حُمّ بالضّم وتشديد الميم ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ**﴾ مبتدأ وخبر، ﴿**الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾، عطف هذه الصفة من بين الصفات يدل على زيادة ارتباط وجمعية أو الواو دال على نوع مغايرة وليست فى الموصوف، فيعتبر فى المتعلق أى: غافر الذنب لمن شاء وقابل التوب لمن تاب ﴿**شَدِيدِ الْعِقَابِ**﴾ هذه الإضافة لفظية البتة؛ لأنها من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها؛ فالأولى أن نقول إن الصفات كلها أبدال ليندفع خلل تخلل بدل بين النعوت فيلزم أن البعض من الأوصاف مقصود والبعض غير مقصود والمتبوع مقصود غير مقصود أو هو أيضًا نعت والأصل الشديد العقاب فحذف اللام للازدواج[2] ﴿**ذِي الطَّوْلِ**﴾: ذى السعة والغناء، أو ذى النعم والفواضل ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**[3]﴾، فيجازى كلاً بعمله، ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ**﴾: بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إطفاء نورها ﴿**إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾: تصرفهم فى البلاد للتجارات وسلامتهم وربحهم، فإنها لا تدل على حسن عاقبتهم، بل عاقبتهم كعواقب كفار الأمم السوالف، ثم بين حالهم فقال: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ**﴾: الذين تحزبوا على رسلهم بالتكذيب، ﴿**مِن بَعْدِهِمْ**﴾: كعاد وثمود، ﴿**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ**﴾: من هؤلاء ﴿**بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ**﴾:

---

(١) وقيل: معناه حُمَّ أمر الله أى قرب نصره لأوليائه ولهذا.

(٢) يعنى مع غافر وقابل فى الخلو عن الألف واللام.

(٣) أخرج ابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ "من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح" [ضعيف، أخرجه الترمذى فالعزو إليه أولى، وانظر ضعيف الجامع (٥٧٨١)]، ولما ذكر أن القرآن كتاب أنزله ليهتدى به فى الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد إبطاله فقال: "ما يجادل" الآية /١٢ فتح.

ليأسروه فيقتلوه أو يعذبوه، ﴿وَجَادَلُوا[1] بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾: أخذ إهلاك جزاء لهمّهم وفعلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، هذا الاستفهام بكيف حمل على الإقرار وفيه تعجيب للسامعين ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى: كما وجب إهلاك الأمم ﴿حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أى: كلمته بالعذاب، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قومك ﴿أَنَّهُمْ﴾ أى: لأنهم، ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أو أنهم أصحاب النار بدل من كلمة ربك وحينئذ معناه كما وجب عذابهم فى الدنيا بالاستئصال وجب عذابهم فى الآخرة بالنار، فالمراد من الذين كفروا الأمم السالفة ﴿الَّذِينَ[2] يَحْمِلُونَ[3] الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾: من الملائكة المقربين الذين هم الكروبيون ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ متلبسين

---

(١) والمراد الجدال بالباطل والقصد إلى دحض الحق كما فى قوله: "وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق" وأما الجدال لاستيضاح الحق ورد أهل الزيغ فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون قال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن"[العنكبوت:٤٦] فتلخص أن الجدال نوعان: جدال فى تقرير الحق، وجدال فى تقرير الباطل، أما الأول فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح -عليه السلام: "يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا"[هود:٣٢]، أما الثانى فهو مذموم وهو المراد هنا وفى الحديث "إن الجدال فى القرآن كفر" رواه أبو داود [صحيح، أخرجه أحمد والحاكم، وعزوه إلى أبى داود وهم، وانظر صحيح الجامع (٣١٠٦)]، ثم نهى رسول الله ﷺ عن الاغترار بشىء من حظوظهم الدنيوية فقال: "فلا يغررك" الآية /١٢ فتح.

(٢) ولما ذكر حال الكفار المجادلين فى آيات الله وعصيانهم، ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه، فقال: "الذين يحملون العرش" الآية[الطور:٢١] /١٣ وجيز. فكأنه قال إن كان هؤلاء الأراذل يبالغون فى العداوة فلا تبال بهم، ولا تلتفت إليهم فإن حملة العرش يحبونكم ويستغفرون لكم وهم أشرف طبقات المخلوقات/١٢.

(٣) أخرج ابن أبى شيبة عن أبى أمامة قال: الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية/ ١٢ در منثور. قلت: وفى هذا الأثر نكارة، فإن العربية أشرف اللغات.

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، فائدة إثبات الإيمان لهم إظهار فضل الإيمان والترغيب فيه، كإثبات الصلاح والصدق للأنبياء ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، لما بينهم من المناسبة بالإيمان، ﴿رَبَّنَا﴾ أى: يقولون ربنا، ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصله وسعت رحمتك كل شيء، فنصب الفاعل بالتمييز وأسند الفعل إلى صاحب الرحمة للمبالغة، كأن ذاته رحمةٌ واسعةٌ كلَّ شيء﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ أى: لمن علمت منه التوبة ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾: إياها، ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾، عطف على مفعول أدخل ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أى: أدخلهم وهؤلاء، وساو بينهم فى المترلة، لتُتم سرورهم وتُقر أعينهم. عن سعيد بن جبير(١) إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أقاربه أين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك فى العمل فيقول: إنى إنما عملت لى ولهم، فيلحقون به فى الدرجة، ثم تلا هذه الآية وهذا معنى قوله تعالى: "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان" الآية[الطور: ٢١] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب القادر على كل شيء، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى جميع أفعالك ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أى: العقوبات أو وبال السيئات، وهو تعميم بعد تخصيص ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ ﴾ أى: تقه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾، وجاز أن يراد من السيئات فى الموضعين المعاصي، فيكون معناه ومن تقه فى الدنيا عن المعاصي، فقد رحمته يوم القيامة ﴿وَذَلِكَ﴾: الرحمة والوقاية، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

---

(١) أخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعًا بمعناه ١٢ در منثور.[ذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١١٤/٧) وقال: "رواه الطبرانى فى الصغير والكبير وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف".]

ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ
ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ
ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ
﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو
ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾
يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ
ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي
ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ[1] **كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾**: فى القيامة ويقال لهم **﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾**: إياكم، **﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾** أى: لمقت الله تعالى أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا فأعرضوا أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا العذاب فى القيامة، فإنهم أبغضوا أنفسهم ومقتوها غاية المقت عند غمرات النيران لسبب ما اكتسبوا من الآثام، الموجبة للعذاب المخلد، ثم من يجوز الفصل فى الظرف لسعته بأجنبي وهو الخبر بين المصدر ومعموله يجوز أن يكون إذ تدعون ظرفًا للمقت

(١) لما ذكر فى أول السورة أحوال الكافرين المجادلين فى آيات الله عاد إلى شرح أحوالهم وبين أنهم فى القيامة يعترفون بذنوبهم، واستحقاقهم العذاب يسألون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم، فقال: "إن الذين كفروا ينادون" الآية/ ١٢ كبير.

الأول، ومن لم يجوز فعنده أنه منصوب بمقدر، هو اذكروا، أو مصدر آخر أى: مقته إياكم إذ تدعون، وقيل متعلق بمقتكم، أو أكبر على سبيل العلية والسببية، ومعناه بغض الله تعالى إياكم أكبر من بغض بعضكم بعضا؛ لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان فى الدنيا فكنتم تكفرون ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أى: إماتتين وإحياءتين وذلك لأنهم فى أرحام أمهاتهم نطف، لا حياة[1] فيهم، فأحيوا فى الدنيا ثم أميتوا عند آجالهم ثم أحيوا للبعث وهذا هو الصحيح الذى عليه ابن عباس وابن مسعود وكثير من السلف رضى الله عنهم وهذا إقرار منهم بالبعث، والقدرة التامة التى أنكروها فى الدنيا، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾: من النار، ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ فنسلكه فأجيبوا بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ أى: ما أنتم فيه من العذاب، ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أى: منفردا بالذكر ﴿كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾: بالإشراك ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾: حيث حكم بالعذاب السرمد عليكم ﴿الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾: من أن يشرك به ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ[2] آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده وكمال قدرته، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

---

(١) وعلى هذا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز، وقد جوز فى المثنى والمجموع كالأمهات والجدات قال تعالى: "وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم"[البقرة:٢٨]، وهذا كقولك: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبَّر جسم الفيل. أراد الإنشاء على تلك الهيئة، والسبب فى صحته أن الصغر والكبر جائزان على مصنوع واحد من غير ترجيح، فإذا اختار الصانع أحدهما وهو متمكن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع من الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقل منه /١٢ وجيز.

(٢) لما ذكر ما يوجب التهديد فى حق المشركين، أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته، ليصير ذلك دليلا على أنه لا يجوز جعل غيره شريكًا له، والمعنى أن الوقوف على دلائل توحيد الله كالأمر المركوز فى العقل إلا أن القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصير كالمانع من تجلى تلك الأنوار، فإذا أعرض العبد عنها وأناب إلى الله تعالى زال الغطاء والوطاء فظهر النور التام، ولما قرر هذا المعنى صرح بالمطلوب وهو الإعراض
=

﴿رِزْقًا﴾: أسباب رزق أى: المطر، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: بالآيات، ﴿إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾: يرجع إلى الله تعالى، فإن المنكر المعاند لا ينظر فيما ينافى مقصوده ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أخلصوا له العبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: إخلاصكم ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ كناية عن علو شأنه، أو درجات الجنة للمؤمنين، خبر ثان لهو[1] أو خبر لمحذوف﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: مالك أصل العالم الجسمانى ومدبره ﴿يُلْقِى الرُّوحَ﴾، خبر رابع، والروح الوحى فإنه محيى القلوب من موت الكفر أو المراد جبريل ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: من قضائه ومن ابتدائية متعلقة بيلقى أو حال من الروح "قل الروح من أمر ربي"[الإسراء:٨٥] ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فيجعله نبيا ﴿لِيُنْذِرَ﴾: الضمير لمن ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: يوم القيامة يلتقى فيه الخالق والمخلوق، وأهل السماء والأرض، والظالم والمظلوم، والعباد وما عملوا من خير وشر، ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾: ظاهرون لا يسترهم شىء بدل من يوم التلاق الذى هو مفعول به، ويوم مضاف إلى جملة "هم بارزون"﴿لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعمالهم وأحوالهم وذواتهم ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم حين إفناء الخلق ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، حكاية لما يجاب به، لا أحد يجيبه فيجيب نفسه[2]، وقيل: الجواب للعباد كلهم، والسؤال عنهم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾، فإنه سبحانه عادل متفضل حرم الظلم من فضله على نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾،

= عن غير الله، والإقبال بالكلية على الله تعالى فقال:" فادعوا الله مخلصين له الدين"/١٢ كبير.

(١) للفظ هو فى قوله تعالى: "**هو الذى يريكم**"/١٢.

(٢) بعد أربعين سنة يكون الصوت بالسؤال بين العرش والكرسى، وهذا مصرح فى الأحاديث المعتمدة /١٢ وجيزة.

لأنه لا يشغله حساب أحد عن حساب آخر،﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾: القيامة الآزفة القريبة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: من الخوف زالت عن مقارها فلا هى تعود ولا تخرج فيموتوا أو يستريحوا ﴿كَاظِمِينَ﴾: ممتلئين كربا، أو ساكتين والكظوم السكوت وتعريف القلوب والحناجر[1] عوض أى: قلوبهم لدى حناجرهم، "فكاظمين" حال من المضاف إليه فى حناجرهم، والعامل ما فى الظرف من معنى الفعل أو من الضمير فى "لدى" الراجع إلى القلوب ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: محب مشفق ﴿وَلاَ شَفِيعٍ[2] يُطَاعُ ﴾: فيشفع ويكون للشفاعة فائدة، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ[3] الأَعْيُنِ﴾ أى: خيانتها كلحظة المرأة الحسناء إذا غفل الناس وغمزها، أو الخائنة صفة للنظرة ﴿وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾ أى ما تخفيه، وجملة يعلم خائنة الأعين مستأنفة كالتعليل لقوله تعالى: "وأنذرهم"﴿وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ﴾ لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) عن المضاف إليه /١٢.

(٢) والمقصود نفى المعين لهم، ولذلك قال حميم وشفيع يطاع فإن محبا غير مشفق وشفيعًا غير مطاع وجوده وعدمه سواء /١٢ وجيز.

(٣) أخرج أبو داود والنسائى وابن مردويه عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة أمّن[هكذا بالأصل، والمراد: أمن أهل مكة] رسول الله ﷺ إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: "اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة" منهم عبد الله بن سعد أبى سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به فقال: يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى أن يبايعه،ثم بايعه، ثم أقبل على أصحابه فقال: "أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت يدى عن بيعته فيقتله، فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما فى نفسك هلا أومأت إلينا بعينك قال: "إنه لا ينبغى لنبى أن يكون له خائنة الأعين" [صحيح، وانظر صحيح سنن أبى داود(٣٦٦٤)]/١٢ درمنثور.

﴿يَدْعُونَ﴾ أى: المشركون إياهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لأنهن جمادات ففيه تهكم لأن لا يقال فى الجماد يقضى أو لا يقضى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وعيد للمشركين وتقرير لإحاطة علمه.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ
مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ
مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ
(٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ (٢٧)﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فإنه يظهر من مساكنهم علامات سوء عاقبتهم ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قدرة وتمكنًا، وهم ضمير الفصل والأصوب أن يُجعل هم مبتدأ لا فصلاً ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ مثل الحصون والقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ و لم تنفعهم قوتهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ يقيهم من عذابه فمن زائدة وواق اسم كان ﴿ذَلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الدالة على صدقهم،﴿فَكَفَرُوا

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾: لا عجز له أصلاً، ﴿شَدِيدُ[1] الْعِقَابِ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: حجة ظاهرة، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: وزير[2] فرعون ﴿وَقَارُونَ﴾ أغنى الناس فى ذلك الزمان ﴿فَقَالُوا﴾:هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وفى هذه الحكاية تسلية وبشارة لرسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: الدليل على نبوته، ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: للخدمة وهذا أمر من فرعون بإعادة ما كانوا يفعلون بهم، فإنه كان قد أمسك عن قتل أبناءهم ولما بعث موسى أعاد القتل عليهم[3]، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع وزوال ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ كان فيهم من يمنعه نصحًا عن قتله خوفًا من العذاب، ﴿وَلْيَدْعُ﴾: موسى، ﴿رَبَّهُ﴾: الذى يزعم أنه أرسله فيقيه منا، وفيه دليل على أن قوله ذرونى تمويه وتورية، فإن ظاهره الاستهانة به وباطنه الخوف من دعائه[4] ربه ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: الذى أنتم عليه إن لم أقتله ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾: من الفتن والتهارج والخلاف أراد يبدل دينكم أو دنياكم ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ حقيقة وهو الله تعالى ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ[5] الْحِسَابِ﴾ أظهر التوكل على الله وعلمهم.

---

(١) ولما حثهم على السير والنظر فى عاقبة من كفر ولم يرفع رأسه إلى المعجزات الظاهرات، جاء بحكاية موسى مع فرعون فقال: "ولقد أرسلنا موسى" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وكان فى نهاية الكبر والحشمة /١٢ وجيز.

(٣) غيظًا وتشفيا عما فى صدره من الهم والحزن /١٢ وجيز.

(٤) فإنه كان سفاكا لا يشاور أحدًا /١٢ وجيز.

(٥) فإن من آمن بيوم الحساب لا يجترئ على الظلم وعلمهم التوكل وقال "ربى وربكم"، ولم يسم فرعون، بل جاء بما يشمله /١٢ وجيز.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن
يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ
﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ
دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ
عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: من أقاربه وهو ابن عمه[1]، وعن بعض السلف أنه إسرائيلي، وعنده إن قوله: "من آل فرعون" متعلق بقوله: **﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾**:

(١) آمن بموسى سرًّا، وكان اسمه حزئيل عند ابن عباس والأكثر/١٢.

من فرعون، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا[1] أَنْ يَقُولَ﴾ أى: لأن يقول: ﴿رَبِّى اللَّهُ﴾: وحده، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات على صدقه، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، هذا إظهار لإيمانه وإرشاد ثم أخذ فى الاحتجاج فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: وبال كذبه على نفسه لا يتخطاه، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ﴾ أى: لا أقل من أن يصبكم ﴿بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، ففيه إظهار الإنصاف وكمال الشفقة فإنه بنى الكلام فى النصح على التنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، كلام ذو وجهين يعنى لو كان مسرفًا لما هداه الله إلى البينات، ولو كان كاذبا فهو غير مهتد، فخلوا سبيله ولا تعظموا شأنه وكان فيه تعريضًا لفرعون بالإسراف والكذب ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، وهذا من تتمة نصحه ﴿ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ﴾: غالبين فى مصر، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾: عذابه، ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾، فلا تتعرضوا لبأس الله بقتله، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: حين منع من قتله: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾: من الرأى، أى: لا أشير عليكم، ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾: من المصلحة يعنى قتله، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾، بهذا الرأى: ﴿إِلَّا سَبِيلَ[2] الرَّشَادِ﴾: طريق صلاحكم، ﴿وَقَالَ الَّذِى آمَنَ﴾ من قوم فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾: يوم وقائع الأمم الماضية، ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾

---

(١) أخرج البخارى وابن المنذر وابن مردويه من طريق عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى ﷺ ثم قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم /١٢ در منثور.

(٢) وهذه الكلمات من فرعون الذى يدعى الألوهية مع تجبره وسفكه الدماء من غير تأول نص صريح فى أنه خائف، وهو عالم بأن ما جاء به موسى حق لكن يتجلد دفعًا لخجله/١٢.

عطف بيان لمثل الأول ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أى: مثل جزاء عادتهم من الكفر وتكذيب الرسل، ترك جمع اليوم والدأب لعدم الإلباس فإن لكل منهم[1] يومًا ودأبًا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، فلا يعاقبهم من غير استحقاق، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يوم القيامة سمى بذلك لكثرة النداء فيه بالسعادة والشقاوة[2]، ونداء بعضهم بعضًا خوفهم عن عذاب الدنيا أولاً ثم عن عذاب الآخرة،﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾: عن الموقف، ﴿مُدْبِرِينَ﴾: فارين عن النار ذاهبين،﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾: يوسف بن يعقوب[3] بعثه الله تعالى من قبل موسى رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه تلك الطاعة، نعم أطاعوه لمجرد الوزارة والجاه الدنيوى وهذا أيضًا من كلام مؤمن آل فرعون، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾: من الدين، ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: مات، ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: جزمتم بأن لا رسول بعده مع الشك فى رسالته ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: فى معصيته، ﴿مُرْتَابٌ﴾: شاك فى دينه المبين بالحجج ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾، بدل من "من هو مسرف"، وهو فى معنى الجمع أو تقديره هم الذين ﴿فِى آيَاتِ اللَّهِ﴾: ليبطلوه، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: حجة، ﴿أَتَاهُمْ﴾، بل بمجرد تشهيهم ﴿كَبُرَ﴾، فاعله ضمير راجع إلى من والحمل على المعنى أولا ثم على اللفظ ثانيًا، جائز من غير ضعف أو إلى الجدال المدلول

---

(١) لظهور أن الأحزاب ما هلكوا فى يوم واحد /١٢ وجيز.

(٢) بأن نادى مناد ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعده أبدًا وفلان شقى شقاوة لا يسعد سعادة بعدها أبدًا /١٢ كمالين.

(٣) وهو الصحيح /١٢ وجيز.

عليه بقوله يجادلون،﴿مَقْتًا﴾: بغضًا تمييز، ﴿عِنْدَ اللَّه[1] وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الطبع، ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[2]﴾: يختم عليه فلا يعـــى خيرًا، ولا يفقه الرشاد،﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَـــرْحًا﴾: قصـــرا عاليًـــا ظاهرًا، ﴿لَعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ أى: الطرق أو الأبواب ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ أبهمـــه ثم أوضحه تعظيمًا وتشويقًا إلى معرفته، ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ من قرأ بالنصب فبجواب الـــترجى، تشبيهًا بالتمنى من جهة إنشاء التوقع ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، فهو جاهل، أو متجــــاهل، يلبس على قومه، فإن الوصول إلى السماء بالبناء محال، ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ[3] كَاذِبًا﴾: فى أن

---

(١) والأولى فى إعرابه أن الذين مبتدأ وكبر خبره وفيه ضمير إلى مصدر يجادلون نحو مـــــن كذب كان شرًا له، وهذا إعراب لا غبار عليه /١٢ وجيز.

(٢) وتلك الصفات فى فرعون وأكثر قومه، وقد عدل عن مخاطبتهم لحسن محاورته لهـــم فى كبر مقتا ضرب من التعجب/١٢ وجيز.

(٣) فى ادعائه بأن له إلهًا غيرى مستويًا على العرش فوق السماوات /١٢ فتح احتج به أهـــل الحديث وأئمة الإسلام وأعلام الهدى، على أن الله عز وجل فوق سماواته على عرشـــــه وعلى أن جميع الرسل متفقون عليه، وأن فرعون اللعين كذب موسى فى قوله إن الله فى السماء بوجوه منها: أن فرعون كان من المنكرين لوجود الله وكل ما يذكره فى صفات الله تعالى فذلك إنما بذكره لأجل أنه سمع أن موسى يصف الله بذلك، فلولا أنه سمـــــع موسى يصف الله بأنه موجود فى السماء لما طلبه فى السماء، ومنها أنه قال: وإنى لأظنـه كاذبًا، و لم يبين أنه كاذب فى ماذا، والمذكور السابق متعين لصرف الكلام إليه، فكـــان التقدير فأطلع إلى الإله الذى يزعم موسى أنه موجود فى السماء، ثم قال انى لأظنه كاذباً أى: وإنى لأظن موسى كاذباً فى ادعائه أن الإله موجود فى السماء، وذلك يدل على أن دين موسى هو أن الإله موجود فى السماء، ومنها أن العلم بأنه لو وجد إله لكـــــان فى السماء علم بديهى متقرر فى كل العقول والفطر، ولذلك ترى النساء والصبيان والجهال والأعراب إذا تضرعوا إلى الله رفعوا وجوههم وأيديهم إلى السماء، وأن فرعون مــــع =

له إلهاً فى السماء(1) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزين، ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: عن(2) طريق رشاده ومن قرأ صَدَّ فمعناه صَدَّ فرعونُ الناس عن الحق بأن أوهم رعاياه بأنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى العلم بكذبه ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار لا ينفعه كيده.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ
إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ
وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ
وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ

= نهاية كفره لما طلب الإله فقد طلبه فى السماء، وهذا يدل على أن العلم بأن الله موجود فى السماء علم متقرر فى عقل الصديق والزنديق والملحد والموحد والعالم والجاهل، وقد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وجميع أئمة الهدى ومصابيح الدجى فى كل عصر، وقد نقلوا إجماع الرسل عليهم السلام على ذلك كما قال الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله- فى كتاب الغنية: وكونه سبحانه فى السماء مذكور فى كل كتاب أنزل على نبى أرسل، وقد مر بعض عبارات الأئمة فى سورة القصص تحت قوله تعالى: "وإنى لأظنه من الكاذبين" فتذكر/١٢.

(١) فى أن له إلها فى السماء، وقد سمع من موسى أن الله فى السماء كما هو وارد فى صحاح الأحاديث وحسانها/١٢ وجيز.

(٢) وهو لأنه كان معاندًا فحاله أسوء وهو أضل/١٢ وجيز.

﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ
﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعٗا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي
ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمٗا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ
تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وَقَالَ الَّذِى آمَنَ**﴾ مؤمن آل فرعون: ﴿**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾: أدلكم عليه، ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ أى: ما هذه الحياة، إلا ﴿**مَتَاعٌ**﴾: تمتع قليل تذهب عن قريب،﴿**وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾: فإنها لا تزول، ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾: بغير تقدير لا كالسيئة فإنها بموازنة العمل وما هذا إلا من سعة فضله ورحمته ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ**﴾: إلى ما هو سبب لها ﴿**وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**﴾، وهذا المنادى عطف على قوله ياقوم اتبعونى لا على يا قوم إنما هذه؛ لأن الثانى كالبيان للأول ولهذا تراه بغير عطف بخلاف الثالث ﴿**تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ**﴾، بيان للثاني، والدعاء كالهداية فى التعدية بإلى واللام ﴿**وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾: شيئًا ليس لى بربوبيته حجة وبرهان أى ما ليس بإله ﴿**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ**﴾: الغالب القادر المطلق ﴿**الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا**

﴿تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ﴾: لا ردّ لما دعوه إليه وجَـرَمَ فعل بمعنى حق وما بعده فاعله أى: حق، وثبت أن الذى تدعوننى إليه باطل ليس له ثبوت أصلاً فى زمان، أو بمعنى كسب، وفاعله ضمير إلى ما قبله وما بعده مفعول أى: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوة ما تدعوننى إليه، أى: ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، أو اسم بمعنى القطع ولا لنفى الجنس وما بعده خبره أى لا قطع ولا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام، ومعنى ليس له دعوة أن ليس له دعوة إلى نفسه ومن شأن المعبود الحق أن يدعو العباد إلى طاعته أو معناه ليس له استجابة دعوة فيكون من تسمية أثر الشيء وثمرته باسم ذلك الشيء **﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾**: مرجعنا إليه، **﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾**: المشركين، **﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ[(١)] لَكُمْ﴾**: من النصح وتتحسرون على عدم القبول **﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ﴾**: فيعصمنى عن كل سوء، **﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**، وذلك حين أوعدوه بمخالفة دينهم **﴿فَوَقَاهُ[(٢)] اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾**، فما وصل إليه آثار مكرهم، ونَجَا مع موسى **﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾**: بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك، **﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾** الغرق فى الدنيا ثم النقلة منه إلى النار **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ[(٣)]**

---

(١) ولما بلغ ذلك المؤمن فى باب النصيحة إلى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما أقول لكم، وفى هذا الإبهام من التخويف والتهديد ما لا يخفى/١٢ فتح.

(٢) قال مقاتل: قصدوا قتله ففر إلى جبل فبعث فرعون إلى أخذه ألف رجل فهلك بعضهم بالعطش وبعضهم بأكلهم السباع وبعضهم لما رجعوا اتهمهم فأمر فرعون بقتلهم وصلبهم فهلك الألف عن آخرهم ونجا /١٢ وجيز.

(٣) قيل: المراد من العرض الإحراق بها، يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم وفيما بين الغدو والعشى الله أعلم بحالهم، إما التنفيس أو التعذيب بغير النار وجاز أن يراد من الغداة والعشى الدوام/١٢ وجيز [قلت: والأخير هو الصواب، وهو ما رجحه الطيبى فى شرحه على المشكاة بتحقيقى فى بعض المواضع، وسماه بالكناية الزبدية].

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ مبتدأ وخبر أو النار بدل من سوء العذاب، ويعرضون حال،﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، قيل لهم، ﴿أَدْخِلُوا[1] آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، فى الصحيحين "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"، وهذه الآية أصل فى استدلال عذاب القبر وعليه سؤال وهو أن الآية لا شك فى أنها مكية، وفى مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية فى المدينة كانت تعيذ عائشة عن عذاب القبر، فسألت عنه رسول الله ﷺفقال: "كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة"، فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمرا عيناه بأعلى صوته: "أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر(*)، فإنه حق" فقيل فى جوابه: إن الآية دلت على عذاب الأرواح فى البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبته عليه السلام عذاب الجسد فيه، والأولى أن يقال الآية دلت على عذاب الكفار فيه وما نفاه ثم أثبته عذاب القبر للمؤمنين ففى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية قالت: أشعرت أنكم تفتنون فى القبور فلما سمع عليه الصلاة والسلام قولها ارتاع وقال: "إنما يفتن اليهود" ثم قال بعد ليال: "أشعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور"، ثم كان بعده يستعيذ من عذاب القبر ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾، واذكر وقت تخاصمهم ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: فى الدنيا جمع تابع كخدم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾: نصيبًا مفعول اسم الفاعل بتضمين مغنون معنى دافعون ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾: نحن وأنتم وكفانا

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر بحذف الألف والوصل وبضمها فى الابتداء وضم الخاء من الدخول، وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال أى: يقال للملائكة أدخلوا /١٢ معالم.

(*) أخرجه أحمد فى "المسند" (٦/٨١) بسند صحيح.

ما علينا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ فأعطى كلا ما يستحقه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾، وعذاب جهنم غير منحصر[1] فى النار،﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ أى: قدر يوم، ومن العذاب بيانه، أو بعضًا من العذاب فى يوم من الأيام ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى: أكنتم غفلتم عن هذا و لم تك تأتيكم؟ إلخ، ﴿قَالُوا بَلَى﴾: جاءوا بها، ﴿قَالُوا﴾ الخزنة: ﴿فَادْعُوا﴾: أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعوا لكم وفيه إقناط لهم، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع لا نفع له.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) ولذا لم يقل لخزنتها /١٢.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: بظهور حجتهم والانتقام من أعدائهم والنصرة بهذا المعنى عام لكل رسول والمؤمنين وقيل: الخبر عام وأريد به الأكثرون فإن بعضا منهم قد قتل، كيحيى وزكريا وغيرهما،﴿فِي الْحَيَاةِ[1] الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: فإن الملائكة يشهدون للرسل وعلى الكفار، والجمهور على أن فاعلا لا يجمع على أفعال، وفى الصحاح أنه جمع شَهْدٍ بالسكون وفى المرزوقى جمع شهود ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾، بدل ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، وإن رخصوا فى الاعتذار ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: يعنى جهنم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: ما يهتدى به فى أمر الدين، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: تركنا عليهم من بعده التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرَى﴾، مفعول أوحال، هاديًا ومذكرًا ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم[2]،﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: فى نصرتك، ﴿حَقٌّ﴾، واسْتَشْهِدْ بحال موسى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، لفرطاتك ليُعْلى درجتك، وليصير سنة لأمتك ﴿وَسَبِّحْ﴾: متلبسا، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أواخر النهار وأوائله أو صل العصر والصبح ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿أَتَاهُمْ﴾: يردون الحجج بالشبه،﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ[3]﴾: إلا تكبر عن اتباع الحق يريدون إبطاله،﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾:

---

(١) قيل: بالانتقام من الأعداء فى الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعون ألفا فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، قاله البغوي وزاد فى الفتح وكما نصر الحسين بن على الشهيد فإنه قتل به سبعون ألفًا أيضًا /١٢.

(٢) فإن فيهم من ليس من أولى الألباب.

(٣) ولما كان من أوّل هذه السورة الرد على المجادلين بالباطل نبه هنا أن الكبر هو الذى يحملهم على هذا الجدال الباطل، وذلك الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن

بواصلى مقتضيه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فى إطفاء نارهم، وعن كعب وأبى العالية -رضى الله عنهما- نزلت حين قالت اليهود: إن صاحبنا الدجال[1] يخرج، فنملك به الأرض فأمر الله تعالى أن يستعيذ من شره[*]، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ[2] السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ﴾: أعظم وأشق فى نظر العقل، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾: إعادتهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، فلهذا ينكرون الإعادة مع الاعتراف بخلق الأعظم من غير أصل وهذا رد لجدالهم فى رد البعث، ومن قال: الأمر بالاستعاذة من الدجال، فهذا رد لمقال الدجال من دعوى الألوهية، وإنكار البعث ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى[3] وَالبَصِيرُ

= يكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك، لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسته فى صدورهم كبر لا يرضون أن يكونوا فى خدمتك، فهذا هو الذى يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاصمات الفاسدة/١٢ كبير.

(١) قد وردت أحاديث صحيحة فى ذكر الدجال وخروجه فى آخر الزمان وما يقع منه، وإليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين والفقهاء خلافًا لمن أنكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة،وخلافًا للجبائى وموافقيه فى أنه صحيح الوجود، لكن الأشياء التى يأتى بهما زعموا أنها مخاريف وخيالات لا حقائق لها والأخبار الصحيحة ترده ردًّا مشبعًا/١٢ فتح.

(*) عزاه السيوطى فى "الدر المنثور"، (٥/٦٦١) إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم وصحح سنده.

(٢) لما تقول وتعمل ولما يقولون ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك منهم ولما كان أعظم النظر فى آية المجادلة من أول السورة إلى البعث، وصيرورة العباد إلى الله للحساب والثواب والعقاب فقال مؤكدًا: "لخلق السموات" الآية /١٢ وجيز.

(٣) ولما تقدم قوله: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، ناسب أن يبتدئ بالأعمى ثم بالمثل الآخر ابتداء بالممدوح لمجاورته البصير وقد يخالف هذا الطريق، وكل ذلك تفنن فى البلاغة/١٢وجيز.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ مزيد لا للمبالغة فى نفى مساواته للمحسن، والأولان مثلان للغافل والمستبصر، والآخران للمحسن والمسيء لتغاير وصفيهما أو كأنه قال لا يستوى الأعمى والبصير فكذلك المحسن والمسيء فشبه حالهما فى عدم الاستواء بحالهما،﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ(*)﴾ أى: تذكرون تذكرًا قليلاً، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لأن من تأمل فى أطوار الخلق لعلم أنه لابد من معاد يجازى المحسن والمسيء، ولاتفاق كلمة الأنبياء عليهم السلام مع ظهور معجزتهم عليها،﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بها لغفلتهم وجهلهم ﴿وَقَالَ(١) رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾: سلونى، ﴿أَسْتَجِبْ(٢) لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: عن دعائي(٣)، والدعاء(٤) مخ العبادة، وفى الحديث "من لم يدع الله" وفى رواية "لم يسأل الله يغضب(٥) عليه"، أو معناه اعبدونى أثبكم، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين.

(*) بالأصل: يتذكرون.

(١) ولما بين أن قيام الساعة حق أرشد عباده إلى ما هو الوسيلة إلى السعادة فى دار الخلود فقال: "وقال ربكم ادعوني" الآية /١٢ فتح.

(٢) من دعا حق الدعاء لا محالة يستجيبه الله /١٢ وجيز.

(٣) وفى مسند الإمام أحمد الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﷺ "ادعونى أستجب لكم" الآية، وهكذا روى أصحاب السنن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن صحيح/١٢ وجيز.[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)]

(٤) رواه الترمذى /١٢ فتح.[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣)]

(٥) أخرجه الحاكم وابن أبى شيبة /١٢ فتح.[حسن، وأخرجه أيضا الترمذى فالعزو إليه أولى، وانظر صحيح سننه (٢٦٨٦)]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ
كُلِّ شَيۡءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً
وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ
ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّى نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ
لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلًا
مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿اللَّهُ[1] **الَّذِى جَعَلَ﴾**: أنشأ، **﴿لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا**[2] **فِيهِ﴾**: وتستريحوا من تعب النهار، **﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾**: الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار، فأثبته له مجازًا أو مبالغة

---

(١) ولما ختم بأمر الساعة، التى ينكرها الكفار عقبه بما يدل صريحًا على كمال قدرته، ولا يمكن إنكاره فقال: "الله الذى جعل" الآية /١٢ وجيز.

(٢) ولو قال جعل لكم الليل ساكنًا لا يفهم تلك المبالغة لجواز وصف الليل بسكون هو ملحق فى العرف بالحقيقة نحو: ليلا ساكنًا أى: لا ريح فيه كما يقال: ليل مظلم بارد بخلاف وصفهما بوصف أهلهما فإنه مجاز صرف /١٢ وجيز.

وجعله حالاً، و لم يقل لتبصروا فيه لتلك الفائدة،﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ وفى التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، حيث أوقع على صريح اسمهم الظاهر الموضوع موضع المضمر الدال على أن ذلك كأنه شأن الإنسان وخاصيته﴿ذَلِكُمُ﴾: المختص بتلك الأفعال،﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبار مترادفة أى: هو الجامع لتلك الأوصاف ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف ومن أى وجه؟! ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن عبادته ﴿كَذَلِكَ﴾ أى كما أفكوا ﴿يُؤْفَكُ﴾ فعل المضارع للاستحضار، والمعنى على المضى، ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أى: من غير دليل ولا تأمل، ﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرًا، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: قبة على الأرض،﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ[1] صُوَرَكُمْ﴾: خلقكم فى أحسن صورة، فإحسان الصورة بعد التصوير بحسب الاعتبار، وإن لم يكن تعدد بحسب الوجود،﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من اللذائذ، ﴿ذَلِكُمُ﴾: المخصوص بتلك الأفعال، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، هذا دليل آخر على وحدته ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾: المتفرد بالحياة الذاتية الدائمة، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: موحدين له، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى: قائلين له عن ابن عباس –رضى الله عنهما-: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين ﴿قُلْ﴾: يا محمد حين يدعونك إلى دين قومك، ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِى الْبَيِّنَاتُ﴾: الأدلة على وحدانيته ﴿مِنْ رَبِّي﴾ جواب "لما" يدل عليه ما قبله، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾: أنقاد ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾: من بطون أمهاتكم، ﴿طِفْلًا﴾: وحده لإرادة الجنس أو على تأويل كل واحد، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أى: ثم يبقيكم لتبلغوا سن

(١) ويكفى فى الحسن استواء القامة /١٢ وجيز.

الشباب، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا﴾ أى ثم يبقيكم لتكونوا، ﴿شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أى: من قبل هذه الأحوال ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ أى: ويفعل ذلك لتبلغوا، ﴿أَجَلًا مُسَمًّى﴾ هو أجل الموت المقدر، وقيل: يوم القيامة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: وحدته، عطف على لتبلغوا أجلاً ﴿هُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى﴾: أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: لا يحتاج إلى مادة ومدة وآلة وعدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ
وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ
أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن
قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا
عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ
فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ[(١)] فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الجهل؟!، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾: بالقرآن، ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾:

---

(١) تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن، وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله =

من سائر الكتب، أو المراد من الكتاب جنس الكتب ومن ما أرسلنا رسلنا الشرائع ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: وباله، ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، جعل المتوقع فى حكم الوجود لتيقنه، ولهذا جمع بين سوف[1] وإذ فإنه[2] ظرف ليعلمون ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾، عطف على الأغلال ﴿يُسْحَبُونَ﴾، حال من ضمير أعناقهم أى: يجرون ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾، وقيل: تقديره يسحبون بها، فيكون السلاسل مبتدأ، والجملة خبره، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون، ويصيرون وقود النار ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أى: الذى تشركون به، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى: الأصنام ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾، فقدناهم وذلك قبل أن يقرن آلهتهم بهم أو معناه ضاعوا عنا أى: ما كنا نتوقع منهم، ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: جحدوا شركهم كما قالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين"[الأنعام:٢٣]، أو ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئًا أى العمل كلا عمل،﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ حتى لا يهتدوا إلى ما ينفعهم فى الآخرة بوجه ﴿ذَلِكُمْ﴾: الإضلال، أو العذاب، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ الشرك والضلال ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسعون فى الفرح أو تفسدون ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: السبعة المقسومة لكم ﴿خَالِدِينَ﴾: مقتدين الخلود ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: مترل

= تعالى: "إن الذين يجادلون فى آيات الله"، الآية، بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود، هو الأمنية الفارغة فلا تكرار فيه أى: "انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها، كيف يصرفون عنها، بالكلية؟! قاله أبو السعود/١٢ فتح.

(١) الذى للمستقبل /١٢ وجيز.

(٢) الذى للماضى /١٢.

المتكبرين عن الحق جهنم، ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ[1]﴾: بنصرك وإعلاء كلمتك ﴿حَقٌّ﴾: كائن ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: كالقتل، والأسر، وإن شرطية وما زائدة، وجزاؤه محذوف مثل فذاك، أو فهو المقصود ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: فنجازيهم فى القيامة، وهذا جواب للثانى أو هو جواب لهما أى: إن نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم فى الآخرة عذابًا شديدًا، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْك وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، وفى مسند الإمام أحمد(*) عن أبى ذر عن رسول الله ﷺ أن جملتهم مائة ألف وأربع وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ليس لهم اختيار فى إتيان مقترح أممهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿قُضِىَ بِالْحَقِّ﴾: فنجّى المؤمنين، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: الكافرون، وقيل: أمر الله تعالى القيامة، والمبطلون المعاندون باقتراح الآيات.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى

---

(١) لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع فى تزييف طريقة المجادلين فى آيات الله أمر فى هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم وإيحاشهم بتلك المجادلات /١٢ كبير.

(*) أخرجه أحمد (٥/٢٦٦)، وذكره الهيثمى فى "المجمع"، (١/١٥٩) وقال: "رواه أحمد والطبرانى فى الكبير... ومداره على على بن زيد وهو ضعيف".

ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ
بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ
يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ[1]﴾: إنشاء الإبل والبقر والغنم **﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾**: من الصوف والدَّرّ والوبر **﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾**: من حمل أثقالكم إلى بلد والغنم للأكل وله المنافع والباقى من الأنعام يصلح للكل **﴿وَعَلَيْهَا﴾**: فى البر، **﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾**: فى البحر، **﴿تُحْمَلُونَ[2]﴾** دخول اللام فى بعض دون بعض للفرق بين العين والمنفعة، والأظهر أن الأنعام هاهنا الإبل ولما كان العمدة فى منافعها الركوب والحمل، أدخل اللام عليهما وأما الأكل والانتفاع بالألبان والأوبار وإن كان يصلحان للتعليل أيضًا، لكنهما قاصران عنهما فجعلا مكتنفين لما بينهما من غير دخول لام عليهما وتقديم المعمول فى منها تأكلون، وعليها وعلى الفلك لرعاية الفاصلة وزيادة الاهتمام، ومنها تأكلون عطف على جعل لكم الأنعام عطف جملة على جملة بتقدير وجعل لكم الأنعام منها تأكلون، حتى لا يلزم عطف الحال على العلة وكذلك وعليها وعلى الفلك **﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾** الدالة على كمال القدرة والرحمة، **﴿فَأَىَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾**: أىُّ آية منها **﴿تُنْكِرُونَ﴾**، هو العامل فى

---

(١) لما أطنب فى تقرير الوعيد عاد إلى ذكر ما يدل على وجود الإله الحكيم الرحيم وإلى ذكر ما يصلح أن يعد إنعامًا على العباد /١٢ كبير.

(٢) ولما ذكر ما امتن به من الركوب للإبل فى البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب فى البحر ولهذا قيل الإبل سفينة البر /١٢ وجيز.

أى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾: فإنهم أجسم، ﴿وَآثَارًا فِى الْأَرْضِ﴾: كقصورهم، ومصانعهم ﴿فَمَا أَغْنَى﴾، ما نافية، أو استفهامية منصوبة بأغنى ودخل الفاء، لأنه كالنتيجة بمعنى أنه ترتب عليه وإن كان عكس المطلوب﴿عَنْهُمْ﴾: العذاب وسوء العاقبة، ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1]﴾: كسبهم أو مكسوبهم ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ﴾، الفاء تفسير وتفصيل لما أبهم، وأجمل من عدم الإغناء ﴿رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا﴾: رضوا، ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ[2]﴾: بزعمهم أو سماه علمًا سخرية، وهو قولهم: نحن

---

(١) والمقصود أن هؤلاء الكفار الذين يجادلون فى آيات الله، وحصل الكبر العظيم فى صدورهم بهذا أو السبب فى ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير فى المال والجاه، فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة لأن الدنيا فانية ذاهبة، وقال: "أفلم يسيروا" الآية يعنى لو ساروا فى أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين ليس إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عدداً ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك المكانة العظيمة والدولة القاهرة، إلا الخيبة والخسارة والحسرة والبائرة فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين /١٢ كبير.

(٢) قال الرازى: ويجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال: "نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا" انتهى.

قال ابن القيم فى الإغاثة بعد ذكر فضائح الفلاسفة وتعطيلهم وكفرهم بالأنبياء فصل: وهذه البلايا ليست عامة لجميع الفلاسفة؛ فإن الفلسفة من حيث هى لا يقتضى ذلك، فإن معناها محبة الحكمة والفيلسوف محب الحكمة وقد صار هذا الاسم فى عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء وذهب إلى ما يقتضيه مجرد العقل فى =

....

= زعمه، وأخص من ذلك أنه فى عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وهم فرقة شاذة من فرق الفلاسفة حتى قيل أنه لم يقل من الفلاسفة بقدم الأفلاك غير أرسطو وأصحابه، والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع ومباثنة للعالم، وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته إلى أن قال، وحكى أرباب المقالات أن أول من عرف منه القول بقدم العالم أرسطو، وكان مشركًا يعبد الأصنام وله فى الإلهيات كلام كله خطأ قد رده عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة وفلاسفة الإسلام وأنكر أن يعلم الله شيئًا من الموجودات، وقال: لو علم شيئًا لكمل بمعلوماته ولم يكن كاملاً فى نفسه وكان يلحقه التعب من تصور المعلومات وتبعه من تستر باتباع الرسل وهو منحل من كل ما جاءوا به، ويسمونه المعلم الأول لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وزعم أرسطو وأتباعه أن المنطق ميزان المعاني، كما أن العروض ميزان الشعر، وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان وعوجه وتخبيطه للأذهان وصنفوا فى رده وتهافته وآخر من صنف فى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ألف فى رده، وإبطاله كتابين بين فيهما تناقضه وتهافته وفساد كثير من أوضاعه رأيت فيه تصنيفًا لأبى سعيد السيرافي، والمقصود أن الملاحدة درجت على إثر هذا المعلم حتى انتهت النوبة إلى معلمهم أبي نصر الفارابى فوضع لهم التعاليم المصوتية، كما أن المعلم الأول وضع لهم التعاليم الحرفية، ثم وسع هذا المعلم الثانى الكلام فى صناعة المنطقية وشرح فلسفة أرسطو وهذبها والله عند هؤلاء كما قرره -أفضل متأخريهم وقدوتهم الذى يقدمونه على الرسل أبو على بن سينا- هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق وليس له صفة ثبوتية يقوم به، ولا يفعل شيئًا باختياره، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلا، ولا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئًا من المغيبات ولا كلام له يقوم به ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر فى الذهن لا حقيقة له وليس هو الرب الذى دعت إليه الرسل وعرف الأمم بل الرب الذى دعت إليه الملاحدة، وجردته عن الماهية وعن كل صفة ثبوتية وكل فعل اختيارى وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به =

أعلم لا بعث ولا عذاب وهذا فى الحقيقة جهل، وقيل: معناه استهزءوا بما عند الأنبياء من العلم، وقيل: رضوا بما عندهم من علم الدنيا ومعرفة تدبيرها واكتفوا بها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: وبال ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، قيل: فيه إشعار إلى المعنى الثانى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: عاينوا وقوع العذاب، والفاء لمجرد التعقيب ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: منفردًا بالإيمان، ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ﴾: من الأصنام، ﴿مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ﴾ أى: لم يصح[1] أن ينفعهم ﴿إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ﴾ أى: سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فهى من المصادر المؤكدة ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾، استعير اسم مكان للزمان أى: وقت البأس، ﴿الْكَافِرُونَ﴾ أى: ظهر لهم خسرانهم.

والحمد لله على نعمائه.

= ولا مباينا له ولا فوقه ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله، وقول هؤلاء الملاحدة أصلح من قول معلمهم أرسطو فإن هؤلاء أثبتوا واجبًا وممكنًا هو معلول له، صادر عنه صدور المعلول عن علته وأما أرسطو فلم يثبته إلا من جهة كونه مبدأ عقليا للكثرة وعلة غائية لحركة الفلك فقط، وصرح بأنه لا يفعل شيئًا باختياره وهذا الذى يوجد فى كتب المتأخرين من حكاية مذاهبه من وضع ابن سينا فإنه قربه من دين الإسلام بجهده وغاية ما أمكنه أن قربه من قول غلاة الجهمية انتهى /١٢.

(١) وهذا أبلغ من قولك لم ينفعهم لأنه إنما يلتقى الوقوع لا الصحة والاستقامة/١٢ وجيز.

سورة حم السجدة(*) مكية

وهى ثلاث أو أربع وخمسون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا
لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ
حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ
إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞﴾

﴿**حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ تنزيل خبر حم إن كان اسمًا للسورة؛ وإلا فهو خبر محذوف، أو مبتدأ مخصص(١) خبره قوله ﴿**كِتَابٌ**﴾، وعلى الأولين إما خبر بعد خبر، أو بدل أو خبر محذوف﴿**فُصِّلَتْ**﴾: ميزت وبينت ﴿**آيَاتُهُ قُرْآنًا**﴾ نصب على المدح أو حال، ﴿**عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾: لقوم صفة أخرى لقرآناً، أو متعلق بفصلت أى: هذا التفصيل للعلماء، فإنهم هم العالمون به ﴿**بَشِيرًا**﴾: للمؤمنين ﴿**وَنَذِيرًا**﴾: للكافرين ﴿**فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ**﴾: عن تأمله، ﴿**فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾: سماع قبول،

(*) فصلت.

(١) يعنى تنزيل مبتدأ نكرة مخصص بالصفة وهى من الرحمن الرحيم/١٢منه.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّة﴾: أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: فلا نفقه ما تقول ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: صمم، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ يعنى نحن فى ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم، ولا يسمع، وبينه -مع ما هو عليه- وبين داعيه -مع ما هو عليه- حجاب غليظ، فلا تلاقى ولا ترآى، وفائدة من أن الحجاب ابتدأ منا ومنك، فيدل على استيعاب ما بين الطرفين بالحجاب ﴿فَاعْمَلْ﴾: على دينك، ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾: على ديننا، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أى: لست بجنى ولا بملك أتكلم بما لا تفهمون،﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: وجهوا إليه وجوهكم، وأخلصوا له العبادة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: من سالف الذنوب ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: لا يطهرون أنفسهم، "قد أفلح من زكاها"[الشمس:٩]، "قد أفلح من تزكى"[الأعلى:١٤]، أو المراد زكاة أموالهم، وأصلها مأمور به فى ابتداء البعثة وأما مقدارها وكيفيتها فبين أمرها بالمدينة. ولفظ الإيتاء يساعد المعنى الثاني، بل كالصريح، لكن الأول منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مقطوع وأما المنة فلله على أهل الجنة، "بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان"[الحجرات:١٧].

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَٰتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا

لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ أى فى حقيقة يومين معلومين عند الله، لا نعرف كيفيتهما أو فى قدر يومين لأن الظاهر من قوله: "رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها"[النازعات:٢٨-٢٩]، أن حدوث اليوم والليلة بعد خلق السماء وعن كثير من السلف أن اليومين: الأحد والاثنان وفيه إشكال، اللهم إلا أن يقال: إن الله تعالى لما خلق الأزمان سمى أول يومه السبت ثم الأحد ثم الاثنان ثم وثم، وخلق السماء والأرض وما بينهما فى مقدار ستة أيام قبل حدوث الزمان متصل بحدوثه بمعنى أنه لو كان الزمان حين الخلق موجوداً لكانت مدة الخلق ستة أيام يكون أوله يوم الأحد البتة، وآخره يوم الجمعة ﴿**وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ**﴾: القادر العظيم، ﴿**رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا**﴾: فى الأرض، ﴿**رَوَاسِيَ**﴾: جبالاً ثوابت وهو عطف على محذوف، أى خلقها وجعل، وقيل: عطف على خلق والفصل بالجملتين كلا فصل؛ لأن الأولى بمنزلة الإعادة لتكفرون، والثانية اعتراضية كالتأكيد لمضمون الكلام، ﴿**مِنْ فَوْقِهَا**﴾: مرتفعة ليظهر على الناظرين ﴿**وَبَارَكَ فِيهَا**﴾: بخلق المنافع فيها، ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾: أقوات أهلها، أو قدر فى كل بلدة ما لم يجعله فى الأخرى، ﴿**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ أى: تتمتها لقوله: "خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام"

[السجدة:٤][(١)]، واليومان الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَاءً﴾ أى: استوت استواءً بلا زيادة ولا نقصان، والجملة صفة أيام ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ أى: هذا الحصر للسائلين عن مدة خلقها، أو متعلق بقدّر أى: قدر فيها للمحتاجين أقواتها ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد نحوها، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: ارتفع من الماء الذى عليه عرشه، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾: ما أمركما أى: افعلاه واستجيبا لأمرى، كما يقال: ائت ما هو الأحسن قيل: إتيان السماء حدوثها، وإتيان الأرض أن تصير مدحوة. عن ابن عباس -رضى الله عنه- أطلعى شمسك وقمرك ونجومَك يا سماء وشققى أنهارك فأخرجى ثمارك ونباتك يا أرض ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: طائعتين أو مكرهتين أى: شئتما أو أبيتما ذلك ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾: استجبنا لك منقادين لما خاطبهما وأقدرهما على الجواب أجراهما مجرى العقلاء عن بعض السلف أن المتكلم موضع الكعبة، ومن السماء ما يسامنه ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾: خلقهن، وأحكمهن الضمير إلى السماء على المعنى ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، حال ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: يوم الخميس والجمعة، وهذه الآيات مشعرة بأن خلق الأرض ودَحْوَها مقدم على خلق السماوات[(٢)]، وهو مخالف لما فى سورة النازعات "والأرض بعد ذلك دحاها"[النازعات:٣٠]، فلابد أن نقول أن ثم فى "ثم استوى إلى السماء" للتراخي[(٣)]

---

(١) وثبت أن خلق السماوات فى يومين فلو كان الكلام على ظاهره لزم أن يكون خلق المجموع فى ثمانية أيام، وقد ثبت أنه فى ستة وظاهر كلام الزمخشرى أن قوله: "فى أربعة أيام" خبر مبتدؤه محذوف أى: المجموع فى أربعة /١٢ منه ووجيز.

(٢) لأن خلق الجبال وجعلها رواسى من فوق الأرض والبركة فيها بخلق المنافع وتقدير الأقوات قبل الدحو بعيد جدا، وإن كان أحد القولين المذكورين وهو قوله: وإتيان الأرض أن تصير مدحوة هو ذلك البعيد فتأمل/ ١٢ منه.

(٣) وقال الشوكانى بعد ذكر هذا الاستشكال: إن ثم ليست للتراخى الزماني، بل للتراخى الرتبي، فيندفع الإشكال من أصله، وعلى تقدير إنها للتراخى الزمانى فالجمع ممكن، بأن =

الرتبى لا الزماني، وسنذكره فى سورة النازعات ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قرر ورتب شأنها أى: خلق ما يحتاج إليه من الملك، وما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: الكواكب كلها ظاهرة[1] عليها،﴿وَحِفْظًا﴾ مصدر لمحذوف أى: وحفظناها من استراق السمع حفظا ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾: مع هذا البيان عن الإيمان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾: مهلكة، ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾، حال من صاعقة عاد أو ظروفها لما فيها من معنى الفعل أى: صعقوا إذ جاءتهم﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: من القرى القريبة من

= الأرض خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد خلقها فهى متقدمة خلقًا متأخرة دحوًا وهذا ظاهر انتهى.

وفى الوجيز بعد ذكر الإشكال والأولى أن ثم هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب الزمان، كأنه قال أخبركم بأنه خلق الأرض وجعل فيها كذا وكذا ثم أخبركم أنه استوى إلى السماء، فلا تعرض فى الآية للترتيب، ولما كان خلق السماء أبدع استؤنف الإخبار فيه بثم وهذا كقوله: "ثم كان من الذين آمنوا" بعد قوله: "فلا اقتحم العقبة" [البلد:١٣-١٧]، ومن هذا القبيل أيضًا "ثم آتينا موسى الكتاب" بعد قوله: "قل تعالوا" الآية [الأنعام:١٥١-١٥٤]، ويدل على أن المقصود الإخبار بوقوع هذه الأشياء من غير ترتيب وقوله فى الرعد "الذى رفع السموات بغير عمد ترونها" الآية ثم قال بعد: "وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى"[٢-٣]الآية فظاهر هذا رفع السماوات، ثم مد الأرض وظاهر ما فى هذه السورة جعل الرواسى قبل خلق السماء، لكن المقصود من الآيتين الإخبار بصدور ذلك منه من غير تعرض لترتيب ما، كأنه لا يندفع الإشكال إلا بهذا / ١٢.

(١) إشارة إلى أنه يمكن تصحيح كلام أهل الهيئة أن السيارات فى سبع سماوات كما قال تعالى: "كل فى فلك يسبحون"[الأنبياء:٣٣] بأن نقول: لما كانت الكواكب ظاهرة على السماء الدنيا ترى كأنها تلالؤ عليها فيصدق أن سماء الدنيا مزينة بها / ١٢ منه.

بلادهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ القرى البعيدة كما قال: "وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه"[الأحقاف:٢١]، وقيل: من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة كما قال الشيطان: "لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم"[الأعراف:١٧]، وقيل: أنذروهم من مثل الوقائع المتقدمة ومن العذاب المتأخر أى: عذاب الآخرة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن بمعنى أى ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾: إرسال الرسل، ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: برسالته فإنما أنتم لستم بملائكة ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: على زعمكم، ﴿كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بغوا وعتوا، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، اغتروا بقوتهم ومزيد قدرتهم وحسبوا أنها تغنيهم عن العذاب،﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أزيد قدرة منهم، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أى: يعلمون وينكرون عطف على فاستكبروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة الصوت من الصرير وشديدة البرد من الصِّرّ[1] ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: مشئومات عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: الذل وصف به العذاب مع أنه فى الأصل صفة المعذب على الإسناد المجازى للمبالغة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: دللناهم على طريق الحق[2]، بلسان نبيهم صالح -عليه السلام ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾: اختاروا الضلالة ﴿عَلَى الْهُدَى﴾، وهذا لا ينافى كون الضلال بمشيئة الله تعالى، وإنما ينافيه لو كان معنى هديناهم[3] أردنا منهم

---

(١) صَرَّ يَصِرُّ صَرًّا وَصَرِيرًا صَوَّتَ / ١٢ قاموس.

(٢) وفى الوجيز بعد ما فسر الآية بما فسر به المصنف وهذا تفسير ظاهر موافق من غير تكلف لمذهب أهل السنة والجماعة.

(٣) رد على الزمخشرى -عفا الله عنه- حيث قال: لو لم تكن فى القرآن حجة على القدرية إلا هذا لكفى بها حجة. سمى أهل السنة باسم المعتزلة وقد صار كالمثل فى =

الهدى ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: صيحة ورجفة؛ وهى الذل والهوان والإضافة إلى العذاب ووصفه بالهوان للمبالغة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من القبائح ﴿وَنَجَّيْنا﴾: من تلك الصاعقة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ[1] يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أى اذكره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ما مزيدة لتأكيد ظرفية للشهادة أى: إنما تقع فيه

= الاشتهار أن القدرية هم الذين لا يؤمنون بالقدر خيره وشره نسبة لمبالغتهم فى نفيه/١٢ منه.

(١) ولما ذكر ما عاقبهم به فى الدنيا ذكر ما عاقبهم فى الآخرة فقال: "ويوم يحشر أعداء الله" الآية / ١٢ فتح.

البتة ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من المعاصي، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾، خص الجلود بالسؤال لأن الشهادة منها أعجب إذ ليس شأنها الإدراك بخلاف السمع والبصر ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾: لأى علة؟! وبأى موجب؟! ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أى: كل شيء ينطق فما شهدنا اختيارًا، بل اضطرارًا، والأعضاء فى القيامة هى الناطقة بالحقيقة[1] وفيها القدرة والإرادة، لا كنطق ينسب إلى الجملة، واللسان مجرد آلة حتى إن إسناد النطق إليه ربما يعد مجازًا ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، الظاهر أنه من تتمة كلام الجلود[2] عن ابن عباس -رضى الله عنهما- إن الكافر يجحد شركه ويحلف كما يحلفون لكم فتشهد من أنفسهم جوارحهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو الذى خلقكم أول مرة وإليه ترجعون، فتقر الألسنة بعد الجحود ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: عند المعاصي، ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾: لأن يشهد ﴿عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أى: ليس استتاركم عند المعاصى خيفة شهادة الجوارح، فإنكم ما تصدقون بشهادتها لإنكاركم الحشر والبعث ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ[3]﴾ أى: لكنكم

---

(١) ولذلك قال: "شهد عليهم سمعهم" وقالوا: "لم شهدتم علينا". وليس الشاهد أنفسهم وهذه آلات للنطق بمنزلة اللسان، بل الجوارح فى القيامة هى الناطقة حقيقة/١٢منه.

(٢) رد على البغوى والواحدى حيث قالا تم الكلام، وقال الله: "وهو خلقكم" إلخ وليس هذا من جواب الجلود وهذا الذى نقلنا عن ابن عباس -رضى الله عنهما- يدل على ما قلنا وقد صحح هذا النقل عن ابن عباس -رضى الله عنهما- الشيخ المحدث عماد الدين بن كثير / ١٢منه.

(٣) نقل محيى السنة بإسناده عن ابن مسعود قال: احتمع عند البيت رجال فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا لا إن أخفينا وقال الآخر:
=

إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم الخفيات، فهو بالحقيقة استدراك من المفعول له أى: ليس استتاركم لخوف الشهادة، بل لظن أن[1] الله تعالى لا يعلم ﴿وَذَلِكُمْ﴾، مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ خبر أو بدل ﴿أَرْدَاكُمْ﴾، خبر ثان أو هو الخبر أى: أهلككم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قد صرح بعض المفسرين أن كلام الجلود إلى قوله: "فأصبحتم من الخاسرين"، ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾: ولا يسألوا شيئاً، ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾: لم ينفعهم الصبر، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسترضوا، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، فلم يرضوا تقول استعتبته[2] فأعتبنى أى: استرضيته فأرضانى أو إن سألوا الرجوع عن الآخرة إلى الدنيا لم يجابوا، ﴿وَقَيَّضْنَا[3]﴾: قدرنا، ﴿لَهُمْ﴾: للمشركين، ﴿قُرَنَاءَ﴾: من الشياطين، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أى: أَحْسَنوا لهم أعمالهم الماضية والآتية فلم يروا أنفسهم إلا محسنين أو أمر الدنيا واتباع شهواتها، وأمر الآخرة وإنكارها ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب، ﴿فِى أُمَمٍ﴾ أى: كائنين فى جملتهم حال من عليهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ﴾ استئناف تعليل ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

= إن يسمع ما جهرنا يسمع ما أخفينا. فأنزل الله "وما كنتم تستترون" الآية/١٢ منه أقول وفى البخارى عن ابن مسعود بمعناه / ١٣منه. [أخرجه البخارى فى "التفسير"، (٤٨١٦)، وفى غير موضع من صحيحه]

(١) تفسير القاضى لا يطابق تفسيرنا فتأمل ترى أيهما أصوب، ولا تغفل أيضاً عما نقلنا فى الحاشية من سبب النزول / ١٢ منه.

(٢) العتبى الرجوع لهم إلى ما يحبون / ١٢ منه .

(٣) ولما ذكر الوعيد الشديد على كفرهم، أردفه بذكر السبب الذى لأجله وقعوا فى ذلك الكفر فقال: "وقيضنا لهم قرناء" الآية / ١٣ كبير.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾
فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ
ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ
رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**﴾: كان بعضهم يوصى بعضا إذا رأيتم محمدًا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وكلموا فيه وعيِّبوه أو بالمكاء والصفير، أو أكثروا الكلام والصياح ليختلط عليه ﴿**لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾: محمدًا على قراءته فيترك ﴿**فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أى: نذيقنهم ﴿**عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أى: نجزينهم جزاء أسوء أعمالهم من الاستهزاء، وتحقير القرآن ﴿**ذَلِكَ**﴾: الأسوأ ﴿**جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ**﴾ مبتدأ وخبر ﴿**النَّارُ**﴾ عطف بيان للخبر ﴿**لَهُمْ فِيهَا**﴾: فى النار، ﴿**دَارُ الْخُلْدِ**[1]﴾: فى النار مواضع واسعة، وهم فيها مكان يخلدون فيه ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**

---

(١) وجاز أن يكون من باب التجريد نحو: "لكم فى رسول الله أسوة حسنة"[الأحزاب:٢١]. فالنار فى نفسها دار الخلد، والتجريد هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرًا آخر بتلك الصفة مبالغة لكماله فيها / ١٢ منه ووجيز.

رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أى: شيطانى النوعين وعن على -رضى الله عنه- إن مرادهم إبليس، فإنه سن الكفر، وقابيل فإنه سن القتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: أسفل منا فى العذاب، ليكون عذابهما أشد ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ[١]﴾ أى: فى الدرك الأسفل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أقروا بوحدانيته ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: على التوحيد، و لم يشركوا به شيئًا، أو على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت أو عنده وفى القبر عند البعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا[٢]﴾ بمعنى أى: أو بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾: على لسان أنبيائكم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وفقناكم على الخير وحفظناكم من الشر بإذن الله تعالى ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ نؤنس منكم وحشة القبر، ونوصلكم إلى الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: فى الآخرة، ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾: ما تطلبون، والثانى أعم من الأول[٣] ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾، النزل طعام النزيل، وهو حال من الضمير المستكن فى خبر ما تدعون لا من مفعول تدعون.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) قيل: ندهسهما انتقامًا منهما ليكونا من الأسفلين مكانا أو ذلا/١٢منه.

(٢) يعنى إن "إن" إما مفسرة أو مصدرية /١٢ منه.

(٣) لأنه يمكن طلب شيء لا تشتهيه نفسه / ١٢ منه.

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ
أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ
فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا
يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ
هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ
عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دعَا إِلَى اللَّهِ**﴾: إلى طاعته ﴿**وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾، لا من الذين لا يوافق قولهم عملهم ﴿**وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ**[1]﴾، جعل الإسلام دينه ومذهبه، أو تكلم بذلك تفاخرًا، والآية عامة فى كل مهدىٍّ هادٍ ولعل مراد من قال: إن المراد به

(١) يعنى ليس الغرض التكلم بهذا الكلام بل جعل الإسلام دينه ومذهبه كما تقول: هـذا أقول الشافعى أى: مذهبه واعلم أن القول يستعمل بمعان يناسب المقام، كالنصح ومن ذلك ما ورد فى الدعاء المأثور (سبحان من تعزز بالعز وقال به) / ١٢ وجيز.

المؤذنون أنهم أولى وأدخل لا أنها نزلت فيهم، فإن الآية مكية والأذان شرع بالمدينة ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، لا الثانية لتأكيد النفى، ﴿ادفع﴾: السيئة، ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: وهى الحسنة استئناف كأنه قيل: كيف أصنع؟ قال: ادفع والمراد من الأحسن الزائد مطلقًا عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أمر بالصبر عند الغضب، وبالعفو عند الإساءة. معناه لا تستوى الحسنات، بل يتفاوت إلى الحسن والأحسن، وكذلك السيئات فادفع السيئة التى ترد عليك بحسنة هى أحسن من أختها، مثلا تحسن إلى من أساءك ولا تكتفى بمجرد العفو عنه ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ أى: إذا فعلت ذلك يصير العدو ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: صديق شفيق، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أى: تلك الخصلة يعنى مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على مخالفة النفس، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من كمال النفس ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أى: يفسدك فساد. حال كون الفساد من الشيطان يعنى يصرفك عن الدفع بالتى هى أحسن، فيكون من قبيل جَدَّ جِدُّه، ومن الشيطان حال مقدم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: حتى يوفقك على دفعه، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: باستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾: بما فى ضميرك، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، الضمير للأربعة نحو: الأيام مضين[1] ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: فإن عبادته مع عبادة غيره غير مقبولة، ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾: عن الامتثال ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أى: الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى: دائمًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: لا يملون وهذا مثل قوله: "فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين"[الأنعام:٨٩]﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: متذللة

(١) فإن حكم ضمير جماعة ما لا يعقل، وإن كانت الذكور أن يجعل مؤنثا فلا يكون هذا من باب التغليب / ١٢ وجيز ومنه.

استعارة عن يبسها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات، ﴿وَرَبَتْ﴾: زادت وعلت، ﴿إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على الإعادة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آيَاتِنَا[1]﴾: يضعون فى غير مواضعها ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، فيه وعيد شديد ﴿أَفَمَنْ

---

(١) بأن يطعنوا فيها ويأولوها بالباطل ويلغوا فيها ويحرفوا فيها /١٢ منه.

قال السيوطى فى الإكليل تحت هذه الآية: قال ابن عباس -رضى الله عنه هو أن يوضع الكلام فى غير موضعه أخرجه ابن أبى حاتم من طريق العوفى عنه، ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ، كما يفعله باطنيه[كذا بالأصل والمقصود: الباطنية] والاتحادية والملاحدة وغلاة المتصوفة انتهى.

ومن الإلحاد فى أسماء الله وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة ومتفلسفة الصوفية والمتكلمين الذين يجعلون الألفاظ التى جاءت فى القرآن موضوعة لمعانى تخالف لغة العرب، وتناقض ثبوت الصفات كما فعله بلفظ الغنى والقديم والواحد والواجب بنفسه، فصاروا يجعلونها تدل على معانى وتستلزم معانى تناقض ثبوت الصفات، وتوسعوا فى التعبير ثم ظنوا أن هذا الذى فعلوه هو موجب الأدلة العقلية وغيرها. وهذا غلط منهم، فموجب الأدلة العقلية لا يتلقى عن مجرد التعبير، وموجب الأدلة السمعية يتلقى من عرف المتكلم بالخطاب لا من الوضع المحدث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التى جاءت فى القرآن موضوعة لمعانى ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني، بل هذا من فعل الملاحدة المفترين. فإن هؤلاء عمدوا إلى معانى ظنوها ثابتة فجعلوها هى معنى الوحدة، والوجوب والغنى والقدم ونفى المثل ثم عمدوا إلى ما جاء فى القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغنى ونحو ذلك من نفى المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعانى التى سميناها بهذه الأسماء وهذا من أعظم الافتراء على الله، وكذلك المتفلسفة عمدوا إلى لفظ الخالق والفاعل والصانع والمحدث ونحو ذلك فوضعوها لمعنى ابتدعوه، وقسموا الحدوث إلى نوعين: ذاتى وزمانى وأرادوا بالذاتى كون المربوب مقارنا للرب =

يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يعنى جزاء الإلحاد فيها النار **﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾**، تهديد على تهديد **﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**: فيجازيكم، **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾**: بالقرآن، **﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾**، جملة مستأنفة، وحذف خبر إن للتهويل أى: يكون من أمرهم ما يكون، أو يهلكون أو الجملة بدل من إن الذين يلحدون إلخ **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾**: أعزه الله **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾**: ليس للبطلان إليه سبيل، أو لا يبطله الكتب المتقدمة ولا يأتيه كتاب بعده يبطله، **﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**: فى ذاته وإن لم يحمده الحامدون، **﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾** أى: لا يقول لك قومك **﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾** أى: إلا مثله أى:

= أزلا وأبدًا وأن هذا اللفظ على هذا المعنى لا يعرف فى لغة أحد من الأمم، ولو جعلوا هذا اصطلاحًا لهم لم ننازعهم فيه، لكن قصدوا بذلك التلبيس على الناس وأن يقولوا: نحن نقول بحدوث العالم وأن الله خالق له وفاعل له وصانع له ونحو ذلك من المعانى التى يعلم بالاضطرار أنها تقتضى تأخير المفعول، لا يطلق على ما كان قديما بقدم الرب مقارنا له أزلا وأبدًا، وكذلك فعل من فعل بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيبويه وبقراط لفسد ما ذكروه من النحو والطب، ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة لفسد العلم بذلك، ولكان ملبوسًا عليهم، فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألحدوا فى أسماء الله وآياته ومن شركهم فى بعض ذلك وكذلك إذا قالوا: الموصوفات تتماثل أو الأجسام تتماثل أو الجواهر تتماثل، وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثله شيء"[الشورى:١١] على نفى مسمى هذه الأمور التى سموها بهذه الأسماء فى اصطلاحهم الحادث، كان هذا افتراءه على القرآن فإن هذا ليس هو المثل فى لغة العرب، لا لغة القرآن، ولا غيرها فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن هذا ما التقطت من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على وجه الاختصار/ ١٢.

فاصبر كما صبروا ولا تجزع ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب، ﴿وَذُو عِقَابٍ[1] أَلِيمٍ﴾: لمن أصر على التكذيب وقيل: معناه لا يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم، وهو إن ربك لذو مغفرة، فقوله: "إن ربك" بدل مما قد قيل ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ[2] قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾: بغير لغة العرب، ﴿لَقَالُوا لَوْلَا﴾ أى: هلا، ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: بينت بوجه نفهمه، ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أى: أكلام أعجمى ومخاطب عربي؟! فالهمزة للإنكار، ومن قرأ بلا همزة فهو إخبار وعن بعضهم أن معناه حينئذٍ هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميًا وبعضها عربيا، لينتفع بها القبيلتان، يعنى هم على أى حال تجدهم فى عناد واعتراض متعنتين. نقل البغوى عن مقاتل أنها نزلت حين قال المشركون: يعلم يسارٌ محمدًا القرآن وهو غلام يهودى، أعجمى يكنى أبا فكيهة، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هُوَ﴾: القرآن، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾: إلى الحق، ﴿وَشِفَاءٌ﴾: من الجهل، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، عطف على المجرور باللام ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، عطف على هدى، والمحققون يجوزون مثل ذلك العطف "وفى آذانهم" حال من الضمير فى الذين لا يؤمنون، ووقر أى: ذو وقر أو كوقر أو الذين كفروا مبتدأ، وخبره فى آذانهم وقر بتقدير مبتدأ أى: هو يعنى القرآن فى آذانهم وقرٌ فيكون من عطف الجملة على الجملة ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أى: ذو عمى أو كعمى فلا ينتفعون به أصلاً ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ لهذا تمثيل أى: مثلهم مثل من يصيح به من مسافة بعيدة، لا يسمع من مثلها إلا مجرد نداء، مثل الذين كفروا، كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء وعن الضحاك ينادون يوم القيامة من مكان بعيد بأشنع أسمائهم.

---

(١) ولما ذكر الملحدين فى آياته وأنهم لا يخفون عليه، والكافرين بالقرآن ذكر ما دل على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم فقال:" **ولو جعلناه**" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) أى: الذكر / ١٢.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ
أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن
ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ
ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى
عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ
عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ
فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن
لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: بالتصديق والتكذيب، كما اختلف قومك فى كتابك **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾**: فى تأخير العذاب وأجل مسمى، **﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾**: عجل لهم العذاب، **﴿وَإِنَّهُمْ﴾** أى: المشركين **﴿لَفِى شَكٍّ مِنْهُ﴾**: من القرآن **﴿مُرِيبٍ﴾**: موقع لهم فى الريبة أو أن اليهود لفى شك من التوراة **﴿مَنْ عَمِلَ**

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ[1]﴾: فلا يعذب أحداً إلا بعد الاستحقاق. **﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾**: ما يعلمها إلا الله، **﴿وَمَا[2] تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾**، ما نافية ومن زائدة للاستغراق **﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾**، جمع كِم بالكسرة، وهو وعاء الثمرة، **﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾**: مقرونا بعلمه **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ[3]﴾** أي: اذكر يوم ينادي الله تعالى المشركين **﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾** بزعمكم؟ **﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾** أعلمناك **﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾**: من أحد يشهد أن لك شريكًا إذ تبرءوا عنهم لما عاينوا الحال والسؤال توبيخ **﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾**: من الأصنام، **﴿مِنْ قَبْلُ﴾**: قبل القيامة فلا ينفعهم، **﴿وَظَنُّوا﴾**: أيقنوا **﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**: مهرب، **﴿لَا يَسْأَمُ﴾**: لا يمل، **﴿الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾**: كالمال والصحة، **﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾**: كالفقر والمرض، **﴿فَيَئُوسٌ[4]﴾**: من فضله، **﴿قَنُوطٌ﴾**: من رحمته، وما هذا إلا حال الكافر فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، **﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾**: بتفريجها عنه، **﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾**: حقي وصل إلي، أو لا يزول عني، **﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾**: على فرض أن تقوم القيامة كما يزعمون **﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾**:

---

(١) ولما ذكر من عمل صالحًا ومن أساء كان فيه دلالة على الجزاء كأن سائلاً قال: متى ذلك؟ فأجاب: "إليه يرد علم الساعة" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) ثم ذكر سعة علمه، فقال: "وما تخرج" إلخ / ١٢ وجيز.

(٣) ولما ثبت بهذا علمه وقدرته وعجز من سواه وجهله، وأمر الساعة مقرر لابد من كونه لينتصر المظلوم، وليتميز المسيء من المحسن ذكر شقاوة المسيء فقال: "ويوم يناديهم" الآية / ١٢ وجيز.

(٤) واليأس صفة القلب، وهو أن يقطع رجاءه من الخير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس/ ١٢ وجيز.

معدٌ لى عند الله الحالة الحسنى من النعمة يتمنى على الله تعالى مع إساءة عمله، وهو جواب القسم ساد مسد جواب الشرط ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نخبرهم، ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: بحقيقة أعمالهم فيعلموا أنها تستوجب ندامة لا كرامة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا[1] عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾: نسى المنعم، و لم يأتمر بأوامره ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أذهب نفسه وتباعد عنه تكبرا، والجانب مجاز عن النفس ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير دائم لأنه إذا كان عرضه واسعًا فما ظنك بطوله فإنه أطول الامتدادين استعير ما هو من صفة الأجرام للدعاء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ كَانَ﴾: القرآن، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف وعداوة﴿بَعِيدٍ[2]﴾: عن الطريق المستقيم، أى: من أضل منكم؟ فوضع موضعه، ليكون تعليلاً لكمال الضلال، وهو فى موقع مفعولى أخبرونى على طريق التعليق،

(١) ولما حكى الله تعالى أقوال الذى أنعم عليه بعد وقوعه فى الآفات حكى أفعاله أيضًا فقال: "وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض" من التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، ونأى بجانبه أى: ذهب بنفسه وتكبر وتعظم، ثم إن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع /١٢ كبير.

(٢) وتقرير هذا الكلام أنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه، حتى قلتم: قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر، ثم من المعلوم بالضرورة أنه ليس العلم بكون القرآن باطلا علما بديهيا وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحًا، وأن يكون فاسدا فبتقدير أن يكون صحيحًا كان إصراركم على دفعه من أعظم موجبات العقاب، فهذا الطريق يوجب عليكم أن تتركوا هذه النفرة وأن ترجعوا إلى النظر والاستدلال؛ فإن دل دليل على صحته قبلتموه، وإن دل على فساده تركتموه. فأما قبل الدليل فالإصرار على الدفع والإعراض بعيد عن العقل /١٢ كبير.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾: الدالة على حقية القرآن، ﴿فِي الْآفَـــاقِ ﴾: كوقـــائع لا تتعلـــق بخاصتهم، مثل ظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: كالوقـــائع التي حلت بهم، كوقعة بدر وفتح مكة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه﴾: القرآن، ﴿الْحَـــقُّ﴾: المنزل من عند الله تعالى أو معناه سنريهم آياتنا فى الآفاق، كالشمس والقمر وغيرهمـــا، وفى أنفسهم من عجائب الصنع المركب منها الإنسان حتى يتبين أن الله هو الحق وكل شيء سواه باطل، زائل لا يستحق الألوهية ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ﴾ أي: أليس الأمر كذلـــك؟ ولم يكف ﴿بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ألم يكف شهادته على كل شيء؟ وهو يشهد على صدق محمد فيما أخبر به عنه أو ألم يكف فى حقية الله تعالى اطلاعـــه على جميع الأشياء؟ فبربك فاعل كفى، وما بعده بدل منه قيل: أو لم يكفك ربك؟ فإنه عالم بكل شيء فيعلم حالك ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾: الكل تحت علمه وقدرته فإقامة الساعة يسير عليه.

والحمد لله رب العالمين.

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى مكية

وهى ثلاث وخمسون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ
أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ
فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ أَمِ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾

﴿حم عسق[1]﴾ قيل: فصل بينهما ليطابق سائر الحواميم **﴿كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** أى: مثل ما فى هذه من المعانى أوحى

---

(١) وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم، ونعيم بن حماد والخطيب عن [كذا فى الأصل، عن ابن المنذر، وكذا فى الدر المنثور للسيوطى (٥/٦٩٢)، وهو أرطاة بن المنذر كما فى تفسير الحافظ ابن كثير (٤/١٠٥).] ،ابن المنذر حديثًا طويلاً فى تفسير حم عسق، وهو =

الله تعالى إليك، وإلى من قبلك من الرسل. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس من رسول إلا وقد أوحى إليه حم عسق، فعلى هذا "كذلك" إشارة إليه، وذكر المضارع للاستمرار وبيان العادة، وكذلك فى موقع المصدر أو المفعول به، ومن قرأ "يوحى" بصيغة المجهول، فالله مرفوع بمحذوف كأن قائلاً قال: من يوحى فقال: الله **﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ[1] الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾**: يتشققن من عظمته، أو من قولهم: "اتخذ الرحمن ولداً"(يونس:٦٨، مريم:٨٨، الأنبياء: ٢٦) **﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ[2]﴾** أى: يبتدى الانفطار من جهتهن الفوقانية، فإن أعظم آياته الدالة على جلاله، وهى العرش والكرسى وغيرهما من تلك الجهة **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾** متلبسين **﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الْأَرْضِ﴾**: من المؤمنين،

= حديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات، والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول، والحط من شأنهم، والإزراء عليهم. وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر عن أبى معاوية قال السيوطى: بسند ضعيف عجيب وقلت: بسند موضوع، ومتن مكذوب، وقد قال ابن كثير فى الحديث الأول: أنه غريب عجيب منكر[كذا فى الأصل، ووصفه ابن كثير كما فى الموضع السابق بأنه أثر غريب عجيب منكر]، وفى الثاني: إنه أغرب من الأول، وعندى إنهما موضوعان مكذوبان، وذكر هذا كله صاحب الفتح، وما أظنه إلا من كلام الشوكانى لكنه ما عزاه إليه.

(١) فى ذاته وصفاته / ١٢ وجيز.

(٢) فى الدر المنثور أخرج ابن جرير عن الضحاك "يتفطرن من فوقهن"، يقول: يتصدعن من عظمة الله. وأخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس "تكاد السموات يتفرطن من فوقهن"، قال: ممن فوقهن، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وأبو الشيخ والحاكم وصححه، عن ابن عباس "تكاد السموات يتفطرن من فوقهن"، قال: من الثقل، انتهى. وفى الفتح، ويدل على هذا المعنى مجيئه بعد قوله: "العلى العظيم"/١٢.

كما قال تعالى: "ويستغفرون للذين آمنوا"(غافر:٧)، وقيل: الاستغفار طلب هدايتهم التى هى موجب الغفران، فيعم الكافر ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: رقيب على أعمالهم، يحصيها ويجزيهم ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: بموكل بهم، "إنما أنت نذير"(هود:١٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى: مثل ذلك الإيحاء البين ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا﴾ مفعول أوحينا ﴿عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾: مكة، أى: أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قرئ الأرض كلها، أو المراد العرب، وترك المفعول الثانى لقصد العموم أى: بأنواع الإنذار ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يقال: أنذرته النار وبالنار. وترك المفعول الأول للعموم أيضًا، أى: لتنذر كل أحد عن هول يوم القيامة، الذى يجمع فيه الأولون والآخرون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له[1] ﴿فَرِيقٌ﴾ أى: منهم فريق يعنى مشارفين للتفريق، والضمير للمجموعين الدال عليه يوم الجمع ﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ والجملة حال من مفعول الجمع، ولذلك قدرنا الجار والمجرور مقدماً؛ لأنه إذا كانت الجملة الاسمية حالا بغير واو، ولم يكن فيما صدرته الجملة ضمير إلى ذى الحال، لكان ضعيفاً ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً[2]﴾: على دين واحد ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عنهم العذاب وينصرهم، وتغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد، وتكثير الفائدة ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذوا

---

(١) من الإعراب / ١٢ منه.

(٢) قال الشوكاني: وهاهنا مخاصمات بين المتمذهبين المتحامين على ما درج عليه أسلافهم، فذبوا عليه من بعدهم، وليس بنا إلى ذكر شيء من ذلك فائدة، كما هو عادتنا فى تفسيرنا هذا، فيهو تفسير سلفى يمشى مع الحق، ويدور مع مدلولات النظم الشريف، وإنما يعرف ذلك من رسخ قدمه، وتبرأ من التعصب قلبه ولحمه ودمه/ ١٢ فتح.

الهمزة للإنكار ﴿**مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ**﴾ أى: إن أرادوا وليًا، فالله هو الولى بالحق عن ابن عباس –رضى الله عنهما– فالله هو وليك، وولى من تبعك ﴿**وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ
وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ
مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ
﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا
بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى
ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ
﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ
أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ
وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ
حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ
أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا
ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ

أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لإرادة العموم أتى بهذا البيان **﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** هذا كقوله: "وإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول"(النساء:٥٩). وهذا حكاية لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على طريقة التعليم لقوله:**﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**: أرجع **﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** خبر آخر لذلكم، أو مبتدأ خبره قوله: **﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾** أى: من جنسكم[1] **﴿أَزْوَاجًا﴾**: نساء **﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾**: وخلق للأنعام من جنسها أزواجًا، أو خلق لكم من الأنعام أصنافًا **﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾**: يكثركم فى ذلك الطريق والتدبير، وهو جعلكم أزواجًا يكون سببًا للتوالد **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**: قولنا: ليس كذاته[2]، وليس كمثله،

---

(١) أو خلق حواء من ضلع آدم / ١٢ منه.

(٢) الأصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، ففى "ليس كمثله شيء" رَد التشبيه، وفى قوله: "وهو السميع البصير" رد للإلحاد والتعطيل. قال الحافظ العلامة ابن القيم،فى كتابه حادى الأرواح، فى باب الرؤية: هذه الآية يعنى قوله: "ليس كمثله شيء" من أعظم الأدلة الدالة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، فإنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وهكذا جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله، وبعد عن مشابهة أضرابه، فكيف بالحى القيوم الذى لا مثل له فى ذاته وصفاته؟! فقوله: "ليس كمثله شيء" من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته. انتهى. وأيضًا قال: فى إغاثة اللهفان بعد البيان الطويل:، قوله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" إنما قصد به نفى أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيم، ولم =

عبارتان عن معنى واحد إلا أن الأولى صريحة والثانية: كناية مشتملة على مبالغة، وهى أن المماثلة منفية ممن يكون مثله وعلى صفته، فكيف عن نفسه. وهذا لا يستلزم وجود المثل، وقيل: الكاف أو المثل: صلة **﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ﴾**: مفاتيح، أو خزائن **﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾**: ويضيق **﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[1] **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾** أى: أظهر وسنَّ لكم من الدين، دين نوح وهو أول[2] أنبياء الشريعة، ومحمد وهو آخرهم، ومَنْ بينهما مِنْ أولى العزم **﴿أَنْ أَقِيمُوا**

= يقصد به نفى صفات كماله وعلوه على خلقه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم، كما يُرى الشمس والقمر فى الصحو، فإنه سبحانه إنما ذكر هذا فى سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء، فقال: "والذين اتخذوا من دونه أولياء" ثم ساق الآيات إلى قوله: "ليس كمثله شىء وهو السميع البصير"، ثم قال: فانظر وتأمل كيف ذكر هذا النفى تقريرًا للتوحيد وإبطالاً لما عليه أهل الشرك من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به حتى عبدوهم، فحرفها المحرفون وجعلوها ترسًا لهم فى نفى صفات كماله، وحقائق أسمائه وأفعاله انتهى. ومن أراد زيادة التفصيل فليرجع إلى خاتمة هذا الكتاب/ ١٢.

(١) فإنه إذا علم أن الغنى صلاح لعبده أغناه وإلا أفقره، ولما هدد ووبخ فى شأن من اتخذ من دونه أولياء، أعقبه بأن التوحيد شرع جميع الرسل فقال: "شرع لكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال فى حديث الشفاعة المشهور الكبير: "ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" [جزء من حديث الشفاعة الطويل، أخرجاه فى الصحيحين]، وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول رسول نبى بغير إشكال إلا أن آدم لم يكن معه إلا نبوة ولم تفرض الفرائض، ولا شرعت له المحارم، إنما كان شرعه تنبيهه على بعض الأمور، واقتصارًا علـــى =

﴿الدِّينَ﴾ بدل من مفعول شرع، أو "أن" مفسرة بمعنى: أى ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ المراد إقامة دين الإسلام وعدم الاختلاف فيه، أى: فى التوحيد والطاعة ونحو ذلك من الأصول، لا الشرائع العملية المختلفة باختلاف مصالح الأمم ﴿كَبُرَ﴾: عظم وشق ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من ترك الشرك ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي﴾: يصطفى ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: من يُقْبِلُ إليه، وقيل: يجتبى من جبى الخراج أى: جمعه؛ لأن الكلام فى عدم التفرق يناسب الجمع والانتهاء إليه، وضمير إليه للدين ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أهل الأديان، أو أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأن الفرقة ضلالة، أو المراد من العلم الكتب السماوية ﴿بَغْيًا﴾: لعداوة وعناد ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالإمهال ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة، أو آخر أعمارهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بأن جزيناهم بما يستحقون فى أسرع وقت ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الجيل المتأخر بعد القرون الأولى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: من دينهم أو من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: مدخل فى الريبة ﴿فَلِذَلِكَ﴾ أى: إلى ما أوحينا إليك وإلى غيرك ﴿فَادْعُ﴾ الناس. يقال: دعوت له وإليه، وقيل: لأجل ذلك التفرق ادع الناس إلى الاتفاق على دين الإسلام ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ على عبادة الله تعالى ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ لا كمن آمن ببعض، وكفر ببعض ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾: لأن أعدل فى الحكم ﴿بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا

= ضرورات المعاش، وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء واستمر إلى نوح، فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء عليهم السلام واحدًا بعد واحد وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

وربُّكُمْ لَنا أَعْمَالُنَا ولَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾: لا خصومة ﴿بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ﴾ وهذا قبل نزول آية السيف فإن السورة مكية. وقيل: لا إيراد حجة بيننا، فإنه قد ظهر الحق ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: يوم المعاد ﴿وإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيفصل بيننا ﴿والَّذِينَ يُحاجُّونَ﴾: يجادلون ﴿فِي اللَّهِ﴾: فى دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أى: بعد ما استجاب الناس لله تعالى ودخلوا الإسلام، وقيل: بعد ما استجاب الله تعالى لرسوله بإظهار دينه، وقيل: بعد ما استجاب أهل الكتاب له وأقروا بنبوته ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة زائلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ولَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ جنسه ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسًا بعيدًا من الباطل ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العدل وهو شرعه، أو إنزال العدل عبارة عن الأمر به، أو المراد إنزال الميزان على الحقيقة، كما سنذكره فى سورة الحديد من أنه نزل إلى نوح وأمر أن يوزن به ﴿ومَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾: التى هى يوم الجزاء، ووضع الميزان والعدل ﴿قَرِيبٌ﴾ فواظب على العدل، وتذكير قريب، لأن الساعة بمعنى البعث، أو لأن تقديره: لعل مجيء الساعة ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: استهزاء ﴿والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنْهَا ويَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: الكائن البتة فيستعدون لها ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن طريق الصواب ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: بار بالبر والفاجر ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى: يرزق من يشاء ما يشاء على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ الْقَوِى الْعَزِيزُ﴾: القادر المطلق الذى لا يغلب.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً
نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن
يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم
مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ
لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا
يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أى: زرعها. سمى عمله زرع الآخرة؛ لأن الفائدة تحصل فيها، كما يقال: زرع الصيف ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بتضعيف ثوابه ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: شيئًا منها بقدر ما قسمنا له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ(١)﴾ نصيب من عمله، إذ لكل امرئ ما نوى ﴿أَمْ

---

(١) ولما قرأ أن الله شرع لكم من الدين ما وصى به النبيون، فهو شرع الله وشرع أهل الهدى، فمن له طريق وشرع غير شرعهم، فما هو إلا من الأصنام والشياطين فقال: "أم لهم شركاء" الآية/ ١٢ وجيز.

﴿لَهُمْ شُرَكَاءُ[1]﴾: بل ألهم آلهة وهم الشياطين، والهمزة للتحقيق والتثبيت ﴿شَرَعُوا﴾: أظهروا ﴿لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ غير دين الإسلام ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ[2] اللَّهُ﴾ وهذا إضراب عن قوله: "شرع لكم من الدين"(الشورى:١٣) إلخ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: القضاء السابق بتأجيل العذاب إلى القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين فى الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ فى القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: من وباله ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[3] فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: أحسن بقاعها﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ظرف لـ"لَهُم" أى: حصل لهم عنده وفى كرمه، أو حال ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ﴾ الثواب ﴿الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ أى: به، حذف الجار ثم العائد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ ﴿أَجْرًا[4]﴾:

---

(١) والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه أو رسوله، فيدخل فيه التقليد لأنه مما لم يأذن به الله، بل ذمه فى كتابه فى غير موضع ولم يأذن به رسوله، ولا إمام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الأمة وسادتها وقادتها، بل نهى عنه المجتهدون الأربعة، ومن كان بعدهم من أهل الحق بترك الإيمان وأتباع سنته المطهرة، وإنما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير، فرحم الله امرءا سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدمغه، وبالله التوفيق/ ١٢ فتح.

(٢) اعلم أن الله تعالى لما بين القانون الأعظم والقسطاس الأقوم فى أعمال الآخرة والدنيا، أردفه بالتنبيه على ما هو الأصل فى باب الضلالة والشقاوة فقال: "أم لهم شركاء" الآية/ ١٢ كبير.

(٣) ولما كانت العادة جارية بأن المبشر يطلب شيئًا وإن لم يسأل، لأن بشارته بمترلة سؤاله قال: "قل لا أسألكم عليه أجرًا" الآية /١٢ وجيز.

(٤) قيل: جمع قريش مالا، وأرادوا أن يرشوه على أن يمسك من سب آلهتهم، فترلت /١٢ وجيز.

نفعًا منكم ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: إلا أن تحبونى فى حق قرابتى منكم ومن أجلها، أو إلا أن تحبوا أهل قرابتى وتجعلوهم مكان المودة، فالظرف حال، وعن الإمام أحمد قال عليه الصلاة والسلام للعباس: "لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتى"(*)، أو إلا أن تحبوا الله فى تقربكم إليه بطاعته ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا﴾: فى الحسنة ﴿حُسْنًا﴾ بأن نضاعف أجرها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقبل الطاعة وإن قَلَّت ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل أيقولون : إضراب آخر أشد من قوله: "أم لهم شركاء[١]" إلخ ﴿افْتَرَى﴾ محمد ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ﴾ أي:خذلانك اللازم للافتراء ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فلا تعى القرآن ولا تفهم الوحى، ويسلبك ما أتاك من الله تعالى، أو فتجترئ على الافتراء[٢] عليه، وهذا رد واستبعاد لافترائه على الله تعالى. وعن مجاهد: يربط على قلبك بالصبر فلا يشق عليك أذاهم ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ كلام ابتدائى عطف جملة على جملة لا على الجزاء، ولهذا أعاد اسم الله تعالى، ورفع يحق وحذف الواو من يمحو فى اللفظ لالتقاء الساكنين، وفى الخط فى بعض المصاحف على خلاف القياس كما فى "ويدع الإنسان" (الإسراء: ١١) وهذا عدة بمحو الباطل الذى هم عليه، وإثبات الحق الذى عليه المؤمنون بحججه أو بالقرآن أو بقضائه، وقيل: حاصله أن من عادته محو الباطل وإثبات الحق، فلو كان مفتريًا لمحقه وأثبت الحق ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم ضميرك

(*) أخرجه أحمد (٢٠٨/١) وغيره، وصحح إسناده الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند .

(١) كأنه قال: شرع الله لهم دينا كذا أو كذا ثم قال: بل لهم دين شرع لهم شياطينهم، بل هم فى الكفر أشد، لأنهم ينسبون نبينا وكلامنا إلى الافتراء، ثم الافتراء على الله/١٢ وجيز.

(٢) لكن الله قد شرح صدرك وأنار قلبك، فحاشاك عن الافتراء على الله / ١٢ وجيز.

وضميرهم، فيجزى الأمر على حسب ذلك ﴿وَهُوَ[1] الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: بالعفو عما تاب عنه، وعدم المؤاخذة به ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ من شأنه قبول التوبة والعفو عن الذنوب، والظاهر من لفظ العفو وعطفه على يقبل التوبة، أن هذا فى غير التائب ﴿وَيعْلَمُ مَا تَفعَلُونَ﴾ فيثبت ويعاقب ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: يجيب الله تعالى دعاءهم ويثيبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ عما استحقوا، وفى الحديث فى تفسير "ويزيدهم" قال -عليه الصلاة والسلام: "الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا"(*). وعن بعض السلف فى قوله: "ويستجيب الذين آمنوا"، قال: يشفعون فى إخوانهم وفى قوله: "ويزيدهم من فضله" قال: يشفعون فى إخوان إخوانهم ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَلَوْ بَسَطَ[2] اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ بأن أغناهم جميعًا ووفر الدنيا للكل ﴿لَبَغَوْا﴾: أفسدوا ﴿فِى الْأَرْضِ﴾ بطرا أى: ولم يبسط لئلا يعم البغى ولا يغلب الفساد على الصلاح ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ أى: ينزل ما يشاء من أرزاقهم بتقدير وتعيين، وفى الحديث "إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن منهم من لا يصلحه إلا الفقر

---

(١) وفى المعالم عن ابن عباس -رضى الله عنه- لما نزل "إلا المودة فى القربى" وقع فى بعض القلوب منها شيء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فجاء جبريل وأخبره بأنهم اتهموك، وأنزل "أم يقولون افترى على الله" الآية فاعتذروا، وقالوا: يا نبى الله إنا نشهد بصدقك فنزل "وهو الذى يقبل التوبة عن عباده" الآية ١٢/ وجيز.

(*) ضعيف، أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة وغيره.

(٢) لما قال الله: "يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"، وقال الله تعالى: "لطيف بعباده يرزق من يشاء"، كان للواهم أن يقول: كمال البسط واللطف أن يوفر الدنيا لكل من عباده فقال "ولو بسط الله الرزق" الآية ١٢ وجيز.

ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه(**)" ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فيقدر لهم ما يناسبهم ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: المطر، قيل: هو المطر النافع ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: أيسوا منه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يبسط منافع الغيث، أو ينشر سائر رحمته ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: المتصرف للأمور ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ﴾ أى: نشر، وما موصولة عطف على السماوات ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: من حى، ذكر اللزوم وأراد اللازم، أو فى السماء دواب من مراكب أهل الجنة وغيرها، وقيل: فيهما، أى: فى بينهما مما يدب على الأرض ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ أى وقتٍ شاء ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم
بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ
ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ
ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ
عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ
أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ

(**) جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى تاريخه عن أنس مرفوعا، كما فى الدر المنثور (٧٠٥،٧٠٤/٥)، وهو ضعيف كما فى الحلية (٣١٩/٨).

شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الجرائم فأنتم السبب، والفاء لتضمين "ما" معنى الشرط، ومن قرأ بغير الفاء فمن غير تضمين ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يعاقبكم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بها "ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا" (فاطر:٤٥) وعن علي[1] -رضى الله عنه- قال: ألا أخبركم بأفضل آية حدثنا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟ "ما أصابكم من مصيبة" الآية قال: وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا، فبما كسبت أيديكم والله أحلم من أن يثنى عليهم العقوبة فى الآخرة، وما عفى الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه"﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فيصل إليكم لا محالة ما قدر الله تعالى لكم ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فإنه هو المتولى والناصر وحده ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ[2]﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أى: السفن كالجبال فى

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده / ١٢ وجيز.[أخرجه أحمد (١/٨٥)، وفى سنده ضعيف ومجهولان، وضعفه الهيثمى فى "المجمع"، (٧/١٠٣،١٠٤)، ومع ذلك حسنه الشيخ شاكر فى تعليقه على المسند .]

(٢) قال صاحب البحر: أصله السفن الجوارى، حذف الموصوف وقامت صفته مقامه/١٢وجيز.

العِظَم، والظرف متعلق بما يتعلق به "من آياته" وكالأعلام حال من ضميره ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾: يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابت ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أى: ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: لكل مؤمن سافر البحر ورأى عجائبه، فإنه صبر على شدائد البحر وشكر عند الخلاص، والكافر يجزع فلا يشكر ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: يهلك أهلهن بالغرق بسبب ذنوبهم، عطف على يسكن الريح ﴿وَيَعْفُ[1] عَنْ كَثِيرٍ﴾ تقديره: أو إن يشأ يعصف الريح، فيوبق بعضًا من أهلهن، وينج بعضًا على العفو عنهم ﴿وَيَعْلَمَ[2] الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ لإبطالها ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: مهرب من عذابه المقدر، ومن قرأ بنصب "يعلم" فعنده عطف على تعليل محذوف، أى: يوبقهن لينتقم منهم ويعلم ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ

---

(١) يعنى: إنه تعالى إن شاء ابتلى المسافرين فى البحر بإحدى بليتين، إما سكون الريح فلا تجرى السفن ولا يصل أهلها إلى مقاصدهم، وما ذلك إن طال إلا من عظائم أهوال البحر، لا يعرفه إلا من وقع فيه، أو يهلكهن بعصف الريح، أو بغير ذلك من أسباب إغراق السفن بشؤم ذنوبهم، وإن يشأ يعف عن كثير فلا يسكن ريحهم ولا يهلكون، بل تهب رياحهم فيصلون بالسلامة إلى مقاصدهم، وتلطفنا عليهم بالعفو عن جرائمهم وعلى هذا "أو يوبقهن" عطف على يسكن الريح لأن التقدير: إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها / ١٢ وجيز.

(٢) معنى الآية: وليعلم الذين ينازعون على وجه التكذيب، ألا مخلص لهم إذا وقفت السفن وإذا عصفت الرياح، فيصير ذلك سببًا لاعترافهم بأن الإله النافع الضار ليس إلا الله واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها؛ لأن الذى يمنع من قبول الدليل إنما هو الرغبة فى الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه، فإذا أصغرت الدنيا فى عين الرجل لم يلتفت إليها فحينئذ ينتفع بذكر الدلائل، فقال: "فما أوتيتم من شيء" الآية / ١٢ كبير.

﴿الدُّنْيَا﴾ لا يبقى بعد الموت ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لما كانت سببية كون الشيء عند الله تعالى لخيريته أمرًا مقررًا فى العقول، غنيًّا عن الدلالة عليه بحرف موضوع له، بخلاف سببية كون الشيء عندكم لقلته وحقارته أتى بالفاء فى الأول دون الثانى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قيل: نزلت فى أبى بكر [1]- رضى الله عنه- حين تصدق بجميع ماله ولامه الناس ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ عطف على اللذين، والأصح أن الكبائر: كل ما ورد فيه وعيد شديد فى الكتاب والسنة ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: تزايد قبحه، أو ما يتعلق بالفروج، تخصيص بعد تعميم ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ سجيتهم الصفح لا الانتقام ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أجابوه حين دعاهم إلى الطاعة بلسان رسوله -عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾: ذو شورى، لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: الظلم ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ يعني: يعفون فى محل العفو، وينتقمون فى محل الانتقام، ليسوا أذلة عاجزين ﴿وَجَزَاءُ[2] سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ عقب وصف الانتقام بهذا إشارة إلى منع التعدى، وسمى الثانية سيئة للازدواج ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين عدوه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أبهم الجزاء للتعظيم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: الذين يبدءون بالظلم ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، أى: بعد ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إشارة إلى معنى "من" ﴿مَا

---

(١) كما روى عن على / ١٢ وجيز.

(٢) لما قال: "والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون" أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيدًا بالمثل، فإن النقصان حيف والزيادة ظلم والتساوى هو العدل، وبه قامت السماوات والأرض، فلهذا السبب قال: "وجزاء سيئة سيئة مثلها" الآية /١٢ كبير.

عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بعقوبة ومؤاخذة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أي: ما السبيل بالمعاقبة إلا ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ لا على من ينتصر ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ و لم ينتصر ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى صبره، لا إلى مطلق الصبر، فلا يحتاج إلى تقدير ضمير ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ

عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾: من ناصر يتولاه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ فى القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾: هل طريق إلى رجعة إلى الدنيا؟! ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: على النار ﴿خَاشِعِينَ﴾: خاضعين ﴿مِنَ الذُّلِّ﴾: مما يلحقهم من الذل ﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى النار[1] ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: مسارقة فإن الكاره لشيء، لا يقدر أن يفتح أجفانه عليه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالضلال ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالإضلال، وقيل: خسروا أهليهم بأن فرقوا بين أنفسهم وبينهم، لأنهم فى النار وأهليهم فى الجنة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لخسروا، وقال: على التنازع. وهذا القول من المؤمنين حين رأوا أن العذاب أحاط بهم، والماضى[2] من باب ونادى أصحاب الأعراف[الأعراف:٤٨]، أو هذا القول منهم فى الدنيا[3] ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ تصديق من الله تعالى أو تتمة كلامهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى الهداية والجنة ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أى: أجيبوا أمره وداعيه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ من متعلق بمتعلق له لا[4] بمرد أى: لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به، وقيل: متعلق بيأتى

(١) دل عليها لفظ العذاب / ١٢ منه.

(٢) أى: قال والمناسب المضارع / ١٢ منه. [غير أنه عدل إلى الماضى لتحقق وقوعه]

(٣) فلا يكون من قبيل التنازع بل الظرف لـ"خسروا" وحده / ١٢ منه.

(٤) لأنه لو كان متعلقا بمرد معمولا له، لما صح بناؤه على الفتح، لكونه مشابها للمضاف فلا تغتر بظاهر عبارة الكشاف / ١٢ منه.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: إنكار لأعمالكم[1]، وجاز أن يراد إنكار لوعد الله تعالى ووعيده ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيبًا تحفظ أعمالهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ[2] وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: جنسه ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ كصحة وغنى ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ فأشر وبطر ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب قبائحهم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويقنط، علق الحكم بصريح اسم[3] الجنس دون الضمير العائد إلى مثله، تسجيلاً على أن هذا الجنس موسوم بالكفران ﴿لِلَّهِ[4] مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ[5]﴾ فيقسم

---

(١) فإنهم فى هذا اليوم مقرون بقبائح أعمالهم / ١٢ منه.

(٢) والآية تسلية وتأنيس لقلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولما ضمن هذه الآية ما أرسله له، أتبعه ما جبل عليه الإنسان؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- لا حكم له على الطباع، وأن الذى عليه الإسماع لا السماع، وبين السبب وإصرارهم على مذاهبهم الباطلة، وذلك أنهم وجدوا فى الدنيا الفوز بالمطالب، ومطالب الدنيا يفيد الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق. فقال: "وإنا إذا أذقنا الإنسان" الآية / ١٢ كبير مع الوجيز.

(٣) أى: قال: إن الإنسان و لم يقل: أنه / ١٢ منه.

(٤) ولما فصل من أول السورة أن التصرف والقدرة الكاملة لله وحده، وأن الإنسان من جملة الخلق وكل ما وصل إليهم من الرحمة فما هى إلا من فضلنا، وما وصل إليهم من سيئة فمن شؤم أنفسهم، بين أنهم مجبورون فى أصل وجودهم وخلقتهم قال : "لله ملك السموات والأرض" الآية/ ١٢ وجيز.

(٥) والمقصود منه ألا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه، بل إذا علم أن الكل ملك الله وملكه، وأن ما حصل من إنعامه وفضله تعالى، فحينئذ يصير ذلك حاملا على مزيد الطاعة والخدمة، وأما إذا اعتقد أن تلك النعم إنما تحصل بسبب عقله وجده واجتهاده بقى مغروراً بنفسه معرضًا عن طاعة الله تعالى، ثم ذكر أقسام تصرف الله فى العالم / ١٢ كبير.

الرحمة والسيئة كيف يشاء ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ وإن لم يشـأها[*] ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ تأخير الذكور؛ لأن سياق الكلام فى إطلاق مشـيئة الله تعالى من غير اختيار لغيره، والإناث مما لم يشأه الوالدان، وأيضـاً للمحافظـة علـى الفواصل، ولذا عرَّفه، أو لجبر التأخير أو قدمهن توصية برعايتهن لضعفهن، لا سـيما وكن قريبات العهد بالوأد ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أى: المولودين ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فى موضـع الحال من المفعول، وذكر هذا القسم بلفظه أو من غير ذكر المشيئة؛ لأنه ليس قسـيمًا على حدة، بل تركيب من السابقين؛ كأنه قيل: يهب لمن يشاء إناثًا منفردات وذكـوراً كذلك أو مجتمعين ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يعلم صلاحه ﴿وَمَا كَانَ[1]﴾: ما صح ﴿لِبَشَرٍ[2] أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: وهـو الإلهـام[3] أو المنام[4] ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: يسمع كلامه ولا يراه، كما لموسى عليه الصـلاة والسلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا[5]﴾: ملكاً ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلك الرسول إلى المرسـل إليـه

(*) يقصد: الأب، أو الأب الكافر لأنهم كانوا يكرهون الإناث فيئدونها خشـية العـار أو العفو.

(١) ولما ذكر قدرته التامة أعقبه بالنعمة العظيمة التى ليست لأحد، إلا من خصه الله تعـالى من فضله، فقال: "وما كان لبشر" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) وفى المعالم وغيره أن اليهود قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى – صلى الله عليه وسلم- ونظر إليه؟ فنزل قـوله: "وما كان لبشر" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) كما ألهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر / ١٢ لباب.

(٤) كما رأى إبراهيم فى المنام أن يذبح ولده وهو وحى / ١٢ لباب.

(٥) قال ابن عباس –رضى الله عنه: " إلا أن يبعث ملكًا يوحى إليه من عنـده أو يلهمـه فيقذف فى قلبه أو يكلمه من وراء حجاب /١٢ در منثور.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ أى: الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ أى: الله، ووحيًا وأن يرسل بمعنى: موحيا ومرسلا، ويقدر مُسْمِعًا قبل من وراء الحجاب، وكل منها حال، أو الكل مصدر، فإن الوحي والإرسال نوعان من التكلم، ويقدر قبل من وراء حجاب إسماعًا، أو تقديره: بأن يوحى أو يُسْمِع من وراء حجاب، أو يُرْسل فنصبه بترع الخافض ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن مماثلة خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيفعل ما يقتضيه حكمته ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ أى: وحيًا، فإن حياة القلوب بما أوحى إليه ﴿مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ على التفصيل[1] الذى عرفت بعد الوحى، وعن بعضهم المراد من الإيمان هاهنا الصلاة، كقوله: "وما كان الله ليضيع إيمانكم"(البقرة:١٤٣) ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ الكتاب أو الإيمان ﴿نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ بدل ﴿الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ فيحكم فيها بمقتضى عدله وفضله.

والحمد لله رب العالمين.

(١) إشارة إلى جواب ما يقال: إن الأنبياء قبل البعثة مؤمنون عارفون بالإيمان بلا خلاف، فالجواب: أن المراد من الإيمان، الإيمان على التفصيل وهذا بعد البعثة البتة. / ١٢ منه.

سورة الزخرف مكية

قيل إلا قوله "واسئل من أرسلنا"

وهى تسع وثمانون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ
﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ
صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾
وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا
وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا
سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ
بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ
رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ
مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ
ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم بالكتاب المُظْهِرِ[1] طرق الهدى، أو الظاهر الجلى

---

(١) يعنى مشتق من الإبانة بمعنى الإظهار المتعدى، أو بمعنى الظهور اللازم /١٢ منه.

معناه، والواو إما للقسم وحم أيضًا قسم، فهو من نمط التعديد، أو للعطف على القسم، أو معناه بحق الكتاب المبين أنه حُمَّ الأمر وقُضى، ثم ابتدأ بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا[1]﴾: صيرناه عربيًا بلغتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[2] وَإِنَّهُ﴾ عطف على "إنا" ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾: ذو مكانة وشرف ﴿حَكِيمٌ[3]﴾: ذو حكمة بالغة، والظرف الأول فى موقع الحال، والثانى بدل، أى حال كون ذلك متحققا فى اللوح ثابتاً عندى، كقولك: زيد عندى كامل الشجاعة، أو هما بيان محل الحكم، أى هذا فى أم الكتاب لدينا، وقيل: الأول متعلق بـ "لعليٌّ"، واللام غير مانع ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾، نبعد وننحيه عنكم ونترك إنزاله ونعرض عنه ﴿صَفْحًا﴾: إعراضًا، مصدر من غير لفظه؛ لأن تنحية الذكر إعراض أو حال بمعنى معرضين ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أى: لئن كنتم، والفاء عطف على محذوف، أى: أنهملكم ونترك

(١) أخرج ابن مردويه عن طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس -رضى الله عنه- فقال له: يا ابن عباس أخبرنى عن القرآن أكلام من كلام الله أم خلق من خلق الله؟ قال: بل كلام من كلام الله، أو ما سمعت الله يقول: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله"؟(التوبة:٦)، فقال له الرجل: أفرأيت قوله: "إنا جعلناه قرآنا عربيًا" قال: كتبه الله فى اللوح المحفوظ بالعربية، أما سمعت الله يقول: "بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ"(البروج:٢١) المجيد: هو العزيز أي: كتب الله فى اللوح المحفوظ / ١٢ در منثور.

(٢) أي: تكونوا بحيث يرجى منكم التعقل، ولما كان أول من يطلب منهم تصديق القرآن العرب، قال ذلك/١٢وجيز

(٣) أخرج ابن مردويه والديلمى عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض وهو عنده فوق العرش، الخلق منتهون إلى ما فى ذلك الكتاب، وتصديق ذلك فى كتاب الله، "وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم"[ضعيف]/١٢در منثور.

إنزال القرآن لأنكم مسرفون؟! وعن كثير من السلف[1] معنـــاه ألا نذكركـــم قـــط وتخليكم ونعرض عنكم ولا نعذبكم ولا نجازيكم لأنكم تركتم أمرنا وأسرفتم[2]؟ كما تقول أحبك أن كنت شتمتني، ومن قرأ "إن كنتم" بالكسر، فمن باب جعـــل المحقـــق منزلة المشكوك، ابتناءا على أن المخاطب كأنه متردد شاك فى ثبوت الشرط، قصـدًا إلى نسبته إلى الجهل **﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِى فِى الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِى إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾** أى: من القوم المسرفين، وهم قومك **﴿بَطْشًـــا﴾**: قوة، وقيل معناه: فأهلكنا أشد المستهزئين من الأولين بطشا **﴿ومَضَـــى﴾** ســـلف فى القرآن **﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾**: قصتهم وحالهم العجيبة، وعن بعضهم معناه مضى عـــبرتهم، أى: جعلناهم عبرة لمن بعدهم فيه تسلية ووعد لرسول الله -صلى الله عليـــه وســـلم- ووعيد للمكذبين **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُـــنَّ خَلَقَـــهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾** أنكروا قدرته بالبعث وعبدوا غيره، بعد ما أقروا بكمال قدرته وعزتـــه وعلمه **﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾** تستقرون فيها، وهذا قول الله -تعالى- مـــن غير حكاية وصفًا منه لذاته فى سياق واحد[3] **﴿وَجَعَلَ﴾**: خلق **﴿لَكُمْ فِيـــهَا سُـــبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**: إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد، أو إلى كمال حكمتـــه فتؤمنـــون **﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾**: بمقدار معلوم **﴿فَأَنْشَرْنَا﴾**: أحيينا، فيه التفات **﴿بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾** البلدة بمعنى: المكان، فذكر صفته **﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾** من قبوركـــم

---

(١) منهم ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والسدى، واختاره ابن جرير، والقول الأول هو قول قتادة وكأنه أوفق / ١٢ منه.

(٢) يعنى أن إسرافكم علة نزول القرآن لا لتركه / ١٢.

(٣) وهذا كما يقول مخاطبك: أدبنى زيد، فتقول: الذى أكرمك وأعطاك وربـــاك، تصـــل كلامك بكلامه على أنه من تتمته، لكن لا تجعله من كلامه وهـــذا أولى ممـــا ذكـــره الزمخشرى فتأمل فيهما / ١٢ منه.

﴿وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ[1]﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: تركبونه، جعل السفينة كالدابة فعدى الفعل إليها بنفسه[2]، فإنه يقال: ركبت فى الفلك ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي: ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ بقلبكم ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾ بلسانكم ﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ[3]﴾: مطيقين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: منصرفون راجعون، يذكر ركوب النفس بالبدن وسير العمر، وعن طاوس: حق على كل مسلم إذا ركب دابة أو سفينة، أن يقول ذلك، ويتذكر انقلابه فى آخر عمره على مركب الجنازة إلى الله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ يعنى بعد اعترافهم بأن الخالق هو الله تعالى، جعلوا له ولدًا، فإن الولد بضعة وجزء لوالده، فقالوا: الملائكة بنات الله، وقيل معناه: جعلوا جزءًا من عباده، فإنهم جعلوا بعض أنعامهم لله تعالى وبعضها لطواغيتهم[4] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ جنسه ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الكفران.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٍ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي

---

(١) قيل: كل ما سوى الله فهو زوج، كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، ذات وصفات، صيف وشتاء وربيع وخريف، غيم وصحو / ١٢ وجيز.

(٢) يعنى من حقه أن يقول ما تركبونه، وفيه تغليب المتعدى بغير واسطة على المستعدى بواسطة / ١٢ منه.

(٣) أخرج مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر : "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر ركب راحلته، ثم كبر ثلاثة، ثم قال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون" / ١٢ منثور.

(٤) نحو: "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والإنعام نصيباً"(الأنعام:١٣٦) الآية / ١٢ منه.

ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ
أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا
عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن
قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم
مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ
قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿**أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ**﴾ أى: اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿**وَأَصْفَاكُمْ**﴾: أخلصكم ﴿**بِالْبَنِينَ**﴾ فالهمزة للإنكار والتعجب من عدم اكتفائهم بنسبة الولد، حتى نسبوا له الجزء الأخس ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ**﴾ الجملة حالية ﴿**أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ**﴾ بالجنس الذى جعله ﴿**لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا**﴾: شبهًا فإن الولد شبه الوالد ﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا**﴾ من الحزن ﴿**وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾: مملوء قلبه من الغيظ ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا**﴾: يتربى ﴿**فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ**﴾: فى المجادلة ﴿**غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ ليس له بيان أى: تنسبون له من هو ناقص الظاهر- يستكمل نقصه بالحلى -والباطن- لا يقدر على إيراد الحجة على من يخاصمه- وتقديره: أو اتخذ من ينشؤ، عطف على أم اتخذوا، والهمزة بين المعطوفين لمزيد الإنكار، وفى الخصام متعلق بمبين؛ لأن غير فى معنى النفي، فجاز تقديمه عليه، وقيل: من مبتدأ حذف خبره، أي: أمن هذا حاله وَلَدُه، أو عطف على ما يخلق ﴿**وَجَعَلُوا**﴾: سموا ﴿**الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾ فهذا كفر آخر منهم، ومن قرأ "عند الرحمن" فمعناه: قربتهم ورتبتهم ﴿**أَشَهِدُوا**﴾: حضروا ﴿**خَلْقَهُمْ**﴾: خلق

الله تعالى إياهم فشاهدوا ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ[1]﴾ عنـــها يوم القيامة ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ﴾ أن لا نعبد الملائكة ﴿مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ كفر آخر، فإنهم أرادوا أن كفرهم بمشيئة الله تعالى، فلا يكون منكرًا منهيًّا عنه، بل مأمورًا[2] بـــه، فرأيهم رأى القدرية من أن كل مأمور به مراد، وكل منهى عنه غير مراد ﴿مَا لَـــهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ[3]﴾ يعنى: أنهم جاهلون كاذبون، مصيبـــين فى استصوابه، معذورين فى ارتكابه ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: قبل القرآن، بأن يعبدوا غير الله تعالى، وينسبوا إليه الولد، ويقولوا هو راض عنا ﴿فَهُمْ بِـــهِ مُسْتَمْسِـــكُونَ﴾ نسبهم إلى الكذب أولاً، ثم أضرب عنه إلى إنكار سندهم من جهة النقل ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾: دين ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ[4]﴾ جعلوا من جهلـــهم تقليد جهلتهم اهتداءًا ﴿وَكَذَلِكَ[5] مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَـــالَ

---

(١) قيل: سألهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ما يدريكم أنهم إناث؟ فقـــالوا: سمعنـــا ذلك من آبائنا، ونحن نشهد بصدقهم، فأنزل الله "ستكتب شهادتهم ويســألون" / ١٢ وجيز.

(٢) ولم يفرقوا بين الإرادة والرضاء، ولم يعرفوا أن مشيئة الله شيء لا يستلزم رضاه به، فـلا يكون عبادتهم مرضيا له تعالى/ ١٢ كمالين.

(٣) كأنه تعالى لما أظهر وجوه فساد مقدمتهم، وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بهـا علم من طريق العقل، ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل، فقال: "أم أتيتهم كتاباً" الآية / ١٢ أبو السعود.

(٤) أي: لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية، بل اعترفوا بألاّ سند لهم سوى تقليد آباءهم، قاله أبو السعود/ ١٢.

(٥) أي: الأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجـــة وتشـــبثهم بذيـــل التقليـــد/ ١٢ أبـــو السعود.

مُتْرَفُوهَا ﴾ متنعموها **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ[1] مُقْتَدُونَ﴾** فهذه شِنشِنتهم القديمة ليست مخصوصة بقومك **﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا**

---

(١) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم، ليس لأسلافهم أيضًا سند غيره، وتخصيص المترفين بتلك المقالة، للإيذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر إلى التقليد/ ١٢ أبو السعود، قال الرازي: ولو لم يكن فى كتاب الله إلا هذه الآية لكفت فى إبطال القول بالتقليد؛ لأنه تعالى ذمهم بأنهم فيما ذهبوا إليه لم يتمسكوا بدليل عقلى ولا نقلى، وذكر هذه المعانى فى معرض الذم والتهجين، ذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل ومما يدل على بطلانه أنه أمر مشترك بين المحق والمبطل، فلو كان حقا لوجب كون الشيء ونقيضه حقا، ومعلوم أن ذلك باطل. انتهى ملخصًا. وقال الشوكانى بعدما ذم المقلدة فى الإسلام: وقد وهب لهم الشيطان عصًا يتوكئون عليها عن أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة، وهى أنهم يقولون إن إمامنا الذى قلدناه أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصوراً عظيمًا بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به فى وجوههم، فإنه لو قيل لهم: إن فى التابعين من هو أعظم قدرا وأقدم عصرا من صاحبكم، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء، فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرًا وأجل قدرًا، فإن أبيتم ذلك ففى الصحابة من هو أعظم قدراً من صاحبكم علمًا وفضلاً وجلالة قدر، فإن أبيتم ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدراً وأجل خطراً وأكثر أتباعًا وأقدم عصرًا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم -صلى الله عليه وأله وسلم- ورسول الله إلينا وإليكم، فتعالوا فهذه سنته موجودة فى دفاتر الإسلام ودواوينه التى تلقتها جميع هذه الأمة، قرنا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل بين أظهرنا موجود فى كل بيت وبين كل مسلم، لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تصحيف، ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه، فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه، فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا سمع ولا طاعة، إما بلسان الحال أو بلسان المقال، فتدبر

﴿وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ الظاهر أن قل حكاية أمر ماض[1] أوحى إلى نبينا عليه السلام، ويؤيده قراءة "قال" أي: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى؟! ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأنواع من العذاب ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

= هذا وتأمله إن بقى فيك بقية من إنصاف وشعبة من خير وحياء وحصة من دين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم/ ١٢ فتح.

(١) لكن أكثر المفسرين فسروا على خلاف الظاهر، وقالوا: قل يا محمد أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدى؟ قالوا: "إنا بما أرسلتم به كافرون" وقالوا فانتقمنا منهم أي: من الأمم المكذبة وفى هذا التفسير بعد كما لا يخفى/ ١٢ منه.

﴿وَإِذْ قَالَ(١)﴾ أي: واذكره ﴿إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ مصدر مستوٍ فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أى بريء من معبودكم ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ منقطع أو متصل، فإنهم كانوا معترفين بأن الله تعالى هو الإله الأصلى المعبود، و"ما" تعم أولى العلم أو غلَّب غيره؛ لأن أكثر معبودهم الأصنام غير العقلاء ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ الأظهر أن السين لمجرد التأكيد والتسويف، والمضارع للاستمرار ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: جعل اللهُ تعالى، أو إبراهيمُ كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ فى ذريته لا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للبعض من المعقب، أو لهم بحذف المضاف، أى: لعل مشركهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك، فإنهم من عقب إبراهيم ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ فى الدنيا فاغتروا بها ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: ظاهر رسالته ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ﴾ إحدى ﴿الْقَرْيَتَيْنِ﴾ مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال أرادوا وليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف، أو غيرهما فإنهما من الأعاظم، ولا يليق تلك الرتبة العظيمة إلا بمثلها ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أى ليس الأمر مردودا إليهم، بل إنه يعلم حيث يجعل رسالته، فإنها لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم وأطهرهم وأظهرهم بيتًا وأصلاً، لا على أكثرهم مالاً وجاهًا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا البعض غنيًّا والبعض فقيرًا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ بالمال، ودرجات إما تمييز أو بدل ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ لِيُسَخِّرَ الأغنياء الفقراء بأموالهم، ويستخدموهم فينتظم العالم، وليس هذا من شرف فى الغنى ونقص فى الفقير ﴿وَرَحْمَةُ

(١) ولما ذكر تقليد هؤلاء آباءهم، أعقب حكاية إبراهيم مع أبيه وقومه، فإنهم أجابوا بمثل ما أجاب هؤلاء فقال: "وإذ قال إبراهيم" الآية / ١٢ وجيز

ربِّكَ﴾ بخلقه ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من الأموال ومن حطام الدنيا ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا كراهة اجتماع الخلق على الكفر لرغبة النفس فى الدنيا ﴿لَّجَعَلْنَا[1] لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ لبيوتهم بدل اشتمال من "لمن يكفر"، وجاز تعلقه بسقفًا، كما تقول: جعلت لك لوحًا لكتابك ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾: سلالم ومصاعد منها ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يعلون السطوح، لحقارة الدنيا فيغتروا بها أكثر مما اغتروا ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾: من فضة ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر ﴿يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا﴾: ذهبًا، عطف على محل من فضة، والزخرف: الزينة، فعطف على سقفًا، وروى الترمذى وقال: حسن صحيح "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافرًا شربة ماء أبداً"(*) ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إن نافية، و"لما" بمعنى إلا، ومن قرأ "لما" بالتخفيف فإن مخففة، واللام هى الفارقة، وما صلة ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: خاصة لمن هو متقى عند الله وفى عمله، أو حاصل عند الله تُعَدُّ لهم.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ

---

(١) حاصله لو جعلنا الكفر سببًا لكثرة الأموال، لاجتمع الخلق على الكفر لرغبتهم فى الدنيا، وما أردنا ذلك، فذلك بعض الكفار أغنياء وبعضهم فقراء / ١٢ منه، ففقر بعض الكفرة من سوابق عناياتنا على المؤمنين، وإلا فموضع مال الدنيا أيادى أهالى الشقاوة وسقفهم وسلاليمهم وأبوابهم وسررهم / ١٢ وجيز.

(*) "صحيح" انظر صحيح الجامع (٥٢٩٢)، والصحيحة .

ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ
وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ
نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ
تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾: يعرض **﴿عَنْ ذِكْرِ**[1] **الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ﴾** نسبب له ونسلط عليه **﴿شَيْطَانًا﴾** يزين له الغواية، ويصده عن الهداية **﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾**: لا يفارقه **﴿وَإِنَّهُمْ﴾** أى: الشياطين **﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾** جمع الضميرين للمعنى **﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾**: عن طريق الحق **﴿وَيَحْسَبُونَ﴾** أى: الكفار **﴿أَنَّهُمْ﴾** أى: أنفسهم **﴿مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾** الكافر **﴿قَالَ﴾** للشيطان **﴿يَا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾** بعد المشرق من المغرب، فغلب وأضاف البعد إليهما بعد التثنية **﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾** أنت **﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾** هذا قول الله تعالى أو الملك لهم **﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾** أى: إذ يتبين ظلمكم أنفسكم فى الدنيا فإذ لتحقق الوقوع، والمعنى على الاستقبال كما فى "ولو ترى إذ وقفوا"

---

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية -رحمه الله-: وذكر الله يراد به تارة ذكرُ العبدِ ربَّهُ، ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال "وهذا ذكر مبارك أنزلناه"(الأنبياء:٥٠)، وقال نوح: "أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم"(الأعراف:٦٣،٦٩)، وقالوا: "يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون"(الحجر:٦)، وقال: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"(الأنبياء:٢)، وقال: "إنه لذكر لك ولقومك"(الزخرف:٤٤)، وقال: "إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم"(التكوير:٢٧)، قال: "وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين"(يس:٦٩) انتهى.

(الأنعام:٢٧،٣٠) وجاز أن يكون بدلاً من اليوم ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا ينفعكم اشتراككم واجتماعكم فى العذاب؛ لأن لكل نصيبه الأوفر، فإنكم فاعلُ لن ينفعكم، وفاعله ضمير يرجع إلى التمنى المستفاد من قوله: "يا ليت" وإنكم علة أى لأنكم فى العذاب مشتركون ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ همزة إنكار، فإنه عليه السلام يتعب روحه فى إهدائهم ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أى ليس هذا فى وسعك، والقادر على ذلك هو الله تعالى وحده ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ فإن قبضناك قبل أن نعذهم، وما زائدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى استجلاب نون التأكيد ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعد موتك ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ أي: إن أردنا أن نريك ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ[1] بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من الشرائع ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ﴾ أي: الذى أوحى إليك ﴿لَذِكْرٌ﴾: لشرف ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ حيث إنه أنزل بلغتهم، فينبغى أن يكون أقوم الناس، أو لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفى من سواهم ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن حقه ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ السؤال عن الرسل سؤال عن أممهم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود "واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رُسلَنا" ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ أي: هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد، ومعنى الأمر به التقرير لمشركى قريش[2] أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى، وعن بعض السلف[3]: جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر أن يسألهم، فلم يشك و لم يسأل.

---

(١) ولما ردّ وبين حياته وموته -صلى الله عليه وسلم- أمره بالاشتغال بشغله فقال: "فاستمسك بالذي" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) هذا قول أكثر السلف / ١٢ وجيز.

(٣) هذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد، وعلى هذا لا يكون المراد السؤال عن أمم بل عن الرسل نفسهم، ولا يكون فائدة الأمر بالسؤال تقرير مشركى =

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ
ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟
يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ
أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠
خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن
ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * ﴾

﴿وَلَقَدْ[1] أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ فاجئوا بالاستهزاء بالآيات ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أي: صاحبتها التى كانت قبلها، أو هو تمثيل باتصاف الكل بالكمال، بحيث لا يظهر التفاوت ويظن عند النظر بكل واحد أنه أفضل

= قريش، والأول قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل / ١٢ منه.

(١) ولما قال قريش: "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" أى: فى المال والجاه أعقبه حكاية موسى مع فرعون، ليعلم أن فرعون حين قال: أليس لى ملك مصر" الآية قدوتهم فى ذلك، وموسى ما أمر إلا بالتوحيد فقال: "ولقد أرسلنا" الآية / ١٢ وجيز.

من البواقى ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ كالطوفان والجراد وغيرهما ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكى يرجعوا عن الكفر ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل وهذا تعظيمه منهم، فإن السحر عندهم فضيلة لا نقيصة، أو لفرط حيرتهم سبق لسانهم إلى ما تعودوا به ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ بكشف العذاب عنا ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: بسبب عهده عندك أن يجيب دعوتك، أو بحق ما عندك من عهد الله تعالى وهو النبوة، أو بحق الإيمان، أو بسبب ما عهده الله تعالى من كشف العذاب لمن آمن ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ(١)﴾ فاجئوا نكث العهد ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ أمر بالنداء، أو هو نادى بنفسه فى مجمع عظمائه(٢) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ أنهار النيل(٣) عطف على ملك مصر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصرى أو أمري، جملة حالية، أو خبر لهذه(٤) الأنهار، والواو للحال ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾: بل أنا خير، والهمزة للتقرير والتحقيق، وقيل: أم متصلة حاصله، أفلا تبصرون أم تبصرون، من إقامة المسبب موقع السبب، فإن إبصارهم سبب لقولهم: أنت خير ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يفصح ويعرب عما فى ضميره، لما فى لسانه من اللكنة ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة إن كان سيدًا مطاعًا، فإنهم إذا كانوا سودوا رجلاً، سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب، يكون ذلك دلالة

(١) والقصة مذكورة فى سورة الأعراف بلفظ يا موسى "ادع لنا ربك"(الأعراف:١٣٤) فيحتمل أن الله حكى كلامهم بحسب المعنى، ويحتمل أن يكون هذا كلام بعض وذاك كلام بعض آخر، أو بحسب محلين / ١٢ منه ووجيز.

(٢) لما رأى إجابة الله دعوة موسى فى رفع العذاب وخاف ميل القلوب إليه/١٢وجيز.

(٣) فإنه ينشعب من النيل أنهار/١٢منه.

(٤) فالواو: وللحال لا للعطف على ملك مصر كما قلنا / ١٢ منه.

لسيادته ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقرونين يصدقونه، أو متتابعين يشهدون له مرة بعد أخرى ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ أي فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ حملهم على الخفة والجهل ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فأطاعوا فساقا ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾ في اليم ﴿أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾: متقدمين، ليتفكروا المتأخرون فيهم ويتعظوا ﴿وَمَثَلًا﴾: قصة عجيبة ﴿لِلْآخِرِينَ[1]﴾.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ
ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم
مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ
ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

(١) ولما ذكر طرفًا من قصة موسى أعقبه طرفًا من قصة عيسى وقدم من أمره ما يتعلق بقريش فقال: "ولما ضرب ابن مريم"/ الآية ١٢ وجيز.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لما نزل "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"(الأنبياء:٨٩) جادل ابن الزبعرى(١) وقال: رضينا، إن آلهتنا مع عيسى فجعلوه مثلاً حجة(٢) سائدة، أو مقياساً ومثالاً فى بيان إبطال ما ذكر من أنكم وما تعبدون ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: قريش ﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: يضجون فرحًا بأنه أسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن قرأ بضم الصاد فمعناه: من أجل هذا المثل يعرضون عن الحق، وعن الكسائي: هما لغتان كيعرُش ويعرِش، قال الواحدى: إذا قومك المؤمنون يضجون من هذا يعنى غمًّا وشكًّا ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى فإن كان هو حصب جهنم فليكن آلهتنا كذلك ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا(٣)﴾ لأجل الجدل فإنه معلوم لكل من له نظر، أن المراد مما تعبدون: الأصنام، سيما إذا جعل

---

(١) بكسر الزاى المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين والراء المهملة والألف المقصورة معناه سيئ الخلق / ١٢.

(٢) وقالوا عيسى: يعبد من دون الله والملائكة، فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وفرح قريش: بأنا أسكتنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون" ولا يخفى أن ما قاله ابن الزبعرى باطل من أصله لأن الله قال: "وما تعبدون" و لم يقل ومن تعبدون حتى يدخل فى ذلك العقلاء قال الشهاب: ابن الزبعرى هو عبد الله الصحابى المشهور وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل إسلامه/ ١٢ فتح.[أخرج أصل هذا الحديث أحمد فى "المسند"، (٣١٨/١)، وقال الهيثمى فى "المجمع"، (١٠٤/٧): "رواه أحمد والطبرانى بنحوه وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح"].

(٣) أخرج أحمد والترمذى وصححه وغيرهما مرفوعاً "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية" [حسن، انظر صحيح الجامع (٥٦٣٣)] وقد ورد فى ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة / ١٢ فتح.

ما لغير العقلاء على ما هو المتبادر إلى الفهم عند الإطلاق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ فهذا رد الله تعالى عليه إجمالاً، وتفصيله فى موضع آخر، حيث قال: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى" كالملائكة وعيسى وعزيز "أولئك عنها مبعدون" ﴿إِنْ هُوَ﴾: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾: أمرًا عجيبًا ﴿لِبَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ بدلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ أي: يخلفونكم فى الأرض يعبدوني، فالملائكة وعيسى لا يستحقون الألوهية، وقيل: معنى لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة، كما ولدنا عيسى من غير فحل، لتعرفوا أن الملائكة مثلكم أجسام، وأن الله تعالى قادر على كل شىء ﴿وَإِنَّهُ﴾ :عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أى: علامتها، فإن نزوله من أشراطها وقيل ما وضعت على يديه من إحياء الموتى وغيرها، كفى به دليلا على علم الساعة وقيل: الضمير للقرآن[1] فإن فيه الدلالة عليها، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: لا تشكن فيها، ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ أي: شرعى وما أخبركم به، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: أى ما أدعوكم إليه صراط لا يضل سالكه، ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: عن اتباعه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: النبوة، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ هو من عطف الجملة أي: جئتكم بالحكمة وجئتكم لأبين لكم، وجاز عطفه على محذوف عام، أي: جئتكم بالحكمة لمصالحكم ولأبين، ﴿بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: بعضًا توضيحه صلاح دينكم، أو بعض ما أنتم تختلفون فيه من أحكام التوراة فإن الذى لم يختلفوا فيه لما احتاج إلى تبيين، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ الفرق المتحزبة، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله، ومنهم من يدعى أنه ولد الله أو هو الله ومنهم من يدعى أنه كذاب، ﴿فَوَيْلٌ

---

(١) هذا قول الحسن -رضى الله عنه/١٢منه.

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا(١) **مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ**(٢) **أَلِيمٍ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾**: ينتظرون، **﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾**: إلا إتيان الساعة، وأن تأتيهم بدل من الساعة، **﴿بَغْتَةً﴾**: فجأة، مفعول مطلق، **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**(٣)**﴾** لإنكارهم، أو لانهماكهم في دنياهم، يعني: أنها تأتيهم لا محالة، فكأنهم ينتظرونها، **﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾** يومئذ ظرف، عدو والفصل بالمبتدأ غير مانع، **﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾** فإن محبتهم تبقى.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ (٦٩) ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ
عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ
وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ (٧٢) لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ (٧٣) إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي
عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ
وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٦) وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم
مَّٰكِثُونَ (٧٧) لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٨) أَمۡ
أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ (٧٩) أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ (٨٠) قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ (٨١)

---

(١) والمراد كل ظالم وهؤلاء أدخل فيهم/١٢وجيز.

(٢) ذى ألم هذا العذاب، وفيه مبالغة بليغة/١٢وجيز.

(٣) مجيء الساعة فجأة، ربما يكون مع الشعور به وربما يكون مع الغفلة، فكلا القيدين محتاج إليه/١٢منه.

سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿يَا عِبَادِ﴾: حكاية لما يُنادَى به المتحابون المتقون، **﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ﴾**: منصوب على المدح، **﴿آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾**: المؤمنات، **﴿تُحْبَرُونَ﴾**: تسرون[1]، **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾**: جمع صحفة[2] **﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾**: جمع كوب وهو كوز لا عروة له، **﴿وَفِيهَا﴾**: فى الجنة، **﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾**: بمشاهدته، وكأنه لم يعتد بمستلذات السمع والشم والذوق فى جنب مستلذات العين[3] فلم يذكرها، **﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** وهو من أتم النعم، **﴿وَتِلْكَ﴾**: الجنة المذكورة، **﴿الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**، والجنة إما خبر، والتى أورثتموها صفة لها، أو صفة

---

(١) تسرون سرورًا يظهر حباره أي: أثره على وجوهكم/١٢منه.

(٢) وهى مملوءة من طعام الجنة/١٢وجيز.

(٣) إشارة إلى رد ما قاله الزمخشري، حيث قال: وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة فى القلوب وإما مستلذات فى العيون: واعترض عليه بأن مستلذات ما فى الحواس إن جعلت داخلة فى مشتهيات القلوب فكذا مستلذات الأعين وإن لم يجعل فلا حصر والله أعلم/١٢منه.

والتي خبر، أو هما صفتان والظرف خبر، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ[١]﴾: يبقى بعضها، أبدا لا تجد شجرة عريانة من الثمرة، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفف ولا ينقص، ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾، فى العذاب، ﴿مُبْلِسُونَ﴾: ساكتون سكوت يأس، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾: على أنفسهم، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: من قضى عليه، إذا أماته وهو تمنى الموت من فرط شدتهم وحيرتهم، وهذا الكلام والنداء قبل الإبلاس وقبل أن يقال لهم: "اخسئوا فيها ولا تكلمون"[المؤمنون:١٠٨]، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾: المكث يشعر بالانقطاع ولا انقطاع ففيه استهزاء، ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾: جواب من الله تعالى بعد جواب الملك، أو فى قال ضمير يرجع إلى الله تعالى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ[٢] أَمْ أَبْرَمُوا﴾: أحكموا، ﴿أَمْرًا﴾، فى رد الحق بحيل ومكر، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: كيدنا فى مجازاتهم، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾: ما يخفون من الغير، ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما تكلموا به فيما بينهم، ﴿بَلَى﴾: نسمعهما، ﴿وَرُسُلُنَا﴾: أى الحفظة، ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ[٣]﴾: ذلك، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

---

(١) لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر فى القرآن/١٢كبير.

(٢) عن بعض السلف أنهم يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يرد عليهم: "إنكم ماكثون" ثم يدعون الله بقولهم "ربنا غلبت علينا شقوتنا" الآيات فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم أجابهم بـ"اخسئوا فيها ولا تكلمون"(المؤمنون:١٠٥/١٠٨) فوالله لا يسمع منهم إلا زفير وشهيق كالحمير، قال: ولكن أكثركم فإن بعضهم كافر بالتبع وبعضهم هجم[كذا بالأصل ولعل الصواب: همج] لا يعرف الحق والباطل/١٢وجيز.

(٣) ولديهم متعلق بيكتبون، قدمه رعاية للفواصل ولما قدم فى أول السورة تبكيتهم فى ادعائهم ولدًا وهددهم بقوله "ستكتب شهادتهم ويسئلون" علّم نبيه جوابهم وردهم فقال: "قل إن كان للرحمن ولد" الآية/١٢وجيز.

﴿الْعَابِدِينَ﴾، لذلك الولد جعل ثبوت الولد ملزومًا لأمر منتف محال فى اعتقاده، وهو عبادته للولد، لكن اللازم منتف فكذا الملزوم، والغرض نفى الولد على أبلغ وجه قال تعالى: "لو أراد الله أن يتخذ ولدًا" (الزمر:٤) وعن بعضهم معناه: إن كان له ولد فى زعمكم فأنا أول الموحدين لله تعالى فإن من عبد الله تعالى فقد دفع[*] أن يكون له ولد، أو معناه: فأنا أول الآنفين[١] من أن يكون له ولد، المنكرين لما قلتم، يقال: عَبِد يَعْبَد: إذا اشتد أنفه أو إن نافية، أي: ما كان له ولد، فأنا أول من قال بذلك، ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من كونه ذا ولد، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾: فى الباطل، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: فى الدنيا، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: القيامة، ﴿وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ[٢]﴾ أي: هو إله فيهما، فالظرف متعلق بأل لما فيه من معنى الوصفية[٣]، أو لأنه بمعنى المعبود[٤] بالحق، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: فى التدابير، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بكل شيء فلا يحتاج إلى ولد، ﴿وَتَبَارَكَ

(*) فى النسخة ن: رفع.

(١) وهذا المعنى حكاه البخارى عن سفيان الثورى يقال: عبِد بالكسر يعبَد بالفتح: إذا اشتد أَنَفه: ثم انظر إلى الزمخشرى الجريء الحرى بالسب، كيف ألحد بالمقال، وقام فى هذا المقام باختراع المثال، واقتحم خطبًا خطيرًا لم يسبقه واحد من الفجرة، ولم يخف أن يسقط عليه كسفًا من السماء وأن يشق به الأرض، وأنا أتحاشى أن أذكر لفظه ورفضه عن الدين، وإن لم يداركه عفو الله فالويل ثم الويل/١٢وجيز.

(٢) أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي، فى الأسماء والصفات عن قتادة قال: هو الذى يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض/١٢در منثور.

(٣) بمعنى: المعبود الحق، يعنى فى التضمن معنى المعبود نحو هو حاتم فى الحي/١٢منه.

(٤) يعنى الإله وإن كان اسمًا للمعبود مطلقًا لكن خصه العرف بالمعبود بحق ولهذا صرح لا إله إلا الله مع كثرة المعبودات الباطلة/١٢منه.

الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، لا عند غيره، **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**: للجزاء، **﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾** أي: آلهتهم، **﴿الشَّفَاعَةَ﴾**: كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله، **﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾**: بالتوحيد، **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**، حقيقة ما شهدوا به ولا يكونون منافقين، والاستثناء متصل، أي: لا يملكها أحد من المعبودين إلا الموحدين كالملائكة، وعيسى، فإن لهم الشفاعة بإذنه لمن ارتضى أو منقطع أي: متعلق الذين بالأصنام، **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ[1]﴾**: يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره، **﴿وَقِيلِهِ﴾**: بالنصب مفعول مطلق أي: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قيله أي: شكى إلى ربه شكواه من قومه فقال: **﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**، أو عطف على سرهم ونجواهم أو على معنى وعنده علم الساعة أي: يعلم الساعة، و"قيله" وبالجر عطف على الساعة أي: عنده علم قيله، **﴿فَاصْفَحْ﴾**: أعرض، **﴿عَنْهُمْ﴾**، ولا تجادلهم بمثل ما يخاطبونك من الكلام السيء، **﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾** أي: أمرى وشأنى تَسلُّم ومسالمة[2] منكم، **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**: غِبَّ ما فعلوا، فهذا وعيد أكيد لهم، ومن قرأ بالتاء فهو أيضًا من مقول قل.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) اعلم أنه تعالى ذكر هذا الكلام فى أول هذه السورة وفى آخرها، والمقصود التنبيه على أنهم لما اعتقدوا أن خالق العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى، فكيف أقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة غيره/ ١٢ كبير، وفى الكمالين، وفيه تعجب عن الإشراك فى العبادة مع الإقرار بالتوحيد فى الخلق/ ١٢.

(٢) أي: لم يؤمر بالسلام عليهم وإنما بالتبرء عنهم وعن دينهم/١٢منه.

سورة الدخان مكية

إلا قوله: "إنا كاشفوا العذب"

وهى سبع أو تسع وثلاثون (*) آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ
﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ
يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ
وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾
إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ
ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ
وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾
وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذۡتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾

(*) كذا بالأصل والصواب: وخمسون.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾

﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، الواو للعطف، إن كان حم مقسمًا بها بإضمار حرف القسم، والجواب قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾، أي: الكتاب المبين، ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ[1]﴾، قال تعالى: " إنا أنزلناه فى ليلة القدر"(القدر:١) أنزل فيها جملة واحدة[2] من اللوح إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم أنزل مفصلاً بحسب الوقائع، وعن بعض: هى ليلة النصف[3] من شعبان[4]، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: محذرين بإنزال الكتاب، مستأنفة تبين

---

(١) يعنى ليلة القدر/ ١٢ كمالين.

(٢) أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن من السماء العليا إلى السماء الدنيا جميعًا فى ليلة القدر ثم فصل بعد ذلك فى تلك السنين / ١٢ در منثور.

(٣) عن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى يترل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) / أخرجه الترمذى/١٢ الباب[ضعيف، أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه، وانظر ضعيف الجامع (١٧٦١)].

(٤) كذا روى عن عكرمة، قال الحافظ ابن كثير: ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد، فإن نص القرآن أنها فى رمضان، وأما حديث "تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى أن الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج اسمه فى الموتى"، فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض النصوص، كذا فى المواهب هذا ما فى الكمالين، وذكـــر فى =

فائدة الإنزال، ﴿فِيهَا﴾: فى تلك الليلة، ﴿يُفْرَقُ﴾: يفصل ويثبت(*)، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: محكم لا يبدل من الأرزاق والآجال وجميع أمرهم إلى السعة، الآية، قال تعالى: " تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر"(القدر:٤)، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾، نصب على الاختصاص، أي: أعنى به أمرًا حاصلاً من عندنا، أو حال من كل، أو من ضمير حكيم، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، إلى الناس يتلو عليهم آياتنا، بدل من إنا كنا منذرين، أي: أنزلنا القرآن، لأن من عادتنا إرسال الرسل، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، مفعول له، وقيل "إنا كنا" علة ليفرق، ورحمة مفعول به، أي: يفصل الأمور فيها، لأن من شأننا إرسال الرحمة، وفصل الأمور من باب الرحمة، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، للأقوال والأحوال، والرب لابد أن يكون كذلك، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾: فى إقراركم بأن الله خالق السماوات والأرض، تعرفون مضمون ما ألقى إليكم من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتعترفوا به، فإن الكفرة معترفون بأن خالق الأشياء هو الله، أو معناه إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾، فى الدنيا، رد لكونهم موقنين، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر لهم، ﴿يَوْمَ﴾، مفعول به لارتقب، ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: هو الدخان الموعود، الذى هو من علامة قرب القيامة البين الواضح، الذى يراه كل أحد، وإليه ذهب حبر الأمة ابن عباس(١) رضى الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم مع الأحاديث من

= منهية الكمالين، أن الحديث رواه ابن جرير عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس مرسلاً/١٢.[انظر الدر المنثور (٥/٧٤٠).]

(*) وفى نسخة (ن): يبين.

(١) وفى الكمالين وقال ابن عباس رضى الله عنه، وابن عمر والحسن وغيرهم: إن المراد بالدخان، الدخان المعدود من أشراط الساعة البين الواضح الذى يراه كل أحد، وقد =

الصحاح والحسان، ﴿يغْشَى النَّاسَ﴾: يحيط بهم، أما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فهو كالسكران، يخرج من منخريه وأذنيه ودبره، ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ﴾، أي: قائلين هذا عذاب إلى مؤمنون، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾، وعد بالإيمان إن كشف عنهم، كأنه قيل: إن تكشف فإنا مؤمنون، ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾: من أين لهم التذكر؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾، قال بعضهم: يعلمه غلام أعجمي، ﴿مَّجْنُونٌ﴾، وقال بعضهم: مجنون، يعني: لا يتأتى منهم التذكر بهذا السبب، فإنه قد جاءهم أسباب أعلى من هذا، وما التفتوا إليها، ﴿إِنَّا كَاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلاً﴾: زمانًا قليلاً يكشف الله تعالى الدخان، قيل: بعد أربعين يومًا فيرتدون، ولا يفون بوعدهم، ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾: فى الكفر، ولا يلزم أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم بالكلية، ثم عادوا إليه، قال تعالى حكاية عن شعيب: " قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها "(الأعراف:٨٩) ولم يكن شعيب قط على ملتهم، قال قتادة: إنكم عائدون إلى عذاب الله تعالى، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى﴾، هو يوم القيامة، ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ(١) ﴾، منهم، والعامل فى "يوم"

= ورد به الأحاديث الصحيحة عند مسلم، وغيره وأخرج ابن جرير عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا "إن أول الآيات الدخان، ونزول عيسى بن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر"، فقال حذيفة: يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: " يوم تأتى السماء بدخان مبين " يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، فأما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره" / ١٢ .[ذكره الحافظ ابن كثير فى "التفسير"، (١٣٩/٤)، من طريق ابن جرير، وقال:"موضوع بهذا السند".]

(١) لما بين أن كفار مكة مصرون على كفرهم، بين أن كثيرًا من المتقدمين أيضًا كانوا كذلك، فبين حصول هذه الصفة فى أكثر قوم فرعون، فقال: " ولقد فتنا قبلهم " الآية / ١٢ كبير.

فعل دل عليه "إنا منتقمون"، لأن إن مانع من عمله فيما قبله، أو بدل من "يوم تـأتي"، وعن ابن مسعود رضى الله عنه وبعض آخر من السلف[1] أن المراد من الدخان الظلمـة التي فى عام القحط من قلة الأمطار، وكثرة الغبار، أو ما يرى الجائع كهيئة الدخان من المجاعة من ضعف بصره، حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـالتجئوا وقالوا: ادع الله تعالى لئن يكشف عنا لنؤمن لك، فدعا وكشف و لم يؤمنوا، فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر، وهو البطشة الكبرى، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش، ﴿قَـوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، على الله، ﴿أَنْ أَدُّوا﴾، أن مفسرة، ﴿إِلَى عِبَـادَ اللَّهِ﴾: بنى إسرائيل وأرسلوهم معى ولا تعذبوهم، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، علـى الوحي، ﴿وَأَن لاَّ تَعْلُوا﴾: لا تتكبروا، ﴿عَلَى اللَّهِ﴾، بترك طاعته، ﴿إِنِّـى آتِيكُـم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة ظاهرة على صدق قولي، ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّـى وَرَبِّكُـمْ﴾: التجأت إلى الله تعالى، ﴿أَن تَرْجُمُونِ ﴾: تقتلوني، أو تشتمونى فإنه الرجم باللسـان، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ ﴾: كونوا بمعزل مني، لا تتعرضوا إلى بسوء، ﴿فَدَعَـا رَبَّهُ﴾، شاكيًا بعد ما كذبوه، ﴿أَنَّ هَؤُلاءِ﴾، أي: بأنهم، ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُـونَ فَأَسْـرِ

---

(١) قال ابن مسعود: من علم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، وسأحدثكم إن قريشًا لما استعصوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا عليهم، فقال: " اللـهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف " فأصابهم الجهد حـتى أكلوا الجيف والعظام، وكانوا يرون بين السماء والأرض الدخان، حـتى إن الرجـل يحدث الرجل فيسمع صوته ولا يرى المتكلم، من الدخان فمشى أبو سفيان ونفر معـه فناشدوه الله والرحم، وواعدوه بالإيمان بعد كشف العذاب، فلما كشف عنهم بدعائـه -صلى الله عليه وسلم- رجعوا إلى حالهم، فرحم النبى -صلى الله عليه وسلم- وأرسل إليهم صدقة ومالاً، وأنزل الله: " يوم نبطش البطشة الكبرى إنـا منتقمـون "/ ١٢ وجيز[أخرجه البخارى فى "التفسير"،(٤٨٢١)].

﴿بِعِبَادِي﴾، أي: قال الله تعالى، إذا كان الأمر كذلك فأسر ببنى إسرائيل، ﴿لَيْلاً﴾: قبل الصبح، ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم القبط، ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾، أي: اتركه حين قطعته، وعبرت ساكنًا كهيئته، ولا تأمره بأن يرجع إلى ما كان، وذلك لما جاوز أراد أن يضرب بعصاه، حتى يعود كما كان ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فأمر الله تعالى أن يتركه على حاله، ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا﴾، كثيرًا تركوا، ﴿مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، فى مصر وقراه، ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾: متنعمين، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾، عطف على الفعل المحذوف، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾، بنى إسرائيل[1]، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾، لكل مؤمن باب فى السماء يترل منه رزقه، ويصعد فيه عمله، فإذا مات أغلق بابه فقد بكا عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض بكت عليه وليس لقبط عمل صالح فما بكت[*]، وكلام بعض السلف: على أن بكاء الباب المذكور لكل مسلم، وأما بكاء السماء مطلقًا فما بكت منذ كانت الدنيا إلا على اثنين يحيى بن زكريا، وحسين بن على عليهما السلام[**] لما قتلا احمرت السماء وبكت، وقيل: مجاز عن عدم الاكتراث[2] بهلاكهم، قالت العرب فى موت عظيم: بكته الريح وأظلمت له الشمس، ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾: ممهلين لتوبة وغيرها.

---

(١) كذا روى ابن جرير عن قتادة، كما نقله السيوطى فى الدر المنثور، وفى الوجيز، قومًا آخرين هم بنو إسرائيل، وفى سورة الشعراء "كذلك وأورثناها بنى إسرائيل" (الشعراء:٥٩)، فلا تعتد ولا تعتبر على ما فى التواريخ ليس بعزيز / ١٢ .

(*) هذا الكلام ورد نحوه مرفوعا، وقال الهيثمى فى "المجمع"، (١٠٥/٧): "رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف".

(**) هذا من كلام زيد بن زياد، وهو يفتقر إلى ما يؤيده.

(٢) يقال ما أكترث له، أي: ما أبالى به / ١٢ صراح .

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ
هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا
خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ
مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنَ العَذَابِ المُهِينِ﴾: قتل الأبناء واستخدام النساء، **﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾**، حال من ضمير المهين، أو بدل من العذاب، **﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ المُسْرِفِينَ﴾**: فى الشرارة، **﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾**، بنى إسرائيل، **﴿عَلَى عِلْمٍ﴾**: عالمين بأهم أحقاء، **﴿عَلَى العَالَمِينَ﴾**: على عالمى زمانهم، **﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ﴾**، على يدى موسى، **﴿مَا فِيهِ بَلاءٌ[1]﴾**: اختبار أو نعمة، **﴿مُّبِينٌ إِنَّ هَؤُلاءِ﴾**: قريشًا والكلام فيهم، وحكاية القبط لتذكيرهم، **﴿لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى﴾**، التى هى بعد الحياة الدنيا، وليست بعدها موتة القبر، فلا حياة فيه، **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾**: من القبور، نفوا أولاً بقوله: إلا موتتنا الأولى الإحياء فى القبر بنفى الإماتة فيه، ثم نفوا البعث والإحياء بعد القبر، وهى ضمير مبهم يفسره الخبر، أو ما نهاية الأمر إلا الموت الذى بعد حياة الدنيا، يعني: ليس بعده إلا الفناء المحض، ولهذا

---

(١) نعمة ظاهرة من فلق البحر، والمن والسلوى / ١٢ جلالين .

صرحوا بقولهم: وما نحن بمنشرين، ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[1]﴾، أي: إن صدقتم أنه يمكن النشور بعد الموت، فاسألوا ربكم إحياء من مات من آبائنا، حتى نعلم صدق ما تقولون،﴿أَهُمْ﴾: قريش، ﴿خَيْرٌ﴾، فى القوة، والمنعة، ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: وهم سبأ، أهلكهم الله تعالى، وخرب ديارهم وفرقهم شذر ومذر، وتبع اسم لمن لمك فيهم، كما أن كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر للروم، وفرعون لمصر، والنجاشى للحبشة، وهو الذى بنى سمرقند، وفى الحديث (لا أدرى أتبع كان نبيًا أم لا)[*] وقد ورد أيضًا (لا تسبوا تبعًا، فإنه كان قد[2]

---

(١) ولما كان حمير ومن تبعهم من قوم تبع أقرب المهلكين، لعدم إطاعة نبيهم حذر قريشًا من أن يصيروا مثلهم، فقال: " أهم خير " الآية / ١٢ وجيز .

(*) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٧٤) والحاكم (٣٦/١) وصححه وأقره الذهبي، ووافقهما الشيخ الألبانى كما فى الصحيحة (٢٢١٧). ثم قال: (فائدة): قال ابن عساكر: " وهذا الشك من النبى -صلى الله عليه وسلم- كان قبل أن يبين له أمره، ثم أخبر أنه كان مسلما، وذلك فيما أخبرنا ...." ثم ساق الحديث الذى بعده.

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني، وروى ابن إسحاق وغيره، أنه آمن من قبل البعثة بسبع مائة سنة، وكتب كتابًا فيه: أما بعد، فإني آمنت بك، وبكتابتك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإلا فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك، وملة أبيك، ثم ختم الكتاب، ونقش عليه (لله الأمر من قبل ومن بعد) وكتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبى الله، ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين من تبع، فكان الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد حين بعثه النبى -صلى الله عليه وسلم-، يتوارثونه كابراً عن كابر حتى أدوها النبى صلوات الله وسلامه عليه/١٢ وجيز .

أسلم[1]) وهو كان فى زمن موسى -عليه السلام، ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الكافرة، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، هدد بهم قريشًا، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، كقريش، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: بين الجنسين[2]، ﴿لاعِبِينَ ﴾: لاهين، ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾: بسبب الحق وهو البعث والجزاء وغيرهما، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ[3]﴾: فصل الحق والمحق عن الباطل والمبطل، ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾: وقت وعدهم، ﴿أَجْمَعِينَ يَوْمَ لاَ يُغْنِي﴾، بدل عن يوم الفصل، ﴿مَوْلًى﴾، أى مولىً كان من قرابة أو غيرها، ﴿عَن مَّوْلًى﴾، أى مولىً كان، ﴿شَيْئًا﴾، من الإغناء مصدر، ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾، الضمير إما للمولى الأول، أي: هم ليسوا بناصر، ولا بمنصور[4]، وجاز عوده إلى الثاني، أو إليهما، ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾، بدل من واو "ينصرون"، أو نصب على الاستثناء منه، فإنه جاز النصب، والمختار البدل، والمراد

= وفى الفتح سمى تبعًا لكثرة أتباعه، وقيل: كل واحد من ملوك اليمن يسمى تُبَّعًا، لأنه يتبع صاحبه الذى قبله كما سمى فى الإسلام خليفة/١٢ فتح، وكان فى شعره

وحدثـــت أن رســـول المليـــك يخـــرج حقًـــا بـــأرض الحـــرم
ولـــو مـــد دهـــرى إلى دهـــره لكنـــت وزيـــرًا لـــه وابـــن عـــم

/١٢در منثور

(١) رواه البيهقي، والحاكم، وصححه / ١٢ فتح .[أخرجه أحمد (٣٤٠/٥) فالعزو إليه أولى، وذكر الشيخ الألبانى رحمه الله- فى الصحيحة (٢٥٢/٥) أن له شواهد يرتقى بها إلى درجة الحسن.]

(٢) ولذا لم يقل ما بينهن / ١٢ منه .

(٣) لما كان المقصود من قوله: " ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين " إثبات القول بالبعث والقيامة، فلا جرم ذكر عقيبه قوله: " إن يوم الفصل " الآية/١٢ كبير .

(٤) وجاز عود ضمير جمع إلى الفرد لفظًا، لأن لفظه مطلق شائع فى جنسه متأول لكل ولبعض / ١٢ وجيز .

المؤمنون، ﴿إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾، الغالب الذى لا يُغْلَب، ﴿الرَّحِيمُ[1]﴾، لمن كان أهل الرحمة.

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾، سبق فى الصافات بيانه، ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾: كثير الإثم أي:الكافر لأن الكلام فيه، ﴿كَالْمُهْلِ﴾: دُرْدِى الزيت، وقيل: هو ذائب الفضة والنحاس، ﴿يَغْلِي فِي البُطُونِ﴾، ومن قرأ "يغلي" بالياء فباعتبار أن الشجرة طعام الأثيم، ﴿كَغَلْيِ الحَمِيمِ﴾، غليانًا مثل غليان الماء الشديد الحرارة، ﴿خُذُوهُ﴾، أي: قلنا للزبانية: خذوا الأثيم، ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: سوقوه بعنف، ﴿إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾: وسطها، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ﴾، الملك يضربه بحديد فيفتح دماغه، ثم

---

(١) ولما كان السياق فى الانتقام أخبر عن حال الفجار بطريق الاستئناف، فقال: " إن شجرة الزقوم " الآية / ١٢ وجيز .

يصب الحميم على رأسه فيسلت ما فى بطنه من الأمعاء، فيتمزق على كعبيه، أعاذنا الله تعالى من ذلك، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، أي: قولوا له ذلك سخرية وتقريعًا، وعن[١] عكرمة:[٢] أنه عليه السلام قال لأبى جهل: (أمرنى الله تعالى أن أقول لك أولى لك فأولى)، فقال: ما تستطيع لى ولا صاحبك[٣] من شيء إنى أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم، فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وأنزل: " ذق إنك أنت العزيز الكريم "، وذكر غير واحد من السلف: أن المراد من الأثيم أبو جهل[٤]، ﴿إِنَّ هَذَا﴾: العذاب، ﴿مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: ما تشكون فيه، ﴿إِنَّ[٥] الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: موضع إقامة، ﴿أَمِينٍ﴾: يأمن صاحبه عن كل مكروه، ﴿فِى جَنَّاتٍ﴾، بدل من مقام، ﴿وَعُيُون يَلْبَسُونَ﴾، خبر ثان، أو حال، أو استئناف، ﴿مِن سُندُسٍ﴾: ما رَقَّ من الحرير، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ منه، ﴿مُّتَقَابِلِينَ ﴾، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره لأنس بينهم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: الأمر كذلك، أو أثبناهم مثل ذلك، ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ﴾: قرناهم بهن، والحور: النساء النقيات البياض، ﴿عِينٍ﴾: عظيمة العينين، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: يأمرون بإحضار أنواع الفواكه، ﴿آمِنِينَ ﴾، من كل مكروه، ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾، بل حياتهم أبدية، ﴿إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾، لكن ذاقوا الموتة الأولى فى الدنيا، قيل الاستثناء للمبالغة، فإن الغرض من إعلام أنهم لا يذوقون الموت أصلاً، كأنه قال: لو فرضنا ذوق الموت فى

---

(١) أخرج الأموى فى مغازيه / ١٢ فتح .[ضعيف لإرساله]

(٢) وغيره / ١٢ وجيز .

(٣) أراد الرب تعالى وتقدس / ١٢ .

(٤) ولما كانت السورة مكية فالظاهر نزول الآية عند قوله ما تستطيع أنت وصاحبك/١٢ وجيز .

(٥) لما ذكر حال المجرمين أعقبه بحال المتقين كما هو عادة كلام الله / ١٢ وجيز .

الجنة لما ذاق إلا الموتة الأولى وذوق تلك الموتة محال، لأنها ماضية، فـــالذوق محـــال، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ فَضْلاً﴾، أي: أعطى كل ذلك تفضلاً، ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ[1] فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾: سهلنا القرآن، ﴿بِلِسَانِكَ﴾، فإنـــه بلغتـــك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكي يفهمونه فيتعظون به، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر الفتح أو مـــا يحل بهم، ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: ما يحل بك من الدوائر[2].

فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) ولما امتن بأن جميع النعم من فضله سبحانه، أعقبه بفرد من الفضل تام فقال: " فإنمـــا يسرناه" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فيما يزعمون من ظنونهم الكاذبة فهو وعد ووعيد، والحمد لله على كل حـــال/ ١٢ وجيز .

سورة الجاثية مكية

وهى سبع أو ست وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ
يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ
فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥
تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ
۝٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ
مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا
شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا
يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن
رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ۞﴾

﴿حم تنزيلُ[1] الكتابِ﴾، إن كان حم اسماً للسورة مبتدأ، فلابد من تقديرٍ أى: تنزيل حم تنزيل الكتاب، إذ السورة نفسها ليست بتنزيل، فإن كان المراد من الكتاب

---

(١) قوله: " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " هذه الآية وأمثالها دلت على أن الله –عز وجل– بذاته فوق العرش بائن من جميع المخلوقات، كما قال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى القصيدة النونية: =

السورة ، ففيه إقامة الظاهر مقام المضمر، كما تقول: شعرُ نابغة شعره، وإن كان المراد القرآن فالمعنى على التشبيه، أى: تنزيل حم كتنزيل سائر القرآن فى البيان، والهداية والإعجاز والحكمة، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وقيل: حم قسم[1] وتنزيل صفته، وجوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ[2]﴾، كالكواكب والحيوان والمعادن، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾، عطف على خلقكم، ﴿مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، من قرأ برفع "آيات" فمحمول على محل اسم إن، ومن قرأ بنصبها فعلى لفظه، ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾، أى: المطر، فإنه سبب الرزق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

=

والله أخبرنا بأن كتابه ... تنزيله بالحق والبرهان
أيكون تنزيلاً وليس كلام مَن ... فوق العباد أذاك ذو إمكان؟!
أيكون تنزيلاً من الرحمن والر ... حمن ليس مبائن الأكوان؟!

وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور:

واذكر نصوصًا فى الكتاب تضمنت ... تنزيله من ربنا الرحمن
فتضمنت أصلين قام عليهما ... الإسلام والإيمان كالبنيان
كون الكتاب كلامه سبحانه ... وعلوه من فوق كل مكان
وعدادها سبعون حين تعد أو ... زادت على السبعين فى الحسبان

وذكر شيخ الإسلام أبو العباس -رحمه الله تعالى- أنه سئل بعض أئمة نفاة العلو عن نزول الرب عز وجل، فقال: ينزل أمره، فقال له السائل: فممن ينزل الأمر من العدم المحض؟! فبهت وكان كبيرًا فيهم، انتهى/ ١٢.

(١) أى: مقسم به/ ١٢.

(٢) فإنهم المتأملون/ ١٢.

﴿الرِّيَاحِ﴾: جنوبًا وشمالاً وغيرهما، ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[(١)]﴾، في "آيات" قراءتان، وعلى الوجهين عطف على معمولى عاملين مختلفين، إلا أن تقول اختلاف عطف على فى السماوات، بتقدير: فى لا أنه عطف على السماوات، ﴿تِلْكَ﴾: الآيات، ﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾: دلائله، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾، حال عاملها معنى الإشارة، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبسين، أو متلبسة به، ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾: أى بعد حديثه، ﴿وَآيَاتِهِ﴾: دلائله أو كتابه، فيكون العطف لمغايرة الوصفين، أو هو كقولهم: أعجبنى زيد وكرمه، أى: أعجبنى كرمه، فمعنى بعد الله وآياته بعد آياته، وتقديم اسم الله تعالى للتعظيم، ﴿يُؤْمِنُونَ[(٢)] وَيْلٌ[(٣)] لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذاب كثير الإثم، ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾، على كفره، وثم لاستبعاد الإصرار بعد السماع، ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، عن الانقياد، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، أى: كأنه، والجملة حال، أي: يصر مثل غير السامع، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾، أى: علم شيئًا أنه من الآيات،

---

(١) ذكر فى هذا الموضع ثلاثة مقاطع: أولها: يؤمنون، وثانيها: يوقنون، وثالثها: يعقلون، وأظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل: إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين، بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل وإن كنتم لستم من المؤمنين، ولا من الموقنين، فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين، فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل / ١٢ كبير.

(٢) يعنى إن من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز أن ينتفع به، وأبطل بهذا قول من يزعم أن التقليد كاف، وبين أنه يجب على المكلف التأمل فى دلائل دين الله/١٢ كبير.

(٣) ولما قال: " فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون "، عقبه بذكر عقاب من لا يؤمن بالقرآن فقال: " ويل لكل أفاك" الآية / ١٢ وجيز .

﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا[1]﴾، مقتضى الظاهر ضمير المذكر الراجع إلى شيئًا فأنثه لأن الشيء للآية أو لأنه راجع إلى الآيات، بمعنى إذا علم شيئًا أنه من جملة الآيات، تجاوز فى الاستهزاء إلى جميع الآيات إجمالاً، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مِن وَرَائِهِمْ[2]﴾: من خلفهم، ﴿جَهَنَّمُ﴾، فإنه بعد آجالهم، أو من أمامهم، ﴿وَلاَ يُغْنِي﴾: لا يدفع، ﴿عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾، من العذاب، ﴿وَلاَ مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أى: الأصنام، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ هَذَا﴾: القرآن، ﴿هُدًى﴾: كامل فى الهداية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: هو أشد العذاب، ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ
ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

---

(١) قيل: نزلت فى النضر بن الحارث، وما كان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن، والآية عامة فى كل من كان موصوفًا بالصفة المذكورة/١٢ كبير.

(٢) الورى: ما يوارى من خلف وأمام / ١٢ وجيز.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾

﴿اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِى الفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بتسخيره، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾، بالتجارة وغيرها[١]، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، هذه النعم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾، مسخران لنا من حيث أنا ننتفع بهما، ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، منه حال من ما، أى: كائنًا من الله تعالى، وجميعًا حال من فاعل منه، أو تقديره هى من الله جميعًا، ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾، حذف المقول لدلالة الجواب عليه، أى: قل لهم: اغفروا، إن تقل لهم: اغفروا يغفروا أى: يعفوا، ﴿لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، لا يخافون وقائعه ونقمته، كانوا فى الابتداء مأمورين بالصبر على أذى المشركين، ثم نزلت آية القتال، وعن بعضهم: أنها نزلت فى عمر رضى الله عنه، حين هم أن يبطش من شتمه بمكة وأمر بالعفو، فعلى هذا لم تكن الآية منسوخة، ﴿لِيَجْزِى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أى: اعفوا أنتم عنهم ليجزيهم الله تعالى سوء أعمالهم، ويكون تنكير قومًا للتحقير، وقيل: المراد من القوم المؤمنون الذين صبروا حينئذ، المراد بما كانوا يكسبون: المغفرة والعفو، فالتنكير للتعظيم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، فيجازيكم، ﴿وَلَقَدْ[٢] آتَيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾، الحكمة،

---

(١) كالغوص والصيد / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان من أول السورة بيان أنه تعالى أنزل كتابًا ليس بعده كتاب، وبعد ما أنزل هذا الذى هو هدى، أضل أكثرهم والله يقضى بينهم بالجزاء، ذكر حال بنى إسرائيل، فإنهم مثلهم حذو النعل بالنعل، فقال: " ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب " الآية/ ١٢ وجيز .

أو فصل[1] الخصومات، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾، إذ فيهم كثير من الأنبياء، ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: كالمن والسلوى، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾، عالمى زمانهم، ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَات مِّنَ الأَمْرِ﴾، أدلة من أمر الدين، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: فى الأمر، ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ﴾، الموجب لزوال الخلاف، ﴿بَغْيًا﴾: حسدًا أو عداوة، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، وعن بعض: معناه آتيناهم أدلة على مبعث محمد عليه السلام، فما اختلفوا إلا بعد القرآن حسدًا، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[2] ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾: يا محمد، ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾: سنة وطريقة، ﴿مِّنَ الأَمْرِ﴾: من الدين، ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾: آراء، ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا﴾: يدفعوا، ﴿عَنكَ مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿شَيْئًا﴾، إن اتبعتهم، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ[3] بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِى المُتَّقِينَ﴾، لا تواهم، فإنما يوالى الظالمين من هو مثلهم، وأما المتقون فوليهم الله تعالى وهم موالوه، ﴿هَـذَا﴾: القرآن، ﴿بَصَائِرُ

---

(١) لأن الملك كان فيهم / ١٢ وجيز .

(٢) والمراد أنه لا ينبغى أن يغتر المبطل بنعم الدنيا، فإنها وإن ساوت نعم المحق، أو زادت عليها، فإنه سيرى فى الآخرة ما يسوءه، وذلك كالزجر لهم، ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغى والحسد، أمر رسوله بأن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك بالحق، وأن لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق، فقال تعالى: " ثم جعلناك على شريعة من الأمر " الآية/١٢ كبير .

(٣) بين تعالى أن الظالمين يتولى بعضهم بعضًا فى الدنيا وفى الآخرة لا ولى لهم ينفعهم فى إيصال الثواب، وإزالة العقاب، وأما المتقون المهتدون فالله وليهم وناصرهم وهم موالوه، وما أبين الفرق بين الولايتين، ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة، قال: " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون " وبين الفرق بين المتقين والظالمين بوجه آخر، فقال: " أم حسب الذين " الآية / ١٢ كبير .

﴿لِلنَّاسِ﴾: يبصرهم رشدهم، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يطلبون اليقين، ﴿أَمْ حَسِبَ﴾: بل أحسب، فالهمزة لإنكار الحسبان، ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾: اكتسبوا، ﴿السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾: نصيرهم، ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي: مثلهم، ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، بدل من ثانى مفعولى نجعل، والضمير للمسيئين، ومحياهم ومماتهم مرفوع على الفاعلية، أى: مستويًا محيا المسيئين ومماتهم، ومحياهم رغد ومماتهم نكد، أو الضمير لهم وللمحسنين، أى: مستويًا محيا الفريقين، وهم فى طاعة وهؤلاء فى معصية، ومماتهم وهم فى البشرى بالرحمة، وهؤلاء فى اليأس منها، فهم أكرم فى الدنيا والآخرة، أو منصوب بتقدير أعنى، وقيل حال من المفعول الأول، أى: مستويًا فى البعد عن الرحمة، أو من المفعول الثانى، أى: مستويًا فى القرب عن الرحمة، ومن قرأ برفع سواء فالجملة بدل أيضًا كما تقول: حسبت زيدًا أبوه منطلق، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أى: بئس حكمهم هذا.

﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿وَخَلَقَ[1] اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أى: كيف يستوى، وقد خلقهما بالحق المقتضى للعدل، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، عطف على معنى بالحق، فإنه بمعنى خلقهما للعدل والصواب لا للعبث، أو عطف على علة محذوفة، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾، فإذا استوى المسيء والمحسن فلا يكون للعدل والجزاء، ويكون المحسن مظلومًا، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ[2]﴾، من لا يطاوع ربه، بل يطاوع هواه فهواه ربه، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، حال من الفاعل، أى: عالمًا بضلاله فى الأزل، أو من المفعول، أى: بعد بلوغ العلم وقيام الحجة عليه، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾، فلا يتعظ، ولا ينظر بعين الاعتبار، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾، من بعد إضلاله، أو من غير الله تعالى، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ﴾، الحياة، ﴿إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، أى: يموت بعضنا ويحيا بعض، أو المراد نفى المحيى والمميت، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾، مبين له أى: لا نموت إلا بطول العمر ومر الزمان، وقيل: هذا إثبات التناسخ، فإنه عقيدة أكثرهم، ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ﴾: الذى يقولون، ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾، إذ لا دليل لهم

---

(١) لما بين أن المؤمن لا يساوى الكافر، أتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذه الفتوى، فقال: "وخلق الله السموات والأرض" الآية / ١٢ كبير .

(٢) أخرج الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان الرجل من العرب يعبد الحجر، فإذا وجد أحسن منه أخذه وألقى الآخر، فأنزل الله عز وجل هذه الآية انتهى .

قال سعيد بن جبير: كان العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا حجرًا أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر، قال الشعبى: إنما سمى الهوى لأنه يهوى صاحبه فى النار، وعن ابن عباس والحسن وذلك الكافر اتخذ دينه ما هواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم عليه/١٢ كمالين.

بوجه، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، التي تدل على خلاف معتقدهم، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات الدلالة، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾، متشبثهم في المعارضة، ﴿إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾، الأموات، حتى نستدل بالبعث، أو حتى يشهدوا، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾، من العدم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾، في القبر، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾: في يوم القيامة، فإن من قدر على الإيجاد من العدم -الذى هم مقرون به، أو هو جلى ظاهر لا ينكره إلا غبي- قدر على الإعادة بطريق الأولى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، لقصور نظرهم.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا
نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا
قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ
إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، تأكيد للأول، ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: باركة على الركب، حتى إبراهيم عليه السلام لشدة اليوم، أو مجتمعة للحساب، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾: الذى فيه أعمالها، ومن قرأ بنصب كل فهو بدل من الأول، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، أى: يقال لهم ذلك، ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾، أى: ديوان الحفظة الذى كتبوا بأمرنا، ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾: يشهد عليكم بلا زيادة، ولا نقصان، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نأمر الملائكة بنسخ، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، عن ابن عباس -رضى الله عنه- وغيره -رضى الله عنهم- إذا صعد الملائكة بالأعمال إلى السماء يؤمرون بالمقابلة على ما فى اللوح فلا يزيد ولا ينقص، ثم قرأ " إنا كنا نستنسخ " الآية، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ﴾، عطف على محذوف، أى: فيقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن ﴿آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾، أى: لكم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، أى: موعوده كائن، أو متعلق الوعد كائن، ﴿وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾، أى شيء هى، ﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا﴾، أى: ما نظن إلا ظنًّا حقيرًا، أو ما نعتقد إلا ظنًّا لا علمًا، ونحوه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾، أنها كائنة، وأما جزمهم فى إنكارها فلعله حين عتوهم فى العناد، أو هذا كلام بعضهم، ﴿وَبَدَا﴾: ظهر، ﴿لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾، أى: قبائح، ﴿مَا عَمِلُوا﴾: أو جزاء سيئات أعمالهم، ﴿وَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾، أى: جزاؤه، ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾: نعاملكم معاملة الناسى، فنترككم فى العذاب، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أى: لقاء ما فيه من الجزاء وتركتم العمل له، جعل الظرف مجرى المفعول به وأضاف اللقاء إليه، ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، فنسيتم حياة الآخرة،

﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: من النار، ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾: لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم ويزيلوا العتب، ﴿فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ[1]﴾: العظمة، ﴿فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الحَكِيمُ ﴾، فيما أراد وقضى، وهذا الإخبار كأنه كناية أو مجاز عن الأمر بالحمد.

فله الحمد والثناء والعظمة والكبرياء .

---

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه، "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدًا منهما ألقيته فى النار" أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم، وأبو داود وابن ماجه والبيهقي/ ١٢ فتح .

سورة الأحقاف مكية

وهى أربع أو خمس وثلاثون آية وأربع ركوعات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ
مُعۡرِضُونَ (٣) قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ
ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ
عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا
يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ
كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ (٦) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ (٧) أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ
كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٨) قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا
مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٩) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ
مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠)﴾

﴿حم تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾، قد مر تفسيرها فى التى قبلها، ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: إلا خلقًا متلبسًا بما يقتضيه الحكمة، وبتقدير مدة معينة تنتهى إليها السماوات والأرض، وهو إشارة إلى فنائها وقيل: خلقها بمدة معينة وهى قوله: "فى ستة أيام" [الأعراف:٥٤]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾، من هول ذلك اليوم، ﴿مُعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾، بدل من أرأيتم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾، أي: أخبرونى عما تدعون من دون الله وتجعلون له شريكًا، أخبرونى أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله تعالى؟! أم لهم مع الله تعالى شركة فى خلق السماوات؟!﴿ائْتُونِى بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾، الإشارة إلى القرآن[1]، ﴿أَوْ آثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: بقية من علم بقيت من علوم الأولين تدل على صحة ما أنتم عليه من الشرك،﴿إن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فى دعواكم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ[2] لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[3]﴾، أي: لا أضل

---

(١) يعنى القرآن المعجز ناطق بالتوحيد، وكذلك جميع كتب الله، فطلب منهم إتيان كتاب واحد يشهد بصحة دينهم، أو بقية من علوم الأولين الراسخين والأثارة مستعملة فى بقية الشرف، يقال: لبنى فلان أثارة من شرف، إذا كانت عندهم شواهد قديمة/١٢ وجيز.

(٢) أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل، فإنه دعى من لا يسمع، فكيف يطمع فى الإجابة؟! فضلاً عن جلب نفع أو دفع ضر، فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين، والاستفهام للتوبيخ والتقريع / ١٢ فتح، وقال القاضى البيضاوى إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين، حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلاً أن يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم/١٢ .

(٣) أي: أبدًا فهذا كناية عن التأبيد، قال تعالى: " لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم"(فاطر:١٤)/ ١٢ وجيز .

ممن يعبد من لا يستجيب له لو سمع دعاءه أبدًا، ويتجاوز عن عبادة سميع مجيب خبير، ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ[١] غَافِلُونَ﴾، لأنهم جمادات صم لا تبصر ولا تعقل، ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾، أي: كان الناس للمعبودين أعداء، لأنهم بسببها وقعوا فى الهلكة، ﴿وَكَانُوا﴾، أي: العابدون، ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: جاحدين، يقولون: "والله ربنا ما كنا مشركين"(الأنعام:٢٣)، أو كان المعبودون للناس أعداء، وكانوا جاحدين لعبادتهم يقولون: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون"، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ[٢] قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾، أي: قالوا لأجل الآيات الواضحات وفى شأنها، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، من غير تأمل، ﴿هَذَا سِحْرٌ[٣] مُّبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل يقولون، ﴿افْتَرَاهُ﴾، إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرًا إلى ما هو أشنع، فالهمزة للإنكار والتعجب، ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾، على الفرض، ﴿فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لا تقدرون على دفع[٤] عقاب الافتراء، فكيف اجترئ عليه من أجلكم ؟! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾: تخوضون، ﴿فِيهِ﴾، من القدح[٥]، ﴿كَفَى بِهِ﴾: كفى بالله، ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: يشهد بصدقى وبلاغي، وبكذبكم وإنكاركم، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾،

---

(١) لأنهم إما جمادات، وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم / ١٢ بيضاوى .

(٢) واضحات المعانى ظاهرات الدلالات / ١٢ فتح .

(٣) لما رأوه شيئًا خارقًا للعادة وليست لهم بعادة نسبوها إلى السحر/ ١٢ وجيز .

(٤) فى صفة الله، وفى رسوله / ١٢ .

(٥) لما حكى عنهم أنهم طعنوا فى كون القرآن معجزًا، بأن قالوا: يختلقه من عند نفسه، ثم ينسبه إلى أنه كلام الله على سبيل الفرية، حكى عنهم نوعًا آخر من الشبهات، وهو أنهم يقترحون منه معجزات عجيبة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب تعالى عنه بأن قال: " قل ما كنت بدعًا من الرسل " الآية / ١٢ كبير .

لمن تاب وآمن فلا إقناط من رحمته، ﴿قُلْ[1] مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾: بديعًا غريبًا آمركم بما لا يأمرون به، ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ﴾: لا أدرى إلى ما يصير أمرى وأمركم فى الدنيا وعن بعض: معناه لا أدرى حالى وحالكم فى الآخرة، ثم نزل بعده "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"(الفتح:٢) فقالت الصحابة: هنيئًا لك، وعلمنا ما يفعل الله تعالى بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالي: " ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات " الآية(الفتح:٥)، وعن بعضهم معناه: لا أدرى بماذا نؤمر وبماذا ننهى بعد ذلك؟ أو لا أدرى حالى وحالكم فى الدارين على التفصيل إذ لا أدعى علم الغيب، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾، لا أبتدع من عندى شيئًا، ﴿وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾، قيل: هو جواب عن اقتراحهم الإخبار عن الغيب، أو عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ﴾: القرآن، ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾، هو عبدالله بن سلام، صرح به جماعة لا يحصى من السلف، وعليه حديث البخارى ومسلم، فهذه الآية مستثناة من كون السورة مكية، كما صرح به فى تفسير الكواشى وقد يأول بأن المراد، ويشهد شاهد فيكون على طريقة "ونادى أصحاب الأعراف"(الأعراف:٤٨) فالآية فى حقه الحكم بأنه يشهد بعد ذلك، ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾، أي: على مثل ما أخبر القرآن به، وقيل: المثل صلة، ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، فعطف كفرتم على كان، وعطف واستكبرتم على شهد، وعطف جملة شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم على جملة كان من عند الله وكفرتم وجواب الشرط محذوف، أي: ألستم ظالمين؟ ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً

(١) أأقتل أم أخرج؟ وأتخسفون أم ترمون بالحجارة؟ / ١٢ وجيز .

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ
وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ
أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا
وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: لأجلهم، ﴿لَوْ كَانَ﴾، أي: الإيمان، ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، فإنهم فقراء، وعبيد، وإماء، ونحن أشرف والأشرف للأشرف، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، أي: بالإيمان، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، كما

قالوا: أساطير الأولين والعامل فى إذ محذوف[1]، والفاء مسبب عنه، أي: ظهر عنادهم فسيقولون، وقيل: السين لمجرد التأكيد، والمضارع للاستقرار أو بحيث يتناول الماضى فلا حاجة إلى تقدير، ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾، أي: قبل القرآن، ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾، مبتدأ، وخبر، ﴿إِمَامًا[2] وَرَحْمَةً[3]﴾، نصب على الحال، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾، للكتب السماوية، ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، ﴿لِّيُنذِرَ﴾، النبي، أو الكتاب علة مصدق، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾، عطف على محل لينذر، ﴿إِنَّ[4] الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أقروا بواحدانيته ثم استقاموا على التوحيد، وثم لتراخي مرتبة الاستقامة، فإن لها الشأن كله، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، مما يستقبلون، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما خَلَّفوا، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾، أي: جُوزوا جزاء، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، لما ذكر التوحيد عطف عليه بالوصية بالوالدين كقوله تعالي: " وقضى ربك أن لا تعبدوا " الآية (الإسراء:٢٣)، وقوله: " أن اشكر لى ولوالديك "(لقمان:١٤)، ﴿إِحْسَانًا﴾، منصوب بوصينا بأنه بمعنى ألزمناه الحسن فى أبويه، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

(١) لأن إذ للماضي، والسين للاستقبال، فلا يكون مدخولها العامل فى إذ، فيقدر عامله/١٢ وجيز .

(٢) يُهتدى به، وفيه البشارة بمبعث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين/١٢ وجيز .

(٣) على الخلق لأنه سبب الهداية، أي: كتاب موسى كائن من قبل القرآن فى حال كونه إمامًا ورحمة، فإنهم لما طعنوا فى القرآن، قيل لهم: أنزل الله قبل القرآن التوراة وأنتم لا تنازعون فيه، فما بالكم فى شأن القرآن / ١٢ وجيز .

(٤) لما قرر دلائل التوحيد، والنبوة، وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريق المحقين والمحققين فقال: " إن الذين قالوا ربنا الله " الآية / ١٢ كبير .

وَوَضَعَتْهُ[1] **كُرْهًا﴾**، نصب على الحال، أي: ذات كره، أو صفة لمصدر، أي: حملاً ذا كره ومشقة، **﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾**، أي: مدتهما، والفصال: الفطام، **﴿ثلاثُون شَهْرًا﴾**، فأقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه حولان كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة بقي ذلك، وفى سورة لقمان " وفصاله فى عامين " (لقمان:١٤)وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إذا وضعت بعد تسعة أرضعت إحدى وعشرين، وإذا وضعت بعد ستة أرضعت أربعة وعشرين، **﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾**: استحكم قواه واكتهل، قيل: هو ما بين ثماني عشر إلى أربعين، وقيل: ثلاث وثلاثون إلى أربعين، وهو غايته، **﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ**[2] **سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾**: ألهمني، **﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَى وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾**، والنعمة: الهداية والإسلام، **﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا**[3] **تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ**[4] **لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾**، اجعل لى الصلاح ساريًا فيهم، **﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**، قيل: نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه، اجتمع له إسلام أبويه وأولاده

---

(١) ولما كان الاهتمام فى شأن الأم لضعفها وكثرة احتياجها إلى الإحسان، ذكرما للأم من الحقوق / ١٢ وجيز .

(٢) أي: المحسن فى سن كمال العقل / ١٢ .

(٣) وفى هذه الآية دليل على أنه ينبغى لمن بلغ عمره أربعين سنة، أن يستكثر من هذه الدعوات / ١٢ فتح .

(٤) اعلم أن مراتب السعادات ثلاثة: أكملها النفسانية، وأوسطها البدنية، وأدونها الخارجية، والسعادات النفسانية: هو اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه، والسعادات البدنية: هى اشتغال البدن بالطاعة والخدمة، والسعادات الخارجية: هى سعادة الأهل والولد، فلما كانت المراتب محصورة فى هذه الثلاثة لا جرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه / ١٢ كبير .

جميعًا، و لم يكن ذلك لأحد من الصحابة، وهذا إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد الإنابة إلى الله تعالى: فقد ورد "من بلغ الأربعين، و لم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار"(*)، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: طاعاتهم فإنها أحسن من المباح، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الجَنَّةِ﴾: كائنين معدودين فيهم، ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾، مصدر مؤكد لأن يتقبل ويتجاوز وعد، ﴿الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، بلسان الأنبياء، وعن على رضى الله عنه من الذين قال الله تعالى فيهم: " أولئك الذين نتقبل عنهم " الآية قال: والله عثمان وأصحاب عثمان قالها ثلاثًا، ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾، هو صوت يعلم منه أن قائله متضجر، واللام للبيان أي: هذا التأفيف لكما خاصة، لما ذكر تعالى حال البارّين بهما عقب بحال العاقين لهما، ﴿أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ﴾، من قبرى حيًا، ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾: مضت، ﴿القُرُونُ مِن قَبْلِي﴾، و لم يبعث منهم أحد، ﴿وَهُمَا﴾: الوالدان، ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾: يسألانه أن يغيثه بالهداية، وقيل: الغياث بالله منك، ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾: يقولان له ذلك دعاء عليه بالهلاك، والمقصود التحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك نصب على المصدر، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ﴾، الولد: ﴿مَا هَذَا﴾، الذى تدعوننى إليه، ﴿إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم التي كتبوها، ﴿أُوْلَئِكَ﴾، خبر لقوله: "والذى قال "، فالمراد " بالذى " الجنس القائل ذلك القول حتى جاز أن يكون خبره مجموعًا، ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ﴾: كلمة العذاب وأنهم أهل النار، ﴿فِى أُمَمٍ﴾، كائنين معدودين فيهم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾، فى الدنيا، والآية فى كل كافر عاق، وفى الآية أدلة على ضعف قول من قال: إنها فى شأن عبد الرحمن بن أبى بكر قبل

(*) "موضوع" ذكره ابن الجوزى فى "الموضوعات"، (١٧٨/١)، والسيوطى فى "اللآلئ المصنوعة"، (٧١/١).

إسلامه(*)، وفى النسائى لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبى بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذى أنزل الله تعالى فيه: " والذى قال لوالديه " الآية، فبلغ عائشة رضى الله عنها فقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسمى الذى أنزل الله فيه لسميته[1]، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه فمروان فضض[2] من لعنة الله تعالى(**)، ﴿وَلِكُلٍّ﴾، من الفريقين، ﴿دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾: مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، وتسمية الدركات درجات للتغليب، ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي: جزاءها، ومعلله محذوف، أي: وقدر لهم درجات ليوفيهم، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة عقاب ونقص ثواب، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ[3] الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، من باب القلب للمبالغة، أي: يعرض النار عليهم، أو معناه يعذبون عليها، ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، أي: يقال لهم يوم القيامة ذلك، ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾: لذائذكم، ﴿فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾، فلم يبق لكم منها

(*) قال الحافظ ابن كثير فى "التفسير"،(٤/١٥٨): "هذا عام فى كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فقوله ضعيف، لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه".

(١) وهذا منها رضى الله عنها دال على أن الآية فى معين / ١٢ وجيز .

(٢) فضض -بفتحتين-: ما انتشر من الماء عند الاغتسال به، أو كل متفرق ومنتشر/

(**) أخرجه النسائى فى "التفسير"، من طريق شعبة عن محمد بن زياد: ....فذكره عن عائشة، وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد لم يسمع عائشة، ولذا قال الذهبى متعقبا الحاكم لما صححه فى المستدرك (٤/٤٨١): "محمد لم يسمع من عائشة".

(٣) من عرض فلان على السيف إذا قتل به، والعرض: المباشرة، كما تقول: عرضت العود على النار، وأيضًا فى الكتاب والسنة ما يدل على أن لجهنم عينًا وكلامًا وعلى الوجهين لا يكون الآية من باب القلب القليل الترر / ١٢ وجيز .

شيء، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الذل، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فإن التكبر يمكن أن يكون بحق، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾، رأى[1] عمر رضى الله عنه فى يد جابر لحمًا فقال: ما هذا ؟ فقال: لحمًا اشتهيته، فقال: أو كل ما اشتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية " أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ".

﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿وَاذْكُرْ[2] أَخَا عَادٍ﴾، أي: هودًا، ﴿إِذْ أَنذَرَ﴾، بدل من أخا عاد، ﴿قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾: منازلهم فهم ساكنون بين رمال، جمع حقفٍ، وهو الرمل الكثير، ﴿وَقَدْ

---

(١) أخرجه أحمد فى الزهد / ١٢ در منثور .[أخرجه أحمد فى الزهد عن الأعمش، وهو منقطع؛ لأن الأعمش لم يدرك عمر].

(٢) ولما هدد بالعقوبات الأخروية، أعقبه بالعقوبات الدنيوية التى وقعت على قوم فى جزيرة العرب معروفين بالقوة الغالبة والاستكبار والبنيان، الذى ليس له نظير
=

﴿خَلَتِ النُّذُرُ﴾، حال من مفعول اذكر، أو معترضة بين أنذر وبين أن لا تعبدوا، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قبله، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ[1]﴾: بعده فأنذروا كما أنذر، ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾، أن مفسرة، أو بألا تعبدوا، فإن النهى عن شيء إنذار عن مضرته، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾: تصرفنا، ﴿عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾، هو يعلم متى يأتيكم العذاب، ولا مدخل لى فى الاستعجال، ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: فما على الرسول إلا البلاغ، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، لأنكم تستعجلون بعذاب يحتمل الوقوع، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، الضمير مبهم يفسره قوله: ﴿عَارِضًا﴾، وهو إما تمييز، أو حال، أو الضمير لما طلبوا إتيانه يعنى سحابًا عرض فى أفق السماء، ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾:متوجه أوديتهم، والإضافة لفظية، ولذا وقع صفة لنكرة، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، وكذا هذه الإضافة لفظية، استبشروا لأنه قد حبس عنهم المطر، ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾، من العذاب، أي: قال هود بل هو، أو الإضراب من الله تعالي، ولا قول ثمة، بل هو عبارة عن سرعة استئصالهم كقوله تعالي: " فقال لهم الله موتوا " بعد قوله: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم " (البقرة:٢٤٣) فإن معناه فأماتهم الله، ﴿رِيحٌ﴾، أي: هى ريح، ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ[2]﴾: تهلك، ﴿كُلَّ

= فى الدنيا، ولقريش معرفتهم بالأخبار ورؤية آثارهم فقال: "واذكر أخا عاد"١٢/ وجيز .

(١) عطف "من خلفه" على "من بين يديه" أما تنزيل الآتى منزلة الماضي، على طريقة " ونادى أصحاب الأعراف" (الأعراف:٤٨) وإما على تقدير: ويأتى من خلفه على طريقة: علفته تبنًا وماء باردًا /١٢منه .

(٢) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وكـــان إذا =

شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى﴾، أي: جاءهم الريح ودمرهم، فأصبحوا بحيث لو حضرهم لا ترى، **﴿إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾**، قيل: كانوا تحت الرمال ثمانية أيام ولهم أنين، ثم قذفتهم الريح فى البحر، **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾**، أي: فى الذى ما مكناكم فيه من المال والقوة والعمر، فإن نافية، وقيل: شرطية محذوفة الجواب، أي: فى شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر، وقيل: صلة، **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾**: شيئًا من الإغناء، أو مادفع عنهم شيئًا من العذاب، **﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾**، ظرف جرى مجرى التعليل، **﴿وَحَاقَ﴾**: أحاط، **﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ[(١)]﴾**، أي: العذاب، فإنهم استهزءوا به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ

= رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك فى وجهه، قلت يا رسول الله: إذا رأوا الغيم فرحوا أن فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت فى وجهك الكراهية؟ قال: (يا عائشة وما يؤمننى أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا) وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: (اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) فإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرى عنه فسألته، فقال: (لا أدرى لعله كما قال قوم عاد: " هذا عارض ممطرنا ") / ١٢ فتح .

(١) ولما تم حكاية قوم عاد، هدد قريشًا بغيرهم من الأمم المجرمين، فقال: " ولقد أهلكنا ما حولكم " الآية / ١٢ وجيز .

إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾
قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟
بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ
دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ
بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ
ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً
مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾، يا أهل مكة، **﴿مِّنَ القُرَى﴾**، كحجر ثمود، وقرى قوم لوط، **﴿وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ﴾**: بيناها مكررًا، **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**، عن ضلالتهم، **﴿فَلَوْلاَ﴾**: فهلا، **﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾**، أي: الذين اتخذوهم متجاوزين الله تعالى آلهة متقربًا بهم، كما قالوا: " هؤلاء شفعاؤنا "(يونس:١٨) فقربانا حال من المفعول الثاني، أي: آلهة، أو مفعول له، **﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾**، لم ينفعهم عند نزول العذاب، **﴿وَذَلِكَ﴾**، أي: ضلالهم عنهم، **﴿إِفْكُهُمْ﴾**،

أي: أثر صرفهم عن الحق، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ[1]﴾، وإفترائهم، وهـــذا كمـــن أدب أحدًا فلم يتأدب، وظهر منه سوء أدب، فيقال له تقريعًا: هذا تأديبك، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾: أملنا، ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا﴾، هوما دون العشرة، ﴿مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ[2]﴾، وهـــو عطف على قوله: " أخا عاد "، أي: واذكر إذ صرفنا، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: القـــرآن أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿قَالُوا﴾، بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا﴾: نستمع القرآن، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: فرغ عن قراءته، ﴿وَلَّوْا﴾: رجعوا، ﴿إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾، إيـــاهم بما سمعوا، والأحاديث الصحاح والحسان بطرق مختلفة، تدل على أنه عليه السلام ذهب إل الجن قصدًا فتلا عليهم، والأظهر كما قاله كثير من العلماء: أن استماعهم القـــرآن ليس مرة واحدة ولا يمكن توفيق الأحاديث المتضادة إلا بذلك، فمرة فى طريق الطائف،

---

(١) ولما ذكر صريحًا وكناية عناد قريش، ووبخهم بعذاب دنيوى وأخروي، أعقـــب ذلـــك تقريعًا لهم بمن هو أنقى قلبًا وأبعد سجيًا وطبعًا، فقال: " وإذ صرفنا إليك نفـــرًا مـــن الجن " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما، عن مسروق قال: سألت ابن مسعود رضى الله عنه من آذن النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال: آذنته بهـــم الشـــجرة، وأخرج أحمد ومسلم، والترمذى عن علقمة قال: قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم أحد ليلة الجن ؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدنـــاه ذات ليلة، فقلنا: اغتيل استطير ما فعل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كـــان فى وجه الصبح، إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فأخبرناه، فقال: (إنه أتانى داعى الجـــــن، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن) فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وقد وردت أحـــاديث كثيرة أن الجن بعد هذا وفدت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مرة بعد مـــرة، وأخذوا عنه الشرائع/١٢فتح.

ومرة فى شعاب مكة، ومرة فى بوادى المدينة، ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، لم يذكروا عيسى لأن الإنجيل فيه مواعظ، وقليل نادر من الأحكام، فهو كالمتمم للتوراة، وقيل: لأنهم كانوا يهودًا ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من كتب الله، ﴿يَهْدِى إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعضها، فإن المظالم لا تغفر فى حق الذمى بالإيمان بخلاف الحربي، فإنه لا تبقى عليه تبعة[1]، ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾، لا يعجز الله تعالى فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾، ينصرونهم، ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ أَوَ لَمْ[2] يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾: لم يتعب، ﴿بِخَلْقِهِنَّ﴾، ولم يضعف عن إبداعهن، ﴿بِقَادِرٍ﴾، خبر أن، والباء لاشتمال النفى على أن وما فى حيزها كأنه قال: " أليس الله بقادر[3] "، ﴿عَلَى أَن يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى﴾، مقررة للقدرة الواقعة بعد ليس تقديرًا[4]، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ[5] يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: يعذبون عليها، ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾، أي: قال لهم فى ذلك اليوم أليس هذا، تقريعًا،

---

(١) أي: الحرب تسقط عنه القتل والغصب /١٢ كمالين .

(٢) الأظهر أن قوله: " أو لم يروا " كلام الله لا حكاية كلام الجن / ١٢ وجيز .

(٣) إنما جاز إدخال الباء على خبر أن، لدخول حرف النفى على أن وما يتعلق بها، فكأنه قيل: أليس الله بقادر قال الزجاج: لو قلت: ما ظننت أن زيدًا بقائم جاز، ولا يجوز ظننت أن زيدًا بقائم، والله أعلم / ١٢ كبير .

(٤) لا للرؤية الواقعة بعد لم تحقيقًا / ١٢ وجيز .

(٥) واعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالحشر والنشر، ذكر بعض أحوال الكفار، فقال: " ويوم عرض الذين كفروا على النار " الآية/١٢ كبير .

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا[1] قَالَ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ[2] ﴾: بسببه، ﴿فَاصْبِرْ[3]﴾، يا محمد، ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ﴾، أي: أولو الثبات والجد منهم، والأشهر أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾، حال، ومن للتبعيض وعن بعضهم: إن جميع الأنبياء أولو العزم، فمن للتبيين، ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل﴾، بالعذاب، ﴿لَّهُمْ﴾: لقريش، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، أي: يحسبون يوم القيامة أن مدة لبثهم فى الدنيا ساعة فإنه نازل بهم لا محالة، ﴿بَلاَغٌ﴾، أي: هذا يعنى القرآن، أو ما وعظتم به بلاغ كفاية، أو تبليغ من الرسول، ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الاتعاظ[4] والطاعة.

---

(١) إن كان المراد من الحق العدل، فحلفهم بقوله: " وربنا " ظاهر موقعه، وإن كان المراد الوقوع فحلفهم جبر لمبالغاتهم فى الدنيا فى نفيه / ١٢ وجيز .

(٢) واعلم أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة، وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وأجاب عن الشبهات، أردفه بما يجرى مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الكفار كانوا يؤذونه ويوجسون صدره، فقال تعالى: "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل"/ ١٢ كبير .

(٣) أي: لما عرفت أن هذا حال من لم يؤمن بالله فاصبر/ ١٢ وجيز .

(٤) اللهم لا تجعلنا منهم / ١٢ .

سورة محمد مدنية وقيل مكية

وهى ثمانى أو تسع وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ
ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ
تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم
بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ
۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ
وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ
مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: أعرضوا، أو منعوا الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن الدخول فى الإسلام، ﴿أَضَلَّ[1] أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطلها، وما جعل لها ثوابًا كتصدقهم وصلة

(١) فهو من ضل عنى إذا ضاع لا من الإضلال المقابل للهداية/١٢ وجيز.

أرحامهم، ﴿وَالَّذِينَ[1] آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ تخصيص بعد التعميم تعظيمًا لشأنه، وأكده بالجملة الاعتراضية يعنى قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، الظرف حال من ضمير الحق، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: حالهم وأمرهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الإضلال والتكفير، ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾: الشيطان، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾: القرآن، ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾، حال من الحق، ﴿كَذَٰلِكَ[2]﴾: مثل ذلك الضرب، ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ[3] أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: لأجل الناس أمثال الفريقين، أو أمثال الناس للناس بأن جعل اتِّباع الباطل والإضلال مثلا للكفار، واتباع الحق والتكفير مثلا للمؤمنين[4]، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حاربتموهم، ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أي: فاضربوا رقابهم ضربًا قدم المصدر مضافًا إلى المفعول بعد حذف فعله، والمراد منه القتل بأى وجه كان، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أغلظتم قتلهم، وجعلتموه كثيرًا كثيفًا قال تعالى: "ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض"[الآنفال:٦٧] ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ أي: فأسروهم، والوثاق ما يوثق به، ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أي: تمنون منا بعد الأسر، أو يفدون فداء أراد التخيير بين الإطلاق بلا عوض وبين العوض، وعند بعض السلف أنها منسوخة بقوله "فاقتلوا

---

(١) لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين، فقال: "والذين آمنوا" الآية/١٢كبير.

(٢) قوله: "كذلك" لا يستدعى أن يكون هناك مثل مضروب، بل معناه أنه تعالى لما بين حال الكافر وإضلال أعماله، وحال المؤمن وتكفير سيئاته، وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الإيضاح، فقال: "كذلك" أي: مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم ويبين لهم أحوالهم/١٢كبير.

(٣) ولما بين سبحانه حال الفريقين أمر بجهاد الكفار فقال: "فإذا لقيتم" الآية/١٢فتح.

(٤) فالمشار إليه فى ذلك لا يقتضى مشاراً إليه مغايرًا لمضمون يضرب الله للناس أمثالهم، لكن لابد من ضرب مثل فى الجملة/١٢وجيز.

المشركين حيث وجدتموهم" الآية[التوبة:٥]، والأكثرون على أنها محكمة، ثم قال بعضهم التخيير بين القسمين فلا يجوز قتله، والأكثرون منهم وهو قول أكثر السلف على التخيير بين المن والمفاداة والقتل والاسترقاق، ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها وآلاتها أي: لا يبقى حرب، وهو بأن لا يبقى كافر، "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله"[الأنفال:٣٩] قيل: حتى تضع الحرب آثام أهلها بأن يتوبوا، أو شرك أهلها وقبائحهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ﴾: لانتقم، ﴿مِنْهُمْ﴾: بأن أهلكهم من غير قتال، ﴿وَلَكِنْ﴾ شرع لكم الجهاد، ﴿لِيَبْلُوَ﴾: الله تعالى، ﴿بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: فيمحص ويخلص المؤمنين بالجهاد، ويمحق الكافرين فهو من البلية، أو من الابتلاء أي: الاختبار قال تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله" الآية[آل عمران:١٤٢]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا[1]﴾: جاهدوا، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ﴾: يضيع، ﴿أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ﴾: إلى سبل السلام، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالهم فيما بقى من عمرهم، وفى الآخرة، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: بينها لهم فكل منهم يعرف مترله، وفى البخارى "والذى نفس محمد بيده إن أحدهم بمترله فى الجنة أهدى منه بمترله كان فى الدنيا" وعن بعض: طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة[*] قيل: عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا إليها، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾

---

(١) قرأ الجمهور "قاتلوا" مبينا للفاعل، وقرئ "قتلوا" مخففا ومشدداً مبيَّنًا للمفعول، وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير ألف، والمعنى على الأولى والرابعة أن المجاهدين فى سبيل الله ثوابهم غير ضائع، وعلى الثانية والثالثة أن المقتولين فى سبيل الله كذلك لا يضيع الله سبحانه أجرهم/١٢فتح.

(*) ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم: "من تعلم علمًا مما يبغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني: ريحها. أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما، وانظر صحيح سنن ابن ماجه .

أي: فى دينه، ﴿يَنصُرْكُمْ﴾: على عدوكم، ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: فى الجهاد والطاعات، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾، مفعول مطلق وجب حذف فعله أي: تعس أو أتعسه الله تعالى تعسًا أي: أهلكه إهلاكًا، والجملة خبر الذين كفروا كأنه قال والذين كفروا أهلكهم[1] الله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ[2]﴾، عطف على ناصب تعسًا، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: القرآن، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا[3] فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ﴾: استأصل، ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي: ولمطلق الكافرين أمثال تلك العاقبة، فيه وعيد لقريش، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾: ناصر، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾: لا ناصر لهم، ولكن هو مولاهم بمعنى مالكهم[4].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ

---

(١) فهذا مجاز عن الإهلاك، ولا قول هناك ولا دعاء، ولذلك جاز أن يكون خبرًا للمبتدأ من غير حاجة إلى تقدير قول، فإن حقيقة الجملة خبرية، وإن كان لفظها دعائية إنشائية، وعلى هذا قوله "وأضل أعمالهم" جاز عطفه، وهو خبر على الإنشاء صورة/١٢وجيز.

(٢) كصدقتهم، وصلة أرحامهم/١٢.

(٣) تعجيب وتحضيض على السير والتأمل/١٢.

(٤) فلا تناقض بين تلك الآية، وقوله تعالى فى الكفار: "وردوا إلى الله مولاهم الحق"[يونس: ٣٠]؛ لأن المراد من المولى فى تلك الآية الناصر، وفى هذه الآية المالك/١٢منه.

فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ
وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ
ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ
عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى
ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ
تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ
لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: فى الدنيا بها، **﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾**: لا يهتمون بالحل، والحرمة، ولا بالقلة والكثرة لا شكر ولا حمد[1]، **﴿وَالنَّارُ مَثْوًى﴾**: منزل، **﴿لَهُمْ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾** أي: وكم من أهل قرية، **﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾**: مكة، أي: من أهلها، **﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾**: كانوا سبب خروجك، **﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾**: بأنواع العذاب، **﴿فَلا نَاصِرَ لَهُمْ﴾**، معناه على المضى أي: لم يكن لهم ناصر فهو كالحال المحكية نزلت حين قال -عليه السلام- فى الغار ملتفتًا إلى مكة: "أنت أحب بلاد الله إلى الله وأَحَبُّ بلاد الله إلى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك"،

---

(١) فى آخره ولا بسملة فى أوله/١٢وجيز.

فأعدى الأعداء من عدا على الله فى حرمه، أو قتل غير قاتله(*)، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: حجة، ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: كالقرآن والدلائل، ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا﴾، جمع الضمير باعتبار المعنى، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: لا حجة لهم أصلا، ﴿مَثَلُ[1] الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: وعدها، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغير طعمه ولا ريحه، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: لم يصر حامضًا ولا قارصًا، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾: طيبة الطعم والرائحة لا فيها غول، وهى تأنيث لَذٍّ، وهو اللذيذ أو مصدر وصف به للمبالغة، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى[2]﴾: من الشمع والوسخ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضه، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، عطف على معنى من كل الثمرات، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: من شدة الحرارة، واعلم أن "مثل الجنة" مبتدأ خبره "كمن هو خالد" بتقدير فى الخبر والمبتدأ على حاله أي: كمثل جزاء من هو خالد أو فى المبتدأ، أو الخبر على حاله أي: مثل أهل الجنة كمن هو خالد وقوله "فيها أنهار" إما صلة لا بعد صلة، أو استئناف، أو مثل مبتدأ، وفيها أنهار خبره من غير احتياج بتقدير أي: صفتها هذه،

(*) ذكره ابن كثير فى "التفسير" (٤/١٧٥) من طريق ابن أبي حاتم بإسناد رجاله ثقات خلا حنش فإنه لا بأس به، وفى الصحيح ما يشهد له.

(١) ولما بين سبحانه الفرق بين الفريقين فى الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما، فقال: "مثل الجنة التى وعد المتقون" الآية/١٢فتح.

(٢) عن معاوية بن حيدة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "فى الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر لم تشقق الأنهار منها بعد" أخرجه أحمد، والترمذى وصححه، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى البعث[صحيح، انظر صحيح الجامع (٢١٢٢)]/١٢فتح.

أو مبتدأ خبره محذوف أي: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ثم أخذ يبين، وعلى هذين الوجهين كمن هو خالد خبر محذوف أي: المنفى الذى له تلك الجنة كمن هو خالد، والقرينة وعد المتقون، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: المنافقون يحضرون ويسمعون كلامه الأشرف، ﴿حَتى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: علماء الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَ﴾: محمد، ﴿آنفًا﴾: الساعة استهزاءً وإعلامًا بأنا ما كنا ملتفتين إليه مستمعين له، وآنفًا ظرف بمعنى أول وقت يقرب منا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: ختم عليها فلا يدخل فيها الهدى، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾: الله، أو قول الرسول، ﴿هُدًى﴾: وفقهم على تكثير الحسنات وتقليل السيئات، ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ[1]﴾: أعانهم على التقوى أو أعطاهم ثواب التقوى أو بين لهم ما يتقون، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون، ﴿إِلا السَّاعَةَ﴾ أي: لا يؤخرون الإيمان إلا لانتظار[2] القيامة، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾، بدل اشتمال من الساعة، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كالعلة كأنه قال لا ينتظرون إلا إتيانها بغتة؛ لأنه قد جاء أشراطها، وبعد مجيء الأشراط لابد من وقوع الساعة، ومن أشراطها مبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾: فمن أين لهم التذكر والاتعاظ إذا جاءتهم الساعة؟ يعنى حينئذ لا تنفعهم، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾ أي: إذا علمت حال الفريقين فاثبت على التوحيد، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، ذكره

(١) ولما ذكر حال المنافقين، والكلام فى شأنهم وقوله: "والذين اهتدوا" فى البين للمقابلة كما هو طور القرآن رجع إلى الكلام فى أمرهم فقال: "فهل ينظرون" الآية/١٢ وجيز.

(٢) حاصله أنهم، وإن لم يؤمنوا بالقيامة، ولم ينظروها، لكن لما كانت القيامة متحققة الوقوع وهم يؤخرون الإيمان فكأنهم ينتظرون القيامة/١٢منه.

للتوطئة والتمهيد لقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ[1]﴾، فالمقصود الاستغفار لهم، وأمره به لتستن به أمته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: متصرفكم بالنهار، ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾:

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس الحرانى -فى شرح دعاء ذى النون عليه السلام: إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه، كما قال تعالى:"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" الآية[البقرة:١٣٦]، بخلاف غير الأنبياء، فإنهم ليسوا بمعصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء الله، ولهذا من سب نبيًّا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هى التى بها يحصل مقصود النبوة والرسالة، فإن النبى هو المنبئ عن الله، والرسول هو الذى أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي، وليس كل نبى رسولا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا تستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين، ثم أطال الكلام إلى أن قال: وأما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل، أو بالسمع، ويتنازعون فى العصمة من الكبائر والصغائر، أو من بعضها أم هل العصمة إنما هى فى الإقرار عليها فى فعلها أم لا يجب القول بالعصمة إلا فى التبليغ فقط، وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا والكلام على هذا مبسوط فى غير هذا الموضع، والقول الذى عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف فيقع فى الكفر هم [كذا بالأصل] إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقًا، والرد على من يقول: إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول إلى أن قال: ونصوص الكتاب والسنة فى هذا الباب كثيرة متظاهرة، والآثار فى ذلك عن الصحابة والتابعين، وعلماء المسلمين كثيرة لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف فى هذا الباب وتأويلهم تتبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلام عن مواضعه، وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع فى تكذيبهم، ويريد الإيمان بهم، وقال فى بحث: إن الاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى فى البداية والأعمال بخواتيمها، وساق الدلائل فى ذلك إلى أن قال: وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول: إن الله لا يبعث نبيًّا =

مستقركم(١) فى الليل، أو متقلبكم فى الدنيا ومثواكم فى الآخرة، أو متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم مقامكم فى الأرض أو فى القبور.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ

= إلا من كان معصومًا قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك من قال: إنه لا يبعث نبيًّا إلا من كان مؤمنًا قبل النبوة، فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصًا وإن تاب التائب منها، وهذا منشأ غلطهم، فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصًا فهو غالط غلطًا عظيمًا، فإن الذم والعقاب الذى يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منها شيء أصلا، لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم، والعقاب ما يناسب حاله، والأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون ويسابقون إليها لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب؛ بل هم معصومون من ذلك ومن أخر ذلك زمنًا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذى النون -عليه السلام- هذا هو المشهور أن إلقاءه كان بعد النبوة، وأما من قال: إن إلقاءه كان قبل النبوة، فلا يحتاج إلى هذا، والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع فى الكفر والذنوب، وإذا كان قد يكون أفضل حالاً [فى الأصل: مالا ، وما ذكرناه أقرب للمعنى] فضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله فى الفضيلة انتهى ملتقطًا/١٢.

(١) هو على العموم فى كل متقلب ومثوى أي: موضع سكوت، ولما قال: "والله يعلم متقلبكم ومثواكم" عطف عليه ما هو من المعلومات فقال: "ويقول الذين آمنوا"/١٢ وجيز.

﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ
ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ
لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا**[١] **لَوْلاَ**﴾: هلا، ﴿**نُزِّلَتْ سُورَةٌ**﴾: تأمرنا بالجهاد، ﴿**فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ**﴾: غير منسوخة[٢]، ﴿**وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ**﴾: الأمر به، ﴿**رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾: من[٣] كان له ضعف دين، ﴿**يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ**﴾: عند الموت، ﴿**نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾ أي: كنظر من أصابته الغشية عند الموت من رعبهم وجبنهم، ﴿**فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ**﴾ أي: كان الأولى[٤] هم طاعة الله، وقول معروف[٥] بالإجابة، أو معناه فالويل لهم[٦] من الولي، وأصله أولاه الله ما يكرهه، واللام مزيدة أي: هذا الويل لهم، ثم قال "طاعة" أي: أمرهم طاعة أو طاعة

---

(١) الظاهر أنهم الموحدون المخلصون/١٢وجيز.

(٢) وغير متشابه لا يحتمل إلا وجوب القتال/١٢وجيز.

(٣) وهذا كما قال الله: "ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم" الآية[النساء:٧٧]/١٢وجيز.

(٤) إشارة إلى أن اللام فى "لهم" بمعنى الباء/١٢.

(٥) رد حسن بالإجابة والسمع والطاعة/١٢منه، وفى الصحاح، قول العرب: أولى لك: تهديد، وتوعيد/١٢منه.

(٦) وهذا هو المحكى أيضًا عن ابن عباس/١٢.

خير لهم، **﴿فَإِذَا عَزَمَ﴾**: جد، **﴿الأَمْرُ﴾**: وفرض القتال، **﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّـهَ﴾**: فى الإيمان والطاعة، **﴿لَكَانَ﴾**: الصدق، **﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾**، وعن بعضهم إذا عزم الأمر حضر القتال فلو صدقوا الله: أخلصوا له النية لكان خيرًا لهم، **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾**: يتوقع منكم، **﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾**: بمعنى الإعراض أي: أعرضتم عن الدين أو رجعتم عن الجهاد، **﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**: أن تعودوا إلى أمر الجاهلية، أو بمعنى الولاية أي: تأمرتم أن تظلموا و لم تعدلوا فدخلت هل على ما يتضمنه عسى من معنى التوقع يعني: هم لضعف دينهم بحيث يتوقع من عرفهم ذلك منهم، ويقول لهم هل عسيتم، **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾**: فلا يستمعون الحق ولا يهتدون، **﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾**: فيتعظون بمواعظه، **﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** أي: أم يتدبرون لكن عليها القفل، فلا يدخل فيها الحق، وتنكير قلوب للتهويل كأنه قيل لا يقادر قدرها فى القسوة والإقفال، أو لأن المراد قلوب بعض، وإضافة الأقفال للدلالة على أقفال مناسبة لها لا تجانس الأقفال المعهودة، وقيل: أم منقطعة والهمزة للتقرير، **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾**: رجعوا إلى كفرهم وهم المنافقون، **﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾**: بالمعجزات، أو هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد -عليه الصلاة والسلام- بعد ما عرفوه من كتابهم، **﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾**: زين وسهل، **﴿لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾**: مد لهم فى الآمال، أو أمهلهم الله تعالى، وقراءة أملى على فعل المتكلم يدل على الثانى أي: وأنا أمهلهم ولا أعجلهم بالعقوبة، **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾**: المنافقين، **﴿قَالُوا﴾**: سرًا، **﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾**، هم المشركون، أو كفار أهل الكتاب، أو قال كفار أهل الكتاب للمشركين: **﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾**: بعض أموركم فى عداوة الإسلام، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾**: أفشا الله تعالى أسرارهم وأفضحهم، **﴿فَكَيْفَ﴾**: يعملون[1]، **﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ**

---

(١) ويحتالون حينئذ/١٢.

وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: ليستخرجوا أرواحهم بالقهر، ﴿ذَلِكَ﴾: التوفى بـــالموصوف ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ[1] اللَّهَ﴾: من الكفر وعـــداوة الإســلام، ﴿وَكَرِهُــوا[2] رِضْوَانَهُ﴾: ما يرضاه، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: حسناهم التى عملوا.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ
نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ
أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا
تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾
إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ
أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾
هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) فوجهوا وجوههم إليه فضربوا وجوههم/١٢وجيز.

(٢) فتولوا عنه فضربوا أدبارهم ففى ذلك مقابلة أمرين بأمرين/١٢وجيز.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: نفاق، ﴿أَنْ لَن يُخْرِجَ اللَّهُ﴾: يبرز ويظهر، ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾: أحقادهم، وأم منقطعة، والهمزة للإنكار، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: عرَّفناهم بأشخاصهم، ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: بأن جعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها، لكن لم يفعل سترًا منه على خلقه، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ما خفى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد نزول هذه الآية أحد من المنافقين يعرفهم بسيماهم، فكأنه -رضى الله عنه- حمله على أنه وعد بالوقوع دال على الامتناع فيما سلف، ولام الجواب كررت فى المعطوف، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ هو إزالة الكلام عن جهته[1] إلى تورية فكان بعد ذلك ما تكلم منافق عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا استدل بفحوى كلامه على فساد باطنه، وهو جواب قسم محذوف، والواو لعطف[2] القسمية على الشرطية، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نعاملكم معاملة المختبر بالتكاليف، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾: نرى ونميز، ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾: على مشاقها، ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾: نعلم أو نُظهر أحوالكم وأعمالكم أو نختبر أخباركم عن الإيمان أنه عن صدق القلب أو عن اللسان وحده، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خاصموه، ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: من المضرة إنما يضرون أنفسهم، ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾: ثواب حسناتهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾: بالردة، والنفاق أو بالرياء والمن والأذى أو بالكبائر،

---

(١) مثل قولهم: راعنا/١٢وجيز.

(٢) والواو لعطف القسمية على الشرطية، وقال فى الوجيز: ولام فلعرفتهم قسمية بقرينة عطف قوله: "ولتعرفنهم فى لحن القول" عليه فإن المضارع سيما مع نون التأكيد ينافى أن يكون جواب لو، وهذه الطريقة التى اخترناها فى بيان تلك الآية كأنها ضالة الحكيم، وفوق كل ذى علم عليم/١٢وجيز.

وعن أبي العالية: كنا معاشر الصحابة نرى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت "ولا تبطلوا أعمالكم"، فخفنا أن يبطل الذنب العمل، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قريب منه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، دل بمفهومه على أنه قد يغفر الذنوب لمن لم يمت على الكفر، ﴿فَلا تَهِنُوا﴾: تضعفوا، ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: ولا تدعوهم إلى الصلح حال كونكم الأغلبين، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: بالنصر، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ[1] أَعْمَالَكُمْ﴾، منصوب بنزع الخافض أي: لن يفردكم الله منها بأن يضيع، أو بالمفعول لتضمين معنى السلب، ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: لا أصل لها ولا ثبات، ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾: ثواب أعمالكم، ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ﴾: ربكم، ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: شيئًا منها، فإنه غني عنها، والأمر بالصدقات لنفعكم ما أريد منهم من رزق، أو جميع أموالكم، بل يسأل شيئًا يسيرًا منها، ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: يطلب منكم جميعه[2]، ﴿تَبْخَلُوا﴾: فلا تعطوا، ﴿وَيُخْرِجْ﴾: الله، ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾: عداوتكم على من يطلب منكم، ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاءِ﴾، مبتدأ وخبر أي: أنتم هؤلاء الموصوفون وحينئذ قوله: ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا﴾، استئناف مقرر لذلك، أو هؤلاء موصول، وتدعون صلته، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طرق الخير، ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾: ضرر البخل راجع إليها، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾: فلا يأمركم إلا بما يسد احتياجكم، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾، عطف على وإن تؤمنوا، ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يقم مقامكم قومًا آخرين، ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا

---

(١) من الوتر وهو الفرد، وقد ورد في الحديث "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"[أخرجه مسلم وغيره]/١٢وجيز.

(٢) مِنْ أحفى شاربه: استأصل/١٢وجيز.

أَمْثَالَكُمْ[(1)]﴾: فى التولي؛ بل سامعين طائعين، وفى الحديث "من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب عليه السلام يده على كتف سلمان، ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس"(*) وعن الحسن: هم العجم، وعن عكرمة: فارس والروم.

ولله الحمد والمنة.

---

(١) وقوله: "ثم لا يكونوا أمثالكم" فيه مسألة نحوية يتبين منها فوائد عزيزة، وهى أن النحاة قالوا: يجوز فى المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع جميعًا قال الله تعالى هاهنا "وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" بالجزم، وقال فى موضع آخر، "وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون"[آل عمران:١١١] بالرفع بإثبات النون وهو مع الجواز ففيه تدقيق، وهو أن هاهنا لا يكون متعلقًا بالتولى لأنهم إن لم يتولوا يكونون ممن يأتى بهم الله على الطاعة، وإن تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين، وكون من يأتى بهم مطيعين وأما هناك سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون، فلن يكن للتعليق هناك وجه، فرفع بالابتداء، وهاهنا جزم للتعليق/١٢كبير.

(*) "صحيح" أخرجه الترمذى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الدلائل وغيرهم، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٥٩٩).

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ
أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)﴾ الفتح: صلح الحديبية[1]، وما فتح الله تعالى على باطنه

(١) وعن الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين، فسمعوا كلامهم وتمكن الإسلام فى قلوبهم، ومن هنا استقبل فتح خيبر لم يفتحها إلا =

الأشرف، وروى محيى السنة أنه لما نزل قال عمر -رضى الله عنه- أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم، والذى نفسى بيده"(*) وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة فيه بيعة الرضوان، وظهور الإسلام، وانتشار العلم، وهو سبب لفتح مكة نزلت فى طريق الرجوع إلى المدينة، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾: لما كان ذلك الفتح متضمنًا لأمور عظيمة القدر عند الله تعالى كان سببًا للغفران، فجمع له عز الدارين، ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: من يجوز الصغائر على الأنبياء فمعناه ظاهر، وإلا فجميع ما فرط منك، ويفرط وسماه ذنبًا تغليظًا، وعن بعض ما تقدم فى الجاهلية، وما تأخر مما لم يعمله كما تقول مبالغة: ضرب من لقيه و لم يلقه، وعن بعض ما تقدم أي: ذنوب أبويك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك، ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: يثبتك عليه، أو فى تبليغ الرسالة، ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾: فيه عز، ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة والوقار، ﴿فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية، واطمأنت قلوبهم بالصلح فانقادوا لله تعالى، ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾: يقينًا مع يقينهم، وإيمانًا بما أمر النبى -عليه السلام- ورآه من المصلحة مقرونًا مع إيمانهم بالله ورسوله، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: هو المدبر والمتصرف فيهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فما أمر رسوله من الصلح لمصلحة وحكمة، ﴿لِيُدْخِلَ(1) الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

= أهل الحديبية لم يشاركهم أحد من المخلفين عنها، وهو خير الدنيا والآخرة فيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم وهو سبب فتح مكة/١٢وجيز.

(*) أخرجه أحمد (٣/٤٢٠) وغيره.

(١) قوله: "ليدخل" اللام متعلق بما دل عليه الكلام، فإنه لما قال: "ولله جنود السموات والأرض" كان فيه دليل على أنه يبتلى بتلك الجنود من شاء، فإن الجند لا يكون إلا لنصرة الموافقين على المخالفين، فكأنه قال ابتلى "ليدخل المؤمنين والمؤمنات" الآية/١٢وجيز.

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، فى الصحيحين "لما نزل "ليغفر لك الله" إلخ قالوا: هنيئًا مريئًا بين الله تعالى ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت إلى قوله تعالى: "فوزًا عظيمًا" فعلى هذا الظاهر أنه أيضًا علة "لإنا فتحنا"، أو لجميع ما ذكر، وقيل: لما دل عليه "ولله جنود السموات والأرض" من معنى التدبير أي: دبر ما دبر وسكن قلوبهم ليعرفوا نعمه ويشكروها، فيدخلوا الجنة، ويعذب المنافقين والكافرين لما غاظهم من ذلك وكرهوا، **﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**، و"عند" حال من الفوز مقدم، **﴿وَيُعَذِّبَ﴾**، عطف على يدخل، **﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ[1] السَّوْءِ﴾**: يظنون أن لن ينصر الموحدين أي: ظن

---

(١) قال الإمام المقريزى فى كتاب "تجريد التوحيد" بعد ذكر إساءة ظن المشركين برب العالمين قال: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال تعالى: "الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا" وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: "أئفكًا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين"[الصافات:٨٦-٨٧] أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظننتم أنه يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون بابًا للحوائج إليه ونحو ذلك، وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده؛ بل ذلك ممتنع فى العقول، والفطر.

واعلم أن الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح فى نفسه كما قررناه لاسيما إذا كان المجعول له ذلك عبدًا للملك العظيم الرحيم القريب المجيب مملوكا له كما قال تعالى: "ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء =

الشيء السوء، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي: عليهم خاصة ما يظنونه بالمؤمنين يحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها، والإضافة بمعنى من، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنم، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(١)﴾: فلا أحد يمنعه من الانتقام الذى فيه الحكَم، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾: على أمتك فى القيامة، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا(٢)﴾: للكافرين، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، الضمير للأمة على أن جعل خطابه فى "إنا أرسلناك" مترلا مترلة خطابهم، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تعظموه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تجلوه، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: تترهوه غدوة وعشيًا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ(٣)﴾: فى الحديبية، وهى بيعة

= فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافوهم كخيفتكم أنفسكم" أي: إذا كان أحدهم يأنف أن يكون مملوكه شريكه فى رزقه، فيكف تجعلون لى من عبيدى شريك فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التى لا تنبغى لغيري، ولا تصلح لسوائى فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدري، ولا عظمنى حق تعظيمى إلى أن قال: واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال، والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء، والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره انتهى مختصرًا، ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ظن السوء وأصناف المسيئين الظن بالله فليرجع إلى كتاب الإمام شمس الدين ابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد فى فضل غزوة أحد تحت قوله تعالى: "وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية"[آل عمران:١٥٤] وقد مر بعض ذلك فى سورة الأحزاب تحت قوله: "وتظنون بالله الظنونا"[الأحزاب:١٠] فتذكر/١٢.

(١) ولما قال: "إنا فتحنا لك" وبين أمة الإجابة ومدحهم، وأمة الدعوة وذمهم ذكر إرساله إلى الجميع فقال: "إنا أرسلناك شاهدًا" الآية/١٢وجيز.

(٢) هذه الأحوال الثلاثة مقدر كما لا يخفى/١٢منه.

(٣) أرسل – عليه الصلاة والسلام- عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنهم جاءوا معتمرين لا محاربين، فأرادوا قتل عثمان فبايع رسول الله -صلى الله عليه =

الرضوان، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، نحو "من يطع الرسول فقد أطاع[1] الله"[النساء:٨٠] ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ[2]﴾ استئناف مؤكد له على سبيل التخييل يعني: يد رسوله يده، وعن بعض: نعمة الله تعالى عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة، أو كناية عن أن كمال القدرة والقوة لله تعالى فيكون مقدمة لقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض العهد، ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: عليه وباله، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ[3] اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعَۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن

= وسلم- المؤمنون على الصبر إلى أقصى الجهد، ولذلك قالوا: بايعنا على الموت/١٢ وجيز.

(١) يعني: إن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما/١٢منه.

(٢) الأصوب عدم التأويل بأن يقال إنه تمثيل فلله سبحانه يد لائقة لذاته الأقدس/١٢وجيز.

(٣) وقراءة "عليه" [لأن تفخيم لفظ الجلالة يرتبط بالعهد، فيوقع في نفوسهم الخوف والرحبة من نقض ذلك العهد] بضم الهاء ليبقى تفخيم لفظ الله على حاله/١٢وجيز.

تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ❁ ﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾: الذين وعدوا أن يرافقوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة عام الحديبية فتثاقلوا وأخلفوا الوعد، ﴿شَغَلَتْنَا﴾: عن الوفاء بالوعد، ﴿أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾: إذ ليس لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا، ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: على التخلف، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: تكذيب لهم من الله تعالى، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي: لا أحد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذرًا، فلا ذاك يدفع الضر إن أرادوه، ولا ملاقاة العدو تمنع النفع إن أراد بكم نفعًا، واللام فى لكم للبيان أو للصلة، ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيعلم قصدكم فى التخلف، ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: قالوا: هم أكلة رأس لقريش[1]، فهم يستأصلونهم، ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أي: إنهم أكلة رأس، ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا[2]﴾: هالكين عند الله تعالى أو فاسدين لسوء العقيدة، ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: لهم، ﴿سَعِيرًا﴾،

---

(١) أي: هم قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع آكل/١٢منه.

(٢) الظاهر أنه مصدر كالهلك قيل: جمع بائر، كحائل وحول/١٢وجيز.

التنكير للتهويل، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: له الاختيار المطلق فى الأشياء، ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: لا يجب عليه شيء، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيمًا﴾: لمن تاب وآمن فالغفران من دأبه، ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾: المذكورون، ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ أي: غنائم خيبر، ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ[١]﴾: إلى خيبر، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾: فإن الله تعالى وعد أهل الحديبية أن ييسر لهم الخيبر، ويعوضهم من مكة مغانم خيبر لا شريك لهم فيها، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾: فى خيبر، نفى بمعنى النهي، ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن تسألوا الخروج معهم، فإنه حكم بأن تكون غنيمته لأهل الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: فى أن نصيب الغنائم، وليس أمرًا من الله تعالى، ﴿بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا﴾: إلا فهمًا قليلا، وهو فهمهم لبعض أمر دنياهم، ردٌّ من الله تعالى لهم، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ[٢] مِنَ الأَعْرَابِ﴾، كرر تسميتهم بهذا الاسم للشناعة[٣]، ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: هوازن وثقيف، وذلك فى عهد النبى -صلى الله عليه وسلم- أو بنى حنيفة وأصحاب مسيلمة، وذلك فى خلافة أبى بكر -رضى الله عنه- أو أهل فارس، وذلك فى خلافة عمر -رضى الله عنه- ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام جملة مستأنفة للتعليل والأصح أن لا تقبل الجزية من

(١) وأصل القصة أنه لما انصرف النبى -صلى الله عليه وسلم- ومَن معه مِن المسلمين إلى الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست أقام بالمدينة بقية وأوائل المحرم من سنة سبع، وعدهم الله فتح خيبر وخص لغنائمها من شهد الحديبية، فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون: ذرونا نتبعكم/١٢فتح.

(٢) ولما بين أهم مطرودون لتخلفهم وقع فى النفوس أن طردهم هل هو أبدى، فقال: "قل للمخلفين" الآيه/١٢وجيز.

(٣) ينادى بجهلهم "الأعراب أشد كفرًا" [التوبة:٩٧]الآية/١٢وجيز.

المشركين، وقيل الإسلام الانقياد، فيشمل الجزية، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: عام الحديبية، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ[1] وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا[2] أَلِيمًا﴾.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ
وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا
﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي
كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ
تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن

---

(١) وإن وجد المركب لقصوره فى التردد، والسفر/١٢وجيز.

(٢) ولما وعد المطيع، وأوعد العاصى أعقب بيان ما للمطيع، فقال:"لقد رضى الله" الآية/١٢وجيز.

يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ[1]﴾، وهم ألف وأربعمائة على الأصح، **﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾**: بالحديبية على أن يكونوا متفقين على قتال قريش، فإنهم هَمُّوا قتل عثمان -رضى الله عنه- وهو رسولُ رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم **﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾**، أي: سمرة[2] **﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾**: من الإخلاص، **﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾**: الطمأنينة، **﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ﴾**: جازاهم، **﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾**، هو الصلح، وما هو سبب له من فتح خيبر ومكة ثم فتح سائر البلاد، **﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾**: عقار خيبر وأموالها، **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾**: غالبًا، **﴿حَكِيمًا﴾**: مراعيًا للحكمة، **﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾**، هى الفتوح إلى يوم القيامة **﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ**

---

(١) وكفاهم فخرًا/١٢وجيز.

(٢) وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشًا، ولا يفروا وروى أنه بايعهم على الموت والسمرة من شجر الطلح، وجمهور المفسرين على أنه المراد بالطلح فى القرآن الموز، وفى الصحيح عن ابن عمر أن الشجرة أخفيت، والحكمة فى ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضر كما نشاهد الآن فيما دونها، ولذلك أشار ابن عمر بقوله: كان خفائها رحمة من الله كذا فى الفتح، وشرح المواهب وعن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناسًا يأتون الشجرة التى بويع تحتها، فأمر بها فقطعت، أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف/١٢فتح البيان فى مقاصد القرآن.

﴿هَذِهِ﴾: غنيمة خيبر، أو صلح الحديبية، ﴿وَكَفَّ أَيْدِى النَّاسِ عَنْكُمْ﴾، هم لما خرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة، فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب، أو المراد أيدى قريش، لأجل صلح حديبية، ﴿وَلِتَكُونَ﴾: هذه الكفة وسلامة عيالكم والغنيمة المعجلة، ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: على صدقك، عطف على محذوف أي: لتكون سببًا للشكر، ولتكون آية، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: التوكل وتفويض الأمور إليه، ﴿وَأُخْرَى﴾، عطف على هذه، وهى مكة أو فارس والروم، أو خيبر، وهذا على قول من فسر "عجل لكم هذه" بصلح حديبية، ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: لشوكتهم، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: استولى، ففتحها لكم، وجاز أن يكون أخرى مبتدأ، و لم تقدروا صفتها، وقد أحاط خبرها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة عام الحديبية، ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ﴾: لانهزموا، ﴿ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾: يحرسهم وينصرهم، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: سن الله تعالى سنة الأنبياء المتقدمين أن عاقبة أعدائهم الخزى والهزيمة، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: كفار مكة، ﴿عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ[١] عَلَيْهِمْ﴾: مَنَّ الله تعالى بصلح الحديبية، وحفظ المسلمين عن أيدى الكافرين، وعن القتال بمكة، وهتك حرمة مسجد الحرام، وأما ظفرهم على المشركين فهو أن سبعين أو ثمانين[٢] أو ثلاثين رجلا متسلحين هبطوا من جبل التنعيم يريدون غرة النبى -عليه الصلاة والسلام- فدعا عليهم فأخذوا، وعفا

(١) وأما ما قيل المراد به فتح مكة، فهو ضعيف فإن السورة مدنية نزلت قبل الفتح، والحمل على أن الماضى أعنى "كف" إلى آخره للتحقق، وهو بمعنى المضارع، فيكون وعدًا من الله، فبعيد جدًا/١٢وجيز.

(٢) كما فى مسلم والنسائى وغيرهما/١٢وجيز.

عنهم[1] فأطلقوا، وأما ما ذكر أن ابن أبي جهل خرج فى عسكر يوم الحديبية، فبعث خالد بن الوليد، فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة، ففيه شيء، وكيف لا وخالد بن الوليد لم يكن أسلم!؛ بل كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت فى صحيح البخارى وغيره، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: فيجازيكم، ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ﴾: منعوكم عن الزيارة ومنعوا الهدى، وهى سبعون بدنة ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوسًا، ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾: مكانه[2] الذى يحل فيه نحره، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ أي: المستضعفون بمكة، ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم لاختلاطهم بالمشركين، ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾: أن توقعوا بهم وتقتلوهم فى أثناء القتال بدل اشتمال من رجال ونساء، أو من مفعول لم تعلموهم، ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾: مكروه كوجوب الدية، والتأسف عليهم، وتعيير الكفار بأنهم قتلوا أهل دينهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: تطئوهم غير عالمين بهم، وجواب لولا محذوف، والمعنى: لولا مؤمنون لم تعلموا وطأهم وإهلاكهم وأنتم غير عالمين بإيمانهم، لما كف أيديكم عنهم، والفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف ولا يقاس، أو معناه معرة حاصلة من غير سبق علم وتوجه ذهن، ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: تأخر العقوبة، وكف أيديكم عنهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، ثم قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم، ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قيل: هذا جواب لولا، و"لو

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائى والترمذي، وغيرهم/١٢ فتح.

(٢) قال ابن عباس: نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها ورخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذى وصلوا عليه، وهو الحديبية محلا للنحر، فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدى المحصر هو الحرم/١٢فتح.

تزيلوا" كالتكرير لـ"لولا رجال"؛ لأن مرجعهما واحد، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظرف لعذبنا، أو صدوكم، ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة، ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ[1]﴾: التي تمنع قبول الحق، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: وقاره، ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: حتى صالحوهم، فلم يدخلهم ما دخلهم من الحمية، فيعصوا الله تعالى فى قتالهم، فإنه قد هم المؤمنون أن يأبوا كلام رسول الله فى الصلح، ودخلوا من ذلك فى أمر عظيم كادوا أن يُهلَكوا، ويدخل الشك فى قلوب بعضهم[2] حتى إنه قال -عليه السلام- ثلاث مرات: قوموا وانحروا، ثم احلقوا، وما قام منهم رجل ثم أنزل الله تعالى السكينة عليهم فاطمأنوا، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى[3]﴾: اختار كلمة الشهادة[4] لهم، أو بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه لما أمر -عليه الصلاة والسلام- عليًّا -رضى الله عنه- أن يكتب فى كتاب الصلح "بسم الله الرحمن الرحيم" قالوا: لا نعرف هذا اكتب باسمك

---

(١) قال مقاتل بن سليمان: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا، ويدخلون علينا فى منازلنا، فتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفسنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه الحمية هى حمية الجاهلية التى دخلت فى قلوبهم/١٢.

(٢) قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم: ألست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت؟ نطوف به؟ قال: بلى، لكن هل أخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قالوا: لا، قال: فإنكم تأتونه، وتطوفون به، والحاصل أنه -عليه السلام- وعدهم دخول مكة، وتوجه فحسبوا لو منعوا هذه المرة من الدخول يكون فيه خلف وعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما منعوا دخل الشك فى قلوب بعض فأزاح الله بفضله الشك عنهم، وتفضل عليهم/١٢منه.

(٣) المراد من كلمة التقوى الشهادة صرح بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما رواه الترمذي، وغيره[صحيح، انظر صحيح سنن أبى داود (٢٦٠٣)]/١٢ منه.

(٤) فهو إلزام تشريف وإكرام/١٢فتح.

اللهم، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: من غيرهم، ﴿وَأَهْلَهَا﴾: وكانوا أهلها فى علم الله تعالى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ أي: فى رؤياه، فهو من نزع الخافض، وذلك أنه –عليه الصلاة والسلام– رأى فى المنام قبل الحديبية أنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين غير خائفين، فأخبر أصحابه ففرحوا فلما صدوا عن البيت شق ذلك عليهم فنزلت، ﴿بِالْحَقِّ﴾، حال من الرؤيا أي: متلبسة بالحق، فإنها كائنة لا محالة، وتحقيقها فى العام المقبل، ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾، جواب قسم محذوف، ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، الاستثناء، لأجل تعليم العباد لا للشك، ﴿آمِنِينَ﴾، حال، والشرط معترض، ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ[(١)]﴾ أي: محلقًا بعضكم،

---

(١) والحلق والتقصير خاص بالرجال، والحلق أفضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح فى استغفاره –صلى الله عليه وسلم– للمحلقين فى المرة الأولى، =

ومقصرًا آخرون حال مقدرة لأن الدخول ما كان فى حال الحلق، **﴿لا تَخَافُونَ﴾**، حال مؤكدة، **﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾**: من الحكم والمصالح، **﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ﴾** أي: من دون دخولكم المسجد، **﴿فَتْحًا قَرِيبًا[1]﴾** هو الصلح الحديبية على الأصح كما ذكرنا فى أول السورة، أو هو فتح خيبر، **﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾**: متلبسًا بالعلم النافع، **﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾**: ليعليه، **﴿عَلَى الدِّينِ﴾**: على جنسه، **﴿كُلِّه وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**: إنك مرسل بالحق، أو إن ما وعده كائن، **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾**، جملة تامة مبينة للمشهود به، أو تقديره هو محمد، ويكون قوله: **﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾**: الصحابة، **﴿أَشِدَّاءُ[2] عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**، جملة معطوفة على جملة، أو محمد مبتدأ، أو رسول الله عطف بيان، والذين معه عطف على محمد، و"أشداء" إلخ خبرهما، أي: يغلظون على المخالفين يتراحمون فيما بينهم، **﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾** أي: علامتهم فى وجوههم، و"من أثر" إما حال من ضمير فى الخير، أو بيان

= والثانية، والقائل يقول له: وللمقصرين، فقال فى الثالثة: "وللمقصرين" وقد ورد فى الدعاء للمحلقين، والمقصرين فى البخارى ومسلم وغيرهما منها أحاديث ما قدمنا الإشارة إليه، وهو من حديث ابن عمر، وفيهما من حديث أبى هريرة أيضًا/١٢فتح.

(١) ولما أخبر بهذه الأمور الجليلة الدالة على إحاطة علمه وشرف رسوله، فقال: "هو الذى أرسل رسوله" الآية/١٢وجيز.

(٢) قال الحسن: بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم وتمسها، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وتلزق بها، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنًا إلا صافحه وعانقه، ومن حق المسلم فى كل زمان أن يراعوا هذا التذليل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم، ويعاشروا إخوانهم المؤمنين فى الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والاحتمال عنهم/١٢فتح.

لسيما أي: يوم القيامة يكونون منورى الوجوه، أو المراد خشوعهم وتواضعهم، أو صفاؤهم أو صفرة اللون من السهر أو أثر التراب على الجباه فإنهم كانوا يسجدون على الأرض من غير حائل، ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ﴾ أي: صفتهم العجيبة فى الكتابين، ﴿كَزَرْعٍ﴾ أي: هم كزرع أو "مثلهم ف الإنجيل" مبتدأ وهو خبره[1] أو ذلك إشارة مبهمة، وهو تفسيرها، ﴿أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾: فِراخه، ﴿فَآزَرَهُ﴾: قواه، ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾: صار من الدقة إلى الغلظ، أو المراد المبالغة فى الغلظ كما فى استعصم، ونظائره، ﴿فَاسْتَوَى﴾: فاستقام، ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾: على قصبه، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ[2]﴾: لحسن منظره، وعن قتادة: مثل أصحابه فى الإنجيل أنهم يكونون قليلا، ثم يزدادون، وعن بعض: إن أصل الزرع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والشطء الصحابة -رضى الله عنهم- ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، علة للتشبيه، أو تقديره قواهم ليغيظ، وقيل: علة لقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ أي: مِن الصحابة، ومن للبيان، ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) عطف جملة على جملة/١٢.

(٢) الذين يعرفون حال الزرع، فكيف من لم يعرف حال الزرع!/١٢وجيز.

سورة الحجرات مدنية

وهى ثمانى عشر آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ
لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ
لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ
ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ
بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ
إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ
أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن
طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى
ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ
بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لا تتقدموا بين يـــدى أمرهما ونهيهما، ولا تقطعوا أمرًا قبل حكمهما به؛ بل كونوا تابعين لأمر الله تعـــالى، ورسوله، يقال: تقدم بين يدى أمه وأبيه أي: عجل بالأمر والنهى دونهما، فـــهو لازم، وقراءة "لا تقدموا" بفتح التاء يؤيده، أو المفعول محذوف أي: أمرًا عن ابن عبـــاس - رضى الله عنهما- لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**: فى التقـدم، **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾**: لأقوالكم، **﴿عَلِيمٌ﴾**: بأحوالكم، **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيـــنَ آمَنُـــوا لا تَرْفَعُـــوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾**: لا تجاوزوا أصواتكم عن صوته، **﴿وَلا تَجْهَرُوا[(1)] لَهُ بِالْقَوْلِ﴾**: جهرًا، **﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾**، بل اجعلوا أصواتكم معه أخفض مـــن أصوات بعضكم من بعض، أو لا تخاطبوه باسمه وكنيته، بل خاطبوه بالنبى والرســـول، كقوله " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا"[النور:٦٣] نزلت فى أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما- حين تماريا فى محضر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ارتفعت أصواتهما، فكان أبو بكر وعمر بعد ذلك يُسرَّانه[(*)]، **﴿أَنْ تَحْبَـــطَ[(2)]﴾**

---

(١) لم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافة، وإنما نهـــوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينـــهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة -وتأبه الرجل أي: تكـــبر/١٢صـــراح- النبـــوة وجـــلال مقدارها/١٢منه.

(*) أخرجه البخارى وغيره.

(٢) فقوله: "أن تحبط" مفعول له للا تجهروا بتقدير مضاف، والفعل المنهى معلل، وجـــاز أن يكون بعض المعاصى محبطًا للطاعات،وأما عند المعتزلة، فجميع الكبائر محبط كـــالكفر، والعلماء صرحوا بكراهة رفع الصوت عند قبره الأطهر/١٢وجيز.

وفى المنهية يعنى العلة الباعثة فى عدم الجهر كراهة الحبطة أو خشيتها، وقيل: معناه الجهر الذى غايته الحبطة لا يصدر عنكم فعلى هذا الفعل المعلل منهي، وعلى ما فى الكتـــب الفعل المنهى معلل/١٢.

أي: كراهة أو خشية أن تحبط، ﴿أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾: بحبطها، وفى الصحيح "إن الرجل ليتكم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يكتب له بها فى النار أبعد ما بين السماء والأرض"(*) وقد مر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ﴾: يخفضون، ﴿أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾: أخلصها، فلم يبق لغير التقوى فيها حق يقال: امتحن الذهب إذا أذابه وأخرج خبثه، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن لأجل حصول التقوى، أو كناية عن صبرهم، وثباتهم على التقوى التى جرَّبها ومرنها عليها، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: عظيمة، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، الجملة خبر ثان لإن أو استئناف، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ(١)﴾ أي: من جهة وراء حجرات نسائه، ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(٢)﴾ إذ العقل يقتضى الأدب سيما مع مثله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾: لو ثبت صبرهم، ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾: الصبر، ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾: من الاستعجال، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، حيث يقتصر على النصح لمسيء الأدب، ولو تاب ليغفره نزلت فى وفد بنى تميم أتوا وقت الظهيرة، ونادوا على الباب حتى استيقظوه، وقالوا: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين(**)، أو

(*) أخرجه البخارى وغيره من حديث أبى هريرة مرفوعًا.

(١) أنكر عليهم أنهم نادوه من البر، والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة/١٢منه.

(٢) وفيه دليل أن فيهم عقلاء قال صاحب البحر: ونعم ما قال كلام من قال القلة تقع موقع النفى فى كلامهم، فيمكن أن يكون القصد نفى أن يكون فيهم من يعقل نحو "قليل من عبادى الشكور"[سبأ:١٣] ليس بشيء فإن الحكم بقلة العقلاء مفهوم الآية لا منطوقها، والنفى المحض إما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم، فلا يحتمل قوله: "ولكن أكثر الناس لا يشكرون"[البقرة:٢٤٣] على النفى المحض للشكر/١٢وجيز.

(**) أخرجه بنحوه الترمذى عن البراء بن عازب مرفوعًا، وانظر صحيح سننه (٢٦٠٥).

فى وفد بنى العنبر حين سبيت ذراريهم، وأتى بهم فجاء رجالهم يفدون الذراري، وقدموا وقت الظهيرة، فجعلوا يصيحون، وينادون: يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾: تفحصوا صدقه، وقراءة "فتثبتوا" معناه توقفوا إلى أن يتبين الأمر ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ أي: كراهة إصابتكم، ﴿قَوْمًا﴾: برآء، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: جاهلين بحالهم، ﴿فَتُصْبِحُوا[1] عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، نزلت فى الوليد بن عقبة بعث إلى بنى المصطلق لأخذ زكاتهم، فرجع من الطريق لخوف منهم للعداوة التى بينه وبينهم فى الجاهلية، وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتلي، فقصد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يغزوهم فجاء وفد منهم وكذبوه[*]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ[2]﴾ أي: واعلموا أن فيكم لا فى غيركم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حال لو أطاعكم فى كثير من آرائكم لوقعتم فى جهد ومصيبة نزلهم منزلة من لا يعلم أنه بين أظهرهم، وجملة "لو يطيعكم" حال إما من الضمير المستتر، أو البارز فى "فيكم" ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ[3] إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ[4] وَالْعِصْيَانَ[5]﴾،

---

(١) أي: تصيروا اعتبر بالإصباح، لأن أشنع الذم ما استقبل فى الصباح/١٢وجيز.

(*) ذكره الهيثمى فى "المجمع" (٧/١٠٨-١٠٩) وقال: "رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد ثقات".وجوّد إسناده السيوطى كما فى الدر المنثور (٦/٩١).

(٢) عن أبى سعيد الخدرى أنه قرأ هذه الآية، وقال: هذا نبيكم يوحى إليه، وخيار أئمتكم لو أطاعهم فى كثير من الأمر لعنتوا، فكيف بكم اليوم؟! أخرجه الترمذي: وقال حديث حسن صحيح غريب[صحيح الإسناد، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٦٠٧)]/١٢فتح.

(٣) كما تقول زيد لو يطيعك لما كان عالمًا؛ لكن هو رجل ذو لب عليم، فعلى هذا قوله ولكن استدراك وقع موقعه/١٢وجيز ومنه.

(٤) الكبائر/١٢وجيز.

(٥) الصغائر/١٢وجيز.

ولذلك تطيعونه أنتم لا هو يطيعكم، فلا تُوقعون فى عنت، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، وعن بعض المفسرين: إن قوله "ولكن الله" استثناء لقوم آخرين صفتهم غير صفتهم، كأنه قال فيكم الرسول على حال يجب تغييرها، وهى إرادتكم أن يتبعكم، ولو فعل لعنتم، ولكن بعضهم الموصوفين بأن الله تعالى زين الإيمان فى قلوبهم لا يريدون أن يتبعهم أولئك هم الذين أصابوا طريق السوى، وعن بعضهم: إن معناه إن فيكم الرسول فعظموه، ولا تقولوا له باطلا، ثم لما قال ما دل على أنهم جاهلون بمكانه مفرطون فيما يجب من تعظيم شأنه اتجه لهم أن يسألوا ماذا فعلنا حتى نسبنا إلى التفريط، وماذا ينتج من المضرة فأجاب إنكم تريدون أن يتبعكم، ولو اتبعكم لعنتم، فعلى هذا جملة "لو يطيعكم" استئنافية، ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ نصب على أنه مفعول له لحبب، أو لكره أو مفعول مطلق لهما فإن التحبيب فضل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِنْ طَائِفَتَانِ[1] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا[2]﴾: تقاتلوا، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾: بالنصح نزلت حين قال رجل من الأنصار[3]: والله لحمار رسول الله أطيب ريحًا منك، فى جواب عبدالله بن أبي حين قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو راكب الحمار: إليك عني، والله لقد آذانى نتن حمارك، فاستبا، فتقاتل الصحابة قوم ابن أبي، بالجريد، والنعال، أو فى الأوس، والخزرج لما بينهما من القتال بالسعف[4] أو فى رجلين من الأنصار تقاتلا بالنعال، ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾: تعدت، ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾: الطائفة التى

---

(١) ولما كانت النميمة ونقل الأخبار الباطلة ربما جرت فتنا أوصلة إلى القتال أعقب طريق الحكمة فى رفعه، فقال: "وإن طائفتان" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما كانت الطائفتان فى معنى القوم، والناس جمع الضمير، وقال: اقتتلوا، والقياس اقتتلتا، فهو محمول على المعنى/١٢منه.

(٣) كما رواه البخارى ومسلم وغيرهما/١٢فتح.

(٤) لا بالسيف قيل: ابن سلول أوسي، وذلك الصحابى خزرجي، فهذه هى الأولى لا أنه سبب آخر للنزول/١٢منه.

صدرت منها البغي، ﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾: ترجع، ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: حكمه، ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، قيد بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف لما أنه بعد المقابلة[1]، ﴿وَأَقْسِطُوا[2]﴾: اعدلوا فى الأمور، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: من حيث الدين، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، عدل من بينهم إلى بين أخويكم للدلالة على أن المصالحة بين الجماعة أوكد وأوجب إذا لزمت بين الأقل، فبين الأكثر ألزم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا
نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟
بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ
إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا
خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟
وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(١) يعنى الناصح المصلح لما تقاتل مع الباغى ربما أثار غضبه، فحين الإصلاح لا يراعى العدل، ويحيف على أحد الطائفتين إن قاتلها، فلهذا قيده هاهنا بالعدل دون الأول/١٢منه.

(٢) والقسط بفتح القاف الجور، وبكسرها العدل/١٢وجيز.

لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل
لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾، القوم للرجال خاصة[1]، ﴿**عَسَى أَنْ يَكُونُوا**﴾: المسخور هم، ﴿**خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾: من الساخرين استئناف علة للنهي، واكتفى "عسى" بالاسم عن الخبر، ﴿**وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**﴾: عند الله، ﴿**وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾: لا يعب بعضكم بعضًا، وإن عيب أخيه عيب نفسه، أو لأن المؤمنين كنفس واحدة، واللمز الطعن باللسان، ﴿**وَلا تَنَابَزُوا**[2] **بِالأَلْقَابِ**﴾: لا يدعوا بعضكم بعضًا باللقب السوء والنبز مختص باللقب السوء عرفًا، ﴿**بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾ يعني: إن السخرية واللمز والتنابز فسوق، وبئس الذكر الذى هو الفسوق بعد الإيمان يعني: لا ينبغى أن يجتمعا، فإن الإيمان يأبى الفسوق، أو كان فى شتائمهم: يا يهودي، يا فاسق، لمن أسلم فنهوا عنه، وقال: بئس تشهير الناس بفسق كانوا فيه بعدما اتصفوا بضده، ﴿**وَمَنْ لَمْ يَتُبْ**﴾: عما نهى عنه، ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ**

---

(١) كما قال زهير:

أقوم آل حصن أم نساء؟/١٢منه.

(٢) والتنابز بالألقاب عادات أهل الجاهلية، وبئس الصفة، والذكر الذى هو الفسوق بعد الإيمان يقال: طار اسمه فى الناس أي: ذكره/١٢منه.

الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ: وهو ظن السوء بأخيك المسلم، **﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**: فكونوا على حذر حتى لا توقعوا فيه، **﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾**: لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، **﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾**، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، مع أنه فيه، فإن لم يكن فيه، فبهتان، **﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾**، تمثيل لما ينال من عرضه على أفحش وجه، **﴿مَيْتًا﴾**، حال من اللحم، أو الأخ، **﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾**، الفاء فصيحة[1] أي: إن عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، فهو تقرير وتحقيق للأول، **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾**: بليغ فى قبول التوبة، **﴿رَحِيمٌ[2]﴾**، روى الإمام أحمد،والبيهقى أنه قيل: يا رسول الله فلانة وفلانة صائمتان وقد بلغتا الجهدَ، فقال: "ادعها"، فقال لإحداهما: "قيئ"، فقاءت لحمًا ودمًا عبيطًا وقيحًا، وللأخرى مثل ذلك، ثم قال عليه الصلاة والسلام إن هؤلاء[*] صامتا عما أحل الله، وأفطرتا عما حرم الله عليهما أتت إحدهما للأخرى، فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحًا"[**] **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾**: آدم وحواء فأنتم متساون فى النسب، فلا تفاخروا به، **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾**، الشعب بالفتح رءوس القبائل، والطبقة الأولى، والقبائل تشعبت منه، **﴿وَقَبَائِلَ﴾**، هى دون الشعب

---

(١) وفى هذا الفاء معنى الشرط نحو: فقد جئنا خراسانا، فلذلك قدرنا الشرط/١٢ منه.

(٢) ولما منع عن الأذى بكل وجه أعقبه بأن الكل متساوون فى النسب متشاركون فى الجد والجدة فالكل كواحد، فقال: "يا أيها الناس إنا خقلناكم" الآية/١٢.

(*) هكذا بالأصل، وعند الإمام أحمد "إن هاتين".

(**) أخرجه أحمد (٤٣١/٥) بسند فيه مجهول، وانظر الضعيفة .

كتميم من مضر، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضًا لا للتفاخر، وفى الحديث[1] "لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحاكم، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل"، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، بين الخصلة[2] التى بها فضل الإنسان غيره، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[3]﴾: ببواطنكم فى الحديث[4] "لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان" ومن ذلك ذهب من ذهب إلى أن الكفاءة فى النكاح لا يشترط سوى الدين، ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾، قيل: نزلت[5] فى قوم منافقين أظهروا الإيمان لأن يعطوا الصدقة، ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾: يعنى كذبتم[6]، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، فإن الإسلام انقياد وإظهار للتوحيد، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِى

---

(١) رواه الترمذي/١٢وجيز.

(٢) يعنى إن أكرمكم عند الله مستأنفة كأنه لما قال ليس التشعب والقبائل للتفاخر قيل، فبأى شيء التفاخر ومن الذى يستحق المفخرة؟ فقيل: من هو أتقى الله وأخشى له/١٢منه.

(٣) ولما أمر الله بإجلال نبيه، ونهى عن أذاه فى نفسه وأمته وأخبر بأنه خبير يعلم ما فى صدوركم فما الخلاص من سخطه إلا بالتقوى والإخلاص أعقبه بالذى ينجي، وهو التقوى، فقال: "قالت الأعراب آمنا" الآية/١٢وجيز.

(٤) فى مسند أبى بكر البزار[وأخرجه الترمذى أيضًا بنحوه، وانظر صحيح الجامع(٥٤٨٢)]/١٢منه.

(٥) ذكرنا سبب النزول بقيل مع أن البخارى ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين، لأن الأكثرين من السلف صرحوا بخلافه كما بينا فى آخر الآية/١٢منه.

(٦) عبر عن كذبتم بقوله: "لم تؤمنوا" لأنه ما أراد أن يكافحهم بنسبة الكذب وفيه تعليم وأدب حسن/١٢منه.

﴿قُلُوبِكُمْ﴾، حال من فاعل قولوا كأنه قال، لا تقولوا آمنا؛ بل قولوا حال كون قلوبكم لم يواطئ ألسنتكم أسلمنا، وزيادة ما فى لم لمعنى التوقع، فإن هؤلاء قد آمنوا بعد، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: سرًّا وعلانية، ﴿لا يَلِتْكُمْ﴾: لاينقصكم، ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾: من جزائها، ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وعن ابن عباس، والنخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير: إن هؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، لكن مسلمون ادعوا لأنفسهم أول ما دخلوا فى الإسلام مقام الإيمان الذى هو أعلى من الإسلام، و لم يتمكن الإيمان فى قلوبهم، فأدبهم الله، وأعلمهم أن ذلك مرتبة تتوقع منهم، و لم يصلوا إليها بعد، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا[1]﴾: لم يشكوا فى الرسالة، وثم للتراخى الزمانى أي: آمنوا، ثم لم تحدث ريبة كما تحدث للضعفاء بعد زمان، أو للتراخى الرتبي، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: فى ادعاء الإيمان، ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتخبرون الله به بقولكم: "آمنا"، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ أي: بأن أسلموا نزلت[2] فى بنى أسد حين قالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب و لم نقاتلك، ﴿قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَى إِسْلامَكُمْ﴾ أي: بإسلامكم، فنزع الخافض، أو منصوب بتضمين الاعتداد أي: لا تعتدُّوا على إسلامكم، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فى ادعاء الإيمان أولا نفى الإيمان عنهم وأثبت الإسلام، وأنكر منتهم عليه بالإسلام، ثم قال: بل لو صح

---

(١) بتشكيك مشكك من إنس وجن/١٢وجيز.

(٢) ذكره الحافظ أبو بكر البزار[وكذا ذكره الهيثمى فى "المجمع" (١١٢/٧) وقال: "رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح"]/١٢منه.

ادعاؤهم الإيمان الذين هو أعلى من الإسلام فلله المنة عليهم بالهداية[1] له، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾: ما غاب فيهما، ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾: فكيف يخفى عليه دينكم؟!.

والحمد لله والمنة.

---

(١) اعلم أن هذا التوجيه يصح إذا كان قائل آمنا والمان على رسول الله إسلامه قومًا واحدًا، وهو كذلك، فإن الشيخ أبا الفداء عماد الدين بن كثير نقل فى تفسيره عن مجاهد أن الأعراب الذين قالوا آمنا بنو أسد، وقوله: "يمنون عليك أن أسلموا" أنزل فيهم، وقد ذهب البخاري، وبعض المفسرين: إن هؤلاء الأعراب منافقون/١٢وجيز، وكذا فى المنهية.

سورة ق مكية

وهى خمس وأربعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا
شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ
ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ
مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ
۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧
تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ
جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا
بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ
۝١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ۝١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥ ﴾

﴿ق﴾، مثل ص، وقد مر وقيل: من أسماء الله تعالى، أو معناه: قضى الأمر، أو مفتاح أسماء الله تعالى التى فى أوائلها "ق" كالقدير[1]، وغيره[2]، **﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾**: ذى

---

(١) وقيل غير ذلك مما هو أضعف منه وأبطل، والحق أنه من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وقد روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس أثرا طويلا فى بيان جبل "ق" قال ابن كثير: لا يصح سنده عنه، وفيه أيضا انقطاع/١٢فتح.

(٢) كالقابض، والقاهر، والقدوس/١٢منه.

المجد والشرف، وجواب القسم مثل ما مر فى ص، ﴿بَلْ عَجِبُوا[1]﴾: الكافرون، ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، فإنهم قالوا: الرسول إما ملك، أو من معه ملك، أو بشر لا يحتاج إلىٰ كسب المعاش، ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وضع الظاهر موضع المضمر للشهادة على أنهم فى هذا القول مقدمون على الكفر،وهذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده، وهو قوله: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي: أنرجع حين نموت ونبلي؟! ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: عن العادة والإمكان، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ[2]﴾: ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم، ومن كان كذلك فهو قادر على رجعهم، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾: حافظ لتفاصيل كل شيء، أو محفوظ من التغيير، وهو اللوح المحفوظ، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كأنه قال، بل جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم، وهو إنكار القرآن من غير تأمل وتوقف، ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: مضطرب، فمرة قالوا: شعر ومرة: سحر، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾: حين أنكروا البعث، ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ أي: كائنة فوقهم، ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾: بالكواكب، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾: من فتوق، بل ملساء لا فتق فيها ولا خلل، ﴿وَالْأَرْضَ﴾، عطف على محل السماء، أو نصب بما أضمر عامله وتقديره، ومددنا الأرض فلينظروا إليها، ﴿مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها، ووسعناها قيل: فيه إشعار بأنها غير كُرّية، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالا ثوابت، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف، ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن، ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾، مفعول له للأفعال المذكورة كأنه قال جمعت بين ذلك تبصرة، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى ربه متفكر فى بدائعه،

---

(١) إضراب عما يتضمنه الكلام من وجوب القبول والإذعان/١٢منه.

(٢) وفى الخبر الثابت: "إن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب"[أخرجاه فى الصحيحين]، وهو عظم صغير جدا منه يركب ابن آدم/١٢وجيز.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّات ﴾: أشجارًا، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: حب الزرع الذى يحصد كالحنطة والشعير، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَات﴾: طوالا شاهقات، حال مقدرة، ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ هو أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نَضِيدٌ﴾: منضود بعضه على بعض فى أكمامه، والمراد كثرة ما فيه من الثمر، ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾، مفعول له لأنبتنا، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: بالماء، ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾: أرضًا لا نماء فيها، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ[1]﴾: من القبور، ﴿كَذَّبَتْ[2] قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾، أراد قومهم، ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ أي: قومهم، وسماهم إخوانه لقرابته القريبة، ﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾، سبق فى الدخان، ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد من هؤلاء، ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجب عليهم عذابي، ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ أي: إنا لم نعجز كما علموا عن بدء الخلق حتى نعجز عن الإعادة، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم لا ينكرون قدرتنا، بل هم فى شبهة من البعث.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ

---

(١) من القبور، وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث ذكر فى السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفى الفروج، وفى الأرض ثلاثة المد مقابلا بالبناء لأن البناء رفع، والمد وضع، وإلقاء الرواسى بالتزيين لارتكاز كل منهما والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، ونبه فيما تعلق به الإنبات فيما يقطف، ويبقى أصله على طريقة البعث وكيفيته/١٢وجيز.

(٢) ولما ذكر قوله: "بل كذبوا بالحق" أعقبه من كذب الأنبياء وتسلية لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "كذبت قبلهم" الآية/١٢وجيز.

مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ
مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا
سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ
ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ
فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ
ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: ما يخطر بضميره، "ما" موصولة والباء صلة لتوسوس أي: الذى تحدث نفسه به أو مصدرية، والباء للتعدية والضمير للإنسان، **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ[1] إِلَيْهِ﴾** المراد قرب علمه منه فتجوز بقرب الذات،

---

(١) قال شيخ الإسلام -أبو العباس أحمد بن عبدالحليم رحمه الله فى شرح حديث النزول: وجميع ما وصف به الرب عز وجل نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما فى المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص وأما قربه ما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب منه كالداعى والعابد، وكقربه عشية عرفة ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج، ثم أطال الكلام فى ذلك إلى أن قال: وليس فى القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلا، بل قربه الذى فى القرآن خاص لا عام كقوله تعالى: "وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"[البقرة:١٨٦] فهو سبحانه قريب ممن دعاه إلى أن قال: أما قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" وقوله:
=

لأنه سبب أو المراد قرب الملائكة منه، ﴿مِنْ حَبْلِ﴾: عرق، ﴿الْوَرِيدِ﴾: عرق العنق،

= "فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون"[الواقعة:٨٢-٨٥] فالمراد به قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله، ولكن لا تبصرون الملائكة، وقد قال طائفة: ونحن أقرب إليه بالعلم، وقال بعضهم: بالعلم والقدرة والرؤية، وهذه الأقوال ضعيفة فإنه ليس فى الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا إلى أن يقولوا بالعلم والقدرة، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية إلى أن قال: وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه، وقد ذكر ابن عبدالبر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس، والضحاك، ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ثم أطال الكلام فى معية القرب إلى أن قال: ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم لأنه قال: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد" فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين فلا يجعل أحدهما هو الآخر، وقيد القرب بقوله: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" وأما من آمن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، وأن ذاته أقرب إلى الميت من أهله، فهذا من غاية الضعف إلى قوله: وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة، فإنه قال: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" فقيد القرب بهذا الزمان وهو زمان تلقى المتلقيان عن اليمين، وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" إلى آخر ما قال رحمه الله.

والإضافة بيانية، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾: يتلقن بالحفظ، ﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾: الملكان الحفيظان، إذ ظرف لأقرب، وفيه إشعار بأنه تعالى غنى عن استحفاظ الملكين لكن إقامتهما لحكمة، أو إذ تعليل لقرب الملائكة، ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: قعيد، ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، حذف المبتدأ من الأول لدلالة الثانى عليه، وقيل: الفعيل للواحد والجمع، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ﴾: لدى القول، أو الإنسان، ﴿رَقِيبٌ﴾: ملك يرقبه، ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضر، وهل يكتب كل شيء؟ فيثبت فى القيامة ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره، أو لا يكتب إلا الخير والشر؟ فيه خلاف بين السلف، والقرآن يشعر بالأول، ولو قيل: المراد من قوله إلا لديه[1] رقيب ملك يسمعه لا يحفظه، ويكتبه فقلنا: فالمناسب رقيبان، لأن السماع لا يختص بواحد، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدته، ﴿بِالْحَقِّ﴾، الباء للتعدية أي: أتت بحقيقة الأمر الذى كنت تمترى فيه، ﴿ذَلِكَ﴾: الحق، ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تميل فلم تقربه، لما ذكر إنكارهم البعث، واحتج عليهم بشمول علمه وقدرته أعلمهم أن ما أنكروه يلاقون عن قريب فنبه على الاقتراب بلفظ الماضي، أو معناه جاءت سكرته متلبسة بالحكمة ذلك الموت ما كنت تفر منه، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: نفخة البعث، ﴿ذَلِكَ﴾: النفخ أي: وقته، ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾: من الملك يسوقه إلى الله تعالى، ﴿وَشَهِيدٌ﴾: منه يشهد عليه بأعماله فمعه ملكان، وعن بعض المراد من الشهيد[2] جوارحه، وكل نفس وإن كان نكرة صورة، لكن معرفة معنى، لأنه بمعنى النفوس فجاز أن يكون ذا الحال، ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي: يقال لكل نفس، فإن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا يقظة، ﴿فَكَشَفْنَا

---

(١) يعنى لو قال قائل: لا نسلم أن هذه الآية مشعرة بالأول لأن الآية بيان لأن عند كل كلمة ملك، وهذا لا يدل على أنه يكتبها فأجاب بما أجاب فتأمل فإنه دقيق/١٢منه.

(٢) روى ذلك عن ابن عباس والضحاك/١٢منه.

عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: حتى عاينته، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: نافذ لزوال الحاجب، وعن بعض الخطاب[1] للكفار، والمراد من الغفلة الإنكار، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٌ﴾ أي: قال الملك -الموكل عليه: هذا ما لدى من كتاب أعماله حاضرًا، وقال ملك - يسوقه: هذا شخص لدى حاضر قيل: القرين الشيطان[2]، ومعناه هذا شيء عندي، وفى ملكتى عتيد لجهتم هيأته بإغوائى لها، وعتيد خبر بعد خبر إن جعلت ما موصولة وصفة لما إن جعلتها موصوفة، قيل: هذا إشارة إلى مبهم يفسره جملة "ما لدى عتيد" ﴿أَلْقِيَا﴾: يا أيها السائق، والشهيد، وقيل: الخطاب للملكين من خزنة النار، ومن قال: الشهيد جوارحه يقول: هو خطاب الواحد بلفظ التثنية على عادة العرب خليلى صاحبي،﴿فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: معاند، ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: لما يجب عليه من الزكاة، أو لجنس الخير أن يصل إلى أهله، ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم، ﴿مُرِيبٍ﴾: شاك فى التوحيد، ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ "الذي" مبتدأ، أو "فألقياه" خبره أو بدل من "كل كَفَّار" والعذاب الشديد نوع من عذاب جهنم، فكان من باب عطف الخاص على العام، ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: الشيطان الذى قيض له، ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: ما أضللته، هذا جواب لقول الكافر[3]، هو أطغاني، ﴿وَلَكِنْ

---

(١) هو قول الضحاك وصالح بن كيسان/١٢منه.

(٢) ذكر الزمخشرى أن المراد من القرين الشيطان الذى قَيَّضَ هذا شيء لدي، وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها بأن أغويته، وقال: قوله بعد ذلك "وقال قرينه ربنا ما أطغيته" يدل عليه، وهو الذى قاله ليس ببعيد لكن السلف صرحوا على خلاف ذلك، ولذلك ما تعرضنا عليه فى الأصل إلا بصيغة التمريض/١٢منه.

(٣) ولذلك استؤنفت الجملة وأخليت من الواو، وأما قوله: "وقال قرينه" بالواو فللدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول، أعنى مجيء كل نفس مع الملكين، وقول قرينه ما قاله له/١٢وجيز.

﴿كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾: عن الحق يتبرأ منه شيطانه كما قال تعالى حكاية عنه: "وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم"[إبراهيم:٢٢] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾، الواو للحال أي: لا تختصموا عالمين[1] بأنى أوعدتكم على الطغيان بلسان رسلي، والباء مزيدة، أو للتعدية على أن قدم بمعنى تقدم، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: لا تبديل ولا خلف لقولي، وقيل: لا يغير القول على وجهه، ولا يمكن الكذب عندى وإنى أعلم الغيب، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: فأعذبهم بغير جرم، قيل: جملة "ما يبدل" مفعول قدمت، و"بالوعيد" حال أي: قدمت إليكم هذا موعدًا لكم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

---

(١) لتصح على ما فسرنا جواز كون "وقد قدمت" حالا من "ولا تختصموا" واندفع إشكال أن التقديم بالوعيد فى الدنيا، والخصومة فى الآخرة فكيف يمكن أن يكون حالا، وقيد أمنه، وله واجتماعهما فى زمان واحد واجب/١٢منه.

وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ
وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ
﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ
وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾، نصبه بتقدير نحو: اذكر، أو بظلام، **﴿هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ﴾** جهنم: **﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾**، تطلب المزيد، وفي الصحيح لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروى بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط"(*)، أو تستبعد الزيادة لفرط كثرتهم(١) فالاستفهام حينئذ للإنكار، أي: قد امتلأت، وعلى هذا إنما هو بعد ما يضع الرب فيها قدمه فيتروي، والسؤال والجواب على حقيقته(٢)، **﴿وأُزْلِفَتِ﴾**: قربت، **﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾**، نصب على الظرف أي: مكانًا غير بعيد بمرأى منهم بين يديهم أو حال، ومعناه التوكيد كعزيز غير ذليل، والتذكير لأن البعيد على زنة المصدر، أو لأن الجنة بمعنى البستان، **﴿هَـذَا﴾** أي: يقال لهم هذا، **﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾**: رجاع إلى الله تعالى، **﴿حَفِيظٍ﴾**: حافظ لأمر الله تعالى ولكل بدل من للمتقين **﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾**، بدل بعد بدل أو بتقدير أعني أو

(*) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(١) أي: لفرط كثرة أصحابها، فالاستفهام للإنكار نحو: هل ترك لنا عقيل من دار"[لفظ حديث أخرجاه في الصحيحين]، أي: ما ترك، وعلى هذا يكون القول منهما بعد وضع الرب قدمه فيها/١٢وجيز.

(٢) ولا حاجة إلى أن نقول أنه من باب التمثيل والتخييل فنعدل عن الظاهر الدال عليه أحاديث الصحاح/١٢منه.

هم، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عن الأعين أي: خاف الله تعالى فى سره أو غائبًا عن عقابه لم يراء أو حال من المفعول أي: خشى عقابه حال كون العقاب غائبًا، ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: راجع إلى الله تعالى خاشع، ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿بِسَلَامٍ﴾: سالمين من المكاره، أو مسلمين من الله تعالى وملائكته، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾: يوم تقدير[1] الخلود، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا﴾: مما لم يخطر ببالهم، ﴿مَزِيدٌ وَكَمْ أَهْلَكْنَا[2] قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: جماعة من الناس، ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: قوة، ﴿فَنَقَّبُوا﴾: تصرفوا، ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾: مفر لهم من قضاء الله تعالى، وهل نفعتهم القوة فأنتم أيضًا لا مفر لكم، أو معناه: فبحثوا وطلبوا، وفتشوا فى البلاد هل من محيص من الموت، فلم يجدوا قيل: معناه فنقبوا وساروا أي: أهل مكة فى أسفارهم فى بلاد القرون، فهل رأوا لهم محيصًا حتى يتوقعوا لأنفسهم، وقراءة الشاذة "فنقبوا" بصيغة الأمر تدل على هذا الوجه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: المذكور فى هذه السورة، ﴿لَذِكْرَى﴾: تذكرة[3]، ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: واع متفكر فإن من لا يعى فكأنه لا

---

(١) قيدنا التقدير، لأن ذلك إشارة إلى زمان الدخول، فهو كقوله: "ادخلوها خالدين"[الزمر:٧٣] فإنه حال مقدرة، قال صاحب الكشف: لا نقدر شيئًا لأن ابتداء الخلود من ذلك الزمان كما تقول: زمان الرمى يوم العيد، والحاصل أن ملابسة اليوم للخلود، وللدخول كافية فى اتحاد زمانيهما لكن فيه توسع فاش على أنه جاز أن يكون من باب هذا آخرك فلا يكون إشارة إلى سابق، ويوم الخلود على حقيقته لأن جميع الأبد الذى هم فيه يوم واحد/١٢منه.

(٢) ولما أثبت لكل من الكافرين والمؤمنين ما يليق بهم هدد الكافرين لئلا يكونوا من أهل المزيد فى جهنم فقال: "وكم أهكلنا"الآية/١٢وجيز.

(٣) أى: تذكرة لإحدى الطائفتين: من له قلب يفقه عن الله، ومن له سمع مصغ من ذهن حاضر، أى: لمن له استعداد القبول عن الفقيه وإن لم يكن فقيها فى نفسه/١٢منه.

قلب له، ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أصغى القرآن، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بذهنه، فإن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، مر تفسيره، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: تعب وإعياء، وهذا رد قول اليهود: إن الله تعالى فرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت، ويسمونه يوم الراحة، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: المكذبون، ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزهه، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: متلبسًا بحمده، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعني: الفجر والعصر فإنهما وقتان فاضلان، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ[1] السُّجُودِ﴾: أعقاب الصلاة، والمراد التسبيح دبر الصلوات، أو المراد صلاة الفجر وصلاة العصر، وصلاة التهجد، وفى بدء الإسلام قبل الإسراء الفرائض هذه الثلاثة، ثم نسخت بخمس صلوات فى ليلة الإسراء، والمراد من أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وعليه عمر، وعلي، والحسن، وابن عباس، وغيرهم -رضى الله عنهم﴿وَاسْتَمِعْ﴾: يا محمد لما أخبرك به من أحوال يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾: إسرافيل، ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من السماء، وهى صخرة بيت المقدس أقرب أجزاء الأرض من السماء ينادي: أيتها العظام البالية، واللحوم المتمزقة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، ونصب يوم بمقدار، أي: يخرجون من القبور، والدال عليه ذلك يوم الخروج، ويمكن أن يكون "واستمع" عطفًا على اصبر، أي: اصبر اليوم على مقالاتهم، واستمع يوم القيامة عجزهم وندامتهم، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾، بدل من "يناد"، ﴿الصَّيْحَةَ﴾: نفخة البعث، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متعلق بالصيحة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: من القبور بدل بعد بدل ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ : للجزاء، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ أي: تتشقق بدل بعد بدل، أو ظرف للمصير، ﴿الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: مسرعين، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾: لا على غيرنا، ﴿يَسِيرٌ﴾:

(١) والأدبار جمع دبر، والإدبار بالكسر الانقضاء أي: وقت القضاء السجود/١٢منه.

فإنه لا يتيسر لغير من هو كامل القدرة، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، تهديد للكفار، وتسلية له -عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ[1]﴾: فتجبرهم على الهداية[2] إنما أنت منذر، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَّخَافُ وَعِيدِ﴾: فإن من أصر على الكفر لا ينتفع به.

اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك.

---

(١) لا يجوز أن يكون عليهم خبرًا وبجبار خبرًا ثانيًا تمنع دخول الباء على الخبر حينئذ فلا يجوز ما أنت واليا بجبار، فافهم/١٢منه.

(٢) على ما فسرنا جاز أن يكون الجبار بمعنى المسلط، وهو الأولى، وجاز أن يكون من جبر فلان فلانا بمعنى أجبره، ويكون "عليهم" حالا مقدمًا أي: واليا عليهم/١٢منه.

سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ
أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ
۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ
۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ
هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤
إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ
ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ
يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ
لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ
۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ أي: الرياح، فإنها تذرو التراب، وغيره، ﴿ذَرْوًا[1]﴾ ﴿فَالْحَامِلاتِ﴾: السحاب، فإنها تحمل المطر، ﴿وِقْرًا[2]﴾: حملا، ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾: السفن التي تجري في

---

(١) مفعول مطلق لقوله: "والذاريات" لأن معناه الذي تذرو ذروًا، وكذا وقرًا، وأما أمرًا في قوله: "فالمقسمات أمرًا" فهو مفعول به للمقسمات، وهي تعمل لاعتمادها على الألف واللام/١٢منه.

(٢) الفاء لترتيب الإقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة كما مر في سورة "والصافات"/١٢منه.

البحر، ﴿يُسرًا﴾ أي: جريًا ذا يسرٍ، أي: ذا سهولة، وعن بعض هي النجوم تجري بسهولة في أفلاكها، ﴿فَالْمُقَسِّمَات﴾: الملائكة، ﴿أَمْرًا﴾: يقسمون الأمور بين الخلائق[1]، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: البعث جواب للقسم، وما مصدرية، أو موصولة، ﴿لَصَادِقٌ﴾، هو كعيشة راضية، ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾: الجزاء، ﴿لَوَاقِعٌ﴾: حاصل، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ[2]﴾: الحسن والبهاء[3]، أو لها حبك كحبك الرمل إذا ضربته الريح، وحُبُكِ شعر الجعد، ولكنها لا يرى لبعدها، أو ذات الشدة، أو الصفاقة، أو النجوم، ﴿إِنَّكُمْ﴾: أيها المشركون، ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾: مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع في أمر الدين جواب للقسم، ﴿يُؤْفَكُ﴾: يصرف، ﴿عَنْهُ﴾: عن الدين، أو عن ما توعدون، ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: من صرف أي: يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا أشد منه، والمبالغة من إسناد الفعل إلى من وصف به، وهو قريب من قوله: "فغشيهم من اليم ما غشيهم [طه:٧٨] أو يصرف عن الهداية بسبب قول مختلف من صرف، فعن بمعنى السبب، والأجل، والضمير للقول، فإنهم كانوا يتلقون من يريد الإيمان يقولون: إنه ساحر مجنون كذا وكذا، فيصرفونه عن الإيمان، ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: الكذابون ممن يختلف قولهم، والمراد من هذا الدعاء اللعن، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: جهل يغمرهم، ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون، ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى وقوع يوم

---

(١) اتفق على ما فسرنا جمع من السلف كابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن جبير، وقتادة، وهو المنقول بروايات متعددة عن علي بن أبي طالب، وروى الحافظ أبو بكر الرازي على ذلك حديثًا مرفوعًا/١٢منه.

(٢) الحبك: تكسر كل شيء كالرمل والماء من هبوب الريح عليه، أو ذات الشدة، أو ذات الطرق/١٢وجيز.

(٣) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وكثير من السلف/١٢ منه.

الجزاء[1]، ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون، ونصب يوم على الظرف أي: يقع يوم، ﴿ذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾: عذابكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: تستعجلون به في الدنيا سخرية.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: من النعيم راضين به، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في الدنيا، ﴿مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا أعمالهم، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ[2]﴾: ينامون، فما زائدة، ويهجعون خبر كان، وقليلا إما ظرف أي: زمانًا قليلا، ومن الليل إما صفة، أو متعلق بيهجعون، وإما مفعول مطلق أي: هجوعًا قليلا، ولو جعلت ما مصدرية فما يهجعون فاعل قليلا ومن الليل بيان، أو حال من المصدر، ومن للابتداء، وأما جعلها نافية[3] أي: الهجوع في قليل من الليل منتف بمعنى إن عادتهم إحياء جميع أجزاء الليل، فلا نوم لهم أصلا، أو إن عادتهم التهجد في جميع الليالي، فلا يمكن أن يناموا جميع ليل واحد فجائز عند من يجوز تقديم معمول ما النافية إذا كان ظرفًا، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ[4]﴾: نصيب، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: هو من ليس له في بيت المال سهم، ولا كسب له ولا

---

(١) قدرنا المضاف في: "أيان يوم الدين"، لأنه لا يسأل بأيان إلا عن الحدث كما تقول: أيان القدوم؟ فيقال: يوم كذا، والسؤال سؤال تكذيب واستهزاء/١٢منه مع الوجيز.

(٢) لما ذكر الله تعظيم نفسه أشار إلى الشفقة على خلقه، فقال:" وفي أموالهم" الآية/١٢كبير.

(٣) كلام ابن عباس وقتادة ومجاهد وأنس بن مالك وأبي العالية على أن ما نافية، والأول قول الحسن البصري/١٢منه.

(٤) والظاهر أنهم جعلوا من أموالهم للفقراء، فالمراد صدقة التطوع مع أنه في سلك غير الواجب، ولما ذكر في البين أحوال المصدقين عاد إلى ما كان فيه من إثبات البعث فقال: "وفي الأرض آيات" الآية/١٢وجيز.

حرفة، أو من لا يسأل الناس فيحسب غنيًّا، أو المصاب ماله، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: دلائل على قدرته وصنعه لا يدركها إلا من يطلب اليقين، لما ذكر في البين أحوال المصدقين بالبعث وأوصافهم عاد إلى ما كان فيه من إثبات القيامة والبعث، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ[(١)]﴾: آيات هي عجائب ما في الآدمي[(٢)]، ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾: بنظر الاعتبار، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر الذي هو سبب الرزق من جانب السماء، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: الجنة، وقيل: الرزق في الدنيا والثواب في العقبى كله مقدر في السماء، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون، أو المذكور من الآيات والرزق وغيرهما، ﴿لَحَقٌّ﴾: واقع، ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ[(٣)]﴾ أي: مثل نطقكم، صفة لحق، ومن نصب مثل أراد حقًّا مثل نطقكم فكما أن نطقكم متحقق فهذا أيضًا كذلك.

---

(١) وهذا كقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم"[فصلت:٥٣] أي: سنواتر عليهم الآيات معرضة رأي عين من نحو ما قد كررنا في أنفسهم من كيفية الخلق، ومنح السمع والبصر، والفؤاد، وحفظها، وسائر أحوالهم الخاصة وعوارضهم، وفي الآفاق من آيات السماء والأرض وما بينهما من الرعد والبرق، والسحاب والمطر، والنجوم والنبات، وغير ذلك من معتاد مستمر، وخارق ونادر حتى تزول الشبه بلا كثير نظر، وكد وكد مكره حتى لا يهلك على الله إلا هالك، وشارد شراد البعير. صدق الله العظيم، ونشهد له بذلك، وننكر قول أفراد من مقلدي المتكلمين: إن ذلك إنما يفيد الظن كما ذكره التفتازاني/١٢.

(٢) في ظاهره وباطنه من صغره إلى كبره/١٢.

(٣) ولما ذكر أن في السماء والأرض والأنفس آيات أعقبه بقصص مذكورة لأن من السماء رجمهم، ومن الأرض خسفهم، ومن البحر غرقهم، وفي ذلك تهديد وموعظة وتسلية فقال: "هل أتاك حديث ضيف إبراهيم" الآية.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾
فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ
وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ
فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾
لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى
مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ
كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟
مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، فيه تعظيم لشأن الحديث، وتنبيه على أنه إنما عرفه بالوحي، **﴿الْمُكْرَمِينَ﴾**: عند الله تعالى، وعند إبراهيم -عليه السلام- والضيف للواحد، والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر والحكاية قد تقدمت في سورة "هود"، و"الحجر" **﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾**، ظرف للحديث، أو بتقدير اذكر، **﴿فَقَالُوا سَلامًا﴾**:

نسلم عليكم سلامًا، ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ أي: عليكم سلام عدل إلى الرفع، ليدل على الثبات، فعمل بقوله تعالى: "فحيوا بأحسن منها"[النساء:٨٦]، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم لا نعرفكم، ﴿فَرَاغَ﴾: ذهب، ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾: بخفية، فمن أدب المضيف أن يخفي إتيانه بالضيافة عن الضيف، ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ﴾: مشوي، ﴿سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ[١] إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾: منه، ذكره بصيغة العرض تلطفًا في العبارة، ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أضمر، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: خوفًا، لما رأى أنهم لا يأكلون ﴿قَالُوا لا تَخَفْ﴾: إنا رسل الله تعالى، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾، هو إسحاق[٢]، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي: جاءت صارة صائحة، أو أخذت في الصيحة كقولك: أقبل يشتمني، ولا إقبال ولا إدبار، ﴿فَصَكَّتْ﴾: لطمت، ﴿وَجْهَهَا﴾: تعجبًا كما هو عادة النساء من الأمر الغريب، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا ﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: قال الله مثل ما بشرناه فواقع البتة، فكذلك مفعول قال، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: ما شأنكم؟ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: قوم لوطٍ، ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ أي: السجيل، ﴿مُسَوَّمَةً﴾: معلمة مكتوبًا على كل حجر اسم من يهلك به، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾: في قرى قوم لوط، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بلوطٍ، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾: أهل بيت، ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هم لوط، وأهل بيته إلا امرأته، ولو قلنا إن كل مؤمن مسلم من غير عكس لصح معنى الآية، فلا يستدل عليها باتحاد مفهوميهما[٣]، ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾: في القرى، ﴿آيَةً﴾: علامة، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ

---

(١) فيه أدب الضيف، وفيه العرض على الأكل تأنيسًا/١٢وجيز. حاشية صـ٣١٠.

(٢) وفيه بشارتان أحدهما أنه ذكر، والأخرى أنه كامل/١٢وجيز.

(٣) كما استدل الزمخشري/١٢وجيز.

﴿الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾: وقد بقى فيها آثار العذاب، ﴿وَفِي مُوسَى﴾، عطف[1] على فيها أي: وجعلنا في موسى آية، فهو من قبيل علفتها تبنًا وماءً باردًا وقيل[2]: عطف على وفي الأرض، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: معجزة ظاهرة، ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بِرُكْنِهِ﴾، الباء للتعدية، أي: أعرض به نحو: نأى بجانبه، أو للسببية أي: بسبب جنوده وملكه، ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ﴾: هو ساحر لما يظهر منه خارق العادة، ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾: لما يدعي خلاف العقل، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: طرحناهم، ﴿فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: حال كونه آت بما يلام عليه من الكفر والفجور، ﴿وَفِي عَادٍ[3]﴾: آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: المفسدة التي لا تنتج نفعًا، ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ﴾: مرت، ﴿عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالشيء البالي المتفتت، ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: آية، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا[4] حَتَّى حِينٍ﴾، وذلك حين عقروا الناقة قيل لهم: "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام"[هود:٦٥] وعلى هذا فالفاء في قوله: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ مرتب على تمام القصة، كأنه قيل: وجعلنا في ذلك الزمان آية، ثم أخذ في بيانه، فقال: "فعتوا". فلا يرد أن ما قيل لهم: تمتعوا، مؤخر عن استكبارهم، أو المراد من قوله: "إذ قيل لهم" إلخ فيهم آية، إذ متعناهم في الدنيا مدة وهديناهم، فعصوا واستحبوا العمى على الهدى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد ثلاثة أيام ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: إليها عيانًا، ﴿فَمَا

---

(١) الأولى أن يكون عطفًا على فيها في قوله: "وتركنا فيها" أي: في قصة موسى آية ولا حاجة إلى جعله من باب:
علفته تبنًا وماء باردًا/١٢وجيز.

(٢) ذكروه بصيغة التمريض لأنه بعيد لفظًا/١٢منه.

(٣) عطف على موسى/١٢.

(٤) لما بعث إليهم صالح أمروا بالإيمان، والتمتع بدنياهم إلى آجالهم المقدرة لئلا يعجلهم عذاب الله/١٢وجيز.

﴿اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ[1]﴾ فيهربوا من عذاب الله تعالى، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾: ممتنعين منه، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾، عطف على محل في عاد، وقراءة الجر يؤيده، أو نصب بمقدر أي: أهكلنا، أو اذكر، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بقوة، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: لقادرون، أو وسعنا السماء، ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: بسطناها ومهدناها لعبادي، ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾: نحن، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الأجناس، ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: نوعين كالسماء والأرض، والليل

---

(١) قيل: هذا من قولهم ما يقوم به إذا عجز ولم يقدر التحمل، وليس المراد القيام المعهود، "وما كانوا منتصرين": ممتنعين منه، وهذا التفسير للحسن -رضي الله عنه- وهو تفسير حسن لا غبار عليه/١٢وجيز.

والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة[1]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، مرتب على مجموع بناء السماء وغيره، ﴿فَفِرُّوا إِلَى[2] اللَّهِ﴾ أي[3]: فقل لهم فروا إليه من عقابه بطاعته، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: ما يجب أن يحذر، أو بين كونه منذرًا من الله بالمعجزات، ﴿وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، كرر للتأكيد، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ما أخبرتك من تكذيب الأمم رسلهم، ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا﴾ في شأنه: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضًا بهذا القول حتى اتفقوا على كلمة واحدة؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: تشابهت قلوبهم، ولهذا اتفقوا على تلك الكلمة لا لتواصيهم، ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض، ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: على الإعراض بعد ما بلغت رسالتك، ﴿وَذَكِّرْ﴾: لا تدع الموعظة، ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ[4]﴾ أي: من هو مؤمن في علم الله تعالى أو من آمن بزيادة بصيرته، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ[5]﴾ أي: إلا لأجل العبادة فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة، وهدوا إليها، فهذه غاية كمالية

---

(١) والسواد والبياض، والكفر والإيمان، وقيل: المراد من كل شيء من الحيوان خلقنا ذكرًا وأنثى/١٢منه

(٢) وفي الحديث "لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك"/١٢وجيز.

(٣) قدرنا قل لهم بدليل قول: "إني لكم منه نذير"/١٢منه.

(٤) والظاهر أن الأمر بالإعراض منسوخ بآية السيف، وعن علي بن أبي طالب: لما نزل حزن المؤمنون، فظنوا أنه مأمور بالتولي عن الجميع، وأن الوحي قد انقطع حتى نزل فسروا/١٢وجيز.

(٥) وقد ورد في بعض الكتب يقول الله تعالى: "يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب واطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء"/١٢منه.

لخلقهم وتعوق البعض عن الوصال إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وأما قوله: "ذرأنا لجهنم"[الأعراف:١٧٩] فلام العاقبة نحو: لدوا للموت، أو إلا لنأمرهم بالعبادة، أو ليقروا بي طوعًا[١] أو كرهًا أو المراد منهم المؤمنون، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ أي: يطعموني أي: ليس شأني مع عبادي كشأن السادة مع العبيد، وقيل إن يرزقوا أنفسهم، أو أحدًا من خلقي وإسناد الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله تعالى وإطعام العيال إطعامه، وفي الحديث القدسي "استطعمته فلم يطعمني"[*] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: لجميع خلقه، ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: المتين المبالغ في القوة، ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾: نصيبًا من العذاب، ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: من الأمم السوالف، ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾، كما قالوا: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"[يونس: ٤٨] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: يوم القيامة.

والحمد لله على الهداية.

---

(١) القول الثالث قول ابن عباس واختاره ابن جرير وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع، "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع الشرك، وفي قراءة ابن عباس "وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون" كما نقله البغوي/١٢منه.

(*) جزء من حديث أخرجه مسلم وغيره.

سورة والطور مكية

وهى تسع وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلطُّورِ (١) وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ (٤)
وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ (٥) وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ (٧) مَّا
لَهُۥ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ (١٥) ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (١٨) كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(١٩) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن
شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
(٢٢) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
(٢٥) قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا
عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨)﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ أقسم بجبل كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه بالأرض المقدسة، وأرسل منه موسى(*)، ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: مكتوب، ﴿فِي رَقٍّ﴾: صحيفة، ﴿مَنْشُورٍ﴾: مبسوط، والمراد اللوح المحفوظ، أو ما كتبه الله تعالى لموسى من الألواح، أو دواوين كرام الكاتبين، والتنكير[1] للتعظيم، ﴿وَالْبَيْتِ[2] الْمَعْمُورِ﴾: بيت فى السماء السابعة بحيال الكعبة يطوف به ملائكتها، وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، والذى فى السماء الدنيا اسمه بيت العزة، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ أى: السماء، أو العرش، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، هو بحر تحت العرش منه ينزل مطر يحيا[3] به الأجساد فى قبورها يوم المعاد، أو البحر الذى فى الدنيا، وهو مسجور أى: موقد يصير نارًا يوم القيامة محيطة بأهل الموقف[4] أو مملوء، أو ممنوع مكفوف أى: عن الأرض أن يغرق، وفى مسند الإمام أحمد قال -عليه السلام: "ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله تعالى(**)، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: نازل على الكافرين، ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾: من أحد يدفعه، ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾: تضطرب، ﴿السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ يعنى لأجل التشقق ظرف لواقع، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فتصير

(*) وفى النسخة ن: عيسى.

(١) فى قوله: "وكتاب مسطور"/١٢منه.

(٢) وفى الصحيحين وغيرهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال -فى حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: "ثم رفع لى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودن إليه"/١٢فتح.

(٣) هو قول ربيع بن أنس/١٢منه.

(٤) كذا قال على بن أبى طالب وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم/١٢منه.

(**) "ضعيف" انظر ضعيف الجامع (٤٩٣٥).

هباءً منبثا، ﴿فَوَيْلٌ﴾ أى: إذا وقع العذاب فويل، ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى: يلعبون فى الخوض فى الباطل، أو هم فى خوض فى الباطل[1] يلعبون بدينهم، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾: يدفعون ويساقون، ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: دفعًا بعنف، ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: يقال لهم ذلك تقريعًا، ﴿أَفَسِحْرٌ[2] هَذَا﴾ أى: يقال لهم ذلك كنتم تقولون للوحى المنذر عن هذه النار هذا سحر، فهذا الذى هو مصداقه سحر أيضًا دخلت الهمزة بين المعطوفين،والمشار إليه النار، وذكر لأنه فى تأويل المصداق، ﴿أَمْ[3] أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: لهذا كما كنتم لا تبصرون ما يدل عليه، وهذا تهكم وتقريع، ﴿اصْلَوْهَا﴾: ادخلوها، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾: فإنه لا محيص ولا مناص، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾، خبر محذوف أى: الأمر أن الصبر وعدمه مستو عليكم فى عدم النفع، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى: لأن الجزاء واقع لا محالة، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ﴾: متلذذين، ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أعطاهم ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، عطف على ما آتاهم بشرط أن تجعل ما مصدرية، وإلا فحال بإضمار قد، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أى: يقال لهم كلوا أكلا أو طعامًا واشربوا شربًا أو شرابًا هنيئًا لا تنغيص فيه، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بدله، أو بسببه، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾: موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ

---

(١) على الأول فى خوض ظرف ليلعبون، وعلى الثانى خبر، ويلعبون إما حال أو خبر بعد خبر/١٢منه.

(٢) والتذكير لإرادة المصداق، ودخلت الهمزة بين المعطوفين لأن فسحر عطف على قولهم هذا سحر للوحي، وهذا كما استدل أحد على مدعاه فقال الخصم: هذا باطل، فجاء بدليل أوضح، فقال: أفباطل هذا يعيره بالإلزام، وبأن مقالة الأولى كانت باطلة/١٢منه.

(٣) "أم" جاز أن يكون متصلة، وجاز أن يكون منفصلة، وعلى أى وجه يكون المقام للتقريع والتهكم/١٢منه.

بحُورٍ عِينٍ﴾، الباء لمعنى الوصل فى التزويج، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، يخبر تعالى عن كمال إحسانه إلى المؤمنين بأن الأولاد إذا اتبعوا آباءهم فى الإيمان يلحقهم بآبائهم فى المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعينهم بهم، فيجمع بينهم بأن يرفع ناقص العمل بالكامل لا ينقص ذلك من عمله، ومنزلته ليساوى بينه وبين ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾: نقصناهم، ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: شيئًا من النقص، وفى الطبرانى قال -صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه، وزوجته، وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لى ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به"(*) وعن بعض معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أى: البالغون ألحقنا بهم ذريتهم الذين لم يبلغوا الإيمان، وماتوا بالصغر بإيمان آبائهم، وفى الحديث: "سألت خديجة عن ولديه ما بالهما فى الجاهلية، فقال -عليه السلام: "فى النار"، قالت: فولدى منك، قال: "فى الجنة"، ثم قال: "إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وإن المشركين وأولادهم فى النار، ثم قرأ "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم"(**) الآية، فعلى هذا الذين آمنوا مبتدأ وقوله: "ألحقنا بهم ذريتهم" خبره، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: مرهون بعمله عند الله تعالى إن عمل صالحًا فكها، وإلا أهلكها، ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾: زدناهم وقتًا بعد وقت، ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ﴾: يتعاطون ويأخذ بعضهم من بعض، ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾: خمرًا، ﴿لَا لَغْوٌ﴾: لا يتكلمون بلغو الحديث، ﴿فِيهَا﴾: فى أثناء شربها، ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: ولا يفعلون ما يؤثم[1] به فاعله،

(*) رواه الطبرانى فى الصغير والكبير، وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو ضعيف، كما فى المجمع (١١٤/٧).

(**) ضعيف، أخرجه عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند (١/٣٤-١٣٥)، وانظر تعليق الشيخ الألبانى عليه فى المشكاة .

(١) أى: ينسب إلى الإثم لو فعله فى الدنيا، كالكذب والفواحش، بل كلامهم حِكَم كله/١٢منه.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالخدمة، ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾: مماليك لهم، ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾: مصون فى الصدف من صفائهم وبياضهم[1]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: عن أحوالهم التى كانت لهم فى الدنيا يتذاكرون ويتحدثون بما مضى عليهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾: فى الدنيا، ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله تعالى، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالرحمة، ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾: حرارة نار جهنم[2]، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾: فى الدنيا، ﴿نَدْعُوهُ﴾: نتضرع إليه ونعبده، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾: المحسن، ﴿الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ
نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ
شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾
أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ
فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ
تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾
أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ

(١) قيل المكنون: المخزون، ولا يخزن إلا العالى الغالي/١٢وجيز.

(٢) قال الحسن: السموم من أسماء جهنم/١٢وجيز.

مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾: يا محمد، ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى بإنعام الله عليك حال من ضمير[1] ﴿بِكَاهِنٍ﴾: كما يقولون، ﴿وَلا مَجْنُونٍ[2]﴾: فلا تبال بكلامهم، ولا تذر عن التذكير ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾، بل أيقولون، والهمزة لإنكار أنه لشاعر، ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: حوادث الدهر، فيهلك كما هلك الشعراء قبله فنستريح، والمنون الدهر أو الموت، ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾: انتظروا هلاكي، ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هلاككم، ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ﴾: عقولهم، ﴿بِهَذَا﴾: الذى يقولون فيك من الأقوال الباطلة المتناقضة، ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: مجاوزون الحد فهو الذى حملهم على ذلك الأقوال، فالهمزة هاهنا للتقرير[3]، وفى البواقي كلها للإنكار، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: اختلق القرآن من عند نفسه متعمدًا، ﴿بَلْ لا يُؤْمِنُونَ﴾: فينسبونه إلى تلك الأشياء، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ[4]﴾: القرآن ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: إن محمدًا تقوله،

---

(١) لازمة لا منتقلة، فإنه -صلى الله عليه وسلم- لا زال متلبسًا بنعمة الله/١٢وجيز.

(٢) فإنهما نقص لكن طريقان لبعض المغيبات وللجن بها ملابسة/١٢.

(٣) وفى البواقي للإنكار أنكر أحلامهم يأمرهم بذلك، بل جهلهم وشقاوتهم يأمرهم بهذا، وفيه تهكم، فإن العقل لا يأمر بالأشياء المتناقضة الظاهرة خطأها/١٢وجيز.

(٤) مثل القرآن فى نظمه ورسخه، ووصفه من البلاغة، والإخبار بالقصص السالفة والمغيبات والحكم/١٢وجيز.

﴿أَمْ[1] خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: من غير رب، ومحدثٍ أى: لا خالق لهم، أو من أجل لا شيء أى: عبثًا، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: لأنفسهم، فلذلك لا يسمعون كلام خالقهم ولا رسالته، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾: يشكون حين يقولون الله خلقهن، فإنهم لو أيقنوا لما أعرضوا عنه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾: خزائن قدرته، ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾: الغالبون على الأشياء المحاسبون للخلائق، ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: منصوب إلى السماء، ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ أى: ما يجرى فى السماء، ﴿فِيهِ﴾ أى: صاعدين فيه فيعرفون حقية ما هم عليه، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: حجة

---

(١) قوله تعالى: "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" فى الصحيحين عن جبير بن مطعم أنه لما قدم فى أسارى بدر قال: وجدت النبى -صلى الله عليه وسلم- يقرأ فى المغرب بالطور، فلما سمعت هذه الآية "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" أحسست بفؤادى قد انصدع، وذلك لأن هذا تقسيم حاضر ذكره الله تعالى بصيغة استفهام الإنكار ليبين هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها يقول: أم خلقوا من غير شيء أى: من غير خالق خلقهم، أم هم خلقوا أنفسهم وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل فتعين أن لهم خالقًا خلقهم سبحانه وتعالى، فإنه يمتنع وجود المحدث بنفسه كما يمتنع أن يخلق الإنسان نفسه، وهذا من أظهر المعارف الضرورية، فإن الإنسان بعد قوته ووجوده لا يقدر أن يزيد فى ذاته عضوًا ولا قدراً، فلا يقصر الطويل، ولا يطول القصير، ولا يجعل رأسه أكبر مما هو، ولا أصغر، وكذلك أبواه لا يقدران على شيء من ذلك، ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لابد له من محدث، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان فإن الصبى لو ضربه ضارب، وهو غافل لا يبصره لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربك أحد لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير حادث، بل: يعلم أنه لابد للحادث من محدث، فإذا قيل: فلان ضربك بكى حتى يضرب ضاربه، وكأن فى فطرته الإقرار بالصانع وبالشرع الذى مبناه على العدل، ولهذا قال الله تعالى: "أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون" هذا ما لخصت من كلام شيخ الإسلام أبى العباس بن تيمية فى شرح حديث الترول/١٢.

ظاهرة على صحة الاستماع، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ[1] الْبَنُونَ﴾، فيه تسفيه لأحلامهم على آكد وجه، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: علي الرسالة، ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: محملون الثقل من التزام غرم، فلذلك لم يتبعوك، والمغرم أن يلتزم ما ليس عليه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: اللوح المحفوظ، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما فيه، ويخبرون به الناس أو علم الغيب، فهم يحفظونه، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: مكرًا بك، الهمزة هاهنا أيضًا للتقرير، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من وضع الظاهر موضع المضمر، أو أراد كل الكافرين، ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: الذين يحيق بهم الكيد ويعود وباله عليهم، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: ينصرهم، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾: قطعة، ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾: لعذابهم، ﴿يَقُولُوا﴾: عنادًا، ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ[2]﴾، هذا سحاب تراكم بعضها على بعض، وهذا جواب قولهم "فأسقط علينا كسفًا من السماء"[الشعراء:١٨٧]، ﴿فَذَرْهُمْ﴾: في غمرتهم، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يوم القيامة عند النفخة الأولى، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: من الإغناء، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من وضع الظاهر موضع المضمر، أو أراد العموم، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾: دون عذاب الآخرة في الدنيا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: "ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون"[السجدة:٢١]، لكن لا يعلمون أن المصائب[3] للتنبيه، فلا ينيبون، ﴿وَاصْبِرْ

---

(١) وفيه التفات من الغيبة/١٢.

(٢) وهذا كما قال: "ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا"[الحجر:١٤-١٥]/١٢منه.

(٣) وفي الحديث "المنافق إذا مرض وعوفي مثله مثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه"، وفي أثر إلهي "كم أعصيك، ولا تعاقبني، قال الله: يا عبدي كم عاقبتك وأنت لا تدري"/١٢منه ووجيز.

لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: ما قدر لك من وصول المكروه، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحيث نراك، ونحفظك ونرعاك، وجمع العين لجمع الضمير، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إلى الصلاة، "سبحانك اللهم، وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك"[1] أو من نومك أو من كل مجلس[2] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: اذكره بالعبادة والصلاة، ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾: إذا أدبرت النجوم، والمراد ركعتى الفجر[3].

---

(١) السنة أن يقول هذا فى ابتداء الصلاة كما ورد فى مسلم وغيره/١٢منه.

(٢) روى الترمذى وصححه، وقال: إسناده على شرط مسلم "من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" إلا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك[صحيح، انظر صحيح الجامع(٦١٩٢)]/١٢وجيز ومنه.

(٣) صرح على ذلك ابن عباس -رضى الله عنهما- وفيه حديث أيضًا/١٢منه.

سورة النجم مكية

وهي إحدى أو اثنتان وستون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ
ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٖ
فَٱسۡتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ
قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ (٩) فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ
(١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ (١٣) عِندَ سِدۡرَةِ
ٱلۡمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ (١٥) إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ (١٦) مَا
زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ (١٨) أَفَرَءَيۡتُمُ
ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ
(٢١) تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ (٢٢) إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ (٢٣) أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ
وَٱلۡأُولَىٰ (٢٥) ۞﴾

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ أقسم بالثريا إذا غاب، أو بجنس النجم إذا انقض، ورمى به الشياطين، أو بالقرآن وقد نزل منجمًا إذا نزل من السماء، أو بالنجوم إذا انتثرت يوم القيامة، وعن السلف: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق، ﴿مَا ضَلَّ﴾: ما عدل عن الطريق المستقيم، ﴿صَاحِبُكُمْ﴾: صلى الله عليه

وسلم، ﴿وَمَا غَوَى﴾: وما اعتقد باطلا كما تزعمون، ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾: بالقرآن، ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ أو ما يقول قولا عن هوى وغرض، ﴿إِنْ هُوَ﴾: ليس ما ينطق به، ﴿إِلا وَحْيٌ﴾: من الله تعالى، ﴿يُوحَى﴾: إليه، وفى الحديث أنه قال -عليه السلام: "لا أقول إلا حقًّا"، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾: جبريل فإنه شديد قواه، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو قوة شديدة، ومنظر حسن أو إحكام فى العقل، ﴿فَاسْتَوَى﴾: جبريل واستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها، وما رآه غيره من الأنبياء على صورته[1]، ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾: أفق السماء قد سد الأفق، وهذا قبل الإسراء، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: جبريل إلى محمد، وهبط إلى الأرض بعدما رده الله تعالى إلى صورة آدمي، ﴿فَتَدَلَّى﴾: تعلق به وليس المراد منه الإسراء، وكأن هذه الرؤية فى أوائل البعثة[2] بعد أن جاء إليه فى حراء قيل: فى "فتدلى" إشارة منه إلى أنه ما تجاوز عن مكانه فإنه استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة، ﴿فَكَانَ﴾: جبريل، ﴿قَابَ﴾: مقدار، ﴿قَوْسَيْنِ﴾، يعنى مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، ﴿أَوْ أَدْنَى﴾: على تقديركم، والغرض نفى ما زاد عليه، ﴿فَأَوْحَى﴾: جبريل، ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾: إلى عبدالله تعالى، ﴿مَا أَوْحَى﴾: جبريل فيه تفخيم للموحى به، أو المعنى فأوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى بواسطة جبريل، وحاصل المعنى متحد، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي: فؤاد محمد -صلى الله عليه وسلم- ما رآه ببصره من صورة جبريل، أو ما كذب الفؤاد ما رآه بفؤاده أي: الله[3] تعالى، وفى الحديث "رأيته بفؤادى

---

(١) كذا ذكره ابن مسعود وابن عباس -رضى الله عنهما- وغير واحد من السلف/١٢منه.

(٢) وكان ذلك بالأبطح بعد أن نزل عليه صدر سورة اقرأ فرآه فى صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق فاقترب منه وأوحى إليه عن الله ما أمره به/١٢منه.

(٣) يرجع الضمير فى عبده إلى الله وإن لم يمر له ذكر لأنه لا يلبس كما فى قوله تعالى: "ما ترك على ظهرها من دابة"[فاطر:٤٥]/١٢منه.

مرتين[١] ثم قرأ "ما كذب الفؤاد ما رأى" ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾: تجادلونه من المراء، ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾: من صورة جبريل، ولتضمينه معنى الغلبة عدى بعلى، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: جبريل فى صورته، ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾: مرة أخرى، وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- وجم غفير من السلف أنه رأى جبريل فى صورته مرتين والمرة الأخيرة ليلة الإسراء نصب بالمفعول فيه، ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾: هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش إليها ينتهى علم الخلائق لا يعلم أحد ما وراءها، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾، فيه تعظيم لما يغشاها، وفى الحديث "أنه غشاها نور الرب، وألوانًا لا يدرى ما هي،والملائكة مثل الغربان[٢] يعبدون" ما يغشى فاعل يغشى، وإذ ظرف لرآه أو لما زاغ عند من يجوز تقديم ما بعد ما إذا كان ظرفًا، ﴿مَا زَاغَ﴾: ما مال، ﴿الْبَصَرُ﴾ أي: بصر النبى -صلى الله عليه وسلم- عما رآه ﴿وَمَا طَغَى﴾: وما تجاوزه، وهذا وصف أدبه -صلى الله عليه وسلم[٣]﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾: بعض عجائبه، ﴿الْكُبْرَى﴾، صفة[٤] الآيات، أو هو المفعول ومن آيات ربه حال مقدم، ثم اعلم أنه قد ورد فى الصحيحين أن عائشة -رضى الله عنها- قالت: أنا أول من سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله "ولقد رآه بالأفق المبين"، "ولقد رآه نزلة أخرى" فقال: "إنما ذاك جبريل لم يره فى صورته إلا مرتين"، وفى مسلم عن أبى ذر -رضى الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل رأيت ربك؟ قال: نوراً أنى أراه"، وفى

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وكذا روى مسلم عن ابن عباس -رضى الله عنه-/وكذا قال أبو صالح، والسدى وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين/١٢منه.

(٢) الغراب واحد "غربان/١٢منه.

(٣) وتمكنه -عليه صلوات الله وسلامه، فإنه ما فعل إلا ما أمر به/١٢منه.

(٤) لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغى أن يبتدئ به الرسول، وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك فقال: "أفرأيتم اللات" الآية/١٢كبير.

رواية لغير مسلم "رأيت نورًا"، وكان سؤال عائشة بعد الإسراء[1]، فلا يمكن أن يقال كأن نفى الرؤية قبل الإسراء، وما قيل إنه -عليه الصلاة والسلام- خاطبها على قدر عقلها فخطأ مردود[2] قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: لا يصح فى أنه رأى ربه ببصره شيء من الصحابة، وأما ما قال البغوي: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، ففيه نظر[3]، والحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال عليه الصلاة والسلام: "رأيت ربى عز وجل"[*] فهو مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضًا، وقد ثبت عن كثير من السلف نفى رؤية البصر، والله أعلم، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ[4] اللاتَ[5]﴾: صخرة بيضاء عليها بيت بالطائف له

---

(١) كان سؤال عائشة بعد الإسراء بدليل قولها -رضى الله عنها: "أنا أول من سأل عن تلك الآية"، وما كانت هذه الآية إلا بعد الإسراء بلا خلاف من أحد فلا يمكن أن يقال: كان نفى الرؤية قبل الإسراء/١٢منه.

(٢) فإنه يلزم على ما نقلنا من الصحيحين أنه -عليه الصلاة والسلام- فسر القرآن على ما هو خطأ وكذب فإنه قال إنما ذلك جبريل، ولم يتفوه بذلك مؤمن وأيضًا هى -رضى الله عنها- كاملة مكملة، وليس لإثبات الرؤية ونفيها كثير غموض لا تفهمه النساء، والله أعلم/١٢.

(٣) وقد روى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور أنه قال: لما سألت عكرمة عن قوله :"ما كذب الفؤاد ما رأى" فقال عكرمة: نعم قد رأى ربه، قال: فسألت عنه الحسن فقال: رأى جلاله وعظمته ورداءه/١٢منه.

(*) أخرجه أحمد (١/٢٨٥)، وصحح إسناده الشيخ شاكر فى تعليقه على "المسند"(٢٥٨٠).

(٤) أي: أعقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى، ونفاذ أمره فى الملأ الأعلى "وما تحت الثرى" فانظروا إلى اللات، والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه/١٢كبير.

(٥) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله: "اللات والعزى" كان اللات رجلا يلت سويق الحاج، رواه البخارى يلت أي: يبل، وزاد ابن جرير، وابن المنذر وعبدالرزاق عن =

سدنة يعظمونه اشتقوا اسمها من لفظ الله يعنون مؤنثه -تعالى الله عن ذلك، ﴿وَالْعُزَّى﴾، من العزيز شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف[1]، ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾، كانت بين مكة والمدينة يهلون منها للحج أفرد هذه الثلاثة بالذكر وإن كان فى جزيرة العرب طواغيت كثيرة عليها بيوت يعظموها كتعظيم الكعبة، لأنها أشهر من غيرها، وأعظم عندهم، والأخرى ذم وهى المتأخرة فى الرتبة، و"أفرأيتم" عطف على أفتمارونه، وإدخال الهمزة لزيادة الإنكار يعني: أبعد هذا البيان تستمرون على المراء فترون اللات والعزى ومناة أولاد الله أخس أولاد أى الإناث وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾، دال على ثانى مفعولى أفرأيتم، ومعناه أتختارون لأنفسكم الذكور من الأولاد، وتجعلون لله، وتختارون له البنات فإنهم يقولون: الملائكة وهذه الأصنام بنات الله -تعالى عن ذلك، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾: جائرة، ومن قرأ بالهمزة، فهو من ضأزه إذا ظلمه، ﴿إِنْ هِيَ﴾: ما الأصنام، ﴿إِلا أَسْمَاءٌ﴾: ليس لها فى الحقيقة مسميات، لأنكم تدعون الألوهية لها، ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾: بهواكم، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: برهان تتعلقون به، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾: أنفسهم، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾: الرسول

= مجاهد: فاعتكفوا على قبره، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبي صالح قال: العزى نخلة كانوا يعلقون عليها السيور، والعلهز(فى اللسان: وبر يخلط بدماء الحَلَم كانت العرب فى الجاهلية تأكله فى الجدب)، ومناة حجر بقديد، كذا فى الدر المنثور/١٢.

(١) بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليها خالد بن الوليد فقطعها وأخرج منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها تدعو على نفسها بالويل، فضربها بالسيف حتى قتلها، ورجع فأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "تلك العزى، ولن تعبد أبدًا"، هذا ما فى الوجيز، وكذا فى الدر المنثور، وعزاه فيه إلى النسائى وابن مردويه[حسن، أخرجه النسائى فى التفسير]/١٢.

والقرآن فتركوه، ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، الهمزة للإنكار أي: بل ليس له كل ما يتمناه كما يتمنون شفاعة الآلهة، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾: يعطى ما يشاء لمن يشاء.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ[1] فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: كثيرًا منهم مع علو رتبتهم، ﴿لا تُغنى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: من الإغناء، ﴿إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾: في الشفاعة، ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: من الناس، أو من الملائكة، ﴿وَيَرْضَى﴾: فكيف ترجون شفاعة الأنداد الجماد

---

(١) هذا جواب كلام كأنهم قالوا: لا نشرك بالله شيئًا، وإنما هذه الأصنام شفعاء فإنها صور ملائكة مقربين، فقال: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا" الآية/١٢ كبير.

عند الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾: قـائلين هم بنات الله، ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾: ما يقولون، ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾: من العلم[1]، ﴿شَيْئًا[2]﴾: فإن العقائد والمعارف اليقينية، لا يدرك بالظن أصلا، ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾: فلم يتدبر، ولم يتأمل، ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: ولا تجادله ولا تدعه إلى الهدى، ﴿ذَلِكَ﴾: أمر الدنيا، ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: لا يتجاوزونه، وفى الدعاء المأثور "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا[3]" ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: فلا يجيب، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾: فيجيب تعليل للأمر بالإعراض، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: خلقًا، ﴿لِيَجْزِيَ﴾، علة لقوله: "ولله ما فى السموات وما فى الأرض" أي: خلق العالم لهذا أو علة لقوله: "وهو أعلم بمن ضل" إلخ، فإن نتيجة العلم بهما جزاءهما، وقوله: "ولله ما فى السموات" إلخ معترضة بيان لكمال قدرته، ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: بعقابه، أو بسببه، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: بالمثوبة الحسنى، أو بسبب الأعمال الحسنى، ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾، هى ما عليه وعيد شديد، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: من الكبائر خصوصًا، ﴿إِلا

(١) فإنه يدرك الحق الذى هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم/ ١٢منه.

(٢) أخرج ابن أبى حاتم عن عمر بن الخطاب قال: "احذروا هذا الرأى على الدين فإنما كان الرأى من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مصيبًا لأن الله كان يريه، وإنما هو منا تكلف، وظن، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئًا/١٢در منثور.

(٣) أخرجه الترمذى مع زيادة وحسنه[حسن، وانظر صحيح الجامع (١٢٦٨)]/١٢در منثور.

عليه وعيد شديد، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: من الكبائر خصوصًا، ﴿إِلا اللَّمَمَ[1]﴾ أي: الصغائر، فالاستثناء منقطع أو إلا بمعنى غير صفة وحرف التعريف فى الموصوف للجنس، فهو فى حكم النكرة،وقد ورد[2] أنه قال -عليه الصلاة والسلام: "إن تغفر اللهم اغفر جما فأىُّ عبد لك ما ألما" أو اللمم من الكبائر، والمعنى يجتنبون من الكبائر كلها مطلقًا إلا القليل منها بمعنى أنه يلم بها مرة أو مرتين، فيتوب عن قريب فلا يجعلها عادة، وهو قول كثير من السلف، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: فلا تيأسوا بكثرة المعاصي، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾: فى ابتداء خلق أبيكم من تراب، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾، جمع جنين، ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا تمدحوها، ولا تنسبوها إلى الطهارة، ولا تعجبوا بطاعاتكم، وفى صحيح مسلم عن ابن

(١) أخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال "ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال: أبو هريرة -رضى الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"، وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- فى قوله "إلا اللمم" قال: زنا العين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيًا، وإلا فهو اللمم، ومثله عن أبى هريرة -رضى الله عنه- هذا ما فى الفتح، وعزى السيوطى فى الدر المنثور ما روى عن ابن مسعود -رضى الله عنه- إلى عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، والحاكم قال: صححه الحاكم وعزى ما روى عن أبى هريرة -رضى الله عنه- إلى ابن أبى حاتم وابن جرير ومسدد/١٢.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب[صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى]/١٢لباب.

عطاء قال: سميت ابنتى برة، فقالت زينب بنت أبى سلمة إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن هذا الاسم، فقال: "لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم" ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**[١]﴾: فربما تنسبون أحدًا إلى التقوى، والله يعلم أنه ليس كذلك، وكذلك ورد فى الحديث الصحيح[٢] "إذا كان أحدكم مادحًا صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكى على الله أحدًا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك".

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ
فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾
أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ
سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ
ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا
ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ
وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ
تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا

---

(١) ولما قال: "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى" أعقبه بمن ظهر منه التقوى والإيمان، وهو فى نفس الأمر من أهل الشقاوة فقال: "أفرأيت الذى تولى: الآية/١٢.

(٢) كما ورد فى الصحيحين/١٢وجيز.

مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ[(١)] الَّذِى تَوَلَّى﴾: أعرض عن الحق، ﴿وَأَعْطَى قَلِيلا وَأَكْدَى﴾: أنفق قليلا وبخل بالباقي، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾: بأن إنفاقه ينفد ما فى يده، ﴿فَهُوَ يَرَى﴾: عيانًا ويعلم ذلك، ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ[(٢)] الَّذِى وَفَّى﴾: أقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام، والكمال قال تعالى: "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن"[البقرة:١٢٤] وتقديم صحف موسى لأنها أشهر، ﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تؤاخذ نفس آثمة بمأثم نفس أخرى، ولا يحمله عنها أحد وإن مخففة من المثقلة بدل ما فى صحف، أو تقديره أعنى أن لا تزر، ﴿وَأَنْ لَيْسَ[(٣)] لِلْإِنْسَانِ

---

(١) قوله: أفرأيت بمعنى أخبرني، والموصول مفعوله الأول، والجملة الاستفهامية التى فيها التهكم مفعوله الثاني/١٢وجيز.

(٢) قيل: خص هذين النبيين، لأن ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بأبيه وابنه، وعمه وخاله والزوج بامرأته، والعبد بسيده، فأول من خالفهم إبراهيم/١٢وجيز.

(٣) قال شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية -رحمه الله: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير، وثانيها: أن النبى -صلى الله عليه وسلم- يشفع لأهل الموقف فى الحساب، ثم لأهل الجنة فى دخولها ثالثها: لأهل الكبائر فى الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعى الغير رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم، سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها: قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين: "وكان أبوهما صالحا"[الكهف:٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس من سعيهما، ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق بنص السنة، والإجماع وهو من عمل الغير تاسعها: أن الحج المفروض =

إِلا مَا سَعَى[1]﴾: لا يثاب أحد بفعل غيره أيضًا، ومن هذه استنبط الإمام الشافعى أن ثواب القراءة لا تصل إلى الموتى، وأما من سن سنة حسنة، أو سيئة فله أجرها وأجر من

= يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير حادى عشرها: المدين قد امتنع -صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر على بن أبى طالب، وانتفع بصلاة النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو من عمل الغير، ثانى عشرها: أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال لمن صلى وحده: "ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه"، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير، رابع عشرها: أن من عليها تبعات ومظالم إذا حلل عنها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير، خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع فى المحيا والممات كما جاء فى الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير، سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، فالأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره، سابع عشرها: الصلاة على الميت، والدعاء له فى الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحى عليه، وهو عمل غيره، ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد كذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض ببعض، تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم- "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"[الأنفال:٣٣] وقال تعالى: "ولولا رجال من مؤمنون ونساء مؤمنات"[الفتح: ٢٥] وقال تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض"[البقرة:٢٥٠] فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير، عشرونها: إن صدقة الفطر تجب على الصغير، وغيره ممن يعوله الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج، ولا سعى له فيها، حادى عشرينها: أن الزكاة تجب فى مال الصبي، والمجنون ويثاب على ذلك، ولا سعى له، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن يتناول الآية الكريمة على خلاف صحيح الكتاب والسنة وإجماع الأمة/١٢.

(١) هذا كما يقال: لا أملك إلا ما أكسب، لم يكن ذلك نفيًا للانتفاع بشيء غير كسبه فإنه قد يحصل له أشياء أخر لكن الذى هو مالكه، وفى تحت يده واختياره ما كسب/١٢وجيز.

عمل بها ووزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فلأنه سببها ودل عليها، وفى الصحيح "من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا"، أو معناه لا يملك شيئًا غير ذلك، وإن كان قد يحصل له بفضل الله، وبدعاء الغير، وصدقته له نفع لكن هو لا يملك ذلك، ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾: فى ميزانه، ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ أي: يجزى الإنسان سعيه الجزاء الأوفر، فليس له أن يبخل، وينقص العمل، والضمير المرفوع للإنسان والمنصوب للسعي، ونصب الجزاء بأنه مفعول مطلق، أو بترع الخافض أي: بالجزاء الأوفى كما يكون صفة للمجزى يكون صفة للحدث أي: المصدر لملابسته له قيل نزلت فى وليد بن مغيرة آمن فعيره المشركون، فقال: أخشى عذاب الله، فضمن أحد من المشركين أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه كذا مالا فارتد وأعطى بعض ما شرط، وبخل بالباقي، ومعنى أعنده علم الغيب، فهو يرى أنه يعلم تمكين الله تعالى إياه عن أن يحمل عنه العذاب وباقى الآية ظاهر الملائمة حينئذ، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾: المرجع، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾: فى الدنيا أو الآباء، ﴿وَأَحْيَا﴾: فى الآخرة أو الأبناء فى الدنيا أيضًا، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾: تدفق فى الرحم، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾: وفاء بوعده، ﴿النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾: الإحياء بعد الموت، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾: بإعطاء المال، ﴿وَأَقْنَى﴾: أعطى القنية هى أصول مال اتخذه لنفسه لا للبيع أي: ملكهم المال، وجعله عندهم مقيمًا لا يحتاجون إلى بيعه، وقيل: أفقر، وكان من أخذ مالا لا للبيع فهو فقير لا يبيع ولا يشترى، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾: كوكب وقاد خلف الجوزاء تعبد فى الجاهلية، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾: قوم هود وعاد الأخرى إرم، ﴿وَثَمُودَ﴾، عطف على عادًا، ﴿فَمَا أَبْقَى﴾: أي: الفريقين، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل عاد وثمود، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ﴾: من الفريقين، ﴿وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ أي: إنه أسقط إلى الأرض القرى المنقلبة، وهى قرى

قوم لوط[1]، ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾: من العذاب كأنه لا يمكن أن يوصف، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكَ﴾: أيها الإنسان، ﴿تَتَمَارَى﴾: تتشكك، ﴿هَذَا﴾: الرسول، ﴿نَذِيرٌ[2] مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾: من جنس الأنبياء المتقدمين، أو القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة، ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾: قربت الموصوفة بالقرب، وهى القيامة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: أي: نفس كاشفة أهوالها إذا غشيت الخلائق أو مبينة متى تقوم لا يجليها لوقتها إلا هو، ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن، ﴿تَعْجَبُونَ﴾: إنكارًا، ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ[3]﴾: لاهون أو مستكبرون أو مغنون لتشغلوا الناس عنه، ﴿فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا﴾ أي: ما عبدوه دون الآلهة.

والحمد لله على التوحيد.

(١) بإجماع المفسرين وسميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذبًا/١٢ وجيز.

(٢) افتتح السورة به واختتم أيضًا/١٢وجيز.

(٣) روى أنه -صلى الله عليه وسلم- لم ير بعد نزولها ضاحكًا فاسجدوا لله واعبدوه دون الآلهة الباطلة، وهذه السورة أول سورة أعلن -صلى الله عليه وسلم- بقراءتها فى الحرم، وفيها سجد وسجد من حضر من مؤمن ومشرك إلا أن أبا لهب أخذ حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: هذا يكفي[أخرجه البخارى وغيره]، وسبب نزولها قولهم: محمد يختلق بالقرآن/١٢وجيز.

سورة القمر مكية

وهى خمس وخمسون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ
مُّسۡتَمِرّٞ (٢) وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ (٣) وَلَقَدۡ جَآءَهُم
مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ (٤) حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ
يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ
كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ (٧) مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ (٨)
۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ (٩) فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ (١٠) فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ (١١)
وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ
ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ (١٣) تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ
ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ (١٥) فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ
لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ (١٧) كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ
أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ
أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ (٢٠) فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ
لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ (٢٢) ﴾

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ[١]﴾ انشقاقه من علامات قرب القيامة،وقد انشق[٢] فى عهده -عليه الصلاة والسلام- حين التمسوا آية، وعن بعض أن ذلك وقع مرتين، ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾: عن الإيمان بها، ﴿وَيَقُولُوا﴾: ما شاهدنا، ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾: مار ذاهب مضمحل[٣] باطل، أو محكم، أو مطرد دائم، وذلك لما رأوا تتابع المعجزات، ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: الباطلة، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾: منته[٤] إلى غاية، فهو تذليل جارٍ مجرى المثل، أو كل أمر من خير وشر يستقر بأهله، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾: فى القرآن، ﴿مِنَ الأَنْبَاءِ﴾: أخبار الأمم السالفة، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ازدجار يقال: ازدجرته نهيته عن السوء قلبت تاء الافتعال دالا، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾: تامة بلغت الغاية خبر محذوف، أو بدل من ما ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾، ما نافية والنذر جمع نذير،

---

(١) قال ابن كثير: قد كان الانشقاق فى زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأحاديث الصحيحة، قال: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع زمن النبى -صلى الله عليه وسلم- وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات، وقال الزجاج: زعم قوم عدلوا عن القصد، وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين فى اللفظ، وإجماع أهل العلم لأن قوله الآتي: "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" يدل على أن هذا كان فى الدنيا لا فى القيامة. انتهى/١٢فتح.

(٢) قال البيهقى وغيره: قال قريش -حين رأوه منشقًا نصفين ليلة البدر: هذا سحر سحركم به ابن أبى كبشة انتظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر السفار كلهم، فلما سئل السفار حين قدموا من بعيد قالوا: رأينا/١٢منه.

(٣) الوجه الأول لمجاهد وقتادة، وغيرهم/١٢منه.

(٤) من نصر أو خذلان أو سعادة وشقاوة وغيرهما فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر/١٢منه.

أو استفهامية للإنكار أي: فأى غناء يغنى المنذرون ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، قيل: منسوخ بآية القتال، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ أي: الداعى، وهو إسرافيل، ونصب يوم إما يخرجون، أو بمقدار نحو: انتظر أو اذكر، ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾: منكر فظيع لم ير مثله هو هول القيامة، ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ[1] يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ أي: يخرجون من القبور حال كون أبصارهم ذليلين من الهول، أو حال مقدرة من مفعول يدع المحذوف، ومن قرأ خاشعًا فلأن فاعله ظاهر مؤنث غير حقيقي، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾: فى الكثرة، والحيرة يقعون كما يقع الجراد، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين مادى أعناقهم، ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ[2] عَسِرٌ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: نوحًا، ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾: نوحًا تفصيل بعد إجمال قيل: معناه كذبوا فكذبوا أي: ما تركوا التكذيب قرنًا بعد قرن، ﴿وَقَالُوا﴾: هو، ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾: وازدجروه، ومنعوه عن الدعوة، وقالوا: "لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين"[الشعراء:١١٦] قيل: ازدجرته الجن، فيكون من جملة المقول، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾: بأني، ﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ[3]﴾: فانتقم لى منهم، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ

---

(١) وفى الكشاف: هذا على لغة أكلونى البراغيث، واعترض عليه صاحب البحر بأن الزمخشرى قاس جمع التكسير على جمع السلامة، وليس كذلك فإن مررت بقوم كرام آباؤهم ليس على لغة أكلونى البراغيث كما دل عليه نصوص القوم نعم مررت بقوم كريمين آباءهم عليها/١٢وجيز.

خشوع الأبصار كناية عن الذلة، لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما/١٢منه.

(٢) لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه/١٢وجيز.

(٣) وإنما دعا عليهم بعد مدة متطاولة يئس من إيمانهم، ورأى منهم زيادة شدتهم فى التعدى والكفر/١٢وجيز.

﴿مُنْهَمِرٍ[1]﴾: منصب، وعن على -رضى الله عنه- حين سئل عن المجرة هى باب السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ماء ذلك من السماء لا من السحاب، ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا[2]﴾ : جعلناها كلها كأنها عيون تتفجر، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾: ماء السماء والأرض،﴿عَلَى أَمْرٍ﴾، حال، ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قضى فى الأول، أو على أمر قدره الله تعالى وهو إهلاكهم، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾: أخشاب عريضة، ﴿وَدُسُرٍ﴾: مسامير جمع دسار، والمراد السفينة، وعن بعض الدسر صدر السفينة، فإنها يدسر، ويرفع الماء، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منا، والمراد الحفظ يقال للمودع "عين الله عليك" ﴿جَزَاءً﴾، أي: فعلنا كل ذلك جزاء، ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾: لنوح، فإنه نعمة، ورحمة كفروها، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾: السفينة، أو الفعلة، ﴿آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: معتبر، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: إنذاري، والاستفهام لتعظيم الوعيد، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾: سهلنا لفظه ومعناه، ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للاتعاظ أو للحفظ، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متعظ، وعن ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما- لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله[3]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ قوم هود، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ : شديدة البرد، ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شؤم عليهم، ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾: عليهم نحسه فإنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالأخروي، أو على جميعهم صغيرهم وكبيرهم، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾: تقلعهم، فترمى بهم على رءوسهم، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول، ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: منقلع ساقط نقل أن الريح تقلع رءوسهم من أجسادهم فالمطروح

---

(١) منصب عن على بن أبى طالب حين سئل عن المجرة هى مسرح السماء، ومنها فتحت بماء منهمر/١٢وجيز.

(٢) أصله فجرنا عيون الأرض، وغيرَّ للمبالغة كما تقول: اشتعل بيته نارًا/١٢منه.

(٣) أخرج ابن أبى حاتم والبيهقى وابن مردويه/١٢در منثور.

أجساد بلا رءوس كأصول نخل، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، التكرار للتهويل، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ
وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ
غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ
﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ
لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ
أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ
فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: بالإنذار الذى جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾، نصب بفعل يفسره نتبعه، ﴿مِنَّا﴾ من جنسنا، ﴿وَاحِدًا﴾ : منفردًا لا تبع له، أو واحدًا من الآحاد لا من الأشراف، ﴿نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ[1]﴾: جنون، أو عذاب، ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾ : أنزل، ﴿عَلَيْهِ﴾: الوحي، ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾: وفينا من هو أفضل وأحق،

(١) يقال كأن بها سعر أي: جنونًا أو جمع سعير على إتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم/١٢ منه.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: متكبر يريد الترفع، ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا[1]﴾ أي: سريعًا، ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾: أصالح أم من كذبه؟ ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ[2]﴾ أي: قلنا لصالح إنا مخرجوها من الصخرة، ﴿فِتْنَةً﴾: امتحانًا، ﴿لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ﴾: انتظرهم، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾: على أذاهم، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: يوم للناقة ويوم لهم، ففيه تغليب، ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نصيب، ﴿مُحْتَضَرٌ﴾: يحضره من كانت نوبته فيتصرف، أو كل شرب من الماء، واللبن تحضرونه أنتم، ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ[3]﴾: الذى عقر الناقة اسمه قدار، ﴿فَتَعَاطَى﴾: الناقة، أو السيف، أو فاجترأ على تعاطى قتلها، ﴿فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ[4] صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: صيحة جبريل، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ﴾: كشجر اليابس المتكسر، ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾: الذى يعمل الحظيرة[5]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا[6] الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

---

(١) والمراد من الغد الزمان المستقبل القريب/١٢وجيز.

(٢) لما هددهم بقوله: سيعلمون، وقد ادعوا أنه كاذب قالوا: ما الدليل على صدقك؟ قال الله إنا مخرجو الناقة من الصخرة/١٢وجيز.

(٣) حكاية الناقة تقدمت، وهنا مقدر أي: فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فعملوا وعزموا على عقرها فنادوا/١٢وجيز.

(٤) فى الإجمال والتفصيل تفخيم العذاب/١٢وجيز.

(٥) وهى تصنعها العرب للمواشي، والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم، فيحتطم ويتهشم/١٢فتح.

(٦) فائدة تكرير هذه الآية أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذّكارًا، واتعاظًا، وأن يستأنفوا تيقظًا وانتباهًا إذا سمعوا، والحث على ذلك والباعث إليه وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان، ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم/١٢فتح البيان.

مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾: بالمواعظ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا تحصبهم، ﴿إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾: فى سحر، ﴿نِعْمَةً﴾: إنعامًا، ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾، علة لنجينا، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما أنعمنا على آل لوط، ﴿نَجْزِى مَنْ شَكَرَ﴾: فآمن، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾: لوط، ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أخذتنا بالعذاب، ﴿فَتَمَارَوْا﴾: كذبوا، ﴿بِالنُّذُرِ﴾: متشاكين، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه للفجور، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل فى صورة مرد حسان، ﴿فَطَمَسْنَا﴾: مسخنا، ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾: صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أى: قلنا لهم ذلك على ألسنة الملائكة، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾: أول النهار، ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾: ثابت لا يزول عنهم أبدًا، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: كرره فى كل قصة للتنبيه على أن كل واقعة لابد أن يتأمل فيها، ويعتبر منها، ولا يغفل عنها.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾: المنذرون أو الإنذار، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾: لا يغالب، ولا يعجزه شيء، ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾: يا معشر العرب، ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر قوة وعدة، ﴿مِنْ أُولَائِكُمْ﴾: الكفار المذكورين، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾: من عذاب الله تعالى، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: فى الكتب المنزلة من السماء، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾: جماعة ينصر بعضنا بعضًا، فلا نغالب، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: الأدبار أي: ينهزمون، فالإفراد لإرادة[1] الجنس، وهذا يوم بدر، ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: للعذاب، ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾: أشد داهية،وهى نازلة لا يهتدى لدوائها، ﴿وَأَمَرُّ[2]﴾: مما نزل عليهم فى الدنيا، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾: فى الدنيا، أو فى الآخرة لا يهتدون إلى الجنة، ﴿وَسُعُرٍ﴾: نيران فى الآخرة، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾: يجرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ﴾: حر، ﴿سَقَرَ﴾ : جهنم، ﴿إِنَّا كُلَّ[3] شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ[4]﴾: أى خلقنا كل شيء

---

(١) وحسن هنا للفاصلة، وهذا عدة من الله بهزيمة قريش فإن السورة مكية/١٢وجيز.

(٢) فى البخارى وغيره عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال وهو فى قبة له يوم بدر: "أنشدك عهدك، ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا" فأخذ أبو بكر بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب فى الدرع ويقول: "سيهزم الجمع، ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر"[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٨٧٥)]/١٢فتح.

(٣) نصب كل بفعل مفسره خلقناه، وقاعدة النحو: إن الرفع فى مثل ذلك هو الأولى، لكن نصبه لأن الرفع موهم خلاف المقصود، إذ خلقناه حينئذ يحتمل أن يكون صفة كل شيء، فيوهم أن فى المخلوقات ما ليس بقدر، وهو مخلوق لغير الله والله خالق كل شيء/١٢وجيز.

(٤) القدر على درجتين الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله عليم بأعمال الخلق، وأحوالهم من الطاعة والمعصية والرزق والأجل بعلمه القديم، وكتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق =

بتقديرنا، وهو مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ﴾: إلا كلمة واحدة وهى قول "كن" أو إلا مرة واحدة لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد، ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾: فى اليسر والسرعة وعدم المراجعة قيل: وما أمرنا فى مجيء الساعة إلا كلمح البصر نزلت حين خاصم مشركوا قريش فى القدر(1)، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم من الكفرة السالفة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: متعظ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾: مكتوب فى كتب الحفظة، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأعمال، ﴿مُسْتَطَرٌ(2)﴾: مكتوب، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾: أنهار الجنة من خمر ولبن

= وحين خلق الجنين كتب رزقه وأجله وعمله، وشقى أو سعيد، وهذا القدر وقد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكره اليوم قليل، والدرجة الثانية: هو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة هو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما من حركة وسكون إلا بمشيئة الله، ولا يكون فى ملكه ما لا يريد، وهو القادر على الموجودات والمعدمات، وهو خالق كل شيء ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصية الله وهو يحب التوابين والمنفقين، والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا ولا يحب الكافرين ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبرّ والفاجر، والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبى - صلى الله عليه وسلم- مجوس[حسن، وانظر صحيح الجامع (٤٤٤٢)] هذه الأمة ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا من العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها، ومصالحها/١٢ هذا خلاصة ما قاله شيخ الإسلام فى العقيدة الواسطية/١٢.

(١) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه/١٢وجيز.

(٢) ولما فرغ من ذكر حال الأشقياء ذكر حال السعداء، فقال: "إن المتقين" الآية/١٢فتح.

وماء وعسل اكتفى باسم الجنس لرءوس الآي، وقيل: فى سعة وضياء، ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مجلس حق مرضى لا لغو ولا تأثيم، ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾: مقربين عند ملك عظيم، ﴿مُقْتَدِرٍ﴾: لا شيء إلا وهو تحت قدرته عن جعفر الصادق -رضى الله عنه- مدح الله تعالى المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.

اللهم اجعلنا بفضلك منهم.

سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة

وهى ثمان وسبعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤
ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ
ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
۝١٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ
۝١٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا
يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ
وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى
ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٢٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥﴾

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: نبيه لا أنه يعلمه بشر، أو علمه عباده بأن يسر حفظه،وفهمه، ولما كانت السورة فى تعداد النعم صدرها بالرحمن، **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ[1]﴾**: النطق، والتعبير عما فى الضمير، **﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾**: يجريان،

(١) وهو الذى به يمكن قبول التعليم/١٢ وجيز.

﴿بِحُسْبَانٍ[1]﴾: بحساب مقدر فى بروجهما، ومنازلهما يعلم منهما السنون والحساب، ﴿وَالنَّجْمُ﴾: الكواكب أو النبات الذى لا ساق له، ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾: "ألم تـــر أن الله يسجد له من فى السموات، ومن فى الأرض، والشمس والقمر، والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس" الآية جرد هاتين الجملتين عن ما يدل على اتصـــل وربط بالرحمن، ولم يقل بحسبانه ويسجدان له، لأن وضوح اتصاله يغنى عن البيـــــان، وذكر الجمل الأولى على نهج التعديد[2]، ثم أدخل العاطف، ورد إلى المنهاج الأصلـــى، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾: فوق الأرض، ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: كل ما يوزن به الأشياء مـــن الميزان والمكيال وغيرهما خلقه موضوعًا على الأرض، أو المراد من الميزان العدل كمـــا قال تعالى "وأنزلنا معهم الكتاب والميزان" الآية، ﴿أَلا﴾ أي: لئــــلا، ﴿تَطْغَــوْا فِــى الْمِيزَانِ﴾: لا تعتدوا فيه، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، عطف بحسب المعنى علـــى أن لا تطغوا أي: ولأن تقيموه بالعدل، ﴿وَلا تُخْسِرُوا[3]﴾: لا تنقصوا، ﴿الْمِـــيزَانَ﴾: وتكرير الميزان للمبالغة فى التوصيـــــة، ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَــهَا﴾: خفضـــها مدحـــوة، ﴿لِلأَنَامِ﴾: للخلق، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أنواع ما يتفكــــه بـــه، ﴿وَالنَّخْـــلُ[4] ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾: أوعية الثمر التى يطلع فيها القنو، ثم تنشق، أو المراد الليف ﴿وَالْحَـــبُّ﴾:

---

(١) لما ذكر ما أنعم به على الإنسان أعقبه بما امتن به من الشمس، والقمر لما فيهما من كثرة المنافع أحدهما ظهور الأشياء كالبيان/١٢وجيز.

(٢) ليفيد أن كل واحد نعمة بحياله لا أن الجميع كواحدة/١٢وجيز.

(٣) خسر جاء متعديًا: خسروا أنفسهم أمر بالتسوية، ونهى عن الطغيان الذى هو اعتـــداء، وزيادة، وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان، ولما ذكر السماء ذكر مقابلها فقال: "والأرض"/١٢وجيز.

(٤) خص بين الأشجار لكثرة المنافع من ليف، وسعف، وجريد وجماء، وثمر هـــو فاكهـــة وطعام/١٢وجيز.

كالحنطة وغيرها، ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: هو ورق النبات(*)، ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: الرزق يقال: خرجت أطلب ريحان الله تعالى، أي: رزقه يعني: الحب ذو علف أنعام، وطعام إنسان، ومن قرأ بالرفع، فعلى تقدير، وذو الريحان بإقامة المضاف إليه مقام المضاف ليوافق القراءتان، وقيل الريحان هو المشموم، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا[1]﴾ : أيها الثقلان، ﴿تُكَذِّبَانِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: آدم، ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾: طين يابس له صلصلة، ﴿كَالْفَخَّارِ﴾: الخزف، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾: أبا الجن، قيل هو إبليس، ﴿مِن مَّارِجٍ﴾: من صاف، ﴿مِنْ نَارٍ فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرقى الشتاء والصيف، ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فإن اختلاف المشارق، والمغارب سبب لمصالح العباد، ﴿مَرَجَ﴾: أرسل، ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والملح،

(*) وفى نسخة "النبات اليابس".

(١) وكرر سبحانه هذه الآية فى هذه السورة فى إحدى وثلاثين موضعًا تقريرًا للنعمة، وتأكيدًا للتذكير بها على عادة العرب فى الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار، وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها، لأن من جملة الآلاء رفع البلايا، وتأخير العقاب، وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلها بعدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها فى الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين أخذًا من قوله، ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الأولى،، وعمل بموجبها استحق هلتين الثمانيتين من الله، وفيه السبعة السابقة أفاده شيخ الإسلام فى متشابهة القرآن، والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال "ما لى أراكم سكوتًا للجن كانوا أحسن منكم ردًا ما قرأت عليهم هذه الآية إلا قالوا، ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد" وروى الترمذى بمعناه وقال: حديث غريب[حسن، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٦٢٤)، ,الصحيحة (٢١٥٠)]/١٢فتح.

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: يتجاوران ويتلاصقان، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجز، ﴿لا يَبْغِيَانِ﴾: لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة، أو لا يتجاوزان حديهما قد مر بيانه فى سورة الفرقان مفصلا، قيل المراد بحر الروم، وفارس يلتقان فى المحيط لأنهما ينشعبان منه، وقيل بحر السماء، والأرض، فإن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: كبار الدر، وصغاره، أو المرجان الخرز الأحمر يخرجان من المالح، لكن لما كان يلتقيان فيصيران واحدًا يصدق أنهما يخرجان منهما، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السفن، ﴿الْمُنْشَآتُ﴾: المرفوعات الشرع، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾: كالجبال فى العظم، ﴿فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن
تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ
وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ
بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ
ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا**﴾: من على الأرض، ﴿**فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾: ذاته، ﴿**ذُو الْجَلالِ**﴾: الاستغناء المطلق، ﴿**وَالْإِكْرَامِ**﴾: الفضل الشامل، أو المراد يفنى كل ما فى الأرض من الأعمال إلا ما هو لوجه الله تعالى، وهو كما قال كل شيء هالك إلا وجهه، ﴿**فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: فإن فناء الكل، وبقاءه سبحانه مع أنه غنى ذو فضل عام سبب لإيجاد المعاد، والجزاء بأتم وجه، ﴿**يَسْأَلُهُ**﴾: الرزق، والمغفرة، والعافية، وكل ما يحتاج إليه، ﴿**مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ قال -صلى الله عليه وسلم- من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويرفع قومًا ويضع آخرين(١) والمراد من اليوم الوقت، وهو ظرف لشأن قيل هو رد لليهود قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شيئًا، ﴿**فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ**﴾، تهديد وليس المراد الفراغ عن شغل فإنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فهو مجاز كأنه فرغ عن كل شيء، فلم يبق له شغل غيره فيدل على التوفر فى النكاية، والانتقام أو لما وعد أهل التقوى، وأوعد غيرهم قال، سنقصد لحسابكم، وجزاءكم، وذلك يوم القيامة ﴿**أَيُّهَا الثَّقَلانِ**(٢)﴾: الإنس، والجن

---

(١) أخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده، والبزار وابن جرير والطبراني، وأبو الشيخ فى العظمة، وابن مندة، وبن مردويه، وأبو نعيم وابن عساكر[رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبزار، وقال الهيثمى فى "المجمع" (١١٧/٧): "وفيه من لم أعرفهم"]/١٢فتح.

(٢) اختلف العلماء فى الجن هل لهم ثواب على قولين، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابًا مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة حكاه ابن حزم، وغيره عنه، والقول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة، ويعاقبون على المعاصي، وهو قول ابن أبي ليلى وهو مذهب الأوزاعي، وأبي يوسف، ومحمد، ونقل عن الشافعي، وأحمد بن حنبل وهو قول أصحابهما، وأصحاب مالك، وقال ابن عباس: لهم ثواب، وعليهم عقاب
=

لثقلهما على الأرض أو لرزانتهما وقدرهما، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾: أن تخرجوا، ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: جوانب، ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: فارين من قضاء الله تعالى، ﴿فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ﴾: لا تقدرون على الخروج، ﴿إِلا بِسُلْطَانٍ[1]﴾: بقوة وقهر، ومن أين لكم هذا، أو إلا بأمر من الله تعالى، وإذن منه، وتقديم الجن، لأنهم أقوى، وهذا فى المحشر حين أحاطت الملائكة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب يقول الإنسان يومئذ أين المفر، وعن بعض معناه إن استطعتم أن تعلموا ما فيهما فاعلموا لكن لا تعملونه إلا ببينة نصبها الله تعالى، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: فى ذلك اليوم، ﴿شُوَاظٌ﴾: لهب لا دخان فيه، ﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾: دخان لا لهب له، ومن قرأ بجر نحاس فمعناه، وشيء من نحاس فحذف الموصوف لدلالة ما قيل عليه، أو هو صفر[2] مذاب يصب على رؤسهم، ﴿فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾: لا تمتنعان من الله تعالى، وحاصل الكلام لو هربتم يوم القيامة لردتكم

= وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى: "ولكل درجات مما عملوا" [الأنعام:١٣٢] "فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا" [الجن:١٤-١٥] واتفقوا على أن كافر الجن معذب فى الآخرة واختلفوا فى مؤمنيهم هل يدخلون الجنة على أربعة أقوال أحدها أنهم يدخلون الجنة، وعليه جمهور العلماء، وحكاه ابن حزم فى الملل عن أبي ليلى، وأبى يوسف، وجمهور الناس قال وبه نقول، القول الثانى أنهم لا يدخلونها، بل يكونون فى ربضها يريهم الإنس من حيث لا يروهم، وهذا القول مأثور عن مالك، والشافعي، وأحمد، وأبى يوسف، ومحمد، وحكاه ابن تيمية فى جواب ابن مرى، وهو خلاف ما حكاه ابن حزم عن أبى يوسف، والقول الثالث: أنهم على الأعراف، الرابع الوقف/١٢آكام المرجان فى أحكام الجان للعلامة بدر الدين الشبلى -رحمه الله.

(١) قال محيى السنة: المراد "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة" فالأمر أمر تعجيز/١٢وجيز.

(٢) الصُّفر: النحاس الجيد، واحدته صُفْرَةٌ.

الملائكة، والزبانية بإرسال اللهب من النار، والنحاس لترجعوا، **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾**: فإنه مع عجزكم، وجهلكم دلكم على ما يخلصكم من هذه النوائب، وتجارة تنجيكم من عذاب أليم مع أن التهديد، والانتقام من الكفار، والتمييز بين المطيع، والعاصى من الآلاء، **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة﴾** أي: حمراء كوردة، **﴿كالدهان﴾**: يذوب، ويتلون كالأدهان، وذلك من هول القيامة، وعن بعض الوردة: الخيول الوردة، فإن الفرس الورد فى الربيع أصفر، وفى أول الشتاء أحمر، وفى اشتداد الشتاء أغبر، وعن بعض الدهان الأديم الأحمر **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ﴾**: يوم الإنشقاق، **﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان[1]﴾** أي: لا يسأل أنس عن ذنبه، ولا جان، وذلك فى موطن خاص، هذا يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ثم يسألون، "فوربك لنسألنهم أجمعين"[الحجر:٩٢]، أو سؤال علم؛ بل سؤال توبيخ، أو لأنهم يعرفون بسيماهم،وهذا بعد ما يؤمر هم إلى النار **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم﴾**: كاسوداد وجوههم، وزرقة عيونهم، **﴿فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾**: يجمع بينهما فى سلسلة من وراء ظهره[2]، ويطرح فى النار، **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه﴾** أي: يقال لهم هذه **﴿جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها﴾**: بين النار، **﴿وبين حميم﴾**: ماء شديد الحرارة، **﴿آن﴾**: بالغ النهاية فى الحر يؤخذ، فيحرك بناصيته فى الحميم فيذوب اللحم يسحبون فى الحميم، ثم فى النار يسجرون، **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾**.

(١) عن ابن عباس: هل علمتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم، لكن يقول: لم عملتم كذا وكذا/١٢منه.

(٢) صرح بذلك الضحاك، والسدي، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- يؤخذ بناصيته، وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور/١٢منه.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ
أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا
ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾
فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ(١) **مَقَامَ رَبِّهِ﴾**: موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب، أو المقام مقحم للتعظيم كأخاف جانبه والسلام على مجلسه، **﴿جَنَّتَانِ﴾**: لكل من الإنسان جنتان

---

(١) لكل فرد من الخائفين جنتان، روى النسائي، وغيره أنه -عليه السلام- قرأ يومًا هذه الآية، ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أبو الدرداء: قلت وإن زنا وإن سرق، فقال: ولمن =

للمقربين من ذهب، قيل: جنة للإنسى، وجنة للجنى، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾: أنواع النعم جمع فن[1]، أو أغصان جمع فنن، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: تحت تلك الأشجار، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: صنفان صنف رأيتم، وصنف ما رأيتم، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ[2]﴾، حال من "من خاف"، فإنه فى معنى الجمع، ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا﴾: الذى يلى الأرض، ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: ديباج ثخين إذا كان هذه البطائن، فما ظنكم بالظواهر، وعن بعض ظواهرها من نور جامد، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾: ثمرهما، ﴿دَانٍ﴾: قريب يجنى منه القاعد والراقد، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ﴾: فى

= خاف مقام ربه جنتان، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال: وإن رغم أنف أبى الدرداء، ونقله ابن جرير أيضًا/١٢منه.

وذكر فى الفتح هذا الحديث، وعزاه إلى الترمذى وأحمد، والبزار، وأبى يعلى والطبرانى وغيرهم[صحيح، أخرجه أحمد (٢/٣٥٧)، والنسائى فى "التفسير" وغيرهما] قال مجاهد والنخعي: هو الرجل الذى يهم بالمعصية، فيذكر الله فيدعها من خوفه، وفيه إشارة إلى سبب استحقاق الجنتين فى نفس الأمر، وهو أنه ليس مجرد الخوف، بل الخوف الناشئ عنه ترك المعاصي/١٢فتح.

(١) قاله ابن عباس -رضى الله عنهما- وغيره/١٢وجيز.

(٢) والاتكاء يطلق على الاضطجاع، وعلى التربع/١٢وجيز.

قال فى القاموس: توكأ عليه: تحامل، واعتمد، واتكأ: جعل له متكئًا، وقوله -صلى الله عليه وسلم- "أما أنا فلا آكل متكئًا"[أخرجه البخارى وغيره] أي: جالسا جلوس المتمكن المتربع، ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه للأكل مستوفزا مقعيا غير متربع، ولا متمكن، وليس المراد الميل على شق كما ظنه عوام الطلبة، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض، والمهموم/١٢فتح.

أماكن الجنتين، أو فى الفرش، ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى الغير تقول لبعلها: والله ما أرى فى الجنة أحسن منك لا أحب إلى منك الحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ[(١)]﴾: لم يجامعهن، ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾: فى حمرة الوجنة، أو فى الصفاء، ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: اللؤلؤ فى البياض، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ﴾: أحسنوا فى الدنيا، فأحسن إليهم فى الآخرة، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا﴾: سوى تينك الجنتين للمقربين، ﴿جَنَّتَانِ﴾: لمن دونهم لأصحاب اليمين من الورق، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ﴾: سوداوان من شدة خضرتهما لريهما، ووصف الأوليين بكثرة أشجارهما، وهاتين بالخضرة لما بينهما من التفاوت، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ[(٢)]﴾: فوارتان بالماء، والجرى أقوى من النضخ، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: أفردهما بالذكر لفضلهما، فإن الرطب فاكهة، وغذاء،

---

(١) وفى السمين أصل الطمث الجماع المؤدى إلى خروج دم البكر، ثم أطلق على كل جماع طمث، وإن لم يكن معه دم، وقيل الطمث دم الحيض، أو دم الجماع، قال الواحدي: قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن قبلهم أحد، ولم يتسلط عليهن، وفى هذه الآية، بل فى كثير من آيات هذه السورة دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه، وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن مناهيه، قال ابن عباس: فى الآية ﴿لم يطمثهن﴾ لم يدن منهن، ولم يدمهن، وفى الآية دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس، فإن مقام الامتنان يقتضى ذلك إذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان/١٢فتح.

(٢) قال أهل اللغة: النضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة، لأن بالحاء الرش، وبالخاء المعجمة فوران الماء، قاله السمين/١٢فتح.

والرمان فاكهة ودواء[1]، وصف الأوليين بأن فيهما من كل فاكهة صنفين، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾: خيِّرات الأخلاق خُفِّفَ كَهيْنٍ فى هيِّنٍ وليِّنٍ، ﴿حِسَانٌ﴾: حسان الخلق، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ﴾: مخدرات مستورات، أو مقصورات الطرف على أزواجهن وصفهن فى الأولى بقاصرات الطرف التى تدل على أنهن بالطبع قد قصرت أعينهن عليهم، وهى أتم من المقصورات التى فيها إشعار بقسر القصر، ﴿فِى الْخِيَامِ[2]﴾: كل خيمة من زبرجد وياقوت، ولؤلؤة واحدة فيها سبعون بابًا من الدر، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ[3] إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، زاد فى وصف الأوائل كأنهن الياقوت والمرجان، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: مجالس فوق الفرش، أو وسائد، أو رياض الجنة، ﴿وَعَبْقَرِى حِسَانٍ﴾: كل شيء نفيس من الرجال وغيره يسمى عند العرب عبقريا قيل تزعم العرب أن عبقر اسم بلد من بلاد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب، نعت بطائن فرش الأولين، وسكت عن ظهائرها إشعارًا بأن وصفها متعذر، فأين هذا من ذاك، ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾: تعالى اسمه؛ لأنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته، ﴿ذِى الْجَلالِ﴾: أهل أن يجل فلا يعصى،

---

(١) وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم، وبه قال الشافعي، فيحنث أكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة، وحينئذ فعطفهما عليه من عطف الخاص على العام تفصيلا، ولم يخالف فى ذلك إلا أبو حنيفة وقد خالفه صاحباه أبو يوسف، ومحمد، وهو قول خلاف قول أهل اللغة، ولا حجة له فى الآية/١٢فتح.

(٢) أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن من أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن/١٢فتح.

(٣) قيل: فيه دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس/١٢منه.

﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: وأهل أن يكرم فيعبد، ويشكر، ولا يكفر، وفى الحديث(*) "من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم، وذى السلطان، وحامل القرآن غير الغالى فيه، ولا الجافى منه".

والحمد لله حق حمده.

(*) رواه الإمام أحمد[حسن، وانظر صحيح الجامع (٢١٩٩)]/١٢منه.

سورة الواقعة(١) مكية

وهى ست وتسعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ
أَزْوَاجًا ثَلَـٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ
ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ
عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) عن ابن مسعود سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة أبدًا" أخرجه البيهقى فى الشعب، والحارث بن أبى أسامة[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٧٨٥)، والضعيفة] وأبو يعلى، وابن مردويه وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: "سورة الواقعة سورة الغناء فاقرءوها وعلموا أولادكم"["موضوع" وانظر كشف الخفاء للعجلونى (٥٢٥/١)] أخرجه ابن عساكر/١٢فتح.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ
مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾
عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: اذكر إذا قامت القيامة، ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾: لمجيئها، ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: كذب، بل هى واقعة صادقة نحو جملة صادقة، أو ليس لأجل وقعتها نفس كاذبة، فإن من أخبر عنها صدق، قيل: لا تكون حين تقع[1] نفس تكذب على الله تعالى، فإن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة، ﴿خَافِضَةٌ﴾: تخفض قومًا، ﴿رَافِعَةٌ﴾: ترفع آخرين، ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ﴾: حركت تحريكًا شديدًا ظرف لخافضة، أو بدل من إذا وقعت، ﴿رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾: فتت حتى تعود كالسويق، أو سيرت، ﴿بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً﴾: غبارًا، ﴿مُنْبَثًّا﴾: منتشرا، ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا، ﴿ثَلاثَةً﴾ أي: ينقسم الناس يومئذ إلى ثلاثة أصناف، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الذين هم عن يمين العرش، أو كانوا عن يمين آدم عند إخراج الذرية من ظهره أو الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، أو أصحاب المترلة السنية، أو أصحاب اليمن، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، جملة استفهامية تعجبية خبر للمبتدأ[2]، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ﴾، مقابل الميمنة بالمعاني، ﴿مَا

(١) على الوجه الأخير اللام فى لوقعتها للتأنيث نحو "يا ليتنى قدمت لحياتي" [الفجر:٢٤] / ١٢منه.

(٢) أى الجملة الاستفهامية خبر لأصحاب الميمنة، بإقامة الظاهر مقام المضمر أي: أصحاب الميمنة أى شيء هم/١٢منه.

أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ﴾: إلى الهجرة، أو إلى إجابة الرسول أو إلى الخيرات، **﴿السَّابِقُونَ[1]﴾**، خبر للمبتدأ نحو شعري شعري، **﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**: قربت درجاهم فى الجنة، وقيل: حال من ضمير المقربون، أو خبر بعد خبر، **﴿ثُلَّةٌ﴾** أي: هم جماعة كثيرة، أو خبر آخر لأولئك، **﴿مِنَ الأَوَّلِينَ﴾**: الأمم الماضية، من آدم إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام- **﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾** من هذه الأمة، فإن السابقين منهم أقل من مجموع السابقين من سائر الأمم أو هم كثير من متقدمى هذه الأمة، وقليل من متأخريها، وكثير من السلف على ذلك، وعليه بعض الأحاديث، **﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾**: منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر خبر آخر للضمير المحذوف، **﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا[2] مُتَقَابِلِينَ﴾**: وجوه بعضهم إلى بعض[3] ليس أحد وراء أحد حالان من ضمير على سرر، **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾**: للخدمة، **﴿وِلْدَانٌ﴾**: غلمان، **﴿مُخَلَّدُونَ[4]﴾**: لا يشيبون[5] ولا يتغيرون، **﴿بِأَكْوَابٍ﴾**: إناء لا عروة ولا خرطوم

---

(١) قال الحسن وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة عند ظهور الحق من غير تلعثم/١٢فتح.

(٢) أي: على السرر على الجنب أو غيره، كحال من يكون على كرسى فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه/١٢فتح.

(٣) من غاية الأنس/١٢.

(٤) قيل: هم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارًا، لا حسنة لهم ولا سيئة، وهو ضعيف، وقيل: هم أطفال المشركين ماتوا قبل التكليف، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين فى الجنة ابتداء كالحور العين من غير ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من أولاد الدنيا، وهذا هو الصحيح، وأطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم، والأمة وليدة وإن أسنت/١٢فتح.

(٥) لا يموتون/١٢.

له، والباء للتعدية، ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: الجامع للوصفين[1]، ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾: من خمر جار، ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا[2] وَلا يُنْزِفُونَ﴾: لا ينشأ عنها صداعهم، ولا ذهاب[3] عقلهم، ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يختارون، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ[4] مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ[5] عِينٌ﴾ أي: وفيها حور عين، أو عطف على ولدان، ومن قرأ بالجر فعطف على جنات أي: أولئك فى صحبة حور عين، أو على بأكواب بحسب المعنى، فإن حاصل معناه ينعمون بأكواب، وكذا وكذا أو بحسب اللفظ أيضًا أي: يطوف الغلمان بالحور العين عليهم فى خيامهم وخلواتهم، ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ[6]﴾: المصون عما يَضُرُّ به، ﴿جَزَاءً﴾ أي: يفعل ذلك كله بهم للجزاء، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[7] لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: عبثًا باطلا، ﴿وَلا تَأْثِيمًا﴾: ولا ما يوقع فى الإثم أو لا نسبة إلى الإثم أي: لا يقال لهم أثمتم، ﴿إِلا قِيلا﴾: قولا، ﴿سَلامًا سَلامًا﴾ أي: إلا التسليم منهم

---

(١) من العروة والخرطوم/١٢.

(٢) عن شربها/١٢.

(٣) بخلاف خمر الدنيا، أو المعنى لا يتفرقون عنها، ولا تقطع لذتهم يقال: تصدع السحاب عن المدينة أي: تفرق/١٢.

(٤) أخرج أحمد والترمذى عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة"، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذا الطير لناعمة قال: "أكلها أنعم منها، وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها"[صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٠٦٣)]/١٢فتح.

(٥) والحور: شديدات بياض أجسادهن، قال أبو عمر: وليس فى بنى آدم إنما قيل للنساء حور العين تشبيهًا بالظبا والبقر، والعين شديدات سواد العيون مع سعتها/١٢فتح.

(٦) وفى الحديث: "صفائهن كصفاء الدر الذى لا يمسه الأيادي"/١٢وجيز.

(٧) فى الدنيا وأن المنازل فى الجنة على قدر الأعمال، وأما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وفضله، وعلى ذلك النص الصريح الصحيح/١٢وجيز.

بعضهم على بعض بدل من قيل أو مفعول به، والمستثنى إما متصل أي: لا لغوا إلا السلام، ومعلوم أن السلام ليس بلغو، فلا لغو، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ[1] الْيَمِينِ﴾: هم الأبرار دون المقربين، ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: لا شوك له، أو مثنى الغصن من كثرة الحمل، ﴿وَطَلْحٍ﴾: أم غيلان[*] له أنوار طيب الرائحة، وظل بارد، أو موز ويؤيد الأول ما روى عن بعض السلف أن المسلمين نظروا إلى "وج" وهو واد بالطائف فأعجبهم ظلال أشجارها، وأشجارها سدر، وطلح فنزلت، ﴿مَنْضُودٍ﴾: متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾: منبسط، أو دائم، وفى الحديث[2] "إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها واقرءوا إن شئتم "وظل ممدود"، ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾: مصبوب يجرى على الأرض من غير أخدود، ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ﴾: فى زمان، ﴿وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾: من أحد، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ فى الحديث[3] "ارتفاعها كما بين السماء والأرض" أو رفيعة القدر، أو مرفوعة بعضها فوق بعض، وقيل: نساء رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا،والعرب تسمى المرأة فراشًا ولباسًا، ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾، الضمير لما دل عليه السياق، وهو ذكر الفرش على النساء أي: أعدنا إنشاءهن، ﴿إِنْشَاءً﴾: جديدًا، ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا[4] عُرُبًا﴾: عواشق[5]

---

(١) لما ذكر نعيم المقربين يذكر نعيم الأبرار/١٢وجيز.

(*) أم غيلان: شجر السَّمُر، والسَّمُر: نوع من الشجر صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس.

(٢) رواه الشيخان/١٢وجيز.

(٣) رواه الترمذى والنسائي[ضعيف، كما فى تعليق الشيخ الألبانى على المشكاة(٥٦٣٤)]/١٢.

(٤) عذارى قاله ابن عباس أي: كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا يحصل لهن وجع فى إزالة البكارة/١٢فتح.

(٥) صرح بهذا المعنى أكثر السلف/١٢وجيز.

لأزواجهن، أو مغنوجة، أو كلامهن[1] عربي، ﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين، أو مستويات فى الأخلاق لا تباغض ولا تحاسد كما فى ضرائر الدنيا يأتلفن ويلعبن جميعًا، وفى الحديث[2] "هن اللواتى قُبضْنَ عجائز، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى متعشقات على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، ومن يكون لها أزواج فى الدنيا تخير فتختار أحسنهم خلقًا"، ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، متعلق بأنشأنا، أو صفة لأبكارًا أو خبر لمحذوف.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾

---

(١) قد نقل ابن أبى حاتم حديثًا دالا على هذا المعنى/١٢وجيز.

(٢) هذا مختصر ما فى الترمذي، والطبراني[وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان القرشى يضعفان فى الحديث والحديث ضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى"]/١٢وجيز.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ
نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ
ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ
ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا
تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ *﴾

﴿**ثُلَّةٌ**﴾: هم جماعة كثيرة، ﴿**مِنَ الأَوَّلِينَ**﴾: الأمم الماضية غير هذه الأمة، ﴿**وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ**﴾: من هذه الأمة، أو ثلة من المتقدمين من هذه الأمة، وثلة من المتأخرين منهم، وعلى التفسير الأول يلزم أن المقربين من هذه الأمة قليلون بالنسبة إلى جميع الأمم الماضية، ولا يلتزم قلتهم، ولكن الأبرار كثيرون بالنسبة إليهم أيضًا، ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ**﴾: حر نار، ﴿**وَحَمِيمٍ**﴾: ماء فى غاية الحرارة، ﴿**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**﴾: دخان أسود، ﴿**لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ**﴾: حسن المنظر، أو نافع، ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**﴾: فى الدنيا، ﴿**مُتْرَفِينَ**﴾: منهمكين فى الشهوات، ﴿**وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ**﴾: الذنب، ﴿**الْعَظِيمِ**﴾، وهو الشرك، أو اليمين الغموس، ﴿**وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾، همزة الإنكار كررت لمزيد الإنكار، والعامل فى إذا ما دل عليه مبعوثون، ﴿**أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ**﴾ عطف على محل إن واسمها، أو على ضمير مبعوثون، وجاز للفصل بالهمزة أي: أيبعث آباؤنا أيضًا، فإنهم أقدم؟! فبعثهم أبعد، ﴿**قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾: إلى ما وُقِّتَتْ به الدنيا، وحُدَّت من يوم معين

عند الله تعالى، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ﴾، من للابتداء، ﴿مِنْ زَقُّومٍ﴾، من للبيان، ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا[1] الْبُطُونَ﴾: يسجرون حتى يأكلوا ملأ بطوهم، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ[2]﴾، تأنيث الضمير في منها، وتذكيره في عليه على المعنى ولفظه ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾: مثل[*] شرب الإبل التي بها الهيام داء تشبه الاستسقاء، وعن بعض الهيم الإبل المراض تمص الماء مصًّا، ولا تُرْوى، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فحسن العطف، ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾: رزقهم الذى يعد لهم تكرمة لهم، ﴿يَوْمَ[3] الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، وإذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يعد لهم من بعد، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾: بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، ﴿فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بابتداء الخلق كأن أعمالهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فحضهم عليه، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾: تصبون فى الأرحام من النطف؟! ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾، فعلم أن الابتداء منا، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: مغلوبين عاجزين، ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: نغير صفاتكم جمع مثل، ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لا تَعْلَمُونَ﴾: فى صفات لا تعلمونها أي: فما نحن بعاجزين عن الإعادة، وهى تبديل الصفات إلى صفات أخرى، أو ما نحن بعاجزين على أن نأتى بخلق مثلكم بدلا عنكم، وعلى أن نخلقكم فيما لا تعلمونه من الصور كالقردة، والخنازير، فعلى هذا الأمثال جمع مثل بسكون الثاء، وفى الآية الثانية والثالثة ما يشعر، ويلائم هذا المعنى، وهو قوله: "لو نشاء لجعلناه حطامًا"،

---

(١) الضمير للشجر، وهو اسم جنس يؤنث ويذكر/١٢وجيز.

(٢) الماء الحار الذى فى نهاية الحر، فهذا غذاؤهم وهذا شرابهم/١٢.

(*) وفى النسخة ن: جمع أهيم مثل.

(٣) ولما ذكر ما لأصحاب الشمال استدل لهم على خلاف ما هم عليه كأن يفضحهم فقال: "نحن خلقناكم" الآية/١٢وجيز.

"ولو نشاء جعلناه أجاجًا"، أو يكون معنى الآية، نحن خلقناكم ابتداء، فهلا تصدقون بالبعث، ثم استدل، وقال أما ترون المنى فكيف تجمع أولا فى الرجل، وهو منبث فى أطراف العالم، ثم نجمع فى الرحم بعدما كان منبثا فى أعضاء الرجل، ثم نكون الحيوان منه، فإذا افترق بالموت مرة أخرى ألم نقدر على جمعه وتكوينه مرة أخرى؟! ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ﴾: فهلا[1] تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تبذرون حبة، ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تنبتونه؟! ولذلك قال -عليه السلام: "لا يقولن أحدكم زرعت، وليقل[2] غرثت" ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: هشيمًا لا ينتفع به، ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: بالمقالة تنتقلون بالحديث[3]، ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: استئناف مبين لمقالتهم، أي: يقولون إنا لمعذبون مهلكون، أو لملزمون غرامة ما أنفقنا، والمغرم الذى ذهب ماله بغير عوض، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: محدودون ممنوعون، وعن الكسائي: التفكه من الأضداد يستعمل فى التنعم والتحزن، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: السحاب جمع مزنة، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: شديد الملوحة، ﴿فَلَوْلا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تقدحون، ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾، للعرب شجرتان المرخ والعفار تحك أحد غصنيهما

---

(١) أي: فهلا تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الأخرى، وتقيسونها على النشأة الأولى، وفيه دليل على صحة القياس حيث جهَّلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على النشأة الأولى/١٢مدارك.

(٢) قال أبو هريرة -رضى الله عنه- ألم تسمعوا الله يقول: أفرأيتم ما تحرثون"؟ الآية، رواه ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب/١٢.

(٣) وقد استعير من التنقل بأنواع الفاكهة إلى التنقل بالحديث/١٢وجيز.

بالآخر فيتناثر منهما شرر النار، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً[1]﴾: لنار جهنم، ﴿وَمَتَاعًا﴾: منفعة، ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: الذين يترلون القواء، أي: المفازة، فإن انتفاعهم بالزند أكثر من انتفاع الحضريين، أو الجائعين، فإن أصل القواء الخلو، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: فجدد التسبيح، ونزهه عن النقائص باستعانة ذكر اسمه العظيم، أو اسم ذاته العظيم تتريهًا عما يقولون، أو تعجبًا أو شكرًا.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ
لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ
مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ
أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ
مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ
حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ
رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

---

(١) عن أبي هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:"ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم" قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: "فإنها فضلت عليها بتسعة وستين، جزءًا كلها مثل حرها". رواه البخارى ومسلم/١٢الباب.

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾، لا مزيدة لتأكيد[1] القسم، أو رد لقول الكفار أنه سحر وشعر، ثم استأنف القسم، ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أي: نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها، أو بمغارب[2] نجوم السماء، أو منازلها، أو انتشارها يوم القيامة،﴿وَإِنَّهُ﴾: هذا القسم الذى أقسمت به، ﴿لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ[3]﴾: لو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾، جواب القسم، ﴿كَرِيمٌ﴾: كثير النفع، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾: مصون من الشياطين وهو اللوح، ﴿لا يَمَسُّهُ﴾ أي: الكتاب المكنون الذى فى السماء،﴿إِلا الْمُطَهَّرُونَ[4]﴾ أي:

---

(١) وبه قال أكثر المفسرين/١٢لباب.

(٢) والتخصيص بالمغارب لما فى المغارب زوال أثرها الدال على أن له مؤثرًا كما استدل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بالأفول فقال: "لا أحب الآفلين" /١٢وجيز.

(٣) ولله تعالى سر فى تعظيمه هو الذى يعلمه/١٢وجيز.

(٤) ذهب الجمهور إلى منع المحدث من مس المصحف، وبه قال على وابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد -رضى الله عنهم، وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى وروى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- والشعبى وجماعة منهم أبو حنيفة أنه يجوز للمحدث مسه، وقد أوضح الشوكانى ما هو الحق فى هذا فى شرحه للمنتقى، فليرجع إليه قال ابن عباس -رضى الله عنهما: فى الآية الكتاب المنزل من السماء لا يمسه إلا الملائكة، وعن أنس -رضى الله عنه- قال: المطهرون الملائكة، وعن علقمة قال: أتينا سلمان الفارسي، فخرج علينا من كنيف، فقلنا: لم اتوضأت يا أبا عبدالله، ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا قال: إنما قال الله: "فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون"، وهو الذى فى السماء لا يمسه إلا الملائكة، ثم قرأ علينا ما من القرآن شئنا أخرجه عبدالرزاق، وابن المنذر وعن عبدالله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: فى كتاب النبى -صلى الله عليه وسلم- لعمرو بن حزم: "لا يمس القرآن إلا على طهر" أخرجه مالك فى الموطأ عن عبدالله بن أبى بكر وأخرجه أبو داود فى المراسيل من حديث الزهرى قال: قرأت فى صحيفة عبدالله المذكور أن =

الملائكة[1]، وعن بعض زعمت قريش أن القرآن تترلت به الشياطين فردهم الله تعالى بقوله: "لا يمسه إلا المطهرون" كما قال: "وما تترلت به الشياطين"[الشعراء:٢١٠] أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الجنابة والحدث، والمراد من القرآن حينئذ المصحف كما نُقِلَ "نهى -عليه الصلاة والسلام- أن يسافر بالقرآن أي: المصحف إلى الأرض العدو"، ويكون نفيًا بمعنى النهى أو لا يجد طعمه ونفعه إلا المطهرون من الشرك، **﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، صفة أخرى للقرآن، وفيها مبالغة، **﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾** أي: القرآن، **﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾**: متهاونون مكذبون، **﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾**: الرزق[2] بمعنى الشكر فى لغة أو تشكر رزقكم الذى هو المطر، **﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾**: بمعطيه، وتقولون: مطرنا بنوء كذا، أو تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن تكذيبكم، **﴿فَلَوْلا﴾**: هلا، **﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾**: النفس، **﴿الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ﴾**: يا أهل الميت، **﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾**: حاله أو أمرى وسلطانى ولا تقدرون على دفعه، والواو للحال، **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ[3]﴾**، المراد الملائكة كما قال تعالى: "وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم

= رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ولا يمس القرآن إلا طاهر"، وقد أسنده الدارقطنى عن عمرو بن حزم وغيره، وفى أسانيدها نظر، وعن ابن عمر أنه كان لا يمس المصحف إلا متوضئًا، وعن معاذ بن جبل أن النبى -صلى الله عليه وسلم- لما بعثه إلى اليمن كتب له فى عهده "أن لا يمس القرآن إلا طاهرًا" أخرجه ابن مردويه/١٢ فتح.

(١) كذا فسره ابن عباس، والأكثرون من السلف/١٢وجيز.

(٢) أي: شكر رزقكم الذى هو المطر فسره الرسول المترل عليه -صلى الله عليه وسلم- بذلك كما نقله الإمام أحمد والترمذي، وهو المنقول عن ابن عباس/١٢-١٢وجيز ومنه.

(٣) يقول الملائكة: ولكن لا تبصرون يقول: لا تبصرون الملائكة، نقله السيوطى فى الدر المنثور برواية ابن مردويه عن ابن عباس فى حديث طويل/١٢، وقد مر بعض الكلام =

حفظة حتى إذا جاء"الآية [الأنعام:٦١]، أو نحن أعلم، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى المحتضر، ﴿مِنْكُمْ﴾: أيها الحاضرون، ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾: قربنا، ولا تعرفون قدرتنا، ﴿فَلَوْلا﴾: فهلا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: محاسبين مجزيين فى القيامة، ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: النفس إلى مقرها بعدما بلغت الحلقوم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إنه لا بعث ولا حساب لولا الثانى تأكيد للأول، والعامل فى الظرف ترجعونها، وهو المحضض عليه أي: هلا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين صادقين فى ذلك، وجواب الشرط يدل عليه السياق، وحاصله أنكم تنسبون إلى الافتراء كتابي، وإلى الساحر رسولي، وإلى غيرى رحمتى ومطري، وتزعمون أن لا بعث ولا حساب، ولا إله يجازى فنفيتم قدرتى واختياري، فما لكم لا تردون روح من يعز عليكم إذا بلغ الحلقوم، وأنتم ناظرون إليه، وما يقاسيه من شدة النزع، فإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن فوقكم قادر مختار بيده الأمر لا عجز ولا تعطيل، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المتوفى، ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ﴾: فله راحة، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رزق حسن، وعن بعض من السلف: إنه لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه، وفى الحديث[1] "ينطلق إلى ولى الله ملك الموت مع خمس مائة من الملك معهم ضبائر[2] الريحان أصل الريحان واحد وفى رأسها عشرون لونًا لكل لون ريح سوى ريح صاحبه، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: ذات تنعم، أي: يبشر بهذه الثلاثة، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المحتضر، ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ﴾ أي: فيقال له سلام لك يا صاحب اليمين، ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: من إخوانك، أو

= على هذه الآية فى سورة "ق" تحت قوله تعالى: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"[ق: ١٦]، فتذكر/١٢.

(١) فى الترمذى وغيره[ذكره ابن كثير فى "تفسيره" (٥٣٧/٢) وعزاه لأبى يعلى الموصلى وقال: حديث غريب]/١٢وجيز.

(٢) الضبائر الجماعات، واحدها ضبارة كعمارة/١٢منه.

حصل لك سلامة من العذاب حال كونك من أهل اليمين يبشر بالبشارتين، وعن بعض المفسرين: فسلامة لك يا محمد منهم لا تهتم لهم فإنهم فى سدر مخضود، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المحتضر، ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: أصحاب الشمال، ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فله ذلك، ﴿وَتَصْلِيَةُ﴾: إدخال، ﴿جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا﴾: الذى ذكرت، ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ[1]﴾: حق هو اليقين لا مرية فيه، أو اليقين اسم للعلم الذى لا لبس له، والإضافة بمعنى اللام، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: الباء زائدة[2]، وقد ورد لما نزلت قال -عليه السلام- "اجعلوها فى ركوعكم" ولما نزلت "سبح اسم ربك الأعلى" قال: "اجعلوها فى سجودكم"[*].

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) والحق هو اليقين من غير ريب قيل: هو من إضافة المترادفين على المبالغة كما تقول: صواب الصواب، ويقين اليقين يعنى أنه نهاية فى ذلك/١٢.

(٢) فى البحر (سبّح) يتعدى بنفسه وبحرف الجر/ ١٢وجيز.

(*) حديث ضعيف ضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف ابن ماجه".

سورة الحديد مدنية وقيل: مكية

وهى تسع وعشرون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ
وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا
يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾
يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾
ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ
وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ
بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾
وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِى
مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ
بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾﴾

﴿سبح﴾، جاء فى مفتتح السور بلفظ الماضي، والمضارع، والمصدر، والأمر إشعارا بأن الموجودات من الابتداء إلى الانتهاء مقدسة لذاته طوعا أو كرها وإن من شيء إلا يسبح بحمده، **﴿لله﴾**: هذا الفعل عدى بنفسه، وباللام أيضا، **﴿ما فى السموات والأرض﴾**: من الموجودات،ولكن لا تفقهون تسبيحهم، **﴿وهو العزيز الحكيم﴾**: فيستحق التسبيح، **﴿له ملك السموات والأرض﴾**: هو الخالق المتصرف، **﴿يحيى ويميت﴾**، استئناف، أو حال، **﴿وهو على كل شيء قدير هو الأول﴾**: فليس قبله شيء، **﴿والآخر[1]﴾**: فليس بعده شيء يبقى بعد فناء الممكنات، **﴿والظاهر﴾**: الغالب من ظهر عليه إذا غلبه، أو ظاهر لأن جميع الكائنات دليل ذاته، **﴿والباطن[2]﴾** الذى بطن كل شيء أي: علم باطنه أو باطن لأنه غير مدرك بالحس، وفى الحديث[3] "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك

(١) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا فى قوله عز وجل هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما يعنى بالقرب علمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام مقدار كل يوم ألف عام، ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض من القطر، وما يخرج منها من النبات، وما يترل من السماء من القطر، وما يعرج فيها يعنى ما يصعد إلى السماء من الملائكة، وهو معكم أين ما كنتم يعنى قدرته وسلطانه وعلمه معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير/١٢در منثور.

(٢) وفى كتاب العلو للذهبى روى بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا -والله أعلم- فى قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو الأولُ قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء وإنما يعنى بالقرب علمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم. رواه البيهقى بإسناد عنه انتهى/١٢.

(٣) هذا فى صحيح مسلم وغيره/١٢.

شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء" وفى الترمذي[*] عد عليه الصلاة والسلام سبع أرضين بين كل أرضين خمسمائة سنة ثم قال: "والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط[1] على الله ثم قرأ هو الأول والآخر" الآية، **﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ[2]﴾**: قد مر تفسيره فى سورة الأعراف، وغيرها، **﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾**: كالحب والقطر، **﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾**: كالشجر والنبات، **﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾**: كالملك، والمطر، **﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾**: كالأرواح، والأعمال، والملك والأبخرة، **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ[3] أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾**: لا ينفك علمه عنكم، **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**:

(*) "ضعيف" ضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى".

(١) قال الترمذي: فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله فى كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه/١٢.

(٢) قال الشيخ عبدالقادر فى الغنية: وكونه عز وجل على العرش مذكور فى كل كتاب أنزل على كل نبى أرسل، بلا كيف، وفى رسالة النزول لابن تيمية قال أبو عمر الطلمنكي: قد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه بائن من جميع خلقه، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ، وعما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا انتهى/١٢.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله: "وهو معكم أينما كنتم" قال: عالم بكم أينما كنتم وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن سفيان الثورى أنه سئل عن قوله: "وهو معكم" قال: علمه/١٢در منثور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى رسالة النزول: وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه وقد ذكر ابن عبدالبر، وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد به، وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك، ومقاتل بن حيان، والثوري،وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وفى رسالة النزول أيضًا فلفظة المعية ليست فى لغة العرب، ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالآخر كما فى قوله :
=

فيجازيكم عليه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، هو كالمقدمة للإعادة والإبداء فلذا كرره، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيحكم فى خلقه ما يشاء، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: فيطول النهار، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: فيطول الليل، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1] آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ﴾: الله تعالى، ﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: مستخلفين ممن كان قبلكم بتوريثه إياكم، أو جعلكم الله خلفاء فى التصرف، وهو فى الحقيقة لله تعالى، فلا تبخلوا[2]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: فالإيمان، والإنفاق لا ينفعان إلا أنفسكم، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾، مبتدأ أو خبر، ﴿لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، حال، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾، الواو للحال فهما حالان متداخلان يعني: أى عذر لكم فى ترك الإيمان، والرسول يدعوكم، ﴿لِتُؤْمِنُوا

= "محمد رسول الله والذين معه"[الفتح:١١٩]، وقوله: "أولئك مع المؤمنين"[النساء:١٤٦] وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"[التوبة:١١٩] وقوله: "وجاهدوا معكم"[الأنفال:٧٥] ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله وهو معكم يدل على أن ذاته مختلطة تكون بذوات الخلق، وأيضًا فإنه افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فكأن السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر يبين أن لفظ المعية فى اللغة، وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقاربة، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد/١٢.

(١) ولما ذكر تسبيح العالمين، وما احتوى عليه من الملك والتصرف، وذكر لنفسه الصفات العلى، وختم بالعلم بخفيات الصدور، وأمر عباده بالإيمان والإنفاق فى الخير، فقال: "آمنوا بالله ورسوله"/١٢وجيز.

(٢) فيه تزهيد فى المال إذ مصيره إلى الغير، وأنه ينتقل منكم كما انتقل من آبائكم قيل لأعرابي: لمن هذه الإبل؟ قال: هى لله عندي/١٢وجيز.

﴿بربِّكُمْ﴾ أي: إلى هذا الأمر الجليل اليسير، **﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾**: الله، **﴿مِيثاقَكُمْ﴾**: حين أخرجكم من ظهر آدم أو بإقامة الحجج، **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**: بحجة ودليل، وعن بعض المفسرين الميثاق بيعة الرسول -عليه الصلاة والسلام، فإن الخطاب مع المؤمنين على سبيل التوبيخ، **﴿هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾**: القرآن، **﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾**: الله، أو العبد، **﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾**: الجهالات، **﴿إِلَى النُّورِ﴾**: العلم، **﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلا تُنْفِقُوا﴾**: فى أن لا تنفقوا الظاهر أن هذا خطاب للمؤمنين، والأول للكافرين، **﴿فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**: هو يتصرف فى كل شيء وحده فإنكم ميتون تاركون لأموالكم، **﴿لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾**: فتح مكة، **﴿وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾**: بعد فتح مكة، **﴿وَقَاتَلُوا﴾**: فإنه كان الأمر قبل الفتح شديد، أو الناس فى ريب فى أمر الرسالة لكن بعد الفتح ظهر الإسلام، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، وقلّت الحاجة إلى الإنفاق، **﴿وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾** أي: وعد كلا من المنفقين من قبل ومن بعد الجنة، **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**: فلا يضيع عنده عمل عامل.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾
يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ
ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾
يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ
ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ
ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ

وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ
مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ
ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ
كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ
رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: من أنفق المال رجاء ثواب الله كمن يقرضه، وهو عام لكل إنفاق هو لله تعالى، **﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾**: يعطى أجره أضعافًا، وقراءة النصب على جواب الاستفهام، والرفع على العطف على يقرض، **﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾** أي: وذلك الأجر المضموم إليه الإضعاف كريم محمود فى نفسه يعني: كما أنه زائده فى الكم بالغ فى الكيف، وهو جملة حالية، **﴿يَوْمَ تَرَى﴾** ظرف لله، أو ليضاعف، أو اذكر، **﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾**: وذلك دليلهم إلى الجنة على قدر أعمالهم(١)، وأدناهم نورًا من كان فى إبهامه فيطفو مرة، ويَقِدُ أخرى عبر عن جميع الجهات بالجهتين، وجملة يسعى حالية، **﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾**: يقول

---

(١) هذا قول ابن مسعود -رضى الله عنه- والأحاديث الصحاح تدل على قلة النور وكثرته بحسب الأعمال/١٢منه.

الملائكة لهم ذلك، ﴿جَنَّاتٌ﴾ أي: دخول جنات[1] ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ﴾، بدل، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾: انتظرونا، ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾: نستضيء منه، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا[2] نُوراً﴾، القائل المؤمنون، أو الملائكة أي: ارجعوا إلى المكان الذى قسم فيه النور، واطلبوا فيه نوراً، فلا يستضيئون من نورهم كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ﴾: المؤمنين والمنافقين، ﴿بِسُورٍ﴾: حجاب، ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾: باطن السور أو الباب، ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾: لأنه يلي الجنة، ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾: من جهته، ﴿الْعَذَابُ﴾: فإنه يلي النار، ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: المنافقون المؤمنين، ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: فى الدنيا نوافقكم فى أعمالكم؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: بالنفاق والمعاصي، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: انتظرتم فى شأن المؤمنين الدوائر، وعن بعض أخرتم التوبة، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: فى الدين، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾: أمنيتكم الباطلة غرتكم، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: الموت، ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: الشيطان، فيقول: اعملوا فالله تعالى عفو، ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ﴾: لا يقبل، ﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾: فداء، ﴿وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ﴾: النار، ﴿مَوْلاكُمْ﴾: أولى[3] بكم، أو النار ناصركم، فلا ناصر لكم، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[4]﴾: النار، ﴿أَلَمْ يَأْنِ[5] لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

---

(١) قدرنا المضاف وهو دخول ليصح وقوعه خبر بشراكم/١٢منه.

(٢) قيل: معناه ارجعوا خائفين، والتمسوا نوراً، وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم، وسخرية/١٢منه.

(٣) يعنى مولى مفعل من أولى أي: مكانكم الذى يقال فيه هو أولى لكم/١٢منه.

(٤) ولما أجمل، وفصل الوعد والوعيد، والبشارة والتهديد الشديد وهم على حالهم ولم يؤثر فيهم قال: "ألم يأن" الآية/١٢وجيز.

(٥) من أنى الأمر يأنى إذا جاء أناه أي: وقته/١٢.

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ أي: ألم يأت وقت الخشوع؟ **﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾**: القرآن أي: عند ذكر الله، والموعظة وسماع القرآن، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- إن الله تعالى استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم بهذه الآية على رأس ثلاث عشرة[١] من نزول القرآن، وعن بعض: مل الصحابة ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى"نحن نقص عليك أحسن القصص"[يوسف:٣] ثم ملوا، فقالوا: حدثنا، فنزل "الله نزل أحسن الحديث"[الزمر:٢٣]، ثم ملوا فقالوا حدثنا، فأنزل الله تعالى الآية، **﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾**: كاليهود: والنصارى عطف على تخشع، أو نهى عن مماثلة أهل الكتاب، وفيه التفات، **﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾**: الزمان بينهم وبين أنبيائهم، **﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**: مالو إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواعظ الله تعالى، **﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**: خارجون من الدين، **﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**: فلا تيأسوا من أن يلين القلوب بعد قسوتها قيل: تمثيل لإحياء الأموات، فيكون معناه الزجر والتحذير عن القساوة، **﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[٢] **﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾**: المتصدقين، وقراءة تخفيف الصاد معناه الذين صدقوا الله تعالى، **﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾**، عطف على صلة الألف[٣] واللام، لأنه بمعنى إن الذين اصدقوا أو يكون نصب، والمتصدقات على التخصيص، فإن المصدقين عام للذكر والأنثى على التغليب كما إن أقرضوا عام كأنه قيل إن المصدقين، وأخص المتصدقات

---

(١) وفى بعض الروايات على رأس خمس عشرة سنة، وهذا دليل على أن السورة مدنية/١٢منه.

(٢) ولما استبطأ خشوعهم حرضهم على ما هو سبب الخشوع، فقال: "إن المصدقين" الآية/١٢وجيز.

(٣) قيل: إنه عطف على الصلة من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، فإن حاصله أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا/١٢منه.

منهم، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام: "معشر النساء تصدقن" الحديث[1] فيكون والمتصدقات اعتراضًا على سبيل الاستطراد فلا يلزم الفصل بين أجزاء الصلة بأجنبي، ولما لم يكن الإقراض غير ذلك التصدق قيل: وأقرضوا أي: بذلك التصدق، و لم يقل والمقرضين، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: لوجه الله تعالى، ﴿يُضَاعَفُ﴾ أي: ثواب القرض خبر إن، ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: حسن، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ عن مجاهد كل مؤمن صديق، وعن الضحاك هم ثمانية نفر سبقوا إلى الإيلام أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة -رضى الله تعالى عنهم﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: فى جنات النعيم أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى أنهار الجنة، ثم تأوى إلى القناديل مبتدأ[2] أو خبر، أو المراد المؤمنون كلهم[3] كالصديقين والشهداء عند الله تعالى، فيكون والشهداء عطفًا على الصديقون، وفى الحديث "مؤمنوا أمتى شهداء، ثم تلا هذه الآية" ويدل عليه قوله تعالى "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"[النساء:٦٩] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: أجر كل منهم مقصور عليهم وكذا نورهم، أو للمؤمنين مثل أجر الشهداء ونورهم ولا يلزم منه المماثلة من جميع الجهات، ﴿وَنُورُهُمْ﴾: الذى يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: ملازموها لا ينفكون عنها.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ

(١) تتمته "فإنى أريتكن أكثر أهل النار"/١٢منه.

(٢) يعنى منقطع عما قبله صرح بذلك ابن عباس -رضى الله عنهما- وكثيرون/١٢وجيز.

(٣) وهذا قول ابن مسعود، وجماعة من السلف/١٢وجيز.

يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْأَٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ
أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا
تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ
ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن
يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾: ما هي إلا أمور خالية كملاعب الصبيان لا فائدة، ولا غاية تترتب عليها سوى إتعاب البدن، ﴿وَلَهْوٌ﴾: تلهون به عما ينفعكم، ﴿وَزِينَةٌ﴾: تتزينون بها، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾: يفتخر به بعضكم على بعض، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾، مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، مستأنفة أي: مثله كمثله أو خبر بعد خبر أي: ما هي إلا كمثله، ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ[1]﴾: الزراع، أو الكافرون فإنهم أشد عجابًا بخضرة الدنيا، ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس بعاهة، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: هشيمًا متفتتًا، ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: فلا تنهمكوا في شهواتها، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ

(١) المتبادر الكافرون، فإنهم أشد إعجابًا بخضرة الدنيا لا الزراع/١٢وجيز.

وَرِضْوَانٌ[1]﴾: فاطلبوا ما هو خير وأبقى، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا[2] مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: كمتاع يدلس به على المشترى ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده، ﴿سَابِقُوا[3]﴾: سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾: موجباتها، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، قد مر فى سورة آل عمران، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ[4] ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: فلا يجب عليه شيء، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: فارتقبوا فضل الله تعالى وإن جل، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: كالقحط، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: صفة لمصيبة، ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: كالأمراض، ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾: فى اللوح حال يعنى مسطورًا فيه، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: نخلق المصيبة أو الأرض والأنفس، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ثبته فى كتاب، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا﴾ أي: أعلمكم أنها مثبتة لئلا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: الله من متاع الدنيا، فإن من علم أن كل ما قدر له لم يكن ليخطئه، وكل ما

---

(١) لما حقر أمر الدنيا غاية التحقير عظم أمر الآخرة بعبارة وجيزة بليغة، فقال: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"/١٢وجيز.

(٢) أي: لمن اطمئن بها، ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة، عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ألهتك عن طلب الآخرة فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى، فنعم المتاع، ونعم الوسيلة/١٢أبو السعود.

(٣) ولما ذكر ما يئول إليه أمر الدنيا بين ما هو ثابت دائم، وأمر بالمسارعة إليه لئلا يفوت فقال: "سابقوا إلى مغفرة" الآية/١٢.

ولما رغب عباده إلى مسارعة الطاعة، وحذرهم عن التكبر والبخل أعقبه بمنته على العباد بإرسال من علمهم طرق الرشادة، فقال: "ولقد أرسلنا" الآية/١٢وجيز.

(٤) صفة لجنة دالة على أنها موجودة الآن، وتكرر ذلك فى الكتاب والسنة فهو المذهب/١٢.

لم يقدر لم يكن ليصيبه ليس من شأنه الفزع والفرح، بل النظر إلى تقليبه الله تعالى ظهرًا وبطنًا إن رضى فله الرضاء، وإن سخط فله السخط، والمراد من الحزن الجزع، ومن الفرح ما يلهى عن الشكر ويفضى إلى البطر والأشر، ولذلك قال: **﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾** أي: متكبر، **﴿فَخُورٍ﴾**: على الناس بمتاع الدنيا عن جعفر الصادق -رضى الله عنه- يا ابن آدم ما لك تتأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت، **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾**، بدل من كل مختال فإن أكثرهم بخلاء، **﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾**: يعرض عن الإنفاق والطاعة **﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِي الْحَمِيدُ﴾**: فإنه غني عنه، وعن إنفاقه وطاعته محمود فى ذاته لا يضره كفر ولا ينفعه شكر، **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا[1] بِالْبَيِّنَاتِ﴾**: المعجزات، **﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ[2]﴾**،جنس الكتاب، **﴿وَالْمِيزَانَ﴾** أي: العدل أو الميزان المعروف قيل:

---

(١) ولا يحتاج إلى القول بأن الرسل الملائكة إلى الأنبياء فإنه خلاف قول السلف/١٢وجيز.

(٢) ومن وجوه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد أن المعاملة إما مع الخالق، وطريقها الكتب أو مع الخلق وهم إما الأحباب، والمعاملة معهم بالسوية وهى بالميزان، أو مع الأعداء،والمعاملة معهم بالسيف والحديد، ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود، والذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود، وعند هذا يظهر أثر جود الله، ورحمته على عبيده فإن كل ما كانت حاجتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل، ولهذا قال بعض الحكماء: إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء لا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجدانًا وهيأ أسباب التنفس والآية حتى إن الإنسان يتنفس دائمًا بمقتضى طبعه وبعد الهواء الماء وبعد الماء الطعام، وكل طعام كانت الحاجة إليه أشد كان وجدانه أسهل، وكلما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقل، ولما كانت الحاجة إلى رحمة الله أشد من الحاجة إلى كل شيء فنرجو من فضله أن يجعلها أسهل الأشياء وجدانًا قال الشاعر:

سبحان من خص العزيز بعزه … والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي … نفس فمحتاج إلى أنفاسه/١٢كبير.

نزل جبريل -عليه السلام- بالميزان إلى نوح -عليه السلام-، وقال: مر قومك يزنوا به، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليتعاملوا بالعدل، ﴿وأَنْزَلْنَا﴾: أنشأنا، وأحدثنا عن ابن عباس -رضى الله عنهما- ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والمطرقة[1]، ﴿الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: هو القتال به مع من عاند الحق، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ هو آلة لأكثر الصنائع، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، عطف على معنى فيه بأس شديد ومنافع فإنه حال يتضمن تعليلا أي: أنزلناه للبأس وللنفع وليعلم وقيل: عطف على ليقوم الناس، ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: دينه، ﴿وَرُسُلَهُ﴾: باستعمال آلات الحرب مع أعداء الله تعالى، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عن الله تعالى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- يبصرونه ولا ينصرونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: فى أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾: فى ذاته لا يحتاج إلى نصرة ناصر.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢وجيز.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: لم يرسل بعدهما نبى إلا من ذريتهما[1]، **﴿فَمِنْهُمْ﴾**: من الذرية، **﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**: خارجون عن الطاعة، **﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾**: آثار نوح وإبراهيم عليهما السلام،ومن عاصرهما، **﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا﴾**: هم، **﴿بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾** أي: عيسى، **﴿رَأْفَةً﴾**: رقة شديدة، **﴿وَرَحْمَةً﴾**: كانوا متوادين رحماء، **﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾**، منصوبة على شريطة التفسير أي: وابتدعوا رهبانية يعني جاءوا بالرياضة الشاقة، والانقطاع عن الناس من عند أنفسهم، **﴿مَا كَتَبْنَاهَا[2] عَلَيْهِمْ﴾**: ما أمرناهم بها، **﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾**: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى **﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾**: ذم بوجهين الابتداع فى دين الله تعالى، وعدم القيام بما التزموا مما زعموا أنه قربة، **﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾**: وهم الثابتون على دين عيسى -عليه السلام- والرهبانية، **﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**: الذين غيروا دين عيسى عن ابن مسعود قال -عليه الصلاة والسلام[3]: "هل تدرى من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم،

---

(١) ولذلك أفردهما بالذكر لأن الكتاب لهما، ونوح هو الأب الثاني، وإبراهيم هو جد العرب، وبه فخرهم/١٢وجيز.

(٢) أخرج أبو داود، وأبو يعلى الضياء عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم" فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع، والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم[وذكره ابن كثير فى "تفسيره" (٣١٦/٤) وعزاه لأبي يعلى الموصلى]/١٢-١٢در منثور.

(٣) أخرج معنى هذا الحديث عبد بن حميد والحكيم والترمذى فى نوادر الأصول وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى =

قال "ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب أهل الإيمان، فقاتلوهم فهزم المؤمنون ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: تعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى يعنون: محمدًا صلى الله عليه وسلم-، فتفرقوا فى غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية"، وفى رواية "فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم الذين آمنوا بي، وكثير منهم فاسقون الذين كذبوني"، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، الخطاب لمؤمنى أهل الكتاب، ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾: محمد -عليه الصلاة والسلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نصيبين، ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: للإيمان بنبيكم، وللإيمان برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك لمن بقى على دين عيسى -عليه السلام- و لم يغير، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: على الصراط، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وكثير من السلف على أن هذه الآية لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى فى شأن هذه الأمة المرحومة، ففضلهم على أهل الكتاب بالنور والمغفرة، ﴿لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: الذين لم يؤمنوا، ﴿أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: يعطيكم الله تعالى نصيبين من رحمته، لأن يعلم الكافرون منهم أنه لا يتمكنون من نيل شيء من فضل الله تعالى، فلا مزيدة[1]، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، وعلى التفسير الثانى معناه أعطيناكم يا أمة محمد كفلين من رحمته

= شعب الإيمان من طرق عن ابن مسعود[وفى بعض طرقه داود بن المحبر وهو أحد الوضاعين للحديث. ولكن أسند أبو يعلى من طريق آخر فقوى الحديث من هذا الوجه. كذا قال ابن كثير فى "تفسيره" (٣١٦/٤)]/١٢در منثور.

(١) نحو: ما منعك أن لا تسجد، وفى بعض القراءات "ليعلم"، وفى بعضها "لئن يعلم"/١٢ وجيز.

كما أعطى المؤمنون من أهل الكتاب أجرين ليعلم المؤمنون من أهل الكتاب أن فضل الله تعالى ليس بيد أحد، فلو أعطاهم أجرين لأجل إيمانين أعطى المؤمنين كفلين لأجل الإيمان الواحد بفضله قيل: "لا" غير مزيدة، والمعنى لئلا يعلم أهل الكتاب عجز المؤمنين ونقصانهم.

والحمد لله على كل حال.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ مَدَنِيَّةٌ سِوَى الْعَشْرِ الأَوَّلِ،

وَهِيَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً وَثَلاثُ رُكُوعَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ(١) **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾**: تراجعكما الكلام **﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** نزلت فى خولة ، ظاهر منها

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبي يزيد قال: لقى امرأةً عمرُ بن الخطاب يقال لها : خولة، وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته ، فوقف لها ، ودنا منها =

زوجها أوس بن الصامت ، وكان الظهار طلاقًا ، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "حرمت عليه" فحلفت إنه ما ذكر طلاقًا، فقال: "حرمت عليه" فقالت: أشكو إلى الله فاقتي، وجعلت تراجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وترفع رأسها إلى السماء وتشكو إلى الله تعالى(*) ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**﴾ كانت عبارتهم فى الظهارا: أنت كظهر أمي، أى ما هن أمهاتهم على الحقيقة ﴿**إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ**﴾: المظاهرين ﴿**لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ**﴾: لا يعرف فى شرع ﴿**وَزُورًا**﴾ باطلاً محرَّفًا عن الحق ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ فغفر عمّا سلف. ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا**﴾ أي: يتداركون ما قالوا ، والمتدارك عائد إليه ، ومنه المثل : عاد غيث ما أفسد، أى : تداركه بالإصلاح ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : العود الندم ، قال الفراء : عاد فلان لما قال أو فيما قال، أى رجع عما قال، وهو إمساكها عقيب الظهار زمانًا يمكنه الطلاق ، ولم يطلق أو المراد العزم على الوطئ ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ أي: فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة ، والشافعى حمل ما أطلق على ما قيد فى كفارة القتل(1) بالايمان ؛ لاتحاد الموجب ﴿**مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا**﴾ من قبل أن يجامع المظاهِرُ المظاهَرَ منها ، فلا يجوز

= أصغى إليها رأسه ، ووضع بيده على منكبيها ، حتى قضت حاجتها ، وانصرفت فقال لــه رجــل : يــا أمير المؤمنين حبست رجال قريش على هذه العجوز! قال : ويحك (وتدرى من هذه؟ قال : لا، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هــذه خولــة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف حتى إلى الليل، ما انصرفت حتى تقضى حاجتها /١٢الدر المنثور.[قال ابن كثير (٣١٨/٤): هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه].

(*) كما روى البخارى والنسائى وغيرهما.

(١) يعنى تحرير رقبة مؤمنة/ ١٢.

الوطء قبل الكفارة ، والأكثرون على أنه لا يحرم سائر الاستمتاع قبل الكفارة ، وعن بعضهم التماس الاستمتاع مطلقًا **﴿ذَلِكُمْ﴾**: الحكم بالكفارة **﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾** كي تتزجروا به عن الظهار **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾** الرقبة **﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**[1] **مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا**[2]**﴾** ولا يجوز الجماع فى ليالى الشهرين ، فلو فعل ففى الاستئناف خلاف**﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾** الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة **﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾** وعن مالك : من يكفر بالإطعام يجوز له الوطء قبله ؛ لأنه غير مقيد بقوله: "من قبل أن يتماسا" وبيان كمية الإطعام لكل مسكين قد مر فى أواخر سورة المائدة**﴿ذَلِكَ﴾** أى فرض لك الذى بَيَّنَّا **﴿لِتُؤْمِنُوا﴾** لتصدقوا **﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** فى قبول شرائعه وترك بدع الجاهلية، **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** لا يجوز تعديها، **﴿وَ لِلْكَافِرِينَ﴾** عن ابن عباس رضى الله عنهما : لمن جحده وكذبه **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾** يعادون ويعاندون شرعه **﴿وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾** أخزوا ولعنوا **﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾** ككفار الأمم الماضية **﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾** تدل على صدق ما جاء به الرسول **﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾** ظرف لمهين ، أو مفعول لاذكر(*) **﴿جَمِيعًا﴾** مجتمعين **﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾** من خير وشر **﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾** ضبطه عليهم **﴿وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**.

---

(١) متواليين لا يفطر فيهما فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر وإن كان لعذر من سفر أو مرض فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار والشعبى والشافعى ومالك: أنه يبنى ولا يستأنف وقال أبو حنيفة: إنه يستأنف وهو مروى عن الشافعي/ ١٢فتح.

(٢) المماساة : الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة/ ١٢ منه.

(*) أي: اذكر يوم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ
ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ
إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ
يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا
تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٠)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ
لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ
فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ
تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ۞ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ ما يقع سر[1] ثلاثة نفر وتناجيهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أى الله ﴿رَابِعُهُمْ[2]﴾ بالعلم والاستثناء من أعم الأحوال ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ أى ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيص العددين قيل لخصوص الواقعة ، فإنها نزلت لتناجى المنافقين ، أو لأن أهل النجوى لا يكونون إلا قليلين غالبًا من الاثنين إلى ما دون العشرة ، فآثر الثلاثة[3] ليكون قوله "ولا أدنى من ذلك" دالاً على الاثنين وهو عدد لا يمكن التناجى بأقل منه ، والخمسة أيضًا ليكون "ولا أكثر" دالا على السبعة ﴿وَلَا أَدْنَى﴾ أقل ﴿مِن ذَلِكَ﴾ كالاثنين ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ كالسبعة ، ولا لنفى الجنس ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم وفى قراءة "وَلَا أَكْثَرُ" بالرفع هو عطف على محل من نجوى ، أى ما يكون أدنى ولا أكثر ﴿أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ كانت اليهود والمنافقون يتناجون[4] ، ويتغامزون بأعينهم لإغضاب المؤمنين فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عادوا لمثله ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بما هو إثم لهم ، وعدوان للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ تواصٍ بمخالفته

---

(١) فسر يكون بيقع إشارة إلى أن كان تامة ونجوى فاعل كان ومن زائدة لاستغراق النفي/١٢ منه.

(٢) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن الضحاك "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم" قال: هو الله على العرش وعلمه معهم /١٢الدر المنثور.

(٣) إذ لو أوثر الأربعة وما فوقها مثلا كان الأدنى الثلاثة دون الاثنين إلا على التوسع ولما أوثرت جيء بالخمسة ليناسب الوترين ولأن الله تعالى وتر يحب الوتر/ ١٢ منه.

(٤) أخرج معنى هذه القصة ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان ذكره السيوطى فى الدر المنثور.[الدر المنثور (٦/٢٦٩)]

﴿وَإِذَا جَاءوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقولون: سام عليك، والسَّام: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينهم سرًّا ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أى لو كان هو نبيًّا فهلا يعذبنا الله بشتمنا إياه ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ جهنم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ كاليهود والمنافقين ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ بما يتضمن نفعكم ونفع غيركم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ أى ذلك النجوى الذى هو بالإثم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ فإنه الآمر به ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليوهمهم أن عليهم شرًّا ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان أو التناجى ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ من الضرر[1] ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه هو حسبهم وكافيهم.

﴿يَأَيُّهَا[2] الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ توسعوا ﴿فِى الْمَجَالِسِ[3] فَافْسَحُوا﴾ فى المكان ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ[4]﴾ يوسع عليكم فى الدارين ، نزلت حين جاء بعض من أهل البدر[5] إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يوسع الصحابة لهم فكَرِهَ عليه الصلاة والسلام ذلك كرامة لأهل بدر فأقام عليه الصلاة والسلام بعضًا ، وأمر أهل بدر أن يجلسوا مكانهم ، فشق على البعض ذلك ، وفى الصحيحين : "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا". ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾

---

(١) فيكون شيئًا مفعولاً مطلقًا لضارهم ، كأنه قال : ليس بضارهم ضررًا/ ١٢ منه.

(٢) ولما نهى المؤمنين عما هو سبب للتباغض والتنافر أمرهم بما هو سبب التواد والتقارب فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا" الآية / ١٢ وجيز.

(٣) متعلق بتوسعوا/ ١٢ منه.

(٤) أى فى جميع الأمور من الرزق والصدر والقبر وكل ما ينبغى الوسعة فيه/ ١٢ منه.

(٥) نقله محيى السنة عن مقاتل ونقل بعض المفسرين عن كثير من السلف/ ١٢ منه.

انهضوا وقوموا لأكرمكم ﴿**فَانْشُزُوا**﴾ فقوموا، وإذا قيل انهضوا للصلاة أو للجهاد أو إلى خير فلا تثاقلوا ، أو إذا قيل لكم قوموا واخرجوا فإنهم إذا كانوا فى بيته عليه الصلاة والسلام كل منهم يحب أن يكون آخرهم خروجًا فربما يشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم لما له من حاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف يأتمروا سريعًا ﴿**يَرْفَعِ**[1] **اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ**﴾ بطاعتهم لرسوله ﴿**وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**[2] **دَرَجَاتٍ**﴾ أى ويرفع الله تعالى العلماء منهم خاصة ، ونصب درجات بالبدل من الذين آمنوا والذين أوتوا العلم ، أو بالتمييز، والمعنى : لا يحسب أحدكم أنه إذا تفسح ، أو أمر بالخروج فخروج يكون نقصًا فى حقه ، بل هو رفعة ومرتبة عند الله تعالى ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**[3]﴾ نزلت حين كثرت مجالسة الأغنياء ومناجاتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك ، فأمر الله تعالى الخلائق بالصدقة أمام مناجاته فانتهوا عن كثرة المناجاة . عن على رضى الله عنه: هذه آية لم يعمل بها أحد قبلى ، ولا أحد يعمل بها بعدى ، كان عندى

---

(١) ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات ، فمن جمع بين الإيمان والعلم ، رفعه الله بإيمانه درجات ، ثم رفعه بعلمه درجات، قيل : المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك بالذين أوتوا العلم ، وقيل المراد: الذين قرءوا القرآن ، والأولى حمل الآية على العموم فى كل مؤمن ، وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ، ولا دليل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض/ ١٢.

(٢) قيل : قوله "والذين أوتوا العلم درجات" مشعر بأن المراد بـ"انشزوا" قوموا لأكرمكم.

(٣) فى الآية دلائل على وجوب تلك الصدقة ، وهو قوله: "فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم" وقوله:"وتاب الله عليكم"/ ١٢ منه.

دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها غيري(*) ﴿ذَلِكَ﴾: التصدق ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا رخصة مناجاتهم للفقراء بلا تصدق ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: أي: أخفتم تقديم الصدقة(1) لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر ، وجمع الصدقات لجمع المخاطبين ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ عذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوه ﴿فَأَقِيمُوا(2) الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فلا تفرطوا فيهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى أوامره ونواهيه ؛ ليكون كالجابر ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (15) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (16) لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ (18) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ

(*) أخرجه الحاكم فى "المستدرك" (٢/٤٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(١) على ما فسرنا يكون "أن تقدموا" مفعول أشفقتم وقيل : تقديره: أأشفقتم الفقر من أن تقدموا ، والأول أولى/ ١٢ منه.

(٢) كأنه قيل : فلما قصرتم فى ذلك ، فلا تقصروا فى هذا / ١٢ منه.

ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ[١] إِلَى الَّذِينَ﴾ المنافقين ﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ اليهود ، كان المنافقون ينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ لأنهم منافقون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ من اليهود أيضًا ؛ لأنهم مذبذبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو ادعاء الإسلام ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٢]﴾ أن المحلون عليه كذب ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعنى هذا العذاب ؛ لإصرارهم على سوء العمل ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ التى حلفوا بها ﴿جُنَّةً﴾ وقاية من القتل والنهب ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعنى بالحلف الكذب ، يقون أنفسهم ويأمنون وفى خلال أمنهم يصدون الناس عن الدين الحق ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أى من عذابه ، أو شيئًا من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت

---

(١) ولما ذكر مساءة المنافقين فى نجواهم أعقبه بمساءة أخرى لهم فقال : "ألم تر إلى الذين" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) فيه دليل على أن الكذب يطلق على ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم/ ١٢ وجيز.

حين قال عليه الصلاة والسلام : سيأتيكم إنسان[1] ينظر بعيني شيطان ، فإذا ناداكم فلا تكلموه ، فجاء رجل أزرق فقال له عليه الصلاة والسلام: علامَ تشتمني أنت وفلان ، فانطلق الرجل ، فدعاهم وحلفوا له ، واعتذروا إليه ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ظرف لن تغني ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ لله تعالى على أنهم ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ كذبا في الدنيا أنهم منكم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ حسبوا أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب في الآخرة ، كما روجت في الدنيا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فلا يذكرون الله تعالى أصلاً ولا يصلون ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ﴾ جنود ﴿الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ يعادونه ﴿وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ في جملة من هم ذل في الدارين.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ حكم وقرر ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ إما بالحجة وإما بها وبالسيف "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون"[الصافات:١٧١-١٧٢] الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني لا يجتمع الإيمان ومحبة أعداء الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ أي من حاد الله ﴿آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ[2] ﴾ أقاربهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لم يوادوهم ﴿كَتَبَ﴾ الله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أثبته فيها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: من عند

(١) رواه أحمد وغيره، ولا شبهة أن هذا الرجل من المنافقين/ ١٢ منه.[وقال الشيخ أحمد شاكر في "تعليقه على المسند" (٢٤٠٧): وإسناده صحيح.]

(٢) بدأ بالآباء لأن الواجب على الأولاد طاعتهم فنهاهم عن توادهم ثم ثنى بالأبناء لأنه أعلق بالقلوب ثم ثالثا بالإخوان لأن لهم التعاضد ثم رابعا بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة/١٢ وجيز.

الله تعالى وهو النصر على العدو أو نور القلب ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما سخطوا على القرائب لله تعالى عوضهم بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أنعم عليهم من الفضل العظيم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصار دينه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخير الدارين.

اللهم اجعلنا منهم.

سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً، وَثَلَاثُ رُكُوعَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ
أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن
يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟
يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن
دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم"[الإسراء:٤٤]﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بنى النضير ﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾ لما نقضوا العهد أحل الله بهم بأسه فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم الحصينة التي ما طمع بتسخيرها أحد إلى أذرعات من أعمال الشام وهى أرض المحشر ولذلك قال: ﴿لِأَوَّلِ[1] الْحَشْرِ﴾ أي: لابتداء[2]: الحشر صرح به ابن عباس رضى الله عنهما وكثير من

(١) اللام متعلق بأخرج وهى لام التوقيت أى عند أول الحشر كأقم الصلاة لدلوك الشمس/١٢.

(٢) قد أجمع المفسرون على أن هؤلاء المذكورين فى الآية هم بنو النضير و لم يخالف فى ذلك إلا الحسن البصرى فقال: هم بنو قريظة وهو غلط فإن بنى قريظة ما حشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن عائشة قالت: كانت غزوة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم فى ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء على أن لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة يعنى السلاح فأنزل الله فيهم "سبح لله ما فى السموات" إلى آخر القصة/ ١٢الدر المنثور.

السلف[1] وعن الحسن رضى الله عنه قال عليه الصلاة والسلام لبنى النضير: "هـذا أول الحشر وأنا على[2] الأثر" قيل: هم أول من أجلى مـن جزيـرة العـرب فـهم أول المحشورين فإن الحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر ﴿**مَا ظَنَنتُمْ**﴾ أيها المؤمنـون ﴿**أَن يَخْرُجُوا**﴾ لشدتهم وشدة حصوهم ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّـهِ**﴾ أى: زعموا أن حصوهم تمنعهم من بأس الله تعالى فحصوهم مبتدأ ومانعتـهم خـبره؛ أو حصوهم فاعل مانعتهم، لاعتماده فإنه فى الحقيقة خبر المبتدأ وفى هذا النظر[3] دلالـة على فرط وثوقهم بحصوهم واعتقادهم أهم فى عزة بسببها ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ**﴾ عذابه ﴿**مِـنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**﴾ من حيث لم يخطر ببالهم ﴿**وَقَذَفَ**﴾ ألقى ﴿**فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْـبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم**﴾ الجملة حال ﴿**بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فإنهم يقلعون الأبواب وما استحسنوه من السقوف ويحملون معهم والباقى يخربه المؤمنون واليهود عرَّضت المؤمنين لذلك وكانت السبب فيه فهم خربوا ديارهم بأيدى المؤمنين ﴿**فَاعْتَبِرُوا**﴾ فاتعظوا ﴿**يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ ولا تتبعوا أعمالهم وعقائدهم ﴿**وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَـاءَ**﴾ الخروج من الوطن ﴿**لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**﴾ أى: لأنزل عليهم بلاء آخر كالقتل والسـبى فإنه قد كتب أنه سيعذبهم فى الدنيا ﴿**وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ أى هذا لهم حتم لازم على أى حال ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا**﴾ عاندوا وخالفوا ﴿**اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَـاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُم**﴾ ما منصوب بقطعتم أى: أى شـيء ﴿**مِّـن لِّينَةٍ**﴾ هى نوع خاص من النخل أجودها فى ألوان التمر أو سوى العجوة والـبرنى أو

---

(١) رواه ابن جرير وغيره/١٢ وجيز.

(٢) والمشهور أن أرض الشام محشر الخلق يجمع الخلق فيها إلى أرض محشر القيامـة وقـد صرح بذلك ابن عباس -رضى الله عنه- وجم غفير من عظماء السلف / ١٢ وجيز.

(٣) الذى هو من باب تقديم الخبر على المبتدأ حيث لم يقل أن حصوهم تمنعهم دلالة علـى فرط وثوقهم بحصوهم فكأنه لا حصن أمنع من حصوهم/ ١٢.

جميع أنواع النخل ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ فائدة هذا القيد أنه يعلم منه أنهم كانوا يستأصلون ما يقطعون من أصوله وبنيانه ولا يخلون ساقها ﴿فَبِإِذْنِ[1] اللَّهِ﴾ بأمره ورضائه. نزلت لما حاصرهم وأمر عليه الصلاة والسلام بقطع نخيلهم إرغامًا لقلوبهم، قالوا إنك تنهى عن الفساد ثم تفسد فى الأرض فحاك ذاك فى صدور المؤمنين ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ علة لمحذوف أى: أذن لهم فى قطع بعض وإبقاء بعض ليخزيهم على فسقهم بمزيد حسرتهم وغيظهم ﴿وَمَا أَفَاءَ﴾ ما منصوب بأفاء أى: الذى رده ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ من تلك اليهود من الأموال ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ ما نافية أى ما أجريتم ﴿عَلَيْهِ﴾ على تحصيله ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ[2]﴾ والركاب ما يركب من الإبل، يعنى إنما مشيتم على أرجلكم لقربهم منكم ولا تعبتم بالسفر والقتال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ[3] عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا تطمعوا أن يكون مال الفيء كمال الغنيمة أربعة أخماسها لكم بل ما هو لكم من الغنيمة هو من الفيء للنبى صلى الله عليه وسلم ولذلك ما أعطى الأنصار منه إلا ثلاثة نفر منهم ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ

(١) فى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان رضى الله عنه:

لهان على سراة بنى لؤى   حريق بالبويرة مستطير

فأنزل الله "ما قطعتم من لينة" /١٢ فتح.

(٢) والآية إن نزلت قبل فتحهم كانت مخبرة بغيب وإن كانت بعد حصول الأموال كان ذلك بيانا لما يستقبل/ ١٢ وجيز.

(٣) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ومما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله/ ١٢ فتح.

عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ جميع البلدان الذى يفتح **﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** جملة ما أفاء الله بيان للجملة السابقة، ولذلك لم يعطف، كأنه لما قيل: ما خول الله برسوله من أموال بنى النضير شيء لم يحصلوه بالقتال، فلا يقسم قسمة الغنائم . قيل: كيف يقسم؟ قيل: "ما أفاء الله" الآية . فعلم أن مال الفيء، وهو مال أخذ من الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل وركاب ليس للجنود فيه نصيب، بل هو مختص للرسول، ولذى القربى، والثلاثة الباقية[1]. وعلم من الحديث أنه ينقسم بخمسة؛ أربعة أخماس لخاصة النبى -صلى الله عليه وسلم، والخمس الباقى ينقسم على هؤلاء الخمسة، وبيان المصارف قد مر فى سورة الأنفال فلا نعيده **﴿كَى لَا يَكُونَ﴾** الفيء **﴿دُولَةً﴾** ما يتداول **﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾** فلا يصيب الفقراء كأيام الجاهلية **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾** أى: ما أمر به **﴿فَخُذُوهُ﴾** تمسكوا به **﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾** عن إتيانه **﴿فَانتَهُوا﴾** عنه أو ما أعطاكم من المال فاقبلوا وما نهاكم عن أخذه فانتهوا **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[2]﴾** لمن خالف **﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾** بدل من المساكين، أو من لذى القربى، وما عطف عليه **﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾** فإن كفار مكة أخذوا أموالهم **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾** جملة حالية **﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** فى دعوى

---

(١) نصدق أن المجموع لهؤلاء الخمسة لا نصيب للغزاة فيه فإن مطمح نظرهم أن يكون الفيء كالغنيمة فتكون أربعة أخماس لهم والخمس لهؤلاء الخمسة فبين الله لهم أن المجموع لهؤلاء الخمسة فتأمل/ ١٢ منه.

(٢) عن أبى رافع إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه". أخرجه أبو داود والترمذى وقال: هذا حديث حسن/ ١٢ فتح.[وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الجامع"]

الإيمان ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ جعلوا الإيمان مستقرا لهم كما جعلوا المدينة كذلك أى: لزموا المدينة والإيمان، وتمكنوا فيهما[١] والتعريف فى الدار؛ للتنويه، كأنها الدار التى تستحق أن يسمى دارًا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرتهم، وهم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ فى أنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ كحسد وغيظ ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾ أى لا يجدون من مال أعطى المهاجرون فى أنفسهم حقدًا وغرضًا، فإنه قد قسم مال بنى النضير بين المهاجرين دون الأنصار ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ يقدمون المهاجرين ﴿عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ فيما عندهم من الأموال ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما عندهم نزلت حين انطلق رجل من الأنصار برجل، قال عليه الصلاة والسلام فى شأنه: "رحم الله من يضيفه الليلة إلى بيته"، ولم يكن فى بيته سوى قوت صبيانه، فنومهم وأطعمه قوتهم، فبات هو وعياله جائعين. فقال عليه الصلاة والسلام: "ضحك[٢] الله من فلان"[٣] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ من سلم من الحرص الشديد الذى

(١) على ما ذكرنا تبوءوا الإيمان من الاستعارة المكنية وقيل: هو من قبيل علفتها تبنا وماء باردا أى تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان/ ١٢ منه.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما/ ١٢ فتح.

(٣)قال شيخ الإسلام أبو العباس فى بعض فتاواه: وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح وأن ذلك قد يقارنه ثم قول القائل خفة الروح إن أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغى أن يضحك منه وإلا فالضحك فى موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثانى ولهذا لما قال النبى صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله أو يضحك الرب؟! قال: "نعم" قال لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابى العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون =

يحمله على ارتكاب المحارم **﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءوا مِن بَعْدِهِمْ﴾** المراد التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين **﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾** فى الدين **﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ﴾** حقدًا **﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءوفٌ رَّحِيمٌ﴾** واعلم أن للفقراء لا يمكن أن يكون بدلاً من الله وللرسول؛ لأن الرسول أيضًا لا يسمى فقيرًا، فهو بدل من لذوى القربى وما بعده، ومن لم يشترط فى ذوى القربى الفقر، يقول: إن للفقراء ليس للقيد، بل بيانًا للواقع من حال المهاجرين، وإثباتًا لمزيد اختصاصهم، وأن قوله: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ" عطف على الفقراء، لا على المهاجرين، سيما وقد ثبت فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الخلفاء رضى الله

= بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذى لا يضحك قط هو مذموم بذلك، وقد قيل فى اليوم الشديد العذاب: إنه يوما [كذا بالأصل] عبوسا قمطريرا . وقد روى أن الملائكة قالت لآدم: حياك الله وبياك، أى: أضحكك، والإنسان حيوان ناطق ضاحك وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما أن النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك وإذا كان الضحك فينا مستلزم لشيء من النقص، فالله تعالى متره عن ذلك، وذلك النقص مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقًا مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم أن لا يكون الرب موجودا وأن لا يكون له ذات ومن هنا زلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله فأرادوا أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفى وإثبات فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود ولا موصوف ولا لا موصوف مما فى ذلك على زعمهم من التشبيه؛ وهذا يستلزم أن يكون ممتنعا وهو مقتض للتشبيه بالممتنع والتشبيه للممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات فى شيء من خصائصها، أو أن يكون مماثلا لها فى شيء من صفاته كالحياة والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل صفة الخالق صفة المخلوق كالحدث والموت والفناء والإمكان/ ١٢.

عنهم من بعده أنهم يعطون الأغنياء من ذوى القربى وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قرأ هذه الآية إلى قوله: "رَءُوفٌ رَحِيمٌ" قال: استوعبت هذه المسلمين وليس أحد إلا له حق، وقد خطر بخاطرى أن الله تعالى سمى جميع المهاجرين والأنصار والتابعين فقراء، وإن كانوا أغنياء؛ لأنه لو كان المراد فقراءهم؛ لناسب أن يقول لفقراء المهاجرين بطريق الإضافة. وعن بعض المفسرين أن قوله: "للفقراء" ليس بدلاً بل تقديره اعجبوا[1] لهم فإن السياق فى مدحهم، فإنه لما أمر باتباع الرسول عجّب الناس اتباع هؤلاء، والذى يؤيده قوله: "أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا" مُصَدَّرًا بقوله: "أَلَمْ تَر" وهى كلمة للتعجب، فإن ذكرهم جاء مقابلاً لذكر أضدادهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

---

(١) العجب مستعمل باللام كقوله: عجبت لمولود وليس له أب/ ١٢ منه.

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم بنو قريظة والنضير ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ نوافقكم ونرافقكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ فى إخلاف ما وعدناكم وفى قتالكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وقد وقع كذلك فإن ابن أبى وأصحابه عاهدوهم على ذلك ثم أخلفوهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفرض[1] ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ لينهزمون ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعد ولا ينفعهم نفاقهم . قيل: معناه لينهزمن اليهود، ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ مرهوبية مصدر فعل المجهول؛ لأنهم مرهوب منهم لا راهبون ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ لأن نفاقهم من خوفكم، ولو خافوا من الله لتركوا النفاق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ فإنه لو كان لهم دراية، لعلموا أن الله هو الحقيق بأن يخشى ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لا يبرزون لقتالكم لفرط خشيتهم منكم وإن كانوا مجتمعين ﴿بَأْسُهُمْ﴾ شدتهم فى الحرب ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعنى إذا حارب بعضهم بعضا فيشتد بأسهم لكن إن قاتلوكم لم يبق لهم تلك الشدة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ متفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة وأصل الحرب الاتفاق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإن العقل هو الداعى إلى الاتحاد والاتفاق، وعن بعض[2] تحسبهم أى: اليهود والمنافقين ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أى: مثل اليهود كمثل الذين استقروا من قبلهم فى زمان قريب، وهم أهل بدر

---

(١) قوله: على الفرض، إشارة إلى أن قوله: "ولئن نصروهم" بعد "ولئن قوتلوا لا ينصرونهم" لا منافاة /١٢ منه.

(٢) هو قول إبراهيم النخعي/ ١٢.

أو يهود بنى قينقاع[1]، فقد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلهم ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أى: مثل المنافقين فى إغراء اليهود كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ تبرأ عنه فى العاقبة، كما فعل براهب[2] حمله على الفجور[3]، ثم على سجوده، ثم تبرأ منه . وكما قال يوم بدر: "لا غالب لكم اليوم من الناس، وإنى جار لكم" إلى قوله: "إنى بريء منكم"[الأنفال:٤٨] ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ[4]﴾.

---

(١) فقد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى النضير بزمان قريب من المدينة فكانوا أمثالهم صرح بذلك ابن عباس رضى الله عنهما / ١٢ وجيز.

(٢) عن على بن أبى طالب إن رجلا كان يتعبد فى صومعة، وأن امرأة كان لها اخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاءوه وأخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: إنى أنا الذى زينت لك فاسجد لى سجدة أنجيك فسجد له، فذلك قوله: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر" الآية أخرجه أحمد فى الزهد والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم/ ١٢ فتح.[وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما فى "الدر المنثور" (٢٩٥/٦)]

(٣) واسمه برصيصا قصته مشهورة ذكرها البغوى وأوردها السيوطى فى الدر المنثور عن على وابن مسعود وابن عباس وقولهم: عن أبى أمامة مرفوعا وعزاه إلى البيهقي/ ١٢ كمالين.

(٤) ولما انقضى فى هذه السورة أحوال اليهود والمنافقين وسيرهم وعظ المؤمنين فإن الموعظة بعد ذكر عيوب الأعداء أنفع فقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله/ ١٢ وجيز.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ
أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا
مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ
ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ
ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد[1]﴾ انظروا ما ادخرتم ليوم القيامة **﴿واتقوا الله﴾** تكرير للتأكيد **﴿إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾** نسوا حقه **﴿فأنساهم﴾** الله **﴿أنفسهم﴾** حق أنفسهم فلم يفعلوا ما ينفعهم **﴿أولئك هم الفاسقون ﴾** الكاملون فى الفسق **﴿لا يستوى أصحاب النار﴾** الذين نسوا الله فلم يتقوا **﴿وأصحاب الجنة﴾** الذين عرفوا حق الله فاتقوا **﴿أصحاب الجنة هم الفائزون[2] لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾** وخاطبناه بالأمر والنهى

(١) عبر عنه بالغد لأنه كائن قريب قيل كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيمه وإبهام أمره كأنه قال: لغد لا يعرف كنهه لعظمه/ ١٢ وجيز.

(٢) قالوا: لأن فرضنا بعثا وقيامة فمنزلتنا أعظم/ ١٢ وجيز.

وفهمناه الحكم والمثل ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ متشققا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ التي فى القرآن ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُونَ﴾ والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه وقلة تدبره وعدم الاتعاظ بالقرآن ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب عنا ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وما حضر ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ[١] إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر البليغ فى النزاهة عن كل نقصان ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة من كل نقص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن أو المصدق للمؤمنين والكافرين فى وعدهم ووعيدهم ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب المطلع على السرائر ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ[٢]﴾ العظيم أو الذى جبر خلقه على مراده أو جبر حالهم

---

(١) كرره لأن التوحيد هو المقصود الأصلى / ١٢ وجيز.

(٢) فيه وجوه أحدها أنه فعال من جبر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير . قال الأزهرى وهو جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذى ارتضاه . قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

والثانى أن يكون الجبار من جبره على، إذا أكرهه على ما أراده. قال السدي: إنه الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما أراده. الثالث: قال ابن الأنباري: الجبار فى صفة الله الذى لا ينال الرابع قال ابن عباس: الجبار هو الملك العظيم هذا ما فى الكبير . وقال الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله فى النونية.

وكذلك الجبار من أوصافه ... والجبر فى أوصافه قسمان:

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني: جبر القهر بالعز الذي ... لا ينبغي لسواه من إنسان

وله مسمى ثالث وهو العلو ... فليس يدنو منه من إنسان

من قولهم جبارة للنخلة ... العليا التى فاقت لكل بنان

وأصلحها ﴿الْمُتَكَبِّرُ [1]﴾ الذى تكبر عن كل نقص وأصل الكبرياء الامتناع ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ المقدر ﴿الْبَارِئُ﴾ المبرز الموجب لما قدر ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الممثل للمخلوقات الموجد لصورها ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بلسان قاله أو حاله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وفى مسند الإمام أحمد والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك، يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المترلة".

---

(١) واعلم أن المتكبر فى حق الخلق اسم ذم لأن المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حق الخلق لأنه ليس له كبر ولا علو بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذبا فكان ذلك مذموما فى حقه أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه؛ فكان ذلك فى غاية المدح فى حقه سبحانه، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال: "سبحان الله عما يشركون". كأنه قيل: إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله فى هذا الوصف لكن الله سبحانه متره عن التكبر الذى هو حاصل للخلق/ ١٢ كبير.

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَآيَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَفِيهَا رُكُوعَانِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ
بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ
تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا
تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞﴾

﴿يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾ نزلت فى حاطب بن[1] أبى بلتعة، لما كتب إلى كفار مكة، حين أراد عليه الصلاة والسلام الخروج إلى مكة -إن المؤمنين قد جاءوكم فاحذروا، وأرسل بيد امرأة، فبعث عليه السلام عليًّا وعمارًا وغيرهما، وأخذوا منها الكتاب، فخاطب عليه السلام حاطبًا فقال: يا رسول الله، والله إنى لمؤمن بالله ورسوله، لكن كنت امرءًا ملصقًا فى قريش، عندهم أهلى ومالى، و لم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكتبت إليهم بذلك . فقال عليه السلام: "صدق حاطب، لا تقولوا له إلا خيرًا" ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾ أخبار المؤمنين ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ بسببها أو تفضون إليهم بالمودة، فيكون من باب التضمين، لا أن الباء زائدة والجملة حال أو صفة لأولياء ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ حال من الفاعل ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أى: من مكة استئناف أو حال من كفروا ﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾ أى: بأن تؤمنوا ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من الأوطان ﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي﴾ جواب الشرط ما يدل عليه لا تتخذوا ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ مثل تلقون إليهم بالمودة، والجملة استئناف، كأنه قيل: لم لا نتخذ؟ فقيل تسرون إلى آخره، يعنى توادونهم سرًّا، وأنا مطلع على سركم ومطلع عليه رسولى، فلا طائل ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ أى: الاتخاذ ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾ طريق الصواب ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ويغلبوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودة ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ كالقتل والضرب والشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ[2]﴾ تمنوا ارتدادكم ولو للتمني، يعنى لا

---

(١) كما فى البخاري/ ١٢.

(٢) يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدين والدنيا جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا ومضار الدين الذى هو ردكم كفارا أسبق المضار منهم لعلمهم أن

=

توادوهم فإنهم معكم فى نهاية العداوة ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الكفار﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار، أو لا ينفعكم إلا طاعة الله لا الأقارب والأولاد، فإنه يوم يفرق بينكم؛ بأن يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ[2] حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أى فيهم خصلة من حقها أن يؤتسى بها، ويتبع ﴿إِذْ قَالُوا﴾ ظرف لخبر كان ﴿لِقَوْمِهِمْ﴾ الكفار ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ بدينكم ومعبودكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ فإنه حينئذ ينقلب العداوة والبغضاء موالاة ومحبة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أى لكم فيه خصلة من حقها الاتباع إلا هذا قال تعالى: "ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين"، إلى قوله "إن إبراهيم لأواه حليم" (التوبة:١١٣-١١٤)، ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من تمام قوله لأبيه ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ من تمام الأسوة الحسنة ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا

= الدين أعز، ولأجل هذا ودوا بصيغة الماضى بعد ذكر المضارع فى الشرط والجزاء/ ١٢ منه.

(١) ولما نهى الله عن موالاة الكافرين ذكر قصة إبراهيم فإنه متبع لا فى الأمور فى نوع موالاته لأبيه فقال: "قد كانت لكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم، وقيل: ذكر فى الآية شيئين أحدهما: "إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم" الآية . والثانى ما دعوا الله به "ربنا عليك توكلنا" الآية فقال الله تعالى: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة" فيما قالوا لقومهم: إنا برءاء منكم. ولكم فيهم أسوة حسنة فيما دعو الله به حين قصد الكفار جفاهم يعنى اقتدوا بهم فى كلتيهما وقيل روا بووكه اين دوامر بدووفت آنده باشد./ ١٢ (زاهدى).

تجعلنا فتنة للذين كفروا لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب آخر فيقولوا لو كانوا على الحق ما أصابهم ذلك فيفتنوا أو لا تسلطهم علينا فيفتنونا ﴿**واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة**﴾ كرر لمزيد الحث والتأكيد ولهذا صدره بالقسم وجعل قوله: ﴿**لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾بدل بعض من لكم وعقبه بقوله: ﴿**و من يتول**﴾ عن الاقتداء ويتوال الكفار ﴿**فإن الله هو الغنى الحميد**﴾ فلا يضر الله بل لا يضر إلا نفسه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ
يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾
إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ
وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٍ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ
وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ
ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ
وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ ۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن
فَاتَكُمۡ شَيۡءٌ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم
مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ
ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ

وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أى مشركى مكة **﴿مَّوَدَّةً﴾** بأن يهديهم فألف بين قلوبكم **﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[(١)]﴾** لما فرط منكم من الموالاة ومنهم حين الكفر **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ﴾** أى عن الإحسان إلى الكفرة الذين **﴿لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾** بدل اشتمال من الذين **﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾** تفضوا إليهم بالعدل **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** نزلت حين جاءت أم أسماء بنت أبى بكر بهدايا فأبت أسماء أن تقبل وأن تدخل بيتها؛ لأن أمها مشركة **﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾** اتفقوا وأعانوا **﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾** بدل من الذين **﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[(٢)] يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا[(٣)] إِذَا**

---

(١) ثم إنه تعالى بعد ما ذكر من ترك انقطاع المؤمنين بالكلية عن الكفار رخص فى صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار فقال: "لا ينهاكم الله" الآية.

(٢) والحاصل أن من يضركم فى كفره فلا توالوهم، ولما كان إرجاع أحد عند قومه من الموالاة بين أمره فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) فى نظم هذه الآيات وجه حسن معقول وهو أن المعاند لا يخلو من أحد أحوال ثلاثة إما أن يستمر عناده أو يرجى منه أن يترك العناد أو يترك العناد ويستسلم، وقد بين الله تعالى فى هذه الآيات أحوالهم وأمر المسلمين أن يعاملوهم فى كل حالة على ما يقتضيه الحال، أما قوله تعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا إنا =

جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ كان النبى عليه السلام يحلفهن أهن ما خرجن إلا لحب الإسلام لا لفرار من أزواجهن ولا لعشق أحد **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾** بظهور الأمارات[1] وسماه علما ليعلم أن الظن الغالب فى مثل هذا المقام كالعلم **﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾** لأن المسلمة لا تحل للكافر وفى العبارة تأكيد ومبالغة لا يخفى ومنه علم أنه حصلت الفرقة ولا يجوز استئناف النكاح **﴿وَآتُوهُم﴾** أى: أزواجهن الكفار **﴿مَّا أَنفَقُوا﴾** عليهن من المهر **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾** فإن الإسلام أبطل الزوجية[*] **﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾** مهورهن هذا القيد ليعلم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام مهرهن بل لابد من إصداق، وقد تقدم أن صلح الحديبية على أن من جاءنا منكم رددناه إليكم فهذه الآية مخصصة لعهدهم[2] نقض الله العهد بينهم فى النساء خاصة، وقد كان فى ابتداء الإسلام جائز أن يتزوج المشرك مؤمنة، وهذه الآية ناسخة، والأكثرون على أنها متى انقضت[3] العدة و لم يسلم الزوج انفسخ نكاحها

= برءاء منكم" فهو إشارة إلى الحالة الأولى ثم قوله: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة" إشارة إلى الحالة الثانية ثم قوله:"يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات" إشارة إلى الحالة الثالثة ثم فيه لطيفة وتلبية وحث على مكارم الأخلاق، لأنه تعالى ما أمر المؤمنين فى مقابلة تلك الأحوال الثلاث بالجزاء إلا بالتى هى أحسن وبالكلام إلا بالذى هو أليق/ ١٢ كبير.

(١) والظن الغالب فى أعمال الشرع فى حكم العلم/١٢ وجيز.

(*) أى: بين المسلم والكافرة، أو بين المسلمة والكافر وهو ما أراده هنا.

(٢) والحكم برد الصداق إنما هو فى نساء أهل العهد وأما من لا عهد فلا رد/ ١٢ منه.

(٣) وعلم من قولنا: متى انقضت العدة أن هذا الحكم فى المدخولة فإن غير المدخولة حكمها الفسخ حين إسلامها فليس عليها العدة/ ١٢ منه.

منه، ويحكم بالانفساخ من حين إسلامها ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ جمع عصمة أى: ما اعتصم به من عقد ونسب، والكوافر جمع كافرة، هذا التحريم من الله على المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن أيضا ولذلك لما نزل طلق عمر[1] رضى الله عنه امرأتين مشركتين له بمكة ﴿وَاسْأَلُوا﴾ أيها المؤمنون من الكفار ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ من صداق نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾ أى: المشركون ﴿مَا أَنفَقُوا﴾ من صداق المهاجرات، أمر المؤمنين بأن يكون العهد بينكم كذا فتطالبوهم بصداق المرتدات ويطالبوكم بصداق المهاجرات المؤمنات ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع ما ذكر فى الآية ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استئناف ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والأمر برد الصداق إلى الكفار لأجل العهد وإلا لم يجب ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ انفلت منكم ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أحد منها أى: من كانت ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ جاءت نوبتكم من العقبة وهى النوبة أو أصبتم من الكفار العقبى أى: الغنيمة وعليه كلام الأكثرين والحديث يؤيده ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ إلى الكفار ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ مما فى ذمتكم من مهر المهاجرات، أو من مال الغنيمة[2] تنزلت حين نزلت الآية المتقدمة وأبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر، وحاصله: إن لم يؤدوا مهر المرتدة المنفلتة منكم فلا تؤدوا أنتم أيضًا إلى الكفار مهر المهاجرة المنفلتة منهم، حين جاءت نوبتكم، بل أعطوا زوج المرتدة منكم مثل مهرها، مما فى ذمتكم من مهر المهاجرات، أو أعطوا زوجها مثل مهرها من مال الغنيمة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ[3] يَأَيُّهَا النَّبِى إِذَا جَاءكَ

(١) كما فى البخاري/ ١٢ وجيز.

(٢) قالوا: هذا حكم الله فى تلك النازلة خاصة بإجماع الأمة، قال القشيري: قال قوم: هذا الحكم ثابت إلى الآن نزلت حين نزلت الآية المتقدمة وأبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر/١٢ وجيز.

(٣) فإن الإيمان بالله يقتضى الاجتناب عن معاصيه/ ١٢.

الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ عن بعض السلف أنها نزلت فى يوم الفتح، وكلام الأكثرين على أنها قبل الفتح **﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ**[1] **أَوْلَادَهُنَّ﴾** فإن وأد البنات من شكيمتهن **﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾** بأن تلتقط مولودًا وتقول لزوجها: هذا منك، فإن الولد إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها[2] **﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾** وهو لا يأمر إلا بالمعروف، لكن قيد به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق، ولو فرض أنه رسول -الله صلى الله عليه وسلم- فى معصية الخالق **﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾** هو العامل فى إذا جاءك **﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** نهى عن موالاة الكافرين مطلقًا أو اليهود منهم فى آخر السورة، كما نهى فى أولها **﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾** لإنكارهم الحشر ولعلمهم بأنهم على الضلال فإن اليهود من المعاندين **﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾** الأحياء **﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾** أى: من الاجتماع مع الأموات فإنهم منكرو الحشر، أو كما يئس الكفار الذين هم أصحاب القبور من كل خير؛ لأنهم علموا شقاوتهم.

اللهم لا تجعلنا فى زمرتهم.

---

(١) وفى المسوى شرح الموطأ باب البيعة على أركان الإسلام وترك الكبائر وغير ذلك من أحكام الشرع قال الله تعالى: "يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا" الآية، ثم ذكر الأحاديث وقال: فيه دليل على أن البيعة غير مقصورة على قبول الخلافة والذى يتعاهده مشايخ الصوفية له وجه فى الشرع. انتهى ١٢.

(٢) هكذا فسره ابن عباس ومقاتل ويؤيده الأحاديث/ ١٢ منه.

سورة الصف مكية

وهى أربع عشرة آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا
تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ
أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ
۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ
ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ
بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾

﴿سبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قد مرَّ مرارًا تفسيره **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ﴾** حذف ألف ما الاستفهامية إذا كانت مع حرف الجر أكثر من إثباتها **﴿تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا[1]﴾** المقت أشد البغض منصوب

---

(١) فى هذا الأسلوب من المبالغات فإنه أسند الفعل إلى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قوله ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه، واختير لفظ المقت الذى
=

بالتمييز ﴿عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا﴾ فاعل كبر ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ فى هذا الأسلوب من الكلام ما لا يخفى من المبالغة نزلت فى جماعة قالوا: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به. فأخبر الله نبيه أنه الجهاد، فلما فرض نكل عنه بعضهم، وكرهوا، أو نزلت لما التمسوا الجهاد فابتلوا به، فولوا يوم أحد مدبرين، أو فى قوم قالوا: قاتَلْنا طعنّا ضرّبنا صَبرنا، وهم كاذبون، أو فى المنافقين يعدون نصر المؤمنين ولا يفون، وعلى أى ففيه وعيد شديد لمخلف الوعد والعهد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ مصطفين ﴿كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ[1]﴾ قد رص بعضه ببعض فليس فيه فرجة حال من ضمير صفا ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ أى اذكر للتسلية ﴿لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي[2] وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ لظهور المعجزات ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ صرفوا عن الحق مع علمهم ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي: من سبق فى علمه أنه فاسق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [3] يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا﴾ منصوب بما فى الرسول من معنى الإرسال أي: أرسلت فى حال تصديقى وتبشيرى ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ

= هو أشد البغض ولم يقتصر على البغض وعلى أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك فإنه إذا أثبت كبر مقته عنده فقد تم كبره/ ١٢ منه.

(١) ولما ذكر محبة الله للمقاتلين ذكر ما يدل على التمرد عن النصرة والجهاد فقال "وإذ قال موسى لقومه" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) قالوا إنه آدر أي: منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه / ١٢ جلالين.

(٣) لم يقل يا قوم لأنهم لم يعترفوا بأنه نبى الله إليهم، أو لأن أبا موسى منهم بخلافه عليهما الصلاة والسلام/ ١٢ وجيز.

أَحْمَدُ[1] ﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَات قَالُوا هَذَا﴾ إشارة إلى ما جاء به ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله حال كونه مدعوًّا بلسان نبيه إلى سعادة الدارين وهي الإسلام ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ أصله أن يطفئوا فزيدت اللام تأكيدًا لمعنى الإرادة كما فى لا أبا لك تأكيدًا لمعنى الإضافة ﴿نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ[2] وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إتمامه ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ بالقرآن والمعجزة ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليعلى دين الحق على سائر الأديان أو رسوله على أهل الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[3]﴾ قد فسرنا الآيتين فى سورة براءة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ

---

(١) وفى حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما "إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب والعلقب الذى ليس بعده نبي"/ ١٢ فتح.

(٢) شبهت ومثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه، فيكون تهكما بهم فى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى الإسلام هذا سحر/ ١٢ منه.

(٣) ذُكِر المشركون فى الثانى لأن استيلاء قريب على سائر الأقارب أشد عليهم وهم أكثر حسدا عليه من غيرهم أما إتمام نوره بإبقاء دينه فالمشرك وغيره على السواء والكافر يطلق على الأعم غالباً/ ١٢ وجيز.

تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ
فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عذاب الله مطلقًا ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ استئناف مبين للتجارة فإنهم قالوا: دلنا يا رب ﴿ذَلِكُمْ﴾ أى الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لستم جاهلين ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ جواب للأمر المذكور بلفظ الخبر[1] للمبالغة قيل: جواب للشرط أي: إن تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم والجنة العدن قد مرَّ ﴿وَأُخْرَى﴾ أي: ولكم نعمة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ فإن أمور العاجل محبوب على النفوس ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بدل أو بيان ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمد بثواب الدارين عطف على تؤمنون؛ لأنه بمعنى آمنوا فإن قوله: "يا أيها[2] الذين آمنوا" متناول للنبى عليه السلام وأمته فقد دل على تجارته وتجارتهم، أو يكون جوابًا للسؤال وزيادة، كأنهم قالوا: دلنا يا ربنا، فقيل: آمنوا؛ يكن لكم كذا، وبشرهميا محمد بثوبته، وقيل: عطف على محذوف، أي: قل يا أيها الذين آمنوا، وبشر أو أبشر وبشر ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

---

(١) يعنى تؤمنون وتجاهدون خبر لفظا أمر حقيقة ومعنى/ ١٢ منه.

(٢) إشارة إلى دفع اعتراض هو أن المخاطبين فى تؤمنون هم المؤمنون وفى بشر هو النبى عليه الصلاة والسلام، وقوله: تؤمنون بيان لما قبله على طريق الاستئناف، فكيف يصح عطف وبشر عليه؟ فأجاب بأجوبة أربعة فتأمل/ ١٢ منه.

للْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من جندى متوجها إلى نصرة الله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ يعنى كونوا أنصاره، مثل كون الحواريين أنصار[1] الله وقت قول عيسى: من أنصارى إلى الله، فما مصدرية، وهى مع صلتها ظرف، وهو كقولهم: ما رأيت رجلا كاليوم. أي: كرجل رأيته اليوم . حذف الموصوف مع صفته، واكتفى بالظرف عنهما، وهذا من توسعاتهم فى الظروف، وقيل تقديره: قل لهم كما قال عيسى ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ بالغلبة والاستيلاء ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾غالبين وذلك بعد رفع عيسى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال السلف: لم يزل دين عيسى طامسًا، حتى بعث الله محمدًا، فآمن المؤمنون بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام، فصاروا ظاهرين إلى آخر الأمر، فيقاتل المسيح الدجال.

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) هذا وجه صحة التشبيه؛ لأن ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى، وهو ليس كذلك فافهم/ ١٢ منه.

سورة الجمعة(١) مكيّة

وهي إحدى عشرة آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾
هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا
يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو
ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ
يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ
ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يسَبِّحُ لِلهِ مَا فِى السَّمَوَات وَمَا فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّنَ﴾ العرب فإن أكثرهم لا يقرءون ولا يكتبون **﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾** مع أنه أمى أيضًا **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾** من العقائد الرديَّة والأعمال

---

(١) أخرج مسلم وأهل السنن عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الجمعة سورة الجمعة، وإذا جاءك المنافقون/ ١٢ فتح.

القبيحة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لأنهم مشركون وإن هى المخففة بدلالة اللام ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على الأميين وهم من جاءوا بعد قرنه إلى يوم الدين وكل من أسلم صار منهم فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، أو المراد أهل فارس[1] ومنهم صفة الآخرين لأن أول وآخر لا يستعمل بمن مع أن الجمع من أفعل التفضيل مطلقا لا يستعمل بمن ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يدركوهم فإنهم بعدهم قيل: لم يلحقوا بهم فى الفضل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ﴾ الذى أعطاه من النبوة العظيمة وما خص به أمته ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ[2] حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا و لم ينتفعوا بها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا[3]﴾ كتبًا كبارًا [4] أو يحمل إما حال والعامل معنى المثل، أو صفة؛ لأن التعريف فى الحمار للجنس ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ حذف المضاف من المخصوص، أي: مثل الذين، أو المخصوص محذوف أى مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله هو

---

(١) فى البخارى ومسلم والترمذى وغيرهما أنه لما نزلت "وآخرين منهم" سألوا من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سألوا ثلاثا، ثم وضع يده على سلمان وقال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله، رجال من هؤلاء، ولهذا قال مجاهد وغيرهم: هم الأعاجم / ١٢ منه.

(٢) ولما وصف الأمة المرحومة مقدمهم وتاليهم ذم اليهود فقال: "مثل الذين حملوا التوراة"/١٢ وجيز.

(٣) قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدرى أسفر على ظهره أم زبل وكذا اليهود وكل من علم و لم يعمل بعلمه فهذا مثله، وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن، و لم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه؛ ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية، ثم ذم هذا المثل، والمراد منه ذمهم فقال: "بئس مثل القوم" الآية/ ١٢ فتح.

(٤) لا يعرف أنه كتاب أو تراب/ ١٢ وجيز.

والضمير إلى مثل الذين حملوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قد ذكرنا فى سورة البقرة وجهين فى معناه ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم وعلمهم بها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون المباهلة لأجله أو تخافون أن تتمنوه باللسان ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ لا محالة والفاء لتضمن الذى معنى الشرط والجملة خبر إن ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[1]﴾ بأن يجازيكم عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِى لِلصَّلَاة[2]﴾ أذن لها عند قعود الإمام على المنبر ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ من بيان وتفسير لإذا وقيل: بمعنى فى ﴿فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ

---

(١) ولما ذم اليهود وهم فوتوا شرف يوم الجمعة وصلاته واختاروا السبت كما فى الحديث المعتمد؛ أعقبه بنصح الأمة المرحومة فيما نالوا من الشرف فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية/١٢ وجيز.

(٢) واعلم أن صلاة الجمعة فريضة من فرائض الله بهذا النص وبما صح من السنة، وقد واظب عليها النبى صلى الله عليه وسلم من الوقت الذى شرعها الله تعالى فيه إلى أن قبضه، وحكى ابن المنذر الإجماع على أنه فرض عين، وهى كسائر الصلوات لا يخالفها إلا فى مشروعية الخطبتين قبلها، ومن تأمل فيما وقع فى هذه العبادة الفاضلة من الأقوال الساقطة والمذاهب =

اللّٰه[1]﴾ أي: اهتموا [2] فى سيركم إليها كى لا يفوت منكم وليس المراد هاهنا المشى السريع ففى الصحيحين "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" **﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾** المعاملة فإنها حرام **﴿ذَٰلِكُمْ﴾** السعى إليه **﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** من المعاملة **﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** إن كنتم من أهل العلم **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾** فرغتم منها **﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** لقضاء حوائجكم **﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ[3] اللَّهِ﴾** رزقه[4] وهذا أمر إباحة بعد الحظر عن بعض السلف من

= الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب، ولا يوجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الأمور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والإمام الأعظم والحمام ونحوها شروطا لصحة الجمعة أو فرضا من فرائضها أو ركنا من أركانها فيالله العجب ما يفعل الرأى بأهله، ومن يخرج من رءوسهم هذه الخزعبلات الشبيهة بالقصص والأحاديث الملفقة، وهى من الشريعة المطهرة بمعزل، وكل من ثبت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف أحسن المعرفة، ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به فى وجهه وتفصيل ذلك فى النيل والسيل للشوكاني/ ١٢فتح البيان فى مقاصد القرآن.

(١) واستدل بالآية من قال: إنما يجب إتيان الجمعة على من كان يسمع النداء، ومن لا يحتاج إلى إذن السلطان، لأنه تعالى أوجب السعي، ولم يشترط إذن أحد. ومن قال: لا يجب على النساء لعدم دخولهم فى خطاب الذكور / ١٢ إكليل للسيوطي.

(٢) كقوله: "من أراد الآخرة وسعى لها سعيها"[الإسراء:١٩] وقوله "إن سعيكم لشتى"[الليل:٤] وقوله "أن ليس للإنسان إلا ما سعى"[النجم: ٣٩] / ١٢ فتح.

(٣) أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: إذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج إلى باب المسجد فساوم بالشيء وإن لم تشتره/ ١٢ در منثور. وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد قال: اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين/ ٢١ كبير.

(٤) وفى البيع بعد صلاة الجمعة بركة عظيمة كما جرب/ ١٢ وجيز.

باع واشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فى حال انتشاركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ نزلت حين قدمت عير المدينة أيام الغلاء والنبى عليه السلام يخطب فلما سمع الناس الطبل لقدومها انصرفوا إليها إلا اثنى عشر رجلاً، قيل: تقديره إليها وإليه فحذف إليه للقرينة وقيل: أفرد التجارة لأنها المقصودة إذ المراد من اللهو طبل قدوم العير ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا[1]﴾ فى الخطبة وكان ذلك فى أوائل وجوب الجمعة حين كانت الصلاة قبل الخطبة مثل العيد كما روى أبو داود فى كتاب المراسيل ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لمن توكل عليه، فلا تتركوا ذكر الله فى وقته.

والحمد لله حق حمده.

---

(١) أخرج ابن أبى شيبة عن طاوس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما وأبو بكر وعمر وعثمان، وإن أول من جلس مع المنبر معاوية بن أبى سفيان، وأخرج عن الشعبى قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه فقال: السلام عليكم ويحمد الله ويثنى ويقرأ سورة ثم يجلس ثم يقوم فيخطب ثم ينزل"، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه/ ١٢ در منثور.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ
وَهِيَ إِحْدَى عَشَرَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ
وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن
يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ
ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ
لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ
حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾
يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: عند أنفسهم، وهذا هو الكذب الشرعي اللاحق به الذم، ولذلك لا ينسبون المجتهدين إلى الكذب، وإن نسبوا إلى الخطأ، أو لأن

الشهادة هو ما وافق فيه اللسان والقلب[1] وشهادة الزور كإطلاق البيع على الفاسد تجوزًا، أو لأن الشهادة يفهم منها عرفًا المواطأة، كيف لا وقد أكده بإن واللام ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ حلفهم الكاذب ﴿جُنَّةً﴾ وقاية عن المضرة ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاز أن يكون الصد متعديًا ولازمًا ﴿إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ﴾ النفاق والكذب ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بلسانهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بقلوبهم أو ظاهرًا ثم كفروا سرًّا أو حين رأوا آية ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ثم كفروا فاستحكموا في الكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ صحة الإيمان وحقيقته أو لا يفقهون أنهم طبع على قلوبهم ويحسبون أنهم على الحق ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ فإنهم أشكال حسنة ﴿و إِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ أي: تسمع لما يقولون مشبهين بأخشاب منصوبة إلى حائط في الخلو عن الفهم والنفع، فإن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو غيره من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا أسند إلى الحائط فلا ينتفع به ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعة عليهم لجبنهم فهم أجسام لا قلوب لهم، أو لأنهم على وجل من أن يترل الله أمرًا يهتك أستارهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ لا تأمنهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الهدى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أمالوها إعراضا ورغبة عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: استغفارك وعدمه سواء عليهم، بأن لا يلتفتوا إليه ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لأن الله لا يغفر لهم لشقاوتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ في الأزل وفي علم الله ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا﴾ يتفرقوا

---

(١) فيكون الموافقة داخلة في الوضع وهو مفهومه اللغوي / ١٢ منه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاق فهو الرزاق لهم لا الأنصار ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿الْأَذَلَّ[(١)]﴾ جرى بين بعض المهاجرين وابن سلول جدال في غزوة بني المصطلق، فقال لعنه الله ما قال، وأراد من الأعز نفسه، ومن الأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، ثم قال: لا تنفقوا على المهاجرين يا جماعة الأنصار حتى ينفضوا. فلما سمع عليه السلام مقالته، جاء وحلف بأنه كذب وَصَلَ إليك، فترلت "إذا جاءك المنافقون" الآية. فقيل لابن سلول: قد نزل فيك آي شداد، فاذهب إليه لعله يستغفر لك، فلوى رأسه. فقال: أمرتموني بالإيمان فآمنت، ثم بالزكاة فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد له ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ

---

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة -قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق- فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال مهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوة الجاهلية؟!". قال: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أو قد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل الحديث. الكسع: أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك يقال: اتبع فلان أدبارهم يكسعهم بالسيف مثل يكسؤهم أي يطردهم وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة وقيل: في السادسة/ ١٢ فتح.

وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم[2] ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن[3] ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس وسائر العبادات والمراد نهيهم عن اللهو[4] بها ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ ولا تسمعوا قول المنافقين لا تنفقوا على من عند رسول الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنِي﴾ أمهلتني ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ مدة أخرى يسيرة ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ أتصدق ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالتدارك وكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل الإمهال، للتدارك وقراءة أكن عطف على محل فأصدق؛ فإن موضع الفاء مع الفعل جزم بخلاف أكون فإنه عطف على ما بعد الفاء ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَمُجَازٍ عليه.

---

(١) ولما ذكر الله سبحانه قبائح المنافقين ومن شأنهم أن لا يذكرون الله إلا قليلاً رجع إلى خطاب المؤمنين مرغبًا لهم في ذكره فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية / ١٢- للمحشى عفا الله عنه.

(٢) كما شغلت المنافقين/ ١٢.

(٣) عام للصلاة والتسبيح والتحميد وغيرها/ ١٢ وجيز.

(٤) كما ألهى المنافقين عن التدبر في كلام الله وعواقب أنفسهم/١٢ وجيز.

سُورَةُ التَّغَابُنِ مُخْتَلَفٌ فِيهَا

وَآيُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٌ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ
ٱلۡمَصِيرُ (٣) يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ
أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ (٦) زَعَمَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (٧) فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ (٨) يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ
صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (١٠)﴾

﴿يسبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدر كفره ﴿وَ مِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مقدر

إيمانه ومثله في الإجمال والتفصيل قوله: "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه" الآية (النور:٤٥) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعاملكم بما يناسبه ﴿خَلَقَ السَّمَوات وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ من بين ما خلق فيهما وفيه إشارة إلى أن الغرض من خلقهما الإنسان ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فأحسنوا السرائر ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا يخفى عليه شيء من الأشياء السماوية ولا الأرضية ولا النفسية ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ الأمم السالفة ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ضرر كفرهم وهو أنواع العقوبات التي حلت عليهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ﴾ العذابان ﴿بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا﴾ على سبيل الإنكار: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ والبشر يطلق على الجمع أيضا ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ أعرضوا عن آيات الله ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن طاعتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن كل شيء ﴿حَمِيدٌ﴾ يَدُل على حمده كل مخلوق﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ﴾ يا محمد : ﴿بَلَى﴾ تبعثون ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمجازاة ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لقدرته الشاملة ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يضيع عنده عمل عامل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لأجل ما في يوم الجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ(١)﴾ تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، يظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان، وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

---

(١) كلام ابن عباس ومجاهد وقتادة دال على أن الغبن مختص بأهل النار لا أنه عام كما أشار إليه الشارح واختاره؛ لأن تغابن السعداء على الزيادة ثبت في الأحاديث الصحاح/١٢منه.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملازموها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ﴾ الله ﴿قَلْبَهُ﴾ لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لقضائه ويسترجع ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فلا عليه ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لأن عليه التبليغ وقد بلغ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(1)﴾ لأن الله هو النافع الضار وحده والمؤمنون يؤمنون بأن لا إله إلا هو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: بعضهم ﴿وَأَوْلَادِكُمْ

---

(١) ولما ذكر أن المصائب بإرادته حذر مما يلحق من الأموال والأولاد فقال: "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم" الآية/ ١٢ وجيز.

عَدُوًّا[1] **لَّكُمْ﴾** يشغلكم عما ينفعكم **﴿فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا﴾** عن ذنوبهم **﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾** بإخفاء معايبهم **﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** فيغفر لكم ويتفضل أو فيغفر لهم ما فرط عنهم من شغلكم عن الله. نزلت[2] حين أراد الهجرة بعض من آمن بمكة فمنعهم أهلهم وقالوا: صبرنا على إسلامكم ولا نصبر على هجركم فتركوا الهجرة حينئذ فلما أتوا المسلمين رأوهم قد فقهوا في الدين فهمُّوا عقاب أهلهم **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ**[3] **فِتْنَةٌ﴾** اختبار لكم يعني بعضهم أعداء لكن كلها اختبار يبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدود الله **﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** لمن صبر على حدود الله فيهم، أو معناه ليس الأموال، ولا الأولاد إلا بلاء ومحنة، والأجر العظيم هو ما عند الله، فأغمضوا عن محبتهم، وأطمعوا فيما عند الله **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** أي: جهدكم وطاقتكم، وعن كثير من السلف أنه لما نزلت "اتقوا الله حق تقاته"[آل عمران:١٠٢] اشتد عليهم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم،

---

(١) ولهذا قيل: لا أعدى على الرجل من الزوجة والولد إذا كانا عدوين يذهبان المال والعرض في الدنيا ويورثان البعد والمقت في الآخرة / ١٢ وجيز.

(٢) كذا أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح/ ١٢ فتح.[وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٢٦٤٢)]

(٣) وعن أبي بريدة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فترل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما واحدًا من ذا الشق، وواحدًا من ذا الشق، ثم صعد المنبر فقال: "صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، إني نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وابن مردويه وابن أبي شيبة[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٩٦٨)]/ ١٢ فتح.

فأنزل الله قوله: "فاتقوا الله ما استطعتم" تخفيفا فيكون ناسخة لما في آل عمران﴿واسْمَعُوا﴾ مواعظه ﴿وأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وأَنفِقُوا﴾ في مصارف الخير ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ تقديره ائتوا خيرًا لأنفسكم فهو كالفذلكة للأوامر السابقة، أو تقديره يكن خيرا فيكن جوابًا للأوامر ومعناه أنفقوا لأنفسكم خيرًا من أموالكم ﴿وَمَن يُوقَ﴾ وقاه الله ﴿شُحَّ﴾ حرص ﴿نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بصرف المال فيما أمر ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من مال حلال بإخلاص ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ أي أجره أضعافاً كثيرة ﴿ويَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيل بالقليل ﴿حلِيمٌ﴾ فيقبل ولا يرد ويصفح ويتجاوز عن الذنوب ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ أَوِ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ
وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن
كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ
قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا (٣) وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ
إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ
أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا (٤) ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا (٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ
حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ
وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو

سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِى إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أى أردتم تطليقهن خصه عليه السلام بالنداء، وعم الخطاب؛ لأنه إمام أمته، فنداؤه نداؤهم، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ [١]﴾ أي: وقتها، وهو الطهر، أي: لطهرهن الذى يحصينه من عدهن، وعن أكثر السلف أنه الطهر الذى لم يجامعها فيه، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرًا من غير جماع فى ذلك الطهر، والبدعى أن يطلقها فى الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه. نزلت[٢] حين طلق عليه السلام حفصة فقيل له: "راجعها فإنها صوامة قوامة، وهى من أزواجك فى الجنة"، وطلق ابن عمر امرأته حائضًا فقال[٣] عليه السلام: "ليراجعها"، وقال: "إذا طهرت فليطلق أو يمسك" وقرأ الآية ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ اضبطوها ابتداءها وانتهاءها للعلم ببقاء زمن الرجعة ولغير ذلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فى ذلك ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ البيوت التى سكنّ فيها حتى تنقضى عدهن ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ من بيوت كُنّ فيها عند الفراق فى مدة العدة فإن خرجت أثمت ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ استثناء من الأول والفاحشة الزنا فإنها تخرج لإقامة الحد أو إلا أن تَبْذُوَ[*] على

(١) اللام فى الأزمان وما يشبهها للتأقيت نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ومن عدّ العدّة بالحيض قال تقديره: مستقبلات لعدهن نحو أتيت لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلاً لها/١٢منه.

(٢) كذا ذكر السيوطى فى الدر المنثور وعزاه إلى ابن أبى حاتم/ ١٢.

(٣) كما رواه الشيخان عن ابن عمر/ ١٢ كمالين.

(*) بذوت على القوم، وآبذيتهم، وأبذيت عليهم من البذاء: وهو الكلام القبيح (اللسان: بذا).

أهل الزوج وآذتهم فى الكلام والفعال لأنها كالنشوز فى إسقاط[1] الحق ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فإنه عرضها للعقاب ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أى الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ وهو أن يقلب قلبه من الرغبة عنها فيندم يعنى أمرنا بعدم إخراجها مدة العدة لأنه ربما يندم، ومن ذلك ذهب كثير من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد إلى أنه لا يجب السكنى للبائنة وكذا المتوفاة عنها، وبعض[2] الأحاديث يدل على مذهبه صريحًا ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قارين انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بالإحسان إليها ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتقع المفارقة الكلية والبينونة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعة والفراق وهو أمر ندب[3] عند بعض كأشهدوا إذا تبايعتم ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود عند الحاجة ﴿لِلَّهِ﴾ خالصًا لوجهه ﴿ذَلِكُمْ﴾ جميع ما فى الآية ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ﴾ مفعول يوعظ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من كل مكروه

---

(١) الأول قول ابن مسعود وسعيد بن المسيب والشعبى والحسن والمجاهد وغيرهم من السلف والثانى قول أبى بن كعب وابن عباس وعكرمة/ ١٢ منه.

(٢) فى مسند الإمام أحمد والطبرانى قال عليه السلام فى حديث طويل: "إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة وإذا لم تكن فلا نفقة ولا سكنى"/ ١٢ منه.[أحمد فى "مسنده" (٦/٤١٣) وإسناده حسن]

(٣) وقيل: إنه للوجوب وإليه ذهب الشافعى قال: الإشهاد واجب فى الرجعة مندوب إليه فى الفرقة وإليه ذهب أحمد بن حنبل وفى قول الشافعي: إن الرجعة لا تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق وروى نحو هذا عن أبى حنيفة وأحمد عن ابن سيرين أن رجلا سأل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يُشْهِدْ قال: بئسما صنع طلق فى بدعة وارتجع فى غير سنة فَيُشْهِد على طلاقه وعلى مراجعته ويستغفر الله/ ١٢ فتح.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ[(١)]﴾ وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: مَنْ طَلَّقَ وراجع كما أمره الله، جعل الله له من الكرب -سيما عند الموت- مخرجًا، ورزقه من حيث لا يرجو، وأكثر العلماء على أنها نزلت حين جاء صحابي أُسِرَ ابنه، وشكا إليه عليه السلام هذا والفاقة. فقال عليه السلام: "اتق واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله"، ففعل الرجل إذ جاء ابنه[(٢)] بإبل وغنم، وعن بعض إن فيها تسلية ووصية للنساء عند الفراق، فإنهن مضطرات غالبًا للغيرة والاحتياج والعجز ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ يبلغ ما يريد لا يعجزه مطلوب فهو منفذ أمره ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ تقديرًا وتوفيقًا فتوكلوا عليه ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ﴾ للكبر ﴿مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ إن أشكل عليكم حكمهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ أي: فهذا حكمهن ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ بعد كذلك وهن الصغائر

(١) وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص، ويدخل فى ذلك ما فيه السياق دخولا أوليا، فإن قيل: نرى كثيرا من الأتقياء مضيقا عليه فى الرزق أجيب بأنه لا يخلو عن رزق والآية لم تدل على أن المتقى يوسع له فى الرزق بل دلت على أنه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا أمر مطرد فى الأتقياء أفاده الكرخى / ١٢ فتح.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبى وعن ابن عباس -رضى الله عنه قال: جاء عوف ابن مالك الأشجعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن ابنى أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرنى قال: "آمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله" فقالت المرأة: نعم ما أمرك فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء به إلى أبيه فنزلت هذه الآية أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عنه وفى الباب روايات تشهد لهذا/ ١٢ فتح.[وأخرجه ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس... فذكره، كما فى "الدر المنثور" (٣٥٤/٦)]

﴿وأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ مطلقة أو متوفى عنها زوجها للحديث[1] الصحيح الصريح ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ منتهى عدهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وقد روى عن على وابن عباس رضى الله عنهما: إن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين، عملاً بهذه الآية والتى فى سورة البقرة "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ" الآية (البقرة: ٢٤٠)﴿و مَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى أحكامه ﴿يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ آتاه اليسر فى أموره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ بالمضاعفة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أى بعض مكان سكنتم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ وسعكم وطاقتكم عطف بيان لقوله من حيث سكنتم كأنه قال أسكنوهن مكانا من مسكنكم ما تطيقونه ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ فى السكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ حتى تضطروهن إلى الخروج، وعن بعض هو أن يطلقها فإذا بقى يومان يراجعها ليضيق عليها أمرها ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عن كثير من السلف هذه من البوائن، أنفق عليها إن كانت حاملاً حتى تضع، بدليل أن الرجعية تجب نفقتها حاملاً أو حائلاً. وقال آخرون: نص على الإنفاق على الحامل الرجعية ؛ لأن السياق كله فى الرجعيات ؛ لأن الحمل ربما يطول مدته، فيتوهم أنه تجب النفقة بمقدار مدة عدة الحامل ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ وهن طوالق ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم﴾ ليأمر بعضكم بعضًا ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل فى الإرضاع والأجر ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ للصبى مرضعة ﴿أُخْرَىٰ﴾ سوى أمه ولا تكرهوا أمه على الإرضاع ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ على مرضعة ولده ﴿وَمَن قُدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ

---

(١) قد ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أم سلمة أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الباب أحاديث/ ١٢ فتح.

رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ على قدر ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ فى النفقة ﴿إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ قدر ما أعطاها من المال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ تطييب لقلب المعسر، ووعد له باليسر، لما ذكر الأحكام و أخبر عما حل بالأمم السالفة بسبب مخالفة أوامره ونواهيه[1].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ تمردت واستكبرت عن اتباع أمر الله ﴿وَرُسُلِه فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ حاسبها بعملها فى الدنيا، وأثبتها فى صحائف الحفظة ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ منكرًا، وهو ما أصيبوا به من أنواع المصائب، أو المراد بالحساب والعذاب فى الآخرة، والتعبير بلفظ الماضى لتحققه ﴿فَذَاقَتْ﴾ القرية ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة معاصيها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربح فيها أصلاً ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ على التوجيه الثانى تكرير

(١) ليحذر المأمورين عن موافقتهم/ ١٢ وجيز.

للوعيد(١) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى مخالفة أمره لكى لا يصيبكم مثل ما أصابهم ﴿يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل من أولى الألباب أو صفة أو منادى بحذف يا أيها للقرينة ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ القرآن ﴿رَّسُولًا﴾ بدل اشتمال ؛ لأنه مبلغه، وموصوف بتلاوة الآيات أو الذكر الشريف، فالبدل بدل الكل، كأنه فى نفسه شرف، فالمراد من الإنزال الإرسال، إلا أن يقال: المراد من الرسول جبريل، أو تقديره أرسل رسولاً، فيكون استئنافًا ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: من هو فى علم الله مؤمن﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ(٢) إِلَى النُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى أو ليحصل لهم ما عليهم الآن من الإيمان والعمل الصالح ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ وهو ما أعد للمتقين فى الآخرة ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أخبر عن عظيم سلطانه ؛ ليكون باعثًا على تعظيم ما شرع ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ فى العدد ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ(٣)﴾ أى أمر الله وحكمه، ففى كل أرض من

---

(١) وعلى التوجيه الأول لا تكرار لأن العذاب النكر فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة/١٢.

(٢) من الجهالات إلى العلم فإن من آمن وتدبر رفع عنه الجهل بسبب تدبر القرآن فإن مجرد الإيمان لا يكفى وتفاصيل الدين مستنبطة من كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٣) بين السماوات السبع والأرضين السبع والعلم عند الله أن بين كل أرض أى خلق وكيف سماؤها وأما ما نقل عن ابن عباس -رضى الله عنه- من أن فى كل أرض آدم كآدم ونوح كنوح ونبى كنبينا فهو من رواية الواقدى الكذاب الواضع للحديث، هذا ما فى الوجيز وذكر فى الفتح هذا الأثر وقال: أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب: هذا إسناد صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعا، قال ابن كثير: هذا وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصوم فهو مردود على =

أرضه، وسماء من سمائه خلق من خلقه، وقضاء من قضائه ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾ علة الخلق ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ عن ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها.

اللهم علمنا حقائق القرآن آمين.

قائله انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بذاك . قال السيوطي: ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له حتى رأيت البيهقى قال: إسناده صحيح لكن شاذ بمرة . قال الحافظ فى الفتح: إسناده صحيح والحاصل أن الأثر المذكور وإن صح فهو موقوف شاذ والشاذ لا يحتج به كما قال الطيبى فى الخلاصة وغيره، وبسط الكلام على هذا لا يأتى بفائدة يعتد بها ويكفى الاعتقاد بكون السماوات سبعا والأرضين سبعا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة، لا ينبغى الخوض فى خلقهما وما فيها فإنه شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به أحد سواه، ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض فى أمثال هذه المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق. وحديث أن الأرضين بين كل أرض والتى تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت، قد التقى طرفاه فى السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية تسجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم.... والحديث بطوله وتفصيله قال الذهبى متعقبا الحاكم: هو حديث منكر قال بعض أهل العلم: لا ينبغى لأحد أن يغتر بتصحيح الحاكم للأحاديث حتى ينظر فى تعقبات الذهبى له أو كما قال/ ١٢ فتح.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّةٌ
وَهِيَ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ
قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن
تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ
مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ
غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿يأَيُّهَا النَّبِى لِمَ تُحَرِّمُ[1] **مَا أَحَلَّ اللَّهُ لكَ﴾** من العسل، ففى الصحيحين وغيرهما، عن عائشة أنه عليه السلام كان يمكث عند زينب، ويشرب عسلاً، فتواطئت أنا

---

(١) معنى تحرم تمنع لا التحريم الشرعى وهذا كما قال الله تعالى: "وحرمنا عليه المراضع"[القصص:١٢] أو حرمه بالحلف كما فى النذر والمحرّم بهما هو الله وهو الذى =

وحفصة، أنا نقول له: نجد منك ريح مغافير، فدخل على أحدهما. فقالت له ذلك، فقال: "لا بل شربت عسلاً عند زينب، ولن أعود له، وقد حلفت، لا تخبرى بذلك أحدًا"، وكان يبتغى بذلك مرضاة أزواجه، فنزلت. ومغافير: شبيه بالصمغ، لها رائحة كريهة ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ﴾[1] ﴿أَزْوَاجِكَ﴾ مستأنفة أو حال ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلم يؤاخذك بما صدر منك وقد روى[2] أنه عليه السلام أصاب أم إبراهيم فى بيت حفصة فعلمت فقالت: أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى، فحرمها على نفسه، وقال: "والله لا أطؤها، ولا تذكرى ذلك لأحد"، فذكرته لعائشة، فعوتب فى التحريم، وأمر بالكفارة فى اليمين، ذكره كثير من السلف ﴿قَدْ فَرَضَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليلها بالكفارة وهى ما ذكر فى سورة المائدة ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فلا يأمركم إلا بما هو صلاحكم ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ﴾ منصوب باذكر ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم العسل أو مارية ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أخبرت حفصةُ بالحديث عائشةَ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلع الله نبيه على إنبائها ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ أى عرف عليه السلام حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ ولم

عين الكفارة كما هو مبين فى كتب الفقه، لكن شأنه العظيم وقدره السَّنية أن يكون جميع أموره صلى الله عليه وسلم لوجه الله وبإذن من الله وإن كان هذا التحريم والحلف لتطييب خاطر أهله لحسن العشرة الذى هو أحسن عند الناس/ ١٢ وجيز.

(١) وشأنك أن تبتغى فى أمورك مرضات الله/١٢.

(٢) روى عن كثير من السلف كابن عباس رضى الله عنهما وعمر بن الخطاب وغيرهما وقال المحدثون: إسناده إلى عمر صحيح/ ١٢ وجيز.[وقال ابن كثير فى "تفسيره" (٤/٣٨٦)": وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج]

يعرفها بعضها على وجه التكرم. عن الحسن ما استقصى[1] كريم قط، أو جازيها على بعضه بتطليقها، أو إرادة تطليقها، وتجاوز عن بعض، وعن بعض أسر إليها شيئين تحريم الأمة، وتبشيرها بأن الخلافة بعده فى أبى بكر وعمر، فأخبرها ببعض ما أفشت، وهو تحريم الأمة، وأعرض عن ذكر الخلافة ؛ كراهة الانتشار ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ﴾ حفصة ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ أي: إنى قلت[2] لأحد ﴿قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِن تَتُوبَا﴾ يا حفصة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ خطاب لهما من الله ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: إن تتوبا فقد حق لكما ذلك، فإنه قد عدلت عن الحق قلوبكما، وصدر منكما ما يوجب التوبة ﴿وَإِن تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ فيما يسوءه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يعدم هو من يظاهره من الله، وجبريل رأس الكروبيين، وصلحاء المؤمنين، فيكون جبريل عطف على محل اسم إن ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أجمعون ﴿بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ متظاهرون ؛ جملة مستقلة معطوفة على جملة "إن الله هو مولاه" الآية ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ عن[3] عمر – رضى الله عنه– اجتمع –فى الغيرة عليه السلام– نساؤه، فقلت: عسى ربه إن طلقكن، أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾ منقادات ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مواظبات على الطاعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾ قيل معناه: متذللات لأمر الرسول عليه السلام ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات، وفى الحديث: "سياحة هذه الأمة

---

(١) وعن سفيان لا يزال التغافل من فعل الكرام والله أعلم أن المعرض عنه أى شيء قيل إن المعرف حديث العسل والذى أعرض عنه حديث مارية وأما ما روى أنه أسر إليها بشيئين تحريم أمته وتبشيرها بخلافة أبى بكر وعمر بعده فأفشت شيئين وأعرض عن ذكر الخلافة كراهة الانتشار فقال الشيخ أبو الفداء ابن كثير: فى إسناده نظر/ ١٢ وجيز.

(٢) وأفشيت سرك فإنها ظنت عائشة فضحتها/ ١٢ وجيز.

(٣) كما فى البخارى/ ١٢.

الصيام"(*) . أو مهاجرات ﴿ثيّبات وَأبْكَارًا﴾ وسط العاطف[1] بينهما لتنافيهما ﴿يَأيُّهَا[2] الَّذينَ آمَنُوا قُوا أنفسَكُمْ﴾ بترك المعاصى ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب ﴿نارًا وَقُودُهَا﴾ ما يوقد بها ﴿النَّاسُ وَالْحجَارَةُ﴾ حجارة من كبريت ؛ فإنها أشد وأنتن، أو حجارة الأصنام ﴿عَلَيْهَا مَلَائكَةٌ﴾ هى خزنة النار ﴿غلَاظٌ شدَادٌ﴾ ليس فى قلوبهم مثقال ذرة من الرحمة والشفقة، ومنظرهم مزعج ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى، وما أمرهم بدل من لفظ الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيما يستقبل، أو لا يمتنعون ويفعلون، فإن عدم الامتناع لا يدل على الفعل، فإنه ربما لا[3] يقدر ﴿يَأيُّهَا[4] الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أى يقال لهم ذلك ﴿لَا تَعْتَذرُوا الْيَوْمَ إنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فى الدنيا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ

(*) [ورد موقوفا ومرفوع والموقوف أصح كما قال ابن كثير فى "تفسيره" (٢/٢٩٣)].

(١) يعنى هما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فلابد أن يتوسط بينهما العاطف بخلاف الصفات المتقدمة/ ١٢ منه.

(٢) ولما وعظ أهل البيت موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة فقال:"يا أيها الذين آمنوا" الآية/١٢وجيز.

(٣) وقيل: كرر توكيدًا / ١٢ وجيز.

(٤) ولما وعظ المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم عن النار ذكر ما يقال لأصحاب النار عند دخولها فقال: "يا أيها الذين كفروا" الآية/ ١٢ وجيز.

ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وصفت التوبة بالنصح بالمجاز وهو فى الحقيقة صفة التائب، فإنه ينصح نفسه بالتوبة، أو معناه خالصة، يقال: ناصح، أى خالص من الشمع، أو توبة تنصح، وتخيط ما خرق الذنب، وهى ترك الذنب، والعزم على عدم العود والندم، ثم إن كان الحق لآدمى رده . وعن الحسن هو أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته، وعن بعض المحققين أن عدم المؤاخذة بالذنب الذى تاب منه إذا لم يعد إليه فإذا عاد إليه فقد يؤاخذ به وفى الحديث الصحيح: "من أحسن فى الإسلام[1]، لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية، ومن أساء فيه أخذ بالأول والآخر"(*) **﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** فيه إشعار بأن العبد ينبغى أن يكون بين الخوف والرجاء، وأنه تفضل لا يجب عليه شيء **﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ﴾** ظرف ليدخلكم **﴿وَالَّذِينَ[2] آمَنُوا**

(١) التأويل بأن المراد بالإساءة النفاق بعيد جدًّا/ ١٢ وجيز.

(*) أخرجاه فى الصحيحين.

(٢) والذين آمنوا بالموافقة، فى الحديث إنه -صلى الله عليه وسلم الله- تضرع فى أمر أمته فأوحى الله إليه إن شئت جعلت حسابهم إليك فقال: يا رب أنت أرحم بهم فقال الله: =

﴿مَعَهُ﴾ عطف على النبي، أو مبتدأ خبره قوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ على الصراط، يقولون حين يرون أن نور المنافقين قد طفئ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَأَيُّهَا النَّبِى جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجة وإقامة الحدود ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[(١)]﴾ جهنم ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ أى جعل امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لهم، أو مثل لهم مثلاً مثل امرأة نوح فى أن قرابة أحد وإن كان نبيًّا لا ينفع مع الكفر، قيل: هذا تخويف لعائشة وحفصة ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بإظهار الإيمان مع إسرار الكفر لا بالفاحشة[(٢)] ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ النبيّان ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من الإغناء ﴿وَقِيلَ﴾ لهما يوم القيامة ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ مع سائر الكفرة ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ[(٣)] فِرْعَوْنَ﴾ فى أن وصلة الكافر أي[(٤)] كافر كان لا تضر مع

إذن لا أخزيك فيهم وأما قوله: "ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته"[آل عمران:١٩٢] فالمراد دخول الخلود لا دخول التطهير/ ١٢ وجيز.

(١) ولما قال: "يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا" كأن فيه تعريض لغيرهم فصرح أنهم أهل الخزى كما قال: "من تدخل النار فقد أخزيته"[آل عمران:١٩٢]/ ١٢ وجيز.

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط إنما كانت خيانتهما فى الدين وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم/ ١٢ منه.

(٣) جعل الله تعالى حال امرأة فرعون مثلا لحال المؤمنين ترغيبا لهم فى الثبات على الطاعات والتمسك بالدين والصبر فى الشدة وأن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون وقد كانت تحت أكفر الكافرين وصارت بإيمانها بالله فى جنات النعيم وفيه دليل على أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان/ ١٢ فتح.

(٤) رأى وصلة كانت/ ١٢ وجيز.

الإيمان ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ بدل من امرأة فرعون ﴿رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ﴾ من نفسه ﴿وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ نقل أنه[1] لما تبين لفرعون إسلامها أوتد لها فشد يديها ورجليها. فقالت: رب ابن لى عندك بيتًا، فأبصرت بيتها فى الجنة فضحكت فقال: ألا تعجبون من جنونها، فقبض الله روحها رضى الله عنها ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ صانته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أى بواسطة جبريل كما مر فى سورة الأنبياء ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ بما أوحى الله إلى الأنبياء ﴿وَكُتُبِهِ﴾ جنس الكتب المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من الرهط المطيعين لله؛ لأن عشيرتها أهل صلاح، أو من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب، وفيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين.

والحمد لله والمنة.

(١) نقل هذا المعنى أبو يعلى والبيهقى بسند صحيح مع اختلاف يسير/١٢ كذا فى الدرالمنثور.

سورة الملك مكية

وهي ثلاثون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ
وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ
سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ
تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ (٦) إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ
ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا۟ بَلَىٰ
قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ
(٩) وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا۟
بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
(١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤) ﴾

﴿تَبَارَكَ﴾: تعظم، ﴿الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: التصرف فى الأمور كلها، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ[1] وَالْحَيَاةَ﴾، اختلف العلماء هل الموت صفة وجودية مضادة للحياة كما دل عليه الآية أو هو عدم الحياة فمن قال بالثانى ذكر فى تفسيرها قدّرهما أو أوجد الحياة وأزالها، وعن بعض المراد أوجد الخلق من العدم، فسمى العدم موتا كما قال تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم"[البقرة:٢٨] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعاملكم معامة المختبر، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: أخلصه وأصوبه، والجملة واقعة موقع ثانى مفعولى البلوى المتضمن معنى العلم، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً[2]﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، فهو إما مفعول ثان، أو صفة السماوات، ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾: اختلاف وعدم تناسب، والجملة إما صفة، أو حال أي: ما ترى فيها، فوضع الظاهر موضع المضمر تعظيمًا لخالقهن، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾: فى معنى التسبيب أي: قد نظرت إليها مرة فانظر إليها أخرى نظر تأمل هل ترى فيها من خلل؟ والفطور الشقوق، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: رجعتين أخرين، وهو كَلَبَّيْكَ فى أن المراد منه التكثير والتكرير، وفعل مثل هذا المفعول المطلق واجب الحذف[3] إذا كان المصدر

(١) هذه الآية مستدل من قال: إن الموت صفة وجودية مضادة لصفة أخرى وجودية، وصرح صاحب الفوائد إن عدمية الموت كانت منسوبة إلى القدرية، ثم شاعت وعندهم أن خلق بمعنى قدر، وهذا أجدر من تفسيرهم بأوجد الحياة وأزالها/١٢وجيز.

(٢) مطابقة بعضها فوق بعض، ونصبه على أنه وصف لسبع، وصف بالمصدر للمبالغة، وكأنه لم يذكر العرش والكرسى لأنهما ليسا من جنس السماوات، وطورهما خلاف ما عند أهل الهيئة/١٢وجيز.

(٣) فلا يجب حذف هنالك، لأنه غير مضاف، وعبارة ابن الحاجب فى الكافية مخلة إلا أن يقال أنه اكتفى بالمثال/١٢منه.

مضافًا نحو: سعديك ولبيك، ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً﴾: بعيدًا عن إصابة ما يهوى، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل لطول التردد، وكثرة المراجعة، ﴿وَلَقَدْ[1] زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ أي: زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم،﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً[2] لِّلشَّيَاطِينِ﴾: ولها فائدة أخرى، وهى رجم الشياطين المسترقة للسمع، وكونها مراجم أن الشهب منقضة من نار الكواكب، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾: فى الآخرة، ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾: جهنم، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾: طرحوا فى جهنم، ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾: لجهنم ولأهلها لقوله: "لهم فيها زفير"[الأنبياء:١٠٠] ﴿شَهِيقاً﴾، هو أول نهيق الحمار، وهو أقبح الأصوات،﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي، ﴿تَكَادُ

---

(١) قال المقبلى فى حاشية الكشاف إن قوله "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح" يكذب المنجمين، والزاعمين علم الفلك فى قولهم إن بعض النجوم فى السماوات كقولهم: إن زحل فى السابعة، والمشترى فى السادسة، والمريخ فى الخامسة، والشمس فى الرابعة، والزهرة فى الثالثة، والعطارد فى الثانية، والقمر فى الدنيا، وهذا من واضحات علمهم بزعمهم، فغيره أكذب منه، وكان البيضاوى يتعاطى هذه الحرفة البائرة؛ لأنه قال: هنا لا ينافى ذلك كون بعض النجوم مركوزًا فى سماوات فوق هذه، وتقدم له فى البقرة أنه إذا ضم العرش إلى السبع السماوات وافق كلام الأوائل إن الأفلاك ثمانية، انتهى هذا ما نقل فى منهية الفتح/١٢.

(٢) والنجوم قارة فيها لا تنفصل، والشهاب كقبس ينفصل من المصابيح يرجم بها، وهذا صرح على بن أبى طالب، وابن عباس -رضى الله عنهم/١٢وجيز.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها فى البر والبحر، فمن تكلم فيها بغير ذلك فقد تكلم فيما لا يعلم، وتعدى وظلم، ذكره البخارى تعليقًا/١٢.

﴿تَمَيَّزُ﴾: تنقطع، ﴿مِنَ الغَيْظِ[1]﴾: على الكفار، ﴿كُلَّمَا أُلْقِي فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة، ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: ينذركم من عذاب الله؟ ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: كذبنا وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال رأسا، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ﴾: من تتمة كلامهم للرسل على أن المعنى قال الأفواج: قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم، وقلنا: ما أنتم إلا في ضلال عظيم[2]، أو الخطاب له، ولأمثاله على التغليب، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾: كلام الرسل، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾: الدلائل، ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: في عدادهم، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾: حين لا ينفعهم، ﴿فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ[3]﴾ أي: فبعدًا لهم مفعول مطلق وجب حذف فعله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: غائبين عن أعين الناس أو عن الله أو يخشون عذابه غائبًا عنهم، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: يستوى عنده السر والجهر لأنه عليم بضمائر الصدور قبل التكلم، فيكف لا يعلم ما تكلم به؟! ﴿أَلاَ يَعْلَمُ﴾: قول السر، والجهر، ﴿مَنْ خَلَقَ﴾: الأشياء، ﴿وَهُوَ

---

(١) وهل تستبعد من قدرة الله أن يجعل للنار غيظًا؟! فإن استبعدت فاجعل ذلك تمثيلا لشدة اشتعالها لهم، أو المراد غيظ الزبانية/١٢وجيز.

(٢) إشارة إلى جواب ما يقال أن الظاهر "إن أنتم إلا في ضلال كبير"/١٢منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر الآية أن لو كان جمعًا عاشوا في بعد عن الإسلام بحيث ما لم يطرق سمعهم كلام نبي، وما تفوهوا قط على تكذيب نبي، فهم غير داخلين في "كلما ألقي" فإن أثبتوا ما يقتضيه العقل من وجود صانع عالم قادر لئلا يندرجوا في "لو كنا نعقل" فلا بعد أن يعفو الله عنهم عفوًا فإنه هو المتبادر من تلك الآية مع الآيات الأخر، وبعض الأحاديث يؤيد ذلك/١٢وجيز.

اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾: المتوصل علمه إلى ما ظهر وما بطن أو ألا يعلم الله مخلوقه؟ فإن كل شيء من خلق الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ
وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ
﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾
وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾
أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى
غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ
﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ
أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ
تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ
غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾: لينة لكى تسيروا فيها، وتزرعوا، ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها، أو جبالها، ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾: من رزق الله الذى فيها من الحبوب، والثمار، أو وطرقها معناه: فسافروا فيها حيث شئتم، واطلبوا من نعم الله بالتجارة وغيرها، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجع فكونوا على حذر فى العمل، ﴿أَأَمِنتُم مَّن[1]

(١) أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد فى قوله: "أأمنتم من فى السماء" قال: الله./١٢در منثور، وذكر صاحب الفتح أقوالا إلى أن قال: وقيل: هو الله سبحانه، وهو الحق، لأن ظاهر النظم القرآنى يقتضى أن البارى تعالى فوق السماء، وفى بمعنى على، والمعنى مَنْ ثبت واستقر فى السماء أي: علا العالي، وهو العرش، وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام فى الحموية: إن الله يوصف بالعلو، والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول، ولا بالتحتية قط لا حقيقة، ولا مجازًا ثم من توهم أن كون الله تعالى فى السماء أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده فى رب، وما سمعنا أحدًا يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدًا ينقله من أحد، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قوله الله تعالى، ورسوله أن الله فى السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل واحد منهم أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأول؛ بل عند المسلمين أن الله تعالى فى السماء وأنه على العرش واحد إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله فى العلو، لا فى السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه تعالى وسع السماوات، والأرض، وأن الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقاته لا نسبة له إلى قدرة الله تعالى وعظمته، فكيف يتوهم أن خلقًا يحصره ويحويه؟! وقد قال سبحانه "ولأصلبنكم فى جذوع النخل"[طه:٧١] وقال: "فسيروا فى الأرض"[النحل:٣٦] بمعنى على، ونحو ذلك وهو كلام عربى حقيقة لا مجازا وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف، وأنها متواطئة

﴿فِي السَّمَاءِ﴾: ملكوته وسلطانه، **﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾**: فيغيبكم فيها كما

= فى الغالب لا مشتركة، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله تعالى قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه" الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات أيضًا فإن الإنسان لو أنه يناجى السماء أو أنه يناجى الشمس، والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه، وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم- المثل بذلك، ولله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا أو إمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبى صلى الله عليه وسلم- "ما منكم من أُحد إلا سيرى ربه مخليا به" فقال له أبو رزين العقيلي، كيف يا رسول الله، وهو واحد، ونحن جميع؟ فقال النبى -صلى الله عليه وسلم: "سآتيك بمثل ذلك فى آلاء الله تعالى، هذا القمر كلكم يراه مخليًا به، وهو آية من آيات الله تعالى" وقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى مشابهًا للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوه يوم القيامة، وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا، ومن كان له نصيب فى المعرفة بالله، والرسوخ فى العلم بالله يكون إقراره بالكتاب، والسنة على ما هما عليه أوكد انتهى.

وقال ابن القيم فى النونية فصل:

هـــذا وتاســعها النصــوص بأنــه	فـــوق الســـماء وذا بلا حسبان
فاستحضـــر الوحـــيين وانظـــر	ذاك تلقـــاه مبيـــنا واضح التبيان
ولسوف تنظر بعض ذلك عن قريـــ	ـــب كى تقوم شواهد الإيمان
وإذا أتـــتك فـــلا تكن مستوحشًا	مـــنها ولاتـــك عـــندها بجـــبان
ليســـت تـــدل عـــلى انحصار إلهنا	عقـــلا ولا عـــرفًا ولا بلســـان
إذا أجمـــع الســـلف الكـــرام بأن	معـــناها كمعـــنى فوق بالبرهان
أو أن لفـــظ سمائـــه يعـــنى بـــه	نفـــس العلـــو المطلـــق الحقـــان =

فعل بقارون، بدل اشتمال مِنْ مَنْ، والباء للتعدية؛ لأن الخسوف لازم، ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرب، أي: يحركها عند الخسف حتى يلقيهم إلى أسفل، والأرض تعلو عليهم، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا ذات حجارة[1] ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: عند معاينة العذاب، ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: كيف إنذاري، ولا ينفعكم العلم، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعذاب، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهن، وفوقهم ظرف لصافات، أو حال، وصافات حال من ضميره، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أجنحتها بعد

= والـــرب فـــيه ولـــيس يحصـــره ... من المخلوق شيء عز ذو السلطان
كـــل الجهـــات بأســـرها عدمـــية ... فى حقـــه هـــو فوقهـــا ببـــيان
قـــد بـــان عـــنها كلها فهو المحيط ... ولا يحـــاط بخـــالق الأكـــوان
مـــا ذاك يـــنقم بعـــد ذو التعطيل ... مـــن وصـــف العلو لربنا الرحمن
أيـــرد ذو عقـــل ســـليم قـــط ذا ... بعـــد التصـــور يا أولى الأذهان
والله مـــا رد امـــرئ هـــذا بغـــير ... الجهـــل أو بحمـــية الشـــيطان

انتهى. وقال فى موضع آخر:

ظـــن الحمـــير بأن فى للظرف والرْ ... حمـــن محـــوى بظـــرف مكـــان
والله لم يُســـمع بـــذا مـــن فـــرقة ... قالـــته فى زمـــن مـــن الأزمّـــان.
لا تبهـــتوا أهـــل الحديـــث بـــه ... فمـــاذا قولهـــم تبا لذى البهتان.
بـــل قولهـــم إن الســـماوات العلا ... فى كـــف خـــالق هـــذه الأكوان
حقا كخردلة ترى فى كف ممسكها ... تعـــالى الله ذو الســـلطان
أتـــرونه المحصـــور بعـــد أم السماء ... يـــا قومّـــنا ارتدعوا عن العدوان
كـــم ذا مشـــبهة، وكـــم حشوية ... فالبهـــت لا يخفـــى على الرحمن

/انتهى.

(١) كما فعل بآل لوط/١٢وجيز.

البسط وقتًا بعد وقت وعدل إلى صيغة الفعل ليعلم أن القبض طارئ غير أصيل، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: فى الجو أن يسقطن، ﴿إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾: برحمته الواسعة، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: فمن أراد حفظه يحفظه، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الكَافِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أم متصلة لئلا يلزم استفهامين معادلة للقرائن التى قبلها أي: أمنتم من عذاب الله؟ ألم تعلموا أن الحافظ هو الله؟ أم لكم جند ينصركم من دون الله؟ إن أراد بكم خسفًا وإرسال حاصب، أم لكم رازق يرزقكم إن أمسك الله رزقه عنكم؟ وجاء بصورة الاستفهام إشعارًا بأهم اعتقدوا أن لهم ناصرًا، ورازقًا غير الله فيسأل عن تعيينه، فهذا خبر من، والذى مع صلته صفته أو بدله، وينصركم صفة جند، وإتيان اسم الإشارة للحقارة، ﴿بَل لَّجُّوا﴾: تمادوا، ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: عناد، ﴿وَنُفُورٍ﴾: تباعد عن الحق، ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾: يقال: كببته، فأكب أي: صار ذا كب نحو: قشع الله السحاب، فأقشع أي: صار ذا قشع أي: يعثر كل ساعة، ويخر لعدم علمه بالطريق الوعر، ﴿أَهْدَى أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: قائمًا لا عثور له، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: مستو غير منحرف، وهذا تمثيل الكافر والمؤمن بالسالكين، مع أهم فى الآخرة كذلك، فالمؤمن يمشى على الصراط قائمًا إلى الجنة، والكافر يمشى على وجهه إلى نار جهنم، وقد صح أنه قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟! قال: "الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم"(*)، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾: تشكرون شكرًا قليلا[1] لهذه

(*) البخارى فى "الرقائق" (٦٥٢٣).

(١) فقليلا صفة لمصدر محذوف، وما زائدة، والجملة مستأنفة أو حال/١٢ وجيز.

النعم ﴿قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: بثكم، ونشركم، ﴿فِى الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى[1] هَذَا الوَعْدُ﴾ أي: الحشر، ﴿إِن كُنتُمْ﴾: أيها النبي، والمؤمنون، ﴿صَادِقِينَ قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ﴾: علم وقت الحشر، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾: لا يعلمه إلا هو، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾: منذر، ﴿مُّبِينٌ﴾: ولا يحتاج الإنذار إلى تعيين وقت البلاء، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: الوعد، فإنه بمعنى الموعود، ﴿زُلْفَةً﴾: أي: ذا زلفة، يعني لما قامت القيامة ورأو أنها كانت قريبة، ﴿سِيئَتْ﴾: قبحت، ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بأن علتها الكآبة، ﴿وَقِيلَ﴾: لهم تقريعًا، ﴿هَذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾: من الدُّعاء أي: تطلبون وتستعجلون به، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾: من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾: فأخر آجالنا، ﴿فَمَن يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فإنه واقع بهم لا محالة مِتْنا أو بقينا، وهذا كأنه جواب لقولهم نتربص به ريب المنون أو معناه أخبروني: إنا مع إيماننا نخاف عذابه ونرجو رحمته، فأنتم ما تصنعون مع كفركم؟! ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: لعلمنا بأن غيره لا يتأتى منه النفع والضر، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾: منا ومنكم، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائرًا في قعر الأرض، ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ[2]﴾: ظاهر تناله الأيدي، والدلاء[3] عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "إن سورة في القرآن

---

(١) استفهام سخرية/١٢.

(٢) ويستحب أن يقول القارئ -عقب معين: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفئوس والمعاول، فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجرأة على الله وآياته/١٢ جلالين.

(٣) هذا الحديث رواه أهل السنن الأربعة،وقال الترمذي: حديث حسن[وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٣١٥)]/١٢منه.

ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذى بيده الملك" وعنه –عليه الصلاة والسلام- "لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتي"[1].

والحمد لله الذى هدانا لهذا.

(١) رواه الطبراني، وقال: هذا حديث غريب[أخرجه الطبرانى من طريق: محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهانى عن سلمة بن شبيب عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس... فذكره. كما قال ابن كثير (٤/٣٩٥) وقال: هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف]/١٢منه.

سورة ن مكية

وهى ثنتان وخمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾
بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ
بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾
وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ
كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ
﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾
فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ
وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ
حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾
قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا

طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ن﴾، عن بعضٍ: المراد منه الحوت الذى هو حامل الأرضين السبع، أو الدواة، وقد نقل إن أول شيء خلق القلم، ثم النون أي: الدواة، فقال له: اكتب ما يكون من عمل، أو رزق إلى يوم القيامة، أو لوح من نور، وفيه حديث مرسل(*) وعلى الوجوه يكون قسمًا بحذف حرفه، ﴿وَالْقَلَمِ﴾: الذى خط اللوح المحفوظ، أو جنس القلم كقوله تعالى "الذى علم بالقلم"(١)(العلق:٤)، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من أعمال العباد وأحوالهم أو الأقلام أسنده إلى الآلة، وجعلها بمنزلة أولى العلم، ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، جواب القسم أي: ما أنت بمجنون متلبسًا بنعمة ربك حال عن المستكن فى الخبر، وقيل: متعلق بمعنى النفى أي: انتفى منك بسبب نعمته الجنون، لا كما يقول الكفرة، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾: على الإبلاغ والصبر، ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٢)﴾: لأنك تحتمل من الأذى ما لا يحتمل غيرك، ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾: يا محمد، ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾: المشركون الذين رموك بالجنون، ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، الجنون مصدر، كالمجلود والمعقول، أو الباء زائدة، أو بمعنى: فى أي: فى أى

(*) أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" وقال ابن كثير (٤/٤٠١): وهذا مرسل غريب.

(١) فإنه أخ اللسان، ومطية الفطنة، ونعمة عظيمة/١٢وجيز، وقال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم ما قام دين، ولم يصلح عيش، والله أعلم بما يصلح خلقه/١٢در منثور، وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد"، أخرجه الترمذى وصححه[وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الترمذى" (٢٦٤٥)]/١٢فتح.

(٢) قيل لعائشة صف لى خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت: خلقه القرآن. هذا ما فى الوجيز، وعزاه السيوطى إلى مسلم، وابن أبى شيبة، والحاكم وغيرهم/١٢وجيز.

الفريقين من فريقك، وفريقهم المجنون، أو المفتون: الشيطان، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾: فلا عقل لهم أصلا، وهو المجنون حقيقة، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: الفائزين بالعقل الكامل، ﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾: صمم على معاداهم، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ[1]﴾، من المداهنة أي: تلاينهم، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: فيلاينونك مثل أن تعظم دينهم وآلهتهم، فيعظمون دينك وإلهك، والفاء للسببية، أي: فهم يدهنون حينئذ أو للعطف، أي: ودوا مداهنتك فمداهنتهم، ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ﴾: كثير الحلف، ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير القلب والرأي، ﴿هَمَّازٍ﴾: مغتاب عياب، ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقال للكلام سعاية وإفسادًا، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يمنع نفسه عن الخير، أو الناس عنه، ﴿مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن الحد، ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الآثام، ﴿عُتُلٍّ[2]﴾: غليظ جاف، وفي الحديث[3] "هو الشديد الخلق الصحيح الجسم الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس رحيب الجوف"، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعدما عد من النقائص، ﴿زَنِيمٍ[4]﴾: دَعِيٌّ

---

(١) كما قالوا: سامحنا سنة فى تعظيمنا آلهتنا، ثم نطيعك/١٢وجيز.

(٢) والظاهر أن هذه الأوصاف التى هى مذكورة بصيغة المبالغة ليست لمعين ألا ترى إلى قوله: "كل حلاف"، وقوله: "إنا بلوناهم" نعم ربما ينطبق على معين، واعلم أن اللفظ الثقيل كالعتل والخرطوم فى الذم من الفصاحة/١٢وجيز.

(٣) رواه أحمد فى مسنده[وذكره الهيثمى فى "المجمع" (١٢٨/٧) عن عبدالرحمن بن غنم وقال: رواه أحمد وفيه شهر وثقه جماعة وفيه ضعف وعبدالرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح]/١٢منه.

(٤) عن ابن جرير قال -عليه السلام: "تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقصمًا، فكان للناس ظلومًا" قال: فذلك العبد الزنيم، وهكذا رواه أبو حاتم، ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد، والحسن، وقتادة، وغيرهم إن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى فى المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك[رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين كما قال ابن كثير (٤٠٤/٤)]/١٢منه.

منسوب إلى قوم ليس منهم، قيل: هو وليد بن المغيرة، وكان ولد الزنا، أو من له زنمة، وهى قطعة من جلد تعلق فى حلق الشاة يعني: يعرف بالشر كما يعرف الشاة بزنمتها، ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ أي: كذب آيتنا، لأن كان ذا مال وبنين يعنى يجعل مجازاة نعمنا الكفر بآيتنا، فهو متعلق بما يدل عليه قوله "قال أساطير الأولين" لا بقال؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، أو متعلق بلا تطع أي: لا تطعه لماله، وبنيه مع تلك المعايب، ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: سنجعل على أنفه علامة، ووقعت يوم بدر، وفى لفظ الخرطوم استخفاف، فإنه لا يكاد يستعمل إلا فى أنف الخنزير والفيل، أو سنلحق به شيئًا ظاهرًا لا يفارقه، ونذله غاية الإذلال، فإن صاحب المال والبنين متكبر غالبًا، أو نسود وجهه يوم القيامة، أو سنبين أمره بيانًا ظاهرًا كما يظهر السمة على الخراطيم، ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أهل مكة بالقحط[1] ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ[2]﴾: كما امتحنا أصحاب بستان باليمن كان لرجل يتصدق منها على الفقراء فلما مات قال أبناؤه: كان أبونا أحمق إذ كان يصرف منها شيئًا كثيرًا على الفقراء، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾: فحلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: ليقطعن ثمرها، ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين فى الصبح خفية عن المساكين، ﴿وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾: لا يقولون إن شاء الله قيل: لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾: على الجنة، ﴿طَائِفٌ﴾: بلاءٌ طائف، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: نزلت نار فأحرقتها، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: فى بيوتهم، ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: الجنة، ﴿كَالصَّرِيمِ﴾: كالليل الأسود المظلم أو كالزرع الذى حصد يابسًا، ﴿فَتَنَادَوْا﴾ أي: نادى بعضهم بعضًا، ﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين فى الصباح،

---

(١) فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أكلوا الجيف، والرمم/١٢فتح.

(٢) عن سعيد بن جبير قال: هى أرض باليمن يقال لها: "ضروان" بينها وبين صنعاء ستة أميال/١٢در منثور.

﴿أَنِ اغْدُوا﴾: بأن أقبلوا غدوة، ﴿عَلَى حَرْثِكُمْ﴾، فتعديته بعلى لتضمين معنى الإقبال[1]، ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: قاطعين الثمر، ﴿فَانطَلَقُوا﴾: ذهبوا، ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: يتسارون فيما بينهم، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾، أن مفسرة بمعنى أي، والنهى عن تمكين[2] المسكين من الدخول أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل، ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾: على جد وجهد، أو على منع المساكين، أو الحرد اسم لبستانهم أو على غيظ وغضب، والحرد فى اللغة القصد والمنع والغضب، ﴿قَادِرِينَ﴾: عند أنفسهم على ثمارها أو على حرد متعلق بقادرين أي: غدوا قادرين على نكد، وحرمان لا على انتفاع، فإنه ما حصل لهم إلا الحرمان يقال: حاردت السنة، إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الإبل إذا منعت درها، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: الجنة مسودة، ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾: طريق جنتنا ليست هذه بجنتنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: يعنى لما تأملوا وعلموا أنها هى رجعوا عما كانوا، وقالوا: بل نحن حرمنا نفعها، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعقلهم وخيرهم، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: هلا تسبحونه، وتشكرونه على ما أعطاكم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: سبحوا واعترفوا بذنبهم، حيث لا ينفع فيما مضى، وعن بعض[3] معناه: هلا تستثنون، وسمى الاستثناء تسبيحًا؛ لأنه تعظيم الله، وإقرار بأن له القدرة فتزهه عن العجز، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضًا[4]، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا

---

(١) قال صاحب البحر: الذى فى حفظى أن غدا متعد بعلى لا بإلى، فلا نحتاج إلى أن نقول: فيه تضمين معنى الإقبال/١٢وجيز.

(٢) يعنى ظاهره النهى عن الدخول للمسكين، وحقيقة نهى لهم عن تمكينه منه/١٢منه.

(٣) هو مجاهد، والسدي، وابن جريج/١٢منه.

(٤) فى منعهم للمساكين، وعزمهم على ذلك يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا: أنت خوفتنا الفقر، ويقول الثالث لغيره: أنت رغبتنى فى جمع المال، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، حيث قالوا: "يا ولينا" الآية/١٢فتح.

كُنَّا طَاغِينَ﴾: متجاوزين الحد، **﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا﴾**: فى الدنيا، أو فى الآخرة، **﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ[1]﴾**: راجون الخير، وقبول التوبة، **﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾**: هكذا عذاب من بدل نعمة الله كفرًا، أو كفرانًا، **﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾**: منه وأشق، **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**: لاحترزوا عن موجب العذاب أو لو كانوا من أهل العلم لعلموا أن عذاب الآخرة أشد.

﴿إن للمتقين عند ربهم جنت النعيم ﴿٣٤﴾ أفنجعل المسلمين كالمجرمين
﴿٣٥﴾ ما لكم كيف تحكمون ﴿٣٦﴾ أم لكم كتب فيه تدرسون ﴿٣٧﴾ إن لكم فيه
لما تخيرون ﴿٣٨﴾ أم لكم أيمن علينا بلغة إلى يوم القيمة إن لكم لما
تحكمون ﴿٣٩﴾ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴿٤٠﴾ أم لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم إن كانوا صدقين ﴿٤١﴾ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود
فلا يستطيعون ﴿٤٢﴾ خشعة أبصرهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
إلى السجود وهم سلمون ﴿٤٣﴾ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿٤٤﴾ وأملي لهم إن كيدي متين ﴿٤٥﴾ أم
تسلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ﴿٤٦﴾ أم عندهم الغيب فهم يكتبون
﴿٤٧﴾ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم

---

(١) عن ابن مسعود -رضى الله عنه- بلغنى أنهم تابوا وأخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى "الحيوان" وعنبه يحمل البغل منها العنقود/١٢وجيز، وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ قال: لقد كلفتنى لقتا والمعظم يقولون: إنهم تابوا، وأخلصوا، حكاه القشيري/١٢فتح.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: عند حال من قوله: **﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**: لا تنغيص فيها أصلا، نزلت حين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هى فى الدنيا لم يفضلونا، و لم يزيدوا علينا، **﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾**، أنكر الله ما يدعون، وأبطله، ثم قال لهم- على طريق الالتفات: **﴿مَا لَكُمْ﴾** أى شيء لكم؟ **﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**: هذا الحكم الأعوج أتحكمون من عند أنفسكم ورأيكم؟! **﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾**: من الله، **﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾**: تقرءون، **﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ[1]﴾**:هذا كما تقول: علمت أن فى الدار لزيد، أو حاصله: هل لكم من الله كتاب تقرءون[2] فيه أن ما تشتهونه وتختارونه لكم؟! والجملة حكاية للمدروس قيل ضمير فيه الثانية جاز رجعها إلى عند ربهم، **﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾**: عهود

---

(١) أي: تقرءون فى هذا الكتاب الذى هو من الله إن لكم فى هذا الكتاب ما تخيرونه من تغيير وتبديل، وزيادة ونقصان، أو معناه هل لكم كتاب سماوى تقرءون فيه أن كل ما تختارون ثابت لكم فى هذا الكتاب؟ فاخترتم عبادة الأوثان. الاستفهام الأول للتوقيف على خطأ ما قالوا والتوبيخ، والثانى للتعجب، والثالث للإنكار، وأم جاز أن يكون منفصلة أي: بل ألكم كتاب، وبل للانتقال لا لإبطال ما قبل،والهمزة للإنكار، ولما اسم إن وما موصولة، ولكم خبرها، وقوله: "إن لكم" من باب التعليق لتضمنه معنى العلم، وأصله أن لكم بفتح الهمزة، فلما جاءت اللام كسرت/١٢وجيز.

(٢) فى ذلك الكتاب/١٢.

مؤكدة بالأيمان، ﴿بَالِغَةٌ﴾: متناهية فى التوكيد، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، متعلق إما ببالغة، أو بمتعلق لكم، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾، جواب القسم، فإن حاصله أم أقسمنا لكم، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ﴾ أي: الحكم، ﴿زَعِيمٌ﴾: قائم يدعيه،ويصححه، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾: فى هذا القول من البشر؟! ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾: فى دعواهم يعني: إن هذا الدعوى مهمل لا يشاركهم أحد، أو معناه أم لهم آلهة غير الله تصحح لهم ما يدعون، وتثبت فليأتوا بها حتى تصحح، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ[(١)]﴾، مقدر باذكر، أو متعلق بـ"فليأتوا"، أي: يوم يشتد الأمر، وكشف الساق مثل فى ذلك، أو يوم يكشف عن حقائق الأمور وخفياها، وفى الصحيحين سمعت النبى -صلى الله عليه وسلم- "يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة"،وقد نقل[(٢)] عنه – عليه

---

(١) وقد أغنانا الله سبحانه فى تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد أخرج البخاري، وغيره عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا" وهذا الحديث ثابت من طرق فى الصحيحين، وغيرهما،وله ألفاظ فى بعضها طول، وهو حديث مشهور معروف، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وذلك لا يستلزم تشبيها، ولا تجسيمًا، فليس كمثله شيء.

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن فى دينه كمخاطر.

قال الشيخ أحمد ولى الله المحدث الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة: واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث،وسموهم مجسمة ومشبهة، وقالوا: هم المستترون بالبلكفة، وقد وضح على وضوحًا بينا أن استطالتهم هذه ليست بشيء، وأنهم مخطئون فى مقالتهم رواية، ودراية، وخاطئون فى طعنهم أئمة الهدى انتهى/١٢فتح.

(٢) رواه أبو يعلى، وابن جرير، وفى الرواة رجل مبهم[وكذا قال ابن كثير فى "تفسيره" (٤/٤٠٨)]/١٢منه.

الصلاة والسلام- "يوم يكشف عن ساق نور عظيم يخرون له سجدًا(*) "، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي: الكافرون والمنافقون، فإن المؤمنين يسجدون بلا دعاء، ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾: السجود، لأنه صار ظهرهم طبقًا(١) واحدًا بلا مفاصل كلما أرادوا السجود خروا لقفاهم عكس السجود، ﴿خَاشِعَةً﴾، حال من فاعل يدعون، أو لا يستطيعون، ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: لا يرفعونها لدهشتهم، ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تلحقهم، ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: فى الدنيا، ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾: أصحاء، فلا يسجدون لله عن كعب الأحبار، والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعات، ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ﴾: كله إلى فإني عالم بما يستحق لا تشغل قلبك بهم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنقربهم من العذاب درجة درجة بالإمهال، وإكمال الصحة، والنعمة، ﴿مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: إنه استدراج، وهو إنعامنا عليهم بالمال، وطول العمر، والصحة، فلم يشكروا، وحسبوا أنهم أحباء الله، والثروة قد تكون نعمة، وقد تكون نقمة، والعلامة الشكر، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء سمى الاستدراج كيدًا؛ لأنه فى صورة الكيد، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾: يا محمد ﴿أَجْراً﴾: على الهداية، ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غرامة، ﴿مُّثْقَلُونَ﴾: بحملها، فلذا يعرضون عنك، وأم منفصلة، والهمزة للإنكار، ﴿أَمْ عِندَهُمُ الغَيْبُ﴾: علم الغيب، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: فلا يحتاجون إليك وإلى علمك، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ(٢)﴾: بإمهالهم، ﴿وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ(٣)﴾: يونس -عليه السلام- فى العجلة والضجر كما مر فى

(*) هذا التأويل من المصنف فى كشف الساق، والصحيح ما ورد فى الحديث "يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة". البخاري.

(١) قال أكثر السلف: وفى الصحيحين ما يدل على ذلك/١٢منه.

(٢) فإنه -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يدعو على ثقيف/١٢وجيز.

(٣) قيل: فيه مناسبة بتفسير من فسر النون بالحوت/١٢منه.

سورة الأنبياء، ﴿إِذْ نَادَى﴾: فى بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مغموم، ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: بقبول توبته، ﴿لَنُبِذَ﴾: لطرح، ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بالفضاء من بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، حال كونه مجرمًا ملومًا يعنى لما تداركه برحمته نبذه على حال غير حال الذم، واللوم ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ[1]﴾: من الأنبياء، ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إن مخففة، ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ أي: ينظرون إليك بنظر البغضاء، ويكادون يزلقون به قدمك ويزلونها كما تقول: نظر إلى نظرًا يكاد يأكلني، ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: القرآن، فإنهم لم يملكوا أنفسهم حسدًا حينئذ، وعن بعض: إن فيهم العين فأرادوا أن يصيبوه بالعين[2]، فعصمه الله، ونزلت، فمعناه يكادون يصيبونك بالعين لكن قوله، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ﴾: لمجيئه بالقرآن، ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: يناسب الوجه الأول، لأن شأن العَيَّانين المدح لا الذم، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، فكيف يمكن نسبة من جاء بمثله إلى الجنون.

والحمد لله على الهداية والدراية.

---

(١) من الكاملين فى الصلاح، قيل: لم يكن نبيًّا حين ذهب مغاضبًا،ولهذا فسر من الصالحين بمن النبيين،ولما أمر –عليه الصلاة والسلام– بالصبر أخبره بشدة عداوتهم ليتلقى ذلك بالصبر، ويحترز عنهم، فقال: "وإن يكاد الذين" الآية/١٢وجيز.

(٢) أخرج البخارى عن ابن عباس –رضى الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "العين حق" وأخرج الطيالسي، والبخارى فى تاريخه، والبزار عن جابر أن النبى –صلى الله عليه وسلم– قال "أكثر من يموت من أمتى بعد قضاء الله وقدره بالعين" [وقال البزار ولا نعلم بروى هذا الحديث عن النبى إلا بهذا الإسناد وتعقبه ابن كثير بأن له وجه آخر فذكره وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات و لم يخرجوه]/١٢در منثور.

سورة الحاقة مكية

وهى اثنتان وخمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ
بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ
صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ
فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ
﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ
ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ
وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ
خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَةْ ﴿١٩﴾ إِنِّى
ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَةْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾
وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَةْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا
حِسَابِيَةْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَةْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى

سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿**الْحَاقَّةُ**﴾، سميت القيامة بها؛ لأنها واجبة الوقوع من حق يحق بالكسر أي: الساعة الواجبة، أو التي فيها حواق الأمور أي: ثوابتها كالحساب والعقاب، فيكون من باب تسمية الشيء باسم ما يلابسه أي: ذو الحاقة، ﴿**مَا الحَاقَّةُ**﴾، استفهام لتفخيم شأنها، وهذه الجملة خبر للحاقه، أي: أى شيء هي؟ كقولك: زيد ما زيد؟ بوضع الظاهر موضع المضمر، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ**[1]﴾: وأى شيء أعلمك ما هي؟ يعنى لا علم لك بكنهها لعظمها، فما مبتدأ، وأدراك خبر، ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**﴾ أي: بها وسماها قارعة لقرعها القلوب بالمخافة، ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ أي: بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة، وهى الصيحة، وعن بعض بسبب طغيانهم، فتكون مصدرا كالعافية "كذبت ثمود بطغواها"(الشمس:١١) ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ**﴾: شديدة البرد، ﴿**عَاتِيَةٍ**﴾، أصل العتو مجاوزة الحد أي: عتت على خزانها، فخرجت بغير حساب، أو عتت على عاد، فلم يقدروا ردها، ﴿**سَخَّرَهَا**﴾: سلطها، ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾، استئناف، أو صفة، ﴿**سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً**﴾: متتابعات أو

---

(١) ولما ذكرها، وفخمها أتبع ذلك بذكر من كذب بها، فما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة، وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم، فقال: "كذبت ثمود" الآية/١٢ كبير، نعم يمكن بيانها بنظائر ما وقع بالأمم السابقة من أنواع العذاب المختلفة طولا وقصرًا، وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها، فتفصيل ذلك أنه "كذبت ثمود" الآية/١٢ تبصير الرحمن.

نحسات، أو قاطعات جمع حاسم صفة لسبع ليال، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ أي: لو كنت حاضرًا، أو استحضار لصورهم كأنه يراهم، ﴿فِيهَا﴾: فى تلك الأيام، ﴿صَرْعَى﴾: موتى جمع صريع حال، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول، ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: خالية الأجواف، أو ساقطة، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾: من بقية أو نفس باقية، ولا يبعد أن يراد منها، هل ترى باقية من العذاب لهم؟ يعني: قد وصل العذاب غايته، ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾: من الأمم الكافرة، وقراءة كسر القاف، وفتح الباء، فمعناه من عنده من أتباعه، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾: قرى قوم لوط أي: أهلها، ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾: بالخطيئة، ﴿فَعَصَوْا﴾ أي: كل منهم، ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زائدة فى الشدة، ﴿إِنَّا[(١)] لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: تجاوز عن الحد زمن نوح، ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾: فى السفينة، فكل من بقى من البشر من أصلاب من فى السفينة، ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: تلك الفعلة، وهى إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين، ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً[(٢)]﴾: عبرة وعظة، ﴿وَتَعِيَهَا﴾: تحفظها، ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي: من شأنها أن تحفظ ما سمعت به، ولا تضيعه بترك التفكر والعمل به،وفى الحديث "لما نزلت سألت الله أن يجعلها[(٣)] أذن علي" فكان

(١) ولما ذكر أمر فرعون، وذكر إغراقهم مَنَّ على من نجا، فقال: "إنا لما طغى الماء" الآية/١٢وجيز.

(٢) تذكرون بها كيفية النجاة عن أهوال القيامة،وهو لمن رآها "وتعيها" أي: تحفظ ما يسمع منها ليوصلها إلى آخرين "أذن واعية" لمن لم يرها، ولما فرغ عن ذكر النظائر السابقة أشار إلى ما يقع فى القيامة من نظائرها، "فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة" هى نظيرة صيحة ثمود، وتحصل بها ريح بها "حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة"، فالريح كريح عاد، والحمل كحمل المؤتفكات/١٢تبصير الرحمن.

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن مردويه، وأبى نعيم[وقال ابن كثير (٤/٤١٢) وهو حديث مرسل]/١٢.

على يقول: ما سمعت شيئًا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنسيته، ﴿فَإِذَا[1] نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: لا تثنى فى وقتها، والمراد النفخة الأولى[2] لما ذكر حال المكذبين رجع إلى شرح أهوال القيامة، ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: رفعت عن أماكنها، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: ضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة، فيصير الكل هباء منثورا، أو بسطتا فصارتا أرضًا لا عوج لها يقال: أرض دكاء، أى مستوية متسعة، ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: حينئذ، ﴿وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾: قامت القيامة، ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: من المجرة، هكذا روى عن على -رضى الله عنه ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفة ساقطة القوة، ﴿وَالْمَلَكُ﴾، المراد منه الجنس، ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: جوانبها جمع رجا بالقصر يعنى أنها تنشق، وهى مسكن الملائكة، فيأوون إلى ما حولها من حافاتها، ﴿وَيَحْمِلُ[3] عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: فوق رءوس الثمانية[4]، ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾: من الملائكة بعد ما بين شحمة أذن ملك منها وعنقه

---

(١) ولما كان الطوفان كقيامة قامت، ففيها تفجير البحور، أعقبه بذكر أحوالها فقال: "فإذا نفخ فى الصور" الآية/١٢وجيز.

(٢) التى بها خراب العالم/١٢وجيز.

(٣) أخرج الحاكم، وصححه عن ابن عباس -رضى الله عنهما- مرفوعًا قال: يحمل ثمانية ملك على صورة الأوعال،وفى رواية عنه رءوسهم عند العرش، وأقدامهم فى الأرض السفلى، ولهم قرون كقرون الوعلة، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام، وروى أن ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين السماء والأرض، وروى أن لكل ملك منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، ولابن جرير عن أبى زيد مرفوعًا "يحمله اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية"[أخرجه الحاكم (٢/٥٠٠) وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى]/١٢كمالين.

(٤) ولا يلزم إضمار قبل الذكر إلا لفظًا لا تقديرًا/١٢منه.

بخفق الطير[1] سبعمائة عام، وعن بعض ثمانية صفوف، وعن بعض المفسرين: المراد بالعرش عرش يوضع يوم القيامة فى الأرض لفصل القضاء لا العرش العظيم، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾: على الله لإفشاء الأحوال،وإظهار العدل، ﴿لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: سريرة كانت تخفى فى الدنيا، ولما كان اليوم يطلق على زمان ممتد يقع فيه النفختان، وأهوال القيامة مطلقًا صح أن يقال فيه العرض، والحساب، وفى الحديث "يعرض الناس[2] ثلاث عرضات، فأما عرضتان، فجدال، ومعاذير وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدي، فآخذ بيمينه وأخذ بشماله" ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾: تبجحًا[3]، ﴿هَاؤُمُ﴾، اسم فعل للجمع أي: خذوا، ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، منصوب بالفعل الثانى عند البصريين، والهاء للسكت تثبت فى الوقف، وتسقط فى الوصل، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾: علمت، ﴿أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: أيقنت أنى أحاسب، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، جعل الرضا للعيش مجلوزًا، وهو لصاحبها أو هو كلابن وتامر أي: منسوبة إلى الرضا، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: رفيعة هي،وقصورها أيضًا، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾: ثمارها قريبة يتناولها الراقد، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، بإضمار القول، ﴿هَنِيئاً﴾، صفة مصدر محذوف[4]، ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: بسبب ما قدمتموه من الخيرات، ﴿فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ[5]﴾: الماضية فى الدنيا، وقد روى عن ابن

---

(١) هذا مذكور فى الحديث، رواه أبو داود، وفى كتاب السنة من سننه وابن أبى حاتم[وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح أبى داود" (٣٩٥٣)]/١٢منه.

(٢) رواه الإمام أحمد، والترمذي[قال الترمذى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة. وضعفه الشيخ الألبانى فى "ضعيف الترمذى"]/١٢منه.

(٣) بتقديم الجيم على الحاء المهملة/١٢.

(٤) أي: أكلا وشربًا هنيئًا، أو تقديره هنئتم هنيئًا/١٢منه.

(٥) أخرج البيهقى عن نافع قال: خرج ابن عمر -رضى الله عنهما- فى بعض نواحى المدينة، ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة له فمر بهم راعى غنم، فسلم فقال ابن عمر:

=

عباس -رضى الله عنهما- إن هذا فى الصائمينَ خاصة أي: بدل ما أمسكتم فى الأيام الجائعة، **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾**: تحسرًا، **﴿يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا﴾**: الموتة التى متها، **﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾**: القاطعة لأمري، فلم أبعث، أو يا ليت تلك الحالة التى أنا فيها كانت الموتة، فإنها أسهل، **﴿مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ﴾**: ما حصل لى من المال وغيره، ومفعول أغنى محذوف، أو ما على تقدير أن يكون استفهامية إنكارية[1]، **﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ[2]﴾**: ضل عنى حجتي، أو زال عنى ملكى وقوتي، **﴿خُذُوهُ﴾**: لما أمر الله بذلك ابتدره سبعون ألف[3] ملك، وروى "لا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لى ولك، فيقول: إن الرب عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك **﴿فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾**: لا تدخلوه إلا الجحيم، **﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ**

= هلم يا راعى هلم فأصب من هذه السفرة، فقال له: إنى صائم، فقال ابن عمر: الصوم فى مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت فى هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟! فقال له: إنى والله ضيعت أيامى الخالية، فقال له ابن عمر وهو يريد يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه، فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها، فتفطر عليه؟ فقال له: إنها ليست لى بغنم إنها غنم سيدى فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلا إذا فقدها، فقلت: أكلها الذئب؟ فولى الراعى عنه، وهو رافع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، وهو يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعى ووهب منه الغنم[أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان"(٥٢٩١)]/١٢در منثور.

(١) فيه إشارة إلى أن ما إما نافية، أو استفهامية/١٢منه.

(٢) سلطانيه: قوتي، وحجتي،وهاء كتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيه للسكت تثبت وقفًا، ووصلا اتباعًا لمصحف الإمام، والنقل، ومنهم من حذفها وصلا/١٢جلالين.

(٣) ذكره ابن أبى الدنيا فى الأهوال/١٢منه.

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً﴾ أي: طويلة، وفى الحديث ما يدل[1] على أنها أطول من مسافة بين السماء والأرض، ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾: أدخلوه فيها، وعن ابن عباس[2] -رضى الله عنهما- يدخل فى استه، ثم يخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين[*] يشوي، ﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ﴾، استئناف للتعليل، ﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾: لا يرغب، ﴿عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾: على إطعامه، وفيه إشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل، وبأن أشنع الذمائم البخل، وكان أبو الدرداء يحض امرأته على تكثير المرق للمساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها بالحض؟ ﴿فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريب يحميه، ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾: دم وقيح يسيل من لحومهم، أو شجرة فيها، ﴿لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ﴾: أصحاب الخطايا، والمراد المشركون.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ
﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ
عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ

---

(١) حديث ذكره الإمام أحمد، والترمذي/١٢منه، هو إقرارهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله[وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٨٥٦): إسناده صحيح]/١٢وجيز.

(٢) نقله السيوطى فى الدر المنثور، وقال: أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم/١٢.

(*) وفى نسخة ن: حتى.

﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾، لا مزيدة، أو رد لكلام المشركين، وقيل: لا أقسم بظهور الأمر بحيث لا يحتاج إلى القسم، ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾: بما فى السماء، والأرض، ﴿وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾: بما هو فى علم الله، و لم يطلع عليه أحد، ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: على الله يبلغه عن الله، فإن الرسول هو المبلغ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: يخيله من عند نفسه كما تزعمون، ﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: تصدقون تصديقًا قليلا(١)، أو المراد من القلة العدم، ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ(٢)﴾: تذكرون تذكرًا قليلا، فلذلك التبس عليكم الأمر، ولما كان عدم مشابهة القرآن للشعر أظهر ذكر الإيمان مع الأول، والتذكر مع الثاني، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: هو تنزيل، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾: الرسول، ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾: يختلق، ويفترى، ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(٣)﴾: بيده اليمنى

---

(١) هو إقرارهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض قالوا: الله/١٢وجيز.

(٢) ذكر الإيمان مع نفى الشعر، والتذكر مع نفى الكهانة، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على تذكر أحواله -صلى الله عليه وسلم- وتذكر معانى القرآن المنافية لطريقة الكهانة، ومعانى أقوالهم قال أبو جهل: إن محمدًا الشاعر، وقال الوليد بن المغيرة: ساحر وقال عقبة: كاهن فنزلت هذه الآية،كذا قال مقاتل/١٢فتح.

(٣) قال ابن جرير: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس فى الأخذ بيد من يعاقب، وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة: باليمين أي: بالقوة والقدرة، وبه قال ابن عباس،-رضى الله عنه- وقال ابن قتيبة: إنما أقام اليمين مقام القوة؛ لأن قوة كل شيء فى ميامنه، وقيل المعنى: لقتلناه صبرًا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط/١٢فتح.

منه ليكون أشد، فإن القتَّال إذا وقف بين يديه بحيث ينظر المقتول إلى السيف مريدًا قتله من خلفه يأخذه بيده اليمنى، وإذا وقف خلفه مريدا قتله من قفاه يأخذ بيساره، أو اليمين بمعنى القوة، **﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾**: نياط القلب،وهو حبل الوريد، **﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾**: دافعين عن القتل، أو عن نفسه بأن تحولوا بيني وبينه، **﴿وَإِنَّهُ﴾** أي: القرآن، **﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾**: فإنهم المنتفعون به، **﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾**: فنجازيهم، **﴿وَإِنَّهُ﴾** الضمير للقرآن أو للتكذيب، **﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**: يوم يرون ثواب الإيمان به، **﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾** اليقين هو العلم الذى زال عنه اللبس، والحق هو الثابت، فالإضافة إما بمعنى اللام، أو بمعنى من أو بيانية، **﴿فَسَبِّحْ﴾**: الله، **﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**، والعظيم إما صفة المضاف أوالمضاف إليه.

والحمد لولى الحمد.

سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (١) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِي
ٱلۡمَعَارِجِ (٣) تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ
(٤) فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا (٧) يَوۡمَ تَكُونُ
ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ (٩) وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا (١٠)
يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآۖ إِنَّهَا
لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ (١٨) ۞
إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا (٢١)
إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ
مَّعۡلُومٞ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ
هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ
(٣٠) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ (٣١) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ
وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ
يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ (٣٥) ﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أي: دعا داعٍ،﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: البتة،﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾، هو نضر[1] بن الحارث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فالباء لتضمين معنى دعا بمعنى استدعى، وقيل: لتضمين معنى استعجل،وعن الحسن[2]، وقتادة لما خوفهم الله تعالى العذاب قال بعضهم: سلوا عن العذاب على من يقع؟ فترلت، فعلى هذا الباء لتضمين معنى اهتم، أو الباء بمعنى عن، كما قيل في: "فاسئل به خبيرًا"(الفرقان:٥٩) و يكون للكافرين خبر محذوف جوابًا للسائل، أي: هو للكافرين، ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾: يرده صفة أخرى لعذاب على الوجه الأول، وجملة مؤكدة للكافرين على الثاني، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: دافع من جهته، لأنه قدره، وقيل تقديره هو من الله،﴿ذِي الْمَعَارِجِ[3]﴾: ذى السماوات، فإن الملائكة تعرج فيها أو ذى الدرجات أو ذى الفواضل، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: جبريل، أو خلق أعظم من الملك يشبهون الناس، وليسوا ناسًا، وعن بعض المفسرين: المراد أرواح المؤمنين، فقد ورد أنها يصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السابعة،﴿إِلَيْهِ[4]﴾: إلى محل قربته، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: من سنى الدنيا لو صعد غير الملك، وذلك لأن غلظ كل أرض خمسمائة،

(١) وهو ممن قتل يوم بدر صبرا/١٢فتح كما فى الدر المنثور من رواية النسائى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه[أخرجه النسائى فى "تفسيره" والحاكم فى "المستدرك" (٢/٥٠٢) وقال: "صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه" ورمز له الذهبى فى "التلخيص" أنه على شرط البخارى]/١٢.

(٢) أخرجه ابن المنذر على ما نقله السيوطى فى الدر المنثور/١٢.

(٣) ذى الدرجات التى تصعد فيها الملائكة، وقال ابن عباس -رضى الله عنهما: ذى العلو والفواضل/١٢فتح.

(٤) أي: إلى الله عز وجل هذا ما فى اللباب وفى الوجيز أي: إلى العرش، وهو الذى استوى عليه/١٢.

وبين كل أرض إلى أرض كذلك، وكذا السماء، فيكون إلى محدب سماء السابعة أربعة عشر ألف عام، وبينها إلى العرش ستة وثلاثون، فيكون خمسين ألف سنة، هكذا نقل عن ابن عباس -رضى الله عنهما، أو المراد[1] يوم القيامة أي: تعرج الملك والروح للعرض والحساب فى يوم كذا جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة،ويخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا، وفى الأحاديث الصحاح "إن طول يوم القيامة خمسون ألف سنة"[*] وقيل فى يوم متعلق بواقع، وعن[2] بعض المراد مدة الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، وعن بعض[3] اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة خمسون ألف سنة ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً[4]﴾، على التكذيب، والاستهزاء، وذلك قبل آية القتال، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾: العذاب، أو يوم القيامة، ﴿بَعِيداً﴾: من الإمكان، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾: من الوقوع، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾، ظرف لمقدر مثل يقع لدلالة المقام، أو لقريبًا، أو بدل عن "فى يوم" على ثانى وجوهه ﴿كَالْمُهْلِ﴾: كدردى الزيت، وقيل: كالفلز[5] المذاب، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: كالصوف المندوف، ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾: قريب عن قريبه للشدة، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ[6]﴾، التبصير التعريف،

---

(١) وقد صح ذلك عن ابن عباس أيضًا، وعكرمة، والضحاك،وابن زيد وغيرهم/١٢منه.

(*) انظر "تفسير ابن كثير" (٤/٤١٩-٤٢٠) والدر المنثور (٦/٤١٦-٤١٧).

(٢) قول عكرمة، ومجاهد/١٢.

(٣) قول محمد بن كعب/١٢منه.

(٤) أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله: "فاصبر صبرا جميلا" قال: لا تشكوا إلى أحد غيري/١٢در منثور.

(٥) فلز بكسرتين وتشديد زاى معجمة يطلق على جواهر الأرض كلها.

(٦) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله: "يبصرونهم" قال: يعرف بعضهم بعضًا ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض/١٢در منثور.

والإيضاح أي: يبصر الأحماء الأحماء، ومع ذلك لا يسأل عنه لاشتغالهم بحال أنفسهم استئناف، أو حال وذو الحال فى معنى المعرف بالاستغراق، أو صفة لحميما، ولما كان الحميم عامًّا جمع الضميرين، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي﴾ "لو" بمعنى أن، ﴿مِنْ عَذَابِ[1] يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ أي: هو بحيث يتمنى الافتداء بأقرب الناس فضلا عن أن يهتم بحاله، ويسأل عنه، ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته، ﴿الَّتِي تُئْوِيهِ﴾: تضمه فى النسب، أو فى الشدائد، أو المراد من الفصيلة الأم، ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ أي: يود لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء، وهيهات أن ينجيه، فثم للاستبعاد، ﴿كَلَّا﴾، ردع للمجرم عن الودادة، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار، أو ضمير مبهم يفسره ما بعده، ﴿لَظَى﴾: لهب، أو هو علم للنار، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ الشوى: الأطراف، أو جمع شواة، وهى جلدة الرأس، أو لحم الساقين، أو محاسن الوجه، وأم الرأس، أو اللحم والجلد، أو الجوارح ما لم يكن مقتلا، ﴿تَدْعُوا﴾: النار إلى نفسها بأسمائهم، ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾: عن الحق، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة، ﴿وَجَمَعَ﴾: المال، ﴿فَأَوْعَى﴾: فأمسكه فى وعائه، و لم يصرفه فى الخير، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾، التعريف للاستغراق، ﴿خُلِقَ هَلُوعًا[2]﴾: شديد الحرص قليل الصبر، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾: لم ينفق أصلا، والأحوال الثلاثة مقدرة، أو محققة، لأنه مجبول طبيعته على الجزع، والبخل عند الفقر، والمال، ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾: إلا من قدر الله أنه من أهل التوحيد، والطاعة،

---

(١) قرئ بتنوين عذاب، ونصب يومئذ به؛ لأنه بمعنى تعذيب/١٢بيضاوي.

(٢) قال ابن عباس -رضى الله عنهما- تفسيره ما بعده، وهو قوله تعالى: "إذا مسه الشر" الآية/١٢اللباب.

وسأل محمد بن عبدالله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال: قد فسره الله تعالى، ولا يكون تفسيرًا أبين من تفسيره، وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به، ومنعه الناس، وهذا طبعه، وهو مأمور بمخالفة طبعه، وموافقة شرعه/١٢مدارك.

فإنه ما خلقه كذلك، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[1]: لا يتركون فريضة، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾، كالزكاة وغيرها، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، مر تفسيره في سورة "والذاريات" ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: بيوم الجزاء، فلا يعملون السيئات، ولو عملوا نادرًا يتوبون عن قريب خوفًا عن الجزاء، ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، معترضة تدل على أن ليس لعاقل الأمن من عذاب الله، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، سبق في أول سورة "قد أفلح المؤمنون" ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: لا يخونون، ولا يغدرون، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ﴾[2]

---

(١) فإن قلت: كيف قال على صلاتهم دائمون، ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون؟ قلت: بمعنى إدامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها، وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات، وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها، والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها، وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه، وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة: منها ما هو سابق للصلاة كاشتغال بالوضوء، وستر العورة، وإبصار المكان الطاهر للصلاة، وقصد الجماعة، وتعلق القلب بدخول وقتها، وتفريغه عن الوسواس، والالتفات إلى ما سوى الله -عز وجل- وأما الأمور المقارنة للصلاة، فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينًا، ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع، والخوف وإتمام ركوعها، وسجودها وأما الأمور الخارجة عن الصلاة، فهو أن يحترز عن الرياء، والسمعة، وخوف أن لا يقبل منه مع الابتهال، والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها، وطلب الثواب، فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها، والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهيآتها/١٢لباب.

(٢) وهذه الشهادة من جملة الأمانات، إلا أنه خصها بالذكر لفضلها، لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع/١٢لباب.

﴿قَائِمُونَ﴾: محافظون عليها لا يكتمون،ولا يزيدون، ولا ينقصون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: على أركاها، وواجباها،ومستحباها افتتح فى وصفهم بذكر الصلاة، واختتم ها كما فى سورة المؤمنين لشرفها، وكمال الاعتناء ها، ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ[1] مُّكْرَمُونَ﴾: عند الله.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين حولك مادى أعناقهم إليك، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾: فرقًا شتى، جمع عزة نزلت فيمن يجتمع حوله -عليه السلام- يستمعونه، ويستهزئون به، وعن اليمين إما متعلق بعزين، أو هو أيضًا حال، أو بمهطعين، ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾، كانوا يقولون: لو كانت جنة، فلندخلنها قبلهم، ﴿كَلاَّ﴾، ردع عن هذا الطمع، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا

---

(١) ولما قال: "أولئك فى جنات مكرمون" دل على أن من هو ينقص تلك الصفات ليس فى جنات، فهذا لابد أن لا يطمع أحد منهم فى الجنة، فقال: "فمال الذين كفروا" الآية/١٢وجيز.

يَعْلَمُونَ[1]﴾ أي: من تراب، ثم من نطفة، وهى جملة للتعليل، كأنه قال: ارتدعوا عن طمع الجنة، لأن الدليل دالٌّ على ضلالكم، فإنكم على استحالة البعث وهو ممكن، لأنا خلقناكم من نطفة، وكذا وكذا، ومن كان قادراً على مثل ذلك كيف لا يقدر على الإعادة، أو معناه إنا خلقناهم من نطفة قذرة فمن أين يدعون التقدم من غير تطهير النفس بالإيمان، والأعمال؟ أو إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات:٥٦)، ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**﴾: مشارق الكواكب، ومغاربها، ﴿**إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ**﴾: على أن نعيدهم يوم القيامة بأبدان خير من هذه، ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾: عاجزين مغلوبين، أو معناه نحن قادرون على أن نهلكهم، ونأتى بدلهم بخلق خير منهم، ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ**﴾، هذا قبل وجوب القتال، ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ**﴾: القبور، ﴿**سِرَاعًا**﴾: مسرعين إلى إجابة الداعى، ﴿**كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ**[2]**يُوفِضُونَ**﴾: يسرعون إلى النصب يتدرون أيهم يستلمه أول

---

(١) عن بشر بن جحاش قال: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم "فمال الذين كفروا" إلى قوله: "مما يعلمون" ثم بزق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على كفيه، ووضع عليها أصبعه، وقال يقول الله: "ابن آدم أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك، وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت، ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت: أواقى أوان الصدقة"[أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان" (٣٤٧٣)]/١٢فتح.

(٢) قرأ الجمهور نصب بفتح النون، وسكون الصاد، وهو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع الشخص نحوه، وقال أبو عمرو: هو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته/١٢فتح،وقيل: هو كل ما نصب، وعبد من دون الله/ مدارك.

فعلوا حين عاينوا أنصابهم فى الدنيا، أو يسارعون إلى علامة وغاية منصوبة، **﴿خَاشِعَةً﴾**: ذليلة خاضعة، **﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾**: تلحقهم، **﴿ذِلَّةٌ﴾**: هوان، **﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾**: فى الدنيا.

والحمد لله على الإيمان.

سورة نوح مكية

وهي تسع أو ثمان وعشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ
لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ
لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ
دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ
جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ
وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ﴾: بأن أنذر، أي: بأن قلنا له أنذر، **﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾**،

لتضمن الإنذار معنى القول جاز أن يكون أن[1] مفسرة، ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: بعضها، وهو ما سبق وقيل: من[2] زائدة، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: منتهى آجالكم،ولا يستعجلكم بالعقوبة، فإن الطاعة وصلة الرحم يزاد بهما في العمر[3]، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾: الأجل الأطول، ﴿إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ﴾: فآمنوا قبل مجيئه، أو إن الأجل المقدر إذا جاء على الوجه المقدر به أجلا لا يؤخر، فبادروا في حين الإمهال، ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من أهل العلم لعلمتم ذلك، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ أي: دائمًا، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا﴾: من الحق، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾: إلى الإيمان، ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: لئلا يسمعوا دعوتي، ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: تغطوا بالثياب لئلا يروني، أو لئلا أعرفهم، ﴿وَأَصَرُّوا﴾: على ضلالهم، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن اتباعي، ﴿اسْتِكْبَاراً﴾، قالوا: "أنؤمن لك واتبعك الأرذلون"(الشعراء:١١١)، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: دعوتهم مرة بعد أخرى بأي وجه أمكنني و"ثم" للتراخي الزماني، أو الرتبي، "وجهارا" مصدر من غير لفظه، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: بالتوبة، ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا[4]﴾: كثير الدرور

(١) فيه إشارة إلى أن في "أن اعبدوا الله"، و"أن أنذر" يحتمل الوجهين، فيجوز في الأول أن يكون مفسرة أيضًا، وفي الثانية أن يكون تقديره بأن اعبدوا الله/١٢منه.

(٢) اختار ابن جرير "أن" من هاهنا بمعنى عن، أي: يصفح لكم عن ذنوبكم/١٢منه.

(٣) كما أن بعض المعاصي يستعجل العقوبة/١٢وجيز.

(٤) عن بعض المفسرين: إن قوم نوح لما كذبوه زمانًا طويلا حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم،ومواشيهم، فلهذا قال لهم نوح: "استغفروا ربكم" إلخ/١٢منه.

حال، والمفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: لا تخافون له عظمة، حتى تتركوا عصيانه "والله" إما حال من وقارًا، أو مفعول ترجون بزيادة اللام، و"وقارًا" تمييز[1] كفجرنا الأنهار عيونًا، أو لا ترون له عظمة، أو لا تعتقدون الوقار، فيثيبكم على توقيركم، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: نطفة، ثم علقة، ثم وثم حال موجبة لتعظيمه وتوقيره ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ﴾: فيهن، ﴿سِرَاجاً﴾: تزيل الظلمة كما يزيلها السراج، ولو كان القمر والشمس فى أحدهن نورًا وسراجًا لصدق أنهما فيهن، أو إضاءتهما فى السماوات كلها، وكلام ابن عباس يدل عليه، ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي: أنشأكم منها، فإن آدم منها، أي: أنبتكم فنبتم نباتًا، فاختصر دلالة على سرعة نفاذ أمره، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾: من الأرض، ﴿إِخْرَاجًا﴾: بالحشر أكده بالمصدر كما أكد الإنشاء دلالة على أنه فى التحقق كهو، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾: تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، ﴿لِتَسْلُكُوا﴾: متخذين، ﴿مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾: واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

(١) يعنى إذا كان وقارًا مفعول تخافون فلله حال؛ لأن خاف لا يعدى باللام، وإذا كان الله هو المفعول بزيادة اللام فوقارًا تمييز/١٢منه.

سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي**﴾: فيما أمرهم به، ﴿**وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا**﴾ أي: اتبعوا رؤساءهم الأخسرين بسبب الأموال والأولاد، ﴿**وَمَكَرُوا**﴾، عطف على لم يزده وجمع الضمير باعتبار المعنى، ﴿**مَكْرًا كُبَّارًا**[1]﴾: عظيمًا فى الغاية

(١) قال الرازي: ذكر أبو زيد البلخى فى كتابه فى الرد على عبدة الأصنام أن العلم بأن هذه الخشبة المنحوتة فى هذه الساعة ليست خالقة للسماوات، والأرض، والنبات والحيوان علم ضروري، والعلوم الضرورية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها بين العقلاء، وعبادة الأوثان دين كان موجودًا قبل مجيء نوح -عليه السلام- بدلالة هذه الآية، وقد استمر ذلك الدين إلى هذا الزمان، وأكثر سكان أطراف المعمورة على هذا الدين فوجب حمل هذا الدين على وجه لا يعرف فساده بضرورة العقل، وإلا لما بقى هذه المدة المتطاولة فى أكثر أطراف العالم، فإذا لابد أن يكون للذاهبين إلى ذلك المذاهب تأويلات، ثم بين وجوه التأويلات إلى أن قال: الوجه الرابع أنه كان يموت أقوام صالحون، فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشتغلون بتعظيمها، وغرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله، وهو المراد من قولهم: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفا" (الزمر:٣)، ولهذا السبب نهى الرسول -عليه السلام- عن زيارة القبور أولا، ثم أذن فيها انتهى ما فى الكبير ملخصًا/١٢.

لاتباعهم فى تسويلهم أنهم على الحق كما يقولون فى القيامة، "بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا" الآية (سبأ:٣٣)، ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: عبادها، ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَداًّ[١] وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ أي: لا تذرن الآلهة سيما هؤلاء هى أسماء آلهتهم، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾: الأصنام، ﴿كَثِيرًا﴾: من الخلق كما قال الخليل: "واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرًا" الآية (إبراهيم:٣٥،٣٦)، وعن مقاتل، وقد أضل رؤساؤهم كثيرًا، ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾، عطف على "رب إنهم عصوني" ﴿إِلاَّ ضَلاَلاً﴾، دعاء عليهم لتمردهم وعنادهم، كما دعا موسى "ربنا اطمس على أموالهم"(يونس:٨٨) ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾: من أجلها وما مزيدة للتأكيد، ﴿أُغْرِقُوا﴾: بالطوفان، ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾: فإنه يعرض عليهم النار فى القبور بكرة وعشيا، أو المراد نار جهنم، والتعقيب لعدم الاعتداد لما بين الإغراق، والإدخال كأنه نومة، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾: ما نصرهم آلهتهم، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: أحدًا يدور فى الأرض، أو نازل دار، وأصله ديوار، ففعل به ما فعل بسيد، ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾: صبياهم، ﴿وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ

---

(١) أخرج البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب تعبد، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل،وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث، فكانت لمراد، ثم لبنى غطيف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومه أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم عبدت/١٢در منثور.

فَاجِرًا[1] كَفَّارًا﴾، قال ذلك لخبرته بهم، وتجربته لمكثه بينهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾، كانا مؤمنين، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾: داري، أو مسجدي، أو سفينتي، ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: إلى القيامة، ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾: هلاكًا.

والحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم.

---

(١) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- والكلبى ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبى حذرنيه، فيموت الكبير، وينشأ الصغير على الكفر/١٢ منه.

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾
يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا
مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا
ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ
يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا
نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن
نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا
يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ
ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن
ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، الضمير للشأن، ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾: جماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، ﴿مِّنَ الْجِنِّ[(١)]﴾، أمر الله رسوله أن يخبر قومه أن جماعة من الجن استمعوا للقرآن، فآمنوا به وصدقوه، ﴿فَقَالُوا﴾: حين رجعوا إلى قومهم، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا[(٢)] قُرْآناً

---

(١) واختلف هل رآهم النبى -صلى الله عليه وسلم- أم لم يرهم؟ فظاهر القرآن أنه لم يرهم، لأن المعنى: قل يا محمد لأمتك أوحى إلى على لسان جبريل أنه استمع نفر من الجن، ومثله قوله: "وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن"(الأحقاف:٢٩)، ويؤيد هذا ما ثبت فى الصحيح قال "ما قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الجن، وما رآهم" وروى ابن مسعود أنه رآهم ورجحه العلماء، والحق صحتهما وأن الأول وقع أولا، ثم نزلت السورة، ثم أمر بالخروج إليهم/١٢فتح.

(٢) أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي،والطبرانى عن ابن عباس قال: "انطلق النبى -صلى الله عليه وسلم- فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين، وخبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: "يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا" فأنزل الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم "قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن" وإنما أوحى إليه قول الجن/١٢در منثور، وفى الفتح اختلفوا فى وجود الجن فأنكره معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم، وسموهم بالأرواح السفلية، وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية، إلا أنهم أضعف، وأما =

﴿عَجَباً[1]﴾: فى نهاية البلاغة مصدر وضع للمبالغة موضع العجيب، **﴿يَهْدِي﴾**: الخلق، **﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾**: إلى الصواب، والسداد، **﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾**، ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك، **﴿وَأَنَّهُ﴾** أي: الشأن، **﴿تَعَالَى جَدُّ﴾**: عظمة، **﴿رَبِّنَا﴾**، أو علا ملكه، أو غناه، وقراءة "إن" بالكسر عطف على "إنا سمعنا" من جملة المقول، وأما الفتح، فعلى العطف على "به" فى "آمنا به" بحذف حرف الجر وحذفه من أن وإن كثير والأولى عندى أن يكون عطفًا لعلى أنه استمع أي: أوحى إلى هذا الكلام، وهو أنه تعالى جد ربنا حكاية عن كلام الجن حتى لا يحتاج فى وأنه كان رجال وغيره إلى تمحل عظيم، فتأمل، **﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾** بيان لقوله تعالى: "جد ربنا"، كأنه قال: تعالى عظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد، **﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾**: إبليس، أو جاهلنا، **﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾** أي: قولا ذا شطط، وهو مجاوزة الحد فى الظلم، **﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** أي: حسبنا أن أحدًا لن يفترى عليه، فكنا نصدق ما أضافوا إليه حتى تبين لنا من القرآن افتراؤهم، و"كذبا" مصدر؛ لأنه نوع من القول، **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ﴾** إذا نزلوا واديًا فى الجاهلية قالوا: أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه، كما كانت عادتهم دخول بلاد الأعداء فى جوار رجل كبير منهم،وخفارته، **﴿فَزَادُوهُمْ﴾** أي: الجنُّ الإنسَ، **﴿رَهَقًا﴾**: إخافة وإرهابًا، عن عكرمة: كان إذا نزل الإنس واديًا هرب الجن منهم، فلما سمع الجنُّ يقول الإنسَ: نعوذ بأهل هذا الوادى قالوا: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالجنون، والخبل،

= جمهور أرباب الملل، وهم أتباع الرسل والشرائع، فقد اعترفوا بوجودهم فلا اعتداد بمنكريهم، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل/١٢.

(١) لبدعته وحسن مبانيه،ودقة معانيه، وغرابة أسلوبه مع كونه متباينًا لسائر الكتب/١٢ منه.

أو فزاد الجن تكبرًا وطغيانًا بسبب استعاذة الإنس هم، ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: أي: الإنس، ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾: أيها الجن، ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾: بعد ذلك بالرسالة أو لا بعث، ولا حشر، وهذا قول نفر من الجن لقومهم حين رجعوا إليهم، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا﴾: طلبنا، واللمس والمس استعير للطلب، لأن الماس طالب متعرف، ﴿السَّمَاءَ﴾ أي: بلوغها لاستراق السمع، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾، اسم بمعنى الحراس كالخدم، ﴿شَدِيداً﴾: من الملائكة، ﴿وَشُهُبًا﴾: من النجوم، ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾: قبل ذلك، ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾: من السماء، ﴿مَقَاعِدَ﴾: صالحة للترصد، ﴿لِلسَّمْعِ[(١)]﴾: لاستماع أخبار السماء، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ[(٢)] لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: راصدًا لأجله يمنعه من الاستماع، ﴿وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ﴾: بحراسة السماء، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيرًا، وهذا من أدهم، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، ثم اعلم أن الكواكب يرمى بها قبل المبعث، لكن ليس بكثير، والأحاديث تدل عليه، وبعد مبعثه قد كثرت الشهب بحيث لم يقدر الجن بعد على استراق السمع من غير أن يأتيه شهاب، فهال ذلك الإنس والجن، نعم: قد يسترق كلمة فيلقيها إلى صاحبه، ثم يدركه الشهاب كما ورد فى الصحيحين، وهذا هو الذى حملهم على تطلب السبب فى ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها حتى وجدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ فى الصلاة فعرفوا أن هذا هو السبب فى حراسة السماء، فآمن من آمن منهم، وتمرد من تمرد، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا﴾: قوم، ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾، وهم الطالحون، أو المقتصدون، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أي: كنا ذوى مذاهب متفرقة[(٣)]،

---

(١) قوله: للسمع إما صفة والأظهر أنه متعلق بنقعد/١٢وجيز.

(٢) الآن ظرف زمان للحال، ويستمع مستقبل، فاتسع فى الظرف واستعمل الاستقبال/ ١٢.

(٣) كأن قولهم هذا اعتذار عن تمرد بعضهم/١٢وجيز.

﴿وأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: علمنا، ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ﴾: إن أراد بنا أمرًا، ﴿ولَن نُّعْجِزَهُ﴾: إن طلبنا، ﴿هَرَبًا﴾: هاربين، وفى الأرض وهربا حالان وفائدة ذكر الأرض تصوير أنه مع تلك البسطة ليس فيها بمهرب من الله، ﴿وأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾: القرآن، ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، كرروا ذلك للافتخار، ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ﴾أي: فهو لا يخاف بحذف المبتدأ للدلالة على الاختصاص، ولذلك لم يقل لا يخف، ﴿بَخْسًا﴾: نقصًا فى الجزاء، ﴿ولاَ رَهَقًا﴾: ظلمًا، ﴿وأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ومِنَّا الْقَاسِطُونَ[1]﴾: الجائرون عن الحق، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا﴾: قصدوا، ﴿رَشَدًا[2]﴾: عظيمًا، ﴿وأَمَّا الْقَاسِطُونَ[3] فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: كما لكفار الإنس، ﴿وأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾، عطف على أنه استمع لا غير أي: وأن الشأن لو استقام الجن أو الإنس والجن، ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: الحسنى، وآمنوا كلهم، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا[4]﴾: مطرًا كثيرًا،ووسعنا عليهم فى الرزق، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنحشرهم، ﴿فِيهِ﴾: فى سقى الماء كيف يشكرونه "آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" (العنكبوت:١،٢) أو معناه[5] أن

---

(١) والظاهر أن الكلام كله من قول الجن، وقيل من قوله: "فمن أسلم" قول الله لمحمد -صلى الله عليه وسلم/١٢وجيز.

(٢) فيه دليل على أن الجن يثاب بالجنة، وقد قدمنا هذا البحث فى الحاشية على سورة الرحمن تحت قوله تعالى: "سنفرغ لكم أيها الثقلان" (الرحمن:٣١)/١٢.

(٣) لأنه لا يمكن عطفًا على محل به فى "آمنا به" لأنه لا معنى لقوله آمنا بأن لو استقاموا اللهم إلا أن يقال عبر تعالى كلامهم بهذه العبارة،وأصل كلامهم آمنا بأن لو استقمنا على الطريقة لأسقينا ماء، وهو بعيد جدًّا/١٢منه.

(٤) فإن الجن يحتاجون أيضًا إلى أكل وشرب/١٢وجيز.

(٥) الأول: قول ابن عباس -رضى الله عنه- ومجاهد وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والسدى ومحمد بن كعب القرظى وقتادة والضحاك، والثانى قول: ربيع بن أنس وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان، وهو قول أبى مجلز / ١٢ منه.

لو استقاموا على طريقتهم القديمة من الكفر لأوسعنا عليهم الرزق استدراجًا كما قال تعالى: "فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم" الآية(الأنعام:٤٤) **﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾**: و لم يؤمن به، **﴿يَسْلُكْهُ﴾**: يدخله، **﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾**: شاقا يعلو المعذب مصدر وصف به عن ابن عباس -رضى الله عنهما- هو جبل فى جهنم، **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾**: مواضع بنيت للعبادة، أو المراد جميع الأرض، أو أعضاء السجود، **﴿لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا﴾**: فلا تعبدوا أيها الإنس والجن، **﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**: فيها، أو بها نزلت حين قالت الجن: ائذن لنا يا رسول الله فنشهد معك الصلوات فى مسجدك، أو حين قالوا: كيف نشهد الصلاة ونحن ناءون عنك؟ وعن قتادة اليهود والنصارى أشركوا بالله فى كنائسهم فأمرنا الله بالتوحيد، **﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾** قال الجن لقومهم: لما قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعبد الله ويصلى كاد أصحابه من الإنس عليه متراكمين للحرص على العبادة والاقتداء، أو كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين ليبطلوه[1]، ويطفئوه، أو لما قام[*] يصلى كاد الجن يكونون عليه متراكمين تعجبًا، وحرصًا على الاستماع.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ

---

(١) أي: لإبطال صلاته، وإطفاء نوره،ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره/١٢وجيز.

(*) فى النسخة ن: كان.

ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾: وليس هذا بأمر منكر[1] عجيب بدع، وهذا يؤيد الوجه الثاني في قوله: كادوا يكونون عليه لبدا، ﴿قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ رَشَدًا﴾ أي: لا ضرًّا ولا نفعًا، ولا رشدًا، أوغيًّا، بل الكل بيد الله إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: إن أرادني بسوء، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾: ملجأ أميل إليه، ﴿إِلاَّ بَلاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ أي: لا أملك نفعًا إلا أن أبلغ عن الله، وأبلغ رسالته التي أرسلني بها، و "من الله" صفة لبلاغا لا صلة[2] له، وقوله: "قل إني لن يجيرني" معترضة تؤكد نفي الاستطاعة، أو الاستثناء منقطع أي: لكن الإبلاغ هو الذي يجيرني من عذاب الله، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ[3] فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا﴾، غاية لمحذوف دل عليه الحال أي: لا يزالون على ما هم عليه حتى وقيل: لقوله يكونون عليه لبدًا على التوجيه الثاني، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: هو، أو هم، ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما، ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾، غاية كأنهم قالوا متى يكون وقت ما تعدنا فقيل له، قل لا أدري أهو حالٌّ أم مؤجل، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أي: هو عالمه، ﴿فَلاَ يُظْهِرُ﴾:

---

(١) بل المنكر العجيب هو الإشراك/١٢وجيز.

(٢) لأن البلاغ مستعمل بعن لا بمن/١٢وجيز.

(٣) جمعه باعتبار معنى من/١٢وجيز.

لا يطلع[1]، ﴿عَلَى غَيْبِهِ[2]﴾، المختص به بدلالة الإضافة، ﴿أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى﴾:

---

(١) إطلاع الأنبياء من الملك وهو علم، أو من إلقاء الله في روعهم فهو أيضًا علم، وإما للأولياء من الكرامات، وأن تضم إليها علامات الصدق، فما هي إلا ظن غاية الأمر أنها ربما تصل إلى الظن الغالب، وهو ليس بعلم، وقوله لا يظهر على غيبه أحدًا ينادي على أن المراد منه العلم/١٢وجيز.

(٢) على قوله: "فلا يظهر على غيبه أحدًا" قال الواحدي: وفي هذا دليل على من ادعى أن النجوم تدل على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن، قال في الكشاف: وفي هذا إبطال للكرامات، لأن الذين تضاف إليهم الكرامات،وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وفيه أيضًا إبطال للكهانة والسحر والتنجيم؛ لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء، وأدخله في السخط. قال الرازي: وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه إذ لا صيغة عموم في غيبه، فيحمل على غيب واحد، وهو وقت القيامة؛ لأنه واقع بعد قوله: "أقريب ما توعدون" الآية، فإن قيل: فما معنى الاستثناء حينئذ؟ قلنا: لعله إذا قربت القيامة يظهره، وكيف لا وقد قال: "ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا" (الفرقان:٢٥)، فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة، أو هو استثناء منقطع أي: من ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه،ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والإنس، ويدل على أنه ليس المراد أنه لا يطلع أحد على شيء من المغيبات إلا الرسل أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين، وقد عرفا بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ظهوره، وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع إليهما كسرى، فثبت أن الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات، وأيضًا أطبق أهل الملل على أن معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلة، ويكون صادقا فيها، وأيضًا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد إلى خراسان، وسألها عن أمور مستقبلة فأخبرته بها فوقعت على وفق كلامها، قال: وأخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل، فكانت على وفق خبرها، وبالغ أبو البركات

للاطلاع ، ﴿مِن رَّسُولٍ﴾، بيان لمن، ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾

= فى كتاب التعبير فى شرح حالها، وقال: فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارًا مطابقًا، وأيضًا فإنا نشاهد ذلك فى أصحاب الإلهامات الصادقة، ويوجد ذلك فى السحرة أيضًا، وقد نرى الأحكام النجومية مطابقة، وإن كانت قد تتخلف فلو قلنا: إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيكون التأويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه.

قال محمد بن على الشوكاني: أما قوله:إذ لا صيغة عموم فى غيبه، فباطل فإن إضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به أئمة الأصول وغيرهم، وأما قوله: أو هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني، وأما قوله: إن شقا وسطيحا إلخ فقد كانا فى زمن تسترق فيه الشياطين السمع، ويلقون ما يسمعونه إلى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت فى الحديث الصحيح، وفى قوله: إلا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد بيانه فى هذه الشريعة، وأنه كان طريقًا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وقالوا "وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا"، فباب الكهانة فى الوقت الذى كانت فيه مخصوص بأدلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة على هذه الآية، وأما حديث المرأة الذى أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد فى الحديث "إن فى هذه الأمة محدثين، وإن منهم عمر"، فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضًا وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله: فى آخر كلامه، فلو قلنا: إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيقال له: ما هذه بأول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه، وأمثال نبض بها عرق فلسفتك، وركض بها الشيطان الذى صار يتخبطك فى مباحث تفسيرك، يا عجبًا لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة، ونحوه موجبًا لتطرق الطعن إلى القرآن،وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا:

أي: يجعل من جميع جوانبه حرسًا من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الجن، فيلقيه إلى الكهنة، والرسول من أن يتشبه الشياطين في صورة الملك، ﴿لِيَعْلَمَ﴾: النبي، ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الملائكة، ﴿رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾، وليس بشيطان جاء بصورة ملك،

= وإذا رامت الذبابة للشمس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من أبيات منها:

مهب رياح سده بجناح وقابل بالمصباح ضوء صباح.

فإن قلت إذا قد تقرر بهذا الدليل القرآني أن الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذى أظهره الله على ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته، قلت: نعم، ولا مانع من ذلك، وقد ثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة، فمن ذلك ما صح أنه قام مقامًا أخبر فيه بما سيكون إلى يوم القيامة، وما ترك شيئًا مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة، ورجعوا إليه وثبت فى الصحيح، وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التى تموج كموج البحر، فقال: إن بينك وبينها بابا، فقال عمر: هل يفتح أو يكسر؟ فقال: بل يكسر، فعلم عمر أنه الباب، وأن كسره قتله كما فى الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة: هل كان عمر يعلم ذلك؟ فقال: نعم كما يعلم أن دون غدًا الليلة، كذلك ما ثبت من إخباره لأبى ذر بما يحدث له مما حدث له، وإخباره لعلى بن أبى طالب بخبر ذى الثدية ونحو هذا مما يكثر تعداده، ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل،وإذا تقرر هذا فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الأمة بشيء من أخبار الغيب التى أظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم- وأظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم- لبعض أمته وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل، والكل من الفيض الربانى بواسطة الجناب النبوى انتهى كلامه رحمة الله تعالى عليه/١٢.

وعن كثير من السلف، من الله حرس على كل يخبرونه إذا جاء أحد يخبره أنه ملك من الله، أو شيطان فاحذر، أو ليعلم أن قد أبلغ الأنبياء ويتعلق علمه بتبليغهم رسالاته محروسة عن التغيير، ﴿وَأَحَاطَ﴾: الله، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما عند الرسل، عطف على أبلغوا على التوجيه الأول، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: معدودًا فهو حال، أو عددا[1] بمعنى إحصاء، أو أحصى بمعنى عَدَّ.

والحمد لله على وفور أفضاله.

(١) فيكون مصدرًا.

سورة المزمل مكية

وهى تسع عشرة أو عشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ
نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧
وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ
إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ
أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ
وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ
أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧
ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ ۞ ﴾

﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ[1]﴾ أي: المتلفف[2] بثوبه أصله المتزمل، أدغم التاء فى الزاء، أو أيها النائم، أو أيها المتحمل للقرآن من الزمل الذى هو الحمل، ﴿قُمِ﴾: إلى الصلاة، ﴿اللَّيْلَ﴾: كله، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾، كان قيام الليل فرضًا على الكل، ثم نسخ، ﴿نِّصْفَهُ﴾، بدل من قليلا[3]، وهذا النصف الخالى عن الطاعة، وإن ساوى النصف المعمور بذكر الله فى الكمية لا يساويه فى التحقيق، بل هو القليل، وذلك النصف بمنزلة الكل، ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾: الضمير إلى النصف أو الليل المقيد بالاستثناء، والحاصل واحد، ﴿قَلِيلاً﴾، وهو الثلث، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، وهو الثلثان، وهذا هو الوجه فى الإعراب، والمعنى من غير تكلف الموافقُ لكلام[4] السلف، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً[5]﴾: بينه، واقرأه على تؤدة،

---

(١) فى خطابه بهذا الاسم تنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل، واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب/١٢فتح.

(٢) لما جاءه الملك وهو بغار حراء رجع إلى خديجة، وقال: "زملوني"، وعادة العرب إذا قصدت الملاطفة مع المخاطب ناداه باسم مشتق من حالة تلبس بها حالة الخطاب كما خاطب -صلى الله عليه وسلم- على بن أبى طالب، بأبى تراب حين كان نائمًا وقد لصق بجنبه التراب/١٢وجيز.

(٣) ولو قال: قم نصف الليل، لكان تركيبًا متعارفًا خاليًا عن نكتة عظيمة هي: أن الوقت الكثير فى غير ذكر الله قليل حقير لا يعبأ به فى جنب وقت معمور بذكره تعالى/١٢وجيز.

(٤) إشارة إلى الوجوه الأخرى التى بينها الزمخشري، فإنها غير موافقة لكلام السلف مع ما فيها من التكلف فتأمل/١٢وجيز.

(٥) والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة، لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراءُ هذه الزمان من أهل مصر، وغيره فى مكة المكرمة، وغيرها بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون والحمقاء

=

وتبيين حروف، ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾: تَلَقِّيْهِ لعظمة الكلام، وفى الحديث "يترل عليه الوحى فى يوم شديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقًا"(*) وأيضا "كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها أى باطن عنقها، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه"(**) أو ثقيل العمل به على المكلفين، والجملة كالعلة لقيام الليل فإن الطاعة سيما فى الليل تعين الرجل على نوائبه وتسهل عليه المصائب، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: قيامه مصدر كالعافية، أو ساعاته، فإنها تنشأ أي: تحدث واحدة بعد أخرى أو النفس الناشئة التى تنشأ وتنهض من مضجعها إلى العبادة، ﴿هِي أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: كلفة، أو أشد ثباتًا فى الخير، وأما قراءة الوِطأ، فبمعنى المواطأة يعني: موافقة القلب، والسمع، والبصر، واللسان بالليل أشد وأكثر، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: وأشد مقالا، وأصوب قراءة لسكون الأصوات فيه، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾: تقلبًا، وإقبالا وإدبارًا فى أشغالك، وأصله سرعة الذهاب، أو فراغًا وسعة للنوم(1) والحوائج جملة فيها حث على قيام الليل، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: ودم على ذكره، ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: انقطع، ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله لعبادتك، ﴿تَبْتِيلاً﴾، لما لم ينفك التبتل الذى هو لازم عن التبتيل الذى هو متعد يمكن أن يؤتى بمصدر أحدهما عن الآخر، وفيه مبالغة مع رعاية الفواصل أي: انقطع وجرد نفسك عما سواه تبتيلا، ﴿رَّبُّ﴾ أي: هو رب، ﴿الْمَشْرِقِ

= والجاهلون بالشرائع، وأدلتها الصادقة، وليس هذا بأول قارورة كسرت فى الإسلام/١٢ فتح.

(*) صحيح أخرجاه فى الصحيحين.

(**) أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر والحاكم وصححه عن عائشة رضى الله عنها- كما قال السيوطى فى "الدر المنثور" (٦/٤٤٣).

(١) هذا قول مجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، وأبى العالية، وأبى مالك وغيرهم رحمهم الله/١٢منه رح.

وَالْمَغْرِبِ﴾، وقراءة الجر، فعلى البدل من ربك، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً[1]﴾: فإن وحدته فى الألوهية تقتضى التوكل عليه، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾: بالإعراض عنهم، والمداراة معهم، وترك المكافأة،وقيل: هذا آية القتال، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: دعني وإياهم، فإني منتقم لأجلك عنهم، ﴿أُوْلِي النَّعْمَةِ﴾: أرباب التنعم، والترفه[2] هم صناديد قريش، ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾: زمانًا، أو إمهالا، ﴿قَلِيلاً[3] إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾: قيودًا ثقالا، ﴿وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يغص فى الحلق، ولا يترل فيه بسهولة كالزقوم، ﴿وَعَذَاباً أَلِيماً﴾: نوعًا آخر لا يمكن تعريفه، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تضطرب، ظرف لمتعلق لدينا، ﴿الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً﴾: مثل رمل مجتمع، ﴿مَّهِيلاً﴾: منثورًا أي: تصير كذلك بعدما كانت حجارة صمًّا، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش، ﴿رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: فى القيامة، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أي: ذلك الرسول الذى أرسلنا إليه، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾: ثقيلا، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي: كيف تتقون يومًا؟ أي: عذاب[4] يوم يجعل الولدان من شدة هوله شيبا إن كفرتم فى الدنيا، كأنه قال، هب أنكم لا تؤاخذون فى الدنيا كما

---

(١) أي: إذا عرفت أنه المختص بالربوبية فاتخذه قائمًا بأمورك، وعول عليه فى جميعها وقيل: كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر، وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت فى تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الإقرار/١٢فتح.

(٢) والترفه صفة ذم، فإن الفسق ناشئ منها قال تعالى: "أمرنا مترفيها ففسقوا فيها"(الإسراء:١٦)، أو ذكرهم بقلة الشكر والجهالة، فإن النعمة يلزم العاقل شكرها، والنعمة بالفتح التنعم، وبالكسر الإنعام وما ينعم به/١٢وجيز.

(٣) يعني قليلا إما صفة ظرف محذوف، أو صفة مفعول مطلق محذوف/١٢منه.

(٤) فعلى هذا يومًا مفعول به تتقون على حذف المضاف/١٢منه.

أخذنا فرعون، فكيف تتقون أنفسكم هول القيامة إن دمتم على الكفر، ومتم عليه؟ أو "يوما" مفعول لكفرتم بمعنى جحدتم، أي: كيف تتقون الله إن جحدتم ذلك اليوم، وفى ذكر "إن" التى للشك إشعار بأنه لا ينبغى الشك مع إرسال هذا الرسول النور المبين، وفى الحديث "قرأ -صلى الله عليه وسلم- يوم يجعل الولدان شيبًا، قال: ذلك حين يقال لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثًا إلى النار، قال: من كم يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[1]" ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾: منشق بسبب ذلك اليوم وهوله، أو الباء للآلة، أو منفطر بالله وبأمره، وتذكير منفطر على تأويل السقف، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً إِنَّ هَذِهِ﴾: الآيات، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: يتقرب إليه بالطاعة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى﴾: أقل، ﴿مِن ثُلُثَى اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾، وفى قراءة نصب نصفه وثلثه عطف على أدنى، ويكون المراد من أدنى من ثلثى الليل الربع،

---

(١) والحديث صريح فى أن شيبهم للهول لا للطول[أخرجه الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس. كما قال السيوطى فى "الدر المنثور" (٦/٤٤٧)]/١٢وجيز.

ليكون تجاوزًا عن الأمر فيترتب عليه قوله: "فتاب عليكم"، ويكون موافقًا لتلك القراءة معنى،﴿وَطَائِفَةٌ﴾، عطف على فاعل تقوم، ﴿مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: يقومون أقل، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: لا يعرف مقادير ساعاتهما إلا هو، فيعلم القدر الذى يقومون فيه، ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾: أن لن تطيقوا ما أوجب عليكم من القيام، أو لن تستطيعوا ضبط الساعات، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: عاد عليكم بالعفو والتخفيف، وعن غير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل[1] واختلفوا فى المدة التى بينهما سنة، أو قريب منها أو ستة عشر شهرًا أو عشر سنين، ﴿فَاقْرَءُوا[2] مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: من غير تحديد لوقت لكن قوموا من الليل ما تيسر عبر عن الصلاة بالقراءة، ومذهب حسن البصرى وبعض آخر: الواجب على حملة القرآن أن يقوموا من الليل، ولو بشيء منه، وفى الحديث ما يدل على ذلك، ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾: لا يستطيعون القيام الذى قررناه، ﴿وَآخَرُونَ

---

(١) وأما من قال: إن قوله "وطائفة من الذين معك" حيث لم يقل، والذين معك دليل على انه لم يمكن واجبًا على الجميع فدليله ضعيف واه، فإن كثيرًا تمم إحياء الليل وصيام الدهر، والرياضة الصعبة، ولهذا قال: "وطائفة من الذين"/١٢وجيز

(٢) ونعم ما قال الحسن البصري، وغيره: يبقى الوجوب على الكل على قدر من الليل غير معين، وفى الحديث ما يدل على ذلك، وهذا كالصريح، فإن السنة باقية على حالها/١٢وجيز، وفى الفتح: وليس فى قوله "فاقرءوا ما تيسر منه" ما يدل على بقاء شيء من الوجوب، لأنه إن كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت فى المغرب، والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة،وإن كان المراد به الصلاة من الليل، فقد وجدت صلاة الليل بصلاة المغرب والعشاء، وما يتبعهما من التطوع، وأيضًا الأحاديث الصحيحة المصرحة كقول السائل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- "هل على غيرها؟ يعنى الصلوات الخمس، فقال: لا إلا أن تطوع" تدل على عدم وجوب غيرها، فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته على الأمة/١٢.

﴿يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾: يسافرون للتجارة، واجتماع كلفة السفر، وكلفة إحياء الليل بالصلاة فى غاية من الصعوبة، **﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، هذا إخبار عن الغيب، فإن السورة مكية، والقتال شرع فى المدينة، **﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ[1] مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾**: المفروضة عن بعض: إنه نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس، **﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾**: الواجبة، وهذا يدل على قوله من قال: إن فرض الزكاة بمكة لكن المقادير والمصرف لم يبين إلا بالمدينة، **﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾**، يريد سوى الزكاة من الصدقات، **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ﴾**، هو ضمير الفصل، **﴿خَيْرًا﴾**: من الذى تؤخرونه، أو من الذى أعطيتموه، وهو ثانى مفعولى تجدوه، **﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾**: نفعًا، وجزاء، وفى الصحيح قال -عليه السلام- "أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ قالوا: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: اعلموا ما تقولون، قالوا: ما نعلم إلا ذلك، قال: إنما مال أحدكم ما قدم، ومال وارثه ما أخر"، **﴿وَاسْتَغْفِرُوا[2] اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) كرر ذلك على سبيل التوكيد، ثم أمر بعمودى الإسلام البدني، والمالى فقال: "وأقيموا الصلاة" الآية/١٢وجيز.

(٢) يعنى اقرءوا ما تيسر، وصلوا وزكوا، وأقرضوا واستغفروا/١٢وجيز.

سورة المدثر مكية

وهي ست وخمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِى
ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)
ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا
(١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا
عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ
(٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ
سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩)
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا
عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ (٣١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾: المتدثر، أي: لابس الدثار[1]، الأصح بل الصحيح أنه أول سورة نزلت بعد فترة الوحى جمعًا بين الأحاديث الصحاح، وعليه الجمهور، فإن أول ما نزلت "اقرأ باسم ربك" (العلق:١) وفى صحيح مسلم "إنه -عليه السلام- يحدث عن فترة الوحى قال: فبينما أنا أمشى سمعت صوتًا من السماء، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء، فخفت منه، فجئت أهلى فقلت: زملونى زملوني، فأنزل الله "يا أيها المدثر قم فأنذر" وفى الطبرانى "تأذى من قريش فتغطى بثوبه محزونًا[*]، فنزلت" ﴿قُمْ﴾: من مضجعك، أو قم قيام جد، ﴿فَأَنذِرْ﴾، ترك المفعول للتعميم، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: خصص ربك بالتكبير، والتعظيم، والفاء فى مثله بمعنى الشرط، كأنه قال: ما يكن من شيء فكبر أنت ربك، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: لا تكن عاصيًا غادرًا، والعرب تقول للفاجر: دنس الثياب، وإذا وفى، وأصلح، مطهر الثياب، أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة، أو طهر ثوبك من النجاسات، فإن المشركين لا يطهرون، أو أعرض عما قالوا، ولا تلتفت إليهم، ﴿وَالرُّجْزَ﴾: الأصنام، ﴿فَاهْجُرْ﴾، أو اترك ما يؤدى إلى العذاب، ﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: لا تعط طالبا لكثير نهى أن يهب شيئًا طامعًا فى عوض أكثر، وهذا خاصة له عليه السلام، أو نهى تنزيه، أو لا تمنن بنبوتك على الناس طالبًا لكثرة الأجر منهم، أو لا تضعف عن الطاعة طالبًا لكثرة الخير، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾: استعمل الصبر لله، فيشمل الصبر على الأذى، وعلى الطاعات، ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: نفخ فى الصور، الفاء للسببية، كأنه قال: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم عسير، ﴿فَذَلِكَ﴾، الفاء للجزاء، ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الكَافِرِينَ﴾، إذا ظرف لما دل عليه الجزاء، لأن معناه عسر الأمر عليهم، وذلك مبتدأ خبره "يوم عسير"، و"يومئذ" إما بدل من ذلك،

(١) وهو ما يلبس فوق الشعار، وهو الذى يلى الجسد/١٢وجيز.

(*) أخرجه الطبرانى وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس -رضى الله عنه- كما قال السيوطى فى "الدر المنثور" (٦/ ٤٥٠).

أو معمول له فإنه إشارة إلى وقت النقر أي: وقت النقر فى ذلك اليوم، أو ظرف مستقر ليوم عسير أي: وقت النقر وقت عسير حال كون ذلك الوقت فى يوم القيامة، ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: عليهم تأكيد، وتعريض بحال المؤمنين[1]، ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا[2]﴾: حال من الضمير المحذوف أي: خلقته حال كونه وحيدًا لا مال له، ولا ولد له، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدودًا﴾: مبسوطًا كثيرًا[3] قيل: وحيدًا حال من مفعول ذرني، أو من فاعل خلقت أي: ذرنى وحدى معه، فإنى أكفيكه، أو كان ملقبًا بالوحيد فى قومه، فسماه الله تهكما، فيكون نصبًا بتقدير أعني، أو وحيدًا عن أبيه، فإنه ولد الزنا فالمراد منه وليد بن المغيرة، وهو كما مَرَّ زنيم، ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حضوراً معه لا يغيبون للتجارة لاستغنائهم وخدمهم يتولون الأمر، وهم ثلاثة عشر، أو عشرة، أو سبعة،

---

(١) فإنه يسير عليهم كما مر فى الحديث/١٢منه.

(٢) وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- ففرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، وأنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذى يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذى يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسلفه وإنه ليعلو، وما يعلى، وإنه ليحتم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعنى حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يَأْثِرُهُ عن غيره، فترلت "ذرنى ومن خلقت وحيدًا" أخرجه الحاكم وصححه البيهقى فى الدلائل، وقد أخرجه عبدالرزاق عن عكرمة، وكذا غير واحد/١٢فتح.

(٣) كان لوليد بن المغيرة بين مكة والطائف نعمه، وعبيده، ومزارعه، قاله ابن عباس/١٢وجيز.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾: بسطت له فى المال، والجاه، وطول العمر بسطًا، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: على ما أوتيه، ﴿كَلاَّ﴾، ردع له عن الطمع، ﴿إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: معاندًا مستأنفة تعليل للردع قيل: ما زال بعد نزول الآية فى نقصان، ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾: سأغشيه، ﴿صَعُودًا﴾، عقبة شاقة المصعد مثل للإلقاء فى الشدائد، وفى الحديث[1] "الصعود جبل فى النار"، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- "صخرة فى النار يسحب عليها الكافر على وجهه﴿إِنَّهُ فكَّرَ﴾: فيما يخيل طعنًا فى القرآن مستأنفة علة للوعيد، ﴿وَقَدَّرَ﴾: فى نفسه ما يقول فيه، ﴿فَقُتِلَ﴾، دعاء عليه، ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾، تعجيب من تقديره نحو : قاتلهم الله أنى يؤفكون، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، تكرير للمبالغة، وثم للدلالة على أن النظر الثانى فيما قدر يورث تعجبًا أبلغ من الأول، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: فى أمر القرآن مرة أخرى، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبض بين عينيه، كما هو شأن المهتم المتفكر، ﴿وَبَسَرَ﴾: اشتد عبوسه، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: عن الحق، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: عن اتباعه، ﴿فَقَالَ﴾: حين خطرت هذه الكلمة بخاطره من غير تلبث، والفاء يدل عليه، ﴿إِنْ هَذَا﴾: القرآن، ﴿إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يروى عن السحرة، ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: كالتأكيد للأول، نقل[2] إن وليد بن المغيرة مرة سمع القرآن، فمال قلبه إليه، فلامه قومه، فقالوا: لابد أن تقول قولا نعلم أنك منكر: قال: والله لا يشبه رجزة، ولا قصيده، ولا أشعار الجن، ووالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، فقالوا: والله لا

---

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه،وابن مردويه،والبيهقي، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج قال ابن كثير: وفيه غرابة ونكارة انتهى، وقد أخرجه جماعة من قول أبى سعيد[الحاكم فى "المستدرك" (٢/٥٠٨) وقال: صحيح على شرط البخارى و لم يخرجاه وأقره الذهبى فى "التلخيص"]/١٢فتح.

(٢) أخرجه الحاكم، وصححه، والبيهقى فى الدلائل/١٢فتح.

نرضى إلا أن تقول فيه، قال: دعوني حتى أفكر، فلما فكر قال: سحر يأثره عن غيره[1]، فنزلت: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾، تعظيم لأمرها، ﴿لاَ تُبْقِي﴾: شيئًا يلقى فيها إلا أهلكته، ﴿وَلاَ تَذَرُ﴾: بعد الإهلاك، فإنه يعاد "كلما نضجت جلودهم"الآية [النساء:٥٦] ، ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: مسودة، ﴿لِّلْبَشَرِ﴾: للجلد، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: ملكًا، نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفًا، فيرميهم فى جهنم حيث أراد. لما نزلت قال أبو جهل: أنتم الدهم الشجعاء أيعجز كل عشرة منكم أن تبطشوا بواحدة من خزنتها؟ فقال أبو الأسود الجمحي: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابًا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة أنه يقف على جلد بقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وهو الذى قال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه -عليه السلام- مرارًا و لم يؤمن فنزل قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً﴾: لا رجالا، فمن ذا الذى يغلب الملائكة، ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وما جعلنا عددهم إلا عددًا قليلا هو سبب لفتنتهم للاستهزاء به يعني إخباري بأنهم على هذا العدد، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: بصدق القرآن،وبأن هذا الرسول حق، لأنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية، فإخبار الله بأنهم على هذا العدد المخصوص علة لاستيقانهم،والوصف أعني: افتتان الكفار بهذا العدد[2] لا مدخل له، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾: بسبب الإيمان به، أو بتصديق أهل الكتاب، ﴿وَلاَ يَرْتَابَ﴾، عطف على يستيقن، ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: فى ذلك جمع لهم إثبات اليقين، ونفي الشك للتأكيد،

---

(١) رجع إلى كفره ضالا لأجل خواطرهم/١٢وجيز.

(٢) كأنه قال: وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر؛ لأن حال هذه العدة القليلة وأن يفتتن بها من لا يؤمن بالله كأنه قيل، ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين، وحيرة الكافرين/١٢منه رح.

والتعريض بحال من عداهم، فليس لهم يقين، ولهم ريب وشك، ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك، ونفاق، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾: المشركون، وفى الآية إخبار عن[1] الغيب، لأنها مكية فظهر النفاق فى المدينة، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ أى شيء أراد الله بهذا العدد؟! ﴿مَثَلاً﴾، حال من هذا أو تمييز له،وسموه مثلا لغرابته، ومرادهم إنكاره،وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ[2] رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾: لا يعلم عددهم، وكمية الموكلين بأمر دون أمر إلا الله، وحكم أمثال ذلك كحكم أعداد السماوات والأرض، وغيرهما لا يطلع عليه إلا بعض المقربين، ﴿وَمَا هِيَ﴾: السقر التى وصفت، ﴿إِلاَّ ذِكْرَى[3]﴾: تذكرة، ﴿لِلْبَشَرِ﴾.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾

---

(١) فهو معجزة له -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر، وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة/١٢فتح.

(٢) قال عطاء: يعنى من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم إلا الله وحده، والمعنى أن خزنة النار، وإن كانوا تسعة عشر فلهم من الأعوان،والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه/١٢فتح.

(٣) فدع الكم والكيف واتعظ بها/١٢وجيز.

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ
﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً
﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ
﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كَلاَّ[1]﴾، ردع لمن أنكرها، ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: أدبر على المضى كقبل بمعنى أقبل، وقيل: من دبر الليل النهار إذا خلفه، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسفَرَ﴾: أضاء، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر، ﴿لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: لإحدى البلايا الكبر، جمع كبرى، أسقطت ألف التأنيث كتائها، يقال: فُعَلُ فى جمع فُعْلةٍ، وعن مقاتل دركات جهنم سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي[2] جواب القسم أو تعليل "لكلا" والقسم معترض للتوكيد، ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ تميز أي: إنها لإحدى الدواهى إنذارًا كقولك: هو أحد الرجال كياسة، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾، بدل من البشر، ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ مفعول شاء أي: نذيرًا لمن شاء التقدم والسبق إلى الخير، أو التأخر، والتخلف عنه، أو أن يتقدم مبتدأ، ولمن شاء خبره نحو "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف:٢٩) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة عند الله فى القيامة مصدر كالشتيمة[3]، فإن فعيل الصفة لا يؤنث، ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: فإنهم فكوا

---

(١) قال ابن جرير الطبري: المعنى رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم أي: ليس الأمر كما يقول، ثم أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده، وهذا هو الظاهر من معنى الآية/١٢ فتح.

(٢) أي: جملة إنها لإحدى الكبر/١٢منه.

(٣) بمعنى الشتم/١٢فتح.

رقابهم بحسن أعمالهم، ونقل عن علي -رضى الله عنه- إنهم أطفال المسلمين لأنه لا أعمال لهم يرهنون بها **﴿فِي جَنَّاتٍ﴾**، حال من أصحاب اليمين، **﴿يَتَسَاءلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾** أي: يتساءلون المجرمين عن حالهم، فحذف المفعول؛ لأن ما بعده يدل عليه، **﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾**: ما أدخلكم، **﴿فِي سَقَرَ﴾**، بيان للتساؤل، وهذا أولى الوجوه، **﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ[1] الْمِسْكِينَ﴾** أي: ما عبدنا ربنا، وما أحسنا إلى خلقه، **﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾**: في الباطل، **﴿مَعَ الْخَائِضِينَ[2] وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾**: أي مع هذا كله كنا نكذب بالقيامة، **﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ[3]﴾**: الموت، **﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾** أي: لو شفعوا أجمعين لهم، وهو قول الله، **﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾** أي: ما لهؤلاء الكفرة معرضين عن التذكير؟ فـ"معرضين" حال من الضمير، **﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾** أي: كأنهم في نفارهم عن الحق حمر وحشية فرت مِنْ مَنْ يصيدها، أو من الأسد، **﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾** قالوا: إن سرك أن نتبعك، فأت كلاًّ منا بكتاب من السماء أن اتبع يا فلان محمدًا فإنه رسولك، أو كل منهم يريد أن ينزل عليه كما نزل عليك قال تعالى: "وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى" الآية(الأنعام:١٢٤)، **﴿كَلاَّ﴾**: ردع عن تلك الإرادة، **﴿بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾**، ولهذا أعرضوا عن التذكرة، **﴿كَلاَّ﴾**،

---

(١) فيه دليل علَى أن الكفار مخاطبون بالشرعيات، والفروع فقول صاحب الكشاف: يحتمل أن يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك، وهو ترك الصلاة، وترك الإطعام، والخوض في الباطل مع الخائضين، والتكذيب بيوم القيامة، وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الطعام تخيل منه كما قال صاحب الانتصاب: إن تارك الصلاة يخلد في النار/١٢فتح.

(٢) أرادوا المجاهرة بالفسق/١٢وجيز.

(٣) أي: الموت، وكأن سؤالهم سؤال تقريع ليعترفوا بلسانهم بجهلهم، وخسرانهم وإلا فهم عالمون بالسبب/١٢وجيز.

ردع عن الإعراض، ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: فمن شاء اتعظ به، أو حفظه، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾: وما يتعظون به، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ذكرهم، أو مشيئتهم، ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾: هو أهل أن يتقى، فلا يجعل معه إله، ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ : وأهل لأن يغفر لمن اتقى أن يجعل معه إلها، كذا رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه فى تفسير "هو أهل التقوى وأهل المغفرة".

والحمد لله رب العالمين.

سورة القيامة مكية

وهى أربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ
أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ
لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ
ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠
كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ
وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا
تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ
فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠
وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾

﴿لا أُقْسِمُ﴾، زيادة لا النافية على القسم للتأكيد[1] شائع، **﴿بِيَوْمِ القيامَةِ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** هى نفس المؤمن لم تزل تلومه: لم قلت كذا لما فعلت؟ لم تركت؟ أو

(١) قال المبرد: لا زائدة لتأكيد القسم، وقال الفراء: لا نافية ومنفيها ما اشتهر عن الكفار من إنكار البعث ورد بأن الفصحاء يزيدونها فى مستهل قصائدهم وقيل: منفيها أقسم =

النفس مطلقًا تلوم يوم القيامة نفسه إن عمل خيرًا لم ما استكثرته؟ وإن شرا لم عملته؟ وجواب القسم محذوف نحو "إنكم مبعوثون" يدل عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ﴾: جنسه، أو الكفار منهم، ﴿أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾: بعد تفرقها لعدم قدرتنا، ﴿بَلَى﴾: نجمعها، ﴿قَادِرِينَ﴾، حال من فاعل نجمع المقدر، ﴿عَلَى أَن نُّسَوِّى بَنَانَهُ﴾: أن نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية كخف البعير، فلا يمكنه القبض، والأخذ، وفنون الأعمال، أو على أن نضم الأنامل بعضها إلى بعض كما كانت على صغرها، فكيف بكبار العظام، ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾: ليدوم على الفجور فيما يستقبله من الأوقات،والمعنى على إنكار الحسبان، أولاً ثم الإضراب عنه بالإخبار عن حال بما هو أدخل فى اللوم والتوبيخ، وفيه إيماء بأنه عالم بوقوع الحشر لكنه متغاب، ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: متى يكون إنكارًا أو استهزاء، ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: تحير فزعًا من شدة الأهوال، ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: ذهب ضوءه، ﴿وَجُمِعَ[1] الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: جمع بعض أجزاء الشمس إلى بعض، ويلف كالحصير، وكذا[2] القمر، أو جمع بينهما، فلا يكون كل واحد فى فلك، ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾: أين الفرار؟

= كأنه قال: لا أقسم؛ لأنه لا حاجة إلى القسم لظهوره، وقيل: زيدت توطئة للنفى بعده نحو "فلا وربك لا يؤمنون" (النساء:٦٥) ويقدر هنا لا يتركون سدى ورد بأنه لم يقصر على النفى نحو "لا أقسم بهذا البلد" (البلد:١) لقوله: "لقد خلقنا الإنسان فى كبد" (البلد:١-٤)ومثله "فلا أقسم بمواقع النجوم" بقوله: "إنه لقرآن كريم"(الواقعة:٧٥-٧٧) وقيل: أصله لاقسم بدليل قراءة ابن كثير ثم أشبع اللام فظهر الألف ورد بأن نون التأكيد لازم هذا اللام وكلام الله على طريقة كلام العرب فالقول ما قال المبرد/١٢ وجيز.

(١) ولم يقل جمعت لتغليب المذكور، وهو القمر مع أن الشمس مؤنث غير حقيقي /١٢ وجيز.

(٢) هذا قول جمع من السلف/١٢وجيز.

﴿كَلاَّ﴾، ردع عن طلب الفرار، ﴿لاَ وَزَرَ﴾: لا ملجأ، ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: وحده، ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: استقرار العباد، ﴿يُنَبَّؤُا الإنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: بأعمال أوائل عمره وأواخره، أو بما عمله وما تركه، أو بأعمال عملها، وبأعمال أخرها فعمل بها كسنة حسنة وسيئة، ﴿بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ[(١)]﴾: حجة بينة تشهد جوارحه عليه نحو: لما جاءت آياتنا مبصرة أو عين بصيرة يعنى لا يحتاج إلى الإنباء، ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه جمع معذار، وهو العذر، أي: لا ينفعه عذره؛ لأن من نفسه من يكذبه، وعن بعض: ولو ألقى الستور وأخفى الذنب كل الإخفاء، وأهل اليمن يسمون الستر معذارًا، ﴿لاَ تُحَرِّكْ﴾: يا محمد، ﴿بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لتأخذه على عجلة قد صح عن ابن عباس -رضى الله عنهما- وغيره: إنه إذا نزل جبريل بالوحى قرأ النبى -عليه السلام- قبل فراغه مسارعة إلى الحفظ، وخوفًا من الانفلات، فنزل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾: فى صدرك، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: إثبات قراءته فى لسانك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾: بلسان الملك عليك، وأصغيته، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾: فاتبع قراءته، وكن مقفيًا له فيه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا[(٢)] بَيَانَهُ﴾: بيان ما أشكل عليك، ﴿كَلاَّ﴾، ردع لإلقاء المعاذير، ﴿بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾: تختارون الدنيا على العقبى، ولا تعملون للعقبى، والخطاب لجنس الإنسان؛ لأن فيهم من

---

(١) ولما ذكر منكر البعث، وإعراضه عن آيات الله، واختياره للعاجلة للفجور أعقبه بحاله، من تناهى اهتمامه بالآيات لنفسه ولغيره، وبرجاء أن يهديه الله فكمال اعتنائهم فى العاجلة، وتمام اهتمامه فى الآجلة، فظهر بذلك تباين من يرغب فى تحصيل آيات الله، ومن يرغب عنها فبضدها تتبين الأشياء فقال: "لا تحرك به لسانك" الآية/١٢وجيز.

(٢) وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة؛ لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور، وأصل الدين، فكيف بها فى غيره؟! والمناسبة بين هذه الآية،وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها/١٢فتح.

هو كذلك، أو الكفار وقوله: "لا تحرك" إلى قوله: "ثم إن علينا بيانه" اعتراض بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات مع ما فيه من إنكار العجلة، وإن كان في أمور الخير، وما قبل الاعتراض وما بعده في التوبيخ على حب العجلة، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة، ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، من النضارة أي: حسنة بهية مشرقة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[1]﴾:

---

(١) أي: تنظر إليه عيانًا بلا حجاب، هكذا قال جمهور أهل العلم، والمراد به ما تواتر به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر، قال ابن كثير: هذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة، والتابعين، وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام/١٢. وقال الإمام شمس الدين ابن القيم -رحمه الله- في كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح: الآيات والأحاديث، والآثار المنقولة عن الصحابة في دلالتها على العلو، والرؤية أعظم من أن تحصر، وليس مع نفاة الرؤية، والعلو مما يصلح أن يذكر، ثم ذكر مفاسد قولهم في نفي الرؤية إلى أن قال: فقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكر أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، ولكل عدو لله ولرسوله مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، ثم أطال الكلام في ذكر دلائل الرؤية إلى أن قال: والدليل السابع: قوله عز وجل: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"، فأنت إذا حفظت هذه الآية عن تحريفها عن موضعها،والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها وجدتها منادية هذا صريحًا أن الله سبحانه يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا، فتأويل نصوص المعاد، والجنة والنار، والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجد متأول مثل هذه =

تراه عيانًا حين يرى ربه لا يلتفت إلى غيره، والنظر إلى غيره فى جنب النظر إليه لا

= النصوص، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديه بأداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته، وموضوعه، صريح فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: "انظرونا نقتبس من نوركم"(الحديد:١٣)، إن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: "أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض" (الأعراف:١٨٥)، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله "انظروا إلى ثمره إذا أثمر" (الأنعام:٩٩)، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل النظر، وكيف وقد قال -صلى الله عليه وسلم: "وجوه يومئذ ناضرة قال: من البهاء، والحسن إلى ربها ناظرة، قال: فى وجه الله -عز وجل" فاسمع أيها الإنسان تفسير النبى -صلى الله عليه وسلم، والأحاديث الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري،وجرير بن عبدالله، وصهيب، وعبدالله بن مسعود، وعلى بن أبى طالب، وأبو موسى الأشعري،وعدى بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين، وجابر بن عبد الله وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبى بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وحديثه موقوف، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها فى مظانها انتهى. وأيضًا قد بين رحمه الله هذه المسألة أتم بيان فى خاتمة قصديته النونية بأشعار لطيفة رشيقة بحيث تنشرح منها الصدور، وتلتزمها الأسماع، حيث قال:

ويـــرونه ســـبحانه مـــن فوقهم　　　نظـــر العـــيان كما يرى القمران

هـــذا تواتـــر عـــن رسول الله لم　　　يـــنكره إلا فاســـد الإيمـــان

إلخ فمن يشاء فليطالعها/١٢.

يعد[1] نظرًا، ولهذا قدم المفعول، والأحاديث الصحاح فى تفسير تلك الآية وأقوال السلف والخلف على ذلك بحيث يعد المكابر معاندًا، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: شديد العبوس، ﴿تَظُنُّ﴾: تتوقع، ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: داهية تكسر فقار الظهر، فهذا ما يفعل بهم فى مقابلة النظر إلى الرب لكون ذلك غاية النعمة، وهذا غاية النقمة، والظن فى البلاء أشد، والتنوين فى وجوه، ونظائره كقلوب يومئذ واجفة للتنويع، ويقوم مقام الوصف المخصص للمبتدأ، أو كان هذا أولى مما قيل: إن بعض المذكور كناظرة وصف مخصص، وبعضه كإلى ربها ناظرة خبر، ﴿كَلَّا﴾، ردع عن إيثار الدنيا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾: النفس[2]، ﴿التَّرَاقِيَ﴾: أعالى الصدور، ﴿وَقِيلَ﴾، القائل الملك، ﴿مَنْ رَاقٍ[3]﴾: من يرقى بروحه ملك الرحمة، أو ملك الرحمة، أو ملك العذاب، أو القائل الحاضرون من يرقيه مما به، ﴿وَظَنَّ﴾: المحتضر، ﴿أَنَّهُ﴾: أن ما نزل به، ﴿الْفِرَاقُ﴾: فراق الدنيا، ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾، الساق مثل فى الشدة أي: التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة،وقيل: التوت الساق بالساق عند قلق الموت، ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾: المرجع يسوق الملك الروح إلى السماوات كما فى الحديث.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ

---

(١) جواب عما قال الزمخشري: من أنه لا يجوز أن يكون النظر بمعناه؛ لأنه يلزم أن يكون النظر إلى غير وجه الله، ولاشك فى بطلانه/١٢منه.

(٢) دل عليه سياق الكلام/١٢وجيز.

(٣) وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- من يرقى بروحه لكراهة الملك بروح الكافر/١٢وجيز.

فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ
عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿فَلاَ صَدَّقَ﴾ أي: الإنسان المذكور فى قوله: "أيحسب الإنسان" أو المراد أبو جهل ما يجب تصديقه، ﴿وَلاَ صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ﴾: الحق، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: يتبختر افتخارًا، وسرورًا، ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾، دعاء عليه من الولى، وهو القرب أي: قاربه ما يهلكه فعل فيه ضمير الهلاك بقرينة السياق، ﴿أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِى يُمْنَى[1] ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾: فقدره الله، ﴿فَسَوَّى﴾: عدله، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: من الإنسان ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: الصنفين، ﴿الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾: الذى أنشأ هذا الإنشاء، ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى﴾، والسنة أن يقول بعده سبحانك فبلى، أو بلى بغير فاء.

والحمد لله وحده.

---

(١) يصب فى الرحم/١٢.

سورة الدهر(*) مكية

وهي إحدى وثلاثون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ
ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا
وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا
يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا
كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا
٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ
مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ
وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ
لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا
تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥
قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ

(*) وتسمى أيضًا سورة الإنسان.

مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿هَلْ[1] أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾: قد أتى على جنس بنى آدم، ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾: طائفة من الزمن الممتد، ﴿لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾: لم يعرف، و لم يذكر، وعن بعض المراد آدم، فإنه ملقى أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه،والجملة حال من الإنسان، أو وصف لحين بحذف الراجع أي: لم يكن فيه شيئًا، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِ نسَانَ﴾: بنى آدم، ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، جمع مشج أي: أخلاط أي: من نطفة قد اختلط، وامتزج فيها ماء الرجل والمرأة، أو ألوان فما للرجل لون وللمرأة لون ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: مريدين اختباره[2]، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: فإنه بالسمع والبصر يتمكن من الطاعة والمعصية، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: بينا له طريق الحق، ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوراً﴾، حالان من أول مفعولى هدينا أي: هديناه فى حاليه جميعًا، أو مقسومًا إلى الحالين بعضهم شاكر بأن سلكوا طريقًا هديناهم، وبعضهم كفور بالإعراض عنه، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاْ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا[3] إِنَّ الأَبْرَارَ﴾، جمع بر أو بارٍّ، ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾:

(١) فى مغنى النحو: إنه فسر جماعة منهم ابن عباس، والكسائي، والفراء،والمبرد هل أتى بمعنى قد أتى وقال جمع من النحاة: هل لا يأتى بمعنى قد أصلا، وتفسير ابن عباس أراد أن الاستفهام فى الآية للتقرير، وليس باستفهام حقيقي/١٢وجيز.

(٢) إشارة إلى أن قوله نبتليه جملة حالية/١٢منه.

(٣) يعنى مآلهم أنهم فى سعير، وعلى أيديهم وأرجلهم السلاسل، وعلى أعناقهم الأغلال/١٢وجيز.

من خمر، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾: تخلق منها رائحة الكافور، وبياضه وبرده، فكأنها مزجت بالكافور، أو تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك، ﴿عينا﴾، بدل من محل من كأس بحذف مضاف أي: خمر عين، أو نصب على الاختصاص، أو الكافور اسم عين في الجنة، فيكون عينًا بدلا منه، ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي: ملتذًا بها، أو يشرب بمعنى يروى، فلذلك عدى بالباء، أو الباء زائدة، أو بمعنى من، ﴿عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يجرونها حيث أرادوا من منازلهم، ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ[1]﴾، مستأنفة كأنه قيل: لأى سبب رزقوا ذلك؟ وعن بعض المراد بالنذر الواجب أي: يوفون بما يجب عليهم من الصلاة، والزكاة، وغيرهما، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: منتشرًا غاية الانتشار فيجتنبون عن المعاصي، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ[2]﴾ الأولى أن يكون الضمير للطعام ليكون موافقًا لقوله تعالى "لن تنالوا البر" الآية(آل عمران:٩٢)، ولأن فيما بعده، وهو لوجه الله فنية أن يكون تقديره على حب الله، ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: وإن كان من أهل الشرك أمر[3] -عليه السلام- يوم بدر بإكرام الأسراء أو المراد المسجون من المسلمين، أو المراد الأرقاء نزلت حين نذر[4] على وفاطمة صوم ثلاث فى مرض ولديهما إن بريا فلما صاما وأرادا الإفطار وقف عليهما مسكين فآثراه فباتا بلا عشاء، ثم وقف عليهما فى الليلة الثانية يتيم، فآثراه فباتا جائعين ثم فى الثالثة أسير من

---

(١) والنذر نوعان نوع نذر الشرط نحو أن يقول: هذا منذور إن رزقنى الله الصحة ونوع نذر قربة لأن رزقه الله العافية، وهذا النوع ممدوح محمود/١٢وجيز.

(٢) فى الصحيح "أفضل الصدقة أن تتصدق، وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى، وتخشى الفقر" أي: فى حال محبتك للمال، وحاجتك عليه وإليه/١٢وجيز.

(٣) كذا قاله ابن عباس رضى الله عنه وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة/١٢منه.

(٤) أخرجه ابن مردويه/فتح، وروى البغوى الإمام المحدث ذلك عن مجاهد وعطاء وابن عباس رضى الله عنه أن الآية نزلت فى على بن أبى طالب/١٢منه.

المشركين فآثراه فلم يفطرا فى صوم ثلاث إلا بالماء(*)، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾: قائلين ذلك بلسان الحال، أو المقال ليعرف الفقير أنها صدقة ليست للمجازاة، ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾: خالصًا غير مشوب بحظ النفس، ﴿لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾، مصدر كالقعود، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾، مستأنفة للتعليل، ﴿يَوْمًا﴾ أي: عذابه، ﴿عَبُوسًا﴾، مجاز أي: عبوسًا فيه أهله، أو كالأسد العبوس فى الضرر والشدة، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديد العبوس، عن عكرمة وغيره، يعبس الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- العبوس الضيق، والقمطرير الطويل، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾، بدل عبوس الكفار، ﴿وَسُرُوراً﴾، بدل حزنهم، ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾: على ترك الشهوات، وأداء الواجبات، ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: يلبسونه، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾، حال من أول مفعولى جزاء، أو صفة لثانى مفعوليه على مذهب الكوفية، ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾: السرر فى الحجال، ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا﴾: لا حرٌّ مزعجٌ،ولا بردٌ مؤلم، بل هواء معتدل، ﴿وَدَانِيَةً﴾: قريبة، ﴿عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا﴾، الواو للعطف على متكئين، "ولا يرون" يحتمل أن يكون حالا من ضمير متكئين، ﴿وَذُلِّلَتْ﴾: سهلت، ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها، ﴿تَذْلِيلاً﴾: لا يمتنع على قطافها فى أى حال يكونون من القيام، والرقود يحتمل أن يكون الواو حالا من ضمير عليهم

(*) هذا الحديث ذكره القرطبى فى تفسيره، وقال الترمذي: الحكيم أبو عبدالله فى نوادر الأصول: فهذا حديث مزوّق مزيف قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفًا ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم. وذلك لأنه بفعله هذا ضيع من يعول، حيث قال -صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت"[وذكره الواحدى فى: "أسباب النزول" (١/٣٣١)].

بحذف العائد أي: وذلك لهم، ﴿وَيُطَافُ[1] عَلَيهِم بِآنِيَةٍ﴾، الباء للتعدية، ﴿مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أباريق بلا عروة، ﴿كَانَتْ قَوَارِيراْ[2] قَوَارِيراْ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: جامعة بين صفاء الزجاجة، وبياض الفضة، ولينها ونصب قوارير على البدل، أو بتقدير أعني، ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، الضمير للطائفين بها الدال عليه "يطاف عليهم" أي: قدرَ الخدمُ الآنيةَ على قدر ريهم وحاجتهم لا يزيد فيها الشراب، ولا ينقص، وهو ألذ للشارب، وقيل: مرجع هذا الضمير مرجع سائر الضمائر فى الآية أى قدروها فى أنفسهم، فجاءت مقاديرها، وأشكالها كما تمنوه، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾: خمرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْنًا فِيهَا﴾، المعنى والإعراب كما مر فى كان مزاجها كافورًا عينًا، والعرب يستطيب طعم الزنجبيل جدًا، وعن قتادة وغيره: الأبرار يمزج لهم من هذا تارة ومن ذاك أخرى، وأما المقربون فيشربون من كل منهما صرفًا، ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً[3]﴾، لسلاسة فى الحلق ليس فيها إحراق الزنجبيل، ولدغه مع أن فيها طعمه، أو سميت به، لأنها تسيل عليهم فى السبل، والطرق، والمنازل، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ[4] مُّخَلَّدُونَ﴾: لا

---

(١) ولما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم، وصف شرابهم بقوله: "ويطاف عليهم" الآية/١٢فتح.

(٢) قرأ حفص بغير الألف فى الوصل فيهما، ووقف على الأول بالألف وعلى الثانى بغير الألف/١٢.

(٣) ولما وصف شرابهم، ووصف آنيته وصف السقاة الذين يسقونهم، فقال: "ويطوف عليهم" الآية/١٢فتح.

(٤) وفى الخازن: فى سورة الواقعة، والصحيح الذى لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور، و لم يولدوا و لم يخلقوا عن ولادة انتهى، قلت: والله أعلم بهم، ولا أقول فيهم بشيء ظنًا وتخمينًا إذ لم يرد نص صريح صحيح فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فالوقف أولى وأحوط/١٢فتح.

يموتون، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾: من صفاء ألوانهم،وطراوتهم، وانبثاثهم في منازلهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: إذا وجدت الرؤية في الجنة، ترك مفعوله ليعم، ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: واسعًا، ﴿عَالِيَهُمْ﴾، بالنصب حال من عليهم[1] وبسكون الياء مبتدأ، وقوله: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾، خبره، وهو ما رقّ من الثياب، ﴿خُضْرٌ﴾، بالجر صفة سندس، وبالرفع صفة ثياب، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: هو ما غلظ من الثياب،وله بريق، ولمعان بالرفع عطف على ثياب، وبالجر على سندس، ﴿وَحُلُّوا﴾، عطف على ويطوف، ﴿أَسَاوِرَ﴾، جمع سوار، ﴿مِن فِضَّةٍ﴾، وهذا للأبرار، وأما المقربون فيحلون من أساور من ذهب، أو للأبرار أساور من ذهب، وفضة، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، عين على باب الجنة من شرب منها نزع ما كان في قلبه من الأخلاق الرديئة، أو طاهرًا من الأقذار لم يدنسه الأيدي، والأرجل كخمر الدنيا، أو لأنه يرشح عرقًا له ريح كالمسك، ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾: غير مضيَّع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

---

(١) من ضمير عليهم/١٢.

﴿إِنَّا[1] نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً﴾: متفرقًا منجمًا آية بعد آيـــة،وفى تكريـــر الضمير مع التأكيد بإن مزيد اختصاص التنزيل، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّـــكَ﴾: بتأخـــير نصرك، ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا[2] أَوْ كَفُورًا﴾، لفظ أو للدلالة على أن إطاعة كـــل واحد منهما قبيح، فالجمع بين الطاعتين أقبح، والآثم الكافر؛ لأن الفسوق فى الأفعـــال يظهر من الكافر، والكفور المنافق، لأنه صفة القلب، ولا تطع الكافرين، والمنـــافقين، وعن بعض الآثم[3]عتبة، فإنه ركّاب الفسوق، والكفور الوليد، فإنه الغالى فى الكفـــر، وهما قالا لو رجعت عن هذا الأمر لزوجناك ابنتينا بغير مهر، وأعطيناك من المال حـــتى ترضى، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً[4] وَأَصِيلاً﴾: أول النهار وآخره، ﴿وَمِنَ اللَّيْـــلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾، كما قال: "ومن الليل فتهجد بـــه نافلـــة لـــك" (الإسراء:٧٩)وعن بعض المراد صلاة الصبح، والعصر، والمغرب،والعشاء، والتـــهجد، ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ﴾: الدار العاجلة، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾: وراء ظـهورهم، أو أمامهم، ﴿يَوْماً ثَقِيلاً﴾: شديدًا، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: ربطـــــهم، وتوثيق مفاصلهم، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ﴾: فى شدة الأســـر بعـــد إهلاكـــهم، ﴿تَبْدِيلاً﴾، والمراد النشأة الأخرى، والتبديل فى الصفات، أو المراد إذا شئنا أهلكنـــاهم،

---

(١) ولما ذكر حال الإنسان، وقسمه إلى العاصى والطائع، وحذر عما أعد للعاصي، ورغـب فيما أعد للمطيع أعقبه بما شرف به نبيه، وأرشده، فقال: "إنـــا نحـــن نزلنـــا عليـــك القرآن"/١٢وجيز.

(٢) وهم قائلون -كما مر: سامحنا فى عبادة أصنامنا نسامحك فى عبادة ربك، ولو رجعـــت إلى دين عبدالمطلب جدك لآتيناك كذا وكذا/١٢وجيز.

(٣) وهو قول مقاتل ذكره البغوي/١٢منه.

(٤) نقل عن عكرمة أن المراد من البكرة الصبح، ومن الأصيل الظهر والعصر، ومن الليـــل فاسجد المغرب والعشاء، ومن قوله سبحه ليلا طويلا التهجد/١٢منه.

ونأت بخلق جديد مثلهم بدلهم فالتبديل فى الذوات، وحقه حينئذ إن بدل إذا لكن جيء بإذا على المبالغة كأن له وقتًا معينًا، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة، ﴿فَمَن[1] شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا ومسلكًا إلى الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾: ذلك، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فيعلم من يستحق الهداية، فيقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فييسر له أسبابها،وله الحكم فى ذلك، ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: بهدايته، ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، نصب الظالمين بفعل يفسره ما بعده، مثل أعد.

اللهم أدخلنا برحمتك فى رحمتك ولا تجعلنا من الظالمين.

---

(١) قوله: "فمن شاء" ليس للتخيير، بل للتحذير من اتخاذ غير سبيله/١٢وجيز.

سورة المرسلات مكية

وهى خمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣)
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا (٤) فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَٰقِعٌ (٧) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ (١٣) وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦)
ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
(١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ
ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ
وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ
ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن
كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) ﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ[1] عُرْفًا﴾، أقسم سبحانه بالرياح المرسلة حال كونها متتابعات[2] تهب شيئًا فشيئًا، أو بالملائكة حال كونهم يتبع بعضهم بعضًا وعن بعض[3] المراد بالعرف المعروف أي: الملائكة التي أرسلت للمعروف[4] من الأوامر والنواهي(*)، ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾، وبالرياح الشديدة الهبوب، أو بالملائكة العاصفات عصف الرياح في امتثال أمر الله، ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، وبالرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، أو بالملائكة الناشرات أجنحتهن لنزول الوحي، أو التي نشرن الشرائع في الأرض، ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾، وبالملائكة[5] الفارقات بين الحق والباطل بسبب الوحي، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، وبالملائكة الملقيات إلى الرسل وحيًا، ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: لإعذار المحققين، أو إنذار المبطلين، ويحتمل أن يكونا بدلين من ذكرا، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من مجيء القيامة، ﴿لَوَاقِعٌ﴾، هو جواب القسم، ﴿فَإِذَا[6] النُّجُومُ

---

(١) أخرج البخارى ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: بينما نحن مع النبى -صلى الله عليه وسلم- فى غار بمنى إذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثب علينا حية فقال النبى -صلى الله عليه وسلم: "اقتلوها" فابتدرناها فذهبت، فقال النبى -صلى الله عليه وسلم: "وقيت شركم كما وقيتم شرها"/١٢فتح.

(٢) تقول العرب: الناس إلى فلان عرفًا واحدًا إذا توجهوا إليه متتابعين/١٢وجيز.

(٣) هذا مروى عن ابن مسعود -رضى الله عنه/١٢منه.

(٤) فعلى هذا عرفا مفعول له لا حال كالوجهين الأولين/١٢منه.

(*) وفى النسخة ن: الأمر والنهى.

(٥) روى عن مجاهد إن المراد منه الرياح يفرق بين السحاب لكن نقل ابن كثير عن السلف الإجماع على أن المراد من الفارقات، والملقيات الملائكة/١٢منه.

(٦) الظاهر أن إذا فى قوله: "فإذا النجوم" و"إذا السماء" وغيرهما ظرف لقولنا يقال المقدر فى قوله: "لأى يوم" وجاز أن يكون ظرفا للويل، وعلى هذا يومئذ بدل من إذا فتأمل/١٢منه.

طُمِسَتْ﴾: مُحى نورها، أو محقت ذواتها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: انشقت، ﴿وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: قلعت، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: جمعت، وعين لها الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم، ﴿لأَى يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: يقال لأى يوم أخرت؟ وضرب الأجل لجمعهم، وهو تعظيم لليوم، وتعجيب منه، ﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ﴾، بين الخلائق بيان ليوم التأجيل، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾، لعظمته لا يكتنه كنهه، ﴿وَيْلٌ[1] يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك اليوم، هو مثل سلام عليك فى العدول إلى الرفع، ويومئذ ظرف للويل، ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾: من الأمم المكذبة، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾: نتبعهم أمثالهم من الآخرين ككفار مكة، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفعل، ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ[2] وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، التكرير للتوكيد، وهو حسن شائع فى عرف العرب ولغتهم، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: نطفة ذليلة، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، هو الرحم، ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾: مقدار، ﴿مَّعْلُومٍ﴾: من الوقت، ﴿فَقَدَرْنَا﴾: ذلك تقديرًا من التقدير[3] لا من القدرة، ﴿فَنِعْمَ القَادِرُونَ﴾: نحن، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا﴾، اسم لما يكفت أي: يضم، ويجمع أي: كافتة،

---

(١) وكررت هذه الآية فى هذه السورة عشر مرات، لأنه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشيء عذابًا سوى تكذيبه بشيء آخر، ورب شيء كذب به هو أعظم جرمًا من التكذيب بغيره، فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب، وقال الكرخي: التكرار فى مقام الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا/١٢فتح.

(٢) ولما ذكر إفناء الجميع أعقبه ببيان أصل الخلقة ليستدل به على تجويز البعث فقال: "ألم نخلقكم" الآية/١٢وجيز.

(٣) يعنى إن قرئ بتخفيف الدال فإن الأولى أن يكون من التقدير لدلالة قراءة قدرنا بتشديد الدال عليه مع قوله: "إلى قدر معلوم" فلا تغفل/١٢منه.

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾، مفعول كفاتا، أو تقديره تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتًا فى بطنها قيل: كفاتا حال وأحياء ثانى مفعولى جعل أو بالعكس فالمراد من الأحياء ما ينبت، ومن الأموات ما لا ينبت، **﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾**: جبالا ثوابت، **﴿شَامِخَاتٍ﴾**: طوالا، **﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾**: عذبًا من الأمطار والأنهار، **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ انطَلِقُوا﴾** أي: يقال لهم فى ذلك اليوم اذهبوا، **﴿إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾**: فى الدنيا، **﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ﴾** أي: ظل دخان جهنم، **﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾**: يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب، **﴿لَا ظَلِيلٍ﴾**: كسائر الظلال، **﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾**: وغير مغن[1] عنهم من حر اللهب شيئًا، **﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾**، هو ما تطاير من النار، **﴿كَالْقَصْرِ﴾**: كل شررة كالقصر فى العظم، أو هو جمع قصرة أي: شجرة غليظة، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- كنا نعمد إلى الخشبة، فنقطعها ثلاثة أذرع،وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء، فكنا نسميه القصر، **﴿كَأَنَّهُ﴾** أي: الشرر، **﴿جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾**، جمع جمال جمع جمل شبه الشرر بالقصر فى عظمه حين ينفض من النار، وبالجمالات فى اللون،والكثرة، والتتابع، والاختلاط،وسرعة الحركة حين يأخذ فى الارتفاع، والانبساط، ومن قرأ بضم الجيم فالمراد الحبال العظيمة من حبال السفن شبهه بها فى امتداده، والتفافه، **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾**: للقيامة حالات وأيام، ففى بعضها يخاصمون، وفى بعضها يقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، **﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾** أي: لا يحصل لهم الإذن، ولا الاعتذار عقيبه فيعتذرون عطف على يؤذن، وما جعله جوابا[2] لإيهام أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه، **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾**: بين المحق والمبطل، **﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾**: حتى يمكن الفصل، **﴿فَإِن كَانَ**

---

(١) فيه إشارة إلى أن محله الجر كقوله: "لا ظليل"/١٢منه.

(٢) يعنى ما جعله منصوبًا جوابًا، ولم يقل فيعتذروا بحذف النون لهذا الإيهام/١٢منه.

﴿لَكُمْ كَيْدٌ﴾: فى الفرار مني، ﴿فَكِيدُونِ﴾، تقريع وتهديد على كيدهم فى الدنيا لإطفاء دين الله، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾، مقابل للمكذبين، ﴿فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مستقرون فى أنواع الترفع، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مقولا لهم ذلك، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾: فى العقيدة والعمل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا[1] قَلِيلاً﴾، كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، استئناف علة لقلة التمتع، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾: فى الدنيا، ﴿لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أي: صلوا، ﴿لاَ يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به مع أنه لا حديث يساويه أو يدانيه، فلا حديث أحق بالإيمان منه، وقد ورد "من قرأ والمرسلات عرفا" "فبأى حديث بعده يؤمنون" فليقل آمنت بالله،وبما أنزل.

والحمد لله وحده.

---

(١) وقيل: هو حال من المكذبين، ويقال لهم ذلك فى الآخرة إيذانًا بأنهم كانوا فى الدنيا أحقاء بأن يقال لهم ذلك، وكانوا من أهله تحسيرًا وتقريعًا كما يدعى لمن هلك بعد الهلاك إشعارًا بأنه حقيق بأن يقال له ذلك فى حياته/١٢.

سورة النبأ مكية

وهي أربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا
﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾
وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا
وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾
وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا
﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا
يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ
كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿عَمَّ﴾، حرف جر دخل على ما الاستفهامية، وحذف الألف في كثرة الاستعمال، **﴿يَتَسَاءَلُونَ[1]﴾**، كان أهل مكة يتساءلون فيما بينهم عن القيامة استهزاء، ومعنى هذا

---

(١) قال الواحدي: قال المفسرون: لما بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبرهم بتوحيد الله، والبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل الله **﴿عم يتساءلون﴾**/١٢فتح.

الاستفهام التفخيم والتعظيم، ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾، بيان للشأن المفخم، أو صلة يتساءلون، و"عم" متعلق بفعل يفسره ما بعد، وقراءة[1] "عمه" دالة عليه، والنبأ: القيامة، وعن بعض: القرآن، ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: بالإنكار[2] والشك، أو ضمير يتساءلون لجنس الناس، ويكون الاختلاف بالإقرار، والإنكار، ﴿كَلاَّ﴾، ردع عن هذا التساؤل، والاختلاف، ﴿سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾، تكرير للمبالغة، و"ثم" للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾: فراشًا، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾: للأرض حتى لا يتحرك يعني: ومن قدر على مثل هذا كيف لا يقدر على البعث؟! ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾: أصنافًا ذكرًا وأنثى، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً[3]﴾: قطعًا عن الحس، والحركة استراحة للبدن أو موتًا، فإن النوم أخو الموت، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾: غطاء يستركم عن العيون، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾: وقت معاش تحصلون فيه ما تعيشون به، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً﴾: سبع سموات، ﴿شِدَاداً﴾: محكمات، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً﴾ أي: الشمس، ﴿وَهَّاجاً﴾: متلألئًا حارًا، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ[4]﴾، هي السحائب، التي شارفت أن تعصرها الرياح، كأعصرت الجارية،

---

(١) فإنه وقف عليه، ثم ابتدأ بقوله: ﴿يتساءلون﴾ كأنه قال: يتساءلون عمه؟ ثم قال ﴿يتساءلون﴾/١٢منه.

(٢) هذا إذا كان ضمير يتساءلون لكفار مكة، كما أشرنا إليه/١٢منه.

(٣) أصل السبت: القطع/١٢منه.

(٤) عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة ، ومقاتل، والكلبي، وغيرهما: إن المراد من المعصرات: الرياح، وعن عكرمة وأبي العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري: إنها السحاب، وعن حسن وقتادة: إن المراد منها: السماوات، فالمراد من قولنا كما صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه صح عنه أن المطر من السماء يأتي إلى السحاب، لا أن تفسير المعصرات بالسماوات هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما/١٢منه.

إذا دنت أن تحيض، أو الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، فهمزة أعصرت للحينونة، والرياح كالمبدأ الفاعلي للمبدأ؛ لأنها تنشئ السحاب فجاز أنه منه، أو هي السماوات، فإن الماء يترل من السماء إلى السحاب كما صح عن ابن عباس، وغيره، فالسماوات يحملن السحاب على العصر، فالهمزة للتعدية، ﴿مَاءً ثَجَّاجاً﴾: منصبًا لكثرته، ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾: من الحنطة، والشعير، ﴿وَنَبَاتاً﴾: خضرًا مما يأكل الناس، والأنعام، ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾: ملتفة بعضها ببعض، جمع لف بكسر اللام، أو بضمها جمع لفاء[1]، فيكون جمع الجمع، أو جمع ملتفة بحذف الزوائد، ﴿إِنَّ يَوْمَ[2] الفَصْلِ كَانَ﴾: في علم الله، ﴿مِيقَاتاً﴾: وقتًا محدودًا انتهى الدنيا عنده، أو تنتهي الخلائق إليه، ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، بدل أو عطف بيان، ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾: زمرًا وجماعات، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾: شقت، ﴿فَكَانَتْ﴾: فصارت، ﴿أَبْوَاباً﴾: ذات أبواب، أو من كثرة الشقوق كان الكل أبواب، ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ﴾: في الهواء كالهباء، ﴿فَكَانَتْ سَرَاباً﴾: كسراب، فإنها كانت شيئًا فالآن لا شيء، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾، هو الحد الذي فيه الحراس أي: موضع يرصد الكفار فيه، أو طريقًا وممرًا إلى الجنة، ﴿لِلطَّاغِينَ[3] مَآباً﴾: مرجعًا، ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾: حقبًا[4] بعد حقب إلى ما لا يتناهى، وعن عليّ[5]: كل حقب ثمانون سنة، كل

---

(١) كخضراء، وخضر وأخضار/١٢منه.

(٢) ولما ذكر عجائب آياته الدالة على كمال قدرته، أعقبه بقوله﴿إن يوم الفصل﴾ ليستدل العاقل عن تلك الآيات على إمكان مثل ذلك اليوم/١٢وجيز.

(٣) قوله: ﴿للطاغين﴾ على التفسير الأول: يحتمل أن يكون متعلقًا بمرصادًا، وأما على الوجه الثاني: فلابد أن نقول إنه متعلق﴿بمآبا﴾ ،لا بقوله: ﴿مرصادًا﴾/١٢منه.

(٤) الحقب الدهر، كذا في الصحاح/١٢وجيز.

(٥) وكذا قال أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وجم غفير من الصحابة -رضي الله عنهم/١٢منه. أخرج ابن جرير عن خالد بن معدان، في قوله:"لابثين فيها

=

يوم منها ألف سنة مما تعدون، ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً﴾: روحًا ينفس عنهم حر النار، أو نومًا، ﴿وَلاَ شَرَاباً﴾: يسكن من عطشهم، ﴿إِلاَّ حَمِيماً﴾ أي: لكن يذوقون فيها ماء في غاية الحرارة، ﴿وَغَسَّاقاً﴾: ماء يسيل من جلود أهل النار، وعيونهم، أو الزمهرير، ويحتمل أن قوله: "لا يذوقون" حال من ضمير "لابثين"، أو صفة "أحقابًا" على أن ضمير فيها للأحقاب، وحاصله: لابثين فيها أحقابًا غير ذائقين إلا حميمًا، وغساقا، وبعد ذلك يبدلون جنسًا آخر من العذاب، ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم، أو موافقًا لها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ﴾: لا يخافون، ﴿حِسَاباً﴾: ولا يؤمنون بيوم الدين، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾: تكذيبًا، وفعال بمعنى تفعيل شائع مطرد، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾: في الإحصاء، والكتابة معنى الضبط، والتحصيل، فيكون كتابًا مفعولا مطلقًا من أحصينا، لأن أحصى بمعنى كتب، أو بالعكس، وجاز أن يكون حالا بمعنى المكتوب في اللوح، ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم: ذوقوا،وهو مسبب عن عدم الخوف عن الحساب، وتكذيب الآيات، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾، عن بعض السلف: لم يترل على أهل النار آية أشد من هذه.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا
﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ
وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾

= أحقابا"، وقوله: "إلا ما شاء ربك"، أنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة/ ١٢ در منثور.

إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾: محل فوز، أو فوزًا وظفرًا بالبغية، **﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾**: بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة، سيما العنب، بدل اشتمال، أو بعض من مفازًا، **﴿وَكَوَاعِبَ﴾**: نساءً استدارت ثديهن، **﴿أَتْرَاباً[1]﴾**: مستويات في السن، **﴿وَكَأْساً دِهَاقاً[2]﴾**: مملوة، **﴿لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً﴾**: كلامًا خاليًا عن الفائدة، **﴿وَلاَ كِذَّاباً[3]﴾**: تكذيبًا أي: لا يكذب بعضهم بعضًا، **﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾**، بمقتضى وعده، نصب بمصدر مؤكد لقوله: "إن للمتقين مفازا"، **﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾** أي: تفضلا كافيًا[4]، بدل من جزاء[5]، **﴿رَّبِّ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾**، بالجر بدل من "ربك"، وبالرفع مبتدأ، **﴿الرَّحْمَنِ﴾**، بالجر صفة، وبالرفع مع رفع "رب"، فيكون خبرًا له، ومع جره فتقديره: هو الرحمن[6] أو مبتدأ خبره قوله: **﴿لاَ يَمْلِكُونَ﴾** أي: أهل السماوات،

---

(١) جمع تِرب بكسر التاء، وسكون الراء/١٢.

(٢) من دهق الحوض: ملأه/١٢.

(٣) والمعنى: إن هؤلاء السعداء، لا يسمعون كلامهم المشوش الباطل الفاسد، والحاصل أن النعم الواصلة إليهم تكون خالية عن زحمة أعدائهم، وعن سماع كلامهم الفاسد، وأقوالهم الكاذبة الباطلة/١٢ كبير.

(٤) من أحسبه الشيء: إذا كفاه/١٢منه.

(٥) لا أنه مفعول به لجزاء؛ لأن المصدر المؤكد لا يعمل بلا خلاف من النحاة، كذا في البحر/١٢وجيز.

(٦) يعني فيه ثلاث قراءات رفع "رب" بعد رفع "الرحمن"، وجره مع جره، وجره مع رفعه/١٢منه.

والأرض، ﴿مِنْهُ﴾: من الله، ﴿خِطَاباً[1]﴾، فمنه صلة يملكون، أي: لا يُمّلكهم الله خطابًا واحدًا، إشارة إلى أن مبدأ الملك منه، نعم إن أُذنَ لهم فيقدرون على تكلّمه وخطابه، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ[2]﴾، هو بنو آدم[3]، أو خلق أعظم من الملائكة على صورة البشر، أو جبريل، أو أشرف الملائكة يعني صاحب الوحي، أو القرآن أو ملك بقدر جميع المخلوقات، هو صَف، وسائر الخلائق صف، ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً﴾ أي: صافين، ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ[4] إِلاَّ مَنْ أَذِنَ[5] لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، ويوم ظرف لا يملكون، أو لا يتكلمون، وفيه تقرير، وتوكيد لقوله: "لا يملكون منه خطابًا"، فإن الملائكة مع أنهم من

---

(١) ولما ذكر أن أحدًا من الخلق لا يمكنه أن يخاطب الله في شيء، أو يطالبه بشيء قرر هذا المعنى، وأكده، فقال: ﴿يوم يقوم الروح﴾ الآية/١٢ كبير.

(٢) أخرج مسلم وأبو داود، والنسائي، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عائشة -رضي الله عنها- إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: "سبوح قدوس رب الملائكة والروح"/١٢در منثور.

(٣) قوله: هو بنو آدم.. إلخ، هذا قول ابن عباس، والحسن، وقال قتادة: هذا ما كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يكتمه، والثاني: قول مجاهد وأبي صالح، والأعمش، ونقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أيضًا، والثالث: قول الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك، والرابع: قول مقاتل ابن حيان، والخامس: قول ابن زيد، والسادس: قول ابن مسعود/١٢منه.

(٤) وذلك؛ لأن الملائكة أعظم المخلوقات قدرًا ورتبة، وأكثرهم قدرة ومكانة، فبين أنهم لايتكلمون في موقف القيامة إجلالا لربهم، وخوفًا منه، وخضوعًا له، فكيف حال غيرهم/١٢ كبير.

(٥) تقريرًا، وتأكيدًا لقوله: "لا يملكون"، فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق، وأقربهم من الله، إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابًا، كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم/١٢ بيضاوي.

أفضل الخلائق مقربون غير عاصين إذا لم يقدروا أن يتكلموا إلا بإذنه فكيف غيرهم؟ ﴿وَقَالَ صَوَاباً﴾ أي: للتكلم شرطان: الإذن، والتكلم بالصواب، فلا يشفع مثلا لغير المستحق، أو له شرطان: الإذن والتكلم بالصواب في الدنيا، فالكافر لا يتكلم يعني كلامًا ينفعهم، أو ينفع غيرهم، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ[1]﴾: الكائن لا محالة، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾: مرجعًا بالطاعة، وأنواع القربات، ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾: عذاب الآخرة، وكل ما هو آت قريب، مع أن مبدأه الموت، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من خير وشر، والمرء عامّ، وقيل: الكافر، والمراد مما قدمت يداه الشر، وما إما موصولة مفعول "ينظر"، وإما استفهامية مفعول "قدمت"، قُدِّمت لصدارتها، و"يوم" بدل من "عذابًا" بحذف مضاف، أي: عذاب يوم، أو بدل اشتمال فلا يحتاج إلى تقدير، أو صفة أخرى لعذابًا، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾: في هذا اليوم، وفي الحديث "يود ذلك حين يحكم[2] الله بين الحيوانات، حتى ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم قال لها كوني، ترابًا، فتصير الحيوانات ترابًا فعند ذلك يتمنى الكافر، ويتمنى أن يكون في الدنيا ترابًا، فلم أخلق، و لم أكلف"(*).

والحمد لله على الإسلام.

---

(١) أي: الثابت الكائن/١٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي/١٢.

(*) وفي نسخة، "فلم يخلق و لم يكلف".

سورة النازعات مكية

وهي ست وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا
ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ
خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ هَلْ أَتَىٰكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ
۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ
وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أقسم سبحانه بالملائكة التي تنزع[1] أرواح الكفار، **﴿غَرْقًا﴾**: إغراقا في النزع، فإنها تنزعها من أقاصي الأجساد من الأنامل والأظفار بعسر وشدة، أو المراد النجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها قطع الفلك كله حتى تنحط في

---

(١) هذا قول ابن عباس وابن مسعود -رضي الله عنهم- وغيرهما من السلف/١٢منه.

أقصى الغرب، أو المراد قسي الغزاة تنزع السهام إغراقًا في النزع، والأصح الأول، وهو قول أكثر الصحابة، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: الملائكة التي تنشط، أي تخرج أرواح المؤمنين، كما ينشط العقال من يد البعير بسهولة، أو النجوم التي تخرج من برج إلى آخر، أو الغزاة تخرج السهم للرمي، ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾: الملائكة التي تسبح في مضيها، وتسرع في قضاء الحوائج، أو السيارات، فكل في فلك يسبحون، أو خيل الغزاة تسبح في جريها، أو السفن[1]، ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾: الملائكة[2] التي سبقت ابن آدم بالإيمان والأعمال، أو أرواح المؤمنين تسبق شوقًا إلى لقاء الله، أو النجوم تسبق بعضها بعضًا في السير، أو خيل الغزاة، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة التي تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها، والسلف ما اختلفوا في هذا الأخير، ولم ينقل عنهم إلا قول واحد، وجواب القسم محذوف، وهو مثل "لتبعثن" وما بعده يدل عليه، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ أي: تضطرب، وتتحرك الواقعة التي ترجف عندها الأجرام، كيوم ترجف الأرض، والجبال، وهي النفخة الأولى، ويوم ظرف لجواب القسم المحذوف، ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، والجملة حال، وفي الترمذي وغيره "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا ذهب ثلث الليل، قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه[*]"، ﴿قُلُوبٌ﴾، مبتدأ خصص بتنكير التنويع، ﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: شديدة الاضطراب خائفة، ﴿أَبْصَارُهَا﴾ أي: أبصار أصحابها، ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة من الخوف، ﴿يَقُولُونَ﴾ مستأنفة للتعليل، كأنه قال: لأنهم يقولون في الدنيا: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى: أي: الحياة بعد الموت، يقال: رجع في حافرته، أي: من

---

(١) فإنها تجري في كف الله سبحانه كما ورد في الحديث/ ١٢وجيز.

(٢) قاله علي -رضي الله عنه- ومسروق وغيرهما/١٢منه.

(*) وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٩٩٩).

حيث جاء، وعن مجاهد: أئِنا لمردودون إلى الحياة حال كوننا في الحافرة أي القبرة، ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ أي: أئذا كنا عظامًا بالية تردوا، المحذوف عامل إذا، ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: ذات خسران، يعني: إن صحت فنحن إذا خاسرون، وهذا منهم استهزاء، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، هذا قول الله أي: لا تستصعبوها فما هي إلا صيحة، والمراد النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ[(١)]﴾ أي: فإذا الناس أحياء على وجه الأرض، والساهرة: الأرض المستوية، وعن قتادة: هي جهنم، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ[(٢)] مُوسَى﴾، وهذا تسلية من الله لرسوله، ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي على الأصح، كما مر في سورة طه، ﴿اذْهَبْ﴾، أي: قال له اذهب، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾: تكبر وتمرد، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى[(٣)]﴾: أي هل لك ميل، ورغبة إلى أن تتطهر من الشرك، والطغيان، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى معرفته[(٤)]، ﴿فَتَخْشَى[(٥)]﴾: من عقابه، ﴿فَأَرَاهُ[(٦)]﴾ أي: فذهب فبلغ فأراه، ﴿الْآيَةَ

---

(١) ولما أقسم بأن البعث حق، واتبعه إنكارهم، أعقب تسلية قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- بحكاية موسى وفرعون وانتقام الله منه، فقال: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ الآية/١٢وجيز.

(٢) توقيف لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على جمع الناس لاستماع الحكاية/١٢.

(٣) تلطف في الاستدعاء، فإن كل عاقل له رغبة في التحلي بالفضائل، والتطهر عن الرذائل/١٢.

(٤) والوصول إلى عنايته ووصاله/١٢وجيز.

(٥) الخشية: ملاك الأمر/١٢وجيز.

(٦) هذه الفاء هي الفصيحة لإفصاحها عن كلام محذوف، يعني فذهب، فقال له ما قال مما حكاه الله في غير موضع، وأجاب عليه بما أجاب، إلى أن قال: "إن كنت جئت بآية =

﴿الْكُبْرَى﴾ أي: المعجزة الكبرى، ﴿فَكَذَّبَ﴾: بأنها من الله، ﴿وَعَصَى﴾: الله، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: أعرض عن الطاعة، ﴿يَسْعَى﴾: ساعيًا في الفساد، وإبطال أمره، ﴿فَحَشَرَ﴾: جمع جنوده، ﴿فَنَادَى﴾، في المجمع، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾: لا رب فوقي، قيل: هم يعبدون الأصنام، فأراد ربها وربكم، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: نكال الآخرة بالإحراق ونكال الدار الدنيا بالإغراق، وعن مجاهد نكال الكلمة الآخرة، وهي قوله "أنا ربكم الأعلى" ونكال الكلمة الأولى، وهي قوله: "ما علمت لكم من إله غيري" (القصص:٣٨)، وبينهما أربعون سنة، ونصب نكال، بأنه مصدر مؤكد أو مفعول له، أي: للتنكيل فيهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾: لمن كان من شأنه الخشية.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ

= فأت بها" (الأعراف:١٠٦)، فعند ذلك أراه الآية الكبرى، واختلف فيها ما هي، فقيل: العصا، وقيل: يده، وقيل: فلق البحر، وقيل: هي جميع ما جاء به من الآيات التسع، والأول أولى، ثم اليد، والأكثرون على أنه أراهما له، وأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحادها معنى، أو أراد بالكبرى العصا وحدها، لأنها كانت مقدمة على الأخرى، ولا ينافي هذا قوله في الآية الأخرى: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ وكل آياته كبرى، لأن الإخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته إياه، وهو العصا واليد، ثم أردف ذلك برؤية الكل، ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته، فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع، إنما ظهر على يده -عليه السلام- بعدما غلب السحرة، على مهل في نحو من عشرين سنة/١٢فتح.

وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا
سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى
ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ
مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾»

﴿**أَأَنْتُم**[1]﴾: يا منكري البعث، ﴿**أَشَدُّ**﴾: أصعب، ﴿**خلْقًا**﴾، بعد الموت، ﴿**أَمِ السَّمَاءُ**﴾ ثم بين كيفية خلقها فقال: ﴿**بَنَاهَا**﴾، ثم بين البناء فقال: ﴿**رَفَعَ سَمْكَهَا**﴾: جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدًا رفيعًا، ﴿**فَسَوَّاهَا**﴾: عدلها مستوية بلا قطور، أو تممها وأصلحها، من سويت أمره إذا أصلحته، ﴿**وَأَغْطَشَ**﴾: أظلم، ﴿**لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾: أبرز ضوء شمسها، أضاف الليل والنهار إلى السماء، لأنهما يحدثان بحركتها، ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾: بسطها، خلق الأرض قبل السماء لكن دحوها بعدها، نقل ذلك عن ابن عباس، وفيه إشكال لأن الدحو هو البسط، وخلقُ الجبال، والأنهار، والمراعي، كما صرح ابن عباس، وقد مر في سورة "حم" السجدة أن ذلك مقدم على خلق السماء، ويدل على ذلك صريح الآية في تلك السورة، وأيضًا كثير من الصحابة صرحوا بأن خلق نفس الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال والآكام وما بينهما في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماء في الخميس والجمعة، قيل: فالوجه أن يجعل الأرض منصوبًا بمضمر، نحو تذكر وتدبر، أو اذكر الأرض بعد ذلك

---

(١) ولما تم مجمل أمره، وقف من هو على دينه في إنكار البعث بقدرته التامة، فقال: "أأنتم" الآية/١٢ وجيز.

وإن جعل مضمرًا على شريطة التفسير، جعل بعد ذلك إشارة إلى المذكور سابقًا، من ذكر خلق السماء لا خلق السماء نفسه، ليدل على أنه متأخر في الذكر عن خلق السماء، تنبيهًا على أنه قاصر في الدلالة عن الأول، لكنه تتميم، ولو قلنا: إن "ثم" في قوله "ثم استوى إلى السماء" في سورة حم السجدة، لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة، ويكون دحو الأرض بعد خلق السماء، لما يبقى مخالفة بين الآيتين، لكن مخالف لإطباق أهل التفسير، ثم خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام، ثم خلق السماء وما فيها في يومين، إلا ما نقل الواحدي في البسيط، عن مقاتل: أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها، وعلى أي وجه لا يخلو عن إشكال فلا تغفل، ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا**﴾: عيونها، ترك العطف لأنه حال بتقدير[1] "قد" أو بيان للدحو وهو المراد منه، ﴿**وَمَرْعَاهَا**﴾: رعيها، الرعي بالكسر: الكلاء، وبالفتح: المصدر، والمرعى يقع عليهما، وعلى الموضع، ﴿**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**﴾: أثبتها حتى لا يتحرك، ﴿**مَتَاعًا**﴾: تمتيعًا، ﴿**لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ**﴾: الداهية، التي تطم[2] وتعلو وتغلب على الدواهي، ﴿**الْكُبْرَى**﴾: وهي القيامة، ﴿**يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى**﴾: ما عمل في الدنيا، وقد نسيها بدل من إذا جاءت، ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى**[3]﴾: أُظهرت لمن له عين، ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى**﴾: تمرد، ﴿**وَآثَرَ**[4]﴾

---

(١) في البحر إنه حال، ولهذا ترك العطف، وعند الأخفش: إن الماضي يقع حالا من غير احتياج إلى تقدير/١٢وجيز.

(٢) قاله المبرد، وقال مجاهد،وغيره: هو من طم السيل الركية، أي: دفنها، والطم: الدفن/ ١٢فتح.

(٣) أي: أظهرت النار المحرقة إظهارًا بينًا مكشوفًا، لا يخفى على أحد، والظاهر أنها تبرز لكل راء، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمت الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمًا إلى غمه وحسرة إلى حسرته/١٢فتح.

(٤) أي: قدمها على الآخرة باتباع الشهوات المحرمات، ولم يستعد لها ولا عمل عملها/١٢فتح.

﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، على الآخرة، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: هي مأواه واللام ساد مسد الإضافة للعلم به،﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ، أي : مقامه بين يديه في الآخرة ، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ[1] عَنِ الْهَوَى﴾: زجرها عن اتباع شهوها ، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ، وجواب فإذا جاءت هو قوله : "فأما" كأنه قال: فإذا جاءت ، فإن الطاغي للجحيم مأواه ، وإن الخائف للجنة مأواه ، وزيادة إما لزيادة المبالغة ، وتحقيق الترتيب ، والثبوت على كل تقدير ، أو جوابه محذوف كأنه قال: فإذا جاءت وقع ما وقع ، وقوله، "فأما" تفصيل لذلك المحذوف ، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ : متى ، ﴿مُرْسَاهَا﴾: إرساءها وإقامتها ، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾: في أي شيء أنت يا محمد، من أن تذكر وقتها لهم ، يعني ما أنت من تبيين وقتها في شيء ، وقيل: تتمة لسؤالهم ، أي : سألوا متى وقتها؟ وفي أي شيء أنت من ذكرها؟ أي : هل لك يقين أو ظن أو جهل؟ والجواب قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ ، أي : منتهى علمها إلى الله وحده ، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ ، لا مُعين وقتها ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾: في الدنيا ، وقيل: في القبر ، ﴿إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ، أي : ضحى تلك[2] العشية يعني : استقصروا مدة لبثهم في الدنيا كأنها لم تبلغ يومًا كاملاً ، ولكن ساعة منه إما عشية أو ضحاه كما تقول آتيك العشية أو غداها.

والحمد لله حق حمده .

---

(١) قال مقاتل : هو الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر مقامه للحساب فيتركها ، والهوى : ميل النفس إلى شهواتها / ١٢ فتح .

(٢) والإضافة تكون بأدنى ملابسة ، ولما كانتا من يوم واحد، كان بينهما ملابسة مصححة لإضافة إحداهما إلى الأخرى / ١٢ فتح .

سورة عبس مكية

وهي اثنتان وأربعون آية وفيها ركوع واحد وكذا إلى آخره(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢
فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ
۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا
شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ
۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠
وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣
يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦

(*) أي كل سورة ستأتي ستكون ركوعا بذاتها.

لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾
ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾
أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى[1]﴾: أعرض ، ﴿أَن جَاءَهُ﴾ ، أي : لأن جاءه ، ﴿الأَعْمَى﴾ ، نزلت حين جاء عبد الله بن أم مكتوم النبيَّ -عليه السلام-، وكان ممن أسلم قديمًا، فجعل يسأل عن شيء ويلح ، وهو عليه السلام يخاطب بعض عظماء قريش طمعًا في إسلامهم ، فعبس في وجه عبد الله وأعرض عنه ، وهو ضرير ، وأقبل عليهم ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ، أيّ شيء يجعلك دارياً بحال هذا الأعمى ، ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ، يتطهر من الآثام بما يتعلم منك ، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ ، ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ ، وينتهي عن المحارم، ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾: عن الله بماله ، ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾: تتعرض له بالإقبال، ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾: بأس وضرر ، ﴿أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ ، في ألاَّ يتزكى بالإسلام ، فلم أعرضت عنه وتعرضت له ؟! ، ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى﴾: يسرع ، هو ابن أم مكتوم ، ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾: الله ، ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾: تتشاغل ، نقل أنه عليه السلام بعد

---

(١) قد أجمع المفسرون، على أن سبب نزول الآية، أن قومًا من أشراف قريش كانوا عند النبي -صلى الله عليه وسلم، وقد طمع في إسلامهم فأقبل عبد الله بن أم مكتوم ، فكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه ، فأعرض عنه ، فنزلت ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، ويقول : أترى بما أقول بأسًا؟ ، فيقول: لا ، ففي هذا نزلت ، أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن المنذر وابن حبان والحاكم ، وصححه ، وابن مردويه / ١٢ فتح .

ذلك يكرمه ، ويقول إذا جاءه: "مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي " واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين ، ﴿كَلاَّ﴾(*) ، ردع عن معاودة مثله ، ﴿إِنَّهَا﴾: القرآن ، وتأنيثه لتأنيث الخبر ، ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾: اتعظ به ، أو حفظه ، أو أن الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم تذكرة، فمن شاء ذكره ، ﴿فِي صُحُفٍ﴾ ، أي : هو مثبت في صحف ، أو صفة لتذكرة ، ﴿مُّكَرَّمَةٍ ﴾ ، عند الله ، ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: رفيعة القدر ، ﴿مُّطَهَّرَةٍ ﴾: من أيادى الشياطين ، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١)﴾ ، ملائكة هم الرسل، والسفير هو الرسول ، ﴿كِرَامٍ﴾ ، على الله ، ﴿بَرَرَةٍ﴾: أتقياء ، ولعل الصحف ما بأيدي الملائكة، ينتسخون القرآن من اللوح المحفوظ، حين يترلونه إلى السماء الدنيا ، أو المراد من السفرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القراء ، والسفرة: الكتبة ، فالمراد من الصحف ما بأيدي الناس من المصاحف والألواح(**) ، ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (٢) ﴾: ما أشد كفره ، دعاء على من أنكر البعث بأبلغ

(*) وتسمى في اللغة؛ حرف ردع وزجر.

(١) جمع سافر، ككتبة، وكاتب قال ابن عباس : سفرة :كتبة ، وقال : هم بالنبطية القراء ، والمعنى :إنها بأيدي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد ، وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذي يقرأ القرآن ، وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران) ، وعن وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن وقتادة : هم القراء / ١٢ منه، مع شيء من الفتح .

(**) في الأصل: ألواح.

(٢) لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين، عجب عباده المؤمنين من ذلك ، فكأنه قيل : وأي سبب في هذا العجب ، والترفع منه مع أن أوله نطفة قذرة ، وآخره جيفة مذرة ، وفيما بين الوقتين حمال عذرة ، فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجًا لعجبهم / ١٢ كبير .

وجه وأشده ، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾: شيء حقير مهين ، ﴿خَلَقَهُ﴾ ، بيان لما أنعم عليه ، ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ ، أطوارًا إلى أن تم خلقته ، أو هيأه لما يصلح من الأشكال، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ ، إلى الخروج من بطن[1] أمه ، ﴿يَسَّرَهُ﴾ ، أو الطريق إلى الحق ذلل له نحو: " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً " (الإنسان:٣)، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أمره بالقبر ، أو صير له قبرًا يدفن فيه ، و لم يجعله ممن يلقى كالسباع تكرمة له ، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾: أحياه بعد موته ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع للإنسان عن الكفر ، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ ، أي : لم يقض الإنسان أبدًا ما أمره الله من الفرائض، وفي البخاري عن مجاهد (لا يقضي أحد ما أمره به)، أي : جميع ما كان عليه ، فإن الإنسان لا ينفك عن تقصير ، وقيل معناه: كلا إن القيامة توجد الآن ، لأنه لم يقض ، و لم ينفذ ما أمره الله ، وقدره من مدة حياة الدنيا وكمية بني آدم، فكأنه ردع لاستعجالهم بقولهم " أيان يوم القيامة "(القيامة.٦) ، ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، فيه امتنان واستدلال بإحياء الأرض على البعث ، ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾: المطر ، وقراءة (أنا) بالفتح على بدل الاشتمال من طعامه ، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾ ، بالنبات ، ويحتمل أن يكون المراد الشق بالكراب على البقر ، وأسند الفعل إلى الموجد، والمقرر أن إسناد الفعل حقيقة لمن قام به لا لمن صدر عنه إيجادًا ، ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرض ، ﴿حَبًّا﴾ ، كالحنطة ، ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: القتّ ، فإنه يقطع ، ويقضب مرة بعد أخرى[2] ، أو مطلق علف الدواب ، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾: عظامًا

---

(١) قالوا : إنه كان رأس المولود في بطن أمه من فوق ، ورجلاه من تحت ، فإذا جاء وقت الخروج انقلب، فمن ذا الذي أعطاه ذلك الإلهام إلا الله ، ومما يؤكد هذا التأويل أن خروجه حيًا من ذلك المنفذ الضيق، من أعجب العجائب / ١٢ كبير .

(٢) أي : يقطع في السنة الواحدة مرات / ١٢ وجيز .

لكثرة أشجارها واتساعها ، أو عظم أشجارها وغلظها ، ﴿وَفَاكِهَةً[1] وَأَبًّا﴾: مرعى من علف الدواب ، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعًا ، ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾: اسم من أسماء القيامة ، صخه: ضرب أذنه، فأصمها سميت صيحة القيامة بها، لأنه تصخ الآذان من شدها ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ ، بدل من إذا جاءت ، ﴿مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ ، حذرًا من أن يطلب منه حسنة من حسناته، لعله ينجو بها، أو لاشتغاله بشأن نفسه ، أو حذرًا من مطالبتهم في التبعات ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ، يكفيه في الاهتمام به ، ويشغله عن غيره ، وهو جواب "إذا جاءت" وفي الحديث (إن عائشة سألت ، أينظر بعضنا عورة بعض ؟ حين قال عليه السلام: يحشرون حفاة عراة غرلاً ، فقال : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه[*]، أو قال : ما يشغله عن النظر) ، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مضيئة ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فرحة بما نال من كرامة الله ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: كُدُورة، ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشاها ، ﴿قَتَرَةٌ﴾: سواد ، وظلمة ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ، وكان جمع الغبرة إلى سواد الوجه لجمعهم الفجور إلى الكفر.

اللهم لا تحشرنا بحق القرآن فيهم .

---

(١) كالتين ، والتفاح / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٦٧) وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" حسن صحيح.

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ
(٣) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ
سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ
ذَنۢبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ (١١)
وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ
أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ (١٥) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (١٦) وَٱلَّيْلِ إِذَا
عَسْعَسَ (١٧) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى
قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم
بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ
(٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٩) ﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: جمع بعضها إلى بعض ، فتُلفّ، أو أظلمت ، أو أذهبت ومحيت ، أو ألقيت في جهنم ، والأولى أن يكون رافع الشمس فعلاً مضمرًا يفسره ما

بعده لأن :"إذا" طالب[1] للفعل ، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ[2] ﴾: تناثرت ، وتساقطت من السماء إلى الأرض ، أو تغيرت فلم يبق لها ضوء ، ﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ ، عن وجه الأرض ، أو سيرت في الهواء ، ﴿وَإِذَا العِشَارُ﴾: الحوامل من الإبل التي وصلت في حملها إلى الشهر العاشر ، وهي خيار الأموال عند العرب ، ﴿عُطِّلَتْ ﴾: تركت وسيبت ، أو العشار: السحاب عطلت عن المطر ، أو المراد: الأرض، التي تُعَشَّر، عُطّلت عن الزرع ، ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ، جمعت، فاختلط الناس والدواب والطيور ، وماج بعضها في بعض ، أو بعثت ليقتص بعضها[3] من بعض ، أو أميتت، عن ابن عباس :حشر كل شيء الموت سوى الجن والإنس ، ﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ[4] ﴾: أوقدت فصارت نارًا ، وعن كثير من السلف : يرسل

---

(١) وعند الأخفش والكوفيين: يجيء الجملة الاسمية بعد إذا، (فإذا الشمس كورت) مبتدأ وخبر/١٢ وجيز .

(٢) يقال: انكدرت الطير ، أي : سقطت عن عشها / ١٢ منه .

(٣) قال الشهاب في ريحانة الألباء : وهاهنا أمر نفيس نمحو به السيئات ، وبحث عظيم نحيى به عظام الرفات ، وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى وتنشر ، ويقتص بعضها من بعض ، فأكثر أهل الحديث والسنة والأصول على أنه كذلك ، لوجوده في القرآن في قوله تعالي : "وإذا الوحوش حشرت"، وأقوال سيدنا ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- في خبر القصاص يوم القيامة "يؤخذ للجماء من القرناء"/ ١٢فتح.

(٤) عن أبي العالية قال : ست من آيات هذه السورة في الدنيا ، والناس ينظرون إليها وست في الآخرة، (إذا الشمس كورت) إلى (وإذا البحار سجرت) هذه في الدنيا ، والناس ينظرون إليها ، (وإذا النفوس زوجت) إلى (وإذا الجنة أزلفت) هذه في الآخرة أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر هذا في الفتح ، وقال الرازي تحت هذه الآية يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا ويمكن وقوعها أيضًا بعد قيام القيامة وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين مختصة بالقيامة / ١٢ .

الله على البحر الدبور، فتسعرها فتصير نارًا ، أو ملئت، وفجر بعضها إلى بعض، فتصير الكل بحرًا واحدًا أو يبست فلم يبق فيها قطرة ماء ، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: بالأبدان ، أو قرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله ، أي : الأمثال من الناس بينهم ، أو نفوس المؤمنين بالحور العين ، ونفوس الكافرين بالشياطين ، أو قرنت نفس الصالح مع الصالح في الجنة ، ونفس الطالح مع الطالح في النار ، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾: البنات المدفونة حية ، ﴿سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ، وسؤالها لتوبيخ قاتلها ، وتبكيته كتبكيت النصاري بسؤال "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين"(المائدة:١١٦) ، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾: صحائف الأعمال ، ﴿نُشِرَتْ﴾ ، للحساب ، فإنها كانت مطوية، أو فرقت بين أصحابها ، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: كشفت وأزيلت كما يكشف الغطاء عن الشيء ، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أوقدت شديدًا ، ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قربت من المؤمنين ، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ ، من خير وشر ، وهو جواب إذا، والمراد زمان ممتد من النفخة الأولى، وهي زمان التكوين إلى آخر الموقف، ونفس في معنى العموم كتمرة خير من جرادة ، وقيل معناه: علمت نفس كافرة ما أحضرت ، فالتنوين للتنويع ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ ، خَنَسَ: تأخر ، واختفى ، وخنس الكواكب: رجع ، ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ ، الجواري: السيارة ، يقال كنس الوحش إذا دخل كناسه، عن علي وغيره رضي الله عنهم: هي النجوم تخنس بالنهار ، وتكنس بالليل ، أي : تطلع في أماكنها ، أو المراد السيارات منها، سوى النيرين تجرى معهما ، أو ترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس ، أو المراد الوحش تأوى إلى كناسها، وعليه ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ[1]﴾: أقبل ظلامه ، أو أدبر ، والأول أولى لقوله تعالي : "والضحى والليل إذا سجى"

---

(١) ذكر أهل اللغة: أن عسعس من الأضداد ، يقال : عسعس الليل إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر / ١٢ كبير .

(الضحى:٢،١)، "والليل إذا يغشى" (الليل:١) والتحقيق أن الواو للعطف، والظرف في مثل هذه الموضع معمول مضاف مقدر، أي : وبعظمة الليل إذا ، فإن الإقسام بالشيء إعظام له، كما صرح الزمخشرى في "لا أقسم بيوم القيامة" (القيامة:١) لا أنه معمول لفعل القسم لفساد المعنى، إذ ليس المراد أن إقسامه في الليل ، وفي الصبح، أو إذا بدل كأنه قيل: والليل وقت غشيانه ، ومثل هذا الشائع ، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: إذا أضاء ، ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن ، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ[1] كَرِيمٍ﴾: جبريل ، قال عن الله ،

---

(١) قال ابن تيمية في بعض فتاواه : في كلام الرب جل جلاله وإن احتج محتج بقوله : " وإنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين " قيل له: قال في الآية الأخرى: " إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون " (الحاقة:٤٢،٤٠)فالرسول في هذه الآية جبريل ، والرسول في الأخرى محمد، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه إضافة إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث ، ولهذا قال: " لقول رسول " ، ولم يقل ملك ، ولا نبي ، ولا ريب أن الرسول بلغه كما قال : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " (المائدة:٦٧)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموسم و يقول : " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) ، ولما أنزل الله : " الم غلبت الروم " (الروم:٢،١)، خرج أبو بكر الصديق ، فقرأها على الناس فقالوا : هذا كلامك أم كلام صاحبك؟ فقال: ليس بكلامي ، ولا كلام صاحبي ، ولكنه كلام الله ، وإن احتج بقوله "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" ، قيل له: هذه الآية حجة عليك فإنه لما قال : "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" علم أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث، لأن النكرة إذا وصفت مُيِّزَ بها بين الموصوف وغيره، كما لو قال: ما يأتيني من رجل مسلم إلا أكرمته، وما أكل إلا طعامًا حلالاً، ونحو ذلك، ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديدًا، فإن الله كان ينزل القرآن شيئًا =

﴿ذي قُوَّة﴾: شديد القوى ، ﴿عِندَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ﴾: ذى مكانة ، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾: في السماوات بين الملأ الأعلى ، فإنه من سادة الملائكة ، ﴿أَمِينٍ﴾ ، على الوحي والأمر ، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: محمد عليه السلام ، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ ، كما زعمتم، وهذا أيضًا من جواب القسم ، والكلام مسوق لحقيقة المترل، ليدل على صدق ما فيه من أهوال القيامة ، ووصف الآتي بالقول يؤيد ذلك ، ويشد عضده ، وأما وصف من أنزل عليه فلا مدخل(١) له في هذا الغرض الذي هو حقية القرآن، ولذا وصف جبريل، واكتفى في وصف محمد عليهما السلام بنفي الجنون المزعوم المنافي لأن يكون صاحبه ممن أنزل عليه، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: محمدٌ جبريلَ على صورته(*)، ﴿بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾: هو

= بعد شيء، فالمترل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المترل آخرًا ، وكلما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال : "كالعرجون القديم" (يس:٣٩)، وقال : " تالله إنك لفي ضلالك القديم " (يوسف:٩٥)، وقال : " إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم " (الأحقاف:١١)، وقال : " أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون " (الشعراء:٧٦)، وكذلك قوله : " جعلناه قرآنًا عربيًا " لم يقل جعلناه فقط حتى يظن أنه بمعنى خلقناه ، ولكن قال : " جعلناه قرآنًا عربيًا " (الزخرف:٣)، أي : صيرناه عربيًا لأنه قد كان قادرًا على أن يترله أعجميًا ، ونزله عربيًا فلما أنزله عربيًا، كأن قد جعله عربيًا دون عجمي ، وهذه المسألة في أصول أهل الإيمان والسنة التى فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم ، والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع، والله أعلم / ١٢ .

(١) هذا رد الزمخشري حيث قال : وناهيك بهذا دليلاً على مباينة مترلة جبريل علا بمترلة أفضل الإنس محمد عليه السلام، إذا وازنت بين الذكرين حين فرقت بينهما وقايست بين قول إنه لقول رسول الله ، وبين قوله : " وما صاحبكم بمجنون "/١٢ منه .

(*) أي رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على هيئته التي خلق عليها. والحديث في البخاري.

الأفق الأعلى من ناحية المشرق ، ﴿وَمَا هُوَ﴾: محمد ، ﴿عَلَى الغَيْبِ﴾: على كل ما اطلع عليه مما كان غائبًا عنه ، ﴿بِضَنِينٍ﴾: بمتهم ، ومن قرأ بالضاد فمعناه ليس ببخيل عليه ، بل يبذله لكل أحد ويعلمه ، ﴿وَمَا هُوَ﴾: القرآن ، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ ، فليس بشعر ، ولا كهانة وسحر ، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ ، هذا يقال لمن ضل الطريق، مثلت حالهم بحاله في عدولهم عنه إلى الباطل ، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾: عظة ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: لجميع الخلائق ، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ ، على الطريق الحق، بدل من العالمين فإن بالقرآن لم ينتفع إلا من أراد الاستقامة فكأنه لم يوعظ به غيره ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ ، الاستقامة ، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، ﴿رَبُّ العَالَمِينَ﴾: مالك الخلق، عن سفيان[1] الثوري : لما نزلت " لمن شاء منكم أن يستقيم " قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله : " وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين " .

---

(١) وهكذا روى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أبي هريرة / ١٢ .

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ
۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧
فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى
نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ[1]﴾: انشقت ، ﴿وَإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾: تساقطت ، ﴿وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾: فتح بعضها إلى بعض، فصارت بحرًا واحدً ، أو فتحت مجاريها فيذهب ماؤها فلا يبقي بحر ، ﴿وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب

---

(١) أخرج النسائي عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء فطول، (فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفتان أنت يا معاذ؟ أين أنت عن "سبح اسم ربك" ، "والضحى" ، "وإذا السماء انفطرت" وأصل الحديث في الصحيحين ولكن بدون ذكر "إذا السماء انفطرت" ، وقد تفرد بها النسائي / ١٢ فتح .[أخرجه النسائي في "تفسيره"]

تراها[1]، وبعث من فيها من الموتى أحياء ، ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ**[2] **وَأَخَّرَتْ**﴾، جواب إذا، ومعناه ما مر في سورة لا أقسم ، ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ ، أيّ شيء جرأك على عصيان من لطف بك حتى قابلت الطاعة بالمعاصى ، وما عرفت أن الكرم يقتضى عدم التسوية بين المطيع والعاصى ، عن ابن عباس وغيرهما: غره والله جهله ، ﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ**﴾: جعل أعضاءك سليمة مسواة ، ﴿**فَعَدَلَكَ**﴾: صيرك معتدلاً متناسبة الخلق ، وقراءة التخفيف إما بمعنى التشديد ، وإما بمعنى عدلك وصرفك عن صورة غيرك ، وخلقك خلقة حسنة لا كالبهائم ، ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾: ركبك في أي صورة شاء ، فما زائدة، في الحديث[3] (إن

---

(١) يقال : بعثر يبعثر بعثرة: إذا قلب التراب ، ويقال: بعثر المتاع: قلبه ظهراً لبطن ، وبعثرت الحوض وبحثرته: إذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله ، قال الرازي : المراد من هذه الآيات أنه إذا وقعت هذه الأشياء، التي هي أشراط الساعات فهناك يحصل الحشر والنشر، وهي هاهنا أربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات ، واثنان يتعلقان بالسفليات ، والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا، وانقطاع التكاليف، والسماء كالسقف ، والأرض كالبناء ، ومن أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف ، ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ، ثم بعد تخريب السماء والكواكب، يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار ، ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات ، وأشار إلى ذلك بقوله : " وإذا القبور بعثرت " ، ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال : " علمت نفس " الآية / ١٢ فتح .

(٢) أي : ما قدمت من عمل خيراً وشرًا، وأخرت من سنة حسنة ، أو سيئة، لأن لها أجر ما سنه من السنن الحسنة ، وأجر من عمل بها، كما في الحديث ، ولما أخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر ما يدل عقلاً على وقوعه فقال : " يا أيها الإنسان ما غرك " الآية/١٢ فتح .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ، والطبراني في أثناء حديث مطول/١٢ منه .

النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ، ثم قرأ "في أي صورة ما شاء ركبك") ، وعن عكرمة وغيره : إن شاء في صورة كلب ، أوخـــنزير ، لكـــن بلطف الله خلقه في شكل حسن ، ﴿كَلاَّ﴾ ، ردع عن الاغترار بالرب الكريم ، ﴿بَـلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ ، إضراب إلى بيان حقيقة ما هو السبب في الاغـــترار والديـــن: والجزاء ، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾: ملائكة كرامًا على الله يكتبـون الأعمال ، والأقوال ، وكرامًا صفة لحافظين ، ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ[1]﴾ ، فـالجزاء ثابت محقق ، وأنتم تكذّبون به ، ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، يعني: لأجل ذلك يكتبون ، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ، ﴿يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْـهَا بِغَائِبِينَ﴾: قط بعد دخولها ، بل هم مخلدون فيها ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُـمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ، فيه تعجيب وتعظيم لشأنه ، أي : لا يدرى كنهه أحد ، وإن تأمله مرات ، ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا يقدر أحد على نفع أحـد ، ولا على ضره ، وقراءة "يوم" بالرفع فعلى البدل من يوم الدين ، أو هو يوم لا تملك ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: وحده لا كما ملكهم في الدنيا بعض الأمور ظاهرًا .

---

(١) وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال : ما أشدها من آية على الغافلين / ١٢ فتح .

سورة التطفيف مختلف فيها

وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى
سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم
مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ
كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾
يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾
تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ
مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟
فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ

حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، التطفيف: البخس ، والنقص في الكيل والوزن ، وعن[1] ابن عباس: لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة كانوا من أخبث[2] الناس كيلاً ، فأنزل الله، فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: يكتالون حقوقهم من الناس ، ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يأخذونها وافية ، ولما كان اكتيالهم منهم أخذ حق عليهم عداه بعلى ، قال الفراء : من وعلي يعتقبان في هذا الموضع ، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ ، أي : كالوا هم ، ﴿أَو وَزَنُوهُمْ﴾ ، أي : لهم، فهو من باب حذف الجار وإيصال الفعل ، قيل: فيه حذف المضاف ، أي : كالوا مكيلهم وموزونهم ، ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون ، وهؤلاء كأن عادتهم في أخذ حقهم من الناس الكيل دون الميزان لتمكنهم الاكتيال من الاستيفاء والسرقة بتحريك المكيال ونحوه ليسعه ، وأما إذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعًا ، ولذا ما ذكر الوزن في الأول ، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ ، فإن الظن بالبعث رادع عن مثل تلك القبائح ، ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: لعظم[3] ما فيه ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ ، منصوب بأعني ، أو معوثون ، أو بدل من الجار والمجرور ، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لحكمه ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع عن الغفلة عن البعث ، وعن التطفيف ، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾: الذي فيه

---

(١) أخرجه ابن مردويه ، والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح/١٢ فتح .

(٢) وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدًا أو يدفع إلى غيره ناقصًا قليلاً/١٢ فتح .

(٣) يعني : وصف اليوم بالعظم لعظم ما فيه / ١٢ منه .

أعمالهم ، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾: هي أرض السابعة، السفلى[1] فيها الشياطين ، وأرواح الكفار ، وهي صخرة تحت الأرض السابعة أو بئر في جهنم ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ[2]﴾ ، لعظمه وغاية قباحته ، ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ، من المفسرين من جعله خبرًا ثانيًا لقوله : " إن كتاب الفجار " أو خبر محذوف ، أي : هو يعني كتاب الفجار كتاب مرقوم مسطور بَيّن مفروع عنه ، ومنهم من قال: السجين: كتاب جامع هو ديوان الشر فيه أعمال الأشرار ، وهو كتاب مرقوم ، وسمي الكتاب سجينًا الذي هو الحبس ، والتضييق، لأنه سبب الحبس في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش[3]، هو مسكن إبليس وجنوده استهانة ، وليشهده الشيطان ، وقيل: كتاب ، أي : موضع كتاب بحذف المضاف ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن الحد ، ﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في الحرمات ، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ﴾ ، من فرط الجهل والعناد ، ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ كَلاَّ﴾ ، ردع عن هذا القول ، ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ، أي : ليس الأمر كما يقوله من أن ذلك أساطير الأولين ، بل كثرة ارتكابهم الآثام، صارت سببًا لحصول الرين في قلوبهم ، ولهذا تفوه بهذه المقال ،

---

(١) هذا قول عبد الله بن عمر ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقد نقل فيه حديث ، والقول الثاني قول الكلبي ، ونقل عن مجاهد أيضاً ، والثالث نقل فيه حديث غريب منكر/١٢ منه .

(٢) عن الزجاج: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ، ولا قومك / ١٢ منه .

(٣) وهذا ظاهر القرآن لكن قول كثير من السلف ، وقد نقل فيه حديث لا بأس به أن السجّين اسم للأرض السابعة، أو لصخرة تحتها فيها الشياطين ، وأرواح الكفار، وعلى هذا توجيه القرآن أن قوله : "كتاب مرقوم" خبر ثان لقوله : "إن كتاب الفجار" ، وقوله: "وما أدراك ما سجين " معترضة بين الخبرين، أو تقديره : هو كتاب مرقوم ، ومرجع هو كتاب الفجار أو التقدير موضع كتاب مرقوم ، فحذف المضاف لعلم من يعلم معني السجّين به/ ١٢ وجيز .

وكذب به ، وفي الحديث[1] (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلوا قلبه ، وذاك الران الذي ذكره الله في القرآن "كلا بل ران") ، ولفظ الترمذي والنسائي ، وابن ماجة (إن العبد) بدل إن المؤمن ، وعن كثير من السلف: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت، والرين: الصدأ ، ﴿**كَلاَّ**﴾ ، ردع عن الكسب الراين ، ﴿**إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾: فلا يرونه ، أو عن رحمته وكرامته ، ﴿**ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ**﴾: ليدخلوها ، ﴿**ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ كَلاَّ**﴾ ، ردع عن التكذيب ، أو تكرير للأول ، ﴿**إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**﴾ ، عن كثير من السلف: هي السماء السابع ، وفيها أرواح المؤمنين ، أو لوح من زبرجد خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه ، أو قائمة العرش اليمنى ، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ**﴾ ، الكلام فيه ما مر في نظيره بعينه ، ﴿**يَشْهَدُهُ**[2] **الْمُقَرَّبُونَ**﴾: يحضره من كل سماء مقربوها ، ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿**عَلَى الأَرَائِكِ**﴾: على السرر في الحجال ، ﴿**يَنظُرُونَ**﴾: إلى ملكهم ونعيمهم ، أو إلى الله، أو إلى عدوهم كيف يعذبون ، ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾: بهجة التنعم ورونقه ، ﴿**يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ**[3]﴾: خمر خالص ، ﴿**مَّخْتُومٍ**﴾: يختم أوانيه إكرامًا لهم كعادة الملوك ، ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾: مقطعه[4] عن الفم ، وآخره مسك ، أو تختم[5] الأواني

---

(١) روى الحديث ابن جرير ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهذه العبارة التي نقلنا هي في مسند الإمام أحمد / ١٢ منه .

(٢) وهذا التفسير الإلهي يغني عن تفاسير الخلق / ١٢ فتح .

(٣) الرحيق من أسماء الخمر ، قاله ابن مسعود ، وغيره من السلف / ١٢ .

(٤) المقطع النهاية / ١٢ .

(٥) والحاصل أن المختوم ، والختام إما أن يكون من ختام الشيء وهو آخره، أو من ختم الشيء ، وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الأشياء بالطين ونحوه / ١٢ فتح .

بالمسك مكان الطين ، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ﴾: فليرتغب ، ﴿الْمُتَنَافِسُونَ[1]﴾: المرتغبون ، وفي الحديث المرفوع: (أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة ماء على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم) ، ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ ، أي : تمزج تلك الخمر للأبرار من تسنيم ، هو عين في الجنة ، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾: صرفًا ، وتمزج للأبرار ، ونصب عينًا على المدح ، أو الحال ، والكلام في بها كما مر في سورة " هل أتى على الإنسان" ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: كفار قريش ، ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾: يستهزءون بفقراء المؤمنين ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾: يشير بعضهم بعضًا بأعينهم استهزاء ، ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا﴾: رجعوا أي: هؤلاء المجرمون ، ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾: ملتذين بالسخرية ، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ ، نسب المجرمون المؤمنين إلى الضلال ، ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ ، قال الله تعالى : وما أرسل المجرمون ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المؤمنين ، ﴿حَافِظِينَ ﴾ ، لأعمالهم، شاهدين برشدهم وضلالهم ، ﴿فَالْيَوْمَ﴾ ، أي : القيامة ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ ، في مقابلة ما ضحكوا هم في الدنيا ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ ، إليهم في النار ، أو إلى الله، حال من يضحكون، ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ﴾: هل جوزوا ، ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، من السخرية ، وغيرها.

والحمد لله وحده .

---

(١) وأصل التنافس: التشاجر على الشيء ، والتنازع فيه، بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه، يقال : نفست الشيء عليه نفاسة ، أي : ضننت به ، ولم أحب أن يصير إليه ، قال البغوي : أصله من الشيء النفيس، الذي تحرص عليه نفوس الناس، فيريده كل واحد لنفسه ، وينفس به على غيره أي : يضن به / ١٢ فتح .

سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ
مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ
أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾
فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ
مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ
بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا
ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا
قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، عن علي رضي الله عنه (تنشق من المجرة[١])، **﴿وَأَذِنَتْ**

---

(١) المجرة: منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة، لا يميزها البصر، فيراها كبقعة بيضاء يقال لها بالفارسية كبكشاي.

﴿لِرَبِّهَا﴾: سمعت[1] له في أمره بالانشقاق، وأطاعت وانقادت ، **﴿وَحُقَّتْ﴾** ، وهـي حقيقة بأن تستمع وتنقاد ، **﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾**: مد الأديم ، وبسطت فلم يبق فيها جبال ، وبناء ، **﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾**: ما في بطنها من الأموات والكنوز ، **﴿وَتَخَلَّتْ﴾**: بلغ جهده في الخلو، حتى لا يبقى في باطنها شيء ، **﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾** ، تكرار للأول ، أو أذنت في الإلقاء والتخلية ، وجواب إذا محذوف، يدل عليه ما بعده ، **﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾** ، أي : جاهد بالعمل إليه ساعٍ فملاقٍ لربك فيجازيك ، أو فملاق لكدحك ويصل إليك جزاؤه ، **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾** ، أي : سهلاً بلا تعسير ، وفي الصحيحين عن عائشة: قال عليه السلام: (من نوقش الحساب عذب) ، قالت : فقلت أليس الله يقول : " فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا"؟ ، قال : ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) وفي غيرهما عنها قالت : قال عليه السلام : (إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبًا ، فقلت) الحديث ، إلخ ، **﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾**: في الجنة من الحور ، والآدميات ، **﴿مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ[2] ظَهْرِهِ﴾** ، يثنى شماله إلى ورائه ، ويعطى كتابه بها ، **﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾**: هلاكًا يقول : يا ثبوراه ، **﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾**:

---

(١) إنها أطاعته في الانشقاق ، ولم تأب ، ولم تمتنع مشتق من الأذن وهو الاستماع للشيء، والإصغاء إليه، وحق لها أن تطيع ، وتنقاد ، وتسمع ، وقد استعمل الأذن في الاستماع في أشعار العرب وفي الحديث (ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن) قال الشاعر :

صم إذ سمعوا خيرًا ذكرت بـ وإن ذكرت بسوء عندهم أذن

(٢) نقل أنه تغل يداه إلى عنقه ، ويجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله وراء ظهره/١٢ منه .

يدخل النار ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾: في الدنيا ، ﴿مَسْرُورًا﴾ ، باتباع هواه ، وبدنياه ليس له هم الآخرة ، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: لن يرجع إلى الله ، ﴿بَلَى﴾: يرجع إلى الله ، ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾: عالمًا بأعماله ، فيعيده ويجازيه ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ[1]﴾: الحمرة بعد الغروب ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: البياض الذي يلي الحمرة ، وعن مجاهد: النهار كله ، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع ، وضم من دابة وغيرها ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: استوى وتم بدرًا ، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة بعد الموت ، أو حالاً بعد حال من مثل الصغر والكبر ، والهرم ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، أو لتركبن ما طابق سنن من كان قبلكم ، وفي الحديث (لتركبن سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) ، والظاهر أن "لتركبن" بالضم على خطاب الجنس ، فإن النداء له ، وبالفتح على خطاب الإنسان في " يا أيها الإنسان " باعتبار اللفظ ، وعن بعض[2] من السلف: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ، أي : ليلة المعراج ، أو درجة بعد درجة في الرتبة ، وكان منشأ هذا قول ابن عباس كما بيناه في

---

(١) والشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة، قال الواحدي : هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعًا ، قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق ، وكان أحمر ، وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء ، وقال أسد بن عمرو وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه: إنه البياض ، ولا وجه لهذا القول ، ولا متمسَّك له، لا من لغة العرب، ولا من الشرع ، قال في الصحاح: الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب العتمة ، وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا / ١٢ فتح .

(٢) هو الشعبي ، وروى عن ابن مسعود ، ومسروق ، وأبي العالية / ١٢ منه .

الحاشية[1] ، و"عن طبق" صفة ل"لطبقًا" ، أي : طبقًا مجاوز الطبق ، أو حال من ضمير تركبن، أي مجاوزين لطبق ، **﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾**: بالقيامة ، **﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ ﴾**: إعظامًا[2] وإكرامًا ، **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾**: بـه، مكان السجود والخضوع ، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾**: بما يضمرون في أنفسهم ، **﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** ، الاستثناء منقطع، وقيل متصل ، أي : إلا من تاب وآمن منهم ، **﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾**: غير مقطوع ، أو منقوص ، ولله المنة[3] على أهل الجنة في كل حال دائمًا سرمدًا .

والحمد لله حق حمده ، والصلاة على نبيه

---

(١) في البخاري عن ابن عباس: (لتركبن طبقًا عن طبق)، حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم، وعن ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه: (لتركبن طبقًا عن طبق) ، قال : يعني نبيكم حالاً بعد حال هذا لفظه ، ثم اعلم أن هذه العبارة يحتمل أن مراده أن هذا التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون قول (نبيكم) مرفوعًا على أنه فاعل ، قال : وهو الأظهر ، ويحتمل أن يكون مراده أن النبي عليه السلام ليركبن حالاً بعد حال فيكون رفع نبيكم بخبرية هذا ، هذا هو المتبادر إلى كثير من الرواة/١٢ منه .

(٢) إعظامًا وإكرامًا للقرآن ، أي :لا يتواضعون، تعجَّب من انتفاء إيماهم، وقد وضحت الدلائل/١٢ .

(٣) هذا رد لمن قال : معناه غير ممنون عليهم كما فسره القاضي أيضًا / ١٢ منه .

سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣
قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦
وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟
بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو
ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم
مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ[1]﴾: النجوم العظام ، أو هي البروج الاثني عشر ، أو

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق) أخرجه أحمد، وعن جابر بن سمرة:=

البروج التي فيها الحرس ، ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: القيامة ، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ ، اختلفوا فيه ، والحديث المرسل والضعيف على أنها يوم جمعة ، وعرفة ، وعليه كثير من السلف ، أو الشاهد محمد ، والمشهود: القيامة ، أو الجمعة ، أو الله، أوهما ابن آدم ، والقيامة ، أو ابن آدم ، والجمعة ، أو عرفة ، والقيامة ، أو يوم الذبح وعرفة ، أو الله والخلف، أو عكسه، أو أعضاء بني آدم وبنو آدم، والجمعة والنحر، أو آدم والقيامة، أو الملك والقيامة، أو الملك وبنو آدم، أو هذه الأمة وسائر الأمم، أو الله والقيامة ، ﴿قُتِلَ﴾: لعن ، ﴿أَصْحَابُ[1] الْأُخْدُودِ﴾ ، الأظهر أن جواب القسم محذوف ،

= (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق ، والسماء ذات البروج) أخرجه أحمد والدارمي، وأبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي وغيرهم / ١٢ فتح .

(١) أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم والترمذي، والنسائي، والطبراني عن صهيب (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال له ذلك الكاهن: انظروا لي غلامًا فهمًا -أو قال: فطنًا لقنا- فأعلمه علمي، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه، قال: فنظروا له على ما وصف، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن، وأن يختلف إليه، فجعل الغلام يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة، فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال إنما أعبد الله، فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطئ على الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام: إنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك: أين كنت؟ فقل: عند أهلي، وإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ فأخبرهم: إني كنت عند الكاهن، فبينما الغلام على ذلك، إذ مر بجماعة من الناس كثير، قد حبستهم دابة، يقال: إنها كانت أسدًا، فأخذ الغلام حجرًا فقال: اللهم إن كان ما يقول ذلك الراهب حقًا فأسألك أن أقتل هذه الدابة، وإن كان ما يقول الكاهن حقًا فأسألك أن لا أقتلها، ثم رمى، فقتل الدابة فقال الناس: من قتلها ؟ قالوا: الغلام، ففزع الناس إليه، وقالوا: قد علم هذا الغلام علمًا =

وهذا دليله كأنه قال : إنهم ، أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود ، وقيل: تقديره لقد قتل[1] أصحاب الأخدود ، وهو جواب القسم ، والأخدود: الشق

= لم يعلمه أحد، فسمع أعمى فجاءه فقال له : إن أنت رددت علي بصري فلك كذا وكذا ، فقال الغلام : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك ؟ قال : نعم ، فدعا الله فرد عليه بصره ، فآمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم ، فبعث إليهم، فأتي بهم، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إل ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويتردون حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع الغلام، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر ، فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر، فأغرق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك: إنك لن تقتلني حتى تصلبني ، وترميني ، وتقول إذا رميتني : بسم الله رب الغلام ، فأمر به فصلب ، ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام ، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ، ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علمًا ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب هذا الغلام ، فقيل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك، قال : فخد أخدودًا ثم ألقى فيها الحطب والنار ، ثم جمع الناس، فقال : من رجع عن دينه تركناه ،، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار ، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود، فقال : يقول الله : " قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود " حتى بلغ " العزيز الحميد " فأما الغلام فإنه دفن ، ثم أخرج فيذكر أنه خرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه، كما وضع حين قتل ، ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف، وقد رواها مسلم في أواخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب / ١٢ فتح .

(١) والجواب يشير إلى أن من فعل مثل فعلهم من أذى المسلمين، ليفتنوهم عن دينهم ملعونون مطرودون، فإنهم آذوا بعض المؤمنين لأن آمنوا / ١٢ وجيز .

في الأرض ، واختلف فيهم، لكن اتفقت كلمتهم على أن بعض الكفرة عمدوا إلى بعض المؤمنين عشرين ألفًا أو أقل أو أكثر، من أهل فارس ، أو اليمن ، أو الحبشة أو نجران أو الشام ، وقهروهم أن يرجعوا إلى الكفر فأبوا، فحفروا لهم في الأرض أخاديد، وأججوا فيها نيرانًا ، وأوعدوهم عليها فلم يقبلوا الكفر فقذفوهم فيها لعنهم الله ، ورحمهم الله(*) ، ﴿النَّارِ﴾ ، بدل اشتمال من الأخدود ، ﴿ذَاتِ الوَقُودِ ﴾ ، صفة تبين عظمتها ، أي : لها كثرة ما يرتفع به لهبها ، ﴿إِذْ هُمْ﴾: الكفار ، ﴿عَلَيْهَا﴾: على حافة النار ، ﴿قُعُودٌ ﴾ ، يعذبون المؤمنين ، ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾: مشاهدون لهذا التعذيب الأليم ، أو يشهد بعضهم لبعض عند أميرهم وملكهم بأنه لم يقصر فيما أمر به ، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: ما عابوا ، وما كرهوا ، ﴿مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ ، ما هو حقيق بأن يكون سببًا للثناء ، والألفة جعلوه سببًا للعيب والكراهة ، ﴿العَزِيزِ الحَمِيدِ(١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ، وصفه بصفات توجب الإيمان به وحده ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ، بالإحراق ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا(٢)﴾ ، لم يندموا عما

(*) أي : لعن الله القاذف ، ورحم المقذوف في النار من هؤلاء القوم (أصحاب الأخدود) .

(١) وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما في قوله :

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلوا عن الأهل والأوطان والحشم

وقول الآخر :

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عناق الطير شكلاً عيونها

وقول الآخر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

١٢/فتح .

(٢) عن الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة / ١٢ .

أسلفوا ، ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ، لكفرهم ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ﴾ ، العذاب الزائد في الإحراق بما أحرقوا المؤمنين ، وعن بعض[1] لهم عذاب الحريق في الدنيا ، وذلك لأن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم[2] ، أو المراد الذين بلوهم بالأذى على العموم لا أن المراد أصحاب الأخدود خاصة للفاتنين عذابان لكفرهم ، ولفتنتهم ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ﴾ ، المراد منهم المطروحون في الأخاديد ، أو أعم ، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ ، أخذه بالعنف لأعدائه ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ ، مضاعف ، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ ، الخلق، ﴿وَيُعِيدُ﴾ ، بعد الموت ، ﴿وَهُوَ الغَفُورُ﴾ ، للمؤمنين ، ﴿الوَدُودُ﴾ ، المحب لهم ، ﴿ذُو العَرْشِ﴾، مالكه ، ﴿المَجِيدُ﴾ ، العظيم في الذات ، والصفات ، وقراءة الكسر على صفة العرش فمعناه علوه وسعته ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ[3]﴾ ، لا يزاحمه أحد ، ولا شيء ، ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ ، يا محمد ، ﴿حَدِيثُ الجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ، هما بدل من الجنود ، والمراد من فرعون هو وقومه ، وهذا تقرير لقوله : "إن بطش ربك لشديد"، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قومك يا محمد ، ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ ، للقرآن ، ولك أيُّ تكذيب ، فلا يعتبرون بسماع قصة من قبلهم ، ومعنى (بل) الإضراب عن الأمر بالإسماع ، والتذكير، كأنه قال: ذكّر قومك بشدة بطش ربك ، وأسمعهم حكاية فرعون و ثمود لعلهم يتعظوا به ، بل هم في تكذيب عظيم لا يمكن لهم الارتداع ، والاتعاظ ، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾: لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ، ﴿بَلْ هُوَ﴾: بل هذا الذي كذبوا به ، ﴿قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾: عظيم في اللفظ والمعنى ، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ،

---

(١) هو ربيع بن أنس والكلبي / ١٢ منه .

(٢) حكاه جمع من السلف / ١٢ وجيز .

(٣) لما هدد قريشًا بأصحاب الأخدود، هددهم ثانيًا بفرعون ، وقومه فقال : (هل أتاك) الآية / ١٢ وجيز .

بالرفع صفة القرآن ، أي : محفوظ من الزيادة ، والنقصان ، وبالجر صفة اللوح ، وعن أنس بن مالك وغيره: إن هذا اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل ، وعن مقاتل : هو عن يمين العرش ، وفي الطبراني ، قال عليه السلام: (إن الله قد خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء وصفحاتها من ياقوت حمراء قلمه نور ، وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ، ويميت ، ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء"[*].

(*) أخرجه الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنه- كما في "ابن كثير" (٤/٤٩٧) و"الدر المنثور" (٦/٥٥٨).

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن
كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن
مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ
۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ
ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ
بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ
ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: الكوكب ، وسماه طارقًا لأنه يظهر في الليل ، فالطارق: الآتي ليلاً **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾**: المضيء ، أو الذي يثقب الشياطين إذا أرسل إليها ، والمراد الجنس ، وقيل: الثريا ، أو زحل عبر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بعدما عظّم شأنه تعظيمًا على تعظيم **﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾**: ما كل نفس إلا عليها حافظ يحفظ عملها ، أو يحفظها من الآفات ، وقراءة "لما" بالتخفيف ، فتقديره: إن الشأن كل نفس لعليها ، فما صلة ، وهو جواب القسم على الوجهين **﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾**: يتفكر في مبدأ خلقه ليعترف بصحة الإعادة، فلا يعمل ما يضره في عاقبته، لأن عليه حافظًا يحفظ أعماله ، أو لما لطف عليه بأن وكّل عليه حافظًا يحفظه من الآفات ، فليتأمل هو في مبدأ خلقه ليعترف بإعادته ، فلا يكون منكرًا لقول ربه ، ولما أرسل لأجله المرسلين **﴿خُلِقَ﴾**

جواب الاستفهام ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ[1] ﴾: ذى دفق كتامرٍ ولابنٍ، أو مدفوق: مصبوب، وهو الممتزج من ماء الرجل والمرأة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾: صلب الرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ ﴾: ترائب المرأة، وهي عظام صدرها ﴿إِنَّهُ[2] عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي : إن الله الذي خلق الإنسان من ماء كذا، القادر على رجعه ، وإعادته بعد موته. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾: تتميز ، وتتعرف ما أُسِرَّ في القلوب من العقائد ، وما أُخْفِي من الأعمال، ظرف لرجعه ، والفاصل غير أجنبي ، لأنه عامل، أو تفسير للعامل على المذهبين ، أو معناه : إن الله لقادر على رجع الماء إلى مخرجه[3] ، ثم قال اذكر يوم تبلى السرائر ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ[4]﴾: يمنعه عن عقاب أراده الله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ[5]﴾: المطر ، سماه به ، لأنه يرجع حينًا فحينًا ، قيل: وصف السماء بالرجع لأنه يرجع في كل دورة إلى ما كان يتحرك منه ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: الشق بالنبات ، والعيون ﴿إِنَّهُ﴾ أي : القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: فاصل بين الحق والباطل

---

(١) والدفق : دفع الماء بعضه بعضًا ، فصح أن الماء دافق بعضه ، ومدفوق بعضه، الممتزج من مني الرجل ، والمرأة ، ولذا لم يقل من ماءين، لاتحادهما بعد المزج في الرحم/١٢ وجيز .

(٢) الضمير للخالق الدال عليه خُلِقَ / ١٢ وجيز .

(٣) وعليه كثير من السلف / ١٢ وجيز .

(٤) أي : ما للإنسان من قوة من جانب نفسه ، ولا ناصر من جانب غيره، يدفع عقاب الله إن أراده، لما أقسم على أن لكل نفس حافظ لأعماله ، ورتب عليها إثبات البعث، أعقبه بإقسام على إثبات حقية القرآن الناطق بالبعث ، فقال : " والسماء ذات الرجع " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) قيل: العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض/١٢ منه .

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾: فإنه جد وحق كله ﴿إِنَّهُمْ﴾ أهل مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْـدًا ﴾ في إطفاء نور القرآن ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أقابلهم بما يشبه الكيد في استدراجي لهم ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾: فلا تستعجل بإهلاكهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾: إمهالاً يسيرًا، كرر وخالف بين الفعلين[1] لزيادة التسكين، والتصبير.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) يعني: مهل وأمهل ، وإنما دلت المخالفة على الزيادة من الإشعار بالتغاير، فهو أوكـد من مجرد التكرار، كما قالوا في حديث: بكّر وابتكر / ١٢ وجيز .

سورة الأعلى مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ
فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥
سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن
يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ
فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

﴿**سَبِّحِ اسْمَ**(١) **رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ أي : نزه ذاته الذي هو أعلى من أن يقاس بغيره فالاسم مقحم ، والأعلى صفة لربك، أو نزه أسماءه عمَّالاً يصح فيه من المعاني ،

---

(١) نزه ذاته الذي هو أعلى من أن يقاس بغيره، فالاسم مقحم للتعظيم ، ولما نزل قال صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم) كما رواه أبو داود وابن ماجه والدارمي ، فجعل فيه سبحان ربي الأعلى بترك لفظ الاسم في سجودهم فالحديث دال على إقحامه / ١٢ وجيز . [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن ماجه"]

والأعلى إما صفة للاسم ، أو للرب ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّى﴾: خلقه ، ولم يأت به متفاوتًا غير ملتئم ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ[1]﴾: الأشياء على وجه معين ﴿فَهَدَى﴾: فوجهها إليه ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ﴾ من الأرض ﴿الْمَرْعَى﴾: ما يرعاه الدواب ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد خضرته ﴿غُثَاءً﴾: يابسًا ﴿أَحْوَى[2]﴾ أسود ، وقيل: أحوى حال من المرعى ، أي : من شدة الخضرة أسود ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ على لسان جبريل ، أو سنجعلك قارئًا ﴿فَلَا تَنسَى﴾ فهذا وعد من الله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ نسيانه بأن نسخ[3] تلاوته ، أو إلا ما شاء الله لكن لم يشأ، وعن مجاهد وغيره، كان عليه السلام يستعجل بالقراءة قبل إتمام قراءة جبريل مخافة النسيان ، فنزل هذا الوعد فلم ينس بعد ذلك شيئًا ، وقيل: نفي بمعنى النهي ، أو نهي ، والألف للفاصلة نحو : السبيلا، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾: ما ظهر من الأحوال وما بطن ، فلا يفعل إلا ما فيه الحكمة البالغة ، ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ ، عطف على سنقرئك ، أي : نُعدّلك ﴿لِلْيُسْرَى﴾: للشريعة اليسرى السمحة ، أو نسهل عليك أفعال الخير ، وقيل: معناه إنه يعلم الجهر مما تقرأه بعد فراغ جبريل ، وما يخفى مما تقرأه في نفسك معه مخافة النسيان ، ثم وعده وقال ، نيسرك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى[4]﴾: عظ بالقرآن إن

---

(١) أي : قدر لكل شيء ما يصلحه فهداه إليه ، وعرفه وجه الانتفاع / ١٢ منه .

(٢) أي : أسود حال من المرعى، أخر لكونه في فاصلة لأن النبات في حال اليبس يصير أصفر لا أسود ، ولما أمره بالتسبيح لمن رباه، أعقبه بما هو عين تربية الرسول في رسالته فقال : " سنقرئك " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) وعلى هذا النفي بمعناه المتبادر لا أنه بمعنى النهي / ١٢ وجيز .

(٤) أي : ذكر بالقرآن، إن رأيت أن التذكير نافع ، وهذا القيد والشرط لتوبيخ قريش وتقريعهم ومعناه استبعاد انتفاعهم به .

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

وجيز .

نفعت التذكير، قال علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وحاصله إن كنت جربت أن الموعظة لا تنفع فلا تتعب نفسك ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: يتعظ ، وينتفع بها ﴿مَن يَخْشَى﴾: الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ، أي : الذكرى ، ويتباعد عنها ﴿الأَشْقَى ﴾ من الكفرة لتوغله في الكفر والعناد ، أو المراد من الأشقى الكافر في علم الله ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى ﴾: نار جهنم، فإنها أشد حرًّا من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلاَ يَحْيَى[1] ﴾: حياة يجد منها روح الحياة، فهذا للكافر ، وأما المذنب ففي صحيح مسلم وغيره (إن أناسًا دخلوا النار بخطاياهم يموتون في النار ، فيصيرون فحمًا ، ثم يخرجون فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم منها ، فينبتون كالحبة في حميل السيل) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾: تطهر نفسه من الكفر والمعصية ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّى ﴾: الصلوات الخمس نحو : " أقم الصلوة لذكري " (طه:١٤)، وعن كثير من السلف المراد من أعطى صدقة الفطر[2] فصلى العيد ، وعلى هذا يكون النزول سابقًا على الحكم ، لأن السورة مكية ، و لم يكن بمكة عيد ولا فطر كما قالوا في قوله : " وأنت حل بهذا البلد"(البلد:٢) كما سيجيء ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾: تختارون ﴿الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ عن ابن مسعود قال : حين وصل إلى هذه الآية ، آثرناها لأنا رأينا زينتها ، ونساءها ، وطعامها ، وشرابها ، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل ، وجاز أن يكون

---

(١) يعني: حياة يجد منها روحًا ، وسنذكر أن الصّلى لا يكون إلا للكافر ، وأما المؤمن الذي يدخل النار، مدة أرادها الله لتطهيره فيموتون في النار ، ويصير كالجمرة فلا يجدون ألم النار ، ثم يلقون على نهر من الجنة فينبتون كالحبة من حميل السيل ، كما في صحيح مسلم وغيره ، وأما الموت الذي فيها فهو موت حقيقي أو غشي يعدم إحساس العذاب، فيه خلاف / ١٢ وجيز .

(٢) هو المنقول عن علي وعمر بن عبد العزيز وأبي الأحوص / ١٢ منه .

الخطاب للأشْقَيْنَ على الالتفات ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا﴾ عن كثير من السلف : الإشارة إلى أربع آيات متقدمة من قوله : " قد أفلح من تزكى " ، وعن بعض منهم : الإشارة إلى جميع السورة ﴿لَفِي الصُّحُفِ[1] الأُولَى﴾: الكتب السماوية المتقدمة ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ بدل من الصحف الأولى ، وفي مسند الإمام أحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة.

الحمد لله رب العالمين .

---

(١) لم تنسخ في شرع من الشرائع، هذا كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن من كلام النبوة الأولى، (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)" / ١٢ وجيز .

سورة الغاشية(١) مكية

وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (٥) لَّيْسَ
لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ
(٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ
إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)﴾

---

(١) أخرج أحمد ، ومسلم ، وأهل السلف عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ، وفي الجمعة سبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا ، وفي لفظ (وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما) / ١٢ فتح .

﴿هَلْ[1] أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: القيامة، لأنها تغشى الناس بشدائدها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة ﴿عَامِلَةٌ﴾: في النار، كالصعود والهبوط مع جر السلاسل فيها ﴿نَّاصِبَةٌ﴾: تتعب في ذلك العمل، أو عملت وتعبت في أعمالٍ في الدنيا لا تنفع في الآخرة على غير طريقة السنة[2] أو عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها، فهي في نصب منها في الآخرة ﴿تَصْلَى﴾: تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾: متناهية في الحر ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: انتهى غليانها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾: هو اليابس من الشِّبْرِق، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا فإذا يبس صار سمًّا قاتلاً، ويكون الضريع طعام هؤلاء، والزقوم وغيره[3] طعام غيرهم، أو في بعض الأحوال ليس طعام الكل إلا هذا ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ وفائدة الطعام أحد الأمرين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: ذات بهجة ﴿لِسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ[4]﴾ في الآخرة، لما رأت ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: المحل، أو القدر ﴿لاَ تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب، أو الوجوه ﴿فِيهَا لاغِيَةً﴾: لغوًا، أو كلمة ذات لغو ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ التنكير للتعظيم ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: رفيعة السمك إذا أراد أن[5] يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترفع ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الكوب: إناء لا عروة له ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم ﴿وَنَمَارِقُ[6]﴾: وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بعضها بجنب بعض ﴿وَزَرَابِيُّ[7]﴾: بسط

(١) وفي هذا الاستفهام تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر / ١٢ .

(٢) هذا قول عكرمة، والسدي / ١٢ منه .

(٣) فلا مخالفة بين هذه الآية، وبين قوله : " ولا طعام إلا من غسلين " (الحاقة:٣٦)/ ١٢ منه.

(٤) في الآخرة تقابلها "عاملة ناصبة" على التفسير الثاني وهذا يؤيده، والمفسرون غفلوا عنه/١٢ وجيز .

(٥) هكذا قال كثير من السلف / ١٢ منه .

(٦) ففي أي : مكان يريد يمكن الاستناد، والاتكاء من غير احتياج إلى نقل الوسائد/١٢ وجيز.

(٧) مبسوطة مهيأة للجلوس عليها لا تبلى، ولا تغير، ولما وصف الجنة بما وصف بعد أن ذم جهنم، ذكر للمكذبين صنعه ليستدلوا به، فقال: "أفلا ينظرون إلى الإبل" الآية/١٢ وجيز .

فاخرة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لما كذب الكفار عجائب الجنة التي ذكرها الله في تلك السورة ، فذكرهم الله صنعه ، والإبل أغرب حيوان وأنفعه عند العرب ، ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عمد ﴿وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: راسخة لا تميل لئلا تميد الأرض بأهلها ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ[1]﴾: بسطت، نبه العرب في بواديهم بما يشاهد من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسماء الذي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على كمال قدرة خالقه ، فلا تنكر الجنة ونعيمها ، والبعث وأهوالها ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ما عليك إلا البلاغ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾: بمتسلط فتكرههم على الإيمان ﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾: لكن من تولى وكفر ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ﴾: عذاب جهنم ، أو الاستثناء متصل أي : فذكرهم إلا من انقطع طمعك من إيمانه نحو : " فذكر إن نفعت الذكرى " (الأعلى:٩)، وقيل: لست بمتسلط عليهم إلا على من تولى ، فإن جهادهم وقتلهم تسلط ، وعلى هذا يكون وعدًا برخصة القتال ، فإن السورة مكية ، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا[2] حِسَابَهُمْ﴾ ، في المحشر ، وتقديم الخبر للتخصيص والتشديد في الوعيد.

والحمد لله المجيد الفعال لما يريد

---

(١) ولما حضهم على النظر أمر بالتذكير فقال : " فذكر " لا يَهْتَمَّنَّكَ كونهم لا ينظرون "إنما أنت مذكر" / ١٢ وجيز .

(٢) ولفظ "علينا" دال على تحتم الحساب / ١٢ وجيز .

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ
ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟
ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾
فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ
رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ
﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ
﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾
كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ
﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ

إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم سبحانه بالصبح ، أو بصبح يوم[1] النحر ، أو بصلاة الفجر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي[2] الحجة ، أو العشر الأول من المحرم ، أو من رمضان ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ يوم النحر شفع لأنه عاشر ، ويوم عرفة وتر لأنه تاسع ، أو اليومان من أيام التشريق ، والوتر اليوم الثالث ، أو الصلاة المكتوبة منها شفع ، ومنها وتر، أو الخلق والله ، والقول[3] فيهما أكثر لكن الذي أوردناه ما اتفق عليه أكثر السلف والثلاث الأول منقول بالحديث أيضًا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إذا يمضي ، أو إذا يُسْرَى فيه كقولهم صلَّى المقامُ ، والمراد ليلة المزدلفة، أو مطلق الليالي ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾: المقسم به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾: مقسم به ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾: عقل ،

(١) هذا هو الذي عليه كلام أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) وقد ورد في فضل هذه العشر أحاديث ، وليس فيها ما يدل على أنها المرادة بما في القرآن هنا بوجه من الوجوه / ١٢ فتح .

(٣) وفي الفتح بعد نقل الأقوال الكثيرة ، ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين ، والضعف الظاهر ، والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطئ ، والذي ينبغي التعويل عليه ، ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب ، وهما معروفان واضحان ، فالشفع عند العرب: الزوج ، والوتر : الفرد ، فالمراد بالآية إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه من المعدودات، بأنه شفع أو وتر ، وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية ، فإن كان الدليل يدل على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك ، وإن كان الدليل يدل على أنه مما دلته هذه الآية، لم يكن ذلك مانعًا من تناولها لغيره ، ولم يجزم ابن جرير بشيء من الأقوال في الشفع والوتر / ١٢ .

فالاستفهام للدلالة على استحقاقها، لأن يعظم بالإقسام بها فيدل على تعظيم المقسم عليه ، وتأكيده من طريق الكناية ، أو في ذلك القسم قسم له، فللدلالة على أن ذوى العقول يؤكدون بمثله المقسم، فيدل على تأكيد القسم عليه أيضًا ، وجواب القسم محذوف نحو : ليعذبن إن لم يؤمنوا، ويدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ أي : عاد الأولى ، يعني أولاده سموا باسم أبيهم ، وهم الذين بعث الله فيهم هوداً فكذبوه، وأهلكهم "بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال" الآية (الحاقة:٦،٧) ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد على حذف مضاف ، أي : سبط إرم ، فإنهم أولاد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح ، أو عاد بن عوص بن إرم ، أو اسم بلدهم ، أي : عاد أهل إرم علم قبيلة أو بلدة فلم ينصرف ﴿ذَاتِ العِمَادِ ﴾ هم سكان بيوت الشعر التي ترتفع بالأعمدة ، أو طوال الأجسام على تشبيه قدهم بالأعمدة ، أو أبنية بنوها ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلادِ[1]﴾: مثل تلك القبيلة

---

(١) وقد ذكر جماعة من المفسرين، أن إرم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ، ودورها ، وبساتينها ، وأن حصباءها جواهر ، وترابها مسك ، وليس بها أنيس ، ولا فيها ساكن من بني آدم ، وأنها لا تزال تنتقل من موضع إلى موضع تارة تكون باليمن ، وتارة تكون بالشام ، وتارة تكون بالعراق ، وتارة تكون بسائر البلاد، وهذا كذب بحت لا ينفق على من له أدنى تمييز ، وزاد الثعلبي في تفسيره فقال : إن عبد الله بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة ، وهذا كذب على كذب ، وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء ، وفاقرة عظمى ، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجرءون على الكذب تارة على بني إسرائيل ، وتارة على الأنبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على رب العالمين ، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها ، بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة
=

للقوة وعظم التركيب ، وفي الحديث[1] (كان الرجل منهم يأتى على الصخرة ، فيلقيها على الحى -أي :القبيلة- فيهلكهم) ، وقيل: لم يخلق مثل أبنيتهم ، وأما حكاية جنة شداد بن عاد المشهورة المذكورة في أكثر التفاسير فعند المحققين من السلف والمؤرخين أنها من مخترعات[2] بني إسرائيل ، ولا اعتبار له **﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾**: قطعوا **﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾**: وادي القرى كما قال تعالى : " وتنحتون من الجبال بيوتًا " الآية (الشعراء:١٤٩) **﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾**: ذي الجنود الكثيرة ، أو لأنه يعذب بالأوتاد ، أو له جبال وأوتاد يلعب بها عنده **﴿الَّذِينَ﴾** صفة للمذكورين **﴿طَغَوْا فِي البِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾** الإضافة بمعنى من ، أي : سوطًا من المعذب به ، أي : نصيبًا أو شدة عذاب، فإن السوط عندهم غاية الإهانة **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ[3] ﴾** هو مكان يترقب فيه الرصد، وهذا تمثيل لإرصاده العباد بالجزاء ، وأنهم لا يفوتونه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرصد خلقه فيما يعملون، قيل: هو جواب القسم ، وما بينهما اعتراض **﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ﴾** هو كالمبين لقوله : "إن ربك لبالمرصاد" لأنه لما ذكر أنه تعالى يرصد خلقه في أعمالهم يعد بعض ذمائمهم[*] **﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾** أي : امتحنه بالنعمة **﴿فَأَكْرَمَهُ﴾** بالمال

= والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا / ١٢ فتح .

(١) ذكره ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : لا تغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العماد ، فإن ذلك كله من خرافات الإسرائيليين من وضع الزنادقة، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ، فهذا وأمثاله مختلق لا حقيقة له / ١٢ .

(٣) عن مقاتل بن سليمان قال : أقسم الله : " إن ربك لبالمرصاد " يعني: الصراط/١٢ .

(*) وفي النسخة (ن): أعمالهم.

﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بالسعة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ دخول الفاء في خبر المبتدأ ، لما في (أما) من معنى الشرط ، وإذا ظرف ليقول أي : أما الإنسان فيقول وقت ابتلائه بالغنى : ربي أكرمن ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ﴾: اختبره بالفقر ﴿فَقَدَرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ أي : وأما هو فيقول وقت ابتلائه بالفقر : ربي أهانني ﴿كَلاَّ﴾ ردع عن القطع بأن الغنى إكرام والفقر إهانة ، فكثيرًا ما يكون بالعكس ﴿بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ أي : بل فعلهم أقبح من قولهم ﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ﴾: يحثون أهلهم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ أي : على إطعامه ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴾: ذا لَمٍّ ، أي : جمع بين الحلال والحرام ، فإنهم لا يورثون النساء والصبيان ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾: كثيرًا مع الحرص ﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عن ذينك وإنكار ثم أتى بالوعيد فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ ، أي : دكا بعد دكة حتى سويت الأرض والجبال ، فلم يبق تلال ولا وهاد، ظرف ليتذكر الإنسان ﴿وَجَاءَ[1] رَبُّكَ﴾: لفصل

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه في شرح حديث النزول: قال الشيخ أبو عثمان : ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب، كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف ، بل يثبتون ما أثبته رسول الله وينتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله تعالى : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام " (البقرة: ٢١٠)، وقوله عز وجل : " وجاء ربك والملك صفا صفا " ثم ذكر بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا" كيف ينزل ؟ قال : قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف، ينزل بلا كيف، ثم ذكر بسنده مناظرة إسحاق بن إبراهيم مع بعض الجهمية عند الأمير =

القضاء جيئة تليق بقدسه من غير حركة ونقلة ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ مصطفين محدقين بالجن والإنس ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ في صحيح مسلم (يؤتى بجهنم يومئذ

= عبد الله بن طاهر، فسأل عن حديث النزول الصحيح هو، قال : نعم ، فقال له بعضهم: أتزعم أن الله يترل كل ليلة؟ قال : نعم ، قال: كيف يترل ؟ فقال إسحاق: أَثبِته فوق؟ فقال : أَثْبَتَّهُ فوق ، فقال إسحاق : قال الله عز وجل : "وجاء ربك والملك صفا صفا" ، فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة ، فقال إسحاق : أعز الله الأمير من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟!

ثم ذكر ابن تيمية ثلاثة أقوال لمثبتي النزول في خلو العرش إلى أن قال : والقول الثالث: -وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها- إنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء ، ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيامة، كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض، بحيث يبقى السقف فوقهم ، بل الله متره عن ذلك، وسنتكلم عليه إن شاء الله تعالى.

وهذه المسألة تحتاج إلى البسط ، ثم بسط الكلام في الرد على منكري النزول، وإبطاله شبههم إلى أجزاء كثيرة ، وذكر كلام الحافظ ابن مندة في خلو العرش، ثم رده ردًا طويلاً مشبعًا، وأثبت أن العرش لا يخلو منه، وذكر المذاهب في نزول الرب والكلام فيه إلى أن قال : والقول المشهور عن أهل السنة والحديث: هو الإقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتي وينزل ، وغير ذلك من الأفعال اللازمة ، قال أبو عمر الطلمنكي: أجمعوا -يعني أهل السنة والجماعة- على أن الله يأتي يوم القيامة ، والملائكة صفا صفا لحساب الأمم، وعرضها كما شاء ، وكيف شاء " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر " (البقرة:٢١٠)، وقال تعالى : " وجاء ربك والملك صفا صفا " وقال : وأجمعوا على أن الله يترل كل ليلة إلى السماء الدنيا على ما أتت به الآثار، كيف شاء لا يحدون في ذلك شيئًا، انتهى مختصرًا، وملتقطًا / ١٢ .

لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، بدل من " إذا دكت " ﴿يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ﴾ معاصيه ، أو يتعظ ويندم ﴿وَأَنَّى لَهُ﴾ أي : أنى ينفعه فإن اللام للنفع[1] ﴿الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾: الأعمال الصالحة ﴿لِحَيَاتِي﴾: هذه، أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ أي : لا يعذب أحد من الزبانية أحدًا ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل تعذيب الإنسان وإيثاقه فإن عذابه أشد ، فضمير عذابه للإنسان والإضافة إلى المفعول ، وهذا أرجح[2] الوجوه لكن على هذا يلزم أن عذاب بعض الكفار أشد من عذاب الشياطين ، فكأنه كذلك ، وكذلك معنى يعذب ، ويوثق على قراءة المجهول﴿يَا[3] أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ أي : يقول الله للمؤمن ذلك، المطمئنة: الساكنة الدائرة مع الحق ، أو المطمئنة بذكر الله ، أو الآمنة من عذاب الله ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾: إلى جوار الله ، وثوابه ، يقال لها ذلك عند الاحتضار ، وعند البعث ، وفيه إشعار بأن النفوس قبل الأبدان كانت موجودة في عالم القدس ، وعن بعض[4] من السلف معناه : ارجعي يا نفس إلى صاحبك ، أي : بدنك الذى كنت فيه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾: عند الله ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي : في زمرة الصالحين، الذين

---

(١) قال الزمخشري -وتبعه القاضي : لابد من تقدير حذف المضاف ، أي : ومن أين له منفعة الذكرى؟ وإلا فبين " يتذكر الإنسان " ، وبين " وأنى له الذكرى " تناقض، والشارح أشار إلى رده بأن اللام للنفع ، فلا حاجة إلى تقدير / ١٢ منه .

(٢) لأنه موافق لقراءة المجهول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) ولما وصف حال من اطمئن إلى الدنيا، وصف حال من اطمئن إلى معرفته وعبوديته ، فقال : " يا أيتها النفس " الآية / ١٢ كبير .

(٤) نقل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، وهو قول عكرمة والكلبي، واختاره ابن جرير / ١٢ منه .

هم عباد الله على الحقيقة ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ عن سعيد بن جبير : مات ابن عبـــاس بالطائف فجاء طير لم نر على خلقته ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجًا منه ، فلما دفـن تليت عليه هذه الآية على شفير القبر لا ندرى[1] من تلاها ، رواه الطبراني عن غيره

والحمد لله حق حمده.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم / ١٢ فتح .

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ① وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ⑥ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ
عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ⑩ فَلَا ٱقْتَحَمَ
ٱلْعَقَبَةَ ⑪ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ⑫ فَكُّ رَقَبَةٍ ⑬ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ
ذِى مَسْغَبَةٍ ⑭ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯ ثُمَّ كَانَ مِنَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ⑰ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ ⑱ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ⑲ عَلَيْهِمْ
نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ⑳﴾

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ﴾: مكة **﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾** يعني: في المستقبل **﴿بِهَذَا البَلَدِ﴾**: تقاتل فيه، وتصنع ما تريد من القتل، والأسر، فهذه جملة معترضة بوعده فتح مكة، وفي الحديث: (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض لم يحل لأحد قبلي ولا بعدي إنما أحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة(*))، قيل: معناه: أقسم بمكة حال حلولك فيها، فيكون تعظيمًا للمقسم به **﴿وَوَالِدٍ﴾**: آدم **﴿وَمَا وَلَدَ﴾**: ذريته، أو إبراهيم وذريته، أو كل والد، وكل مولود، وعن ابن

(*) أخرجه البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنه.

عباس وعكرمة : الوالد العاقر ، وما ولد الذي يلد وإيثار ما على من لإرادة الوصف كما في "والله أعلم بما وضعت" (آل عمران:٣٦) ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾: تعب ، يكابد مصائب الدنيا والآخرة(١)، فعلى هذا يكون تسليته عليه السلام عما يكابده من قريش ، أو في استقامة واستواء(٢) ، وعن مقاتل : في قوة ، قيل: نزلت في كافر قوى قد ذكرناه في سورة المدثر ﴿**أَيَحْسَبُ**﴾ الضمير لبعضهم ﴿**أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾: فينتقم منه ، فإن الكفار لا يؤمنون بالقيامة والمجازاة ، وعلى ما فسره مقاتل ، فمعناه : لأنه مغرور بقوته، يظن أن لن يقدر عليه أحد ، ﴿**يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا**﴾: أنفقت مالاً كثيرًا، يفتخر بما أنفقه رياء وسمعة ، أو معاداة للنبي عليه السلام ﴿**أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ**(٣)﴾: يظن أن الله لم يره ، ولا يسأله من أين كسبه وأين أنفقه ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ**﴾ يبصر هما ﴿**وَلِسَانًا**(٤)﴾ يعبر به عما في ضميره ﴿**وَشَفَتَيْنِ**﴾ يستعين هما على النطق والأكل، وغيرهما ويكون جمالاً ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾: طريقي الخير والشر ، والثديين ، روى الحافظ ابن عساكر عن النبي عليه السلام: (يقول الله تعالى: يا ابن آدم إن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر هما ، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لسانًا وجعلت له غلافًا، فانطق بما أحللت، فإن عرض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجًا ،

---

(١) من أول خلقه إلى الجنة فتزول عنه المشقات ، وإما إلى النار فيضاعف شدائده ، ولكن لأجل مكابدته للشدائد يحسب أن له قوة ومنعة / ١٢ منه .

(٢) الكبد الاستواء ، وهو قول ابن مسعود ، وعكرمة ، ومجاهد ، والنخعي ، والضحاك ، وغيرهم ، ويروى عن ابن عباس أيضًا/١٢ منه .

(٣) ثم عدد عليه نعمه قبل أن تكون له قوة، فقال : " ألم نجعل له " الآية / ١٢ .

(٤) و لم يتعرض للسمع، لأنه لا يمكن الإفصاح عما في الضمير إلا بالسمع/١٢ وجيز .

وجعلت له سترًا فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض لك ما حرمت عليك، فأرخ عليك سترك يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقامي[*]) ﴿**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**﴾ اقتحم: دخل وتجاوز بشدة، جعل الأعمال الصالحة عقبة، وعملها اقتحامًا لها، لما فيه من مجاهدة النفس ، أي : فلم يشكر تلك النعم بأعمال تلك الحسنات ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ**﴾ أي : لم تدرِكْه صعوبتها ، وثوابها ﴿**فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾ تفسير للعقبة ، أي : تخليصها من الرق ، وفي الحديث (من أعتق[1] رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار) ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**﴾ أي : ذي مجاعة، الناس محتاجون إلى الطعام ﴿**يَتِيمًا**﴾ مفعول طعام ، أو تقديره: أطعم يتيمًا ﴿**ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾: ذا قرابة منه ﴿**أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾: افتقار ، هو من لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ، أو ذو عيال ، أو غريب فقير ، وقراءة "فَكَّ" و"أَطْعَمَ" على الفعل فبدل من اقتحم ، ولما كان حاصل معنى " فلا اقتحم[2] العقبة " فلا فك[3] رقبة ، ولا أطعم يتيمًا أو مسكينًا، وقع لا موقعه فإنها قلما تدخل على الماضي إلا مكررة ﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ عطف على اقتحم ، أي : ولا كان من[4] المؤمنين ، وثم لتباعد رتبة الإيمان

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٤/٥١٢).

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من النار حتى الفرج بالفرج) / ١٢ فتح .

(٢) قحم في الأمر: رمى نفس فيه من غير روية / ١٢ .

(٣) لأن فك رقبة أو إطعام وفي تفسير للعقبة فمن لم يدخل العقبة التي هي هذا أو هذا فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما / ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى أن "لا" قلما تدخل على الماضى إلا مكررة نحو : " فلا صدق ولا صلى " (القيامة:٣١)، والتكرار هنا بحسب المعنى، كأنه قال : فلا اقتحم العقبة ، ولا كان من =

عن العتق والإطعام ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أي : بعضهم بعضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾: بالرحمة على العباد ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى الذين آمنوا في قوله : " من الذين آمنوا " أو إلى ضد من ذمه فإنه في حكم المذكور ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾: اليمين ، أواليمن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ﴾: الشمال ، أو الشؤم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾: مطبقة لا يدخل فيها روح ، ولا يخرجون منها آخر الأبد.

= الذين آمنوا فقوله : " ثم كان " قام مقام التكرير ، وجاء بثم لتباعد رتبة الإيمان عن العتق والإطعام / ١٢ وجيز .

سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥ ﴾

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا[1] ﴾ أي : ضوءها إذا أشرقت ، وعن قتادة هو النهار كله ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾: تبع طلوعه طلوعها ، وهو أول الشهر ، أو غروبها، يعني:

(١) أقسم سبحانه بهذه الأمور، وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وقال قوم: إن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم ومما سيأتي هو على حذف مضاف، أي: ورب الشمس ، وهكذا سائرها ولا ملجئ إلى هذا ولا موجب له، قال الرازي : المقصود من هذه السورة التوغيب في الطاعات ، والتحذير من المعاصي ، وقد أقسم تعالى بأنواع مخلوقاته، المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ، ويشكر عليها لأن ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب ، وأقسم الله في هذه السورة بسبعة أشياء، إلى قوله : " قد أفح من زكاها "، فأقسم بالشمس وضحاها، فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح صارت =

حين كونه بدرًا ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾ الضمير للشمس ، فإنها تنجلي تامًّا إذا انبسط النهار ، أو للظلمة وإن كانت غير مذكورة للعلم بها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي : الشمس، فإنها تغيب في الليل، وتحقيق عامل مثل هذا الظرف قد مر في سورة التكوير عند قوله : " والليل إذا عسعس " (التكوير:١٧)، فلا تغتر بما يرى بادى الرأي ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي : ومن بناها، والعدول إلى (ما) على الوصفية ، والبلوغ في الغاية للإبهام فإن (ما) أشد إبهامًا ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: ومن بسطها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: من سوى خلقها، بتعديل الأعضاء ، والقوى ، ومنها المفكرة ، أو خلقها مستقيمة على الفطرة القويمة ، وفي صحيح مسلم: (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) وتنكير نفس[1] للتكثير نحو : "علمت نفس" ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: علمها ، وبين لها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وجاز أن يكون (الماءات) الثلاثة مصدرية، كما قال الفراء والزجاج ، وقوله : " فألهمها " عطف على ما بعد ما كأنه قيل: ونفس وتسويتها فإلهامها فجورها ، والمهلة فيها عرفية ، ولا محذور ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾: من طهرها الله من الأخلاق الدنية، وتأنيث الضمير لأن (من) في معنى النفس ، أو من طهر النفس ، وإسناد الضمير إليه لقيامه به ، والأول أرجح لما في الطبراني وغيره أنه عليه السلام إذا قرأ " فألهمها فجورها وتقواها " وقف ثم قال : (اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها(*)) ، وفي صحيح مسلم (إنه كان عليه السلام يدعوا بهذا الدعاء) وعن ابن عباس رضي الله

= الأموات أحياء ، وتكاملت الحياة وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها، انتهى / ١٢ فتح .

(١) كتمرة خير من جرادة / ١٢ .

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥١٩/٤) وفي مسنده ابن لهيعة وفيه كلام.

عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : "قد أفلح من زكاها" أفلحت[1] نفس زكاها الله عز وجل ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾: دسها الله ، ونقصها وعدلها عن الهدى ، وأصله دسسها كتقضَّى وتقضّض[2]، وهو جواب القسم بحذف اللام للطول، أي : لقد أفلح ، أو هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس، تابع لقوله : " فألهمها " ، والجواب محذوف ، أي : لَيُدَمْدِمَنَّ الله على كفار مكة إن لم يؤمنوا كما دمدم على ثمود ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا[3] ﴾ بسبب طغيانها ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أي : كذبت حين قام ﴿أَشْقَاهَا﴾ أشقى ثمود ، عن عمار[4] بن ياسر قال : قال عليه السلام لِعَلِي: (ألا أحدثك بأشقى الناس ، قال : بلى ، قال : رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا -يعني قرنه- حتى تبتل منه هذه - يعني لحيته-) ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ نصب على التحذير ، أي: احذروا عقرها ﴿وَسُقْيَاهَا ﴾: وشربها في يومها ، فإن لها شرب يوم ، ولكم شرب يوم معلوم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾: قتلوا الناقة ﴿فَدَمْدَمَ﴾: فأطبق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ﴾: بسببه ﴿فَسَوَّاهَا ﴾: فسوّى الدمدمة بينهم ، و لم يفلت منهم أحد ، أو فسوّى ثمود بالإهلاك ﴿وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أي : ولا يخاف الله

---

(١) أخرجه أبو حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والديلمي / ١٢ فتح .[من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وجويبر هذا ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ابن كثير (٥١٩/٤)].

(٢) تقضض الطائر : هوى ليقع / ١٢ منه .

(٣) قال ابن عباس: اسم العذاب الذي جاءها الطغوى ، فقال :كذبت ثمود بعذابها ، أخرجه ابن جرير / ١٢ در منثور .

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر أخرجه أحمد ، والحاكم ، والبغوي ، والطبراني/١٢ فتح .[والهيثمي في "المجمع" (١٣٦/٩) وقال: رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثوقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار].

عاقبة الدمدمة وتبعتها، كما يخاف الملوك فيبقى بعض الإبقاء ، أو لا يخاف ذلك الأشقى عاقبة فعلته ، والواو للحال.

والحمد لله وحده .

سورة الليل مكية

وهي إحدى وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ
وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥
وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ
وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠
وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ
لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا
ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي
يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا
ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾: الخليقة بظلامه **﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾**: بان وظهر **﴿وَمَا خَلَقَ﴾** أي : ومن خلق ، وقيل: مصدرية **﴿الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾** أي : صنفيهما ، أو آدم وحواء **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾**: مساعيكم **﴿لَشَتَّى[1]﴾** أي : أشتات مختلفة وأعمالكم متضادة ، **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾**: ماله لوجه الله **﴿وَاتَّقَى﴾**: محارمه[*] **﴿وَصَدَّقَ**

(١) هذا هو المقسم عليه ، ثم فصل السعي بقوله : " فأما من أعطى " الآية / ١٢ وجيز.

(*) أي : الذي حرمه الله على العباد .

﴿بِالْحُسْنَى﴾: بالمجازاة وأيقن أن الله سيخلفه ، أو بالكلمة الحسنى ، وهي كلمة التوحيد ، أو بالجنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ في الدنيا ﴿لِلْيُسْرَى﴾: للخلة التي توصله إلى اليسر، والراحة في الآخرة ، يعني للأعمال الصالحة[1] ، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾: بالإنفاق في الخيرات ، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾: بالدنيا عن العقبى ، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ ، في الدنيا ، ﴿لِلْعُسْرَى﴾: للخلة المؤدية إلى الشدة في الآخرة ، وهي : الأعمال السيئة، ولهذا قالوا: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾: هلك ، أو سقط وتردى في جهنم ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ ، أي: واجب علينا بمقتضى حكمتنا ، ﴿لَلْهُدَى﴾: للإرشاد إلى الحق ، أو طريقة الهدى علينا فمن سلكها وصل إلينا ، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ ، فنعطي ما نشاء لمن نشاء ، ومن طلب عن غيرنا فقد أخطأ ، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: تتلهب ، وفي الصحيح (إن أهون أهل النار عذابًا رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه) ﴿لاَ يَصْلاهَا[2]﴾: لا يلزمها مقاسيًا شدتها ، ﴿إِلاَّ الأَشْقَى﴾: الكافر ، ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾: بالحق ، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة ، وفي الحديث: (لا يدخل النار إلا شقي ، قيل: ومن هو ؟ قال: الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية[*])

---

(١) والعقيدة الصحيحة / ١٢ .

(٢) الصلى في اللغة أن يحفر حفير ، ويجمع فيه جمر كثير ثم يدس الشاة بين أطباقه، فأما ما يشوى على الجمر أو في التنور، فلا يقال: إنه فيه مصلى ، وقد ذكر ذلك الزمخشري أيضًا في سورة الغاشية ، فلهذا قيل : الصلى أشد العذاب ، فعلى هذا قول : " لا يصلاها إلا الأشقى " معناه ظاهر / ١٢ وجيز .

(*) ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (٦٣٥٧).

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى[1]﴾: الذي اتقى عن الشرك والمعصية فلا يدخلها[2] أصلاً، وأما من اتقى الشرك، وحده فيمكن أن يدخلها، لكن لا يصلاها ولا يلزمها ، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾: يعطي ماله ويصرفه في طاعة الله ، ﴿يَتَزَكَّى ﴾: يطلب تزكية نفسه وماله، بدل، أو حال ، ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴾: فيقصد بإيتائه مجازاتها، ﴿إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ ، أي : لكن يؤتى لطلب مرضاة الله ، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾: من ربه حين يدخله في رحمته ، وعن كثير من المفسرين : إن هذه السورة في الصديق رضي الله

---

(١) لكن من لم يتق إلا عن الشرك ، ويرتكب المعاصي ، فيمكن أن يدخلها من غير أن يصلاها فإن تطهير المؤمنين بنار جهنم لا يكون إلا في الطبقة الأولى / ١٢ وجيز .

(٢) والأولى حمل الأشقى والأتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين، ويكون المعنى إنه لا يصلى صليًا تامًا لازمًا إلا الكامل في الشقاء ، وهو الكافر ، ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيدًا كاملاً، بحيث لا يحوم حولها فضلاً عن أن يدخلها إلا الكامل في التقوى ، فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولاً غير لازم ، ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيدًا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها ، والحاصل أن من تمسك من المرجئة بقوله : " لا يصلاها إلا الأشقى " زاعمًا أن الأشقى الكافر لأنه الذي كذب وتولى ، ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين ، فيقال ل فماذا تقوله: في قوله: "وسيجنبها الأتقى" ؟ فإنه يدل على أنه لا يجنب النار إلا الكامل في التقوى ، فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار ، فإن أولت الأتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله في الأشقى ، فخذ إليك هذه مع تلك ، وكن كما قال الشاعر :

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا علي ولا ليا

١٢ فتح .

عنه وهو الأتقى ، وأمية بن خلف هو الأشقى ، فيكون الحصر[1] ادعائيًا لا حقيقيًّـا ، لأن غير هذا الأشقى غير ضال وغير هذا الأتقى غير مجنب بالكلية.

والحمد لله على كل حال

(١) كأن الجنة خلقت لهذا ، أو النار خلقت لهذا / ١٢ .

سورة الضحى مكية

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

﴿**وَالضُّحَى**﴾: وقت الضحى ، وهو صدر النهار ، أو المراد النهار ، ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾: سكن ظلامه ، أو سكن أهله ، ﴿**مَا وَدَّعَكَ**[1] **رَبُّكَ**﴾ ، جواب القسم ، أي: ما تركك ترك المودع ، ﴿**وَمَا قَلَى**﴾: وما أبغضك ، وحذف المفعول للعلم به، رعاية لفواصل الآي، اشتكى عليه السلام ، فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة قيل امرأة أبي لهب، وقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فنزلت، أو لما تأخر الوحي خمسة عشر يومًا أو أقل أو أكثر، قال المشركون : إن محمدًا قد قلاه ربه ، لما رد الله كلام المشركين ، ودفع عنه ما يسوءه، وعد له ما يسره فقال: ﴿**وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى**﴾ ، في الحديث (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا) ،

---

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن جندب البجلي قال : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فأتته امرأة فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، لم يقربك ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله " والضحى " / ١٢ فتح .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، عن ابن عباس أعطاه[1] في الجنة ألف قصر ، في كل منها ما ينبغي له من الأزواج والخدم ، وعنه[2] من رضاه عليه السلام أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وعن الحسن وغيره المراد الشفاعة ، واللام لام التأكيد عند ابن الحاجب لا لام الابتداء ، دخل على الخبر بعد حذف المبتدأ ، ويكون تقديره: ولأنت سوف يعطيك ، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ، عدد عليه أياديه من أول نشئه، والمنصوبان مفعولا يجد ، لأنه بمعنى العلم، أو الثاني حال ، وهو بمعنى المصادفة ، أي : فآواك ورباك وضمك إلى عمك ، وهو مع كفره رعاك وحماك ، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾: جاهلاً ، ﴿فَهَدَى﴾: فعلمك، "ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا "الآية (الشورى:٥٢)، وقيل: ضل في شعاب مكة وهو صغير ، فهداه ، وقيل: أضله إبليس في طريق الشام عن الطريق في ليلة ظلماء ، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، ورده إلى القافلة ، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾: فقيرًا ذا عيال، ﴿فَأَغْنَى[3]﴾: فأغناك بمال خديجة ، ثم بالغنائم ، أو فأغناك عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغنى الشاكر ، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ كما كنت يتيمًا فآواك الله، كن لليتيم كالأب الرحيم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ كما كنت جاهلاً فعلمك، لا تزجر سائلاً مسترشدًا طالب علم ، ولما هداك إلى ما هو روحك لا تزجر من يطلب منك قوت بدنه ، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، فاشكر مولاك الذي أغناك ، فإن من شكر النعم أن يحدث بها ، ومن كفرها أن

---

(١) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال الشيخ عماد الدين بن كثير : هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف/١٢ منه .

(٢) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أيضاً /١٢ فتح .

(٣) ولما عدد عليه النعم الثلاث، وصى بثلاث في مقابلها، فقال : " فأما اليتيم " الآية/١٢وجيز .

يكتمه، "ومن لم يشكر الناس لم يشكر[1] الله"، أو ما جاءك من النبوة فحدث بها وادع إليها ، أو من القرآن فاقرأه أو بلغه، أو ما عملت من خير فحدث إخوانك ليتابعوك ، وجاز أن يكون نشرًا مشوشًا ، ويكون " أما بنعمة ربك فحدث " في مقابلة هداية الله له بعد الضلال، والمراد من التحديث تعليم الشرائع والقرآن ، وكيفية العبادة والدعوة إلى الإيمان ، والسنة التكبير بلفظ الله[2] أكبر، أو بزيادة لا إله إلا الله والله أكبر، من آخر والضحى، أو من آخر الليل إلى آخر القرآن ، ونقل عن الشافعي: أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال له : أحسنت وأصبت السنة.

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، وهذا المعنى رواه أبو داود أيضًا/١٢ منه .[وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٦٥٤١)]

(٢) أخرج الحاكم ، وصححه وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان، من طريق أبي الحسن بن أبي بزة المقري قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن قسطنطين ، فلما بلغت " والضحى " قال : كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير ، فلما بلغت " والضحى " قال: كبر حتى تختم ، وأخبره عبد الله بن كثير: أنه قرأ على مجاهد ، فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنه أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وأخبر أبي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، هذا ما في الدر المنثور ، وفي الفتح ، وأبو الحسن المقري المذكور، هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقري قال ابن كثير : هذه سنة تفرد بها أبو الحسن المقريء ، وكان إمامًا في القراءات، وأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث ، ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير، فقال بعضهم : من آخر "والليل إذا يغشى" ، وقال آخرون: من آخر الفتح ، وذكروا في مناسبته التكبير من أول الضحى، أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ، ثم جاء الملك، فأوحى إليه " والضحى " كبّر فرحًا وسرورًا ولم يرووا ذلك بإسناد، يحكم عليه بصحة ولا ضعف/ ١٢ .

سورة الانشراح مكية

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ[(١)]﴾ ، أي : فسحناه ونورناه ووسعناه بالنبوة والحكمة ، أو إشارة إلى شق صدره في صباه ، وإخراج الغل والحسد وإدخال الرأفة والرحمة ، والحكاية مشهورة ، والهمزة لإنكار نفي الانشراح مبالغة[(٢)] في إثباته ، **﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾**: غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، أو الخطأ والسهو ، **﴿الَّذِي أَنقَضَ﴾**: أثقل ، **﴿ظَهْرَكَ﴾** ، كأن الذنوب حمل يثقل الظهر ، **﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** ، "في الدنيا والآخرة، إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي[(٣)]" ، **﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾** ، كضيق الصدر ، والوزر ، **﴿يُسْرًا﴾** ، كالشرح ، والوضع ، والتنكير للتعظيم ، **﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾** ، جاز أن يكون هذا تأكيدًا ، أو جاز أن يكون تأسيسًا مستأنفًا

---

(١) قيل: وزيادة لك في الموضعين ، وزيادة عنك في موضع، على طريقة الإيضاح بعد الإبهام، كأنه قيل: ألم نشرح لك ، ففهم أن ثمة مشروحًا ، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهمًا / ١٢ منه .

(٢) كأنه قال شرحنا لك صدرك ، ولذلك ترى عطف وضعنا عليه نحو : " ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا " (الشعراء:١٨)/١٢ وجيز .

(٣) رواه أبو يعلى، وابن جرير ، وابن أبي حاتم / ١٢ منه .

، وهو راجح لفضل التأسيس عليه ، وكلام الله محمول على أبلغ الاحتمالين، كيف لا والمقام مقام التسلية ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يغلب عسر يسرين" ، وذلك لأن المعرف المعاد عين الأول ، والنكرة المعادة غيره وذكر أن " مع " للمبالغة في اتصال اليسر به اتصال المتقاربين ، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من أمور دنياك ، أو من التبليغ ، أو من الجهاد ، ﴿فَانصَبْ ﴾: فاتعب في العبادة ، أو من صلاتك واتعب في الدعاء ، فإن الدعاء بعد الصلاة مستجابة ، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ﴾: وحده ، ﴿فَارْغَبْ﴾: بالسؤال، أو اجعل نيتك في العبادة خالصة.

والحمد لله .

سورة التين مكية

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ
سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ
ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

﴿وَالتِّينِ﴾: هو المعروف، خص من بين الفواكه لأنه يشبه فواكه الجنة من حيث إنه بلا عجم[1] ، ﴿وَالزَّيْتُونِ ﴾ ، خصه، لأنه شجرة مباركة نور وفاكهة وإدام ، والأول: اسم مسجد دمشق ، أو الجبل الذي عندها ، والثاني: مسجد بيت المقدس ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴾: الجبل الذي كلم الله عليه موسى، قيل معنى سينين : المبارك بالسريانية ، وقد مر شرحه في " وشجرة تخرج من طور سيناء " الآية (المؤمنون:٢٠)، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾: أمانته أن يحفظ من دخله، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ، فهو من آمن، أو المأمون من الغوائل ، فهو من أمنه ، والمراد: مكة ، وعن كثير من العلماء أقسم بمحال ثلاثة، بعث الله في كل واحد نبيا من أولي العزم ، فالأول : كناية عن بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ، والثاني : طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى ، والثالث : البلد الحرام الذي أرسل فيه نبينا محمد -عليه وعليهم الصلاة

---

(١) ولا جلد / ١٢ وجيز .

والسلام ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: تعديل لشكله، وتسوية لأعضائه، وتزيين بعقله، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، إلى النار في شر صورة، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، استثناء متصل، وهو كقوله: " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا " (العصر: ١-٣)، لفظًا ومعنى[١]، وعن ابن عباس، وبعض آخر: المراد من أسفل سافلين أرذل العمر، فيكون الاستثناء[٢] منقطعًا، أي: لكن المؤمنين العاملين، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقطع على طاعتهم، ويكتب لهم مثل ما كانوا يعملون في الشباب، وإن لم يعملوا في الهرم، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾: فأي شيء يحملك يا إنسان على هذا الكذب، ويجعلك كاذبًا بعد هذه الأقسام الأكيدة، أو الدليل الذي هو خلق البداءة في صورة حسنة، ومن قدر على هذا قدر على الإعادة، ﴿بِالدِّينِ﴾: بسبب الجزاء وإنكاره، يعني: أي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبًا بسبب تكذيب الجزاء؟ فالاستفهام للتوبيخ، أو معناه، أيُّ شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل بالجزاء والبعث؟ فالاستفهام لإنكار شيء يكذبه دلالة ونطقًا، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: عدلاً وتدبيرًا لا ظلم ولا عجز له بوجه، فلا محال ويقدر على البعث والجزاء، ولابد منهما، والسنة إذا قرأ " أليس الله بأحكم الحاكمين " أن يقال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين[٣].

---

(١) هذا التوجيه يصح على أن يفسر "أسفل سافلين" بالنار، والثاني: خاص بأن يفسر بأرذل العمر فتأمل / ١٢ منه.

(٢) وعلى هذا معناه: رددنا عاجزين ناقصين في أمور الدنيا والدين، إلا من آمن وأطاع في شبابه، فإنه غير ناقص في أمور الدين، يكتب له مثل ما كان يعمل/١٢ وجيز.

(٣) وعن أبي هريرة مرفوعًا: من قرأ والتين والزيتون، فقرأ "أليس الله بأحكم الحاكمين"، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، أخرجه الترمذي، وابن مردويه/١٢فتح.

سورة العلق مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ
ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥
كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى
ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم
بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ
وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

﴿اقْرَأْ﴾ أي: القرآن ﴿بِاسْمِ﴾ أي: مفتتحًا باسم ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أي: الخلائق ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾: الذي هو أشرف المخلوقات ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع علقة، جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع ﴿اقْرَأْ﴾ تكرير للمبالغة ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾: الزائد في الكرم على كل كريم بنعم على العباد، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم، وتناهي جحودهم ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ أي: الخط الذي هو من جلائل النعم[1] ﴿بِالْقَلَمِ

---

(١) ولولاه لما دونت العلوم والكتب السماوية ، وما استقامت أمور الدنيا والدين/١٢ وجيز .

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أي : ما لا يقدر على تعلمه لولا[1] تعليم الله ، وقد صح أن هذه السورة إلى هذه الآية، أول آيات نزلت[2] في جبل حراء ﴿كَلاَّ﴾ ردع لمن كفر بنعمه بسبب طغيانه ، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾: ليتجاوز عن حده ﴿أَن رَّآهُ﴾: رأى نفسه ، لولا أن الرؤية بمعنى العلم، لامتنع أن يكون مرجع المفعول مرجع ضمير الفاعل ﴿اسْتَغْنَى﴾ أي : رأى نفسه غنيًّا ذا مال ، وهو ثاني مفعولي رأى ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ﴾ يا إنسان ، التفات للتهديد ﴿الرُّجْعَى﴾: الرجوع فيجازى طغيانك ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ أي : أبا جهل ﴿عَبْدًا﴾: هو أشرف العباد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذَا صَلَّى﴾ قال عليه اللعنة[3] : لئن رأيته ساجدًا لأطأن على عنقه ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ أخبرني، يا من له أدنى تمييز عن حال من ينهى[4] عبدًا من العباد إذا صلى، إن كان على طريقة سديدة في نهيه عن عبادة الله ، أو كان آمرًا بالتقوى، فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يزعم ، ألم يعلم بأن الله يرى حاله ، فيجازيه؟ أخبرني عن هذا الذي ينهى المصلي إن كان على

---

(١) مثل ما لا يتعلق به علم تصوري ولا تصديقي، كالمجهول المطلق/٢ وجيز .

(٢) في الصحيحين وغيرهما ، وهو قول أكثر المفسرين، كما قاله البغوي، لا كما قاله الزمخشري / ١٢ منه .

(٣) ذكر معنى هذا الحديث في الفتح ، وقال: أخرجه أحمد ومسلم ، والنسائي والبيهقي/١٢ .

(٤) حاصله أنه من قبيل كلام المنصف ، وإرخاء العنان لغاية التبكيت ، ولهذا ما ذكر تعظيم نبيه ، وقال : عبدًا " والخطاب بقوله: "أرأيت" لكل من يصلح أن يكون مخاطبًا على الوجه الأول/١٢ منه .

التكذيب للحق ، والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن، ألم يعلم بأن الله يرى فيجازيه ، فعلى هذا "أرأيت" الثاني تكرار للأول للتأكيد ، وأما الثالث فمستقل للتقابل بين الشرطين ، وحذف جواب الأول لدلالة "ألم يعلم" الذي هو جواب الثالث عليه عند من يجوز أن يكون الإنشاء جوابًا للشرط بلا فاء ، وعند من لم يجوز يكون جواب الأول والثالث محذوفًا بقرينة "ألم يعلم" ، أو "أرأيت" الأولى فأختاها متوجهات إلى "ألم يعلم" ، وهو مقدر عند الأولين[1] ، والحذف للاختصار ، أو معناه ما أعجب ممن ينهى عبدًا عن الصلاة، إن كان المنهي على الهدى آمرًا بالتقوى ، والناهي مكذب متولي ، أو معناه أخبرني إن كان الكافر على الهدى ، أو آمرا بالتقوى ، أما كان خيرًا له؟ أو معناه أخبرني يا كافر إن كان المنهي على الهدى في فعله ، أو آمرًا بالتقوى في قوله ، فما ظنك وأنت تزجره ، وعلى هذين الوجهين جواب الشرط[2] الثاني فقط قوله : " ألم يعلم " ، ﴿**كَلَّا**﴾ ، ردع للناهي ، ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ**﴾ ، عما هو فيه ، ﴿**لَنَسْفَعًا**﴾: لنأخذن ، وكتابتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ، ﴿**بِالنَّاصِيَةِ**﴾: بناصيته ، فلنجرنه إلى النار ، ﴿**نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**﴾ ، بدل من الناصية أسند الكذب والخطأ إليها ، وهما لصاحبها مجاز المبالغة ، ﴿**فَلْيَدْعُ**

---

(١) أي : أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى، ألم يعلم بأن الله يرى ، أرأيت إذا كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى ، وهذا كما تقول: أخبرني عن زيد إن وفدت عليه ، أخبرني عنه إن استجرته ، أخبرني عنه إن توسلت إليه، أما يوجب حقي؟/١٢ منه .

(٢) أي : "إن كذب وتولى" ، وجواب الشرط الأول أي : "إن كان على الهدى" محذوف فتأمل/١٢ منه .

﴿نَادِيَهُ﴾: أهل ناديه ، يعني: قومه وعشيرته فليستعن[1] بهم ، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: ملائكة العذاب ليجروه إلى النار ، قال عليه اللعنة : واللات والعزى[2]، لئن رأيته يصلي لأطأن على رقبته ، فلما رآه جاءه فإذا نكص على عقبيه ويتقي بيديه ، فقيل له : مالك؟ قال : إن بيني وبينه خندقًا من نار ، وهولاً وأجنحة ، فقال عليه السلام : " لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا " ، ﴿كَلَّا﴾ ، أي : ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ، ﴿لَا تُطِعْهُ﴾: يا محمد ودم على طاعتك ، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾: ودم على السجود والتقرب إلى الله حيث شئت ، ولا تباله.

والحمد لله

---

(١) لما قال عليه اللعنة: لأطأن رقبته، كما ذكرناه توعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع توعده ، قال : أيتوعدني محمد ؟ والله ما بالوادي أعظم ناديًا مني ، فهذا إشارة إلى مفاخرته / ١٢ وجيز .

(٢) أخرجه أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقي / ١٢ در منثور .

سورة القدر مكية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ[1]﴾ ، أي : القرآن ، ﴿فِي لَيْلَةِ[2] الْقَدْرِ﴾: لعظمة شأنها ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ، أي : من ألف[3] شهر ليس فيها تلك الليلة ، والعمل في تلك الليلة أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ولذلك ثبت في الصحيحين (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) نزلت، حين ذكر عليه السلام "رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب الصحابة من ذلك" فأعطوا ليلة خيرًا من مدة ذلك الغازي ، والأصح أنها من خصائص هذه الأمة ، وأنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ،

---

(١) ذكر الواحدي : أنها أول سورة نزلت بالمدينة /١٢ وجيز .

(٢) أخرج ابن الضريس وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله : " إنا أنزلناه في ليلة القدر "، قال : أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة عن الذكر، الذي عند رب العزة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم جعل جبريل يترل على محمد بجواب كلام العباد وأعمالهم/ ١٢ در منثور .

(٣) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر / ١٢ فتح .

وأنها في أوتارها ، وأنها تختلف في السنين جمعًا بين الأحاديث ، ولا خلاف بين السلف في أنها باقية[1] إلى يوم القيامة، سميت بها لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام إلى السنة المقبلة ، أو لمنزلتها وقدرها عند الله ، ﴿تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: جبريل ، أو ضرب من الملائكة ، ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ ، مع نزول البركة ، والرحمة ، قال عليه السلام: (الملائكة في الأرض في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى) ، وعن كعب الأحبار: (لا يبقى بقعة إلا وعليها ملك يدعو للمؤمنين ، والمؤمنات، سوى كنيسة، أو بيت نار، أو وثن، أو موضع فيه النجاسات، أو السكران، أو الجرس ، وجبريل لا يدع أحدًا إلا صافحه فمن اقشعر جلده ورق قلبه ، ودمعت عيناه فمن أثر مصافحته ، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ، أي : تتنزل من أجل كل أمر قُدِّر في تلك السنة ، ﴿سَلامٌ هِيَ﴾ ، ليس هي إلا سلامة لا يقدر فيها شر وبلاء ، أو لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ، أو ما هي إلا سلام لكثرة سلام الملائكة على أهل المساجد ، وعن مجاهد : سلام هي من كل أمر وخطر ، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾ ، غاية تبين تعميم السلامة ، أو السلام كل الليلة، أي : وقت طلوعه ، والمطلع بالكسر أيضًا مصدر كالمرجع ، أو اسم زمان كالمشرق على خلاف القياس ، ويستحب أن يكثر فيها من قول اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

والحمد لله .

---

(١) لا كما زعم بعض طوائف الشيعة من رفعها على ما فهموه، من الحديث الذي فيه: "فرفعت" ، والمراد منه رفع علم وقتها بعينها، لأنه قال : "فالتمسوها في التاسعة ، والخامسة ، والسابعة" / ١٢ منه .

سورة البينة مختلف فيها

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذينَ كفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**﴾: اليهود والنصارى ، ﴿**وَالْمُشْرِكِينَ**﴾: عبدة الأوثان ، ﴿**مُنفكّينَ**[1]﴾: عن كفرهم ، ﴿**حَتَّى تَأْتِيهُمُ البَيِّنَةُ**﴾ ، أي : الرسول

---

(١) قال أبو سعود(ابن مسعود): منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان، والعزم على إنجازه ، وهذا الوعد من أهل الكتاب - مما لا ريب فيه، وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم، بعدما شاء ذلك مـــن =

أتاهم بالقرآن ، فبين ضلالتهم فدعاهم إلى الإيمان، فآمن بعضهم ، ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، بدل من البينة ، ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ، أي : ما في الصحف المطهرة، فإنه مكتوب في الملأ الأعلى في الصحف كما مر في سورة عبس ، ﴿فِيهَا﴾: في الصحف المطهرة ، ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: مكتوبات، مستقيمة، لا خطأ فيها ، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ، أي : تفرقهم واختلافهم، بعدما أقام الله عليهم الحجج، فإنهم اختلفوا فيما أراده الله من كتبهم ، قال تعالى : " لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " (آل عمران:١٠٥)، وفي الحديث: (اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة ، هي ما أنا عليه وأصحابي)، أو معناه : لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد عليه السلام حتى بعثه الله ، فلما بعث تفرقوا فآمن بعض ، وكفر أكثرهم ، ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ ، أي : بما في الكتابين ، ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، أي : إلا لأجل عبادة الله على هذه الصفة نحو " وما أرسلنا

= أهل الكتاب- واعتقدوا صحته، بما شاهدوا من نصرهم على أسلافهم، وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم . انتهى ملخصاً ، قال الواحدي : ومعنى الآية إخبار الله تعالى عن الكفار أنهم لم ينتهوا عن كفرهم ، وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم، فبين لهم ضلالتهم ، وجهالتهم ، ودعاءهم إلى الإيمان ، وهذا بيان عن النعمة، والإنقاذ به عن الجهل والضلالة ، والآية فيمن آمن من الفريقين ، قال: وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظمًا وتفسيرًا، وقد تخبط فيها الكبار من العلماء ، وسلكوا في تفسيرها طرقًا لا تفضي بهم إلى الصواب، والوجه ما أخبرتك، فاحمد الله إذ أتاك بيانها من غير لبس ، ولا إشكال ، قال : ويدل على كون البينة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه فسرها وأبدل بقوله الآتي: "رسول من الله يتلوا صحفًا مطهرة " ، يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن ، ويدل على ذلك، أنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، انتهى كلامه / ١٢ فتح .

من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلـه إلا أنا فاعبدون" (الأنبياء:٢٥)، ﴿حُنَفَاءَ﴾: مائلين عن كل دين باطل ، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ ، عطف على يعبدوا ، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، لكنهم حرفوه ، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾: أي دين الملة والشريعة المستقيمة ، وقيل: هي جمع القيم ، أي : دين الأمة القائمة لله ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾: الخليقة ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ ، استدل أبو هريرة ، وطائفة من العلماء على تفضيل أولياء الله من المؤمنين على الملائكة بهذه الآية ، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ، فيه مبالغات لا يخفى[1] على المتأمل ، ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ، استئناف، بما حصل لهم زيادة على جزائهم ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ﴾ ، أي : هذا الجزاء ، ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ ، فاتقاه حق تقواه ، وإنما يخشى الله من عباده العلماءُ .

---

(١) تقديم المدح ، وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحه في مقابلة ما وصفوا به ، والحكم عليه بأنه من عند ربهم ، وجمع جنات ، وتقييدها إضافة ووصفًا بما يزداد لها نعيمًا ، وتأكيد الخلود بالتأييد/١٢ منه .

سورة الزلزال مكية

وقيل مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿إِذَا[1] زُلْزِلَتِ﴾: حركت ، ﴿الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ، المقدر لها عند النفخة ، ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: من الأموات ، والكنوز، وألقاها من جوفها على ظهرها ، ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ ، تعجبًا من تلك الحالة ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، بدل من إذا ، و ناصبها تحدَّث، أو عامل إذا مضمر نحو: اذكر ، وعامل يومئذ تحدث ، ﴿تُحَدِّثُ﴾: الأرض الخلق بلسان القال[2] ، ﴿أَخْبَارَهَا﴾ ، وفي الترمذي[3] ،

---

(١) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ إذا زلزلت الأرض، عدلت له بنصف القرآن ، ومن قرأ قل هو الله أحد، عدلت بثلث القرآن ، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون، عدلت له بربع القرآن) أخرجه الترمذي ، وابن مردويه/ ١٢.[وحسن الشيخ الألباني الحديث دون فضل {إذا زلزلت} في "صحيح الترمذي" (٢٣١٧)]

(٢) صرح بذلك عظماء الصحابة / ١٢ وجيز .

(٣) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح / ١٢ منه .[وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي"]

والنسائي "قرأ عليه السلام هذه الآية قال : إن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما علم على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا" ، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ ، أي : تحدث بسبب إيحاء الرب ، وأمره بالتحديث ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾: يرجعون عن موقف[1] الحساب ، ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين أصنافًا، وأنواعًا ما بين شقي وسعيد ، ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ، أي : جزائها ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: وزن نملة صغيرة، أو ما يرى في الشمس من الهباء ، ﴿خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا[2] يَرَهُ﴾ ، عن ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أحكم آية في كتاب الله ، وكان عليه السلام يسميها "الفاذة الجامعة"[*]، وفي إحباط بعض أعمال الخير ، والعفو عن بعض أعمال الشر، إشكال، اللهم إلا أن يقال: الآية مشروطة بعدم الإحباط ، والعفو ، وما ذكره النسائى ، وابن ماجه إنه لما نزلت قال أبو بكر : إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ، فقال عليه السلام: "ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة" ، فلا يخلو عن إشكال لأن قوله : " فمن يعمل " مترتب على قوله : " يومئذ يصدر "، فالظاهر

(١) كذا فسره السلف ، وقيل: يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف / ١٢ منه.

(٢) وإن لم يجز به، ويعفى عنه. قال تعالى : " مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " (الكهف:٤٩)، وعلى هذا لا إشكال في الآية ، وكان صلى الله عليه وسلم يسميها: الفاذة الجامعة ، وعن ابن مسعود: هذا أحكم آية في كتاب الله ، ولو جعلت معنى ليروا أعمالهم جزاء أعمالهم ، فالآية تامة المعنى أيضًا ، فإن عمل الخير المحبوط والشر المعفو يرى جزاءهما ، فإن عمل الشر الذي به حبط عمل خيره، لو لم يكن له عمل الخير لكان ذاك الشر أكثر ، وإن عمل الخير الذي بسببه عفي عن عمل شره، لو لم يكن له عمل الشر لكان ذاك الخير أكثر نفعاً ، فصدق أنه رأى جزائهما هذا هو تحقيق الكلام ، والبحث ، والمناقشة جهل / ١٢ وجيز .

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٤/٥٤٠) وعزاه لابن جرير.

أن رؤية جزاء الأعمال في الآخرة لا في الدنيا، اللهم إلا أن يقال: قد تم الكلام عند قوله: "ليروا أعمالهم" ، وقوله : " فمن يعمل " ابتداء كلام وحكم على حياله ، وعن سعيد[1] بن جبير: كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه ، وكان آخرون يرون أن لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة ، والنظرة ، والغيبة وأشباهها، فرغبهم الله في القليل من الخير ، وحذرهم عن القليل من الشر ، فنزلت : " فمن يعمل مثقال ذرة " إلخ.

والحمد لله .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم / ١٢ در منثور .

سورة العاديات مختلف فيها

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾[١] ، أقسم بالخيول التي تعدو في سبيل الله ، ﴿ضَبْحًا ﴾: تضبح ضبحًا، أو ضابحات ، وهو صوت نفسه عند العدو ، ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾: الخيول، التي توري النار بحوافرها ، ﴿قَدْحًا ﴾: صاكّات بحوافرها الحجارة ، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾: تغير على العدو ، ﴿صُبْحًا ﴾: في وقته ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾: هيجن ، ﴿نَقْعًا ﴾: غبارًا ، ﴿فَوَسَطْنَ﴾: توسطن ، ﴿بِهِ﴾: بذلك الوقت ، ﴿جَمْعًا ﴾: من الأعداء ، وعن علي[٢] رضي الله عنه: المراد الإبل حين تعدو من عرفة إلى مزدلفة ، ثم جماعة توقدون

---

(١) عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأبطأ خبرها ، فشق ذلك عليه فأخبره الله خبرهم ، وما كان من أمرهم فقال : " والعاديات ضبحًا "، الحديث أخرجه بن مردويه ، وكذا أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والدارقطني / ١٢ در منثور .

(٢) نقله في الدر المنثور ، وعزاه إلى ابن جرير وابن الأنباري ، الحاكم ، وقال: صححه/ ١٢ .

النار في مزدلفة ، ثم المسرعات منها إلى منى فإنها في الصبح ، ويكون الإغارة سرعة السير ، ثم إثارة النقع في الطريق ، ثم التوسط متلبسات بالنقع في الجمع ، وهو اسم مزدلفة ، وعلى هذا الضبح الذي هو للفرس مستعار للإبل ، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ﴾، أي: لنعم ربه ، ﴿لَكَنُودٌ﴾: لكفور ، ﴿وَإِنَّهُ﴾: الإنسان ، ﴿عَلَى ذَلِكَ﴾: على كنوده ، ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بلسان[1] حاله ، أو وعيد من الله ، أي : إن الله على كنوده لشهيد ، ﴿وَإِنَّهُ﴾: الإنسان ، ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾: لأجل حب المال ، ﴿لَشَدِيدٌ[2]﴾: بخيل ، أو لقوي مبالغ ، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾: الله ، ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾: بعث ، ظرف "يعلم" ، ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾: من الموتى ، ﴿وَحُصِّلَ﴾ ، أي : أظهر محصلاً ، ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ، من الخير والشر ، أجرى العلم مجرى اللازم ، أي : أليس له العلم الكامل بما عليه الأمر في ذلك اليوم؟ ثم يؤكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: هو يوم القيامة ، ﴿لَّخَبِيرٌ﴾. لعالم فيجازيهم.

والحمد لله .

---

(١) بلسان حاله، لا يمكن جحوده لظهور أمره / ١٢ وجيز .

(٢) ولما عد عليه قبائح أفعاله خوفه ، فقال : "أفلا يعلم إذا بعثر" / ١٢ كبير .

سورة القارعة مكية

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ
ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾

﴿**الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ**﴾ ، مبتدأ وخبر ، أي : القارعة ما هي؟ كما مر في سورة الحاقة ، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ**﴾ ، ظرف لما دل عليه القارعة ، أي : تقرع يوم ، ﴿**يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**﴾: في الذلة ، والاضطرار، والتطاير إلى الداعي، كتطاير الفَرَاش إلى النار ، ﴿**وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ**﴾: كالصوف ، ﴿**المَنفُوشِ**﴾: المندوف، في خفة سيرها وتطايرها ، ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾: بترجيح قدر الحسنات ، ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ**﴾: عيش ، ﴿**رَّاضِيَةٍ**﴾: ذات رضى ، ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾: بأن ترجحت سيآته، ﴿**فَأُمُّهُ**﴾: مأواه ، أو أم رأسه ، فإنه يطرح فيها منكوسًا ، ﴿**هَاوِيَةٌ**﴾ ، من أسماء جهنم ، ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ**﴾ ، الضمير للهاوية ، والهاء للسكت، ﴿**نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾: ذات حرارة شديدة فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزء.

اللهم أجرنا منها .

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾

﴿أَلْهَاكُمُ﴾: شغلكم ، **﴿التَّكَاثُرُ﴾**: المباهات بكثرة الأموال والأولاد عن طلب الآخرة ، **﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾** أي: تمادى بكم إلى أن متم ، وقبرتم ، وفي الحديث: (حتى زرتم[1] المقابر: حتى يأتيكم الموت) ، وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه "مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت" ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر "(*) وعن عمر بن عبد العزيز حين قرأ ذلك قال : ما أدري المقابر إلا زيارة ، وما للزائر إلا أن يرجع إلى مترله إلى جنة أو نار(**)، وعن بعض معناه: تكاثرتم بالأحياء، حين قلتم: نحن أكثر عددًا وخدمًا وعشيرة، حتى إذا استوعبتم عددهم، صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات، بأن قلتم: هؤلاء قبور خدمنا ، وعشائرنا ، وأقاربنا ، **﴿كَلاَّ﴾** ، ردع عن الاشتغال بما يضره عما ينفعه ، **﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** ، خطأ ما أنتم عليه ، **﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ**

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

(*) ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي".

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٩٤٥٥).

﴿تَعْلَمُونَ﴾ ، تكرير للتأكيد ، وثم للدلالة على أن التالي[1] أبلغ ، ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾، ما سترجعون إليه ، ﴿عِلْمَ اليَقِينِ﴾: علمًا يقينًا، من غير تذبذب، لما ألهاكم شيء عن طلب الآخرة، فجواب "لو" محذوف[2] ، ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾ ، جواب قسم محذوف تأكيد للوعيد ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ ، تكرير للتأكيد ، ﴿عَيْنَ اليَقِينِ﴾ ، أي : الرؤية التي هي نفس اليقين ، ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ[3]﴾: عن شكر ما أنعم الله به عليكم من لذات الدنيا ، وفي مسلم ومسند الإمام أحمد وغيرهما أنه عليه السلام أكل مع أبي بكر ، وعمر رطبًا وماء باردًا ، فقال : (هذا من النعيم الذي تسألون عنه) ، وفي الحديث: (يُسئل عن كل شيء إلا من ثلاثة خرقة كف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحر[4] والقر*) وكلام جمهور السلف على أن السؤال عام.

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أي : من الأول أشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك لا تغفل / ١٢ منه .

(٢) ولا يجوز أن يكون هو جواب (لو)، لأنه محقق الوقوع، بل جواب قسم محذوف، أوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيمًا لشأنه / ١٢ منه .

(٣) والسؤال عام لمؤمن وكافر، للنصوص الصريحة، والرؤية التي في قوله: "لترون"، رؤية قبل الدخول في النار، لقوله : " ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم " / ١٢ وجيز .

(٤) قال الترمذي وابن حبان في صحيحه: قال عليه السلام: (أول ما يسأل عنه العبد من النعيم أن يقال : ألم نصح لك جسمك ، ونرويك من الماء البارد؟) / ١٢ منه. [وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" .]

(*) تفرد به الإمام أحمد كما قال ابن كثير (٤/٥٤٦).

سورة العصر مكية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ ، أي : الدهر ، أو بصلاة العصر ، أو بوقته ، **﴿إِنَّ الإِنسَانَ﴾**: كلهم ، **﴿لَفِي خُسْرٍ[(١)]﴾** ، في مساعيهم ، **﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** ، فإنهم فازوا، وربحوا، لأنهم اشتروا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية ، **﴿وَتَوَاصَوْا﴾**: أوصى بعضهم بعضًا ، **﴿بِالْحَقِّ﴾**: بالقرآن أو بما هو الخير ، **﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[(٢)]﴾**: على المصائب، أو عن

---

(١) اعلم أن هذه الآية كالتنبيه على أن الأصل في الإنسان أن يكون في الخسران ، والخيبة ، وتقرير أن سعادة الإنسان في حب الآخرة، والإعراض عن الدنيا ، ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية ، وإن الأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة، وهي: الحواس الخمس ، والشهوة ، والغضب ، فلهذا السبب صار أكثر الخلق مشتغلين بحب الدنيا، مستغرقين في طلبها، فكانوا في الخسران والبوار / ١٢ كبير .

(٢) هذه الآية وعيد شديد ، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسارة على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء وهي الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور/ ١٢ كبير.

المعاصي، يعني: يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويحكى عن بعض الأكابر أنه قال : فهمت معنى سورة " والعصر " عن بائع ثلج، يقول : ارحموا على من رأس ماله يذوب.(*)

اللهم وفقنا لمرضاتك(**).

(*) أي إنه تأمل كلام هذا الرجل فقاس خسران الإنسان بذهاب عمره هباء الذى هو رأس ماله بذهاب رأس مال هذا الرجل هباء وهو الثلج ، وهذه النكتة مناسبة جدًّا لإقسامه سبحانه بالعصر، ففيه إشارة إلى قيمة الوقت والزمن الذى هو رأس مال الإنسان.

(**) وفي النسخة (ن): بإرضائك .

سورة الهمزة مكية

وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: من اعتاد يكسر أعراض الناس **﴿لُّمَزَةٍ﴾**: من اعتاد بالطعن فيهم ، وعن بعض السلف الأول: العيب بالغيب ، والثاني في الوجه ، وقيل: باللسان ، وبالعين ، والحاجب، نزلت في الأخنس بن شريق ، أو غيره ، وعن مجاهد: هي[1] عامة **﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾** بدل من كل، أو منصوب ، أو مرفوع بالذم **﴿وَعَدَّدَهُ﴾**: عده مرة بعد أخرى ، أو جعله عدة وذخيرة للنوازل **﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾**: لفرط غروره واشتغاله بالدنيا وطول أمله، لا يخطر الموت بباله، فيعمل أعمال من[2] يظن الخلود **﴿كَلَّا﴾** ردع له عن حسبانه **﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾**: ليطرحن **﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾**: من أسماء جهنم، لأنها يحطم ، ويكسر **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾**: أوقدها الله **﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ[3]﴾**: تعلو على أوساط قلوبهم، فإنها ألطف ما في

---

(١) يعني: الوعيد عام يتناول من باشر مثل ذلك، وإن كان السبب خاصًّا، كذا في الوجيز/١٢.

(٢) ونعم ما قيل : إن السورة نعي بالويل على أهل الدنيا / ١٢ وجيز .

(٣) سبب تخصيص الأفئدة بذلك، هو: أنها مواطن الكفر، والعقائد الخبيثة، والنيات الفاسدة /١٢ كبير.

البدن ، وأشد تألمًا ، وعن كثير من السلف : تأكل كل جسده، حتى بلغت فؤاده جدّد خلقه **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾**: مطبقة **﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾** أي : موثقين في عمـــد ممدودة يعني: أرجلهم، وأيديهم في حديد كالعمود طويل ، هو حـــال مـــن ضمـــير "عليهم".

والحمد لله .

سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد، جعل مشاهدة آثارها وسماع أخبارها بمنزلة الرؤية **﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾** نصب كيف بفعل **﴿رَبُّكَ بِأَصْحَابِ**[1] **الفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾** في تخريب

---

(١) أخرج ابن المنذر ، والحاكم وصححه، وأبو نعيم والبيهقي، عن ابن عباس قال : أقبل أصحاب الفيل، حتى إذا دنو من مكة استقبلهم عبد المطلب، فقال لملكهم : ما جاء بك إلينا ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت ، فقال : أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا أمن، فجئت أخيف أهله ، فقال : إنا نأتيك بكل شيء تريد، فارجع، فأبى إلا أن يدخله ، وانطلق يسير نحوه، وتخلف عبد المطلب ، فقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ، ثم قال :

اللـهم إن لكـل إلـه حلالاً   فامـنع حلالـك لا يغلبن محالهم

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة نحو البحر، حتى أظلتهم طيرًا أبابيل التي قال الله: "ترميهم بحجارة من سجيل" ، فجعل الفيل يعج عجًا، فجعلهم كعصف مأكول/١٢ ، وفي الكبير رجع عبد المطلب وأتى البيت ، وأخذ بحلقته ، وهو يقول : =

الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في تضييع ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: جماعات جمع إبالة ، وهي الحزمة الكبيرة ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجر، معرّب سنككل ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾: ورق زرع ﴿مَّأْكُولٍ﴾: أكلته الدواب ورَاثَتْهُ، أو وقع فيه الإكال ، وهو أن يأكله الدود ، وقصته أن ملك اليمن أبرهة بنى كنيسة ، وأراد صرف الحج إليها ، فقصدها بعض قريش ، وأحدث فيها ، فلما رأى السدنة ذلك الحدث، أخبروا الملك بأن ليس هذا إلا من قريش غضبًا لبيتهم ، فتوجه الملك لتخريب الكعبة انتقامًا ، ومعه فيل عظيم اسمه محمود ، وقيل: معه فيلة أخرى ، فلما وصلوا قرب مكة تهيئوا للدخول، أرسل الله طيرًا من البحر، أمثال الخطاطيف مع كل في منقاره ورجليه ثلاثة أحجار، أصغر من حمصة ، فرمتهم ، فإن وقع الحجر على رأس رجل خرج من دبره، فهلكوا على بكرة أبيهم

والحمد لله رب العالمين .

=

لا هـــم إن المـــرء يمـــنع لـــه فامـــنع حلالـــك
وانصـــرنا عـــلى آل الصـــليب وعابديـــه الـــيوم آلـــك
لا يغلـــبن صـــليبهم ومحـــالهم عـــدوا محـــالك
إن كنـــت تـــاركهم وكعبتـــنا فأمـــر مـــا بدالـــك

ويقول :

يـــا رب لا أرجـــو لهـــم سواك يـــا رب فامـــنع عـــنهم حماكا

فالتفت وهو يدعو، فإذا هو بطير من نحو اليمن ، فقال : والله إنها لطير غريبة، ما هي بنجدية ولا تهامية، إلى آخر القصة / ١٢ .

سورة قريش مكية

وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ[(١)]﴾ عن بعض من السلف : إنه متعلق بالسورة التي قبلها ، أي: أهلكهم فجعلهم كعصف مأكول ليبقى قريش ، وما ألفوا من الرحلتين ، وهما في مصحف أُبيّ سورة واحدة ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾: رحلة في الشتاء ، ورحلة نصب بإيلافهم ﴿وَالصَّيْفِ﴾: ورحلة في الصيف، أطلق الإيلاف، ثم أبدل المقيد عنه للتعظيم ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ الأظهر أن يتعلق لإيلاف، بقوله: "فليعبدوا" ، والفاء لما فيه من معنى الشرط ، أي : إن لم يعبدوه لسائر نعمه عليهم ، فليعبدوا لأجل إيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ، والصيف إلى الشام يتجرون ، ويتنعمون ، وهم آمنون في رحلتيهم، لا يتعرض عليهم أحد بمكروه، لأنهم أهل بيت الله ﴿الَّذِي

---

(١) أخرج البخاري في تاريخه ، والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه، والبيهقي في الخلافيات، عن أم هانئ بنت أبي طالب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : (فضل الله قريشًا بسبع خصال، لم يعطها أحد بعدهم: أني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم- والخلافة فيهم ، والحجابة فيهم ، والسقاية فيهم ، ونصروا على الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين- لم يعبده أحد غيرهم ، ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم " لإيلاف قريش ")/١٢ در منثور .[ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٥٣/٤) وقال حديث غريب]

جُوعٍ﴾: عظيم أكلوا فيها الجيف **﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾**: عظيم، أبنـــــاء جنســـهم واقعون فيه ، فإن الناس غيرهم في حواليهم يغار عليهم ، وحاصله أن الله من عليـــــهم بالأمن والرخص.

والحمد لله .

سورة الماعون مكية وقيل مدنية

وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ① فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ⑦﴾

﴿أَرَأَيْتَ﴾ الاستفهام للتعجب **﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾**: بالجزاء والبعث **﴿فَذَلِكَ﴾** يعني: التكذيب بالدين، هو الذي يحمله على تلك المساوئ **﴿الَّذِي يَدُعُّ﴾**: يدفع دفعًا عنيفًا **﴿الْيَتِيمَ﴾** عن ابن عباس: هو بعض المنافقين **﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾**: لا يرغب **﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** أي: على إطعامه فضلاً عن أن يطعمه هو **﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾** أي: لهم، وضع موضع الضمير، للدلالة على معاملتهم مع الخلق والخالق **﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾** أي: التزموا بالصلاة علانية، ويتركوها بالسر **﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾**: يصلون في العلانية، لأجل أن يظن فيهم الإسلام **﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ[1]﴾**: ولا يعطون[2] الزكاة، أو يمنعون عارية القدر، والفأس[3]، والدلو،

---

(١) قال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة المفروضة، وأدناه عارية المتاع، ويلتحق بذلك البئر، والتنور في البيت، فلايمنع جيرانه من الانتفاع بهما، قال العلماء: ويستحب أن يستكثر في بيته مما يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم، ويتفضل عليهم، ولا يقتصر على الواجب /١٢ لباب.

(٢) هذا قول علي، أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والحاكم، كذا في الدر المنثور/١٢.

(٣) قول ابن مسعود أخرجه الطبراني / ١٢.

والملح ، والنار ، وأمثال ذلك سيما زكاة المال ، وعن بعض المراد من الذي يدع اليتيم، رجل[1] خاص من قريش ، فعلى هذا ليس المراد من قوله : " فويل للمصلين " هو الذي يدع لأنه ليس من أهل الصلاة ، بل لما عرف المكذب بمن هو يدفع اليتيم زجرًا لأن يحترز عنه ، وعن فعله ذكر استطرادًا ما هو أقبح ، يعني : إذا كان عنف اليتيم ، وترك إطعام الطعام بهذه المثابة ، فما بال المصلي الذي هو ساه عن صلاته ، فالاحتراز عنه وعن فعله أولى وأولى .

والحمد لله رب العالمين .

(١) يعني: أبا سفيان ، فإنه في كفره ينحر في كل أسبوع جزورًا، فأتاه يتيم وسأله، فقرعه بعصاه ، فعلى هذا فالمراد من قوله: "للمصلين"، غير من يدع، فإنه كافر لا يصلي/١٢ وجيز .

سورة الكوثر مكية أو مدنية

وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ في الأحاديث الصحاح[1] (هو نهر في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم، فأقول : رب إنه من أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، وعن أكثر السلف هو الخير الكثير ، ومنه ذلك النهر ، والنبوة والقرآن ، وعن عطاء: هو حوض في الجنة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: دم عليها مخلصًا شكرًا لما أعطيناك ﴿وَانْحَرْ[2]﴾ أي : البدن ونحوه على اسمه وحده ،

---

(١) نقله الإمام أحمد ، وهو في حديث صحيح مسلم ، وأبي داود ، وفي البخاري (إنه نهر في الجنة)/١٢ منه .

(٢) معناه : إن ناسًا كانوا يصلون لغير الله تعالى ، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي له ، وينحر له، متقربًا إلى ربه بذلك، قاله الخازن ، وفي حديث مسلم (لعن الله من ذبح لغير الله)، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرّب إليه شيئًا، فقالوا لأحدهم: قرّب ولو ذبابًا فقرّب ذبابًا فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا لآخر : قرب ، فقال : ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة) [أخرجه أحمد في "الزهد" ، وأبو نعيم في "الحلية" (٢٠٣/١)]، قال الإمام الشوكاني بعد ذكر الحديثين: فانظر لَعْنَه صلى الله عليه وسلم=

بخلاف ما عليه المشركون من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: مبغضك وعدوك، يا محمد ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾: الأقل الأذل، الذي لا عقب له المنقطع ذكره ، نزل في بعض من المشركين يقول : دعوا محمد فإنه أبتر، فإذا هلك انقطع ذكره ، وقد روى[1] أنه إذا مات ابناه عليه وعليهما السلام قالوا: بتر محمد ، فقال الله: أعداؤك متصفون بما قالوا فيك، وما أنت إلا باق ذريتك الكرام إلى يوم القيامة ، وحسن ثنائك على رءوس الأشهاد إلى يوم التناد.

والحمد لله[2] .

= لمن ذبح لغير الله، وإخباره بدخول من قرب لغير الله النار، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم، الذي لا ينبغي إلا الله ، فما ظنك بما كان شركًا بحتًا؟

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على قوله : "وما أهل به لغير الله" (البقرة:١٧٣) إن الظاهر أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه ، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين إلى الله، كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه يحرم، وإن قال فيه: بسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبيحتهم بحال لكن تجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح، انتهى / ١٢ .

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم / در منثور .

(٢) وهذا أخصر سورة، قد كتبنا في شرحها رسالة تليق بأن نلحقها بالتفسير ، لكن قد منعنا الاختصار /١٢ وجيز .

سورة الكافرون مكية

وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ نزلت حين قال رهط من قريش : هلم يا محمد تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلاهك سنة ، ونشركك في أمرنا كله[١] ﴿لاَ أَعْبُدُ﴾: في المستقبل ، فإن "لا" على المضارع للاستقبال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ : في الحال ﴿وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾: في المستقبل ﴿مَا أَعْبُدُ﴾: في الحال ، وذكر (ما) هاهنا للمطابقة ، أو لأن المراد، ما أعبد الباطل ، ولا تعبدون الحق ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ﴾: في الحال ، أو قط ﴿مَّا عَبَدتُّمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾: في الحال ، أو قط ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ لم يقل ما عبدت لأنه لم يطابق المقام ؛ لأنهم ينكرون ما هو عليه بعد النبوة ، ويعتقدونه ويعظمونه قبلها[٢] ، وعن بعض العلماء : إن المراد من لا أعبد نفي الفعل ، ومن لا أنا عابد نفي الوقوع والإمكان ، فلا تكرار ، وعن بعض هو تكرار وتأكيد على طريقة أبلغ، فإن الثاني جملة اسمية ، وعن بعض: "ما" في الأخيرين مصدرية ، أي : ولا أنا عابد ، وتابع عبادتكم وطريقتكم ، ولا أنتم مقتدون عبادتي وطريقتي ، ولهذا قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الكفر ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الإسلام، لا تتركونه ، ولا أترك ، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون .

---

(١) ونمولك ، ونزوجك من شئت من كرائمنا / ١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسره البخاري ، وكثير من السلف / ١٢ .

سورة النصر مدنية

وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي : لك على أعدائك **﴿وَالْفَتْحُ﴾**: فتح مكة ، فسر به جمهور السلف **﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾** هو حال إن جعلت رأيت بمعنى أبصرت **﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾** جماعات بعد ما كان يدخل واحدًا واحدًا ، أو اثنين اثنين، كانت أحياء العرب ينتظرون فتح مكة، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي لأنهم أهل الحرم ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل ، يعني إذا فتحت مكة قريتك التي أخرجتك ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، فقد فرغ شغلنا في الدنيا بك فتهيأ للقدوم علينا ، ولذلك قال: **﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾**: نزهه عما يقول الظالمون حامدًا له **﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾**: عما فرط منك من التقصير ، أو عن أمتك **﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾**: لمن استغفر منذ خلق الخلق ، وكان عليه السلام حين أنزلت أخذ في أشد ماكان اجتهادًا في أمر الآخرة ، وعن الإمام أحمد : قال عليه السلام لما نزلت : " إذا جاء نصر الله والفتح " (نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسي*) بأنه مقبوض في تلك السنة ، وعن أكثر السلف : إنها أجله عليه السلام ، وفي مسلم ، والطبراني ، والنسائي : إنها آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا ، وعن البيهقي وغيره : إنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع ، فيكون نزولها بعد فتح مكة بسنتين ، فلابد أن نقول: إن "إذا" الذي هو للاستقبال سلبت عن معناه ، وقيل: إن فتح مكة أم الفتوح ، والدستور لما يكون بعده من الفتوحات ، فهو وإن كان متحققًا في نفسه، لكنه متركب باعتبار ما يدل عليه.

(*) قال الشيخ أحمد شارك (٣٢٠١): إسناده صحيح.

سورة اللهب* مدنية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ
مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

﴿تَبَّتْ﴾: هلكت **﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾**: نفسه ، وعادة العرب أن تجعل التعبير عن الجملة باليدين نحو : بما قدمت يداك ، وقيل: المراد دنياه وأخراه **﴿وَتَبَّ﴾** الأول: دعاء ، والثاني: خبر ، أي : وقد حصل الهلاك والخسران ، نزلت[1] لما صعد عليه السلام الصفا ، فقال : (يا صباحا)، فاجتمعت إليه قريش قال : "أرأيتكم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟" قالوا : بلى ، قال : "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب : تبًّا لك، ألهذا دعوتنا جميعًا؟ **﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾**: من عذاب الله **﴿وَمَا كَسَبَ﴾**: الذي كسبه ، وهو ولده ، فإنه قال: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا، فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي ، وهو مات عليه اللعنة وبعدما أنتن دفنه بعض السودان ، وقد افترس أسد ولده في طريق الشام **﴿سَيَصْلَى﴾**: سيدخل **﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾**: اشتعال ، أي : جهنم **﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾** أي : تحمل الحطب في جهنم فتلقي على زوجها ليزداد عذابه ، لأنها كانت عونًا له في شره في الدنيا ، فتكون في القيامة عونًا عليه في شره وعذابه ، والجملة حالية **﴿فِي**

(*) أي: سورة المسد.

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما / ١٢ فتح .

جِيدِهَا﴾: عنقها ﴿**حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾ أي : مما مُسِد وفتل كالحطابين ، وعن ابن عباس وغيره: سلسلة من حديد فتل وأحكم منه ، وروى أنها تجمع الشوك ، وتطرح ليلاً في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فمعناه وإن حالها في جهنم على الصورة التي كانت عليه في الدنيا، حين تحمل الشوك على ظهرها ، وقيل معناه : إن امرأته حمالة الحطب في الدنيا، في عنقها حبل من ليف ، والغرض تحقيرها وتخسيس حالها ، فإنها من سادة نساء قريش ، فقوله : " وامرأته " إلخ من عطف الجملة ، ولا تكون حالية، أو هي عامة في الدنيا حمالة الحطب بين الناس لنائرة الشر ، وعن بعض إن لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقها في عداوة محمد ، فأعقبها الله منها حبلاً في عنقها من مسد النار.

والحمد لله.

سورة الإخلاص مكية

وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿**قُلْ هُوَ**[1] **اللَّهُ**﴾ نزلت[2] حين قالوا : صف لنا ربك الذي تدعونا إليه ، فالضمير لما سئل عنه، و"الله" خبره ﴿**أَحَدٌ**﴾ خبر بعد خبر ، أو بدل ، أو الضمير للشأن و"الله أحد" جملة هي خبره ، وعند المحققين : إن الأحدية لتفرد الذات ، والواحدية لنفي المشاركة في الصفات ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾: المصمود إليه في الحوائج ، أو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد ، وعن كثير من السلف[3]: إنه الذي لا جوف له لا

---

(١) ولو لم يرد في فضل هذه السورة إلا حديث عائشة عند البخاري ومسلم وغيرهما "إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً في سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلواتهم فيختم (بقل هو الله أحد) فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال : أخبروه أن الله تعالى يحبه" هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد لكفى به فضيلة /١٢ فتح .

(٢) ذكره الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن جرير / ١٢ منه .[وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٦٨٠)]

(٣) قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير، والضحاك والسدي، وغيرهم ، وروى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم /١٢ منه .

يدخل فيه ولا يخرج منه شيء ، ولذلك قالوا : ما بعده تفسيره ، وتكرير لفظ الله للإشارة بأن من لم يتصف، به لم يستحق الألوهية ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأن الولد من متجانسين، وهو الأحد الصمد الذي لا يجانسه ، ولا يماثله أحد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه هو الله الأحد الصمد ، فكيف يمكن أن يكون حادثًا محتاجًا إلى أحد مربوبًا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي : لم يكن أحد يكافئه ، ويماثله من صاحبة ؛ لأنه أحد صمد ، " وله " إما حال من كفوًا ، أو ظرف ليكن وقدمه ؛ لأن الغرض نفي المكافأة عن ذاته، تقديمًا للأهم ، وقد ثبت بروايات صحيحة إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، ومن قرأ مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، وفي الترمذي ، والنسائي (إنه سمع رجلاً يقرأها ، فقال عليه السلام : وجبت، قيل: وما وجبت ؟ قال : الجنة(*)) ، وفي مسند الدارمي، قال عليه السلام : (من قرأ " قل هو الله أحد " عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين بنى له قصرين ، ومن قرأها ثلاثين بنى ثلاثة، فقال عمر بن الخطاب : إذا لنكثر قصورنا ، فقال عليه السلام : الله أوسع من ذلك(**)) ، وفضائل تلك السورة في كتب الحديث لكثيرة.

والحمد لله رب العالمين .

(*) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٣٢٠).

(**) أخرجه الدارمي في "مسنده" (٣٤٢٩) وقال ابن كثير: هذا مرسل جيد.

سورة الفلق مختلف فيها

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿قُلْ(١) أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ(٢)﴾ هو الصبح ، أو الخلق كله ، لأنه ما من شيء إلا ويفلق ويفرق ظلمة العدم عنه ، أو هو بيت ، أو جب في جهنم إذا فتح صاح جميع

---

(١) أخرج أحمد ، والبزار ، والطبراني وابن مردويه، من طرق صحيحة عن ابن مسعود رضي الله عنه إنه كان يحك المعوذين من المصحف ، ويقول :لا تخلطوا القرآن بما ليس منه ، إنهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه لا يقرأ بهما ، قال البزار : لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتا في المصحف/١٢ در منثور.[قال ابن كثير (٥٧١/٤): وهذا هو المشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن معود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتواتر عنده ثم لعله رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك]

(٢) اعلم أن المستعاذ به هو الله وحده رب الفلق رب الناس، لا ينبغي الاستعاذة إلا به ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، وقد أخبر تعالى في كتابه أن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقًا ، وهو الطغيان ، واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلام الله غير مخلوق، إن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بقوله : " قل أعوذ برب الفلق " و"أعوذ بكلمات الله التامات" ، وهو لا يستعيذ بمخلوق أبدًا ، والمستعيذ هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل من أتباعه إلى يوم القيامة ، كذا قال شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام في تفسير المعوذتين/١٢ .

أهل النار من شدة حره ، وذكر الرب ، لأن الإعاذة من المضار تربية ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: دخل ظلامه ، ولا شك أن المضار في الليل أكثر وأشد ، أو هو القمر إذا[1] وقب ، ودخل في الكسوف ، والاسوداد ، وعن بعض هو الثريا إذا سقطت ، ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها ، ويرتفع عند طلوعها ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ[2] فِي العُقَدِ﴾ أي : النساء ، والجماعات السواحر، اللواتي يعقدن عقدًا ، وينفثن عليها ، والنفث النفخ مع ريق ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: إذا أظهر حسده ، وعمل بمقتضاه ، فإنه إذا لم يظهر أثر ما أضمر، فلا ضرر منه إلا على نفسه لاغتمامه وهمه، وقد صح أن يهوديًا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة ، ودسه في بئر، فاشتكى ومرض عليه السلام لذلك أيامًا ، وقد روى ستة أشهر فجاءه جبريل ، وأخبره بالسحر ، والساحر ، وموضعه ، ونزلت المعوذتان إحدى عشرة آية ، فبعث عليه السلام فاستخرجها ، فجاء بها فكان كلما قرأ آية، انحلت عقدة ، فحين انحلت العقدة الأخيرة قام عليه السلام، كأنما نشط من عقال(**).

---

(١) رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وغيرهما عن عائشة قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأراني القمر حين طلع ، وقال : "تعوذي بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب" ، وقال أصحاب القول: بأنه الليل إذا ولج، هذا لا ينافي قولنا ، لأن القمر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، وكذلك النجوم فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم/١٢ منه .[وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٢٦٨١)]

(٢) أنث النفاثات ، لأن هذه الصناعات إنما تعرف بالنساء ، لأنهن يعقدون(*) وينفثن ، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر ، وإحكام الهمة والوهم فيه ، وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن ، وشدة شهوتهن ، فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى / ١٢ كبير .

(*) كذا بالأصل والصواب: يعقدن.

(**) أخرجاه في الصحيحين.

سورة الناس مختلف فيها

وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أضاف إلى الناس هاهنا ، لأن وسوسة الصدر، المستعاذ منه في تلك السورة لا تكون إلا للإنسان ، فكأنه قال : قل أعوذ بربي من شر موسوسي **﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾** عطفا بيان (لرب الناس) ، وهو من قبيل الترقي في صفات الكمال ، فإن الملك أعلى من الرب لأن كل ملك رب ومالك ، ولا ينعكس كليًا، ثم الإله الذي هو أعلى وخاص لله جعل غاية للبيان **﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ﴾** أي : الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد: الشيطان سمي بالمصدر مبالغة ، أو المراد: ذي الوسواس **﴿الخَنَّاسِ﴾**: الذي عادته الخنس ، أي : التأخر ، والرجوع عند ذكر الله تعالى **﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾**: إذا غفلوا عن ذكر ربهم **﴿مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ[1]﴾** بيان "الذي" ، أو

---

(١) واعلم أن في هذه السورة لطيفة أخرى وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة ، وهي: أنه رب الفلق ، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات ، وهي: الغاسق ، والنفاثات ، والحاسد ، وأما في هذه السورة، فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة وهي: الرب ، والملك ، والإله ، والمستعاذ منه آفة واحدة ، وهي: الوسوسة ، والفرق بين الموضعين، أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن ، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين ، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت / ١٢ كبير .

"الوسواس" ، قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن " (الأنعام:١١٢)، وعن بعض : هو بيان للناس ، والناس يعمهما تغليبًا ، أو يطلق على الجن أيضًا ناس حقيقة ، أو لأن المراد من الناس الناسي ، ونسيان حق الله يعمهما ، وفي مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر إنه عليه السلام قال : "يا عقبة ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم؟ قال : قلت بلى ، قال : فأقرأني " قل هو الله أحد " ، و " قل أعوذ برب الفلق " ، و " قل أعوذ برب الناس "(*)، فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ بأعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس ، إلى آخر السورتين من غير لفظة " قل " كما لا يخفى، قلت: المقصود التعوذ بالسورتين المذكورة فيهما الاستعاذة، من حيث إنهما كلام الله المجيد ، والسورة هي مجموع " قل أعوذ " إلى تمام السورة ، وبدون " قل " بعض السورة ، وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات ، فربما لا ينفع لو غُيّر نظم القرآن مع أنه تكليم بجميع تلك الكلمات، فافهم، والله أعلم.

والحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر، أولاً وآخرًا، باطنًا وظاهرًا ، كلما ذكره الذاكرون، وسها عن ذكره الغافلون حمدًا يليق بعظمة جلاله ، وحسن نواله وجماله ، وأستعيذ بعفوه من كل زلل ، واستجير بصفحه ، وغفرانه من كل خطأ وخطل، حمدًا يوافي نعمه ، ويقابل كرمه ، والحمد لله على ما وفقني ورزقني فراغ البال للاشتغال بالتأمل في آيات كتابك ، ولكشف أستار غويصات خطابك، والآن أفر من فيح نار الجحيم، إلى ظل ظليل قرآنه الكريم، هاربًا من سواء عدلك، ماسكًا فضلك، إنك أنت الجواد الكريم، المنعم الرحيم ، وقد تم ، والحمد لله على جسيم إنعامه في عام سبعين وثمانمائة، في مكة الشريفة تجاه الكعبة، زادها الله شرفًا.

وأنا حامد لله مصلي على رسوله ، ومسلم عليه .

تم بحمد الله

(*) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٤٨/٤) وإسناده صحيح.

فهرس سور المجلد الرابع